

دير القديس أنبا مقار

الرهبنة القبطية

في عصر القديس أنبا مقار

الأب متى المسكين

دير القديس أنبا مقار
برية شيهيت

الرَّهْبَانِيَّةُ الْقِبْطِيَّةُ

في عصر القديس أنبا مقار

حياة القديس أنبا مقار، منهجه الروحي، تاريخ ديره على ممر العصور
مع دراسة شاملة لرهبة نتريا والقلاي وشيهيت وشرح حياة وتعليم
أشهر قديسيها الذين عاصروا القديس أنبا مقار وتلمذوا عليه.

الأب متى المسكين



Χερε
θεεσμεεζ
ηζμοτ
ποσ
νεμε

صورة للسيدة العذراء تنقبّل البشارة ويدها المغزل

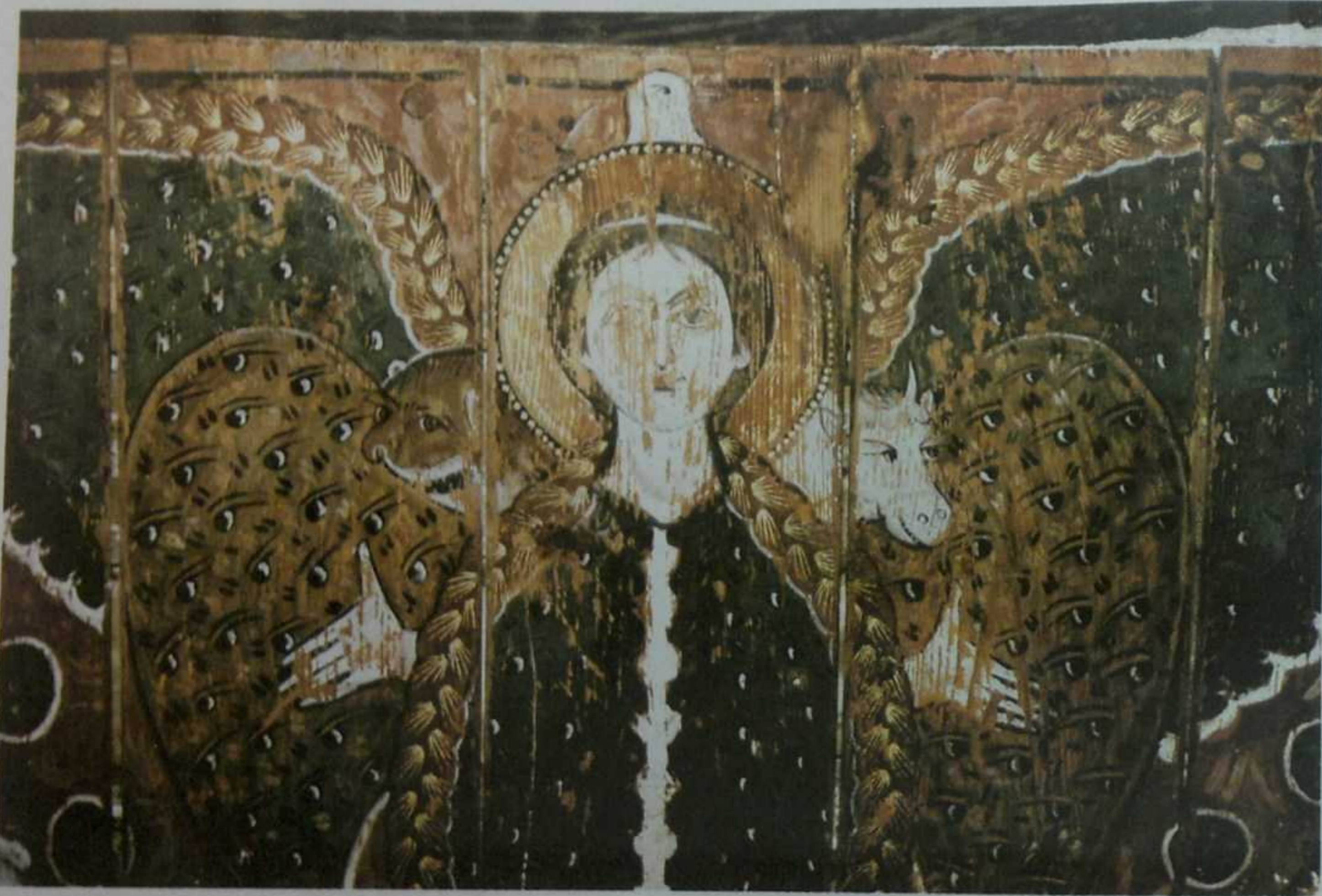
التقطت من مقبب في أعلى حائط هيكل يوحنا المعمدان بكليسة أبنا مقار بيد الرسام الفرنسي

P. H. Laferrière انظر الصورة الأصلية في اللوحات المنشورة في آخر الكتاب (لوحة رقم ٦٣).

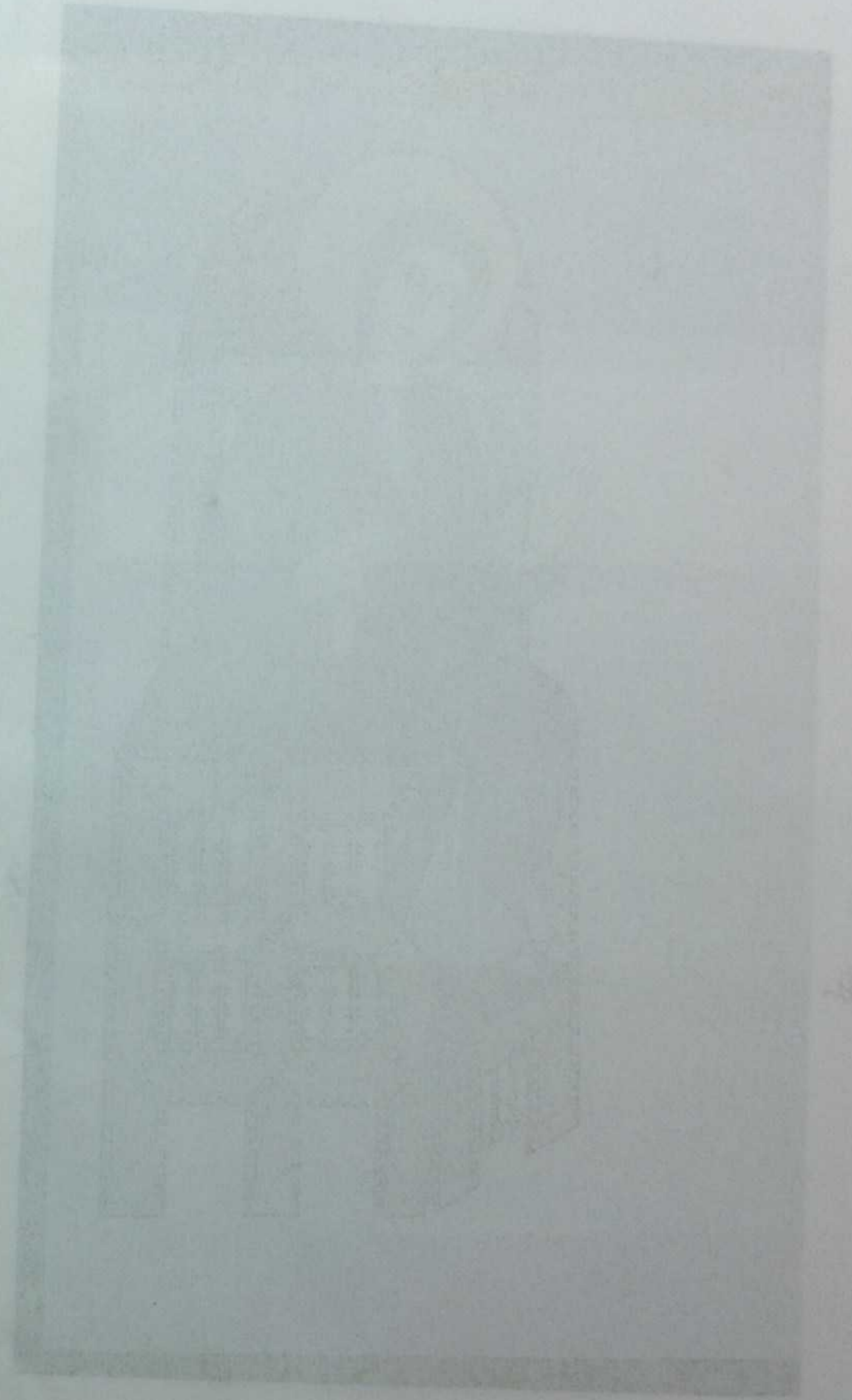
تَمَيُّزًا تَمَيُّزًا
تَمَيُّزًا تَمَيُّزًا

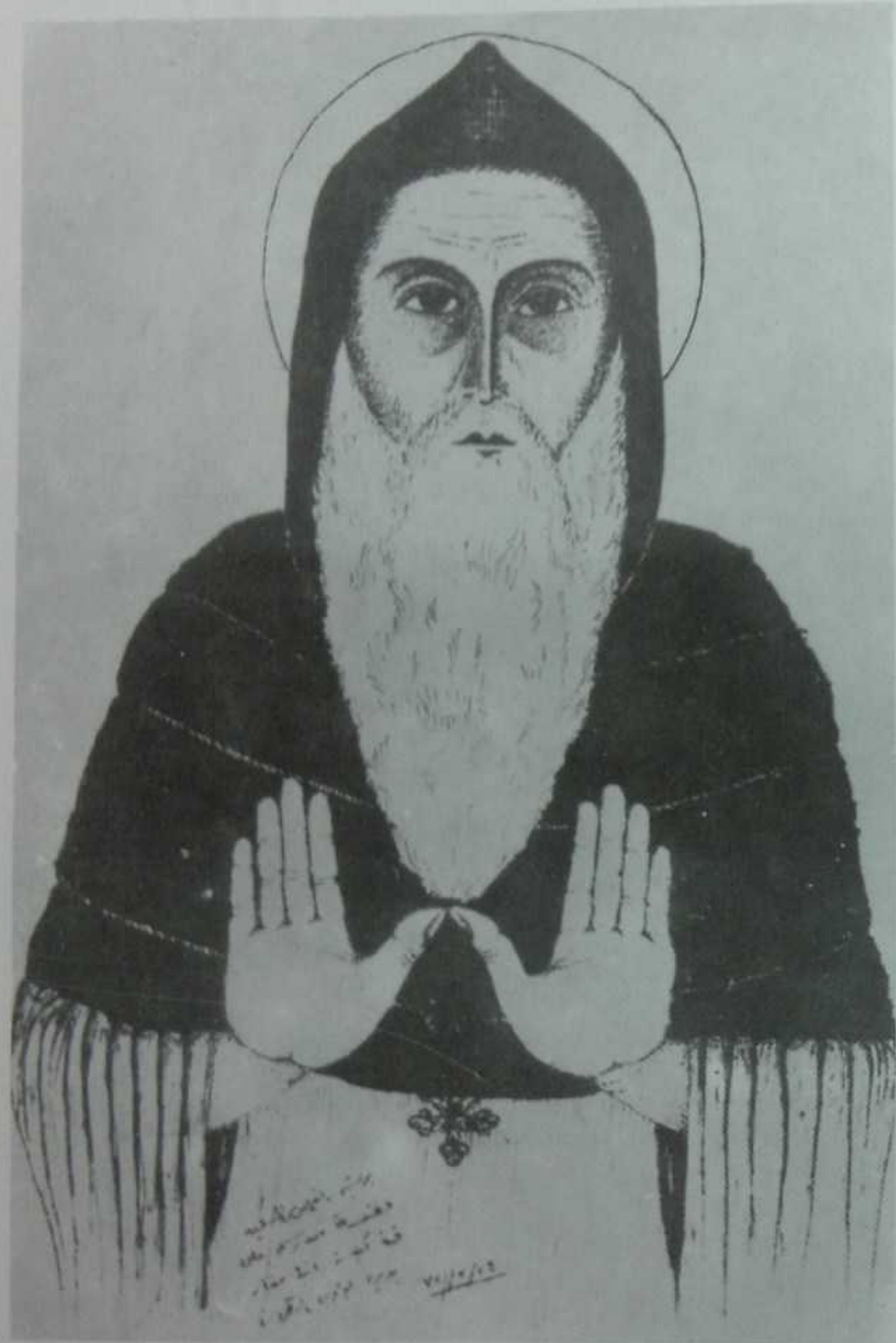
كتاب: الرهبة القبطية في عصر القديس أبنا مقار
المؤلف: الأب متى المسكين
الطبعة الأولى: ١٩٧٢
الطبعة الثانية (مزيدة): ١٩٨٤
الطبعة الثالثة (مزيدة): ١٩٩٥
مطبعة دير القديس أبنا مقار - وادي البطرون.
س. ب. ٢٧٨٠ القاهرة
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٨٤/٢٨٧٧
الترقيم الدولي: ٣ - ١٦ - ٤٤٨ - ٩٧٧
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف

تَمَيُّزًا تَمَيُّزًا

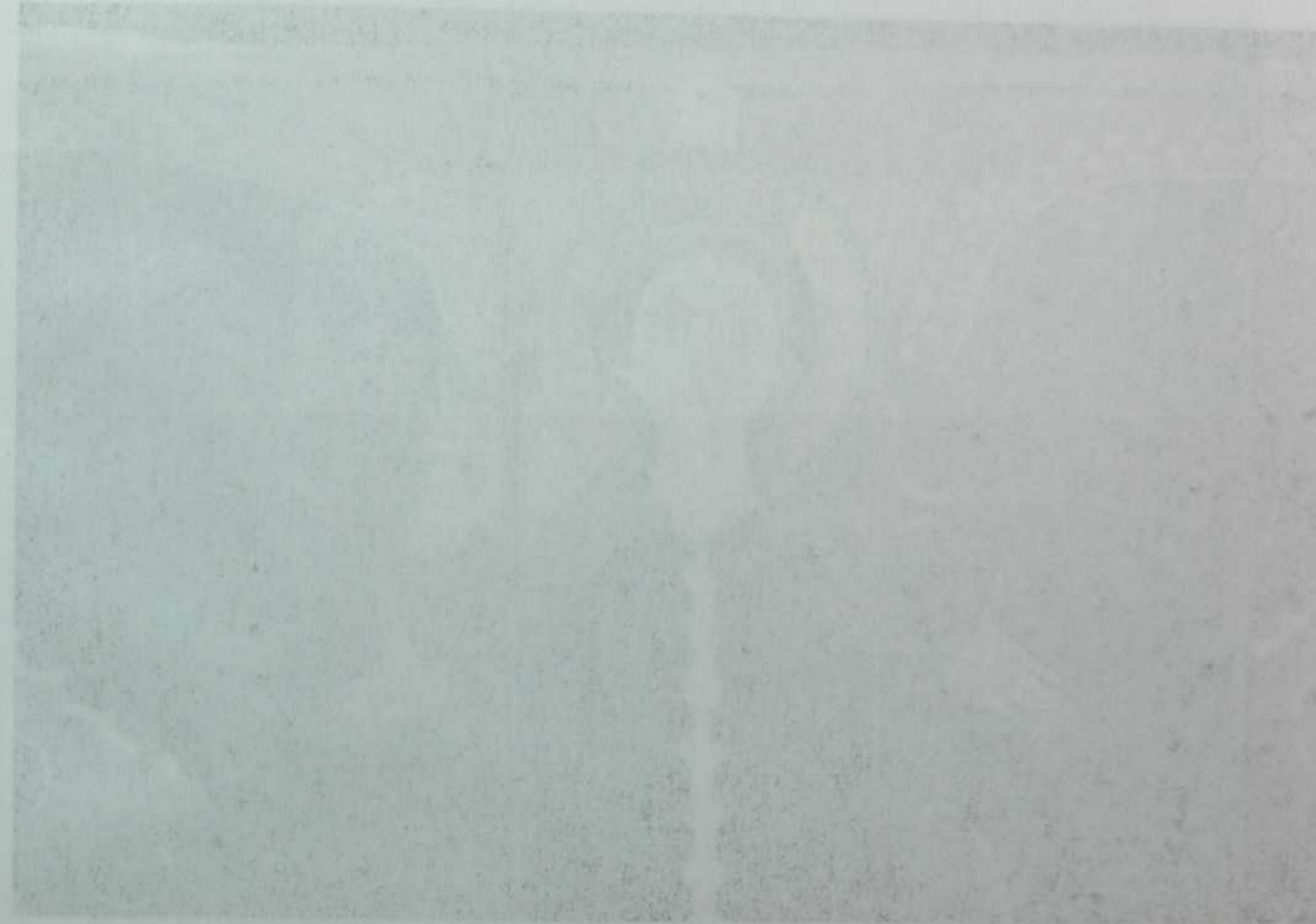


صورة مكبرة للشاروبيم: القوة الإلهية التي رافقت القديس أنبا مقار كل أيام حياته. وهي موجودة بالركن الشرقي البحري لهيكل أنبا بنيامين في قاعدة القبة.





صورة الأب المضيء أنبا مقار اللابس الروح أب آباء رهبان شيهيت، صديق الشاروبيم
(ميلاده عام ٣٠٠ م - نياحته ٢٧ برمهاث / ٥ أبريل سنة ٣٩٠ م)

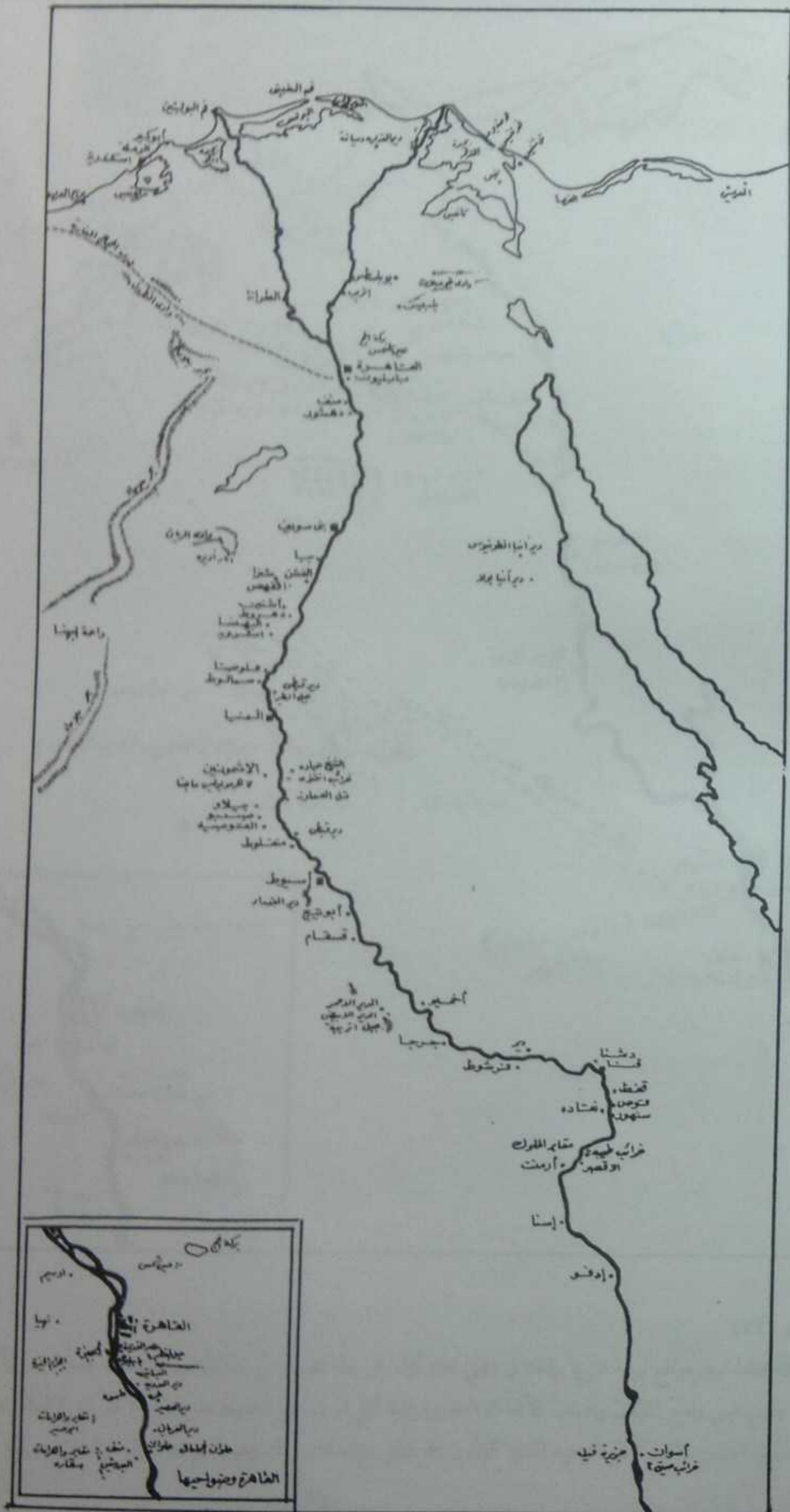


صورة الأب المضيء أنبا مقار اللابس الروح أب آباء رهبان شيهيت، صديق الشاروبيم
(ميلاده عام ٣٠٠ م - نياحته ٢٧ برمهاث / ٥ أبريل سنة ٣٩٠ م)



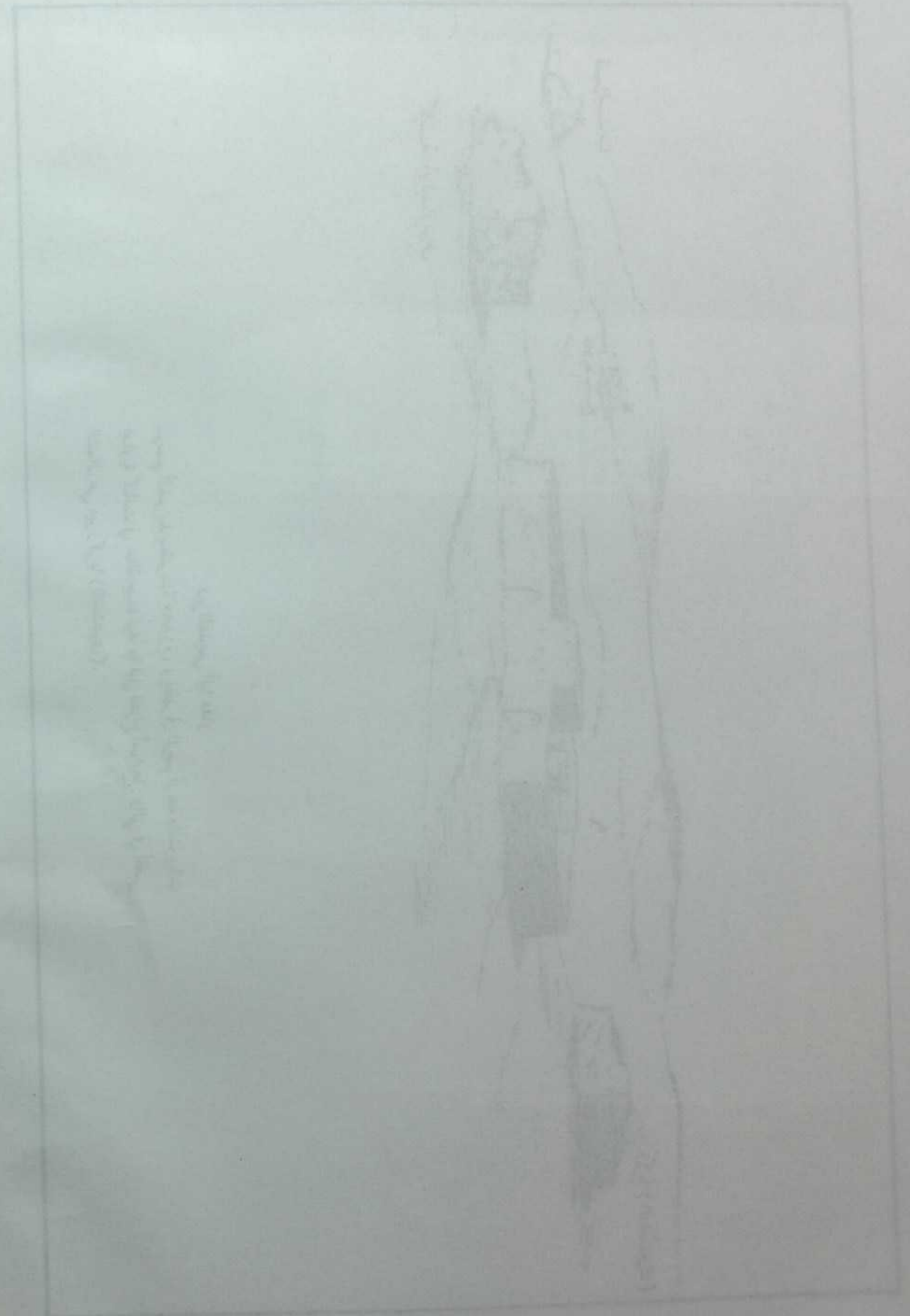
دير القديس أنبا مقار

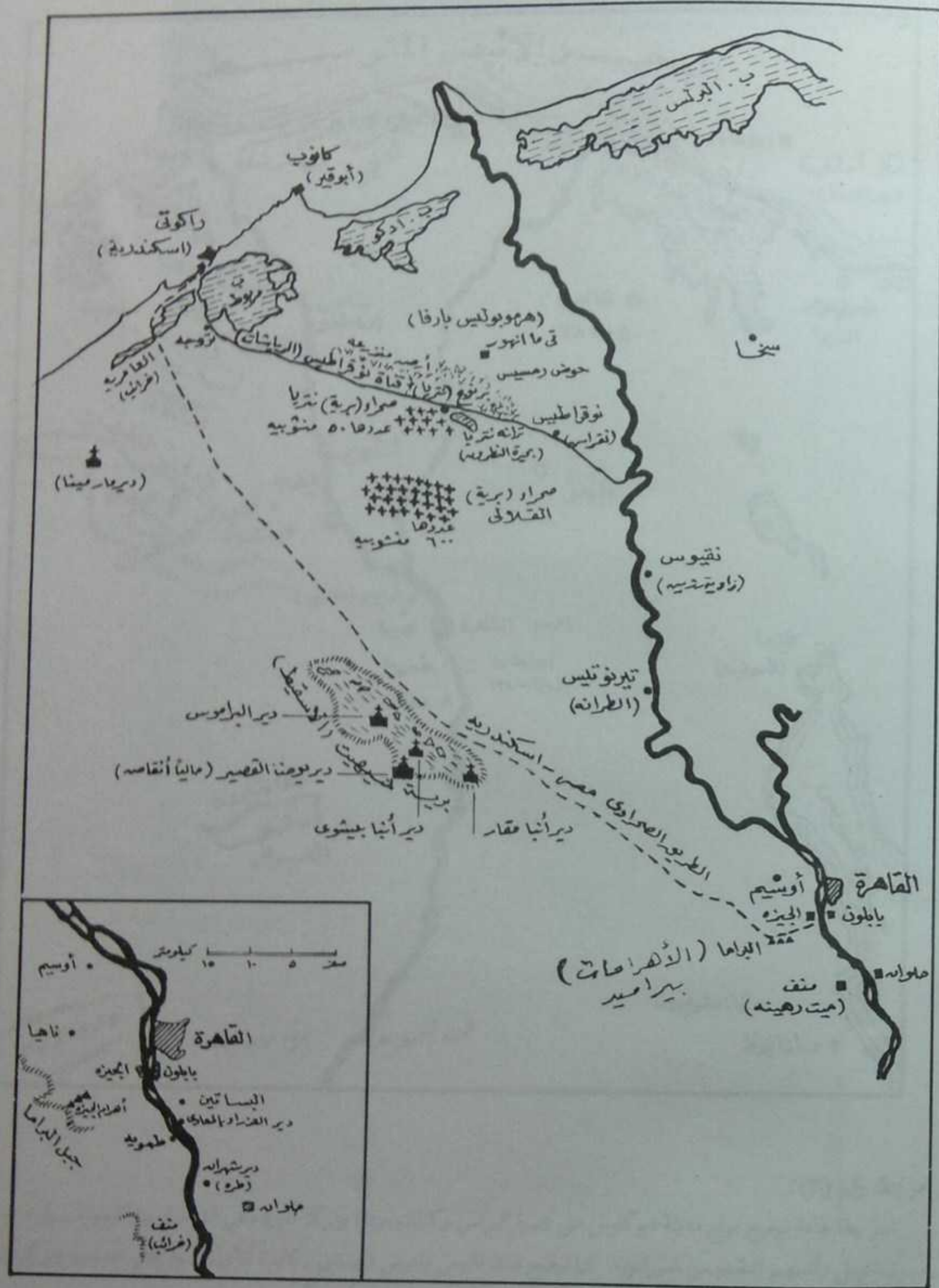
برسم ألفريد بطريركة ١٨٨٥ م، ويظهر في الرسم أربعة مانشوبيات
مجاورة كانت في حالة جيدة نوعاً ما قبل انتزاع أسوارها. والتي في أقصى
الشمال هي دير زكريا (الدشنيري).



خريطة رقم (1):

خريطة وادي النيل يظهر فيها مجموعة الأديرة القبطية التي كانت عامرة في الصعيد وذلك في العصر البيزنطي قبل دخول العرب.





خريطة رقم (٢):

خريطة هامة تبين مواقع برية نتريا والقلالي وهي تعتبر أول خريطة ظهرت في العالم وعليها توقيعات محددة جغرافياً لبرية نتريا والقلالي، وهي من وضع المؤلف وبحسب الأبحاث الطبوغرافية التي تمت على الطبيعة ومن واقع الآثار التي اكتشفت حديثاً. كما يظهر فيها قناة نوقراطيس، الممر المائي الوحيد الذي كان يربط النيل بالإسكندرية، وهو يظهر هنا لأول مرة على خريطة.

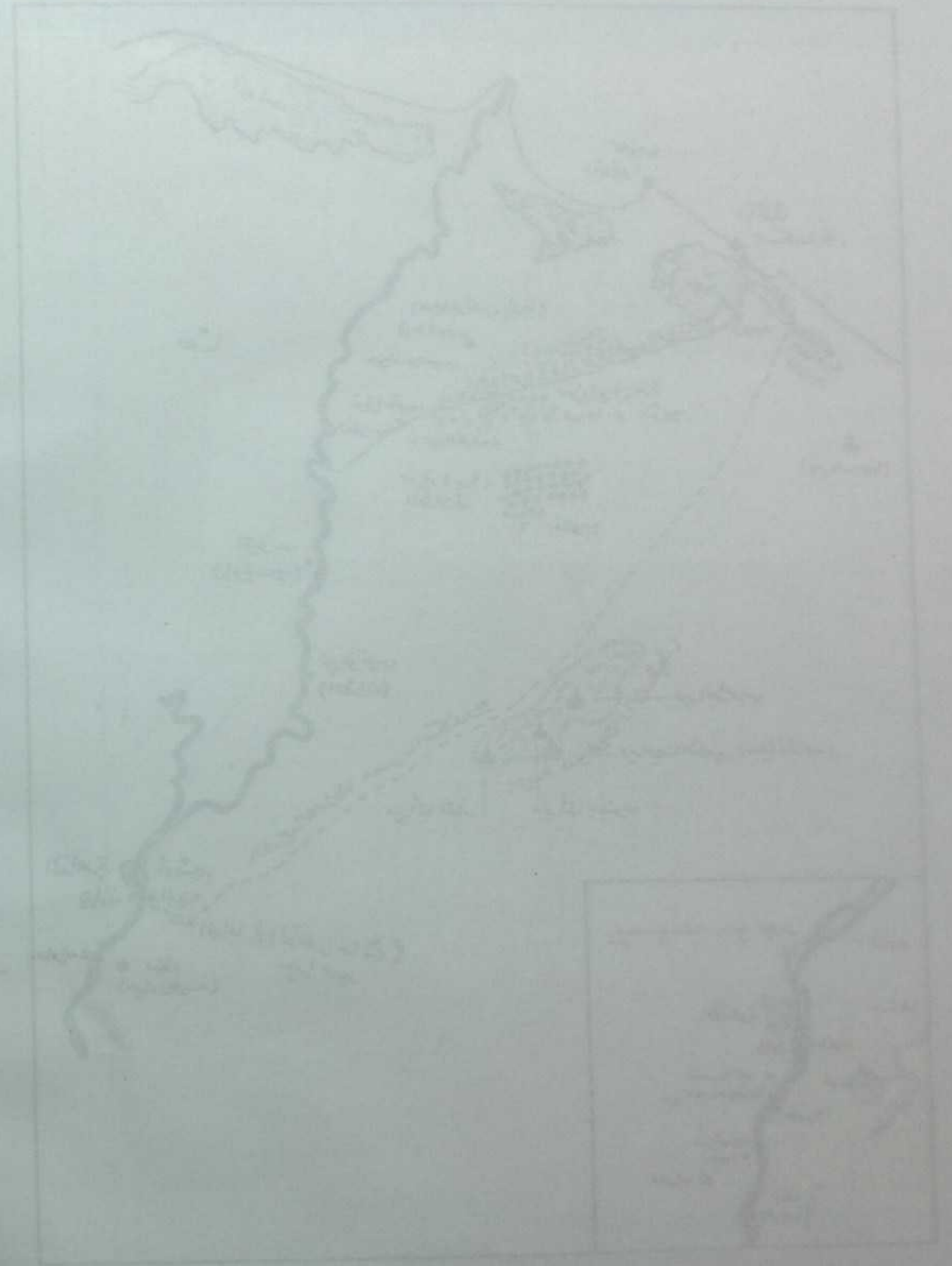
(٢) خريطة

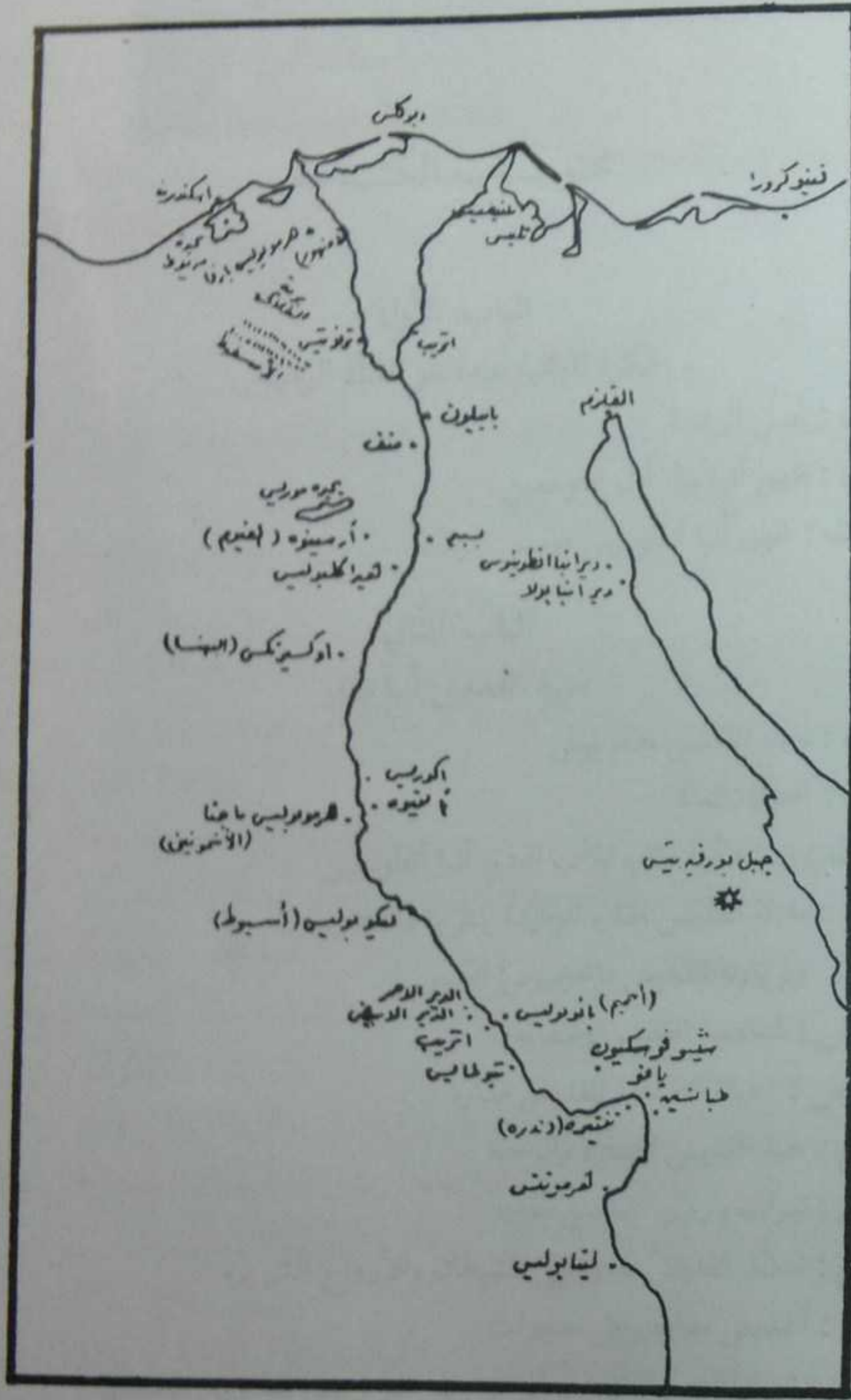
خريطة هامة تبين مواقع برية نتريا والقلالي وهي تعتبر أول خريطة ظهرت في العالم وعليها توقيعات محددة جغرافياً لبرية نتريا والقلالي، وهي من وضع المؤلف وبحسب الأبحاث الطبوغرافية التي تمت على الطبيعة ومن واقع الآثار التي اكتشفت حديثاً. كما يظهر فيها قناة نوقراطيس، الممر المائي الوحيد الذي كان يربط النيل بالإسكندرية، وهو يظهر هنا لأول مرة على خريطة.



خريطة رقم (٣):

خريطة هامة توضح موقع مدينة ديوكلوس على بحيرة البرلس وكانت ميناء ومركز أديرة وهي التي نزل بها كاسيان وزار متوحيدي أديرتها وعلى رأسهم القديس شيرامون. كما توضح مدن تانيس وتينيس المهمتين وكانت الأولى وسط إقليم خصيب ومركز أديرة، ومدينة البلز يوم (الفرما - قرية بالوطة الآن)، وكانت مركز أديرة كان برصنوفوبوس أشهر متوحيديها.





خريطة رقم (٥):

خريطة تبين مواقع البراري التي كانت عامرة بأديرة الرهبان في عصورها الأولى المزدهرة وتظهر فيها برية أنبا أنطونيوس على البحر الأحمر، ثم برية شهبست (الإسقيط)، والقلاي، ثم برية طبانسين (شينو فوسكيون و بافو) التي هي برية أنبا بانخوم بجوار إسنا، ثم برية أنبا شنودة (الدير الأبيض والدير الأحمر) بجوار سوهاج. ويلاحظ أن معظم البلاد جاءت بأسمائها اليونانية التي اشتهرت بها في العالم آنئذ.

٣٧	٣٧١
٤١	٣٧١
٤٣	٣٧١
٤٥	٣٧١
٤٧	٣٧١
	تمهيد

الباب الأول

٤١	فكرة تاريخية عامة عن نشأة الرهبنة
٤٣	الفصل الأول: أصل الرهبنة
٤٥	الفصل الثاني: ظهور أنبا بولا أول المتوحدين
٤٧	الفصل الثالث: ظهور أنبا أنطونيوس مؤسس الرهبنة

الباب الثاني

٥٣	سيرة القديس أنبا مقار
٥٥	الفصل الأول: نشأة القديس مقار يوس
٦٤	الفصل الثاني: اعتزاله العالم
٦٩	الفصل الثالث: زيارة أنبا مقاره للأب الكبير أنبا أنطونيوس
٧٢	الفصل الرابع: علاقة القديس مقاره الوطيدة بنتريا والقلالي وزيارته للقديس باخوميوس الكبير
٧٧	الفصل الخامس: شخصية القديس وصفاته
٨٢	الفصل السادس: الحياة التقشفية للقديس مقاره
٨٧	الفصل السابع: محبة القديس للصلاة والوحدة
٩٢	الفصل الثامن: نبوات ورؤى القديس مقاره
٩٤	الفصل التاسع: تسلط القديس مقاره على الشيطان والأرواح الشريرة
٩٨	الفصل العاشر: القديس مقاره رجل معجزات
١٠٤	الفصل الحادي عشر: فالنس الوالي يضطهد رهبان مصر ويني المقارئين القديسين
١١١	الفصل الثاني عشر: خطاب أنبا مقار الأخير ونياحته

الباب الثالث

١٢١	آثار القديس أنبا مقار المدونة
١٢٣	الفصل الأول: كتابات القديس أنبا مقار
١٢٤	— رسالة القديس مقار يوس إلى أولاده (مقدمة)



(٥) بيان خريطة
 خريطة النيل في مصر
 خريطة النيل في مصر
 خريطة النيل في مصر
 خريطة النيل في مصر

٢٥٧	٥ - آمون
٢٦٣	٦ - موسى الأسود
٢٦٨	٧ - سيرابيون
٢٧٤	٨ - إسحق
٢٧٨	٩ - ثيوذور
٢٨٢	١٠ - إشعياء الأسقيطي
٢٩١	١١ - سلوانس
٢٩٩	١٢ - الأب يوسف الكبير
٣٠٢	١٣ - القديس أنبا مقار وأبوليناريا الراهبة
٣٠٤	١٤ - أرسانيوس
٣١١	الفصل السابع : صورة عامة للحياة الرهبانية وكيف بدأت في نتريا وكملت في شيهيت
٣١٣	أولاً: صورة واقعية منظورة للحياة المجمعية في نتريا
٣١٩	ثانياً: نشأة منطقة القلاي وعلاقتها بنتريا
	— القلاي : ملخص الأبحاث الحديثة استناداً على الحفريات التي قام بها العالمان الأثريان جيومون ، ودوما من المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة
٣٢٣	ثالثاً: الحياة الرهبانية في شيهيت
٣٣٣	الفصل الثامن : حياة الراهب اليومية في شيهيت
٣٥٥	الفصل التاسع : القوانين الديرية لمتوحيدي شيهات
٣٧٧	
	الباب الخامس
	دير أنبا مقار: تاريخ مفصل للحياة الرهبانية فيه على مدى العصور مع دراسة هندسية دقيقة لعمارتها
٣٨٩	
٣٩٠	منهج البحث
٣٩١	مقدمة عامة للتاريخ الرهباني والمعماري لدير أنبا مقار
٣٩١	الفصل الأول : نشأة الدير
٣٩٤	الفصل الثاني : عصر الحصون والأعمدة الرخامية
٣٩٦	الفصل الثالث : عصر ازدهار رهباني وبدء المساكن الجماعية المتفرقة
٣٩٨	الفصل الرابع : عصر المنشوبيات الكبرى والكنائس
٤٠١	الفصل الخامس : عصر الأسوار والحصون وبدء انحصار الرهينة داخل الأديرة

١٢٦	— نص الرسالة
١٣٠	الفصل الثاني : دراسة تحليلية لمنهج القديس أنبا مقار
١٣٠	— تعليقنا الشخصي على رسالة القديس أنبا مقار
١٣٢	— دراسة روحية لكتابات أنبا مقار على أساس خطابه المشهور
١٦٣	الفصل الثالث : الذكولوجيات — أي التماجد — الخاصة بالقديس أنبا مقار
	الباب الرابع
	براري نتريا والقلاي وشيهيت (أو الأسقيط)
١٦٩	الأماكن المقدسة للتجمعات الرهبانية والتي زارها وعاش فيها القديس مقاريوس
١٧١	مقدمة :
١٧٢	الفصل الأول : جبل نتريا : جبل البرنوج
١٧٨	— القديس آمون مؤسس رهبنة نتريا
١٨٢	— علاقة نتريا بالكرسي الإسكندري
١٨٤	— زيارة شخصيات هامة لنتريا كان لها أثر عالمي
١٩٠	الفصل الثاني : منطقة القلاي
١٩٤	— شخصيات من نتريا والقلاي
٢٠٥	— وصف لآباء نتريا يكشف عن وداعتهم ولطفهم واتضاعهم
٢٠٨	الفصل الثالث : شيهيت أو الأسقيط
٢١٨	الفصل الرابع : التجمعات الأساسية في شيهيت
٢١٨	— دير البراموس
٢٢٣	— دير أنبا مقار
٢٢٧	الفصل الخامس : التجمعات الفرعيان في شيهيت على يد تلاميذ أنبا مقار
٢٢٧	— دير يونس القصير
٢٣١	— دير أنبا بيشوي
٢٣٦	خاتمة الفصلين الرابع والخامس : الأربعة أديرة والقديس مقاريوس
	الفصل السادس : شخصيات القرن الرابع الهامة في تاريخ شيهيت
٢٣٧	الذين اعتبروا أولاداً وتلاميذ للقديس مقاريوس
٢٣٧	١ - إيسيدوروس
٢٤٠	٢ - بافنتيوس الملقب بالبسيط
٢٤٣	٣ - بيمين
٢٥٣	٤ - شيشوي

٥٢٧	الباب السادس مكتبة دير أنبا مقار
٥٦٩	الباب السابع التاريخ الأثري لمباني الدير
٥٧١	مقدمة عامة : فن العمارة في الكنائس القبطية
٥٨٨	الفصل الأول : أسوار الدير
٥٩١	الفصل الثاني : القصر القديم أو الحصن
٦٢١	الفصل الثالث : كنيسة القديس أنبا مقار المسماة بالكنيسة الكبرى
٦٥٤	الفصل الرابع : كنيسة الشهيد أباً سخيرون
٦٤٤	الفصل الخامس : كنيسة التسعة والأربعين شهيداً شيوخ شيهيت
٦٦٩	الفصل السادس : مباني الدير المتأخرة
٦٧٦	شهادات معاصرة من العلماء والمسؤولين في هيئة الآثار المصرية

٦٧٩	البطاركة والأساقفة الذين خرجوا من دير القديس أنبا مقار ورؤساء الدير والكنائس التي بنيت على أسم القديس على مر العصور
٧٠١	ملحقات الكتاب للإيضاح والتوعية
٧٠١	ملحق رقم ١ : عرض للمنابع الرهبانية الأولى
٧٠٢	١ - التاريخ اللوزياكي
٧٠٣	٢ - الهستوريا موناخورم
٧٠٥	٣ - الأبوفثجماتا باترم
٧٠٩	ملحق رقم ٢ : عرض لحياة أشهر المؤرخين
٧٢٣	ملحق رقم ٣ : فهارس الكتاب الموضوعية
٧٨٦	ملحق رقم ٤ : لوحات منطقة القلاي (كليا)
٨٠١	ملحق رقم ٥ : لوحات منطقة دير أنبا مقار
٨٦٠	ملحق رقم ٦ : مقاطعات الوجه البحري والوجه القبلي لمصر في العصر الفرعوني مع توقيع الآثار المسيحية عليها

٤٠٤	دراسة تفصيلية للتاريخ الرهباني والمعماري لدير أنبا مقار
٤٠٤	الفصل الأول : من القرن الرابع حتى القرن السادس
٤٠٦	— قصة استشهاد التسعة والأربعين
٤١٠	— قديسو دير أنبا مقار في القرن السادس
٤١٠	— أنبا دانيال قصص شيهيت
٤٢٠	الفصل الثاني : القرن السابع والقرن الثامن
٤٢١	● قصة تكريس كنيسة أنبا مقار
٤٣٣	● قديسو دير أنبا مقار في القرن السابع
٤٣٣	١ - أنبا صموئيل المعترف
٤٣٥	٢ - يونس قصص شيهيت
٤٣٨	٣ - القديس أبرام
٤٣٩	٤ - القديس جورجي
٤٤٠	٥ - القديس أغاثو العمودي
٤٤١	٦ - أنبا زكريا أسقف صا
٤٤٣	٧ - أنبا إسحق
٤٤٤	٨ - أنبا مينا أسقف تمي
٤٤٤	٩ - أنبا ميخائيل الأول
٤٤٤	١٠ - أنبا مينا أسقف نقيوس
٤٤٥	١١ - أنبا زكريا أسقف سخا
٤٤٦	● القرن الثامن
٤٤٧	● نقل جسد أنبا مقار
٤٥٤	الفصل الثالث : القرن التاسع
٤٦٢	الفصل الرابع : القرن العاشر
٤٦٥	الفصل الخامس : القرن الحادي عشر
٤٧٤	الفصل السادس : القرن الثاني عشر
٤٨٢	الفصل السابع : القرن الثالث عشر
٤٨٦	الفصل الثامن : القرن الرابع عشر
٤٩٣	الفصل التاسع : من القرن الخامس عشر إلى العشرين
٥٠١	الفصل العاشر : العمارة الحالية بالدير
٥٢١	الفصل الحادي عشر : وصف إجمالي لمباني الدير

١٠١
 ١٠٢
 ١٠٣
 ١٠٤
 ١٠٥
 ١٠٦
 ١٠٧
 ١٠٨
 ١٠٩
 ١١٠
 ١١١
 ١١٢
 ١١٣
 ١١٤
 ١١٥
 ١١٦
 ١١٧
 ١١٨
 ١١٩
 ١٢٠
 ١٢١
 ١٢٢
 ١٢٣
 ١٢٤
 ١٢٥
 ١٢٦
 ١٢٧
 ١٢٨
 ١٢٩
 ١٣٠
 ١٣١
 ١٣٢
 ١٣٣
 ١٣٤
 ١٣٥
 ١٣٦
 ١٣٧
 ١٣٨
 ١٣٩
 ١٤٠
 ١٤١
 ١٤٢
 ١٤٣
 ١٤٤
 ١٤٥
 ١٤٦
 ١٤٧
 ١٤٨
 ١٤٩
 ١٥٠
 ١٥١
 ١٥٢
 ١٥٣
 ١٥٤
 ١٥٥
 ١٥٦
 ١٥٧
 ١٥٨
 ١٥٩
 ١٦٠
 ١٦١
 ١٦٢
 ١٦٣
 ١٦٤
 ١٦٥
 ١٦٦
 ١٦٧
 ١٦٨
 ١٦٩
 ١٧٠
 ١٧١
 ١٧٢
 ١٧٣
 ١٧٤
 ١٧٥
 ١٧٦
 ١٧٧
 ١٧٨
 ١٧٩
 ١٨٠
 ١٨١
 ١٨٢
 ١٨٣
 ١٨٤
 ١٨٥
 ١٨٦
 ١٨٧
 ١٨٨
 ١٨٩
 ١٩٠
 ١٩١
 ١٩٢
 ١٩٣
 ١٩٤
 ١٩٥
 ١٩٦
 ١٩٧
 ١٩٨
 ١٩٩
 ٢٠٠

تهيد

١٠١
 ١٠٢
 ١٠٣
 ١٠٤
 ١٠٥
 ١٠٦
 ١٠٧
 ١٠٨
 ١٠٩
 ١١٠
 ١١١
 ١١٢
 ١١٣
 ١١٤
 ١١٥
 ١١٦
 ١١٧
 ١١٨
 ١١٩
 ١٢٠
 ١٢١
 ١٢٢
 ١٢٣
 ١٢٤
 ١٢٥
 ١٢٦
 ١٢٧
 ١٢٨
 ١٢٩
 ١٣٠
 ١٣١
 ١٣٢
 ١٣٣
 ١٣٤
 ١٣٥
 ١٣٦
 ١٣٧
 ١٣٨
 ١٣٩
 ١٤٠
 ١٤١
 ١٤٢
 ١٤٣
 ١٤٤
 ١٤٥
 ١٤٦
 ١٤٧
 ١٤٨
 ١٤٩
 ١٥٠
 ١٥١
 ١٥٢
 ١٥٣
 ١٥٤
 ١٥٥
 ١٥٦
 ١٥٧
 ١٥٨
 ١٥٩
 ١٦٠
 ١٦١
 ١٦٢
 ١٦٣
 ١٦٤
 ١٦٥
 ١٦٦
 ١٦٧
 ١٦٨
 ١٦٩
 ١٧٠
 ١٧١
 ١٧٢
 ١٧٣
 ١٧٤
 ١٧٥
 ١٧٦
 ١٧٧
 ١٧٨
 ١٧٩
 ١٨٠
 ١٨١
 ١٨٢
 ١٨٣
 ١٨٤
 ١٨٥
 ١٨٦
 ١٨٧
 ١٨٨
 ١٨٩
 ١٩٠
 ١٩١
 ١٩٢
 ١٩٣
 ١٩٤
 ١٩٥
 ١٩٦
 ١٩٧
 ١٩٨
 ١٩٩
 ٢٠٠

تمهيد

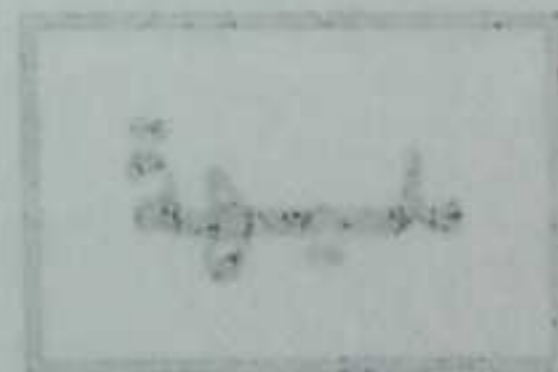
□□□

إن شغفنا الشديد بالتقليد الكنسي والتراث الأبوي الروحي هو الذي دفعنا للإلتجاء الرهباني نستعرض من خلاله الحياة المسيحية كما عرفتها الكنيسة القبطية في عصورها الأولى، لا في صورة أبحاث لاهوتية أو تأملات في مواضيع كتابية، ولكن في اختبارات حية وعهود محبة عاشها القديسون تطبيقاً مباشراً لتعليم المسيح والرسل والأنبياء، فكانت حياتهم آيات من الإنجيل تعيش وتتكلم.

ونحن هنا في هذا الكتاب إزاء نماذج إنجيلية حية تخصصت في طاعة الكلمة طاعة مطلقة فتقدست وتخلدت في سجل التاريخ الكنسي. أما غرضنا الوحيد في عرض هذا التاريخ الإنجيلي الحي فهو رفع الإنجيل من مستوى الوعظ الكلامي، الذي أصبح سمة هذا العصر، إلى مستوى المعيشة الحرة الواعية المنطلقة من قيود المدنية الكاذبة التي كادت تخنق الكلمة، ظانين أننا بتقديم هذا الكتاب لشعبنا القبطي في هذا الوقت إنما ننبه فيه حاسة تقديس النفس لله والتبتل للكلمة الحية، بمعنى أن يستطيع القارىء أن يعطي حياته كلها لله وللإنجيل في أي صورة من صور العطاء تطبيقاً لدعوة الرسول: «كي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذي مات لأجلهم وقام.» (٢ كور: ١٥)

وإن سيرة القديس أنبا مقار التي يدور حولها الكتاب كله، بل وإن أي سيرة من سير القديسين العظام الذين استعرضنا حياتهم في هذا الكتاب تبدو عالية وعملاقة حقاً. ولكن أيأ من هذه السير إذا تتبعناها في بدايتها لا نجدها إلا بسيطة، لا تعدو في صورتها الأولى أكثر من انطلاقة مجازفة شجاعة ساقط أقدام صاحبها الملتهب بالحب أو المثقل بهموم العالم أو غرور الغنى أو ثقل الضمير ليعبر المنطقة المنزرعة من وادي النيل ليتعمق في مجاهل الصحراء صوب الدير متطلعاً من وراء المجهول إلى الحياة الأبدية، إلى الأشياء التي لا تثرى، وهو لا يملك من الاستعدادات إزاء هذه الدعوة العليا سوى قلب ملتهب بحب مبهم نحو المسيح مشتهى كل نفس متعطشة نحو الخلود. وبقدر التعطش نحو المسيح كان دائماً الإرتواء، بالنسبة لكافة النساك، مهما كانوا بسطاء كقول المسيح نفسه: «إن عطش أحد فليقبل إليّ ويشرب.» (يو: ٧: ٣٧)

ولكن العجب العجيب الذي أدهش الكنيسة والعالم كله، أن هؤلاء البسطاء العطاش إلى البر النازحين من الريف وكلهم من مساكين الأرض وأغلبهم أميون، وجدوا ما أرادوه وأكثر



وبلغوا إلى ما اشتبهه وأفضل، فشرّبوا وشربوا وارتووا من دسم حب السماء حتى خرجت من بطونهم أنهار ماء حي - كقول المسيح (يو: ٧: ٣٨) - روت الأجيال كلها في مصر وإلى ما وراء حدود مصر وحتى إلى أقطار العالم كله، فصارت حياتهم ككلمة الإنجيل ذاتها حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذي حدين تستطيع أن تبكت وتخرق أعماق الضمير حتى إلى مفرق النفس!!!

هذا بخصوص المادة الروحية في الكتاب، أما بخصوص المادة التاريخية فلا أجد نفسي أمام القارىء إلا خجلاً مما كتبت، فالموضوع كما انفتح أمامي هائل الحجم تغطي مساحته التاريخية ألفاً وستمئة من السنين، وإمكاناتي في المجال التاريخي تافهة. فأنا لست بمؤرخ بادية ذي بدء، ثم إنني لا أملك من اللغات والمراجع ما يؤهلني للاضطلاع بهذه المهمة التاريخية الباهظة. وبعد ذلك كله فالوقت ليس في صفي وكاهلي مثقل بأعباء ومهام كلها فوق قدراتي. وأخيراً فالذين يلحون عليّ بإخراج الكتاب لم يهلوني أكثر من خمسة شهور، وهذا نفسه لم يكن أقل من إلحاحي على نفسي بالكتابة بإحساس العرفان بالجميل والفضل للرهبة التي سقيت فيها علم معرفة الرب وحب. لذلك أقدمت بالرغم من قصوري لتدوين هذا التاريخ، غير إنني أعتبر هذا الكتاب بجملته ليس أكثر من بادئة تفتح مجالات البحث والتاريخ أمام من هم أقدر مني، فعسى أن يكون حافزاً للغيورين من الرهبان والعلمانيين للبدء بنهضة تاريخية كنسية تشمل تراثنا الروحي في كافة المجالات.

والكتاب يقتصر في بحثه الأساسي على تاريخ رهبة شيببت التي هي نفسها الرهبة المقارية أولاً وآخرها منذ أن بدأت وحتى هذه الساعة. ثم سيلاحظ القارىء أنه كلما يتقدم الكتاب في السرد التاريخي كلما ينحصر أكثر في الجماعة المقارية أي التجمع الرهباني حول منطقة دير أنبا مقار، وانحصارنا في هذا الحيز التاريخي لا يأتي تعصباً منا لانتماثنا لدير أنبا مقار، وإنما يأتي أساساً بسبب أن الرهبة المقارية في هذا الدير تحمل تاريخاً لا أخالني مبالغاً إذا قلت أنه كان الخلفية التي يتحرك في إطارها التاريخ الكنسي برمته وخصوصاً من جهة الحياة الروحانية عامة وأعمال البطارقة خاصة وسوف يرى القارىء على مدى الكتاب صدق هذه الحقيقة.

ونبه ذهن القارىء أننا جعلنا في نهاية الكتاب ثبناً للمراجع التاريخية مع وصف للكتب التي استعنا بها وترجمة لحياة أشهر المؤرخين الذين اعتمدنا عليهم، ثم جداول توضيحية تاريخية وإحصائية. كما قدمنا في البداية والنهاية خرائط ولوحات عديدة أغلبها ينشر لأول مرة وهي بحسب تقرير العالم الفرنسي الأب لروا P. Leroy تعتبر من أندر أنواع الصور التوضيحية في العالم التي تربط العهد القديم بالجديد، وهي قبطية صميمة تخلو من أي تأثير بالفن البيزنطي، صافية كروح الآباء الأقباط الذين عاشوها ورسموها. وهذه الصور هي عبارة عن مجموعة اللوحات الفنية المزين

بها كل من قبة هيكل أنبا مقار وهيكل يوحنا المعمدان بالدير. وهذا الفن القبطي هو الوحيد من نوعه في جميع كنائس مصر ودياراتها على وجه الإطلاق.

ولقد اعتنينا جداً بتقديم عدة خرائط منها ما يطابق العصور القديمة حيث تظهر بعض المواقع الجغرافية القديمة وفروع النيل القديمة والمدائن العتيقة جداً، ومنها ما يطابق العصور الرهبانية الأولى حتى القرن الرابع، ومنها ما يوضح دقائق جغرافية القاهرة وضواحيها. وكل ذلك نقدمه للقارىء القبطي حتى يتعرف على جغرافية بلاده على مدى العصور المختلفة ليكون فكرة متسعة واضحة عن ميراث ترابه وبلاد آبائه ومواقع أديرتة.

الأب متى المسكين

ربه سبحانه وتعالى في الدنيا والآخرة
 والجنة والشرع في الدنيا والآخرة
 والجنة والشرع في الدنيا والآخرة

والجنة والشرع في الدنيا والآخرة
 والجنة والشرع في الدنيا والآخرة
 والجنة والشرع في الدنيا والآخرة

والجنة والشرع في الدنيا والآخرة
 والجنة والشرع في الدنيا والآخرة
 والجنة والشرع في الدنيا والآخرة

والجنة والشرع في الدنيا والآخرة
 والجنة والشرع في الدنيا والآخرة
 والجنة والشرع في الدنيا والآخرة

والجنة والشرع في الدنيا والآخرة
 والجنة والشرع في الدنيا والآخرة
 والجنة والشرع في الدنيا والآخرة

الباب الأول
فكرة تاريخية عامة عن نشأة الرهبنة

الفصل الأول أصل الرهبنة

مصر مهد الرهبنة في العالم، وعن مصر أخذت جميع الدول الرهبنة كنظام شعبي وكنسي بآن واحد. وقد بدأت الرهبنة على يد القديس أنطونيوس سنة ٣٠٥ م.، أما القديس باخوميوس فقد أسس أول دير له سنة ٣١٨ م. (١). ولأن رهبنة القديس أنطونيوس كانت مصرية في منهجها أكثر من رهبنة باخوم، لذلك ظلت حية حتى اليوم تأخذ من البيئة المصرية وتعطيها دون أن تتآكل، بعكس الرهبنة الباخومية التي لم تدم أكثر من قرن واحد.

والرهبنة كان أثرها قوياً وممتداً في عصورها الأولى المبكرة على الفكر المسيحي وعلى مسيحية الغرب بنوع أخص، فهي التي أعطت المسيحية في الغرب طبيعتها المركزية كمؤسسة حتى هذا اليوم. وقد حاولت الديمقراطيات الشعبية كسر هذا التركز الصلب في وضعه الرهباني فلم تستطع أبداً؛ لذلك أصبح تاريخ الرهبنة جزءاً هاماً لا ينفصل عن تاريخ المسيحية في العالم كله حتى اليوم. ولكن بالنسبة للكنيسة القبطية فتاريخ الرهبنة يعتبر الخلفية الحية المحركة لكل أحداث الكنيسة وامتدادها وتطورها منذ القرن الرابع حتى اليوم.

ملامح الحياة الرهبانية الأولى قبل القديس أنطونيوس:

١ - منذ بداية المسيحية في مصر وبتأثير الإنجيل تأثيراً مباشراً (٢)، نشأت حاسة روحية نسكية عالية بين الأقباط باعتبار تغليب الإحساسات الروحية على الإحساسات الجسدية.

٢ - منذ القرن الأول ومن أيام الرسل اندفعت نماذج فردية وجماعية كثيرة لتقرير حياة نموذجية، فيها كان يعيش الفرد أو الجماعة في عزلة قريباً من البلاد، ولكن لم يكن هناك منهج معين يعيش عليه الفرد أو الجماعة؛ لذلك كان من النادر أن يستمر الإنسان في سلوكه الروحاني العالي، وكثيرون من فرط النسك ارتبكت حياتهم وارتدوا.

٣ - كثير من الأفراد رجالاً ونساءً مارسوا النسك في بيوتهم ووسط عائلاتهم، ولكن

(١) باخوم أنشأ أول دير في طيبانسين عام ٣١٨ م. حسب Butler & Ladeuze & Leipoldt وكلمة دير

μοναστήριον معناها الأول = مسكن عام يعيش فيه كل واحد بمفرده . Ev. Wh., II, p. 7

(٢) مر ١٠: ٢١، ٢٩؛ أع ١٩: ٢١؛ كو ١: ١٨، ٧؛ رؤيا ٤: ٤.

الإحتكاك المستمر بالحياة اليومية ومناقص أهل العالم أضعفت هذا الإتجاه مما جعل مثل هؤلاء النساك يتربون بفارغ الصبر ظهور المؤسسات الرهبانية الجماعية.

٤ — كثير من الأفراد بتأثير الحرارة الروحية العالية والشجاعة والعزم انطلقوا فعلاً إلى البراري والقفار البعيدة؛ وعاشوا حياة توحيدية كاملة؛ ومارسوا النسك والتقشف في أعلى درجاته وصوره. ولكن أثبتت الخبرة لهم بعد جهادهم الطويل أن الإنفراد المطلق هو فوق طاقة الإنسان، فقالوا بهذا وعلموه لزايرهم ومريديهم وأقنعوهم أن الحياة الجماعية أضمن طريق لتكميل النسك والعبادة وخصوصاً لذوي الأمزجة والطباع البسيطة؛ هكذا فعل القديس المتوحد بلامون مع باخوميوس فنشأ النظام الباخومي كله، والقديس المتوحد بيجول مع شنودة فنشأت أديرة شنودة المشهورة.

٥ — تعليم الآباء الأوائل وتمجيدهم حياة البتولية والنسك أهدت قلوب الشباب والعذارى في الجيل الثاني والثالث، وجعلتهم باستمرار على أهبة الإستعداد للإنتلاق من العالم، فن الأقوال المشهورة للقديس كبريانوس (٢٠٠-٢٥٨ م):

[إن العذارى هن النصيب الأجد في قطع المسيح].

ومن أقوال هيبوليتس (١٧٠-٢٣٥ م):

[النَّسَّاك محسوبون في الكنيسة ضمن الطغمت السمائية السبعة].

ومن أقوال كليمنس الإسكندري (١٥٠-٢١٥ م):

[النَّسَّاك هم الجزء المختار من الناس المختارين].

وأوريجانوس يقول:

[نحن نكرس حياتنا لله لنخدمه في الطهارة، ونتعهد أن نتعفف بالجسد ولا ننعمه بل نخضعه حتى يمكننا أن نخلص أنفسنا].

وما أن جاء أثناسيوس بصيته الرائع وقداسته المشهورة، وابتدأ يعلم ويعظ ويكتب المقالات المطولة عن الطهارة والبتولية والنسك بجرارته المعهودة، حتى بلغت الشرارة مكان زيت النعمة، فأشعلت قلوب الشباب رجالاً ونساءً بحب النسك والتعبيد إلى درجة تفوق العقل والتصور. ففي أقل من قرن كان الرهبان قد ملأوا كل الجبال والقفار والبراري في مصر وبلغ عددهم عشرات الألوف.

٦ — ومن المحقق أن خروج كل من بولا وأنطونيوس وباخوميوس ومقاريوس وشنودة في بدء حياتهم كان بصورة حرة فردية وبلا أي نموذج دافع، وكذلك تأسيسهم لأديرتهم الأولى لم يكن قط مطابقاً لأي نموذج سابق. وكان كل أب من هؤلاء القديسين العظام له منهجه الروحي والنسكي الذي يكاد يخالف كل المناهج السابقة له.

الفصل الثاني

ظهور أنبا بولا أول المتوحدين

سيرة أنبا بولا كتبها القديس جيروم (١) سنة ٣٧٤ م، مؤكداً أنه هو أول المتوحدين في مصر عموماً، باعتبار أنه قضى حياته كلها في الوحدة دون أن ينزل مرة واحدة إلى العالم. ويؤكد رواية جيروم كل من أماثاس ومكاريوس الصعيدي تلميذ القديس أنطونيوس. ويقول جيروم إن القديس أنطونيوس نفسه تكلم عن أنبا بولا: [وقد أخبر القديس أنطونيوس الشيء الكثير عن حياة بولا]. ويقول جيروم إنه في أيام اضطهاد ديسيوس (داكيوس) (٢٤٩-٢٥١) وقاليريان (٢٥٣-٢٦٠)، كان بولا شاباً يافعاً عمره ١٦ سنة، وكان متعلماً يتقن الخط القبطي واليوناني (٢)، ولكي يهرب بولا من غرور الغنى وتجاربه التي كان يوقعه فيها زوج أخته طمعاً في أمواله الكثيرة، بعد أن مات أبواه، خرج بولا باختياره من العالم وارتمى في حضن الله، بعيداً بعيداً في سفح أحد جبال العربية على البحر الأحمر (دير أنبا بولا الحالي)، متسلحاً بالفقر والعوز ضد أهواء الجسد والعالم. واعتمد بولا على شجر النخيل، سواء في غذائه، أو صنع ملابسه من الليف.

وظل بولا في توحيده المطلق مخفياً عن العالم، حتى سنة ٣٤١ م حينما أعلن لأنطونيوس برؤيا إلهية عن مكان هذا الزميل الأكثر جهاداً، ليزوره الزيارة الأخيرة، كمتدرب فوق العادة عن العالم، ليبلغه تحية الكنيسة، وليستلم منه سر حياته وتقواه، ليذيعها على العالم أجمع.

وإذ رأى أنطونيوس أن بولا على وشك أن يلفظ أنفاسه الأخيرة، أسرع عانداً بالرغم من تقدم سنه — إذ كان أنطونيوس حينئذ قد بلغ ٩٠ عاماً من عمره — ليحضر توية أنبا أثناسيوس بابا الإسكندرية، الذي كان قد أهداها له، ليدفن بها هذه الوديعة الغالية، التي لم يكدها العالم يسمع عنها حتى فقدتها...

وبينا الشيخ أنطونيوس يسرع خطاه ويدب بعصاته فوق الصخور الوعرة، يتسلقها بخفة الروح، متجهاً صوب مغارة بولا؛ إذ به يرى نوراً في السماء، ويرى روح بولا تحملها الملائكة! قد مات بولا وهو شيخ شبهان نسكاً وعوزاً، مات عن مائة وعشر سنين، قضى منها ١٦ سنة في العالم، ثم ٩٤ سنة في توحد كامل يفوق العقل. وكان بولا كمدينة على جبل، ولكن للأسف لم يكتشفها

(1) Migne, PL XXIII.

(2) Ev. Wh. II, p. 12.

العالم إلا في اللحظات الأخيرة جداً، فتم فيه ما قيل بالإنجيل: «ولم يكن العالم مستحقاً لهم»
(عب ١١: ٣٨).

ولكن نور هذا المصباح لم ينطفئ قط، إذ استطاع أنطونيوس أن يعكس شعاعه الأخير، في
اللحظة الأخيرة، على العالم الذي ظل حتى اليوم يحلل أطيافه و يترجم ألوانه السماوية المبدعة!

الفصل الثالث ظهور أنبا أنطونيوس مؤسس الرهبنة

بالرغم من أن القديس بولا يظهر كعملاق روحاني في تاريخ الرهبنة، إلا أنه لم يستطع أن
يسلم أسرار الحياة النسكية لغيره من عُشاق النسك والتوحد. وبسبب ذلك اعتبر القديس
أنطونيوس أول من أعطى السر الرهباني للعالم، وذلك حينما لقَّنه لأولاده، وسلَّمه إليهم كميراث
ثمين، ظل يتوارثه العالم كله من بعده جيلاً بعد جيل.

ولقد توفرت لدى أنطونيوس منذ البدء كل العوامل التي أهلتته أن يكون أباً ومؤسساً للحياة
الرهبانية. فقصته حياته بقلم القديس أنثاسيوس الرسولي^(١) توضح أصالة إتجاهه المسيحي في
تطبيق وصايا الإنجيل، كما تجلَّت لروحه، بلا أي مواربة أو تحفظ.

وُلد أنطونيوس سنة ٢٥١ م. في بلدة كوما (قن العروس الآن). وبعد وفاة أبويه أحس
الشباب بخطر الغنى، لما أحس بجمال الحياة الأبدية وذاق لذة النسك والفقر من أجل الله.
فاستودع أخته بيتاً للعذارى، وانطلق خارج المدينة يجرب العبادة الحرة وحياة النسك والتوحد،
وكان قد سبقه إلى هذا النوع من التوحد بالقرب من الريف نُسك كثيرون، ولكن دون أن يكون
لهم منهج معين أو مكان يجتمعون فيه أو نظام خاص يتبعونه. وعاش أنطونيوس على الخبز والملح
وبعض عطايا المحسنين...

لم يُوفَّق أنطونيوس كثيراً في هذه الوحدة بالقرب من المدن، فصمم على التوغل داخل
الصحراء؛ ولعل صلوات بولا كانت تجذبه سراً في ذلك الوقت إلى سلاسل جبال العربة على
البحر الأحمر أيضاً، فعبر أنطونيوس النيل إلى الصحراء الشرقية وهو ابن ٣٥ سنة، وكان ذلك
عام ٢٨٥ م. ولكنه توقف عند قلعة قديمة في صدر الصحراء، أغرته بهدوئها وقُرْبها من النيل،
فسكن فيها وكانت هي منطقة «بسبير» (مكان دير الميمون الآن، في منتصف المسافة بين أطيح
وبني سويف). وعاش أنطونيوس في نسك شديد، معتمداً على الخبز الجاف والملح وبعض
المأكولات البسيطة، التي كان يمه بها أحد محبيه.

واستمر أنطونيوس عشرين سنة في بسبير، وفي هذه المدة التجأ إليه جمع كثير من أحبائه



رسم حائطي يمثل صموئيل النبي وهو يختار داود مسيحاً للرب من القاعة رقم ٣ في دير باو بط
يرجع إلى القرن السادس / السابع

(1) Migne P.G. XXVI.

القديس أنطونيوس أول أب لأول دير في العالم:

وكما أن القديس بولا كان أول المتوحدين، كذلك القديس أنطونيوس كان أول أب لأول كينوبيون. فحينما خرج أنطونيوس من عزلته وتوحده الكامل سنة ٣٠٥ م.، ليقود أول جماعة من أولاده اجتمعت حوله في قلالي منفردة، كان ذلك إيذاناً ببدء عصر الأديرة في مصر وبالتالي في العالم أجمع. وكان يسمى التجمع الرهباني في صورته الأولى البسيطة باسم لاقرا، وتكتب Lavra، وتأتي في المخطوطات القديمة بإسم السيق وجمعها الأسياق (٣) باللغة العربية.

أما نظام معيشة الجماعة الديرية الأولى التي عاشت حول القديس أنطونيوس، فكانت وسطاً بين النظام التوحدي ونظام الكينوبيون، لأن من سيرة بولا البسيط نعلم أن القديس أنطونيوس بعد أن اختبره ومرنه على الحياة التوحيدة عدة أشهر، كان فيها يعيش معه تحت ملاحظته في حياة شبه مشتركة، أمره أن يحفر لنفسه قلاية على بعد أربعة أميال من منطقة سكنه الخاص. وهكذا انتقل بولا من حياة الكينوبيون إلى حياة الوحدة، وكان في الإثنين تحت تدبير القديس أنطونيوس.

كذلك يخبرنا بالليديوس، أنه علم من كرونوس تلميذ القديس أنطونيوس أن معلمه كان يعيش على بعد ٣٠ ميلاً من النهر، بعيداً عن بسبير، متوحداً، بينما كان الذي يدبر الدير في ذلك الوقت مكار يوس وأماثاس، حيث كان الدير عبارة عن كينوبيون يضم جماعة المتوحدين المتعلمين للقديس أنطونيوس.

وكذلك من بقية سيرة القديس أنطونيوس، نتأكد تماماً أنه كان من مبادئ هذا القديس أن طالب الرهبنة (الوحدة) ينبغي أن يعيش أولاً في كينوبيون، وبعد ذلك إذا كمل في العبادة يخرج إلى الوحدة الكاملة. فعند زيارته للقديس آمون بنتريا (جنوب بحيرة مريوط) أشار عليه بأن الإخوة العائشين في الكينوبيون بنتريا والمحبين للوحدة، يلزمهم أن ينحدروا جنوباً مقدار ثلاث ساعات، ليعيشوا متوحدين.

و يعطينا كتاب الأبو فتجماتا تقريراً عن هذا بقوله:

[حدث مرة أن أنبا أنطونيوس جاء إلى جبل نتريا، ليفتقد أنبا آمون. فبعد أن تلاقيا معاً سأله أنبا آمون: إذ قد تكاثر عدد الإخوة بصلاتك، وبعضهم يشاقق أن يبني قلالي Kellia بعيدة، حتى يكونوا في هدوء؛ فإذا تنصح بأن تكون المسافة التي تفصل بين هذه القلالي وبين الإخوة الساكنين هنا؟ أجاب أنطونيوس: حينما نتناول طعامنا الساعة

(٣) أنظر فهرس المخطوطات العربية للمكتبة الأهلية بباريس ص ٦٩.

ومر يديه، وسكنوا حوله، وعاشوا عيشته، متمثلين بنسكه. أما هو فلم يلتفت إليهم ولم يتم بوجودهم، بل ظل في عزلة الشديدة وحياته البسيطة، دون أن يشعر في ذاته أو يشعر أحداً أنه صار أباً أو مسئولاً عن أحد (٢). ولما بلغ الضيق بمر يديه مبلغاً صعباً بسبب تجاهله إياهم عشرين سنة، اقتحموا بابه عنوة وأجبروه أن يخرج إليهم، أما هو فبوداعته الشديدة رضي بعنفهم وقبل اقتحامهم وأذعن لمطلبهم، فخرج إليهم، وقبل رعايتهم. وكان ذلك سنة ٣٠٥ م. وكان هذا تاريخ أول منشأة رهبانية في مصر رسمياً، أو بالتعبير التقليدي، كان هذا تاريخ أول دير قبطي.

ومنذ ذلك الحين بدأت الصحراء تتقبل أفواج الحجاج الطالبين ملكوت الله بواسطة الطريق الضيق. وملاً الرهبان الصحراء بصورة سريرة ومذهلة للعقل، لأنه كما سبق وقلنا، كانت هناك عوامل كثيرة تعجى الحرارة الروحية لدى الشباب في مصر بطرق متعددة.

وكان على أنطونيوس حينئذ «أن يتنقل دائماً، كأب، بين جماعات أولاده من مكان إلى مكان». وعلى هذا المتوال تكوّن أول نموذج للنظام الرهباني القبطي: «أب يرعى أسرة روحية من الأبناء المحبوبين المخلصين للطريق». وهكذا نشأ نظام الرهبنة الأنطونية تلقائياً، إنما يتمهيد روحي لا يعرف سر بدايته وسر نموه إلا من عاشه.

بداية حياة الكينوبيون عند القديس أنطونيوس

أصل كلمة «كينوبيون» κοινόβιον: وتعني حياة مشتركة. وهي من مقطعين: κοινός = مشترك و βίον مشتقة من βίος = حياة. وتنطق «كينوبيوس» أو «كينوبيون». وتعني: «مؤسسة أو مكان به قلالي كثيرة أصحابها متحدون في نظام الحياة». وترادف في المعنى الوصفي تماماً كلمة موناستيريون μοναστήριον، وهي أصلاً من كلمة μονάζειν أي «يعيش بمفرده أو بجياً وحيداً». فكلمة موناستيريون تعني: «مكان يحيا فيه الناس حياة منفردة». وهذه الكلمة، طبعاً، انحرف معناها، وتطورت لتشمل معنى الدير بوصفه الحالي، وهو جماعة يعيشون معاً حياة غير توحدية على الإطلاق.

وإنسان يعيش في كينوبيون هو عكس المتوحد ἀναχωρητής، الذي لا يعيش في كينوبيون، بل يعيش منفرداً بعيداً عن الناس. وكلمة «أناخور يتيس» تعني إنساناً أنزل وتخلّف عن الحياة مع الناس.

(2) Ev. Wh., II, p. 14.

التاسعة حينئذ نذهب نحو الصحراء، لنرى المكان المناسب. فلما بدأوا المسير (من الساعة التاسعة)، ظلوا سائرين حتى غروب الشمس (حوالي ثلاث ساعات)؛ حينئذ التفت القديس أنطونيوس إلى آمون وقال له: «هيا نصلي ونرفع الصليب هنا، حتى أن كل من أراد أن يعيش ويبني هنا يعمل مثلنا (أي يصلي ويرفع الصليب)؛ فإذا أراد الإخوة أن يزورواهم فيما بعد، يمكنهم بعد أن يأكلوا لقماتهم الساعة التاسعة يقومون ويوزورونهم، والذين من هنا كذلك إذا رغبوا في زيارة إخوتهم (وقاموا من هنا الساعة التاسعة)، يبلغونهم في الغروب، فلا يحدث لأحد أي ضيق أو تشتت إذا زار أي أحد منهم الآخر، والآن المسافة هي إثنا عشر ميلاً»^(٤) (أنظر الخريطة في الملزمة الأولى من الكتاب).

وهكذا يُعتبر القديس أنطونيوس أحد مؤسسي منطقة القلاي، أي نظام الوحدة الكاملة؛ بالإضافة إلى نظام الكينويون، أي المعيشة المشتركة. ولكن من هذه القصة الطريفة يتبين لنا أمور في غاية الأهمية والخطورة، ففيها يظهر مقدار نمو الرهبان بسرعة كبيرة حتى ملأوا منطقة جبل نتريا، التي تمتد عشرات الكيلومترات؛ ثم مقدار طاعة وخضوع كافة الإخوة المتوحدين لتدبير أبهم الروحي، حتى أن واحداً منهم ما استطاع أن ينتقل من الكينويون إلى الوحدة دون أن يدبر آمون لهم أولاً وبنفسه المكان المناسب؛ ثم يظهر أيضاً مقدار التفاهم والمشورة والطاعة الكائنة في القديس آمون من نحو القديس أنطونيوس. بهذه الروح نمت الرهبنة، وتفتت الوحدة، وعمرت القفار والجبال، وصارت كجنة الله.

القديس أنطونيوس يسلم عكازه لمقار يوس:

نعلم من سيرة القديس أنبا مقار التي كتبها سيرابيون أسقف تميّ الأمديد وتلميذ أنبا أنطونيوس، ومن الأقوال المدونة في كتاب أقوال الآباء (أبوفثجماتا)، أن الأنبا مقار يوس زار الأنبا أنطونيوس مرتين، في المرة الأولى علمنا أن حديثهما كان للتعارف أولاً ثم عن خلاص النفس، ومنها يُستدل أن أنبا أنطونيوس قام أثناءها بتسليم خبراته وتعاليمه الروحية إلى أنبا مقار، مؤيداً إياه بالقوة والنعمة. أما المرة الثانية فهي التي ألبسه فيها أنطونيوس الإسكيم، وأعطاه عصاته، ويقول سيرابيون عن هذه الزيارة الثانية، أنها كانت إثر أتعاب كثيرة وحروب شديدة أثارها عليه العدو: [وأصبح مقار يوس وإذ به ليس صافي الفكر كالأول لأن الرب أطلق أن يتجرب بالأفكار، وبدأ الشياطين الأشرار يرمجون قلبه بالأفكار، وكأنها أصبحت كماءة مملوءة من الأطعمة: أفكار زنا، ودوران، وضغطة قلب، وغم، ووجع، وعظمة، وعجبة البطالة، والخوف، والإفتخار، والكسل، لكي تصغر نفسه وتقبل أفكار التجديف، وتقع في عدم الأمانة

(4) Apoph. Patr. Antony, XXXIV.

وقطع الرجاء، الذي يُبعد الإنسان عن الله، وما هو أكثر من هذه الأنواع؛ إذ لم تدع الشياطين شيئاً من أنواع القتال إلا وجلبوها عليه. فلما مضى زمان طويل والشياطين يحاربونه، قام ومضى إلى عند الأب الكبير أنطونيوس. فلما نظره القديس أنطونيوس من بعيد قال لتلاميذه: «هذا الإنسان سيكون غصناً مستقيماً وكبيراً وله ثمرات حلوة»، ولوقت وعظه، وأيده، وقال له: «تأيد ولا تخف! لأن هذه هي سبيلنا أن نجرب بكل هذه، لتستحق أن تكون معلماً للشعوب الكثيرة التي تأتيك لترتوي من الحكمة الروحانية التي هي الرهبانية».

ويقول سيرابيون أن في هذه المرة ألبسه القديس أنبا أنطونيوس الإسكيم المقدس: [فطلب منه أن يُلبسه الإسكيم المقدس، فألبسه إياه، فلماذا دُعي مقار يوس تلميذ الأب أنطونيوس]. ثم وعظه بكلام معزي كثير، وقال له: «تأيد، واحذر، وتحفظ على القوة التي عندك، أعني الكاروويم المقدس (المسمى في مواضع أخرى قوة الروح القدس)، لأن الرب معك لمعونتك. وأعطاه الشيخ شبوته *σβωτῆ* العتيقة (أي عصاته التقليدية المعروفة في التاريخ والفن القبطي أنها على شكل صليب يسمى صليب أنطونيوس T) وقبّله قبلة مقدسة».

وهكذا تسلم أنبا مقار، رسمياً، عصا الرهبنة التي هي رمز «درب الصليب»، من القديس أنطونيوس الكبير، فصار خليفته على هذا الطقس المقدس. وعند مقار يوس وفي بر يته بالإسقيط تركزت كل خبرات السابقين وماضي جبل العربة و بسير ونتريا والقلاي.

ويؤكد كاتب تاريخ الرهبنة المشهور *Historia Monachorum* أن مقار يوس هو الوريث الوحيد لفضائل ونعمة أنطونيوس^(٥)، كما تنبأ القديس أنطونيوس نفسه بذلك^(٦).



إفريز من الحجر المنحوت يتكون من فرع نباتي على شكل دوائر متتالية
[من دير أبنا إرميا بسقارة - معروض بالمتحف القبطي]

(5) Latin Version, ch. XXVIII.

(6) Greek Version, ch. XXVIII, 2.

الفصل الأول نشأة القديس مقاريوس

- ١ - ألقاب القديس مقاريوس الكبير.
- ٢ - الموطن الأصلي لأسرة القديس مقاريوس، ولماذا دُعي بالمصري.
- ٣ - تزوج الأسرة إلى شبير بناءً على رؤيا سماوية.
- ٤ - مولد القديس في كنف كاهن ورعاية أم قديسة.

١ - ألقاب القديس مقاريوس

يقول روفينوس^(١) إن اسم مقاريوس ظهر في سماء مصر كمصباح مضيء، أما القديس والمؤرخ القبطي أسقف الأشمونين ساويرس بن المقفع كاتب سير البطارقة فيذكر اسم أنبا مقار في تاريخه بلقب «المضيء»، فهو يخاطب دير أنبا مقار قائلاً:
«دير الأب المضيء أبًا مقار، مجمع الرهبان،
وموضع الحكمة العالية، والصلاة الدائمة»^(٢).

ويقول بالليديوس^(٣) كاتب سير الآباء وأقوالهم: [لقد بلغ مقاريوس درجة من الحكمة الروحانية (الإفراز) حتى كان يُدعى وهو بعد شاب بـ «الصغير صاحب حكمة الشيوخ» = παιδεριογέρων ، وترجمتها الوصفية «إنسان له جسم شاب ورأس شيخ». وما أن أكمل الأربعين سنة من عمره حتى وُهب مصارعة الأرواح، كما وُهب النبوة].

ويسجل لنا المؤرخ أميلينو، نقلاً عن كتاب فضائل القديس مقاريوس الموضوع باللغة القبطية، أوصاف القديس مقاريوس الروحانية كنص الترجمة:
[قيل عن أبينا القديس أنبا مقار أنه لما تقدّم في حياة الفضيلة، نال قوة معزية οὐχὸν ὑπαρακλήτων من ربنا يسوع المسيح، حتى إن القوات المضادة

(١) روفينوس أحد آباء الكنيسة اللاتينية، وكان تلميذاً لديديوس القبطي الإسكندري، زار شيبث سنة ٣٧٢ م. ويقول في كتابه: «آباء الصحراء» أنه رأى في أيامه خمسين ديراً في شيبث (وكان يقصد بـ «شيبث» نتريا). Ruf. v. p., p. 28.

(2) Evetts, IV, 386.

(3) Laus. Hist. Mac., 2.

كانت تضطرب وترتعد أمامه، بسبب القوة المعزية التي كانت فيه [٤].

وقد أجمعت النصوص القبطية، سواء التي اختصت في كتابة سيرته مثل السيرة التي وضعها أحد معاصريه - وهو تلميذ أيضاً للقديس أنبا أنطونيوس - المدعو صرابامون (٥)، أو في الكتاب المختص بأقوال الآباء [أن شارو بيماً كان يظهر له و يبقى معه ليعزيه] (٦).

فيروي لنا كاتب سيرته هكذا:

[وفي كل مرة قابلنا أنبا مقاره، ما كنا نقول كلمة واحدة إلا وكان يعرفها لأنه كان «لابساً الروح πνευματοφορος إبنشما توفوروس»، وكان يسكن فيه روح نبوي كما كان في إيليا وسائر الأنبياء، لأنه كان متسرلاً بالتواضع كمثل الثوب، بقوة الباراكليت الساكن فيه. وبمجرد رؤيته وهو مملوء من نعمة الله المضيئة على وجهه، كانت تعزية الروح القدس المعزي الذي فيه تأتي على كل الذين كانوا جالسين معه] (٧).

وأيضاً في نفس المخطوطة:

[ولما وصل الإخوة السبعة ومعهم أنبا موسى الأسود إلى قلاية أنبا مقاره، وجدوا القلاية مضيئة من الداخل بنور أكثر من الشمس!]
وحدثنا «أوغريس»:

[إنني مضيت إلى عند الأب القديس مقاره، فسألته عن الأفكار التي تقاتلني بها الشياطين. فلما تحدثت معي - أضاء وجهه أكثر من ضوء الشمس ولما لم أستطع أن أنظر إلى وجهه، سقطت على وجهي، فبسط يديه وأهضني] (٨).

وتقول المخطوطة أيضاً:

[وفي وقت نياحته حضر إليه الشاروبيم الذي كان معه منذ الإبتداء] (٩).
[إنه صار رسولاً في زماننا، ولم ينقص شيئاً عن بطرس وبولس... لأجل الأشياء التي شاهدناها بأعيننا وما سمعناه من الإخوة] (١٠).

(٥) صرابامون (أو سيرايون أحياناً) قيل أنه رئيس تلاميذ الأب أنبا أنطونيوس الذي انتقل بعد نياحة معلمه، وسكن الإسقيط، وضاحب مكار يوس الكبير مدة من الزمن.

(٦) حياة القديس مقار يوس بالقبطية نشرها أميلينو مع ترجمة فرنسية ص ٧٢، ٧٥، ٨٥. Amelin. A.M.G. XXV.

(٧) نفس المرجع السابق ص ٢٠٢.

(٨) المخطوطة العربية ص ١٨: ص ١٧، ص ١٨.

(٩) نفس المرجع السابق.

(١٠) نفس المرجع السابق.

وقد عثرنا على صورة أثرية (١١)، من دير القديس إرميا بسقارة، للقديس مقار يوس الكبير إلتقطها إفلين هويت من على الحائط، تُظهره طويل القامة ذا لحية خفيفة وطويلة نازلة إلى جيب قيصه، مكتوب عليها باللغة القبطية وبحروف قديمة: «أبونا أباً مقاره اللابس الروح» (راجع اللوحات في آخر الكتاب).

περιστ ἀπὸ Πακαρε πῖπνευματοφορος

وقد أصبح، بالفعل، هذا هو لقبه الرسمي منذ القرن الرابع = اللابس الروح.

ويقول العالم الآبائي المشهور «كوستن» (١٢)، مؤكداً قول كاسيان (١٣)، أن القديس مقار يوس الملقب بالكبير أو المصري يعتبره التاريخ الكنسي الأب الروحي للإسقيط والمؤسس الحقيقي لبرية شيهيت، وذلك بالرغم من تأكيدنا أن القديس آمون المعاصر للقديس أنطونيوس هو الذي بدأ الحياة الرهبانية في منطقة نتر يا (الإسقيط الشمالي).

و يتفق كل من بالليديوس وروفينوس - وهما رائدا الصحراء الأولان - في اعتبار القديس مقار يوس صاحب مركز هام جداً في التاريخ الرهباني.

ويقول «تلمونت» (١٤) المؤرخ الفرنسي، أنه لا يوجد إسم شاعت شهرته بين متوحدي مصر من بعد إسم أنطونيوس أكثر من إسم مقار يوس!!

ويقول روفينوس (١٥) عن القديس مقار يوس المصري وسمي القديس مقار يوس الإسكندراني، أنها متناسبان بحسب إسميهما (مكار يوس = المطوب) من جهة الفضائل الروحانية والمواهب الإلهية، وأنها برعا بالحقيقة في حياة التوبة حتى إلى الكمال، وبلغا إلى معرفة أسرار الله والتسلط على الشياطين وشفاء المرضى وصنع المعجزات.

الخلاصة:

لقد وُصف القديس أنبا مقاره ولُقّب بالأوصاف والألقاب الآتية بحسب الأهمية:

- ١ - الكبير، والمصري.
- ٢ - اللابس الروح.
- ٣ - أب آباء جبل شيهات، وأب البطارقة.
- ٤ - المصباح المضيء، أو أنبا مقاره المضيء.

(11) Ev. Wh. II, Pl. IV.

(12) Quast. Vol. 2, p. 161.

(13) Cassian conf. XV, 3.

(14) Tillm. VIII, p. 574.

(15) Ruf. v.p., p. 28.

٥ - الشاب الشيخ، أو الشاب الحكيم.

٦ - النبي.

٧ - مخيف الأرواح الشريرة.

٨ - صاحب القوة المعزّية.

٩ - رفيق الشاروبيم منذ البداية حتى النياحة.

١٠ - المتسرّبل بالتواضع مثل الثوب.

١١ - مملوء من نعمة الله المضيئة على وجهه.

١٢ - كان وجهه يلمع أحياناً كالشمس.

١٣ - كانت قلايته تظهر مضيئة أثناء الليل.

١٤ - كان رسول زمانه كبطرس وبولس في أيامهما.

١٥ - أقام الموقى من القبور!!

و يصفه مارفلكسينوس الملفان السرياني المشهور في كتابه: «شرح أقوال الآباء»: [وكان القديس مقاريوس كاملاً، معلماً لجميع سكان الديارة (بعد العظيم أنطونيوس)، وهو المكفي عنه في الإنجيل «أقامه الله على عشر مدن»، وذلك في معنى المعرفة الإلهية] (١٦).

٢ - الموطن الأصلي للقديس مقاريوس ولماذا دُعي بالمصري

يقول بالليديوس أن مقاريوس الكبير دُعي بالمصري لأنه «مصري جنساً» (١٧)، ثم لكي يُفرّق بينه وبين مقاريوس الأصغر (الإسكندري) قال: إن هذا الآخر إسكندري. ومن ذلك نرى أن كلمة «إسكندري» تعني «من الإسكندرية»، وكلمة «مصري» تعني «من إقليم مصر»، وهو إقليم منف (الجزيرة الآن). فالألقاب بالنسبة للقديسين كانت تشير إلى موطن نشأة القديس الأول. إما «تبائسي» أي صعيدي، أو «مصري» أي من إقليم منف، أو «إسكندري» أي من نواحي الإسكندرية... إلخ...

ويؤكد المؤرخ «رينيه باسيه» (١٨) أن بلد القديس مقاريوس الكبير هي منف، اعتماداً على اللقب الذي اشتهر به منذ البدء (المصري).

(١٦) شرح البراديسوس لمارفلكسينوس مخطوطة رقم ٩ س بمكتبة دير أنبا مقار.

(17) Laus. Hist. Mac. 1, 2.

(18) Synax. Rin. Bass.

وتشير المخطوطة العربية (١٩) وزميلتها المخطوطة القبطية التي حَقَّقها وترجمها ونشرها المؤرخ أميلينو (٢٠)، عن حياة مقاريوس الكبير بقلم صرابامون تلميذه، أن بلد أبوتّي مقاريوس لم تكن «شباشير»، إنما شباشير هي البلد التي نزح إليها من موطنها الأصلي، دون ذكر اسم هذا الموطن اعتماداً على بديهيته، كونه ملقباً بالمصري.

٣ - نزوح الأسرة من منف إلى «شباشير» بناء على رؤيا سماوية

وكان أبوه قديساً، يُدعى إبراهيم، كاهناً على كنيسة المنطقة المذكورة (منف). وكانت أمه امرأة قديسة تُدعى سارة. وكانا عاقرين، وقد حدثت في زمانها حوادث شغب ونهب وسلب، اضطرتها للهجرة إلى بلدة ششوير بالمنوفية، أو كما تقول المخطوطة: [كان في ذلك الزمان هياج ولم يكن أحد يخاف السلطان (الوالي الروماني على إقليم مصر) في كل أرض مصر، وكان كل من يتمكن من رفيقه يقتله وينهب أمواله. وإذا بلصوص أتى بهم الشيطان إلى منزل هذين المغبوطين فأخذوا كل ما لهما... وفي رؤيا أمرهما الملك أن يرحلا إلى ششوير.] (٢١)

ويحقق هذه الواقعة التاريخية إقليد هوأيت فيقول: [إن هذا الوصف يطابق تماماً ما يسجله التاريخ عن الثورات المحلية التي جرت في مصر أيام حكم أخيلئوس Acheleus، وذلك في سنة ٢٩٥ - ٢٩٧ م] (٢٢). كذلك يرجعوننا إلى تاريخ الحكم الروماني الذي وضعه المؤرخ جيبون، تحقّق لنا أيضاً صدق هذه الرواية، إذ نجد أنه في أيام دقلديانوس (٢٨٤ - ٣٠٥ م)، قامت ثورة في مصر استطاع دقلديانوس أن يُخمدها (٢٣).

والمعروف أن مقاره وُلد سنة ٣٠٠ م أي بعد نزوح الأسرة إلى شباشير بستين أو ثلاثة. وهكذا يشاء الله أن يقف التاريخ المدني شاهداً لصدق رواية حياة القديس مقاريوس للكاتب الأب سيرابيون. لذلك يضيف إقليد هوأيت قائلاً: [وهكذا يكون خبر هجرة أبوتّي مقاريوس (قبل أن يولد) إلى بلدة ششوير جزءاً من تقليد صادق وأصيل] (٢٤).

ششوير التي بجوار ترنوط، أم المدن:

أما ششوير فهي بلدة شباشير الآن (مركز المنوفية). وقد أتى هذا الاسم بصور مختلفة، منها

(١٩) المخطوطة ١٨ س بمكتبة دير أنبا مقار.

(20) Amélineau, Histoire des monasteres de la Basse-Egypte, Annales du Musée Guiment. Paris XXV.

(٢١) المخطوطة العربية ١٨ س ص ٤٦ و ٥٨ بمكتبة دير أنبا مقار.

(22) AMEL., AMG, XXV, pp. 49.

(٢٣) جيبون، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية - المجلد الأول - ص ٢٩١.

(24) Ev. White II, p. 61.

ششفير، وشبشير، وشبشر، وچچوير، وشفشير. واختلاف الكتابة جاء نتيجة اختلاف النطق. أما ترنوط^(٢٥) فهي مدينة قديمة غرب فرع النيل الغربي (رشيد) قريبة من مدينة نيقوس (أبشادي)، وهي الآن الطرانة (مركز كوم حمادة)، واسمها اليوناني قديماً Térénothis، واسمها القبطي يُنطق Ternout. وتقول عنها المخطوطة أنها أم المدن، أي متروبوليس، مما يشير إلى أنها كانت مركز أسقفية. وظلت هذه المدينة ناهضة حتى القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي). كما يذكر كتاب المسالك لابن حوقل: [أنها كانت ملائنة بالكنائس والأديرة الكثيرة (معابد للنصارى)، وبها قسيسون ورهبان كثيرون، وأسواق عامرة، وحمّامات، وهي قرية ذات شأن في التاريخ الرهباني]^(٢٦).

وكانت «ترنوط» هي سوق شيهات^(٢٧)، التي كان ينزل إليها جميع الرهبان لبيع شغل أيديهم، ولشراء لوازم حياتهم من قح وزيت وخلافه؛ وهي التي حدثت فيها الواقعة الحاسمة بين عمرو بن العاص والروم أيام الفتح العربي. وإليها نزل رهبان بريا شيهات لمقابلة عمرو بن العاص، وكان عددهم آنذاك ٧٠٠٠٠ راهباً — حسب رواية المقرئزي — فأعطاهم الأمان على صورة وثيقة ظلت محفوظة بدير أنبا مقار عدة قرون.

وقد تخربت كنائسها وأديرتها على يد كتامة في حربه مع القاسم بن عبد الله. وهي معروفة الآن بطرانة كوم حمادة، على أنه كان يوجد طرانة أخرى بإسم طرانة البرنوجي، أي ترنوت نتريا، وكانت مركز تجارة نظرون إقليم نتريا، أي جبل برنوج (انظر الخريطة في أول الكتاب).

وكما علمنا أن كلمة «طرانة» تفيد مكان الحصول على النظرون، لذلك تُضاف كلمة «طرانة» على اسم البلدة المتاخمة لها دائماً، فيقال: طرانة جبل النظرون (شيهيت)، أو طرانة البرنوجي (نتريا).

٤ — مولد القديس في شبشير ونشأته الأولى

لقد أعطانا بالليديوس^(٢٨) تحديداً يقرب من الدقة للسنة التي وُلد فيها القديس مقاره، إذ

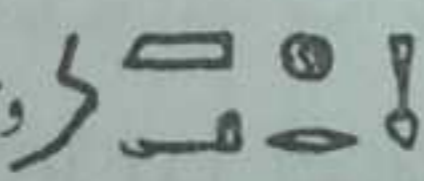
(٢٥) «ترنوت»، أو «طرانة»، كلمة تعني حسب تحقيق إفلين هوابت «بحيرة نظرون» أو «أرض نظرون»، ولعلها من كلمتين: Terra أي أرض وحرف Na وهو الرمز الكيميائي لإسم الناتريوم أو الصوديوم.

(٢٦) ظلت قرية الطرانة مركزاً لقيام القوافل الذاهبة إلى وادي النظرون مدة خمسة عشر قرناً من الزمان. هذا بجوار أنها كانت مركزاً هاماً لكثير من الدبارات. والمعروف أن القديس أنبا مقاره كان ينزل إليها كثيراً لبيع شغل يديه مع رهبانه طول مدة حياته.

(27) Ev. White, II, 72, Apoph. Pat. XIII.

(28) Hist. Laus. ch. XVII.

يقول بالليديوس إن مقاره عاش ٩٠ سنة، و يعود فيقول إن مقاره تنبّح قبل مجيئه شيهيت بسنة واحدة^(٢٩). ومجيء بالليديوس معروف أنه كان حوالي سنة ٣٩٠ م. أو أكثر قليلاً. وهكذا يتحقق لنا أن مقاره وُلد حوالي سنة ٣٠٠ م.، وكان مولده في قرية شبشير بعد نزوح الأسرة إليها بستين أو ثلاث تقريباً.

وتقول المخطوطة إنهم [حملوا معهم من وطنهم الأصلي ما تبقى لهم من فضة وأتوا إلى شبشير، فاشتري قطعة أرض ليفلحها بالإضافة إلى خدمته الكهنوتية التي استأنفها مع كهنة القرية، الذين رَحّبوا به، لِمَا رآوه عليه من نعمة وقداسة]. وقد بَشَّرَه الملاك يوماً ما وهو مريض ملق في الكنيسة بميلاد ابن مبارك له. وفي الميعاد، حسب ما قال له الملاك، وُلد لهما ابن في غربتها ودعاها مقاره. وهنا نقدم بحثاً هاماً في أصل إسم «مقار»، فالإسم أصله فرعوني ويكتب بالحروف الديموطيقية هكذا:  وتنطق ماخرو Mchrw، ومعناها (صادق الصوت)، وتفيد صفة الصدق والأمانة^(٣٠). وقد كانت تُنطق بالقبطية **Μακαρε** مقار بكسر الراء وأضيفت إليها هاء أخيرة لنضج النطق، فصارت مقاره بكسر الراء؛ وأخذ العرب هذا النطق عن القبطية، وتداولت الكلمة، فصارت مقاره، وهو أصح نطق للإسم^(٣١). أما باللغة اليونانية فأضيفت الواو والسين علامة الإسم مقار يوس.

وتستمر المخطوطة في سرد قصة حياته:

[وكان الطفل يتربى وينمو في مخافة الله على يد أبويه الصالحين. ولمّا شب عن الطوق، بدأ يذهب مع أبيه إلى المزارع. وقليلًا قليلًا بدأ يساعد أباه في فلاحه الأرض، وكان أن الله وسَّع رزقها جداً من مواشي وأملاك. وبدت النعمة على الشاب مقاره، فكانوا يلقبونه بـ«الشاب الحكيم». ومن فرط حب كهنة القرية له أخذوه إلى أسقف الناحية بدون علم أبيه ورسومه «أناغوستيس»].

زواج لم يحل البتولية:

وكان أبواه يدبران له، حسب نيتهم، لكي يزوجه ويرسموه كاهناً. وهكذا أيضاً بدأ الضغط من الكهنة، بالإضافة إلى أبويه، حتى رضخ لهم بدون نية منه. ولكنه حفظ بتوليته باتفاق مع الفتاة التي اختاروها له.

(29) Ibid., Mac. 13.

(٣٠) البحث هنا للأستاذ الدكتور مصطفى الأمير أستاذ اللغة الديموطيقية بكلية الآداب؛ قدّمه لنا مشكوراً.

(٣١) وهذا النطق وجدناه مكتوباً في مخطوطة الدكتور جورج صبحي العربية المكتوبة بحروف قبطية والتي سجلها له العلامة إفلين هوابت في كتابه الأول ص ٢٣١.

ولكي يكمل الكهنة نيّتهم فيه ، أخذوه ورسومه شماساً (كخطوة لازمة قبل القسوسية). ولكي يبتعد مقاره عن الفتاة أطول مدة ممكنة ، كان يذهب مع الجمّالين الأجراء عند أبيه لجلب النطرون (البورق كما في المخطوطة) من جبل النطرون! وهكذا أتقن خدمة الإبل والجمال ، لذلك كان يدعى مقاره الجمّال .

[وكان جميلاً حسناً في بهاه ، وكان وجهه ممتلئاً نعمة ، فأخذه الكهنة ومضوا به إلى الأسقف فكرزه أغنسطساً ،... وكان حافظاً مخافة الله بالطهارة وتلاوة الكتب المقدسة في الكنيسة ، وكان يفهم بقلبه الذي يقرأه ، فألزمه كهنة الكنيسة أن يكون خادماً للبيعة (أي ثبوت شماساً عليها) ، واضطروه أن يأخذ له امرأة ، وكان أبواه يجبان هذا الأمر وهو لا يريد ذلك ، فأكرهوه غضباً ،... ولكنه كان بقلبه ونفسه ناظراً إلى الله ، فلم ينظر إلى امرأته ولم يتقدم إليها البتة وظل حافظاً الطهارة].

[وكان لأبيه جمال كثيرة فطلب من أبيه أن يمضي مع الأجراء إلى الجبل ليحملوا النطرون إلى مصر ، وأراد بذلك أن يبعد من قلبه إرادة المرأة ويتخلص من التقدم إليها ورؤيتها... وكان يعيش مع الجمّالين ، لذلك سُمّي من أهل بلده بالجمّال].

وهنا تبدأ في السيرة أول إشارة إلى العلاقة المقدسة التي بدأت بين مقاره وجبل شيبث واستمرت إلى اليوم ، وتستمر إلى جيل الأجيال...

ظهور الشاروبيم على صورة إنسان مهيب ومنير:

وفي إحدى الأسفار وهو نازل مع الجمّالين إلى وادي النطرون وقد صار بالقرب من الجبل المطل على البحيرات (أسفل الجبل الذي فوق البحيرة) ، وكان الكل نياماً من التعب ومقاره أيضاً نائم ، إذ [رأى في نومه أمراً مخوفاً: إنساناً نورانياً متشعاً بإسطوانة كالبرق الساطع ، وهذه الإسطوانة مكلّلة بالجواهر (عيون الشاروبيم) ، وكلمه قائلاً: « أنظر حولك وتأمل أعماق الجبل ». فأجابه مقاره: «إني ياسيدي لا أرى شيئاً سوى رأس البهلس (بحيرات النطرون) ، والغابة (أعشاب البردي والنخيل المتكاثف بالقرب من الماء) ، وعن يمينه البقعة (المستنقعات) ، والجبل المحيط . فقال له الرجل النوراني: «إن الله يقول لك إني أعطيك هذا الجبل ميراثاً لك ولأولادك ، يتفرغون فيه للصلاة ، ويخرج منك رؤوس ومقدمون ، من هذه البرية . والآن انهض من نومك وتذكر جيداً جميع ما قلته لك ، وإذا صرت كاملاً أعود فأظهر لك ، وأكلمك بما يجب من فم الله].

وكان هذا هو أول ظهور الشاروبيم للقديس مقاره ، الذي صار رفيقاً ومرشداً له طول أيام

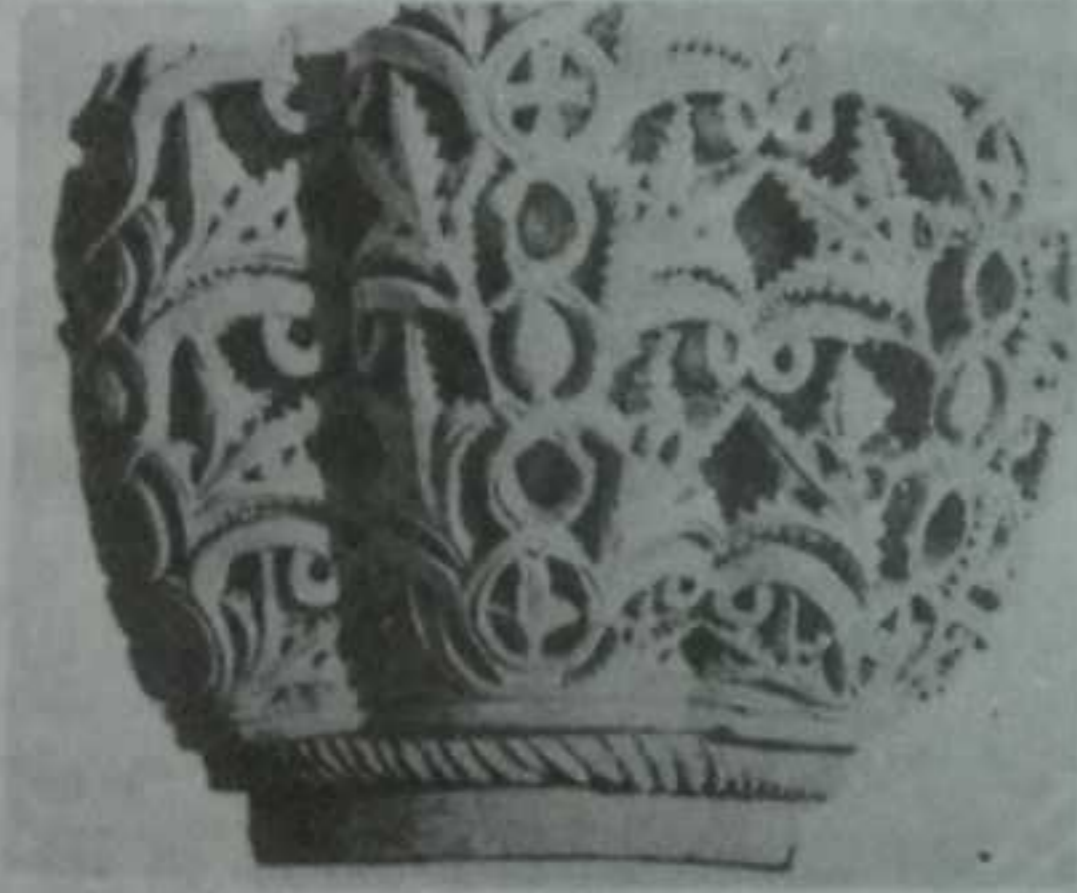
حياته حتى يوم نياحته .

الظروف تخضع لإشتياق القداسة:

وبرجوعه إلى بلده ، وجد أن فتاته البتول مريضة بالحمى ، التي اشتدت عليها حتى فارقت الحياة ، وكان هذا بتدبير من الله لتبدأ قصة القديس مقاره على أروع صورها .

فما كان من الشاب مقاره إلا أن تنبّه لنفسه قائلاً: «يامقاره احرص الآن على اغتنام هذه الفرصة لنفسك لمداواتها ، لأنك حتماً ستؤخذ مثل أختك التي سبقتك » .

وبدأ مقاره لا يُرى في البيت إلا منتصباً في الصلاة!! ولا يوجد خارج البيت إلا في الكنيسة!!! وظل يخدم أباه الشيخ إلى أن أسلم روحه الطاهرة .
وبموت أبيه ابتداء يفرق مقتنياته كلها التي ورثها عنه ، ولما بدأت أمه تعنفه على مسلكه ، كان يحتملها بصبر ، إلى أن تنيحت هي الأخرى بعد ستة أشهر من نياحة بعلمها .



تاج لأحد الأعمدة زخرفته السائدة ورقة نباتية حادة الأطراف ، من دير أبا إرميا بسقارة يرجع إلى القرن السادس/السابع - معروض بالمتحف القبطي

الفصل الثاني اعتزاله العالم

١ - الإعتزال الأول بجوار الريف .
٢ - الإعتزال الثاني والنهائي .

١ - الإعتزال الأول

وبوصية من راهب متوحد كان يسكن في ظاهر القرية، صادفه الشاب مقاره يوماً في الكنيسة؛ انطلق مقاره بعيداً من القرية وسكن وحده، كما فعل القديس أنطونيوس من قبل.

[وكان هناك راهب متوحد بعيداً من القرية قليلاً، يتقي الله كثيراً، هادياً في رهبنته، منفرداً وحده. هذا مضى إليه مقاره وعزقه أفكاره قائلاً: إني أؤثر أن أعيش منفرداً وأهتم بخلص نفسي. فتعجب المتوحد من لطف خطابه وتواضعه، فأجابه بكلام أحلى من الشهد، وقال له: الشيء الذي فكّرت فيه عمله، فإن دعوتك هي من الله. وأرشدته الشيخ أن يمضي بعيداً من القرية ويسكن في قلاية وحده، لأنه لم تكن هناك بعد أديرة (١).

وهذا هو الإعتزال الأول الذي دام عشر سنوات، والذي قرب نهايته احتال أهل القرية عليه ومازالوا يتوسلون إليه حتى رسموه قساً حسب روايته التي رواها عن نفسه (٢). وتقول المخطوطة العربية: [فلما شاهد أهل تلك القرية أعماله الحسنة وتواضعه الكثير، تشاوروا فيما بينهم ليرسموه قساً، فمضوا إلى أسقفهم القديس الذي في أشموم (أشمون) ليقسمه قسيساً، ولما وافق الأسقف أتوا مسرورين إلى قلايته فأخذوه غضباً ومضوا به إلى الأسقف فقسمه لهم قساً، وصارت عليه نعمة الله ليُعين نفسه والكثيرين].

ويقول رينيه باسيه (٣) - اعتماداً على تاريخ لوزياك، أن الأسقف هو الذي أجبره على قبول الرسامة بسبب ذبوع شهرته كناسك. ويقول المؤرخ سوزومين (٤): إن القديس مقاره رُسم

(١) المخطوطة المذكورة رقم ١٨ س.

(٢) بستان الرهبان طبعة ١٩٥٦ ص ١٤.

(3) Synax, R. Basset.

(4) Soz., Ecc. Hist., III. 14.

قساً وهو في سن الأربعين سنة ٣٤٠ م.، وذلك في نهاية اعتكافه الأول الذي دام عشر سنوات، وإن القديس بدأ وحدته ونسكه وهو في سن الثلاثين. وهذا القول يدعمه أقوال الآباء باللاتينية لكوثلييه (٥).

الفضيلة تلازم مقاره منذ بدء نسكه:

[وفي هذه الأيام، حدث أن خرج من قلايته، فرأى شخصاً يسرق حاجاته و يضعها على جمل، فاقترب إليه متظاهراً أنه غريب وعاونه في ترتيب وتحميل الحاجات على الجمل. وبعد هذا ضرب السارق الجمل لينهض ويسير، فلم يقم الجمل. فدخل مقار يوس قلايته فوجد فيها مخلاة تركها السارق، فحملها للسارق قائلاً: «يبدو أن الجمل يرفض القيام قبلما يأخذ هذه المخلاة أيضاً»، فوضع المخلاة على الجمل ونحسه (٦)، فقام الجمل طاعة للقديس. وسار الجمل وخلفه السارق مع القديس أنبا مقاره الذي أخذ يناجي نفسه قائلاً: «إننا دخلنا العالم بلا شيء وواضح أننا لن نأخذ منه شيئاً. الرب أعطى والرب أخذ. وما حدث، فهذا بحسب مشيئته ومسرتة، والحمد لله». وبعد ما سار الجمل مدة من الزمن برك على الأرض ورفض القيام إطلاقاً، إلا بعد أن حلوا الحمل وأنزلوه عن الجمل، وعندئذ قام ومشى بسهولة. وهكذا استرد القديس أمتعته... (٧).

التجربة الحزينة التي دفعته إلى الإسقيط، وبدء اعتكافه الكبير:

تقول المخطوطة القبطية المنسوبة للقديس سيرابيون تلميذ أنطونيوس، إن هذه التجربة القاسية التي امتحنه بها الرب ليزكي بها سيرته الطاهرة ويدفعه إلى داخل البرية، أتت عليه بعد رسامته قساً (٨) أثناء وجوده بالقرب من القرية، وهذه القصة كانت شائعة جداً بين الرهبان أثناء حياة القديس، لأنه - على ما يُظن - كان يروها بنفسه كما يقول سيرابيون كاتب سيرته: [وهذه التجربة أنتم أجمعون تعرفونها كما شهد هو من فم الطاهر، وأنا أجدد ذكرها في هذا الكتاب]...

(5) Cotel. Vit. pat. Latin 3:99, 615. ch. 25.

(٦) من هذا الوصف يتضح تماماً أن القديس مقاره كان جملًا، فعملية تحميل الجمل تعتبر صناعة لها أسرارها، وكذلك طريقة إعطاء الإشارة للجمل بالقيام بواسطة النخس بالرجل!!

(7) Apoph. pat. 55, S. no. 188, 189, Cotel. Vit. pat. 3:73, 5:16 & 6, 7:3 & 1.

(٨) يخطىء إيفلين هوايت في تقديره أن القديس مقاره رُسم قساً وهو في الإسقيط، وبعد عشر سنوات من نسكه هناك. فالعشر سنوات قضاها بالقرب من الريف وانتهت برسامته كاهناً قبل دخوله البرية - كما تقول المخطوطة القبطية لسرابيون تحقيق أميلينو.

[لما كنت شاباً وعائشاً في قلايتي بريف مصر، جاءوا واختطفوني ورسموني قساً على قرية. ولما لم أكن أهلاً لهذه الوظيفة، هربت إلى قرية بعيدة حيث كان يتردد عليّ رجل باريأخذ مني شغل يدي ويسد احتياجاتي .

وفي يوم من الأيام حدث أن بتولاً في ذلك المكان سقطت في الخطيئة وحملت في بطنها. فلما أشهرت، سُئلت عن فعل معها هذا الفعل فقالت: «المتوحد...؟!». وسرعان ما خرجوا عليّ وأخذوني باستهزاء مريع إلى الضيعة، وعلّقوا في عنقي قدوراً مُسودة وآذان جرار مسخّمة، وشهروا بي في كل شارع من شوارع الضيعة، وجماعة الصبيان يجرون خلني وهم يضربونني قائلين: «إن هذا الراهب أفسد عفة ابنتنا البتول وفضحها، اخزوه». وهكذا ضربوني ضرباً موجعاً، قربتُ بسببه من الموت، إلى أن جاءني أحد الشيوخ فقال لهم: «إلى متى هذه الإهانة؟ أما يكفيك كل ذلك خزيّاً؟»، ولكن دون جدوى. أما الرجل البار الذي كان يعولني، فكان يتبعهم من بعيد وهو خازي الوجه، وكانوا يستهزئون به أيضاً قائلين: «أنظر ماذا فعل ذلك المتوحد الذي كنت تُحدثنا عنه بكل وقار»، وكانوا يواصلون ضربني قائلين إنهم لن يسكتوا عن ذلك حتى يأتيهم بضامن يتكفل بالقيام بإطعامها وتربية ولدها. فقال الشيخ لخادمي: «إضمنه»، فضمنني. ومضيت إلى قلايتي ودفعت إليه الزنابيل التي كانت عندي قائلاً: «بِغها وادفع ثمنها لـ «امراتي» لتأكل بها». وخاطبتُ نفسي قائلاً: «كَيْدَ يامقاره، ها قد صارت لك امرأة». فكننت أشتغل ليلاً ونهاراً وأتعب لها لأقوم بإطعامها.

فلما حان وقت ولادة الشقية، مكثت أياماً كثيرة وهي معذبة وما استطاعت أن تلد. فقالوا لها: «ما هو هذا؟»، فقالت: «إن كل ما أصابني كان بسبب أني ظلمت المتوحد واتهمته، وهو بريء، لأنه ما فعل بي شيئاً قط. لكن فلان الشاب هو الذي فعل بي هذا». فجاء خادمي إليّ مسروراً وقال: «إن تلك الشقية ما استطاعت أن تلد، حتى اعترفت قائلة إن المتوحد لا ذنب له في هذا الأمر مطلقاً، وقد كنت كاذبة في اتهامي له، وها هم أهل القرية كلهم عازمون على الحضور إليك، يريدون أن يتوبوا إليك ويسألوك الصّبح والغفران».

فلما سمعت أنا هذا الكلام من خادمي، أسرعت هارباً إلى الإسقيط. وهذا هو السبب الذي لأجله جئت إلى جبل النظرون^(٩).

(٩) بستان الرهبان طبعة ١٩٥٦ ص ١٤، وهي تطابق الأصل اليوناني القديم Laus. Hist. ch. XVII, ad. init.

وقد راجعناها على المخطوطة القبطية بتحقيق أميلينو المجلد ٢٥ صفحة ٢٠٣-٢٠٥ من كتابه المعروف باسم A. M. G. (أنظر فهرس المختصرات).

٢ - الإعتزال النهائي

ظهور الشاروبيم والدعوة للإعتزال الكلي:

وبعد هذه الحادثة الحزينة - تقول المخطوطة إن القديس بدأ يفكر كيف ينتقل من الموضوع جملة.

[ولما سمع القديس أن أهل القرية قادمون للإعتذار له ولتكريمه، فكر أن يخرج من ذلك الموضوع ويمضي ويسكن في قلاية أخرى بعيداً، وفيما هو واقف يصلي من أجل هذا الأمر أمام المذبح في الكنيسة شاهد عن يمينه كارو بيماً نارياً له ستة أجنحة، وكله مملوء عيوناً، فلما أراد القديس أن يتفرّس فيه حسناً اشتمله الخوف فسقط على وجهه، فتقدم إليه الشاروبيم المقدس ومسكه وأقامه وقوّاه وقطع عنه الخوف، فلما تأيّد قال له لماذا ثقل قلبك؟ أنسيت ما قلته لك؟ حسناً الآن أنك احتملت هذه التجربة حتى تأخذ الكمال، غداً باذروا وخرج من هنا وامض واسكن في الموضوع الذي أريه لك: فنسى مقاره كل الضرب والتعذيب الذي ألمّ به... ولما كان الليل وقام للصلاة كعادته أبصر بفتة نوراً عظيماً في الموضوع، فعلم القديس أنه الكاروبيم، وبقي ساعة وهو لا يخاطبه، لأنه كان مرتعداً. وبعد ذلك خاطبه وقوّاه وقال له: امشِ ورائي كما أريك. فسار والكاروبيم أمامه، وبعد يومين دخل الجبل وداربه حوله كله، وأراه كل نواحيه وكل المواضع المزمع أن تكون مسكناً هناك. فقال القديس مقاره للكاروبيم: أطلب إليك ياسيدي عرّفني أين أسكن في هذا الجبل؟ فقال له الكاروبيم: هذه الإرادة هي لك، ها كل البرية أمامك، لأنني أخشى، لئلا أعطيك وصية أن تسكن هنا أو هناك فيقاتلك الضجر أو الإضطهاد وتخرج من ذلك الموضوع وتتجاوز الوصية فتخطيء!... فليكن سكنك بسطانتك نفسك. فأبنا أردت، أسكن. وجرب وكن صامتاً، وتأمل ذاتك، وتحرز حسناً من مقاومة الشرير وحيّله، أما أنا فسأكون كل وقت معك كأمر الله.]

الرحلة الخالدة التي فتحت آفاقاً جديدة للكنيسة إلى جيل الأجيال:

وتحت تأثير الفرحة والنور الداخلي وبقيادة الشاروبيم، سار مقاره وحيداً متجهماً إلى جبل النظرون، يومين كاملين، كما تقول المخطوطة. وأخذ يدور في الجبل، وكأنما كان يضع الأساس الروحاني غير المنظور للحياة النسكية، التي ستدوم في تلك الأديرة إلى الأبد.

*

يقول بالليديوس، في تاريخه إلى لوزاس: إن القديس مقاره التجأ إلى الصحراء وهو في سن الثلاثين^(١٠)؛ وبناءً على ذلك يعتقد إقليدس هويت أن هذا التاريخ هو بداية سكنه في شيهيت. ولكن الحقيقة أن هذا التاريخ ٣٣٠ م. هو بداية توحده عامة، لأنه توحد فعلاً في الصحراء المتاخمة لقرية مدة عشر سنوات، التي في نهايتها رُسم قساً، وكان يمارس خدمة الكهنوت في القرية التي زكته قساً.

وأخيراً انطلق وهو في سن الأربعين سنة ٣٤٠ م. إلى شيهيت.

وتمدنا كل من المخطوطة العربية والمخطوطة القبطية — تحقيق المؤرخ أميلينو — بوصف لطيف عن الأيام الأولى التي قضاها القديس وحيداً في شيهيت.

تقول المخطوطة:

[فشى الأب مقار يوس في الجبل، وشاهد كل ما فيه، ووصل إلى الموضع الذي يدعى بهلس Anaballos ولم يكن بعيداً من الماء العذب، وحفر في ذلك الجبل وعمل له مغارة وسكنها أياماً قليلة، ثم خرج يطوف البرية. وجاء إلى يمين ذلك الموضع وحفر سرداباً وسكن فيه، لأن الناس (رفاق مهنته الأولى من الجمالين حاملي النظرون) كانوا يطرقونه وهم في طريقهم إلى البهلس. وبعد زمان طويل وهو في ذلك الموضع، حدث أن أجناداً من الروم قام عليهم البربر وقتلوه، مما جعله يصلح موضعاً آخر يصلي ويقرأ فيه (لا يعرفه أحد)، ومكاناً آخر يعمل فيه الضفيرة، يعرفه الجمالون الذين كانوا يبيعون له شغل يديه ويأتونه بالخبز اليابس]^(١١).

أما المخطوطة القبطية فتضيف:

[إنه بسبب الأقوام الذين كانوا يطرقونه، انتقل جنوباً نحو الصخرة (صخرة شيهيت الأولى المعروفة الآن بقارة أولاد الملوك)، وحفر مغارتين بينها سرداب]^(١٢).

ومن وصف المخطوطة القبطية يتضح أن المكان هو الموضع قرب البراموس الآن، حيث تجتمع حوله التلاميذ الذين صاروا باكورة شيهيت المقدسة، وأول دير في الإسقيط^(١٣). ويلاحظ أن المخطوطة العربية أوضحت أنه عاش في ذلك المكان زماناً طويلاً.

(10) Hist. Laus. ch. XVII.

(١١) المخطوطة العربية ١٨ س بمكتبة دير القديس أنبا مقار.

(12) Amel. A. M. G.; XXV, p. 76.

(13) Hist. Monachor. Gr. ch. XXX.

الفصل الثالث زيارة أنبا مقاره للأب الكبير أنبا أنطونيوس

١ — الزيارة الأولى في بدء توحده سنة ٣٤٣ م.

٢ — الزيارة الثانية بعدها بعشر سنوات تقريباً سنة ٣٥٣ م.

١ — الزيارة الأولى

في أثناء فترة حياته الأولى، نعلم من المخطوطة العربية أنه قام بزيارته الأولى للأنبا أنطونيوس، وذلك في بدء إقامته بشيهيت، وبالتحديد بعد ثلاث سنوات من وصوله إلى شيهيت، حيث تقول المخطوطة:

[ولما لم يكن إنسان آخر ساكناً في ذلك الجبل يتعزى بمعينته و يكشف له أفكاره التي يسوقها عليه العدو، حدث أنه بعد ثلاث سنين فكر في نفسه وقال: ها إني جئت إلى هذا الموضع، وليس لي أحد يرشدني إلى سيرة سكان البرية، أقوم الآن وأمضي إلى الأب أنطونيوس، لأنه كان قد سمع به وهو بعد في مصر. وقام وبدأ المسير في الطريق حتى وصل إلى الأب أنطونيوس في الجبل الشرقي. فلما اجتمع بالشيخ القديس قبله بفرح وكشف له أفكاره كابن لأبيه. وإن الشيخ القديس أنطونيوس قبّل رأس القديس مقار يوس وقال له: يا إبني مقاره، إنك عتيد أن تصير مغبوطاً كاسمك!! وإن الشيخ العظيم وعظه وأيده بكلام كثير بما يليق بزبي الرهبنة المقدس وعرفه بقتالات العدو. ولما طلب منه الأب مقاره بتواضع وتخضع أن يسمح له بالسكنى عنده، أن الشيخ الأب أنطونيوس لم يطلق له ذلك؛ لكنه قال: كل واحد منا يلزم الموضع الذي دعاه الرب إليه. ومكث عند الشيخ أياماً قليلة، قبل فيها وصايا ورسوم خدمته. ثم قام ورجع إلى جبله، وجلس في قلايته صامتاً يخدم الله متكلاً عليه وحده. وكان الكاروويم يفترقه دائماً].

وهكذا يبدو لنا أن هذه الزيارة الأولى تمت سنة ٣٤٣ م. وفيها أصبح مقاره تلميذاً للأب الكبير أنبا أنطونيوس^(١)، بمعنى أنه استلم منه «وصايا ورسوم خدمته» وكل «ما يليق بزبي

(1) Butler (L.H. ii, p. 193).

و يصف كتاب أقوال الآباء هذه الزيارة هكذا:

[وذهب أبا مقاره الكبير لزيارة أبا أنطونيوس في جبله، فلما دق الباب خرج أنطونيوس إليه وسأل: من بالباب؟ ثم قفل ودخل إلى مغارته وتركه خارجاً، ولما رأى صبره فتح له وتحدث إليه بلطف قائلاً: «إن لي زماناً كثيراً وأنا مشتاق أن أراك، إذ سمعت بأخبارك». وأراحه لأنه كان مُجهداً من أثر تعب شديد. ولما حان المساء بلّ أنطونيوس قليلاً من الخوص لنفسه، فقال له مقار يوس: «أسمح أن أبلّ لنفسي أنا أيضاً قليلاً من الخوص؟»، فقال له: «بلّ». فأصلح حزمة كبيرة وبلّها، وجلسا يتكلمان عن خلاص النفس. وكانت الضفيرة تنحدر من الطاقة، فرأى أبا أنطونيوس باكراً أن مقار يوس قد صفّر كثيراً جداً، فقال: «إن قوة كبيرة تخرج من هاتين اليدين» [(٣).

٢ - زيارة أنبا مقار الثانية للأنبا أنطونيوس

والمخطوطة القبطية والعربية لسيرايبون تذكر زيارة أخرى قام بها أنبا مقاره للأب الكبير أنبا أنطونيوس، ولكن كثيراً من العلماء يؤكدون عدم حدوث مثل هذه الزيارة. غير أن من أقوال الآباء (٤) يبدو بكل وضوح وتأكيد أنه تمت زيارتان فعلاً؛ فضلاً عن الرواية التي ذكرناها، أتى في أقوال الآباء خبر عن زيارة أخرى ذات لهجة وألفاظ تُخالف الأولى تماماً:

[حدث مرة أن ذهب أبا مقاره لزيارة أبا أنطونيوس، فلما تحدث معه عاد إلى شيهيت، وجاء الآباء لإستقباله. وبينما هو يتحدث معهم، قال لهم: لقد قلت لأنبا أنطونيوس إننا لا نقيم ذبيحة في موضعنا «ديرنا بشيهيت» [(٤). فاستقبال الآباء لأنبا مقاره في هذه المرة يفيد أنه كانت قد تكونت جماعة كبيرة، حتى أنها صارت تحتاج إلى إقامة كنيسة، أما في الزيارة الأولى فواضح أنه كان وحيداً ومبتدئاً.

وهكذا يتحقق تماماً (٥) أنه حدثت زيارتان بالفعل: الأولى بعد بدء حياة القديس مقار يوس بشيهيت بثلاث سنوات، كما تقول المخطوطة بوضوح، وكانت لطلب معونة شخصية وحكمة وإرشاد. والثانية تمت بعد الأولى بزمان طويل، كما تقول المخطوطة، وذلك من أجل ازدياد حروب العدو عليه، ولأخذ نصائح للرعاية وقيادة النفوس التي تكاثرت حوله، وللإشارة بخصوص بناء كنيسة مستقلة عن نتر يا تكون في وسط شيهيت.

(2) Amel. A. M. G.; XXV, p. 77.

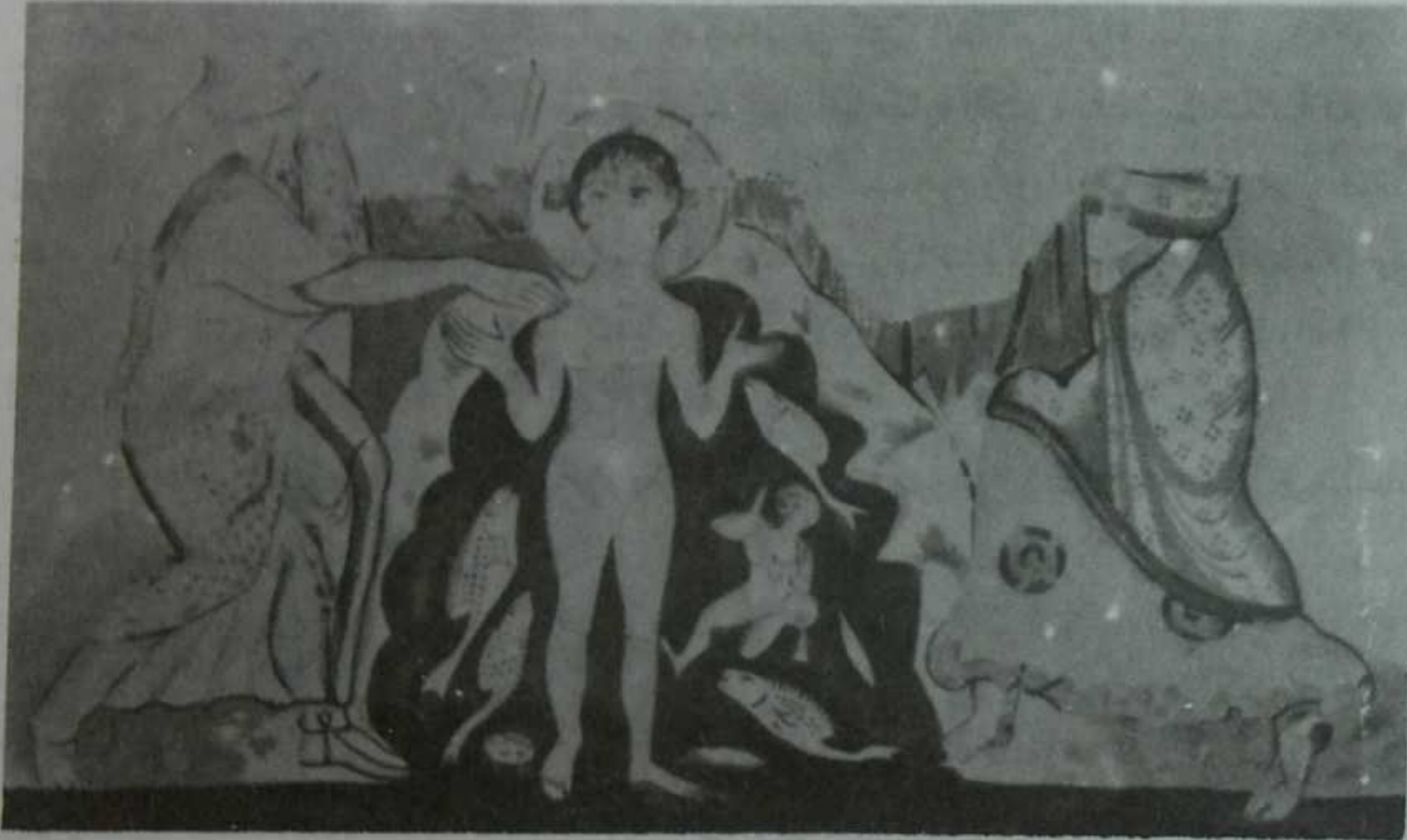
(3) Amel. A. M. G.; XXV, p. 77; Apoph. Patr. Macar. IV. ١٦ بستان الرهبان طبعة ١٩٥٦ ص

(4) Apoph. Patr. XXVI, Macar. Aegypt.

(5) Ev. White, II, p. 68.

و يظن إفلين وايت مع كثير من المؤرخين، ظناً خاطئاً، أن في الزيارة الثانية قام أنبا أنطونيوس برسامة أنبا مقار قساً. وهذا يدعو للدهشة والعجب، فكيف يرسم قسيساً قسيساً آخر، مع أنه معروف أن الرسامة منذ العصر الرسولي لا تتم إلا على يد أسقف؟ ثم أن الكلام الذي تبادلته القديسان معاً لا يحتمل أي معنى لتكميل رسامة من أي نوع.

ولكن تضيف كل من المخطوطة العربية والقبطية أن في الزيارة الثانية سلّم القديس أنطونيوس «شبوته»، أي عصاته العتيقة ⲛⲓⲃⲟⲩⲏ ، إلى مقاره تعبيراً عن تسلمه أمانة التدبير الرهباني من بعده (٦).



رسم حائطي يمثل معمودية السيد المسيح — من القاعة رقم ٣٠ في دير باو يظ
يرجع إلى القرن السادس/ السابع

(6) Tischendorf. Travel in the East, p. 51.

علاقة القديس مقاره الوطيدة بنتريا والقلالي

وزيارته للقديس باخوميوس الكبير

١ - توافد الآباء الأوائل إلى شبيته.

٢ - تردد أنبا مقاره على نتريا والقلالي.

٣ - خبر عن زيارته للقديس باخوميوس أب الشركة.

١ - توافد الآباء الأوائل إلى شبيته

معلوم أن سيرة القديسين مكسيموس ودوماديوس كتبها الشماس الراهب بيشوي (وهو غير القديس بيشوي الكبير) الذي كان يقيم في قلاية بجوار أنبا مقاره الكبير، وقد رُسم شماساً مع أنبا إيسيدوروس القس على الكنيسة التي بُنيت تذكراً لمكسيموس ودوماديوس، ولهذا اهتم بصفتها شماساً على كنيسة مكسيموس ودوماديوس أن يكتب سيرتها بتدقيق ويستودعها الكنيسة. وفي هذه السيرة التي حققها أميلينو، يتضح أن آباء شبيته الأوائل كانوا من متوحيدي نتريا والقلالي، أو كما تقول المخطوطة (١):

[جاءوا إليها من جبل برنوج، ومن منشوبيات المتوحيدين (القلالي)، ومن جميع أنحاء مصر.]

ومن أقوال الآباء الكثيرة نعلم تماماً أسماء بعض هؤلاء المتوحيدين الأوائل الذين نزحوا من نتريا والقلالي، وأقاموا في شبيته، بمجرد أن اشتهر اسم القديس مقار يوس، أمثال:

١ - الأب «أموي» = وهو الأب الروحي ليوحنا القصير وبيشوي، اللذين كوّنوا أول مجموعتين ديريتين معاصرتين للقديس أنبا مقاره. وأموي كما تقول أقوال الآباء (٢) كان قد تتلمذ في نتريا أولاً على الأب بيتو Pithou

٢ - الأب إيسيدوروس: وهو أصلاً من متوحيدي نتريا وكاهن للقلالي، وقد تعيّن أول كاهن بشبيته تحت تدبير أنبا مقاره.

٣ - الأب شيشوي: الذي صار مشهوراً بتعاليمه ونصائحه. وقد نزح من شبيته بعد ذلك إلى جبل العربة وسكن في قلاية أنبا أنطونيوس بعد نياحته.

(1) Amel. A. M. G.; XXV, p. 262, 311.

(2) Ibid. p. 98.

٤ - ونقرأ عن آباء من نتريا ظلوا يترددون على شبيته كل أيام حياتهم، أمثال مقار يوس الإسكندراني وبامو وبيور (٣) وبشسيوس (أخ أنبا بيمن) واسحق وآمون... إلخ.

٢ - تردد القديس مقاره وتلاميذه على نتريا والقلالي

أولاً: زيارته لنتريا:

في مدة إقامة القديس مقاره بشبيته وحتى زمن زيارته الثانية للأب الكبير أنطونيوس، لم تكن في شبيته كنيسة لإقامة القربان (٤). وفي أثناء هذه الفترة التي ربما تكون قد طالت إلى عشر سنوات (٥) أو أقل قليلاً، كان القديس مقاره هو وتلاميذه يسافرون باستمرار إلى منطقة القلاي ونتريا لحضور الكنيسة والإشتراك في القربان المقدس.

و يقول بالليديوس إن في المدة التي كان يتردد فيها أنبا مقار باستمرار على نتريا، والتي طالت إلى عشر سنوات، اشتهر بين آباء نتريا بالحكمة ورجاحة عقل الشيوخ، فلقبوه باللقب الذي اشتهر به بعد ذلك «الشاب الشيخ» = بيدار يوجيرون παιδαριόγερον (٦). وتوجد حوادث وأقوال في سيرته وفي أقوال الآباء تفيد كثرة تردد أنبا مقار على نتريا منذ بدء حياته حتى إلى أواخر أيام حياته.

ومن القصص التي توضح زيارته الأولى لحضور الصلاة في كنيسة نتريا، القصة التي تروي كيف قابل فيها هو وتلميذه كاهناً وثنياً في الطريق يجري نحو المدينة، حيث المدينة هي نتريا (البرنوج)، التي كانت فيها كنيسة نتريا، كما كان فيها هيكل للوثنيين:

[قيل أن أبا مقار يوس المصري ذهب في إحدى المرات من الإسقيط إلى جبل نتريا، ولما اقترب من مكان مُعيّن قال لتلميذه: «تقدّمني قليلاً». ولما فعل التلميذ هذا قابله كاهن وثني كان يجري حاملاً بعض الخشب، وكان الوقت حوالي الظهر. فصرخ فيه الأخ قائلاً: «ياخادم الشيطان، إلى أين أنت تجري؟»، فاستدار الكاهن وانهاه عليه بضربات شديدة، وتركه ولم يُبق فيه سوى قليل نفس (لعله هو يوحنا تلميذ مقار يوس الذي تجذّم بسبب مخالفته لأبيه). ثم حمل الكاهن الوثني ما معه من خشب وسار في طريقه. ولما ابتعد قليلاً، قابله الطوبواوي مقار يوس في الطريق وقال له: «فلتصحبك المعونة يارجل النشاط»، فاندعش الكاهن وأقبل نحوه وقال: «أي شيء جميل رأيته فيّ حتى حييتني هكذا؟». فقال الشيخ: «إني أرى أنك تكذّب وتتعب، وإن كنت لا تدري لماذا».

(3) Ibid. p. 185, 311.

(4) Ibid. p. 76.

(5) Ev. White, II, p. 66.

(6) Hist. Laus., ch. XVII.

فأجاب الكاهن: «وأنا إذ تأثرت بتحيتك عرفت أنك تنتمي إلى الإله العظيم، ولكن هناك راهباً شريراً صادفني قبلك ولعني، فضربته ضرب الموت». فعرف الشيخ أنه تلميذه. أما الكاهن فأمسك بقدمي مقار يوس الطوباوي، وقال له: «لن أدعك تمضي حتى تجعلني راهباً». وإذ سارا معاً وصلا إلى المكان الذي كان فيه الأخ مطروحاً، وحمله وأتيا به إلى كنيسة الجبل. أما الإخوة فعندما رأوا الكاهن الوثني مع المغبوط مقار يوس تعجبوا كيف تحول عن الشر الذي كان فيه. وأخذوا مقار يوس وجعله راهباً، وعن طريقه صار كثيرون من الوثنيين مسيحيين [٧].

وكان أباً مقار يوس الطوباوي يقول:

«إن الكلمات الشريرة والمتكبرة تحول الناس الأخيار إلى أشرار. ولكن الكلام الطيب المتواضع يحول الأشرار أخياراً» [٨].

كذلك من القصص التي تكشف اهتمام القديس بالذهاب دائماً إلى نتريا لحضور القداسات، القصة التي ذكر فيها: [جاء مرة القديس مقاره من شيهيت إلى نتريا لحضور تقديم القربان للأب بيمن] [٩].

ويعتقد بعض المؤرخين أن هذا القداس كان مقاماً تذكراً لنياحة أنبا بيمن، ولكن القصة في ترجمتها اللاتينية المبكرة تفيد بوضوح أنه قداس عادي كان يقيمه أنبا بيمن بنفسه [١٠].

كما يعتقد بعض المؤرخين أن ذهابه للإشتراك في القربان المقدس في كنيسة نتريا يفيد أنه لم يكن قد رُسم كاهناً بعد، ولكن الحقيقة هي أن مقاره كان باستمرار يشترك في الأسرار دون أن يقوم هو بنفسه بتقديمها، حتى وبعد إقامة كنيسة في شيهيت.

ثانياً: زيارته لمنطقة القلاي:

أما زيارته لمنطقة القلاي (نيري أو نيرس) ومكانته الكبيرة بينهم، فتتضح من القصة التي تبدأ هكذا:

[أتى الأب مقار يوس يوماً من الإسقيط إلى نيرس، فقال له الشيوخ: قل كلمة للإخوة أيها الأب. فأجابهم قائلاً: أنا لم أصر بعد راهباً، لكني رأيت رهباناً. فقد كنت يوماً جالساً في الإسقيط في القلاية وإذا أفكار تأتيني قائلة: اذهب إلى البرية الداخلية وتأمل فيما تراه هناك. ومكثت مقاتلاً لهذا الفكر خمس سنوات، ظاناً أنه من الشيطان. لكني لما

(7) Amel. A. M. G.; XXV, pp. 211-212.

(8) Ibid. p. 213.

(9) Apoph. Patr., Mac. Aegypt., 11.

(10) Migne p. L., Lxxiii, Col. 1006.

وجدت الفكر ثابتاً مضيت إلى البرية. فصادفت هناك بحيرة ماء، وفي وسطها جزيرة، وقد وافت وحوش البرية لتشرب. وشاهدت بينها رجلين مجردين (عارين)، فجذعت منهما، لأني ظننت أنها روحان. لكنها لما رأياني خائفاً جزعاً، خاطباني قائلين: لا تجزع! فإننا بشريان مثلك. فقلت لهما: من أنتما؟ ... ومن أين أنتما؟ وكيف جئنا إلى هذه البرية؟ فقالا لي: «كنا في كنونيون، وقد اتفقنا على ترك العالم فخرجنا إلى ههنا. ولنا منذ مجئنا إلى هنا أربعين سنة». وقد كان أحدهما مصرياً والآخر نوبياً، فسألتهما: كيف أصبح راهباً؟ فقالا لي: إن لم يزهد الإنسان في كل أمور العالم فلن يستطيع أن يصير راهباً. فقلت لهما: إني ضعيف فما أستطيع أن أكون مثلكما. فقالا لي: إن لم تستطع أن تكون مثلنا، فاجلس في قلايتك وابك على خطاياك. فسألتهما: أما تبردان إن صار شتاء؟ وإذا صار حراً أما يحترق جسداكما؟ ... فأجاباني: إن الله قد دبر لنا ألا نجد في الشتاء برداً ولا يضرنا في زمن الحصاد حر. ثم سألاني: كيف حال العالم؟ هل ما زال النيل يصعد في وقته؟ وهل الدنيا بخير كما كانت سابقاً؟ فأجبتهما: نعم.

وأخيراً قال القديس للإخوة: لذلك قلت لكم إنني لم أصر بعد راهباً! بل رأيت رهباناً، فاغفروا لي [١١].

ثالثاً: زيارته الأخيرة لنتريا والقلاي:

ومن القصة المشهورة التي وردت عن زيارة أنبا مقار لنتريا، وهو في أواخر أيام حياته، وقد بلغ التسعين من عمره تقريباً، بدعوة من شيوخ نتريا؛ يتضح بصورة قاطعة أن علاقة أنبا مقار بنتريا والقلاي توصلت على مدى الأيام، لأن القديس مقار صار بالفعل أب آباء كل نتريا والقلاي وشيهيت، وهذا يتضح من الكلمات التي أرسلها شيوخ نتريا إليه:

[حدث مرة أن شيوخ نتريا (البرنوج) أتوا إلى أنبا مقاره يقولون له سير إلينا لنشاهدك قبل أن تنصرف إلى الرب، ولا تضطر الشعب كله إلى المجيء إليك فيتعبك. فلما سار إلى الجبل اجتمع إليه الشعب كله وطلب إليه الشيوخ قائلين: قل للشعب كلمة أيها الأب. فقال: يا أولادي... لنبيك أيها الإخوة، ولتسيل دموعنا من أعيننا، قبل أن نمضي إلى حيث تحرق دموعنا أجسادنا بدون نفع، فلما قال هذا بكى وبكى الكل معه، وخرّوا على وجوههم قائلين: أيها الأب صلّ علينا] [١٢].

وقد ألقى القديس أنبا مقار في هذه الزيارة خطابه المطول الشهير الذي سوف نفرده له مكاناً خاصاً من هذا الكتاب (أنظر ص ١١١ من هذا الكتاب).

(11) Apoph. Patr., Mac., 11.

(12) Apoph. Patr., Mac. Aeg., XXXIV.

(١١) بستان الرهبان طبعة ١٩٥٦ ص ١٥ وما بعدها.

٣ - خبر عن زيارة القديس أنبا مقاره للقديس باخوميوس أب الشركة

وفد في بعض الأيام الأب مقار يوس الكبير إلى الأب باخوميوس زائراً وفيما هما يتفاوضان في أقوال الله شاور الأب باخوميوس للكبير مقار يوس قائلاً: أيها الأب عندي ههنا إخوة سيرتهم على غير نظام فتأديبهم جيد هو أم لا. فأجابه الأب مقار يوس: أدب واحكم حكماً عادلاً في الذين تحت يدك فأما على غير هؤلاء فلا لأنه قد كتب احكموا على الداخلين والذين خارج الرب يحكم عليهم (١٣).

الفصل الخامس شخصية القديس وصفاته

- ١ - جدية القديس وتحفظه.
- ٢ - قدرة فذة على ستر عيوب الآخرين.
- ٣ - تسامح مرتفع الأبوة.
- ٤ - طول أناة القديس وقصة مكسيموس ودوماديوس.
- ٥ - صرامة القديس مع المتعظمين بعلمهم.

١ - جدية القديس وتحفظه

يقول سقراط المؤرخ (١)، إن فضائل المقارين كانت متشابهة للغاية إلا هذا الفارق الوحيد، وهو أن مقار يوس المصري كان ذا هيبة، وبنوع ما صارماً مع الذين كانوا يقصدونه، بينما أن مقار يوس الإسكندري كان مَرِحاً جداً في حديثه، لأن المحبة الفائقة التي كانت لمقار يوس المصري من نحو السكون جعلته أقل انفتاحاً وأكثر تحفظاً في الحديث. ولكن بالتأكيد لم يكن القديس يُظهر أبداً أي نقص في المحبة تجاه الذين كانوا يلجأون إليه، وإن كانت محبته أكثر جدية، إلا أنها لم تكن أقل وداعة ولا أقل رافة. وليس أدل على ذلك من القول الذي جاء في أقوال الآباء:

[قال الأب بيتر: بينما كان الأب مقار يوس يتبسط مع الإخوة ويتحدث معهم ببساطة قلب وعدم كلفة، بادره أحد الإخوة: «لماذا تعمل في نفسك هكذا؟». فما كان من الأب مقاره إلا أن قال له: «على مدى إثني عشرة سنة وأنا أخدم أمام الله طالباً هذه النعمة وأنتم تريدون مني أن أتخلى عنها الآن؟» (٢).

٢ - قدرة فذة على ستر عيوب الآخرين

وكان يُقال (٣) أن مقار يوس كان يعيش كإله على الأرض، فكما أن الله يستر على الجميع



كورنيش من الحجر المنحوت بشكل أوراق الشجر الغنية بالتفاصيل الدقيقة تخرج من فرع متموج [من دير باو بط (القرن السابع) معروضة في متحف اللوفر بباريس]

(1) Socr., 4:23.

(2) Apoph. Patr., Mac., Aegypt., IX.

(3) Ibid., XXXII.

ويحتمل خطايا البشر، هكذا كان هذا القديس يستر خطايا وعيوب إخوته . بل قيل أنه كان يراها كما لو لم يكن قد رآها، وأنه كان ينصت إلى ما يُقال إليه، وكأنه لم يكن قد سمع شيئاً .
 (٤) ويحكى عن القديس مقاريوس، إنه كان في بعض القلايا أخ صدر منه أمر شنيع، وسمع به الأب مقاريوس، ولم يرد أن يبكته . فلما علم الإخوة بذلك لم يستطيعوا صبراً، فزالوا يراقبون الأخ إلى أن دخلت المرأة إلى عنده . فأوقفوا بعض الإخوة لمراقبته، وجاءوا إلى القديس مقاريوس . فلما أعلموه قال: «يا إخوة لا تصدقوا هذا الأمر، وحاشا لأخينا المبارك من ذلك» . فقالوا: «يا أبانا، اسمح وتعال لتبصر بعينيك حتى يمكنك أن تصدق كلامنا» . فقام القديس وجاء معهم إلى قلاية ذلك الأخ كما لو كان قادماً ليُسلم عليه . وأمر الإخوة أن يبتعدوا عنه قليلاً . فإذ علم الأخ بقدم الأب حتى تحير في نفسه، وأخذته الرعدة؛ وأخذ المرأة ووضعها تحت ماجور كبير عنده (لخزين القمح) . فلما دخل الأب جلس على الماجور، وأمر الإخوة بالدخول؛ فلما دخلوا وفتشوا القلاية لم يجدوا أحداً، ولم يمكنهم أن يوقفوا القديس من على الماجور . ثم تحدّثوا مع الأخ، وأمرهم بالإنصراف . فلما خرجوا، أمسك القديس بيد الأخ وقال: «يا أخي، على نفسك أحكم، قبل أن يحكموا عليك، لأن الحكم لله» . ثم ودّعه وتركه . وبينما هو خارج إذ بصوت أناه قائلاً: «طوباك يا مقاريوس الروحاني، يامن تشبّهت بخالفك، تستر العيوب مثله» . ثم أن الأخ رجع إلى نفسه، وصار راهباً حكيماً مجاهداً وبطلاً شجاعاً .

٣ - تسامح مرتفع الأبوة:

(٥) وقيل أن راهبين من الإسقيط أتهما بغلطة، فحرمهما القديس مقاريوس الإسكندري، الأمر الذي جعلها يصممان على العودة إلى العالم . ولما عرف مقاريوس المصري بأمرهما أرسل في إحضارهما، فأكد له أنها بريئان مما نُسب إليهما (القديس أراد أن يوبخ القديس مقاريوس الإسكندري على هذه الغلطة إذ كان يحبه) . فكان يقول إن هذين الراهبين ليسا هما المقطوعين من الشركة، بل الذي قطعها . فلما عرف القديس مقاريوس الإسكندري أن القديس مقاريوس المصري قد حرمه، انطلق من شدة الألم إلى بركة (النترون) حيث نهشه البعوض (٦) . ولما ذهب مقاريوس المصري إلى البركة قابله وهو في هذا الحال، فدحه لأنه بعد أن حرمه تعمق في الوحدة أكثر، بينما صمم الراهبان الآخران بعد حرمهما على تركها . وأوصاه أن ينتبه لئلا ينخدع بالشیطان مرة أخرى، وأن يقدم توبة عن الغلطة التي صنعها بمعاملة الإخوة بهذه القسوة بدون أن يتأكد بنفسه من الخطية التي أتهما بها . فطلب إليه مقاريوس الآخر أن يضع عليه قانون توبة . فلما رأى

(٤) بستان الرهبان، طبعة ١٩٥٦، ص ١٣٢ .

(5) Amel. A.M.G., XXV, pp. 222-225.

(6) Boll., 15 Jan.

القديس الهدوء الذي قَبِل به مقاريوس الإسكندري التوبيخ، أمره بالبقاء ثلاثة أسابيع فقط بدون أن يأكل سوى مرة واحدة في الأسبوع - الأمر الذي لم يكن سوى نظامه المعتاد .

(٧) ويُنسب للقديس مقاريوس الكبير هذا القول الجميل في وداعته: «الراهب الحقيقي هو الذي يضبط نفسه في كل شيء . فإن كنتم وأنتم في طريقكم لتبكيتم لتسقطون في الغضب، فأنتم تُكتملون هوى أنفسكم أكثر مما تصنعون المحبة . فتحفظوا من هذا الخطأ، لأنه لا يجب أن يهلك الإنسان نفسه في سبيل خلاص آخر» .

(٨) وله في ذلك قول مأثور؛ قال الأب مقاره: «إن كنت في حال ردعك غيرك تحرد وتغضب، فأولى بك أن تشفي أَلَمك أولاً، لأنه لا يليق أن تهتك نفسك لتُخلص غيرك» .

(٩) ولإتضاع القديس مقاره، الذي يقال أنه كان يلبس الإتضاع كالثوب بواسطة روح الله، أراد أن يتعلم من راهب شاب في الإسقيط يدعى «زكريا» عن ما هو واجب الراهب . فأجابه زكريا: «أن يعامل الإنسان نفسه بشدة في كل شيء» .

(١٠) (حيث أن القانون الأول للمسيحية هو المحبة)، فإنه يُذكر عن القديس مقاريوس أنه لما قصد رؤية متوحد ووجده مريضاً ولم يكن عنده شيء في القلاية، فسأله عما يريد أن يأكل، أجابه أنه يتمنى أن يأكل قليلاً من الحلوى . فذهب القديس المملوء من كل سخاء المحبة، مسرعاً إلى الإسكندرية وأحضر له منها ما يتمناه .

(١١) ويُذكر عن وداعة القديس مقاره ما حدث أثناء ذهابه ذات مرة من الإسقيط إلى جبل نتريا وأمره لتلميذه أن يتقدمه قليلاً ومقابلته للكاهن الوثني، ودعة حديثه معه الأمر الذي قاده في النهاية أن يصير راهباً (كما ورد في القصة المنشورة في الفصل الرابع: علاقة القديس مقاره الوطيدة بنتريا (٥)).

٤ - طول أناة القديس، وقصة مكسيموس ودوماديوس

حدثنا الأب بيجيمي أن بافنوتيوس تلميذ أنبا مقاره قال له:

(7) Boll; Cotel., Vita. Pat. V:4 & 28, III, 87.

Amel., A.M.G., XXV, p. 217.

(٨) بستان الرهبان، طبعة ١٩٥٦، ص ١٣١ .

(9) Boll; Cotel., Vita. Pat. III, 127; Apoph. Patr., Mac. Aeg., XXXIX.

(10) Ibid.

(11) Ibid.

(٥) صفحة ٧٢ وما بعدها .

قال الأب مقاره:

[حدث يوماً وأنا جالس بالإسقيط أن أتاني شابان غريبان . أحدهما متكامل اللحية ، والآخر قد بدأت لحيته . فقالا لي : « أين قلاية الأب مقاره ؟ » فقلت لهما : « وماذا تريدان منه ؟ » أجاباني : « نريد مشاهدته » . فقلت لهما : « أنا هو » . فصنعا مطانوه وقالوا : « يامعلم ، نشاء أن نقيم عندك » . فلما وجدت أنها في حالة ترف ومن أبناء نعمة وغنى ، أجبتهما : « لكنكما لا تحتملان السكنى ههنا » . فأجابني الأكبر قائلاً : « إن لم نحتمل السكنى ههنا فإننا نمضي إلى موضع آخر » . فقلت في نفسي : « لماذا أنا أطردهما ؟ أنا أتركهما لعل شيطان التعب يشككهما في ما عزما عليه » . فقلت لهما : « هلمنا فاصنعا لكما قلاية إن قدرتما » . فقالا : « أرنا موضعاً يصلح » . فأعطيتها فأساً ومقطفاً وكذلك قليلاً من الخبز والملح ، وأريتها صخرة صلبة (صخرة شبيبت المشهورة الآن بقارة أولاد الملوك) . وقلت لهما : « إنحنا هنا لكما مغارة ، وأحضرا لكما حصاً من الغابة وسقفا واجلسا » ، وتوهمت أنها سوف ينصرفان من شدة التعب . فسألاني : « وماذا تصنعون ههنا ؟ » فقلت لهما : « إننا نشغل بضمير الخوص » . وأخذت سعفاً وأريتها بدء الضفيرة وكيف تُخاط ، وقلت لهما : « اعملا زناويل وادفعاها إلى الخفراء ليأتوكما بخبز » . وعرفت ما يحتاجان من معرفة ، ثم انصرفت عنها . أما هما فأقاما ثلاث سنوات ولم يأتيا . فبقيت مُقاتل الأفكار من أجلهما إذ لم يأتيا إليّ ولا سألاني في شيء . ولم يحاولا الكلام مع أحد قط ، ولم يبارحا مكانها إلا كل يوم أحد فقط ، حيث كانا يمضيان إلى الكنيسة لتناول القربان وهما صامتان . فصليت صائماً أسبوعاً كاملاً إلى الله ليعلمني أمرهما . وبعد الأسبوع مضيت إليهما لأفتقدتهما وأعرف كيف حالهما ؛ فلما قرعت الباب عرفاني وفتح لي وقبلاني صامتين ؛ فصليت وجلست . وأوماً الأكبر إلى الأصغر بأن يخرج ، أما الأكبر فجلس يضمير في الضفيرة ولم يتكلم قط ، فلما حانت الساعة التاسعة ، أوماً إلى الشاب فاتاه ؛ وأصلحا مائدة وجعلا عليها ثلاث خبزات بقسماطات (كانت هي الخبز المعتاد لرهبان مصر) وداما صامتين . فقلت لهما : « هيا بنا نأكل » . فنهضنا وأكلنا ، وأحضرا كوز ماء فشربنا . ولما حان المساء ، قال لي : « أتصرف ؟ » فقلت لهما : « لن أنصرف ، لكني سوف أبيت ههنا الليلة » . فبسطا حصيرة في ناحية وبسطا أخرى لهما في ناحية أخرى ، وحلا اسكيتيها ومنطقتيها ورقدا أمامي على الحصيرة . فصليت إلى الله أن يعلن لي ماذا يعملان . وإذ كنت راقداً ، ظهر فجأة في القلاية ضوء كضوء النهار — وكان سقف القلاية قد انفتح — وكانا يشاهدانه . فلما ظلنا أني نائم ، نحس الأكبر الأصغر وأقامه ؛ وتمنطقا وبسطا أيديهما إلى السماء ، وكنت أراهما وهما لا يبصراني وإذا بي أرى الشياطين مقبلين نحو الأصغر كالذباب ؛ ففهم من كان يريد أن يستقر على فمه ، ومنهم من كان يريد أن يستقر على عينيه ؛ فرأيت ملاك الرب حاملاً سيفاً نارياً وهو يحيط بها ويطرد الشياطين عنها . أما الأكبر فلم يقدروا على الإقتراب منه . وما أن حان الفجر حتى وجدتها وقد انطرحا على الأرض وناما . فتظاهرت كأني

استيقظت ، وهما كذلك . فقال لي الأكبر هذه الكلمة فقط : « أتشاء أن نقول الإثني عشر مزموراً ؟ » فقلت : « نعم » . فقرأ الصغير خمسة مزامير ، وفي نهاية كل مزموست آيات (من مكان آخر في الكتاب المقدس) ، وهللويا ؛ ومع كل كلمة كان يقولها ، كان يبرز من فمه شهاب نار يصعد إلى السماء ؛ كذلك الكبير إذ كان يفتح فمه و يقرأ ، كان مثل جبل نار خارجاً وصاعداً إلى السماء . فلما انقضت الصلاة انصرفت قائلاً : « صلّيا من أجلي » . فصنعا لي مطانية وهما صامتان . وبعد أيام قليلة تنيح الأكبر وفي ثالث يوم تنيح الأصغر كذلك .

ولما كان الآباء مجتمعون بالأب مقاره ، كان يأخذهم إلى قلايتها ، ويقول : « هلموا نعاين مكان شهادة الغرباء الصغار » (١٢) .

وقد فسر القديس فيلوكسينوس في كتابه المعروف بتفسير البراديسوس ، صفحة ٦٠ ، مسلك هذين الأخوين ، ولماذا لم يمضيا إلى القديس مقاريوس في الإسقيط ثلاث سنوات ، فقال : « لأن الكبير كان عاملاً كاملاً متضماً ، ولو كان قد مضى إليه لظهر كماله فكان يمجده ، وأما الصغير فكان يتعلم من الكبير » .

٥ — صرامة القديس مع المتعظمين بعلمهم

(١٣) [جاء مرة الراهب أغريس (إيفاجر يوس البنطي الأوريجاني) إلى القديس أنبا مقار وسأله كلمة منفعة ، فقال له أنبا مقار : إذا قلت لك ، هل تسمع لي ؟ (لعلّم القديس أن هذا الراهب متمسك بحكمته) . فقال أغريس : إن إيماني بك ومحبتتي لك أنت تعلم بها ! فقال له أنبا مقار : إنك حقاً تحتاج أن تتزّين بالفضيلة ، ولكن الأحسن لك ، إن كنت تستطيع ، أن تطرد عنك فخر الحكمة العالمية وتمسك بإتضاع العشار ، وأنت تحيا . فقال أغريس : إنه لما قال لي هذا عملت له مطانية وانصرفت ، وكنت أقول في نفسي إن أفكاري مكشوفة لأنبا مقار رجل الله ، وكنت في كل وقت أقابله أرتعد من حُكميه الذي سمعته منه] (١٤) .



(١٢) هذه التسمية تعني هيكلاً صغيراً مقاماً فوق أجساد مقدسة وتسمى مارتيريا بالمرة بالغة اليونانية ولا يستلزم ذلك أن تكون أجساد شهداء .

(13) Amel., XXV, p. 157, A.M.G.

(١٤) وهنا تنكشف حقيقة الراهب أوغريس الأوريجاني على حقيقتها بكل وضوح وبلا مواربة أنظر صفحة ٣٢٠ .

الفصل السادس

الحياة التقشفية للقديس مقاره

١ - الخبز بالوزن والماء بالكيل .

٢ - جسم نحيل ووجه شاحب من شدة مخافة الله .

٣ - محبة العوز .

٤ - يعمل بيديه ويبيع شغله بنفسه ويشغل كأجير .

٥ - صيام يوم عن كل كأس نبيذ حتى لا يُبطل عمل المحبة .

١ - الخبز بالوزن والماء بالكيل

يقول باللاديوس^(١) :

[من العبث أن نتكلم عن امتناع القديس مقاره عن الأكل والشرب، مادام أن أكثر الرهبان تهاوناً وأكثرهم قرباً من الأماكن المأهولة لم يسلّموا أنفسهم لسيطرة الشره . وهذه الرذيلة بالأكثر هي غير معروفة في البرية، لندرة الأشياء وبسبب الغيرة الإلهية التي تُلهمهم وتدفعهم إلى أن يتفوقوا جميعاً في مختلف أنواع التقشفات التي كانوا يمارسونها] .

وإن في قصة عنقود العنب^(٢) الذي دار على جميع الإخوة في البرية دون أن يُفقد منه حبة واحدة، لأعظم برهان على مستوى التقشف العجيب الذي كان يسود على البرية، بفضل تعاليم القديس مقاريوس ونموذج حياته .

وأورد هذه القصة سقراط^(٣)، عن إيفاجر يوس البنطي الذي تتلمذ على القديس مقاريوس الإسكندري (حوالي عام ٣٨٥ م) . يقول إيفاجر يوس :

[كنت ذات يوم في صحبة القديس أنبا مقار الكبير في ساعة الظهيرة . وبينما كنت أتحرّق من

(1) Laus., Ch. 19.

(2) Apoph. p., 25.

(3) Socrates, Ecc. Hist., IV, XXIII.

شدة العطش استأذنت منه لأشرب ماءً . فأجابني : اكتفِ بالبقاء في الظل ، لأنه يوجد الآن كثير من الناس مسافرون بالبر أو بالبحر ومحرومون حتى من هذا الظل المتوفر أمامك . وبينما كنت أحدثه عن الإماتة ، قال لي : لقد أمضيت عشرين عاماً كاملاً لم أكمل إرادتي في الأكل والشرب والنوم ، فما كنت أتناول الخبز إلا بقدر ، والماء كنت أشربه بالكيل ، أما النوم فكنت أشرّق القليل منه باستنادي على الحائط على قدر حاجة الجسد^(٤) .

[وكان تدبيره العادي أنه لا يأكل سوى مرة واحدة في الأسبوع] .

٢ - جسم نحيل ووجه شاحب من شدة مخافة الله

(٥) وكان وجهه وجسمه (النحيل) يكفیان لإظهار شدة تعفّفه ونسكه ، مع أن الأصوام لم تكن هي السبب الوحيد لنحافة جسده ، بل هذا أيضاً كان نتيجة لمخافة الله التي امتلأت بها نفسه فأضمرت ، بل وأحرقت ، بنوع ما ، كل جسده^(٦) .

٣ - محبة العوز

جاءه بعض النساك مرة ليروه في الإسقيط ، فلم يجدوا في قلايته أي شيء من متاع الدنيا . وحتى الماء الذي يشرب منه وجدوه منتن الرائحة ، فأرادوا أن يأخذوه إلى بلده لأجل تقويته (وتزويده بالأمر الضروري) ، ولكنه عرفهم جيداً بأنه يحب هذا العوز ، وأنه لو كان يريد تلك الضروريات ، فإنه يعلم جيداً أين يطلبها بدون الإلتجاء لطلب معونتهم .

٤ - يعمل بيديه ، ويبيع شغله بنفسه ، ويشغل كأجير

وكان يعمل طول النهار في قطع الخوص^(٧) . ويظهر بالأكثر تقشفه واتضاعه في أنه كان يحمل بنفسه من الإسقيط القفف والمقاطف التي كان يصنعها ، لبيعها في ترنوت على ضفة النيل . ومرة وجد نفسه متعباً تحت هذا الثقل ، حتى أنه اضطر إلى أن يجلس على الأرض ، وإذا كان ما يزال بعيداً عن النهر خاطب الله قائلاً^(٨) : [يارب أنت تعلم أنه ما عاد فيّ قوة . وللوقت وجد نفسه على شاطئ النهر] . ومعروف أن القديس مقاريوس كان ينزل كل سنة مع النساك في زمان الحصاد ليعمل كأجير في الحقول لبيتاع قوته .

(4) Boll., 15 Jan.

(5) A.M.G., XXV, p. 205.

(6) Vit. Pat., 5:3.

(7) Vit. Pat., 3:212, 6:2.

(8) Boll., 6.

(٩) ولو حظ أيضاً عن القديس مقاريوس أنه حينما كان يأكل مع النساك كانوا يقدمون له بعض النبيذ، فكان يشرب ما يُقدّم له، ولكنه بعد ذلك كان يضع على نفسه قانوناً بأن يصوم عن الماء أياماً بقدر عدد أقذاح النبيذ التي شرها. وهذا بينما كان الإخوة يُسرون بأن يقدموا له ظانين أنهم يشددونه، كان هو يأخذ منهم لتكون له فرصة أكثر للإماتة. ولكن تلميذه لما لاحظ أسلوبه هذا، استعطف الآخرين ألا يقدموا له نبيذاً، لأنهم كانوا يسببون له بهذا تعباً. ومنذ ذلك الحين امتنعوا عن تقديم النبيذ له.

+ + +

وكاسيان رأى أن أفضل خاتمة لكتابه الخامس هي أن يذكر هذه النصيحة عن القديس مقاريوس: [يجب على الناسك أن يجتهد في الصوم، كما لو كان متأكداً أنه سيعيش مائة عام؛ وأن يضبط شهوات نفسه ويتناسى الإهانات ويقاوم الكآبة ويحتمل الأتعاب والآلام، كما لو كان سيموت في اليوم نفسه]. فالفكرة الأولى تجعل الناسك حكيماً حاذقاً، وتجعله يحرص على الانتظام الصارم في النسك بدون أن يسمح لنفسه بالتهاون، بحجة ضعف الجسد؛ بينما اعتبار الموت القريب يلهمه سمو الروحي بالإيمان الذي لا يقتصر على احتقار راحة الدنيا فقط، بل ويجعله راسخاً في احتمال المشقات لأنه سيثبت قلبه ونظره دائماً إلى السماء نحو المكان الذي يترقبه كل حين، مؤمناً أنه سوف يُدعى إليه.

أما كلام القديس مقاره نفسه فيكشف بكل وضوح قيمة ودرجة التقشف الذي كان يعيشه، ففي النسخة العربية لكتاب بستان الرهبان، يقول القديس في وصية لأولاده (١٠): «إن الراهب الذي يقتني أكثر من جبّة لا يساوي عند المسيح جبّة، لأن محبّي المسيح الذين تركوا نعيم الدنيا ولدأتها تصبح منزلة العالم عندهم كمنزلة العوئيد الصغير، فلا يتألمون على فقد شيء منه. إن الإنسان الذي يأسف على فقدان شيء منه فليس بكامل بعد. فإن كنا قد أمرنا أن نرفض أنفسنا وأجسادنا، فكم بالحري المقتنيات؟ إن الشياطين تحترق بهذه الفضيلة وأمثالها عندما يرون إنساناً غير ملتفت إلى الأشياء وليس بتأسّف عليها إذا فقدها، لاسيّما إذا علموا أنه يمشي على الأرض بغير هوى أرضي».

(١١) وقال بعض الآباء للقديس مقاريوس: «هوذا جسّدك قد يبس من قلة الأكل

(9) Apoph. Patr., Mac. Aegypt., X. & A.M.G., XXV, p. 206.

(١٠) بستان الرهبان، طبعة ١٩٥٦، ص ٢٢.

(11) Apoph. Pat., II, p. 294, S. 352.

والصمت». فأجابهم الشيخ: «حسناً، فإنه مكتوب قد يبست عظامي (من زفيرى اليوم كله)، فإن الشجرة إذا قبلت قوة النار في طبيعتها، فإنها تجف ثم تشتعل؛ وهكذا إذا قبل قلب الإنسان خوف الله فإنه يتنقى، إذ تجف الشهوات من طبيعة الجسد (وحيثما يشتعل بحب الله)».

(١٢) أما وجهة نظر القديس مقاره في أهمية التقشّفات الجسدية بالنسبة للحياة الروحية، فتظهر من قوله: «اسع لكل نوع من الإماتة، فإذا لم يكن لك الإماتة التي بالروح فاسع إلى إماتة الجسد، حينئذ تُعطى لك التي بالروح، فتموت عن كل إنسان؛ وحينئذ تستطيع أن تصل إلى موهبة الوجود الدائم مع الله في السكون».

(١٣) ولم يقتصر التقشف عند القديس مقاره على الأكل والشرب فقط بل على كل شيء... حتى على اقتناء الكتب الروحية نفسها. فقد [حكى عن القديس أن أتاه الأب ثيودور البرامي (١٤) (الذي كان يمتلك بعضاً من الكتب الثمينة) وقال له: «يا أبي عندي ثلاثة كتب ذات منفعة لي، كما أن الإخوة يستعبرونها مني و ينتفعون بها أيضاً، فالآن أخبرني ماذا أعمل بها؟» فأجابه الشيخ: «إن أعمال النسك حسنة، لكن أعظمها جميعاً هو الفقر الإرادي». فلما سمع أبا ثيودور هذا الكلام ذهب، وباع الكتب وأعطى ثمنها للفقراء.] وقصة اللصوص الذين سرقوا قلايته فساعدهم هو بنفسه على سرقته دليل عملي على ذلك (ارجع لهذه القصة ص ٦٥).

وعلى مدى أقوال الآباء وسيرهم يلحظ القارىء بسهولة صورة هذا الأب الفاضل المجاهد، تارة حاملاً خوصه من البهلس إلى قلايته (١٥)، وتارة حاملاً قفقه وسائراً بها لبيعتها في ترنوط (سوق شيهات) على سفريومين (١٦)، وتارة نازلاً مع الإخوة (الأب شيشوي هنا هو الراوي) ليعملوا قَعلة في حصاد القمح (١٧)!! حتى وفي زيارته لأبنا أنطونيوس، وفي نفس ليلة وصوله جلس يجدل الضفيرة حتى الصباح، وكان محصول عمله ضعف محصول أبنا أنطونيوس، مما أدهش الأب الكبير أنطونيوس وجعله يُقبّل يدي مقاريوس ويقول: إن قوة عظيمة تخرج من هاتين اليدين!!

(١٨) ويدعو القديس فيلوكسينوس المنبجي أولاده أن يذكروا نسك الطوباني أنبا مقار، أنه

(12) Apoph. Pat., p. 252, S. 172.

(13) Apoph. Pat., p. 46, S. 161.

(١٤) و يسمى خطأً ثيودور الفرسي ولكنه ليس من الفرما بل من البراما وهي منطقة الأهرامات بالجيزة الآن أنظر صفحة ٢٧٩.

(15) Apoph. Pat., Mac. Aegypt. IV.

(16) Apoph. Pat., Mac. Aegypt. XIV.

(17) Apoph. Pat., Mac. Aegypt. VII.

(١٨) مخطوطة رقم ١٨ (مصورة)

الفصل السابع محبة القديس للصلاة والوحدة

- ١ - في حالة دهش مستمر.
- ٢ - وجود دائم في الحضرة الإلهية.
- ٣ - مغارة سرية للخلوة.
- ٤ - الهروب من الكلام.
- ٥ - الهروب من الناس.
- ٦ - الابتعاد عن الجاملات.
- ٧ - نصيحة العمر.
- ٨ - الخدمة عدو الوحدة.
- ٩ - الطموح مبدد لهدوء الوحدة.
- ١٠ - طياشة الفكر تمكرك صفو الوحدة.
- ١١ - تهيئة النفس للوحدة.
- ١٢ - الصبر هو قوة الوحدة.
- ١٣ - عثرة اللسان تفسد الوحدة.
- ١٤ - أنظر إلى فوق دائماً.

١ - في حالة دهش مستمر

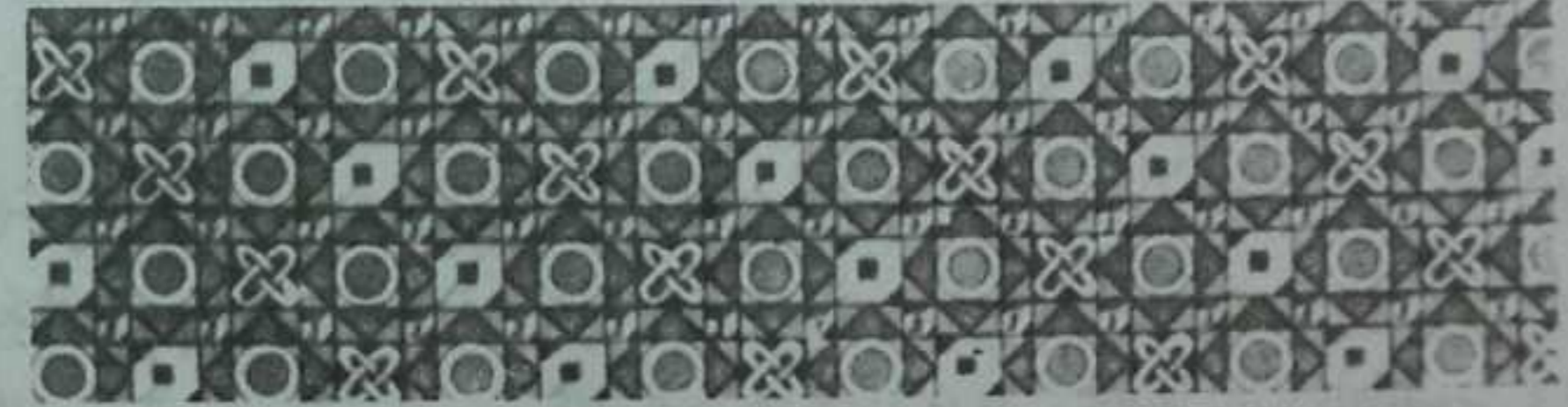
(١) كل تقشفات الجسد كانت شيئاً قليلاً بالنسبة لهذا الرجل السماوي، الذي ما كان يُرى إلا منجذباً بلا توقف خارجاً عن نفسه (حالة دهش إلهي)، وكان يتحدث مع الله أكثر مما كان يُفكر في كل ما هوتحت السماء^(٢). وإذ طلب بعض الرهبان من القديس عن أي طريقة للصلاة، أجابهم: [ليس هناك حاجة إلى كلام كثير، بل يكفي أن ترفعوا أيديكم إلى السماء وتقولوا: «يارب اصنع معي رحمة. واهدنا كما تريد وكما تحب». وإن أصابتنا ضيقة قلنا: «يارب أعننا». وتحت ضغط التجربة نقول: «ياإلهي أنت تعلم جيداً ما يلزمنا». وهولن يتأخر عن معونتنا].

(1) Laus. Hist., 19.

(2) Amelineau A.M.G., XXV, p. 220.

مدة عشرين سنة لم يشبع هذا المجاهد لا من خبز ولا من ماء ولا من نوم. كمثّل ما قال: «خبزي كنت آكله بالميزان، ومائي كنت أشربه بالكيل. وكنت أخطف قليلاً من النوم وظهري مسنود للحائط. وهكذا كنت أستيقظ». ثم يتساءل: أي أجر صار للطوباني مقار يوس من هذا النسك المتعب؟ إنه صار إلهاً ثانياً على الأرض بين الناس، لأنه كما أن الله يظلل على الشعب، هكذا هو أيضاً كان يحتمل سقطات وضعف البشر.

كما فسر القديس فيلوكسينوس أيضاً كلمات القديس مقار يوس الكبير: «إن كان ليس لك الإماتة التي بالروح، فاسع إلى إماتة الجسد وحينئذ تُعطى لك تلك التي بالروح». فقال: «أي إن كنت ما وصلت أن تهتم بالله وبخيراته بعقلك، فاحرص في الأول أن تبعد من الناس بجسدك ولا تتكلم مع الأفكار الشريرة التي تتحرك فيك. وهذا كقول أنبا إشعيا: إن الهدوء يلد الهدوء، يعني أن هدوء الجسد يلد هدوء الذهن، وإن كنت ما تقدر أن تصلي صلاة روحانية، فاحرص أن تقتني صلاة نقية من قلب نقي، فإن كنت ما وصلت إلى هذا، فاحرص في هدوئك على خدمة المزامير وتكميل الصلوات السبع، بالمطانوات الكثيرة».



زخرف حائطي ملون من أشكال هندسية متداخلة في تناسق بديع - القاعة رقم ١٩ من دير باو بط - محافظة أسيوط يرجع تاريخها إلى القرن السادس / السابع

٢ - وجود دائم في الحضرة الإلهية

وكان يقول أحياناً: «إن كنا نتذكر الإساءات التي صنعها بنا الناس فإننا نحرم أنفسنا من القدرة على ذكر الله، ولكن بقدر ما نتذكر الإضطهاد الذي يوجهه ضدنا الشيطان، بقدر ما لا يمكن لأي شيء أن يفصلنا عن الحضرة الإلهية». ويظهر أن هذا هو موجز الحديث الذي كان بين القديس وبين إيفاجر يوس، كما سنبينه فيما بعد.

٣ - مغارة سرية للخلوة

نجد دليلاً واضحاً على حبه للصمت والصلاة بما سنورده (٣): لما كانت شهرته تجذب نحوه زيارات كثيرة، لم يجد أي وسيلة للخلاص منها سوى أن يحفر بشخصه، وفي وقت طويل، طريقاً تحت الأرض يصل بين مغارته إلى مغارة بعيدة، كانت تبعد عنها نصف ميل. فعندما كان يجد الناس يزعمونه، كان يذهب سراً من قلايته إلى هذه المغارة بدون أن يستطيع أحد معرفة مكانه. وقد ذكر أحد تلاميذه أنه كان يتلو في أثناء ذهابه ٢٤ صلاة ومثلها في الإياب.

٤ - الهروب من الكلام

(٤) وبنفس روح الخلوة هذه، بعد انصراف الإخوة من صلاة القديس قال لهم: «اهربوا يا إخوة». فأجابه واحد منهم: «وإلى أين يجب أن نهرب في هذه البرية؟ هل يوجد مكان أبعد من هذه البرية؟». فوضع القديس أصبعه على فمه قائلاً: «من هذا يجب أن نهرب». وللوقت انصرف إلى قلايته وأغلق الباب ومكث وحده.

٥ - الهروب من الناس

(٥) طلب الأنبا إشعيا من القديس أن يقول له كلمة تعليم، فلم يقل له سوى هذا: «إهرب من الناس». فلما سأله إشعيا: «وما هو الهروب من الناس؟»، أجابه: «هو جلوس الإنسان في القلاية، وبكاؤه على خطاياها، وكراهية الميل البشري للحديث؛ وأول الفضائل هو ضبط اللسان والبطن على السواء».

٦ - الابتعاد عن المجاملات

جاءه الأنبا موسى يقول له إنه يشاق إلى حياة الوحدة والسكون، ولكن افتقاد الإخوة له يمنعه

(3) A.M.G., XXV, p. 76; Laus. Hist. (Robert Mayer), p. 57.

(4) Cotel; Vit. Pat., 5:4:27 & Amelin. A.M.G., XXV, p. 216.

Boll; 15 Jan; Vit. Pat., 3:189.

(٥) بستان الرهبان، طبعة ١٩٥٦، ص ٢٥٢.

من ذلك، ولتواضعه الطبيعي ما كان يرفض كل من يطلب أن يراه. فأوصاه القديس أن يعتزل إلى برية أبعد، هي بترا Petrae (٦)، ففعل موسى هكذا ووجد النياح الذي كان يتوق إليه (٧). وإن الأنبا موسى هذا، هو رئيس اللصوص الشهير والذي اشتهر بالأكثرتوبة والرجوع. وبذلك أصبح الكنيسة مدينة للقديس مقاره بالفضل الذي نالته من الأنبا موسى.

٧ - نصيحة العمر

(٨) وقد ثبتت الله القديس مقاره في محبته للخلوة عن طريق مقابلة رتبها الله له مع راهبين متوحدين صادفهما في البرية الجوانية، ونصحاها بالجلوس في السكون وحده. وقد ذكرها القديس بنفسه عندما ذهب من الإسقيط إلى نتريا لحضور الذبيحة التي كان يقدمها القديس بامو (الذي تنيح عام ٣٧٦ م) (٩) ويقول آخرون إنه جاء فقط إلى دير بامو في يوم كانت تُرفع فيه هذه الذبيحة.

وإنه ليُتَعَجَّب جداً من اتضاع هذا الإنسان الإلهي الذي صار في كمالٍ عظيم. غير أنه كان يعتقد دائماً بوجود فضائل أعظم من فضيلته وقدرات أعظم من قدرته.

ولكي يعزي القديس أنبا مقار الإخوة (١٠) (و يشبههم في حبة الخلوة مبيناً لهم كيف أن الشيطان يرهبا) ذكر لهم أن أمأ قد أحضرت إلى قلايته إنناً تسلط عليه الشيطان. فكان هذا الولد يقول لأمه: «هلم نقوم ونذهب من هنا». ولما كانت تجاوبه أنها ما تقدر أن تمشي قال لها: «سأحملك». ويعلق القديس على هذا بقوله: «كنت مُعجباً بالمهارة التي كان يحاول بها الشيطان أن يطردهم من هنا».

٨ - الخدمة عدو الوحدة

(١١) وإذ يريد أن ينفي الإغراء الذي كان يراود بعض الرهبان بأن يتركوا سكونهم ليعطوا الآخرين بحجة أن في هذا ربحاً أعظم، كان يشبههم بـ«حلاق» كان يقتصد قليلاً كل يوم لأن الناس في المكان الذي كان فيه كانوا يدفعون قليلاً ثمناً لحلاقة الرأس. ولما طمع في ربح أكثر،

(٦) يوجد مكانان باسم بترا: الأول هو صخرة شبيبت، وهي تبعد قليلاً عن دير البراموس الآن، والثاني صخرة شبيبت المدعوة صخرة مقار يوس وهي موضع دير أنبا مقار الحالي.

(7) Amelin. A.M.G., XXV, p. 217.

(8) Ibid., p. 218-220.

(9) Vit. P., 6:3:4.

(10) Boll., 15 Jan., Vit. P., 5:18 & 18.

(11) Cass.; Coll. XXIV, 13.

ذهب إلى مكان آخر كانوا يدفعون فيه أكثر. ولكنه وجد هناك أن المعيشة مرتفعة جداً، فلم يستطع أن يقتصد شيئاً لأنه بالكاد كان يكفي معيشته.

٩ - الطموح مبدد لهدوء الوحدة

(١٢) وفي حديث له مع أحد المتوحدين، الذي جاءه حزينا لأنه سمع بعذراء تصلي كل يوم بعدد صلوات أكثر منه. فقال له القديس مقاره: «لقد عشت حتى الآن ستين سنة في النسك، ولا أصنع سوى خمسين صلاة في اليوم، وأعمل ما يكفي لحصولي على حاجتي من الطعام، وأستقبل الإخوة الذين يأتون إليّ، وأقول لهم ما يناسبهم، وأدفع ديوني، ومع ذلك فإن فكري لا يدينني كإنسان يستهين بالله. أما أنت الذي تصنع ثلاثمائة صلاة في اليوم أتلومك أفكارك؟ فإما أنك لا تقدمها بطهارة (قلب) أو أنك قادر أن تقدم أكثر منها ولا تفعل!». «

١٠ - طياشة الفكر تعكر صفو الوحدة

(١٣) وقال أيضاً: «إذا أقدمت على الصلاة فاحرص أن تكون ثابتاً لثلاث تسلم إناءك بيد أعدائك، لأنهم يشتهون اختطاف آيتك التي هي أشواق نفسك، وهي الأشواق الصالحة التي يجب أن تخدم بها الله نهاراً وليلاً، لأن الله لا يطلب أن تمجده بشفتيك فقط بينما تطيش أفكارك بأباطيل العالم، ولكنه يريد ألا توقف نفسك أمامه وأفكارك تنظر إليه بدون التفات».

١١ - تهيئة النفس للوحدة

(١٤) وأيضاً عن السكون يقول القديس: «ضع همك كله في أن تطلب الله وأن تنجو من أيدي أعدائك. فالآن، يارجل الله، إن وضعت في قلبك أن تقتني الوحدة فهنيئاً ذاتك لها، واصبر على المسكنة، فإن الوحدة والمسكنة عظيمنتان، وليس شيء من المواهب يساويها في القدر والكرامة لأنها يُقربان إلى الله، كما لا تُحصى المواهب الموجودة داخلها لأنها يسوران جميع الفضائل، وهما في وسط جميع المواهب يتلأآن، لأنها مصدر أعمال القديسين، وجميع القديسين وجدوا الله فيها، وكشفت لهم الأفكار، فوهبهم الله قلوباً نقية، وهم في المسكنة والوحدة جياع عطاشى، هؤلاء الذين لم يستحقهم العالم، تائهين في البراري والقفار والمغائر وشقوق الأرض. هؤلاء الذين لهم هذه الشهادة الجليلة قد وجدوا الله في الوحدة، وبالمسكنة والصبر، لأن مجد الوحدة

(12) Apoph., 295, S. no. 355.

(١٣) بستان الرهبان، طبعة ١٩٥٦، ص ٧٠ وما بعدها.

(١٤) شرحه.

غير محدود، ورجاؤها وفرحها هو الله، وهي العزاء في الفقر والمسكنة. غذاؤها الصبر، وخدمتها الكاملة هي الطهارة، وفرحها هو الإلتضاع. هي التي لا يفسدها سوس ولا يتدنس لها ثوب لأنها ساكنة في الطهارة».

١٢ - الصبر هو قوة الوحدة

(١٥) سأل أخ الأب مقاريوس عن الوحدة فأجاب الشيخ وقال: إن كنت حقاً تريد السكنى في الوحدة، فاصبر لها ولا تؤذ عمك يوماً في الداخل و يوماً في الخارج، ولكن اصبر لها باتضاع، والله الصالح يؤازرك. لا توجد سبباً للخروج عن الوحدة حتى ولو ليوم واحد، بل اثبت في مسكنك لتذوق حلاوتها، ولا تبطئ خارجاً لثلاث تجذب إليك المضاد وتتجدد عليك أتعابك وتحرم من الصبر. لا تبطئ خارج قلايتك لثلاث تجذب أتعابك قدامك عند رجوعك، فتتعب جداً في حركك ويصعب انتصارك. يارجل الله حتى متى تدوم لك هذه الأتعاب؟ اصبر للمسكنة، وعزاء الوحدة يأتيك من قبل الله. لا تضيع يوماً واحداً، ونعمة الوحدة وحلاوة المسكنة تصيران لك عزاء، ويعطيك الله سعادة في مسكنك.

١٣ - عشرة اللسان تُفسد الوحدة

(١٦) وقال أيضاً: «يجب على الراهب أن يكون في سكون كل حين، ولا يسمع لأفكاره التي تُوعز إليه بكثرة الكلام الذي يُضعف النفس، بل يمسك عن الكلام حتى ولو نظر أناساً يضحكون أو يتحدثون بكلام لا منفعة له وذلك لجهلهم. لأن الراهب الحقيقي يجب أن يتحفظ من لسانه، كما هو مكتوب في المزمور: «اللهم اجعل لفي حافظاً وعلى شفتي سترأ حصيناً». فالراهب الذي يسلك هكذا لا يعثر أبداً بلسانه، ولكنه يصبح إلهاً على الأرض».

١٤ - أنظر إلى فوق دائماً

ومن تعاليم القديس مقاريوس التي لُقِّبها للراهب ثيوذيمبستس، الذي كان قد استولى عليه الشيطان: «إذا داهمتك التجربة، فلا تخفض عينيك إلى الأرض، ولكن ارفعها باستمرار إلى فوق، والرب يعينك في الحال» (١٧).

(١٥) المرجع السابق ص ٧١.

(١٦) المرجع السابق ص ٧٢.

(17) Apoph. Patr., Mac. 111.

فخذوا إسكيمكم (٥) واهربوا» .

وقد خربت هذه البرية بالفعل ثلاث مرات: الأولى منها، بعد نياحة القديس بقليل (١٧ سنة)، واضطر الرهبان أن يهربوا أمام هجوم البربر في هذه المنطقة (٣).

[قال أنبا مقار في نبؤاته إن الطغمة الأولى الذين يسكنون في هذا الجبل يكونون أقوياء بالله في الأعمال مثل سبّاع الجبال، وترتفع طلباتهم وصلواتهم وطيب دموعهم ومسكنتهم وأصوامهم دائماً أمام عرش الله، ويقسمون هكذا أزمنة كثيرة، وبعدها يطلق الله أن تخرب الأربعة دياره وتصير مقفرة. ولكن بعد ذلك يذكر سيدي يسوع المسيح الرحوم أعمالهم وتديبيرهم وفضائلهم، ويستدعي من تبقى من الرهبان ويوعز إليهم الملك المسيح قائلاً: ارجعوا إلى بلد آبائكم واعملوا بمقدار قوتكم] (٤).

+ + +

وتوجد رؤى أخرى ونبوات لم نشأ أن نضعها هنا، ويجدها القارئ تحت فصول المعجزات وتسلط القديس على الشياطين ومعرفة خداعهم.



حلية ملونة على شكل صغيرة في القاعة رقم ١٩ بدير باويط
ترجع إلى القرن السادس/السابع

(٥) وهي حسب النص القبطي «خذوا جلدكم واهربوا» (أي جلد الغنم المدبوغ الذي كان يلبسه الآباء على ظهورهم في الشتاء لإتقاء البرد). ومن هذا ترى أيها القارئ أن المثل المعروف: «فلان هرب بجلده» هو أصلاً مثل رهباني، ومعناه أن الراهب إذا رأى خطراً على خلاصه وطهارته فإنه يهرب بجلده (ولا يأخذ معه شيئاً آخر).

(3) Vit. Patr., V, 18 & 13, 14.

(٤) المخطوطة العربية سيرة مقاريوس ١٨ س، ص ٢٢ بمكتبة دير أنبا مقار.

الفصل الثامن

نبؤات ورؤى القديس مقاره

* * *

قلنا من قبل إن الله أعطى القديس مقاره المصري منذ سن الأربعين السلطان على الشياطين وموهبة شفاء المرضى، وروح النبوة. ويسهل علينا أن نورد أدلة على كل هذه الأمور: [كان للقديس تلميذان في الإسقيط، أحدهما يعيش متوحداً في قلايته الخاصة والآخر اسمه يوحنا يعيش بجواره لخدمة المرضى وعمل واجبات الضيافة للذين يقصدون القديس. وبعد فترة من معيشتها معاً، إذ كان القديس مقاره يرى بالإستنارة الداخلية ما كان مخفي عن الآخرين، خاطب القديس تلميذه يوحنا قائلاً: «إسمع مني يا أخي واحتمل مني رأياً قد ينفعك. إنك مُجربٌ بشيطان الطمع وحب المال لأنني رأيتك فيك، ولكن إن قبلت نصيحتي وأخرجته من قلبك فإنك تكمل عمل الله بالكمال في هذا المكان، وتصير في النهاية مُمجداً، فلا تقترب إليك تأديبات الله. أما إن كنت لا تسمع لي فإنك ستسقط فيما سقط فيه جيحزي لأن مرضه فيك» (١).

وقد تم ذلك فعلاً. فبعد موت القديس مقاره رُسم يوحنا كاهناً في مكانه ونسى قول القديس له، وعوضاً عن وصاياه تبع إيجاءات ذاك الذي دفع يهوذا أن يشنق نفسه بسبب حبه للمال، فأخذ ما هو مُخصَّص للفقراء. وأخيراً، بعد خمس عشرة سنة (بعد نياحة القديس) وُجد هذا التلميذ مملوءاً برصاً بدرجة أنه لم يكن في جسده قدر أصبع غير مريض، فصارع عبرة لرؤساء الأديرة ونظَّارها.]

(١) ويذكر باللاذيقوس، للدلالة على روح النبوة التي وهبها له الله، قول القديس مقاره إلى

إخوته:

«حينما ترون الأبنية تُشيد بجوار البركة (للعلمانيين): فاعلموا أن خراب الإسقيط قريب. وحينما تبصرون أشجاراً تُزرع، فقولوا إن الخراب على الأبواب. لكن إن رأيتم في الإسقيط أطفالاً،

(1) Laus. Hist., ch. 19.

(2) Vit. Pat., V:18 & 11; Boll., 15 Jan.

الفصل التاسع تسلط القديس مقاره على الشيطان والأرواح الشريرة

١ - شيطان الشهوات اللذيذة.

٢ - شيطان المعائر المتنوعة.

٣ - شيطان الخواف والإنزعاجات.

٤ - شيطان النصيب الأكبر.

١ - شيطان الشهوات اللذيذة

(١) كان الأب مقاره يرقب الطريق في أحد الأيام، فرأى الشيطان سائراً فيه على هيئة رجل مسافر وقد أقبل إليه، وكان مرتدياً جلباباً كله ثقوب، وكانت أنواع مختلفة من الفاكهة معلقة فيه. فقال له القديس مقاره: «إلى أين أنت ذاهب؟» فأجاب: «أنا ماضٍ لأزور الإخوة لأذكرهم بعملهم». فقال له الشيخ: «ولأي غرض هذه الفاكهة المعلقة عليك؟» فأجاب: «إني أحملها للإخوة كطعام» فسأله الشيخ: «كُلْ هذه؟» فأجاب الشيطان: «نعم. حتى إذا لم يَرُقْ لأحد الإخوة واحدة منها أعطيه غيرها، وإن لم تعجبه هذه أعطيه تلك. ولا بد أن واحدة أو أخرى من هذه ستروقه بالتأكيد». وإذ قال الشيطان هذا، سار في طريقه.

فظل الشيخ يرقب الطريق حتى أقبل الشيطان راجعاً. فلما رآه قال له: «هل وُفِّقْتَ؟» فأجاب الشيطان: «من أين لي أن أحصل على معونة؟!» فسأله الشيخ: «لأي غرض؟» أجابه الشيطان: «الكل قد تركوني وثاروا عليّ. وليس واحد منهم يسمح لنفسه أن يخضع لإغرائي». فسأله الشيخ: «ألم يبق لك ولا صديق واحد هناك؟» فقال الشيطان: «نعم، لي أخ واحد. ولكنه واحد فقط، هذا الذي يخضع لي، على الرغم من أنه حينما يراني يحوّل وجهه عني كما لو

(1) Amelin., A.M.G., XXV, pp. 231-234.

كنت خصماً له». فسأله الشيخ: «وما هو اسم هذا الأخ؟» فقال له الشيطان: «ثيوميبتس Theopemptus». وإذ قال هذا رحل وسار في طريقه.

حينئذ قام الشيخ ونزل إلى البرية السفلى. فلما سمع الإخوة بمجيئه، أقبلوا للقاءه بسعف النخل. وجهز كل راهب مسكنه ظاناً أنه قد يأتي إليه. ولكن الشيخ سأل فقط عن الأخ الذي يدعى ثيوميبتس، واستقبله بفرح. وبينما كان الإخوة يتحدثون مع بعضهم البعض قال له الشيخ: «هل عندك شيء تقوله يا أخي؟ وكيف هي أحوالك؟» فقال له ثيوميبتس: «في الوقت الحاضر الأمور حسنة معي»، وذلك لأنه خجل أن يتكلم.

فقال له الشيخ: «هوذا أنا قد عشت في نسك شديد مدى سنين طويلة، وصرت مكرماً من كل أحد. وعلى الرغم من هذا، ومع أنني رجل شيخ، إلا أن شيطان الزنا يتعيني». فأجابه ثيوميبتس: «صدقني يا أباي، إنه يتعيني أنا أيضاً». واستمر الشيخ يوجد سبباً للكلام - كما لو كان مُتَعَباً من أفكار كثيرة - إلى أن قاد الأخ أخيراً إلى أن يعترف بالأمر. وبعد ذلك قال: «إلى متى تصوم؟» فأجاب الأخ: «إلى الساعة التاسعة». فقال له الشيخ: «صُم حتى العشاء، واستمر على ذلك. إتْلُ فصولاً من الأناجيل ومن الأسفار الأخرى. وإذا صعدت فكرة إلى ذهنك، لا تجعل عقلك ينظر إلى أسفل. بل فليكن فوق دائماً. والرب يعينك». وهكذا إذ جعل الأخ يكشف أفكاره، وإذ شجعه، عاد ثانية إلى بريته. وسار في سبيله وكان يرقب الطريق كعادته.

ورأى الشيطان ثانية، فقال له: «إلى أين أنت ذاهب؟» فأجاب وقال له: «أنا ذاهب لأذكر الإخوة بعملهم». ولما رحل ورجع ثانية، قال له القديس: «كيف حال الإخوة؟» فأجاب الشيطان: «كلهم مثل حيوانات متوحشة. كلهم متمردون. وأسوأ ما في الأمر أنه حتى الأخ الواحد الذي كان مطيعاً لي قد انقلب هو الآخر، لأي سبب لست أعلم! ولم يعد يخضع لإغرائي بأي حال. وصار أكثرهم نفوراً مني. ولذلك قد أقسمت أني لن أذهب إلى ذلك المكان، إلا بعد مدة طويلة على الأقل».

٢ - شيطان المعائر المتنوعة

(٢) وجاء أيضاً عن القديس مقاره أنه كان في وقت ما سائراً في أقصى البرية. فأبصر شخصاً هرمًا حاملاً حملاً ثقيلاً يحيط بسائر جسمه، وكان ذلك الحمل عبارة عن أوعية كثيرة في كل منها ريشة، وكان لابساً إياها بدلاً من الثياب، فوقف مقابله وجهاً لوجه يتأمله، وكان يتظاهر بالخجل تظاهر اللصوص المحتالين. فقال للبار: ماذا تعمل في هذه البرية تائهاً وهائماً على

(٢) بستان الرهبان، طبعة ١٩٥٦، ص ٢٠.

وجهك؟ فأجابه الأب قائلاً: أنا تائه طالب رحمة السيد المسيح. ولكنني أسألك أيها الشيخ باسم الرب أن تُعرّفني من أنت؟... لأنني أرى منظرك غريباً عن أهل العالم، كما تُعرّفني أيضاً ما هي هذه الأوعية المحيطة بك، وما هو هذا الريش أيضاً؟

وقد كان الثوب الذي عليه مثقّباً كله. وفي كل ثقب قارورة - فأقرّ العدو بغير اختياره وقال: يامقاره، أنا هو الذي يقولون عنه شيطان محتال. أما هذه الأوعية فبواسطتها أُجذب الناس إلى الخطية، وأقدم لكل عضو من أعضائهم ما يوافقهم من أنواع الخديعة، وبريش الشهوات أكحل من يطيعني ويتبعني، وأسر بسقوط الذين أغلبهم، فإذا أردت أن أضل من يقرأ نواميس الله وشرائعه، فما عليّ إلا أن أدهنه من الوعاء الذي على رأسي، ومن أراد أن يسهر في الصلوات والتسابيح فإني آخذ من الوعاء الذي على حاجبي وأطخ عينيه بالريشة، وأجلب عليه نعاساً كثيراً وأجذبه إلى النوم. والأوعية الموجودة على مسامعي مُعدّة لعصيان الأوامر وأجعل من يسمع إليّ لا يدع من يشير عليه. والتي عند أنفي بها أُجذب الشاب إلى اللذة. أما الأوعية الموضوعة عند فمي فبواسطتها أُجذب النساك إلى الأطعمة، وبها أُجذب الرهبان إلى الوقعة والكلام القبيح. وبذور أعمالي كلها أوزعها على من كان راغباً ليعطي أثماراً لاثقة بي. فأبذر بذور الكبرياء. أما من كان على ذاته متكلاً فإني أجعله يتعالى بالأسلحة التي في عنقي. والتي على صدري فهي مخازن أفكار ومناهي أسقي القلوب مما يؤدي إلى سُكر الفكر وأشئت وأبعد الأفكار الصالحة من أذهان أولئك الذين يريدون أن يذكروا مستقبل حياتهم الأبدية. أما الأوعية الموجودة عند جوفي فهي مملوءة من عدم الحس وبها أُجعل الجهال لا يحسّون، وأحسّن لهم المعيشة على مذبح الوحوش والبهايم... أما التي تحت بطني فمن شأنها أن تسوق إلى فعل سائر أنواع وضروب الزنى والعشق واللذات القبيحة. والتي على يدي فهي مُعدّة لضرب الجسد والقتل. والمعلّقة وراء ظهري ومنكبّي فهي مملوءة من أنواع المحن المحتصة بي، وبها أقارع الذين يرومون محاربتني فأنصب خلفهم فخاخاً، وأذلّ من كان على قوته متكلاً. والتي على قدمي فهي مملوءة عثرات أعرقل بها طرق المستقيمين. ومن شأنها أن أخلط في بذور فلاحتي صنوفاً من الحسك والشوك، والذين يحصدون منها يُساقون إلى أن ينكروا طريق الحق.

وبعد أن قال هذا صار دخاناً واختفى. وإن القديس ألقى بنفسه على الأرض، وابتهل إلى الله بدموع لكي يحارب بقوته عن الضعفاء سكان البرية ويحفظهم.

٣ - شيطان المخاوف والإنزعاجات

(٣) ويُذكر عنه قصة أخرى توضح كيف أنه كان متسلطاً على الشياطين: جاء مرة من الإسقيط إلى «ترينوت» (الطرائنة)، ودخل في معبد أو في قبر لكي يقضي الليل وينام. وكان في

(3) Boll., 15 Jan.; Vit. Patr. V:7, § 10. (Amelin., A.M.G., p. 213).

ذلك المكان عدة أجساد ميتة للوثنيين. فأخذ واحدة منها ليضطجع عليها كما لو كانت قبضة من القش. فغضبت الشياطين إذ رأته في مثل هذا الإطمئنان فأرادوا إزعاجه. فتظاهروا بالنداء على ذلك الميت قائلين: «يا فلانة قومي معنا إلى الحمام». فكان شيطان آخر ينطق من تحت القديس، كما لو كان الميت بشخصه يتكلم: «لا أقدر أن أذهب لأنه يوجد شخص غريب متوسدني». فبدلاً من أن ينزعج القديس قام وضرب الجسد بشدة قائلاً: «قومي إن استطعت وانطلقي إلى الظلمة». فصرخت الشياطين بشدة قائلين: «قد غلبتنا». وهربوا في خزي وعار.

(٤) وذات يوم، بينما القديس عائداً إلى قلايته حاملاً سعف النخيل الذي جمعه عند بركة الإسقيط، ظهر له الشيطان وفي يده منجل حاد جداً محاولاً أن يضربه به، ولما لم يستطع، صرخ قائلاً: «يامقاره، إنك تعذبنا بشدة عظيمة. كلما أحاول أن أسبيء إليك لا أجد قوة لذلك. أنت تصوم وأنا لا آكل أبداً. أنت تسهر وأنا لا أنام أبداً. لا يوجد إلا أمر واحد غلبتني فيه». فسأله القديس: «وما هو؟» أجابه: «تواضعك! هو الذي يجعلني عاجزاً عن أن أفعل شيئاً ضدك». فرجع القديس يديه للصلوة، فاختنى الشيطان.

٤ - شيطان النصيب الأكبر

[ومضى أبونا مقاره إلى الوادي دفعة، ليجمع سعف النخل. فلما جمع حاجته، وقف به الشيطان في زي راهب لابس إسكيم، وقال له: اعطني نصف هذا الخوص. فقال له الشيخ: خذ منه ما شئت. فأجابه الشيطان: أريد نصفه. فقسّم القديس الخوص نصفين، وكان نصف أصغر من الآخر. وقال الأب: خذ ما شئت. فقال له الشيطان: أنت الذي تعبت خذ أنت ما تريد. فدّ القديس يده وأخذ النصيب الأصغر. فللوقت لم يطق الشيطان تواضع القديس، وصرخ بالصوت: الغوث منك يامقاره لقد غلبتنا بكثرة تواضعك. فسأله: ومن أنت؟ فأجابه الشيطان: أنا شيطان النصيب الأكبر] (٥).

ويقول المؤرخ سقراط في كتابه: «التاريخ الكنسي» عن القديس أنبا مقاره الكبير هكذا: [إن مقار المصري قد صنع العديد من الأشياءية، وأخرج كثيراً من الشياطين. وإذا أردنا أن نسجل هذه الحالات جميعها، يعوزنا كتاب بأكمله، لأن نعمة الله مكنته فعلاً من ذلك] (٦).

كما يقول المؤرخ سوزومين عن القديس أنبا مقاره أيضاً هكذا: [إن الشياطين كانت ترتعب منه، وقد أجرى آيات وعجائب وأشفية مذهلة] (٧).

(4) Boll., 15 Jan.; Vit. Patr. III: § 124; V, 15, § 26; VII, 13, § 6.

(5) Amelin., A.M.G., XXV, p. 227.

(6) Socr., Ecc. Hist., IV., 23.

(7) Sozomen, Ecc. Hist., III, 14.

يؤكدون أنهم لم يكتبوا جميع ما عرفوه عن هذه العجائب، لأنه لو كتبت لاحتاجت إلى مجلدات كثيرة. ومع ذلك فقد نقلوا إلينا الكثير من هذه العجائب.

ومن أشهر هذه العجائب أنه جعل ميتاً يتكلم إلى رجل هرطوقي ليقتنه بقيامة الموتي، وبذلك حفظ إيمان شعب بأجمعه. وأهمية هذه الأعجوبة ليس في ذاتها، لكن فيما أدت إليه من نتيجة، أي حفظ إيمان شعب بأكمله:

كان يوجد في مصر بعض الهرطقة، وكان من بين هرطقاتهم عدم الإيمان بقيامة الأموات. وكانوا يُعرفون باسم «الهيراسيت» Hieracites نسبة إلى مبتدعهم «هيراكس» Hierax (٢). وكانوا يقطنون مصر منذ أيام دقلديانوس. وتصادف أن واحداً منهم ذهب إلى البرية التي يقطنها القديس مقاره المصري وكان يسبب القلق والبلبل بين المتوحدين بكلام ملق، بل وتجاسر على أن يتكلم بهذه البدعة أمام القديس شخصياً. وكان القديس يجادله، أما هو فكان يرد على كلام القديس البسيط بكلمات خداع. ولما وجد القديس أن المتوحدين في خطر تززع الإيمان، قال: «ما الداعي لهذا الكلام الباطل الذي يسيء إلى من يسمعنا؟ الأحرى أن نتوجه إلى مقابر الإخوة الذين سبقونا إلى السماء، وليعلم كل منا أن الذي يعطيه الله نعمة إقامة أحد هؤلاء فهو الذي يكون معتقده سليماً». فوافق الجميع على هذا الجواب وذهبوا إلى المقابر. وحث القديس ذلك الشاب هرطوقي على أن يحاول إقامة أحد الأموات باسم الرب، أما هرطوقي فقد طلب أن يفعل القديس ذلك أولاً باعتبار أنه صاحب الاقتراح.

فجثا القديس على ركبتيه وصلّى؛ وبعد أن أتم صلاته، رفع عينيه إلى السماء وقال: «أعلمنا يارب بواسطة إقامة هذا الميت من ميتاً له المعتقد القويم؟» عندئذ دعا باسم أحد المتوحدين الذين دُفِنوا من وقت قريب. فأجابه الميت من قبره، وتقدم الإخوة من الميت ونزعوا من عليه الكفن، وأخرجوه حياً من القبر. ففرّ هرطوقي فرحاً مذهولاً مما رآه. أما الإخوة فركضوا وراءه وطرده من هذه الناحية.

هذه القصة هي بحسب رواية روفينوس. أما باللاديوس وسوزومين فاكتفيا بالإشارة إلى أن القديس أقام ميتاً، ليقنع أحد الهرطقة أن الأموات سيقومون جميعهم يوماً ما. أما كاسيان فينقلها إلينا بأكثر تدقيق، فيقول إن هرطوقي هو «أونومي» Eunomien. وأضاف أن القديس مقاره هو الذي أتى إلى الكنيسة تلبية لدعوة أصحاب الإيمان الصحيح، وأن الاقتراح بإقامة الميت تأجل إلى اليوم التالي، ففرّ هرطوقي هارباً وترك مصر نهائياً. أما القديس مقاره فانتظره مع الشعب حتى الساعة الثالثة بعد الظهر. ولما رأى أنه لم يأت، ذهب إلى الموضع الذي اعتاد أن يدفن فيه المصريين أمواتهم. ووجد هناك ميتاً منذ زمان طويل فتحدث إليه هكذا: «أيها الرجل. قل لنا

(2) On Hierax and his tenets see Epiphanius on Hierax, P.G., XLII, Col. 173 f.

الفصل العاشر

القديس مقاره رجل معجزات

١ - الموتي يقومون.

٢ - موتى يتكلمون.

٣ - بعض أعمال أخرى فائقة.

١ - الموتي يقومون

إن أول انطباع ارتسم في ذهن بالليديوس عند وصوله لشبهت وسماعه أخبار وسيرة القديس مقاره، الذي كان قد مضى عام واحد على نياحته، هو أنه شخصية مهيبة ورجل معجزات. فشهرة القديس مقاره ومكانته بين الشيوخ في نتريا والقلاي وشبهت، على السواء، كانت تستمد قوتها وأثرها في النفوس لسببين: الأول لحكمته الفائقة على حدود التصور، والثاني لكثرة المعجزات المدهشة التي رآها بأعينهم ولمسوها بأيديهم.

ومعجزات القديس مقاره لا يمكن إغفالها عند دراسة حياته بسبب ذبوعها وانتشارها في كافة الأصقاع، مع تأكيدات من الآباء المعاصرين له بصحة حدوثها بكل دقائقها وبأكثر مما يروها المؤرخون عنه، وذلك بالرغم من ارتفاعها فوق مستوى المعقول البشري، مثل إقامة الموتي وإعادة تمهم إلى الحياة، وإبطال أعمال السحر العنيفة، وشفاء الأمراض المستعصية، ومخاطبته جثث الموتي.

القديس مقاره يقيم الموتي (١):

إن تواضع القديس مقاريوس جعله يخفي كثيراً من المعجزات التي كان الله يجربها على يديه، كما أن كثيراً من الظروف والتفاصيل المحيطة بما وصل إلينا من المعجزات مجهولة لدينا. فالمؤرخون

(1) On these miracles see:

- Pallad. Laus. Hist. Macar. of Egypt, ch. 17.
- Coptic. Mss. Zee Zoëga Cat., No. LXX, pp. 127 f.
- Palladius und Rufinus; by Preuschen pp. 124 f.
- Historia Monachor., ch. XXVIII.

لو كان هذا المرطوق موجوداً بيننا ودعوتك باسم يسوع المسيح، ألا كنت قد قتت حياً أمام هذا الشعب الذي كاد أن يُضله هذا المبتدع؟» فقام الميت في الحال وأشار إلى أنه كان سيفعل هكذا. فسأله القديس عن شخصيته، وفي أي زمان عاش، وهل كان يعلم شيئاً عن يسوع المسيح، فأجاب أنه عاش في زمن أقدم الملوك وأنه لم يسمع قط عن يسوع المسيح. فأجابه القديس قائلاً: «ارقد بسلام، وانتظر إلى أن يقيمك يسوع المسيح في نهاية الزمان حسب ربتك».

ويورد كاسيان هذه القصة للدلالة على أن القديسين ما كانوا يسعون وراء عمل المعجزات، بل حتى عندما يمنحهم الروح القدس هذه النعمة كانوا يستعملونها للضرورة القصوى. وأضاف كاسيان في نهاية القصة قوله أن مقار يوس، باتضاعه، أخفى عنا هذه العطية التي أنعم بها الروح القدس عليه. وأنه لولا حاجة المنطقة بأسرها، إذ كانت في خطر الهلاك، ولولا محبته للرب يسوع المسيح، لما قام بعمل هذه المعجزة، ولم يكن المجد الباطل ولا الرغبة في الظهور هي التي دفعته لذلك، بل محبته لمخلصه وتحننه على هذا الشعب.

والملاحظ أن كاسيان راهب ومؤرخ روحاني دقيق، وهو معاصر لزمن القصة، وقد استقاها من الشيوخ، وربما لا يكون قد مرَّ على حدوثها وقتئذ أكثر من عشر سنوات.

كذلك فإن القديس فيلوكسينوس^(٣) المنبجي، يعلِّق على هذه الحادثة بقوله:

[لماذا أنبا مقاره وأنبا شيشاي وأمثالهما أقاموا موتى، وما جعلوهم يبقون في الحياة، بل قالوا لهم ارقدوا إلى زمان القيامة؟ لأنه لا ربح في بقائهم، لا للموتى ولا للذين أقاموهم ولا لغيرهم أيضاً، حسب ما يعلم الله الذي دبر أن يكون هذا الأمر هكذا، وعلى ما كان يظهر للأبء في الرؤيا. أما الموتى، فلأن بعض القديسين لما أقام ميتاً سأله: هل تريد أن تبقى في هذه الحياة؟ فقال: نياح الموت لي أخير من عمل هذه الحياة. أما الذين أقاموهم فلئلا يستمر ظهور آثار آياتهم فيعظم صيتهم ويُقاتلوا بالكبرياء والمجد الفارغ].

٢ - موتى يتكلمون

^(٤) لم تكن تلك المرة هي الوحيدة التي فيها قام القديس بمثل هذه المعجزات. وهذه بعض منها صنعها القديس، ليعين بعض المساكين الذين افتُرِي عليهم.

تصادف أن قُتِل شخص في مكان قريب من القديس مقار يوس، وأنهم شخص بريء بهذه الجريمة، فهرب تجاه قلابة القديس مقار يوس، فلحق به الذين كانوا يطلبونه. وقالوا إنهم هم

أنفسهم في خطر، إن لم يأتوا بهذا المتهم لمحاكمته. أما هذا المتهم المسكين فكان يؤكد بقسم أنه بريء من دم هذا القتيل. أمام هذا النزاع الذي طال كثيراً، سأل القديس عن موضع دفن القتيل. فلما دلَّوه عليه، ذهب معهم إلى الموضع، وجثا على الأرض، ودعا باسم الرب وقال لهم: «إن الرب سيرينا إن كان هذا المتهم هو الذي اقترف هذه الجريمة أم لا». ورفع القديس صوته وخطب الميت باسمه، فلما جاوبه من قبره قال له القديس: «استحلفك باسم يسوع أن تخبرنا إن كان هذا الرجل قد قتلك؟» فأجاب الميت بصوت مفهوم أنه ليس هو الذي قتله. أما الحاضرون فخافوا أمام هذه المعجزة، وسجدوا متوسلين إلى القديس أن يسأله عمَّن قتله. فرفض القديس قائلاً: «لا داعي لذلك، إذ يكفي أن أطلق سراح البريء دون التعريف بالقاتل. فربما يندم القاتل ويتوب، وهكذا تخلص نفسه».

^(٥) ويحكى عنه قصة أخرى تشابه هذه نقلها إلينا الأنبا شيشوي:

[لما كنت في البرية مع الأنبا مقاره، ذهب سبعة منا لحصاد القمح. فكان في الحقل أرملة تلتقط وراءنا وتبكي كثيراً. فلما رآها القديس هكذا حزينة سأل صاحب الحقل عن سبب ذلك، فجوابه صاحب الحقل: «إن إنساناً أودع لدى زوجها مبلغاً من المال ومات دون أن يعرفها بمكان الوديعة، وطالبها صاحب الوديعة، ولما لم تعرف مكانها هدها بأخذها مع أولادها كعبيد». فقال له القديس: «قل لها أن تأتينا ساعة راحة الظهيرة».

فأتت إليهم وحكت للقديس عن سبب بكائها الدائم. فطلب إليها أن تعيَّن له مكان دفنه. فذهب مع الإخوة بصحبته إلى المكان الذي فيه دُفن زوجها، ثم صرفها إلى منزلها، أما هو فأخذ يصلي مع سائر الإخوة، ودعا الميت بصوت عال طالباً إليه أن يعرفه بمكان الوديعة التي استؤمن عليها، فأجاب الميت إنها مخبأة في بيته تحت رجل السرير. فأضاف القديس: «ارقد بسلام إلى يوم القيامة». فانطرح الإخوة تحت قدميه بسبب الرهبة. أما هو فقال لهم: «لم يفعل الله ذلك من أجلي لأني لست شيئاً، وإنما ذلك لمعونة تلك المسكينة والأيتام». ثم ذهب لمقابلة الأرملة وأعلمها بمكان الوديعة. فلما وجدتها ردتها إلى صاحبها، وهكذا أعتقت أولادها.]

^(٦) وقيل أيضاً عنه أنه كان معتاداً الصلاة عن الذين رقدوا وتركوا هذا العالم، فأراد أن يعرف هل كان هؤلاء ينتفعون بصلاته عنهم. فلإستنارته سمح الله أن تحدثت إليه جمجمة— كان قد صادفها في طريقه إلى البرية— تحدثت إليه بمقدار راحة صاحبها بصلوات القديس. وهذه الحادثة مشهورة جداً، وإذ هي غريبة، اكتفينا بالإشارة إليها دون سردها كاملة.

(5) Vit. Patr., L. VI, 2; Cotel.

(6) Vit. Patr., L., VI:3 §16 & L. III §172; Boll. 15 Jan.; Jo. D. def.

(٣) تفسير البراديسوس مخطوطة رقم ٩ س بمكتبة دير أنبا مقار.

(4) Vit. Patr., L. II, 28, L. III, 41.

ولا بد لنا الآن أن نتقل لبعض العجائب الأخرى للقديس .

(٧) كانت هناك امرأة عفيفة وأمينة لزوجها، ولكن كان شخص آخر يجربها . ولما حاول ذلك الشخص كثيراً لتخطيء معه ولم يتمكن من ذلك، قصد إلى ساحر وأعطاه مبلغاً من المال حتى يجعل هذه المرأة تُرضى شهوته أو يجعل زوجها يهجرها . فاستخدم الساحر كل قوة فتنه، إلا أنه لم يتمكن من زعزعة المرأة عن عفتها، وإنما جعل الذين ينظرونها يرونها في شكل الفرس (ربما أصابها بتشنجات «شلل نصفي» في عضلات وجهها جعلت منظرها هكذا). وإذا رآها زوجها بهذا المنظر أخذها إلى البرية حيث القديس مقاريوس (٨).

ويقول روفينوس إنها كانت فتاة عذراء وأن أهلها أخذوها إلى القديس . ولما وصلت إلى هناك، كان حول قلاية رجل الله بعض المتوحدين الذين زجروا زوج المرأة وقالوا له: «لماذا أتيت بامرأة إلى هنا؟» فأجابهم قائلاً: «إن ذلك حتى يتحنن عليها البار (كان يدعو القديس مقاريوس هكذا)». فسألوه عما أصابها، فأجابهم: «ها أنتم تنظرونها وهي تبدو وكأنها في شكل فرس، وهي امرأتى ولا أدري ما الذي أصابها حتى صارت هكذا، وها اليوم الثالث وهي لا تأكل شيئاً». أما الله فقد أوحى للقديس عن مجيء هذه المرأة، فلما أتى إليه المتوحدون وجدوه في قلايته يصلي من أجلها . فأخذها القديس بصحبة أهلها في قلايته، وجثا على ركبتيه مصلياً لله وأمرهم أن يصلوا معه . وبعد أن مسحها بالزيت باسم الرب، انحل هذا المرض، وعاد وجهها كما كان .

(٩) وبدلاً من الزيت - يقول باللاديوس - إن القديس سكب عليها ماءً سبق أن باركه وصل على رأسها، ثم أنه أمر بأن يأتوا لها بطعام، فأكلت للحال . وهكذا أعادها إلى زوجها وهي صحيحة، فقدم كلُّ منها الشكر لله على هذه النعمة العظيمة . أما رجل الله فأوصى هذه المرأة قائلاً: «لا تتأخري عن الكنيسة والتناول من الأسرار الإلهية، لأن مرضك كان بسبب إهمالك التناول» (١٠).

(١١) كان القديس يصنع معجزات أحياناً دون قصد منه . إذ يُحكى أنه كان لشخص من مصر ابن مفلوج، فأتى به إلى قلاية القديس مقاريوس وتركه على الباب، وابتعد . فلما رأى الابن

(7), (9) Laus. Hist., 19.

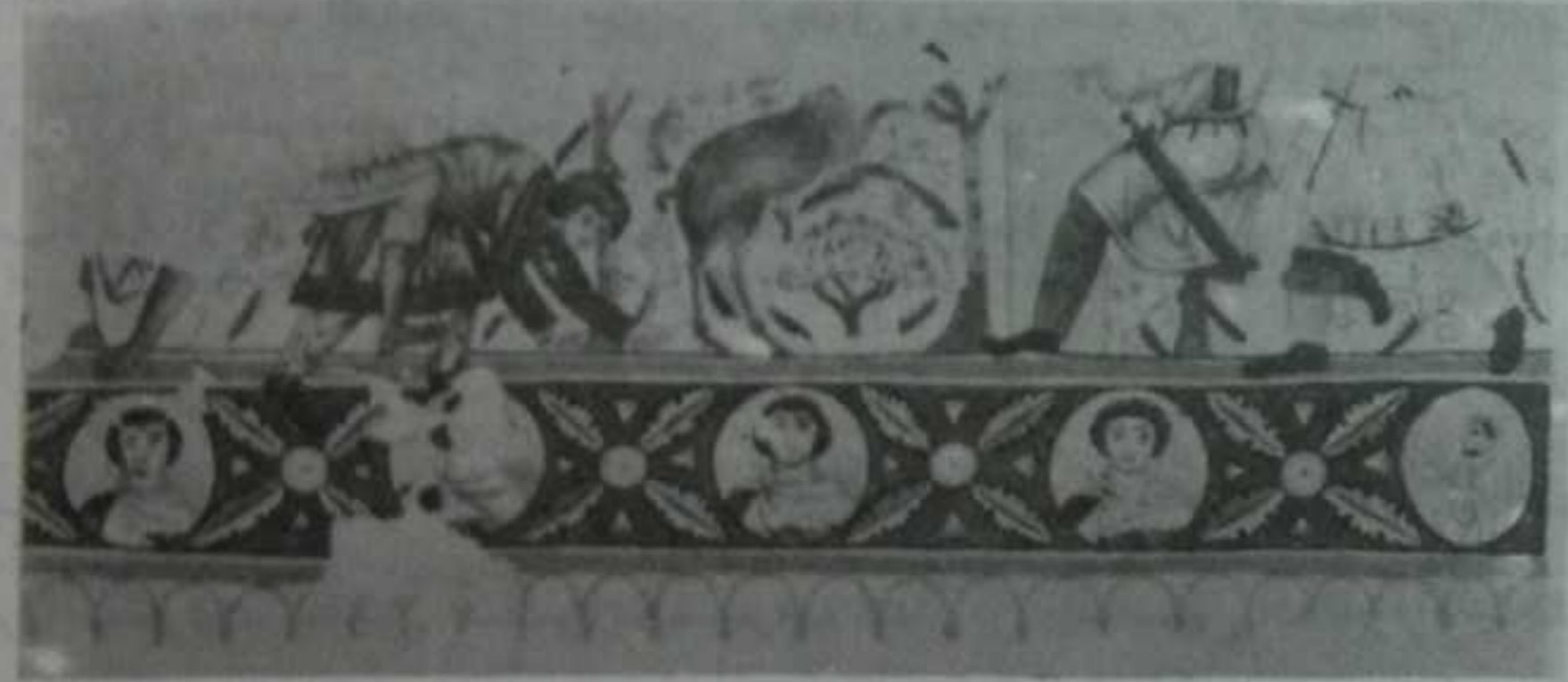
(8) Vit. Patr., L. II: 28.

(١٠) يلاحظ هنا أن القديس لم يعترف لأهل المريضة بأنها أصيبت بسحر ولكن اعتبر حالتها أنها حالة مرضية .

(11) Vit. Pat., L. VI:2; Boll., 15 Jan.

أن أباه تركه، أخذ في البكاء . فلما فتح الشيخ ولم ينظر سوى الطفل وحده، سأله عمَّن أتى به إلى هذا المكان؟ فأجاب: «أبي ألقاني هنا وذهب». فقال له الشيخ: «قم والحق به». فشفي الطفل في الحال، ولحق بوالده . وهكذا عاد الولد إلى بيته مُعافى .

وفي حياة القديس الخاصة، حكى الشيوخ أنه كان دائماً يبدأ يُعان بقوة خارقة، وكان منظر كاروب كبير يرافقه باستمرار (١٢). وحكي أنه عندما كان القديس أباً مقار ماضياً من الإسقيط حاملاً معه بعضاً من الخوص، أن تعب في الطريق وجلس . فصلى إلى الله قائلاً: «يا الله أنت تعرف أنه ما عاد بي قوة». وفي الحال وجد نفسه بجانب البحر (النهر).



رسم حائطي يمثل مشهد لصيد الغزال من دير باو يبط في القاعة رقم ٣٧ - ترجع إلى القرن السادس/السابع

(12) Opoh. P. 219, S. no. 45.

الفصل الحادي عشر

فالنس الوالي يضطهد رهبان مصر وينفي المقارين القديسين

□ □ □ □ □

إلى هنا قدمنا القديس أنبا مقار كمتوحد، كان يخفيه الله في ظل خيمته. والآن سنقدمه جندياً شهيراً شجاعاً ليسوع المسيح، اكتسب بشهادته لقب «المعترف»، لدفاعه أمام العالم كله عن الإيمان المسيحي الأرثوذكسي.

فإن كان الله قد سمح أن البدعة الآريوسية التي كانت تهاجم ألوهية «الكلمة» نشأت في مصر، إلا أنه قد وجد كذلك من يقاومها أشد المقاومة في مصر نفسها. ونحن نعلم جميعاً ما تحمله القديس البابا ألكسندروس من مواقف وأتعاب لإخماد تلك النيران عند بدء اشتعالها. ولقد تبعه في احتمال تلك الأتعاب القديس أثناسيوس الرسولي، ليس فقط من الأشخاص الذين في دائرة الكرسي الرسولي في مصر، بل واحتمل أيضاً أكثر من ٤٦ سنة من اضطهادات الجحيم التي كان يثيرها الأساقفة الأشرار والتي كان يؤيدها حُبث رجال الحاشية والبلاط، بسبب ضعف قسطنطين الملك.

والتاريخ^(١) يحكي لنا أن أشد الناس تمسكاً وغيره على إيمان نيقية كانوا هم متوحدو ورهبان مصر والشرق، الذين كانوا يعتبرون المقارين القديسين الكبير والاسكندراني مع إيسيدوروس وبامو، وهيراكليد Heraclide وسائر تلاميذ الأنبا أنطونيوس كحماة وكرؤساء إيمان؛ هؤلاء لم يحفظوا لأنفسهم نقاوة الإيمان والتمسك به فقط، بل واستخدموا السلطان الذي كان لهم على الشعب بفضل سيرة حياتهم، فكانوا يحثون الآخرين على التمسك به. ولأن عامة الشعب ما كانوا يرغبون في مناقشة الإيمان ذاته بل كانوا يتبعون فقط القديسين في إيمانهم، مقتنعين بأن

(1) For banishing the two Macarii See:

- Theodoret Ecc. Hist., IV, 19.
- Socrate Ecc. Hist., IV, 20.
- Sozomen Ecc. Hist., VI, 20.

الحق في جانب هؤلاء القديسين الذين تظهر فضائلهم بأعمالهم وعجائبهم؛ كان الشعب يحقد بشدة على كل من ينحرف إلى مبادئ أو عقائد تخالف عقيدة الآباء، وكانوا يعتبرونهم كأعداء، على أساس أنهم أشخاص ابتعدوا لا عن الإيمان القويم فحسب، بل وعن الأمانة لآبائهم القديسين.

لهذا السبب يُقال أن مؤمني مصر كانوا يكرهون الأريوسية كرهاً شنيعاً، بسبب مشاعر التبعية الروحية لرهبانهم القديسين.

ولكن هؤلاء الآباء القديسين لم يكن ابتعادهم في البرية حائلاً دون وصول الإضطهاد إليهم. فالهراطقة المتسلحون بسلطان رجال الدولة بعد أن بدأوا باضطهاد وتعذيب الشعب ورؤساء الكنيسة في البلاد التابعة لهم، انتهوا بعزل وقتل كل من يتمسك بالطهارة والوحدة والصوم، سواء من الرهبان أو العذارى المتوحدات. وإن أعمال التوبة كانت مكروهة في نظر الهراطقة. وهكذا تقدّست الرهبنة وأعمال المتوحدين بالاضطهادات. فقد قيل أن تكشف أديرتهم وشدة نسكهم كان إعداداً مباركاً لتحمل الآلام من أجل المسيح. وكان لابد للهراطقة، وهم أعداء الإيمان الصحيح، أن ينضموا في النهاية للشياطين لتكميل آلام القديسين وتطهيرهم.

كان سلطان القديس أثناسيوس — الذي لم يتجرأ فالنس على مهاجمته — يحفظ مصر كلها في سلام. ولكن لما رحل أثناسيوس سنة ٣٧٣ م لينال مكافأته من الله لأجل جهاداته الشاقة، أقيم البطريرك بطرس (الذي اختاره الشعب كله بالإجماع خليفة لأثناسيوس، بل وحتى الرهبان تركوا برّيتهم لتأييده). ولكن سرعان ما نُفي هذا القديس من كرسيه بسبب بطش الأريوسيين، وأجلسوا بالقوة رئيساً كاذباً للأساقفة بدلاً منه يسمى «لوس»^(٢) = Luce «لوقا»، هذا الأسقف الكاذب المعتصب الذي كان له إسم الذئب ووحشيته؛ قام، مؤيداً — كما يقول المؤرخ سقراط — من السلطان الإمبراطوري، بأعمال وحشية فظيعة ضد إكليروس وشعب الإسكندرية وسائر أساقفة مصر^(٣).

هذا الطاغية، بعد أن طرد ونفى البعض، وقتل عدداً لا يُحصى من البعض الآخر إن بالسيف أو بالتعذيب أو بالنار؛ اتجه أخيراً بأسلحة غيظه وغضبه نحو الأديرة، وفتك بسكان البراري، معلناً الحرب على الذين لا يطلبون سوى السلام^(٤).

(2) Socrates H. E., IV, 20f.

(3) هذه الفظائع يصفها خطاب بابوي دوري من أنبا بطرس خليفة أثناسيوس لشعبه احتفظ به المؤرخ ثيودوريت.

Theod. H. E., IV, 19.

(4) Sozomen H. E., VI, 20.

واعتقد بارونيوس أن ذلك حدث مع الاضطهاد الذي أعلنه «لوس» على الشعب المسيحي ساعة دخوله مصر عقب موت أثناسيوس مباشرة. إلا أن جيروم في يومياته Chronique، يذكر أن ذلك حدث في أواخر سنة ٣٧٥ م بعد وفاة فالنتينيان (١٧ نوفمبر سنة ٣٧٥ م)، وأن كثيراً من الرهبان قُتلوا في نتريا بواسطة الولاة والعساكر. وأوروس يقول إن فالنس (إمبراطور الشرق) لم يضطهد متوحدي مصر إلا بعد موت أخيه (فالنتينيان)، فأطلق لنفسه العنان.

ويظهر أن فالنس أراد أن يهاجم سكون الرهبان منذ أول يناير سنة ٣٧٣ م، لأن لدينا قانوناً (مرسوم) مؤرخاً بهذا التاريخ، يقول فيه إن بعض الأشخاص قد تركوا الأعمال التي كان يجب أن يمارسوها في المدن في الموضع الذي وُلدوا فيه، واعتزلوا في البراري والوحدة وانضموا إلى جماعات الرهبان، متسترين تحت مظهر كاذب للتدين، ليُخفوا كسلهم. ويقول هذا المرسوم إن مثل هؤلاء الأشخاص ينبغي أن يُنتزعوا من مغائرهم بواسطة والي الشرق، ويلزموا بتقديم الوظائف الواجبة عليهم نحو وطنهم، وإلا فإنهم يفقدون جميع ممتلكاتهم، وتوهب لمن يقوم عوضاً عنهم بهذه الوظائف.

أقول إن هذه القوانين — نظراً لسوء نية فالنس — ربما قد وُضعت لإزعاج سكون الرهبان. ومع ذلك فلكونها تتضمن في ذاتها بعضاً من العدالة، كما أنها تتوافق مع التعهد الذي كان الرهبان يأخذونه على أنفسهم بأن يتركوا كل شيء من أجل يسوع المسيح، كما أنها لم تفرض على الرهبان أكثر مما كانت القوانين الصادرة عن الرؤساء الأكثر تدينياً تفرضه على الإكليروس؛ لذلك فلا عجب أن نجد هذه القوانين واردة ضمن مجموعة قوانين الإمبراطورين ثيودوسيوس وجوستينيان.

وقال فالنس بهذا القانون قد هيأ لأعدائهم أن يفترخوا عليهم. ولكنه بعد موت أخيه وجد نفسه في كامل حرية لتنفيذ سوء نيته التي ظهرت بوضوح في تجنيد جميع الرهبان في جيوشه، أي جميع الأشخاص الذين تركوا مختلف الأعمال والاهتمامات العالمية، لكي يقصروا نشاطهم على مجرد عمل الإيمان ويقتدوا على الأرض بحياة الملائكة في السماء؛ وهكذا ملأوا البراري الشاسعة وأحصبوا بالثمار الإلهية والفضائل تلك الصحارى التي كانت جدياً موحشة، لكن شيئاً من كل هذا لم يمنع الولاة والجنود من الذهاب إلى هذا المكان لكي يستأنفوا، تحت دوافع جديدة، رعب الاضطهادات القديمة ضد جنود يسوع المسيح الحقيقيين.

أما «لوس» الذي كان قد تعلم في الإسكندرية أن يضطهد يسوع المسيح في شخص أثنم أعضائه، أعني الرهبان الذين يعيشون في الإسكندرية؛ لم تفته فرصة مواتية كهذه من المحتمل غالباً أنه هو الذي أوجدها لتخدم قسوته. وإذا قد حصل على أمر عام موجه من فالنس إلى والي مصر بأن يطرد من الإسكندرية ومن كل مصر جميع أتباع إيمان نيقية الذين سيُرشد عنهم «لوس»

(وكان والي مصر حينذاك هو تاتيان، لأننا نجده قد شغل هذا المنصب مرة ثانية سنة ٣٧٤ و٣٧٦ م)، وفي أثناء ولايته نفى واستبعد أساقفة وكهنة وشمامسة ورهباناً، وذلك بعد موت أثناسيوس؛ قرّر لوس أخيراً أن يهاجم بالسلاح هؤلاء القديسين القاطنين في البراري، بقصد أن يجذب إلى جحوده شعوب المدن إذا ما استطاع أن يوقع أولئك الرؤوس الذين كانوا يساندون الشعوب في الإيمان، ولأنه كان واثقاً أنه لن يوقع أولئك الناس بقوة الإقناع، حاول أن يصل إلى مرامه بقوة السلاح.

لذلك أرسل «لوس» في هذا النوع الجديد من الحرب فرقة من الفرسان والمشاة، قادها بنفسه واختار قوادها وضباطها ومساعدتهم كما لو كان ذاهباً لحرب مع البربر؛ وانطلق على رأس هذه الحملة نحو الإسكندرية مصطحباً القائد العام للجيش المصرية مع ثلاثة آلاف جندي وأمرهم أن يذهبوا ويقتلوا خدام الله الحي. ومن ترتيبات الله العجيبة التي ساعدت على تسجيل هذه الوقائع التاريخية من شاهد عيان، وجود روفينوس المؤرخ في شبيبت في هذا الوقت بالذات، وهو الذي سجّل لنا هذه الحادثة بنفسه، يقول روفينوس (٥):

[ولما وصلوا تلك البراري وجدوا فيها رهباناً (٦) منشغلين في عبادتهم وأصوامهم وخدمتهم، غزلاً بلا سلاح، بل وغير مستعدين حتى للدفاع عن أنفسهم، بل ومصممين على سفك دماهم صوناً للإيمان المستقيم الذي سلّم لهم مرة من القديسين. كما وجدوا في تلك البراري نساكاً عراة، لا يرفعون حتى أيديهم لصد الضربات الموجهة نحوهم، بل يقدمون الرقاب لقبول الموت دون أن يقولوا شيئاً سوى: «مبارك الله في كل شيء»! (٧).

ولكن لا الوداعة ولا المعجزات استطاعت أن تستميل القائمين على تنفيذ «الأمر الأسقي» . وهكذا منعهم أولاً عن مواصلة الصلاة في كنائسهم التي حرّموا عليهم دخولها. ثم تقدموا أكثر مستخدمين السلاح، وصنعوا في هذه البراري شروراً وقسوة وفظائع تفوق كل تصور.

لقد انطبق على هؤلاء النساك ما قيل عن الأبرار القدماء الذين احتملوا الهزء والجلد والعري والقيود والحبس، كانوا يُرجمون ويُقتلون بحد السيف، وكانوا فعلاً تائهن في الجبال والبراري في جلود غنم وجلود معزى، متروكين مذلين مكروبين مضطهدين، مُعتزلين الدنيا في المغائر وشقوق الأرض، هؤلاء الذين لم يكن العالم مستحقاً لهم. ومع ذلك، فقد شهد العالم لهم أعظم شهادة بسبب إيمانهم وأعمالهم والمعجزات التي صنعوها بنعمة يسوع المسيح التي كانت تجري على أيديهم.

(5) Rufinus H. E., II, 3f.

(٦) ما يقرب من ثلاثة آلاف راهب في البراري القريبة أي نتريا والقلالي وأطراف شبيبت الشمالية.

(7) Socrate H. E., IV, 24.

ولكن العناية الإلهية لم تسمح بكل هذه العذابات الواقعة عليهم إلا لتزكية إيمانهم وحبهم وصبرهم، ولخير باقي المؤمنين الذين كانوا ينتفعون بمثال تقواهم.

والقديس جيروم^(٨) وأوروس^(٩) يؤكدان أن جماعات كاملة من الرهبان سفكوا دماءهم في نتريا على أيدي الوالي «لوس» مدّعي الأسقفية، لكن الله لم يسمح بأن تُعرف أسماؤهم، فصاروا شهادة صامتة للجندي السماوي المجهول!

فلما ملأ «لوس» من إزعاج القديسين وانهزم أمام انتصار حبه، أمر القائد بأن يُنقى الآباء الرؤوس الاعتباريين زعماء للطغمة الرهبانية، فأمسكوا بالمقارئين معاً^(١٠). وبعد ذلك مسكوا جماعة من نتريا تتكون من إيسيدوروس، وهيرا كليد، وبموا، وبسيسمينوس، وأدلفيوس، وباقنوتيس وأمونيوس ذي الأذن الواحدة^(١١)، ونفوهم إلى فلسطين. وكانت شهوة الوالي «لوس» أن يقتلع هؤلاء الآباء القديسين بعيداً عن رعيّتهم، ويُخرجهم من مغائرهم، ليبطل فاعلية إيمانهم، فأمر بالقبض على المقارئين سراً أثناء الليل ومعهم شخصان فقط ممن اعتادوا خدمتهم. وتقول المخطوطة: [إن ذلك كان في ٢٣ من شهر برمهات، وهو اليوم الذي نفاهم فيه «لوكيوس»]^(١٢). وأخذوهم إلى جزيرة مصرية محاطة بالمستنقعات في وسط الدلتا^(١٣) لا يقطنها مسيحيون قط، حتى لا يجدوا فيها أية تعزية ولا يمارسوا فيها تديباتهم المعتادة. ويتفق كل من روفينوس وسقراط وسوزومين على أن هذه الجزيرة كانت في مستنقعات الدلتا.

وكان في هذه الجزيرة هيكل قديم فرعوني لأحد الآلهة المصرية القديمة التي كان سكانها يوقرونه جداً الأمر الذي كان يشدد تمسكهم بالوثنية. وعندما اقتربت السفينة التي تحمل القديسين إلى الشاطيء، اضطرب الشيطان، وانزعج، ودخل في جسد ابنة الكاهن الوثني، الذي كان موضع احترام كافة الشعب هناك. فكانت تطلق صرخاتها، وتجري في كل ناحية وسط الشعب، وتصر بأسنانها، ويخرج من فيها لعاب، وتتشنج بطريقة مزعجة؛ ثم انطرحت عند أقدام الرهبان. وحينئذ نطق الشيطان في فيها، وتكلمت كما تكلمت من قبلها العرافة في مدينة فيليبي

(8) Chronicon, anno 379 (Migne, P.L. XXVII col. 697).

(9) Historia adversus paganos, VII, 33, p. 551.

(١٠) يؤكد كل من روفينوس وسقراط أن مقار يوس المصري ومقار يوس الإسكندري نُفيا معاً إلى جزيرة في الدلتا.

Socrates H. E., IV, 24.

(11) Pallad. Laus. Hist., ch. XLVI.

(١٢) المخطوطة ١٨ س — مكتبة دير القديس أنبا مقار — ص ٤٥.

(13) Ruf. H. E., II, 4; Socrates, H. E., IV, 24; Sozom. H.E., VI, 20.

في سفر الأعمال: «يا عبيد يسوع المسيح، ما أُرهب قدرتكم. هل يجب يا عبيد الله العظيم أن تأتوا لتطردونا من المكان الذي نقيم فيه منذ زمن طويل؟»

وبدأ المقاران يصلحيان بالقوة المعطاة لهما من الله، وأمر الشيطان بالخروج. وهكذا اضطرب للهروب، تاركاً الفتاة منطرحة على الأرض (وكأنها مائتة). فصل القديسان من أجلها، وأقاماها، وأعادها إلى أبيها، في تمام صحة الجسد والروح.

وانتهز القديسان هذه الفرصة للكراسة بإيمان المسيح لهذه الشعوب، التي أعدتهم هذه التجربة لقبول الإيمان. وهكذا تغيرت هذه الجزيرة من عبادة الأوثان إلى الإيمان بالمسيح. وكانت الفتاة التي سُفيت، هي وأبوها وجميع أقاربها، أول الساجدين عند أقدام هؤلاء الرسل الجدد سائلين ماذا ينبغي أن يفعلوا ليخلصوا؟ واقتدى بهم كل الذين شاهدوا هذه المعجزة، بل وكل سكان الجزيرة. وكان دخولهم إلى الإيمان بغيرة وحرارة، حتى أنهم هدموا في الحال التمثال الذي كانوا يقدسونه من قبل، وأقاموا كنيسة للمسيح، وقبلوا المعمودية، وتعلموا بفرح كل ما يختص بالإيمان المسيحي. فلم يحتاجوا إلى زمان لكي يصمموا على اعتناق ديانة نظروا براهينها المفحمة، ليس بكلمات بل بمعجزات.

وهناك فقرة في القصة التي تقدمها المخطوطة رقم ١٧ س، بمكتبة دير أنبا مقار، ص ٣٦، عن نفي المقارين؛ تفيد تحديد زمن بناء هذه الكنيسة بدقة لا بأس بها، إذ تقول المخطوطة:

[وكان إيغومانوس الإسكندرية يأتي إلى القديس أنبا مقاره، ليزوره في منفاه وهو في السجن (الجزيرة)، فسأله أبونا أنبا مقاره الكبير أن يأتي إليه بقليل ميرون من خزانة الأب البطريرك أنبا بطرس خليفة أنبا أثناسيوس، فقال له الإيغومانوس إن أنبا بطرس ليس له على الكرسي سوى ستة أشهر وما لحق بعد أن يصلي على الميرون...]. والمعروف أن أنبا بطرس اعتلى الكرسي المرقسي في ١٦ مايو سنة ٣٧٣ م.، وبذلك يكون قد تحدد بناء هذه الكنيسة في جزيرة المنفى حوالي نوفمبر سنة ٣٧٣ م... والمخطوطة تعود وتقول: [إنه تم تدشين الكنيسة بالميرون في ١٠ طوبة وهو تذكار عماد ربنا يسوع المسيح].

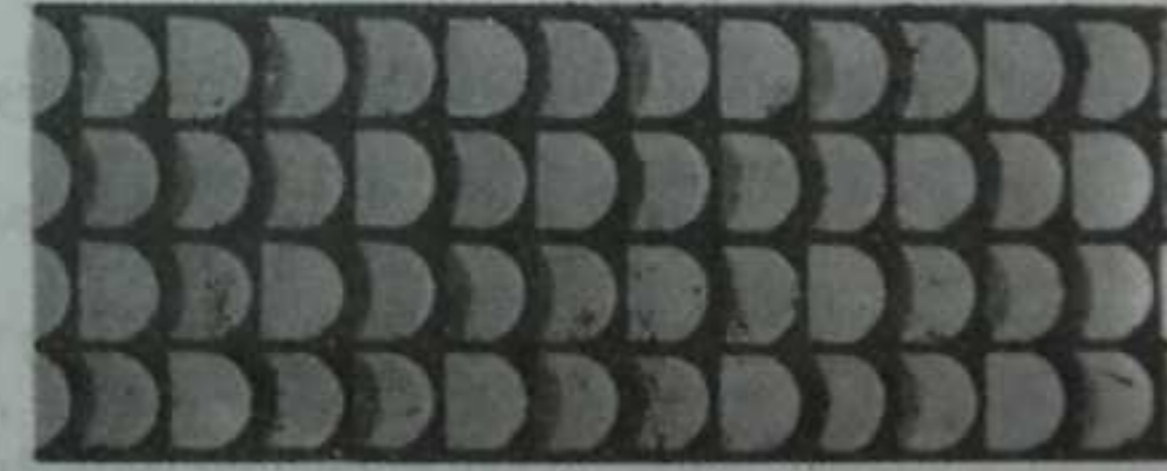
فهؤلاء الرجال الجديرون بكل إعجاب حينما طُردوا من موطنهم لدفاعهم عن عقيدة «وحدة الجوهر»، صاروا أكثر شهرة بالاضطهاد الذي عانوه، وخلصوا ليس فقط نفوسهم، بل وأيضاً نفوس الآخرين، وثبتوا بهذه المعجزات نفس الإيمان الذي كان يُرجى هدمه بنفهم.

فلما عُرف خبر انتصار يسوع المسيح هذا في الإسكندرية، لم يكن غيظ الأسقف الكاذب «لوس» (لوقا) قليلاً، فإنه خاف أن ينقلب عليه الشعب، وخصوصاً الذين هم من حزبه، فيُلام بسبب هجومه على القديسين العظام، وبسبب ظهوره بمظهر من يحارب ليس الناس بل الله ذاته. ولم يكن هذا مجرد خوف، بل حدث بالفعل أن الشعب ثار على هذا الأسقف الكاذب «لوس»

وصب عليه غضبه طالباً من الله أن ينتقم منه، ما لم يطلق سراح القديسين. ولخوف الوالي من النتائج الخطيرة المنتظرة من هذا الشعب، اضطر أن يأمر بإرجاعهم سراً. فتركهم يعودون إلى برارهم ومغايرهم، وكان ذلك في سنة ٣٧٦م^(١٤). وبعد ذلك بسنة واحدة طُرد هذا الأسقف الكاذب الشرير من كرسيه سنة ٣٧٧م. أما جماعة نتريا فعادت، حسب تحقيق بطر، سنة ٣٧٥م^(١٥).

وهكذا كان اضطهاد هؤلاء القديسين سبب مجد لهم وللكنيسة كلها. ويقول روفينوس إنه يروي هذا الاضطهاد كما رآه بنفسه، إذ كان له شرف الاشتراك في الآلام التي يتحدث عنها. ولكن يبدو أن بالليديوس يؤكد أن القديس بموا (بامو) لم يكن مع المقارئين، بل نُفي إلى قيصرية في فلسطين.

ولا تزال الكنيسة القبطية تعيد لرجوع القديس مقاره المصري وزميله الإسكندراني من منفاهما في ١٣ برمهاث (٩ مارس بحسب التقويم اليولياني، ٢٢ مارس بحسب التعديل الغريغوري)، حيث يقتبس السنكسار القبطي الكبير (باسيه) قصة منفاهما، بتدقيق أكثر، كتبها يوليوس الأقفهصي مستنداً على وثائق من سقراط. والقصة بكاملها لا تزال غير معروفة بتدقيق كامل، وهي محفوظة في مخطوطة بياريس^(١٦).



شريط حائطي ملون كان يزين الحنيات الحائطية niches في القاعة رقم ٣٢ في دير باو يط - ترجع إلى القرن السادس/السابع

(14) Socrates H. E., IV, 37.

(15) Butler, H. E., II, p. 226.

(16) B.N., Fonds Arabe, No. 213, fol. 20.

الفصل الثاني عشر خطاب أنبا مقار الأخير ونياحته

□ □ □ □ □

حدث مرة أن أرسل شيوخ جبل البرنوج (نتريا) إلى أنبا مقار يقولون له: «سر إلينا لنشاهدك قبل أن تنصرف إلى الرب، ولا تضطر الشعب كله، أي الرهبان، إلى المجيء إليك». فلما سار إلى الجبل اجتمع إليه الشعب كله (الرهبان) وطلب إليه الشيوخ قائلين: «قل للشعب كلمة، أيها الأب». فقال:

يا أولادي الأحياء...

كثيرة هي أجماد القديسين^(١). وينبغي لنا أن نغير من أجلها^(٢)، ونطلب معرفة تدبيرهم وعملهم، ونفتش لنعرف كيف استحقوا الملكوت ونالوا النعيم في تلك الرتبة؛ لأنهم لم يشتروها ببال، بل كما تحققناه منهم، أنهم اقتفوا فقط آثار القديسين الذين قبلهم.

وقد اقتنوا المسكنة، وتواضع النفس، وانسحاق القلب، والمجاهدة في الصلاة، والمحبة لكل الناس، وخوف الله الذي لم يفارق قلوبهم، والذي لا يبده الغضب، هذه هي فضائل النفس!

وأما الجسد، فرفضوا جميع شهواته؛ وكانوا جوعاً عطاشاً لا ينعمون ذواتهم بشيء من شهوة الدنيا!

بهذا التدبير نالوا هذه الذكصا (المجد أو التسبحة)، وأخذوا إكليل ملكوت السموات. فالآن أي شيء كان لهم وليس هولنا الآن؟ سوى أنهم تركوا كل أهوية قلوبهم من أجل الرب، وحملوا الصليب، وتبعوه، ولم يفصلهم عن محبته شيء آخر؟

(١) «لتعلموا ما هورجاء دعوته وما هو غنى مجد ميراثه في القديسين» (أف: ١٨).

(٢) «حسنة هي الغيرة في الحسن» (غل: ٤: ١٨).

أما نحن فليس فينا حب الله تاماً كاملاً مثل آبائنا القديسين، الذين أحبوا الله حباً خالصاً، ليس فيه غش ولا رياء، ولم يبعدهم عن محبته شيء من أمور العالم البتة، لا مال، ولا أولاد، ولا أهل، ولا امرأة، ولا أخ، ولا سلطان، كمثّل إبراهيم الذي أحب الله حباً تاماً، ولم يشفق على إبنيه اسحق لما أمره أن يذبحه فأطاعه وعمل مرضاته، وكمثّل الشهداء القديسين الذين اختاروا حب الله على حياتهم، وصبروا على صعوبة التعذيب وتقطيع أجسادهم وسفك دمايهم، لأجل محبة الله التي انفرست فيهم وأكملوا قول بولس الرسول: «ما الذي يفرقني عن حب المسيح؟ أشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عُري أم خطر أم سيف، لأن هذه كلها وما هو أعظم منها لا يمكن أن تفرقني عن محبة الله في المسيح».

قالآن يا أولادي قد وجب علينا، إذ قد تركنا محبة العالم ولبسنا زي العبادة واتَّبَعْنَا الرب يسوع، أصبح علينا أن نحبه أكثر من الأهل والوالدين والإخوة والأولاد وكل الممتلكات الفانية التي في العالم، حتى نكمل الوصية ونفوز بتتميم أوامره المقدسة، فننال الطوبى مثل القديسين.

يا أولادي فِرُّوا من الخطية، واصبروا إلى الموت في حفظ وصايا الرب، ولا تقبلوا مشورة العدو من جهة كسر أي وصية مهما كانت صغيرة، لأن كسر أي وصية، صغيرة كانت أم كبيرة، يُغضب الله.

وأنا أريد أن تكون أنفسكم يا أولادي مسكناً دائماً لله، حتى تتفكروا على قريبيكم بالخير دائماً، ولا يكون فيكم من يذكر الشر لأخيه أو يتحرك بالبُغْضَة عليه، فإن القلب الذي يتفكر بالشر والبغضة لا يمكن أن يكون مسكناً لله.

لقد علمتم المكتوب: «إن أنتم أحببتم بعضكم بعضاً، فإن الله يكون ساكناً فيكم». فاقتنوا الحب بعضكم لبعض، لكي تقتنوا لأنفسكم كل تدبير الفضائل الأخرى في رهبنتكم، كل أيام حياتكم.

اكتشفوا عن وجوهكم برقع الظلمة، الذي يمنكم من أن تبصروا حلاوة محبة الأخوة وتعرفوا مقدار كرامة هذه الفضيلة. اسمعوا بولس الرسول كيف يقول: «أنا مسكن الله الحي». فامسكوا هذا في قلوبكم، ولا تقولوا الشر على قريبيكم، أو تُحزنوه، لئلا تُغضبوا الله الساكن فيه!!! لأن كل كرامة يُكرِّم بها الإنسان أخاه هي واصله بالمسيح سبحانه، وكذلك كل ما يُكرِّم به المسكين والغريب، لأنه هو القائل: «مهما فعلتم بهؤلاء فبي فعلتم».

أطلب إليكم، إذن، أن تفروا من كل وقية ودينونة، لأنها تُهلك نفوسكم. أما النفس التي لا تقبل الوقية، ولا تفكر في السوء على أحد، ولا تميل إلى حب الدرهم، ولا تميل إلى شهوات

العالم، فإنها تستضيء مثل الشمس، إذ تصبح نقية سالمة من العيوب. فإن تغلبت عليها الشهوة وَسَعَتْ إلى النجاسة والوقية والحسد وحب الفضة، فإن بقية الخصال الرديئة تكمل فيها، فيُنزَع منها نعمة النقاوة والإستضاءة.

اعلموا أن الحكيم إذا وقع في حفرة مرّة، فإنه يتحرز منها، حتى لا يقع فيها مرة أخرى. واعلموا أنه كما كانت الحية إناءً للعدو، وبواسطتها هلك آدم ووجب عليه الموت؛ هكذا أفعال السوء، فهي مدخل للعدو، الذي بها يُهلك نفس فاعلها. فالواجب، إذن، أن نحفظ أنفسنا جداً لئلا نصير آنية للشيطان.

يا أولادي احفظوا أسماعكم لكي تبقى قلوبكم نقية، واهربوا من كل نجاسة، لأن الذناب في هذا الزمان كثيرة، وهي تسعى لتخطف الخراف الساذجة.

وإن اتفق لأحد منكم أن زكّ وأوجع قلب أخيه بكلام أو وقية، فعليه أن يندم في الحال ولا يعود إلى ذلك، حتى لا يزيد النار حطباً. وإن هو سمع كلاماً ردياً عن أحد إخوته فعليه أن يرد الكلام إلى الصلاح، حتى يملك الحب بينكم والسلام، فيشمر فيكم قول الخُلص: «طوبى لفاعلي السلام لأنهم بني العلي يُدْعَوْنَ». وهكذا يحرص كل واحد منكم أن يمدح أخاه في غيبته، حتى إذا سمع أخوه ذلك عنه يزداد في محبته.

واعلموا يا أولادي هذه الحقيقة: إن في قلب الإنسان «سراً إلهياً». فحتى كان قلب الإنسان غير نقي ونيته غير صافية من نحو أخيه أو صاحبه، فلا بد وبكل ضرورة أن قلب أخيه يحس بذلك، مهما حاول هو أن يتجمل بلسانه نحوه. وكذلك أيضاً من جهة المحبة، إذا كان قلب أخيك يحبك، فلا بد أن قلبك يستشعر بذلك وتحبه. لذلك احرصوا، بكل جهد، أن لا يتغيّر قلب أحد منكم على صاحبه. فإن حدث أن سمع أحد كلاماً صدر من أخيه عنه، ولم يتحقق أنه صحيح أو كذب، فلا يحبّه في قلبه، ويحقد عليه، ويبدأ يحاسنه بلسانه، وقلبه غير نقي؛ فهذه الحال تولد البغضة المُرّة والمقت، وهي تغضب الله.

فالإنسان إذا سمع من أخيه شيئاً يوجع قلبه، عليه في الحال أن يأخذه فيما بينه ويعاتبه عليه، فإن كان صحيحاً، ينبهه أن لا يعود إلى ذلك، وإن كان كذباً، فسيزول ما في قلبه في الحال. ولكن إذا أهمل الإنسان ذلك وتركه جانباً، فإن الحق يتولد فيه شيئاً فشيئاً. وهذا هو هلاك النفس، هنا وفي الآخرة!!

يا أولادي، كل من يسمع التأديب ولا يقبله، ولا يعمل به، فهو خاسر نفسه، و يصبح مُعذَّب النفس دائماً، لا يهدأ له سر أبداً، و يصبح غضوباً حزيناً كئيباً مهموماً مغموماً، كثير الأفكار،

تطالبه نفسه بعمل الشر والكلام الرديء؛ لأن الأدب مثله مثل طريق الملك التي عليها الحراس يحرسونها ليلاً ونهاراً، فكل من يسلكها بالنهار أو بالليل يكون آمناً على نفسه!! أما الجهالة وقلة السمع والإعجاب بالنفس فهي طريق وعرة غير مسلوكة، وكل من مشى فيها ضلّ وتعبد، وربما هلك، لأن اللصوص والدعرة موطنهم هناك!!

وكل من مشى في الطريق المسلوكة واتَّفَق أن عثر في أمر أو عارض، كان عذره مبسوطاً وعلاجه حاضرأ؛ أما من ترك عنه طريق الملك، واختار أن يسير في الطريق الوعرة، فلا عذره ولا علاج.

وأنا أطلب إليكم بكل قلبي، أن لا تغيب الشمس على غضبكم، ولا يبيت أحد منكم وفي قلبه دغل أو حقد من نحو أخيه، فهل يعلم إن كان يدركه المحتوم في تلك الليلة فيمضي إلى الرب وهو ملوث القلب، نجس الفكر؛ فيضيع تعبته ويذهب خاسراً الدنيا والآخرة؟

أنا أوصيكم بأولادي أن تبالغوا في خدمة القديسين (إخوتكم الرهبان)، والمرضى، وادفعوا لهم على قدر قوتكم من عمل أيديكم.

واعلموا أن عمل كل واحد منكم محسوب له، إن كانت خدمة أو صلاة أو مطانيات أو دموعاً أو صوماً، حتى الكلمة الواحدة التي يقولها الإنسان بالمحبة في شأن الله (للتعزية)، أو عمل اليدين، هذا كله محسوب لكم؛ فلا تخافوا بأولادي، لأن مخلصنا لا يظلمنا بشيء، وكل تعب يتعبه أي واحد منا، سوف يُستعلن له وقت خروج النفس من الجسد.

فاستيقظوا، يا أحبائي، ولا يكون الذين يأكلون ويشربون ويرقدون بلا قدر، والذين لا يلومون أنفسهم، يظنون أنهم يتساوون بالذين يتعبون ويسهرون ويحرصون في كل شيء من أجل الله. فاجتهدوا إذن وأحبوا التعب، بل ليكن عندكم تعب الجسد حلواً شهياً، بلا ملل، ولكن ليس بتكثف لأن متكثف الشيء ضعيف القدرة عليه. أما المشتبه التعب فيسعى إليه بنشاط، وفرح قلب، بغير ضجر. وطوبى لمن يبقى في تعبهِ فرح القلب، ويدوم فيه غير متكثف عليه، لأنه باب الفردوس المفتوح.

أما الذي يطيع ضعف الجسد، فإنه يصبح في النهاية غريباً من تلك الخيرات المعدة للمجاهدين، ويتولاه الندم في القيامة، حينما تُستعلن الأكاليل والمواهب السماوية، للذين تعبوا، ويبقى هو بعيداً لا يملك إلا الحزن والكآبة التي لا تنفع!

ماذا يفيد الإنسان إذا تنيح في هذه الدنيا بالطعام والشراب والنعيم الزائل زماناً يسيراً، ثم يقع هناك في العذاب الدائم؟

وأعزّفكم أيضاً أن الذي يلازم فضيلة واحدة من الصلاح ثم يفرط في فضيلة أخرى، فهو يشبه إنساناً أخذ إناءً وملاؤه زيتاً، وأهمل فيه ثقباً، ثم ركب وسافر، فما وصل إلى نهاية سعيه إلا والإناء فارغ مما فيه!! هكذا كل من يربط على وصية واحدة يهتم بها ويسلك في باقي الفضائل بغير صواب، فإن عمله لا يُقبل، وتعبه يضيع. فاحرصوا على حالكم، وميزوا أعمالكم، حتى لا يلحقكم تفریط. ولا يغلب عليكم هوى، لئلا تصيروا مثل من يتصدق بكل ما عنده ويعتقد أنه بتلك الصدقة ينجو من تفریطه في باقي الوصايا؛ أو مثل من يعتقد أنه يخلص بإطعام الخبز أو إضافة الغرباء أو زيارة المحبوسين أو المرضى، وهو مهمل لبقية الوصايا؛ أو كمثل من يجتهد في الصلاة ليلاً ونهاراً، وهو خال من المحبة أو الرحمة وبقية الوصايا؛ أو كمثل من يصوم كل زمانه، ويحرم نفسه من كل خيرات الدنيا، وهو مفرط في الوصايا الأخرى؛ أو مثل من يتمسك بالتعفف والمسكنة، ثم يقتني الإسترخاء والكسل، مقتنعاً أن بتعففه ومسكنته يخلص؛ أو مثل من يلزم الطهارة الجسدية، ثم هو لا يتعد من أفكار الشر والوقية والحسد، معتقداً أن بطهارة جسده ينال الملكوت السمائي.

هكذا كل من تمسك بهذه الوصايا المفردة لا يكاد يبدأ يخلص بها، لأن الوصايا مثل السلسلة، متى انفكت منها عروة تلفت بأكملها، فمن تواني عن وصية من الوصايا ضاع تعبته!

يا أولادي، افهموا كلامي وخذوه، ادخلوه داخل خزائن قلوبكم، لأنه سيأتي وقت تُسألون فيه عن ثمر كلامي وتعطون جواباً عما سمعتموه مني. فلا تجعلوا كلامي لكم سبب دينونة، لأنني إنما كلمتكم لخلاصكم ولصحة أنفسكم.

اهتموا بأولادي بخلاص أنفسكم، وارجعوا إلى الرب بتوبة نقية من الغش، وببكاء وتضرع اعترفوا بمناقصكم، ولا تكونوا كالبهيمة التي لا حس لها ولا حكمة عقل، تقع في حفرة وتعود إليها.

واعلموا أن التوبة قائمة الآن ومستعدة، وكل الفضائل تلحقها، لكل من يجاهد فيها. لأن شأن التوبة جليل، وعظيم هو حسن عاقبتها إلى الأبد. والذين يشبتون على مرارتها، ويتمسكون بمسلكها، ولا تتغير قلوبهم عنها، يأخذون أجراً عظيماً عنها، وينالون الملكوت بسببها، لأن التوبة النقية مفتاح كل الفضائل، وبدء كل صلاح، وسلم الخيرات الأبدية، والذي يقتنيها سهل عليه باقي الوصايا شيئاً فشيئاً.

ولكن التوبة ليست هي عن خطايا الجسد فقط، وإنما عن كل الخطايا سواء للجسد أو للنفس. وكل من اجتهد فيها فهو الرجل الكامل الذي بدأ يبني على الصخر!

يا أولادي أنا أفزع إلى الله، مرتعداً من أجلكم، حتى لا تُصطادوا بفخ الغفلة ولا تميل قلوبكم

إلى اعتياد التهاون، لأن ذلك يبعدكم عن حرارة التوبة، ويورثكم الندامة في النهاية، حيث لا ينفع حينئذ ندم. فما دتم في الجسد، فامسكوا التوبة ولا تدعوها تفلت منكم؛ لأن كل من فارقتها، فقد فارقتة الرحمة، وملكوت السموات. اضرعوا دائماً وابكوا بكاءً قدام مخلصنا، حتى تستحقوا سماع الصوت: «مغفورة لك خطاياك»!! صالح هو مخلصنا، وهو محب للبشر، يفرح بتوبتكم ويطلب من الآب لأجلكم، ولكن لا تتهاونوا أنتم بطيبة قلبه وترجعوا إلى خطاياكم، فتصبح الطلبة من أجليكم بلا نتيجة.

فن هو الجاهل إلا الذي ترك عنه التوبة، واستكان إلى الإسترخاء والغفلة، فينهدم كل ما بناه بالتعب والدموع. أحبوا إذن حلاوة الجهاد، لأن التعب والحرص يأتي بالإنسان إلى النياح، ويشفي جميع أوجاع قلبه، ويجلب له خيرات السماء، وفي النهاية يصير مسكناً للروح القدس.

فلنستب مادام لنا زمان، قبل أن يبلغ الوقت، ونُدعى للخروج من الجسد؛ لأن التوبة هي لزمان قليل بعد، لأن الذي يموت في خطايه، يقول الله إني لا أذكر له شيئاً من صلاحه. إذن فلنحرص من الآن، حتى نجد عزاءً في زمان الشدة، كالفلاح الذي إذا لم يتعب ويحرق ويزرع في زمان الشتاء، لا يجد في زمان الجفاف ما يجمعه إلى مخازنه ولا ما يقنات به.

هكذا نحن، فليحرص كل واحد منا على قدر قوته؛ فإذا لم نقدر كلنا أن نكمل مع الكاملين، فلا بأس أن نكون دونهم؛ ولكن لا نكل بأحبائي في الجهاد، لنشارك أحياء المسيح، ولا نكون مع ذلك العبد الذي دفن فضة سيده ولم يعمل شيئاً. نحن نجاهد على قدر قوتنا، مهما كان قليلاً، لأن إلهنا صالح، وهو يكافيء، عوض القليل، الكثير.

ولنجهتد لنتشبه دائماً بالصالحين، لئلا نندم عندما نجدهم في النهاية في مجد عظيم، فنبدأ نلوم أنفسنا قائلين: باليتنا كنا سلّمنا أنفسنا للموت في الجهاد، حتى نرث هذه النعمة مثلهم! طوبى يا أولادي للذين يعملون الآن بكل قوتهم، فإن ساعة واحدة في ذلك المجد والراحة تُصيرهم ينسون كل تعبهم، احرصوا إذن لئلا تُعدموا تلك النعمة! مكتوب في رسالة بولس الرسول أن اهتمام الجسد موت واهتمام الروح حياة، فليكن اهتمامنا الآن هو في الروح، لكي نحيا إلى الأبد، ونرث النعيم الدائم.

يا أولادي، أنا أعطي وصيتي لكل واحد منكم، أن لا يدنو من الأسرار المقدسة إلا وهو مستبرئ نفسه (يحاكمها فيجدها بريئة). أما إذا كان بينه وبين أخيه وجُد (حقد) فليمض إليه، ويصالح قلبه، ويضرب له مطانية (توبة واستغفار)، وبعد ذلك يتناول من الأسرار الطاهرة؛ عاملين أن محبة الأخوة ومصالحة قلوبهم بعضهم من نحو بعض هي النعمة كل النعمة، وهي العبادة وهي الملكوت.

وأما الغضب، والحقد، والتعير (الشماتة)، والحسد، والبغضة، والغش، والرياء، فهذه هي صناعة العدو الملعون؛ ومن يتبع شيئاً منها فهو يتشبه بالشیطان و يشغل بصناعته؛ والذي يطلب خلاص نفسه، يهرب من هذه جميعها.

واعلموا أن مخلصنا لم يقايل الشيطان بارتفاع لاهوته، لكنه وضع نفسه وتنازل حتى غلب كبرياءه وتجبره؛ وعلمنا أن نقاتله بهذا التدبير حتى نغلبه؛ فلنلحق باتضاع معلمنا، حتى يعطينا الغلبة في قتال عدونا.

يا أحبائي، اجعلوا أنفسكم غرباء عن هذا العالم، لكي تصيروا أهلاً للخيرات الأبدية.

أول معصية، كانت بسبب الطعام في الفردوس؛ وأول الجهاد الذي جاهد به مخلصنا، حتى غلب العدو، هو بالصوم. فلنجاهد إذن كما علمنا، ونتقدم الآن إلى جهاد الصوم، بحيث يكون تعبته حلواً عندكم، واطلبوا الزيادة حتى تأخذوا المكافأة مضاعفاً.

واعلموا أن صوم الأربعين المفروض علينا، ليس الجهاد به وحده يدخل بنا إلى الملكوت، وإنما صوم الأربعين هو الخميرة للسنة كلها، فيجب أن نوقه باحتراس؛ لأن الخميرة إذا فسدت، أفسدت العجين كله.

والصوم مربوط بعدة فضائل، لا يثمر إلا معها وبها، وجميعها أنتم تعرفونها؛ فاحترسوا في صومكم من الغفلة، لأن أعداءنا الذين يحسدوننا إذا هم ظفروا بنا لن يرثوا هلاكنا؛ وكلما غفلنا نحن، ازدادوا هم حرصاً على هلاكنا؛ فلا تُفرحوا أعداءنا، ولا تُكملوا مشيئة مبغضينا، لأنهم يريدون تبديد أتعابنا.

وفي أيام الخماسين، إذا لم تقدرُوا أن تصوموا أو تضربوا مطانيات، فالزموا السهر وقراءة الكتب الإلهية، بنشاط، وتمموا خدمتكم بحرص، ولا تتوانوا عن الذهاب إلى الكنيسة، بمخافة؛ واعلموا أن الملاك الموكل بالسرائر المقدسة يعلم المستحق ويفرح به ويطوّبه، أما غير المستحق فيحزن عليه ويعطيه الويل لأنه إنما يأخذ ناراً في جسده.

فاحترسوا يا أولادي وتحفظوا، حتى لا يتقدم أحد إلى الأسرار المقدسة وهو في شك بسبب من الأسباب، لئلا يهلك وهو لا يدري.

واجعلوا دخولكم في الكنيسة مبكراً، لتسمعوا المزامير والتسبحة ثم قراءة الكتب — كما علمنا الرسل في قوانينهم — قبل أن تأخذوا جسد المسيح ودمه المحيي، لأنه يطرد من نفوسكم كل قوات الظلمة و يظهر قلوبكم من كل دنس، لأنه شفاء للنفس وبه تنحفظ من كل قوات العدو، كما قال سيدنا: «كل من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيّ وأنا فيه».

أما الذي يتهاون ويدوم بلا قربان، فإن قوات الظلمة تقوى عليه، وتدنس قلبه، ويكون غريباً من النعمة التي أعطاها له مخلصنا.

فينبغي لنا أن لا نترك في أنفسنا علة تمنعنا من تناول، فنكون ملازمين نقاوة الضمير وطهارة النفس، متحدّين دائماً بالمسيح، لأنه بذلك ننتق من سلطان العدو، ولا يبقى له فينا مطمع، ولا يجد إلينا سبيلاً لخسارة أنفسنا وهلاك تعبنا وإبعادنا من خالقنا.

فتيقظوا بالروح، وامتثلوا بالإيمان، حتى تمضوا إلى الرب بدالة، ووجوهكم مكشوفة، وأعمالكم نيرة، لتستحقوا الدخول إلى أورشليم السماوية، وتناولوا الإكليل الذي لا يبلى؛ وطوى لمن وجد ذلك عند ظهور مخلصنا يسوع المسيح الذي له المجد مع أبيه وروح قدسه إلى أبد الدهور. آمين.

+ + +

ثم أنه في نهاية حديثه قال لهم: «أيها الإخوة ليتبك، ولتسيل دموعنا من أعيننا الآن، قبل أن نمضي إلى حيث تحرق دموعنا أجسادنا بدون نفع». ثم بكى أنبا مقاره، فبكى الكل معه، وخرروا على وجوههم قائلين: «أيها الأب صل لأجلنا».



نباحته

وتقدم أنبا مقاره في الأيام، وشاخ جداً، حتى بلغ سنّه تسعين سنة. وفي المخطوطة القبطية يقول سيرابيون إنه عاش سبعة وتسعين سنة.

[وكان يحمله أولاده، ويجلسونه في حوش قلايته، وما كف عن صراع الشياطين، وما كفت الشياطين عن الصراع معه، حتى في هذه السن، إذ كانوا يحاولون اقتحام قلايته عليه (1). وكان أولاده يجاهدون في ترفيه وهو في كبره، ولكنه لم يتخلّ قط عن نسكه، مع إظهار شكره ولطفه لكل من كان يخدمه. ولم تكن الأحزان تقلقه، وكان متيقظاً في قلبه بالنعمة التي منحها له الرب منذ صباه وإلى شيخوخته، ولم تفارقه. وكانت نفسه قوية بالله وهو ضعيف أكثر من أيام صحته. وضعف جسده من طول السنين، وانحلّ لحمه من الأتعاب والأعمال المتعبة التي كان يقوم بها طول حياته، غير أعماله التي كان يفعلها في السر، لأن تجاربه كانت روحانية، والذي كان يفعله ما كان يشعر به إنسان. وإلى وفاته كان متحفظاً جداً من السُّبح (المجد) الباطل، كما أمر من الكاروبيم. ونقص أيضاً ضوء بصره من كثرة السهر والتعب وطول السنين، لأن حياته بلغت سبعة وتسعين سنة، حتى بدأ يرقد على الأرض من كثرة ضعفه. وكان تلاميذه يحيطون به، وكان يعزي كل واحد على قدر رتبته ويقول: «الله يعلم أنني ما كتمت عنكم شيئاً، بل خاطبتكم دائماً بما أعلم أنه ينفع أنفسكم، وعملت بينكم على قدر قوتي، وكلفت نفسي دائماً حتى لا أصير سبباً لاسترخاء أحد منكم، لا كبير ولا صغير، ولا نمت قط ليلة واحدة وفي قلبي غضب على أحد منكم، ولا تعدّيت أعمال الله، ولا تجاوزتها، ولا نقضت محبتي لله، ولا محبتي لإخوتي المعروفين لله ولكل الخليقة، الرب يعلم ويشهد عليّ؛ لأنه قال لي مرة: إنك يامقاره لم تصل بعد إلى درجة أعمال المرأتين، لذلك كان تفكيري فيها باستمرار، أما الظفر والغلبة التي نلتها على العدو فكانت بالقوة والنعمة اللتين نلتها من الله. فلا أذكر قط أنني عملت شيئاً بقوتي بل كل ما عملت من أشفية أو رحمة كان بيد قوة الله المقدسة. فاهتموا بإخوتي بخلص أنفسكم وتيقظوا لأني بعد قليل سأؤخذ منكم».

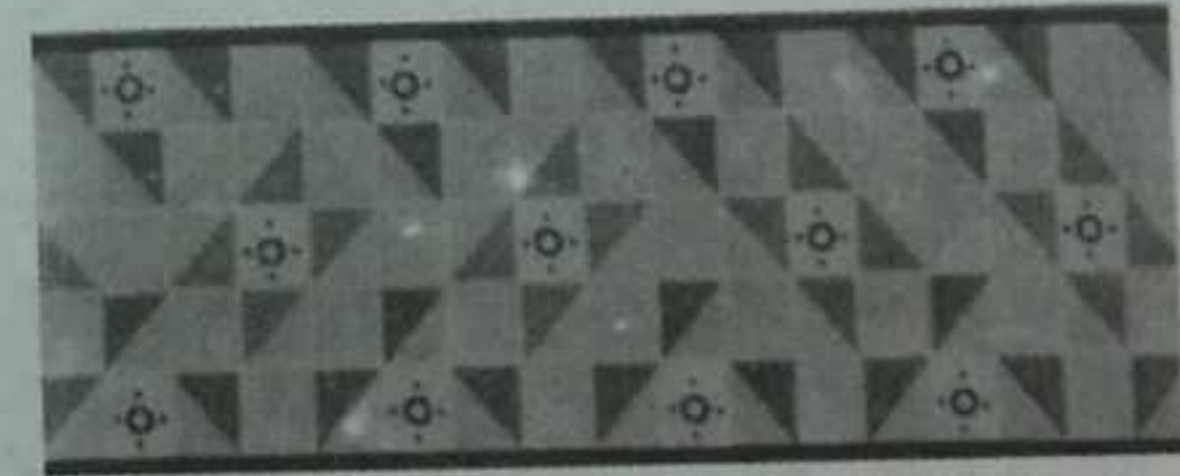
وبعد الكلام معهم صرفهم. وكان كل الرهبان يحبونه ويخافونه كما يخافون الله، لأنه كان بينهم كقائد الجيش الذي يقوي ويعزي جنوده، وأدخله تلميذه إلى مغارته (في الداخل) وانضجع. وفي نحو الساعة السابعة ظهر شخصان قديسان مضيئان، وعليهما مجد وجلال إلهيين، وكل منهما يبتسم إلى الآخر، وتكلم واحد منها معه قائلاً: «أما تعرف هذا الآخر؟». أما هو

(1) Amélin, A.M.G., XXV, p. 96.

فسكت، كعادته، لأنه ما كان يجاوب أحداً بسرعة، بل يتمهل ثم يجاوب، فقال له: «إنه الأب باخوم أب رهبان دوناسة، وقد أرسلنا الرب إليك لندعوك، فاهتم الآن بما تريده، فإنك بعد تسعة أيام ستخلع عنك هذا الجسد، وتأتي لتسكن معنا»، ثم غابا عنه.

وظل الأب مطروحاً على الحصير، لا يستطيع أن يقوم من الوجع الصعب، لأنه كان ملتئماً بالحصى كالنار. وفي اليوم السابع والعشرين من برمهاات ظهر له الكاروبيم، الذي كان معه منذ الإبتداء، ومعه جمع كثير من الروحانيين، وقال له: «أسرع وتعال فإن هؤلاء كلهم ينتظرونك». فصاح أنبا مقاره بصوت خافت قائلاً: «ياسيدي يسوع المسيح حبيب نفسي اقبل روحي إليك». وأسلم الروح. ولم يكن في هذه اللحظة معه أحد إلا تلميذه؛ فلما تسامع الإخوة خبر نياحته، اجتمعوا من أطراف الجبل من الأربعة الأديرة، باكين من أجل شعورهم باليتم، لأنه كان أباً لكل واحد منهم، وتقلدوا منه جميعاً طريق مخافة الله. واحتاطوا بالجسد في الكنيسة، يتباركون منه، ويقبلونه. وصلوا جميعاً عليه، وقدموا القداس، واشتركوا جميعاً، ثم حملوا الجسد الطاهر إلى المغارة التي بجوار البيعة، التي بناها هو في حياته، ووضعوه هناك، وانصرفوا إلى قلالهم بحزن عظيم.

وكان الأب بينودة (بافنوتوس) رئيس التلاميذ يعزهم، لأن الأبوة والرياسة والتدبير انتقلت إليه بعد نياحة القديس، وقد كان رجلاً قديساً صالحاً مجرباً في كل الأمور متواضعاً بالأعمال [٢].



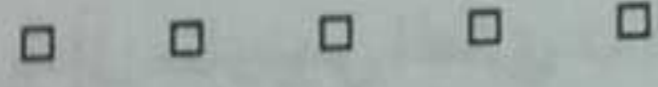
شريط حائطي ملون كان يزین الحنيات الحائطية niches في القاعة رقم ٣٢ في دير باويط — ترجع إلى القرن السادس/السابع

(٢) مقتطفات من الصفحات الأخيرة لسيرة الأب الطاهر أنبا مقار بقلم أنبا سيرابيون، مخطوطة رقم ١٨ س بمكتبة دير أنبا مقار. راجعناها على السيرة التي حققها أميلينو في كتابه باللغة القبطية.

الباب الثالث

آثار القديس أنبا مقار المدونة

الفصل الأول كتابات القديس أنبا مقار الكبير



الكتابات المنسوبة للقديس أنبا مقار الكبير كثيرة، ولكن قام العلماء مؤخراً بفحصها وتحليلها ونقدها. وقد غالى الكثيرون منهم في نقدها حتى لم يُبقوا على الكتابات المنسوبة لقديسنا الكبير سوى رسالة واحدة، لا توجد إلا باللغة اللاتينية والسريانية، بعنوان: «الرسالة إلى الأبناء الروحيين» Ad Filios Dei، مستندين في صحتها على شهادة المؤرخ القديم جناديوس، حيث يقول عنها:

[مقار يوس الراهب المصري تميز بشيئين: بمعجزاته وبفضائله. وقد ترك رسالة واحدة وجهها إلى المبتدئين من بني طقسه، وفيها يعلمهم أن كل من يصل إلى معرفة نفسه، يستطيع أن يعبد الله، إن هو أسلم ذاته لجميع الجهادات، ضابطاً نفسه في كل شيء، على أن لا يكف في نفس الوقت عن الدعاء والتوسل، طالباً معونة الله، فإنه يصل إلى طهارة الطبيعة، و يبلغ حالة العفة، كهبة، تُمنح لطبيعته] (1).

ونظراً لأهمية هذا الخطاب من الوجهة الرهبانية التعليمية، قننا بالبحث عنه حتى أعاننا الله وعشرنا على ترجمة فرنسية حديثة له من اللغة اللاتينية، وهي أول ترجمة بلغة حية تظهر في العالم، وقد قدمنا الخطاب مع مقدمته في هذا الفصل.

وعدا هذه الرسالة الأصيلة توجد ثماني رسائل أخرى منسوبة للقديس أنبا مقار، وقد تضافرت آراء العلماء جميعاً على عدم صحة نسبتها للقديس أنبا مقار. ولكننا بالبحث في مخطوطات الدير وجدنا للقديس رسالة هامة باللغة العربية شديدة الصلة بروح القديس أنبا مقار وأسلوبه الإنجيلي في التدبير الرهباني، ونعتقد أنها أصيلة ولو أننا لم نعثر على أصولها بعد باللغة القبطية أو اليونانية، ونقدم هنا للقارىء الرسالة المترجمة عن النسخة الفرنسية:

(1) De Viris illustribus, C. 10, P.L. 58, 163. Quasten, III, p. 166.

رسالة القديس مقاريوس إلى أولاده

مقدمة

من كل الكتابات المنسوبة إلى مقاريوس المصري — الكبير — يوجد عمل واحد يرجع أنه أصيل، وهو رسالته لأولاده الروحانيين، وهي عبارة عن مقالة مختصرة عن الحياة النسكية؛ لم يجد لها العلماء أي أصل باللغة اليونانية، لكنها وصلت إلينا في ترجمة لاتينية وأخرى سريانية. وقد نشر Dom A. Wilmart النص اللاتيني نشرة علمية^(١)، وقد جمع Baumstark أهم المخطوطات السريانية التي تحويه^(٢)، كما درس Marriott الاختلافات بينها^(٣).

ولم يقل العلماء حتى الآن (سنة ١٩٦٢) قولاً قاطعاً بالنسبة إلى أصالة هذا الخطاب، غير أنهم قد وجدوا أجزاءً منه في مواضع متفرقة من مجموعة كتابات خاصة بمقاريوس باللغة القبطية كان قد نشرها E. Amélineau في نهاية القرن السابق^(٤). وبذلك يكون هذا الخطاب في الأصل مجموعة أقوال لمقاريوس، دونها تلاميذه أولاً، كما وردت في المجموعة القبطية، أو العكس!

أما ورودها في هذه المجموعة القبطية القديمة والأصيلة فهو دليل كاف على أصالتها. وهذه الرسالة هي الكتاب الوحيد لمقاريوس الذي ذكره له العلامة Gennadius de Marseille في كتابه De Viris illustribus. والأرجح أنه دون أصلاً باللغة القبطية، ثم تُرجم إلى اليونانية، ومنها تُرجم إلى اللاتينية والسريانية.

ومهما كان من أمر، فإن هذا الخطاب قريب جداً من حيث الألفاظ والمعاني الروحية

(1) A. Wilmart, La lettre spirituelle de l'Abbé Macaire, Revue d'Ascétique et de Mystique, 1 (1920) 58, 83. والنص منشور أيضاً في P.G. 34, 406 بدون تحقيق علمي.

(٢) و (٣) المرجع في الأصل الفرنسي.

(4) E. Amélineau, Histoire des monastères de la Basse-Egypte (تاريخ أديرة الوجه البحري) منشور في مجموعة: Annales du Musée Guimet, T. XXV, Paris, 1894.

وقد نُشر فيه الكتاب الذي عنوانه: «فضائل القديس مقاريوس» طبقاً للمخطوط Vatican copte 64، وهو يتضمن نصاً قبطياً — غالباً هو الأصل — للخطاب الذي نشره من فقرة ٨ إلى الآخر. (من فقرة ٨ — ١٢ حرفياً ثم من فقرة ١٣ إلى الآخر مع بعض الاختلافات، كما أن الفقرتين ١ و ٢ موجودتان في مكان آخر من نفس المرجع).

لرسائل أموناس تلميذ أنبا أنطونيوس (المعروفة برسائل القديس أنطونيوس). كذلك فإن أسلوب الخطاب نجده قريباً أيضاً لبعض ما ورد في حياة أنبا أنطونيوس بقلم أثناسيوس. وهذا التشابه يكتفي لنقطع بكل تأكيد أن هذا الخطاب يرجع إلى الجيل الأول للرهبنة في مصر. لذلك فله أهمية قصوى.

وحتى وإن كانت هذه الرسالة قد تكونت في الأصل من أقوال متفرقة لمقاريوس دونها تلاميذه، فهي بوضعها الحالي مرتبة ومنسقة. فنحن نجد فيها وصفاً كاملاً للجهد الروحي وشروطه ونهايته. أي أنها بحث روحي مختصر، وتعتبر من أهم وأول الأبحاث الرهبانية من هذا النوع.

والترجمة (الفرنسية) الحالية تعتمد على النسخة اللاتينية للرسالة التي نشرها Wilmart، مع الرجوع أحياناً إلى النسخ اللاتينية الأخرى، والنسخ السريانية. كذلك رجعنا أيضاً إلى الأجزاء من الأصل القبطي للرسالة (الموجودة في كتاب Amélineau).



إفريز من الحجر المحفور مأخوذ من القاعة B في دير باويط (قرن ٧/٦)
[متحف اللوفر بباريس]

نص الرسالة

رسالة القديس مقاريوس الراهب إلى أولاده.

١ - حينما يبدأ الإنسان يعرف ذاته، ولماذا خُلق، و يبحث عن الله خالقه، فإنه يتوب أولاً عن كل ما اقترفه في زمن توانيهِ. وهكذا يعطيه الله الرؤوف حزناً على خطاياهِ.

٢ - ثم يعطيه، بنفس الرأفة، أن يُتعب جسده بالأصوام والأسهار، وأن يثابر على الصلاة ويحتقر العالم، كما يمنحه أن يحتمل الإهانات، برضى، ويبغض كل نياح الجسد، ويفضل البكاء على الضحك.

٣ - ثم يعطيه اشتياقاً للدموع والبكاء، ومسكنة في قلبه، وتواضعاً، كما يعطيه أي يرى الخشبة في عينه دون أن يحاول إخراج القذى من عين قريبه، وأن يردد باستمرار: «إني عارف بإثمي وخطيبي أمامي في كل حين» (مز ٥١: ٣)، وأن يتفكر في يوم موته وفي مثوله أمام الله، وأن يتصور الدينونة والعذاب، وأيضاً الأجر والكرامة التي تعطى للقديسين.

٤ - وحينما يرى الله أن هذه الأشياء تحلوه، يعرضه للتجربة، ليراه هل يرفض الشهوات، وهل يثبت أمام هجمات ولاية هذا العالم الذين غلبوه من قبل، وأمام ملذات الأطعمة المتنوعة التي تُضعف القلب. فتصل به الحال (تحت التجربة) إلى أنه يعجز تقريباً عن الصوم، ويكاد يستسلم، منهزماً بضعف الجسد وطول الزمان، لأن أفكاره المعادية تقول له: «كم من الزمان تستطيع أن تحتمل هذه الأتعاب؟»، وأيضاً: «إنه لتعب مرير أن تستحق حلول الله فيك، لاسيما وأنك قد أخطأت بهذا المقدار»، ثم أيضاً: «هل يستطيع الله أن يغفر لك كل هذه الخطايا؟».

٥ - ولكن حينما يتيقن الله أن قلبه يبقى ثابتاً في مخافته، وأنه لا يترك المكان الذي جاء ليسكن فيه، بل يقاوم بشدة، فإنه يسمح بأن تأتيه أفكار أخرى توحى له قائلة - وهي متخذة فرصة ببه: «صحيح أنك أخطأت، غير أنك قد قدّمت توبة، فقد صرت منذ الآن قديساً»، وتذكّره بخطايا بعض الناس الذين لم يتوبوا، وبذلك تزرع المجد الباطل في قلبه.

٦ - ثم أن الأبالسنة لا تكتفي بذلك، بل تجعل أيضاً بعض الناس يمتدحونه بإفراط، ويدفعونه إلى أعمال لا يقدر أن يقوم بها؛ وتوحى له بأفكار، كأن يمتنع عن الأكل أو الشرب أو يغالي في السهر، وبأفكار أخرى كثيرة يطول ذكرها؛ بل وتعطيه سهولة للقيام بها، محاولة بكافة الوسائل أن تجتذبه إليها (أي إلى هذه الأعمال) مع أن الكتاب يحذر قائلاً: «لا تَمِلْ يَمْتَنَةً ولا يَسْرَةً بل اسلك في الطريق المستقيم» (راجع أم ٤: ٢٦ و ٢٧).

٧ - ولكن إن لاحظ الله أن قلبه لم يميل إلى أي من هذه التجارب، التي سبق داود فتكلم عنها قائلاً: «جربت قلبي وافتقدته ليلاً. محصنتي بالنار لكن لم يوجد فيّ إثم» (مز ١٧: ٣)، حينئذ ينظر إليه الله من سمائه المقدسة ويحفظه بلا عيب. ولاحظوا جيداً أن داود لم يقل «نهاراً» بل «ليلاً»، لأن خداعات العدو هي ليل، كما يقرر أيضاً بولس الطوباوي: «إننا لسنا أولاد ظلمة بل أولاد نور. فإن ابن الله هو بالحقيقة «نهار» بينما يشبه إبليس بـ «الليل»».

٨ - ومتى تجاوزت النفس كل هذه المحاربات، فإن الأفكار المعادية توحى لها بشهوة الزنا (والنجاسة). وفي كل ذلك تشعر النفس بضعفها، و يذبل القلب، لدرجة أنه يتوهم أن حفظ الطهارة أمر يستحيل عليه؛ فإن الأفكار، كما قلت، تبين له طول الزمان، من جهة، وصعوبة الفضائل، من جهة أخرى، وكم أن حملها ثقيل لا يُحتمل، وتضيف إلى ذلك أيضاً ضعف جسده وهوان طبيعته.

٩ - وإن لم يكل أمام هذه المحاربات، فإن الله الرؤوف والرحوم يرسل له قوة مقدسة، ويشبّت قلبه، ويعطيه الفرح والنياح والقدرة على أن يقوى على أعدائه، بحيث أن هجومهم عليه لا يخزيه، لأنهم يخافون القوة الساكنة فيه، هذه التي قال عنها القديس بولس: «جاهدوا فتنالوا قوة» (كو ١: ٢٩)، والتي تعرض لها أيضاً الطوباوي بطرس في حديثه عن «الميراث الذي لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل، محفوظ في السموات لأجلكم، أنتم الذين بقوة الله محروسون بالإيمان» (١ بط ٤: ١٤-٥).

١٠ - ومتى رأى الله الرؤوف المتحنن أن قلبه قد صار أقوى من أعدائه، فإنه يسحب عنه بالتدريج القوة التي كانت تسنده، و يسمح لأعدائه أن يهاجموه بنجاسات الجسد

المختلفة وبشهوة المجد الباطل والعظمة، وبتجارب الخطايا الأخرى التي تجذب إلى الهلاك، حتى أنه يكاد يشابه سفينة بلا دفة، تتخبط من كل ناحية على الصخور.

١١ - ولكن متى صار قلبه وكأنه قد ذبل، وكاد أن يكون قد عثر في كل من تجارب العدو، فإن الله محب البشر والمعتمدين بخليقته يرسل فيه قوة مقدسة، ويثبتته، ويخضع قلبه ونفسه وجسده وكل أعضائه إلى نير الباراقليط، لأنه هو قد قال: «احملوا نيري عليكم، وتعلموا مني، لأني وديع ومتواضع القلب» (متى ١١: ٩).

١٢ - وهكذا يبدأ الله الرؤوف، أخيراً، يفتح أعين قلب (الإنسان)، لكي يفهم أن (الله) هو الذي يثبتته، وحينئذ يبدأ الإنسان يتعلم بالحقيقة كيف يعطي مجداً لله بكل تواضع وانسحاق قلب، كما يقول داود: «الذبيحة لله روح منسحق» (مز ٥١: ١٧)، لأنه من صعوبة ذلك الجهاد، يتولد التواضع وانسحاق القلب والوداعة.

١٣ - ومتى تجرّب بكل هذه الأنواع، فإن الروح القدس يبدأ يعلن له الأشياء السماوية، أي كل ما يعود بالإستحقاق والعدل على القديسين، وعلى الذين وضعوا رجاءهم في رحمته. وحينئذ يتفكر الإنسان في ذاته ويردد قول الرسول: «إن آلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يُستعلن فينا» (رو ٨: ١٨) وأيضاً قول داود: «ماذا لي في السماء؟ ومعك كم من الأشياء أردت في الأرض؟» (مز ٧٣: ٢٥) ومعناه: يارب كم أعددت لي في السماء؟ وأنا كم من الأشياء طلبت معك في الحياة الفانية؟ وهكذا أيضاً تعلن له العذابات التي تنال الخطاة، وأشياء أخرى كثيرة يفهمها كل رجل قديس بدون أن أذكرها.

١٤ - وبعد هذا كله يقطع الباراقليط عهداً مع نقاوة قلبه وثبات نفسه وقداسة جسده وتواضع روحه، فيجعله يتجاوز كل الخليقة، ويعمل فيه، بحيث أن فيه لا يتكلم بأعمال الناس، وأنه يرى المستقيم بعينه، ويضع حارساً لفمه، ويرسم طريقاً مستقيماً لخطواته، ويقتني برّ يديه أي (بر) أعماله، والمثابرة في الصلاة مع تعب الجسد والسهر المتكرر. ولكن هذه الأشياء يرتبها الباراقليط فيه بقياس وإفراز، وليس بتشويش، بل بهدوء.

١٥ - ولكن إن تجاسرت روحه فقاومت ترتيب الروح القدس نفسه، فإن القوة التي وُضعت فيه تنسحب، وبذلك تتولد في قلبه محاربات واضطرابات، ثم تضايقه آلام الجسد في كل لحظة بمهاجمة العدو.

١٦ - ولكن إن تاب قلبه وتمسك بوصايا الروح القدس (من جديد)، فإن معونة الله تكون عليه. وحينئذ يفهم الإنسان أنه خير له أن يلتصق بالله في كل حين، وأن حياته هي في (الله) كما يقول داود: «صرخت إليك فشفيتني» (مز ٣٠: ٢)، وأيضاً: «لأن عندك ينبوع الحياة» (مز ٣٦: ٩).

١٧ - فن رأسي، إذن، أن الإنسان إن كان لا يقتني تواضعاً كثيراً، وهو قوة جميع الفضائل؛ وإن كان لا يضع حارساً لفمه ولا يجعل خوف الله في قلبه؛ وإن كان لا يمتنع عن تركية ذاته بسبب الأشياء التي يتوهم فيها أنه أصلح من غيره، وكأنه قد فعل خيراً ما؛ وإن كان لا يحتمل، برضى، الإهانات التي تقع عليه، ولا يقدم الخد الآخر للذي يلطمه؛ وإن كان لا يندفع، بعزم، نحو كل عمل صالح ليقنتيه؛ وإن كان لا يحمل نفسه في يده كأنه يموت كل يوم؛ وإن كان لا يعتبر كل الأشياء التي تُرى تحت الشمس كأنها باطلة، ولا يردد في نفسه: «لي اشتها أن أنطلق وأكون مع المسيح» (في ١: ٢٣)، وأيضاً: «لي الحياة هي المسيح والموت هوريج» (في ١: ٢١)؛ فإنه لا يستطيع أن يحفظ وصايا الروح القدس. آمين.

(ملاحظة: الإقتباسات الكتابية مختلفة أحياناً عن نصها في طبعة بيروت وهي مترجمة حرفياً عن نص القديس مقاريوس).



الروحانية البسيطة السهلة العملية و بين هذا البحث، الذي ولو أنه يقوم أصلاً على كتابات أنبا مقار، إلا أنه ينتحي ناحية القياس والمنطق الفكري العقلي المحض.

وكل ما نوده من القارىء أن ينتبه إلى تعليقات الباحث، لا لكي يدخل معه في حوار ودراسة فكرية، ولكن لكي يلتقط الحقائق في موضعها ويخبثها في قلبه ليخضعها إلى الخبرة العملية.

أما بصدد المقارنة التي يقدمها الباحث بين منهج أنبا مقار النسكي والروحي وبين منهج أنبا أنطونيوس، فنحن نود أيضاً أن نلفت نظر القارىء أنه في حين جاءت سيرة القديس أنبا أنطونيوس حافلة بالصراع الشخصي ضد الشياطين، على مستوى المقاومة المستمرة والمعاناة الواعية؛ فإن سيرة القديس أنبا مقار يظهر فيها الشيطان مقهوراً باستمرار ومنهزماً دائماً بصورة ساحقة، والسبب في تفوق أنبا مقار على الشيطان كان هو القوة الروحية المرافقة له التي دُعيت بالشارويم أو الملاك. ومن هنا كانت حياة أنبا مقار وأعماله ومعجزاته الكثيرة جداً صورة للنصرة الفائقة القائمة على مؤازرة الله الشخصية لقديسه، وبالتالي جاءت أقواله وتعاليمه مختصرة أشد الإختصار، ولكنها قوية أشد ما تكون القوة، تنجح دائماً عند أول تطبيق لها بسبب الإلهام الفائق الذي يرادفها.

الفصل الثاني

دراسة تحليلية لمنهج القديس أنبا مقار

□ □ □ □ □

تعليقنا الشخصي على رسالة القديس أنبا مقار:

تبدو الرسالة في منهجها الروحي عملية، تخلو تماماً من أي ميل ناحية المنهج التأملي الأوريجاني أو ناحية المنهج العقلي المفتعل المسمى بالتدريج الروحانية، حسب النمط الأوغريسي، الذي انتشر في القرن الرابع بين آباء نتريا والقلاي وشيبت بتأثير أوغريس وآباء السريان فيما بعد (الشيخ الروحاني، والدرجي وماراسحق). لذلك، فرسالة القديس أنبا مقار إلى أولاده Ad Filios تعتبر من أندر وأفضل الكتابات الرهبانية القبطية الصافية الأصلية، التي وصلت إلينا، وهي جديرة باهتمام الرهبان وكافة الروحانيين، بسبب بساطة الروحانية العملية التي تشع من كل سطورها.

والرسالة تخلو من أي منهج تصويري فكري أو ادعاء تدريجي مفتعل، كما قلنا، بل اعتمادها الأصيل على الخبرة الروحانية المسبقة القائمة على حياة التسليم المطلق والإسترشاد بتدبير الأب الروحي، حيث تأتي المعرفة دائماً نتيجة للخبرة الروحية وليس العكس؛ يُقوِّمها الأب الروحي ويوجهها، لتطابق المنهج الأبائي الإنجيلي، ليجعلها دائماً في أمان كامل من التزييف العقلي، والنفسي، ومن الطموح الروحي؛ هذه الثلاثة التي تعتبر أخطر المزالق التي يهوى فيها النساك.

وفيما يلي نقدم بحثاً موجزاً عن كتابات القديس أنبا مقار بقلم أحد علماء الغرب الروحيين، وبه نقدم للقارىء صورة للعمل الفكري الغربي فيما يختص بدراسة الكتابات الروحانية؛ وهو يميل إلى التحليل والقياسات دون أن يهتم بلمس الحقائق الروحانية الصافية ليجعلها في متناول القلب. فهذه الدراسة العلمية الدقيقة، ولو أنها تتسم بالأمانة والإخلاص في البحث حيث يبدو العالم هنا (Resch) مهتماً أشد الإهتمام بمنهج الآباء وبالأخص منهج القديس أنبا مقار، مما يجعلنا نلتفت أكثر إلى هذا التراث الروحي المجيد؛ إلا أن هذا البحث في مجمله لا يتعدى وضعه العقلي الفكري المحض؛ وقد رأينا في تقديمه فرصة لكي نعرض مقارنة بين أقوال القديس أنبا مقار



إفريز من الحجر المنحوت يتكون من فرع نباتي على شكل دوائر متتالية
[من دير أنبا إرميا بسقارة - معروض بالمتحف القبطي]

- الفصل الثاني: الإفخارستيا .
- الفصل الثالث: الإقتداء بالقدسين .
- الفصل الرابع: الإرشاد الروحي .
- (ب) ممارسة الفضائل :
- الفصل الأول: الإيمان .
- الفصل الثاني: الإماتات .
- الفصل الثالث: الإلتضاع .
- الفصل الرابع: بذل النفس .



شاهد حجري من دير البلايزا محافظة أسيوط
[المتحف الملكي في بروكسل - بلجيكا]

أما إذا كان المراد من هذا القول هو أن القديس أنبا مقار قد كتب كتاباً في هذا الموضوع...

دراسة روحية لكتابات القديس أنبا مقار على أساس أقواله وخطابه المشهور

إسم المرجع:

التعاليم النسكية لكبار آباء القرن الرابع المصريين (*).

فهرس البحث

مقدمة: مصادر البحث.

الباب الأول - طريق الكمال:

الفصل الأول: الغاية.

الفصل الثاني: خطوات الطريق.

الفصل الثالث: الدعوة إلى الكمال.

الباب الثاني - أنواع التجرد:

(أ) أنواع التجرد الاختيارية:

الفصل الأول: البتولية.

الفصل الثاني: الفقر.

الفصل الثالث: الهروب من العالم.

(ب) أنواع التجرد الإجبارية:

الفصل الأول: نبد الخطية.

الفصل الثاني: الرذائل.

الباب الثالث - التقدم نحو المثل الأعلى:

(أ) الدعائم (أي وسائط النعمة):

الفصل الأول: الكتاب المقدس.

١ - الصلاة بالمزامير.

٢ - الهذيد.

٣ - قراءة الكتاب ودراسته.

(*) P. RESCH, La Doctrine Ascétique des premiers Maitres Egyptiens du Quatrième Siècle, Paris, 1931.
(ملاحظة: الأجزاء الخاصة بالقديس مقار يوس هي فقط التي نعرضها في هذا البحث).

والفقرات من ٧ إلى ١٧ لهذه الرسالة موجودة في AMELINEAU (٨)، وكذلك أيضاً الفقرتان ٢٠١ و٢٠٢ (٩).

وتوجد أقوال أخرى لمقار يوس تثبت أصالة هذه الرسالة (١٠)، ولا شك أن هذا التطابق الواضح يؤكد أصالة الرسالة، و يقدم لنا الدليل على وحدة مصدرها، وعلى أهمية هذه الأقوال لمعرفة شخصية مقار يوس المصري (١١).

وستظل أهمية هذه الأقوال راسخة، حتى ولو ثبت أن صياغتها النهائية تمت في القرن الخامس أو السادس.

وأقوال مقار يوس معتمدة، تاريخياً (١٢)، أكثر من أقوال أنطونيوس، لأن مقار يوس كان لا يزال على قيد الحياة حينما بُدئ في جمع أقوال الـ Apophthegmata، وكان معروفاً بصفة شخصية من الذين كانوا يذيعون هذه الأحاديث الآبائية.

مقدمة

المصادر التي اعتمد عليها البحث

التقليد النسكي، الذي بدأه القديس أنطونيوس، سار على نهجه تلميذه المباشر (١) القديس مقار يوس المصري مؤسس ومدبر الحياة الرهبانية في الإسقيط (٢).

ولكن، ولو أن مقار يوس لم يعيش باستمرار بالقرب من أبي الرهبان، إلا أنه كان يطلب تعاليم هذا القديس العظيم في زيارته لمغارته البعيدة. و يبدو أن التقليد الرهباني يؤكد حقيقة هذه العلاقة بينها. وهذه اللقاءات الروحية كافية لإثبات القرابة النسكية في تعاليمهما، الأمر الذي يتجلى بوضوح من دراستها.

كان مقار يوس يُعتبر، لمدة طويلة من الزمن، مؤلفاً لعدد من الكتابات الروحية، لاسيما لخمسين عظة روحية (٣)؛ إلا أن بعض الأبحاث الحديثة قد أنكرت (٤) نهائياً تأليفه لها، فيما عدا الرسالة الروحية Ad Filios (٥) وبعض الأقوال في (الأبوفثجماتا) (٦). وقد شرح WILMART أصل هذه الرسالة بمقارنتها بقولين آخرين للقديس مقار يوس:

١ — كاسيان Instit, Lib. V. 41

٢ — Pat. Gr. XXXIV, 232 وهي تكرر للجزء الأخير من الرسالة (٧).

وهذان النصان ليسا سوى جزئين صغيرين من الرسالة.

(1) Butler, The Lauziac Hist. of Pall., I, p. 225.

(2) Cassian, Conference, XV, 3, Pat. Lat. XLIX, 995 s.

(3) Migne, Pat. Gr., XXXIV, 1-968.

(٤) يعتبرها Stigmayer أنها تجميع بيزنطي بعد القرن الرابع.

+ أما VILLECOURT فيعتبرها ذات أصل ميصلياني messalienne.

+ وقد وافق على هذا الرأي الأخير كل من MARRIOTT, WILMART & BARDENHEWER.

ولم يوافق STIGLMAYER على رأيهم.

+ ثم جاء VILLER وأيد رأيهم.

+ ولم يتمسك أحد بأنها لمقار يوس سوى A.J. MASON الذي نشرها حديثاً بالإنجليزية.

50 Homilies of Macarius, SPCK, London, 1921.

(٥) النص الأصلي لهذه الرسالة قد نُشر في مجلة RAM (Revue d'Ascétique et de Mystique) I, 1920, p. 72-79.

(6) Migne, Pat. Gr., XXXIV, 229-405 وفي مواضع متفرقة من سير الآباء

(7) Epistola Ad. Filios 17.

(8) P. 122-125.

(9) P. 175.

(10) AMEL., p. 118-202, 159, 171.

(11) AMEL., p. XLI.

(١٢) يعتمد البحث على ثلاثة مراجع أساسية:

(أ) رسالة Ad Filios كما نُشرت باللاتينية سنة ١٩٢٠ بواسطة Wilmart، وهي التي ترجمناها إلى العربية من مجلة

Collectanea

(ب) أقوال مقار يوس Apophthegmata باليونانية، وهي مجموعة خاصة بمقار يوس وحده، موجودة في البانولوجيا في

المجلد الخاص به P.G., XXXIV, 229-405 (ربما توجد بها أقوال جديدة عما ورد في مجموعات Apophthegmatas

العامية في مجلد: P.G., LXV).

(ج) كتاب Amélineau وهذا هو إسمه بالكامل:

Vie de Macaire de Scété, Vertus de saint Macaire, Apophthegmes sur saint Macaire, Texte copte et traduction française, publié par AMELINEAU, Annales du Musée Guimet, XXV, 46-235

(و باختصار = ADMG.)

وفي هذه اللحظة يبدأ الإله الصالح أن يفتح له عيون قلبه، حتى يستطيع أن يدرك أن الله هو الذي يعطيه القوة. وحينئذ يبتدىء الإنسان أن يعرف كيف يكرم الله بالحقيقة بكل اتضاع وشكر كما قال داود: الذبيحة لله قلب منسحق.

وبعد كل هذه التجارب، يبدأ الروح القدس في أن يُعلن له الكنيسة، التي هي المجازة التي نالها القديسون باستحقاق مع أولئك الذين يترجون رحمته. وحينئذ يقول مع الرسول: أن آلام الزمان الحاضر لا تُقاس بالمجد العتيد أن يُستعلن فينا.

كما تُستعلن له أيضاً العذابات التي سوف يكابدها الخطاة، وأمور كثيرة أخرى عظيمة تفهمها النفس القديسة، دون حاجة مني لأن أخبرها بها.

وبعد كل هذا يتهيأ الباراكليت لأن يبرم عهداً مع نقاوة قلبه وثبات نفسه وقداسته جسده واتضاع روحه، ويسيره في طرق ليست من هذه الخليقة: فلن يتكلم فيه فيما بعد عن مشاغل الناس، وتصير نظراته مستقيمة وطاهرة، ويضع حارساً على شفثيه، وتسير قدماه في الطريق القويم، ويوقف نفسه للأعمال المقدسة والصلاة المستمرة وإماتة الجسد والأسهار المتواترة.

وفي هذه كلها يعطيه الروح أن يتصرف بإفراز وتمييز دون تشويش بل في سلام» (٢).

ها قد وصلنا بوضوح إلى التأمل المفاض، الفائق للطبيعة، كما وصفه كبار المتصوفين من بعده (٣)، وكما سبق مقار يوس واختبره، بلا شك، بشهادة هذا القول من الذي يبين الإعداد لهذا التأمل وانتعاشه ونتائجه بأسلوب يشبه أسلوب أنطونيوس: [قيل عن أبينا القديس أنبا مقار الكبير أنه عندما تقدم في النعمة، تقبل قوة معزية من ربنا يسوع المسيح حتى أن الأرواح المعادية كانت تضطرب وترتعد أمامه بسبب النعمة التي كانت فيه] (٤).

وهذه النعمة ترافق الإنسان الذي يجاهد بثابرة في طريق السعي نحو الكمال، وكذلك تكون مع النفس التي تقدّست والتي صار يسوع هو كنزها الأوحى، والتي يفر من أمام صلواتها فلول الشياطين.

(2) Ad Filios, 11, 14, RAM, Jan. 1920, pp. 74-75.

Amélineau, AMG, XXV, 122-125. أنظر أيضاً:

(3) عند قراءة هذه القطعة يبدو كأننا نتبع «السلام السري» كما وصفه يوحنا الصليبي في كتابه: «الصعود إلى جبل الكرمل»، وأيضاً في كتاب: «الليل المظلم»، حيث يضيف عناصر جديدة ويتكلم بأكثر توسع وأكثر تعمق: «وإنها تظهر تعاليم مقار يوس المصري أنها الينبوع الأصلي الذي أخذ عنه متصوفو الغرب».

(4) Amélineau, 148-149 (vertu XOM = نعمة = قوة)

الباب الأول طريق الكمال الفصل الأول الغاية

في الكتابات النسكية الأولى لأمثال أنطونيوس وباخوميوس وأثناسيوس لا نستطيع تحديد هدف النسك، إلا بطريقة اجتهادية، من أقوال متفرقة وغير كاملة، ولكن ليس الأمر كذلك بالنسبة للقديس مقار يوس.

فإن رسالته Ad Filios تعتبر منهجاً متكاملًا واضح المعالم للحياة النسكية والتصوفية، وتتجلى قيمته إذا علمنا أن الآباء الأوائل لم يعتنوا بوضع قواعد أو ترتيب محدد لأسرار النمو في القداسة وفي المحبة الإلهية.

ويمكننا عنونة هذه الصفحات من التعليم والاختبار بأسلوب حديث: «الوسائل والمعوقات في سبيل الإتحاد بالله»، أو: «ما هي الخطوات التي تستطيع بها النفس أن تتدرج للوصول إلى الخضوع الكامل للروح؟» (١).

ومن البداية، يوضح مقار يوس الهدف من كل جهادات الناسك منذ بداية تجاربه الأولى، حيث يقول الشيطان للناسك: «هل تستطيع أن تحمل هذا الجهاد طوال هذه المدة، لأنه أمر مُضن للإنسان أن يجاهد حتى يستحق استضافة الله في داخله» (فقرة ٤).

أما بالنسبة للناسك الذي اجتاز جميع التجارب بنجاح، فإن مقار يوس يكشف له أمجاد هذا الإتحاد السري مع الله وعمل الروح في النفس قائلاً:

«فإذا ضعف القلب وكاد أن يزل في هجمات العدو، الواحدة تلو الأخرى، فإن الله محب البشر والمعتمدين بخلقته يرسل له نعمته المقدسة، فتقويه، وتُخضع قلبه ونفسه وجسده وكل أعضائه تحت نير الباراكليت، فإنه هو الذي قال: احموا نيري عليكم وتعلموا مني لأني وديع ومتواضع القلب».

(1) A. Wilmart, RAM, I, p. 59.

ولقد تكلم أنطونيوس أيضاً عن هذه (النعمة = Vertu = فضيلة)، حيث كان يوضح لتلاميذه المبتدئين سهولة الحصول عليها، وهي أيضاً التي أشاد أثناسيوس بأهميتها في الإتحاد وخضوع الإنسان كله لله الكلمة، وهي أيضاً التي يقدمها مقار يوس لأولاده كهدف أوحد لكل أتباعهم، باعتبارها حالة اشتراك فعلي مع الملائكة، أو بعبارة أخرى ملكوت الله، الذي يلزم إقامته في النفس منذ الآن، إلى أن نتمتع بملئه، في مجد لا يضمحل، فيقول أنبا مقار: «طقس الراهب يشبه طقس الملائكة. فكما أن الملائكة في وقوفهم أمام الله كل حين لا يمنعهم شيء أرضي من المثول في حضرته، هكذا أيضاً ينبغي على الراهب أن يكون طوال سني حياته. وهذا ينفذ قول ربنا، الذي أوصى بأن ينكر الإنسان نفسه ويحمل صليبه ويتبعه. هكذا أتم أيضاً يا أولادي الأحباء إغصبوا أنفسكم قليلاً لكي تنالوا الفضيلة Vertu وحسب، لأنه مكتوب: ملكوت الله للذين يغصبون أنفسهم عليه» (٥).

الفصل الثاني

خطوات الطريق

في هذا المجال نجد لمقار يوس تعليماً واضح المعالم أكثر من الآباء الآخرين. فهو في الواقع قد أبرز بوضوح درجات ارتقاء النفس في سبيلها نحو الكمال. وقد أصاب من اقترح كعنوان لرسالته Ad Filios: (ما هي الخطوات التي تستطيع بها النفس أن تتدرج للوصول إلى الخضوع الكامل للروح؟).
+ الخطوة الأولى عبارة عن توبة إلى الله.

— النفس هنا في هذا المجال تهدف إلى إخضاع ذاتها لعمل الله، بالتوبة عن الحياة الماضية (فقرة ١).
— بأعمال النسك الخارجية مثل الصوم، والسهر، واحتمال الإهانات ومضايقات الطبيعة (فقرة ٢).
— ثم بأعمال النسك الداخلية مثل الهذيد في الحقائق الإيمانية العظمى، وأعمال الإضاع، ومراجعة النفس (فقرة ٣).

+ وحينما يجد الشيطان أن النفس مثابرة على المجاهدة في هذه الأعمال، فإنه يبدأ في محاربتها:
— فيدهم النفس بتجربة اليأس (فقرة ٤)،
— والمجد الباطل (فقرة ٥)،

(5) Amélineau, A.D.M.G., 25, 171.

— والإفراط في النسك (فقرة ٦)،

— ولكن النفس الأمانة تنتصر بمعونة الله (فقرة ٧).

+ ثم إن جهاداً أشد وطأة ضد تجربة النجاسة (فقرة ٨)،

— وتجديداً لتجربة اليأس، يؤولان إلى نصر آخر بمعونة الله (فقرة ٩).

+ أما أشد تجربة فهي أن يبدو الله وكأنه قد تخلى عن تقديم المعونة (فقرة ١٠).

— أما إذا تزكى الإنسان مقابلها — فإنه يختم على هذه المحاربات بخضوع كامل للنفس والجسد للروح القدس (فقرة ١١).

+ حينئذ يحدث استعلان الله للنفس الذي يفتح عيون القلب الداخلية (فقرة ١٢).

— ويترتب على ذلك اكتساب الفضائل. ويكشف الروح القدس للنفس ما في السماء والجحيم وحقائق أخرى كثيرة فائقة للطبيعة (فقرة ١٣).

+ أما خاتمة هذه المسيرة نحو الكمال فهي عهد مع الباراقليط،

— حيث يصف مقار يوس الإنسان الذي وصل إلى هذا الكمال (فقرة ١٤).

— ويؤكد أهمية عدم مقاومة الروح القدس (فقرة ١٥).

— وأهمية المثابرة على هذا المنهج (فقرة ١٦).

+ وفي الختام يلخص كل نصائحه (فقرة ١٧).

+++++

ومن الصعب تحديد عدد الدرجات التي وضعها مقار يوس لكي يصعد عليها الناسك في سبيله إلى الكمال. فإذا حاولنا اتخاذ تعبيرات الرسالة بحرفيتها، وكأنها تشير إلى درجات متميزة، فإننا نجد فيها على الأقل أربع عشرة درجة قبل إقامة العهد بين النفس والروح القدس، ولكن حيث أن كثيراً من هذه الدرجات تؤول طبيعياً إلى درجة واحدة مركبة، لذا يُفضل تقليل هذا الرقم.

— وقد رأى Dom Wilmart (٦) أن يركزها في سبعة أفعال متلاحقة، وهو رأي يمكن الأخذ به.

— كما أنه ليس من الصعب أن نحصرها في ثلاث درجات:

١ — الرجوع إلى الله بالتوبة والنسك (من فقرة ١-٣).

٢ — التجارب التي تهيئ النفس لإنسكاب النعم Vertus المُفاضلة (فقرة ٤-١٠).

(6) La lettre de Macaire, RAM, Jan. 1920, p. 81.

٣ - الخضوع الكامل للروح القدس (فقرة ١١-١٣).

أما العهد بين النفس والباراقليط (فقرة ١٤-١٦)، فهو إكليل هذه الدرجات، والقمة النهائية لها أكثر منه درجة قائمة بذاتها.

و يصف مقاريوس حقيقة النفس البشرية في سعيها نحو الكمال أفضل من كل الذين سبقوه، فهو يحدد معالم مسيرتها بكل وضوح. وتوجيهاته التي استمدتها من الخبرة العملية تتفق إلى حد بعيد مع الملاحظات التي أدت فيما بعد إلى النظرية المعروفة لدينا عن الثلاثة تدابير وهي: التطهير ثم الإستنارة ثم الإتحاد.

ولكن بالرغم من أن مقاريوس بيّن بوضوح عدة درجات مرتبة ترتيباً زمنياً في الحياة الروحية، إلا أنه إذ كان اهتمامه الأكبر بالحياة النسكية العملية أكثر من التصورات العقلية اللاهوتية المجردة، لذا لم يسع لأن يستخرج منها منهجاً محددًا. فهو لم يحاول - مثل العلامة اكليميندس الإسكندري أو القديس أغسطينوس - أن يتوصل إلى تحديد مبدأ نمو النفس روحياً، في معرفة متزايدة حتى الكمال أو محبة نامية حتى الأعماق، بل في إخلاصه لتعليم معلميه يطالب تلاميذه أن يتقدموا باستمرار دون النظر إلى خلف، ودون أن يظنوا بأنفسهم قط أنهم حصلوا في هذا العالم على الكمال الإلهي بصفة نهائية.

□

الفصل الثالث الدعوة عامة إلى حياة الكمال

كان القديس أنطونيوس يوجه تعاليمه إلى البشر جميعاً بكافة فئاتهم. ونجد هذا الإتجاه نفسه عند القديس مقاريوس تلميذ أنطونيوس. ورسالته يمكن جداً اعتبارها ملخصاً لتعليم شفاهي ألقاه مقاريوس على أناس من كافة المستويات. حقاً إن رسالته معنونة كالآتي: «رسالة القديس مقاريوس الراهب إلى أبنائه»، مما يجعلنا نميل إلى الاعتقاد بأنها كانت موجهة للربان، ولكن هذا العنوان غير أصيل^(٧)، ولا نستطيع أن نعتمد إلا على النص في تحديد التلاميذ الذين يقصدهم مقاريوس. حقاً إن الأسهار والأصوام والصلوات وبعض التجارب المذكورة توحى بأن الرسالة تدور حول الحياة الرهبانية، ولكن إذا تقيّدنا بعبارات النص فحسب فإننا نلاحظ أن المؤلف كان يوجه كلامه «للإنسان»، لكل إنسان متمطش إلى حياة القداسة^(٨).

(7) Dom Wilmart, RAM, Jan. 1920, p. 59.

(٨) يأتي ذكر كلمة «الإنسان» في الفقرة ١١ و١٢ و١٣ و١٦ و١٧ من الرسالة.

وتقص علينا سير الآباء Vitae Patrum رؤيا للقديس مقاريوس أعلن له فيها أن درجته في الكمال لم تصل بعد إلى درجة امرأتين متزوجتين. وبعد استفساره عن أسلوبها في الحياة قال مقاريوس، وهو مندهش، كلمته المأثورة: «حقاً أنه ليس عذراء ولا متزوجة وليس راهب ولا علماني، إنما استعداد القلب فحسب هو الذي يطلبه الله وهو يعطي الجميع معونة روح الحياة»^(٩).

ليس إذن نوع الحياة الذي يجعل الإنسان قديساً أو كاملاً، بل توجد قداسة واحدة هي ثمر الروح القدس مع جهاد الإنسان.

والرهبان اختاروا سبيلاً قد يكون أكثر ضماناً وأكثر سهولة، غير أنه من الجهالة أن يعتمدوا على دعوتهم هذه في حد ذاتها، فإن الكمال لا يمكن في مجرد انتهاج سبيل معين.

الباب الثاني أنواع التجرد (أ) أنواع التجرد الاختيارية

الفصل الأول البتولية

إن كان أنطونيوس لم يتحدث عن البتولية بطريقة مباشرة باعتبارها أساساً لحياة نسكية مسيحية سامية، ولكنه يذكرها على الأقل بطريقة عرضية. أما بالنسبة لتلميذه مقاريوس، فإننا إذا التزمنا بحرفية نصوصه لا نجد فيها ما يشير إلى اهتمامه بالبتولية كوضع خارجي. أعل السبب هو أنه كان يُحلّق بتعليمه عالياً جداً فوق كل ما هو ظاهري أو بدائي؟! في الواقع أنه لم يتغافل عن الوسائل الأساسية الأخرى مثل الصوم والسهر واحتمال الآلام واحتقار العالم... إلخ.

أم أن السبب هو أنه كان يُجمل تعاليمه في معان عامة بحيث أنه كان لا يتعرض لأي حالة خاصة؟ أشرنا من قبل أن الكمال الذي دعا إليه هو في متناول يد كل مسيحي. وعندما كان يتكلم عن التجارب ضد الطهارة كان كلامه يمكن أن ينطبق على كل الفئات من البشر. فهو يقول مثلاً: [يوحى المجرّب للنفس بشهوات الزنا والنجاسة لدرجة أنها تظن استحالة احتفاظها بالطهارة]^(١٠).

(9) Vitae Patrum, III, 97; P. L. LXXIII, 778, VI, I, 3, 17.

(10) Ad Filios, No. 8.

الفصل الثاني

الفقر

تعالم القديس مقار يوس عن الفقر كوضع خارجي لا تزيد عن تعاليمه عن البتولية كوضع خارجي، فهو يكاد أن لا يتكلم عنه، وإن التعبيرات الوحيدة التي وردت في رسالته بخصوص التجرد من المقتنيات وهي: احتقار العالم (فقرة ٢، فقرة ١٧) هي تعبيرات عامة لا يمكن أن نستقرئ منها أسلوب الفقر كوضع خارجي (خاص بالرهبان). أليس هذا دليلاً جديداً على أن النسك المقاري كان موجهاً إلى كل إنسان مسيحي بوجه عام؟

وفي الواقع، فإن ما يظهر بوضوح في هاتين الفقرتين هو روح الفقر. والعبارة الثانية بالذات تحتل من رسالة مقار يوس مكان الصدارة، إذ أنها تُشكّل آخر جملة في الرسالة: [إن لم يعتبر الإنسان كل ما تحت الشمس باطلاً، وإن لم يقل: لي اشتياق أن أنطلق وأكون مع المسيح، لي الحياة هي المسيح والموت هو ربح — فهو لا يستطيع أن يحفظ وصايا الروح القدس. أمين] (فقرة ١٧).

وفي أقوال الآباء (Apophtegme) يصوّر لنا القديس مقار يوس بطريقة أخذة عدم اكتراثه التام بمقتنيات الأرض، إذ وجد القديس يوماً ما لصاً في قلايته فلم يضطرب بل ساعده في تحميل الجمل الذي كان اللص قد أحضره لنقل الغنيمة (١١).

كما نجد نفس الاتجاه بعدم الإكتراث الكلي بالآلام من أي نوع في القول الآتي: [إذا قبلت الإحتقار مثل المديح، والفقر مثل الغنى، والعوز مثل السعة، فإنك لا تخاف الموت] (١٢).

الفصل الثالث

الزهد في العالم

«الزهد في العالم» (١٣) هو واحد من الإتجاهات الروحية التي يطالب بها مقار يوس كل من يريد أن يرتقي درجات الكمال، أما ترك العالم فيبدو أنه كان أمراً مفروغاً منه بالنسبة لأولئك الذين يكتب إليهم، حتى أن هذا الأمر لم يكن يستحق أن يُذكر صراحة في الرسالة.

(11) Apoph., No. 40, P. G., XXXIV, 260.

(12) Apoph., No. 20, P. G., XXXIV, 249.

(13) Epistola Ad Filios, 2.

ولكن أقوالاً كثيرة منسوبة لمقار يوس تنبه باستمرار إلى أهمية الهروب من العالم ومحنة الوحدة.

وهو نفسه كان قد هرب إلى الإسقيط ليتحاشى التكريم الزائد الذي كان الشعب مزماً أن يكرّمه به (١٤).

فحبة الناس غير ثابتة ولا ينتج عنها إلا السجس، أما محبة الله فهي وحدها التي تقرر للنفس راحتها وطمأنينتها: [لا ترتبط بصدقة مع أي إنسان، إلا مع الإخوة الفقراء، ولا تسع وراء أي إنسان بسبب الخير الذي قدمه لك، ولكن اسع وراء الله وحده واخدمه فهو الذي يخدمك كابن بأحشاء أبوته. أما أنت فاحفظ ذاتك من مصادقة الناس، ولتكن كل مصادقتك بينك وبين الله فقط. لا تسع وراء أي إنسان لكي تستشعر الراحة في مصادقته، ولا تكن لك دالة في بيته، ولا تسكن عنده مهما كان الأمر، لئلا يصير لك سجس. يا أخي، إذا أردت أن تكون لك راحة كل أيام حياتك فلتكن أفكارك ملتصقة بالله في كل ساعة؛ واحفظ ذاتك من مصادقة الناس] (١٥).

لذلك فإن ما يوصي به مقار يوس بصورة قاطعة هو أن: «اهرب من الناس». ولكن، ما هو الهروب من الناس؟ هذا السؤال ألقاه عليه أنبا إشعيا، وقد أجاب الشيخ: «هو أن تجلس في قلايتك وتبكي على خطاياك» (١٦).

أما الناس الذين يجب أن نهرب منهم لكي نحيا حياة داخلية حقّة، فليسوا هم فقط الأشرار الذين يسببون لنا العثرات، بل وأيضاً الإخوة الذين تمنعنا مجالستهم عن الإنحصار الكامل في الله: [قال أبنا موسى يوماً ما لأبنا مقار يوس الإسقيطي: «أريد أن أحيا في الهدوء والصمت، ولكن الإخوة لا يدعونني». فأجاب أبنا مقار يوس قائلاً: «إني أرى أن طبعك ليس حازماً بالكفاية، وأنت لا تقدر أن تغلق بابك أمام أي من الإخوة. ولكن إن أردت أن تحيا حياة هادئة فإذهب إلى البرية واغلق على ذاتك في مغارة وهناك ستجد نياحاً] (١٧).

وكانت الوحدة ثقيلة على بعض من تلاميذه؛ إذ كانت تقلقهم تجارب دقيقة تدعوهم للعودة إلى العالم، وترك وحدتهم بحجة ممارسة المحبة:

[جاء أحد الإخوة يوماً ما إلى أبنا مقار يوس وقال له: «يا أبي إن الأفكار تقول لي اخرج وافتقد المرضي لأن هذه وصية عظيمة». فقال له أبنا مقار يوس بكلام نبوي: «ربنا يسوع

(14) Apoph., No. 1, P. G., XXXIV, 236.

(15) AMEL., ADMG, XXV, 182.

(16) Apoph., No. 27, P. G., XXXIV, 252; Cf. aussi:

Apoph., No. 41, P. G., XXXIV, 261.

(17) Apoph., No. 22, P. G., XXXIV, 249.

المسيح، الفم غير الكاذب، هو الذي قال: «كنت مريراً فزرتوموني». فقد أخذ جسد بشر يتنا ووحده مع ذاته، واتحد بإنسانيتنا في كل شيء، ما خلا الخطية وحدها.
وأما لك يا ابني فأقول، الجلوس في القلاية خير من الإفتقاد. لأنه سيأتي وقت فيما بعد يستهزئون فيه من الذين يجلسون في قلايتهم، ويتم قول أبا أنطونيوس بأنهم إذا رأوا أحداً ليس منحلاً مثلهم فإنهم يقومون ضده قائلين: إنك لجاهل! ذلك لأنه لا يشابههم. وأقول لك يا ابني إن لم يكن موسى قد دخل في السحاب لما كان قد أعطي لوحى العهد المكتوبين بأصبع الله، لأجل المجد [١٨].

ولكي نفهم هذه الإجابة التي تبدو غريبة لأول وهلة، يجب أن نتصور نفسية المتوحد المبتدئ الذي كان يعاني من رتابة الحياة، فإنه كان يريد في الواقع، ليس أعمالاً أكثر كمالاً — حيث أن هذا الفكر لم يكن سوى حجة للخروج من الوحدة — بل ما كان يريده بالفعل هو مجرد التغيير.

ومقار يوس يوافق بصورة عامة على أن افتقاد المرضى هو أمر ممتاز، غير أنه في الحالة الراهنة خدعة: «وأما لك يا ابني فأقول، الجلوس في القلاية خير من الإفتقاد».

وربما تعتبر القصة التالية التي نسبها كاسيان لمقار يوس المصري تلخيصاً لتعاليمه عن الهروب من العالم:

[تذمر (حلاق) من قلة الربح الذي تدره عليه مهنته في بلده. فلما سمع عن بلاد أخرى حيث يدفع العملاء الأجرة بالذهب، هاجر إليها. وكم كان فرحه بقبضه لأول قطع ذهبية! ولكن كم تثقل قلبه لما وجد نفسه مضطراً لأن يدفع بالذهب ثمناً لأتفه الاحتياجات! فعوضاً عن أن يجمع مالا ويغتنى كاد يموت من الجوع. وإذا استفاق من غفلته، عاد إلى بلده حيث كان يربح قليلاً ويصرف قليلاً على احتياجاته، وهكذا صار له بعض من الغنى.

هكذا بالنسبة للمتوحد، فهو يظن أنه سيربح أجراً أكثر برّد الخطاة الذين في العالم. ولكن يالها من خدعة! إنها لصفقة خاسرة [١٩].

مهما هرب الإنسان داخل البرية، فإن فكر العالم يتبعه و يلتصق بقلبه كالتصاق التراب بالملابس. لذلك فإن مقار يوس يدعو إلى التجرد الداخلي الذي ينزع من النفس كل أثر عالمي، فهو يقول:

[كما أن الذي يذهب إلى الحمام، إن لم يخلع كل ملابسه فلا يستطيع أن يستحم ولا أن يغسل جميع أوساخه، هكذا يكون حال من يشرع في أن يصير راهباً. فإنه إن لم يتعرّف من كل هموم هذا العالم ومن كل شهواته المملوءة لذات باطلة، فهو لا يستطيع أن يتقدم في الفضيلة ولا أن يهزم

(18) AMEL., ADMG, XXV, 184-185.

(19) Cassien, Coll., XXIV, 13.

سهام العدو التي هي الأوساخ [٢٠].

ومن بين الرباطات التي تقيد الإنسان بالعالم، صلات القرابة التي هي أقوى الرباطات وآخر ما ينقطع منها. والقديس مقار يوس يريد من الراهب أن يصل في تجرّده الداخلي إلى هذا الحد الذي فيه يصبح كله لله:

[يجب على الراهب الجالس في قلايته أن يحصر فكره في داخله بعيداً عن كل اهتمام عالمي، وأن لا يدعه يطيش في أباطيل هذا الدهر، بل أن يبقى في هدفه الأوحده وهو أن يجعل فكره في الله وحده في كل لحظة ويكون ثابتاً فيه في كل ساعة بلا أي هم، وأن لا يدع أي شيء أرضي يتسرب مُبلسبلاً لقلبه، لا ذكر أقاربه ولا الإهتمام بأبائه ولا التسلية بالتفكير في أهله، بل يكون هكذا بروحه وبكل حواسه كما لو كان في حضرة الله لكي يتمم بذلك كلمة الرسول القائل: «لكي تكون العذراء ثابتة في الرب بجلاوة وبكل اهتمام» [٢١].

ربما يكون القارىء قد لاحظ أن القديس أنطونيوس في تعليمه عن الهروب من العالم كان يهدف أساساً إلى تحاشي الخطية، أما القديس مقار يوس فيبدو أنه كان يؤكد بالأكثر على الناحية الإيجابية وهي: أن جمع الحواس والوحدة يهيئان الراهب للنمو في الفضيلة، و يتيحان له فرصة مواتية للتمتع بحضرة الله.

ب- أنواع التجرد الإجباري

الفصل الأول

نبد الخطية بالصراع قبالة التجربة

الذي يميز مقار يوس عن معلمه أنطونيوس — وذلك كما يبدو من رسالته — هو صياغة أفكاره بطريقة أكثر إماماً بالنفس تبين تقدماً في المنهج النسكي، بجانب رزائنه في التصوير التي ترجع إلى هدفه من الرسالة.

١ — المحرّب — عند مقار يوس — لا يلبس قط شكلاً منظوراً، والخطية دائماً تعرض نفسها عن طريق الأفكار الرديئة.

و يعطي مقار يوس نفس الدور النفساني للبشر الذين يستخدمهم الشياطين كوسطاء في تجربة

(20) AMEL., ADMG, XXV, 188-189.

(21) AMEL., ADMG, XXV, 170.

الناس: «ثم أن الأبالسة لا تكفي بذلك، بل تجعل أيضاً بعض الناس يمتدحونه بإفراط...» (فقرة ٦).

وفي رأيه — كما في رأي أنطونيوس — أن جميع التجارب تأتي عن طريق الشياطين. إلا أنه لا يسجل في أي موضع شيئاً عن ظهورات الشياطين؛ فهو يشرح كافة التجارب على أنها من محض تصوراتنا (٥) التي حركها فينا الشيطان بسماع من الله الذي يمتحن بهذه الطريقة فضيلتنا.

وهناك قول يبرز بوضوح هذا الاتجاه في تعليم مقار يوس بصورة معبرة للغاية: [فقد سأل أبا أوغريس أباً مقار يوس ذات مرة عندما كان جالساً بجواره مع إخوة آخرين: «كيف يحصل الشيطان على كل هذه الأفكار الرديئة لكي يلقيا بين الإخوة؟» فأجاب أباً مقار يوس: «إن الذي يُحمِّي القرن يتوافر بين يديه قش كثير ولا يجد صعوبة في أن يلقي به في النار، هكذا أيضاً الشيطان كالفران لا يفتر عن أن يلقي في قلب كل واحد كل قشه الرديء الذي هو وسخ الأفكار»] (٢٢).

٢ — تبدأ هذه التجارب أن تدهم الناس حينما يثبت في طريقه نحو الكمال، وحينما يبدأ أن يتذوق حلاوة ممارسة الفضيلة وتعزيتها (٢٣) (وهذا هو أيضاً رأي أنطونيوس).

والتجربة الأولى هي تجربة اليأس، حيث يصوّر فيها العدو للناسك تعب الجسد، وطول زمان النسك، واستحالة مغفرة خطاياها الكثيرة، وصعوبة الجهاد في سبيل الإتحاد بالله (٢٤).

فإذا قاوم الإنسان هذه التجربة بثبات فإن تجربة أخرى تهاجمه وهي تجربة المجد الباطل: فالشياطين تذكّره بخطايا بعض الناس الذين لم يتوبوا ليقارنها بأعماله الصالحة (٢٥).

أما التجربة الثالثة — وهي متصلة بشدة بسابقتها — فهي تجربة الإفراط في النسك؛ فإن الشياطين تحاصر الناسك بشتى أنواع المديح: حيث تجعل بعض الناس يبنون له سهولة التماذي في النسك بهدف أن تدفعه نحو أعمال تفوق طاقته مثل: «الإمتناع عن الأكل أو الشرب أو المغالاة في الأسهار... إلخ» (٢٦).

(٥) أقوال مقار يوس في Apoph. تتكلم فقط عن الحواس λογισμοί راجع مثلاً القول رقم ٣ في:

P. G., XXXIV, 240-241.

(22) AMEL., ADMG, XXV, 195.

(23) Ad Filios, 4.

(24) Ibid.

(25) Ibid., 5.

(26) Ibid., 6.

فإذا استطاع الناسك أن يحتفظ بسلامه القلبي إزاء كل هذه التجارب، فإن العدو يلقي فيه شهوة الزنا والنجاسة وتصورات أخرى لا يمكن التعبير عنها.

وإذ تصل النفس إلى هذا الحد منتصرة على كافة القتالات فإنها من ثم تعود فتشعر بضعفها وتخاف، ويخامرها الشك في إمكانية الإحتفاظ بالطهارة. وإذ يظن العدو أن الفرصة قد واثته، فهو يعيد من جديد تجربة اليأس و يذكّر النفس مرة أخرى بطول الزمان، وصعوبة ممارسة الفضيلة، وثقلها غير المحتمل وضعف الجسد ووهن الطبيعة (٢٧).

فإن لم تكلّ النفس فإن الله يعزها ويقوها، استعداداً لأرهب المحاربات التي لن تتأخر كثيراً في اندلاعها.

حينئذ يبدأ الله قليلاً قليلاً أن يسحب من النفس معونته الظاهرة، و يسمح أخيراً لأعدائها أن يهاجموها بكافة أنواع الفسق الجسدي والروحي وكل الخطايا التي تؤدي بها إلى الهلاك.

وفي المنتهى، تشبه النفس سفينة بلا دفة تتخبط من كل جهة بين الصخور (٢٨). وفي هذه اللحظة بالذات ينقذ الله النفس الأمانة ويخضعها تحت قيادة الروح القدس (٢٩).

ويعود القديس مقار يوس في نهاية رسالته ليؤكد دور الشيطان، ويقول إن النفس التي لا تشاير على الخضوع للتوجيهات التي يوحى بها الروح، فإن العدو سوف يقلقها من جديد بشهوات الجسد (٣٠).

٣ — يحمل تعليم مقار يوس بخصوص التجارب الشيطانية تقارباً ملحوظاً مع تعليم معلمه (أنطونيوس) بنفس الخصوص، إلا أنه يحوي أيضاً بعض الفروق الجديرة بالملاحظة.

فإذا اعتبرنا مجرد كمية الكلام الذي ورد بالنص خاصاً بالتجارب، فإننا نلاحظ أن نسبة الحديث عنها في نصوص مقار يوس لا تقل عنها في نصوص معلمه أنطونيوس (٣١).

وما أقل ما حاول مقار يوس أن يصيغ نظريات محددة عن الشياطين، وذلك مثل معلمه أنطونيوس بل وأقل منه أيضاً.

وكل ما قدّمه لنا كان شرحاً قصيراً جاء بطريقة عرضية بمناسبة استشهاده بكلمة داود:

(27) Ibid., 7, 8.

(28) Ibid., 9, 10.

(29) Ibid., 7, 8.

(30) Ibid., 15.

(31) Ibid., 4-11, 15.

« جربت قلبي تعهدته ليلاً » (مز ١٧: ٣). [لا يقول المرتل « نهاراً » بل « ليلاً » ، لأن فحاش العدو هي بمثابة الليل ، ونحن — بحسب تعبير بولس الرسول — أبناء النور ولنا أبناء الظلمة ، وابن الله هو النهار ، والشيطان يشبهه بالليل] (٣٢).

وهو يتبع أيضاً نفس الطريقة في عرضه للتجارب المتتابعة : [إذا نجح الإنسان في مقاومته للتجربة الأولى ، فإن الشيطان يعدُّ له تجربة أشد قساوة... إلخ] .

وكلا الإثنين (أنطونيوس ومقار يوس) يتكلمان عن التجارب المضادة للطهارة ، وعن تجربة الإفراط في النسك .

ولكننا نجد هنا مفارقة ملحوظة : فع أن الشيطان في تعليم مقار يوس يحتفظ بدوره كمجرب ، إلا أنه لا يأخذ مكان الصدارة في التجارب مثلما هو في تعليم أنطونيوس .

ففي رأي مقار يوس — كما لاحظنا من قبل — أن الله هو المسئول الأول عن امتحان الناسك .

ثم إن مقار يوس قد أغفل تماماً في رسالته ، التي هي مجرد وصف لسير النفس نحو الله ، أن يعطي نصائح عن وسائل مقاومة الشياطين والتغلب عليها .

كما أن تعليم مقار يوس لا يتكلم عن التجارب التي في هيئة رؤى — كما لاحظنا من قبل — بالرغم من كثرة القصص المختصة به (٣٣) .

فؤلف « سيرة مقار يوس الإسقيطي » (Vita Macarii de Scété) ينقل بدون تغيير تقريباً قصص الشياطين الموجودة في حياة أنطونيوس (Vita Antonii) ، ويورد نفس أنواع المحاربات ونفس وسائل الدفاع (٣٤) .

وهذه المحاربات الشيطانية المكشوفة التي وردت في سيرة مقار يوس ، وهي غير موجودة في رسالته ، هل يجب اعتبارها مبالغاً أضافها البعض من تلاميذه الشغوفين بالرؤى ؟ وإن كان الأمر كذلك ألا يجب أن نبدي تحفظاً أكثر بالنسبة للقصص (المشابهة) التي جاءت عن أنطونيوس وباخوميوس ؟

غير أن « سيرة مقار يوس الإسقيطي » هذه ، ليست خالية من كل قيمة من هذه الجهة . فقد وردت فيها فقرة تشابه تماماً في تعليمها الرسالة المعتمدة (Ad Filios) :

[لقد كانت الشياطين تلتني في قلبي أفكاراً رديئة ، وهو نفسه قال عنها : « كمثل مائدة مملوءة

(32) Ibid., 7.

P. G., XXXIV, 248.

(٣٣) مثل القول رقم ١٣ :

(34) AMEL., ADMG, XXV, 80, 88, 93, 97, 100.

بكل نوع من الأطعمة الجيدة للأكل ، هكذا قامت أمامي الأفكار (الرديئة) ، والزنى ، والشره والضجر والكآبة والكبرياء ، والمجد الباطل ، والخوف ، والحزن ، وعجبة المديح ، والكرامة ، وعدم الإيمان ، والتجديف ، وقطع الرجاء في الله الذي يُبعد الإنسان نهائياً عن طريق التقوى . وبالإجمال كافة أنواع أعمال الشياطين داخل الفكر قد حاربوني بها كما كان أنبا أنطونيوس قد أنبا بذلك] (٣٥) .

في هذا النص ، نتعرف بسهولة على المعالم الأساسية لتعاليم مقار يوس :

— الشيطان يباشر عمله على الخصوص بواسطة الأفكار .

— قائمة التجارب المذكورة هي نفسها التي وردت في الرسالة .

— لا يوجد أي ذكر للرؤى .

— يقر مقار يوس بتأثير القديس أنطونيوس عليه .

٤ — إذا كان موضوع رسالته لم يسمح له بأن يتعرض لوسائل مقاومة التجارب فهو لم يغفل عن التحدث عنها في تعليقه الشفاهي . فقد احتفظت لنا أقواله في Apophthégme بأثار اهتمامه بهذه الناحية العملية اللازمة جداً لكل مرشد روحي ، وأهمها هي الثقة بالله :

سأل أحد الإخوة أباً مقار يوس قائلاً : « علمني ما هو الإرتقاء على الله » .

فقال له أباً مقار يوس : « مكتوب أنه بدون مثل لم يكن يكلمهم . فكما أنه إذا هجم حيوان وحشي غير ناطق على حيوان مستأنس وطرحه تحت أرجله بقسوة شديدة حتى أنه يصير تحته في منتهى الضعف بالنسبة له ، ولا يكون له قوة ولا رجاء إلا في سيده ؛ و يصرخ بصوت عظيم لينبه سيده ، فإن سيده إذا سمعه يشفق عليه ويجري بسرعة لنجدته ويخلصه من الهلاك من بين برائن هذا الحيوان الوحشي . فإن كان سيد هذا الحيوان غير الناطق يشفق عليه و يسرع لتخليصه من هذا الحيوان الوحشي ، فكم بالحري نحن الخراف الناطقة التي لقطع المسيح إذا ما وضعنا رجاءنا فيه ، فهو لا يسمح للعدو أن يقسو علينا بل يرسل لنا ملاكه ليخلصنا من إبليس . وهكذا يا ابني فإن الإرتقاء على الله هو أن لا يجعل الإنسان ثقته في قوته الشخصية ، بل أن يضع رجاءه في معونة الله ، فإنه هو بلا شك الذي يخلصنا » (٣٦) .

وفي الواقع أن إبليس يسقط عادة أمام التواضع بمعونة ربنا يسوع المسيح التي يسبغها علينا بنعمته المقدسة (٣٧) .

و يشبَّت مقار يوس في ذهن الناسك أهمية الدعاء باسم ربنا يسوع المسيح بواسطة تصورات

(35) AMEL., ADMG, XXV, 82.

(36) Ibid., 131.

(37) Ibid., 152.

قوية ومبتكرة:

[أخبر أبا يمين قائلاً:

كنت جالساً ذات مرة مع الإخوة بجوار أبا مقار يوس وقلت له: «يا أباي، ما هو العمل الذي إذا قام به الإنسان يقتني الحياة؟» فأجابني الشيخ: «لما كنت في حدائتي في بيت أبي كنت ألاحظ أن النساء العجائز والحديثات يضعن في أفواههن شيئاً مثل اللبان ويمضغنه حتى يحلي ريقهن في حلقهن ويزيل الرائحة الكريهة من أفواههن ويزهر ويجدد أحشاءهن وكبدهن. فإذا كان هذا الشيء المادي يعطي حلاوة للذين يمضغونه، فكم بالحري طعام الفرح ونبع الخلاص وينبوع مياه الحياة وحلاوة كل حلاوة، ربنا يسوع المسيح، الذي إذا سمعت الشياطين اسمه المجيد خارجاً من أفواهنا تتلاشى كالدخان. فهذا الإسم المبارك إذا ما نطقناه بمداومة واجترارناه فهو يعلن لنا الروح الذي يقود النفس والجسد، وإنه يطرد عن النفس الخالدة كل فكر رديء، ويعلن لها الأمور السماوية، ولا سيما ربنا يسوع المسيح الساكن في السموات ملك الملوك ورب الأرباب، الذي هو المكافأة السماوية لكل الذين يطلبونه من كل قلوبهم» [(٣٨).

وفي مرة أخرى سأله أحد الإخوة قائلاً: ما هو أكثر عمل يرضي الله من كل أعمال الناسك والزاهد؟

فأجاب قائلاً: [طوبى لمن يوجد ملازماً للإسم المبارك الذي لربنا يسوع المسيح من قلب خاشع وبلا فتور، فإنه بكل تأكيد ليس عملٌ مستحبٌ في كل أعمال الحياة مثل هذا الغذاء الطوبواوي، إذا ما أنت اجتترته في كل حين مثل الخروف حينما يسترجع الطعام من جوفه ويستطعم حلاوة الإجتار، إلى أن يصل ما اجتراه إلى داخل باطنه حيث يصبح في فمه حلاوة وفي جوفه دسماً نافعاً لمعدته ولكل أحشائه، ثم ألا ترى أن جماله وقوته هي بسبب ما اجتراه في فمه؟ فياليت ربنا يسوع المسيح يعطينا نعمة في اسمه الدسم الحلوى [(٣٩).

وقوة الصليب التي غالباً ما يحصل عليها الإنسان المجرب بواسطة علامة الصليب تبطل حيل الشيطان:

[إننا نرى أن الماء يغلب قوة النار ويطفئها، هكذا أيضاً إذا طرحنا ضعفاتنا عند أقدام معونة ربنا يسوع المسيح ملجاناً وقوة صليبه التي لا تقهر، فإنها تطفىء جميع خدع مكر الشيطان وتمنح قلبنا حرارة وغلياناً في الروح، بالإيمان المملوء بهجة وتهليلاً [(٤٠).

وفي رأي مقار يوس أن مصدر كافة الصعوبات التي نقابلها إنما هي حواسنا غير المضبوطة التي

وأمثلة أخرى مثلها في الصفحات ١٦٠ و ١٦١ و ١٦٣ و ١٨٨ من نفس المرجع.

(38) Ibid., 133.

(39) Ibid., 152, 153.

(40) Ibid., 195.

يستخدمها الشيطان مثل قش يضرم به فينا نار الشهوات، والتي من بينها واحدة تتميز بسرعة اشتعالها وهي النجاسة. لذلك فهو يوصي بالهرب منها وبعدم الملاجحة معها البتة، وذلك بخلاف الرؤى الشيطانية التي كان أنطونيوس يلاشها بمناقشتها.

ولقد قال أيضاً أبا مقار يوس الكبير: [إن ما يلزم للراهب هو أن يكون طاهراً من كل شهوة جسدية ومن كل دنس، وأن لا يدع عقله يناقش أفكاره الرديئة البتة بل أن يكون حاراً كل حين في الروح [(٤١).

الفصل الثاني الردائل

مع أن مقار يوس هو أكثر المعلمين الروحيين الذين ندرسهم، والذي يمكن اعتبار تعاليمه بمثابة نظريات روحية، لم يذكر ولا كلمة واحدة في رسالته Ad Filios عن الردائل وعلاجها النفسي، غير تلك التي تدور حولها التجارب الشيطانية.

غير أن التقليد الرهباني ينسب له قولاً يحتوي على قائمة من الردائل والخطايا في مجموعة ليست غريبة تماماً عن قائمة أوغريس:

[لقد كانت الشياطين تلتقي في قلبه أفكاراً رديئة، وهو نفسه قال عنها: «كمثل مائدة مملوءة بكل نوع من الأطعمة الجيدة للأكل، هكذا قامت أمامي الأفكار (الرديئة)، والزنى والشهرة والضجر والكآبة والكبرياء والمجد الباطل والخوف والحزن وعجبة المديح والكرامة وعدم الإيمان والتجديف وقطع الرجاء في الله، الذي يبعد الإنسان نهائياً عن طريق التقوى، وبالإجمال كافة أنواع أعمال الشياطين داخل الفكر قد حاربوني بها كما كان أبا أنطونيوس قد أنبأ بذلك» [(٤٢).



(41) Ibid., 171.

(42) Ibid., 82.

(ثم يقارن المؤلف بين أسماء الردائل الواردة في قائمة أوغريس باللغة اليونانية مع أسماء الردائل الواردة في هذا النص لمقار يوس باللغة الفرنسية المترجم من القبطية. ويستنتج المؤلف أن هذه القائمة بدأت منذ أيام ترنليان والقديس أناسيوس، وتطورت مروراً بالقديس مقار يوس حتى انتهت إلى أوغريس).

الباب الثالث السير نحو المثل الأعلى (أ) الدعائم: وسائط النعمة

الفصل الأول معوونة الله بواسطة كتابه المقدس

١ - الصلاة والمزامير: (ممارسته للصلوات السهمية).

إن مقاريوس الذي يبدو في رسالته مهتماً بالأكثر بالوصول إلى الصلاة الكاملة التي هي الإتحاد السري بالله تحت قيادة الروح القدس، لا يتعرض للكلام عن الصلاة الأولية بل يكتفي بمجرد ذكرها.

ففي بداية سلم الكمال نجد «الصلوات القصيرة» (orationis instantia)، والمواظبة على الصلاة (٤٣)، ضمن قائمة أعمال النسك الخارجية.

ولاشك أن هذه الصلاة المذكورة في هذا الموضع هي صلاة المبتدئين، حيث أن النفس لا تزال بعيدة عن الإتحاد بالله.

ونجد نفس هذا التعبير مرة أخرى قرب النهاية في وصف الإنسان الكامل (Sanctus Vir...) (٤٤) في نهاية مراحل ارتقائه نحو الكمال.

و«المثابرة على الصلاة» تلازم بقية أعمال النسك الأخرى من أصوام وأسهار... إلخ، في النهاية كما كانت في البداية، ولا يجوز أبداً التراخي في هذه الممارسات. فليس إذن ما يدعو إلى تغيير معنى كلمة الصلاة «Oratio» الواردة في هذا الموضع (عن معناها في بداية الرسالة).

أما عن نوع هذه الصلاة «Oratio»، فالرسالة لا تعطينا أي بيانات. والمؤلف لا يذكر شيئاً عن صلاة المزامير، متجاوزاً عن تفاصيل الخطوات الأولى، حيث أن هدفه الأساسي هو الوصول إلى الإتحاد السري بالله.

فإن كنا لا نستطيع أن نستخلص شيئاً قاطعاً عن تعليمه بهذا الخصوص بسبب صمته، غير أن تقليد الآباء قد يبيننا من جهة الصلوات القصيرة (orationis instantia) عند مقاريوس.

(43) Ad Filios, 2.

(44) Ibid., 14.

وتخبرنا أقوال الآباء أن بعضاً من الرهبان سألوا أبا مقاريوس ذات مرة هذا السؤال: «كيف يجب أن نصلي؟» فأجاب الشيخ: «ليس من الضروري أن نتلفظ بكلمات كثيرة، ولكن قولوا وأيديكم مبسوطة: ارحمني يارب حسب مشيئتك وعلمك! فإذا اشتد ضغط العدو عليكم قولوا: يارب أعني!» (٤٥).

وهذه الصلوات القصيرة الحارة التي يوصي بها تلاميذه - التي ندعوها نحن «الصلوات السهمية orationis jaculatoires» - يبدو أن مقاريوس نفسه كان يمارسها. فإن بالاديوس يقص علينا القصة التالية عن مقاريوس: [وعلى مدى زمن طويل أكمل (مقاريوس) حفر سرداب تحت الأرض يمتد من قلايته إلى مسافة نصف غلوة (١٦٥-٢١٠ متراً) وينتهي بمغارة صغيرة. فإذا حدث أن جاءه كثير من الناس يضيقون عليه، كان يخرج من قلايته خفية (عن طريق السرداب) متجهاً نحو المغارة الصغيرة حيث لا يمكن أن يجده إنسان. وقد أخبرنا أحد تلاميذه المقربين وقال لنا أنه كان يصلي أربعاً وعشرين صلاة في ذهابه إلى المغارة وأربعاً وعشرين أخرى في عودته منها] (٤٦).

وهذان النصان يوضحان معنى «الصلوات القصيرة» (orationis instantia) التي ذكرها مقاريوس في رسالته.

وفي موضع آخر تقدم لنا أقوال الآباء Apophthégms نصيحة أخرى لمقاريوس عن كيفية الصلاة. قال أبا مقاريوس الكبير: [إذا ما أقبلت على الصلاة، احتسرس بشدة لئلا تسلم آنتك في أيدي أعدائك لأنهم يريدون أن يستولوا على آنتك التي هي أفكارك. فإنها آنية مكرمة تخدم بها الله، لأن الله لا يطلب أن تمجده بشفتيك فقط بينما تكون أفكارك مشتتة وشاردة في العالم كله، بل يريد أن تكون النفس بكل أفكارها قائمة أمام الرب وناظرة إليه بلا ارتباك] (٤٧).

٢ - الهذيد:

بالرغم من أن مقاريوس لم يأت بأي ذكر للهذيد، إلا أن رسالته (Ad Filios) تفترض وجوده. ويقول Dom Wilmart: «إن الأساس الذي بُنيت عليه الرسالة هو نوع من الهذيد الحاسم الذي يذكر النفس بسقطاتها وواجباتها» (٤٨).

هذا وقد أوردنا فيما سبق - عند حديثنا عن التجارب - نصائح مقاريوس بخصوص

(45) Apoph., No. 19, P. G., XXXIV, 249.

AMEL., ADMG, XXV, 220-221.

(46) Hist. Laus., XVII, 10.

(47) AMEL., ADMG, XXV, 180.

(48) Dom Wilmart, RAM, Janvier 1920, p. 82.

«مضغ» و«اجترار» اسم يسوع القدوس، وهو في الوقت نفسه أفضل هذيد يمكن أن يكون.

سأل أخ أبا مقار يوس قائلاً: علمني معنى هذه الكلمة: «هذيد قلبي أمامك» (مز ١٩: ١٤). فأجابه الشيخ: «ليس هذيد أحلى من الإسم المخلص والبارك الذي لربنا يسوع المسيح حينما يحل فيك بلا انقطاع. فإنه مكتوب هكذا: «مثل السنونة أصرخ وكاليمامة ألهج» (إش ٣٨: ١٤)، هكذا يفعل الإنسان التقي الذي يثبت في الدعاء بالإسم المخلص الذي لربنا يسوع المسيح» (٤٩).

٣ - قراءة الكتاب ودراسته:

تفيح رسالة مقار يوس كلها بعبق كتابي: فعظم الإثني عشر نصاً التي استشهد بها صراحة مأخوذة من العهد الجديد. أما عن الإقتباسات الكتابية والإستشهادات الجزئية فهي أكثر من ذلك جداً. وقد كشف Dom Wilmart عن وجود ما يقرب من ستين (٦٠) منها.

ومع أن مقار يوس لم يتكلم في رسالته عن قراءة الكتاب المقدس كعمل نسكي، إلا أن الرسالة كلها تفترض ممارسة هذا العمل على الدوام.

أما التقليد الرهباني فينسب له بعض أقوال تتفق تماماً مع التعاليم السائدة في ذلك العصر.

في قصة الراهب Théopemptus أعطاه مقار يوس النصيحة التالية: «عليك أن تتلو من الذاكرة نصوصاً من الإنجيل ومن أسفار أخرى من الكتاب» (٥٠).

ويشير في مكان آخر إلى نفس التدريب. فقد كان مقار يوس يطالب الرهبان بأن ينشغلوا أثناء أسهارهم «بأصوام وصلوات وتلاوات» (٥١). ويفسر AMELINEAU هذه التلاوات بأنها هي تلاوة الكتاب المقدس بصوت مرتفع. وبالرجوع إلى النص السابق نعتقد أن هذا التفسير هو الصائب.

الفصل الثاني

الإفخارستيا

(في هذا الفصل يتكلم المؤلف عن الإفخارستيا عند الآباء بصفة عامة. أما عند مقار يوس فلم يذكر إلا الشيء القليل الذي نوره فيما يأتي):

ذهب أبا مقار يوس ذات مرة لمقابلة أبا أنطونيوس، وبعد أن تبادل معه الحديث عاد إلى الإسقيط، فجاء إليه الآباء، وفي خلال الحديث قال لهم الشيخ: «قلت لأبا أنطونيوس إنه لا توجد تقدمة في المكان الذي نحيا فيه.

(52) «ὡς οὐκ ἔχομεν προσφορὰν ἐν τῷ τόπῳ ἡμῶν»
ومما يؤسف له أننا لم نعرف إجابة أنطونيوس، لأن الرهبان أخذوا في مناقشة موضوع آخر مع مقار يوس فلم يخبرهم بباقي الحديث.

ومن المعروف أنه قد تم بناء أربع كنائس في تلك المنطقة فيما بعد (٥٣). وطبيعي أن إقامة القداس الإلهي قد يسر أمر التناول من الأسرار المقدسة على الساكنين في البرية.

والنص التالي لمقار يوس والخاص بإثنين من المتوحدين الشباب، يبين انتشار ممارسة التناول بين النساك بصفة منتظمة:

[هوذا الذين يسكنون بعيداً يأتون إليّ، وأما هذان القريبان مني فلم يأتيا إليّ قط حتى الآن ولا ذهبوا إلى غيري، غير أنها يذهبان إلى الكنيسة في صمت لتناول القربان λαβεῖν τὴν προσφορὰν (٥٤) (وهما مكسيموس ودوماديوس)].

الفصل الثالث

الإفتداء بالقدسين

يذكر مقار يوس في رسالته كلمة «القدسين» في موضعين:

— الموضع الأول: عندما ينصح المبتدئين بأن يتأملوا في «المجازاة والكرامة التي ستكون من نصيب القديسين» (٥٥).

— الموضع الثاني: عندما يتكلم عن النفس إذا ما وصلت إلى الإتحاد السري بالله «فإن الروح القدس يكشف لها الكنيسة التي هي فضائل القديسين وتبرراتهم» (٥٦).

ويبدو من النص أن المقصود من «القدسين» هم الذين وصلوا إلى الكمال.

ويدور الحديث في هذين النصين عن احتمال قبول معونة من القديسين، بالتشجيع الذي نحصل عليه بالتفكير في أكاليهم.

(52) Apoph., No. 26, P. G., LXV, 273; ومثلها P. G., XXXIV, 252.

(53) SCHIWETZ, Das morgenländische Mönchtum, Kirchheim, Mainz, 1904-1913, I, 311.

(54) Apoph., No. 33, P. G., XXXIV, 256; ومثلها P. G., LXV, 276.

(55) Ad Filios, 3.

(56) Ibid., 13.

(49) AMEL., ADMG, XXV, 153.

(50) Apoph., No. 3, P. G., XXXIV, 242.

(51) AMELINEAU, MAFC (Mission Archéologique Française au Caire) (apophtéme), 4, 2, 537.

و يندعم مقار يوس تعاليمه في مواضع كثيرة بالإستشهاد بقديسي الكتاب المقدس مثل : داود النبي و« القديس بولس » و« الطوباوي بطرس » .

الفصل الرابع الإرشاد الروحي

يبين العنوان التقليدي للرسالة : «Epistola S. Macarii Monachi ad Filios»
« رسالة القديس مقار يوس الراهب لأبنائه » بأن هدف هذه الرسالة هو الإرشاد الروحي .

و يبين لنا مضمون الرسالة مقدار عناية كاتبها بالتقدم الروحي لأولاده المتوحدين الآتين من «الوجه البحري بمصر، من وسط بلا طابع، وليس لهم قانون رهباني، بل النفس تُترك لذاتها والله ولا تجدها مرشداً إلا في تعاليم المختبرين» (٥٧).

وبمجرد وجود هذه الرسالة يفترض ممارسة الإرشاد الروحي، وإن كان لم يذكر ذلك فيها صراحة. غير أنه قد أشار إشارة غير مباشرة إلى وجود علاقة نسكية بين الرهبان عند قوله بأن بعض الناس (الرهبان) — بإيحاء من الشيطان — يوجهون الناسك إلى الإفراط في النسك (٥٨).

وإذ كان مقار يوس نفسه مقتنعاً بأهمية الإرشاد الروحي المستنير أخذ يبحث عن معلم. ولما وصل إلى الجبل الذي أرشده إليه الملاك قال لنفسه بعد مضي أيام كثيرة: «هوذا أنا في هذا المكان وقد جئت إليه كما أمرت، لا أجد إنساناً يوجهني إلى العمل الروحي الواجب على الذين يعيشون في البرية، فإذا أفعل؟ لقد علمت: هوذا قد سمعت عن القديس أنطونيوس...» (٥٩). وللوقت وضع ذاته تحت إرشاد المتوحد العظيم.

و يتركز دور المرشد الروحي أساساً في امتحان الناسك المبتدئ بقصد تنقيته واستعلان بنوة الله فيه:

[سأل أخ أبا مقار يوس قائلاً: علمني ما معنى الحياة تحت الخضوع (للمرشد). فقال له أبا مقار يوس: كما أن الحجر إذا دار فوق القمح فإنه ينزع منه القشور و يصير القمح خبزاً متماسكاً، هكذا بالنسبة لك يا إبني: فالحجر هو أبوك والقمح هو أنت، فإذا ما سمعت له فإنه يصلي إلى الله من أجلك لكي ينزع منك كل قشور الشيطان، ومثل الخبز المتماسك تصير إبناً لله] (٦٠).

(57) Dom Wilmart, RAM, Janvier 1920, p. 60.

(58) Ad Filios, 6.

(59) AMEL., ADMG, XXV, 77-78.

(60) Ibid., 126-127, Cf. aussi: ibid., 155-156.

و يفترض هذا الإرشاد الطاعة من جانب التلميذ طالما ظل بجانب المعلم الذي اختاره مرشداً له بمحض حرите .

وكانت الطاعة في الأوساط التوحيدية بالإسقيط عادة مكرمة كأعلى فضيلة للمتوحد (٦١).

(ب) ممارسة الفضائل الفصل الأول الإيمان

لقد كان مقار يوس كارزاً بالإيمان المسيحي. فلما كان منفياً في جزيرة، قاد سكانها غير المؤمنين إلى الإيمان بالمسيح. وجاء في أقوال الآباء Apophthegms أنه ربح كاهناً وثنياً للمسيح (٦٢).

وإن كان مقار يوس لا يتكلم في رسالته عن قانون الإيمان (règle de la foi) إلا أن مستندات أخرى تبينه لنا شغوفاً بأن يستشهد بتعاليم أنطونيوس أب الآباء (patriarche) بهذا الخصوص. فالإيمان في رأيه هو منبع التقوى: [والآن يا إبني جاهد في كل عمل، فقد قال أبا أنطونيوس: إنه ينبغي في هذا الزمن أن يجعل كل واحد من نفسه كنيسة، أي أن يضع الإنسان كل قوته في تنقية نفسه التي هي كنيسة الله، لكي نرسل إلى فوق التسايح للثالوث الأقدس بصوت خاشع إلى الله ربنا باعترافنا الثابت بالإيمان الأرثوذكسي] (٦٣).

و يقدم لنا أحد الأقوال، المعبرة ملخصاً لتعليمه، الإيمان كأساس لا يتزعزع لكل الفضائل: [من كان إيمانه نقياً وأعماله مؤسسة على التقوى، من المستحيل أن يسقط في حماة الخطية أو يعثر من حيل الشياطين] (٦٤).

الفصل الثاني الإماتات

في رسالة القديس مقار يوس نلاحظ أن الإماتة تلازم كل درجات النمو التي يمر بها الناسك.

(61) W. BOUSSET: Das Mönchtum der sketischen Wüste, in Zeitschrift für kirch. Gesh., 1923, p. 9.

(62) SCHIWETZ, Das morgenländische Mönchtum, Kirchheim, Mainz, 1904-1913, I, Missionsarbeit der aegyptischen Mönche, 286-298.

(63) AMEL., ADMG, XXV, 148.

(64) Apoph., No. 20, P. G., XXXIV, 249.

فنذ بداية توبة الإنسان، يتقبل من الله موهبة «إماتة الجسد» بواسطة الأصوام والأسهار، حتى أن كل إرضاء للجسد يصير ثقيلاً على نفسه (٦٥).

وكثير من التجارب التي تقابل الراهب في طريق نموه تكون ضد الإماتة: فهو يصير سهل الإنجذاب لشهوات الأطعمة وبالتالي لا يمكنه أن يتقدم إلا إذا قاوم هذا النوع من التجارب بقوة وعزم (٦٦).

وإذ يسهل عليه إقاع جسده يصير ذلك فرصة لتجربة جديدة بواسطة إيقاعات الشيطان الشرير، لأن الروح الخبيث يدفعه لإفراطات غير ممكنة في النسك، مثل عدم الأكل وعدم الشرب والسهر (٦٧).

فتى وصل الإنسان في سعيه نحو الكمال إلى غايته فإن الروح القدس يدخل معه في عهد يعطيه بواسطته مواهب كثيرة من ضمنها «إماتة الجسد والأسهار المتواترة»، وإنما «بإفراز وتمييز دون تشويش بل في سلام» (٦٨).

وهكذا تنمو فضيلة إماتة الجسد وتدنو من الكمال كلما تقدم الإنسان في روحانيته: وهذا النمو يتركز في الاعتدال والإفراز بالنسبة للأمور الخارجية وفي الهدوء والسلام القلبي.

وإن كان هدف مقار يوس من رسالته لم يسمح له بالدخول في تفاصيل كثيرة، إلا أن اهتمامه بالإماتة يبدو بوضوح من حثه المستمر عليها في كل رسالته.

ولكي يشجع مقار يوس تلاميذه على الإماتة يذكّرهم بالمجازاة العظيمة التي يستحقونها بسببها: [كلا يا أولادي، فإن مخلصنا لن يسلبكم شيئاً منها، فإن الأتعاب التي يتعبها كل واحد سوف تُعلن له في اللحظة التي يخرج فيها من الجسد.

جاهدوا يا أولادي، ولا تنظروا إلى الناس الذين يأكلون ويشربون وينامون ولا يندمون، ولا تقولوا: لعله يتساوى من يتعب مع من لا يتعب. كلا يا أولادي، تقووا في الإيمان ما دمتم على الأرض، فإنه حتى أصغر عمل من أعمال الفضيلة يعمله أي إنسان، أو إذا ما تغصب في مأكله، فإن كل تعب تقدمه بزيادة سوف نجده مستعلناً لنا في الدهر الآتي.

فأسرعوا إذن يا أولادي إلى التعب وأحبوه، وليكن مشتهى جداً لنا مع تواضع كثير [٦٩].

ونجد نفس التعليم عن أهمية الإماتة، وبالأخص بالنسبة للصوم، في أقوال مقار يوس في Apophthegms، والقول الآتي لأهميته جاء في موضعين من نفس المجموعة لأقوال الآباء: قال أبا مقار يوس: [الذي يملأ جوفه من الخبز والماء فهو في نفس الوقت يسلم مفاتيح بيته للصوم] (٧٠).

فالهدف من الصوم إذن هو أن نحفظ بسلطان النفس على كل ملكاتها. ويظهر طابع الاعتدال في تعاليم مقار يوس بوضوح من أقوال Apophthegms: [كانت هناك قاعدة ثابتة أنه إذا ما وُجد نبيذ فاشرب منه من أجل الإخوة ثم عن كل كأس نبيذ شربتها امنع نفسك عن الماء يوماً كاملاً] (٧١).

وهكذا قليل من الإسترخاء في النسك تتطلبه المحبة يصير فرصة لإماتة أعظم.

إنه لم يكن يريد من الناسك أن يتمادى في نسكه، ولا كان يريد أيضاً أن يحد من سخاء أولئك الذين في استطاعتهم أن يبذلوا أكثر:

[ليكن نصف الليلة كافياً لممارسات عبادتك، والنصف الآخر اجعله لراحة الجسد].
وأيضاً: [الصوم المناسب هو أن نصوم حتى الساعة التاسعة]، إلا أنه يضيف مباشرة: [الذي يفعل أكثر ينال أجراً أكثر] (٧٢).

الفصل الثالث الإتضاع

نلاحظ أن الإتضاع في رسالة مقار يوس له دور أساسي وثابت على الدوام. فهو ضروري في بداية النسك. وهو يأتي كنتيجة لأعمال النسك الخارجية الابتدائية حيث تتقبل النفس من الله الإشتياق إلى الدموع والندم وبالتالي انسحاق القلب والإتضاع (٧٣).

ثم تأتي التجارب على النفس ومن ضمنها المجد الباطل (٧٤) والإفراط في النسك لإكتساب تقدير الناس (٧٥).

(70) Ibid., 225.

(71) Apoph., No. 10, P. G., XXXIV, 245.

(72) AMEL., ADMG, XXV, 167.

(73) Ad Filios, 2,3.

(74) Ibid., 5.

(75) Ibid., 6.

(65) Ad Filios, 2.

(66) Ibid., 4.

(67) Ibid., 6.

(68) Ibid., 14.

(69) AMEL., ADMG, XXV, 164, Id. 225.

وعندما تصير النفس مستحقة لأن يُنعم عليها بالإتحاد الوثيق بالله، فتنهزم أمامها التجارب؛ فإن التواضع هنا أيضاً هو الذي يحفظها في الحق. حينئذ يبدأ الإنسان أن يعرف كيف يكرم الله كما يجب بكل تواضع وشكر.

ومن جهة أخرى، فإن التواضع بجانب الندامة والوداعة هو ثمرة من ثمار أعمال النسك^(٧٦).

وفي الصورة التي يرسمها مقار يوس للإنسان الكامل، نجد أن الإلتضاع أيضاً هو الذي يرسخ العهد بين النفس والباراقليط^(٧٧).

وفي ختام النصائح البالغة الأهمية التي يقدمها مقار يوس للنفس ليعلمها أن تستجيب بأمانة لإلهامات الروح القدس، يحثها على الإلتضاع «قمة جميع الفضائل»: [إن لم تكن النفس حاصلة على الإلتضاع بدرجة كبيرة، يستحيل عليها أن تحفظ وصايا الروح]^(٧٨).

ثم إن القديس مقار يوس يتكلم عن تفاصيل ممارسة هذه الفضيلة: ينبغي أن نضع حارساً على قلوبنا ومخافة الله في قلوبنا، ونحتمل برضى كل ظلم يأتي علينا، ونحرص أن لا نظن في أنفسنا أننا أفضل من سوانا:

[إن الذي لا يتحاشى أن يعتبر نفسه أفضل من الآخرين بسبب الأمور التي تميزه عنهم، ظناً منه أن له فضلاً فيها، يستحيل عليه أن يحفظ وصايا الروح]^(٧٩).

ويبدو من اهتمام مقار يوس بهذه النصيحة أنه كان يرمي بذلك إلى مقاومة تجربة كانت مألوفة ومنتشرة بين أولاده.

ومن المفروغ منه أن مقار يوس نفسه كان يمارس هذه الفضيلة.

فقد قال إبليس له ذات يوم: «إن صيتك يامقار يوس قد شاع في المشارق والمغرب مثل صيت العظيم أنطونيوس أول الرهبان، فقد تشبهت به كما تشبه إيشع بإيليا، لأن أنطونيوس قد صار لك أيضاً معلماً إذ قد ألبسك الإسكيم، وقد غلبتني باتضاعك، بقبول النصيحة من أبا أنطونيوس باتضاع، وقد اعتبرته كإله بمحبة تواضعك الحقيقي»^(٨٠).

والتواضع هو الفضيلة الوحيدة التي هي في مأمن من حيل الشيطان الذي لا يستطيع أن يجارها أو يتشبه بها. فقد قال الشيطان مرة لمقار يوس: «كل ما تفعله أفعله أنا أيضاً، فأنت تصوم وأنا أيضاً، أنت تسهر وأنا لا أنام. إلا أن شيئاً واحداً يعني من أن أعادلِكَ، فسأله مقار يوس: وما

(76) Ibid., 12.

(77) Ibid., 14.

(78), (79) Ibid., 17.

(80) AMEL., ADMG, XXV, 121.

هو؟ فأجاب: تواضعك. فبسببه لا أستطيع أن أؤذيك بشيء»^(٨١).

وقد بدأ تلاميذه أيضاً في تفهم هذه الحقيقة: [قال أبا مقار يوس: إن الطريق المؤدي إلى جهنم يمكن أن يوصل إليه الصوم، وأن يوصل إليه الهذيد، وأن توصل إليه التقوى، وأن يوصل إليه النسك. فقال له الإخوة: وهل يوصل إليه التواضع أيضاً يا أبانا؟ أما هو فقال: التواضع الحقيقي ليس هو أن تقول فقط من فك: ساعني...]^(٨٢).

ويظهر مما سبق أن مقار يوس لا يبالي في تقدير قيمة أعمال النسك، فالإلتضاع وحده، الذي يعنى به اتضاع القلب، هو العمل الوحيد الذي يعتبر خضوعاً كاملاً لروح الله.

وكان هروب مقار يوس من المجد الباطل هو السبب في إخفائه لتنسكاته، فهو الذي وضع لنفسه هذا القانون: [يامقاره إذا ما وُجد نبيذ فاشرب منه من أجل محبة الإخوة، ولكن عن كل كأس نبيذ شربتها امتنع نفسك عن الماء يوماً كاملاً]^(٨٣).

الفصل الرابع بذل النفس

على الرغم من أن القديس مقار يوس قاسى الإضطهاد والنفي من أجل الإيمان، إلا أنه لم يتكلم في رسالته الأصيلية عن الإستشهاد ولا عن آلام المسيح، وذلك لأنه لم يكن هناك مجال في رسالته بسبب اختصارها أن توضح جميع جوانب الحياة النسكية.

أما إذا رجعنا إلى أقوال الآباء Apophthegms حيث يجب أن نبحث عن الأثر القوي الذي تركه مقار يوس في التقليد الرهباني، فإننا نجد أن شهوة الإستشهاد كانت مشتعلة في قلوب تلاميذه:

[قال مقار يوس للشيوخ السبعة الذين زاروه وكان معهم موسى الأسود: إن واحداً منكم يا إخوتي سوف يموت شهيداً، ومعه سبعة إخوة آخرون سوف يموتون بنفس المصير^(٨٤).
فقال أبا موسى: اذكرني يا أبي لكي يتم في قول المخلص القائل: «من يأخذ السيف فبالسيف

(81) Apoph., No. 11, P. G., XXXIV, 245; Cf. aussi: AMEL., ADMG, XXV, 119-120, 206-207.

Apoph., No. 7, 9, 31, 35 & P. G., XXXIV, 244, 245, 253-257

(82) AMEL., ADMG, XXV, 166.

(83) Apoph., No. 10. & P. G., XXXIV, 245.

(84) وقد تم ما نسباً به القديس مقار يوس بالحرف الواحد بالنسبة لموسى الأسود، فقد استشهد هذا القديس مع سبعة آخرين كانوا معه، وذلك حسب ما تقول سيرته، أنظر الفصل السادس بالباب الرابع.

يؤخذ»، فهذا هو رجائي [٨٥].

وهكذا يتضح أن الإستشهاد كان امتيازاً يستحق التوسل إلى القديس وطلب معونة صلواته .
وفي نظر مقار يوس فإن النساك الذين يموتون موت الأبرار هم شهداء بالحقيقة .

ولقد زاره بعض الآباء ذات يوم، فاقتادهم إلى قلاية الراهبين الشابين القديسين ذوي السيرة العطرة (مكسيموس ودوماديوس) اللذين كانا قد تنيحا من زمن قريب، وقال لهم: «تعالوا بنا نزور قبر μαρτύριον الإخوة الغرباء»^(٨٦)، حيث كلمة μαρτύριον كان يعني بها الهياكل الصغيرة المقامة تكرماً للشهداء^(٨٧).

والألم المحبوب هو الختم الأصيل للصليب المسيح في جسد الإنسان المسيحي . فالألم في المسيحية هو عملية صلب مع المسيح: فالصليب فقط وعليه المسيح مسمر يعطي الألم معناه الحقيقي . هذا المعنى هو الذي أعلن لمقار يوس في رؤيا رأى فيها كاروباً يصلبه على الأرض ويقول له: «إنك ستصلب ذاتك مع المسيح، وتصير متحداً به على الصليب في زينة فضائلك وعبيرها العطر، وسيشيع صيت نسكياتك في أربع أرجاء المسكونة، وستنهض جمعاً غفيراً من المنغمسين في وحل الخطية، فيصيرون من المحاربين، وجنوداً في جيش المسيح». ولقد كان أبا مقار يوس بالفعل يصلب جسده ويتم بكل عناية جميع ما قاله الكاروب^(٨٨).

وتكشف لنا هذه الرؤيا الجميلة عن مدى الخصب الروحي للتألم كشركة في آلام الفادي، فإذا ما تألم أحد على هذا المثال فإن آلامه تثمر للمسيح تلاميذ في كل أنحاء العالم وتضمهم إلى جيشه حيث تنبعث أعظم الانتصارات وأبهاها من أثقل الصلبان وأكثرها ألماً.
«انتهى البحث»



(85) AMEL., ADMG, XXV, 187.

(86) Apoph., No. 33, P. G., XXXIV, 257; Cf. aussi: AMEL., ADMG, XXV, 211.

(87) Athanase, Hist. Arianorum ad Monachos, 37; P.G., XXV, 736.

(88) AMEL., ADMG, XXV, 119.

الفصل الثالث

الذكصولوجيات

أي التماجد الخاصة بالقديس أنبا مقار

مقدمة

بالإضافة إلى الذكصولوجيتين الواردتين في كتاب الأبصلمودية المقدسة السنوية (كتاب التسبحة) اللتين يتضح من كلمات الأولى منها أنها مؤلفة خصيصاً لمناسبة عودة جسد القديس أنبا مقار إلى شيهيت، وربما يكون قد جاء تأليفها في نفس زمن عودة جسده، أي في حوالي سنة ٧٨٤م، وذلك يظهر من الكلمات القائلة (كل طائفة الرهبان تسبح وتبارك الله لأجل مجيئك إلينا يا أبانا القديس أنبا مقار)، ولذلك فليس من الصواب ما كُتب في بداية هذه الذكصولوجية أنها تُقرأ في ٢٧ برمهاة - وهو يوم نياحته - و٨ طوبة؛ بل الأصح أن يُقال: «تُقرأ في ١٩ مسرى وهو يوم وصول جسده إلى شيهيت»^(٥). أما الثانية فيتضح من كلماتها أنها مؤلفة في العصور الحديثة نوعاً ما، وذلك يظهر من قول مؤلفها: (فلهذا يفدون إليك من أقاصي الأرض، من رومانيا وسوريا والمشرق وأسبانيا. وليس فقط في الزمان الغابر بل هوذا الآن أيضاً يفدون من كل مكان يسجدون على جسدك المقدس).

نقول أنه عدا هاتين الذكصولوجيتين فقد عثر العلامة إقلين هويت ضمن أوراق مفردة مخطوطة ومدشوتة بالدير وثيوتوكيات قديمة جداً ومهملة في أرضية غرفة المكتبة بالحصن - على عدة ذكصولوجيات هامة باللغة القبطية ذات إلماحات مبدعة من سيرته وحياته ونسكه ووصف لشخصيته وللقوة الإلهية التي رافقته، وقد قننا بترجمتها هنا وأضفناها باللغة القبطية في مواضعها بالأبصلمودية الخاصة بالدير للتسبيح بها في مواسمها الخاصة، ونعتقد أنها من أقدم الذكصولوجيات المعروفة لفرادة أسلوبها التاريخي والوعظي.

(٥) الأعياد التذكارية للقديس أنبا مقار.

(١) تذكار نياحته ٢٧ برمهاة (٥ أبريل).

(٢) تذكار رجوعه من المنفى ١٣ برمهاة (٩ مارس - يولياني، ٢٢ مارس - غريغوري).

(٣) تذكار تدشين الكنيسة التي بناها في المنفى بعد تعميد أهل الجزيرة ١٠ طوبة (١٨ يناير).

(٤) تذكار وصول جسده إلى شيهيت ١٩ مسرى (٢٥ أغسطس).

(٥) تذكار تدشين هيكل أنبا بنيامين بكنيسة أنبا مقار ٨ طوبة (١٦ يناير).

الذكصولوجية الأولى (١)

وتاريخ نساختها من القرن الرابع عشر بدير القديس أنبا مقار،
آخرها فاقد، الباقي ١٥ بيتاً شعرياً، وتدل على مهارة أدبية
ومنظومة على أساس سيرته.

كان رب المجد مع البار اللابس الروح أنبا مقار، لأنه قد عين له قوة مقدسة هي الشاروبيم
لتكون معه منذ الإبتداء.

إذ بينا كان في مغارته جالساً يتأمل في الأسفار المقدسة يوماً من الأيام، ظهر له الشاروبيم
متكلماً معه بهذا الخصوص قائلاً:

يامقارة أنظر إلى نفسك ولا يستعلي قلبك بسبب تمجيد الناس، لأنك لو أكملت كل
الفضائل فعليك أن تقول أنا خاطيء.

اهتم بكرمك لأنه بلغ أوان الإثمار فلا تدع الثعالب المفسدة تتلفه.

واهتم بشجرة حياتك لئلا تبدد طرحها طيور السماء.

واهتم بكنزك الذي جمع كل الصالحات حتى لا ينقبه السارقون.

واهتم بمركبتك التي وسقت من كل الخيرات الملكية لئلا يفسد العدو خطتك.

فلما سمع أنبا مقار ذلك الكلام بكى قائلاً:

ويحي بالكبرياء قلبي أنا الخاطيء، كيف تريد الأرواح الشريرة أن تهلك نفسي.

ويحي بالكبرياء قلبي أنا الخاطيء، كيف حتى الآن لم أقبل الآلام عن أخي.

فلما سمع منه الشاروبيم ذلك مدحه واستحسنه.

الذكصولوجية الثانية

وعنوانها: «أنبا مقار وأولاده»، وكان بآخرها بيتان مفقودان استطاع إفلين هويت أن
يكملها من كتاب «ثيوتوكية» آخر موجود بمكتبة الفاتيكان (٢). وقد ألفها كاتبها على أساس ما
جاء في السيرة أيضاً بأنه كان معه الشاروبيم كقوة معزية ومعينة، وأن أنبا مقار عاش حتى رأى
الأديرة الأربعة تنمو وتزدهر بأولاده وأولاد أولاده.

ذكصولوجية لحن واطس:

الشاروبيم الذي رافقك، ياسيدي أنبا مقار، حتى أحضرك إلى هذه البراري كان له أربعة
وجوه. وجه أسد ووجه ثور، ووجه إنسان ووجه كالنسر، كان هذا منظره بحسب الأسفار.

(1) Ev. White, I, p. 120, 121.

(2) Theotokia (Cod. Vatic. Copt., XXXVIII).

وأنا أشبهه وجه الأسد بأبينا أنبا مقار، لأنه صار أسداً قوياً ضد الأرواح النجسة.
وأشبهه وجه الثور بأبينا أنبا يوحنا، لأنه زرع عوداً يابساً في أرض قفرة وسقاه حتى أثمر.
وأشبهه وجه الإنسان بأبينا أنبا بيشوي، لأنه تكلم مع المسيح مثل موسى مُعطي الناموس.
وأشبهه وجه النسر بأبونا الروميين، لأنها أخذت أجنحة نارياً وعبراً هذه الصحاري.
وهوذا أيضاً موسى الأسود أتى إلى هذه الصحاري، ولبس إكليل الشهادة الذي لا يبلى.
والتسعة والأربعون شهيداً، شيوخ البرية، سفكوا دماءهم على صخرة البيامون.
والقديسة إيلاريا وأنستاسيا وأرسيما صرن عرائس للمسيح.
وهكذا المواضع المقدسة التي أسستها ياباناً أنبا مقار لن تكف عن أن تعطي أثمارها حتى نهاية
الدهور.

اطلب عنا ياباناً أنبا مقار مع أولادك لباس الصليب.

الذكصولوجيتان الثالثة والرابعة

وهما أصلاً كانا ضمن كتاب الدفنار. الأولى واطس والثانية آدام وهما مخصصتان للتسبيح في
عيد تذكار أنبا مقار في ٢٧ برمها، والذكصولوجية الأولى مكتوبة أيضاً في كتاب التسبيحة.

وفي قانون قراءة هاتين الذكصولوجيتين (في المقدمة بالخط الأحمر) أنها تقرأ أيضاً في
١٩ مسرى عيد نقل جسد أنبا مقار.

الذكصولوجية الثالثة:

(السابع والعشرين من برمها واطس. أبا مقار).

فلتتهلل وتفرح براري شبيبت وتطلق بخورها العطرة كزنايق الحقل... وليترنم ويسبح معاً كل
الرهبان من أجل مجيئك إلينا أيها العظيم أنبا مقار.

لأنه هوذا بواسطتك صارت البراري كالمدين، والموضع الذي بلا إنسان امتلأ بقديسي الله.
لقد منطقتهم كالجنود فصاروا أبطالاً وجبابرة بأس ضد التنين المرتد وجماعته الشريرة.

لهذا نتوسل إليك نحن أولاد صلواتك، إسأل الرب عنا ليغفر لنا خطايانا.
في برمها، رقدت وارتحت، في اليوم السابع والعشرين من هذا الشهر.

وقد جاءك الشاروبيم مع صفوف الملائكة وجمع الأبرار.

وتحدث معك كما يتحدث الإنسان مع صاحبه. أسرع وتعال لأن كل هؤلاء ينتظرونك.
فأجبت بالفرح الذي ملأ قلبك: «ياربي يسوع في يدك أستودع روحي».

الذكصولوجية الرابعة:

(السابع والعشرين من برمهات آدم أباً مقار).
طوباك يا أنبا مقار، يا حامل الروح وأب كل الرهبان.
لقد جاهدت الجهاد الحسن في ميدان الركض حتى نلت الدعوة لوليمة العشاء.
لقد صرت لنا مثلاً لاكتساب الآداب الرهبانية والصلاة والصبر.
لقد صرت أولاً تلميذاً وخادماً للحكمة صانعاً إرادة سيدك حسناً.
فسمعت الصوت نعماً أيها العبد الصالح والأمين.
لأنك كنت أميناً في القليل أدخل الآن إلى فرح سيدك.
بصلوات القديس أنبا مقاريارب أنعم لنا بمغفرة خطايانا.

الذكصولوجية الخامسة

(أبا مقار وقديسي شيهيت)

السلام لأنبا مقار الشبكة التي اصطادت كل من صادفها إلى طريق الله. الذي ألبس أولاده
الإسكيم المقدس، وعلمهم كيف يسكنون متوحدين في مغائر الأرض.
مكرم جداً فوق حدود النطق أنبا يوحنا القمص، لأن من أجل طهارته صارت الوحوش أمامه
كالحملان، ومن أجل طاعته أزهرو العود الناشف وأثمر.
لقد انحلت أفكارني مني وتاه عقلي عن أن يجد قولاً مستحقاً لكرامتك أيها الرجل (الكامل)
يا أبانا أنبا بيشوي، يامن ركضت حسناً في ميدان الجهاد.
السلام لمكسيموس ودوماديوس أبونا الروميين اللذين أتيا من الكورة (البعيدة)، إذ لما رفعنا
صليبها سارا وراء المسيح حتى أتيا إلى جبل أنبا مقار المقدس.
لقد صاروا مثل يوحنا البتول الطاهر وأخيه يعقوب ابن زبدي، لما تركا أباهما وشبكتها في
الركب وتبعوا المسيح بقلب مستقيم.
فعوض الشبكة والبحر جعلها صيادي الناس.
ومكسيموس ودوماديوس تركا غناهما وقصر الملك، ازدريا بأملآكهما وترجيا ملك الحياة
الأبدية، فورثا الدير (لافرا Lavra) الرابع الذي اختاره الرب في البرية (دير براموس).
السلام لأنبا أبنا يوتس كما... (ناقص)... الذي أسس ميناء خلاص لنفوس كثيرة ورعاها
حتى أكمل خلاصها.
السلام للتسعة والأربعين الشيوخ المباركين الذين سفكوا دماءهم على رأس الصخرة.
السلام لإيلاريا وأناستاسيا وإرسيما عرائس المسيح.

السلام لأنبا موسى الجندي القوي أول الشهداء في هذا الجبل المقدس.
طوباك أنت يا أنبا مقار لأن إله السماء قد أعطاك المجد الأعظم، وأعلمك أنك ترى أولادك
وأولاد أولادك، و يكونوا إكليلك في ملكوت السموات.



قطعة من الحجر المنحوت تتوسطها زهرة زخرفية وعلى الطرفين زخرف ورق العنب يحيط بعناقيده
[من دير أبنا إرميا بسقارة - معروضة بالمتحف القبطي بالقاهرة]

مقدمة

لقد عاش القديس مقاريوس بعض سني حياته النسكية الأولى في منطقة نتريا (١) قبل أن يقوم بزيارته الثانية للقديس أنطونيوس. كما نعلم أنه عاصر سميّه القديس مقار الإسكندراني قس منطقة القلاي المشهور، والمعروف أنه تنقل كثيراً في منطقة القلاي التي كانت واقعة بين نتريا وشيهيت. ثم نعلم أنه أسس التجمعات الأولى الأربعة في وادي النطرون، فتسمّى الوادي باسمه النسكي: «إسقيط مقاريوس» وباللغة القبطية **ⲐⲓⲘⲏⲧ** أي ميزان القلوب.

هذه المناطق الثلاث هي الأماكن المقدسة التي شاهدت التجمعات الرهبانية في كل عصورها، وقد عاصرها وعاش فيها وتردد عليها قديسنا المضيء اللابس الروح أنبا مقار. أما بحسب ترتيبها الزمني، فنتريا تحيي في المقدمة حيث عاش القديس آمون أولاً منفرداً ثم التفت حوله جماعة النساك، لذلك فهو يُعتبر مؤسس الجماعات الديرية في منطقة نتريا كلها. وبعد نتريا تحيي القلاي، وهي منطقة متاخمة لنتريا من جهة الجنوب الغربي وعلى بعد ١٢ ميلاً منها، وهي نشأت كامتداد لنتريا، وقد اختار مكانها القديس أنطونيوس نفسه أثناء زيارته للقديس آمون، وبناءً على طلبه، لتكون مناسبة للمتوحدين الذين تخرجوا من «كينوبيات» نتريا وبعد أن ازدحمت نتريا بنساكها. وأخيراً يأتي الإسقيط أي شيهيت، وهي عبارة عن الوادي المتاخم لمنطقة القلاي جهة الجنوب الغربي، وقد اختاره القديس مقاريوس بتدبير الله ومشورة الملاك ليكون المركز الكبير والأخير لكافة التجمعات الديرية. فإلى شيهيت انحدرت جميع المراكز الرهبانية من نتريا والقلاي شمالاً، واستقرت أخيراً في الجنوب في هذا الوادي المقدس.

والإنسان الذي يريد أن يقرأ التاريخ الرهباني بوعي، يستحيل عليه أن يفهم جمال هذا التاريخ وعمقه وأصالته دون أن يدرس جيداً المواقع الجغرافية التي نشأت وترعرعت فيها الجماعات الديرية. ونحن هنا نقدم خلاصة مستوفية للظروف الجغرافية والمعيشية لهذه المناطق الثلاثة، مسترشدين بأبحاث الثّقاة من المؤرخين والعلماء وبملاحظاتنا الخاصة التي عشناها وسمعناها، فقد قام كاتب هذه السطور بزيارة كل من منطقة نتريا ومريوط وعاش ردهاً من الزمن فيها، كما عاش في وادي النطرون سنيّاً طويلة متوحداً في مغارة يجوب المنطقة من أقصى شمالها إلى أقصى جنوبها.

(١) المعروف أن القديس أنبا مقار بدأ حياته النسكية في نتريا، ثم انتقل منها إلى الجنوب الغربي وسكن المنطقة المعروفة باسم بتر، وهي المكان المرتفع المتاخم لدير البرموس من الجهة الجنوبية الغربية. أنظر:

Carbol: Dict. D'Arch. Chret., II, p. 3127
& Amélineau, La Géographie de L'Égypte, p. 447.

من إسم النطرون. لذلك كانت المدينة مشهورة في العالم الخارجي بسبب مركزها الإقتصادي، وكانت هي المفتاح الذي يؤدي إلى الصحراء، ونقطة الوصل بين الإسكندرية ودلتا النيل وبين وادي النطرون وبالتالي صحراء ليبيا كلها. ولذلك كانت حركة المراكب منها وإليها دائمة، كما كان يوجد بها معبد وثني^(٤).

و يؤكد لنا المؤرخ سترابو سنة ٢٣ م. (٥) وجود قنال يسمى قنال نوقراطيس، يصل الفرع الكانوي للنيل ببحيرة مريوط، و يضيف أن مدينة نوقراطيس كانت واقعة على النيل، وكان يؤتى إليها بالنطرون عبر القنال لأنها كانت مركزاً هاماً لتجارة النطرون. كما يؤكد المؤرخ كاترمير^(٦) أن هذا القنال كان يربط فرع النيل المسمى «الكانوي» ببحيرة مريوط.

وبالبحث وجدنا أن هذا القنال ظل معروفاً حتى القرن الرابع عشر، الذي صار اسمه بعد ذلك «قنال الرياشات»، وأن المنطقة المحصورة بين هذا القنال وفرع النيل «الكانوي» كانت معروفة عند الجغرافيين إلى زمن قريب بمحوض رمسيس (أنظر الخريطة رقم ٢ بالملزمة الأولى من الكتاب).

أما مدينة البرنوج (نتريا) فهي لا تزال قائمة حتى اليوم، وهي مركز من مراكز دمنهور^(٧)، وكان زمامها في القرن الرابع عشر ٦٥٨ فدناً، وتبعد عن دمنهور ١٤ كيلومتراً في الإتجاه الجنوبي الغربي. أما نوقراطيس التي كانت على النيل، فكانها الآن بلدة «الجاييف» حسب تحقيق العلامة Flinder Patrice^(٨) وتبعد عن إيتاي البارود ٧ كيلومترات في الإتجاه الشمالي الغربي.

وقد أمدنا بالليديوس بمعلومات طريفة ودقيقة توضح لنا تماماً مكان نتريا وكيفية الوصول إليها: [و بين جبل نتريا وبين الإسكندرية توجد بحيرة تدعى ماريا (مريوط) باتساع سبعين ميلاً، وقد قطعنا المسافة عبر هذه البحيرة في يوم ونصف جنوباً إلى الجبل، وبخذاء هذا الجبل تقع الصحراء المترامية التي تمتد حتى الحبشة وموريتانيا والمازيق]^(٩). وهنا يلتبس على المؤرخ إيفلين هوائيت اتساع البحيرة و يعتقد أن الرقم مبالغ فيه، ولكن الحقيقة أن بالليديوس كان في منتهى الدقة، لأن اجتياز البحيرة لم يكن من اتجاه عرضها ولكن باتجاهها الطولي، فالذي كان يريد أن يسافر من الإسكندرية إلى نتريا كان له طريقان:

الأول: وهو طريق بحري كله: يركب المركب مباشرة من الإسكندرية ويعبر البحيرة بطولها

(4) Hist. Laus., ch. VII.

(5) Geographia XVII, 1, p. 803 [Ev. Wh., II, p. 22].

(6) Memoires, 1, p. 479 [Ev. Wh., II, p. 19].

(8) Ev. Wh., II, p. 22.

(9) Hist. Monach., ch. XXIII.

(٧) القاموس الجغرافي، محمد رمزي، قسم ٢ جزء ٢.

الفصل الأول

جبل نتريا : جبل البرنوج

أو

Tò òρος τῆς νιτρίας

أما التسمية الأولى لهذه المنطقة «جبل نتريا» فهي التسمية التي جاءت في جميع المخطوطات اليونانية واللاتينية. ولكن العجيب أن هذه التسمية جاءت في كافة المخطوطات القبطية وبالتالي العربية سواء الأصلية أو المترجمة عن اليونانية باسم «جبل البرنوج».

وقد لوحظ سواء في تركيب إسم «جبل نتريا» أو أثناء الشرح، أن كلمة «نتريا» لما جاءت مضافة إلى كلمة «جبل» لا تفيد النطرون على الإطلاق، وإنما تفيد إسم مدينة «الجبل الذي لنتريا». كذلك فقد وردت كلمة «نتريا» أحياناً بدون إضافة كلمة «جبل» لإسم المنطقة كلها، فسميت المنطقة «نتريا»، وهذا يزيد التأكيد أن التسمية ليست بسبب مادة النطرون^(٢). وقد جاء في كتاب تاريخ الرهبنة لروفينوس: [ونأق الآن إلى منطقة نتريا التي تأخذ إسمها من القرية المتاخمة لها حيث يجمع إليها النطرون]^(٣).

والمعروف في مصر في هذا الزمان (القرن الرابع وما قبله) أن كل مدينة كانت تحمل إسمين، إسماً يونانياً وإسماً قبطياً. فالإسكندرية مثلاً كانت مشهورة بإسمين يأتيان دائماً جنباً إلى جنب: أحدهما يأتي في اللغة والمخطوطات اليونانية *Aλεξανδρίας* والآخر يأتي في اللغة والمخطوطات القبطية *Ⲡⲁⲕⲟⲩ*. كذلك هنا فمدينة نتريا بينما كانت التسمية اليونانية «نتريا»، كانت التسمية القبطية للمدينة «برنوج»، وهي التي أخذ بها الأقباط دون سواها بنوع من التعصب الواضح. والحقيقة التي فاتت على كافة المؤرخين والجغرافيين الذين بحثوا هذا الموضوع، أن كل الشواهد تفيد أن نتريا كانت ميناء واقعة على القنال الذي يربط بين فرع النيل وبحيرة مريوط ماراً بطرف الصحراء، وكانت هي المدينة التي يُشحن منها النطرون المستجلب من وادي النطرون إلى الإسكندرية ومنها إلى الخارج. وهنا سر تسمية المدينة بالإسم اليوناني المنحوت

(2) Ev. Wh., II, p. 18.

(3) Hist. Monach., ch. XXI:

أنظر الخريطة رقم (٢) في الصفحات الأولى من الكتاب.

ثم ينحدر جنوباً عبر القنال حتى نتريا وهو المركب. وهذا يستغرق زمناً أطول لأن المسافة أطول.

الثاني: طريق بري كله: يركب الدواب حتى يصير قبالة مضيق أو برزخ في وسط البحيرة ويعبره في ساعات قليلة راكباً ثم يكمل سفره راكباً أيضاً حتى نتريا. وما يؤيد كلامي هو هذا الوصف الموجود في رحلة أنبا بنيامين من الإسكندرية إلى نتريا (البرنوج)، إذ تقول المخطوطة هكذا: [وقنا من الإسكندرية في اليوم الثاني من طوبة وتقدمنا في المسير في الطريق وكانت نعمة الله تظللنا ونحن نمشي على فم بحيرة مريم حتى أتينا إلى تروجه. فقبلنا أولئك الرجال أهل ذلك الموضع بفرح عظيم، ومن هناك أتينا إلى جبل نيري المقدس (القلالي) الذي لأبونا أنبا إسك (قس القلاي بعد مقار يوس الإسكندري) على رأس جبل برنوج].

أما بخصوص السفر البحري وكون نتريا ميناءً على القنال فهذا يؤيده ما جاء في تاريخ الرهبنة: [إن المسافر السائح الذي كان يحجُّ إلى جبل نتريا كان يرسو بمركبه عند نتريا] (١٠).

إذن مدينة نتريا، التي هي نفسها برنوج، كانت ملتقى طريقين من الإسكندرية، طريق بري وآخر بحري. أما الطريق البري فكان يتخلله مخاضات بحيرة ماريا (مريوط) ثم ينتهي إلى نتريا الواقعة وسط مستنقعات وأحراش وأرض سبخة.

وجاء في تأسيس نتريا عن المؤرخ سوزومين: [إن القديس آمون اعتزل العالم ولجأ إلى مكان قفر جنوب بحيرة ماريًا].

وتقع نتريا أو برنوج على حافة الصحراء، يتاخها من شرق الأراضي المنزرعة ومن الغرب الصحراء المترامية الأطراف. ودليلنا على ذلك ما جاء في وصف بالليديوس لقلالية نثنائيل أحد الرهبان بنتريا أن قلايته لم يرد أن يسكنها من بعده أحد: [لأنها كانت قريبة جداً من المنطقة الآهلة بالسكان، وكان العدو قد أغراه لبناء هذه القلاية بالقرب من القرية (نتريا)] (١١).

وكانت قلالي الرهبان بنتريا عموماً على مقربة من الريف. فقد روي عن بفتوتيوس تلميذ أنبا مقار الإسكندري: [أنه مرة فقد طريقه إلى قلايته بسبب الضباب فوجد نفسه أخيراً بالقرب من القرية (نتريا)] (١٢).

وقد كان جبل نتريا كله محسوباً أنه أقرب إلى الريف منه إلى عمق الصحراء. وقد جاء في كتاب أقوال الآباء (١٣) أن زائرين كثيرين كانوا يأتون إلى القديس آمون من القرية (نتريا).

(10) Ev. Wh., II, p. 24.

(11) Hist. Laus., ch. XVI.

(12) Apoph. Patr., Paphnot., 1.

(13) Hist. Monch., XXIX.

وكان من المعروف والمتداول بين رهبان نتريا أن الذي يريد أن يعيش في الصحراء عليه أن يرحل جنوباً إلى إقليم القلاي الذي كان يبعد عن نتريا بمقدار عشرة أميال تقريباً. فقد جاء عن إفاجر يوس أنه سكن في جبل نتريا مدة سنتين ثم دخل من بعدها إلى الصحراء ليعيش في منطقة القلاي ١٤ سنة أخرى، وذلك كان سنة ٣٩٩ م.

وعلى العموم كانت منطقة جبل نتريا محسوبة أنها في حيز الدلتا أكثر منها أن تكون في حيز الصحراء بحسب تعبير بالليديوس، إذ يقول: [جبل نتريا الكائن في مصر (ومصر تعبير عن الحدود المنزرعة)] (١٤).

ويحقق لنا روفينوس بُعد موقع نتريا عن الإسكندرية بمقدار أربعين ميلاً رومانياً، أي ما يعادل ٦٥ كيلومتراً في الاتجاه الجنوبي الغربي. كذلك نعلم من تاريخ ابن الجيعان (١٥) ومن قاموس الجغرافية لبلاد مصر لمحمد رمزي، أن برنوج وهي بلد قديمة التي هي البرنوجي الآن تقع على بعد ١٤ كيلومتراً من دمنهور في الاتجاه الجنوبي الغربي ويحدها من غرب تلال وكيمان.

وقد ثبت بالدليل القاطع أن في منطقة برنوج كان يوجد بحيرة تدعى نهيلة «Nehilé» يقدر طولها بحوالي ثلاثة فراسخ وعرضها فرسخ ونصف رآها الرحالة الأب سيكار في أوائل القرن الثامن عشر، وحدد موقعها كالاتي: [غرب الجبل الذي يبعد عن هرمو پوليس پارفا القديمة (دمنهور حالياً) بمقدار حوالي ١٥ ميلاً غرباً، كما تبعد عن الإسكندرية نحو سَفَرِ يوم كامل] (١٦). ومما يؤكد اكتشاف سيكار لبحيرة النظرون هذه المتاخمة لدمنهور غرباً والواقعة في حدود جبل نتريا والتي يستمد الجبل اسمه منها، وهو اسم مستقل استقلالاً كاملاً عن نظرون وادي النظرون، هو أن النظرون حتى سنة ١٩٢٠ كان لا يزال يستخرج ويصنع بواسطة شركة الملح والصودا في مدينة البرنوجي مركز دمنهور حيث توجد الملاحات المعروفة بملاحات طرانة البرنوجي (وهي غير طرانة كوم حمادة). وكلمة طرانة تعني حسب تحقيق إفلين وايت «بحيرة نظرون» (١٧)!! ولعلها من كلمتين: تِرَا = Terra, Na أي أرض النظرون. (لأن حرف Na هو الإصطلاح الكيميائي لمادة النتريوم أي الصوديوم) وهذه المعلومات قد استمدتها إفلين وايت من خبير مصر الجيولوجي الإنجليزي Dr. W. F. Hume ومن مدير شركة الملح والصودا الذي كان يعمل آنئذ في منطقة البرنوج.

(14) Hist. Laus., XXXVIII.

(١٥) ابن الجيعان المتوفي سنة ١٣٩٨ م في كتابه: التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية.

(16) Ev. Wh., II, 23.

(17) Ibid.

ومن هذا نخرج ببعض البيانات الهامة:

أولاً: أن منطقة جبل نتريا، أو جبل برنوج، هي منطقة مستقلة تماماً في حاصلاتها الاقتصادية من النظرون ومشتقاته عن إقليم وادي النظرون (١٨).

ثانياً: أن مدينة نتريا هي نفسها مدينة برنوج، ومن كلا الإسمين يشتق الجبل اسمه. وكانت على قمة التلال تطل على بحيرة نظرون وكان بها معبد وثني (١٩).

ثالثاً: أن نتريا أو برنوج كانت ميناءً على قنال يسمى بقنال نوقراطيس الذي يصل فرع النيل الكانوي ببحيرة مريوط وبالتالى بالإسكندرية رأساً بواسطة الطريق البحري عبر البحيرة. وكان ماء هذا القنال نصف عذب.

رابعاً: أن مدينة نوقراطيس (نقراش الآن) كانت على النيل (الفرع الكانوي) عند خروج القنال الواصل إلى بحيرة مريوط ماراً بمدينة نتريا. فكانت نوقراطيس مركز تجميع وبيع لحاصلات النظرون الآتى من نتريا.

خامساً: أن منطقة جبل نتريا كانت تصلح فعلاً كبداية سهلة مقبولة لانتشار الرهبنة لسبب قربها من الريف وقربها من الصحراء في نفس الوقت. فالريف كان مورداً اقتصادياً للرهبان من جهة العمل فيه أثناء حصاد القمح بالأجرة، وكذلك من جهة الحصول منه على الكتان الذي كانوا ينسجونه كعمل يدوي بدل الخوص، ولو أن المعروف أن هذه المنطقة كانت كثيرة المستنقعات وبالتالى مكان ملائم لتوالد الناموس. وكان الحصول على الماء العذب من أشق الأمور فكان الرهبان يخلطون نصف الماء المالح (من البحيرة) بنصف الماء المستورد من فرع النيل أو القنال.

سادساً: أن وجود النظرون في المنطقة سهّل وجود عمل يدوي يقتات منه الرهبان، فكانوا يستخرجون النظرون من البحيرة، ويتولى نقله وبيعه جماعات من سكان القرى المجاورة (٢٠).

وهناك وصفان جيلان لمنطقة جبل نتريا يكشفان لنا معاً صورة تكاد تكون متكاملة عن هذه المنطقة. الأول دقيق غاية الدقة بقلم شاهد عيان وهو لكاتب تاريخ الرهبنة «Historia Monachorum» الذي يُعتقد أنه هوروفينوس أو أحد الرهبان الملقب تيموثاوس رئيس شمامسة الإسكندرية سنة ٤١٢ م. وقد جاء ضمن وصف لرحلته التي قام بها سنة ٣٩٤ م.، وذكر

(١٨) يقول المؤرخ على باشا مبارك أن مراكز النظرون الهامة في الدلتا كانت بياحون ونتريا. الخطط التوفيقية ج ١٧ ص ٤٨.

(١٩) هذا يفسر لنا قصة القديس مقاريوس أثناء رحلته لنتريا مع تلميذه ومقابلته للكاهن الوثني وهو يجري في الطريق إلى المدينة!

(20) Butler, L. Hist., VI, p. 108.

ملاحظة: النظرون كان يستخدم قديماً في تحنيط الموتى تشبهاً بإيمان القيامة والخلود، فكانت هذه المادة ذات علاقة وثيقة بعمل الكهنة وإيمانهم حتى لتكاد تكون مادة سرائرية بحسب الطقس الفرعوني. فلا عجب إن ظلت بعض الجماعات الرهبانية يشتغلون دون أن يدروا باستخراج هذه المادة الكهنوتية سواء في نتريا أو شيبث أو ملاحات القلمون بدير أنبا صموئيل.

فيها أنه رأى إيقا جريوس حياً عند وصوله ولكن قيل له أن مقاريوس الإسكندري قد رقد للتو.

أما الوصف الثاني فهو تأملي مبدع وقد قدمه لنا المؤرخ پول شينو عن نتريا، يقول شينو:

[أما نتريا فتقع على بعد عشرين فرسخاً نحو الغرب من الإسكندرية وهي هضبة متسعة محاطة بتلال مكلسة يوجد فيها كثير من المغائر الطبيعية. ويمتد عند سفحها ستة بحيرات مالحة تجف نوعاً ما في فصل الصيف، وهناك يرح على حافتها في وسط مستنقعاتها الموحلة البط البري والطيور المائية ويتكاثر البوص والأثل والسندس المائي والبردي الذي يستخدم في ضفر الحصر. ويزو تلك المنطقة كلها نوع من البعوض الكبير الذي يتميز بلدغه المريع، كما أنه لا يتوفر فيها من الماء العذب إلا اليسير. هذا هو المكان الذي فضله أبطال التوبة ليكون ساحة الصراع التي مازالوا يواجهون فيها الشيطان والإنسان العتيق، وميدان الحرب الذي شاهد أعمال توبتهم التي تفوق العقل. ويمكن أن تصور ذلك المكان الذي قدمنا وصفه الآن في كلمتين:

منطقة غاية في الوحشة، فاقدة لكل مزية تحت السماء، وليس هناك موضع على الأرض أقل منها مناسبة للسكنى.

هذا كله وأكثر منه يمكن أن نقوله من جهة صحراء الإسقيط التي تمتد نحو صحراء ليبيا، حيث لا يستطيع المسافر، في تلك الأيام، وسط أرجائها الخالية تماماً من الدروب أن يهتدي إلى طريقه إلا إذا تتبع مسير الكواكب.

وما زال قائماً حتى عصرنا هذا في صحراء الإسقيط الأثرية أربعة أديرة قديمة فقط تشهد على الأجداد السالفة، كبقايا لماضٍ خالداً لا يستطيع المنطق الإنساني كله مجتمعا أن يوفيه حقه في تمجيد عظمتهم وجلالهم [٢١]. انتهى وصف پول شينو.

ومن مآثر نتريا أنها كانت الشرارة الأولى التي أشعلت النُسك في البرية الغربية كلها. فهي أم القلاي وشيبث بلا نزاع، وكان القديس آمون سراجها الذي ما انطلقاً قط بل ظل متوهجاً في أشخاص أولاده من جيل إلى جيل. ولا ننسى قط أن القديس مقاريوس استقى رضعاته الأولى في نتريا.

وقد اشتهرت نتريا في مستهل القرن الخامس بوجود علماء ولاهوتيين بارعين، وقديسين طبقت شهرتهم الآفاق. ونكتفي هنا بذكر سيرة القديس آمون مؤسس نتريا الصالح ورفيق أنطونيوس مرجئين الكلام عن بقية شخصيات نتريا لنجمعهم معاً مع شخصيات القلاي.

* * *

(21) R.P. Paul Cheneau. D'Orléans, Les Saintes D'Egypte, I, p. 121.

القديس آمون مؤسس رهبنة نتريا

المؤسس الحقيقي لجماعة ديرية نتريا هو آمون. وقد أجمع العلماء أولاً على صدق هذه الحقيقة كما أجمعوا على قبضية هذا الإسم وأصلته التاريخية (٢٢). ويصدق أيضاً على سيرة آمون ودير يته المؤرخ بالليديوس حينما يروي الخبر عن القديس أرسيزيوس وآخرين ممن رأوا آمون وعاشروه (٢٣).

كان آمون شاباً يتيماً حينما أصر عمه على زواجه وهو ابن ٢٢ سنة. ولكن الشاب كان قد أصر في قلبه أن يبقى بتولاً لإلهه، فما كان منه إلا أن أفتع عروسه أن يظلا عروسين بكرين للمسيح مدى الحياة، فابتدأ معاً منذ أول لحظة حياة الصلاة والفضيلة، وبعد ١٨ سنة من هذه الحياة المضيفة داخلية افترقا: «فانطلق آمون إلى عمق نتريا واتخذ له مكاناً بعيداً عن الأنظار لأنه لم يكن بعد أديرة أو رهبان» (٢٤)، وهناك بنى لنفسه قلاية ذات غرفتين عاش فيها ولم يغادرها ٢٢ سنة حتى رقد في الرب، ولكن المعروف أنه زار القديس أنطونيوس عدة مرات.

فإذا حسبنا هذه التواريخ نجد أن آمون عاش ٦٢ سنة. ويقص علينا القديس أثناسيوس الرسولي في روايته عن حياة أنطونيوس أن آمون رقد قبل أنطونيوس، حينما قال أن أنطونيوس رأى روح آمون مضيئة وصاعدة إلى السماء بيد ملائكة. فإذا علمنا أن أنطونيوس رقد سنة ٣٥٦ م.، يكون آمون قد رقد قبل هذا التاريخ، ويؤكد سوزومين أن آمون ازدهرت دير يته قبل مجمع نيقية، ويظن أنه تنيح حوالي سنة ٣٤٠ م. وبذلك يمكن أن نقول أن آمون وُلد سنة ٢٧٥ م.، وتزوج سنة ٢٩٧ م.، واعتزل العالم سنة ٣١٥ م. وقرده سنة ٣٣٧ م. ويمكن زحزحة هذه السنين قليلاً إلى الأمام أو إلى الخلف.

والمعروف قطعاً أن في السنة التي اعتزل فيها القديس مقاريوس الكبير العالم كانت جماعة ديرية آمون في أوج ازدهارها. وكان القديس بامو Παλλω واحداً من البارزين بين متوحيديها ومن أوائل تلاميذ آمون، كما نعلم أن بامو قدمه للكهنوت قبل سنة ٣٤٠ م. أي قبل السنة التي قبل فيها القديس مقاريوس الكهنوت (٢٥).

- (22) Butler, L. H., II, 190.
Synax. Const. ed. Delehye, col. 107.
Zoëga, Cat. No. XLV.
(23) Laus. Hist., Ch. VIII.
(24) Sozom., H.E., IV, 23.
(25) Ev. Wh., II, p. 47, 53.

وكان آمون بحسب وصف القديس أثناسيوس خجولاً بطبعه، فثلاً لم يطق أن يخلع ملبسه ليعبر النهر على مرأى من تلميذه ثيودور، كما كان يُشهد له بالذكاء الحاد. وكانت حياته تقوم على كثير من المعجزات (٢٦). وكان آمون محل احترام كثير من الناس ومن أنطونيوس نفسه الذي كان يبجله غاية التبجيل من أجل استقامة روحه وفضائله (٢٧). ولكن لأن آمون كان منعزلاً بطبعه لذلك لم يكن صيته ذائعاً بين الناس مثل أنطونيوس. وكان آمون يشعر بذلك، فمرة سأل أنطونيوس: «أنا تعبت أكثر منك فلماذا ارتفع اسمك أنت بين الناس أكثر مني؟» فما كان من أنطونيوس إلا أن قال له: «لأنني أحب الله أكثر منك!» (٢٨). ويعلق إقليدس وإيت بقوله، ربما أيضاً لأن آمون كانت تعوزه الشخصية أو أنه كان يخفي ذاته كثيراً. فقد عُرف عنه أنه كان يمتنع نهائياً عن ممارسة الصلاة على المرضى بحجة أنه لا يملك موهبة الشفاء (٢٩).

وفي خطاب أمونيوس الأسقف إلى أثناسيوس يوضح ذلك أيضاً: [وهكذا اعتقد أن كثيرين ممن يرضون الرب بأعمالهم بين الرهبان يجاهدون لكي يحفظوا أنفسهم غير ظاهرين مثل ثيودور التبانيسي (ترك أديرة باخوم وعاش في نتريا) و بامو الأنتينوي (من أنصنا). هؤلاء كانوا غير معروفين مثل المطوب المذكور آمون والقديس ثيودور الذي من نتريا] (٣٠).

والكنيسة القبطية تعيد لذكرى آمون في ٢٠ بشنس / ٢٨ مايو، أما الكنيسة اليونانية في ٤ أكتوبر.

وما يهمننا جداً في حياة آمون الرهبانية هو أنه كان يمثل مرحلة التوسط بين الديرية المشتركة والنسك التوحدي، أو بمعنى آخر بين الرهبانية والتوحد أكثر من أنطونيوس نفسه (٣١)، فتاريخ الرهبنة لروفيوس يذكر [أن آمون كان أول راهب تظاً أقدمه نتريا] (٣٢)، وبالليديوس معتمداً على أوثق المصادر يقول: [إن هذا الناسك استقر في أعماق برية نتريا وحده حيث لم تكن أديرة قبله]، [وإنه كان يعيش بمفرده]. وبعد فترة توحدت جموع الناسك يفدون إليه للاقتداء بحياته. ويبدو أن سقراط هو المؤرخ الوحيد الذي اهتم ببداية الحياة المشتركة في نتريا [وكثيرون جداً ابتدأوا يقتدون بحياة آمون وبالتدريج ابتدأ جبل نتريا يمتلئ بجماعات الرهبان] (٣٣).

- (26) Hist. Monach., XXIX, 5f.
(27) Hist. Monach., XXX.
(28) Apoph. Pat., Amoun.
(29) Hist. Monach., XXIX, 3f.
(30) Acta SS. May, III, Migne, PG XXVI, 982.
(31) Ev. Wh., II, p. 48.
(32) Hist. Monach., XXIX.
(33) H. E., IV, 23.

وهكذا أصبح آمون رأس أول جماعة ديرية في نتريا . وقد جاء لقب هذه الرئاسة في كتاب حياة باخوميوس باسم ἀρχιμονάζων أرخيمونازون أي «مدبر العيشة التوحيدية» . [وأصبح آمون أرخيمونازون الإخوة في جبل نتريا] (٣٤) . ويصفه سوزومين بلقب [قائد ἀρχηγός كافة الأديرة التي في تلك النواحي] (٣٥) . وفي خطاب مرسل من القديس أثناسيوس إلى آمون عن موضوع أقلق الرهبان بخصوص مقدار طهارة الرهبان بعد الإحتلام الليلي بالنسبة للتناول (٣٦) تتضح المكانة الرئاسية العالية التي كانت لآمون في نتريا في نظر القديس أثناسيوس .

أثناسيوس يزور نتريا : وقد زار القديس أثناسيوس نتريا وعاش بين رهبانها أثناء نفيه الثالث سنة ٣٥٦-٣٦٦ م . وقد كتب بنفسه مديحاً ومرثية لآمون الكبير وتلميذه ثيودوروس والقديس بامو .

ومن مآثر نتريا على الكنيسة أنها أرضعت كيرلس الكبير عمود الدين لبني النسك والمعرفة والحكمة الرهبانية مع العلوم اللاهوتية ، وقد تبنى تحت قدمي سراييون الكبير سراج جبل نتريا المشهور من معاصري أنطونيوس وزميل آمون الكبير ، مثلما تبنى أثناسيوس الرسولي من قبله على يدي الأب أنطونيوس الكبير ، ولو أنه توجد بعض المصادر تؤكد أن كيرلس الكبير تبنى أولاً في دير القديس أنبا مقار (٣٧) .

وظلت نتريا تتوهج بالروحانية والعلم والنعمة وتزدحم بالأسماء الكبيرة اللامعة ، فقد بلغ تعداد نساكها ومتوحيديها مع القلايا سنة ٣٧٤ م . أيام روفينوس حوالي ٣٠٠٠ راهب ، ثم ارتفع هذا العدد سنة ٣٩٠ م . إلى خمسة آلاف راهب وذلك أيام جيروم وبالليديوس ، حتى منتصف القرن الخامس حينما بدأت شمسها في الغروب لتظهر في الأفق مرة أخرى على القلايا وشبهت وأديرة ظاهر الإسكندرية التي على الساحل .

وظلت نتريا عامرة بالرهبان حتى القرن السادس حينما انسحبت آخر جماعة فيها جنوباً تجاه القلايا وشبهت .

(34) Zoëga, cat. xiv.

(35) H. E., I, 14.

(36) Migne, P.G., XXVI, 1169.

(٣٧) يقول السنكار - رينيه باسيه ص ٣/١١٥٩ أبيب :

في هذا اليوم تنيح الأب أنبا كيرلس (عمود الدين الملقب بالكبير البطريرك الرابع والعشرين) (٤١٢-٤٤٤ م)، هذا القديس تبنى عند خاله ثاوفيلس ٢٣، فأرسله أولاً إلى دير القديس أنبا مقار، فتعلم العلوم الإلهية وحفظ في خمس سنين جميع الكتب المقدسة، وأعطاه الرب نعمة وفهم قلب حتى كان إذا قرأ كتاباً دفعة واحدة يحفظه ظاهراً، ثم أرسله للأب سيرايون الأسقف الفاضل، فآزاد حكمة وتدرّباً بالأموال الفاضلة، فلما أكمل جيداً أرسله إلى قلاية البطرك...

وكان من أكبر العوامل على هجرة الرهبان والمتوحيدين من نتريا والقلايا في رأي إفلين وايت (٣٨) قرها من المناطق الآهلة بالسكان وبالأخص قرها من الإسكندرية ، مما جعلها هدفاً سهلاً لتدخّل الكنيسة في شؤون الرهبان الذي بلغ إلى حد التعدي السافر على حريتهم وإيمانهم وعبادتهم بل وعلى أرواحهم كما حدث أيام ثاوفيلس البطريرك ٢٣ .

كما أن شهرة قديسيها باعتبارهم أقوى شخصيات روحانية في الكنيسة جذبت أنظار الأريوسيين والخلقيديونيين لمحاولات فرض سلطنتهم على الكنيسة كلها بإخضاع هؤلاء الرؤوس العظام . وقد بدأ هذا الإضطهاد السافر سنة ٤٥١ م .، لذلك يُعتبر هذا التاريخ بداية أفول شمس نتريا والقلايا .

كذلك فإن شهرة القديسين في نتريا وبلوغ أخبارهم ومعجزاتهم وروحانياتهم العالية إلى أقطار العالم الخارجي جذب إليهم كثيرين من الشخصيات الأجنبية التي اندمجت في الوسط الرهباني أكثر من اللازم ، ووضعت فيها على حد قول إفلين وايت «بذور الشقاق» ، فكان لها تأثير سلبي على بساطة الروحانية القبطية (٣٩) ازداد تغلغلاً على ممر الأيام حتى صار كصدع خطير في البناء النسكي الروحاني ما فتىء أن هزّه من الأساس فأوقعه على أصحابه (٤٠) ، وكان أخطر شخصية دخلت نتريا «إيقاجر يوس البنطي» الذي صبغ النسك الروحاني بالأوريجانية العقلية ، فحوّل النسكيات الروحانية المستلهمة بالروح والمدفوعة بالنعمة إلى مناهج عقلية وتداريب جسدية وخطط تُدفع بالإرادة والعزيمة . وكما يقول المؤرخ إفلين وايت : [لقد دخلت مع هؤلاء النساك الأجانب والزائرين السفسطة والتعقيد الفلسفي اليوناني ضد بساطة الرهبان الفطرية وصلابة إيمانهم ، الذي ظهر في منتهى قوته أثناء مقاومة الخلقيدونية] (٤١) .



(38) Ev. Wh., II, p. 40.

(39) Ibid.

(٤٠) ويشير هنا إلى حادث المجمع الذي عُقد في نتريا على زمن ثاوفيلس ٢٣، ومحاكمة الرهبان، وطرد عظماء الآباء القديسين ونفيهم إلى فلسطين، وطرد الإخوة الطوال ومعهم ٣٠٠ راهب بعد حرق قلايهم وانتهاك حرياتهم .

(41) Ev. Wh., II, p. 40.

علاقة نتريا بالكروسي الإسكندري

منذ بداية ازدهار الرهبنة في نتريا بدأت العلاقات تتوطد في الحال بين شيوخها وبين البطارقة الجالسين على الكروسي الإسكندري، التي ابتدأت في حياة القديس أنثاسيوس بصورة قوية وطيبة للغاية، مما جعل الآباء الرهبان يأخذون مكانهم اللائق في الدفاع عن العقيدة الأرثوذكسية ضد أريوس والأريوسيين. وأولى هذه العلاقات كانت بين آمون رئيس نتريا وأنثاسيوس بابا الإسكندرية. ومن القصة التي رواها أنثاسيوس عن آمون الكبير في كتابه الذي كتبه عن حياة الأنبا أنطونيوس نعلم مقدار اهتمام أنثاسيوس وإعجابهِ شخصياً بآباء نتريا بتدقيقه في تتبع أخبارهم وأسمائهم. فنحن نقرأ ما كتبه أنثاسيوس من ذاكرته عن آمون:

[أما آمون هذا فقد لبث في النسك إلى سن الشيخوخة... أراد آمون مرة أن يعبر نهر ليكوس فطلب من تلميذه (زميله) ثيودوروس أن يبقى بعيداً لكي لا يرى أحدهما الآخر عرياناً عند اجتياز الماء عاثين، ولما انصرف ثيودوروس خجل آمون حتى من أن يرى نفسه عارياً. وبينما هو متفكر في ذلك وهو ممتلىء حيرة حُمل إلى الشاطئ الآخر بغتة. أما ثيودوروس - وكان رجلاً صالحاً - فاقرب من آمون ورأى أنه عبر أولاً ولم تسقط منه نقطة ماء. فسأله كيف عبر؟ ولما رأى أن آمون لا يريد أن يخبره أمسك بقدميه وقال له أنه لن يتركه حتى يعرف الحقيقة. فلما رأى آمون إلحاحه وتصميمه اشترط عليه أن لا يخبر أحداً قبل موته، ثم قال له أنه قد حُمل ووضِع على الشاطئ الآخر وأنه حتى قدمه لم يضعها على الماء.]

ويضيف أنثاسيوس أن هذا غير ممكن لأي إنسان بل للرب وحده ومن يسمح هولهم كما فعل مع بطرس. وعلى هذا لم يخبر ثيودوروس بهذا إلا بعد موت آمون (٤٢).

وكان أنثاسيوس يمتدح آمون في كل مناسبة وكل تلاميذه أيضاً وبالأخص ثيودوروس وبامو. وقد دعا أنثاسيوس القديس بامولز يارة الإسكندرية ليدافع ضد الأريوسية (٤٣). كما نعلم أيضاً أنه دعا أمونيوس الطويل تلميذ بامو للسفر معه إلى روما سنة ٣٤٠ م. (٤٤). كذلك فإنه أخذ إيسيدوروس من نتريا وجعله على بيت الضيافة (٤٥) في الإسكندرية ورسمه كاهناً بنفسه (٤٦). كما نعلم من قصة القديس شيشوي (الصعيدي) أنه عندما كان في جبل القديس

(٤٢) حياة القديس أنطونيوس، فصل ٦٠.

(43) Apoph. Patr., Pambo IV.

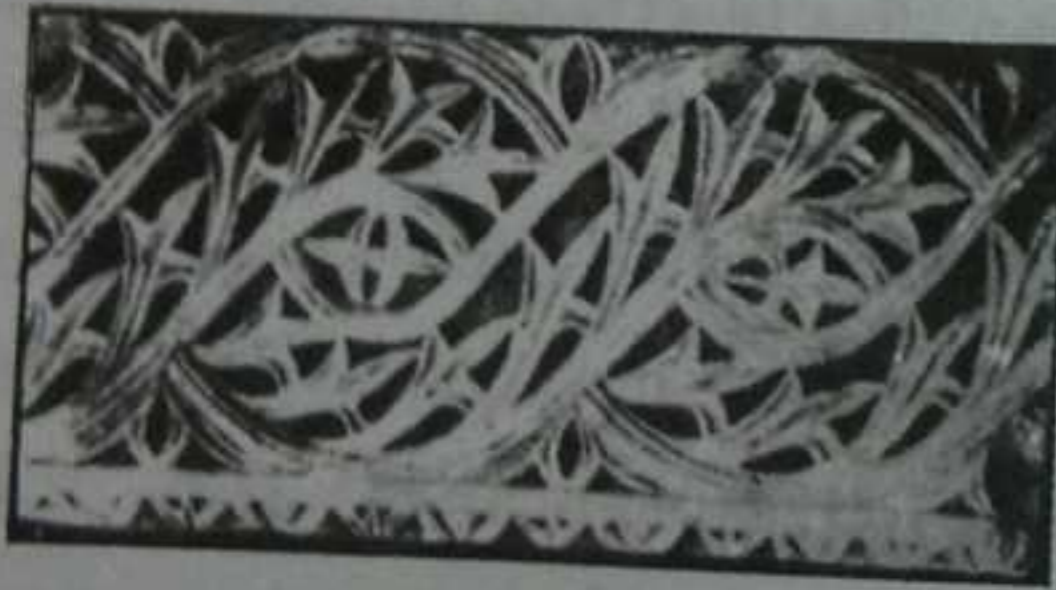
(44) Socrates, H.E., IV, 23.

(45) Pallad., Hist. Laus., ch. I.

(46) Migne, P.G., XLVII, I, col. 22.

أنطونيوس كان يحتفظ بنسخ خطية من مؤلفات البابا أنثاسيوس وكان يدعو تلميذه أبراهام ليقرأ فيها أمام ضيوفه إذا أحس أن لهم ميولاً أريوسية (٤٧). وكان البابا أنثاسيوس يرسل رسائل يسأل فيها دائماً عن صحة الآباء القديسين المتوحدين في شيهيت (شيهيت كانت تُطلق أيضاً حتى على نتريا والقلاي). كذلك نعلم أن خطابات كُتبت في نتريا لبابا الإسكندرية (٤٨) على يد آمون (الطبانيسي)، الذي هاجر من أديرة أنبا باخوم في أقصى الجنوب وسكن في نتريا شمالاً سنة ٣٥٥ م.، وذلك لطمأننة البابا ثاوفيلس خليفة أنثاسيوس الرسولي على صلابة أرثوذكسية الآباء الرهبان من أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال. كما كتب ثيودور الطنبسي أحد كبار آباء أديرة باخوميوس خطاباً إلى شيوخ نتريا أرسله بيد أربعة رهبان طنبسيين (باخوميين) يقول فيه: [من ثيودور إلى الإخوة المحبوبين الساكنين في برية نتريا قسوساً وشمامسة ورهباناً. تحية في الرب. إني أود لو تعلموا أن افتراء الأريوسيين الوقح قد صعد إلى الله. والله اطلع على شعبه ونظر إلى المحنة التي يجتازونها ووعد أن يشفق على كنيسته وينقذها من هذا الإضطهاد. وإذ قد صارت هذه المواعيد هكذا، فينبغي من جهتكم أن تُعزوا الإخوة المتضايقين لثلا يتزعزع إيمانهم... كل الإخوة الذين عندنا يهدونكم السلام]. وحينما قرأ أمونيوس أولاً هذه الرسالة سرأ على الشيوخ استحسنا أن يقرأها مرة أخرى على مجمع الآباء والإخوة في اجتماعهم يوم الأحد بالكنيسة.

ومن هذا الخطاب الأخوي المعزّي الذي يحمل روح النبوة نعلم مدى الصلات الوثيقة التي كانت مرتبطة بها الجماعات الرهبانية الباخومية (في طنبسين ياسنا) والأنطونية (في بسيربيني سويف) والإسقيطية في نتريا والقلاي وشيهيت، ومدى الرباط الروحي واللاهوتي الذي كان يربط الأديرة بكروسي مارمرقس الرسول.



(47) Apoph. Patr., XXV, Sisoes.

(48) Letter of Ammonius, Ch. 21, (Acta SS., May III, p. 70).

زيارة شخصيات هامة لنتريا كان لها أثر عالمي

١ - زيارة المؤرخ روفينوس ومعه القديسة ميلانيا الأسبانية: روفينوس و يُدعى بالكامل تيرانسيوس روفينوس (٣٤٥-٤١٠ م.) كاهن مدينة أكويلا بشمال إيطاليا، رحل إلى الشرق سنة ٣٧١ م.، وزار نتريا والقلالي وشيهيت، وكانت زيارته ذات أثر بعيد المدى على مسيحيي الغرب، لأنه هو أول من ترجم كل التراث القبطي والشرقي من اللغة اليونانية إلى اللغة اللاتينية.

أما ميلانيا فهي امرأة أسبانية ثرية حفيدة مرسلينوس الذي كان بدرجة قنصل، تزلت بعد زواج قصير، رحلت إلى روما وتقابلت مع روفينوس واتجهت معاً إلى مصر. قابلها باللاديوس في نتريا وتحدث إليها ونقل إليها أخبارها بالتدقيق: [باعت كل ما عندها وحولته إلى نقود، ولما وصلت إلى الإسكندرية سعت في طلب نتريا وقابلت الآباء الذين كانوا بصحبة بامو وأرسيزيوس وسرابيون الكبير وبافنوتسيوس الشيبتي وإسيذوروس المعترف (٤٩) (أسقف هرموبوليس - دمنهور) وديسقوروس؛ ومكثت هناك ستة أشهر (٣٧٣-٣٧٤ م.) تدور على المنشوبات في كل ناحية وتسال جميع قديسيها (٥٠)].

أما هي فقصت عليه خبر وصولها كالآتي: [حينما وصلت إلى الإسكندرية في رحلتي من روما، سمعت بسمو سيرة الأب بامو من المغبوط إسيذوروس الذي أخبرني عنه، وقادني إلى نتريا وأدخلني إليه، وكنت قد أحضرت معي ثلثمائة جنيه من الفضة وتضرعت إليه أن يقبلها، متفضلاً بذلك أن يقاسمني ثروتي. ولكنه وهو جالس موضعه يخيط في الضفيرة الخوص باركني وقال لي: «الله يعوضك»، وقال لخادمه أوريجانس (٥١): «خذ هذا المال ووزعه على رهبان ليبيا والجزائر لأن أديرتهم أكثر حاجة إليه،... ولا تعط شيئاً لأديرة مصر لأن خيرات البلاد كثيرة». ووقفت أنا منتظرة أن يمدحني أو يكرمني بسبب الهدية، فلما لم يكلمني على الإطلاق بادرت بالقول: «ليكن في علمك يا أبي أن قيمة هذا المال ثلثماية جنيه!!» أما هو فلم يتحرك وردّ عليّ: «إن الذي أحضرت إليه هذا المال لا يحتاج أن يعرف عدداً أو ميزاناً، فالذي يزن الجبال يعرف بالأكثر كمية المال الذي أحضرته. فلو كنت أحضرت المال لي كان يُحسب كلامك هذا حسناً، ولكن حيث أنك أعطيت الله الذي لم يحتقر فلسي الأرملة فالأفضل أن تسكتي». هكذا كان الحال عند دخولي للبرية. ولم يمض وقت طويل حتى رقد رجل الله وذهب إلى راحته وهو ابن سبعين سنة بدون أي مرض بل فارق الحياة وهو جالس يخيط زنبيله. وقد أرسل في طلبي عندما أحس بنهايته فوصلت في

(٤٩) أسقف دمنهور الذي استلم الأسقفية من دراكونيتس قبله وسلمها لديسقوروس بعده.

(٥٠) Hist. Laus., ch. XLVI.

(٥١) أوريجانس ظل يخدم بامو حتى كَفَنه بيديه. وقد كان كاهناً مع بامو في خدمة كنيسة نتريا.

اللحظة التي كان يلفظ فيها نفسه الأخير، فقال لي: «خذي هذه السلة (مقطف) من صنع يدي حتى تذكريني لأني لا أملك شيئاً آخر أعطيه».

أما ميلانيا فقامت في الحال وكَفَنته بيديها في لفائف من كتان وقامت مع تلاميذه بدفنه ورحلت ومعها السلة (المقطف) الذي لازمها حتى ماتت (٥٢).

ومن نتريا إلى شيهيت: ويُقال أن ميلانيا انحدرت إلى شيهيت وهي التي قامت ببناء كنيسة لإسيذوروس القس (٥٣) (إحدى كنائس دير البراموس الآن)، وچيروم في خطاب له أرسله لروفينوس (٥٤) يقول إن روفينوس زار القديس مقار يوس الكبير في قلايته سنة ٣٧٣ م.، أما روفينوس فيقول عن نفسه إنه ظل مدة وهو [تحت قيادة وتدريب أساتذة الصحراء الكبار، مقار يوس تلميذ أنطونيوس ومقار يوس الآخر (الإسكندراتي) وإسيذوروس وبامو وكل أحباء الله الذين علّموني كل ما استلموه من الله] (٥٥).

٢ - زيارة إيفاجريوس البنطي لنتريا والقلالي ودخول عنصر الأوريجانية في الحياة الرهبانية:

إيفاجريوس، هذا الراهب الأجنبي الزائر، كان يمثل بالنسبة لكل براري نتريا والقلالي وشيهيت وكل مصر عنصراً دخليلاً خطيراً بالنسبة للحياة الرهبانية القبطية ذات الطابع الروحي القلبي البسيط. فقد كان مولعاً بالجدل العقلي والمعرفة القائمة على التأملات والتصورات وحدها، يعشق أوريجانس ويطبق أفكاره على المبادئ الروحانية ليحولها إلى علوم ومعارف وتدرجات. ويقول عنه المؤرخ الأمريكي إفلين وايت: [أدخل عنصر العقلانية وصهرها بالحياة الرهبانية في مصر؛ فدخلت الرهبنة في مرحلة عقلية خطيرة انتهت بمحنة قاسية أودت بالحياة الرهبانية في نتريا كلياً. وبالرغم من بقاء بعض الآباء مثل القديس أور، وبيثور وبامو كُؤمِد للرهبة الوطنية الأصيلة ونظامها ومنهجها القبطي المثالي وبقيت بهم الرهبنة قوية ثابتة، إلا أنه في الربع الأخير من القرن الرابع (٣٧٥-٤٠٠ م.) قامت جماعة من الرهبان معظمهم من الأجانب أو من اليونانيين المتمصرين أمثال أمونيوس الطويل وديوسقوروس ويوثيميوس وياسبيوس وألبانيوس وهيراكس الصغير وهيراكس الكبير وكرونيوس والسليديوس وعلى رأسهم جميعاً يأتي إيفاجريوس، هذه الجماعة أدخلت خلصة إلى الصحراء عنصراً غريباً يقوم على الجرأة العقلية التأملية المبنية على الفلسفة اليونانية بدت غريبة وغير منسجمة مع الرهبان الأقباط

(52) Hist. Laus., ch. X.

(53) Zoëga, Cat. No. LXXI., Amél.; Hist. Laus., p. 96.

(54) Epist. III, Migne, P. L. XXII, col. 332.

(55) Apologia ad Anastasium II, 12.

وإيقاجريوس هذا (٣٤٥-٣٩٩ م.) حضر إلى مصر هارباً من الخطيئة سنة ٣٨٣ م. بعد مؤامرة خطيرة مع امرأة متزوجة، وكانت توبته على يدي القديسة ميلانيا... وظل «يدرس؟؟؟» النظام الرهباني في نتريا سنتين، بعدها انحدر إلى القلاي وتلمذ على مقار يوس الإسكندراني فبدأ يقلد تقشفاته وبرع فيها على مستوى البطولات، وضرب الأرقام القياسية في الصوم والسهر والصمت... إلخ. وهو الذي بدأ بدعة وزن الخبز وقياس الماء ومعايرة الزيت في طعامه، والإمتناع عن الإستحمام، وتحديد كميات وأرقام الصلوات بالعدد، وتعذيب الجسد بالعري في الشتاء والعيشة في العراء حتى انهدمت صحته وبدأ يداهم الفشل النسكي، وأجبره المرض على كسر كل قوانينه مدة سنتين، ثم عاجلته المنية في سنة ٣٩٩ أو سنة ٤٠٠ م. بعد ١٧ سنة قضى منها سنتين في نتريا، و١٥ سنة في القلاي (٥٧).

ثم يقول عنه إقليين وايت أيضاً [أنه كان الرأس المفكر للجماعة الأوريجانية (الإخوة الطوال)... وكانت تعاليمه كلها مشكوكاً فيها بل وأكثر من المشكوك فيها حتى أن القديس هيرود يقول إن كل الرهبان الذين تبعوا مبادئ إيقاجريوس وتعاليمة ضلوا. وقد حاول بالليديوس أن يُغطي على حقيقته وسمعته، ولكن ظلت سمعة تعاليم إيقاجريوس حتى القرن السادس تُذكر في القلاي أنها هرطقة، وظل الرهبان يعتقدون أن قلايته كان يسكنها الشيطان الذي كان يطغيه] (٥٨).

ويروي لنا السائح يوحنا موسخوس سنة ٥٨٠ م. قصة الراهب الذي طلب من قس القلاي أن يسمح له بالتوحد في قلاية أوغريس [لأنها كانت مبنية جيداً ومتسعة، وكانت مهجورة منذ زمن طويل جداً لم يسكنها أحد. فرفض القس قائلاً أن بها شيطاناً. ولكن ألح الراهب في طلبه حتى صرح له، وفي يوم السبت لاحظ الإخوة أنه لم يحضر إلى الكنيسة، فأرسل القس يستخبر عنه فوجدوه مشنوقاً في قلاية أوغريس] (٥٩).

٣- زيارة القديس والمؤرخ جيروم (إيرونيوس) لنتريا ومعه القديسة الإيطالية پاولا:

جيروم (٣٤٢-٤٢٠ م.)، واسمه بالكامل يوسابيوس جيروم، من مشاهير دارسي الكتاب

(56) Ev. Wh., II, p. 85.

(57) Pallad., Hist. Laus., ch. XXXVIII; Butler, L. H., I, p. 181; II, p. 237.

(58) — Jerome, Ep. CXXXIII (Important).

— Pallad., Hist. Laus., ch. XXVI.

— Jean Moschus, Pat. Spirit., CLXXVII.

— Ev. Wh., II, p. 86.

(59) Jean Mosch., Pat. Spirit., ch. 177; Migne, P. G.: 87, 3008C.

المقدس وأول من ترجمه إلى اللاتينية (القولجاتا)، من مدينة قرب أكويليا بإيطاليا، اصطحب معه في زيارته لمصر الأرملة پاولا (تنيحت سنة ٤٠٤ م.)، إحدى ثريات إيطاليا التي اشتاقت إلى حياة القداسة والبعث عن العالم، زارت أولاً قبرص، وتحدثت إلى القديس إيفانيوس أسقفها، وذهبت إلى أنطاكية حيث تقابلت مع جيروم وقاما معاً قاصدين الإسكندرية، بقيا في الإسكندرية ٣٠ يوماً (٦٠) تتلمذ فيها جيروم حسب قوله على ديديموس اللاهوتي الإسكندري الضرير الذي كان يلقي محاضراته في المدرسة اللاهوتية الشهيرة. ومن الإسكندرية انحدرت معاً إلى نتريا سنة ٣٨٥ م.، وبقيا هناك مدة طويلة. وأهم ملاحظات جيروم في هذه الزيارة: [وقد قت بجولة استطلاع شاملة على كل أديرة نتريا ولاحظت وجود ثعابين تجري بين قلاي القديسين...، وفي أثناء الزيارة كانت پاولا شديدة التأثر والفرح برؤية القديسين، وأخذتها غيرة وحاس لحياتهم... أن نظرون نتريا الطاهر قادر حقاً أن يغسل ويطهر الكثيرين من خطاياهم... لقد رأيت الأسقف إسيدوروس المعترف؛ وكثيرون من الآباء الكهنة القديسين استقبلوها بفرح، فكانت تمجد الله وتشعر أنها غير مستحقة لهذه الكرامة، لقد رأيت المقارين وأرسيز يوس (أكثر من واحد) وسيرابيون (أكثر من واحد) أعمدة المسيح، وزارت جميع قلايهم وسجدت تحت أقدامهم، وكانت تشعر أنها رأت المسيح في كل واحد منهم. وعندما أعطت أموالها لهم شعرت أنها أعطتها لله... وكان حماسها لهم عجبياً، وكان احتمالها (لأتعاب التنقل بين آلاف الرهبان والمبيت في البرية) لا يصدّق بامرأة، لقد نسيت ضعف أنوثتها وطلبت أن تعيش بينهم، وقد رحبوا بها فعلاً وأعطوها كل مطالبها، ولكن غلبها في الآخر حنينها لأورشليم، فغادرت نتريا متجهة نحو الأراضي المقدسة] (٦١). ويلاحظ هنا أن جيروم وپاولا زارا الإسقيط وتقابلا مع مقار يوس الكبير.

٤- زيارة بالليديوس التاريخية لنتريا والقلاي:

هذا هو بالليديوس صاحب التاريخ المشهور المعروف باسم «التاريخ اللوزياكي» Lausiaca History الذي طالما استشهدنا به في كتابنا هذا، والحقيقة أن الرهبنة القبطية وتاريخ الأديرة في نتريا والقلاي وشبهت مدينة لهذا الإنسان المبارك.

ولكن يلزمنا من البدء أن ننبه ذهن القارئ أن بالليديوس بالرغم من أنه رافق كثيراً مقار يوس الإسكندراني، إلا أنه كان أكثر ولاءً وتأثراً لإيقاجريوس منه لأي أب آخر، فهو يُعتبر كما يقول إقليين وايت: «أحد زمرة الأجانب الذين عاشوا بين آباء مصر كعقلانيين» (٦٢)، لذلك فإنه بقدر ما كان له الفضل كل الفضل في حفظ تراث وأفكار ومبادئ وأسما آباءنا العظام مخلّدة في صفحات التاريخ، فهو في نفس الوقت أحد الأجانب الذين أساءوا لمنهج الروحانية

(60) Apologia Ad Anastasium, 11, 12.

(61) Apologia III, 22; P.L. XXIII, col. 473.

(62) Ev. Wh., II, p. 87.

يسعفه الطب فرحل إلى فلسطين ومنها إلى بيشينية حيث رُسم أسقفاً على هليوبوليس سنة ٤٠٠ م كما تنبأ له القديس يوحنا الأسيوطي، وظل مرافقاً ليوحنا ذهبي الفم خمس سنوات. وبسبب ذلك نُفي سنة ٤٠٦ م إلى أسوان، وبقي في منفاه في صعيد مصر من ٤٠٦-٤١٢ م متنقلاً بين أسوان وأنتينوي (الشيخ عبادي) عاد بعدها إلى غلاطية. وفي سنة ٤١٩-٤٢٠ م وضع كتاب تاريخ الرهبنة الذي سُمي باسم الشخص المُهدى إليه «لوزاس» (٧٥).



شاهد حجري من إدفو منقوش بالحفر الخفيف يرجع إلى القرن الخامس/السابع
[محفوظ بالمتحف البريطاني]

(75) Ibid., Prologue.

الرهبانية في نتريا ومعولاً من معاول الهدم التي انتهت على التراث القبطي الأبوي هناك وأوقفت نموه قبل نهاية القرن الرابع!!! لأن تأثير منهج العقلية الأوريجانية الذي عاشوا عليه وروجوا له ووضعوا مبادئه وأفكاره وتداريبه أثر على روحانية الآباء البسيطة النيرة وحياتهم الطبيعية التي تقوم على مبدأ التسليم لأب الإعتراف واستلهاهم الجهاد الروحي يوماً بيوم بلا مناهج ولا تداريب مستطيلة. فكان من نتيجة هذه المبادئ الأوريجانية أن دخلت نتريا في صراعات مريعة بسبب هذه الأفكار الفلسفية، وتشيع لها بعض الآباء، وتدخلت السلطة الكنسية، وكان تدخلها عنيفاً أزعج الحياة الرهبانية بجملتها وبدد شمل الوحدة والمتوحدين.

والمعروف عن بالليديوس أنه وُلد في غلاطية سنة ٣٦٣ م، وترهب في دير جبل الزيتون بأورشليم على يد إينوسنت (٦٣) الذي لازمه ثلاث سنوات نزح بعدها إلى الإسكندرية سنة ٣٨٨ م، ورافق إسيذوروس (٦٤) صاحب دار الضيافة بالبطريركية مدة، وهذا سلّمه لمتوحد اسمه دورثيوس الطيب أو الصعيدي الذي كان يسكن في مغارة على بُعد خمسة أميال من الإسكندرية (٦٥)، ولكن كانت معيشة هذا المتوحد فوق طاقة بالاديوس، فهجره والتجأ إلى نتريا سنة ٣٩٠ م. ومنذ بدء دخوله نتريا التصق بجماعة العقلانيين الأوريجانية، هذا الحزب الذي يتكون معظم شخصياته من أجناب ومُتمصرين كلهم عشاق لأفكار أوريجانس العقلية التأملية. ويذكر بالليديوس أن من باكورة معلميه: أرسيز يوس الكبير، بتيوباسطس، ماسيون، كرونيسوس، سيرايون. وبعد سنة واحدة في نتريا انحدر إلى القلاي سنة ٣٩١ م. (٦٦)، ورافق مقاريوس الإسكندراني الذي تنيح في يناير سنة ٣٩٤ م، فانضم لإيقاجر يوس (٦٧) وعاش تحت تدبير إيقاجر يوس مقيماً في منطقة القلاي ومنتقلاً من نتريا إلى شيهيت تسع سنوات كاملة (٦٨) من ٣٩١-٣٩٩ م. (٦٩) وكان شديد الشغف بأوريجانس (٧٠) وأمونيس الطويل وأخيه ديسقورس وبقية العقلانيين (٧١). وكان معتاداً أن يزور شيهيت مع ألبانيوس وهيرو الإسكندراني (٧٢)، ونزل إلى ليكوپوليس (أسيوط) وزار حبيسه المشهور يوحنا الأسيوطي (٧٣) الذي تنبأ له أنه سيصير أسقفاً. وقد حضر بالليديوس موت معلمه إيقاجر يوس سنة ٣٩٩ م. (٧٤).

وقد أصابه مرض في معدته وطحاله، فنصحته الأطباء بالذهاب إلى الإسكندرية، لكن لم

(63) Hist. Laus., Ch. XLIV.

(65) Ibid., Ch. II.

(67) Ibid., Ch. XIII, XXV.

(69) Butler, L. H., II, p. 245.

(71) Ibid., Ch. XXIV, XLVI.

(73) Ibid., Ch. XXXV.

(64) Ibid., Ch. VIII.

(66) Ibid., Ch. VII.

(68) Ibid., Ch. XVIII.

(70) Laus. Hist., Ch. X.

(72) Ibid., Ch. XXVI.

(74) Ibid., Ch. XXXVIII.

τὰ κελλία ، والأقباط يترجمونها كل مرة لتحمل المفهوم القبطي **ⲛⲓⲣⲓ** ، وأحياناً قليلة كانت تترجم Mona أي المساكن .

أخطاء في تحديد إقليم القلاي:

يصف كاسيان هذه المنطقة أنها متوسطة بين نتريا والإسقيط فهي تبعد عن نتريا بحسب تقديره خمسة أميال ، كما تبعد عن الإسقيط ثمانين ميلاً . وهذا الرقم طبعاً مُبالغ فيه جداً لأنها لا تزيد عن ٧٢ كيلومتراً ، والمؤسف أن معظم المؤرخين المحدثين لم يستطيعوا أن يحددوا موقع منطقة القلاي ولا نتريا على الخريطة الجغرافية على وجه الإطلاق ، وقد تخطوا في ذلك خبط عشواء ، لذلك لزم التنبيه حتى لا يتوه القارئ في متاهاتهم . (أنظر الخريطة في الملزمة الأولى من الكتاب) .

- ١ - فالمؤرخ أميلينو سنة ١٨٩٣ م . اعتقد أن نتريا والإسقيط هما معاً في وادي النطرون .
- ٢ - والمؤرخ بطلرس سنة ١٩٠٤ م . اعتقد أيضاً أن نتريا في وادي النطرون والإسقيط يقع شمالها بمسافة خمسين ميلاً !! أما القلاي فاعتقد أنها شمال وادي النطرون أي شمال نتريا !!
- ٣ - والمؤرخ عمر طوسون سنة ١٩٣٥ م . اعتقد أن القلاي موقعها عند جبال خشم القعود ١٥ كم غربي وادي النطرون ، حيث وجد بعض القلاي المهتمة (هي منطقة كليماكوس في البرية الجوانية) .
- ٤ - الدكتور حكيم أمين سنة ١٩٦٣ م . وقد وقع أيضاً في نفس الأخطاء السابقة ، مُعتقداً أن منطقة نتريا والقلاي هي أيضاً في وادي النطرون : ص ٥٦ من كتابه الذي نال عليه درجة ماجستيراه «تاريخ الرهبانية والديرية المصرية» .
- ٥ - الدكتور ميناردوس سنة ١٩٦٢ م . وقع في نفس الخطأ وأخذ بأقوال عمر طوسون .

ولكن إذا تحققنا هذا الموضوع بحسب الأخبار التي وصلت إلينا من أقوال الآباء^(٢) ، نجد أن المسافة بين نتريا والقلاي في حدود ١٢ ميلاً رومانياً أي ما يساوي ١٩ كيلومتراً . ثم إذا أخذنا برأي روفينوس في تاريخ الرهبنة نجد أن المسافة في حدود عشرة أميال رومانية أي ١٦ كيلومتراً^(٣) ، وسوزومين^(٤) يطابق في تقديره ما قاله روفينوس . وكل هذه الفوارق تعود إلى نوع الطريق الذي يختاره المسافر ، كما تعود إلى مقدار الإمتداد الذي بلغت إليه كل من نتريا جنوباً والقلاي شمالاً ، لأن هذا يقلل حتماً من المسافة التي تفصل الجماعتين . إذن فينبغي جداً للباحث المدقق أن يعمل حساب الزمن في موضوع حساب المسافات .

(2) Apoph. Patr., Antony, XXXIV.

(3) Hist. Monach., ch. XXII.

(4) H.E., VI, 31.

الفصل الثاني

منطقة القلاي

الإسم اللاتيني : Cellia وتُنطق «سيليا» .

الإسم اليوناني : τὰ κελλία وتُنطق قلاًيا .

الإسم القبطي : **ⲛⲓⲣⲓ** وتُنطق نيري (أونيرس) .

الإسم العربي : «المونا» ويُعتقد أنه قبطي أصلاً .

وكلها تفيد معنى مجموعة من القلايات المنفردة التي يسكنها المتوحدون .

علاقة آمون بأنطونيوس ، وظهور رهبنة القلاي :

يبدو من حياة آمون أنه كان ناسكاً أصيلاً بطبعه قبل أن يرجع إلى أي معلم ، إذ استطاع أن يتسامى بروحه متجاوزاً حالة زواج كائنة فيحوها إلى نسك وبتولية وانفراد . ولكن يبدو أن أول سعيه للتعرف بالقديس أنطونيوس كان عندما وجد نفسه مسئولاً عن جماعات رهبانية لم يسبق له فيها دراية أو خبرة . ونعلم من رواية القديس أثناسيوس أن آمون قام بزيارة أنطونيوس في الصعيد عدة مرات^(١) .

أما قصة زيارة القديس أنطونيوس لآمون في نتريا (إرجع إليها في صفحة ٤٩) ، فتوضح نوع العلاقات الوثيقة بين الإثنين التي أثمرت لحساب النظام التوحدي الرهباني ، وأنشأت طقساً وموضعاً وناموساً للمتوحدين ، وهي منطقة القلاي المستقلة عن كل من نتريا والإسقيط . وهذه الزيارة بالذات تُحسب في تاريخ الرهبنة نقطة تحوّل ونمو غاية في الأهمية والدقة ، من حالة عيشة شبه مشتركة بين متوحدين إلى عيشة توحدية مطلقة لرهبان منفردين .

وهذه المنطقة ، أي منطقة القلاي ، اختارها القديس أنطونيوس حسب طلب القديس آمون لتكون خاصة بالمتوحدين الذين لم يجدوا في نتريا فرصاً للهدوء اللازم للحياة التوحدية الكاملة .

ومرة أخرى نجد مشكلة التعصب للأسماء . فالكتّاب اليونانيون يصرون على كتابتها

(1) A.M.G. Amél., XXV; Life of Antony, ch. 60.

ومن أقوال الآباء التي تكشف لنا بسهولة عن أن المسافة بين نتريا والقلالي كانت كبيرة فعلاً، ما جاء في قصة الأب أموي حينما قام هذا الأب بزيارة مع الأب بتي موس إلى شيهيت لزيارة الأب أخيلاس، وكان هذان الراهبان من القلاي، فلما سألهما أخيلاس من أين جاءا؟ فلأنتها خافا أن يقولوا من القلاي (لأن القلاي كانت قريبة نوعاً ما من شيهيت، وخافا لئلا يخلي سبيلهما دون أن ينتفعا بالجلوس معه) قالوا: «نحن من جبل نتريا». فللوقت أجاها: «وماذا أستطيع الآن أن أعمله لكما وقد أتيتا من مكان قصي». إذن فقد صحَّ أن القلاي كانت أقرب إلى شيهيت من نتريا بما لا يقل عن ١٦ أو ربما ١٩ كيلومتراً.

و يصف المؤرخ روفينوس منطقة القلاي هكذا:

[وبعد هذا المكان (نتريا) يوجد مكان آخر في البرية الداخلية يبعد عن الأول بحوالي عشرة أميال ويُدعى Cellia بسبب كثرة القلاي المنتشرة فيه.

و يعتزل في هذا المكان الذين سبق إقامتهم في نتريا و يطلبون أن يعيشوا في زهد وتقشف ووحدة أكثر. فهذا المكان هو بالفعل برية متسعة الأطراف؛ والقلاي الموجودة فيه مبتعدة الواحدة عن الأخرى بمسافات تحول دون رؤيتهم بعضهم لبعض وسماعهم بعضهم لأصوات بعض. فكل واحد منهم يبقى في قلايته في صمت تام وهدوء كامل، وهم يجتمعون فقط يومي السبت والأحد في الكنيسة فيتقابلون كما لو كانوا عائدين من السماء. وإذا غاب أحدهم عن هذا الاجتماع فالجميع يعتقدون أنه تعوق بسبب مرض جسدي فيذهبون لافتقاده، ليس جميعهم معاً بل في أوقات متخلفة وكل منهم يحضر شيئاً من عنده ينيح به المريض.

ولكن في غير حالة المرض لا يجسر أحدهم أن يقطع صمت جاره، إلا فقط إذا كان فيهم من يستطيع أن يعلم الآخرين بكلامه ويشجعهم، كمجاهدين في القتال، بكلماته المعزية. وكثير منهم يسير ثلاثة أو أربعة أميال حتى يصل إلى الكنيسة، وذلك بسبب المسافة الكبيرة التي تفصل قلايهم عن بعضها البعض. ولكن المحبة الكائنة فيهم والمودة التي تربط بعضهم ببعض وبالجميع جعلتهم مثلاً للجميع وسبباً للإعجاب. وذلك حتى أنه إذا حضر أحد وأراد أن يسكن معهم فالجميع يقدمون له قلايهم [٥].

ويلاحظ أن المسافر في الطريق البري من الإسكندرية حول فم بحيرة مريوط متجهاً إلى المونا (القلالي) يمر أولاً ببليدة قديمة تسمى «تروجه» من أعمال البحيرة، وهي الآن «كوم اتروجه»، ويُقال أنها كانت مشهورة بزراعة الكمون وهي التي عبر عليها الأنبا بنيامين البطريك ٣٨ في رحلته إلى شيهيت: [وكانت نعمة الله تظللنا ونحن نمشي على فم بحيرة مريم وأتينا إلى

(5) Rufin; Hist. Monach., in Aegypto, 22, P.L. 21, 444B-445B.

تروجه، فقبلونا أولئك الرجال أهل ذلك الموضع (سكان علمانيون يزرعون المنطقة) بفرح عظيم، ومن هناك أتينا إلى جبل نيري المقدس الذي لأبونا إيساك على رأس جبل برنوج. فيالعظم فرح الإخوة (الرهبان) بنا وحلاوتهم الروحانية والجسدانية، وأمسكونا عندهم يومين، ومن بعدها قمنا باكراً وركبنا دوابنا وهم يودعوننا، أولئك الإخوة المحبين للإله الذين وجدنا منهم ربح عظيم وافتقاد. ثم ابتدأنا بالمسير في الطريق المقفرة في البرية الداخلة داخل هذا القفر، وكان يمشي معنا الإخوة الذين من جبل نيري يدلوننا على استقامة الطريق، وكانت معنا قوة عظيمة تظللنا من الله حتى أشرفنا على فم الوادي الذي في داخل جبل النطرون [٦].

وقد ظلت القلاي (سيليا، أو المونا) عامرة بالرهبان حتى القرن الثامن، إذ نقرأ في تاريخ البطاركة في سيرة يوحنا أسقف صا أو صايس [أنه أخذ توكيلاً من الخليفة والي البلاد بجمع الجزية بمعرفته من المسيحيين، فكان يفرض جزية مضاعفة على المهرطقة، وهكذا ذهب إلى إقليم «المونا»، وهناك خضع له الراهبان المنشقون أتباع غايانوس (الغيانيين) و برصنوفوس، فعمدهم وضمهم إلى الشركة مع الأرثوذكس [٧]، وذلك في زمان بطريكية أنبا ألكسندروس الثاني (٧٠٥-٧٣٠ م).

وما أن جاء القرن التاسع حتى بدأت هذه المنطقة تفقد نضارتها وهجرها المتوحدون الواحد تلو الآخر، حتى بنهاية هذا القرن كان يلقها كلها سكون الموت. و يصفها الرحالة المسمى «اليعقوبي» عَرَضاً أثناء وصفه للطريق بين مصر والمغرب، فيقول أنها برية مهجورة!! سنة ٩٠٠ م.

وقد وجدنا في كتاب الخطط للمقريري أن تزوجه كانت محطة هامة للسفر من الإسكندرية إلى الفسطاط والعكس، بحيث كان يُحطُّ فيها الرحال، وتستريح فيها الجيوش، و يتوقف عندها ركب الملوك [٨].

تعداد نتريا والقلالي سنة ٣٧٣ م.:

بعد فترة عنيفة من الجهاد والدفاع والألم، وبعدها ذاقت نتريا والقلالي وشيهيت لذة الإضطهاد والتشريد والقتل من أجل العقيدة الأرثوذكسية على يد حكام بيزنطة وعملائها الأريوسيين، خرجت براري مصر وبالأخص نتريا وشيهيت مرفوعة الرأس ذات شهرة عالمية.

و يؤرخ روفينوس هذه الفترة كشاهد عيان وشريك في الآلام والطردي، و يقول أن عدد رهبان نتريا والقلالي في هذه الفترة ٣٧٣-٣٧٤ م. كان نحو ثلاثة آلاف راهب؛ وقد ظل هذا العدد يتزايد حتى بلغ الخمسة آلاف في سنة ٣٩٠ م.

(٦) مخطوطة ١٨ س، بمكتبة دير أنبا مقار.

(٨) المقريري: الخطط، ج ١، ص ٣١٣.

(7) Evetts. Hist. of Patr., p. 228, 235.

شخصيات من نتريا والقلاي

١ - **ثيودوروس**: ويحتل المكانة الأولى بين تلاميذ آمون، فقد كان الممثل الشخصي لآمون، وقد ذكر عنه في حياة باخوم (ثيودوروس الذي اتخذ آمون رفيق حياته) (٩). وقد ذكر اسمه القديس أثناسيوس في كتاب حياة أنطونيوس كزميل لآمون (فصل ٦٠). وكذلك فإن اسمه مذكور في أقوال أثناسيوس التي أرّخها أمونيوس في الخطاب المشهور (١٠)، وذكره بالليديوس في كتابه في الفصل (٨)، والمؤرخ سوزومين في الفصل (١٤). ونسمع عنه في سنة ٣٥٥ م. أنه رأى بنفسه القديس أمونيوس (الذي صار أسقفاً) الذي من طبانسين أصلاً (أديرة باخوم) وكان قد أرسله معلمه ثيودوروس التبانيسي (تادرس تلميذ باخوم) في هذه السنة ليتلمذ لبامو وليعيش في نتريا موضع الرهبان الذين أشرقت عليهم النعمة على حد قوله. كما نسمع عنه سنة ٣٦٣ م. حينما ذكر اسمه القديس أمونيوس بعدما صار أسقفاً في رسالته إلى أثناسيوس، ومنها نعلم أنه كان لا يزال حياً. وقد وصفه أثناسيوس في كتابه عن أنطونيوس بقوله: [رجل طاهر قديس، أحب أن يكون مجهولاً بين قديسي الله].

والمعروف أنه كان يعيش مع الأبا أور في عيشة ثنائية مشتركة، وقد قيل عنها في أقوال الآباء: [وقد اعتادوا أن يحكوا لنا عن أبا أور وأبا تادرس أنها بينما كانا يطليان قلايتهما بالطين قال أحدهما: ما بالنا الآن لو جاء الرب ليفتقدنا في هذه الساعة ماذا يكون من أمرنا؟ فبكيا عند تفكرهما في هذا الأمر، وتركنا كل شيء ونزل كل منهما إلى قلايته] (١١).

٢ - **إسيدوروس**: صاحب بيت الضيافة بالإسكندرية، من الإسكندرية أصلاً، وُلد سنة ٣١٨ م. وقد دخل الحياة الرهبانية صغيراً، والتحق بإقليم نتريا تحت رعاية الأب الكبير آمون بعد أن فرق جميع أمواله الطائلة على الفقراء وترك أختاً يتيمة وحيدة ترهبت في دير خارج الإسكندرية وكانت رئيسة لسبعين راهبة (١٢). زار القديس أنطونيوس الكبير، وقد رافق القديس أثناسيوس إلى روما سنة ٣٤١ م.، ورسمه هناك قساً. وقد عانى من الإضطهاد الأريوسي على يد فالنس سنة ٣٧٣ م.، ونُفي إلى إحدى الجزر. عاد بعدها وتولى إدارة بيت الضيافة المشهور بالكرسي الإسكندري.

(9) Ev. Wh., II, p. 50.

(10) P.G., XXVI, 982.

(11) Apoph. Patr., Or. VIII.

(12) Pallad., Laus. Hist., ch. I.

أرسله ثاوفيلس البطريرك ٢٣ إلى روما سنة ٣٨٨ م. في مهمة برسالة سُرقت منه هناك فعاد لتوه. وقد حاول ثاوفيلس تقديمه بطريركاً على كرسي القسطنطينية ولكن يوحنا فم الذهب أحبط هذه المحاولة. ثم أرسله ثاوفيلس إلى فلسطين برسالة، فأنجاز هناك ليوحنا أسقف أورشليم مما أثار عليه حفيظة جيروم وألصق به تهمة الأوريجانية التي لم تفارقه منذ ذلك الحين.

وقد نزل بالليديوس ضيفاً عليه وتقبل منه نصائح الحياة الرهبانية الأولى. وبعد ذلك بأربعة أعوام وقع الخلاف المعروف بينه وبين ثاوفيلس، فغضب عليه واضطهده وبالأخص عندما ألصق به تهمة السماح لأحد المانيين بالمناولة. والحقيقة هي بسبب تصرفه في مبلغ أعطته له إحدى السيدات للإنفاق على الفقراء، فطلبه منه ثاوفيلس للمصرف منه على عمارة الكنيسة فرفض. فكرهه ثاوفيلس وحرمه وطرده، فذهب إلى قلايته القديمة في نتريا. وبعدها ضيق عليه الخناق وزاد من اضطهاده له حتى غادر الإسكندرية والتجأ إلى يوحنا ذهبي الفم مع الإخوة الطوال، حيث شارك هناك في الصلوات دون الأسرار. وقد تنيح سنة ٤٠٣ م. عن ٨٥ سنة بعد رجوعه من القسطنطينية مباشرة ودُفن بالإسكندرية (١٣).

٣ - **أغاثو**: وهو رفيق عزيز لآمون أيضاً، وكانا ينزلان معاً لبيع صنع أيديهما. والمعروف عنها أنها كانا يبيعان شغل أيديهما بدون فصال. ولكن يلاحظ أن أغاثو ذكر أيضاً بين رهبان شهيت. فيما أن أغاثو انتقل إلى هناك؛ أو أنه كان يوجد أغاثو آخر في شهيت. وقد روى عن أغاثو أقوال عديدة وهي مثبتة في مجموعة أقوال الآباء.

٤ - **نثنائيل**: وقد أفرد له بالليديوس صفحة كبيرة يقص فيها خبراً عن هذا القديس، يكشف لنا عن حالة المتوحدين الأوائل وحرورهم في هذه المنطقة. فقد عاش هذا الناسك أكثر من ٣٧ سنة في نتريا، ووقد قيل أن يحضر بالليديوس بحوالي ١٥ سنة. وإذ نعلم أن بالليديوس حضر لنتريا سنة ٣٩٠ م.، إذن فقد انضم نثنائيل إلى جماعة نتريا قبل سنة ٣٣٨ م.، وذلك قد يكون في حياة آمون نفسه. ويقول بالليديوس أنه رأى قلايته ولكنه وجدها مهجورة لأنها أصبحت قريبة من المنطقة الآهلة بالسكان (قريبة جداً من العالم). ويعلق بالليديوس على ذلك بقوله: لأنها بُنيت في وقت «كان المتوحدون قليلين»، مما جعل نثنائيل يخضع لإغراء شيطاني حثه على تركها لبناء قلاية أخرى أقرب إلى القرية. ولكنه بعدما أحس بالخديعة وظهر له الشيطان شامتاً، قام في الحال وذهب إلى قلايته الأولى وعاش فيها ٣٧ سنة، أي كل بقية أيام حياته دون أن يخطو خارج حدودها.

(13) Sozom., H. E., VIII, 2, 11. & Pallad., Hist. Laus., I, 2. & Theod., H.E., IV, 21. & Vita Chrysost., p. 20-23. & Jerome, ed. Vall., II, 477. & Socrat., H.E., VI.

٥ - بيثور: ويُنطق بالقبطية بيهور (الذي للإله حورس) وهذا غير أبا أور. واحد من أقدم الذين عاشوا في نتريا. ويُذكر عن هذا الأب المخضرم أنه بدأ حياته مع القديس أنطونيوس، وعاش في كنفه مدة «سنتين قليلة»، وكان عمره حينئذ ٢٥ سنة. ولكن اشتياقه إلى الوحدة المطلقة اشتد عليه، فبعد أخذ موافقة الأب أنطونيوس انطلق إلى نتريا وعاش في قلاية بعيدة بين نتريا والإسقيط، ربما متاخمة لمنطقة القلاي، وحفر بئراً مصمماً أن يكتفي بمائه منها كانت ردايته، فخرجت منه مائة مرة لم يستطع أحد من زائريه أن يشرب منها. فكانوا يُحضرون معهم ماءهم للشرب منه حينما كانوا يفتقدونه. وبالرغم من ذلك استطاع هذا العملاق الروحاني أن يعيش على هذا الماء ٣٠ سنة حتى تنيح^(١٤)، ولم يُغيّر موضعه ولم يذُق ماءً سوى ذلك المر الذي صار في فمه حلواً. وكان يكتفي بالحبز الجاف وخمس زيتونات يومياً: [وكان هذا الروحاني قد عاهد نفسه والله أن لا يرى أحداً من أهله بعد رحيله من الدنيا. وأخيراً بعد ٣٠ سنة من وحدته وعزلته علمت أخته بمكانه وأنه لا يزال حياً فصممت أن تراه مهما كلفها ذلك. ولكن عبثاً عادت المراسيل وأخفق أولادها جميعاً في إقناع خالهم بالمجيء لرؤية أخته. وأخيراً التجأت هذه الأخت الملتاعة إلى الأب أنطونيوس وألحت في رجائها، فأرسل الأب الكبير يحث بيهور أن يستجيب لرجاء أخته، فما كان من بيهور، تحت اضطرار الطاعة، إلا أن قام فعلاً وذهب إلى بيت أخته ووقف على الباب مغلق العينين حتى تمت المقابلة دون أن يفتح عينيه! ...]^(١٥).

وفي رواية بالليديوس^(١٦) يقول أن هذه الأخت التجأت إلى أسقف هرموبوليس پارفا (دمهور)، الأبروشية المتاخمة لنتريا، الذي أرسل إلى الشيوخ ليقنعوه بالزيارة، وأن ذلك كان بعد ٥٠ سنة. ويعلق المؤرخ تلمونت على ذلك بقوله أن بالليديوس ربما قصد تحديد عمر بيهور عند المقابلة. وقد عُرف عن بيهور أنه كان يأكل وهو يتمشى. فلما سُئل عن ذلك قال: «حتى لا أعطي جسدي فرصة للتلذذ بالأكل».

وبحسب هذه الرواية يكون بيهور قد تقبّل تلمذته من الأب أنطونيوس سنة ٣٢٥ م.، وأنه رحل إلى نتريا سنة ٣٣٠ م.، وأنه نزل إلى زيارة أخته سنة ٣٥٥ م.

وفي خطاب أمونيوس الذي صار أسقفاً (وكان باخومياً أصلاً) لثاوفيلس سنة ٣٩٠ م.، يذكر أن بيهور كان مع بامو (Παλλاد) كأحد الشيوخ (أو ربما الكهنة بريزفيتيروس) عند حضوره إلى جبل نتريا في سنة ٣٥٥ م. كما يذكر أن بيهور «نال موهبة الشفاء من الرب». أما عن نياحة بيهور فالمرجح أنه رقد سنة ٣٦٠ م. بحسب رواية كتاب «حياة الآباء»^(١٧) (الذي هو

أقوال الآباء إنما باللاتينية).

٦ - أبا أور: (وهو غير بيهور). لا يقل شهرة عن بيهور بل ربما يفوقه. فقد كان من أوائل التلاميذ الذين عاشوا مع آمون، وقد حرص بالليديوس أن يذكره مباشرة بعد آمون. وبالرغم من أن له أقوالاً كثيرة، إلا أن المعروف عن حياته قليل جداً. وبالبحث يمكن تحديد نياحته بين زمن زيارة ميلانيا سنة ٣٧٣-٣٧٤ م. وزمن وصول بالليديوس إلى جبل نتريا سنة ٣٩٠ م.

وفي أقوال الآباء نجده يُذكر دائماً مع أبا ثيودور، (وعلى الأرجح أن يكون هو تلميذ آمون البكر)، كما يُذكر مع الأب شيشوي، غير أن شيشوي يظهر في الصورة كتلميذ يسأل أبا أور.

ونحن نعلم أن شيشوي ترك شهيت وذهب وسكن في مغارة أنبا أنطونيوس بعد نياحته مباشرة سنة ٣٥٦ م. إذن تكون حياة أبا أور قد ابتدأت في نتريا قبل ذلك الزمان بكثير جداً، ونعرف لأبا أور تلميذاً يُدعى بول ذكر مرتين^(١٨). ويذكر لنا بالليديوس أنه سمع من ميلانيا ومن إخوة نتريا مديحاً حاراً عطراً إذ قالوا عنه: [هذا النموذج الكامل لم يكذب قط، لم يخلف قط، لم يلعن قط، لم يتكلم إلا عن اضطرار أو حاجة]^(١٩).

والمأثور من أقواله: [إن تاج الراهب اتضاعه]^(٢٠). [في أي تجربة تأتيك لا تلم أحداً ولكن لَمْ نفسك وحدك، وقُلْ إن هذه المحنة أتتني بسبب تعدياتي]^(٢١). [إذا تكلمت على أخيك من ورائه ونخسك قلبك على اغتيابك له، فاذهب في الحال وتُب إليه وقل له: قد اغتبتك... ثم أكد له أنك لن تعود إلى ذلك لأن الإغتياب هو موت للنفس]^(٢٢).

٧ - بامو: (بامبو أو بامبونيوس باليونانية، وبالقبطية Παλλاد) ويُنطق ويكتب خطأ «بموا». من أكثر القديسين شهرة في كل براري مصر. وُلد هذا القديس في أوائل القرن الرابع مع القديس مقاريوس تقريباً، وتنيح عن سبعين عاماً. وكانت نياحته في وجود ميلانيا القديسة الأسبانية صديقة القديسين حوالي سنة ٣٧٣ م.^(٢٣)، وإن كان من الأمور المتيقنة أنه رأى ثاوفيلس البطريرك ٢٣ الذي رُسم سنة ٣٨٥ م. وكان اعتزاله العالم والتجاؤه إلى نتريا في زمن مبكر من حياته. والمعتقد أنه من أوائل من لازموا آمون الكبير في نتريا. ويضعه روفينوس^(٢٤) مع تلاميذ أنطونيوس الكبير أيضاً. ويحكي لنا سقراط طرائف في حياة بامو الأولى عن بساطته الحكيمة وعن أميته الفيلسوفية فيقول: [ولما كان بامولا يعرف القراءة والكتابة، فقد اتفق مع أحد الإخوة أن يعلمه المزامير (غيباً)، فكان الدرس الأول حفظ المزمور ٣٩ الذي

(18) Apoph. Patr., Or, VII.

(19) Pallad., Laus. Hist., ch. XI.

(20) Apoph. Patr., Or, IX, XII, XV.

(21) Pallad., Laus. Hist., ch. X. & Butler, L.H., 4.

(22) Ruff., H.E., II, 4.

(14) Ev. Wh., II, p. 52.

(16) Hist. Laus., XXXIX.

(15) Apoph. Patr., Pior. 11.

(17) Vitae Patrum, III, p. 503 (Roysweyd).

يبدأ هكذا: «أنا قلتُ إني أتخفظ في طريقي حتى لا أخطيء إليك بلساني». فما أن سمع بامو هذا القول حتى قال لرفيقه: «قبل أن نتعلم المزيد يحسن بي أن أعتزل قليلاً حتى أضع هذا القول موضع التنفيذ»! ... ولما انقضت ستة أشهر ولم يحضر بامو للإستزادة من الحفظ والتعلم، ذهب إليه رفيقه يستخبره الأمر في عدم عودته إليه. فقال له بامو: «لأني لم أتعلم بعد أن أعمل وفق هذا القول الذي سمعته» [٢٣].

وقد عُرف عن بامو تمسكه بفضيلة الصمت تمسكاً يفوق كل اهتمام آخر، فقد حدث لما زار ثاوفيلس البطريرك ٢٣ نتريا أن سبق الإخوة وذهبوا إلى بامو وتوسلوا إليه أن يتحدث مع البطريرك، فما كان منه إلا أن قال لهم: [إذا لم ينتفع بصمتي فلن ينتفع بكلامي] [٢٤].

وبالرغم من أن بامو بدأ حياته لا يعرف القراءة والكتابة إلا أنه يُظن أنه أتقنها في وحدته، فقد قدموه كاهناً سنة ٣٤٠ م.، وقد سبق القديس مقاريوس في ذلك بمدة وجيزة، لأن مقاريوس رُسم في هذه السنة أيضاً. وهذا يشير إلى قدم رهبانيته التي تُماثل القديس مقاريوس أوتريد. وكان القديس مقاريوس معتاداً أن يذهب إلى نتريا لكي يحضر الكنيسة ويتناول من يديه قبل أن يكون في الإسقيط كنائس. وذُكر مرة [أنه ذهب من شيهيت إلى نتريا حتى يحضر مقدمة بامو] [٢٥]. ويُذكر دائماً مع يهور الذي يصفوه أنه (خادم أمين لله، نال نعمة الشفاء من الله. وأنه من أشهر شيوخ «كهنة» نتريا سنة ٣٥٥ م.). وروفيونوس يصفه بأنه في مصاف مقاريوس، ومع إسيدوروس كواحد من كبار آباء نتريا [٢٦]. وچيروم يكتب إلى يستوخيوم عن بامو أنه أحد ثلاثة يمثلون الجمع الأعلى للحكم: مقاريوس وإسيدوروس وبامو [٢٧]. ومعروف أن بامو كانت له مكانة عظيمة عند القديس أثناسيوس، وقد استدعاه إلى الإسكندرية ليقوم بدور أنطونيوس ضد الأريوسيين، وهو الذي [بكى عندما رأى امرأة فاسدة في شوارع الإسكندرية، فلما استخبروه عن السبب قال: أبكى عليها وعلى حالي، عليها لأنها ماتت، وعلى نفسي لأني لا أملك الغيرة على إرضاء الرب كما لهذه المرأة لإرضاء الأشرار] [٢٨].

وكان لبامو تأثير روحي وناموسي عالي على كل إخوة نتريا وشيهيت والكل، فقد أقنع الرهبان جميعاً أن يقدم كل واحد منهم أردباً من القمح سنوياً برسم المحتاجين [٢٩].

والمعروف أن سلوك بامو وأقواله وحياته كانت بجد ذاتها على مستوى الشرع والناموس الذي

(24) Apoph. Patr., Theoph., 15.

(23) Socrat., H. E., IV, 23.

(25) Ibid., Makar., Eg. 11.

(27) Epist. XXII.

(29) Zoëga, cat. LXXI.

(26) Apologia ad Anastasium - Ev. Wh., II, 54.

(28) H.E., IV, 23.

يقتدى به في نتريا وكل شيهيت. فهو الذي وضع ناموس الفقر الاختياري في ملبس الراهب، وجعل حدّه [أنه إذا ترك الراهب ملابسه خارج قلايته ثلاثة أيام، لعاف أي لص عن أن يمد يده إليها] [٣٠]. وحتى اليوم يوجد في كل دير من يعشق مبدأ بامو.

ولقد ظل الأب اسحق قس القلاي يوبخ الرهبان بعد ذلك بسبب جنوحهم ناحية التأنق في الملبس [٣١].

وكان بامو يعشق الإتضاع، والمعروف عنه أنه ظل يصلي بدموع ثلاث سنوات حتى لا يُمجده الله على الأرض!! [ولكن الله مجده في اتضاعه حتى أنه ما كان أحد يستطيع أن ينظر إلى وجهه بسبب الهيبة والجلال اللذين كانا يشعان من وجهه] [٣٢]. وقد حكى الأنبا بيمن أن الأب الكبير أنطونيوس قال عن هذا القديس بامو: [إن المخافة التي فيه جعلت الروح القدس يرتاح في الوجود معه] [٣٣].

وقد شهد له الأنبا بيمن بثلاث فضائل لم يتخل عنها:

الصوم الدائم حتى الغروب، الصمت، والعمل المتواصل [٣٤].

والمأثور عن بامو أنه عند لحظة موته والآباء مجتمعون حوله، نظر إليهم وقال: [منذ أن أتيت إلى هذا الموضع وبنيت هذه القلاية لا أذكر أبداً أنني أكلت خبزاً من غير عرق جبين، ولم أندم قط على كلمة قلتها، وبالرغم من ذلك فإني ذاهب إلى الرب بإحساس إنسان لم يبدأ بعد جهاد الفضيلة] [٣٥].

٨ - أمونيوس الطويل = باروتيس παρωτίς = ذو الأذن الواحدة:

وُلد حسب تحقيق بالليديوس وإقليد وايت سنة ٣٤٠ م.، وانضم إلى رهبان نتريا سنة ٣٦٠ م.، وكان أحد تلاميذ الأب بامو، ومن مشاهير رهبان نتريا. وإذ كان طوله غير عادي هو وإخوته الثلاثة الذين ترهبوا معاً، سُموا جميعاً بالإخوة الطوال وهم: ديسقوروس الذي رسمه ثاوفيلس أسقفاً على دمنهور، ويوسابيوس، وأفثيميوس [٣٦] وكان لهم أختان ترهبتا معهم أيضاً. وكان أمونيوس أخوهم أكثرهم علماً وفضيلة بل وأكثر رهبان نتريا جميعاً. وكان في شبابه يعذب جسده بالنار إذا ثارت عليه الشهوة، حتى احترقت أعضاؤه. وكان لا يأكل أطبخة على الإطلاق منذ فجر شبابه حتى يوم نياحته، بل يعيش على الخبز والخضروات غير المطبوخة. وقد أتقن حفظ

(30) Apoph. Patr., Pambo, VI.

(31) Ibid., Isaak, VII.

(32) Apoph. Patr., Pambo, I.

(33) Ibid., LXXV.

(34) Ibid., CL.

(35) Pallad., Laus. Hist., ch. X.

(36) Sozom., E.H., VIII, 12.

العهديين القديم والجديد حتى كان يتلو آفاقاً من الآيات عن ظهر قلب . وكان يستظهر كتب العلماء : أوريجانوس وديديموس وغيرهم . وكان مشهوراً جداً بين الآباء بنشاطه ولطفه ووداعته وحبه وخدمته لكل إنسان، حتى قيل أنه خدم البرية كلها . فكان هو الوحيد الذي أخذ على عاتقه السفر مع الآباء كدليل مرشد للمواضع النائية، كما اشتهر بأنه كان يترك قلايته دائماً لكل راهب جديد ويبيّن نفسه أخرى (٣٧) . وقد شهد له أوغريس : [إني لم أر إنساناً قع شهوته مثل أمونيوس] . وبسبب هذه الشهرة حاول بعض الأراخنة رسامته أسقفاً على مدينتهم والتجأوا إلى الأنبا تيموثاوس البطريك ٢٢ (٣٨١-٣٨٥ م) الذي وعدهم برسامته أسقفاً إذا أحضروه إليه . فلما جاءوا إليه وحاصروه غافلهم وقطع أذنه اليسرى لكي لا يترك وحدته في الصحراء قائلاً : « الآن تأكدوا أنه يستحيل رسامتي لأن القانون يمنع » ، فلما ذهبوا إلى الأنبا تيموثاوس وأعلموه بالأمر قال لهم : « دعكم من قانون اليهود هذا . إذا أحضرتكم لي إنساناً مناخيره مقطوعة وكان مستحقاً من كل الوجوه فإني أرسمه » . فلما تشجعوا وعادوا إلى أمونيوس هدّدهم بأنه سيقطع لسانه ، فخافوا وتركوه . وقد عاش بعد ذلك بأذن واحدة ، لذلك اسموه پاروتيس أو ذو الأذن الواحدة (٣٨) .

وقد عانى النفي إلى نيقوصيرية أيام اضطهاد فالنس سنة ٣٧٣ م . وقد أتهم هو وإخوته بالأوريجانية ، واضطهدهم ثاوفيلس اضطهاداً مريراً وطردهم مع أخيه الأسقف ديسقوروس . ويقول المؤرخون إنه كان اضطهاداً مفرضاً وشخصياً وليس بسبب لاهوت أو مبادئ ، لأنهم ناصروا اسيدوروس صاحب بيت الضيافة في نزاعه مع ثاوفيلس الذي اتهمه وظلمه وحرمه ظلماً أيضاً (٣٩) .

فلما طردهم ثاوفيلس - ويقول بالليديوس الذي قابل أمونيوس الطويل أنه كان وقتئذ ابن ٦٠ سنة - التجأوا إلى يوحنا فم الذهب سنة ٤٠٠ م . الذي قبلهم وعزاهم ، ولكن لم يشركهم في القربان ، بل رحب بهم في حضور الصلوات فقط . فلما حضر ثاوفيلس إلى القسطنطينية في مجمع البلوطة سنة ٤٠٣ م . صالحهم . ولكن كان أمونيوس قد اعتلت صحته جداً ، ومات هناك ودُفن في مقبرة تسمى روفينيانا Rufiniana ، فبكى عليه ثاوفيلس (٤٠) ، واعترف أمام الجميع أن أمونيوس كان أقدم راهب في زمانه ، وكان هذا الإعراف أكبر فضيحة لثاوفيلس الحقود !! وقد ترك هذا الراهب الفاضل كتاباً في النسك اسمه « أصول النسك » ، معروف منه الآن ٢٢ فصلاً (٤١) .

(37) Ruff., 23 (Hist. Monach.).

(38) Niceph., E.H., XI: 37 & Pallad., L.H., Ammon.

(39) Sozom. E.H., VIII, 12.

(40) Ibid., 17.

(41) Lambe. Biblioth. Vindob., IV, 155.

٩ - أرسيز يوس وكرونيوس وآخرون :

لقد استقى بالليديوس كل معلوماته عن آمون الكبير من القديس أرسيز يوس (٤٢) وآخرون معه كانوا على صلة بآمون (٤٣) . ويؤكد بالليديوس معتمداً على معرفته المباشرة لأرسيز يوس أن هذا الأب أرسيز يوس كان رئيس الثمانية كهنة المعيينين على نتريا كل أيام حياة آمون . أما بقية الثمانية فيعتقد بالليديوس أن منهم كان بتيوباستس وآصيون وكرونيوس وسرابيون . ولكن ما وصل إلينا عن هذه الأسماء شحيح للغاية باستثناء كرونيوس وسرابيون .

١٠ - كرونيوس : وكان يُدعى كرونيوس ، هذا عاش ١١٠ سنة ، وكان حياً عند زيارة كل من بالليديوس وصاحب التاريخ الرهباني (روفيوس ؟) لنتريا سنة ٣٩٤-٣٩٥ م . والمعتقد أنه من مواليد سنة ٢٨٥ م . وهو يحكي لبالليديوس عن نفسه فيقول إنه هرب من ديريه والتجأ إلى الأب أنطونيوس في بسبير (في بكور القرن الرابع) حيث ظل عنده ليعمل له كمترجم للغة اليونانية ، وبعدها ارتحل إلى الإسكندرية وعاش في أديرتها ، ثم إلى نتريا .

وقد عاش منفرداً بعيداً عن المنطقة الآهلة بالسكان ، واجتمع إليه ٢٠٠ تلميذاً ، وعلى مدى ٦٠ سنة ظل يكهن لهم ، ولم يغادر الصحراء مرة واحدة ، ولم يأكل خبزاً بغير ثمن يدفعه من عرق جبينه ولا مرة واحدة . وحياة كرونيوس في التاريخ الرهباني تعتبر ركيزة صخرية ، لأنه أعطى لأجيال الرهبان التي عاصرها (١١٠ سنة) صورة للنسك الرزين والثبات الروحي النادر المثال ، فكان خير سفير لأنطونيوس في براري نتريا ، وبالتالي كان معيماً لآمون خير معين ! وقد أعلنت الكنيسة قداسته واعتبر ضمن قديسيها الذين تشفع بصلواتهم (٤٤) .

ولعل من مآثر وفضائل كرونيوس التي تركها لنا هي في تلميذه إسحق قس القلاي الشهير، فهو تلميذه المباشر الذي حمل نوره عبر القلاي كلها وإلى شبيبت .

١١ - إسحق قس القلاي : هو تلميذ القديس كرونيوس ، وقد خلفه بعد مدة في رئاسة نتريا وذلك حوالي سنة ٣٩٥ م . ، وكان وقتها كرونيوس لا يزال حياً (٤٥) ابن ١١٠ سنة . وقد عاش بعد موت كرونيوس مع ثيوذور البرامي متملماً له .

يخبرنا بالليديوس أنه كان رئيساً على ٢١٠ راهباً ، ويقول أيضاً أنه بنى مضيقة للغرباء في منطقة القلاي لراحة المسافرين الذين يأتون لزيارة الآباء ولإيواء المرضى أيضاً .

(42) Pallad., Laus. Hist. ch. X.

(43) Ibid., ch. VII.

(44) Dict. of Biog., Cronius, p. 716.

(45) Hist. Monach., ch. XXVI. & Pallad., Laus. Hist., ed. Butler, ch. XXI.

كانت أولاً خبازاً، ثم اشتغل بالتجارة في الحلويات أو الفواكه المجففة والخمور حسب النص السرياني. وقد تعمّد وهو في سن الأربعين، ثم انخرط في سلك الرهبنة بعد أن زار القديس أنطونيوس سنة ٣٣٥ م.، ولأنه كان معاصراً للقديس أنبا مقار المصري الكبير ومن سيّته تقريباً، فكثيراً ما تتداخل الأسماء والصفات والأحداث فلا نعرف أيهما المقصود إلا بصعوبة.

وأول هذه الإشكالات التلمذة للقديس أنطونيوس. فكثيراً ما خلط المؤرخون بين المصري والإسكندراني في أيهما كان بحق تلميذاً للقديس أنطونيوس. فالمؤرخ روفينوس^(٤٨) يذكر في تاريخه الكنسي المقارئين ضمن آخرين باعتبار أن الجميع كانوا تلاميذاً لأنطونيوس: «المقاران واسيدوروس وهيراكليدس وبامو، وهؤلاء كانوا تلاميذاً للقديس أنطونيوس». في حين أن بالليديوس يصمم أن واحداً منها فقط كان تلميذاً لأنطونيوس. ولكن يعود روفينوس نفسه في مواضع أخرى^(٤٩) يميز بين الإثنين في أن أحدهما كان صديقاً وتلميذاً لأنطونيوس الكبير، وأن أحدهما كان يقطن الصحراء شمالاً (نتريا) والآخر جنوباً (شبهيت). ولكن يأتي مؤلف كتاب التاريخ الرهباني، فيقطع قطعاً أن القديس أنبا مقار المصري أي الكبير كان هو الوحيد في المقارنات المعتمّرة ورثاً لفضائل أنطونيوس وبركته. وتأتي مجموعة «أقوال الآباء» وتوضح بغير لبس أن أنبا مقار المصري هو الذي زار القديس أنطونيوس الذي ألبسه الإسكيم وتقبّل النصائح الرهبانية من فمه. ولكن على أي حال فالمتداول تاريخياً أن أنبا مقار الإسكندراني قام بزيارة القديس الكبير أنبا أنطونيوس سنة ٣٣٥ م.

يبقى السؤال: على يد من تتلمذ القديس أنبا مقار الإسكندراني؟

المتحقق لدينا أن آمون الكبير تنيح سنة ٣٣٧ م. بعد أن قضى حوالي ٢٢ سنة في نتريا، تاركاً القديس بامو أعظم تلاميذه ليكون رئيساً من بعده على نتريا والقلاي جميعاً، فبمجيء مقار يوس الإسكندراني إلى نتريا سنة ٣٣٥ م. كان باموله سبع سنوات رئيساً على المنطقة فتتلمذ على يديه. ولكن من سيرته ونشاطه وذكائه وحبه للنسك وغيرته من فضائل القديسين وسرعة تقليده لأعظم النساك، نعتقد أن القديس أنبا مقار الإسكندراني كان كالنحلة النشيطة، فقد التقط المعرفة الروحانية بسهولة وبسرعة من كافة الآباء العظام، وبالأخص القديس بامو المعتقد أنه أبوه الروحي، ويُعتقد أيضاً أنه زار القديس أنطونيوس الكبير، كما رافق في كل مراحل حياته القديس مقار يوس سميّه الذي كان يُحبه ويحترمه كأب، والذي كان يسبقه في الرهبنة بحوالي خمس سنوات، كما كان يسبقه في الكهنوت بحوالي خمس عشرة سنة. فأبنا مقار المصري نال رتبة الكهنوت عام ٣٤٠ م.، أما الإسكندراني فقد نالها بعد سنة ٣٥٥ م. حسب تحقيق إقلين وايت

وقد عاش القس إسحق في نسكه ٣٠ سنة، وكان واحداً ضمن مجمع الثمانية شيوخ الذين يحكمون نتريا والقلاي، وكان حاضراً في زمن مجيء ثاوفيلس إلى نتريا لمحاكمة الإخوة الطوال. وكان نصيبه الطرد أيضاً مع ٣٠٠ راهب منهم الكهنة والشمامسة والشيوخ الذين بلغوا ٩٠ سنة مثل هيراكس أحد تلاميذ الأب الكبير أنطونيوس (أنظر تاريخ حياته بالتفصيل^(٤٦)) مع سيرة سيّته إسحق قس شبهيت في شخصيات شبهيت).

١٢ - إسحق «شبهيت»: هذا خرج إلى الصحراء وهو ابن سبع سنوات، وبالرغم من صغر سنه فكان يحفظ اصحاحات من الكتاب المقدس عن ظهر قلب، وكانت له مواهب على صغر سنه هذا. فكان يمسك الأفعى المقرنة (من أخطر أنواع الثعابين) بيديه دون أن يمسه ضرر. وعندما جاء ثاوفيلس ٢٣ لمهاجمة الرهبان في نتريا بسبب الإخوة الطوال، كان وقتها سنّه خمسين سنة وله ٤٠ سنة في الرهبنة، وكان رئيساً على ١٥٠ راهباً.

١٣ - مقار يوس الإسكندراني: لا يمكن أن تُذكر منطقة القلاي ولا يبرز في المقدمة اسم مقار يوس الإسكندراني، مع أنه لم يكن من المؤسسين لهذه المنطقة، إذ قصد هذا القديس وهي عامرة بالآباء العظام وذلك سنة ٣٣٥ م.^(٤٧)، أي بعد وصول آمون الكبير إلى نتريا بعشرين عاماً أو يزيد قليلاً، وكان عمر القديس أنبا مقار الإسكندراني وقتئذ حوالي ٣٨ أو ٣٩ سنة. وقد رآه المؤرخ بالليديوس في زيارته لنتريا والقلاي سنة ٣٩٠ م. وتتلّمذ على يديه ثلاث سنوات. ويقول بالليديوس أنه حينما تقابل مع مقار يوس الإسكندراني كان حينئذ قد ناهز المائة عام، كما عاش بعد هذه المقابلة ثلاث سنوات أيضاً. والمعروف أن الإسكندراني تنيح سنة ٣٩٣ م.، فيكون عمره وقت نياحته أكثر من مائة عام، ولكن غير معروف تحديده تماماً. وتكون أيضاً السنين التي قضها ناسكاً في براري نتريا والقلاي وشبهيت حوالي ٦٥ عاماً على الأقل. ويُحدد العلماء مولده حوالي سنة ٢٩٧ أو ٢٩٦ م. ولكن المؤسف حقاً أن شهرة مقار يوس الإسكندراني التي بلغت الآفاق والتي تناقلتها الأجيال هي أعلى بكثير من مواصفات سيرته التي بين أيدينا. فالمدونات التي سجلها المؤرخون عنه لا تحوي شيئاً بالمرّة يحقق لنا نوع عظمة هذا القديس، أو يكشف لنا عن مبادئه النسكية أو الفكرية، فسيرته التي رواها المؤرخون عنه عبارة عن قصص بطولية في النسك وحسب.

أما من جهة حياته الأولى فغامضة لا نعرف عنها شيئاً سوى أنه كان من مواطني المدينة العظمى الإسكندرية، لذلك يدعى بالمدني Politicus، من عائلة فقيرة، وأن صناعته الأولى

(٤٦) أنظر صفحة: ٢٧.

(47) Butler, Hist. Laus., ch. XVIII.

(48) Dial. de Vita John. Chrys., ch. XVII. & H.E., II, 4.

(49) Apologia ad. Anastas., II, 12.

اعتماداً على معلومات المؤرخ سوزومين^(٥٠). وهكذا يبدو أن المصري متقدم في الأبوة عن الإسكندراني. والمعروف أن الإسكندراني استلم القسوسية ليكون رئيساً على القلاي بعد القديس إسيدوروس. وهذا يتحقق لنا من الخطاب الذي أرسله أمونيوس لثاوفيلس البطريرك^(٥١)، وذلك سنة ٣٥٥ م.، والذي يذكر فيه أن إسيدوروس كان هو قس المتوحدين بالقلاي. ومن قصة زيارة القديس أنبا مقار الإسكندراني لرهبان دير القديس أنبا باخوم بطبانشين لتلقيهم درساً رثعاً في اتضاع النسك، نعلم مقدار سرعة نمو القديس أنبا مقار الإسكندراني في النسك والفضيلة. فهذه الزيارة حدثت قبل نياحة أنبا باخوم بمدة. وهذا يتحتم أن يكون قبل سنة ٣٤٦ م.، وهي السنة التي تنسح فيها القديس باخوم. فإذا علمنا أن الإسكندراني التحق بالحياة الرهبانية سنة ٣٣٥ م.، فهذا يعني أنه في أقل من عشر سنوات استطاع مقار يوس الإسكندراني أن يتقن الصوم الإنقطاعي للدرجة التي فيها استطاع أن يصوم أربعين يوماً متتالية لا يأكل ولا يشرب إلا ورقة كرنب واحدة كل يوم أحد، علاوة على سهره وشغل يديه اليومي ووقوفه على رجليه دون أن يجنيها.

من هنا نعلم أي رجل حديدي كان هذا الأب القديس الإسكندراني، هكذا يبدو لنا تماماً؛ كما كان يبدو لأهل نتريا والقلاي نموذجاً رائعاً للذين قيل عنهم أنهم نادراً ما كانوا يوقدون ناراً في قلايهم لطهي طعام. وقد ضرب القديس أنبا مقار الإسكندراني رقماً قياسياً في ذلك لسبع سنين متوالية^(٥٢).

وقد اشتاق أنبا مقار الإسكندراني إلى الوحدة فانحدر من نتريا إلى منطقة القلاي (سيليا) القاحلة سنة ٣٧٣ م.^(٥٣).

والمعروف أن مقار يوس الإسكندراني استلم الرياسة والكهنوت على نتريا بعد بامو^(٥٤). وقد تتلمذ على يد مقار يوس الإسكندراني تلاميذ لا حصر لهم، منهم بالليديوس نفسه وأوغريس أيضاً وبعض الإخوة الطوال المتهمين بالأوريجانية.

وقد وصف لنا بالليديوس الثلاث سنوات الأخيرة من حياة مقار يوس الإسكندراني بأنها كانت خصبة، أجرى فيها ثلاث معجزات. وقد ظل يؤدي خدمته الكهنوتية بوصفه رئيساً لمنطقة القلاي حتى النهاية مع أنه كان قد ناهز المائة عام تقريباً، وكان قد فقد أسنانه وبدأ قصيراً نحيفاً ذا شارب باهت خفيف وشعيرات قليلة في لحيته لأن نمو لحيته أصلاً كان ضعيفاً بسبب شدة

(50) Sozóm., H.E., III: 14, 3.

(51) Acta SS., May III, Appen., p. 71, ch. 24.

(52) Ev. Wh., II, p. 56.

(53) Curz., Visits to Monasteries, p. 77.

(54) Ruff., H.E., II, 8.

نسكه. ويحكى لنا المؤرخ سقراط أن القديس مقار يوس الإسكندراني كان ذا وجه بشوش كثير الترحاب بالزائرين يقود المبتدئين في طريق الرهينة بلطف وعدوبة إلى أن يسكوا بجبل التلمذة الحقيقية^(٥٥). وحينما سأله الأب الكبير باخوميوس عن معاملته للرهبان والزائرين، لأنه كان قد سمع أن مقار يوس يأخذ الرهبان بشدة ويعاقبهم بلا قانون أو ترتيب وخصوصاً الذين من الخارج (قصة الثلاث غلات) أجابه: «نحن نهذبهم بالحق والعدل، أما الذين من الخارج فلا سلطان لنا عليهم». والمعروف عن مقار يوس الإسكندراني أنه كان يعلم تلميذه بافنوتبوس قائلاً: «لا تسيء إلى أحد ولا تدن أي إنسان. اعمل ذلك وأنت تخلص»^(٥٦).

والمعروف من أقوال الآباء أن مقار يوس الإسكندراني ملك زمام عدة فضائل متماسكة: اللطف والعدل والمحبة مع الإحتمال الشديد وسرعة الإعتراف بالخطأ. وقد اشتهر هذا القديس بصنع أشفية كثيرة ومعجزات.

وكانت نياحته في اليوم السادس من بشنس سنة ٣٩٣ م. حسب تحقيق سنكسار باسيه، وأبو البركات، وتيسران^(٥٧) وهذا هو الأرجح، ولكن يقول إقليدس وأيت أن ذلك كان في يناير سنة ٣٩٤ م.^(٥٨).

ويقول بالليديوس أن أنبا مقار الإسكندراني كان أحد دعائم ازدهار الرهينة في سيليا؛ إذ قد بلغ عدد الرهبان الذين كانوا تحت تدبيره حوالي ٦٠٠ راهب. والمتحقق تاريخياً أن المقار يوس الإسكندراني والمصري كانا صديقين حميمين، وقد تحملاً معاً آلام النني في إحدى جزر أعالي النيل (جزيرة فيلة) جنوب أسوان، وفي مصدر آخر يقال أن ذلك كان في جزيرة شمالي الدلتا، على يد الإمبراطور فالنس كما ذكرنا ص ١٠٤ وما بعده.

وصف لآباء نتريا يكشف عن وداعتهم ولطفهم واتضاعهم العجيب:

يلخص إقليدس وأيت رواية مؤلف كتاب «المستور يا موناخورم» هكذا^(٥٩): [أنه قام برحلته من ليكو بوليس (أسيوط) بعد زيارة القديس يوحنا الأسيوطي في سبتمبر سنة ٣٩٤ م.، ولما وصل إلى نتريا يقول أن القديس مقار يوس الإسكندراني كان قد تنسح لتوه^(٦٠). وكان ديسقوروس

(55) Socr., H.E., IV, 23.

(56) Ev. Wh., II, p. 58.

(57) Ev. Wh., II, p. 91 note.

(58) Ibid., p. 88.

(٥٩) مؤلف كتاب: «هستوريا موناخورم» (أو تاريخ الرهينة) يُعتقد أنه شماس من رهبان دير جبل الزيتون. ولكن المصطلح عليه عند العلماء أنه هوروفينوس نفسه، ولو أن في مقدمة الكتاب يتضح أنه غير روفينوس.

(60) Hist. Monach., ch. XXIII, 2.

وقد وجدته وقد بلغ ١١٠ سنة، كذلك تقابل مع أوريجنس تلميذ الأب أنطونيوس الذي صار كاهناً، ومع إيقاجر يوس الذي كان لايزال حياً، الذي لما رأى الزوار يشربون ماءً نصحهم أن لا يشربوا، وأخذ يشرح لهم مقدار نسكه وكيف أنه يمتنع حتى عن أكل الخبز!!

والرحالة يذكر القديس مقاريوس الإسكندراني الذي كان قد تنيح منذ قليل، وأخذ يصف الأخبار التي نقلها له الآباء عن آمون الكبير وأعماله وأقواله، كذلك عن القديس مقاريوس الكبير كمؤسس لإقليم شيبيت (٦٢).



تاج رشيق لأحد الأعمدة، على شكل السلال التي كان يمارس الرهبان صناعتها، يرجع إلى القرن السادس [واردة من دير باو يبط ومعروض بمتحف اللوفر-باريس]

الطويل (الأوريجاني) قد رُسم أسقفاً لدمهور (هرمو بوليس) (٦١)، وكان إيقاجر يوس لايزال يعيش، ولم تكن قد وقعت الحوادث المؤسسة التي تسبب فيها جماعة العقلايين والتي مزقت هدوء البرية. وقد وصلت الرحلة إلى نتريا في الخريف من سنة ٣٩٤ م. بعد أن عبروا على منف (ميت رهينة بالجيزة)، ثم واصلوا الرحلة عن طريق فرع رشيد (ثم قناة نوقراطيس) حتى نتريا].

ويقول المؤلف إن جبل نتريا وقتذاك كان أشهر مركز رهباني في مصر كلها، وهو على بعد ٤٠ ميلاً من الإسكندرية، ويأخذ اسمه من المدينة نتريا التي يُجمع فيها النطرون، وهنا يوجد ٤٠ ديراً (جماعة متوحدين في قلالي)، حيث يعيش الرهبان إما جماعات أو أفراداً متوحدين تحت رأي وتدير أب أو رئيس واحد.

[ولما اقتربنا من المكان، انتبه الآباء إلى وصولنا، ففي الحال خرجوا جميعاً من قلايهم مثل جماعات النحل مسرعين بفرح واستبشار لملاقاتنا، بعضهم يحمل أوعية ماء للشرب والآخرون الخبز لطعامنا. فلما حيُّونا أخذونا إلى الكنيسة وهم يرغنون المزامير، ثم غسلوا أرجلنا ونشّفوها في ملابسهم الكتانية التي كانوا يرتدونها كأنهم يريحوننا من السفر، مع أنهم بعملهم هذا غسلوا همومنا العالمية دون أن يدروا، فماذا أستطيع أن أقول عن حبهم للضيافة؟ ماذا أقول عن لطفهم؟ ماذا أقول عن محبتهم وكل واحد يجذبنا إلى قلايته!!] ... [ومن نتريا سرنا بعد ذلك إلى منطقة القلاي في عمق الصحراء حيث لا يسكن هناك إلا الذي أكمل تدبير رهبانيته في نتريا أولاً، وخلع عنه وساخته الأولى وارتأى أن يكمل حياته في الوحدة، وهي صحراء قاحلة، والقلاي متباعدة لدرجة أن الواحد لا يرى ولا يسمع أخاه. وكل واحد يلزم قلايته بكل وقار، ويشملهم جميعاً الهدوء والصمت الكامل، والسلام ميلاً قلوبهم].

وقد رأى الرحالة قلاية أحد الآباء ويحيط بها سور داير من الطوب الأحمر المحروق ومن داخله بئر للشرب وهي مؤسسة بكل لوازم الراهب. لكن تعجّب لما سمع أن هذا الأب يترك قلايته باستمرار بكل أدواتها لكل راهب جديد يدخل مع الجماعة. وعلم هذا الرحالة أن الآباء يجتمعون معاً وفي يوم واحد يبنون ديراً: [عدة قلايات يحيط بها سور واحد داير لكل جماعة جديدة تأتي للسكن معهم].

وقد تقابل مع اسحق تلميذ مقاريوس الصعيدي الذي كانت له موهبة إذ كان يمسك بيده أي حية أو عقرب. وقد تقابل أيضاً مع كرونوس [الذي كان يفتخر أنه كان تلميذاً لأنطونيوس]،

(٦١) يلاحظ أن كرسي أسقفية هرمو بوليس (دمهور) كان يُشرف على نتريا بالضرورة لأنها تقع ضمن حدود الإبارشية وهي كانت تبعد ١٥ كيلومتراً من دمهور.

فهي حديثة منذ القرن الثالث عشر فما فوق، والمعتقد أن الأولى هي النطق السليم (المقارب للصعيدي)، أما الثانية فهي النطق البحيري المحرف ليظهر المعنى.

ولكن على أي حال فإن **ϣιητ** وإن كانت كتبت منذ القدم بدون **ϣ**، إلا أن المعنى العام بأنها تشير إلى كلمة **ϣητ** = قلب، كان يُشار إليه من حين لآخر منذ أقدم العصور: فثلاً في قصة القديس يوحنا القصير جاء الإسم مع تفسيره هكذا: «أذهب إلى جبل النظرون **πρωτοῦ ἀπιδροσευ** الذي هو شيهيت **ϣιητ** الموضع الذي توزن فيه القلوب **εψατϣι ἡλιητ** والأفكار بمقاييس حقيقية»^(٤).

وهكذا فإن شيهيت هي اصطلاح قديم يفيد معنى نسكي أي «ميزان القلوب». وهنا نجد التقابل واضحاً جداً بين الأصل القبطي **ϣιητ** والإشتقاق اليوناني المرادف له: **σκῆτης**. فالإسم القبطي يفيد عملية ميزان القلب التي هي خلاصة مفهوم الحياة النسكية كلها، والإسم اليوناني يتقارب منه إنما في محدودية ضعيفة ليفيد عملية النسك فقط دون البلوغ إلى غايتها وهي اتزان القلب أو نقاوته.

أما أصل كلمة «شيهيت» وسبب تسميتها، فلها قصة طريفة يقصها كتاب فضائل القديس مقاريوس الموضوع باللغة القبطية تحقيق العلامة أميلينو^(٥): [قيل عن أبا مقار أن رب المجد أرسل إليه الشاروبيم. فلما جاءه الشاروبيم وضع يده على قلبه كمن يقيسه (أو يزنه) = **οτϣι** فقال له أبا مقار «ما هذا؟» فأجابه الشاروبيم: إني أقيس قلبك وأزنه **ατϣι ἡπεκρητ**، فقال له الأبا مقار: وما معنى هذا؟ فأجابه الشاروبيم: «لأنه هكذا سوف يكون اسم هذا الجبل كما عُمل في قلبك، ولكن المسيح سيطلب = **ϣητ** الثمر»].

ولكن يحاول أحد الكتّاب القدامى ويسمى «بيشوي» كاتب سيرة الأبا مكسيموس والأبا دوماديوس أن يفسر كلمة **ϣιητ** تفسيراً آخر، إذ يقول أنها تعني مكان الذين يطلبون الله من كل قلبهم، محاولاً إرجاع كلمة شيهيت إلى **ϣητ** = يسأل، **ϣητ** = قلب^(٦)، أي الذي يسأل بكل قلبه، وذلك اعتماداً على رواية الشاروبيم مع مقاريوس.

ويقول العلامة أميلينو أن سبب إسقاط الآباء القدامى لحرف **ϣ** من شيهيت **ϣιητ** لتصير **ϣητ** هو التباس كلمة **ϣητ** بين معنى القلب ومعنى الشمال في اللهجة الصعيدية^(٧).

(4) Amél., A.M.G., XXV, p. 326.

(5) Virtues of S. Macar., ed. Amél., A.M.G., XXV, p. 118.

(6) Amél., A.M.G., XXV, p. 264.

(7) Ev. Wh., II, p. 28, after Zoëga.

الفصل الثالث

شيهيت أو الإسقيط

الإسم: الإسقيط وشيهيت.

الإسقيط هي اللفظة اليونانية المرادفة للكلمة شيهيت القبطية، كما سبق وقلنا أن كافة الأسماء القبطية كان لها مرادف يوناني على ممر العصور (أنظر ص ١٧٢).

أولاً: النطق اليوناني^(١): سكيثيس **Σκῆτις**

مرادفات اليوناني = **Σκῆτις, Σκέθις, Σκῦθις, Σκῆτης, Σκῆτη**

ويُشتق منها الصفة: راهب إسقيطي: **Σκητιώτης**

أو كورة الإسقيط: **Σκιθιακή**

ويُظن أن هذا الإسم اليوناني مشتق أصلاً من الكلمة **ἀσκητής** أي ناسك، وبذلك يكون الإسقيط معناه: مكان النسك، والنطق العربي إسقيط (بنطق الهمزة مفتوحة) يشير إلى هذا المعنى بوضوح.

ثانياً: النطق اللاتيني^(٢) سيتا **Scétis** ومشتقاتها:

Scythis, Seytis, Scitium, Scithium

ويُشتق منها الصفة: إسقيطي **Scitiotica**

وواضح أنها نقل لفظي من الإسم اليوناني. ومعناه المتداول باللاتيني هو مكان صحراوي للعبادة (= **Eremus** الصحراء باليونانية).

الأصل القبطي: **ϣιητ** = شيهيت (النطق الصحيح شيهات).

مرادفات القبطي كما جاءت في عديد من المخطوطات:

ϣιητ ϣηητ ϣητ

والملاحظ أن **ϣητ** هي أقدم صورة لكتابة هذا الإسم^(٣)، أما شيهيت **ϣιητ**

(1) Ev. Wh., II, p. 27.

(2) Ruf., H. E., II, 8.

(3) Quatèrmère; Memoires I, p. 451.

إسم آخر بالقبطية: $\pi\tau\omega\tau\acute{\alpha}\pi\iota\rho\sigma\epsilon\mu$ = جبل النطرون. الإسم بالعربية: ١- جبل النطرون. وأول من قال بها أبو البركات مترجماً عن اللغة القبطية $\psi\iota\eta\tau\acute{\epsilon}\tau\epsilon\ \pi\tau\omega\tau\acute{\alpha}\pi\iota\rho\sigma\epsilon\mu$ = شيهات الذي هو جبل النطرون^(٨).
٢- وادي النطرون: وهذه ترجمة للكلمة القبطية $\pi\rho\epsilon\lambda\omicron\varsigma$ وأصلها اليوناني $\epsilon\lambda\omicron\varsigma$ = (والكلمة معناها منطقة مستنقعات. والترجمة الصحيحة كانت ينبغي أن تكون «مستنقعات النطرون»^(٩)) وهو تعبير آخر أكثر ملاءمة للمنطقة جغرافياً لأنه منخفض بين مرتفعين. ومن أوائل من قالوا بهذه التسمية هو المقرئزي^(١٠). وكذلك تنطق أحياناً وادي الأطرون نطقاً خاطئاً.

٣- وادي هبيب: وهبيب هو قائد عربي أقام في هذا الوادي في منتصف القرن السابع. وينطقها ياقوت المؤرخ العربي هكذا: «هَبَيْب» وهو نطق خاطيء لأن الكتابة القبطية القديمة تكشف الحركات بوضوح، فهي كُتبت $\epsilon\lambda\pi\iota\pi$ ^(١١).

المعنى المتسع لشيهيت أو الإسقيط:

يلاحظ في كثير من المخطوطات مثل المخطوطة التي فيها حياة أنبا دانيال والتي تقص قصة القديسة «أناستاسيا»، أن كلمة برية الإسقيط أو برية شيهيت تجيء بمعنى محدود هو جبل النطرون أو وادي النطرون الآن^(١٢) $\epsilon\rho\eta\mu\omicron\nu\ \tau\eta\varsigma\ \sigma\kappa\eta\tau\epsilon\omega\varsigma$ $\psi\iota\eta\tau\epsilon\ \pi\tau\omega\tau\acute{\alpha}\pi\iota\rho\sigma\epsilon\mu$ ، ولكن حيناً تذكر كلمة الإسقيط أو شيهيت فقط فقد تأخذ معنى متسعاً جداً ليشمل منطقة القلاي ونتريا أيضاً. فأناستاسيا قيل في القصة أنها سكنت قلاية خارج برية الإسقيط، ثم في نهاية القصة يُذكر أنها عاشت في الإسقيط ٢٨ سنة. وهذا معناه أنها سكنت خارج حدود وادي النطرون ولكن بقيت داخل منطقة الإسقيط العام أو شيهات الكبير الذي يشمل من نتريا حتى البرية الداخلية. كذلك نجد إيفاجر يوس البنطي حيناً يذكر لأناتوليوس^(١٣) أنه عاش كل أيامه في الإسقيط، كان يعني الإسقيط العام لأن مركز إقامته كان معروفاً أنه منطقة القلاي.

الطريق قديماً إلى شيهيت:

أولاً: الطريق الشمالي: وكانت نقطة القيام الوحيدة هي مدينة البرنوج (نتريا) التي كانت تبعد عن دمنهور ١٤ كيلومتراً. أما الوصول إلى مدينة البرنوج فكان إما من النيل (فرع

(8) Amél., A.M.G., XXV, p. 263.

(9) Amél., Geograph., p. 447. & Ev. Wh., II, p. 32.

(10) Ev. Wh., II, p. 29.

(11) Evetts, Notes in Abu-Saleh, ch. 8, p. 3.

(12) Synax., ed. Basset: Babeh 15, p. 122.

(13) Migne, P.G. XL, col. 1220.

رشيد) عبر قناة نوقراطيس حتى البرنوج، وإما من الإسكندرية عبر بحيرة مريوط ثم قناة نوقراطيس حتى البرنوج. وبعد ذلك تبدأ الرحلة الشاقة الخطرة من نتريا ثم القلاي إلى شيهيت، وكانت الرحلة تستغرق نهاراً وليلة. ويتفق جميع المؤرخين سواء كاتب «تاريخ الرهبنة» أوروبينوس أو بالليديوس أنها كانت رحلة شاقة محفوفة بالمخاطر في طريق قفر يخلو من الماء ومن العلامات، ولا يهتدي المسافر إلا بالنجوم. وكثيراً ما ضل الآباء أنفسهم الطريق الذي ألفوه كثيراً وساروا عليه كثيراً، مثل يوحنا القصير الذي ضل الطريق^(١٤) حتى بالرغم من وجود دليل معه يُدله على الطريق.

ثانياً: الطريق الجنوبي، عن ترنوط:

ويعطينا بالليديوس صورة واقعية عن رحلة قام بها من منطقة القلاي المتاخمة لنتريا من جهة الجنوب الغربي، وكان بصحبته ألبانيوس وهيرو الإسكندراني وهما راهبان من رهبان القلاي: [في هذه الرحلة توفرت لي الفرصة لأتعرّف على القديس هيرو، فعلى مدى أربعين ميلاً— وهي المسافة من القلاي لشيهيت— أكلنا نحن مرتين وشربنا ثلاث مرات. ولكن هذا القديس هيرو لم يذُق شيئاً بالمرّة مع أنه كان يسير على قدميه. وقد تلى من ذاكرته في هذه المدة خمسة عشر مزموراً... والخ. وبالرغم من هذا كله لم نكن نلحق به وهو يمسي في المقدمة]^(١٥).

من هذا الوصف ندرك تماماً أن المسافة بين نهاية منطقة القلاي وبين شيهيت كانت أربعين ميلاً (رومانياً) إنما في طريق غير مستقيمة نوعاً ما^(١٦). فإذا أردنا تقدير المسافة بين شيهيت ونتريا، ينبغي أن نضيف على الأربعين ميلاً عشرة أو اثني عشر ميلاً أخرى وهي المسافة بين نتريا والقلاي. ويلاحظ أن كاسيان أخطأ في حسابه للمسافة إذ جعلها ٨٠ ميلاً (8 Schoinoi) من نتريا إلى شيهيت، وخطأه ناتج من أنه حوّل المقياس الروماني Schoinos إلى عشرة أميال في حين أنه ٦٥ ميلاً فقط. وإذا أردنا تحويلها إلى الكيلومتر تكون المسافة ٧٢ أو ٧٤ كيلومتراً. وهذه المسافة يمكن فعلاً قطعها في نهار وليلة كاملة على الجمال. ويؤكد هذا الوصف كل الأقوال التي جاءت في «أقوال الآباء». فعندما قيل أن مغارة الأب شيرامون^(١٧) كانت تبعد ٤٠ ميلاً من الكنيسة و١٢ ميلاً من البهلس = $\epsilon\lambda\omicron\varsigma$ = $\pi\rho\epsilon\lambda\omicron\varsigma$ (البحيرة) حيث الماء، كان هذا يشير إلى سكناه في طرف شيهيت الشمالي قبل أن تُبنى كنائس في شيهيت، فكان يسافر ٤٠ ميلاً إلى منطقة نتريا حيث الكنيسة الوحيدة في ذلك الزمن، وذلك للصلاة والتناول، ويمشي ١٢ ميلاً جنوباً للحصول على الماء من العيون القريبة من البهلس، فإذا أضفنا المسافة الأولى على

(14) Apoph. Patr., Joh. Colob, XVII, p. 110.

(15) Hist. Laus., ch. XXVI.

(16) المسافة المباشرة بالنسبة للمسافة برحلة القدم تكون بنسبة ٤ : ٥ تقريباً.

(17) Apoph. Patr., Shaeramon.

الثانية تكون هي المسافة الكاملة بين منتصف شيهيت حيث البحيرات إلى كنيسة نتر يا الموجودة بقرب مدينة البرنوج .

ويلاحظ أنه في قول آخر جاء عن القديس قاريون^(١٨) أبوزكريا وهو متأخر عن شيرامون بمدة طويلة، يقول إن الكنائس في شيهيت هي بالقرب من البحيرات وعيون المياه . لذلك يلزم عند قراءة السيرة أن يتذكر القاريء الزمن الذي يُروى فيه الخبر حتى يدرك أي كنيسة وأي منطقة يقصد الراوي .

ويلاحظ أن المسافة بين نتر يا وشيهيت بالقدم المُقدَّرة ٥٢ ميلاً أو ٧٢ كيلومتراً إذا كانت على خط مستقيم تصبح ٦٠ كيلومتراً . فلو وضعنا سن البرجل على مدينة نتر يا وفتحنا البرجل ودرنا بدائرة نصف قطرها ٦٠ كيلومتراً، نجد أن محيط الدائرة يحف بالمنطقة جنوب دير البراموس مباشرة، وهذا يفيد أن منتصف شيهيت كانت محسوبة أنها هي منطقة دير البراموس حيث استقرت جماعة القديس مقاريوس في بدء السكنى في شيهيت . وكل الأقوال التي جاءت عن الآباء تؤكد هذه الحقيقة .

ومن الأوصاف المبكرة جداً التي تصف منطقة شيهيت والمستنقعات التي في وسطها، سيرة مكسيموس ودوماديوس^(١٩) حيث جاء فيها على لسان هذين القديسين حينما وصلا من الشام إلى شيهيت : [فوجدنا أنفسنا على الصخرة^(٢٠) في شيهيت، وعندما رفعنا أعيننا على الجبل حولنا، رأينا مستنقعات الماء *πιγελλος υμωσ* ومنخفضات بها أشجار النخيل والصحراء كلها من حولنا] .

وعلى القاريء لأقوال الآباء أن يدقق في وصف الجهات بالنسبة للمستنقعات، ففي قصة حياة القديس مقاريوس الكبير يصف المؤلف البحيرات (البهلس) أنها جهة الغرب، وهذا يعني أن مكان القصة هو دير القديس أنبا مقاريوس الحالي . وفي مواضع أخرى يصف البحيرات (البهلس) أنها جهة الشمال، وهذا يعني أن المكان هو دير أنبا بيشوي أو يوحنا القصير، وفي مواضع أخرى يصف البحيرات أنها جهة الجنوب، وهذا يعني أن المكان هو البراموس .

(18) Apoph. Patr., Kario 11.

(19) Amél., A.M.G., XXV, p. 293.

(٢٠) وتبعد ثلاثة كيلومترات جهة الشمال عن دير البراموس، وهي الآن معروفة بصخرة أولاد الملوك أو قارة أولاد الملوك، وهي صخرة شيهيت الأولى، وتُدعى أيضاً صخرة النسر إشارة إلى الأجنحة النارية التي حملت مكسيموس ودوماديوس من سوريا إلى شيهيت . أنظر Ev. Wh., vol. I, p. 122، أما الصخرة الثانية فهي المتاخمة لدير أنبا مقاريوس الحالي .

أول مكان سُمي بشيهيت :

من أقوال الآباء وكل القصص المرادفة^(٢١) نعلم أن القديس مقاريوس انحدر من نتر يا ليسكن شيهيت . وأول مكان اختاره كان المنطقة التي فيها دير البراموس الآن، حيث حفر أول بئر وعاش بجوارها وتجمع حوله الرهبان . وبعد مدة وجيزة أقام أول كنيسة التي كانت تُدعى كنيسة شيهيت، والبئر الذي كان يُدعى بئر شيهيت، والصخرة المتاخمة لها (قارة ملوك) كانت تدعى صخرة شيهيت (القديمة) أو بئرا . وكان هذا كله بجوار البحيرات (البهلس) من طرفها الشمالي . وهكذا أصبحت منطقة البراموس المركز الأول الرسمي للتجمعات الرهبانية المقارية، والتي دُعيت بالأسقيط أو بشيهيت . وذكرت هذه المنطقة في المخطوطات كالاتي : [في بداية البهلس (البحيرات) بجوار المكان المعروف أنابوللوس (وهو المعروف ببركة النطرون، وهي البركة التي غطس فيها زكريا ابن القديس قاريون لكي يخفي معالم وجهه حتى لا يصبح عشرة للرهبان)]^(٢٢) .

اتساع شيهيت الجغرافي باتساع الإمتداد الرهباني :

كانت شيهيت أولاً هي منطقة دير البراموس ببئرها وكنيستها وصخرتها وبحيرة النطرون أو بركة النطرون المتاخمة للدير والمعروفة تاريخياً باسم أنابوللوس . وبامتداد التعمير والسكنى للتجمعات الرهبانية امتدت شيهيت تبعاً لذلك فشملت منطقة يوحنا القصير وبيشوي . ولما نزع مقاريوس إلى الجنوب الشرقي حتى نهاية منطقة البحيرات وتجاوزها بستة كيلومترات، امتدت شيهيت أيضاً تبعاً لذلك حتى غطت كل المنطقة تدريجياً من البراموس غرباً إلى دير أنبا مقاريوس شرقاً، ومن البحيرات شمالاً بشرق حتى البرية الجوانية جنوباً بغرب (الواحات) (أنظر الخريطة في الملزمة الأولى من الكتاب) .

نمو الرهبة في شيهيت حتى بلوغها أوج الإزدهار :

بقدر ما كانت شمس أجماد نتر يا تميل إلى الغروب، بقدر ما كانت تشرق بصورة سريعة ومذهلة في برية شيهيت . ونحن نعلم أن الرهبة في شيهيت بدأت بالقديس أنبا مقاريوس الكبير، متوحداً وحيداً، يوم دخلها بقيادة الشارويم سنة ٣٤٠ م .، وأخذ يجول في أنحائها ليختار لنفسه مكاناً ملائماً ليحفر فيه مغارته الأولى، وأخيراً استقر في طرف الوادي شمالاً حيث موضع دير البراموس الآن . وبعد عودته من زيارة الأب الكبير أنطونيوس، مؤيداً بالروح والقوة والمشورة الطيبة، التف حوله عدد من آباء نتر يا المشهورين الذين أحبوه وفضلوا السكنى معه وبنى أول دير لهم بجوار البئر . ثم بدأ العدد يزداد بسرعة بسبب شهرة القديس في الحكمة والإفراز والتدبير الرهباني

(21) Ev. Wh., II, p. 34.

(22) Amél., A.M.G., XXV, p. 76.

حتى ازدحم حوله الرهبان بصورة جعلت أنبا شيشوي أحد تلاميذه الأخصاء يفضل أن يترك شيهيت ليرتحل إلى جبل العربة ليعيش مكان الأب أنطونيوس الذي كان قد تنيح في هذه السنة. فلما سألوا أبا شيشوي لماذا ترك شيهيت واتجه إلى البرية الشرقية قال: «لما بدأت شيهيت تمتلئ بالجموع، وكنت قد سمعت أن أبا أنطونيوس قد رقد (٣٥٦ م.)، قمت وجئت إلى هذا المكان، فلما وجدت أن هذا الجبل هادئ أقمت مدة يسيرة» (٢٣).

من ذلك نستدل أن في هذا التاريخ سنة ٣٥٦ م. كانت قد بلغت شيهيت اكتمال تكوينها الرهباني.

شيهيت بين سنة ٣٥٦ م. و ٣٨٠ م.:

في الخطاب الذي أرسله أمونيوس الأسقف إلى ثاوفيلس البطريرك ٢٣ (٢٤)، وتاريخه بعد ٣٦٣ م.، يُخبرنا أمونيوس كيف أن أنثاسيوس [كان يسأله عن المتوحدين القديسين في شيهيت: بائيسيوس وأخويه اللذين هما بول (بولس) و بسويوس (بيشوي)، وعن إشعيا و بسيروس واسحق و بول (بولس)]. ومنه نستدل أن القديس أنثاسيوس كان على درجة كبيرة من الإنشغال والشغف بالآباء النساك في شيهيت، مما يدل قطعاً على سمو درجتهم الروحية والعقيدية أيضاً. فالمعروف أن شيشوي وهو معاصر لهم أيضاً كان خصماً عنيداً للأريوسية.

وقد يُظن أن لوكيوس (لوس) الوالي الأريوسي في غارته على نتر يا والقلاي انحدر إلى شيهيت سنة ٣٧٤ م. وقبض على الأب الكبير «أنبا مقار»، ونفاه مع سميّه الإسكندراني إلى جزيرة في دلتا النيل، كذلك قبض على بافنتيوس الشيهيتي تلميذ مقار يوس الكبير ونفاه إلى نيوقصرية (بانياس الآن بلبنان)، ولكن تحت ضغط الخوف والفرع عاد الوالي وأرجع كل المنفيين من منفاهم. فلم تأت سنة ٣٨٠ م. إلا وكان كل الآباء المنفيين قد رجعوا إلى مواطنهم التي أحبوها. بل ونعلم أنه قبل ذلك أيضاً سنة ٣٧٨ م. كانت شيهيت قد استعادت قوتها وجمالها بعد حوادث «لوكيوس» الوالي الأريوسي، وذلك من قصة وفود أحد الآباء المشهورين ويدعى پورفيري الغزاوي (وقصته بالكامل تقرأها في مجموعة الآباء اللاتين ٧٥ / عمود ١٢١٣، كما تقرأها بوضوح عند المؤرخ تيمون في مذكراته ١٠-٧٠٣) «الذي بوصوله شيهيت حُسب أهلاً في الحال أن يلبس الإسكيم المقدس»، ومكث في شيهيت مع الآباء خمس سنوات (٢٥)، مما يدل على أن شيهيت عادت في هذا التاريخ إلى سلامها وازدهارها المعتاد.

نشأة الأربعة أديرة في شيهيت:

نقرأ في سيرة القديس أنبا مقار لسرايين، أن أنبا مقار عاش حتى رأى الأربعة أديرة: [وعاش الأب مقاره حتى أبصر الأربعة دياراً معمورة جداً، وتنبأ عليها بالروح القدس وقال: هذه الأربعة دياراً يحبها ربنا يسوع المسيح و يريد أن تصير مثل الأربعة مدن التي كانت ملجأ و خلاصاً لبني اسرائيل، فأسسها الملك المسيح على هذا الجبل لتكون خلاصاً لأهل العالم، كل الذين يريدون خلاص أنفسهم لينالوا الحياة و يتجددون لله و يرجعون إليه من أعمالهم الشريرة].

و يعود نفس الكاتب و يقول: [وكثيرون كانوا يأتون إليه طالبين أن يلبسهم اسكيم الرهبنة المقدس، ولأجل هذا صار له تلاميذ كثيرون بلا عدد متشبهين بتدبيره النسكي المقدس متمثلين به يخدمون الله، وكان يوزعهم على المواضع التي فيها الجماعات في البرية (الأربعة تجمعات الديرية). ورسم لهم السكنى بهذه المساكن وجعلها تسمى بأسمائهم، فبعضهم كان يسمى بدير أبو يحنس (أبا يوانس) و داخل منه دير أنبا بشيه (بشوي)، أما الإخوة الروحانيون الذين كانوا في دير أبو يحنس فكانت أفكارهم يدبرها لهم أنبا بامويه (أموي أو أمويس) تلميذ الأب مقاره...].

ثم يعود أيضاً الكاتب و يقول: [و بعد هذا تم قول الأب مقار يوس وكانوا يأتون من كل موضع أي من جبل (نتر يا) لما سمعوا بصيت وفضائل ذلك الموضع (شيهيت)، و بتلاميذه في كل جيل الذين يجمعهم سيدنا يسوع المسيح إلهنا الحقيقي و يجعلهم يلبسون زي عبده القديس و يصيرهم له، وهربون من أعمال العالم الشرير، و يورثهم ملكوت أبيه برحمته السابعة على مساكن عبده القديس. وكان القديس مقار يوس يُعائِن بني زيّه قد كثر، وزرعه الروحاني ينمو كأشجار مزروعة في أرض صالحة حاملة أثماراً روحانية بلا انقطاع، فكان يشكر نعمة الله قائلاً في ذاته: كما قيل لي من ربنا يسوع المسيح قد كمل ونظرته عينا ي ولسته يداي. ولم يكن سكان ذلك الجبل من المصريين فقط بل من البلاد البعيدة، من رومية جاءوا إليه، ومن أسبانيا والنوبة والسبطانوس وكبادوكية وآسيا وبلاد الشام وفلسطين وبلاد الروم].

ويحقق إقليد وايت أن الأربعة الأديرة كانت قد تكاملت بالفعل في زمن أنبا مقار، ولكن ليس على شكل أديرة بأسوار كوضعها الحالي، وإنما على هيئة أربعة تجمعات ضخمة متميزة، كل مجموعة في موضعها ولها الأب رئيسها الذي يدبرها. وإقليد وايت يُدعّم هذا الكلام بوقائع تاريخية مبتدئاً من القرن السابع، ثم بتسلسل راجعاً إلى خلف حتى يصل إلى القرن الرابع.

القرن السابع: فلو بدأنا بتاريخ متأخر مثل القرن السابع مثلاً، أي في زمن أنبا بنيامين الأول، نجد أن في قصة زيارته لدير أنبا مقار لتكريس كنيسة أنبا مقار ذُكرت بعض الأديرة

(23) Apoph. Patr., Sisoës, XXVII.

(24) Acta SS., May III, p. 71.

(25) Ev. Wh., II, p. 95.

بغاية الوضوح والتفصيل وبالإسم أيضاً، مثل دير البراموس أو دير مكسيموس ودوماديوس^(٢٦)، كما ذكر في سيرة أخرى دير أنبا بيشوي بالإسم، لأن البطريرك أنبا بنيامين نفسه أعاد عمارته^(٢٧). أما دير القديس يونس القصير فقد ذكر بالإسم في سيرة أنبا صموئيل المعترف^(٢٨) المعاصر لأنبا بنيامين.

ثم إذا عدنا إلى خلف قليلاً نجد أن في منتصف القرن السادس يُذكر دير أنبا يونس القصير في تاريخ البطاركة، لأن البطريرك أنبا داميانوس كان أحد رهبانه^(٢٩).

القرن السادس: وفي القرن السادس نجد تفصيل حوادث الغارة التي حدثت، يشمل الأربعة الأديرة. ثم يُعاد ذكر الأربعة الأديرة في نفس القرن للرحالة المؤرخ يوحنا موسخوس^(٣٠). وفي سنة ٥٣٥ م. نجد في ذكر انتشار بدعة الغيانين إشارة إلى الأربعة الأديرة^(٣١).

القرن الخامس: وبالتحديد في بدايته سنة ٤٠٨ م.، وفي ذكر حادثة الغارة الأولى على بركة شيهيت نجد أن «الأربعة الكنائس التي في البرية» دُمرت، إشارة إلى وجود الأربعة التجمعات الرهبانية^(٣٢).

القرن الرابع: وبالتحديد في نهايته سنة ٣٩٩ م.، وفي أحد أمسيات ختام القرن الرابع، وفي سرد قصة أزمة الأوريجانية المشهورة التي اقتحم فيها البطريرك ثاوفيلس — بمؤازرة عساكر السلطة — براري نتريا وشيهيت، ذكر أثناء هذه الحوادث أنه كان موجوداً أربعة تجمعات Congregations في شيهيت، كل واحدة منها لها كنيستها ولها إيغومانسها الكاهن المدبر، ويبدو واضحاً أنها كانت متكاملة^(٣٣) قبل تلك الحوادث.

وبذلك يتضح بالبرهان والتاريخ أن الأربعة الأديرة كتجمعات متكاملة مستقلة كانت قد أخذت شكلها الرهباني في بركة شيهيت قبل نهاية القرن الرابع، مما جعل شهادة سيرابيون كاتب سيرة حياة الأنبا مقار ذات اعتبار هام من حيث دقة التفاصيل التاريخية.

والمعروف أن أسماء هذه الأديرة أخذت اعتبارها منذ البدء تقريباً، لأن هذه الأسماء تُشير إما

(26) Ev. Wh., II, p. 96, 272.

(27) Ev. Wh., II, p. 297.

(28) Cauwenbergh; Etude Sur Les Moines d'Egypte, p. 90.

(29) Ev. Wh., II, p. 248.

(30) Patrum Spirituale, CXIII.

(31) Ev. Wh., II, p. 229.

(32) Ev. Wh., II, p. 157.

(33) Cassian, Col., X, 2, p. 133.

إلى مؤسسها أو قديسها المعترفين بركة الموضع. أما ترتيب ظهورها الزمني، فالتقليد الساري أن أول جماعة رهبانية في شيهيت عاشت في موضع دير البراموس الآن، أما الجماعة الثانية فكانت في موضع دير أنبا مقار الآن، والثالثة في موضع دير أنبا يونس القصير (الأديرة المحرّبة جنوب غرب دير أنبا مقار)، والرابعة في موضع دير الأنبا بيشوي الآن (علماً بأن دير السريان الحالي لم يظهر في الوجود قبل القرن السابع).

وكانت هذه التجمعات تنقسم إلى قسمين واضحين:

القسم الأول: وهو التجمع الأساسي الذي أسسه أنبا مقار بنفسه، ويشمل دير البراموس ودير أنبا مقار: الأول في طرف شيهيت من جهة الشمال الغربي، والثاني في طرف شيهيت من جهة الجنوب الشرقي.

القسم الثاني: وهو التجمع الرهباني الفرعي الذي أسسه أولاد القديس أنبا مقار: يونس القصير وبيشوي. الأول في منتصف الأسقيط من الجهة الشمالية الشرقية، والثاني في منتصف شيهيت من الجهة الجنوبية الغربية.

أما الأربعة تجمعات فتكوّن شكل صليب مائل يغطي أطراف الوادي الأربعة. (أنظر الخريطة في الملزمة الأولى من الكتاب).

تحقيق زمني لتكامل الأربعة الأديرة:

وقد جاء في المخطوطة التي تقص خبر نفي المقارّين أيام «قالنس» الإمبراطور وعلى يد «لوقيوس» الوالي، الذي بدأ مباشرة بعد نياحة أثناسيوس الرسولي سنة ٣٧٣ م.، خبر مؤداه أن برجوع أنبا مقار المصري ورفيقه أنبا مقار الإسكندري سنة ٣٧٥ م. من المنفى، التقى بكافة رهبان البرية من الأربعة أديرة في المكان الذي تصفه المخطوطة هكذا: [وكان أنبا مقار الكبير ورفيقه الإسكندراني موجودين غربي مغارة القديس بشيه أخ القديس يحنس تلميذ أنبا أموي الصعيدي، يصليان معاً على القلعة (الحصن) ...].

وهذا الكلام يفيد أن حصن دير أنبا بيشوي كان قائماً بالفعل سنة ٣٧٥ م. وبعد ذلك تستمر المخطوطة في وصف بركة أنبا مقار لكل من القديس يوحنا القصير والقديس بيشوي مع ذكر أديرتها التي كانت عامرة بهيئة مدن هكذا: [ويُدعى إسمكُما من بعدي على هذه المدن التي أنعم بها عليّ سيدي، أنت يا يوحنا يكون اسمك من بعدي، وبيشيه الثالث، وبعدي ولديّ مكسيموس ودوماديوس، لا تبرح روحي من مساكنتكم، ولا بركتي من كنائسكم، أنتم الجيل الثالث من غرسي، وأولادكم الذين يتتلمذون لكم في كل الأزمان]^(٣٤).

(٣٤) مخطوطة رقم ١٨ س بمكتبة دير أنبا مقار ص ٤٦.

الفصل الرابع

التجمُّع الأساسيان في شيهيت

١ - التجمُّع الرهباني الأول في شيهيت على يدي القديس أنبا مقار

« دير البراموس »

الاسم أصلاً بالقبطية παρωμιος أي دير الروميين. والمقصود بـ «الروميين» هم «مكسيموس ودوماديوس». وهذه التسمية قديمة العهد، ففي مخطوطة من القرن العاشر^(١) عن حياة القديس مقار يوس ورد اسم الدير هكذا: ἑραδουη παρωμιος أي قلاية الروميين.

أما نسبة الدير أو كنيسة الدير إلى القديسين مكسيموس ودوماديوس فواضح في المخطوطة التي تروي سيرتها، وعنوان المخطوطة: [حياة القديسين الروميين مكسيموس ودوماديوس أولاد الإمبراطور فالنتينيان (٣٦٤-٣٧٥ م) كتبها الشماس الراهب بيشوي (الذي من القسطنطينية) الذي كان يسكن في شيهيت بالقرب من رجل الله الأنبا مقار والأبا إيسيدوروس، وقد خلفه في الشموسية بعد نياحته الأبا موسى الأسود. وقد كتب الأبا بيشوي سيرة هذين القديسين تذكراً لها ووضعها في الكنيسة]^(٢).

ويقول أميلينو أن هذه المخطوطة يُذكر فيها أن إيسيدوروس صار كاهناً على كنيسة مكسيموس ودوماديوس^(٣). وهذا يتضح أن الكنيسة سميت باسم هذين القديسين منذ البدء (ولكنها بُنيت في عصر سابق لوصول مكسيموس ودوماديوس لأن سيرتها تقول «إنها كانا يذهبان للكنيسة في صمت ليتناولوا من الأسرار المقدسة»).

ومن هذه الوثيقة يتبين لنا أن هذين القديسين كان المعتقد أنها ولدا فالنتينيان الملك ابن چوڤيان الملك الذي حطم كل هياكل الأوثان. أي أنها تربية مسيحية غيورة حتى إنها لما بلغا سن الشباب صمما أن يصيرا راهبين، فرحلا سراً إلى نيقية، ومنها إلى فلسطين، حيث قابلا

(1) Amél., A.M.G., XXV, p. 87.

(2) Ibid., p. 262.

(3) Ibid., p. 311.

القديس «أغابوس»، الذي كان يسكن على صخرة بجوار البحر (دير موط أو دير أبنا هرمانوس)، فرحب بهما وهياهما لقبول الحياة الرهبانية وألبسهما الثياب السوداء (كان زي الأقباط من ثياب بيضاء)^(٤) ومكثا عنده ٦ سنوات، وفي نهايتها لما قربت نياحة القديس أغابوس رأى رؤيا ظهر له فيها القديس أنبا مقار بهيئة رجل طويل القامة وعلى رأسه كوكلسة عليها صلبان ويمسك عصا وصليباً، وأمره أن يرسل الأخوين بعد نياحته إلى شيهيت ليقيا هناك.

وقد ذاعت شهرتها في فلسطين، وعُرف خبرهما في المملكة بعد موت أبيهما وتولى ثيودوسيوس عوضاً عنه، حتى أرادوا أن يجعلوا مكسيموس بطريركاً. ولكن مكسيموس أسرع في الرحيل هو وأخوه سنة ٣٧٩ م. وهي سنة اعتلاء ثيودوسيوس العرش، ووصلا مصر بعد رحلة شاقة أعانها فيها الملاك وأمسك بهما حتى وصلا إلى الصخرة التي في شيهيت التي فوق الماء تجاه الجنوب، وتقابلا أخيراً مع مقار يوس. وتسير القصة كما هي في البستان العربي المطبوع إلى أن يصل الكاتب إلى نياحة الأخ الأكبر، وبعد ذلك بثلاثة أيام تنيح الأصغر، وذُفنا معاً في المغارة التي حفرها وسكنهاها^(٥). وتاريخ وفاتها ١٤ و ١٧ طوبة^(٦)...

وفي ختام المخطوطة نأتى إلى حقيقة تسمية دير البراموس كالاتي:

[وبعد سنة كاملة من وفاة هذين القديسين، حينما بدأت الصحراء تمتلئ بغزارة بوفود الرهبان القادمين من جبل برنوج (نتريا) ومن كافة المتوحدين القاطنين بأعناق مصر بنوا لها كنيسة كبيرة، وجعلوا أبنا إيسيدوروس كاهناً عليها وأنا بيشوي جعلوني شماساً أنا غير المستحق. وبعد ذلك أعطى القديس أنبا مقار الكبير أمراً بتسمية هذه الكنيسة قائلاً: «سموا هذا الموضع τος قلاية الغرباء». فردّ عليه ثلاثة من الآباء الشيوخ الكبار الذين من جبل برنوج (نتريا) بامو ويهور وأثره، وسألوه ما إذا كان قد علم بأسمائهم؟ وعلى هذا السؤال رد القديس مقار أنه يعلم اسميهما، ولكن لثلا يُطلق اسم إنسان عليه] (يظهر أن القديس مقار لم يشأ أن تسمى الكنيسة باسم إنسان).

و يعود بيشوي الكاتب فيقول:

[إن أبنا بافتوتيوس تلميذ أنبا مقار، الذي صار أبناً على شيهيت من بعده، أكد لنا أن أنبا مقار اتخذ هذا الموقف (في عدم تسمية الكنيسة باسم إنسان) بناء على أمر من الشاروبيم].

(٤) وعند وصولها إلى الأنبا مقار خلع هذان الراهبان الملابس السريانية السوداء وألبسها أنبا مقار الملابس المصرية البيضاء (القصارية الكتان ذات الأكمام القصيرة وجلد الغنم المشهور) Ibid., p. 296.

(٥) أنظر صفحة ٧٦. Ibid., pp. 305 ff.

(6) Abu Salih, ch. 2, Mon. of Eg., fol. 53.

فإذا اعتمدنا التواريخ السالفة يمكن تحديد تاريخ تسمية دير البراموس هكذا: وصل القديسان مكسيموس ودوماديوس إلى شيهيت سنة ٣٨١ م. ، بعد أن اكتشف أمرهما ثيودوسيوس الملك، وعاشا في شيهيت ثلاث سنوات، وتنيحا سنة ٣٨٣-٣٨٤ م. ثم يُضاف إلى ذلك سنة كاملة فيكون هو تاريخ بناء الكنيسة الكبرى أي سنة ٣٨٥ م.

ولكن يوجد ما ينقض هذا التاريخ:

أولاً: لأن المعروف أن قائلتيان لم يكن له أولاد^(٧). إذن فربط تاريخ هروب مكسيموس ودوماديوس من فلسطين إلى مصر بعد وفاة قائلتيان الأول غير صحيح أو على الأقل غير مضمون.

ثانياً: كذلك في سيرة مكسيموس ودوماديوس يذكر بيشوي أن القديس بامو أقي إلى شيهيت مع بيهور وأثره بعد موت مكسيموس ودوماديوس - وسألا أنبا مقار عن اسم هذين الشابين الغربيين. ومعروف أن بامو تنيح سنة ٣٧٣ م. ، إذن فجمي مكسيموس ودوماديوس إلى شيهيت بناء على هذه القصة يكون قبل سنة ٣٧٠ م.

ثالثاً: كذلك نجد في المخطوطة التي كتبها سيرايبون عن حياة أنبا مقار أن خبر مكسيموس ودوماديوس يأتي مباشرة بعد عودته من زيارة الأب أنطونيوس الكبير وفي بدء تجمع تلاميذه: [وعاد (أنبا مقار) إلى البرية المقدسة إلى قلايته وجلس صامتاً مع نفسه، وبدأ الناس يجتمعون إليه ويلتمسون منه أن يلبسهم زي الرهبنة المتوحدة ويسكنون عنده ويتعلمون منه مخافة الله... فتكاثر الناس عليه... وفي ذلك الزمان أتاه شابان أخوان من بلاد الروم...].

رابعاً: يُقرّر كاسيان، الذي زار شيهيت سنة ٣٨٥ م. ، أنه رأى في شيهيت أربع كنائس وكل كنيسة تتوسط جماعة، ولكل منها كاهن أعظم (إيغومانس). أي أن جماعة دير أنبا مقار كانت في أوج اكتمالها ولها كنيسة وكاهن مستقل. فكيف يكون تاريخ نزوح أنبا مقار في سنة ٣٨٥ م. بعد نياحة مكسيموس ودوماديوس إلى منطقة دير أنبا مقار هو نفسه تاريخ اكتمال نمو الجماعة وعمارة كنيستها؟؟

إذن فتاريخ مكسيموس ودوماديوس، وبالتالي تاريخ تسمية دير البراموس، غير مؤكد ومتروك للتاريخ لإعادة النظر.

وتُختم حياة مكسيموس ودوماديوس في مخطوطة سرايبون الذي يقص فيها حياة أنبا مقار الكبير هكذا: [ولما مضى الشبان القديسان إلى راحتها وقبرا بالقرب من المغارة، جاء بعض الرهبان

وسكنوا في هذا الموضع، فسموا كل المنطقة قلاية (= دير) الروميان حتى هذا اليوم].

وفي أقوال الآباء المترجمة بالفرنسية تُختم قصة حياة مكسيموس ودوماديوس التي جاءت على لسان بتيميوس المعروف باسم بيجمي (ناسك عاش في بداية القرن الخامس) كما استقاها من أحد تلاميذ القديس أنبا مقار هكذا: [وكلما كان يأتي بعض الشيوخ عند الأبا مقار يوس كان يقودهم إلى قلايتها قائلاً: تعالوا انظروا مكان استشهاد Martyrium الغرباء الصغار]^(٨)، حيث «المرتير يوم» تعني المقبرة التي تُشاد تخليداً لذكرى من يشهد للمسيح بحياته أو بموته، وكان القديس مقار يوس يقول عنها: «إنها أرضيا الله بأعمالها» مما جعل الآباء يتسابقون في بناء قلايتهم بالقرب من قلايتها.

مصدر آخر لتسمية دير البرموس:

يعتقد المؤرخ إقليين وايت وسيكار الفرنسي^(٩) أن تسمية البرموس نسبة للروميين غير صحيحة. وقد تكون أكثر دقة لو تُنسب «للرومي»، ويعتقد أنه هو أرسانيوس لأنه يشك في جنسية مكسيموس ودوماديوس أنها روميان أصلاً، بل يقول إنها سوريان جاءا من سوريا، ويستدل على ذلك بأن مقار يوس الكبير لم يسميها الروميين بل الغربيين. هذا بالإضافة إلى أن هذين القديسين غير معروفين على الإطلاق عند الكنيسة اليونانية وليس لها تذكارات بالمرّة في سنكسار الكنيسة عندهم، بعكس أرسانيوس مثلاً فهو قديس مشهور من الدرجة الأولى وله عيد عندهم. وكذلك لم يرد في جميع أقوال الآباء أي ذكر عن اسميها. كما أنها ليسا أولاد ملك لأن قائلتيان لم يكن له أولاد بالمرّة. لذلك فإن تسمية البرموس نسبة إلى أرسانيوس المدعو: بي روميثوس *πρωμιθος*، قد تكون هي الأصح، لأن التسمية هنا منسوبة لفرد واحد وهو أرسانيوس الذي هو وحده يُحسب عن يقين أنه رومي، وأنه معلم أركاديوس وأنور يوس ولديني الملك ثيودوسيوس، وهو شخصية كانت بحق بارزة في تاريخ جماعة شيهيت الأولى وتستحق بالفعل أن تأخذ هذه الكرامة، خصوصاً وأن زمن مجيئه للإسقيط قريب من زمن مجيء مكسيموس ودوماديوس، ومن هنا حدث الالتباس. فقد هرب أرسانيوس من بلاط الملك ووصل الإسقيط سنة ٣٩٤ م.

والمعتقد أن جماعة شيهيت قامت ببناء كنيسة أخرى (غير الكنيسة الأولى المعروفة بكنيسة إيسيدوروس التي كانت موجودة قبل وصول القديسين مكسيموس ودوماديوس) وسموها باسم

(8) Apoph. Patr., Fr., 239, p. 143 (Guy).

(9) Ev. Wh., II, p. 101, 102.

(7) Ev. Wh., II, p. 101.

٢ - التجمع الرهباني الثاني في شيهيت دير أنبا مقار

تقول مخطوطة سرابيون في حياة القديس مقاريوس أنه بعد نياحة القديسين مكسيموس ودوماديوس، ثم بناء «كنيسة صغيرة» تخليداً لهما، ابتداءً القديس مقاريوس من ذلك الزمان تنمو شهرته في كل أنحاء العالم، ولرغبة القديس في الهدوء والعزلة ولكثرة مضايقات العدو المضاد له، قام بإرشاد الشارويم وأنحدر جنوباً بشرق إلى الصخرة الواقعة في جنوب الملاحات غرب البئر الواقعة أعلى (١) الوادي. ثم أرشده الملاك أن يبني مسكناً له هناك وكنيسة للصلاة، كما أعلمه أن جمعاً كثيرة ستأتي وتسكن هذا المكان. وتقول المخطوطة أنه سكن هناك حتى يوم نياحته. لذلك دُعي هذا الموضع إسقيط مكار يوس (الأبا مكار يوس) وذلك بنوع خاص، دون كافة المواضع التي عمرها «لأنه هو المكان الذي أنهى حياته فيه».

ثم قام القديس أنبا مقار ببناء بئر جديدة بالقرب من الصخرة التي عُرفت فيما بعد ببئر أنبا مقار. ومعروف أن بناء بئرها بداية تكتل عمراني في المنطقة. أما الإخوة الذين رافقوه إلى هناك والذين جاءوا بقصد الرهبنة فقد تجمعوا أسفل الصخرة وبنوا قلايتهم تحت الصخرة بجوار البئر.

وفي كتاب فضائل القديس مقاريوس الموضوع بالقبطية (٢) نقرأ عن قصة زيارة قام بها أبنا بامو وإيقاجريوس من نتريا مع أبنا موسى الأسود الذي لحق بها مع آخرين من شيهيت (البراموس)، وكيف وصلوا بإرشاد الملاك إلى الصخرة المشهورة بـ «صخرة أبنا مكار يوس» حيث كان يسكن مع أولاده. والقصة في المخطوطة العربية لسرابيون ينقصها الأسماء جاءت كالآتي:

[اجتمع بعض الأوقات سبعة من الشيوخ القديسين (من نتريا) ليمضوا إلى قلاية القديس مقاريوس. فلما جاءوا وجازوا على قلاية (دير) الأبهات الروم وعبروا على قلاية موسى الأسود سأهم الأب موسى: إلى أين أنتم ماضون؟ فأجابوه: إلى عند الأب مقاريوس لتبارك منه. فقال لهم: وأنا قد صار لي هذا الفكر. فخرج الأب من قلايته وكان الوقت قد قرب من المساء وكانت الغيوم والرياح كثيرة جداً. فلما ساروا قليلاً لم يعرفوا إلى أين يمضوا. فصلوا كلهم وقالوا: أيها الروح الباراكليت الساكن في قديسه مقاريوس: أضيء لنا وقوم سبيلنا إليه حتى نجتمع بعبدك.

(١) كلمة أعلى الأرض وأسفل الأرض في المخطوطات القبطية القديمة لا تفيد وضماً رأسياً ولكن تفيد إنجهاً جغرافياً. فأعلى الأرض هو الصعيد وأسفل الأرض هو الوجه البحري. لذلك كلمة أعلى الوادي تفيد طرفه الجنوبي. وعلى ذلك تكون هي بئر أنبا مقار الحالية التي يقع الدير الحالي في الإتجاه الغربي لها، ويُظن أنها بئر رومانية قديمة.

(2) Amél., A.M.G., XXV, p. 186.

هذين القديسين (١٠). ويحقق لنا المؤرخ سيكار (١١) صحة هذا الكلام لأنه شاهد بنفسه (في بداية القرن ١٨) أثر خرائب كنيسة بجوار البرموس احتفظ التقليد بتسميتها كنيسة مكسيموس ودوماديوس. كما يحتفظ لنا التاريخ القديم بمخطوطة تقول: [إن الآباء أقاموا بجوار منشوبيتها (مكسيموس ودوماديوس) كنيسة] (١٠). وفي وصف رحلة أنبا بنيامين لتكريس كنيسة أنبا مقار سنة ٦٥٥ م. يتضح بنوع قاطع أن البراموس شيء آخر غير مكسيموس ودوماديوس. فالمخطوطة تقول أن أول مكان التقى به أنبا بنيامين في رحلته من القلاية عند وصوله لشيهيت هو البراموس، ثم مكسيموس ودوماديوس: [ولما اقتربنا من البراموس ومكسيموس ودوماديوس ترجلنا (نزلنا من على الدواب) ودخلنا كنيسة القديس إسيدوروس] (١٢).

ومن هذا يتضح أن دير البراموس شيء، وكنيسة مكسيموس ودوماديوس شيء آخر. كذلك يتضح أن هناك كنيستين: واحدة أصلية وهي كنيسة إسيدوروس أول كنيسة بُنيت في شيهيت على يد أنبا مقار نفسه (التي يُقال أن ميلانيا دفعت نفقاتها) (١٣) وهي التي ظلت قائمة من جيل إلى جيل حتى اليوم تذكراً للقديس الكبير أبو البرية كلها، لأنها أول كنيسة بناها بيده وصلى فيها. والأخرى هي كنيسة مكسيموس ودوماديوس، وهي كما تقول مخطوطة سيرابيون أنها كانت صغيرة وهي التي فقدتها الرهبان على ممر الزمن والتي رأى الرحالة سيكار خرائبها بجوار الدير.

والمعروف في التاريخ أنه بعد سقوط كنيسة مكسيموس ودوماديوس أخذ الرهبان جسديهما الطاهرين ووضعاهما في كنيسة إسيدوروس مع جسد أنبا موسى الأسود (١٤).



قطعة من الحجر المنحوت تتوسطها زهرة زخرفية وعلى الطرفين زخرف ورق العنب يحيط بعناقيده
[من دير أبنا إرميا بسقارة - معروضة بالمتحف القبطي بالقاهرة]

(10) A.M.G., XXV, p. 315.

(11) Lettres édifiantes, t. V, p. 44.

(12) Hist. Patr., p. 242, Evetts.

(13) Zoëga, Cat. No. LXXI & Amél., Hist. Laus., p. 96.

(14) Quatremère, Mem. Geogr. & Hist. VI, p. 470.

وللوقت أضاء لهم عمود نور متصل بقلاية الأب مقاره، فأرشدهم حتى وصلوا... [٣].

أما القصة فنجدتها في كتاب «فضائل أنبا مقار» بالقبطية، وترجمتها كالاتي:
[قال أنبا بيمو: عزمت في قلبي أن أرى أنبا مقار وأسجد بين يديه. ولما أتيت إلى الجنوب في
الموضع الذي لأنبا موسى الأسود وجدت أباً يمين وأوغريس وكرونيوس وأخوين آخرين وكان
لهم نفس العزم لزيارة أنبا مقار... إلخ].

من هذه القصة نستدل دلالة واضحة لثاني مرة أن مكسيموس ودوماديوس تنيحا قبل نياحة
أنبا باموأي قبل سنة ٣٧٣ م. كذلك يتضح أيضاً أن دير أنبا مقار بدأت تجمعاته تأخذ وضعها
الثابت قبل هذا التاريخ بمدة ليست قليلة؛ لأن القديس بامو الذي تنيح سنة ٣٧٣ م. يظهر هنا
كإنسان قوي البنية يستطيع أن يقوم برحلة طويلة من نتريا إلى شيهيت إلى دير أنبا مقار جنوباً
استغرقت يوماً وليلة في أسوأ الأجواء.

وفي وصف مكان سكنى أنبا مقار توضيح آخر نجده في كتاب «أقوال الآباء» وهو المحسوب
أنه أقدم وأصدق الوثائق، إذ يقول: [أنبا مكار يوس كان ساكناً في البرية بمفرده متوحداً
(ἀναχωρῶν) بناه أسفل منه كانت صحراء يسكنها جماعة من الإخوة] (٤).

وما حدث في بداية سكناه في شيهيت، حدث أيضاً في سكناه الأخير على صخرة أنبا مقار
الثانية، إذ تكاثر عليه الناس والزائرون حتى اضطر إلى حفر نفق تحت الأرض مسافة ٣٠٣ قدم
يصل بين قلايته ومغارة أخرى كان يهرب إليها من كثرة الزائرين. وكان يتلو صلواته الأربع
والعشرين في ذهابه إلى مخبئه ومجيئه منه (٥)، ومن هذا نستدل أن المكان ازدحم بالرهبان
والزائرين بسرعة.

وقد أمر القديس مقار يوس تلاميذه أن يقيموا في جماعات أو مجموعات متجاورة، وهو نظام
المنشويات الذي اشتهر به دير القديس أنبا مقار منذ البدء (٦).

ومن قصة افتقاد أنبا مقار للراهب المتواني ثيوبمبثس المتواطىء مع الشيطان (٧) وكيفية
خروج الآباء بسعف النخيل لاستقبال القديس مقار يوس عندما رأوه نازلاً من الصخرة لافتقاد

(٣) المخطوطة العربية لسيرايون رقم ١٨ س بمكتبة دير أنبا مقار. ويلاحظ أن في كتاب الفضائل، هذه القصة مذكورة مع توضيح
مكان سكنى القديس على الصخرة جنوب البحيرات.

(4) Apoph. Patr., Macar., III.

(5) Hist. Laus., ch. XVII.

(6) Amél., La Geogr. de l'Egypte, p. 437.

(7) أنظر قصته صفحة ٩٤.

الإخوة والبحث عن هذا الراهب، نستدل أن أنبا مقار لم يكن يترك وحدته إلا نادراً جداً، وأن
الجماعة كانت ناشطة ومنتجة ونامية. إذ باعتراف الشيطان أنه لم يوجد فيهم واحد يتبع هوى
الشيطان إلا هذا الراهب المتقاعس وحده، والذي بصلوات القديس وحكمته وتوبيخه قام أيضاً
ونفض عنه هذه الشركة النجسة مع الشيطان.

تاريخ بداية التجمع الرهباني في منطقة دير أنبا مقار (البيامون):

أربعة حوادث يمكن الإعتماد عليها لتحديد بداية تاريخ وجود رهبان في منطقة دير أنبا مقار
الحالي:

الأولى: تاريخ نياحة مكسيموس ودوماديوس، حيث ذكر أن بعد نياحتها نزع أنبا مقار جنوباً
بشرق إلى أعلى طرف الوادي لتأسيس الجماعة الرهبانية الثانية في شيهيت. وقد رأينا
استحالة الأخذ بأنه كان سنة ٣٨٥ م.

الثانية: خبر زيارة القديس بامو إلى القديس مقار يوس مع السبعة الشيوخ من منطقة نتريا،
وانضمام أنبا موسى الأسود لهم من منطقة البراموس، ووصولهم جميعاً إلى موضع أنبا
مقار جنوباً في منطقة دير أنبا مقار. والمعروف أن أنبا بامو تنيح سنة ٣٧٣ م.، إذن
يتحتم أن تكون الزيارة تمت قبل ذلك بمدة، كما يتحتم أن يكون أنبا مقار استقر في
هذه المنطقة (منطقة البيامون) في تاريخ مبكر أيضاً.

الثالثة: تقرير الراهب والمؤرخ كاسيان الذي زار شيهيت سنة ٣٨٥ م. ووجد بها أربع كنائس
لأربعة جماعات قائمة ونامية.

الرابعة: قصة نفي أنبا مقار المصري وعودته مرة أخرى مع رفيقه أنبا مقار الإسكندراني، وفيها
يقول الكاتب بوضوح بديع وهو يصف مقابله لأبنائه الرهبان بعد عودته هكذا: [وأقام
ذلك النهار جميعه وتلك الليلة يقوي قلوب أبنائه ويخبرهم بجميع ما جرى عليها، وكيفية
رجوعه إليهم، وكانوا جميعاً فرحين بسماع كلامه ودموعهم تفيض وهم يجدون المسيح
الذي قواها على مكابدة هذه الأتعاب، وفي اليوم الثاني وفي الساعة الثالثة من النهار
سرحهم بسلام وأخذ تلميذه أنبا بينودة ومضوا إلى البيعة التي في ديره على الصخرة
في المغارة التي كان قد بناها القديس أنبا مقاره قبل مجيء لوكيوس...] (٨).

٣٧٣ م.

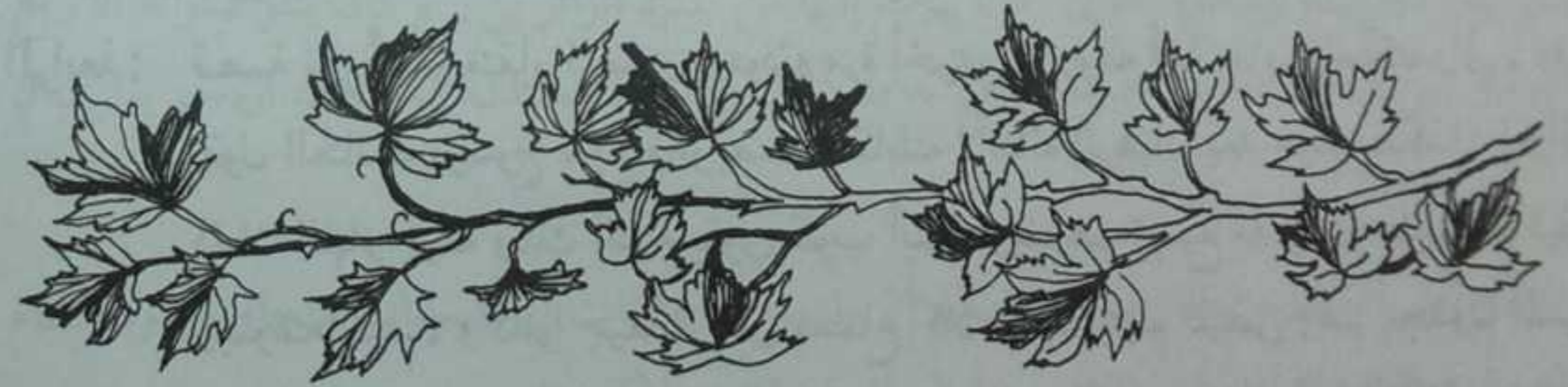
من هذه التواريخ نرى أن قيام جماعة دير أنبا مقار بدأ على أقل تقدير منذ بداية الستينات في

(٨) مخطوطة رقم ١٨ س بمكتبة دير أنبا مقار، ص ٤٦.

القرن الرابع إن لم يكن قبل ذلك أيضاً.

وهكذا يرتسم أمامنا الآن صورة التجمُّع الرهباني الثاني هكذا: أباً مقار سنة ٣٦٠ م. وهو لايزال ابن ستين سنة على الصخرة (صخرة أنبا مقار جنوب الوادي) يعيش حياة الوحدة بمفرده، وبعيداً منه وأسفل الصخرة جماعة الرهبان تتكاثر وتنمو في هدوء، بعضهم على شكل جماعات في منشوبيات متفرقة وبعضهم متوحدون؛ كل واحد يجاهد في وحدته؛ ولا يجتمع بهم أنبا مقار إلا نادراً فيما عدا اجتماع الكنيسة الأسبوعي. والمعتقد أن القديس مقار يوس كان معتزلاً بالممارسات الكهنوتية معظم حياته^(٩)، كذلك يُعتقد أنه أخذ معه أنبا إسيذوروس حينما ارتحل إلى منطقة دير أنبا مقار^(١٠) تاركاً القديس بافنوتيوس تلميذه الأكبر، وأكبر الكهنة جميعاً الذي صار رئيساً فيما بعد على الأربعة الأديرة كلها بشييت.

ويقرر كاسيان أن بافنوتيوس حل محل إسيذوروس القس في سنة ٣٧٣ م.، مما يؤكد رحيل إسيذوروس مع القديس مقار يوس في هذا التاريخ في ارتحاله إلى منطقة دير أنبا مقار (البيامون)^(١١).



الفصل الخامس التجمُّعان الفرعيَّان في شيهيت على يد تلاميذ أنبا مقار

١ - دير يونس القصير^(١)

إن كل ما وصلنا عن بدء تاريخ دير يونس القصير لا يتعدى قولين، الأول جاء في مخطوطة سيرابيون عن حياة القديس أنبا مقار، والثاني جاء في مخطوطة كتبها زكريا أسقف سخا عن حياة أنبا يونس القصير، ففي مخطوط سيرابيون جاء: [ولما بلغ القديس أنبا مقار سن الشيخوخة كان قد قصده جماعات من الناس ليُلبسهم الزي الرهباني... فكان معه تلاميذ كثيرون، ولكنهم لم يكونوا كلهم بجواره لأن بعضهم (بعضاً من تلاميذه الأوائل) أخذتهم غيرة نارية للفضيلة فانتقلوا إلى نواحي بعيدة ليحيوا في مواضع أخرى، فلما قصدهم طالبو الرهبنة وعاشوا إلى جوارهم أطلقت أسماء هؤلاء التلاميذ على تجمعاتهم الجديدة التي للأبأ يوحنا كولو بوس^(٢) (القصير) والتي للأبأ بيشوي: (وكانا من تلاميذ الأب أموي Amoi الذي كان متتملاً على الأب بيتو Pithou تلميذ الأبأ مقار يوس). وقد تهلَّل القديس مقار يوس لما رأى أغصان شجرته - أولاد أولاده - (الفروع الخارجة من الأصل) تتكاثر].

أما ما جاء في مخطوطة زكريا أسقف سخا^(٣) التي كتبها بالقبطية في أواخر القرن السابع، فيقول أنه جمعها من كتاب الشيوخ القديسين المعروف سابقاً بفردوس شيهيت^(٤): [إن الرب تكلم في قلبه (يوحنا القصير) بالروح قائلاً: اذهب إلى جبل النظرون الذي هو شيهيت المكان الذي توزن فيه القلوب والأفكار بالفحص الصادق. فذهب الشاب إلى شيهيت وقصد الأب أموي

(١) أنظر الخريطة في الملزمة الأولى من الكتاب.

(٢) كلمة «كولو بوس» يعني قصير بالقبطية، وبتصرف منها «كولوبيا» أي القصارية التي كان يلبسها الرهبان، وهي مثل

القميص الطويل نوعاً ما والتي اشتقت منها كلمة «جلاية».

(3) A.M.G., XXV, pp. 316 ff.

(4) Ev. Wh., New Texts, p. XXIII.

(9) Ev. Wh., II, p. 106.

(10) Ibid.

(11) Cassian, Coll. XVIII, 15, 3 & Ev. Wh., II, p. 121.

(باليوناني أمويس) الذي حلق رأسه وألبسه زي الرهبنة الذي رسمه الملاك ثلاث مرات بعلامة الصليب].

وتعود «أقوال الآباء» تقص علينا خبر شجرة الطاعة التي كانت أول عمل أو أول غرس غرسه يونس القصير في الموضع الذي صار فيما بعد زاخراً بمئات الرهبان: [يخبرون عن أنبا يونس القصير أنه بعد أن استقر في شيهيت تحت تدبير شيخ من الصعيد (يُدعى اسمه أموي) (٥) الذي أخذ عوداً جافاً وغرسها (على بعد اثني عشر ميلاً رومانياً من قلايته) (٦) ثم قال ليونس: إسق هذه يومياً بقدر ماء حتى تزهر وتثمر، وكان الماء بعيداً جداً من المكان (إثني عشر ميلاً أي ما يساوي عشرين كيلومتراً) حتى أنه كان يذهب في الصباح ولا يعود إلا في الغروب! ولكن بعد ثلاث سنوات إخضر العود الجاف وأزهر وأثمر، فأخذ الشيخ من الثمر وأحضره إلى الكنيسة قائلاً للإخوة: خذوا كلوا من ثمرة الطاعة] (٧).

وفي نهاية حياة أموي تبدأ تتكامل قصة أول إشارة عن تكوين جماعة يونس القصير كالاتي: [ولما دنت أيام أموي أوصى يونس القصير قائلاً: يا يوحنا ابني، حينما أخرج من هذا العالم اذهب واسكن في المكان الذي زرعت فيه الشجرة، لأن هذه الشجرة التي استجابت لك وأرسلت جذورها هي علامة ورمز يشير إلى سر النفوس التي سوف تخلص على يدك في هذا المكان، والتي ستكون ذكري لك أمام الله] (٨) ... [وهكذا لما تتيح معلمه أطاع يوحنا الوصية ورحل إلى مكان الشجرة حسب أمر أبيه، وصنع لنفسه مغارة صغيرة هناك حيث صنع تنسكات شديدة وكثيرة، وكان يدثر بثوب من الليف ويقضي يومه في أسفل المغارة في مكان حفره تحتها عميقاً. وهكذا قصده جماعات جاءوا ليتعلموا على يديه متشبهين بسيرته الملائكية، وسكنوا حوله وتكاثروا حتى يحكمهم حولوا المكان القفر إلى مدينة للمسيح. وهكذا لما زاد عددهم حفر لهم بئراً لأنه رأى أنهم يعانون من جفاف ذهابهم لاستحضار الماء من على بُعد، وثابر التلاميذ مع يوحنا على حفر البئر خمسة

(٥) و(٦) Zacharia, Copt., Life of John the Little, A.M.G., XXV, p. 347.

ويقول البستان العربي المطبوع أن الأب الروحي ليوحنا القصير هو أنبا بلا (ص ١٥٥) وتكتب باولا. ويقول كتاب: «أقوال الآباء» أن الأب الروحي ليوحنا القصير هو آمون (ص ٥٧ الكتاب الأول). وفي موضع آخر يقول أنه أنبا بولا (كما جاء في قصة الضبعة) — (ص ٦٨ من الكتاب الأول)، ويخطئ أيضاً كتاب: «دراسات في تاريخ الرهبنة والديرية المصرية للدكتور حكيم أمين» إذ يجعل الأب الروحي ليوحنا القصير الأنبا بامو (ص ٧٠)، في حين أن الأنبا بامو لم يمرض قط طول حياته حتى لحظة نياحته، فقد مات وهو يخطئ مطلقاً من صنع يديه. ولكن الصحيح والمقطوع به أن أب يوحنا القصير هو الأب الكبير الشيخ أموي ويكتب اسمه أمويس الذي تتلمذ على الأب الكبير بيثو Pithou.

(7) Apoph. Patr., John Colobos.

(8) A.M.G., XXV, p. 350.

أيام متوالية بدون جدوى. ولما رأى القديس يوحنا ذلك، أمضى الليل كله في الصلاة بجوار الحفرة، فإذا ينبوع ماء عذب ينفجر منها] (٩).

ويعتقد إقليد وايت أن حفر هذا البئر هو في الحقيقة علامة استقرار لأول جماعة رهبانية في المكان اتخذت هذا القديس أباً ومرشداً لها.

تاريخ بداية التجمع الرهباني في دير يوحنا القصير:

إذا أردنا معرفة بدء هذا التجمع الرهباني حول القديس يوحنا القصير يلزمنا أن نبدأ أولاً من تاريخ نياحته متسلسلين تدريجياً حتى يوم مجيئه الإسقيط وبداية اعتزاله للتوحد. وأول نقطة ثابتة نبدأ منها هي معرفتنا أن القديس يوحنا القصير غادر الإسقيط بعد الغارة الأولى مباشرة التي حدثت سنة ٤٠٧ م.، وقد توجه إلى إقليم كليزما (السويس الآن)، وعاش هناك في الجبال المتاخمة للبحر الأحمر بالقرب من دير الأنبا أنطونيوس: [وقد قاده الرب إلى جبل الأب الكبير أنطونيوس جنوب كليزما، وسكن في مغارة حفرها وأكمل بناءها بالحجر فوق صخرة على غط تلك التي كان يسكن فيها في شيهيت] (١٠). ولكن تقول سيرته أنه لم يعيش كثيراً في غربته أو منفاه الإرادي على شواطئ البحر الأحمر، إذ في أحد الأيام، وكان يوم الأحد، وقد أحس بقرب الساعة، أرسل تلميذه إلى الخارج عن عمد ليخلو إلى ربه ويسلمه الوديعة الغالية الطاهرة وكان ذلك في ٢٠ بابة الموافق ١٧ أكتوبر وقد بلغ السبعين عاماً (١١).

وقد حقق العلامة الفرنسي Nau أن يوم الأحد يقع فعلاً في ١٧ أكتوبر من سنتي ٣٩٨ م. أو ٤٠٩ م. ولكننا نعلم تماماً أن نياحته وقعت بعد غارة البربر الأولى التي كانت سنة ٤٠٧ م. إذن لابد أن نستبعد سنة ٣٩٨ م. ويكون يوم نياحته هو ١٧ أكتوبر سنة ٤٠٩ م. ويكون بذلك قد عاش سنتين في كليزما، وهي المدة الصغيرة التي تشير إليها المخطوطة. فإذا علمنا أنه عاش سبعين عاماً، يتحقق لنا أن ميلاده كان سنة ٣٣٩ م.؛ ومن سيرته نعلم أنه ترك العالم والتجأ إلى الصحراء ليبدأ حياة الرهبنة وهو ابن ١٨ سنة (١٢) أي سنة ٣٥٧ م. وهكذا ننهي إلى حقيقة تاريخ مجمع رهبان يوحنا القصير كنواة لديره التاريخي في شيهيت كالاتي:

يوحنا القصير وُلد في إقليم البهنسا سنة ٣٣٩ م.، وذهب إلى شيهيت سنة ٣٥٧ م.، وظل مرافقاً لمعلمه أموي (الذي من نفس بلدته البهنسا) خمس سنوات، بعدها اعتلت صحة معلمه جداً، ربما على أثر التهاب رئوي أو مرض صدري خطير ظل يعاني منه أموي ١٢ سنة، وتلميذه الأمين المخلص

(9) A.M.G., XXV, 351f.

(10) A.M.G., XXV, pp. 390ff. & Nau. Hist. De Jean Le petit.

(11) A.M.G., XXV, p. 400.

(12) Coptic Life of John the Little, A.M.G., p. 356 & Ev. Wh., II, p. 107.

يمرضه ويحتمل كثرة سعاله والبلغم الذي كان يقذفه من صدره باستمرار، والنوبات التي كانت تنتابه كثيراً حتى كان يسقط بثقله على يوحنا. وبعدها نام معلمه واستراح بعد أن بارك يوحنا البركة الأخيرة التي دامت معه إلى الأبد. وهكذا تكون مدة وجود يوحنا مع معلمه هي ١٧ سنة، التي بعدها انطلق حسب وصية معلمه وعاش متوحداً في المنطقة التي عيّن لها أبوه بعلامة الشجرة المورقة «شجرة الطاعة» الشهيرة. وبذلك يكون بدء توحيد يونس القصير هو ٣٥٧ + ١٧ = ٣٧٤ م. فإذا أضفنا إليها خمس أو ست سنوات وهي المدة التي تكاثر فيها تلاميذه حوله، يكون تاريخ ظهور دير يونس القصير ما بين سنتي ٣٨٠ م. و٣٨٥ م. تقريباً. وهذا يطابق بالفعل ما جاء في مخطوطة سيرابيون عن حياة أنبا مقار، أن أنبا مقار كان قد بلغ الشيخوخة حينما ظهر ديراً أنبا يونس القصير وبيشوي في شيهيت بكنائسهما.

أما بخصوص شخصية يونس القصير، فقد كان محبوباً من كافة رهبان شيهيت إلى الدرجة التي ظهر فيها محسوداً من بعض كبار شيوخها عندما كانوا يبصرونه جالساً وسط جماعات الرهبان الكثيرة يحدثهم ويرد على أسئلتهم ويرشدهم.

ولكنه كان على درجة من الإضعاف قل أن يبلغها أحد، فلم يعط فرصة للشيطان على الإطلاق أن يقع بينه وبين إنسان آخر، حتى شاع القول المأثور عنه: [إن يوحنا كان يحمل شيهيت كلها باتضاعه كما يحمل الإنسان نقطة ماء على كفه].

أما قصة تريضه لأبيه الشيخ، فتكشف عن نفسية فداثة متفانية في الحب والبذل وتكريم الأبوّة الروحانية إلى درجة الفضيلة التي استحق يوحنا بسببها أن يتخذ اسمه كأحد آباء الرهبنة العظام.

وبسبب وداعة يوحنا وعلمه وصبره واتضاعه، انتخبه مجمع شيوخ آباء البراموس ليكون أباً مرشداً لأرسانيوس في بدء حياته حينما وصل إلى شيهيت سنة ٣٩٤ م (١٣)، مما يوضح لنا أن يوحنا القصير بدأت شخصيته في الظهور بسرعة بسبب حكمته وفضيلته وعلمه وإفرازه.

وبعد غارة البربر الأولى التي استشهد فيها أنبا موسى الأسود، قام هو وزميله أنبا بيشوي وتغربا، واحد عند القلزم (السويس)، والآخر في أنتنوا (أنصنا). وتنيح كل منهما في غربته بعيداً عن شيهيت. وقد ظهر للقديس يونس القصير كل من أنطونيوس ومكار يوس وأبوه الشيخ أموي قبل نياحته، وأكدوا له خلاصه في العالم الآخر.

وقد تم نقل جسده من كليزما (السويس) بعد نياحته بمدة طويلة، وذلك في زمن بطريركية

(13) Life of John Colobos, Acta SS., July IV, pp. 618f, by Theodore of Studium.

يوحنا الرابع (٧٩٠—٧٩٩ م)، وكان قد استولى على جسده جماعة من الخلقيدونيين، ولكن بتوسط البطريرك وأسقف كليزما لدى الوالي استطاع رهبان شيهيت أن يستعيدوه ويرحلوا به إلى شيهيت حيث استودع دير أنبا مقار مدة ثم انتقل إلى ديريه. ولكن بعد أن تخرب دير يوحنا القصير عاد الجسد إلى دير أنبا مقار حيث ظل فيه مع أجساد المقاربات الثلاثة حتى هذا اليوم.

وقد حاول أحد البطارقة — المدعو أنبا مرقس خليفة يوحنا الرابع — أن يكسو الجسد بكفان جديدة من الحرير تكريماً لهذا القديس المحبوب، ولكن حالما تقدم البطريرك وخلع عنه الكفن الليف الذي كان ملفوفاً به حدثت زلزلة في الكنيسة وسقط الرهبان والزوار من الفزع، فأعاد البطريرك كفنه الليف كما كان. وقد ذكرت هذه الحادثة في ذكصولوجيته المشهورة في السنكسار الأثيوبي تحت يوم ٥ سبتمبر:

[من أجل أعمالك العظيمة يا يوحنا القصير

أراد أولادك أن يكفونك بلفائف من حرير

فنعمهم الرعد الذي دوى في الكنيسة.

فبقيت عليك ثياب الفقر من الليف كما أردت] (١٤).

٢ — دير أنبا بيشوي

إسم «بيشوي» ومرادفه باليونانية:

مما جعل اسم القديس أنبا بيشوي مغموراً، ومهماً أحياناً لدى الكثيرين من المؤرخين الأوائل اليونانيين والمحدثين أيضاً، هو استخدام اسم بيشوي أو بشوي بمرادفه اليوناني الذي طغى على الأصل القبطي خصوصاً في العصور الأولى. فإسم بيشوي أو شوي أو بشوي (١٥):

ⲡⲓⲱⲥⲓ ⲡⲓⲱⲥⲓ ⲡⲓⲱⲥⲓ ⲡⲓⲱⲥⲓ ⲡⲓⲱⲥⲓ

بالقبطية لا يمكن كتابته ولا نطقه باليونانية كما هو بالقبطية بسبب عدم وجود حرف ⲡⲓ في اليونانية. لذلك يُكتب باليونانية بيسويوس أو سويوس أو بسويوس بإضافة س النهاية Paΰsios، وتُكتب باليونانية Ψωῖος (١٦). وقد جاء في البستان بالعربية (عن اليونانية) بيسويوس أو بيسويوس (١٧). وقد أخطأ النساخ وجعلوه مرات كثيرة سيصويوس أو شيشوي، والذي يجمله

(14) Synax. (Eth.), Nahase 29 (5 Sept.).

(١٥) ينبغي أن نفرق بين اسم أنبا بيشوي وإسم القديس الآخر بيشاي أو بشاي (المعاصر لأنبا بجول خال الأنبا شنودة) الذي يُذكر اسمه دائماً مع اسم شنودة عند ذكر الديرين الأبيض والأحمر بسوهاج: سنكسار باسيه صفحة ٧٥٨.

(16) Ev. Wh., II, p. 112.

(١٧) أنظر كتاب البستان العربي وله فيه ستة أقوال ص ٢٤٣، ص ٢٤٤. وقد أخطأ كثيرون في اعتباره أنه شيشوي، لأن سيصوي هو شيشوي، ولكن هذا غير بصويص.

كثير من المؤرخين أن بيشوي صاحب دير أنبا بيشوي كان من رواد الصحراء الأوائل، وكان يُدكر اسمه دائماً مع أخويه بولا وبائيسوس (١٨)، فالثلاثة كانوا إخوة أو زملاء نسلهم وجهاً مع القديس بامو الكبير، وأول ذكر لهم جاء في خطاب باللغة اليونانية من أمونيوس الأسقف الذي من نتر يا إلى القديس البابا أثناسيوس متكلماً عن سؤال أثناسيوس بخصوص (القديسين المتوحدين في شيهيت بائيسوس، «وبولا وبسوتوس (بيشوي)» أخوته، وعن إشعياء وبسيروس واسحق وبولا) (١٩).

والعالم المؤرخ إفلين وايت يؤكد بكل تحقيق أن بسوتوس هو بيشوي وهو أخو بولا الذي ظل التاريخ حتى اليوم يعتقد أنه تلميذه أو صديقه، وقد وُجد إسماهما محفورين على جدران دير سقارة (دير أنبا إرميا) مع زميلها أبا سيروس وأبيسيروس $\alpha\pi\alpha\ \pi\iota\psi\omega\iota\ \eta\lambda\ \alpha\pi\alpha\ \pi\alpha\tau\lambda\epsilon$ $\alpha\pi\alpha\ \sigma\omega\tau\omega\tau\epsilon$ (٢٠).

وما عُرف عن حياة هذا القديس ونياحته جاءنا عن طريق مخطوطة (باليونانية) (٢١) والسرانية (٢٢) والعربية) قيل أنها بقلم يوحنا القصير نفسه، ولكن هذا خطأ لأن يوحنا القصير تنيح قبل الأنبا بيشوي بمدة طويلة. فيوحنا تنيح سنة ٤٠٩ م. وأنبا بيشوي تنيح سنة ٤١٧ م.، ولكن من المخطوطة يتبين لنا أنها من كتابات القرن السابع، لذلك يوجد فيها تضارب كبير في الأخبار والحوادث والتواريخ، وتحتاج إلى حرص شديد في تفههما (٢٣).

وتقول المخطوطة أنه من مواليد بلدة شانشا من أعمال مصر (٢٤)؛ وكان واحداً من سبعة إخوة. وبالرغم من أنه كان أصغرهم وأضعفهم إلا أن أمه رأت في الرؤيا ملاكاً يختاره بالذات لخدمة الله. وفي الميعاد الذي اختاره الله حث روحه لينطلق إلى شيهيت، وتعلم على يد أموي (وفي النسخة اليونانية يُذكر خطأ أنه بامو— وفي العربية يذكر بامويه تمييزاً له عن بامو)، فصار أحياناً روحياً ليوحنا القصير. وبنياحة معلمها ارتحلاً معاً وسكنا بجوار شجرة الطاعة. وقد برع أنبا بيشوي في حفظ الأسفار وخصوصاً سفر إرميا النبي، ويُقال أن النبي إرميا ظهر له وشرح له أقوال

(١٨) بائيسوس Païsius اسم جاء لعدة متوحدين. فيوجد بائيسوس أخ أنبا إشعياء (Laus. Hist., ch. XIV)

وبائيسوس أخ أنبا يعمن (Apop. Patr., Poemen II) وبائيسوس أخي بولا. وهذا الإسم بائيسوس وُجد أيضاً في بعض المخطوطات باللغة اليونانية بدل اسم بيشوي بالقبطية، سواء في سيرة بيشوي وبولا الطموهي، أو في نقل جسدتها، مما يدل أن شخصية بيشوي المعروفة لدينا كانت هي تماماً شخصية بائيسوس في العصور الأولى وبالأخص باللغة اليونانية.

«Zetia Paësia» by Pomijalowski, p. 59-60

(19) Ch. 24, Acta SS., May III, Appendix p. 71.

(20) Thompson, Coptic Inscription No. 240, 11, 13f. Quibel, Saqqara IV, p. 75.

(21) Zetia Paësia, Pomijalowski.

(22) Syriac Text by: Bedjan (Acta SS., et Mart., t. III).

(23) Ev. Wh., II, p. 111.

(٢٤) شانشا اسم عدة مدن تقع في أقاليم متعددة، فنما تابع لدمهور المتاخمة لمنطقة نتر يا، ومنها تابع لشربين، ومنها تابع لمركز أجا، ومنها تابع للدنجات. Amél., Geogr.; p. 373f.

سفره. لذلك كان الرهبان يدعونه بيشوي الإرمي $\pi\psi\omega\iota\ \eta\tau\epsilon\ \epsilon\tau\epsilon\mu\iota\alpha\varsigma$ ووجود صورة وإسم أنبا بيشوي محفوراً على جدران دير إرميا بسقارة له علاقة بذلك. وقد عُرف اسمه بعد ذلك وكتب ونُقش على الصخور بهذا اللقب، وُجد منقوشاً في دير باو يط مكان تغربه أيام غارة البربر، وأيضاً في جبل جبراوي حسب تحقيق العلامة كرام وغيره (٢٥).

وقد اتفق القديسان منذ البدء على الإفتراق للوحدة والعبادة، فاختار بيشوي أن يرحل إلى الشمال الشرقي وعلى بعد حوالي أربعة كيلومترات من شجرة الطاعة استقر على صخرة، وأقام هناك في مغارة، فكان هذا المكان بداية دير أنبا بيشوي الحالي. فسرعان ما اجتمع حوله التلاميذ الذين رأوا سيرته ونسكه وأحبوه، فألبسهم الإسكيم المقدس وعلمهم مخافة الله وصيرهم جنوداً للمسيح (٢٦). وهكذا يعتقد العلماء أن دير أنبا يونس القصير وأنبا بيشوي ظهرا في شيهيت في وقت واحد تقريباً، وذلك قرب نهاية حياة أنبا مقار الكبير (سنة ٣٩٠ م.)، الذي رآهما وبارك الله إذ تحقق فيها وعد الشاروبيم له.

وكل أقوال القديس أنبا بيشوي جاءت تحت اسم سيصويص وبيصويص وبائيسوس وذلك لإستخدام الإسم اليوناني بدل القبطي.

وكانت حياة أنبا بيشوي يتخللها معجزات كثيرة أهمها ظهور الرب له عدة مرات في حياته. وفي إحدى هذه المرات اشتى بيشوي أن يغسل رجله الرب فسمح له، وبعدها شرب بيشوي نصف الماء وأعطى تلميذه النصف الآخر لشربه، غير أن تلميذه تفرز من الماء ورفض أن يشربه فاخفى الماء. وقد ظهر له أيضاً الرب أثناء وجوده في صومعته التي كان يعيش فيها بالقرب من دير (وهي صومعة الأنبا بيشوي الموجودة في دير السريان حالياً، والتي بها حلقة في السقف كان القديس يربط فيها حبلاً يربطه بالتالي في شعره حتى لا يغلبه النعاس أثناء السهر الليلي). وقد زار هذه الصومعة الأنبا بنيامين الثاني سنة ١٣٣٠ م. لشهرتها بأن الرب ظهر فيها للأنبا بيشوي كما تذكر مخطوطة طبخ الميرون.

ويُقال أن القديس مار أفرام السرياني جاء إلى مصر (٢٧) بدعوة في رؤيا ليرى مثيلاً له في الجهاد والمكافأة وهو أنبا بيشوي، وتعرف على أنبا بيشوي وتحدثاً معاً، مع أن كلاً منهما لا يعرف الآخر. ويُقال أن مار أفرام ترك عصاته خارج صومعة أنبا بيشوي عند دخوله إليه، وعند رحيله (بعد أسبوع) وجد العصا قد ضربت جذورها واخضرت وأورقت، وهي التي لا تزال موجودة بدير السريان المعروفة بشجرة التمر الهندي.

(25) Ev. Wh., II, p. 113, n.

(٢٦) المخطوطة العربية المذكورة سابقاً.

(٢٧) المخطوطة العربية المذكورة سابقاً.

فإذا علمنا أن مار أفرام تنيح سنة ٣٧٨ م. تكون الزيارة قد حدثت قبل ذلك الميعاد. وقد روج الرهبان السريان الذين سكنوا دير السريان لهذه القصة بشدة حتى يخرجوا منها بأحقية امتلاكهم لهذا الدير. ولكن القصة على العموم مثبتة في المخطوطات اليونانية القديمة (٢٨).

وعند ارتحال أنبا بيشوي من شيهيت بعد غارة البربر الأولى سنة ٤٠٧ م.، تقول المخطوطة العربية أنه قام وانحدر إلى أنتنويه وتقابل مع بولا رفيقه وعاشا معاً. وقد أعلن لها أنها لن يفترقا لا في الحياة ولا في الموت. وكان يتردد عليها أب قديس يسمى أثناسيوس الذي من أنصنا، الذي صار بعد ذلك أباً لدير كبير من أكبر أديرة الصعيد (٢٩) في أسيوط، الذي تسمى باسمه حسب نبوة بيشوي وبولا. وقد بقى أنبا بيشوي في غربته إلى أن تنيح بشيخوخة كبيرة بعد أن انحل جسده وضعفت صحته من كثرة النسك، وذلك في يوم ٨ أبيب (١٥ يوليو)، ودفن في حصن منية السقار ليس بعيداً عن أنصنا (٣٠)، وتنيح بعده بولا رفيقه في ٧ بابة (١٧ أكتوبر). وقد تولى صديقها جمع جسديهما (بأعجوبة لأن المركب حينما وافت على مكان دفن جسد أنبا بولا لم يمكن تحريكها حتى أحضروا جسده) وقد دفنا معاً في مقصورة بدير أنبا بيشاي الذي بناه في أنصنا.

وإذا أخذنا بسيرة حياته التي كتبها حزقيال تلميذ بولا، وما قدمه لنا السنكسار القبطي لباسيه والسنكسار الأثيوبي لجيدي (٣١)، تكون مدة إقامة أنبا بيشوي في شيهيت ٧٦ سنة حسب تقدير إقليد وايت، ويكون بيشوي قد وُلد سنة ٣٢٠ م.، وانضم إلى رهبان شيهيت سنة ٣٤٠ م. وهو ابن عشرين سنة، وغادر شيهيت بعد غارة البربر سنة ٤٠٧ م.، وتنيح سنة ٤١٧ م. في منية السقار بجوار أنصنا.

وفي زمن بطيريركية أنبا يوساب الأول (٨٣٠-٨٤٩ م.) الذي كان كاهناً وقِيماً على كنيسة أنبا مقار، أعيد جسد القديس أنبا بيشوي من أنصنا إلى ديره بيرية شيهيت حسب رواية السنكسار الأثيوبي (٣٢): [ولما توقفت أيام الإضطهاد رفعوا جسدي القديسين بيشوي وبولا الطموهي إلى دير الأنبا بيشوي بشيهيت، وكانت تجرى عجائب من جسديها وقد حُفظا معاً بلا فساد].

وتحت تذكارات أنبا بولا الطموهي: [ومن فرط حب بولا للمسيح ظهر له حتى أنه حمله، فصار يتنسك بشدة إلى درجة الموت، حتى أنه مات سبع مرات والرب أقامه. وقد أخذ وعداً من الرب

(28) N.&P.N.F., 2nd Series, Vol. XIII.

(29) Vansleben; Present State of Egypt, p. 227.

(30) Ev. Wh., II, p. 159.

(31) Guidi, (P.O. VII, pp. 275ff).

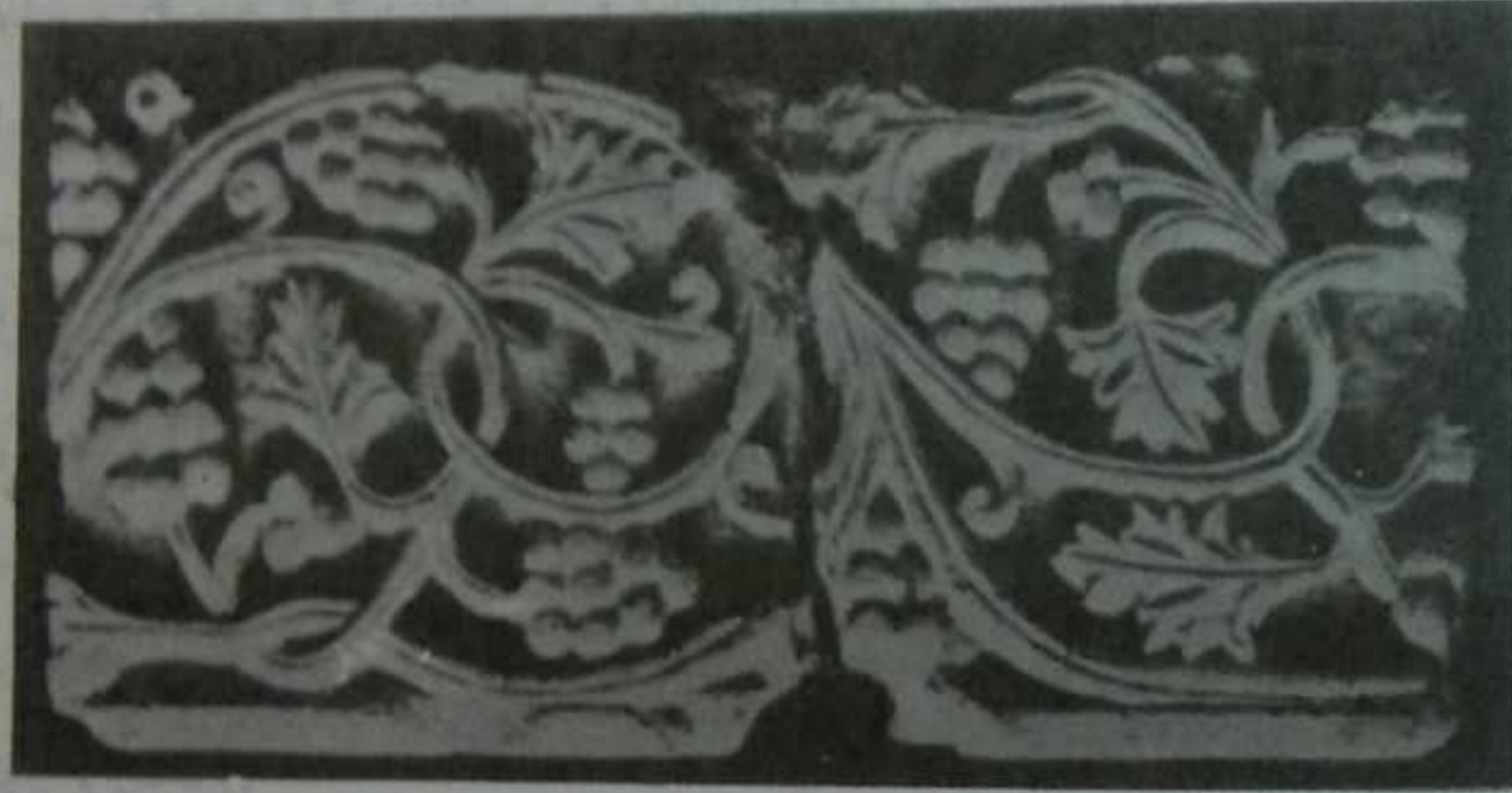
(32) Synax. (Eth.), Hamle 8 = (July 15), (P.O. VII, p. 275).

أن جسده يبقى مع صديقه بيشوي. فلما أرادوا أن يحملوا جسد بيشوي من أنصنا بدون جسد بولا ما استطاعوا، إلى أن حملوا الإثنين معاً، حتى وصلوا إلى شيهيت ووضعوا معاً في دير أنبا بيشوي].

ومن الغريب أن نفس هذه القصة بدقائقها مكتوبة في مخطوطة باللغة اليونانية، ولكن بدل المكتوب أنها «وُضعا في دير أنبا بيشوي» قيل أنها «أخذنا إلى مدينة بيسيدية» (٣٣).

وقد ذكر في الأبصلمودية المقدسة السنوية ذكولوجية للقديسين بيشوي وبولا الطموهي توضح نقل جسديهما على يد أنبا يوساب الأول (٨٣٠-٨٤٩ م.) كالاتي:

[يايوساب رئيس كهنة المدينة العظمى الإسكندرية البتول النقي الملتحف بالتواضع الحقيقي، إن في أيام رئاستك أدركنا هذه النعمة نحن غير المستحقين، أي مجيء أبونا لابسي الصليب أنبا بيشوي وأنبا بولا، الكوكبين النيرين].



إفريز من القرن الرابع/الخامس لعنقود كرمة من مدينة البهنسا (Oxyrhynchos) محفوظ بالمتحف اليوناني الروماني بالإسكندرية

(33) Pomijalowski «Zetia Paësia», p. 59-60. & Ev. Wh., II, p. 302.

المخطوطة العربية رقم ١٨ س مكتبة دير القديس أنبا مقار.

الأربعة الأديرة والقديس مقاريوس:

وهكذا عاش القديس مقاريوس، حتى تحقق بعينه من وعد الله له، أنه سيرى شيهيت عامرة من غرس يديه، شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً، عدداً عديداً من الرهبان، أولاده وأولاد أولاده في الأربعة الأديرة ذات الأربعة الكنائس، بشيوخها وقسوسها ونساكها، يُقدَّر عددهم بحوالي خمسة آلاف راهب. وفي إحدى المخطوطات (*) التي تصف قصة نبي المقارين أيام فالنس الوالي على يدي لوقيوس، يأتي في نهايتها وصف رجوع القديس أنبا مقار إلى برية شيهيت، وكيف استقبله أولاده:

[وإذا بصوت يرن في البرية كلها: هوذا أبو مقار أبوكم قد جاء به الرب الإله لكم، وكان موجوداً غربي مغارة القديس أبوبشيه، أخ القديس أبويحنس، تلميذ أنبا أموي الصعيدي، وهو قائم مع رفيقه مقاره الإسكندراني يصليان على القلعة (الحصن). فلما سمع الرهبان ذلك خرجوا من مغايرهم، من أربع أركان الجبل، مثل فراخ الحمام، وكان عدتهم خمسة آلاف راهب. وكان أنبا مقار فرحاً مسروراً بهم... فلما جاء إليه أبويحنس القصير وبعده أنبا بيشيه أخيه، وقبلاً يديه، بارك عليها قائلاً: الرب يسوع المسيح يبارك عليكما لتكونا أشجاراً مثمرة بالثمرات الروحانية حتى تُشبعوا كل من يستظل بكما، وليجعلكما الرب يسوع المسيح رؤساء مقدّمين في هذه البرية، ويدعى إسمكما من بعدي على هذه المدن التي أنعم بها عليّ سيدي، أنت يا يوحنا تكون من بعدي، وأبوبشيه الثالث، وبعديكما أولادي مكسيموس ودوماديوس، ولا تبرح روحي من مساكنكم ولا بركتي من كنائسكم، أنتم الجيل الثالث من غرسي، وأولادكم الذين يتتلمذون لكم في كل الأزمان.]



(*) المخطوطة العربية رقم ١٨ من مكتبة دير القديس أنبا مقار.

الفصل السادس

شخصيات القرن الرابع الهامة

في تاريخ شيهيت

الذين اعتبروا أولاداً وتلاميذاً للقديس مقاريوس

قدّمنا في عرضنا لأديرة شيهيت أمثلة لشخصيات بارزة عاصرت القديس مقاريوس وكان لها أبلغ الأثر في تاريخ شيهيت، من الناحيتين الرهبانية الروحية والتاريخية، أمثال مكسيموس ودوماديوس ويونس القصير وبيشوي. ولا يزال التاريخ الرهباني يحمل آثاراً وانطباعات لا تُمحى لهذه الشخصيات القديسة الطاهرة، تخلدت على أسماء الأديرة الحالية. وبحوار هذه الشخصيات المؤسسة للتجمعات الرهبانية الكبيرة، ظهرت شخصيات أخرى عظيمة حقاً، لا يمكن أن تُذكر شيهيت دون الرجوع إليها، باعتبارها الأعمدة المتلاحقة التي حملت نور الفضيلة والعبادة والصلاة والإنجيل، عبر العصور. بعضها تتلمذ على القديس مقاريوس نفسه وشرب من روحه وتعاليمه، وبعضها نشأ فرعاً من فرع، فخرج يحمل انطباعات الأصل ويمتص من جذوره التي ضربت في أعماق أسرار الفضيلة والنسك، حتى بلغت ينابيع الروح الخفية.

وسوف نقدم في هذا الفصل باقة نضيرة من هذه الأسماء محاولين، بأقصى جهدنا، أن نوضح مدى علاقتها الزمنية بالقديس مقاريوس وتعاليمه.

١ - إسيدوروس

ونقصد هنا إسيدوروس القس، وهو غير إسيدوروس الذي من القلاي رئيس بيت الضيافة بالإسكندرية، الأوريجاني الذي ذكره بالليديوس (أنظر: «إسيدوروس» القلاي)، وغير إسيدوروس العالم والناسك الذي طبقت شهرته الآفاق^(١)، وغير إسيدوروس المعترف^(٢).

(١) وهو الناسك اللاهوتي الشهير، والمدبّر الحكيم، الذي عاش في القرن الخامس. وقد وُلد بالإسكندرية من عائلة كبيرة، له دراية بكل العلوم والفلسفات والتاريخ والمنطق. وقد ترهب في الصعيد على يد الباخوميين، وعاش قليلاً في نتريا، ورأى الخمسة آلاف راهب هناك، ولكنه اختار الهيلوزيوم (مدينة ساحلية بها ميناء شرقي بورسعيد) ليعيش متنسكاً هناك. وكان منهجه =

ومن طبيعة الأقوال التي وردت عنهم في كتاب أقوال الآباء، نستطيع أن نفرق بينهم وبين إسيذوروس تلميذ القديس مقار يوس، كاهن شهيت المعروف ببساطته الشديدة ومنهجه الرهباني الروحي الخالي من التأملات، الذي رافق أنبا مقار في تأسيسه لديره بالبيامون (دير أنبا مقار الحالي).

وهو معروف من بستان الرهبان (الطبعة العربية)، أنه كان طويل الأناة جداً وخصوصاً على الضعفاء: [قيل عن الأب القس إسيذوروس أن كل من كان عنده أخ صغير النفس، أو شتّام، أو عليل، ويطرده من عنده، كان يأخذه ويطيل أناته عليه حتى يخلص نفسه]. وكان رقيقاً بالضعفاء والمرضى، وهو بنفسه الذي اعتنى بموسى الأسود أثناء مرضه حتى شفي (٣).

ومن أمثلة ذلك، يقدم لنا البستان (٤) قصة صبره الطويل في تدبيره لموسى الأسود أثناء حرب الزنا التي انضمت بها موسى الأسود في بداية حياته الرهبانية، حتى أنه في ليلة واحدة قام من قلايته التي على الصخرة (بترا) إلى قلاية إسيذوروس التي بالقرب من الكنيسة أحد عشرة مرة (٥).

والمؤرخ روفينوس يضع القس إسيذوروس مع مقار يوس الكبير والإسكندراني وبامو وبافنوتوس، باعتبارهم «شيوخ البرية الكبار».

أما جيروم في رسالته لأستوخيوم (٦)، فيذكر إسيذوروس القس، مع مقار يوس الكبير وبامو، بصفته أحد أفراد المجمع الثلاثي الذي حكم على أحد الإخوة حكماً مرعباً بسبب طمعه

= الرهباني إيجابياً صرفاً، معتبراً أن الراهب إنسان يقتدي حرفياً بالمسيح. رسمه الأسقف أمونوس (الذي من نتر يا) كاهناً. وكان يكره تزيين الكنائس، فيقول أن المسيح جاء على الأرض ليبيي نفوساً وليس حوائط، والكنيسة الحقيقية هي التي تُزَيَّن بالنعمة، وليست التي تُزَيَّن بالرخام النادر وتبقى عارية من المواهب الروحية (رسالة ٢-٢٤٦، رسالة ٢-٨٨). وقد ترك أربعة مجلدات ضخمة تحوي ٢٠٠٠ رسالة مطوّلة، في كافة نواحي الإرشاد والتوجيه لكافة المستويات من بطاركة وملوك ومطارنة ورهبان. وقد تبيح هذا المعلم والنبي سنة ٤٥٠ (Dict. of Chr. Biog. N. E. 545).

(٢) إسيذوروس المعترف أسقف دمنهور: كان أحد رهبان نتر يا المشهورين الأتقياء (Pallad., L.H., 46)، رُسم أسقفاً على هرموبوليس بارفا (دمنهور) خلفاً للأسقف دراكونتيوس Dracontius وقبيل ديسقوروس الذي استلم منه الأسقفية. عاش وتقدم في الأيام جداً. وقد رأى القديسة الزائرة باولا عند حضورها مع جيروم من الإسكندرية إلى نتر يا. وقد نُقِيَ إلى مدينة ديوقيسرية، في أيام اضطهاد فالنس، مع أدلفيوس أحد أتباعه (Pallad. L.H. 46, 3 & P.L., LXVII, 618D) مع سيمميوس وبافنوتوس (الذي أصبح فيما بعد قس شهيت) المدعو كيفالاس، ومع بامو وأمونوس ذي الأذن الواحدة، ومع الإثني عشر أسقفاً وكاهناً. وقد خدمتهم ميلانيا الكبيرة في مفاهم.

(3) Pallad., L.H., ch. XIX.

(4) Vita Patrum, III, p. 494, Latin.

(5) Apologia ad Anastasium, II, 12; H.E., II, 4, 8.

(6) Epist. XXII, (P.L. XXII col. 418).

وجشعه: (فلتُدفن فضته معه للهلاك).

والمعروف عن إسيذوروس قس شهيت أنه كان، سابقاً، قساً للمتوحدين في منطقة القلاية. وقد ذكره أمونوس في رسالته لثاوفيلس (٧) باعتباره قس المتوحدين. وحينما انحدر نحو شهيت، جاء وسكن بجوار قلاية أنبا مقار (٨)، كما جاء في سرد حياة مكسيموس ودوماديوس بقلم الشماس بيشوي الذي من القسطنطينية. أما مجيئه من منطقة القلاية إلى شهيت فتأتى عرضاً في قصة مكسيموس ودوماديوس: [وبعد سنة من نياحة هذين الأخين (مكسيموس ودوماديوس)، عندما ابتدأت شهيت تمتلئ بكثرة بالرهبان الذين جاءوا من جبل برنوجي وأماكن المتوحدين (القلاية) وبقية براري مصر، بدأوا يشيدون كنيسة كبيرة لهم، وجعلوا عليها الأب إسيذوروس كاهناً، وبيشوي (القسطنطيني) شماساً]. ومنذ ذلك الحين عُرف إسيذوروس باسم قس شهيت.

والمعروف بالتأكيد عن إسيذوروس أنه رافق القديس مقار يوس الكبير منذ البدء، وكان من أوائل الذين انضموا إليه منذ سنة ٣٤٠ م. (٩).

وكان للقس إسيذوروس في شهيت مركز رسمي لدى كرسي الإسكندرية. فقد كان يقوم بزيارات سنوية للأنبا ثاوفيلس نيابة عن رهبان شهيت باعتباره رئيساً للكنيسة؛ ولكن في نفس الوقت نيابة عن القديس مقار يوس الكبير أب آباء شهيت ورئيس كهنتها وكنائسها الأربع (١٠). وآخر ذِكر للقس إسيذوروس جاء عرضاً في هامش مخطوطة من شهيت، هي سيرة للقديسين مكسيموس ودوماديوس، ذُكر فيها أن إسيذوروس نقلها معه إلى الإسكندرية عند هجوم البربر سنة ٤٠٧ م. (١١). ولكن المعتقد أن إسيذوروس مات قبل ذلك التاريخ بمدة طويلة.

ويُسجل لنا كتاب أقوال الآباء المنقول عن النسخة السريانية (الطبعة الإنجليزية) حقيقة هامة عن رعاية إسيذوروس القس للمجمع الرهباني في شهيت، والكلام لجيروم المؤرخ المشهور إذ يقول في ص ٤٢٣: [إن المؤرخ العظيم إبيرونيموس (جيروم) يقول في تاريخ أعمال إسيذوروس رئيس المتوحدين، إنه كان يرعى في ديره ألف راهب، وكانوا يعيشون جميعاً في منطقة محدودة. وإن أحداً منهم لم يفارق مسكنه قط، ولا انتقل منه إلى غيره، إلى يوم نياحته، عدا إثنين من الرهبان كانا معينين لقضاء حاجة الدير. وهذا النص الرهباني هام غاية الأهمية، إذ يعطينا

(7) Amél., A.M.G., XXV, pp. 262 ff.

(8) Letters of Theoph., 24, (Acta SS., May III, Appendix p. 71).

(9) Ev. Wh., II, p. 101, 102. & Tillemont, Memoires, VIII, 440 f-787 f.

(10) Ev. Wh., II, p. 106. & Apoph. Patr., Isidorous, VIII.

(11) Life of Max. & Domit by Pshoi of Constant., Cauwenbergh, p. 71.

فكرة واضحة عن معنى وشكل المتوحدين المتفرقين. فبالرغم من توحدهم المطلق وانفرادهم، كانت تجمعهم بل تربطهم بل توحدهم قوانين وأنظمة دقيقة غاية الدقة، يخضعون لها طواعية خضوعاً كلياً!!

٢ — بافنتيوس

الملقب بالبسيط

وكان يدعى « كيفلاس »^(١٢) (أبودماغ). أما هو فسمى نفسه « پوپاليس » (الجاموسة)، لكي يخفي موهبة المعرفة التي فيه، إذ كانت فيه موهبة المعرفة الإلهية بأسرار الكتاب المقدس العهدين القديم والجديد، يشرحها بفهم دون أن تكون له أية دراية بالقراءة. ولكن من شدة تواضعه وبساطته وإخفاء نفسه، لم تنكشف موهبته النبوية على حقيقتها.

وقيل أنه على مدى ثمانين سنة لم يقتن أكثر من جلباب واحد في السنة. اسمه: « بافنتيوس » أي « رجل الله »، وهو الذي نُفي إلى ديوقصرية سنة ٣٧٤ م. في أيام نفي المقارين إلى جزيرة بالديتا^(١٣). وكل المصادر القبطية تؤكد أنه هو الذي خلف القديس مقار يوس على شيهيت، وصار « أب رهبان شيهيت ». وفي سيرة حياة مقار يوس بالقبطية يُذكر بافنتيوس هكذا: [بافنتيوس، الأكبر بين كافة تلاميذ القديس، الذي أخذ الأبوّة والرياسة من بعده على كافة المواضع المقدسة [$\text{†}\text{μετιωτ}\ \delta\epsilon\lambda\ \text{πιτοπο}\ \epsilon\theta\omega\tau\delta\epsilon$]^(١٤)، أي رئيساً على الأربعة الأديرة بشيهيت، وكان يسمى أب شيهيت: $\text{†}\text{ιωτ}\ \eta\tau\epsilon\ \psi\text{ι}\eta\tau$].

والمعروف أنه ترقى في رعاية القس إسيدوروس^(١٥) المشهور، الذي كان مقدم كافة الكهنة والرهبان في شيهيت، في أيام حياة القديس مقار يوس. وفي سنة ٣٧٣ م. استلم من إسيدوروس الرعاية الكهنوتية على شيهيت، لأن إسيدوروس يُظن أنه انسحب مع القديس مقار يوس جنوباً ناحية البيامون لتأسيس دير أنبا مقار^(١٦). ويظل إسم إسيدوروس يتردد حتى سنة ٣٨٥ م. حيث انقطع فجأة، ويُظن أنه تنيح حول هذا التاريخ، ودُفن في دير أنبا مقار. والذي استلم من إسيدوروس رئاسة الكهنوت على دير أنبا مقار، يوحنا التلميذ الذي لم يَصُنْ عهد الكهنوت ولا الرهبنة، فتجذم كله، حتى لم يوجد موضع في جسده غير متألم.

(١٢) ونحن نشك في هذا النطق ونعتقد أنها « سمبلاس » أي « البسيط »، حسب شهرته.

(13) Pallad., L.H., ch. XLVI.

(14) A.M.G., XXV, p. 111.

(15) Ev. Wh., II, p. 121.

(16) Cassian Coll. XVIII, 15, 3.

وحيثما زار كاسيان شيهيت سنة ٣٩٩ م.، كان بافنتيوس عمره حينئذ ٩٠ سنة أي أنه من مواليد سنة ٣٠٩ م. (أصغر من معلمه بتسع سنوات). لذلك لم تُدْمْ رئاسته على شيهيت طويلاً بعد نياحة معلمه سنة ٣٩٠ م..

ويقول أبو صالح الأرمني، المؤرخ الكنسي المشهور، في كتابه كنائس وأديرة مصر ورقة ٦٥: [إن بافنتيوس تلميذ مقار يوس الكبير نزل إلى دير الشمع وتنيح هناك]. وفي أغلب الظن أن ذلك حدث بعد الغارة الأولى مباشرة، أي سنة ٤٠٧ م. والمعروف أن الذي خلفه في رئاسة شيهيت، هو الأب الفاضل يونس القصير، الذي عُرف بقمص شيهيت^(١٧).

والمعروف عن بافنتيوس أنه تتلمذ في صغره على يدي أنبا أنطونيوس. وبسبب تزكية أنبا أنطونيوس له شخصياً، قدّمه أنبا مقار يوس (للكهنوت) سنة ٣٥٥ أو ٣٥٦ م.^(١٨). ويذكر كتاب أقوال الآباء هذه القصة كالاتي:

[أخ من الدير الكبير (دير أنبا أنطونيوس في بسير) أتهم بخطية، فقام وذهب إلى الأب أنطونيوس. وبعد قليل لحقه إخوته ليشتكوه للأب الكبير، وابتدأوا يوجهون له الإتهامات، أما هو فكان يدافع عن نفسه أنه لم يعمل مثل هذا الأمر. وحدث أن كان أنبا بافنتيوس حاضراً، فتدخل في الأمر، وقال للإخوة: رأيت إنساناً وقع في الماء فغطس في الطين إلى ركبته، فجاء قوم ليساعدوه وينشلوه فما كان منهم إلا أنهم أغرقوه إلى عنقه. فلما سمع ذلك الأب أنطونيوس أعجبه الكلام، فقال عن بافنتيوس: أنظروا هذا الإنسان، إنه حقاً يستطيع أن يريح النفوس ويخلصها. فللحال انفتحت بصيرة الإخوة بسبب كلمة الأب الكبير، فأخذوا الأخ وعادوا بسلام إلى الدير]^(١٩).

ولقد مارس بافنتيوس رئاسته في تدير الرهبان الجدد، بمجرد رسامته كاهناً. وقد أتى إليه في بداية رسامته الراهب آمون، منتقلاً من دير الطبانسيين، ليعيش تحت رعايته، فرفضه.

ومن المعروف أن بافنتيوس كان محسوباً ضمن كبار شيوخ شيهيت، فكان أحد أعضاء مجلس التدبير الأعلى في شيهيت، مع مقار يوس الكبير وسميّه الإسكندراني وسيرايبون^(٢٠)، وهم الذين وضعوا قانون الرهبنة Regula Patrum^(٢١).

(17) A.M.G., XXV, p. 316.

(18) Vitae Patrum, III, 138, p. 520.

(19) Apoph. Patr., Syr. Vers. p. 122.

(٢٠) سيرايبون الكبير الذي عاش في شيهيت خمسين سنة.

(21) Butler; L.H., III, note 89; Tillemont X, 722.

ويعطينا كاسيان فكرة واضحة عن بافنتيوس، كرئيس كهنة شيهيت، أثناء فترة وجوده هناك؛ ويذكر تلميذاً مخلصاً له اسمه دانيال (٢٢)؛ كما يذكر يوحنا (غالباً القصير) كاهناً مدبراً كان يقوم بخدمة الكهنوت وشؤون الكنيسة كلها من تحت رئاسة بافنتيوس (٢٣).

كما يذكر كاسيان أنه زار بافنتيوس، وهو في شيخوخته، في نفس قلايته البعيدة التي كان يسكنها في فجر شبابه، والتي كانت تبعد خمسة أميال رومانية (٨ كيلومترات) عن الكنيسة، متكبداً مشقة السفر كل يوم سبت وأحد للصلاة وحمل جرة ماء من الدير تكفيه الأسبوع كله (٢٤).

وفي وصفه، يحدثنا الأب بيمن فيقول إن بافنتيوس كان هائلاً في حجم جسمه (لذلك كان يلقب نفسه بالجاموسة)، وكان شديداً جداً في قوته، وكان قد أوقف قوته لخدمة احتياجات الإخوة وتكميل ضعفهم! (٢٥)؛ وكان يعاف الخمر والأطعمة اللذيذة. وفي أحد الأقوال من كتاب: «أقوال الآباء» يُحكى عنه أنه مرض مرضاً شديداً، فزاره أخ وطهى له طعاماً، وقدم له كأساً من الخمر، فبكى وقال له إنه كان يشتهي أن يموت دون أن يذوق شيئاً من ترف الدنيا (٢٦).

وكان دائماً يقول: [الذي يحسب نفسه أنه لا يستأهل شيئاً، فهو أينما ذهب وأينما سكن سيجد راحة] (٢٧).

وقد كان الأب بافنتيوس الكبير حكيماً في منطقته وأسلوبه وتديبره. وقد ظهر ذلك في موقفه الحكيم والرزين من المشكلة اللاهوتية الخطيرة التي أثارها جماعة العقلانيين الأوريجانيين بخصوص «شكل الله»، معتبرين أن له شكلاً حسيماً وعضوياً مثل الإنسان، الأمر الذي تطور تطوراً مؤسفاً فصار معركة مرعبة بين رهبان نتريا وبين ثاوفيلس البطريرك ٢٣، حيث تذبذب موقف البطريرك إذ مالاً الرهبان البسطاء وقبل الفكرة، ثم انقلب عليهم لما انكشف موقفه أمام الأوريجانيين، فاستخدم العنف تجاه الفريقين وأنهى هذا الأمر— كما سنشرحه في موضع آخر— بمجمع عقده ثاوفيلس في نتريا حرم فيه وشرّد ونفى مئات من الرهبان الشيوخ، كما تعدى عليهم بالضرب وحرق القلاي.

(22) Cassian IV, 1, 1.

(23) Cassian, Instit., V, 40, 1.

(24) Cassian, Coll., III, 1, 1.

(25) Apoph. Patr., Syr. Vers., p. 293.

(26) Ibid., p. 304.

(27) Ibid., p. 327.

أما بافنتيوس فوقف في شيهيت بمفرده— بخلاف الثلاثة الأديرة الأخرى التي في شيهيت— موقفاً رزيناً، إذ عقد مجمعاً من شيوخ الرهبان وبحث القضية بحكمة وحرية، حتى انتهبوا إلى قبول خطاب ثاوفيلس سنة ٣٩٩ م. في هدوء. أما باقي رهبان شيهيت ونتريا والقلاي فقد رفضوه بشدة، واحتجوا، وقاوموا البطريرك، وشجبوه، واعتبروه مبتدعاً (٢٨).

وقد جاء اسم بافنتيوس كتلميذ لأنبا مقار يوس الإسكندراني. ولكن يعتقد المؤرخون أنه هو نفس بافنتيوس تلميذ أنبا مقار الكبير، لأنه عاصر الإثنين، وعاش في كل من نتريا والقلاي وشيهيت؛ لذلك نجد حياته وأقواله تطابقان الحياة في كل من هذه المواضع المقدسة. وكان يُدعى أيضاً بافنتيوس الشيهيتي، تمييزاً له عن بافنتيوس تلميذ أنبا أنطونيوس المدعوب بنودة.

ومن أخلص تلاميذ بافنتيوس، دانيال الذي قدمه إلى الشموسية ثم إلى الكهنوت. ولكن من أدب هذا التلميذ الفاضل أنه رفض أن يخدم كاهناً في حضرة معلمه بافنتيوس كل أيام حياته (٢٩)؛ بعكس هذه الأيام التي نعيش فيها.

٣ — بيمن

الإسم: بيمن ποιμήν، ومعناه باليونانية «الراعي» (٣٧٠—٣٦٠ م.). معلم وراعي بالحق، قبطي صميم طبقت شهرته الآفاق، تعيّد له الكنيسة اليونانية في ٢٧ أغسطس، وله عندهم خدمة تسييح خاصة في الصلاة يدعونه فيها «نور المسكونة والمثال الصالح لكافة الرهبان».

التحق بشيهيت وهو صغير السن حوالي سنة ٣٩٠ م. (٣٠)، قبل نياحة أنبا مقار بقليل، فهو محسوب من تلاميذه الذين أخذوا عنه مباشرة ولو أن مقار يوس في ذلك الوقت كان قد أحجم عن كثرة التعليم، بسبب تراخي الرهبان عن سماع النصيحة: [جاء بيمن إلى الأب مقار يوس ورجاه بتوسل كثير أن يقول له كلمة يحيا بها، فأجابه الشيخ قائلاً: الأمر الذي تطلبه اليوم قد عبر عن الرهبان] (٣١).

وقد قضى في شيهيت ٧٠ سنة من حياته، متعلماً تحت أرجل الآباء القديسين، وبالأنحص

(٢٨) Cassian; Coll., X, 2f & Socrate, H. E., VI, 7.

وقد كان كاسيان حاضراً كشاهد عيان لكل حوادث هذه القضية، ووصفها بدقة خطوة خطوة.

(29) Ev. Wh., II, p. 181.

(٣٠) قانون الرهبنة في شيهيت، الذي وضعه بافنتيوس، لا يجيز الرهبنة لمن هم دون ١٨ سنة.

(31) Apoph. Patr., Syr. Vers., p. 99.

أنبا مقار ثم آمون، حتى صار قادراً أن يعلم ويرعى نفوساً كثيرة. وقد تنجح سنة ٤٦٠ م. (٣٢) عن مائة عام تقريباً. وقد حضر غارات البربر الثلاث الكبرى، فاضطر بعد الغارة الأولى للنزول مع إخوته الستة (٣٣) إلى ترنوقى (٣٤) (الطرائفة الآن)، ومكث فيها مدة؛ وقد كانت مركزاً رهبانياً كبيراً بجوار الريف؛ وعاشوا معاً فترة من الزمن في بزبا (أي هيكل وثني) قديمة، عادوا بعدها إلى شيهيت. أما في الغارة الثانية سنة ٤٣٤ م. فقد نزل إلى مصر (منف)، وكانت مركزاً رهبانياً عامراً بالأديرة، مثل دير الشمع ودير نهبيا وغيرهما، وسكن هناك فترة عاد بعدها إلى شيهيت. وفي الغارة الثالثة سنة ٤٤٤ م. نزل بيمن وتغرب في صعيد مصر مدة.

وفي أقوال الآباء ما يشير إلى هذه الرحلات الثلاث:

عن نزوله إلى ترنوقى يقول البستان العربي (ص ٩٧):

[قيل أنهم كانوا سبعة إخوة من بطن واحدة، وصار الجميع رهباناً بالإسقيط. فلما جاء البربر وخرّبوا الإسقيط في أول دفعة، انتقلوا من هناك وأتوا إلى موضع آخر يدعى «أبرين». فكثوا هناك في بربا للأصنام أياماً قلائل. حينئذ قال أنبا أنوب لأنبا بيمن: «لنسكت جميعنا، كلٌّ من ناحيته، ولا يكلم أحداً الآخر كلمة البتة وذلك لمدة أسبوع». فأجابه أنبا بيمن: «لنصنع كما أمرت». ففعلوا كلهم كذلك. وكان في ذلك البيت صنم من حجر، فكان أنبا أنوب يقوم في الغداة ويردم وجه ذلك الصنم بالتراب، وعند المساء يقول للصنم: «اغفر لي». وهكذا كان يفعل طول الأسبوع. فلما انقضى الأسبوع قال أنبا بيمن لأنبا أنوب: «لقد رأيتك يا أخي خلال هذا الأسبوع تقوم بالغداة وتردم وجه الصنم وعند المساء تقول له اغفر لي، وهكذا يفعل الرهبان؟» فأجاب أنبا أنوب: «لما رأيتموني وقد ردمت وجهه هل غضب؟»، قال: «لا». فقال: «ولما تُبّت إليه هل قال لا اغفر لك؟»، قال: «لا». فقال أنبا أنوب لإخوته: «ها نحن سبعة إخوة، إن أردتم أن يسكن بعضنا مع بعض، فلنصر مثل هذا الصنم الذي لا يبالي بمجد أو هوان، وإن لم تؤثر أن تكونوا هكذا فهذا هي أربع طرق أمامكم، وليذهب كل واحد حيثما يشاء». فأجابه إخوته قائلين: «نحن لله ولك، ونحن مطيعون لما تشاء». فاختروا أحدهم ليهتم بالمائدة، وكل ما كان يقدمه لهم كانوا يأكلونه، ولم يقل أي واحد منهم أحضر شيئاً آخر، ولا قال أحدهم: لا نريد هذا أولسنا نشتهي ذلك. وكان أنبا يعقوب يدبرهم في أعمال أيديهم، أما أنبا بيمن فقد كان معلماً لهم في طريق الفضيلة. هكذا اجتاز الإخوة أيامهم بسلام. بركة صلاتهم تكون معنا. آمين.]

(32) Dict. of Christ. Biogr., Vol. IV, p. 421.

(33) المعروف منهم: أنوب (أيوب)، ويعقوب، ويوسف، وبائيسوس، وبولا.

(34) Apoph. Patr., Gr. V, Anub, I.

ونزوله إلى مصر يذكره كتاب أقوال الآباء هكذا:

[كان يُحكى بين الرهبان قصة عن جماعة من أهل الأب بيمن: فبينما كان بيمن ساكناً مع إخوته في مصر (منف) في إحدى الديارات المعروفة هناك، جاءت أمهم لتراهم، ولكنها لم تستطع ذلك، فظلت ترقبهم لتراهم عند ذهابهم للكنيسة. فلما ظهرت لملاقاتهم عند بدء خروجهم من القلاية، نحوها من بعيد، فعادوا مسرعين إلى قلايتهم، وأغلقوا الباب على أنفسهم. فجاءت أمهم ووقفت على الباب، وبدأت تولول وتبكي وتناديهم. فلما وجدها أنوب على هذا الحال ذهب إلى بيمن ليستشيريه: «ماذا تعمل في هذه العجوز التي تبكي على الباب؟»، فقام بيمن واقترب من داخل الباب، فلما سمعها تبكي وتنوح في حزن شديد، قال لها: «أهكذا تصرخين يا كبيرة؟»، فلما سمعت صوته بكت أكثر وبدأت تصرخ. «أريد أن أرى أولادي. ماذا دهاكم؟ ألم أربيكم؟ أألمت أمكم، ألم ترضعوا من ثديي أو تخرجوا من أحشائي كلكم؟ ألاني عجوز لا أستطيع الوصول إليكم؟ هوذا حين سمعت صوتكم تحركت أحشائي...» فأجابه بيمن: «هل تريد أن تنظرينا هنا أم هناك (في السماء)؟». فعادت إلى نفسها وقالت: «يا أولادي إذا حُرمت من رؤياكم هنا يكفيني أن أراكم هناك!» فقال لها بيمن: «أقول لك الحق، إذا غصبت نفسك وتحملت عدم رؤيتنا هنا، فسوف ترىنا هناك!»... فغادرتهم راضية وهي تقول: «نعم بالحقيقة يا أولادي إن كنت سأراكم هناك فينبغي ألا أسعى إلى رؤيتكم هنا» [٣٥].

وفي أحد الأقوال الأخرى التي تقص أخبار أنبا بيمن، يتضح لنا مقدار الترحاب الذي قابله به رهبان مصر (منف) عند وصوله إليها، حتى أن كثيرين تركوا معلمهم وانضموا إلى جماعته (٣٦).

أما عن نزول الأب بيمن إلى الصعيد، فيقول كتاب أقوال الآباء: [وحدث أن الأب بيمن ذهب إلى الصعيد وتحدث مع الإخوة هناك] (٣٧).

وفي صغره تنبأ له أحد الآباء الكبار قائلًا: [سوف يذاع اسمك في كل أرض مصر]، وذلك لأنه كان يُظهر نشاطاً عجيباً في السؤال والتعلّم من الآباء، حتى أنه كان يقوم في الحال ويجري إلى قلاية أبيه ليستفسر عن كل أمر، كما جاء في القول الوارد في كتاب أقوال الآباء (٣٨).

ومن أقوال أنبا بيمن وسيرته، يتضح لنا تماماً أنه عاصر الآباء الكبار بافنونتيوس، وإسيندوروس القس، ويوحنا القصير، وموسى الأسود، وأرسانيوس، وحضر وفاة أرسانيوس سنة

(35) Apoph. Patr., Syr. Vers., p. 199.

(36) Ibid., p. 163.

(37) Ibid., p. 260.

(38) Ibid., p. 216.

٤٤٩ م.: [لما سمع أبا بيمن أن أرسانيوس تنيح وذهب إلى راحته قال: «طوباك يا أرساني لأئك بكيت على نفسك في هذا العالم. أما الذي لا يبكي على نفسه هنا فسيبكي هناك إلى الأبد. والذي يبكي هنا فيأرادته، أما الذي سيبكي هناك فعن حكم وعقوبة. وعلى أي حال يتحتم علينا أن نبكي إما هنا أو هناك] (٣٩).

كما عاصر أنبا نستير، وأنبا آمون بشيبيت، الذي كان أباً روحياً لبيمن، وأنبا شيشوي الكبير، وأنبا بتييموس، وأنبا اسحق، وأنبا يوسف الكبير، والقديس زكريا ابن كير يون، وأنبا أغاثون، وأنبا بترا، وأنبا أبراهام. وعلى مدى كتاب أقوال الآباء نجد كل هؤلاء يسألون أنبا بيمن، وبيمن يسألهم.

+ وكان أنبا أنوب (جاء اسمه أيوب خطأ في البستان العربي وفي الترجمة الإنجليزية لأقوال الآباء)، وهو الأخ الأكبر لبيمن، رجلاً حكيماً قديساً، له أقوال كثيرة وسيرة عطرة في البستان.

حكمة بيمن وصمته وصبره واتضاعه:

وكان هؤلاء الإخوة السبعة في غاية الحلاوة من جهة حبههم ونسكهم. وقد جاء عنهم في أقوال الآباء: [كان يُحكى عن هؤلاء الإخوة أنه إذا أتى راهب إلى أنبا بيمن كان يرسله إلى أنوب أخيه قائلاً: «إنه أكبر مني»، وكل الذين يأتون إلى أنوب كان يرسلهم إلى بيمن قائلاً: «أذهبوا إلى بيمن أخي لأن عنده نعمة هذه المواهب»، فإذا كان يوسف حاضراً (كان أكبر من بيمن) كان بيمن لا يتكلم أمامه] (٤٠).

ولكن هذا لا يمنع أن نجد أنوب أو يوسف في موقف التلميذ بالنسبة لبيمن مرات كثيرة، يسأله كلمة للحياة أو يستفسر عن آية على مدى كتاب أقوال الآباء. كما لا يمنع أن نقرأ عن خصام بين هؤلاء الإخوة بسبب شجار وقع بين يوسف وبائيسيوس فتضاربا، وكان بيمن جالساً ولم يتحرك، فلما جاء أنوب الأخ الأكبر ووجدهما بهذه الحال عاتب بيمن، فكان جواب بيمن: «ينبغي أن تعلم أنني لست هنا» (٤١). كما نقرأ في بداية سيرتهم في شيبيت أن بائيسيوس كان كثير الخروج والدخول، وله صداقة مع إخوة رهبان من مواضع أخرى. فأساء هذا إلى نفسية بيمن الذي كان يحب الهدوء، فعاتب بائيسيوس ولكنه لم يسمع له. فقام بيمن وذهب للأب آمون واشتكى له فكان جواب آمون: «يا بيمن أنت لا تزال حياً بعد. اذهب واجلس في قلايتك وتأمل بعقلك وقل لنفسك: أنا الآن ميت وهوذا لي الآن سنة في القبر» (٤٢).

(39) Ibid., p. 44.

(40) Ibid., p. 146.

(41) Ibid., p. 82.

(42) Ibid., p. 67.

وقد أتقن بيمن العمل بهذه النصيحة طول حياته، لذلك نسمعه في موضع آخر يقول لأخيه بائيسيوس، الذي أخذ يعاتبه بسبب رفضه الحديث مع أحد الكهنة الذي كان موقداً من قِبَل أحد الأساقفة، فكان جوابه: «أنا رجل ميت، والميت لا يتكلم».

[لما سمع أنبا بيمن أن أنبا نستير دخل المجمع (أي أحضره من المغارة ليعيش في المجمع بسبب شيخوخته)، اشتاقت نفس بيمن جداً أن يراه (وكان وقتئذ يوجد نزاع داخل الدير الذي فيه بيمن ومنعه من الذهاب فاحتمل بشكر)، ولما ذهب أخيراً وتقابل مع الأب نستير سأله الأب نستير: «كيف احتملت باتضاع هذا النزاع وصمت، ولم تتدخل أو تتكلم لتفض النزاع؟»؛ فأجابه بيمن بعد إلحاح: «ساعني يا أبتى، فإني منذ أن دخلت المجمع وضعت في قلبي أن أكون أنا وحمار الدير واحداً. فكما أن الحمار يضر بونه ولا يتكلم ويشتمونه ولا يرد، هكذا قلت إني أعيش متمماً قول داود النبي: «صرت كهيم عندك، ولكني معك كل حين» (مز ٧٣: ٢٢ و٢٣) [٤٣].

موته عن العالم وتجرده من قرابة اللحم والدم إلى أقصى حد:

إن قصة رفضه لرؤية أمه له، هو شاهد بليغ على هذا الحد من العزيمة، ولكن توجد حوادث أخرى توضح لنا هذا المنهج الرهباني القاطع. فقد حُكي أن: [أراد والي البلاد في يوم من الأيام أن يشاهد أنبا بيمن، ولكن الشيخ لم يشأ ذلك. فقبض الوالي على ابن أخته بهذه الحجة وحبسه، كأنه قد عمل عملاً منكراً. وقال: «إن جاء الشيخ وسألني من أجله فسوف أطلقه». فجاءت إليه أخته باكية على الباب. فلم يجيبها بجواب البتة. فكررت عليه قائلة: «يا قاسي القلب، ويا حديدي الأحشاء، ارحمني فإنه وحيد وليس لي سواه». فقال لها: «بيمن ما ولد أولاداً». فلما سمع الوالي قال: «وإن سألتني بالمكاتبة فقط فإني أطلقه». فأجاب الشيخ قائلاً: «استفحصه على ما يأمر به الشرع، فإن كان مستحقاً للقتل فليقتل. وإلا فأفعل ما تريد».]

كذلك فقد أتى في أقوال الآباء:

(٤٤) [إن أحد أقارب أنبا بيمن كان له ابن أُصيب في وجهه بأن انقلب إلى وراء بفعل الشرير (٤٥) (شلل يصيب نصف الوجه فيبدو هكذا)، فأحضره أبوه إلى الدير الذي فيه أنبا بيمن، ولكنه خاف لئلا إذا رآه وعرفه طرده، فخرج خارج الدير وأخذ يبكي. فرآه أحد الشيوخ، ولما استفسر منه علم حاله، ولما توسل إليه ببكاء أخذ ابنه ودخل به إلى مجلس أنبا بيمن، وبحكمة أخذ يتصرف في الأمر إذ لم يقدمه للأنبا بيمن أولاً بل ابتدأ من آخر الصف مقدماً الولد إلى الآباء الموجودين واحداً واحداً ليصلي عليه قائلاً: «ارشمه يا أبتى بعلامة الصليب». فلما مر على جميع

(43) Ibid., p. 255.

(٤٤) كتاب: «بستان الرهبان»، طبعة ١٩٥٦، ص ٩١.

(٤٥) يقول الكتاب أن وجهه كان مقلوباً ناحية قفاه بفعل السحر.

الإخوة والسيوخ قدمه أخيراً لأبنا بيمن. فرفض أبنا بيمن أن يلمسه. فابتدأ الحاضرون يتوسلون جميعاً لديه أن يعمل معه كما عمل الجميع. فتهد الأب بيمن ونهض وصلى قائلاً: «أيها الرب الإله اشفِ خليقة يديك، حتى لا يهلك بسبب العدو»، ورشمه بعلامة الصليب. وفي الحال عاد وجه الصبي إلى حال الشفاء، وأعطاه لأبيه الذي حمه وخرج فرحاً [٤٦].

«نور المسكونة والمثال الأعلى للربان»:

هذا الوصف هو جزء من ذكولوجية (تروبارية) يونانية للقديس بيمن، تسيح بها الكنيسة اليونانية في عيد هذا المعلم العجيب (٢٨ أغسطس). والحقيقة أنه لا يوجد في كتاب أقوال الآباء ما يضاهاه أقوال أبنا بيمن سواء في الحكمة، أو العمق الروحي، أو الإختصار العجيب في الكلمات، أو في العدد الهائل للأقوال. فقد حصرنا أقوال أبنا بيمن ووجدناها تزيد على مائة وعشرين قولاً، مملوءة نعمة وحقاً واتساعاً في الفكر. ونقدم هنا مقتطفات لكلماته (٤٧) التي تشبه سهام النور، التي كان يقول عنها الآباء إن أحداً من الشيوخ لم يبلغ إلى مستواها في السمو (ص ١٥٩).

- [+ جاء إليه أخ يكشف له أفكاره في الأحد الثاني من الصوم المقدس، وكان يظن أنه سيحده قافلاً بابه، فلما علم أبنا بيمن بذلك قال له: «نحن لم نتعلم أن نقفل الباب الخشب، بل تعلمنا أن نقفل باب اللسان (الفم) ص ٨.
- + إذا سُئلت تكلم، وإذا لم تُسأل اصمت. ص ١١.
- + احفظ سكونك من الداخل والخارج. ص ١٢.
- + قانون الراهب أن يأتي باللوم على نفسه في كل وقت. ص ١٦.
- + إذا اعتبرت نفسك أنك لا شيء. تستريح أينما حللت أو سكنت. ص ١٦.
- + الشيء الذي لا تقطعه عنك، سيبقى دائماً تنغيصاً لنفسك. ص ١٦.
- + إذا أردت أن تمسك «قوة السكون»، عليك أن تقطع من فكرك أنك تمارس الفضائل. ولكن قل دائماً أنا صامت، لأني لا أستحق الكلام. ص ١٦.
- + نُصرتك وقت التجربة، تتضح بحفظ سكون قلبك. ص ١٧.
- + إن طبيعة الخمر لا تتناسب مع طبيعة الراهبان! ص ٢٤.
- + روح الله لا يسكن في بيت تُقام فيه الملاهي والتسلية. ص ٢٤.
- + لا تُخضع الروح، إلا إذا مسكت عن الجسد الطعام. ص ٢٧.
- + تنعيم الجسد يبدهد خوف الله من القلب، ويضيع جهاد الإنسان. ص ٢٨.

+ مسرات الجسد مكرهة لله. ص ٢٨.

+ الصوم: أكلة واحدة في اليوم بحيث لا تكمل شهوة الإنسان. ص ٢٩.

+ الرجل البار لا تمسك له ملامة إلا فيما يختص بعبادته! ص ٣٣.

+ أفكار الشر، في يدنا إطفأوها لو أردنا. ص ٣٩.

+ الذي يبكي ويتألم على خطاياها لا يجد فرصة للهو. ص ٤٠.

+ الذي يتأمل خطاياها لا يمنع نفسه عن البكاء، والذي يبكي لن يظن في نفسه أنه أكمل الجهاد (خلص). ص ٤٣.

+ إما نبكي هنا أو نبكي هناك. أما هنا فباختيارنا لننجو من الدينونة، وأما هناك فكجزاء وعقوبة. ص ٤٤.

+ ابراهيم أول ما اشترى في الغربية اشترى قبراً ليدفن فيه زوجته، فورث به أرض الميعاد. قبر الراهب بكاه ودموعه. ص ٤٤.

+ البكاء على خطايانا هو الطريق الوحيد الذي ورثناه من آباءنا، نسمح به خطايانا، ونفتني به أعمالنا الصالحة. ص ٤٤.

+ عمل الراهب لا يخرج عن مخافة الله، والإحسان إلى الآخرين. ص ٤٤.

+ الذي يتعب في عمله ويحتفظ بالنتيجة لنفسه، يكون قد أشقى نفسه مرتين. ص ٥٠.

+ العلامة الوحيدة التي تدل على أن الراهب هو راهب حقيقي، هي التجارب. ص ٥٧.

+ «أنا الآن ميت، ولي سنة كاملة في القبر». ص ٦٧.

+ ثلاث قوى يستخدمها الشيطان ليكمل بها الخطية: الأولى أن يعتاد الإنسان الخطأ، والثانية أن يعتاد الكسل، والثالثة أن يعتاد الشهوة. ص ٧٢.

+ الفأس لا تقطع بدون يد، كذلك لا تدفع فكر الشر إلى قلبك، وهو يكف عن أن يصبح خطية. ص ٧٦.

+ بيمن ما ولد أولاداً. ص ٧٨.

+ ينبغي ألا نتطفل على الأشخاص والأماكن لنكشف أخطاء الآخرين، فإذا عُرضت علينا أخطاء الآخرين، رغماً عنا، فينبغي ألا نفحصها ولا نلتفت إليها. ص ٨٣.

+ أضاف أبنا بيمن أخاً خارجاً عن الإيمان، وأكرم وفادته وأطعمه. ص ٨٣.

+ علم قلبك أن يعمل بما يقوله لسانك. ص ٨٦.

+ ليست لنا حاجة إلا إلى قلب يقظ، وعزيمة قوية. ص ٨٩.

+ إذا تعذر عليك الجهاد بالجسد، فجاهد لضبط الفكر ولا تدين أخاك. ص ١٠٨.

+ اسكن أينما شئت، ولكن إياك أن تسيء إلى من تسكن معهم. ص ١٣٠.

+ أما أنا إذا وجدتُ أخاً قد نام وقت الصلاة، فلني أفرد حجري وأضع رأسه على ركبتي. ردأ على

الشيخ الذين طلبوا منه جلاً أن يضربوا الإخوة الذين يضبطونهم نائمين أثناء الصلاة! ص ١٣٥.

+ الراهب لا يدين أحداً في أي شيء، ولا يجازي الشر بالشر، ولا يفضب. ص ١٤١.

+ إن حالتنا الروحية إذا كانت ضعيفة ومنكوسة، تضيء صورة معثرة على سلوك الآباء تجاهنا؛ فكل إساءة وكل عثرة تواجهنا، نحن السبب فيها. أما إذا سلكتنا بالروح والإتضاع، فإننا نحيا مع إخوتنا بلا لوم. ص ١٤٢.

+ الذي يدين نفسه فإنه يحتمل كل شيء، ويستطيع أن يحيا في أي مكان. ص ١٥٢.

+ إذا دان الراهب نفسه، ظهر له أخوه بصورة فاضلة وحازنعة في عينيه، فإذا كان الراهب ينظر إلى نفسه أنه فاضل وصاحب نعمة، ظهر له أخوه كرهياً وزرياً. ص ١٥٨.

+ ما هي بغضة الشر؟ هي أن يبغض الإنسان خطايا نفسه هو. ص ١٦٠.

+ قانون القلاية هو كالاتي: أن يحفظ الإنسان سلامة قلبه، يعمل بيديه، يهذ في الكتاب المقدس (بصوت)، يأكل مرة واحدة في النهار، يدين نفسه أينما ذهب، ولا يهمل قوانين الصلاة، ويواظب على حضور الصلاة وسط الجماعة، ويحفظ نفسه من الاجتماعات المفسدة. ص ١٦١.

+ كما يقف حارس الملك شاهراً سيفه يقظاً مستعداً، هكذا الراهب قبالة أفكار النجاسة. ص ١٦٧.

+ امسك بطنك جيداً، واضبط لسانك، واستقر في مكانك، تصر راهباً. ص ١٧٢.

+ إذا أخطأ إنسان ووبخته، فهو لن ينتفع؛ أما إذا قبلته وشجعته لكي لا يخطئ ثانية، فإنه يتشدد ويتوب. ص ١٨٤.

+ الذي يخطئ ويتوب، أفضل من الذي لم يخطئ ويتعد بنفسه. ص ١٨٤.

+ بيمن يشرح مزموه ٤٢: «عطشت نفسي إليك يارب مثل الغزلان إلى جداول المياه»: الغزال لما يواجه الحية يظل يصارعها مدة، حتى يتغلب عليها، فيعطش جداً، وينطلق إلى عين الماء ليرتوي. هكذا الراهب بعد صراعه مع العدو الشرير، يتشوق إلى يومي السبت والأحد، لكي يأتي إلى الكنيسة حيث ينبوع الماء الحي، أي جسد المسيح، فيرتوي ويتنعم، ويتطهر من مرارة الشرير. ص ٢١٧.

+ الأفكار الشريرة كالرياح، تأتينا من حيث لا نعلم، ولا نستطيع أن نصددها، ولكننا نتقيها. ص ٢٢٥.

+ كل عمل نعمله يكون نابعاً من شهوة، يصبح في النهاية خطية. ص ٢٢٧.

+ النية الشريرة حائظ يفصلنا عن الله، وهنا قيمة المزمور «بك نثب السور» لأن طرق الرب مستقيمة! ص ٢٢٨.

+ الجوع والسهر لم يدعاني أنشغل بالأفكار الشريرة. ص ٢٣٠.

+ ابتعد وتحفظ من الأخ المعتد بكلامه. ص ٢٣٠.

+ من ليس له سيف، فليبع ثوبه ويشتري سيفاً: دعوة لترك أيام الراحة والتنعم والدخول في الجهاد والتعب. ص ٢٣٠.

+ بيمن يحكي عن شيشوي أنه فاق كل قياس بشري! ص ٢٣٠ (كان قد تنيخ).

+ اندهش الأب يوسف حينما سمع بيمن يقول عن أغاثون إنه «أباً»، لأنه كان صغيراً في السن (مبتدئاً)، فرد عليه أن منطلق أغاثون دفعني أن أدعوه «أباً». ص ٢٣١.

+ هل يمكن أن يعتمد الإنسان على فضيلة معينة (للخلاص)؟ فأجاب بيمن: في ذلك يقول يوحنا القصير، إني أطلب أن يأخذ الإنسان لنفسه قليلاً من كل فضيلة. ص ٢٣٦.

+ حتى الذين يحملون السيوف لهم إله يرحمهم، والله معنا أينما كنا. ص ٢٤١.

+ مخافة الله تقود الإنسان إلى كل فضيلة. ص ٢٤١.

+ كل إنسان ممكن أن يكون إناءً للكرامة أو إناءً للهوان. ص ٢٤١.

+ بيمن عن يوحنا القصير: إن الشيطان لا يسر بشيء مثل الإنسان الذي لا يكشف أفكاره ويعربها أمام أبيه. ص ٢٤٢.

+ نقول العظام، ونعمل الصغائر. ص ٢٤٢.

+ جاء أب أجني متعلم من الكتب يزور أنبا بيمن، وأخذ يطرح عليه أسئلة روحية عالية من الكتاب، فلم يتكلم معه ولم يلتفت إليه، فخرج غاضباً. ولكن لما نبهه تلميذ بيمن أن ذلك ليس منهج الآباء، عاد وأخذ يسأله عن أمراض النفس وشهواتها وإخضاعها، فبدأ بيمن بفرح يشرح له، فانتفع الأخ جداً وربح نفسه، وصرح الراهب الزائر قائلاً: «بالحق هذا هو طريق الحق». ص ٢٤٧.

+ بيمن يجاب شيشوي: أفكار النجاسة إذا لم نكشفها للشيوخ تشبه الأثواب التي إذا خزناها ولم نكشفها تفسد. ص ٢٤٩.

+ بيمن يجاب يوسف: أفكار النجاسة تشبه الحيات، إذا قطعنا عنها الماء والهواء تموت. ص ٢٤٩.

+ اسحق يؤاخذ بيمن لأنه أخذ يستحم، فأجابه: نحن تعلمنا أن نقتل الشهوات لا أن نقتل الجسد! ص ٢٥٠.

+ سمع اسحق صوت ديك في قلاية بيمن، فأبدى اندهاشه وامتعاضه، فأجابه بيمن: لا تعط سمعك للعدو، الذي يحيا في نفسه لا يهتم بما هو خارجه. ص ٢٥٠.

+ من هو المرابي؟ المرابي هو من يقول ما لا يفعل! ص ٢٥٣.

+ من وقت دخولي الدير (الشركة)، وضعت في قلبي أن أكون أنا وحمار الدير شيئاً واحداً، أضرب فلا أتكلم، أشتم فلا أرد. ص ٢٥٥.

+ عمل الرهبانية فقر وشقاء وغربة. هكذا عاش الآباء والأنبياء. ص ٢٥٨.

+ ما هو الأفضل: الصمت أم الكلام؟ الذي يتكلم من أجل الله، مثل الذي يصمت من أجل الله تماماً. ص ٢٥٨.

+ من أجل أفكار النجاسة: العمل الروحي الداخلي لا يترك لها وجوداً. ص ٢٥٨.
+ ييمن لأثوب: حوّل عينيك عن الأمور الباطلة، ولا تلتفت إليها لئلا تلتف نفسك. ص ٢٥٩.
+ يستحيل على إنسان يخاف الله ويؤمن به جيداً، أن يقع في أفكار النجاسة. ص ٢٥٩.
+ من يطرح نفسه أمام الله، ولا يعتبر نفسه أنه شيء، ويقطع عنه شهوة نفسه، يصير عمّالاً. ص ٢٦٥.

+ الذي يعرف قدر نفسه، لا يقع في الإضطراب. ص ٢٦٥.
+ إذا داهمتك الشهوة، إبدأ بذكر الله، واستمر في ذلك، وهي تخمد من ذاتها. ص ٢٦٥.
+ «لا تجازِ الشرير بالشر»: آية تتم على أربع درجات: الأولى بالقلب، الثانية بالعين، الثالثة باللسان، والرابعة باليد (الفعل). فإذا غلبت حركة الشر في القلب، ارتفع الشر من عينيك؛ وإذا غلبت الشر من العين (أي ترى المسيء إليك بعين ودیعة طاهرة)، توقّف الشر من تحريك اللسان؛ وإذا غلبت الشر من اللسان، انقطع سلطانه على اليد (الفعل). ص ٢٦٧.

+ ليس من الصالح أن تدع فكر الزنا يتسرب إلى فكرك، ومثله تماماً فكر دينونة أخيك، لأن هذين الفكرين لهما سلطان على تخريب نفسك. ص ٢٧١.
+ إذا هاجمك فكر الزنا، إهرب منه. وإذا عاد إليك مرة ثانية، إهرب منه. فإذا عاد إليك ثالثة، قف أمامه مثل السيف الحاد! ص ٢٧١.

+ ليس جيداً أن نبني بيت غيرنا، وبيتنا مهدم. ص ٢٨٤.
+ ليس جيداً أن نسلك بالمكر، وطريق المعرفة المستقيمة أماننا. ص ٢٨٥.
+ كل ما ليس معتدلاً، هو من الشيطان. ص ٢٨٥.
+ ليس على المسيحيين إلا طاعة الكتاب، وطاعة الآباء. ص ٢٨٥.
+ إذا توقف الرهبان عن أن يأتوا باللوم على أنفسهم، فباطلاً يكون تعبهم وشقاؤهم. ص ٢٨٥.
+ الطعام وهو يغلي على النار لا يعف عليه الذباب، فإذا برد تكاثف عليه بالكتل؛ كذلك قلوبنا إذا كانت حارة بالروح، فلن تقرها أفكار النجاسة؛ فإذا توقف هذين الروحي، وتكاسلنا، فإن الشياطين تأخذ الفرصة علينا وتسود على فكرنا. ص ٢٩٢.

+ كان ييمن يزكي تعاليم غيره ويُنقص من تعاليم نفسه! ص ٢٩٤.
+ علم بالقُدوة والعمل وليس بالنصائح والكلمات، لأن كثرة الكلام تنشئ الكسل. ص ٢٩٤.
+ نحن الذين نسلم أنفسنا لأفكار الزنا، لأننا نتجاهل معونة الله في وقتها، ورحمة الله المحيطة بنا كالهواء للنفس. ص ٣٠٨.

+ إذا جلس الراهب مائة سنة في قلايته، فلن يتعلم الخروج من العالم، ولن يذوق معنى الرهبة، حتى يتعلم أن يأتي باللوم على نفسه في كل شيء، ولا يتوقف عن الصلاة مهما كانت التجارب. ص ٣٢٨.

+ ما هي قوة التوبة؟ هي الكف عن الخطية. ص ٣٢٨.
+ قل لي كلمة لأحيا: إذهب إليك على خطاياك. ص ٣٢٨.
+ الخطية لها أربعة أوجه: الإنشغال والحزن على الأمور التي في العالم، ومحبة المال، والتفكير بالمجد الباطل، والزنا. ص ٣٢٩.

+ إذا أبغض الراهب تنعيم الجسد والإنشغال بالمجد الباطل، فإنه يخلص من العالم. ص ٣٢٩.
+ الغضب والجوع والنوم وبقية الغرائز هي طبيعية في الجسد، ولكن يمكن أن نستخدمها لتقوم الروح. ص ٣٢٩.

+ لن يقبل أخوك توبتك إليه، إلا إذا قدمتها عن اقتناع بخطئك. ص ٣٢٩.
+ قول مهم جداً ص ٣٣٦ عن أن المناقشات في الكتاب المقدس خطرة (منهج آباثي).
+ + +

لقد اعتنينا جداً أن نجمع عينة كبيرة من أقوال القديس ييمن، لكي على ضوءها نستطيع في النهاية أن نقول أنه كان فعلاً «نوراً للمسكونة، ومثالاً أعلى للرهبان». ولقد أصبح ييمن في التاريخ الرهباني لشبهت دعامة ضخمة وحصناً وأسواراً بتعاليمه ومثال حياته، التي لا تزال تراثاً حياً لنا نسير على هداها ونتحصن بها.

وإن أقوال ييمن تقف شاهدة على مدى الأثر البليغ والنجاح الروحاني المنقطع النظير الذي تركته تعاليم مقاريوس الكبير وحياته في شبهت!!

٤ — شيشوي

Sisoī

الإسم: بجيري

صعيدي: ⲪⲓⲪⲱⲓ

ⲪⲓⲪⲱⲓ

يوجد ثلاث شخصيات من النساك بهذا الإسم:

الأول وهو موضوع بحثنا، وهو من شبهت وعاش في منطقة بئرا (شمال البراموس، المنطقة التي عاش فيها سابقاً مكسيموس ودوماديوس وموسى الأسود)، ثم انتقل من شبهت في حياة

مقاريوس سنة ٣٥٦ م. إلى جبل أنطونيوس، وعاش هناك في مغارته (٤٨). وهو المسمى بالكبير. والآخر من الصعيدي ويسمى «التبايسي» أو «الصعيدي». وقد عاش في بداية حياته هناك، ثم انتقل إلى شبييت، وعاش فيها فترة من الزمن. وقد أقام معظم حياته في بابلون الدرج، وهي المنطقة التي كانت عامرة بالكناثس والأديرة، والتي كانت ممتدة حتى جبل المقطم، ولذلك كان يسمى «البابلوني» أو «الذي من بابلون» (ص ٣٣ أقوال الآباء).
والثالث من سقارة، وكان يسمى «الذي من سقارة» (ص ١٠٩ أقوال الآباء).

ولكل من هؤلاء النساك الثلاثة مزاج رهباني خاص، يتضح من أقواله بسهولة. فشيشوي الذي من سقارة كان معتزلاً، لا يأكل قط مع الناس، ولا يميل إلى الأخذ والعطاء، وهو صاحب القول: [سأله بعض الإخوة عن حياته وعمله، فقال لهم الشيخ نفس القول الذي كان قد قاله دانيال (النبي): «خبز الشهوة ما أكلت» (يقصد خبز الرؤساء والولاثم ومجالس الإخوة)] ص ١٠٩—أقوال الآباء، النسخة السريانية.

أما شيشوي الذي من بابلون مصر وهو المعروف بالتبايسي أو الصعيدي فكان مزاجه الرهباني حاراً، وفي الجهاد مجازفاً بحياته، فقد قيل عنه: [إنه وقف يوماً على شفا الجبل (المقطم)، لكي يطرد النوم عن عينيه (بواسطة الفرع)، فجاءه ملاك الله وأنقذه من هذه المجازفة، وأمره أن لا يعمل هذا مرة أخرى، ولا يسلم هذه الطريقة لآخر] ص ٣٣.

وقيل عنه أيضاً في البستان العربي أنه ما كان يحل قانونه على الإطلاق، حتى ولا من أجل الغرباء أو المحبة. وكان كلامه قليلاً، ولما سأله مرة أخ أن يقول له كلمة، أجابه: «لماذا تطلب كلاماً؟ إصنع مثلما ترى». وسأله آخر قائلاً: «إن سقطت ماذا أفعل؟»، قال له: «قم»؛ وسأله: «إلى متى أيها الأب؟»، فقال له: «إلى أن تؤخذ فيما أنت فيه».

وكان هذا الأب لا يميل من قراءة الكتاب المقدس من العتيقة إلى الحديثة، أي حينما ينتهي من العهد القديم يقرأ العهد الجديد، ثم يبدأ مرة أخرى من العتيقة وهكذا.

وشيشوي الكبير يُذكر دائماً في أقوال الآباء مع أبا أور (٤٩)، وثيودور (تلميذ آمون الكبير). ومعروف أن أبا أور من أوائل تلاميذ آمون الكبير، الذي رافقه من بدء حياته في نتريا سنة ٣١٥ م.؛ فهو من أقدم آباء نتريا. ونستدل من القصة التي رواها شيشوي عن نفسه، لما سُئل لماذا ترك شبييت والحياة مع القديس مقاريوس وجاء إلى الصعيدي (جبل أنطونيوس في بسبير)،

(48) Apoph. Patr., Sisois, XXVIII.

(49) Apoph. Patr., Or, VII.

وأجاب: «لما ابتدأت شبييت تمتلئ بالجموع وسمعت أن أبا أنطونيوس رقد، قمت، وأتيت إلى هذا الجبل، ولما وجدته هادئاً مكثت هنا قليلاً، وهو ذا لي الآن هنا سبعين سنة» (٥٠)، وكان هذا الرحيل سنة ٣٥٦ م.، نستدل من ذلك أن شيشوي التجأ إلى شبييت في زمن مبكر جداً عن سنة ٣٥٦ م.، عندما كان عدد المتوحدين قليلاً والحياة هناك هادئة، حيث لم يكن عددهم يزيد على سبعة!! هذا يتحقق لنا من قصة أخرى ندرك منها أنه كان مرافقاً لأبا مقار منذ الصغر، متلمذاً على يديه، أيام كانوا ينزلون إلى الريف ويعملون كأجراء في الحقول، وذلك في بدء حياتهم في شبييت: [لما كنت في شبييت مع مقاريوس ذهبنا معه — للريف — لنحصد القمح وكنا سبعة] (٥١)؛ وهذا يشير إلى زمن مبكر جداً — ربما منذ سنة ٣٤٠ م..

كل هذا يشير إلى أن رهبنة شيشوي بدأت مبكرة جداً ومعاصرة للآباء الأوائل، والمعروف أنه التجأ إلى شبييت سنة ٣٤٠ م.، وهو ابن عشرين سنة، وبقي في شبييت حتى سنة ٣٥٦ م.، حيث غادرها وتغرب في جبل أنطونيوس مدة أكثر من سبعين سنة، أي حتى سنة ٤٢٦ م. أو يزيد، حيث رجع إلى شبييت ودخل المجمع، وتنيح بين إخوته. وكان آمون الذي من شبييت تلميذ أبا بامو حاضراً نيافته. وتُقدَّر سنو حياته المباركة بأنها ليست أقل من مائة وعشر سنين.

ويحتفظ لنا كتاب أقوال الآباء بمشهد بديع لأواخر أيام شيخوخة شيشوي، حينما بطلت عافيته وأدخلوه المجمع عنوة سنة ٤٣٠ م. تقريباً، ليعيش تحت رعاية الإخوة: [مرة جاء أبا آمون ليزور أبا شيشوي، وكان موسم شتاء، ولاحظ أن شيشوي كان متأثراً جداً وحزيناً، بسبب تركه الوحدة في الصحراء؛ فقال له: «لماذا أنت حزين هكذا يا أبانا؟ ماذا كنت تستطيع أن تعمله في البرية وحدك في شيخوختك وأنت هكذا كبير السن؟». فإذا بشيشوي ينظر إليه نظرة شديدة وصعبة ثم أجابه: «ما هذا الذي تقول يا آمون؟ أليس مجرد الإحساس بالحرية في الصحراء أفضل لنا من كل شيء؟»].

وشيشوي شخصية ظلت مهيبه جداً بين الآباء، في حياته وبعد نيافته. وخير وصف لشخصية شيشوي جاء على لسان بيمن الذي كان معاصراً له: [كان أحد الشيوخ جالساً مع أبا بيمن، وكاننا يستعرضان سير الآباء وأوصافهم؛ فلما جاءت سيرة شيشوي، قال أبا بيمن: «اترك شيشوي وحده فقد فاق كل الحدود وتجاوز كل السير»] ص ٢٣٠.

ومحبة الوحدة كانت ملتصقة بجلبده وعظمه، حتى أنه كان لا يحتمل انتهاء الكنيسة حتى يكون أول الذين يخرجون كالسهم إلى قلايته (ص ٨). أما البقاء في القلاية فكان لذته العظمى، وكان

(50) Apoph. Patr., Sisois, XXVIII.

(51) Apoph. Patr., Macar. Aeg., VII.

يركز عليها في كل تعاليمه: [إنه جيد للراهب أن يبقى في قلايته . فإذا احتمل البقاء فيها ، بصبر ، فهو سينال بركة من كل صنف] ص ١٧ .

وظل شيشوي طيلة حياته نافرماً من العالم والسكنى الآهلة بالناس ، حتى أن [تلميذه أبرام توسل إليه مرة أن يسكننا بالقرب من الريف ، بسبب تقدم سنّه جداً . فرد عليه : أرني مكاناً لا توجد فيه امرأة لنسكن فيه ! فرد عليه تلميذه : وأي مكان لا توجد فيه امرأة إلا هذه الصحراء (شيبيت) . فقال شيشوي : إذن فإلى الصحراء يا أبرام !] ص ١٠٩ .

ولم يملّ شيشوي من الوحدة طول حياته أبداً ، لأنه كان يستمتع بحياة التوبة ، وكل يوم كان يطلبها مجدداً حتى آخر لحظة من حياته : [يُحكى أنه لما دنت وفاة أنبا شيشوي وقد رقد مريضاً ، والشيوخ حوله جالسون ، أن سمعوه يتكلم كأنه مع أناس غير منظورين ، فسألوه : ماذا ترى يا أبانا ؟ فقال : إني أرى جماعة قادمة لتأخذني ، وأنا أتوسل إليهم أن يمهلوني قليلاً حتى أتوب ! فقال له أحد الشيوخ : وهل لديك قوة تتوب بها ؟ قال : وإن كان ليس فيّ قوة ، فأنا أتند وأبكي على نفسي ، وهذا يكفي] (ص ٤١) . وفي البستان العربي يكمل هذا القول هكذا : [فقال له الشيخ : إن توبتك قد كملت يا أبانا . فقال لهم : « صدقوني إني لست أعرف من ذاتي إن كنت قد بدأت إلى الآن ! » . ولما قال هذا أشرق وجهه كالشمس ، ففزع الذين كانوا حوله ، وسمعوه يقول : الرب يقول اثوني بتائب البرية . ولوقته أسلم الروح ، فامتلات القلاية من رائحة زكية] .

ولم يكن بقاء شيشوي في القلاية هذه السنين الطويلة عبثاً ، بل كان كل وقته مصلياً بالروح ، وعقله مرتبط بالصلاة : [بينما كان شيشوي جالساً مع أخ جاء ليزوره ، أخذ يتأوه ويتند دون أن يلتفت إلى وجود أحد معه ، لأن عقله أخذ منه في تأمل إنجيل الساعة السادسة ، فلما انتبه أخذ يعتذر للأخ قائلاً : ساعني يا أخي أني تأوهت أمامك ، فهذا دليل على عدم تأدبي الرهباني] (ص ١١٠) .

[ومرة بينما كان جالساً مع الإخوة ، صرخ بصوت عال : بالضعفي ! فنبه تلميذه أبرام : ماذا جرى ؟ فقال له : كنت أريد أن أتكلم مع واحد (مع أحد الأرواح التي كانت تتحدث معه) ولم أستطع] ص ٢٣٢ .

وكان معروفاً عن الأب شيشوي أنه سريع الانتقال بالروح إلى السماء ، حتى أنه بمجرد أن يبدأ الصلاة برفع يديه ، يدهش عقله في الحال : [كان يُحكى عن أبا شيشوي أنه إذا لم يخفض يديه بسرعة أثناء البدء في الصلاة ، فإن عقله يُحمل بعيداً عنه عالياً ، لذلك كان يحترس أثناء وجود أحد معه أثناء الصلاة أنه بمجرد أن يرفع يديه في بدء الصلاة يخفضها بسرعة ، لئلا يخطف عقله فيبقى من معه واقفاً وحده] ص ٣٢ .

لذلك لا يصعب علينا الآن فهم سر نسيان شيشوي دائماً لطعامه وعدم إحساسه بالجوع : [كان أبرام تلميذ شيشوي دائماً يلح على معلمه أن يقوم ليأكل ، فكان يرد عليه : ألم نأكل يا إني ؟ فيقول له أبرام : لم نأكل بعد يا أباي ، فكان رده دائماً : إذا لم نكن قد أكلنا فهات الطعام لناكل] ص ٢٨ .

كذلك نستطيع الآن فهم سر النور الذي كان ينبعث من وجه شيشوي ، هذا الذي شاهده الآباء وأذاعوا خبره : [كان من المعروف أن وجه كل من الأب بامو وسلوانس وشيشوي كان أحياناً يضيء كالبرق مثل موسى ، وكان الواحد منهم يبدو مثل ملك جالس على عرشه] ص ١٩٠ .

ولم تكن قداسة شيشوي ظاهرة أو مخفية ، فقد كان خبر إقامته ميتاً أمراً معروفاً لدى جميع الآباء . وقد حدث هذا أثناء وجوده في جبل أنطونيوس (٥٢) . وتقول القصة باختصار : [ذهب رجل ، حاملاً ابنه المريض ، إلى جبل أنطونيوس ، ليقدمه لأنبا شيشوي ليصلي عليه ويشفيه ، ولكن مات الولد في الطريق . فحملة أبوه حتى وصل إلى شيشوي ، ووضع أمام الباب ، وقرع الباب ، وذهب تاركاً الولد (مكفياً على وجهه كأنه ساجد) ؛ فلما فتح شيشوي الباب ورأى الولد ظنه يطلب بركة ، فقال له : قم انفض . فقام الميت ولحق بأبيه ...] ص ١٨٧ .

ولكن بالرغم من ذلك فكان أنبا شيشوي متضعاً بالحق ، ولم يكن يساوي نفسه بمن سبقه : [فمرة جاء إخوة وزاروه وهو ساكن في مغارة أنبا أنطونيوس (بعد نياحة هذا الأب الكبير) ، فأشار شيشوي إلى المغارة قائلاً : هنا كان يسكن أسد والآن يعيش فيها ثعلب !!] ص ٢٣٢ .

[ومرة سأله أحد الإخوة : ألم تصل بعد إلى درجة أنبا أنطونيوس يا أبانا ؟ فأجاب : لو كان لي فكر واحد من أفكار أبا أنطونيوس ، لكنت قد صرت كلي كالنار ، ولكني أعرف إنساناً قد صار قادراً بعد جهد كبير أن يحمل كل أفكار أنطونيوس (وكان غالباً يقصد أنبا مقار)] ص ٢٨٩ .

وكان شيشوي معجباً بأنبا بامو ، وكان يقول عنه أنه (كان عظيماً في حياته وأعماله) ص ٢٣٠ . وكان أنبا شيشوي كريماً مضيافاً متسع النفس والصدر ، شجاعاً في تدبيره ، يقابل ضيوفه بترحاب ، ويقدم لهم أفخر ما عنده ، ويكسر قانون صومه جهاراً إكراماً لقانون المحبة : [فقد حُكي أنه قد زاره أنبا ألونيس اسقف فيلوبولوس بإقليم البهنسا . وكان وقتها يسكن في

(٥٢) جبل أنطونيوس ، إذا ذكر هكذا ، فإنه يُقصد به الجبل المتاخم للنبيل بجوار ديره في بسير ، الذي عاش فيه أنطونيوس ٢٠ سنة من حياته . أما الجبل الذي يطل على البحر الأحمر الذي كانت فيه مغارته الكبيرة ، فيسمى الجبل الداخلي أو جبل القلزم . وفي كتاب تاريخ الكنيسة لروفينوس ، يذكر هذا المؤرخ أنه زار « بسير المسمى جبل أنطونيوس » ، وهي التي يسميها إميلينو في كتابه عن جغرافية مصر باسم « دير الميمون » ، الواقعة في منتصف المسافة بين أطفيج و بني سويف Hist. Emel., II, 8.

برية أنطونيوس (بالقرب من بني سويف الآن)، ولما همَّ الأسقف في الإنصراف، قدم له شيشوي المائدة، وكان صوماً. وإذا قوم يقرعون الباب، فقال لتلميذه: قدّم لهم من الطبخ. فرد الأسقف: لا، دعهم الآن لئلا يقولوا إن شيشوي يأكل باكراً. فتأمله الشيخ وقال لتلميذه: اذهب اعطهم ليأكلوا. فلما أبصروا الطبخ قالوا للأخ: ياترى هل عندكم ضيوف والشيخ يأكل معهم؟ فقال لهم: نعم. فحزنوا قائلين: لماذا تركتم الشيخ يأكل في مثل هذا الوقت؟ أما تعلمون أن الشيخ سوف يعذب نفسه أياماً كثيرة بسبب هذه الأكلة؟ فلما سمع الأسقف هذا الكلام صنع مطانية قائلًا: اغفر لي يا أبت، لأني تفكرت فكراً بشرياً أما أنت فأكملت أمر الوصية. فرد عليه: إذا لم يركي الله الإنسان فتزكية الإنسان لنفسه باطلة! [ص ٣٧٠ بستان الرهبان عربي (طبعة ١٩٥٦).]

ومرة أخرى نجد هذا القديس متسعاً في تفكيره، نيراً في تدبيره، كريماً مفضلاً: [ذهبنا مرة إلى زيارة الأب شيشوي، وهو ساكن في برية الأب أنطونيوس (بالقرب من الريف). وبيننا نحن نجلس لتناول طعامنا قرع الباب أخ غريب يطلب حسنة، فقال الأب شيشوي: اسألوا هذا الأخ إن كان يريد أن يدخل ليأكل معنا. فلما سأله، احتشم، ولم يُرد الدخول. فقال الأب للإخوة: كل ما يتبقى أعطوه لهذا الأخ، ليأكل وحده في الخارج. ودخل الأب وأحضر إبريقاً من خمر الأباركا المستعملة للتقدمة، ومزج لنا كل واحد كأساً، أما الأخ الغريب فأعطاه كأسين. فابتسمت وقلت له: وأنا أيضاً اذهب إلى الخارج لآخذ كأسين. فأجاب الأب شيشوي: لو أنه دخل وأكل معنا لأعطيته كأساً واحداً مثلنا، ولكن لئلا يظن أننا ميزنا أنفسنا عنه أعطيته أكثر، حتى لا يلومنا ضميرنا] ص ٧٧ أقوال الآباء.

والعجيب في هذا الأب الفاضل القديس العالم، أنه كان يقتني كتب اللاهوت التي ألفها الآباء، وبالأخص القديس أثناسيوس، والتي كانت تبحث في العقيدة وترد على المبتدعين، فالأب شيشوي حسب بين المناضلين من أجل العقيدة ومن أشد أعداء الآريوسية: وكان شيشوي كثير القراءة في كتب اللاهوت، وكان يحتفظ بها في قلايته، كما كان شديد التمسك بالعقيدة. ويُحكى أنه: [جاءه مرة جماعة أريوسيين لزيارته وهو في جبل أنطونيوس، وبدأوا يتكلمون ضد العقيدة الأرثوذكسية، فنادى شيشوي على تلميذه أبرام: «أبرام، احضر لي كتاب القديس أثناسيوس واقرا أمامي». فصمت الآريوسيون لما افتضحت هرطقتهم]، ولاحظ أن هذا كان حوالي سنة ٣٥٦ م. وقد اشتهر شيشوي بأنه مناضل قوي ضد الآريوسيين.

وللأب شيشوي منحه سليم في دراسة الكتاب المقدس، كان هو المنهج الآبائي المسلم بالتقليد من الشيوخ. وأساسه أن تكون قراءة الكتاب المقدس، لا لزيادة المعرفة ولا لمحاولة الرد على أسئلة

الناس ولا لإقناع العقل بأموال اللاهوت، ولكن لطهارة القلب أمام الله وتنقية الضمير. أما الرد على المبتدعين فيكون من كتب الآباء المتخصصة في ذلك

[سأل أنبا آمون (وكان عالماً لاهوتياً) الأب شيشوي قائلاً: حينما أقرأ الكتاب المقدس يحثني عقلي أن أرتب الآيات، حتى تصلح ردوداً على الأسئلة؛ فقال له الأب شيشوي: «نحن لسنا في حاجة إلى هذا، ولكن حاجتنا هي في طهارة القلب. ولهذا ينبغي أن نهتم كثيراً لا بما نقوله، بل بما نعيشه»] ص ٣٣٣ أقوال الآباء.

وفي نهاية هذه السيرة العطرة لهذا العملاق الروحاني، لا يسعنا إلا أن نحني رأسنا أمام ذكرى شيشوي، طالبين أن ينفعنا الله بصلواته، ويفتح بصيرتنا لتتعلم منه هذا الإتساع القلبي، وهذا الإفراز في التدبير، وهذه النعمة المضيئة التي أضاءت عقله ووجهه.

٥ - آمون

و يلزم أولاً أن نفرق بين عدة شخصيات تسمى كلٌ منهم بهذا الاسم:

١ - آمون رئيس نتريا: وهو المؤسس لرهبة نتريا، وصديق أنطونيوس الكبير. وقد سبق الإشارة إليه، أنظر ص ١٧٨ (وُلد سنة ٢٧٥ وتنيح ما بين ٣٣٧ - ٣٤٠ م.).

٢ - آمون ويسمى أموناس: تلميذ أنطونيوس الكبير الذي خلفه في رئاسة دير بسبير، بحسب شرح كتاب «هستوريا موناخورم»، وكما توضح في بعض أقوال الأبوفثجماتا (٥٣) (ص ٢١٥ أقوال الآباء).

٣ - أمونيوس الطويل: المسمى «باروتيس» أو «ذو الأذن الواحدة»، تلميذ بامو. وهو مذكور في شخصيات نتريا والقلاي. أنظر تاريخ حياته بالتفصيل ص ١٩٩ (وُلد سنة ٣٤٠ وتنيح سنة ٤٠٣ م.).

٤ - أموناس أو بيامون، الذي من ديوكلوس (منطقة البرلس): وهو الشخصية التي تحدث إليها كاسيان الحديث المسجل رقم ١٨ في كتابه «الأحاديث».

٥ - أمونيوس رفيق آمون الكبير: ومن تلاميذه الأوائل، وهو زميل ثيودور وإيريون وبامو وبيثور. وأمونيوس هذا تنيح بعد سنة ٣٥٥ م. بفترة وجيزة (٥٤) أي بعد بدء اضطهاد الآريوسيين

(53) See Butler, L.H. of Pallad., N. Ed., II, p. 190.

(54) Tillemont, Mémoires., XI, 632.

مباشرة. ويظن المؤرخ سقراط في كتابه «التاريخ الكنسي» (٤-٢٣) أن أمونئوس الطويل هو الذي رافق أثناسيوس إلى روما سنة ٣٤٠ م. ولكن الحقيقة، حسب رأي كل من المؤرخ تيمون وإقليد وايت، أن أمونئوس الطويل وُلد سنة ٣٤٠ م. فكان في ذلك الوقت طفلاً رضيعاً. أما الذي رافق أثناسيوس في سفره إلى روما سنة ٣٤٠ م، فهو أمونئوس رفيق ثيودور، وبامو، وأحد تلاميذ أمون الكبير الأوائل الذي تنيح سنة ٣٥٥ م.

٦ - **أمون الرايبي**: أي الذي عاش في ريثيو (مدينة الطور حالياً)، وهو راهب قبطي توحد في منطقة كانوب (أبو قير الآن) في أوائل القرن الرابع. وفي اضطهاد فالنس نُفي إلى فلسطين، ومنها عاد إلى برية سيناء، وشاهد بنفسه غارة البربر على أديرة سيناء، التي خربوا فيها جميع الأديرة، وشتتوا الرهبان. فقام أمون هذا وانحدر إلى رايبي (مدينة الطور الآن)، وكانت مركزاً لرهبان سيناء (ولا تزال حتى اليوم)، وعاش هناك فترة طويلة. لذلك سُمي «أمونئوس الذي من الراهبة أو الرايبي». وبعد فترة حدثت غارة البربر على رايبي، فقام وهرب، وانحدر إلى مصر، وعاش في منف، وقد كانت مركزاً للرهبان (٥٥)؛ وبعدها ارتحل إلى شيهيت، وعاش بين نساكها، وكان من تلاميذ بيمن.

ولهذا الأب المبارك قول في كتاب أقوال الآباء، جاء معرّفًا باسمه أي «أمونئوس الذي من رايبي»: [أبنا أمون الذي من رايبي سأل أبنا بيمن من جهة أفكار النجاسة، فقال له: إن العدو يسوقها علينا، ولكن علينا أن لا نقبلها] ص ١٨٣ أقوال الآباء.

٧ - **أمونئوس الأسقف**: كاتب الرسالة إلى ثاوفيلس البطريرك، وهو الذي ترك الأسقفية وتوحد. راهب من دير الطبانسيين بالأشموين (هرمو بوليس ماجنا) (٥٦). وقد ترهب هذا الأب الفاضل، وهو ابن ١٧ سنة، على أثر عظة سمعها من أبنا أثناسيوس. ولم يكن قد تعمد بعد، فعمدوه، وألبسوه الإسكيم في دير الطبانسيين (باخوم). وقد عاش مدة سنتين تحت تدبير الأب المبارك ثيودوروس (تادرس تلميذ باخوميوس)، وبعدها أرسله إلى نتريا ليعيش بين نساكها، بسبب ظروف طارئة على أسرته. فقام وذهب إلى نتريا، حسب مشورة تادرس، وكان ذلك سنة ٣٥٥ م. وعاش في نتريا ١٤ سنة رسمه بعدها القديس أثناسيوس أسقفًا، مع عدة رهبان من نتريا، على عدة كراسي. وقد نفاه الأسقف الدخيل چورچ الكبادوكي.

وقد كتب رسالته لثاوفيلس البطريرك يقول له فيها قصة خروجه من دير الطبانسيين، بمشورة تادرس تلميذ باخوميوس، الذي كان رئيساً للدير آنئذ. فيقول لثاوفيلس إن تادرس قال له: [إن

(55) Socr., H. E., IV, 36 & Sozom., H.E., VI, 38.

(56) Hist. Monachor., C, 3.

هناك في نتريا قديسين ممتازين قد أرضوا الله، ومنهم ثيودور الذي كان رفيقاً للقديس أمون، وإيريون، وأمونئوس، وبامو، وبيثور، خدام الله الذين قبلوا نعمة من الله للشفاء، وكثيرون غيرهم من القديسين الذين اكتفي بالصمت عن ذكر أسمائهم الكثيرة] (٥٧).

ثم في نفس الرسالة أخذ يقص على ثاوفيلس كيف كان القديس أثناسيوس يرسل إليه رسائل يسأل فيها عن «القديسين في نتريا وشيهيت»: [وكان يسألني (أي أثناسيوس البطريرك كان يسأل أمونئوس الأسقف) بخصوص حياة المتوحدين في شيهيت: باثيسوس، و پول، و بسوتوس (بيشوي) إخوته، وإشعياء، وبيسيروس، وإسحق، وبولا] (٥٨). وتاريخ الخطاب لثاوفيلس يلزم أن يكون بعد تولي ثاوفيلس الرئاسة على الكنيسة سنة ٣٨٥ م.

أما تاريخ مراسلات أثناسيوس مع أمونئوس فهي محدودة بالفترة من بعد حضور أمونئوس من دير بالصعيد حين نياحة أبنا أثناسيوس، أي بين سنة ٣٥٥ م. وسنة ٣٧٣ م..

وبناء على رجاء خاص من ثاوفيلس البطريرك، قام أمونئوس الأسقف بكتابة تاريخ حياة القديس ثيودوروس تلميذ أمون، الذي كان مشهوراً بالقداسة الفائقة (٥٩).

وفي أحد الأقوال المسجلة في كتاب أقوال الآباء عن أبنا أمونئوس الأسقف، نستطيع أن نستزيد من معرفتنا لتاريخ حياة هذا الأب القديس: [مرة أتى جماعة إلى أمونئوس الأسقف يريدون أن يتعلموا من حكمته، أما هو فكان يتظاهر بأنه جاهل. فكانت امرأة جالسة تسمعهم وقالت: إن هذا الشيخ موسوس. فلما سمعها قال لها: أتعلمين مقدار التعب الذي تعبته في البرية حتى اقتنيت هذا الوسواس؟ قالت: لا. قال لها: لقد كابدت خمسين سنة لأقتني هذا الوسواس، فهل أفقده من أجلك؟! وللحال تركها في القلاية وترك الأسقفية ومضى] (٦٠).

من هذا نعلم أنه حتى هذه الحادثة، كان له خمسون سنة في الرهبنة، فإذا أضفنا إليها ١٧ سنة وهي حياته قبل الرهبنة، يكون سنّه حينئذ ٦٧ سنة. فإذا علمنا أنه وُلد سنة ٣٣٦ م. تكون هذه الحادثة وقعت سنة ٤٠٣ م.، التي بعدها ترك الأسقفية، واندمج مرة أخرى مع حياة الرهبان والمتوحدين في شيهيت، وظل يعلم بخبرته وحكمته وفضله، فظهرت له بعد ذلك أقوال كثيرة مملوءة حياة تداولها الرهبان في كل مكان، وهي توضح فعلاً أنه أصبح مقيماً منذ هذا التاريخ بصفة مستمرة في شيهيت.

(57) Letter of Ammonius, Ch. 21, (Acta SS., May III, append. p. 70).

(58) Letter of Ammonius, Ch. 21, (Acta SS., May III, append. p. 71).

(59) Acta SS., May 14 & Cotel. Ecclec. G. Mon. 1.

(٦٠) بستان الرهبان المطبوع سنة ١٩٧٢ ص ٣٥٤.

أما آخر مرة يظهر فيها آمون في التاريخ، فنجدها قرب نياحة شيشوي، عندما زاره في الدير بعد أن أحضره من الجبل ليعيش مع الإخوة في المجمع، حوالي سنة ٤٣٠ م. وبعدها لا نسمع سيرة لآمون. وأغلب الظن أنه تنيح بعد هذا التاريخ بفترة وجيزة، وتكون سنوحياته ٩٤ سنة.

ويمكن ترتيب حياته كالآتي: وُلد سنة ٣٣٦ م.، وسمع عظة أنبا أثناسيوس سنة ٣٥٣ م.، فتعمد وترهب في هذه السنة وهو ابن ١٧ سنة. أمضى سنتين مع أنبا تادرس في دير أنبا باخوم، ثم رحل إلى نتريا سنة ٣٥٥ م. وأمضى ١٤ سنة هناك، رُسم بعدها أسقفاً سنة ٣٦٩ م. نُفي سنة ٣٧٣ م.، وعاد بعدها إلى الأسقفية، التي اعتزلها عقب حادثة المرأة التي أهانت منهج الفضيلة الذي أحبه، فعاد نهائياً إلى نتريا وشيبت سنة ٤٠٣، وظل يستزيد من المعرفة على يد الآباء الكبار وخصوصاً ييمن وشيشوي، يسألهم ويسألوه، كما ظل يعلم كل من التجأ إليه من الرهبان، حتى تنيح حوالي سنة ٤٣٠ تقريباً، عن ٩٤ عاماً أو يزيد.

ومن العجيب الذي دُهشنا له أثناء قيامنا بجمع مفردات وحوادث وأقوال هذا الأب، أننا وجدنا تطابقاً عجيباً في التاريخ والحوادث التي أحاطت بحياة هذا الأب القديس. فثلاً عندما قرأنا في أحد القواميس العتيقة (تأليف وليم سميث، سنة ١٩٠٠) عن السن المبكرة التي دخل بها هذا الأب للرهبنة وهي ١٧ سنة داخلنا الشك في ذلك، فإذ بنا نقرأ من كلامه هو هذا الخبر: [يقول أبنا آمون بخصوص أبنا بافنتيوس البسيط الذي من شيبت: حدث لما أتيت إلى شيبت أني كنت شاباً صغيراً؛ فلما رأيت أبنا بافنتيوس، رفض أن يسمح لي بالسكنى هناك قائلاً: في أيامي لن أسمح للشباب أصحاب الوجوه التي تشبه وجوه النساء أن تسكن في شيبت، بسبب الحروب التي يلقيها العدو على القديسين من جراء ذلك] ص ٢٨٨.

ومن هذا القول نتحقق أن آمون جاء فعلاً إلى شيبت، لا لكي يقبل الزبي المقدس بل ليسكن فقط، لأنه كما جاء في تاريخ حياته أنه قد سبق أن قبل الزبي المقدس (على يد تادرس رئيس دير أنبا باخوم). كما نتحقق أيضاً أنه وصل إلى شيبت شاباً صغير السن، لذلك كان وجهه خالياً من اللحية (١٩ سنة). كما أننا نسمع عن بافنتيوس أنه كان يتكلم عن نظام تديره الجديد: «في أيامي لن أسمح...»، وهي لهجة من استلم الرئاسة أو التدبير حديثاً. ونحن نعلم يقيناً أنه رُسم كاهناً سنة ٣٥٥ م.، كما نعلم تماماً أن آمون جاء إلى شيبت سنة ٣٥٥ م.، فهذا التطابق التاريخي يُعتبر نادراً المثال في صناعة التاريخ.

وفي أحد الأقوال العابرة التي جاءت على فم آمون، يتحقق لنا أيضاً مقدار المدة التي قضاه في شيبت قبل رسامته أسقفاً، وهي غالباً المدة التي يسكب فيها الراهب نفسه ويجاهد لإكتساب الفضائل، والتي يظل يذكرها بالخير كل أيام حياته إذا اختير للأسقفية بعدها: [كان أبنا آمون

يقول دائماً: إني أمضيت في شيبت ١٤ سنة متوسلاً أمام الله ليل نهار، لكي يمنحني النصر على روح الغضب] ص ٢٧٦ أقوال الآباء.

ولم ينسَ هذا الأب والأسقف القديس أن يهذب نفسه دائماً بالروح الرهبانية الأصيلة، ويراجع أفكاره ومبادئه على فكر الآباء وتعاليمهم، خصوصاً فيما يتعلق بالمنهج الفكري لإستيعاب أقوال الكتاب المقدس. فنجده يسأل الأب شيشوي: [أبا آمون سأل أبنا شيشوي: حيناً أقرأ الكتاب المقدس يحثني عقلي على ترتيب الآيات وتنسيقها لكي أستطيع أن أرد بها على الأسئلة. فأجابه شيشوي: «هذا الأمر لا يلزمنا، لأن ما نطلبه هو طهارة القلب فقط. ومن هذا يتضح أننا ينبغي أن لا نهتم كثيراً بما نقوله بل بما نعيشه»] ص ٣٣٣ أقوال الآباء.

وفي الحقيقة كانت شخصية هذا الأسقف الذي ترك أسقفيته بسبب عشقه للوحدة والفضيلة والحرية، دعامة كبرى في براري شيبت ونتريا والقلاي، كنموذج حي للرهبنة، وعبرة ناطقة لكل راهب يحدثه طموحه وتحذره شهواته ليصير أسقفاً ورئيساً، وأقوال هذا الأسقف المتواضع مملوءة بحكمة وخبرة وحياة.

٦ — موسى الأسود

موسى الأسود أثيوبي الجنسية، كما يؤكد لنا بالليديوس^(٦١)، وهو شخصية طيبة مباركة فرضت نفسها على تاريخ الرهبنة القبطية، وبالتالي على كنائس العالم أجمع بلا استثناء، لأنه نال شهرة عالمية بسبب توبته من لص وزان وقاتل، إلى قديس. تعيّد له الكنيسة القبطية في ١٨ يونية من كل سنة. أما الكنائس اليونانية واللاتينية والحبشية فتعيّد له في ٢٤ أغسطس^(٦٢).

وفي رواية بالليديوس نقرأ عنه أنه كان أصلاً عبداً شديد المراس، طويلاً فارغ الطول، لم يطقه سيده بسبب فظاظته واعتياده السرقة والقتل. وقد أكد لنا كاسيان أنه كان دائماً ينتظر الموت قتلاً بسبب ارتكابه هذه الجريمة سابقاً^(٦٣). وكان قبل ترهبه رئيساً لعصابة لصوص، ويحكى عن نفسه أنه عبر النيل في عز فيضانه، ساجماً والسيوف بين أسنانه، ليقتل راعياً... وبينما هو في أوج ضلاله رأى رؤيا مشجعة، وتقبل من الله الدعوة للحياة الرهبانية. وبسبب هذا التناقض الهائل ذاعت شهرته منذ أول يوم، وهذا مما جعله يُقبل على حياة الرهبنة كأعلى ما تكون التوبة. فكان هو

(61) Pallad., L.H., Ch. XIX.

(62) Synax Eth. (Same 24); Greek & Latin Synax., Constant. ed. Delahaye.

(63) إن موسى الأسود الأثيوبي الذي قدمه لنا بالليديوس هو نفسه موسى الذي قدمه لنا كاسيان. وكل منها رآه وتحدث إليه وأعجب بشخصيته. أنظر إفلين وايت الجزء الثاني ص ١٥٥. Cassian, Coll., VII, 26, 2.

وأرسانيوس الرومي على قمة آباء شهيت من جهة الصيت، بسبب حياتها السابقة، حتى أن من جاء شهيت كان لا يملك أن يخفي رغبته الجامحة لرؤيتها، مهما كلفه الأمر.

وظل في رهبانيته يمتلك نفس القوة الجسدية الخارقة التي كان يتمتع بها أيام علمانيته، فقد حُكي عنه أنه لما هاجمه أربعة لصوص مرة واحدة، تغلب عليهم جميعاً، وقيدهم واقتادهم أمامه إلى الكنيسة وسلمهم للآباء قائلًا: «ماذا تريدون أن أفعل بهؤلاء؟». وبسبب عفوه عنهم، ولما عرفوه أنه موسى اللص المشهور، تمثلوا به وتابوا على يديه. ولكن قد دفع موسى الأسود ثمن هذه القوة الجسدية، فقد تألبت عليه الشهوة في ثورات جسدية عنيفة، كان يقمعها بشق الأنفس! ولولا قليل لأدركه الفشل، ولكنه تذرع بالصبر، فكان يروض جسده طول الليل، بأن يحمل الماء من البئر، ويوصله إلى كل الآباء الساكنين على المسافات البعيدة التي تتراوح بين ٣ كيلو و٨ كيلو عن البئر، كل هذا وهو صائم، حتى انحط جسده ومرض، فسقط بجوار البئر مغشياً عليه، دون أن يراه أحد. وظل هكذا حتى وجدوه في الصباح نصف ميت، وظل طريح الأرض مريضاً، وحملوه إلى الكنيسة وهو بهذا الحال، وبقي لمدة سنة كاملة حتى استرد صحته يسيراً يسيراً. وقام بتمر يضه طول هذه السنة أبوه الروحي القديس أنبا إسيذوروس قس الكنيسة، الذي أظهر في ذلك صبراً منقطع النظير ونصحته قائلًا: «كفاك عراكاً مع الشياطين، لا تعد تهتم بهم فإنه هناك حدود للشجاعة، كما أنه يوجد حدود للجهاد في النسك»^(٦٤). وعندما اشتكى موسى من كثرة أحلام الليل قال له إسيذوروس: «باسم يسوع المسيح ستُرفع عنك أحلامك، والآن تقدم للأسرار المقدسة بثقة»^(٦٥).

وفي نهاية هذه التجربة، التي قيل أنها كانت ضربة من الشيطان تلقاها على ظهره (انزلاق غضروفي)، قام موسى الأسود بعدها صحيحاً بنعمة الله، ولم يعد يشكو بعد ذلك من حرب الشهوة طول حياته. وقد نال قوة نادرة فوق محاربات الشياطين، حتى أنه قيل عن الأب موسى الأسود أنه كان لا يخشى بأسهم، كما لو كانوا ذباباً.

ويختم حياته المؤرخ بالليديوس بسرعة، إذ يقول في اختصار شديد إنه صار من كبار آباء شهيت، وقدموه كاهناً وتنيح (شهيداً) عن ٧٥ سنة، تاركاً سبعين تلميذاً تتلمذوا على يديه.

ولكن إذا تتبعنا كتاب أقوال الآباء والمخطوطة التي تسرد حياته^(٦٦)، نستطيع أن نكمل قصة حياة هذا البطل المجاهد.

(64) Apoph. Patr., Syr. V., p. 70.

(65) Ibid.

(٦٦) مخطوطة ٣٥٧ طقس مكتبة المتحف القبطي.

أولاً: ميلاده ورهبنته:

يخبرنا بالليديوس أن موسى الأسود عاش ٧٥ سنة. ونحن نعلم أنه قد استشهد في الغارة الأولى التي حدثت سنة ٤٠٧ م. وبذلك يكون موسى الأسود قد وُلد عام ٣٣٢ م. فإذا علمنا أنه من بين السبعة الذين رافقوا القديس بامو في زيارته لأنبا مقار في برية مقار يوس الجنوبية — البيامون (دير أنبا مقار حالياً)، وأن بامو تنيح سنة ٣٧٣ م. تكون هذه الرحلة تمت قبل سنة ٣٧٣ م. بمدة لا تقل عن ثلاث أو أربع سنوات؛ فيكون موسى الأسود كان راهباً ومحسوباً ضمن الشيوخ في هذه المدة سنة ٣٧٠ م. فلو قَدَرنا له خمس سنوات على انقضاء رهبنته، يكون موسى الأسود قد ترهب سنة ٣٦٥ م. عن ٣٣ عاماً تقريباً.

وفي بدء توبته حينما جاء إلى شهيت، تسلمه إسيذوروس قس الكنيسة المسئول عن قبول الإخوة الجدد. وكان يركع أمامه، ويعترف بصوت عال بعيوبه وجرائمه الماضية بدموع غزيرة. وبعد فترة أخذ القس إسيذوروس إلى حيث يقيم أنبا مقار يوس الكبير، الذي أخذ يعلمه ويرشده، برفق ولين، ثم منحه صبغة المعمودية المقدسة، واعترف علناً في الكنيسة بجميع خطاياهم وقبائح الماضي، وكان القديس أنبا مقار أثناء الإعراف يرى (بالمُنظر المعقول) لوحاً عليه كتابة سوداء تمثل ذنوبه، وكلما اعترف بخطية مسحها الملاك؛ حتى وجد، بعد أن انتهى من اعترافه، اللوح كله أبيضاً. ولكثرة الزائرين والمترددین عليه من الآباء، أشار عليه القديس مقار يوس بأن يتعد وحده في قلاية منفردة.

وقد تكاثرت عليه الزائرون والرهبان بعد ذلك، لِمَا سمعوه عن حياته الجديدة، وشدة مناقضتها لحياته القديمة، ولذئوع شهرة قوته الجسدية مع اتضاعه ولطفه ومحبتة للغرباء. فلما اشتكى للقديس أنبا مقار^(٦٧) من ذلك، نصحه بأن يسكن منطقة بئرا: [أبا موسى قال لأبا مقار يوس في شهيت: إني أشتاق يا أبي أن أحيا في هدوء، ولكن الإخوة لا يتركوني أبداً، فقال له أبا مقار يوس: إني أرى طبيعتك منقادة (للمجاملة)، فإذا أردت أن تحيا في هدوء اذهب في البرية بعيداً إلى بئرا، وهناك ستجد راحة]^(٦٨). [وظل مقيماً في هذا المكان القفر النائي ست سنوات كاملة]^(٦٩). وكانت المسافة بعيدة والطريق شاقة، حتى أنه [بينما كان أنبا موسى ذاهباً إلى قلايته في بئرا أعيبي في الطريق]^(٧٠).

وبئرا هي المعروفة باسم كالاموس Calamus. أما كلمة «بئرا» فتعني الصخرة، وهي

(67) Apoph. Patr., Moses XIII.

(68) Apoph. Patr., Macar., XXII.

(69) Apoph. Patr., Syr. V., p. 69.

(70) Apoph. Patr., Moses, XIII.

صخرة شبيهة الشمالية المعروفة. و«كالاموس» تعني «غاب» (أي المنطقة التي يكثر فيها الغاب الرفيع - الحجنة - المستعمل كأقلام بسط للكتابة)، ومن الإسمين يتبين لنا أنها منطقة صخرية بالقرب منها مستنقع به غاب.

وحدث وهو ساكن وحده في هذا المكان النائي والقفر، أن كانت تثور عليه شهواته القديمة، وتتجدد عليه أفكاره وعاداته وسلوكه السابق، فكان يقوم ويذهب للقس إسيدوروس ويشكي له حاله، فكان يعزيه، ويقول له: «إن الكلاب تنجذب إلى بيت الجزار في السوق، لا تغادره إطلاقاً طالما هو مفتوح. ولكنه إذا أغلق بابه وانصرف، لا تعود الكلاب تترجى منفعة فتذهب ولا تعود. هكذا تعمل معك الشياطين، فإذا قفلت دونها أبواب فكرك وقلبك، ذهبت عنك خازية»^(٧١). أما هو فكان يعذب جسده فوق الطاقة، يصوم بالنهار ولا يفطر إلا على كسرة خبز. ويعمل بالليل لملء أوعية الشيوخ بالماء، الذي كان يبعد كثيراً عن مسكنه، ويتلو خمسين صلاة؛ حتى انحطت قواه وظل على هذا الحال ست سنوات. ولكن بسبب إخلاصه في الجهاد، رحمه الرب، ورفع عنه كل المحاربات، فترك منطقة بترأ وجاء وسكن بالقرب من الكنيسة في مغارة حفرها وبنائها بنفسه. وظلت هذه المغارة مشهورة وقائمة، يسكنها الرهبان من بعده جيلاً بعد جيل حتى أننا نسمع عنها في القرن الحادي عشر وبالتحديد سنة ١٠٨٨ م. بقلم المؤرخ «موهوب الشماس القبطي» هكذا:

[وكانت البرية في ذلك الوقت عامرة بنحو ٧٠٠ راهب، أربعمائة في دير القديس أنبا مقار، ومائة وستون في دير القديس يوحنا القصير، وخمسة وعشرون في دير كاما (بجوار يوحنا القصير)، وعشرون في دير البراموس، وأربعون في دير القديس بيشوي، وستون في دير السريان، وفي مغارة القديس موسى الأسود راهبان واحد سوري والآخر قبطي، وغيرهم من المتوحدين الذين لم نرهم أو نعرفهم]^(٧٢).

وقد أقام الرهبان بعد ذلك ديراً على هذه المغارة، وظل معروفاً لعدة قرون بدير أنبا موسى الأسود^(٧٣).

وقد قدموه بعد ذلك كاهناً في الكنيسة مساعداً للقس إسيدوروس^(٧٤). وحتى في أثناء رسامته لم يكف الرهبان ولا البطريرك نفسه عن مداعبته واختبار اتضاعه وصبره واحتماله:

(71) Apoph. Patr., Syr. V., 69.

(72) Hist. of Pater., Evetts, p. 219.

(73) Ev. Wh., II, p. 98.

(٧٤) وقد ذكر في مطلع قصة مكسيموس ودوماديوس المخطوطة، بقلم بيشوي الشماس الذي من القسطنطينية، أن هذا الشماس كان خادماً تحت رئاسة إسيدوروس قس الكنيسة. ولما تنجح بيشوي خلفه في خدمة الشموسية موسى الأسود.

(Ev. White, II, p. 98)

[وبعد أن لبس التونية البيضاء، قال له ثاوفيلس البطريرك: هوذا قد صرت كلك أبيضاً ياموسى. فرد عليه موسى مداعباً أيضاً: من الخارج أم من الداخل يا أبانا؟ ثم أوعز البطريرك إلى الرهبان أن يطردوه من الهيكل عند بدء دخوله، ليختبر مدى احتماله، فلما همّ الراهب المسكين بالدخول طردوه بانتهاز قائلين: اخرج يا حبشي. فما كان منه إلا أن لام نفسه: لقد صنعوا بك حسناً يا أسود اللون، ما أنت بإنسان فلماذا تحشر نفسك بين الناس؟]^(٧٥).

وقد أتقن القديس موسى وصية عدم الدينونة، وآل على نفسه أن يطبقها حرفياً. فلما استدعوه في مجلس الآباء محاكمة راهب مخالف، رفض الحضور في البدء؛ ولكن لما طالبوه بالحضور كأمر المجمع حضر ولكن ليس كأنه بدون احتجاج، إذ دخل المجمع حاملاً على ظهره مقطفاً مثقوباً به رمل، والرمل يجري منه. فلما استفسروا ذلك منه قال: «تركت خطاياي خلني متجاهلاً إياها وآتى اليوم لأحاكم غيري على خطاياها»^(٧٦). وظلت الأجيال كلها تعي ما كان يقصده موسى، وتحفظ حكيمته المشهورة: «إذا تذكر الإنسان خطايا ما استطاع أبداً أن يذكر خطايا غيره».

أما المحبة وإضافة الغرائب، فقد أتقنها موسى الأسود حتى اشتهر بها بين الآباء؛ ولكن قد كلفته كثيراً جداً إذ ضحّى من أجلها بهدوئه وراحته وسمعته، فكم من مرة اتهمه الرهبان بأنه كاسر لوصايا الصوم، وكم من مرة يتعقبه الضيوف والزائرون، حتى وهو في عزلة في منطقة بترأ، التي لم يكن فيها من الماء ما يكفي لشربه وشرب غيره.

وأخيراً جاء اليوم المحتوم الذي كان يترقبه موسى منذ أن وطأت قدماه أرض التوبة، برية شبيهة ميزان الضمائر والقلوب، ألا وهو يوم الكفارة عن خطيئة القتل التي ارتكبها في جهل وعدم إيمان؛ ففي يوم أحس بالروح بدنو الأجل، فقال لزملائه وهو جالس داخل سور الكنيسة: [«أنظروا إن في هذا اليوم سيأتي البربر إلى شيهيت، فعليكم أن تقوموا وتهربوا، فقالوا له: وهل لا تهرب أنت أيضاً يا أبانا؟ أما هو فرد عليهم: «إني هذه السنين كلها كنت أتطلع إلى هذا اليوم، ليكمل قول الرب: «من أخذ بالسيف فبالسيف يؤخذ!!». فقالوا له: «ولا نحن أيضاً نهرب، بل سنموت معك». فرد عليهم: «هذا ليس من شأنى ولكن عليكم أن تتدبروا موقفكم»، وكانوا سبعة. وبينما هم يتكلمون اقترب البربر من الباب، ودخلوا وذبحوهم، إلا واحداً لم يطق الموقف فاخْتَبأ تحت الخوص، ورأى بعينيه كيف ذبحوهم وكيف نزلت الملائكة وألبستهم أكاليلهم]^(٧٧). وأخذ الرهبان بعد ذلك جسده الطاهر وكفنوه ووضعوه في كنيسة الدير، فظل من ذخائر البراموس حتى اليوم، تاركاً وراءه سبعين تلميذاً عاشوا معه وتعلموا على يديه. وتم في

(75) Apoph. Patr., Moses, IV.

(76) Apoph. Patr., Moses, II.

(77) Apoph. Patr., Moses, X. & Synax. Eth., Sanè 24 (P.O., I, pp. 665f).

موسى نبوة القديس مقار يوس ، يوم زاره مع بامو وأوغريس وكرونيوس وثلاثة شيوخ آخرين ، فلما رأهم أنبا مقار [أقبل عليهم يكلمهم بنبوة و يقول : يا إخوتي واحد منكم عتيد أن ينال إكليل الشهادة ، ويُهرق دمه في هذه البرية . فأجاب الأب موسى وقال : لعلنا أنا هو ياسيدي لتكمل عليّ كلمة الرب القائل : كل من يقتل بالسيف بالسيف يُقتل . وبعدها صلى عليهم ، ومضوا من عنده إلى قلايهم] (٧٨).

٧ — سيرايون

أشخاص كثيرون يحمل لهم التاريخ اسم «سيرايون» ، منهم الكُتّاب والشمامسة والشهداء ، وأشهرهم شهيد الإسكندرية الذي ذكره ديونيسيوس بطريرك الإسكندرية ووصف استشهاده في رسالته إلى فابيوس Fabius الأنطاكي (تاريخ يوسابيوس ٦-٤١) ، والذي تعيّد له الكنيسة في ١٤ نوفمبر. ولكن الذي يهمننا هنا هو أصحاب الأقوال النسكية ، وبالأخص الذين عاشوا في القرن الرابع ، وبنوع ممتاز الذين أكملوا حياتهم في شيهيت ، ورأوا وتحذثوا إلى القديس مقار يوس .

ولدينا باسم «سيرايون» خمسة قديسون عظام ، على أعلى مستوى من العلم والنسك والفضيلة . وسوف نقدم نبذة عن كل شخصية من هؤلاء الخمسة لأنهم ذوو صلة كبيرة بموضوع بحثنا :

١ — سيرايون المعلم : Scolasticus

أسقف تمويس (٧٩) (تمّي الأمديد) . قديس تعيّد له الكنيسة في ٢١ مارس ، كان صديقاً لأثناسيوس البطريرك والقديس أنطونيوس ، وكان له دور كبير في الصراع اللاهوتي والعقائدي للكنيسة في القرن الرابع . ويُدعى «بالمعترف» لأنه تألم من أجل الإيمان في أيام قسطنطينوس الإمبراطور الأريوسي .

وبالرغم من شهرة سيرايون اللاهوتية والروحية ، إلا أنه يبدو من الخطابات المتبادلة بين أثناسيوس وسيرايون أسقف تمّي ، أن سيرايون كان أصغر سناً ومقدرة في أمور اللاهوت من بابا الإسكندرية .

(78) A.M.G., XXV, p. 186.

(٧٩) تمّي اسمها بالقبلي Thmoui وباليوناني Thmouis والفرعوني القديم Thmi وكانت عاصمة (قاعدة) للقسم السادس عشر من أقسام وجه بحري أيام الفراعنة . أما كلمة «أمديد» فكانت بلدة أخرى بجوارها ، أُضيفت حديثاً إلى زمامها ، وكانت تُعرف باسم منديس Mendis وبالقبلية فايب تيتي Ba Neb tet أي نعيم تيتي ، وهي الآن ناحية من نواحي مركز السنبلوين بالدقهلية . ومعروف أنها كانت سابقاً مركزاً لأسقفية كبرى .

وكان سيرايون صديقاً حميماً لأنطونيوس الكبير ، وقد رافقه مدة طويلة من حياته حتى آخر لحظة . وقد باح لأنطونيوس برؤياه ، وكان أنطونيوس يشرحها له . وقد استودعه أنطونيوس إحدى جلود الغنم ، التي كان يلبسها كتدكار محبة ، أما الجلد الآخر فأرسله إلى أثناسيوس ؛ كما ورد في كتاب حياة أنطونيوس بقلم القديس أثناسيوس .

ويقول سوزومين المؤرخ أن من الأمور الهامة في حياة سيرايون أنه كان أباً رئيساً لجماعة رهبانية في الصعيد ، «وقد ذاع صيت قداسته وتقواه وقوة بيانه ومنطقه» (٨٠) . وقد بُنيت كنيسة في الإسكندرية بعد نياحته على اسمه ، وعُرفت بكنيسة سيرايون» (٨١) .

أما جيروم فيقول أنه لُقّب بالمعلم بسبب غزارة علمه ومعرفته .

وأول خطاب وصله من أثناسيوس كان مؤرخاً في سنة ٣٣٩ م . بعنوان : «إلى الأخ الحبيب وزميلنا في الخدمة» (٨٢) . وهذا يدل على أن سيرايون كان قد رُسم أسقفاً قبل هذا التاريخ . وخطاب آخر وُجد بتاريخ ٣٥٨ م . فيه يصف موت أريوس . ولكن أهم الخطابات قاطبة هي الأربعة (٨٣) التي خصصها القديس أثناسيوس للكتابة عن لاهوت الروح القدس رداً على سؤال سيرايون ، والتي تعتبر أول بحث لاهوتي عن الروح القدس .

وفي سنة ٣٥٦ م . أرسل البابا أثناسيوس أربعة أساقفة وعلى رأسهم سيرايون ، ويرافقهم ثلاثة كهنة ، ليقنعوا الإمبراطور قسطنطينوس لكي يعدل عن فكره الأريوسي ، فما كان من الإمبراطور إلا أن نفى سيرايون ونكّل به ، لذلك دُعي في التاريخ بالمعترف .

وبعض الوثائق تثبت أن سيرايون كان يعيش حتى سنة ٣٦٢ م . ويرجح العلامة ليتزمان (٨٤) أنه تنيح سنة ٣٧٠ م .

كتاباتاه :

يقول جيروم إن سيرايون الأسقف ترك رسالة هامة ضد المانين ، وبحيثاً قيماً عن عناوين المزامير ، ورسالة هامة للرهبان ، بالإضافة إلى عدة رسائل ناقصة لأشخاص كثيرين . ولكن قد أمدنا التاريخ حديثاً ، وفي القرن الحادي عشر على وجه التحديد (٨٥) ، بمؤلف لسيرايون الأسقف في غاية الأهمية التاريخية والروحية على وجه العموم ، وُجد في مكتبة جبل آثوس . وهو عبارة عن

(80) Sozom., E. H., 4, 9.

(81) Epiphan., Haer., XIX, Cap. 2.

(82) M.G., 26, 1412-1414.

(83) Patr. Gr., XXVI, 530-676.

(84) Lietzman (Appolinaris p. 279).

(85) J. Wordworth. Bishop Serapion's Prayer Book S.P.C.K. 1899.

خولاجي كامل منسوب لسيرابيون أسقف تمي، على وجه الدقة والتحديد، ويحتوي على ثلاثين صلاة تبدو بوضوح أنها مصرية، ومن مکتوبات القرن الرابع بلا أدنى شك. ويقول العلماء إنها ترجع إلى ما قبل سنة ٣٥٠ م. ومن هذه الصلوات جاءت ثمان عشرة تختص بالقداس (الإفخارستيا)، وسبع تختص بالعماد، وثلاث برسامة الكهنوت وإثنتان في تقديس الزيت والصلوة على الموتى. ويلى الصلوات الثلاثين خطاب ضاف عن الآب والإبن. ولأهمية وخطورة هذه الصلوات سوف نفرد لها بحثاً خاصاً في كتاب آخر. ويلاحظ أننا أوردنا حياة هذا الأب العالم القديس والأسقف لأهمية مركزه باعتباره راهباً أصلاً، وأباً لجماعة رهبان، وكتب عدة رسائل لرهبان الإسكندرية. وقد يلبس اسمه في ذهن القارىء مع سيرابيون آخر.

٢ - سيرابيون الكبير تلميذ أنبا أنطونيوس :

ورفيق أنبا مقار وكاتب سيرته بالقبطية. وهو شخصية يحتفظ لنا التاريخ بأثر خالدها وهو كتابه بعنوان: «حياة مقار يوس المصري بقلم صرابامون (أو سيرابيون)»^(٨٦). وهو مکتوب باللغة القبطية ومترجم للسريانية بواسطة الكاتب «بيدجان»، وقد ترجمه العلامة أميلينو. وفيه يتكلم المؤلف كشاهد عيان بضمير الحاضر «أنا سيرابيون»، متحدثاً فألفم مع أنبا مقار، ومع أنبا أنطونيوس. وقد قام اميلينو بتحقيق هذه المخطوطة وانتهى إلى صحتها ونسبتها إلى كاتبها المعاصر، واعتبرها وثيقة تاريخية بالغة الأهمية. وإن كانت بعض المخطوطات أضافت إلى اسم سيرابيون صفة «أسقف تمي»، فهذا خلط من الكتاب، وقد جاء عفواً بسبب شهرة سيرابيون الأسقف. ولكن المخطوطة السريانية^(٨٧) وهي قديمة العهد جداً جاءت غفلاً من هذه الصفة، ولكن تحمل شخصية سيرابيون تلميذ أنطونيوس وهو يتكلم بصيغة الحاضر.

وينضم بطريرك إلى أميلينو في اعتبار صدق هذه الوثيقة مكسباً تاريخياً منقطع النظير، إذ يحقق لنا أصالة سيرة كل من أنطونيوس ومقار يوس معاً^(٨٨).

ونحن نعتقد أن سيرابيون هذا المعتبر تلميذاً لأنبا أنطونيوس، هو الذي ترك جبل أنطونيوس بعد نياحة معلمه والتحق بشيبت، وصار رفيقاً لأنبا مقار الكبير وعاصره حتى نياحته. لذلك فكاتب سيرة أنبا مقار هو نفسه المسمى سيرابيون الكبير، ناسك نتريا الشهير، وقد ذكره سوزومين المؤرخ^(٨٩) كأحد الذين دافعوا عن معتقد مجمع نيقية. ويذكره المؤرخ جيروم^(٩٠) بين الذين

(86) Monuments, III (Musée Guimet, XXV, 1894).

(87) Bedjan, 205 (Deutsche Lit., Zeitung 1896, No. 12).

(88) Butler, L. H., II, 220.

(89) Sozom., H. E., 3, 13f.

(90) Jerome, Ep. 108, 14.

زارهم مع باولا السائحة في سنة ٣٨٦ م. وميلانية سنة ٣٨٧ م. ويذكره أيضاً المؤرخ بالليديوس مع أول من تعرّف عليهم في نتريا عند وصوله إليها سنة ٣٩١ م.: [وقد مكثت سنة كاملة في نتريا، وقد حصلت على مؤازرة عظيمة من كل من أرسيزيوس الكبير ووثوباسطس وأسيوس وكرونيوس وسيرابيون الكبير]. ومعروف أن كرونيوس أمضى فترة تلمذة طويلة لأنبا أنطونيوس، فجماعة نتريا بدأت في الواقع بتلاميذ لأنطونيوس، وظلت تتقبل الوافدين من دير بسبير والطبانسين سنة بعد سنة وخصوصاً بعد نياحة أنبا أنطونيوس سنة ٣٥٦ م..

ويؤكد المؤرخ سوزومين أن سيرابيون الكبير، ناسك نتريا المشهور، هو أحد رفاق أنبا أنطونيوس الذين عاشوا معه وخدموه وتعلموا على يديه^(٩١).

وكذلك فإن بطريرك يؤكد أن سيرابيون الكبير كان معدوداً ضمن مجمع رؤساء الآباء الذين وضعوا قانون الرهبنة المشهور باسم Regula Patrum^(٩٢).

ومن هذا يتضح أن سيرابيون الكبير عاش إلى ما بعد نياحة أنبا مقار. وهذا يرجح جداً أنه هو الذي اضطلع بكتابة كل ما رآه وسمعه عن حياة مقار يوس وزيارته لأنطونيوس مرتين، كشاهد عيان، وتلميذ صديق للأبوين الكبيرين أنطونيوس ومقار يوس.

٣ - سيرابيون المتوحد بشيبت المتحدث مع كاسيان :

وهو الذي تقابل معه كاسيان وأجرى معه المحادثات التي تسجلت تحت رقم ٥، (وربما ٣ و٤ أيضاً حسب تقدير بطريرك)^(٩٣).

٤ - سيرابيون الفيومي :

(من أرسينوا) وهو من أشهر الآباء الرهبان الذين تنسكوا في براري الفيوم. وكان رئيساً لعدة أديرة ومدبراً لعشرة آلاف راهب. وقد نقل إلينا (بترونيوس) شيئاً عن قصة حياته، وكيف أنه بمحبة أولاده (١٠٠٠٠ راهب) الذين كانوا يقدمون إليه جزءاً من مكاسبهم أثناء عملهم في الحصاد في كل سنة، استطاع وضع خطة شاملة ناجحة للقضاء على الفقر والتسول في كل المنطقة^(٩٤).

٥ - سيرابيون البسيط بشيبت :

وهو الناسك الفيومي الذي قاد حركة مقاومة الخطاب الفصحي لثاوفيلس البطريرك، الذي

(91) Sozom., H. E., VI, 30.

(92) Butler, L. H., II, 214.

(93) Butler, L. H., II, p. 214.

(94) Rufin., Hist. Monach., 18.

فقد فيه بدعة تصور الله بصورة إنسان (وللأسف لا يزال الكاثوليك يصورون الله الآب بصورة شيخ عجوز). وبسبب بساطة سيرايون وغيرته انضم إليه جميع رهبان شيهيت ما عدا بافنوتوس القس المترأس على الجماعة وقتئذ، الذي استطاع بحكمته أن يعيد الهدوء للبرية كلها ويقنع سيرايون بصحة وجهة نظر ثاوفيلس، وجعله يتنازل عن رأيه ويصلي مع الجماعة كلها بوحدة الرأي والفكر والإيمان (أنظر ص ٢٤٢). والمؤرخ كاسيان يقص علينا القصة بكاملها في كتابه (٩٥).

٦ - سيرايون أسقف دندرة (تانتيرا):

وهذا الأب المبارك المذكور في قصة أنبا باخوم باعتباره أنه هو الذي شجع أنبا باخوم على بناء ديره الكبير في تابنا (طبانسين)، وهي إحدى المناطق المتطرفة في أبروشية دندرة. وسيرايون هو أحد الأساقفة الذين وقّعوا مرسوم مجمع سرديقا سنة ٣٤٣ م. (٩٦)، وهو مذكور أيضاً في أعمال أثناسيوس ضد الأريوسيين. وكل قارىء لسيرة أنبا باخوم سوف يواجه اسم سيرايون كثيراً، ولذلك وضعناه هنا حتى نميزه عن بقية الأسماء الخاصة برهينة شيهيت.

٧ - سيرايون أو صرابامون المعروف بالسباني (٩٧):

وهذه التسمية ترجع إلى أنه كان يرتدي «سبانية» أي «جبة» واحدة من الكتان لا يخلعها أبداً. وقد رآه بالليديوس وتحدث إليه سنة ٣٩١ م. وقيل خطأ أنه لم يكن يعرف القراءة والكتابة، ولكن الحقيقة أنه كان متعلماً يجيد اليونانية جداً. وكان يحفظ أسفار الكتاب المقدس عن ظهر قلب، وهو صاحب معظم الأقوال التي جاءت تحت اسم «سيرايون» أو «صرابامون» في كتاب أقوال الآباء. ويقول بالليديوس أنه بعد أن أتقن الجلوس في القلاية، وحفظ الكتاب كله عن ظهر قلب، وضبط حفظ العقل جداً فلم يكن أي شيء يستطيع أن يشغل عقله إلا الإنجيل، خرج من قلايته مدفوعاً بغيرة رسولية مقدسة ليبشر في مصر والإسكندرية وخارج مصر. وقد اشتهر هذا الأب القديس بحبه للتبشير والكراسة وتثبيت إيمان الناس وتصحيح معتقداتهم بصورة جارفة، كما اهتم بنوع من التبشير نادر المثال يشهد له بعلو الفضيلة وقوة الشخصية وضبط الشهوة، وهو تبشير النساء المنحرفات والممثلين والممثلات من ذوي الشهرة الماجنة باعتبارهم مركز إفساد الشباب. ومن أعظم أعماله قصة توبة تاييس الخاطئة على يديه، التي بلغت شهرتها إلى أقصى أنحاء العالم، حتى أنهم من فرط تأثر رجال الغرب بهذه القصة، جاهدوا حتى حصلوا على جسدي تاييس وسيرايون بعد نياحتها وحلوهما إلى متحف جيمة Guimet بباريس. ويقال أنها لا يزالان راقدين هناك! (٩٨). ولكن قامت حديثاً إحدى البعثات الأثرية برئاسة مسيو

(95) Cassian Collect., X, 1-6.

(96) Bolland., Acta SS., 14 May iii, p. 303, 306.

(٩٧) كلمة السباني يونانية الأصل وتكتب σεβέννια، أي «ثوب من اللين».

(98) Butler, L. H., II, p. 216.

M. Gayet (٩٩) بحفائر في منطقة أنتينوا، فاكتشفوا إحدى المقابر للرهبان بجوار أحد الأديرة المخصصة للراهبات (الدير الذي أرشد سيرايون تاييس إليه)، ووجدوا في القبر الحجري هيكلًا متكاملًا ملفوفًا بسبانية وعلى وسطه حزام وقلنسوة وفي رقبة طوق حديد (كان يلبسه بعض النساك لإخضاع الجسد)، وعلى يافته خزفية موضوعة بجوار الجسد مكتوب هذه الكتابة

σεραπίων
κορλωσεθαλοτ

ويؤكد العلامة الفرنسي Nau (١٠٠) أن في المخطوطة السريرية لسيرة سيرايون (١٠١) تذكر القصة أن سيرايون بعد عودته من روما اتجه إلى دير باخوميوس، ومات ودُفن هناك في مقبرة حجرية. وإن الرهبان عند تحضيرهم الجسد للدفن وجدوا في رقبة طوقاً من حديد ومن حوله جروح غائرة. والعجيب أنهم وجدوا بجوار هذه المقبرة وامتداداً لها مقبرة أخرى تحوي هيكلًا لجسد امرأة، وعلى مكلس الحائط مكتوب هذه العبارة καιριαθαιαε (١٠٢). كل هذا جعل العلماء وبالأخص العالم Nau يعتبرون أن سيرايون وتاييس دفنا في هاتين المقبرتين المتجاورتين تخليداً لذكرى هذه الكرازة المقتدرة التي أنقذت من الجحيم نفساً طيبة، صارت مثلاً للقداسة والطهارة والتوبة العالية.

هذا الإكتشاف الجليل يؤكد كتاب «شرح الفردوس» لفيلوكسينوس، المخطوط رقم س ٩ مكتبة دير أنبا مقارص ٧٧.

فإذا أخذنا برأي العلامة Nau اعتماداً على الحفائر المذكورة والمدعمة بالأسماء المكتوبة، علينا أن نعيد النظر في الرواية التي أوردها بالليديوس عن سيرايون السباني في نهاية قصته أنه تبيح في روما ودُفن هناك (١٠٣).

والمذكور في أقوال الآباء عن هذا الأب أنه بشر بلاد خارج مصر، في فقر رسولي حقيقي. فذهب إلى أثينا وأسبرطا وروما، وتقابل مع علمائها وحبسانها، فقابل دومينوس (١٠٤) تلميذ أوريجانوس، وعلم منه أماكن النساك. وتذكر سيرته أيضاً أن غيرته في تخليص النفوس هناك جعلته يبيع نفسه عبداً مرات كثيرة حتى للممثلين والممثلات، ولا يتركهم حتى يأتي بهم إلى حضن المسيح تائبين. كما يُذكر عنه أنه أعطى سبانيته لإنسان فقير وسارعر ياناً في السوق، كما باع إنجيله وسدد به دين إنسان محكوم عليه، ولما سأله تلميذه عن إنجيله مصدر عزائه قال له:

(99) Anales du Musée Guimet, XXX, 35. & Crum Archaeological Report 1900.

(100) Histoire de Thais (A.M.G.) Ibid.

(101) Serapion Sindonita, by Bedjan (Acta Mart., 263-341).

(102) Ibid.

(103) Pallad., L.H., 37.

(104) Pallad., L.H., 83, 84.

«الذي أمرنا أن نبيع كل مالنا ونعطي للفقراء بعثته، وأعطيت ثمنه للفقراء، لكي يكون لنا شجاعة ضمير في اليوم الأخير».

والمتحقق لدى العلماء أنه تنيح سنة ٤٠٠ م. عن ستين عاماً (١٠٥). وتكرّم الكنيسة اليونانية (الروم) سيرة هذا القديس جداً وتعبد له في ٢١ مايو (١٠٦)، ولكنها تنعته باسم «الصيدوني» نسبة إلى «صيدا» خطأ، بدلاً من «السيبذوني» التي هي «السبانية» أي الرداء.

وفي نهاية هذه السيرة المباركة نلفت نظر القارئ إلى هذا النوع من الآباء الذي جعل الإنجيل حياته، فلم تستطع البراري أن تحذو بحبته لخلاص الناس، فانطلق من كل قيد يبشر ويكرز ويقود إلى التوبة أخطى الخطاة، حاملاً بريته المقدسة في قلبه، وعائشاً في وحدته النفسية والفكرية أينما حلّ، ضابطاً لفكره في السوق كما في القلاية، ومتقشفاً صائماً في السفينة كما في الصحراء، فقيراً جائعاً في شوارع أثينا أكثر مما كان في شبيبت!!

٨ - اسحق

يوجد اثنان من الآباء العظام بهذا الاسم: اسحق «نتريا» وهو المعروف بالصعيدى أو التبايسى، واسحق «شبيبت».

أولاً: اسحق «نتريا»:

وهو المدعو قس القلاي. وهو أصلاً من الصعيد، وتلمذ أولاً على مقار يوس رئيس دير بسبير. وقد رأى القديس أنطونيوس وتعلم منه عن الصلاة، كما هو مدوّن في محادثاته مع كاسيان في الحديث ٩ الفصل ٣١. وقد خلف القديس كرونيوس في رئاسة كنيسة نتريا سنة ٣٩٥ م. (١٠٧)، وذلك أثناء حياته لكبر سنه، إذ كان قد بلغ آنئذ ١١٠ سنة من عمره. وكرونيوس أبوه هو تلميذ أنبا أنطونيوس الذي عاش مع أنطونيوس فترة طويلة، وكان يعمل له مترجماً لأنه كان يجيد اليونانية. ولما حضر كرونيوس إلى نتريا تبعه اسحق بعد مدة. ومعروف أن اسحق قس القلاي تلمذ أيضاً على ثيودور البرامي بعد نياحة كرونيوس أبيه.

وقد ذكر بالليديوس اسحق «نتريا»، وتكلم عنه في حديثه عن يوحنا فم الذهب (١٠٨).

(105) Dict. of Chr. Biog., p. 614.

(106) Synax. Gr. Menaea.

(107) Hist. Monachor., Ch. XXVI. & Butler on Pallad., Ch. XXI.

(108) Dialog. Migne, XLVII, Col. 59, 60.

فقال إنه كان رئيساً لجماعة من المتوحدين في القلاي عددهم ٢١٠ ناسكاً. وكان مشهوراً بالمحبة الفائقة ولطف أخلاقه واتضاعه. وهو الذي كُتب عنه أنه قام ببناء أول مضيضة للزائرين والغرباء ومستشفى للمرضى في منطقة القلاي، بسبب بعدها عن «نتريا» وعن الريف. وكان مشهوراً بإتقانه لمعرفة الأسفار المقدسة، وقد برع في دراستها مثل سميّه اسحق «شبيبت». ويقول بالليديوس أنه أصابه الطرد من نتريا على يد ثاوفيلس ٢٣ بعد أن أمضى ٣٠ سنة في النسك وخدمة الكنيسة وضيافة الغرباء. وكان نفيه سنة ٤٠٠ م. مع سميّه اسحق قس شبيبت (والعجيب أن ثاوفيلس كان قد اختار عدة أساقفة من تلاميذ اسحق قس القلاي ورسمهم على كراسي هامة بسبب عظم تقواهم وعلمهم). ومن هذه البيانات نستدل أن اسحق ترهب في نتريا على يد كرونيوس سنة ٣٧٠ م. ومن قصته في أقوال الآباء نستدل أنه قدم إلى نتريا صغير السن، فلم يكن يتجاوز العشرين سنة: [كنت في شبابي وأنا صغير السن أسكن مع أنبا كرونيوس. وكان قد تقدم في السن، وابتدأت ترتعش أطرافه. ولما رأيت أنه لا يأمرني قط بأداء أي عمل بل يقوم بنفسه ليحضر القلّة لنفسه ولمن يكون عطشاناً منا، وليس كرونيوس فقط كان يعمل ذلك بل وثيودور البرامي الذي كنت أعيش معه أيضاً كان يعد المائدة بنفسه ويدعوني أن آكل؛ فلما رأيت ذلك قلت له: «يا أبي أنا جئت لأربح من خدمتك، فلماذا لا تأمرني لكي أعمل شيئاً؟». فلم يجبني بكلمة واحدة. فلما راجعه الشيوخ في ذلك قال لهم: «وهل أنا رئيس كنيويون حتى أمره؟ إنه حريفعل مثلما أعمل أنا». وهكذا بدأت أعرف على حاجات ومطالب الشيخ قبل أن يطلبها حتى أعملها في وقتها، كما بدأت أتعلم منه أن أعمل عملي في سكون] (١٠٩).

وقد عاد اسحق بعد نفيه سنة ٤٠٣ م. من فلسطين إلى نتريا. وقد أصيب في آخر أيامه بمرض شديد، يُعتقد أنه نزيف مستمر، بسبب البواسير، أنهك قواه فأقعده المرض زمناً طويلاً عن القيام بالخدمة. وفي ذلك ذكر عنه في أقوال الآباء: [إن أحد الإخوة عمل له طبيخاً (عصيدة بالقراصيا)، ولكن أباً اسحق رفضها بالرغم من توسلات الأخ الكثيرة لكي يأخذ منها قليلاً لأجل مرضه. فكان تعقيب أباً اسحق: «اسمع يا أخ: إني سأكون راضياً شاكراً لو عشت وأنا في حال مرضي هذا ثلاثين سنة»] (١١٠).

وقد كان هذا الأب القديس يستخدم تراب الشورية المتخلف عن الفحم والبخور كدواء

لشفاء مرضه (١١١).

(109) Apoph. Patr., Syr. V., p. 135.

(110) Dict. of Chr. Biog., Isaacus, p. 294.

(111) Apoph. Patr., Syr. V., p. 23.

ولما كان القديس اسحق قد تتلمذ أيضاً على يدي الأب بامو، فقد أخذ عنه الزهد والتقشف في الملابس. ولاسحق قس القلاي يُنسب الفضل في توصيل مبدأ بامو عن هذا الأمر: [أبا اسحق قس القلاي كان يقول دائماً إن أبنا بامو كان يعتقد أن حالة ملابس الراهب ينبغي أن تكون من الإتضاع، حتى أنها إذا تُركت خارج القلاية ثلاثة أيام لا يرضى أن يأخذها أحد] (١١٢). وكان اسحق قس القلاي يحكي للإخوة الجدد أن: [ملابس الآباء الشيوخ الذين رأهم وملابس بامو بنوع مخصوص كانت قديمة موصولة ومرقعة بخرق، أما أنتم الآن فتلبسون ملابس جديدة وغالية، لقد أفسدتم ناموس هذه البرية وخربتموها. أمضوا من هنا فلن أعطيكم وصايا لأنكم لا تحفظونها] (١١٣).

وكان هذا الأب الفاضل اسحق قس القلاي مشهوراً بالتحفظ الشديد، وكان دائماً يروي قصة الراهب الذي اشتبه أن يفرك سنبلة قح أثناء عمله في الحصاد فاستأذن صاحب الحقل الذي اندهش لطلبه، وأدرك مقدار تحفظ الرهبان (١١٤).

ويقص هو عن نفسه أنه ظهر له مرة الشيطان، مطلقاً من الطاقة، يقول له: أنت صرت من أتباعنا. فلما استفسر عن علة الأمر وفحصه مع نفسه، تذكر أنه تجرأ على الإشتراك في جسد الرب ودمه ثلاث مرات على ثلاثة أسابيع وهو غير صافح عن أحد الإخوة. فللحال قام مسرعاً إلى هذا الأخ وطلب منه الصفح والسماح ببكاء وتوسل. ومرة ذهب إلى قلايته وهو حاقد على أحد الإخوة بعد أن طرده من الكنيسة، فقابله ملاك الله وقال له: الله يقول لك أين تريد أن نلقي بأخيك الذي طرده وأدنته؟ فندم في الحال وأعاد الأخ.

وقد اشتهر هذا الأب الفاضل بغيرته على السيرة الرهبانية وسهره على قطع أسباب العثرات فكان يمنع الرهبان صغيري السن، دون ١٨ سنة، من الرهينة. وكان يعزو خراب الأربعة أديرة إلى وجود رهبان صغار منحلين: [لا تحضروا هنا شباناً صغاراً. فقد تخربت أربعة كنائس شيهيت بسبب هذا الأمر]. ومن هذا القول نتبين أنه عاش بعد الغارة الأولى.

وكان اسحق قس القلاي غيوراً على الحشمة فيما يخص ملابس الراهب. وقد حُكي عنه: [دخل أخ الكنيسة في القلاي (سيليا)، لابساً كوكلسة (غطاء الرأس النازل على الظهر) قصيرة عن المعتاد، فطرده اسحق قائلاً: «إن هذا الرداء الذي تلبسه رداء رهبان وقد حولته أنت إلى رداء علمانيين، فلا ينبغي أن تبقى في وسطنا»] (١١٥).

(112) Apoph. Patr., Syr. V., p. 48.

(113) Apoph. Patr., Syr. V., p. 50.

(114) Apoph. Patr., Syr. V., p. 87.

(115) Dict. of Chr. Biog., Isaacus, p. 294.

وقد شغل اسحق قس القلاي مركز أحد الكهنة الثمانية الذين يدبرون كل نتر يا وشيهيت، وذلك طول حياته، خلفاً لأبيه القديس كرونوس الذي كان رئيساً على الثمانية. [وعند دنو ساعة نياحته اجتمع تلاميذه حوله باكين وسألوه: ماذا تشير علينا أن نعمل من بعدك؟ فقال لهم: اجتهدوا أن تسيروا كما كنت أسير بينكم، والله قادر أن يحافظ عليكم، وإلا فلن تستقيم لكم السكنى في هذا المكان].

ثانياً: اسحق «شيهيت»:

وهو قس المتوحدين بشيهيت. ومعروف عن هذا الأب الفاضل أنه قدم إلى شيهيت صغير السن جداً، إذ ترك العالم وانضم إلى زمرة آباء شيهيت وهو ابن ٧ سنوات، وتولى تربيته القديس أبنا مقار الكبير، وابتدأ يتعلم على يديه الأسفار المقدسة في هذا السن حتى شب على حبها وأتقن حفظها بطلاقة وعن ظهر قلب، وقد اشتهر بطهارة السيرة إلى أقصى حد حتى تصالحت معه الوحوش، فقد كان يمسك الحيات والعقارب بيديه دون أن تؤذيه... وقد أغرم بالوحدة إلى أقصى حد فعاش أميناً لها خمسين سنة، وترأس على ١٥٠ متوحداً، وقد كان القديس أثناسيوس شديد الشغف بسيرته دائم السؤال عنه، وقد ورد اسمه في الرسائل المتبادلة بين أثناسيوس وأمونيوس قبل سنة ٣٦٣ م. (١١٦). وقد نُفي على يد ثاوفيلس البطريرك الـ ٢٣، سنة ٤٠٠ م.، وهو ابن خمسين سنة مع سميته اسحق قس القلاي وثلاثمائة آخرين من متوحدي نتر يا والقلاي وشيهيت، وكان من بينهم هيراكس تلميذ أنطونيوس وكان ابن ٩٠ سنة.

ويحكي عن هذا الأب الفاضل أنه (لما أراد شيوخ شيهيت أن يقدموه عليهم كاهناً، قام وهرب إلى مصر (منف) ناحية الريف واختفى في حقل، وكان أن الآباء الشيوخ قاموا بأنفسهم وسافروا خلفه خوفاً عليه وتقصوا جُرتَه حتى بلغوا الريف، ولما أعبوا من المسير جلسوا يستريحون، فانفك منهم الحمار وأخذ يسرح في وسط الحشائش حتى جاء ووقف عند اسحق وهو محتجب، فكان واسطة لإكتشاف مخبئه، فلما أرادوا أن يقيدوه استسلم لهم قائلاً: «الآن علمت أنها إرادة الله فاذا ينفع هروبي!»، ورسموه قساً سنة ٤٠٣ م. أي بعد عودته من المنفى أيام اضطهاد ثاوفيلس (١١٧). علماً بأن هذه القصة تنسب خطأ إلى اسحق قس القلاي، ولكن ذكر شيوخ شيهيت وذكر ريف مصر (منف) في القصة ينفي نسبتها إلى اسحق قس القلاي، ويحددتها بشخصية اسحق قس شيهيت.

وقد ظل اسحق قس شيهيت يعيش ويُروى عنه حتى سنة ٤٠٨ م. ولا يُعلم متى تنجح هذا الأب الفاضل.

(116) Acta SS., May III, Appendix, p. 71.

(117) Apoph. Patr., Syr. V., p. 307. & Dict. of Chr. Biogr., Isaacus, p. 294.

«تادرس»، أو «تودري» هي الأصح.

عاش في القرن الرابع عدة شخصيات باسم «ثيودور» مذكورة أسماؤهم في تاريخ الآباء، وهم أقوال. وأهمهم ما يلي:

١ - ثيودور تلميذ آمون: وسيرته مذكورة في ص ١٩٤.

٢ - ثيودور الإسكندراني: الذي كان يعيش في الدير التاسع (إناتون τὸν Ἐνάτον) بظاهر الإسكندرية، وله أقوال قليلة في كتاب الأبوفثجماتا. ومن أهم أقواله: [إن كان الله سبحانه علينا إهملنا وتشتتنا في صلاة المزامير ويحاسبنا عليها، لما خلص راهب] (١١٨).

وقد جاء خبر عن هذا الأب الفاضل في البستان العربي المطبوع: [ذهبنا مع إخوة إلى دير بظاهر الإسكندرية على بعد ١٥ ميلاً (وهو المسمى بالدير التاسع) فلقينا أبا تودري (ثيودوروس الإسكندراني). وكان رجلاً كثير التعب في الرهبنة ومعه موهبة الصبر... وقد حدثنا عن الدعوى] (١١٩).

وثيودور الإسكندراني رأى ميلانية الصغيرة سنة ٤١٢ م.، وتحدث معها. وقالت هي عنه إنه نبي وله مواهب النبوة.

٣ - ثيودور تلميذ باخوم: وهو المشهور باسم تادرس، وسيرته موجودة بكاملها في كتاب حياة باخوم.

٤ - ثيودور شيهيت: وكان موطنه مصر (منف) من الريف المتاخم لمنطقة أهرامات الجيزة. لذلك دُعي في التاريخ باسم ثيودور البرمي (وتكتب خطأ الفرمي). وهو الذي غادر شيهيت على أثر غارة البربر سنة ٤٠٧ م. وأقام بالقرب من موطنه الأصلي في جبل بي هرما ^{περήμε} (١٢٠) المتاخم لمصر (منف)، في الطريق الذهاب إلى شيهيت. ونعتقد أنه هو الجبل المتاخم للأهرام أي منطقة الأهرامات في الجيزة الآن حيث كانت هناك عدة أديرة، وكانت ملجأ دائماً لرهبان شيهيت بعد كل غارة.

(118) Dict. of Chr. Biogr., Theodorus, p. 955.

(١١٩) البستان العربي، طبعة ١٩٥٦، ص ٢٨٣.

(١٢٠) وقد جاءت مرة أخرى في كتاب أقوال الآباء هكذا: Parmûs ص ١٧٤ النسخة السريانية المترجمة، وجاءت مرة أخرى هكذا: Perâmê ص ٢٣٠ في نفس الكتاب. وهذا أقرب ما يكون لنطقها بالإنجليزية Pyramid حيث أن الحرفين الأخيرين id تدل على الناحية مثل: Thebaïd Thebee

ولقد تحير العلماء جميعاً في تحديد موضع جبل Phermê أو Peremê، فمنهم من قال إنها جنوب بحيرة مريوط، ومنهم من قال إنها بين نتر يا والقلالي، ومنهم من قال إنها بالقرب من ترنوط، ومنهم من قال إنها قرب الواحات. ولكن بالليديوس وصف الموقع بكل دقة وتحديد بحيث لم يترك مجالاً لمثل هذا التخبط. فقد شرح بالليديوس في الفصل العشرين موقع جبل أوبرية البيرما Phermê هكذا: [يوجد بمصر (منف) جبل يدعى بيرما في الطريق الذهاب إلى شيهيت نحو الصحراء (أنظر الخريطة في الملزمة الأولى من الكتاب). في هذا الجبل يسكن خمسمائة راهب في حياة نسكية]. لذلك فإن هذا الجبل هو، بما لا يقبل الشك، منطقة الهرم بالجيزة الآن. وهذا يؤكد أن هررب ثيودوروس من شيهيت، على أثر غارة البربر الأولى، كان أساسه هو الإلتجاء إلى هذا المكان الأمين، لأنه بركة تصلح للتوحد وفي نفس الوقت بالقرب من العاصمة مصر (منف). ومن غير المعقول أن جبل بيرما يكون بجوار شيهيت أو نتر يا حيث مكان الخطر. كذلك من المعروف تاريخياً أن منطقة مصر (منف) كانت ملجأ دائماً للرهبان الهاربين من وجه الغارات على ممر العصور. كذلك فإن كلمة Phermê وإن كانت تكتب باليونانية Φέρμη فهي أصلاً مأخوذة عن القبطية. فالحرف الأول Φ هو أداة التعريف وهو ليس من أصل الكلمة. وقد جاءت في كتاب الأقوال عن القبطية رأساً ^{ἡγερωικ} (١٢١)، كما جاءت أيضاً Parmê ص ٤٦، ومرة أخرى هكذا Perâmê (١٢٢) حيث يبدو الحرف الأول الذي هو أداة التعريف بنطقه الصعيدى. وهنا يقترب النطق القبطى الصعيدى جداً من الأصل الذي أخذت عنه الإنجليزية Pyramid حيث الزيادة الأخيرة id هي لإطلاق الإسم على الناحية. لذلك فإن النطق الأصلي للكلمة العربية ينبغي أن يكون البرمي وليس الفرمي، حيث الفرما هي مدينة أخرى بجوار بورسعيد شرقاً ولا محل لها هنا في سيرة ثيودور على الإطلاق. أما لقب برامي فترادفها بالعربية الآن «الجيزاوي»! ومن الأمور التي تلقي ضوءاً على طبيعة منطقة «برما» هذه أنها بالقرب من مصر (العاصمة). راجع القصة التي وردت عن زيارة أمير البلاد مع حاشيته للقديس ثيودور في قلايته أنظر ص ٢٨٠.

وهذا الأب الفاضل هو الذي زاره كاسيان، وأخذ منه الحديث رقم ٦ في كتاب المحادثات، وذلك قبل أن يرحل ثيودور من شيهيت إلى جبل «بيراما». وقد أعجب به كاسيان أشد الإعجاب ووصف قداسته وحكمته ومعرفته العميقة بالكتاب المقدس التي اكتسبها، لا بالتعليم ولا بالدراسة الحرفية، وإنما بواسطة نقاوة القلب. حتى أنه عندما كانت تقابله صعوبة في فهم الأسفار كان يقضي سبعة أيام مصلياً ومتأملاً، حتى تشرق عليه المعرفة بإعلان سماوي (١٢٣).

(121) Apoph. Patr., Syr. V., p. 174.

(122) Apoph. Patr., Syr. V., p. 230.

(123) Cassian Instit., Book V, Ch. 33.

وعندما زاره كاسيان كان ثيودور مقيماً في منطقة القلاي. وكانت القلاي تُدعى في نهاية القرن الرابع أيضاً «شيهيت» تجاوزاً (١٢٤).

ولكي يميزه الآباء عن سميته المشهور ثيودور تلميذ آمون الكبير، فدعوه باسم «ثيودور البرامي» لأنه من منطقة البراما أصلاً.

وكان مشهوراً بحبه الشديد للوحدة، حتى أن رفيقه وصديقه أنبا يوسف الكبير كان مريراً جداً فأرسل إليه يستدعيه لإفتقاده وكان وسط الأسبوع. فكان رد ثيودور: «إنه عندما يأتي يوم السبت سيحضر لإفتقاده إن كان لا يزال حياً، أما إذا كان قد مات فسوف يراه كثيراً في السماء» (١٢٥).

وقد كانت في حياة ثيودور البرامي معاناة كثيرة بسبب جهاداته ونسكه الذي أمضى فيه أكثر من ٧٠ سنة، حسب ما يروي. هو عن نفسه: [كان أخ يعيش بمفرده في الوحدة، وقد أضنته أفكاره جداً. فقام وكشف أفكاره لأبا ثيودور البرامي، فقال له الشيخ: «اذهب واتضع بقلبك، واخضع فكرك، وعش في المجمع مع الإخوة». فقام وذهب إلى المجمع وعاش هناك كما قال له الشيخ. ولكن سرعان ما أفلقت أفكاره مرة أخرى، فقام واشتكى للشيخ إنه لا يريد أن يعيش مع الناس، فقال له الشيخ: «في الوحدة لا تتنحى، وفي المجمع لا تريد أن تعيش، فلماذا لبست إسكيم الرهبنة؟ ألا ينبغي عليك أن تحتل التجارب، التي تأتي عليك، بصبر؟ قل لي كم لك في هذا الطريق؟»، فأجابه الأخ: «ثماني سنوات»، فقال له الشيخ: «هوذا الآن لي سبعون سنة في هذا الطريق ولم تصادفني فيه ولا راحة واحدة حتى اليوم، وأنت تريد الراحة تأتيك في ثماني سنوات؟» [(١٢٦).

وقد عاصر ثيودور البرامي القديس أنبا مقار الكبير، وتعلم منه التجرد والفقر الكلي. فقد ذهب إليه مرة يستشيريه أيها أفضل أن يُبقي على ثلاثة كتب قيّمة لمنفعة نفسه والإخوة، أو أن يبيعها ويحيا حياة التجرد. فأشار عليه الأب الكبير أن يبيعها أفضل قائلاً: «إن تعلم النسكيات حسن، ولكن أفضل الكل الفقر الاختياري». فقام وباعها وأعطى ثمنها للفقراء (١٢٧).

وكان ثيودور واضحاً صريحاً في سلوكه، أصيلاً في تصرفاته. فقد زاره مرة وهو في براما أمير البلاد، وكانت عليه القصارية فقط بدون الكوكوله وصدرة عارياً. فما كان من تلميذه إلا أن

(124) Cassian Confer., p. 352.

(125) Dict. of Chr. Biog., p. 955.

(126) Apoph. Patr., Syr. V., p. 62.

(127) Apoph. Patr., Syr. V., p. 46.

أحضر الكوكوله بسرعة وحاول وضعها حول كتفه. ولكن القديس مسكها وطرحها بعيداً عنه. فلما خرج الأمير عاتبه تلميذه خوفاً من عثرة الناس، فقال له ثيودور: «دعه يذهب يا أباً. هل سننظر نخضع لآراء الناس ومشيئاتهم؟ نحن نعمل عملنا والذي يريد أن ينتفع فلينتفع. ومن يريد أن يعثر فليعثر. أما أنا فسأواجه الناس كما أنا». وأمر تلميذه قائلاً: «إن أتاني أي إنسان ليراني، فلا تقل له شيئاً حسب سياسة الناس، بل قل له ما أنا عليه. فإن كنت أكلاً قل له إنه يأكل، وإن نائماً قل له إنه نائم، وإن مصلياً قل له إنه يصلي» (١٢٨).

وكان يقول دائماً إن الراهب الذي يحيا حياة التوبة، ليس عليه أن يهتم بناموس الناس (١٢٩).

وكان ثيودور لا يعلم قط بالكلام ولكن بالعمل. وهو الذي علم اسحق قس القلاي الذي تتلمذ على يديه بعد موت كرونيوس كيف يعمل ويخدم في صمت وبدون سؤال أو إشارة أو توجيه منه. أنظر ص ٢٧٥.

وعندما هجم البربر على شيهيت في الغارة الأولى تشتت الشيوخ في أماكن عديدة. وقيل عن ثيودور البرامي أنه قام وانحدر إلى جبل برامي (موطنه)، وعاش هناك (١٣٠).

وقد حزن ثيودور إذ وجد الرهبان هناك يهتمون بعمل اليدين كأساس، أما العمل الروحي فيأتي كيفما اتفق؛ بعكس ما تعلمه في شيهيت حيث كان العمل الروحي هو الأساس، أما عمل اليدين فيأتي تابعاً (١٣١).

وقد قدّم لنا هذا الأب الفاضل ثمرة صالحة كعينة ممتازة من تعاليمه، في شخصية اسحق قس القلاي. مع أن ثيودور نفسه رفض أن يمارس وظيفته حتى كشماس، بالرغم من إلحاح جماعة الآباء الشيوخ عليه مراراً!! لأنه كان حريراً من جهة السبح الباطل مجتهداً دائماً أن يتجنب حتى ملاقاته الناس. [وقد قيل عن أرسانيوس وتادرس البرامي أنها كانا مبغضين للسبح الباطل جداً أكثر من غيرهم من الناس. فأرسانيوس كان لا يلتقي بالناس جملة، وأما تادرس فكان يلتقي بهم، ولكنه كان يجوز بينهم بسرعة كالسهم] (١٣٢).

أما علم ثيودور وأما معرفته فكانت عن أصالة ودراية وخبرة عملية. ولم يكن يطبق أن

(128) Apoph. Patr., Syr. V., p. 145.

(129) Apoph. Patr., Syr. V., 185.

(130) Apoph. Patr., Gr. V., Theod., XXVI.

(131) Apoph. Patr., Gr. V, Theod., X.

يتحدث أو يسمع عن شيء لم يحثبه: [مرة جاء أخ إلى أنبا تادرس البرامي يستقصي عن أمور لم يصل إليها بعد ولا مارسها قط، فقال له الشيخ: كيف تدعي وصولك إلى المدينة قبل ركوبك السفينة؟ أو لئى بك أن لا تتحدث في أمر ما إلا بعد اختباره أولاً] (١٣٣).

وكانت معاملته للناس تتم عن إفراز وكرم وهمة عالية: [جاء مرة إنسان يبيع بصلاً (في بيرانا) فابتاع منه كيلاً وقال لتلميذه: «امض واملاً الكيل قحاً». وكان يوجد نوعان من القمح نوع جيد وآخر رديء، فضى التلميذ (ولعله اسحق قس القلاي أيام تلمذته) وملاً الكيل من القمح الرديء. فنظر إليه الشيخ بحزن، فوقع الكيل وانكسر (من الفخار)، فصنع الأخ مطانية. ولكن الشيخ قال له: «ليس الخطأ منك ولكن الخطأ خطي لأني قلت لك»، ثم دخل وملاً ججره من القمح الجيد ودفعه للرجل] (١٣٤).

وكان ثيودور قنوعاً في مأكله: [قيل أنه لما خرب الإسقيط، أتى فسكن البراما. وشاخ وتقدم في الأيام، فضعفت قواه. فكانوا يأتونه بالأطعمة، ولكنه كان يعطيها لكل من يطرقه] (١٣٥).

ومن سيرة هذا الأب الفاضل نعلم أنه أمضى في الحياة الرهبانية أكثر من ٧٠ سنة، فإذا أضفنا عليها ٢٠ أخرى قبل مجيئه إلى الدير، تكون سنو حياته أكثر من ٩٠ سنة. وبما أنه عاش بعد الغارة الأولى إلى ما بعد سنة ٤٠٧ م، يكون دخوله للرهبنة قبل سنة ٣٤٠ م، ويكون قد عاصر بذلك كل القديسين الكبار، وبالأخص القديس أنبا مقار الكبير، وأخذ عنه هذه المثل والصفات الرهبانية الفاضلة.

١٠ — إشعياء الإسقيطي

شخصية من كبار الآباء الشيوخ الذين ظهروا في شيهيت في القرن الرابع، عاصر القديس مقاريوس الكبير، ورافقه كثيراً، وتعلم منه. وكان تلميذاً أيضاً للشيخ أخيلس الذي دربه على النسك الشديد، فشب نحريراً ومدبراً للرهبان من أعلى طراز، وقد كان رئيساً من ضمن رؤساء الكنيسة في شيهيت. وكان ضمن مشاهير النساك في شيهيت الذين شغف بهم البابا أنناسيوس، وكان يسأل عنهم في رسائله التي كان يتبادلها مع أمونيوس (١٣٦): [وقد سألتني (أباً أنناسيوس

(١٣٣) البستان العربي، طبعة ١٩٥٦، ص ١٠٣.

(١٣٤) و(١٣٥) شرحه، ص ١٠٤.

(136) Acta SS., May III, Appendix, p. 71.

البطريرك) عن النساك القديسين المتوحدين: باثيسوس وأخويه و پول و بيشوي وإشعياء و بيسير واسحق (قس شيهيت) و پول].

وترك عدة مقالات في التدبير الرهباني ووصايا للمبتدئين، موجودة كلها في مجموعة الباترولوجيا جريكا (١٣٧). أهمها:

- ١ — ميمر عن المنافع العظمى للنفس.
- ٢ — أخبار عن الإثني عشر سائحاً (الآباء المتنقلين).
- ٣ — كيف يسلك الإخوة معاً.

وكتابات أخرى قيّمة غير موجودة في مجموعة الباترولوجيا وُجِدَت في مصادر أخرى هامة باللغة السريانية (١٣٨) مع سيرته المطولة (١٣٩). وقد اهتم به السريان جداً ورفعوه إلى أعلى مستوى من التكريم، مع أنه قبطني صميم، وذلك لأنه أمضى بقية حياته هناك عندهم مع تلاميذه الكثيرين (١٤٠)، الذين خرجوا من مصر وتركوا شيهيت ضمن الذين تشتتوا في أنحاء العالم بعد غارة البربر الأولى سنة ٤٠٧ م، وأقاموا جنوب مدينة نصيبين على نهر موسكاس، وانضموا لرهبنة القديس يوجين (أو أوكين)، أول من أدخل الرهبنة إلى سوريا وبلاد فارس.

وقد وصلتنا أخبار هجرته إلى سوريا من كتابات المؤرخ بطرس الإيبيري Iberian ابن ملك الإيبيريين الذي وقع في أسر ثيودوسيوس الثاني. ويقول: [وأني أذكر أيام أن جاءوا بي من قصر (أبي) الملك وكنت آنثذ صغيراً، إني ذهبت إلى جبل الفسجة الذي يقع عبر الأردن تجاه الشرق، وسمعت خبراً عن أحد عظماء رهبان شيهيت كان يسكن هناك في هدوء وسلام، وكان قد جاء من شيهيت مع جمع كبير من الرهبان الذين كانوا معه في شيهيت وتركوها إثر غارة المازيس (البربر) التي وقعت على الأديرة هناك. وأخذت أترجى... وهذه القلاية التي ترونها الآن هي القلاية التي عاش فيها القديس أربعين سنة دون أن يغادرها... فقد كان ناسكاً ونبياً ومملوءاً من نعمة الله] (١٤١).

ويجئنا السنكسار القبطي الكبير ويكشف لنا عن شخصية أنبا إشعياء، أنه هو بعينه هذا الراهب العظيم والنبي المصري الذي جاء من شيهيت، فيقول تحت أول كيهك: [في هذا اليوم تنيح الراهب القديس بطرس الرهاوي الأسقف. هذا كان من جنس كرم فأعطوه لثيودوسيوس

(137) Migne, Patr. Gr., XL.

(138) Wright's Cat., Syr. Mss., Vol. II, p. 458-465.

(139) Syriac Cod. (dccccLX), A.D. 1197, Brit. Mus. & Wright's Cat., Syr. Mss. pt. III, p. 1129.

(140) Dict. of Chr. Biog., Isaias, p. 301.

(141) Ev. White, II, p. 157.

الملك ليصير أميراً (يظهر أنه وقع خطأ في النسخة وكانت «ليكون أسيراً»). وكان يستعمل النسك والعبادة في بلاط الملك وكان عمره وقتئذ ٢٠ سنة. وبعد هذا خرج (أطلقوا سراحه)، وترهب ثم جعل أسقفاً على أورشليم رغباً عنه. وقيل أن أول قداس قدمه فاض الدم بغزارة من الجسد الذي كان قدامه على المذبح حتى ملأ الصينية... وفي أرض فلسطين اتفق اجتماعه بالقدّيس أنبا إشعيا المصري، واتصل خبره إلى الملك زينون فاشتهى أن يبصره، فلم يقبل لأنه كان يهرب من مجد هذا العالم [١٤٢].

ومن الخبر الذي أورده بطرس الإيبيري نعلم أن القدّيس إشعيا الإسقيطي عاش في الشام (سوريا) أربعين سنة متغرباً عن شهيته، بعد غارة البربر التي وقعت سنة ٤٠٧ م. أي أنه تنيح سنة ٤٤٧ م. تقريباً، وذلك في اليوم الحادي عشر من شهر أبيب. وقد قننته الكنيسة، ويذكره السنكسار تحت هذا اليوم. فلو علمنا أنه رأى القدّيس أنبا مقار وتلمذ عليه بل وكان ناسكاً عظيماً ومشهوراً في شهيته في زمن مراسلات البابا أنبا أثناسيوس مع أمونيوس حوالي سنة ٣٦٣ م.، كان هذا يعني أنه بدأ حياته الرهبانية قبل ذلك، أي أنه دخل شهيته سنة ٣٥٥ م. تقريباً. فإذا كان إشعيا ترهب في الثامنة عشر من عمره، يكون إشعيا قد وُلد سنة ٣٣٧ م. وتنيح سنة ٤٤٧ م. أي أن سني حياته كانت تربو على المائة والعشر سنين.

وينبغي أن نفرق بين أنبا إشعيا الإسقيطي الذي تغرب في سوريا بعد غارة البربر الأولى وعاش جنوب مدينة نصيبين على نهر الماسكاس مدة أربعين سنة وتنيح سنة ٤٤٧ م.، وبين إشعيا آخر عاش في غزة وتنيح سنة ٤٩٠ م. وإشعيا الغزاوي ليست له كتابات مأثورة، أما إشعيا الإسقيطي فله عدة مقالات جُمعت في كتاب له معروف باسم نسكيات إشعيا: «الأسيتيكون»، وفيه ثلاثون مقالة.

وقد احتفظت أقوال الآباء «الأبوفثجماتا» (النسخة السريانية) بسبعة أقوال، أما النسخة اليونانية فاحتفظت له بأحد عشر قولاً. أما أقواله المحفوظة بالسريانية والحبشية والقبطية، والتي بقيت مجهولة فترة طويلة، فهي كثيرة جداً. أما البستان العربي المطبوع فأمدنا بكمية لا بأس بها من تعاليمه ووصاياه وأقواله المشهورة. ولعل من طرائف غيرة هذا الأب القدّيس على التعلّم والاستفادة من أقوال الشيوخ، أنه جلس مرة يسجل حواراً بين القدّيس أنبا مقار الكبير وبعض رهبان أديرة ظاهر الإسكندرية الذين جاءوا يستفسرون عن بعض الأمور من أب البرية الكبير.

كتابات القدّيس أنبا إشعيا الإسقيطي:

لقد ظلت كتابات أنبا إشعيا النسكية منتشرة بين الرهبان في الشرق المسيحي كله، وبكافة

(142) R. Basset, Kiahk I, p. 367.

اللغات القبطية والسريانية والحبشية واليونانية، كمصدر إلهام ومعرفة نسكية عميقة. ولم تكن معروفة عند الغرب إلا على هيئة بعض أقوال متناثرة في كتاب «قانون السلوك» للقدّيس الغربي بنوا دانيان: «Benoit d'Aniane» (P.L. 103, 427-434) وقد نُشرت أقواله في ترجمة لاتينية في فينيسيا (البندقية) سنة ١٥٥٨ م.، ونُقلت هذه الترجمة وأُدججت في مجموعة الباترولوجيا اليونانية Migne, P.G., 40, 1105-1206 ثم قام العلماء بعد ذلك بنشر أقواله على فترات متتابة في سنة ١٩١١، ١٩٥٦، ١٩٦٢، ١٩٦٩ مع تحقيقات ومطابقات النسخ السريانية والقبطية واليونانية معاً، وألحوا جميعاً إلى أهمية هذه الأقوال، إلى أن قامت جماعة رهبنة «بل فونتان» سنة ١٩٧٠ م. «Abbaye de Bellefontaine» بالترجمة الفرنسية لكل أقوال أنبا إشعيا في كتابه المسمى: «الأسيتيكون Asceticon» أي نسكيات إشعيا. والكتاب بالقطع المتوسط في ٣٠٠ صفحة، ويحوي ثلاثين موضوعاً من الموضوعات النسكية الهامة، وأشارت الترجمة إلى فائدتها الكبيرة في هذه الأيام. ونحن نقدم هنا رؤوسها للقارئ ثم نعلّق على مضمونها باختصار سريع، لأننا بصدد ترجمتها وتقديمها لقراء العربية قريباً إن شاء الله.

المنهج النسكي والروحي في كتابات إشعيا الإسقيطي

إن كتابات إشعيا الإسقيطي بدأت تأخذ مجراها التأثيري الكبير في الفكر المسيحي لدى الشرق كله، لدى الرهبان الأقباط والسريان واليونان، منذ القرن السادس. ولا تزال تعاليم إشعيا الإسقيطي مصدراً حياً فعالاً في الفكر الرهباني في كل العالم حتى اليوم.

ويمكن تقسيم تعاليم إشعيا الإسقيطي بحسب ما جاء في هذه المقالات الثلاثين إلى اتجاهين أساسيين:

الاتجاه الأول: اتجاه عملي نسكي صرف، يقوم على أساس إنجيلي واضح.

الاتجاه الثاني: اتجاه تعليمي فكري، وتسنده النصوص الكتابية دائماً.

الاتجاه الأول: النسك العملي عند إشعيا:

١ - احترام القوانين النسكية:

الاتجاه العملي النسكي عند إشعيا يبدو جاداً صارماً. ففي المقالة الثامنة نسمعه يقول

لأولاده:

+ إذا أراد أحد أن يبقى معنا هنا، عليه أن يلتزم بتقليد الآباء الذي تسلمناه منهم، ولا تطلبوا أن أكون لطيفاً معكم لأن هذا سيضر بخلاصكم، فإذا لم يلتزم كل واحد منكم بالطاعة وأراد أن يسير بحسب مشيئته الشخصية، فليغادرنا بسلام؛ وإني بريء من دمه أمام الله، ودمه سيكون على

رأسه يوم الدينونة .

+ أما أنا فكنت مع أبي القديس (أخيلس) أنا وأخوأي، نسلك بحسب إرشاداته التي كان يكتبها لنا بخط يده .

ونسلم أبا إشعياء أيضاً في المقالة الثامنة يخاطب بطرس تلميذه قائلاً:

+ لا تهمل أن تحفظ ذلك يا أخ بطرس وإلا أبعثتك خارجاً، ولن أجعلك تعيش معي .

وفي مقدمة كتاب الأستيكون (نسكيات إشعياء) المطبوع في موسكو، نجد ملخصاً لمبادئ إشعياء؛ وتقول المقدمة إنه حرص على عدم قبول أي واحد من التلاميذ إلا إذا تعهد بقبول القانون العام بكل إصغاء ودقة، وكان يكتب لهم كل القوانين حتى لا يقدر التلاميذ على التهرب من اتباع متطلباته .

ونجد عناوين هذه النصائح والقوانين هكذا: (وصايا للمبتدئين)، (القوانين التي يجب أن يتبعها كل من ترك العالم)، (إلى الإخوة الذين أتوا بغرض التعليم والتوحد).

٢ - خوف الله حتى النهاية:

وكان الهادي الأول للطريق النسكي لدى إشعياء هو خوف الله . فكلمة خوف الله تتردد على كل صفحات كتابه:

+ لكي لا تبعد عنك خوف الله .

+ لكي يسكن خوف الله فيك ...

+ لئلا تخطيء إلى الله وتغيظه فيتركك خوف الله ...

+ لأننا لا يمكن أن نستبين بخوف الله لأنه يرى كل شيء ...

+ تذكر الله لأنه دائماً يراك ...

+ أعلم أن الله ينظرك في كل ما تفعله ...

+ إجعل فكرك مكشوفاً لله حتى يحفظك ...

٣ - محاسبة النفس:

والبوصلة التي ترشد إلى صحة المسير من عدمه هي محاسبة النفس وعدم تشتت الذهن:

+ إن زهد الروح لا بد يصل إلى كراهية التشتت .

+ يلزم أن تتذكر كل يوم فيما أخطأت، وتطلب الغفران، امتحن نفسك . اكشف نفسك لأبيك لأن هذا يساعد كثيراً في معرفة الذات وإصلاحها .

+ ينبغي للراهب الشاب أن يسلك بمعرفة .

٤ - المعرفة العملية:

المعرفة عند إشعياء الإسقيطي هي الإفراز والتحكم والتأمل في أحوال النفس، وهي تحتل مكانة عظيمة في نسكياته، فهو دائماً يبدأ في كل مناسبة يقول:

+ طوبى لمن كانت أعماله بمعرفة .

+ طوبى لمن سلم نفسه لله بمعرفة .

+ الذي ليس عنده معرفة ليس عنده خوف الله ...

٥ - الإلتضاع بالمعاملة:

الإلتضاع عند إشعياء هو حالة عملية لا يمكن ممارستها أو التفويضها إلا بالمعاملة مع الناس .

+ يستحيل أن يملك علينا السلام الداخلي إذا لم نكن في سلام مع الناس، ولا يمكن أن تكون في سلام مع الناس إلا إذا كنت لا تفكر في نفسك أنك شيء، اخفض نفسك، انزع رغباتك، لا تكن عنيداً .

الحياة الرهبانية لا يمكن أن تبلغ حالة الهدوء والسلام إلا إذا اجتمع فيها:

+ التخلي عن المشيئة الذاتية مع اتحاد النفس بالإلتضاع .

+ كن خاضعاً للآخرين بدون تذمر أو غضب لأن خضوعك هذا هو لله وليس للناس .

+ أهم كلمة رهبانية تنفعك هي هذه: انحن لأخيك .

+ الذي يتمسك بمعرفته هو ناقص المعرفة .

+ الله لا يسمع لإنسان لم يخضع بعد رغباته .

+ التجرد الحقيقي هو التخلي عن المشيئة .

+ لا ينبغي أن يعتمد الإنسان على بره الذاتي، ولا على شدة زهده ولا على كثرة أعماله .

+ لا ينبغي أن نعتمد على قوتنا الذاتية في جهادنا ضد الخطايا .

٦ - طرح النفس أمام الله:

الإعتماد على الله جداً هو رأس المال الوحيد للناسك عند إشعياء:

+ ألقى بنفسك أمام الله، واسأله من كل قلبك وقل له بصراحة أنا لا أستطيع أن أعمل شيئاً . وهو يعضدك سريراً .

+ ألقى بنفسك أمام الله دائماً .

+ السلاح الأقوى والفعال في جهادنا ضد الشيطان هو أن نلقي بذواتنا أمام الله وعلى المسيح .

+ لا ينبغي أن نلاجج مع الشيطان، يلزم فقط أن نسلم ذواتنا لله من كل القلب .

+ إذا ألقيت بنفسك أمام الله، الله يكشف لك اللصوص المخفيين داخلك، وحينئذ تستطيع أن تطردهم .

+ سلّم نفسك لمحبة الله تكشف اللصوص الذين في داخلك .

+ سلّم نفسك لرحمة الله تنجو من الخطر وتتخلص من العبودية للخطية .

+ فليُصلِّ كل إنسان بلا انقطاع، و يلقِ بنفسه أمام الله كل حين، كاشفاً للرب عن كل أوجاعه بشعور الخاطيء، وعليه حينئذ أن لا يدين أو يحكم على أحد بالمرّة .

٧ - اللطف مع الإخوة:

امتياز الراهب الذي يرفعه فوق كافة المستويات هو لطفه ووداعته من نحو الآخرين . إشعياء

لا يميل أبداً من توصية الرهبان لإحترام الآخرين، واحترام أشخاصهم يُلزمنا أن نحترم آراءهم، واحترام آرائهم يُلزمنا أن نحترم شعورهم وإحساسهم .

+ احترسوا من أن تجرحوا ضمير أحد الإخوة بالنسبة لأي فكر أو عمل مهما يكن الأمر .

+ احترسوا من أن تحزنوا قلب أي أخ .

+ احترسوا من عمل أي شيء من شأنه أن يؤلم نفسية أخ .

+ أخروا إرادتكم بعد إرادة أخيكم حتى تُدخلوا في قلب أخيكم السرور .

وهكذا بالرغم من صلابة إشعياء النسكية، وبالرغم من دقته في تنفيذ الوصايا الرهبانية إلى

درجة احتمال طرد تلميذه أو أي تلميذ آخر لا يستجيب لأوامر ووصايا الآباء التي استلمها هو منهم، نجده لطيفاً غاية اللطف مع الضعيف والمبتدئ والسائر في الطريق . فهو لا يطبق القلب

القاسي:

+ إن عدم اهتمامك بالأم أخيك هو دلالة على قساوة قلبك .

الاتجاه الثاني: التعليم الروحي عند إشعياء:

وهو الاتجاه التعليمي الروحي الذي يسنده الإنجيل من الأساس للقيامة . يقول أحد العلماء

الأجانب الذين قاموا بتحقيق كتاب الأستيكون (نسكيات إشعياء) واسمه دراجويه Chanoine Draguet ، إن إشعياء هذا حكيم من حكماء الأجيال، وهو يدهشنا حقاً بكتابه

هذا، لأن وصايا إشعياء فيها قوة الترابط الوثيق بين ما هو فوق الطبيعة وبين ما هو بشري محض !

كما أن تعليمه يحمل قوة توازن حساسة بين ما هو روحي وما هو جسدي ! ويحتفظ إشعياء في

توجيهاته بنسبة دقيقة بين متطلبات التوحد وبين متطلبات المعاملات الأخوية في الحياة النسكية !

المركز الرئيسي للمسيح في الحياة النسكية:

الخليقة الجديدة هي هدف الناسك:

لقد جدد المسيح بتجسده وتأنسه طبيعة الإنسان الجسدية لأنه صار إنساناً منزهاً عن

الخطيئة!! وبالصليب فتح للإنسان طريق الخلاص عن طريق الطاعة والإتضاع والتوبة .

وبسفك دمه أوجد للإنسان فرصة الإرادة لنزع الشهوات والموت عنها:

+ من أجل هذا جاء المسيح، ولكن ثقل قلوبنا أعمانا عنه، شهوات قلوبنا أخفت عنا شهوة حب

المسيح، (الذي هو صحتنا وإنساننا المنزه عن الخطيئة)!

+ فلنسرع وننزع عنا شهوة قلوبنا ونقتني الإتضاع حتى نستطيع أن نثبت في خلقتنا الأولى، مسكن

راحتنا الذي يهبه لنا الرب يسوع المسيح بفعله المقدس .

هنا نلاحظ أن القديس إشعياء جعل الإتحاد بالمسيح (الخليقة الجديدة) غاية النسك، وجعل

التجسد والصليب وسفك الدم قوة النسك التي بدونها يصبح الجهاد عبثاً وكأنه ملاحظة في الهواء!!

الإلتصاق بالمسيح معناه ترك العالم:

ترك العالم عند إشعياء هو الباب الذي ندخل منه إلى خلقتنا الجديدة!!

+ إذا كنت قد تركت العالم حقاً فاعمل على التخلص من خطاياك ولا تحتقر وصايا الرب .

+ إن أردت أن تكون تلميذاً للمسيح، أصبح فرضاً عليك أن تتخلي عن العالم .

ولا يوجد عند إشعياء خلط بين التعرّيج في محبة العالم ومحبة المسيح، هنا يبدو إشعياء قاطعاً

صارماً في منهجه الفكري الإنجيلي، كما رأينا قاطعاً صارماً في مبدئه النسكي العملي!!

+ طريق للحياة وطريق للموت والذي يسير في الواحد لا يستطيع أن يسير في الآخر .

+ الذي يشتهي الملكوت يعمل أعمال الملكوت .

+ الذي يحترق قلبه و يذوب بمحبة الله لا يعود يطبق أعمال الخطية وشهوة الشر .

+ لا يستطيع أحد أن يهتم بخلاص نفسه طالما هو يهتم بالعالم .

+ كما لا يمكن أن تنظر إلى السماء بعين وتكون العين الأخرى ناظرة إلى الأرض في نفس الوقت،

كذلك الذهن لا يمكن أن ينشغل فيما لله وفيما للعالم معاً .

+ الذي يود أن يكون تلميذاً للمسيح إذا لم يقطع من قلبه كل ميل ناحية الشهوات فإنه لا يستطيع

أن يكون له تلميذاً .

+ الرب يسوع يحب حباً تاماً من يقبل إليه من كل قلبه، وهؤلاء قال: اثبتوا في!! إذا كنتم

تحبونني احفظوا وصاياي... الذي يحفظ وصايا المسيح هو ليس بعيداً عن المسيح، لأن الذي يفصلنا

عن المسيح هو فقط شهوات قلوبنا الشريرة . فإذا قلت أنك قد انفصلت عن العالم وأنت لازلت

مأخوذاً بأمور العالم فإنك تخدع نفسك، لأن المسيح قال: الذي لا يحمل صليبه و يتبعني لا يستطيع

أن يكون لي تلميذاً .

وهكذا نجد هذا القديس الحكيم يصيغ كل المبادئ النسكية في قالب إنجيلي صرف، جاعلاً المسيح مركزاً وحيداً لكل أعمال النسك، وهدفاً وحيداً لكل السائرين على الطريق النسكي، والقوة الوحيدة التي تدفع الناسك في جهاده.

حمل الصليب هو الموت عن الشهوات:

معنى حمل الصليب عند إشعياء هو صلب العقل والقلب إزاء شهوات العالم وشروور الجسد. وما هو هذا الصليب، الذي قال عنه المسيح أن نحمله، إلا العقل (القلب) الذي يجب أن نحفظه بالأعمال الحسنة حتى لا يميل أو يهبط إزاء الشهوات الشريرة، حتى إذا تخلّص منها يأخذ الحرية؛ حرية الروح التي أكّدها لنا المسيح: وحيث أكون أنا يكون خادمي أيضاً.

الموت عن شهوات الجسد يهيء لللبس المسيح:

وإشعياء يطبق بسهولة ووضوح وتأكيد مبادئ بولس الرسول على المنهج النسكي بجمال منقطع النظير:

+ إن كنتم قد قتم مع المسيح... فاهتموا بما فوق لا بما على الأرض، لأنكم قد مُتُّم وحياتكم الآن مستترة مع المسيح في الله، اخلعوا الإنسان العتيق مع كل أعماله وألبسوا الإنسان الجديد الذي هو الرب يسوع نفسه!! لأنكم أنتم الذين اعتمدتم للمسيح قد لبستم المسيح!

إذن فلننفض ذواتنا يا إخوتي إن كنا قد لبسنا المسيح بعد أم لا؟ لأن به تتقدس أرواحنا، ولا نعدّ نتبع شهوات الجسد.

ثم يعود إشعياء يفسر كلام بولس الرسول عن الصليب والموت مع المسيح بطريقة نسكية غاية في القوة وغاية في الإختصار بقوله:

+ الرب يسوع قال: من يحبني يحفظ وصاياي... ولكن الذي يحفظ كلام المسيح يسير معه حتى الصليب. ولكن ما هو الصليب إلا قوة الموت عن كل الشهوات موتاً كاملاً!!؟ ولأن بولس الرسول قد تخلّص من هذه الشهوات كلية قال: «مع المسيح صُلبت فأحيا الآن لا أنا بل المسيح يحيا فيّ»!! معنى ذلك أن كل من يهدم شهوة الشريحية المسيح فيه... كذلك قيل: إن كنا ننكره فهو أيضاً سينكرنا، فن هو الذي ينكر المسيح إلا الذي يصنع مشيئات الجسد ويسير إلى العماد المقدس (الخليقة الجديدة في المسيح) الذي اقتبله من الرب؟

الخلاص من شهوة العالم يهيء لسكنى الروح القدس:

أما غاية النسك عند إشعياء فهي تنطبق تماماً مع غاية المسيح والإنجيل.

+ إن الذين يخلصون من هذا العالم مع شهواته واضطراباتهم يرسل لهم الله الروح الذي وعد به

المسيح، روح القداسة الذي لا يستطيع العالم أن يقبله!! لأن الروح الوديع الهادي لا يسكن إلا في القلب الوديع الهادي ويجعله يأتي بشمار، ولكن الخلاص من العالم ليس بمعنى المكان عند إشعياء، فهو الذي يقول:

+ الذي يحب الله لن يجد في العالم ما يفصله عن الله كما قال بولس الرسول: من سيفصلني عن محبة المسيح؟ أشدة أم ضيق أم جوع أم اضطهاد أم خطر أم سيف؟ فلتحلّ محبة ربنا يسوع المسيح في قلوبنا آمين.

الإحساس بالقيامة والراحة الأبدية رهن الوصول إلى حالة طهارة كاملة:

وإن كانت القيامة والدخول إلى الراحة الأبدية هي غاية المسيح التي بلغها، وغاية الإنجيل التي ينتهي عندها وإليها، فهي عند إشعياء مطبقة على العمل النسكي تمام التطبيق.

+ إن حالة الراحة الكاملة، راحة ابن الله، راحة عدم التأثر وعدم الموت وعدم الفساد، الراحة السبتية العظيمة أي القيامة، تتطلب منا أن نتبع المسيح بأمانته وآلامه وموته على الصليب، ليس أننا ندخل فقط إلى راحته إذا تطهرت أرواحنا، بل إنه هو نفسه يستريح في تلك الروح إذا أصبحت ملكاً له، لأن الذي يلتصق بالرب يصير معه روحاً واحداً، لأنه يعلمه حينئذ كيف يصلي باستمرار وكيف يعبده بلا فتور، لأن الروح تكون متحدة به على الدوام.

+ + +

وهكذا في ختام هذا العرض المختصر جداً لمنهج إشعياء النسكي، لا يسعنا إلا أن ننحني أمام هذه الشخصية النبوية الحكيمة، التي رفعت مصاف آباء الإسقيط إلى مستوى الرسولية وحققت النسك إنجيلياً حياً معاشاً.

١١ — سلوانس

وإن كان يوجد أكثر من واحد من الرهبان حملوا هذا الإسم، إلا أنه في الحقيقة لا توجد لهم أقوال معروفة. فكل الأقوال التي وردت في كتاب أقوال الآباء تحت هذا الإسم هي لشخصية واحدة عظيمة قديسة عالمة، هي شخصية الأب سلوانس الذي عاصر أنبا مقار وتلمذ عليه. وقد جاء عنه في السنكسار القبطي لرنيه باسبه تحت أول برمودة هكذا:

[في هذا اليوم تذكّر الأب القديس سلوانس، هذا الطوباني كان قد ترهب منذ حدثه عند الأب القديس مقار يوس بشهيت، وسار في الطريق الضيقة، وأجهد نفسه بالصوم الطويل

والسهر الكثير والإتضاع والمحبة، وصار أباً عظيماً، وكان الله يعلن له المناظر الإلهية. ويوحى إليه بأمور كثيرة...].

وقد عُرف سلوانس بلقبين:

الأول: «الشيبي» أي الذي عاش حياته في شيهيت:

والثاني: «السينائي» لأنه عاش فترة من حياته في شبه جزيرة سيناء، ولذلك ظن بعض المؤرخين أن موطنه الأصلي فلسطين.

تلاميذ سلوانس:

من المعروف أنه كان للقديس سلوانس تلميذان من أفضل التلاميذ الذين عرفتهم الرهبنة في الطاعة والمحبة والإخلاص للمعلم، **الأول مرقص**، والثاني **زكريا**. وكان الأول يلزمه في شيهيت والآخراً لزمه في سيناء. كما عُرف له تلميذ ثالث رافقه أيضاً في رحلاته وهو **زينو**.

أما تلاميذه جملة فكانوا اثني عشر تلميذاً. وهذا نعرفه من القول الآتي:

[قيل عن الأب سلوانس أنه كان له في شيهيت تلميذ اسمه مرقس، وكان قد نال درجة عالية في موهبة الطاعة، وقد كان كاتباً. وكان الشيخ يحبه كثيراً من أجل طاعته، وكان مع مرقس أحد عشر تلميذاً آخرين، كانوا متضايقين بسبب رؤياهم للشيخ وهو يغدق محبته على مرقس أكثر منهم جميعاً، فلما بلغ هذا الخبر الآباء الشيوخ (مجمع الشيوخ الكبار الذين يدبرون ناموس البرية كلها)، لم يرضوا بذلك. وعندما أتوا إلى سلوانس ليراجعوه في الأمر أخذهم سلوانس وذهب معهم إلى قلاية تلاميذه وقرع باب قلاية كل واحد منهم قائلاً: «يا أخ احضر لأني محتاج إليك». غير أنه ولا واحد منهم قام في الحال مطيعاً للأمر، إلا مرقص الذي لما سمع مجرد صوت معلمه يقول: «يا أخ مرقص» قفز في الحال وخرج، فأرسله معلمه بعيداً. والتفت سلوانس إلى الآباء الشيوخ قائلاً: والآب يا آباء أين بقية الإخوة؟ ثم أخذهم ودخل قلاية مرقص ونظروا في الكتاب الذي ينسخه فوجدوه قد توقف عند البدء في كتابة حرف (ω) ولم يكمله عندما سمع صوت معلمه يناديه، فلما نظر الشيوخ هذا قالوا لسلوانس: «بالحق أيها الشيخ نحن أيضاً نحب هذا الأخ الذي تحبه أنت والله يحبه أيضاً» [١٤٣].

انساع روجي مدهش:

والمعروف عن سلوانس أنه كان قديساً كبيراً وعالمًا فيلسوفاً ذاعت شهرته في العالم كله بسبب علمه وحكمته مع فضائل نسكية عالية، فقد جمع هذا الأب بين «المعرفة والنسك» وبين «الحكمة والفضيلة» وبين «قراءة الكتب العميقة وبساطة السيرة جداً». كما جمع بين «التأمل في

(143) Apoph. Patr., Syr. V., p. 68.

الإلهيات وعمل اليبدين» وبين «الإهتمام الكبير بلوازم الحياة الجسدية مع قمع الطموح والإتساع». وكل هذه تنطق بها سيرته وأقواله، مما يجعلنا نضع هذه الشخصية النادرة المثال بين أعظم القديسين الذين تتلمذوا على القديس أنبا مرقس، فصاروا نموذجاً عالياً في الحياة الرهبانية وركيزة هامة في التدبير النسكي.

فن جهة الإهتمام بلوازم الحياة اهتماماً كبيراً مع ضبط الفكر في الروحيات بأن واحد نقرأ له: [لما كان الأب سلوانس بطور سيناء حدث أن زكريا تلميذه تركه وذهب للخدمة (في الكنيسة)، وكانت قنوات المياه مفتوحة على الجنيحة، فما كان من الأب سلوانس إلا أن ذهب بنفسه ليروي الحديقة ولكنه أنزل الكوكلسة (غطاء الرأس) على عينيه فلم يعد يرى إلا قدميه فقط وأخذ يروي الحديقة، وبينما هو على هذا الحال أتاه أخ وراه وتعجب مما يعمل فذهب إليه مستفسراً وهو يعتذر: «حالني يا أبي لماذا تغطي عينيك وأنت تسقي؟»، فأجابه الشيخ: «لقد فعلت ذلك حتى لا تشغل عيني برؤية الشجر فيتشتت فكري عن عمله (التأمل) ويضيع عقلي بين الشجر!» [١٤٤]. وهكذا نجد هذا الراهب الحكيم لا يتأخر عن أن يهتم بالبستان ليعطي جسده ما يلزمه، ولكن لا يدع اهتمامه بالبستان يطفى على اهتمامه القلبي الذي يغتذي منه روحياً!

ولم يكن هذا المبدأ مجرد فكر عابر، ولكنه كان ناموس الحياة كلها عند سلوانس وكل تلاميذه بل وحتى زائريه. فقد حدث أن: [مرة زار أحد الإخوة الأب سلوانس في جبل سيناء، فلما رأى الإخوة منكبين على العمل، قال للشيخ: «لا تعملوا للطعام البائد أيها الأب، لأن مريم اختارت لها النصيب الصالح». فقال الشيخ لتلميذه زكريا: «أعط الأخ إنجيلاً وأدخله في قلاية فارغة»، ففعل. فلما حانت ساعة الأكل بقي الأخ منتظراً على الباب مترقباً وصول من يسأله المجيء إلى المائدة، فلما لم يدعه أحد، نهض وجاء إلى الشيخ وقال له: «أما أكل الإخوة اليوم يا أبانا؟». أجابه: «نعم». فقال له: «ولماذا لم تدعني للأكل معهم؟»، فأجابه الشيخ: «ذلك لأنك رجل روحاني لست بحاجة إلى طعام وأما نحن فجسديون نحتاج إلى طعام ولذلك نمارس الأعمال. أما أنت فقد اخترت النصيب الصالح، تقرأ النهار كله ولا تحتاج إلى أن تأكل طعاماً». فلما سمع الأخ هذا الكلام خرَّ ساجداً وقال: «اغفر لي يا أبانا». فأجابه الشيخ: «لا شك أن مريم تحتاج إلى مرثا. لأن مريم بمرثا مُدحت» [١٤٥].

أما قدرة هذا الراهب الحكيم على الجمع بين الحرية في التصرف اللازم مع القدرة على الحد من الحرية إلى درجة القمع، فهذه القصة تشرح ذلك بدقة: [عزم الأب سلوانس على السفر إلى

(144) Apoph. Patr., Syr. V., p. 280.

(145) Apoph. Patr., Syr. V., p. 206.

أحد الأديرة البعيدة ومعه تلميذه، فقام ورتب شيئاً من الطعام وأكلا وشربا معاً استعداداً للسفر (وكان ذلك اليوم يوم صيام). وبينما هما سائران وجد زكريا ماءً في الطريق فقال ليشرب، وإذا بالشيخ ينهأ قائلاً: «زكريا، إن اليوم صيام»، فاندھش زكريا وقال: «نعم يا أبي ولكننا أكلنا»؛ فرد عليه الشيخ الحكيم قائلاً: «إن الأكل الذي أكلناه كان بحكم الضرورة والآن ينبغي أن نحفظ الصوم يا بني» [١٤٦].

أما قدرة هذا الأب الحكيم على ضبط الفكر عن الطموح في الإتساع في الأمور الجسدانية مع الإهتمام بالضروري منها فنذكره من القصة الآتية:

[حدث أن زكريا تلميذ الأب سلوانس أخذ معه بعض إخوته، بدون علم الشيخ، وذهب إلى الحديقة (التي تنتج لهم الخضار والفاكهة في سيناء)، وهدموا أسوارها وأضافوا إليها مساحة جديدة بغية اتساعها، وأعادوا بناء السور. فلما علم سلوانس بالأمر، لبس الكوكلسة ولف نفسه بردائه وهَمَّ خارجاً لمغادرة المكان قائلاً: «صلوا من أجلي». فلما رأوا ذلك خروا وسجدوا أمامه قائلين: «ما الذي حدث يا أبانا؟»، فأجابهم: «اسمعوا، إني لن أدخل مرة أخرى إلى داخل القلاية ولن أخلع ردائي حتى تعيدوا السور إلى ما كان عليه أولاً». فلما أتموا إعادة السور إلى وضعه القديم دخل أمامهم [١٤٧]. وهكذا استطاع هذا الأب المبارك أن يهذب تلاميذه بالقدوة والحكمة والحزم، وسقاهم من نبع الحكمة الإلهي حتى أوصلهم إلى الميناء، فكانوا مثلاً رائعاً في السلوك الرهباني، ومنهم من صار أسقفاً مثل الأب «ناتيرا» الذي اختير أسقفاً على مدينة رايشو (مدينة الطور حالياً)، الذي نقرأ عنه: [قيل عن الأب ناتيرا تلميذ الأب سلوانس الذي ظل يسكن في قلاية معلمه من بعده (سلوانس رجع إلى شيبيت) أنه كان رقيقاً بجسده ومتلطفاً في تدبيره ونسكه، ولكنه لما اختير إلى الأسقفية رغماً عنه اشتد على نفسه وتجبر على جسده بالضيق والنسك الشديد. فاندھش تلميذه وسأله يوماً: «يا أبي عندما كنا نعيش في البرية لم تكن تحيا بمثل هذا الشظف والضيق واحتقارك لذاتك فما هو السبب؟»، فأجابه: «يا بني لما كنا في البرية كانت الصحراء والسكون والفقر يسندنا فما كان علينا وقتئذ إلا أن نحفظ الجسد من المرض، لكن نحن هنا في العالم وتحيط بنا الشهوات، فأصبح علينا أن نضبط الجسد ونقمعه حتى لا يسقط منا في فخ الشهوة، فنفقد كل تعبنا وجهادنا» [١٤٨]. وهكذا أثمرت حكمة سلوانس وأثمر تعليمه وتهذيبه لتلاميذه هذه الثمرات التي زينت الكنيسة.

أعلى درجات الدهش:

أما سلوانس فظل ينمو في النعمة التي تاجر بمواهبها الروحية يوماً بعد يوم، كما تعلم وتسلم من

(146) Apoph. Patr., Syr. V., p. 28.

(148) Apoph. Patr., Syr. V., p. 310.

(147) Apoph. Patr., Syr. V., p. 281.

القديس مقار يوس، حتى بلغ إلى أعلى درجات الدهش: [أتى مرة زكريا ليفتقد الأب سلوانس فوجده قائماً في الصلاة إنما دون أي حركة. ويداها مرفوعتان نحو السماء. فخرج وأغلق الباب وعاد في الساعة السادسة ثم التاسعة فوجده بهذا الحال عينه دون حركة. فخرج وعاد في الساعة العاشرة (الرابعة بعد الظهر) فوجده لا يزال كما هو، فدق على الباب ودخل، فانتبه الأب سلوانس. ولما سأله تلميذه: «ماذا حدث لك اليوم أيها الأب؟»، أجابه: «أنا اليوم أشعر أنني ضعيف ومريض». ولكن زكريا وقع على رجليه وأمسكها قائلاً: «إني لن أتركك حتى تقول لي ماذا رأيت». فقال له: «تعهد لي أولاً أنك لن تبوح بالأمر لأي أحد حتى أخرج من هذا الجسد وأنا أقول لك». فلما تعهد له تلميذه قال له: «لقد اختطفت إلى السماء اليوم ورأيت مجد الله ومكثت إلى الآن هناك حتى أخرجوني» [١٤٩].

وقد اعتاد سلوانس الدخول في الدهش الإلهي حتى أصبح يباغته وهو جالس بين الإخوة جهاراً: [حدث بينما كان الأب سلوانس جالساً بين الإخوة أن دخل في الدهش الإلهي فجأة فسقط على وجهه، وظل مدة طويلة قام بعدها باكياً، فأخذ تلاميذه يتوسلون إليه أن يكشف لهم الأمر ولكنه ظل ساكناً مدة. ولما شددوا عليه السؤال بإلحاح قال لهم: «لقد أخذت حالاً إلى السماء ورأيت الله قائماً، ومنظر الدينونة، وإذا كثير من أصحاب طر يقنأ يساقون إلى العقاب وكثيرون من الذين في العالم أعطوا أن يدخلوا ملكوت الله»، وأخذ القديس بعدها يبكي ورفض أن يخرج من قلايته مدة، وعندما أكره على الخروج كان يحجب عينيه عن نور النهار قائلاً: «أي ربح لنا في هذا النور؟».

ولم يكن سلوانس في ذلك متدمراً على النور الذي في العالم، ولكنه كان قد أشرق في قلبه نور آخر حجب عنه كل لذة وكل اهتمام بنور الدنيا وجمالها وأمجادها، فقد حُكي عنه: [لقد عُرف عن الآباء أن بامو كان يضيء كوجه موسى الذي لما تسلم مجد آدم الأول أضاء وجهه وكان كمثل ملك جالس على عرشه، وكان سلوانس كذلك وشيشوي أيضاً [١٥٠].

سلوانس مع الأب يوسف:

وكان الأب سلوانس يعيش مع الأب الكبير يوسف في بدء حياته وقد تعلم منه كثيراً من الحكمة، لأن الأب يوسف كان مدبراً من أعلى طراز، وقد علمنا من سيرته أنه كان هو وتلاميذه لا يُصلُّون طالما كان عندهم زوار، ولا يأكلون أكلهم النسكي إلا في ستر، ولم يكن يعلم أحد بتدبيرهم، فلما كان يأتيهم ضيف، كانوا يقدمون له أفخر الأطعمة والنبيد و يأكلون ويشربون

(149) Apoph. Patr., Syr. V., p. 264.

(150) Apoph. Patr., Syr. V., p. 190.

وقد راجعنا هذا القول على النص القبطي الصعيدي.

معه، فإذا خلوا لأنفسهم كانوا يأكلون اللقمة يابسة، ويشربون الماء مالحاً، ولا يكفون عن الصلوات (١٥١).

سلوانس ينطلق إلى سيناء بعد الغارة:

وقد حل بسلوانس ما حل بالشيخ العظام مثل يوحنا القصير وبيشوي وأرسانيوس وإشعيا وبيمن وأنوب وإخوتها وبقية الآباء، فقد تشتتوا جميعاً بعد غارة البربر الأولى سنة ٤٠٧ م.، وكان نصيب سلوانس أن انطلق مع بعض تلاميذه إلى سيناء وعاش فيها، وعمر موضعاً كبيراً للرهبان بالمكان المعروف في التوراة باسم «وادي جرار». وقد أخبرنا المؤرخ سوزومين عن ذلك بقوله: [وإني أعتقد أن سلوانس كان موطنه فلسطين، الذي بسبب فضائله العالية رأى الشيخ ملاكاً يتخدم معه (الصلوات). وكان يمارس الفلسفة في مصر (أي فلسفة الحياة النسكية)، ثم عاش في سيناء، وعرج إلى وادي جرار، وأسّس هناك ديراً عظيماً مشهوراً يتسع لعدد كبير من النساك الفضلاء، وقد أقيم زكريا تلميذه من بعده رئيساً عليه] (١٥٢). ولكننا نعلم علماً يقيناً من كتاب أقوال الآباء (النسخة السريانية) أن سلوانس عاد إلى شبييت مرة أخرى بدعوة من الأب الكبير يوسف، واستقبله الآباء بفرح لا يوصف، وذلك في قصة طويلة ممتعة نكتبها هنا لمنفعة جيلنا، لعل يكون فيها تذكرة للعودة إلى صلابة المنهج النسكي الآبائي:

صلابة المنهج النسكي عند الآباء:

[حدث في شبييت أن لاحظ الإخوة أن الأب يوسف الكبير أصبح حزينا وقد صار في ضيق عظيم، فسألوه أن يحكي لهم عن سبب كآبته الشديدة ولكنه أثار الصمت جداً. فابتدأوا يتساءلون فيما بينهم ما عسى أن يكون سبب حزن الشيخ، هذا الحزن الذي صار لا يُحتمل: «لأنه هوذا لنا الآن سنين كثيرة وهو يحيا بيننا ولم نره من قبل حزينا متألماً بمثل هذا المقدار؟ لربما نكون قد أسأنا للرجل في شيء؟». وأخيراً جاءوا إليه وطرحوا أنفسهم عند قدميه: «لربما يابابانا نكون نحن السبب في حزنك؟ فإن كان كذلك فسامحنا من أجل خاطر يسوع!». فأجابهم الشيخ وهو مازال في حزنه: «اغفروا لي يا إخوتي فأنا لست متضيقاً منكم ولكنني متضيق من نفسي، لأنني أرى نفسي أعود إلى الوراء ولا أسير إلى قدام وأنا العلة في هذه الخسارة التي أصابتنني، ليس وحدي فقط بل والآخرين أيضاً معي. فهذا أنا أرى أننا نخسر أنفسنا على طول الطريق أكثر من أي وقت مضى، حتى خسرتنا كل ما ربحناه سابقاً من الرب، لأن عدم الحياء وعدم مخافة الله ملكت علينا، ففيما مضى حينما كان يجتمع الآباء معاً كانوا يدفعون بعضهم إلى فوق نحو السماء، ولكننا أصبحنا قطيعاً مُنحلاً والخطية أمانت أنفسنا؛ وإذا اجتمع بعضنا مع بعض نتكلم بما لا يليق نحو بعضنا

(151) Apoph. Patr., Syr. V., p. 94.

(152) Sozom., E.H., VI, 32.

البعض، فأصبح الواحد منا يشد الآخر ليدفعه نحو جهنم، وأصبحنا لا نكتفي بخسارة أنفسنا بل كل أخ جديد يأتي إلينا أو كل غريب يحل في وسطنا أو حتى كل زائر يأتينا من العالم يعثر ويخسر بسببنا!! لقد جاء إليّ من مدة الأب سلوانس والأب لوط وتكلموا معي بسبب هذا الأمر قائلين: «نحن لن نسكن هنا بعد ذلك». فلما سألتهم السبب في ذلك قالوا: «نحن إلى هذا اليوم كنا ننتفع بسكنى الآباء، ولكن منذ أن رقد أبنا بامو وأبنا أغاثون وأبنا بترنا وتركنا أبنا يوحنا (القصير) استخفت الإخوة بوصايا الآباء والشيخ، فأصبحنا لا نقيم وزناً لأوامرهم وقوانينهم التي وضعوها لحياتنا. وأصبحت اجتماعاتنا معاً سبب خسارة أكثر فأكثر كل مرة، بسبب الكلام في الأمور التي لا تنفع، وعندما نجلس على المائدة لا يضبطنا خوف الله، ولا حتى ينشغل قلبنا بالشكر والحمد من أجل الطعام الذي أرسله لنا الله بل نتلهى بالحديث معاً ونظل نحكي في الفارغ؛ وهكذا لا يستطيع الواحد منا أن يفهم أو يتابع ما يُقرأ علينا أثناء الأكل بسبب الضوضاء التي نصنعها. وحتى بعد أن نقوم عن المائدة نظل نتكلم في الفارغ. فإني الفائدة بعد ذلك من المعيشة في البرية ونحن لا نربح شيئاً؟». ثم قال الأب لوط أيضاً: «كم مرة سمعت بنفسي ما يقوله الإخوة الغرباء ومن العلمانيين أننا أصبحنا نسلك في وصايا الآباء بانحلال، وسمعتهم يقولون عنا أنه بهذه الكيفية من غير المعقول أن ندعى رهباناً!! وقد سمعت أحد الإخوة الزائرين يقول: إني قد لاحظت في مجيئي سنة بعد سنة أن الرهبان ينحلون شيئاً فشيئاً وهملون وصايا الآباء قليلاً قليلاً». فالآن ماذا تريدون أيها الإخوة؟ هل أنتم مستعدون أن ترجعوا عن انحلالكم وتمسكوا بوصايا الآباء بكل اعتناء واهتمام، أو أرحل أنا أيضاً بعيداً عنكم؟». وحدث لما سمع الإخوة هذا الكلام أن دقوا الناقوس واجتمع جميع الرهبان وأعاد أبنا يوسف عليهم هذا الكلام عينه، فلما سمع الجمع هذه الأمور وعلموا بحزن أبنا يوسف وتوجعته وأنه مزعج على الرحيل أيضاً سقطوا جميعاً على وجوههم باكين، وأخذوا يتوسلون لديه بانسحاق وانكسار قلب قائلين: «سامحنا أيها الأب من أجل خاطر يسوع فقد أغضبنا الله بأعمالنا، ونحن السبب في كل أحزان نفسك».

وابتدأوا يشرحون له حالهم معتردين: «لماذا لم تغضب علينا منذ أن سمعت من الآباء عن (ضعفنا)؟ ولكن الآباء لم يتركونا بالرغم من أننا لم نقم من رقادنا وتوانينا، ولكن ماذا نعمل فالشيخ لم يعلمونا والقديسون لم يكونوا يجلسون في وسطنا كالمعتاد ولا كانوا يأخذون موضعهم على المائدة معنا. فكلنا يشتهي أن يسمع تاريخ الشيخ وسيرتهم ووصاياهم سواء على المائدة أو حينما نجتمع معاً، ولكننا محرومون من سماع كلامهم؟».

ثم استطرد الأب إيليا معترداً: «إن الأب ابراهام والأب يوحنا كانا يتحدثان معنا كثيراً أثناء المائدة، وفي الأوقات التي كنا نجتمع فيها للقراءة وأثناء الخدمة». وابتدأ الإخوة يحتجون بحزن وانفعال شديد.

فلما رأى الأب يوسف أن الجماعة كلها قد تحرك قلبها والكل يتوجع ، طلب منهم أن يهدأوا وينصتوا، قائلاً: «اطلب إليكم أيها الإخوة أن تكفوا عن هذا التشويش فالله دعانا للسلام. فالآن أنا أدعوكم أن تصلوا وتتوسلوا لدى الله أن يصرف عنا جماعة الشياطين التي أهدت بنا لتقاومنا، فأنا أراهم أنهم قد استعدوا ضدنا بغضب، وهم مزعمون أن يمزقونا إذا لم تتداركنا رحمة الله ومعونته».

وبصعوبة استطاع الأب يوسف أن يهدى روع الجماعة، وابتدأ بنفسه يسبح المزمور «فلترتد سيوفهم إلى نحورهم ولتنكسر أقواسهم وليصيروا مثل العصافة التي تذررها الريح. فليقم الله ولتتبدد جميع أعدائه. يارب خلصني يارب كن معي وأعني» (مز ٣٧: ١٥، ٨٣: ١٣، ٦٨: ١، ١٧: ١). وابتدأوا خدمة المزامير معاً وسبحت كل الجماعة وختمت الصلاة، ثم قالوا في الختام بنفس واحدة: «قدوس الله قدوس القوي قدوس الحي الذي لا يموت ارحمنا» (١٥٣). وركعوا جميعاً وصلوا، وأثناء الصلاة سُمعت أصوات الشياطين في الهواء ومعها أصوات آلات حرب!... وقام الآباء من ركوعهم بعد أن سكبوا أنفسهم في الصلاة وبلوا الأرض بدموعهم، وعادوا فقدموا توبتهم ومطانيبتهم للأب يوسف قائلين: «ساعنا وصل إلى الله ليساعنا لأننا أخطأنا وأغضبنا الله». فقال لهم الأب يوسف: «قوموا انهضوا يا إخوة والتفتوا إلى حياتكم، فقد سمعتم بأنفسكم الشياطين كيف تسعى لهلاكنا، تصالحوا كل واحد مع أخيه واصفحوا عن كل إساءة لكل إنسان من كل القلب. واربطوا قلوبكم بحبة الرب ومحبة بعضكم البعض بغيرة حارة وضمير نقي. واقتربوا من الله ليقرب الله إليكم، وقفوا بعزم قبالة حروب الشيطان. فإذا حفظتم وصايا الآباء بالحق فأنا سأكون ضميناً لكم (أمام الله) أن الشيطان لن يؤذيكم، وأن البربر لن يأتوا هنا، ولكن لو أهملتم وصايا الآباء فصدقوني أن هذا المكان سيصبح خراباً».

فندم الإخوة جداً وتابوا كل واحد من نحو أخيه، وتصالحوا معاً، وبدأوا يعيشون في محبة وسلام. ووضعوا على أنفسهم قانوناً في ذلك اليوم أن يضبط كل إنسان نفسه ضد أي توان أو إهمال أو عدم مخافة الله، وأن لا يتكلموا قط على المائدة ولا يتحركوا حركة واحدة. وقرروا معاً أنه إذا وُجد أي واحد مزدرياً بوصايا الآباء أو مستخفاً بقوانينهم وصار سبب عثرة أو خسارة سواء لنفسه أو لإخوته أو للزائرين، فإنه يكون قد جلب على نفسه العقوبة، ويكون قد حكم على نفسه أنه أصبح غريباً عن جسم الجماعة كلها.

وأرسل الأب يوسف رسولاً إلى حيث الأب سلوانس والأب لوط يدعوها. فلما علم هذان القديسان ما حدث في شيهيت مع الإخوة، وأنهم قد وضعوا قوانين صارمة لحفظ وصايا الآباء،

(١٥٣) الثلاثة التقديسات التي تُقال في نهاية كل خدمة والتي لا تزال تُقال حتى اليوم.

سبّحاً الله وقاماً وأتياً إلى شيهيت، ولما وصلا قابلهما الأب يوسف، ولما سلم عليها بكياً. فأعلمهما الأب يوسف بكل ما حدث، فجدوا الله الذي لم يتخل عن الذين يخافونه. أما بخصوص القوانين والتعليمات التي وضعوها معاً فقد التزم بها الإخوة وطبقوها في حياتهم كل الأيام، وتنيحوا في شيخوخة صالحة بعد حياة مفرحة لقلب الله [١٥٤].

وهكذا نرى أن سلوانس أكمل سعيه المبارك وختم جهاده النسكي في برية شيهيت. وقد أمدنا كتاب أقوال الآباء باللغة القبطية الصعيدية (١٥٥) قولاً يثبت ما سبق أن قلناه أن سلوانس ختم حياته المباركة في شيهيت:

[قال الآباء عن الأب سلوانس أنه أراد مرة أن يذهب إلى سوريا ولكن مرقص تلميذه منعه من ذلك قائلاً: «يا أبي أنا لا أريد أن أذهب إلى هناك ولا أنت أيضاً، فيا أبي لن أترك تذهب إلى هناك، اسكن هنا ثلاثة أيام أيضاً. وإذ بهم في ثالث يوم يموتان معاً» (١٥٦).

وهكذا يكون سلوانس قد بدأ حياته المبكرة لتلميذاً لأنبا مقار، وحضر غارة البربر الأولى سنة ٤٠٧ م.، وذهب إلى سيناء وعاش هناك فترة طويلة، عاد بعدها إلى شيهيت بدعوة من الأب يوسف الكبير، حيث أكمل جهاده فيها بعد شيخوخة صالحة.

وفي نهاية هذه السيرة الحلوة العطرة برائحة النسك الأصيل والأمانة المطلقة لطريق الآباء، والأفق المتسع بالرؤيا الصحيحة، مع التدقيق الفائق في السلوك، لا يسعنا إلا أن ننحني أمام روح القديس سلوانس المبارك نطلب شفاعته، ذاكرينه في كل أول برمودة، اليوم الذي انطلقت فيه روحه الصالحة إلى ملكوت الله. اشفع فينا أيها القديس سلوانس ليعطينا الله أمانة في طريق نسكنا وخاتمة صالحة كما أعطاك.

١٢ — الأب يوسف الكبير

راهب من المهد حتى اللحد!!

ثلاثة أشخاص يحملون هذا الاسم والثلاثة لهم أقوال في البستان وفي كتاب أقوال الآباء، لذلك يلزم جداً التفريق بينهم:

الأول: الأب يوسف الذي نزل عنده كاسيان أول ما وصل إلى مصر عند ميناء تانيس على بحيرة المنزلة، وكان هذا الأب ضمن ثلاثة رؤساء على متوحدتي منطقة تانيس وبانوفيس كلها،

(154) Apoph. Patr., Syr. V., p. 271-276.

(155) Apoph. Patr., Copt. V., Sahidic dialect, 187.

(156) Saying No. 187.

وهم الآباء يوسف ونستير وشيرامون، وقد أخذ كاسيان أقوالاً عنهم في مواضيع شتى، لذلك فكل الأقوال الواردة للأب يوسف في البستان أو كتاب الأبوفثجم ويُذكر فيها اسم نستير (١٥٧) أو أسماء أخرى غير أسماء جماعة شيهيت، أو يُذكر فيها شرهم للماء المخلوط نصفه من النهر ونصفه من البحر (١٥٨)، فهي أقوال تخص الأب يوسف التانيسي. وهذا الأب كما وصفه لنا كاسيان كان من أسرة غنية كبيرة، وكان متقلداً وظيفه رئيس مدينة على مدينة تمويس (١٥٩) قبل رهبنته، وكان متضلعا في اللغة اليونانية، وعالماً فاضلاً، وهذا تُحقِّقه أقواله التي أخذها عنه كاسيان والمسجلة في كتاب المحادثات.

الثاني: وهو الأب يوسف أحد الإخوة السبعة الذين ترهبوا معاً وهم: أنوب ويعقوب وبيمن ويوسف وبائيسوس وبولا (?).

ويبدو في جميع الأقوال التي جاءت عنه أنه أصغر من بيمن، وفي موقف من يسأل عن أمور كثيرة، ومنها الصوم والأفكار النجسة لأنه كان وقتها شاباً بالنسبة لبيمن.

والثالث: وهو القديس يوسف الكبير موضوع اهتمامنا، فهو الذي تتلمذ على كل من الأب أنطونيوس والأب مقار يوس، وعاش وتنيح في شيهيت، وارتفع اسمه وصيته حوالي عام ٣٥٠ م. وهو الوحيد من بين الشخصيات التي دُعيت باسم يوسف الذي قننته الكنيسة وأعطته لقب قديس، وله تذكارات نياحة في ١٧ يونيو حيث تتشفع الكنيسة بصلواته. وكان أباً عالماً فاضلاً قديساً حكيماً في تدبيره الرهباني إلى أقصى حد، وكان له تلاميذ كثيرون، ويبدو في جميع الأقوال التي وردت عنه أنه أكبر سناً وعلماً من الأب بيمن ومن كل من الأب سلوانس والأب لوط والأب إيليا والأب أغاثون. وفي مواضع كثيرة يبدو الأب بيمن تلميذاً للأب القديس يوسف يسأله ويتعلم منه، أو على حد قول الأب بيمن نفسه: [فقام الأب بيمن وجاء إلى الأب يوسف قائلاً: يا أباي إني أثق فيك كالله، وإني أكشف لك كل أفكارى] (١٦٠).

ويوسف هذا هو في الواقع ذلك الصبي الذي حمله أبوه بعد الفطام مباشرة وأخذه معه إلى البرية وترهب معه، فشبَّ يوسف منذ صباه على حياة الشظف والنسك والجهاد، وتفتحت كل مواهبه أول ما تفتحت على فردوس الشيوخ وعلى معنى القداسة، ولما بلغ دور الشباب شكى لأبيه عن أفكار الشهوة وكيف أن أفكاره تقلقه بخصوص النزول إلى العالم، فنصحته أبوه بالتريث وأعطاه خبزاً جافاً وليفاً وخصوصاً يكتني لأربعين يوماً، وقال له: اذهب منفرداً إلى البرية الداخلية

(157) Apoph. Patr., Syr. V., p. 8.

(158) Apoph. Patr., Syr. V., p. 95.

(159) Cassian, N.&P.N.F., 2nd Series, Vol. XI, p. 185.

(160) Apoph. Patr., Syr. V., p. 261.

وعش هناك إلى أن يقول الله كلمته. فأطاع الشاب، وكان أن تعمق بالروح فأنكشف له بالمنظر المعقول جوهر الناحية الجنسية، في صورة امرأة سوداء كرهة الرائحة تقول عن نفسها أن هذه هي حقيقتها حسب الواقع العملي، أما من حيث التصور الغريزي المُخادع فتبدو جميلة ولذيذة لإغراء القلوب وهزيمة الضمائر. فلما انكشفت له حقيقة الإغراءات التي كانت تعصف بضميره كُفَّت عنه حرب النجاسة، فقام وعاد إلى أبيه وهجته الظفر تملأ وجهه مصمماً أن لا يرجع إلى العالم (١٦١).

وأول مصدر استقى منه يوسف معرفته الروحية كان هو القديس أنطونيوس، فكان يتردد عليه مع الإخوة كثيراً يسمع ويتعلم دون أن يسأل، وكان القديس أنطونيوس يمدح حكمته (١٦٢) وكان ذلك حوالي سنة ٣٥٠ م.، فلو قلنا أن عمره كان وقتئذ ثلاثين عاماً يكون مولده حوالي سنة ٣٢٠ م.

وظل هذا الأب القديس يحمل روح الآباء الكبار وحكمتهم ويتغنى بآثارهم وفضائلهم، يعلم ويعظ ويوبِّخ بكل حكمة وطول أناة من جيل إلى جيل، لأنه عمَّر كثيراً جداً حتى إلى ما فوق التسعين سنة، لأنه حضر غارة البربر الأولى سنة ٤٠٧ م. وعاش بعدها أيضاً.

وكان دائماً يقول: [نحن معشر إخوة هذا الزمان نأكل وننبح هذا الجسد (متكلماً عن الإخوة حوله)، من أجل ذلك لا ننمو مثل آبائنا، لأن آباءنا كانوا يبغضون جميع نياح الجسد ويعبون الضيقات من أجل الله، ولهذا اقتربوا من الله الحي] (١٦٣).

وكانت تعاليم القديس يوسف وأبنا بيمن متوافقة دائماً، وكانت قد أصبحت كعلامات ثابتة في الطريق الرهباني لدى أجيال الآباء، فنسمع الإخوة يقولون: «لأن أباً يوسف وأباً بيمن قسموا الحياة النسكية الكاملة إلى ثلاثة أقسام» (١٦٤).

وفي أواخر حياة هذا الأب القديس كان قد أصبح بمثابة أب ورئيس على كل جموع الرهبان في شيهيت، وذلك واضح من القصة المشهورة التي أوردناها في ص ٢٩٦، وفيها نرى كيف استطاع الأب يوسف أن يُعيد إلى الإسقيط كله الحرارة الروحية وروح النسك الأولى بعد أن كاد الجيل كله ينحل ويضعف، والتي منها نعلم أيضاً أنه أمضى بقية حياته في شيهيت بصحبة الأب سلوانس والأب لوط (بعد أن عاد من سيناء) ومع الأب إيليا وذلك بعد سنة ٤٠٧ م.، وقد تنيح في شيخوخة صالحة كما جاء في القصة.

(161) Apoph. Patr., Syr. V., p. 171.

(162) Apoph. Patr., Syr. V., p. 163.

(164) Apoph. Patr., Syr. V., p. 374.

وفي ختام هذه السيرة المباركة التي لهذا الأب القديس المجاهد منذ الرضاة، والذي قدّم طفولته وشبابه ورجولته وشيوخته جميعاً على مذبح الحب والنسك الأبائي الأصيل، لا يسعنا إلا أن ننحني أمام اسمه المبارك متشفعين بصلواته معيدين لذكراه العطرة في ١٧ يونية (١٦٥) من كل عام.

اشفع فينا أمام الله أيها الأب القديس يوسف ليعطينا الطهارة ومحبة النسك كما أعطاك.

١٣ - القديس أنبا مقار وأبوليناريا الراهبة (١٦٦)

ربما كانت هذه أول راهبة تظاً أقدمها برية شيهيت متخفية في زي رجل، لأننا على مدى الزمان سنسمع عن أمثلة مطابقة مثل إربسيا وهي تلميذة أخرى للأب مقار، وكذلك أنستاسيا وأثناسيا، اللتين تتلمذتا على أنبا دانيال في القرن السادس. كذلك المتوحد الذي عثر عليه أنبا بيساريون راقداً في مغارته وقد فارق الحياة، ولما قام بدفنه هو وتلميذه ذولاس وجداه امرأة متزوجة بزري الراهبان (١٦٧).

وكانت الحياة في برية شيهيت آنئذ تصلح لمثل هذا التخفي، أولاً من جهة القداسة والنسك الفائق الذي جعل الآباء عادمي التطلع في الوجوه وفاقدي شهوة حب الإستطلاع وقليلي الإهتمام بأمور الآخرين، لأن كل واحد كان يبكي على خطاياها، وثانياً فإن الحياة الراهبانية كانت مطلقة الحرية خارج الأسوار والحصون.

أما أبوليناريا فهي المسماة سينكلتكا ومعناها: «ربيبة القديسين»، وقد قيل خطأ أنها بنت الإمبراطور أنثيميوس Anthemius، لأن الإمبراطور أنثيميوس هذا حكم من سنة ٤٦٧ إلى سنة ٤٧٢ م، حسب تحقيق التاريخ المدني. غير أن هذا الإمبراطور كان له جد اسمه أنثيميوس الذي كان في البلاط الملكي برتبة مستشار (قنصل) سنة ٤٠٥ م. وهو الذي يصح أن تكون أبوليناريا ابنته، لأنه في تاريخه نجد معاصراً بالفعل لأنبا مقار. وتقول السيرة أنها لما اشتاقت إلى حياة العبادة والنسك رفضت الزواج وذهبت في رحلة إلى اورشليم كأنها للزيارة المقدسة، ولكنها انحدرت بعد ذلك إلى الإسكندرية متخفية، وتوجهت إلى كنيسة مارمينا، ومن هناك أعد لها

(165) Dict. of Chr. Biog., Josephus 22, St. Boll. Acta SS., Jun. III, 296.

(166) (a) For her life: see Acta SS., Jan. I, p. 258, Gr. V.

(b) Bollandist, Bil Hagiogr. Graeca, p. 22.

(c) Synax. Const. ed. Delehaye, Col. 369f.

(167) Apoph. Patr., Bisarion, IV.

الرؤساء بعد أن علموا بوجهتها قافلة قامت بها إلى شيهيت، وفي المساء وفي أثناء الرحلة غيرت ملابسها وتزيت بزري الراهبان الذي اشترته لنفسها. وعندما وقف بها الركب عند أول بحيرة وعلمت أنها أصبحت في قلب شيهيت تنحت عن القافلة وتوغلت في منطقة الأحرش وبقيت هناك تحت رحمة الناموس حتى تغير لون جلدها، واستمرت هناك حتى اختفت كل ملامح الأنوثة فيها. ولما شعرت بالأمان توجهت إلى القديس أنبا مقار وانضمت إلى جماعة الراهبان تحت اسم «دوروثيوس» واكتسبت بسرعة شهرة فائقة في النسك والقداسة. وقد حدث حادث عجيب في حياتها إذ أن أختاً لها أصيبت بمرض قيل لها أنه روح رديء سكن فيها. فأرسلها أبوها إلى قديسي شيهيت ليصلوا عليها فوعدت من نصيب دوروثيوس (أي أختها أبوليناريا)، وذلك على الأرجح بترتيب من الأب القديس أنبا مقار، فصلت عليها وتحن الرب وشفاهها. وعادت تقص على والديها خبر الراهب الذي كان يعاملها معاملة خاصة استرعت انتباه أبيها. فأرسل القنصل واستدعى هذا الراهب ليستخبر عن هذا الأمر، فأطاع الراهب دوروثيوس (أبوليناريا) وذهب إلى أنثيميوس، وهناك كشفت الراهبة أبوليناريا حقيقة سيرتها واستحلفت أبوها أن يتركوها لتكمل حياتها بين القديسين، فتركوها وعادت إلى شيهيت محتفظة بسرّها حتى تنيحت. وفي تكفينها كشف الراهبان القديسون حقيقتها، فأكرموا أيتها إكرام وأقاموا لها كنيسة باسمها دعيت كنيسة أبوليناريس شرق كنيسة أنبا مقار، رآها الرحالة سيكار سنة ١٧١٢ م. (١٦٨)، وهي خرائب القصر الذي كان يدعى بقصر البنات، الذي يُعتقد أن أجساد القديسة أبوليناريا والقديسة إيلاريا والقديسة إربسيا تلميذة القديس أنبا مقار (١٦٩) كانت مدفونة فيه. وهناك الآن رواية متواترة بين رهبان دير أنبا مقار تقول أن أجساد هؤلاء القديسات في أسفل الحصن القديم. وتعيّد لها الكنيسة اليونانية في ٥ يناير من كل عام.

أما بخصوص القديسة إربسيا (١٧٠) تلميذة القديس أنبا مقار، فأخبارها ناقصة عندنا جداً ولا نعرف عنها شيئاً إلا أنها ذكرت في ذكولوجية القديس أنبا مقار وأولاده (أنظر ص ١٦٦ من هذا الكتاب).

والكنيسة تعيّد لتذكار نياحة إيلاريا بنت الإمبراطور زينو في ٢١ طوبة، أما إربسيا فتذكار نياحتها ٢٩ توت.

(168) Sicard, Lettres edificantes, t. v., p. 24.

(169) Ev. Wh., 117 N., 470 append.

(170) H.N.S. IV, V, Ch. 4. & Von Lemm, Studien No. IX.

ربما يكون هو الوحيد بين الآباء العظام الذي لم يتعلم على يد القديس أنبا مقار وإن كان يُظن أنه رآه، لأن المعروف أن القديس مقاريوس تنيح بعد وصول أرسانيوس بأيام قليلة. ولكن يعسر علينا أن لا نذكره في هذه المذكرات، أولاً: لأنه وإن لم يكن من أولاد أنبا مقار الذين عاصروه، فهو لا شك رضع من تعاليمه على يد أولاده بافنونتيوس ويوحنا وموسى الأسود ومقاريوس الإسكندراني، وثانياً: أنه سار على نهجه ونظامه واستمتع بمبادئه وعشق وحدته وتجمّل بوداعته وتمرّس بنسكه.

سيرته (١٧١):

إيطالي الجنس، ولكنه أحد مشاهير رهبان مصر الذي انطلق إلى السماء يحمل الشكر والفضل والجميل لآباء شهبية الأقباط الذين خلّص على أيديهم واستقى الروح من أفواههم وتعلم منهم حكمة الألقا فتنا التي أوصلته إلى الأوجا، أي النهاية السعيدة، لا عن طريق العلم والعقل، ولكن عن طريق قلب يسوع الذي اكتشف هؤلاء الأميون أسراره وتعمقوا الطريق الضيقة الموصلة إليه التي ظلت ولا تزال مخفية عن حكماء هذا الدهر. وكان أرسانيوس حكيماً بين حكماء «اليونان» قبل أن يتجر في جهالة الصليب على يد هؤلاء المخلّصين، فلما لاح له بالروح سر القوة في التخلّي، تخلّى في الحال دون أن يستشير لهماً ولا دماً... ولما وجد في يد هؤلاء الأميين مفتاح السر، باع كل مجد العالم وكرامته وفلسفته الباطلة، وجلس تحت أقدامهم مستسلماً لمشوراتهم الأمية حتى بلغ إلى عمق الحكمة الحقيقية التي ليست من هذا الدهر ولا من عظماء هذا الدهر الذين سيبطلون!

كان أرسانيوس من عائلة إيطالية غنية، ويظن أنه من مواليد ٣٥٤ م.، كما يُظن أنه كان شماساً في الكنيسة الرومانية، وكان ضليعاً في الأدب والفلسفة اليونانية. ولعلّ شهرته في الأدب والعلم استدعاه ثيودوسيوس الكبير أفضل أباطرة ذلك الزمان ليكون معلماً ومهذباً لولديه أركاديوس وأنوريوس، وكان الكبير فيهم حينذاك لا يتعدى ست سنوات. أما الذي زكّي أرسانيوس لدى الملك بصفته أكفاً من يليق لتربية أولاده، فهو الأسقف جراتيان الذي كان أسقفاً على باريس.

وكانت وظيفة أرسانيوس في القصر تفوق درجة المعلم، إذ كان في حقيقته أباً روحياً، لذلك

(171) (a) Life of Arsen., by Theodore of Stud., (Acta SS., July IV, pp. 617f.).

(b) Apoph. Patr., The Chief original authority.

كان أرسانيوس «أب حكمة وحكام» أي معلم الحكمة والحكم، كما يقول جيون المؤرخ (١٧٢)، إذ كان لقب «أغسطس» حينئذ لا يُطلق إلا على الحاكم الحكيم!! وكان أرسانيوس مقرباً دائماً إلى الإمبراطور، مقدّماً على أكابر مملكته، ونعلم من سيرته أن الإمبراطور ثيودوسيوس دخل مرة على أرسانيوس وهو يعلم أولاده فوجدهم جالسين وأرسانيوس واقفاً، فغضب وأمره أن يعكس الوضع؛ وقد كان يعامل أرسانيوس في القصر معاملة الأرباب «فكان يخدمه الخدم والحشم المسربلين بالحرير والأطواق الذهب». وظل أرسانيوس في القصر الملكي حتى بلغ سن الأربعين أي ٣٩٤ م.، ويُقال أنه هرب إثر تهديد الإبن الأكبر له بالقتل بسبب شدة معاملته الأولى له، ولكن هذا غير صحيح، أما الحقيقة فهي عزوفه عن مجد الدنيا وغرورها وهمومها، وبلوغ عزمه إلى نقطة الإنطلاق من العالم ليجد فرصة «يغتسل فيها روحياً» كما عبّر هو نفسه بعد ذلك.

والذي غرب عن ذهن المؤرخين وتحقيهم أن أرسانيوس كان قد تهب فترة طويلة من حياته على يد روفينوس المؤرخ الرهباني الشهير فتشعبت روحه بعشق الرهبنة المصرية، وهام بأقباط مصر قبل أن يراهم!! لذلك كان قلبه مفلحاً وبابه مفتوحاً لسماع الصوت السماوي حينما أتاه: «يا أرساني اهرب من الناس وأنت تخلص»!!

إلى شهبية:

لم يتردد أرسانيوس، فكان عزمه سبيل النجاة، وكان حزم إرادته مفتاح الخلاص، فقام وأبحر إلى مصر ووصل الإسكندرية، وللحال طلب شهبية ووصل إلى ميناء الخلاص كما اشتبه تماماً، وسلم نفسه للكهننة لكي يقبلوه في صف الرهبان ويلبسوه زي الخلاص المقدس: «من أجل خاطر الرب اجعلوني راهباً وأروني الطريق الذي به أخلص». وكانت مظاهر النعمة والنبيل تطل من هيئته بالرغم من محاولته الجاهدة في الظهور بمظهر الإنسان الفقير الجاهل!... وكان أن سلمه أنبا بافنونتيوس إلى يوحنا القصير كاهن الكنيسة ليدير خلاصه ويعلمه أصول الطريق الضيق!... وفي أثناء ذلك جاءت الساعة التاسعة فاقترح أنبا يوحنا القصير أن يجلس الآباء ويشتركوا معاً في الأغابي، فجلسوا جميعاً ولكن تعمد الأب يوحنا أن يختبر أرسانيوس كأول درس له يتناسب مع كرامته ومظهره العالي، فتركه واقفاً والآباء جلهم جلوساً، ثم أمعن في الدرس الثاني بأن ألقى له لقمة جافة على الأرض على مسافة منه، فما كان من هذا العملاق إلا أن تقدم وهو منحني وركع على رجليه وبدأ يأكلها وهو راكع!!

فنظر يوحنا إلى الآباء في الحال وأعطى تقريره النهائي: «إنه يصلح للرهبنة». فما كان من أرسانيوس إزاء هذا التسرع في الحكم أن رد عليه في الحال: «ولكن بعد أن يستقي الرهبنة من أربابها»!!

(172) Gibbon c. 27.29.

وقد كان، إذ ظل هذا المبارك كالنحلة النشيطة يستقي من يوحنا المعرفة الروحية وأصول الطريق بسرعة، حتى اختزن لنفسه ما يكفي، ثم اعتزل ليتعلم من القلاية الحكمة الروحانية أربعين سنة!!

الموت الحقيقي:

وقد حدث أن أركاديوس أوصى له بوصية قبل موته سنة ٤٠٨ م. (١٧٣) مضمونها أن يوؤل إلى أرسانيوس كل خراج مصر يتصرف فيه كما يشاء وينفق منه على الفقراء والرهبان في كافة الأديرة (ويقال أن صاحب هذه الوصية هو مجرد إنسان شريف اسمه جسر يانوس قريب له)، فكان رده على الرسول هكذا: «الذي مات عن العالم لم تعد له فرصة بعد أن يوزع الأموال على الناس، لقد مات أرسانيوس قبل أن يموت هو» (١٧٤). ولما همّ بتمزيق الوصية، صرخ إليه الرسول مستعظفاً لأن رقبتة رهن سلامتها!!

وقد أمعن أرسانيوس بعد ذلك في الوحدة عندما ازداد إقبال الرهبان على رؤيته والإستماع إلى كلامه، فبعد صلاة وتضرع أتاه الصوت الأول نفسه قائلاً: «يا أرساني إن أردت أن تهدأ، اجلس وحدك واصمت، لأن هذه هي جذور البر (عدم الخطيئة)» (١٧٥).

ويخبرنا دانيال تلميذه المخلص أنه بقي في هذه الوحدة وبقى في هذا الصمت أربعين سنة!! لأن أرسانيوس، كما يخبرنا دانيال أيضاً، عاش حتى بلغ عمره ٩٥ سنة، أربعين سنة منها قضاها في العالم وفي قصر الإمبراطور، وأربعين سنة في شيهيت، وعشر سنوات في طره، وثلاث سنوات في كانوبي (بجوار أبوقير الآن)، ثم سنتين في طره مرة أخرى. والمعروف أن أرسانيوس ترك قصر الإمبراطور ثيودوسيوس في آخر أيام حياته، ومعروف أن ثيودوسيوس مات سنة ٣٩٥ م. إذن يكون خروج أرساني من روما وتوجهه إلى الإسكندرية في سنة ٣٩٤ م.، عندما كان الإمبراطور مريضاً في خريف هذه السنة (١٧٦).

وحدته وصمته وصلاته:

كانت أهم مبادئه التي حافظ عليها طول حياته، هي الإبتعاد عن الناس والخلود إلى العزلة والصمت. ولكن عزلته كانت إيجابية مخصبة وليست مَرَضِيَّة، إذ كان له ثلاثة تلاميذ يجهم ويحبوه: اسكندر ودانيال وزويلة، وكان يرشدهم وكانوا يخدمونه وذلك مدى الحياة كلها. وكان دقيقاً في حفظه لمواعيد الصلاة ويحث تلاميذه أن يسرعوا إليها، ولم ينقطع هو قط عن حضور

(173) Ev. White, II, p. 163.

(174) Apoph. Patr., Arsen., XLII.

(175) Apoph. Patr., Arsen., II.

(176) Socrate, H. E., V, 26.

الكنيسة يومي السبت والأحد!!

ومرة سأله أنبا مرقس: «لماذا تهرب منا يا أبانا؟»، فأجاب أرسانيوس: «الله يعلم أي أحبكم، ولكن لا أستطيع أن أبقى مع الله ومع الناس في وقت واحد» (١٧٧).

وقصة معارضته لزيارة البطريرك له مشهورة، إذ لما أرسل له ثاوفيلس (البابا ٢٣ في عداد البطارقة) أن يسمح له بزيارته (مستخدماً سلطانه بطريق ما)، لم يكثرث أرسانيوس ورداً عليه: «إذا فتحت لك فسأفتح لجميع الناس، وإذا فتحت لجميع الناس فلا معنى بعد لوجودي في الصحراء». ثم لما تماحك ثاوفيلس في طلب كلمة منقعة من على بُعد، ردّ عليه أشد من الأول: «أينما سمعت عن أرسانيوس أنه موجود فلا تذهب إليه» (١٧٨). وهذه هي كلمة المنفعة طبعاً في نظر أرسانيوس! واضطر بعد ذلك أرسانيوس أن يُبعد مغارته عن مركز الدير ٣٢ ميلاً.

وقد ترهفت أحاسيس أرسانيوس في الوحدة جداً حتى أن مجرد صوت حفيف الهواء في الشجر كان يعتبره مثل الزلزال.

وكان يقطع أوقاته عاملاً بيديه ست ساعات يومياً. وكان يقضي الليل كله في الصلاة والبكاء متأملاً صامتاً، وهو صاحب المبدأ المشهور: «كثيراً ما تكلمت وندمت وعن السكوت قط ما ندمت». ولكن لم يكن صمته وسكونه في الطياشة عبثاً أو مجرد صمت وسكوت للإفتخار كفضيلة، بل كان صمت الصلاة الحارة والتأمل، لذلك لم يكن قط في حاجة إلى عزاء الناس. وكان إذا فاجأه زائر يرفض بشدة أن يسلم عليه أو يفسح له في الدخول إلى قلايته، وكان لما يضطر أحياناً إلى كسر هذا المبدأ و يُدخِل إليه أحداً، كان يظل صامتاً أمامه حتى يقوم!! وقد اضطره مرة ثاوفيلس أن يقبل زيارة سيدة شريفة جاءت من روما خصيصاً، فكان أن قابلها بعنف وتوبيخ حتى ندمت على جرأتها وندم معها ثاوفيلس على عدم احترامه لحرمة المتوحد.

ولكن من الحماقة أن يحاول أحد في هذا الزمان تقليد أرسانيوس مجرد تقليد، لأن أرسانيوس كان يسلك كذلك بناء عن دعوة إلهية وصوت سماوي!! وكان صاحب الصوت يلهمه التصرف ويسنده في ضعفه ويُنزل الهيبة على وجهه واسمه!!

هيئته وملابسه:

ولقد أمعن أرسانيوس في إهمال الإهتمام بمظهره لا عن تظاهر ولكن عن زهد حقيقي، حتى قال الآباء عن أرسانيوس: كما أنه لم يوجد أحد في البلاط الملكي يلبس أشرف من لبسه، كذلك

(177) Apoph. Patr., Arsen., XIII.

(178) Apoph. Patr., Arsen., VII.

كان أرسانيوس بعد دخوله إلى الرهبانية لم يكن يلبس أحد أحقر منه! ولم يكن في قلايته أي متاع لأكثر من حاجته الضرورية. كذلك فإن أرسانيوس أمعن في إهمال إرضاء ذوقه ومزاجه، للدرجة التي كان يترك فيها ماء الخوص الذي يبيل به الضفيرة راكداً في الوعاء داخل قلايته حتى ينتن - والخوص المنتن تتصاعد منه رائحة عفنة شديدة العفونة - وكان يعتبر ذلك تعويضاً لما تنعم به من روائح زكية في العالم الفاني.

ويظهر أنه في تنسكه الشديد أهمل نفسه حتى مرض، واضطر قسيس الكنيسة أن يحمله ويمرضه داخل الكنيسة فترة طويلة.

أقواله وكتاباتاه:

كنا نظن أن يكون لهذا الأب تراث فكري مكتوب، ولكن على العكس من ذلك تماماً فلم يترك كتاباً واحداً أو رسالة لأحد، بل وأقواله شحيحة للغاية وليس فيها ما ينم عن أنها كانت تحمل منهجاً فكرياً عاماً. ولكن كلها تدور حول حقيقة رهبانية واحدة سمعها أرسانيوس بقلبه من الله مرة فأحبها وكان أميناً عليها حتى آخر نسمة من حياته، وهي أن يجلس وحده صامتاً وهدأ والقلاية تُعلمه كل شيء، وهذه تُعتبر أئمن نصيحة يمكن أن يعطيها ناسك حكيم لهذا الجيل، فهي أعظم من كتاب وأعظم من عظة لأن فيها سر النجاح الرهباني كله!!

تنقلاته ونياحته:

ظل أرسانيوس كما يفيدنا دانيال تلميذه، أربعين سنة متواصلة في وحدته المطلقة بمغارته التي كانت تبعد ٣٢ ميلاً عن مركز شيهيت (الكنيسة)، وهذا هو سر عدم تشتته بعد الغارة الأولى التي حدثت سنة ٤٠٧ م.، لأن بُعد مغارته عن مركز التجمع الرهباني أعفاه من رؤية ذلك اليوم الرهيب. وفي نهاية الأربعين سنة حدثت الغارة الثانية سنة ٤٣٤ م. التي غادر على أثرها أرسانيوس شيهيت حزيناً باكياً على خراب الإسقيط بقوله المشهور: «العالم خرب روما والرهبان خربوا شيهيت». ويقصد أن الرهبان كانوا سبباً في خراب الإسقيط، بسبب توانيهم عن الصلاة الدائمة والبكاء والتذلل أمام الله.

وهكذا نزل أرسانيوس إلى طره، وأقام عشر سنوات في دير شهران بجبل المقطم أمام منفيس (منية رهينة)، ثم بعدها رحل عن طريق النيل وسافر إلى الإسكندرية، ومنها إلى كانوبي بجوار أبو قير، وأقام في دير للطبائسيين (الباخوميين) مدة ثلاث سنوات عاد بعدها إلى طره سنة ٤٤٧ م. مرة أخرى، ولما عاتبه تلاميذه على تركهم بدون سبب أجابهم: «ولما لم تجد الحمامة موضعاً لقدميها عادت إلى الفلّك». فاعتبروا ذلك أكثر من اعتذارهم ففرحوا به.

وبدأت الشيخوخة تدب في جسده النحيل فبدا كالخيال لأنه «كان فارغ الطول ولكنه انحنى من طول العمر، وكانت لحيته مسترسلة طويلة نازلة حتى إلى وسطه، وشعره أبيضاً كله كالثلج، فبدا في ثوبه الأبيض كالملاك. وكانت عيناه ذابلتين وقد تساقط شعر رموشها من كثرة الدموع». وظل سنتين في طره مريضاً ضعيفاً. ولما قربت أيام نياحته أوصى تلاميذه: «لا تقيموا عليّ أغابي»، وهي عادة الرهبان أن يولوا وليمة محبة للفقراء ترحماً على روحه، وكذلك أوصاهم أن «لا تسلّموا جسدي لأحد ليكفنه (يحفظه)». فلما وجدهم قلقين ماذا يعملون بجسده، قال لهم: «ألا تعرفوا أن تربطوه بجبل وتجروه في الجبل وتطرحوه هناك».

وفي ساعته الأخيرة وجدوه يبكي فاندھشوا وسألوه: «هل تخاف من الموت يا أبانا؟». فأجابهم: «منذ ترهبت وأنا أحسب حساب هذه الساعة».

وأغمض عينيه، وطارت روحه الطاهرة إلى بارئها، وبدا وجهه في سلام ملائكي والنور يشع منه، وكان ذلك في ٨ مايو = ١٣ بشنس سنة ٤٤٩ م.، وهو يوم تذكاره في الكنيسة القبطية. أما الكنائس اليونانية واللاتينية فتعيّد له في ١٩ يولية (١٧٩). فأخذ تلاميذه الجسد ودفنوه في موضع الدفن بالدير، ويقول أبو صالح الأرمني المؤرخ إن في موضع جسده بُني الدير القائم الآن بيد ملك الروم (١٨٠) وقد وُضع جسده تحت مذبح الكنيسة الرئيسية هناك.

ويعتقد إقليد وايت أن تسمية دير البراموس تعود إلى أرسانيوس وليس لمكسيموس ودوماديوس لأسباب كثيرة، منها وجود أداة التعريف المفردة في كلمة برموس = بي روميثوس، وأيضاً لأن روميّة أرسانيوس أكيدة حيث تُعيّد له الكنيسة اليونانية، بعكس مكسيموس ودوماديوس اللذين لا تعرف عنها الكنيسة اليونانية شيئاً ولا تعيّد لهما (١٨١).

مركز أرسانيوس في التاريخ الرهباني لشيهيت:

لم يكن أرساني صاحب دير ولا مدرسة ولا تلاميذ كثيرين، ولكن بالرغم من ذلك فإن مركزه في التاريخ الرهباني كبير، وهذا يعود إلى عمق وأصالة الحياة الرهبانية لهذا الناسك الفريد. فبالرغم من أنه كان غريباً عن الديار المصرية، وبالرغم من المفارقة الشديدة بين مستوى ثقافته وحياته الإجتماعية وبين مستوى رهبان شيهيت الأميين البسطاء الفلاحين أصلاً، إلا أنه استطاع أن يقبل تهذيبهم الروحي والإجتماعي، ويخضع لكل تعاليمهم بدقة، معتبراً أن عدم التمييز في الأكل بين الفول الموس والفول الأبيض السليم فلسفة روحانية أعلى بكثير من الأدب اليوناني والثقافة اللاتينية!!، وأن تقديم نوعين من الأطعمة على المائدة نوع من البذخ والإتلاف

(179) Synax. Constant, ed. Delehayé, July 19.

(180) Evetts, Ch. & Monast., pp. 145f.

(181) Ev. White, II, pp. 101, 164, 406.

لنفس، وأن عمل الضفيرة وشغل المقاطف أسمى من تعليم الحكمة لأولاد الملوك، وأن الجلوس الصامت في قلاية ضيقة على الحصر يُعلّم الإنسان عن الحق والخلود مالا يُعلّمه الفلاسفة!!

وفي نهاية هذه السيرة المنيرة بالحكمة العملية، لا يسعنا إلا أن ننحني أمام ذكرى هذا المواطن الرومي، الذي دخل ضمن تراثنا الروحي كعمود من أعمدة شهب، ما فتىء حتى اليوم يضيء أمام أقدام السائرين على الطريق الضيق!!

الفصل السابع

صورة عامة للحياة الرهبانية

وكيف بدأت في نتريا وكملت في شهب

الحياة في الوحدة والحياة في المجمع:

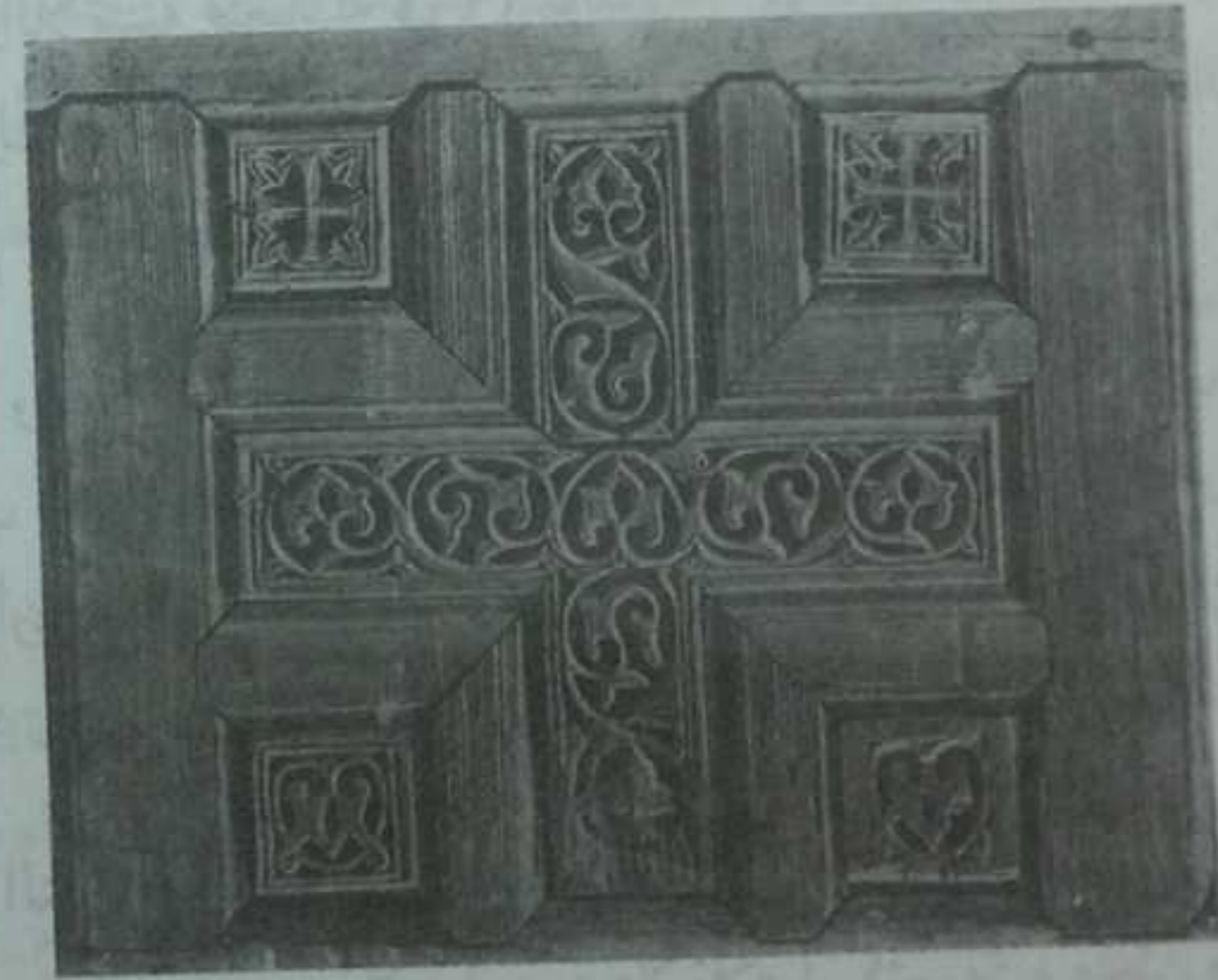
القديس آمون بدأ حياته متوحداً، كما بدأها القديس أنطونيوس وكما بدأها أيضاً القديس مقاريوس، ولكن بسبب التفاف الإخوة الجدد حول كل من أنطونيوس وآمون ومقاريوس نشأت عند كل واحد منهم الحياة المشتركة Coenobion، فصار كل واحد منهم أب شركة أو أب دير أو أب مجمع مع احتفاظه بحياته الخاصة كمتوحد. وسرعان ما نضج كثير من الإخوة في كل شركة وتحولوا إلى متوحدين أيضاً Anachorite، أي انزلوا عن الشركة (حسب ما تفيد الكلمة اليونانية ἀναχωρητής)، وعاشوا عيشة منفردة تماماً.

لذلك نستطيع أن نقرر من حكم الواقع أن دعوة الرهبنة الأصيلة إذا كانت كاملة وقوية تبدأ بالتوحد أو على الأقل تنتهي بالتوحد، فهي تبدأ بالتوحد عند الأشخاص الذين تتكامل عندهم منذ البدء المواهب الروحية والجسدية معاً، ويكونون قد أوتوا درجة من الإفراز ونضوج الشخصية والقدرة العالية على ملاءمة الظروف واحتمال الضنك.

وقد تنتهي الرهبنة بالتوحد بعد فترة، تطول أو تقصر في المجمع أي في العيشة المشتركة، حسب سرعة الراهب في الإنسلاخ من الإنعطاف الروحي والفكري والجسدي نحو الجماعة، إلى الالتصاق بالله وحده كمعين ومدبر ومعزي للروح والفكر والجسد.

ولكن بقيت طبقة معينة من الرهبان في كل شركة وفي كل عصر غير قادرة على الإنسلاخ من حياة الشركة إلى حياة التوحد، إما بسبب نقص في المواهب الروحية، وإما بسبب نقص في الإمكانيات الجسدية، وإما ليس بسبب أي نقص على الإطلاق، وإنما بسبب طغيان مواهب الخدمة على مواهب التوحد والإستغراق في البذل من أجل الآخرين.

ومضداً لهذا التقسيم، وجدنا في كل من شركة أنطونيوس وآمون ومقاريوس نماذج كاملة في



حشوة محفورة من الخشب تتوسط الجزء العلوي من حجاب أحد هياكل الكنائس داخل منطقة دير القديس أبوسيفين بمصر القديمة - الزخرفة الأساسية للصليب هو فرع نباتي يدور في أشكال بيضاوية تحيط بورق شجر أو زهرة زخرفية - ترجع إلى القرن الحادي عشر

القداسة ومتكاملة في الفضائل في كل من الحياتين، أي متوحدين قديسين وكاملين، ورهبان مجمع قديسين وكاملين أيضاً.

ولكن بحسب طبيعة الدعوة الرهبانية التي أساسها هو الخروج من العالم والانعزال عن الأهل والناس عموماً حباً في الله وحده، أصبح طقس التوحد أقرب إلى جوهر الرهبنة من طقس الشركة، ولكن يتحتم أن يكون ذلك على أساس هام جداً هو أن يكون الإبتعاد عن الكل (الناس) إيجابياً وليس سلبياً، أي من أجل الإتحاد بالواحد (الله) وليس نفوراً من الناس. لذلك أصبح التوحد في المفهوم الروحي الصرف ليس هو البعد الظاهري أو المكاني عن العالم والناس، بل هو الإبتعاد القلبي عن الدنيا، وليس هو مجرد التقابل مع الله في الصحراء والقفرة، ولكن هو من أجل الإتحاد الداخلي مع الله بالروح. أما الإبتعاد المكاني والظاهري عن العالم والناس لتهيئة الجو الملائم للإتحاد بالله في عزلة الصحراء والقفرة؛ فهي تبقى دائماً عند الآباء ضرورة لمن أراد أن يبلغ إلى الإتحاد بالله على المستوى الكامل.

وقد وصف لنا كاسيان في كتابه هاتين الحياتين اللتين رآهما ومارسهما هو بنفسه: [وأول درجة من الحياة الرهبانية هي التي في الشركة التي يعيش فيها الرهبان في الجماعة ويدرهم شيخ واحد، أما الدرجة الثانية فهي التي للمتوحدون الذين يسبق تدريبهم على الوحدة داخل الحياة المشتركة في المجمع، فإذا كملوا في الحياة العملية يختارون العزلة في داخل الصحراء]^(١). وقد سمي كاسيان المجمع *primaе scolae coenobii* أي مدرسة المجمع الإبتدائية، وسمى الحياة المنفردة *Secundus gradus anachoreseos* أي درجة التوحد الثانوية. ويقول على نفسه أنه لما أتقن مستلزمات عناصر الوحدة خرج من المجمع وعاش منفرداً^(٢) تحت إرشاد أب متوحد.

ولكي يُكوّن القارئ صورة واقعية للحياة الرهبانية في نتريا والقلالي وشيهيت، يلزم أن يدرك أن تدرج هذه الثلاث براري في الظهور كان متناسباً و متمشياً مع عامل النضوج الرهباني القائم على أساس التقدم في اكتساب مواهب الوحدة، فكانت نتريا هي المدرسة الأولى للمجمع، ثم تخرج منها متوحدون انعزلوا عن نتريا وسكنوا منطقة القلالي فرادى، ومن القلالي نزح بعض الشيوخ الكبار الذين أرادوا تعمقاً أكثر في الوحدة وفي ارتياد مجاهل الصحراء ودخلوا شيهيت. فلما بدأت الحياة الرهبانية في نتريا ظلت فترة طويلة منعكفة على نفسها في هيئة حياة شركة عامة كبرى من داخلها شركات منفصلة صغيرة. ولكن سرعان ما نضجت فيها عوامل الوحدة فظهر الإلحاح على الإنفراد الذي باركه كل من آمون وأنطونيوس، وعينوا للآباء مكاناً يبعد ١٢ ميلاً

(1) Cassian Coll. XVIII, 4.

(2) Cassian Coll. XVIII, 16, 4.

عن نتريا وصلوا عليه وكرّسوه لسكنى المتوحدين. فابتدأت نتريا تأخذ شكل المدرسة الإعدادية للقلالي، وهذا نعلمه من أقوال كل من إيقاجريوس وبالليديوس. فيقول الأول: إنه بعد أن مكث في نتريا سنتين، غادرها والتحق بالقلالي^(٣). ويقول بالليديوس: إنه بعد أن درس الحياة الرهبانية على أرسيزيوس وآخرين سنة واحدة، دخل إلى الصحراء الداخلية (القلالي)^(٤).

أما في شيهيت فهذا التحديد القاطع بين الحياتين لا نجده واضحاً، إذ نجد أن المتوحدون أنفسهم هم الذين كانوا يعدّون الراهب الجديد لحياة الوحدة، فكل متوحد كان يحيط به تلاميذ سرعان ما يتركونه لينعكفوا في حياة التفرد. فلم يكن في شيهيت حتى القرن التاسع تقريباً ما يمكن أن يسمى مجعاً بالمعنى الذي نعرفه، بل إن المجمع في شيهيت، إذا صحّ تسميته بذلك، كان يجمع عدة متوحدين يُعدّون الإخوة للحياة التوحيدية (ولكن في دير أبنا مقار ظل التوحد قائماً خارج أسوار الدير حتى القرن الرابع عشر).

أولاً: صورة واقعية منظورة للحياة المجمعية في نتريا:

يقص علينا مؤلف كتاب «هستوريا موناخورم» عن مشاهدة واقعية للحياة في نتريا فيقول: [في هذا المكان رأيت خمسين تجمعاً (التجمع عبارة عن عدة قلالي مبنية متلاصقة في حيطيّة أي ديس) متقاربة مع بعضها، يرأسها أب واحد، وفي بعضها يعيش الرهبان بأعداد كبيرة معاً، وبعضها قليل العدد، وبعضها يسكنها الرهبان فرادى]^(٥).

وفي كتاب أقوال الآباء يظهر أن أب الجماعة كلها كان كمسئول عام، وكان هو الذي يتحدث بلسانها: [مرة زارنا وفيلس البطريرك جبل نتريا فخرج أب الجبل لإستقباله...]^(٦).

ولكن بالليديوس بدقته المعهودة يتغلغل النظام الآبائي في نتريا أكثر ويقدم لنا عنه صورة واضحة بديعة: [ويوجد في نتريا ثمانية كهنة شيوخ مدبرون على الكنيسة كلها، وطالما يكون الشيخ الأول بينهم حياً فلا يجترى أي كاهن آخر من السبعة الباقين على الخدمة أو تقديم الذبيحة أو إلقاء كلمة وعظ أو إبداء رأي في الحكم على الأمور، بل يجلسون فقط بجواره هادئين صامتين]^(٧). ويقول إقليين وايت، معلقاً على تقرير بالليديوس، إن وظيفة الأب كانت في الحقيقة تعبر فعلاً عن لقبه كرأس للجماعة كلها ورأس للسبعة شيوخ مدى الحياة، حيث يكون له

(3) Pallad., L.H., Ch. XXXVIII.

(4) Pallad., L.H., Ch. VII.

(5) Latin V., Ch. XXI.

(6) Apoph. Patr., Gr. V., Theoph. 1.

(7) Pallad., L.H., Ch. VII.

الحق المطلق وحده في: أولاً: إقامة القداس، ثانياً: إلقاء العظات والدروس على الجماعات، وثالثاً: التدبير والتلمذة والحكم بالقطع أو الحرمان من الذبيحة^(٨) والشركة.

أما وظيفة السبعة شيوخ فكانت تنحصر في معاونة الأب الرأس، والقيام بعمله مجتمعين في حالة غيابه أو موته، إلى أن يتم اختيار من يخلفه، ويتضح لنا ذلك من رسالة أمونيوس إلى ثاوفيلس البطريرك يصف له كيفية تسليمه الرسالة سنة ٣٥٥ (بعد موت آمون) إلى الشيوخ مجتمعين: [وقد قمت بتسليم الرسالة إلى الذين كانوا مع القديس بيثور وبامو وبقية الكهنة في نتريا]^(٩).

و يصف لنا أمونيوس أيضاً التدرج الذي كان متبعاً في عرض الأمور على الجماعة وقراءة الرسائل المرسله، فهي تُقرأ أولاً في حضرة الكهنة مجتمعين ثم تُعرض على كل الجماعة يوم الأحد^(١٠). ومن رؤساء نتريا الذين نعرفهم، كانوا بالتتابع بعد آمون، كرونوس واسحق ومقاريوس الإسكندراني وبنيامين. ونقرأ كثيراً في حوادث الحياة اليومية كيف كانت الجماعة تلجأ إلى مجمع الشيوخ الثمانية لحل القضايا التي كان يعسر على الآباء المحليين حلها بمفردهم، مثل حادثة الراهب الذي مات فوجدوا في قلايته ديناراً ذهبياً، فارتبكوا في كيفية التصرف بهذا الدينار لأن الراهب كان يتبع المجمع، ومعروف أن الذي كان يعيش في المجمع يحرم عليه اقتناء المال بأي حال من الأحوال. فلما عجز الرهبان عن إيجاد حل ذهبوا إلى [مكار يوس وبامو وإسيذوروس وبقية الآباء الشيوخ]^(١١)، الذين أفتوا بضرورة دفن الدينار معه في المقبرة أخذاً بقول الإنجيل: «فلتذهب فضته معه للهلاك» (أع ٨: ٢٠). كذلك نقرأ في سيرة الأب بيثور كيف ذهبت أخته إلى القديس أنطونيوس تستعطفه لكي يأتي بيثور ليزورها لتراه قبل أن تموت، وكيف أرسل القديس أنطونيوس رسالة إلى «الآباء شيوخ نتريا» باعتبارهم مدبري الجماعة يستحثهم لإقناع بيثور لزيارة أخته، فلم يتأخروا عن قبول توسط الأب أنطونيوس، ولم يستطع بيثور مخالفة أمر الشيوخ.

وكذلك حينما أمر «الشيوخ» اسحق متوحد شيهيت أن يقبل الكهنوت لم يستطع أن يرفض، فاضطر أن يهرب، ولكنهم حفظاً لكلمتهم ووثوقاً منهم بصدورها من الله، نزلوا وراءه بأنفسهم إلى الريف، حيث أظهر الله لإسحق صدق دعوة الشيوخ له وأنها من الله، فخضع لهم وقام معهم.

وتظهر مسئولية الشيوخ فيما يختص بمنهج السلوك والتدبير عند بقية الآباء في قصة القديس

(8) Ev. White, II, p. 170.

(9) Act. SS., May III, appendix 70.

(10) Ev. White, II, p. 170.

(11) Jerome, Epist. XXII, Ch. 33.

سلوانس لما تدمر عليه تلاميذه الأحد عشر بسبب محاباته لمقص، كيف تدخل «الآباء الشيوخ» ليتحققوا من هذا الأمر بأنفسهم، وكيف أفتعهم سلوانس بوجهة نظره في الأمر، فافتنعوا وسكتوا عنه.

من كل هذه الحوادث تظهر شخصية «الآباء الشيوخ» كمصدر سلطة كبيرة مهابة حاکمة، وحكمها نافذ بسبب وزنها الروحي العالي، حيث تبدو طاعتها كطاعة الله عند الإخوة عموماً، لأنهم ليسوا كهنة وحسب، بل إنهم كانوا رؤساء شركة، فكل أب يرأس جماعة أو ديراً. وكانوا هم الذين يتولون مقابلة الضيوف الكبار والعلماء وطالبي الرهبنة الجدد لاختبارهم، كل في دائرة جماعته، ولا يجمعهم إلا الأمور التي تخص البرية كلها، ويتضح هذا من تقرير بالليديوس عن نفسه: [وقد انتفعت كثيراً بتعليم الآباء المباركين أرسيز يوس الكبير وبثوباسطس وأصيون وكرونوس وسيرايون، وامتلت نفسي غيرة من حديث الآباء الشيوخ]^(١٢).

تعداد رهبان نتريا في أواخر القرن الرابع وتديبرهم:

يخبرنا المؤرخ روفينوس أن تعداد نتريا زمن تواجده هناك، أثناء زيارته المشهورة سنة ٣٧٣ م.، كان قد بلغ ثلاثة آلاف راهب^(١٣). ثم يعود المؤرخ جيروم فيذكر لنا أن تعداد نتريا أثناء زيارته لها كان قد بلغ خمسة آلاف راهب^(١٤). ويعود بالليديوس ويصدق على تعداد نتريا بنفس الرقم أثناء زيارته الخاصة أيضاً^(١٥). ثم يأتي كاتب المستور يا موناخورم سنة ٣٩٥ م. ويذكر لنا أن الجماعة في زمان زيارته كانت قد التأمّت في نتريا على هيئة خمسين محلة أو خيمة أو جماعة سكنية، أو دير.

فلو قسّمنا الخمسة آلاف راهب على الخمسين وحدة سكنية (أو خمسين جماعة أو ديراً) يكون كل دير به مائة راهب أو أكثر أو أقل. فشلاً جماعة اسحق قس القلاي أو ديره كان به ٢١٠ راهباً.

أما نوع الحياة الديرية التي كان يعيشها رهبان كل مجمع أو دير في نتريا فكانت وسطاً بين حياة الشركة وحياة الوحدة، فالراهب يعيش بمفرده ولكن يلتزم بقوانين عامة للجماعة في الصلاة وكل ترتيباتها وفي الأكل والشرب واللبس وعمل اليدين وبيع عمل اليدين وبناء القلاي والكنائس. ولكن كل فرد يدبر نفسه حسب إمكانياته ومواهبه^(١٦)، ولكن كان يعتمد في نظام

(12) Pallad., H.L., Ch. VII.

(13) Ruf., H.E., II, 3.

(14) Jerome, Epist. XXII, 33.

(15) Pallad., Ch. VII, XIII.

(16) Ev. White, (cit. Pallad.) II, p. 172.

الحق المطلق وحده في: أولاً: إقامة القداس، ثانياً: إلقاء العظات والدروس على الجماعات، وثالثاً: التدبير والتلمذة والحكم بالقطع أو الحرمان من الذبيحة^(٨) والشركة.

أما وظيفة السبعة شيوخ فكانت تنحصر في معاونة الأب الرأس، والقيام بعمله مجتمعين في حالة غيابه أو موته، إلى أن يتم اختيار من يخلفه، ويتضح لنا ذلك من رسالة أمونيوس إلى ثاوفيلس البطريرك يصف له كيفية تسليمه الرسالة سنة ٣٥٥ (بعد موت آمون) إلى الشيوخ مجتمعين: [وقد قمت بتسليم الرسالة إلى الذين كانوا مع القديس بيثور وبامو وبقية الكهنة في نتريا]^(٩).

ويصف لنا أمونيوس أيضاً التدرج الذي كان متبعاً في عرض الأمور على الجماعة وقراءة الرسائل المرسله، فهي تُقرأ أولاً في حضرة الكهنة مجتمعين ثم تُعرض على كل الجماعة يوم الأحد^(١٠). ومن رؤساء نتريا الذين عرفهم، كانوا بالتتابع بعد آمون، كرونوس واسحق ومقاريوس الإسكندراني وبنيامين. ونقرأ كثيراً في حوادث الحياة اليومية كيف كانت الجماعة تلجأ إلى مجمع الشيوخ الثمانية لحل القضايا التي كان يعسر على الآباء المحليين حلها بمفردهم، مثل حادثة الراهب الذي مات فوجدوا في قلايته ديناراً ذهبياً، فارتبكوا في كيفية التصرف بهذا الدينار لأن الراهب كان يتبع المجمع، ومعروف أن الذي كان يعيش في المجمع يحرم عليه اقتناء المال بأي حال من الأحوال. فلما عجز الرهبان عن إيجاد حل ذهبوا إلى [مكار يوس وبامو وإسيذوروس وبقية الآباء الشيوخ]^(١١)، الذين أفتوا بضرورة دفن الدينار معه في المقبرة أخذاً بقول الإنجيل: «فلتذهب فضته معه للهلاك» (أع: ٨: ٢٠). كذلك نقرأ في سيرة الأب بيثور كيف ذهبت أخته إلى القديس أنطونيوس تستعطفه لكي يأتي بيثور ليزورها لتراه قبل أن تموت، وكيف أرسل القديس أنطونيوس رسالة إلى «الآباء شيوخ نتريا» باعتبارهم مدبري الجماعة يستحثهم لإقناع بيثور لزيارة أخته، فلم يتأخروا عن قبول توسط الأب أنطونيوس، ولم يستطع بيثور مخالفة أمر الشيوخ.

وكذلك حينما أمر «الشيوخ» اسحق متوحد شيهيت أن يقبل الكهنوت لم يستطع أن يرفض، فاضطر أن يهرب، ولكنهم حفظاً لكلمتهم ووثوقاً منهم بصدورها من الله، نزلوا وراءه بأنفسهم إلى الريف، حيث أظهر الله لإسحق صدق دعوة الشيوخ له وأنها من الله، فخضع لهم وقام معهم.

وتظهر مسئولية الشيوخ فيما يختص بمنهج السلوك والتدبير عند بقية الآباء في قصة القديس

(8) Ev. White, II, p. 170.

(9) Act. SS., May III, appendix 70.

(10) Ev. White, II, p. 170.

(11) Jerome, Epist. XXII, Ch. 33.

سلوانس لما تدمر عليه تلاميذه الأحد عشر بسبب محاباته لمقص، كيف تدخل «الآباء الشيوخ» ليتحققوا من هذا الأمر بأنفسهم، وكيف أقتنعهم سلوانس بوجهة نظره في الأمر، فاقنعوا وسكتوا عنه.

من كل هذه الحوادث تظهر شخصية «الآباء الشيوخ» كمصدر سلطة كبيرة مهابة حاكمة، وحكمها نافذ بسبب وزنها الروحي العالي، حيث تبدو طاعتها كطاعة الله عند الإخوة عموماً، لأنهم ليسوا كهنة وحسب، بل إنهم كانوا رؤساء شركة، فكل أب يرأس جماعة أو ديراً. وكانوا هم الذين يتولون مقابلة الضيوف الكبار والعلماء وطالبي الرهبنة الجدد لاختبارهم، كل في دائرة جماعته، ولا يجمعهم إلا الأمور التي تخص البرية كلها، ويتضح هذا من تقرير بالليديوس عن نفسه: [وقد انتفعت كثيراً بتعليم الآباء المباركين أرسيز يوس الكبير وبثيو باسطس وأصيون وكرونيوس وسيرايون، وامتلأت نفسي غير من حديث الآباء الشيوخ]^(١٢).

تعداد رهبان نتريا في أواخر القرن الرابع وتديبرهم:

يخبرنا المؤرخ روفينوس أن تعداد نتريا زمن تواجده هناك، أثناء زيارته المشهورة سنة ٣٧٣ م.، كان قد بلغ ثلاثة آلاف راهب^(١٣). ثم يعود المؤرخ جيروم فيذكر لنا أن تعداد نتريا أثناء زيارته لها كان قد بلغ خمسة آلاف راهب^(١٤). ويعود بالليديوس ويصدق على تعداد نتريا بنفس الرقم أثناء زيارته الخاصة أيضاً^(١٥). ثم يأتي كاتب المستوريا موناخورم سنة ٣٩٥ م. ويذكر لنا أن الجماعة في زمان زيارته كانت قد التأمت في نتريا على هيئة خمسين محلة أو خيمة أو جماعة سكنية، أو دير.

فلوقسنا الخمسة آلاف راهب على الخمسين وحدة سكنية (أو خمسين جماعة أو ديراً) يكون كل دير به مائة راهب أو أكثر أو أقل. فشلاً جماعة اسحق قس القلاي أو ديره كان به ٢١٠ راهباً.

أما نوع الحياة الديرية التي كان يعيشها رهبان كل مجمع أو دير في نتريا فكانت وسطاً بين حياة الشركة وحياة الوحدة، فالراهب يعيش بمفرده ولكن يلتزم بقوانين عامة للجماعة في الصلاة وكل ترتيباتها وفي الأكل والشرب واللبس وعمل اليدين وبيع عمل اليدين وبناء القلاي والكنائس. ولكن كل فرد يدبر نفسه حسب إمكانياته ومواهبه^(١٦)، ولكن كان يعتمد في نظام

(12) Pallad., H.L., Ch. VII.

(13) Ruf., H.E., II, 3.

(14) Jerome, Epist. XXII, 33.

(15) Pallad., Ch. VII, XIII.

(16) Ev. White, (cit. Pallad.) II, p. 172.

الجماعة وتديرها على غير حرة كل راهب أكثر من سلطة القانون بوجه عام.

أما في الحوادث الخارجة عن النظام والمُخلّة بالحياة الرهبانية، فكان الشيوخ لا يرحمون في حكمهم، لردع الأشرار والمنحليين. ولم يخلُ الحال من العقوبة الجسدية، فكان داخل فناء الكنيسة ثلاث نخلات يُعَبَط عليها المحكوم عليهم في المخالفات الخطيرة، ويضربون بالكراباج: [وفي نتر يا يوجد كنيسة عظيمة في فنائها ثلاث نخلات مُعلّق على جذع كل واحدة منها كراباج، وكانت مقسّمة واحدة لجلد الرهبان على ظهورهم، والثانية مخصصة للمصوص الذين يُضبطون وهم يقتحمون مساكن الآباء، والثالثة للسراقات العارضة] (١٧).

الشغل اليدوي:

وكان الشغل اليدوي لكل راهب ضرورة حتمية من الوجهة الروحية الصرف، ومن الوجهة الإقتصادية أيضاً. وجماعة نتر يا اختصت بغزل الكتان ونسجه نظراً لقرب نتر يا من حقول الكتان بمنطقة البحيرة، وخلقها أصلاً من النخيل الذي يصلح لعمل المقاطف والحبال، لذلك فأباء نتر يا كانوا مختصين بغزل الكتان ونسجه، بخلاف رهبان شيهيت الذين اقتصروا بالمقاطف وحبال الليف من النخيل والحصر من البردي.

كما كان معظم الآباء ينزلون في شهور حصاد القمح وهي أيام الخمسين بالذات، فكانوا يعملون أثناءها كأجراء في الحقول طول هذه الفترة، فنسمع عن بيتور أنه اعتاد أن ينزل أجيراً عند صاحب حقول معين ثلاث سنين متوالية (١٨)، وكان ما يوفره كل راهب في زمن الحصاد يفوق حاجته، فنشأت فرصة لتقديم الصدقة، ونعلم من سيرة الأب «بامو» أنه استطاع اقناع كل راهب في جماعة نتر يا بتقديم أردب للصرف منها على فقراء الآباء والأهالي (١٩).

أما موضوع بيع عمل اليايين وشراء لوازم الآباء، فلم يكن من عمل الرهبان فرادى بل كان مخصصاً له جهاز خدمة متناسق، للإتصال بالآباء من ناحية، والعالم من ناحية أخرى، واستحضار اللوازم جملة، وكان هذا الجهاز يسمى «الخدمة» بالقبطية تدعى «الداجونية» وباليونانية «إيكونومية» والمسئول الأول فيه يدعى الأقتوم Oeconomus، فنحن نسمع عن «أوريجنس» أقتوم قلاية لاقرأ (أودين) الأب «بامو» الذي استدعاه لإستلام كيس النقود من ميلانية الكبيرة، وأوصاه أن يقوم بالسفر إلى ليبيا لتوزيعه على الأديرة الفقيرة هناك (٢٠) (أي أديرة الواحات وكانت محسوبة ضمن حدود ليبيا).

(17) Ibid., p. 172.

(18) Apoph. Patr., Gr. V., Pior, I.

(19) Ev. Wh., II, p. 54.

(20) Laus. Hist., Ch. X.

وكذلك نسمع من كاسيان أنه تحت رئاسة بافنونتيوس في شيهيت (البراموس الآن) كان يوجد إيكونوموس (أقتوم) أو ما ندعوه اليوم رُبَيْتَه يدعى يوحنا، وطبعاً كان هو يوحنا القصير قبل تقلّده رئاسة دير جنوباً.

ومن هذا يتضح لنا أن كل دير كان يرأسه أب روجي يدبر شؤون الرهبان روحياً، وهذا يكون عضواً في جماعة الآباء الشيوخ المدبرين، وتحت هذا الأب يوجد الإيكونوموس أو المدبّر للحاجات الجسدية.

المخبز والحديقة والمطبخ ومنزل الضيافة:

يخبزنا بالليديوس أن نتر يا كانت مجهزة بسبعة أفران، أو مخابز، يتوفر فيها العجين والمخبز. ولكن نتر يا كانت مسئولة أيضاً عن تموين جميع الآباء المتوحدين في القلاية بالمخبز، لذلك فإن السبعة مخابز كانت موزعة باعتبار مخبز لكل عشرة أديرة من أديرة نتر يا، ومخبزين للمتوحدين بالقلاية. علماً بأن تعداد متوحدي القلاية زمن بالليديوس كان ستمائة متوحد.

وهكذا نعتقد أن كل أب من الآباء الشيوخ السبعة (المساعدين) كان يدخل ضمن حدود مسئوليته مخبّز من المخابز السبعة، ولكن كان يدبّر كل واحد منها أقتوم بمساعدة عدة رهبان (قصة الأب الذي كان يمضي اليوم كله يخبز لغيره). كذلك نسمع من بالليديوس أن كل دير من الأديرة الخمسين كان له حديقة خضروات وفاكهة ومطبخ عام.

أما المضيافة فهي ملاصقة للكنيسة، حيث يستقبل الرهبان الضيوف و يسمحون للضيف بالإقامة أي فترة حتى يغادر المنزل بحريته. ويمكث الضيف أحياناً إلى مدة قد تطول إلى سنتين أو ثلاث (الضيوف المرغوب فيهم الذين يحافظون على ناموس الدين). ويُسمح للضيف أن يبقى أسبوعاً بدون عمل، ولكن بعد الأسبوع يُستدعى للمساعدة إلزامياً في المطبخ أو المخبز أو الحديقة. أما إذا كان شخصية كبيرة فإنه يُعطى كتاباً ليقرأ فيه، ولكن لا يُسمح له بالحديث مع أي راهب قبل الساعة السادسة. وكان يُعيّن على بيت الضيافة أب، وكان يُختار من بين الآباء الفضلاء جداً، فأصحاب منازل الضيافة كانت لهم شهرة خاصة في الرهينة والكنيسة أيضاً. وقد نزلت ميلانيا مع روفينوس في هذا البيت وأقاما فيه مدة طويلة.

وكانت هذه الملحقات من مطبخ ومخبز ومنزل للضيافة وحديقة، كلها ملاصقة للكنيسة.

الأطباء والدواء:

وفي نتر يا يوجد أطباء يعيشون هناك مع الرهبان، ويقص لنا بالليديوس عن [طبيب مقيم في نتر يا شاهده بنفسه، يدعى أبولونيوس، اعتزل العالم وأقام في نتر يا، وكان قد تقدم في الأيام

بدرجة لا تسمح له باكتساب خبرة صنعة أخرى يتعيش منها وسط الرهبان. هذا عاش في نتريا عشرين سنة يزاول مهنته، ومن ماله كان يشتري بنفسه الأدوية والعقاقير من الإسكندرية ومحضرها لمعالجة المرضى بين الرهبان، وكان يُرى في كل أنحاء نتريا وهو يخرج كل يوم يمر على الجماعات والقلاي من الصباح الباكر حتى الساعة التاسعة (٣ بعد الظهر) منتقلاً من باب إلى باب يسأل عن المرضى. وكان يحمل معه دائماً كمية من العنب والرمان والبيض والبسكوت لغذاء المرضى، وكان يحس بمنفعة عظمى من هذه المهنة وهو في هذا السن. ولما تتيح هذا الأخ الطبيب الحبيب كان قد سلم المهنة إلى شخص آخر في مثل رجاءته المهنية والروحية، وشجعه أن يؤدي من بعده هذه الرسالة بإخلاص ومحبة. لأن نتريا كان بها خمسة آلاف راهب كانوا دائماً في حاجة إلى هذه الإفتقادات لأن المكان كان قفراً [٢١].

الخدمات الروحية الطقسية:

كان في نتريا كنيسة عظيمة، على حد رواية بالليديوس كشاهد عيان، ولكنها لم تكن تستخدم قط إلا في يومي السبت والأحد فقط من كل أسبوع للعشية والقداس [٢٢].

ولم يكن في نتريا خدمات أخرى طقسية عامة ولا حضور لصلوات السواعي على مدى النهار والليل. ولكن كان الآباء جميعاً يقفون كل واحد في حوش قلايته ويتلو زمير الساعة التاسعة بصوت مرتفع، فكان الواقف في نتريا يسمع الجبل كله وهو يترنم بالزمير: [وفي الساعة التاسعة كان الواقف في جبل نتريا يسمع تسييح الأبصلمودية يرتفع من كل قلاية، فيتهياً للإنسان أنه واقف في السماء في الفردوس] [٢٣]، وذلك إما واحداً واحداً أو اثنين اثنين حسب سكنهم، وإما جماعة جماعة.

وكذلك بخصوص صلاة نصف الليل فإنها كانت تقام أيضاً في القلاية كل واحد بمفرده بدون حضور للكنيسة على مدار الأيام، ما خلا يوم السبت فقط الذي كانوا يجتمعون فيه في الكنيسة للصلاة حتى الصباح [٢٤].

(21) Pallad., L.H., p. 13 apollo.

(22) Pallad., L.H., Ch. VII.

(23) Ibid.

(٢٤) كتاب مار اسحق، الجزء الأول الفصل الأول.

ثانياً: نشأة منطقة القلاي وعلاقتها بنتريا:

بدأت منطقة القلاي كملحق خاص أو امتداد روحي وسكني لمنطقة نتريا، ولكن سرعان ما استحوزت القلاي على الشهرة فوق نتريا بسبب التزام السكان فيها بالوحدة المطلقة. وما أن قارب القرن الرابع على الإنهاء، حتى صارت نتريا مكان إعداد وتلمذة للسكن في القلاي كطقس حياة أعلى.

وقد جاء هذا الوصف لمنطقة القلاي في كتاب الهستوريا موناخورم: [ويوجد غير نتريا مكان آخر في الصحراء الداخلية يبعد عشرة أميال (هو اثنا عشر ميلاً) عن نتريا، الذي يُدعى باسم القلاي، نظراً لظهور قلايه متفرقة بعضها عن بعض. وكل الذين تعلموا (الطقس الرهباني وكيفية التصرف حسب نواميسه) ويرغبون في حياة التوحد، فإنهم يلتجئون إلى القلاي لأنها برية قفر منعزلة تماماً وقلايها متباعدة، للدرجة التي فيها لا يسمع ولا يرى الواحد الآخر. والرهبان هناك يعيشون كل واحد بمفرده تماماً، حيث هناك الصمت بينهم والهدوء عميق للغاية، ولا يرى الواحد منهم الآخر على مدار الأسبوع قط إلا يومي السبت والأحد داخل الكنيسة، حيث تصبح رؤية وجوه بعضهم لبعض متجلية كأنها سماوية. فإذا حدث أن تعوق أحدهم عن الحضور إلى الكنيسة في هذا الاجتماع، يدرك الجميع أنه ختماً بسبب مرض أصابه، فيتجه الآباء نحو قلايته بعد الكنيسة، ولكن ليس جماعة واحدة وإنما واحداً بعد الآخر حيث يتبارى كل واحد في تقديم شيء يُسرُّ به قلب المريض. ولا يوجد أي عذر آخر يتسبب عن كسر ناموس الوحدة التي يعيش فيها كل واحد، إلا إذا كان بسبب زيارة المريض لتقديم كلمة عزاء، وهذه يتبارى الشيوخ في تقديمها للمحتاج. والكنيسة هناك تبعد عن بعض القلاي ثلاثة أو أربعة أميال. وكان سخاؤهم في البذل كبيراً للغاية ورباط المحبة الذي يربطهم بعضهم ببعض وبكافة الإخوة من القوة إلى درجة تثير العجب والدهشة، فهو نموذج عال] [٢٥].

نظام الرئاسة والتدبير في القلاي:

والمستوحدون في القلاي يكونون دائماً على درجة من التلمذة والنضوج والحكمة الروحية لا يلزم معها وجود مدبر، ولكن كان قس الكنيسة يقوم بكل أعمال الرئيس، فنسمع عن مقار يوس الإسكندراني واسحق قس القلاي أنها كانا بصفة شيوخ، لها المشورة والكلمة الفضل [٢٦]، وقد ظهر ذلك بالفعل في القصة التي تروي كيف طرد اسحق قس القلاي أحد المتوحدين الجدد في القلاي، حينما رآه داخل الكنيسة بغطاء للرأس قصير وليس له الشكل المحترم القانوني حيث قال

(25) Hist. Monach., Lat. V., Ch. XXII.

(26) Pallad., L.H., Ch. XVIII.

له: «هنا مكان رهبان، أما أنت فقد صرت علمانياً بلباسك هذا، هيا أخرج من وسطنا» (٢٧).

ولكن لم يخلُ بجمع المتوحدين في القلاي من رهبان متعجرفين اتخذوا من التوحد والإنعزال والإعتماد على النفس فرصة للإفتراء على قس القلاي والخط من سلطان رئاسته، وهذا يتضح من مثل المتوحد المفضوح المدعوقالنس، كيف رد عطية مقار يوس الإسكندراني التي أرسلها له على سبيل بركة من الكنيسة، بعجرفة وتعال، قائلاً: «أنا لست أقل منك حتى ترسل لي بركة» (٢٨). ومن هذا يتضح أن هيبة ورئاسة قس القلاي كان المتوحدون يفرضونها على أنفسهم، ولكن لا تُفرض عليهم.

غير أنه كانت هناك سلطة أعلى من سلطة قس القلاي، وهي سلطة مجمع الشيوخ المتوحدين الذي كان يُعقد دائماً برئاسة قس القلاي. وهذا كان سلطانه قاطعاً بتأراً ومخيفاً لا ينظر إلى الوجوه، فإذا لفظ المجمع حكماً على أي متوحد كان نافذاً كالسيف، وكان الرهبان يخشون بأس المجمع جداً، وهذه السلطة تبدو واضحة في القصة التي تقول: [عقد المجمع συνέδριον في القلاي مرة من أجل أمر من الأمور، وبينما الشيوخ جالسون تكلم إيقاجر يوس (بدون إذن وكان متحذلقاً بعلمه)، فما كان من القس إلا أن انتهره قائلاً: «نحن نعلم يا أباً أنك لو كنت في بلدك لكانوا رسموك أسقفاً، ولكن اعلم أنك تجلس هنا كغريب (٢٩) فعليك ألا تفتح فك». فحزن إيقاجر يوس وتأسف ولكنه لم يفضب، غير أنه هز رأسه وطأطأها ناظراً إلى الأرض قائلاً: «إن ما قلموه هو حق يا أبائي، وها أنا تكلمت مرة ولكني لن أعود إلى ذلك مرة أخرى» (٣٠).

كذلك نعلم عن سلطة مجمع «الشيوخ» من قصة الأخوين المتوحدين اللذين نزلا إلى العالم بدافع الشهوة فأفسدا عفتها، ولما عادا للتوبة حكم عليهما «الشيوخ» بالحبس سنتين، الذي كان دواءً شافياً لهما، فخرج الأول معبساً من شدة لوم ضميره، وخرج الثاني مهتلاً من شدة فرحه بالتوبة.

نظام الخدمة الجسدية والمعيشة في منطقة القلاي:

كانت القلاي تعتمد اعتماداً كلياً على نتر يا في معيشتها، فالخبز كان يُصنع في أفران (فرنان على الأقل)، خاصة بمتوحي القلاي، الذين كان عددهم في نهاية القرن الرابع ما يقرب من

(27) Apoph. Patr., Ch. VIII, Isaak.

(28) Pallad., L.H., Ch. VIII.

(٢٩) وكس من مقالات كتبها إيقاجر يوس ليعلم الناس عن الغربة، وهو لم يستطع أن ينتفع بغرته العملية، وهذا يثبت أنه كان بائع كلام. وما يثبت هذه القصة أنه ذهب مرة إلى أحد الشيوخ يطلب نصيحة يخلص بها، فقال له: «لا تتكلم دون أن تُسأل».

(30) Apoph. Patr., Syr. V., p. 19.

ستمائة متوحد. وكان على القلاي متولون للخدمة مثل أوريجنس خادم دير (لافرا) الأنبا بامو، الذي كان يقوم بإعداد وتوصيل لوازم المتوحدين من نتر يا إلى القلاي (٣١).

أما شغل الأيدي لمتوحي القلاي فكان إما غزل ونسج الكتان وإما عمل المقاطف والليف، لأن منطقة القلاي كان يوجد بها نخيل، وهذا يتضح لنا من سيرة بامو الذي كان يشتغل في عمل المقاطف، وقد أهدى ميلانية آخر مقطف عمله في حياته قبل موته بدقائق.

كذلك كان المتوحدون يعتمدون أساساً على موسم الحصاد الذي كان يدر عليهم كل مصاريفهم من العمل في الحقول كأجراء (٣٢).

وبالإضافة إلى هذه الحرف الناجحة كان بعض المتوحدين يعملون كُنسّاخ، وهذه المهنة كانت مريحة أيضاً، ولكن كانت وقفاً على المتعلمين ذوي الخطوط الحسنة (٣٣).

وكان المتوحدون لا يعرفون شيئاً عن بعضهم إلا يومي السبت والأحد. فالمرضى أو حتى الذي يموت كان لا يُعرف إلا بواسطة غيابه يومي السبت والأحد، لذلك كان الحضور للكنيسة أمراً يقع في أقصى درجة من الأهمية، ولا يعوق المتوحد عن الكنيسة إلا المرض أو الموت. فكثير من المتوحدين لم ينكشف أمر نياحتهم إلا رابع يوم (٣٤). وخدمة مزامير الغروب ونصف الليل كانت هامة، ولكن كان المتوحدون يصلونها في قلايهم (٣٥).

والمعروف أن كنيسة القلاي بُنيت مبكراً جداً بعد زيارة أنبا أنطونيوس للمنطقة في المكان الذي وقف وصلى فيه مع آمون صديقه (ارجع ص ٤٩)، وكان ذلك قبل سنة ٣٥٠ م.

بيت للضيافة ومطبخ ومخازن:

يخبرنا بالليديوس أن اسحق قس القلاي وتلميذ الأب كرونيوس قام ببناء بيت للضيافة بجوار الكنيسة للمرضى من الرهبان ولراحة الزوار والآباء الذين يأتون من أسفار بعيدة نظراً لبعده المكان (٣٦).

(31) Pallad., L.H., Ch. X.

(32) Apoph. Patr., IV, VII.

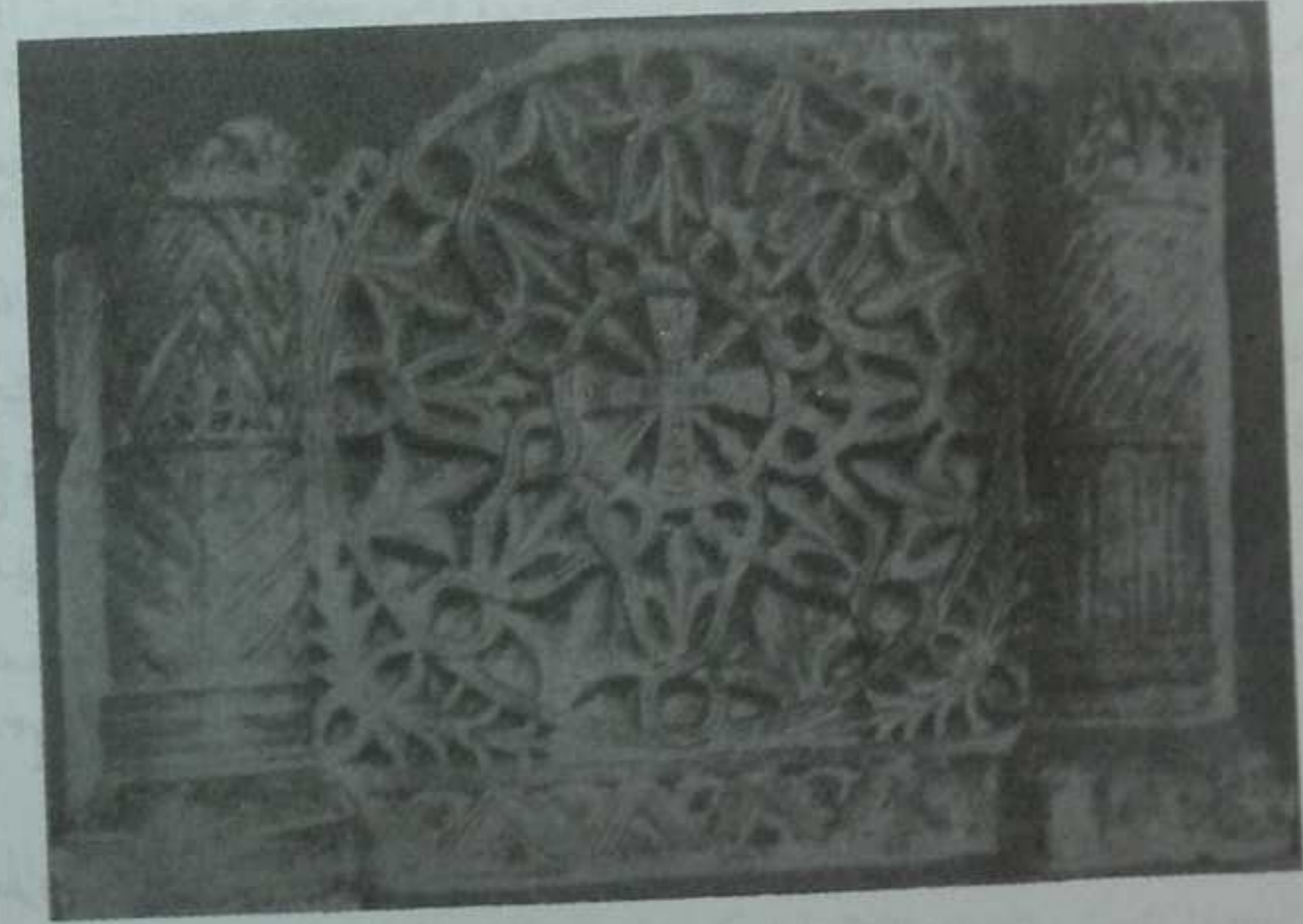
(33) Pallad., L.H., Ch. XXXIII.

(34) Hist. Monach., Ch. XXIII, 3.

(35) Ev. Wh., II, p. 177.

(36) Pallad., Dial. de Vita. John. Chrys., ch. XVII.

و يُعتقد أن هذا البناء ظهر في القلاي بعد سنة ٣٩٥ م. ، لأن كاتب المستور يا موناخورم لم يأت إلى ذكره في وصف المنطقة، ومعلوم أن زيارته كانت سنة ٣٩٥ م. لذلك يُرجَّح أن بناءه تم ما بين عامي ٣٩٥ و ٤٠٠ م. ، قبل طرد اسحق من القلاي أيام اضطهاد ثاوفيلس البابا الثالث والعشرين .



قطعة منحوتة من الحجر الجيري من دير باو يط (ق ٧/٦) يتوسطها صليب
[معروضة بمتحف الدولة Staatliche Museen في برلين]

القلاي

ملخص الأبحاث الحديثة

إستناداً على الحفريات التي قام بها العالمان الأثريان :

چيومون، ودوما من المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة

(١٩٦٤-١٩٦٥) (١)

يشاء الله قبل أن نختم بحثنا هذا عن حياة أنبا مقار وتاريخ الديرية في شيهيت، أن نتلاقى مع المسيو «دوما» مدير معهد الآثار الفرنسي ونتعرف على الكشف الكبير الذي قام به هذا العالم الفاضل المتدين في منطقة القلاي، وهي المنطقة التي سبق أن حددناها بدقة في بحثنا الصغير في هذا الكتاب. فجاءت أوصاف الموقع كما اكتشفته البعثة الفرنسية على الطبيعة مطابقاً تماماً لما تصورناه، وسنحاول هنا تلخيص كل ما عثرت عليه هذه البعثة في اكتشافها.

وهنا يجدر بنا تنبيه ذهن القارئ أن منطقة القلاي لها أهمية كبيرة للغاية في التاريخ الرهباني، فهي مهد الرهبنة التوحيدية والمدرسة الأصيلة للنسك والتقوى والإستنارة الروحية، وموطن الأپوفثجماتا الأول.

والرجاء من القارئ أن يطلع على مجموعة الصور التوضيحية لهذه المنطقة التي قام المعهد الفرنسي بالتقاطها، ويجد القارئ الشرح واضحاً على كل صورة في ملزمة الصور في آخر الكتاب.

الموقع:

على هدى الأبحاث النظرية التي وضعها إفلين وايت (٢)، ومسيو كورزون، توجهت البعثة إلى دمنهور ومنها إلى قرية البرنوجي (عاصمة نتريا قديماً) ١٥ كيلومتراً جنوبي دمنهور، فوجدوا قرية البرنوجي (التي كانت مسماه نتريا) في وسط المزارع، وبيوتها مبنية على تلة عالية مليئة ببقايا آثار، كلها تنم عن حقيقة واحدة أن هذه هي مدينة نتريا الشهيرة. ولكنهم وجدوا أنه ممنوع عمل حفريات هناك. ومنها وفي وسط المزارع أخذوا طريقهم نحو الصحراء في تخوم ضواحي البرنوجي فوصلوا إلى حدود منطقة القلاي، وقد أصبحت متاخمة للريف، وهذا معناه أن منطقة

(1) Kellia, I, Kom. 219 (Fouilles de Instit. Franc. Dareh, Or., Tome XXVII (1969).

(2) The Desert City of El Muna, Fasc. 31, p. 247-253.

الشمال الشرقي وأخرى في الجنوب الغربي. ومن الحفريات تبين أن كل قلالية من قلالي المتوحدين كانت عبارة عن حجرتين، وسقفها كان بالقبو أو قبة.

نظام ومواصفات المباني التي كانت قائمة في منطقة القلاية (١):

من بين حوالي ٦٠٠ مبنى، بين كبير وصغير، وهي عبارة عن أنقاض مدفونة حيث وضعت البعثة أرقامها على الأكوام التي تشير إلى مواضعها؛ اختارت البعثة الكوم رقم ٢١٩ لإحتمال وجود شيء مهم من المباني تحت تربته. ويمتاز هذا الموقع بوجود القلاية من حوله، ولما بدأوا الكشف وجدوا الطوب من نوع الطفلة النيئة المخلوطة بالرمل وأحياناً من الرمل والجير ومقاساته: (١) $٧ \times ٢٠ \times ٤٠$ (٢) $١٠ \times ٤٢ \times ٤٢$. والمونة عبارة عن طفلة مأخوذة من بعض الطبقات السفلية من الأرض، ولهذا كان ضرب الطوب وعمل المونة والمباني من الأمور السهلة والتي لا تحتاج إلى زمن كثير. وهذا يفيد كيف كان يجتمع الآباء معاً و بينون قلالية أو عدة قلايات في يوم واحد.

وأرضية القلاية كانت عبارة عن دكة من الزلط والجبس ومغرة حمراء، والأرضية تمتد لتغطي جزءاً من أسفل الحوائط (وزرة) بارتفاع ٥٠ سم. وفي بعض القلايات توجد مربعات من الحجر الجيري الأملس في اتجاه الشرق دائماً، مما يفيد أن الراهب كان يصلي في مكان معين من القلاية.

ويلاحظ أن بعض أجزاء القلاية كانت مبنية بالطوب الأحمر مثل السلم وعتبة الأبواب وأرضية المطبخ وكل الأفران والكوانين، وكل الأجزاء المعرضة للماء مثل خزانات المياه والآبار وأحواض الغسيل والمرحاض، وفي المواضع التي يتساقط عليها مياه المزاريب (المنطقة مطيرة ومطرها غزير جداً). وكذلك كل المصاطب المبنية على جوانب الصالة المتوسطة في وسط القلاية (جلوس المجمع) وهي مغطاة بطبقة من القُصْرْمِل الأحمر المتين (شبه الخرسانة)، وكل أحواض الزراعة.

الطاقات في الحوائط ظاهرة منتشرة جداً، فكل قلالية بها عدد كبير من الطاقات المتنوعة الأشكال والأحجام، بعضها على هيئة دولا ب حائط يوجد بداخله دعائم الأرفف باقية، وهو ممتد بالطول حتى الأرضية، وحوله زخارف، مما يفيد أنها كانت دواليب كتب، ومنها ما هو غير عميق (١٠ سم فقط) وحوله الصليبان مما يدل على أنها كانت مقصورة لتعليق الأيقونات. وقد وُجد في الغرفة رقم ١٧ ثماني طاقات؛ وواضح أنها كانت تُستخدم لحفظ حاجات الراهب مثل الملابس والمصابيح والأدوات والأوعية الصغيرة.

وفي شرقية الصالة رقم ١٢ يوجد رسم المسيح على الصليب (أنظر اللوحة في ملزمة اللوحات في

(6) I.F.A.O., Kellia, Tome XXVIII, Fasc. I, ch. II.

نترياً بأكملها قد غطتها المزارع نهائياً مع جزء من منطقة القلاية نفسها يقرب من نصفها تقريباً. وعبرت البعثة «كوبري العبد» على ترعة النوبارية (أنظر الخريطة في الملزمة الأولى من الكتاب)، فدخلت منطقة الصحراء، وعلى مسافة ٣ كيلومترات في الإتجاه الجنوبي الغربي كانت حدود منطقة القلاية، أكوام كثيرة لونها أغمق من الرمل المحيط بها، طول المنطقة التي تحمل هذه الأكوام من الأتربة ثلاثة ونصف كيلومتراً وعرضها أكثر من كيلومتر واحد، كلها مغطاة بقطع من كسر الفخار (الثقافة) وقطع من البياض الملون والأبيض، وبعضها مدفون على سيفه دلالة على أنه بياض حوائط تحللت مادتها وبقي البياض وحده.

وتظهر أساسات المباني واضحة، كلها ذات اتجاه واحد في عمارتها مما يدل على حذق الرهبان في تلافي الرياح العاصفة. فظهور المباني كلها ضد الرياح الآتية من الشمال الغربي، وهي الرياح الباردة العنيفة التي تحمل الرمال.

وبعض الأكوام تحفي تحتها مباني ضخمة عالية ومنتشرة، طولها أحياناً ١٠٠ متراً. والجزء المتبقي من منطقة القلاية يحوي في جلته ٦٠٠ كوماً تشير إلى وجود مدينة رهبانية ضخمة (هي المعروفة بالقلاية أو المونا)، كانت عبارة عن ٦٠٠ منشوية (أي قلالية يسكنها عدة رهبان).

ويقرر مسيو دوما ومسيو چيومون أن الآثار الموجودة تشير إلى كثافة رهبانية ضخمة في هذا المكان لم يُشهد لها مثيل في كل مصر (٣). وهذه الحقيقة تبدو واضحة جداً على الطبيعة!! وبعض الأكوام صغيرة ومتباعدة تشير إلى نظام التوحد الذي كان مُتبَعاً في هذه المنطقة. وهذا يطابق ما نقرأه في أقوال الآباء تماماً وفي كتاب «هستوريا موناخورم» [إنهم يسكنون في قلالي متباعدة بعضها عن بعض، بحيث أن الواحد منهم إذا رآه آخر لا يمكن أن يتعرف على شخصيته ولا يقدر أن يعرف صوته. إنهم يعيشون في صمت تام، وكل واحد منهم يبقى معتكفاً في وحدته] (٤). وابتعاد آثار هذه القلاية بعضها عن بعض بطول هذه المسافات تعيد إلى ذاكرتنا أبا أبولونيوس الطيب (الصيدي) الذي كان يمر على هذه القلاية من واحدة لأخرى، ومعه العقاقير الطبية لمعالجة المرضى والضعفاء، وكان يدخل في كل باب حتى ولو لم يرد عليه صاحبها لئلا يكون راقداً ولا يستطيع الكلام (٥).

وفي أطراف هذه المنطقة لاحظت البعثة مجموعة قلالي منفردة بصورة أكثر من البقية وذلك في

(٣) بالليديوس يشهد بوجود ٥٠٠٠ راهب في نتريا (القرن الرابع) و ٦٠٠٠ راهب في القلاية. أما يوحنا موسخوس فيشهد بوجود ٣٥٠٠ راهب (القرن السادس).

(4) Hist. Monach., Aegp., XX, 7.

(5) Pallad., H. Laus., XIII, 2.

آخر الكتاب). والصالة مبنية باعتماد كبير، وبعض الطاقات يأخذ أشكالاً هندسية دقيقة جميلة. وقد وُجد في بعض الحوائط أجران مدفونة لا يظهر من الحائط إلا فوهتها، وغالباً كانت لتخزين الخبز والمأكولات الجافة، وهي مرتفعة بارتفاع كتف الرجل تحاشياً للفئران.

الكتابات والرسومات على الحوائط:

توجد كتابات محفورة بدقة وعناية كبيرة مثل أسماء الرسل وبعضها على هيئة لوحة تذكارية لأسماء قديسين أو لحوادث أو دعاء أو مرثية. وقد عثرت البعثة على عدة كتابات منها يحمل تاريخ سنة ١٧٣ للشهداء أي سنة ٤٥٧ م. وهو تاريخ وفاة أحد الرهبان ويُدعى أدلفوس، مما يدل قطعاً أن تاريخ المبنى نفسه قبل ذلك بزمان كثير.

وقد عثرت البعثة أيضاً على قطعة كاملة عن صلاة «ياربي يسوع» منقوشة على الحائط (٧) باللغة القبطية البحرية، وهي رد على الأفكار التي يزرعها العدو في عقل الإنسان أنه إذا صلى للرب يسوع فقط وباستمرار فإنه يُحرم من الدعاء للآب والروح القدس. ويلاحظ أن هذه القطعة بعينها واردة في البستان العربي المطبوع (١٩٥٦) ضمن حياة القديس أبينا مقار صفحة ٢٧ ويظن أنها من أقواله. وتوجد قطع أخرى باللغة القبطية البحرية واللغة اليونانية وهي تعليمية بالنسبة للأسرار والصلوات والتذكارات تقول:

+ طوبى لمن تقدس في قلبه بالتناول من الأسرار المقدسة (٨).

+ «صوت الرب على المياه». ولعلها كانت محفورة فوق موضع المياه التي يصلى عليها.

+ يسوع المسيح هو اسم الخلاص.

+ يا الله أعطني فهماً آمين.

+ ياربي يسوع أعني.

+ لقد رقد أبونا ديسقوروس رئيس الأساقفة في ٧ توت آمين (٩).

+ ياربي يسوع المسيح مخلصنا الصالح محب البشر الذي تجسد من أجل خلاصنا، أعطِ نياحاً لروح جورجى بن داميان الإترىبي الذي رقد في ٢٥ طوبة الساعة السادسة في سنة «...» لدقديانوس.

+ اذكروني يارب عند مجيئك في ملكوتك.

+ ياربي يسوع أعني أنا المسكين مينا القس آمين.

+ ياربي يسوع مخلصي إصنع رحمة مع عبدك جورجى آمين.

وهذه النقوش كلها يتراوح عمرها من القدم حتى القرن الثامن.

كما يوجد في الصالة ٣٤ على الحائط الغربي رسم جميل لمارمينا، وهو من وضع رسام محترف، وهو مختلف تماماً عن بقية الرسومات الأخرى مما يدل على أن راسمه متخصص وليس من رهبان نتريا على الأقل. وهو يطابق رسماً آخر محفوظاً في المتحف الروماني بالإسكندرية.

ولكن تحفة هذا الدير الصغير الذي وقعت عليه القرعة في الحفريات هي صورة للمسيح موجودة في الصالة رقم ١٢، ولوحة رقم ٣٩ يظهر المسيح فيها ماسكاً الإنجيل بيده اليسرى، واليمين في وضع البركة حيث يكون أصبع الإبهام على طرف البنصر. والمعروف عن الأقباط القدماء أنهم رسمو صلباناً كثيرة متنوعة، ولكن لم يُعثر قط على صورة أثرية للمسيح مصلوباً، ويقول مسيو دوما أن ذلك مرجعه أن الأقباط أحجموا عن تصوير اللاهوت متأماً تمشياً مع العقيدة اللاهوتية. ولكن ربما لوقال أن الأقباط أحجموا عن أن يرسموا المسيح عارياً يكون أكثر قرباً من الحقيقة. وقد تعتمد الرسام القبطي هنا أن يرسم المسيح على الصليب في موقف النصر. وعلى كل حال، فإن الذوق الفني عند الأقباط ينبثق دائماً من الإحساس اللاهوتي العميق، فكل حياتهم المادية والفكرية كانت انعكاسات لتأملاتهم وأحاسيسهم الروحية.

دورات المياه:

من الأشياء الملفتة للنظر في خرائب القلاي كثرة الغرف الخاصة بالمراحيض. وكان يراعى أن تكون دائماً مرتفعة، وغالباً تكون في الدور الثاني، حتى يسهل انحدار مجاري المياه منها إلى الخزانات فتبقى دائماً نظيفة. وهي متقنة وبعضها له كراسي للجلوس (أفرنجي) وتصر يفها بمجاري خاصة تحترق السور وتصرف خارج المبنى.

أحواض للزراعة:

كانت زراعة الخضروات ولعلها الفجل والجرجير والسريس والهندباء والباذنجان والطماطم وغيرها، كانت تروى في أحواض خاصة، ولا تزال هذه الأحواض موجودة بمجرانها بجوار البئر وأحواض المياه التي كانت تُستخدم كمخزن للمياه سواء للزراعة أو الشرب.

التصميمات الهندسية لهذا الدير الصغير:

يوجد فارق كبير بين التصميمات الهندسية للأديرة الصغيرة بمنطقة القلاي وبين بقية الأديرة الأخرى في الصعيد المقامة على أساس نظام الشركة. ففي أديرة الصعيد مثل دير أنبا سمعان

(7) I.F.A.O., Kellia, ch. IV.

(8) Ibid., p. 100.

(9) Ibid., p. 102.

(10) Ibid., p. 103.

بأسوان ودير الفاخوري بإسنا نجد أن القلاية تتكون من حجرة واحدة فقط للنوم، ويتصل هذا الصف من القلاية، أي غرف النوم جميعها، بظرفة واحدة عمومية تنتهي بصالات عامة للمطبخ والمائدة، لأنها كانت عيشة مشتركة. وبالعكس هذا الوضع نجد أن أديرة نتريا والقلاية وشبهت تميل إلى نظام التوحد على طقس أنبا أنطونيوس وأنبا مقار، فقلاية الراهب بدأت منفردة تماماً، فكانت تحوي أكثر من حجرة واحدة، لأن معيشة المتوحد مستقلة، وهو في قلايته يكمل كل حاجات معيشتة من طهي وأكل وقراءة وشغل ونوم. ولكن بعد ذلك وتحت اضطراب الظروف والمخاطر والغارات بدأ الرهبان يجتمعون في مجموعات صغيرة لا تزيد عن ثلاثة أو أربعة (وبعد ذلك عشرة)، لكي يتعاونوا معاً وقت الخطر. ولكن مع ذلك كان كل راهب يعيش عيشة منفردة مستقلة تماماً ولا يأكل إثنان معاً قط. وكان هذا النظام المعيشي وما يتبعه من بناء يسمى $\lambda\acute{\alpha}\upsilon\rho\alpha = Lavra$ ، ويُذكر في المخطوطات القديمة بإسم «السيق» وجمعها «الأسياق» (أنظر الفهرس للمخطوطات العربية للمكتبة الأهلية بباريس ص ٦٩). ثم في بداية القرن السابع بدأت تظهر الأسوار الحصينة العالية والأبراج لصد هجمات المغيرين واللصوص.

ثم منذ القرن التاسع بدأت تظهر الأديرة بأسوارها العالية المنحصرة وأبوابها المغلقة دائماً، حيث يعيش داخلها الرهبان عيشة نصف مستقلة.

والعجيب في هذه البعثة أنها وُفقت لاكتشاف هذه العصور المتتابعة أثناء عمليات الحفر وسط الاساسات.

أولاً: العصر الأول:

أصل المبنى بحسب ما تدل عليه الآثار:

هو من منشآت ما قبل منتصف القرن الخامس أي قبل سنة ٤٥٠ م. وكان عبارة عن قلاية ذات ثلاث غرف، وأرقامها في اللوحة في صفحة ٣٣٠ هي غرف أرقام ١٠ و ١١ و ١٢. ويبدو أنها كانت قلاية أحد الآباء المشهورين الكبار وأتخذت بعد ذلك مركزاً لرئاسة محلية، وذلك يتضح من الصالة الضخمة التي ألحقت بها بعد ذلك، وكان طولها ٣٠ متراً وعرضها ٧ أمتار!! والتي حاول الرهبان الاحتفاظ بها كتذكارة لهذا العصر فيما بعد، فأقاموا تدعيمات متوالية لسقفها القبو المحمول على قواصر عرضية لتقويته. ومن الأشياء التي تشير إلى قدم هذه القلاية هو التصاقها بالسور مع انفصالها عنه، مما يشير إلى أن السور الخارجي حولها بُني بعد بناء القلاية بمدة زمنية.

والغرفة رقم ١٠ كانت في الأصل مطبخاً صغيراً وحجرة للطعام تكفي لمتوحد واحد، وبها آثار حوض ماء في الركن البحري الشرقي يصرف خارج جدار القلاية، وعُمل له بعد ذلك فتحة في

السور نفسه ليصرف خارج الدير أيضاً. وكان الفرن والكانون في الركن القبلي الغربي من الغرفة نفسها رقم ١٠، وإنما بدون سقف.

ويقرر مسيو دوما أن هذه القلاية عموماً بغرفها الثلاث تبدو غريبة وقديمة جداً وليس لها مثيل في كل ما كشفوا عنه، ويعتقد أنها من القرن الرابع مستديلاً على ذلك بأدلة عملية.

أما ترتيب استخدام هذه الغرف الثلاث، بحسب ما هو واضح من تنسيقها الهندسي وعمارته، فهو أن المتوحد كان يطبخ ويأكل في الغرفة رقم ١٠، وكان يصلي وينام في الغرفة رقم ١٢، وكان يصعد على سقف الغرفة رقم ١٠ لإستخدام المراض الذي كان موجوداً أعلى الركن البحري الشرقي ويكشف عنه آثار مجرى الصرف الرأسية التي لا تزال موجودة.

ثانياً - العصر الثاني

وبجوار هذه القلاية توجد قلاية أخرى ذات غرفتين ٧ و ٨ وهي قديمة أقدم من عصر السور الخارجي أيضاً، لأن بناء السور حول القلاية اضطر البنائين إلى سد باب للقلاية كان متجهاً إلى الجهة البحرية، وآثار السد موجودة في الغرفة رقم ٧.

ولكن مسيو دوما يعتقد أن هذا المبنى كان برجاً أو حصناً صغيراً كان يأوي إليه المتوحد وقت الخطر وذلك لضخامة أسواره، ويرجع زمن هذا البرج الصغير إلى القرن الخامس وذلك باستقراء الشقافة التي وُجدت في أساساته.

ثالثاً - العصر الثالث

وفي عصور لاحقة تم إضافة ثلاث قلاية في الجهة الغربية، ومن نظامها الهندسي يتضح أنها كانت لشلاثة متوحدين لأن كل قلاية بها مطبخها ومخزنها الخاص، ثم أضيف إلى هذه المجموعة بعض صالات للإستقبال والصلاة. ولكن كل قلاية من هذه القلاية الثلاث زيد عدد غرفها شيئاً فشيئاً حتى صارت: القلاية الأولى تشمل سبع غرف من رقم ١٣ - ٢٠، والقلاية الثانية تشمل أربع غرف من رقم ٢٣ - ٢٦، والقلاية الثالثة تشمل خمس غرف من رقم ٢٨ - ٣٢.

رابعاً - العصر الرابع

اتسع المسكن وهُدمت بعض مبانيه القبلية وصارت حوشاً متسعاً، وفي جزء منه بُنيت قلاية كبيرة ١٠ متراً × ٥ متراً ربما للإجتماع العام أو الصلاة. أما التحديد الزمني للمبنى عند هذه المرحلة، فقد كشف عنه بتدبير العناية الإلهية حتى يتكفل

عمل هؤلاء العلماء الأفاضل المخلصين، إذ وجدوا محفوراً على جدار الغرفة رقم ٢٣ القبلي كتابة تقول: [تذكار الشهيد أبا ذيسقوروس رئيس الأساقفة الذي رقد في السادس من توت أمين]. والخط يدل أنه بيد أب راهب كتبه بإلحاح الظرف لما وافتهم الأنبا بنياحة هذا البطل الأرثوذكسي والمجاهد الشهيد، الذي تنيح فعلاً في السادس من شهر توت سنة ٤٥٤ م. وفعلاً يقول عنه تاريخ البطاركة أنه نال «إكليل الإستشهاد»، لذلك يُعتقد أن تسجيل هذه الحادثة بهذه الصورة وبدون ذكر السنة يفيد أنها نُقشت يوم سماع الخبر. وهكذا اتضح لهؤلاء العلماء أن الدير بوضعه الصغير بعد أن أُضيفت إليه القلايى الثلاث الغربية، كان قد بُني قبيل منتصف القرن الخامس بقليل.

خامساً - العصر الخامس والأخير

حيث اكتملت مباني الدير واتسعت أحواشه وأضيفت إليه قلايى جديدة وصلات للصلاة والأكل العام والإستقبال وأبراج حصينة، وبني حوله سور ضخيم يضم جميع المباني، وحُفرت بئر جديدة في الناحية الشرقية، وأقيمت أحواض كثيرة للزراعة وأحواض لتخزين الماء. فظهرت معالم الحديقة وبدا الدير كمنشوية تَسع عشرة رهبان. ويُظن أن هذه العمارة الأخيرة تمت في عصر أنبا بنيامين البطريك ٣٨، كما جاء في كتاب تاريخ البطاركة عندما جاء أنبا بنيامين إلى المونا (منطقة القلايى) في هروبه من وجه قورش البطريك الملكي المرسل من القسطنطينية: [ولكن لم يجد فيها إلا رهباناً قليلاً، لأن ذلك كان بعد وقت قصير من الخراب الذي حل في أيام البطريك أنبا داميان عند هجوم البربر المستمر، الذي لم يدع الرهبان يعودون بكثرة إلى هذا المكان]، [ولكن بصلوات أنبا بنيامين بُدئ في بناء أديرة وادي هيبب والمونا من جديد] (١١).

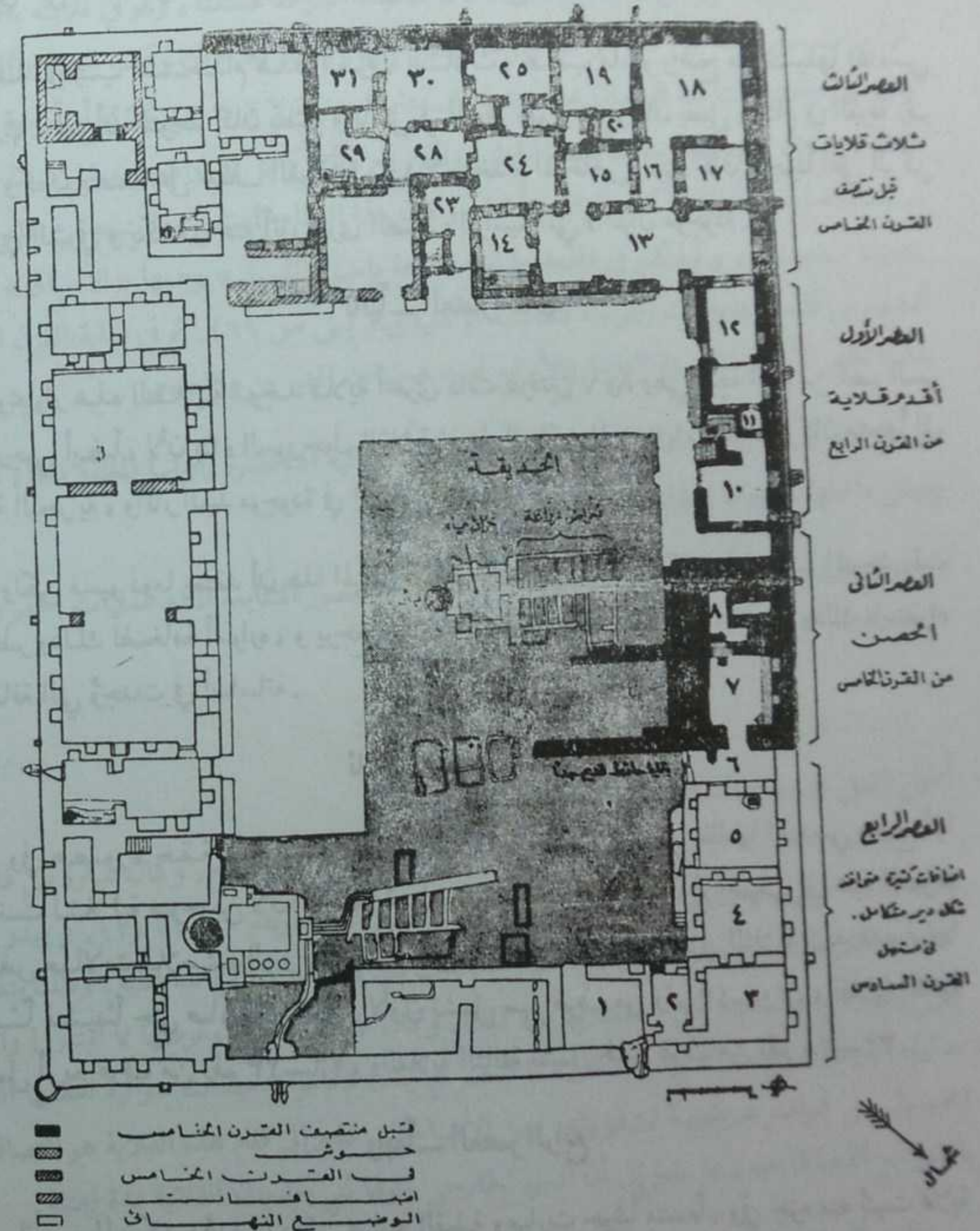
غروب شمس النهضة الروحية من إقليم (القلايى) المونا:

وقد عثرت البعثة على كتابات عربية على الحوائط بخط يُقرأ بغاية الصعوبة، وهي عبارات إسلامية مع محاولات لتشويه الصور الموجودة، وتفيد دخول العرب هذه القلايى وتخريبها والسكنى فيها فترة. أما آخر التسجيلات الزمنية التي عثرت عليها البعثة والتي تفيد وجود آخر نبضات حياة رهبانية قائمة في ذلك المكان، فهو تاريخ نياحة أحد الآباء وُجد محفوراً في إحدى الطاقات التي كان يسجّل فيها هذه التذكارات، وهو تذكار نياحة [الأخ السعيد المطوب مينا بن خائيل الذي من مدينة الأميرية (١٢) وكان هذا الأخ إنساناً بحق وقد أكمل وحفظ وصايا آبائنا القديسين

(11) Evetts, Hist. of Patr., p. 490.

(12) هذه المدينة كانت واقعة بين دمنهور ونتريا وكانت تنطق ديمريا فحصل خلط عند العلماء بينها وبين مدينة دميرو التي بقرب

رسم هندسى يبين احدى الأديرة الصغيرة بمنطقة القلايى القديمة
في أطوار المختلفة عبر القرون، الذى أتم الكشف عنه مسيودوما ومسيوچيومون سنة ١٩٦٤ م
وهو واحد من ستمائة دير مماثل تقديرياً



ورقد في الساعة الثانية عشرة من ليلة الخامس من أمشير سنة ٤٤٥ لدقلديانوس (٧٢٩ م).
أذكروه بإخوة ليعطي المسيح راحة لروحه، آمين آمين مع كل قديسه، واذكروني أنا أيضاً
الخاطيء الضعيف الذي كتبت هذا حتى يقبل المسيح توبتي و يصفح عن خطاياي آمين آمين
آمين].

+ + +

هذه هي منطقة القلاي (المونا) التي طالما رحل إليها القديس أنبا مقار ليزور الإخوة هناك
ويصل معهم، والتي طالما انحدر منها الآباء إلى القديس أنبا مقار في شيهيت ليسلموا عليه
ويتعلموا على يديه ويتباركوا بدعائه وصلواته.

(انتهى البحث)

وراجع اللوحات الخاصة به في ملزمة اللوحات في آخر الكتاب



تاج لأحد الأعمدة يبدو زخارفه مثل عش النحل يرجع إلى القرن السادس
[واردة من القاعة B في دير باويط ومعروضة بمتحف اللوفر بباريس]

سخا، لذلك لزم التنبيه، وقد جاء ذكر اسم هذه المدينة بوضوح في كتاب تاريخ البطارقة في قصة زيارة أنبا خرستوذولو لدير
أنبا مقار:
[وفي هذه الأيام قام البطريرك إلى مدينة دمنهور، وفي اليوم التالي توجه إلى مدينة ديمرو Dimru ومنها اتجه صوب وادي
النطرون حتى وصل دير أنبا مقار...]

الحياة الرهبانية في شيهيت

الحياة الرهبانية في شيهيت — أي في برية وادي النطرون — في كل من مجامعها الأربعة:
(البراموس شمالاً وأبو مقار جنوباً وبيشوي شرقاً ويوحنا القصير غرباً)، والتي ظهرت للوجود
واكتملت في حياة أنبا مقار الذي عاش حتى رآها في أوج نضوجها، بدأت كلها مباشرة بحياة
الوحدة، فلم تظهر فيها الحياة الجمعية المشتركة داخل الأسوار إلا بعد القرن التاسع، باستثناء دير
أنبا مقار جنوباً الذي لم تظهر فيه حياة الشركة داخل الأسوار إلا في القرن الرابع عشر بعد كارثة
الطاعون التي قضت على أعداد الهائلة دفعة واحدة.

ومتوحدو شيهيت كانوا ذوي صيت عال في كل العصور وفي كل أنحاء العالم وخصوصاً في
العصور الأولى الناهضة، وقد بلغت أخبار نسكهم وفضيلتهم ومعرفتهم إلى أسماع القديس
أثناسيوس الرسولي فامتدحهم وكان يرسل خطابات يسأل عنهم بأسمائهم: [وكان يسألني عن
المتوحدين القديسين الذين في شيهيت] (١٣).

وتميزت شيهيت في كل عصورها الناهضة روحياً بوجود أب واحد ورئيس مدبر على جميع
متوحديها شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً، وكان هو المسئول عن الجماعة كلها أمام الكنيسة
والبطريرك. وقد بدأ هذا التقليد الروحي بالأب القديس أنبا مقار، ثم سلمه هو بنفسه وفي أثناء
حياته لإبنه إسيذوروس ثم إلى بافنوتيوس. ويُعتبر أب شيهيت بالنسبة للحياة الرهبانية فيها على
مدى عصورها روحها وقلبا النابض، فهو الذي يضم شمل الصفوف، ويعزي صغيري القلوب،
ويشجع السائرين على الطريق، ويوقظ النائم والمتوانين، ويؤدب الخارجين على التدبير،
ويقطع ويحرم الفاسدين والمفسدين، ويختبر المبتدئين، ويقبل الجدد في شركة القديسين، يقنن
وينظم الخدمة في الكنيسة والقلاية، ويدبر حياة الأفراد والجماعة، ويرعى النفوس؛ وأخيراً
يسلم الأمانة إلى من يخلفه.

أب شيهيت: ΦΙΩΤ ΗΤΕ ΨΙΗΤ

كان هذا هو اللقب الذي أُعطي لأنبا مقار في أواخر أيامه، كما جاء في المخطوطات؛ ولكن في
بداية الحياة في شيهيت لم يكن هناك نزوع إلى ألقاب أو قوانين، لأن هيبية القديس أنبا مقار
وحكمته كانت بمثابة تنظيم كامل وقوانين وكل شيء. غير أنه في نهاية حياته بدأ يسلم المسؤولية إلى

(13) Letter to Theoph., Acta SS., May 111.

قس الكنيسة: أولاً إسيذوروس ثم بافنوتيوس. ولكن بنياحة القديس أنبا مقار أمست شيهيت في حاجة إلى التنظيم، وكان أول لقب أُعطي لرئيس شيهيت هو قصص شيهيت **ΗΓΟΥΜΕΝΟΣ**. وكان لقب الأب يكتب باليونانية **ὁ πατήρ τῆς Σκήτεως**، أما بالقبطية فكان يكتب **Ἰωὴτ ἡτε ψιρητ**.

ولكن قليلاً قليلاً بدأت كل جماعة رهبانية يكون لها قس مدبر، فبدأ اللقب يأخذ صفة الجمع (**πατέρας**) (١٤) و(**ἡγούμενοι**) (١٥).

ولكن لم يكن يُطلق هذا اللقب على الأب المدبر جزافاً، بل كان يعتمد أصلاً — كما هو الحال مع القديس أنبا مقار — على ثلاثة عوامل أساسية لا غنى عنها:
الأول: أن يكون أباً حقيقياً قادراً أن يبني النفوس، قبل أن يتبناها، بمواهبه الروحية وليست الشخصية.

والثاني: أن يكون كاهناً له سر الروح القدس، يعطيه ويزكيه مع الجِلِّ والربط.

والثالث: أن يكون قد تسلم الروح الرهبانية عن أب مدبر، ضماناً لتسلسل التقليد الرهباني بروحه الأولى الأصيلة.

ومهام الأب كما نراها في حياة القديس أنبا مقار تشمل نواحي متعددة:

أولاً: فهو وحده الذي يوافق على دخول شخص جديد في الشركة، كما في حالة مكسيموس ودوماديوس (١٦).

ثانياً: وهو وحده الذي يحاكم ويقطع بالكلمة على المخالف مهما كانت شخصية هذا المخالف، كما في حالة مقاريوس الإسكندراني، إذ نعلم كيف أوقع عليه أنبا مقار الكبير عقوبة الحرم بسبب جوره في الحكم على راهب (١٧).

ثالثاً: وهو وحده الذي يوبخ المتوانين والكسالي والمنحلين، كما في حالة الأخ ثيشوميتس (١٨)؛ وكما في انتباره للرهبان الذين يتباطأون في خروجهم من الكنيسة ويقفون على بابها يتسامرون (١٩).

رابعاً: وهو وحده الذي يضع القوانين والأنظمة ويأمر بالأصوام على كل الجماعة حسب الظروف، كما في حالة الأسبوع الذي فرضه على البرية كلها، وخالفه أنبا موسى الأسود لما أتاه

ضيوف (٢٠).

وقد استلم بافنوتيوس الرئاسة والأبوة من أنبا مقار وصار أب المواضع كلها أي أب الأربعة أديرة و يكتب لقبه هكذا: **Τμετιωτ θελ πιτοπος εθοταδ** (٢١)

ومن بعد بافنوتيوس استلم الرئاسة والكهنوت أنبا يوحنا القصير، وكان لقبه قصص شيهيت (٢٢) **πιρηγοτμενος ἡτε ψιρητ**، حيث ظل هذا اللقب الوظيفي «قصص شيهيت» متوارثاً ومتداولاً حتى القرنين السادس والسابع أيضاً، حيث ظل هو بنفسه اللقب الذي كان يحمله دانيال قصص شيهيت (٢٣).

وكان من واجبات أب شيهيت أو قصص شيهيت أن يزور البطريرك في الإسكندرية مرة في السنة وذلك في عيد القيامة، وهذا التقليد يعود إلى القرن الرابع؛ ونسمع عن مثل هذه الزيارة في حياة إسيذوروس القس وله في ذلك قول مأثور: «إني لم أُر في الإسكندرية إلا البطريرك» (٢٤).

وبنهاية القرن الرابع وبالتحديد سنة ٣٩٩م. تحددت الأربعة مجامع، واستقل كل منها حول كنيسة وحول أب؛ كما نخبرنا كاسيان وذلك عند ذكره لموضوع خطاب ثاوفيلس الفصحي سنة ٣٩٩م. الذي تعرض فيه لموضوع بدعة «شكل الله الإنساني» حيث كان كاسيان موجوداً بدير «البراموس» في تلك السنة، وذكر الأربعة مجامع بأربعة كنائسها وأربعة رؤسائها القسوس حيث كان بافنوتيوس قس منطقة شيهيت السفلى (البراموس الآن): [وقد رفض هذا الخطاب كل متوحد شيهيت الذين كانوا متفوقين في الكمال والمعرفة على كافة أديرة مصر كلها عدا الأب بافنوتيوس قس جماعتنا (كاسيان يتكلم بصيغة الجمع باعتباره كان حاضراً). ولم يشاركه في ذلك القسوس الآخرون الذين كانوا يترأسون على الكنائس الثلاث الأخرى في نفس البرية (شيهيت) الذين رفضوا حتى قراءته] (٢٥).

وهكذا يتضح لنا قوة مركز كل قس على جماعته الرهبانية باعتباره حارساً للإيمان والعقيدة والمسئول الأول والوحيد عن صحة وسلامة كل ما يُقرأ أو يعلم في الكنيسة، حتى ولو كان خطاب البطريرك نفسه!!

(20) Apoph. Patr., Moses, V.

(21) Serapion, Life of Macar.

(22) A.M.G., XXV, p. 150.

(23) Daniel: Coptic life by Clugnet p. 83.

(24) Apoph. Patr., Isidore, VIII.

(25) Cassian Collec., X, 2f.

(14) Rufinus, H.E., II, 4, & Socrates, H.E., IV, 24.

(15) Theodoret, H.E., IV, 18.

(16) Apoph. Patr., Macar., XXXIII.

(17) Apoph. Patr., Macar., XXI.

(18) Apoph. Patr., Macar., III.

(19) Apoph. Patr., Macar., XVI.

وتتعدى هذه المسئولية الأمور الروحية لتشمل كل الأمور المادية والجسدية أيضاً، إذ نسمع عن إسيذوروس القس أنه تولى بنفسه تريض أنبا موسى الأسود عندما ضربه الشيطان في ظهره وهو ميلاً الجرار من البرّ وظل مريضاً في الكنيسة نحو سنة كاملة (٢٦). كذلك نسمع عن أرسانيوس في مرضه كيف [حمله قس الكنيسة ووضعه في الكنيسة على وسادة وكان يمرضه بنفسه] (٢٧).

ولكن ربما في كافة ما سردناه عن سلطان القس لا يتضح لنا قوة هذا السلطان كما يتضح في ما أورده كاسيان عن قصة الراهب الذي ادعى زوراً سرقة مخطوطته التي تحوي الأسفار المقدسة من قلايته، وكان ذلك يوم الأحد، مما حدا بالقس إسيذوروس أن يُبقي جميع الآباء في الكنيسة ويرسل ثلاثة شيوخ ليفتشوا قلاي الإخوة (٢٨)!!

جماعة الإكليروس:

لم يكن قس الكنيسة في كل جماعة هو الكاهن الوحيد، بل كان يعاونه قس آخر، وربما أكثر، وبعض الشماسة. وكانوا يطلقون عليهم «جماعة الإكليروس» (٢٩)، وقد ورد هذا الإصطلاح في قصة موسى الأسود لما كسر وصية الصوم «فبلغ الخبر إلى جماعة الإكليروس *τοῖς κληρικοῖς*» (٣٠)، وكانوا مسئولين عن أنظمة الكنيسة وصلواتها وترتيب اجتماعاتها وخدماتها. وكان القس الرئيس هو الذي يقدم الرهبان للكهنوت؛ فنسمع عن القس بافنونتيوس كيف قدم الأب دانيال (٣١) لينال الكهنوت، ونسمع عن القس إسيذوروس كيف قدّم الأب موسى الأسود (٣٢) لينال الكهنوت وذلك أثناء زيارات ثاوفيلس البطريرك التي كان يقوم بها من حين لآخر.

المتوحدون الكاملون والحبساء:

وقد تميزت برية شيهيت بوجود متوحدين أتقنوا الوحدة إلى أقصى حدودها، فكان منهم من يقضي حياته كلها بعيداً لا يرى إلا نادراً، ومنهم من ظل حبيساً في مغارته لا يرى أحداً على وجه الإطلاق. وقد برع في ذلك المضممار كثير من الآباء المعروفين العظام مثل مقار يوس وأرسانيوس وأموناس، ويحكى أرسانيوس عن «بعض المتوحدين الذين لا يتقابلون مع أحد على

(٢٦) أنظر صفحة ٢٦٤.

(27) Apoph. Patr., Arsen., XXXVI.

(28) Cassian Collec., XVIII, 15, 4.

(29) Apoph. Patr., Moses, V. Arsen., XXXVIII.

(30) Apoph. Patr., Moses, V.

(31) Cassian Coll., IV, 1.

(32) Apoph. Patr., Moses, IV.

الإطلاق» (٣٣). ونقرأ عن بطليموس الذي كان يعيش في المنطقة القفرة المدعوة كليماكوس سنين طويلة لا يرى على الإطلاق إلا نادراً تحت اضطراب التناول من الأسرار المقدسة (٣٤).

وقد تمادى متوحدو شيهيت في اختيار المغاير البعيدة، حتى أن بعدها وصل أحياناً إلى ٣٠ ميلاً عن الكنيسة. وفي المتوسط كانت خمسة أميال مثلاً كما في حالة بافنونتيوس أب الجماعة (٣٥). أما شيرامون (٣٦) فكانت مغارته على بعد ١٢ ميلاً من الكنيسة.

التلمذة في شيهيت:

بدأت التلمذة في شيهيت على نظام الأب والأبناء. فكل أب متوحد اشتهر فضله وذاع صيته قداسته قصده في الحال جماعة التلاميذ الذين كان يزيد عددهم بقدر استطاعة الأب على استيعاب البنين، ولكن كان كل أب يحتفظ بواحد أو اثنين من تلاميذه ليكونوا من الأخصاء الذين يرافقونه مدى الحياة، كما رأينا في حياة أنبا أموي وتلميذه يوحنا القصير، وأنبا مقار يوس الكبير وتلميذه بافنونتيوس و يوحنا.

ونجاح التلاميذ كان إحدى المميزات الهامة لنجاح الأبوة وصلاحتها. فرقص الأمين المطيع تلميذ سلوانس كان بحد ذاته صفة من صفات سلوانس نفسه. وقد ترك لنا سلوانس اثني عشر تلميذاً (٣٧)، كما ترك لنا موسى الأسود سبعين (٣٨)، واسحق تلميذ مقار يوس كان أباً لمائة وخمسين (٣٩)، وأنبا بلو كان على خمسمائة أخ، وأنبا أوررأس على ألف، وأنبا إسيذوروس رأس على ألف أيضاً. أما خارج شيهيت فنسمع أن أنبا سيرابيون الفيومي كان على عشرة آلاف، وأسقف البهنسا كان على عشرة آلاف أخ وعشرين ألف أخت (٤٠).

وفي حالة كثرة عدد التلاميذ كان الأب يضطر إلى تعيين آباء من تحته لإرشاد الإخوة، يكونون خاضعين له، كما أشار بافنونتيوس على يونس القصير أن يرشد أرسانيوس و يدبره عندما حضر إلى الإسقيط (٤١).

وبسبب كثرة التلاميذ ضعف الإرشاد في شيهيت فنشأ جيل ضعيف، ولكن كان التلاميذ

(33) Apoph. Patr., Arsen., XLIV.

(34) Pallad., Hist. Laus., ch. XXVII, p. 38.

(35) Cassian Coll., III, 1.

(36) Apoph. Patr., Chaeremon.

(37) Apoph. Patr., Marc I.

(38) Pallad., L.H., ch. XIX.

(39) Ev. White, II, p. 141.

(٤٠) تفسير الهراديسوس، مخطوط بدير أنبا مقار رقم ٩ س، ص ٦٧.

(41) Theodore of the Studium, (Life of Arsenius, ch. 6).

الأكثر طاعة ومحبة للأب هم دائماً المقربون والمستفيدون، فكانت الطاعة إحدى وسائل التصفية التي استخدمها الآباء؛ كما رأينا في قصة سلوانس ومرقس ابنه الذي كان يحبه أكثر من بقية أولاده الأحد عشر الباقين بسبب طاعته الكاملة.

أما أصول العلاقة الروحية التي ينبغي أن يكون عليها التلاميذ فشرحها إسيذوروس قس شهيت هكذا: [كل الذين يريدون أن يعيشوا تلاميذ، عليهم أن يحبوا معلمهم المخلصين كآباء وهايونهم كما يُهاب الحاكم] (٤٢).

و يصف هذه العلاقة الأب اسحق الشيبتي هكذا: [إن التلاميذ الذين يبدأون حياتهم بداية حسنة في خضوع آباؤهم الروحيين، ينالون صبغة ثابتة كالصبغة الحمراء التي لا يمكن محوها] (٤٣).

وقد لجأ معظم الآباء إلى طرق القمع النفساني اللاذع لكشف كبرياء المبتدئين وعلاجهم، كما نقرأ في حالة أرسانيوس كيف تركه أبوه يوحنا القصير واقفاً والآباء يأكلون ثم بعد مدة ألقى له يوحنا كسرة خبز على الأرض بعيداً (٤٤)!

و يوحنا القصير نفسه يشهد أنه لم يسمع من معلمه كلمة تشجيع واحدة أو تعزية طول مدة حياته، بالرغم من الآلام المرة التي عاناها في تمرير معلمه أنبا أموي وهو شيخ مريض غير كلمة واحدة في نهاية حياته قالها له أبوه في محضر الشيوخ وهو يلفظ نفسه الأخير: «تخلص، تخلص، هذا ملاك وليس إنساناً!!». وعلى طول سيرة حياته نسمع أن أباه لم يكن يسمح له على الإطلاق أن يمشي بجواره وكان يطرده من القلاية أوقاتاً كثيرة ليجلس على الباب خارجاً، ومرة من المرات أمره أن يغادر القلاية نهائياً، فلما وجده خارج الباب ضربه بالعصى، فلما رأى صبره واحتماله وأمانته له قبل رأسه وقال له: «منذ الآن تكون معلمي وأنا أكون تلميذك!!» (٤٥).

وحتى أنبا أنطونيوس الكبير قفل الباب في وجه مقار يوس عند زيارته له ليختبر احتماله واتضاعه (٤٦). وهكذا شرب القديس مقار يوس روح التعليم وتهذيب النفوس المتعالية، فكل نفس تحتل اختبار عنف توجيه الأب تلبس في الحال إكليل الإضاع. فقد رأى أنبا أموي، بعد أن ضرب تلميذه يوحنا القصير بالعصى وطرده خارج القلاية لمدة أسبوع، سبعة أكاليل مضيئة تحملها أيدي سبعة ملائكة فوق رأس يوحنا، لهذا نطق أموي أخيراً: «هذا ملاك وليس إنساناً!!» (٤٥).

(43) Apoph. Patr., Isaias, II.

(42) Isidore Presbyter, V Ap. Patr.

(44) Theod. of Studium, Life of Arsen.

(45) Apoph. Patr., Ammoī & A.M.G., XXV, pp. 334f.

(46) Apoph. Patr., Macar. of Egypt., IV.

كما كانت الطاعة للأب مقياساً مبكراً لا يخيب لمقدار نجاح التلميذ في مستقبل حياته. وقصة يوحنا القصير وشجرة الطاعة التي أثمرت من العدم في وسط الصحراء القاحلة رمز لا يتزعزع لمفهوم الطاعة المشمرة. والأوميجا الناقصة التي تركها قلم مرقس على صفحة الكتاب تشير إشارة لا تخيب إلى مقدار الطاعة والتكريم الذي كان يملأ قلب ذلك التلميذ.

ومن الأمور المميزة لرهينة شهيت أن هذه الأعداد الهائلة من الرهبان لم يكن يجمعها نظام واحد ولا تقليد معين ولا كتاب ولا قانون إلا روح الأب نفسه وطاعة التلاميذ!! فلم يكن في شهيت كلها حياة مشتركة على مدى العصور حتى القرن التاسع (والرابع عشر في دير أنبا مقار) فكل أب يعيش بمفرده وكل تلميذ يعيش بمفرده، وكأنما تجمعها الوحدة والإنفراد لوجاز التعبير.

الإحتياجات المادية وعمل اليدين:

ومن أقوى الروابط التي كانت تربط كل جماعة من التلاميذ معاً: «المنشوية» التي ينتمون إليها، وهي عبارة عن البناء الذي يشبه الدير الصغير حيث كانت تُخزن مؤنهم وكل احتياجاتهم المادية وعمل أيديهم، لأن حياتهم كان معظمها يُقضى في الإنفراد في المغائر خارج المنشوية ولا يجتمعون إلا للصلاة معاً أو لتوزيع احتياجاتهم المادية المشتركة.

ونحن نسمع في سيرة حياة أنبا أموي أنه ترك لتلاميذه خمسين أردباً من الحبوب (٤٧).

ومن أعظم الدعائم التي كانت تحفظ حياة التلاميذ وتقومها بشدة وباستمرار وتجنّبهم الطياشة والقلق والكآبة والضجر ومحبة الفسحة والإتساع، هو شغل اليدين الذي كان ضرورة حتمية لا غنى عنها. فكل راهب كان يعمل بيديه المقاطف والحصر وحبال الليف وشغل الصوف أو الكتان طول اليوم بدون ملل، لأن عمل اليدين كانت تحتمه الحياة اليومية، إذ لا مورد آخر كان يصرح للراهب المبتدئ أن يستخدمه لشراء لوازم معيشتة؛ ومع شغل اليدين كان الهذيد طوال اليوم بالمزامير بدون تحديد أوقات أو مواعيد أو أعداد، مع تلاوة فصول بأكملها من الإنجيل والتوراة بالتبادل.

ومعروف أن علامة التلميذ الناجح هو قدرته على الهذيد الدائم أثناء عمل اليدين مع ارتفاع قيمة الهذيد والصلاة أثناء الشغل اليدوي أكثر من قيمة العمل ذاته، وهذا نسمعه بوضوح من فم ثيسوذور البرامي مبكراً الإخوة المنحليين في شهيت في أواخر أيامه: [عندما كنت في شهيت كان عمل النفس هو عملنا، أما شغل اليدين فكان محسوباً أنه مُضاف لعمل النفس *παρέργον*، ولكن الآن أصبح عمل النفس هو المضاف وأما شغل اليدين فهو المهم] (٤٨).

(47) Apoph. Patr., Ammoī, V.

(48) Apoph. Patr., Theodore of Pherme, X.

وكانت الموارد الطبيعية المحلية في شهبية تسد احتياجاتهم ، هذا نسمعه من قول الإخوة ليوحنا القصير: [نشكر الله يا أبانا أنها أمطرت كثيراً هذه السنة، وقد ارتوى النخيل وأخرج خصوصاً كثيراً، فسوف يجد الإخوة ما يكفي عمل أيديهم] (٤٩).

أما وسيلة بيع المقاطف وبقية الأعمال اليدوية فكان لها وسائل متعددة، إما بالمبادلة بالخبز والملح وذلك يتم مع خفراء النطرون، وهذا نعلمه من بدء سيرة مقار يوس (٥٠)، ومن وصية مقار يوس لمكسيموس ودوماديوس (٥١)؛ أو بالنزول على القدمين إلى الريف في رحلة تستغرق يوماً بليلاً ليبيعوا إنتاجهم في سوق ترنوط (٥٢)، أو بتأجير جل يحمل المقاطف ويسير وراءه الراهب أو جماعة الرهبان حتى الريف، وهذا نسمعه في حياة يوحنا القصير لما غضب الجمال في الطريق فتركه يوحنا وترك مقاطفه وعاد إلى قلايته (٥٣)، أو بتسليم شغل اليد أسبوعياً لصاحب الذاكونية في الكنيسة الذي يقوم ببيعه وتسليم الراهب حاجته الأسبوعية كما سيأتي في خدمة صاحب الذاكونية.

النزول إلى الحصاد:

وكان هذا يُعتبر عملاً ثانوياً بالنسبة لشغل الخوص، ولكن كان يُقبل عليه الرهبان بسبب تمكنهم في مدة يسيرة من الحصول على تموين السنة كلها من القمح وبقية الحبوب والبصل وخلافه، وخصوصاً أنها تكون من المحصول الجديد. وأول ما نسمع عن النزول للحصاد كان في سيرة القديس مقار يوس، فيروي الأب شيشوي عن كيفية نزولهم للحصاد، وكان عددهم سبعة مع القديس أنبا مقار (٥٤).

والحصاد يُقصد به حصاد القمح والشعير والفول والبصل، إذ كلها لها موسم واحد يبدأ من بعد عيد القيامة مباشرة. فكان يقضي الرهبان مدة الخمسين في الريف يعودون بعدها محملين من خيرات الأرض التي طالما صلوا من أجلها طول العام. وكان الآباء معتادين أن يحضروا معهم تموين الزيت أيضاً للسنة كلها، وهو إما زيت حار (زيت بذر الكتان) أو زيت زيتون (زيت طيب) في أقساط من الزجاج.

النساخت:

وكانت تُعمل ضمن أشغال اليد التي يتخصص لها بعض الرهبان ذوي الخطوط المليحة

(49) Apoph. Patr., John Colobos.

(50) A.M.G., XXV Macar., pp. 76f.

(51) Apoph. Patr., Macar., XXXIII.

(52) Apoph. Patr., Macar., XIII, XIV.

(53) Apoph. Patr., John Colobos, VI, XXXV.

(54) Ibid., Macar., VII.

والمعرفة اللغوية، وكان يخاف منها بعض الرهبان بسبب أنها كانت تهيب النفس الضعيفة للكبرياء باعتبارها أصبحت عالمة (٥٥)، فكانت تُمنح غالباً لذوي النفوس الطيبة المطيعة؛ كما نسمع عن مرقص تلميذ سلوانس لأنه كان ناسخاً καλλιγράφος. وكانت النساخة خطيرة بالنسبة للتأمل والهذيد الحر، لأن مجرد شرود الذهن كفيف أن يجعل الناسخ يخطئ، كما نقرأ في القصة التي أوردها ابراهيم عن أحد النساخ كيف اكتشف صاحب المخطوطة عند استلامها منه أن عدة صفحات كانت قد أُغفلت، فلما تذر صاحب الكتاب تألم الناسخ وقال له: «اذهب اعمل بالذي نسخته لك، ولما تتقن عمله تعال وأنا أنسخ لك الباقي» (٥٦).

التأليف:

كثير من الآباء اتخذوا التأليف مادة عمل أو شغل بجد ذاته، والمعروف عن القديس أنبا مقار أنه ألّف كتباً وكتب مقالات عن الفضائل، وذلك كعمل من أعمال الوحدة والتأمل (٥٧)، كما كتب إسيذوروس الفرسي ما ينوف عن ألفي رسالة لكافة فئات الناس كلها وعظية وتعليمية. كذلك وصل إلى أيدينا مقالات للأب إشعيا الإسقيطي يفوق عددها ثلاثين مقالة، وكتب أيضاً عن النسك وحياة التوحد (٥٨).

أعمال البستان:

كانت في شهبية قاصرة على المنشويات، فكل منشوية يتأخها حديقة خضروات تكفي لعدد الرهبان المنتمين للمنشوية، ولم تنتشر أعمال الفلاحة بين الرهبان بالصورة التي كانت عليها أعمال الخوص وشغل اليد؛ لأن الفلاحة كما اتفق الآباء لا تتناسب مع التأمل وهدوء الفكر، وقد استعلن لأحد الآباء الشيطان وهو راibus للرهبان على يد فأس يحسن لهم صنعها (٥٩). وقد روى الأب مرقص لأرسانيوس عن أب غواه الشيطان ليزرع خضروات كثيرة فوق حاجته، فما كان منه إلا أن قلع كل ما زرعه ورماه (٦٠).

وقد اتفق يوماً تلاميذ سلوانس وهم في سيناء على هدم سور الحديقة وتوسيعها رغبة في الإتساع، فما كان من سلوانس إلا أن هددهم بترك سيناء كلها إذا لم يعيدوا السور على ما كان عليه؛ لأنه كان يرى في عملهم خروجاً عن حدود النسك وانزلاقاً نحو الطمع في الدنيا والإتساع فيها (٦١).

(55) Ev. Wh., II, p. 185.

(56) Apoph. Patr., Ibrahim, III.

(57) Greek Text, P.G., XXXIV.

(58) P.G., XL, Col 1105f.

(59) John Moschus, Pratum Sprituale, LV.

(60) Apoph. Patr., Arsenius, XXII.

ولكي يقرن سلوانس بين الفلاحة في البستان وبين العبادة والهذيد اضطر، كما هو معروف، أن يعصب عينيه وهو يسقي الشجر.

أما قصة البستاني وزميله وما دار بينهما من حوار لطيف عن معنى البستان الداخلي وسقي الزرع وسقي الدموع، فيكشف لنا عن عزوف العمالين بالروح عن هذه الصناعة حتى ولو كان فيها موت للزرع وإتلاف للثمر الأرضي (٦٢).

صاحب الدير الديرية (الإيكونوموس = الربيطة) ووظيفته الاجتماعية:

كانت وظيفة الإيكونوموس (الأقنوم) أو صاحب الديرية أو الربيطة، كما نسميه الآن، تختص بالشئون الجسدية. وكانت وظيفته من الوظائف الهامة والكبيرة التي بدأت ببداية الحياة الرهبانية في شيهيت، فكان الأب نفسه أحياناً هو المدبر لشئون أولاده المادية، كما كان في حياة أنبا أموي ويوحنا وإخوته، أو مقار يوس الكبير نفسه في بدء حياته بشيهيت حينما كان يجمع الإخوة وينزل معهم للحصاد لتدبير شئون احتياجاتهم وخزنها من السنة للسنة. ثم بعد ذلك تعين لها أب متخصص من بين الرهبان الحكماء ليكون مسئولاً عن كل حاجات الإخوة وصحتهم، وكان مركزه دائماً الكنيسة الكبيرة (التي داخل الدير) كما نسمع ذلك في أثناء مرض موسى الأسود وعناية أنبا إسيدوروس به مدة ثلاث سنين داخل الكنيسة (أي داخل الدير).

وكان الإيكونوموس (الأقنوم = الربيطة) مسئولاً بالدرجة الأولى عن شغل الديرين للرهبان المتوحدين، يستلمه منهم كل أسبوع ويسجله عنده ويرسله للبيع على قوافل الجمال ويقوم بنفسه بشراء ما يلزم الإخوة من كل الحاجات الجسدية ويوزعها عليهم بما يساوي ثمن عمل يديهم. كما كان مسئولاً عن المرضى يعتني بحاجاتهم ويمرضهم بيديه...

وقد أصبحت وظيفة الإيكونوموس على ممر الأيام غير وظيفة الأب الروحي أو الكاهن العام. وهذا الفصل في الإختصاص نراه واضحاً في أواخر حياة بافنتيوس أب الجماعة في شيهيت حينما سلم الديرية (الخدمة العامة) للأب يوحنا، كما يفيدنا كاسيان بوضوح (٦٣)، وكان يوحنا يدعى رئيس الكينونيون (٦٤). وكان نشاط الإيكونوموس يبلغ أقصاه يومي السبت والأحد عندما يأتي الإخوة المتوحدون من كافة الأنحاء المحيطة وكل واحد معه شغل يديه مطالباً بحاجات الأسبوع ومعهم أخبار المرضى. وكانت مخازن الدير - الداجونية أو الكينويون أو الجوّ (الكلمة السريانية) - بجوار الكنيسة، وكان يحتفظ فيها الأقنوم بكل حاجات الإخوة وبالهدايا والعطايا

(٦٢) البستان العربي، طبعة ١٩٥٦، ص ٢٨٢.

(٦٤) بستان الرهبان، طبعة ١٩٥٦، ص ٢٥٥.

(63) Cassian Inst., V, 40.

التي تصل إلى الدير ليقوم بتوزيعها يومي السبت والأحد، إلا فيما يختص بالفاكهة الطازجة فكان يُفذهها إلى الإخوة بواسطة رسل يقومون بتوزيعها على المغائر.

ونسلم عن أنواع أطعمة كثيرة كانت محفوظة بالمخازن [كالسمك والبيض والفراخ واللحم والتين الجاف والزيتون والمشمش والنبيد] (٦٥).

المطبخ العام:

كان يتناول جميع الآباء، حتى النساك والمتوحدون، وجبة يوم الأحد المسماة بالأغابي معاً على مائدة واحدة، إذ كان هذا معتبراً طقساً متمماً لسر الإفخارستيا، فائدة الرب هي مائدة الشكر ومائدة الإخوة هي مائدة المحبة، والشكر والمحبة كانا محسوبين معاً أنها «سر الشركة».

وكان الطعام الذي يقدم يوم الأحد يلزم أن يكون طيبخاً، وهو غالباً عدس أو سليقة خضروات مع بقل وخل (أي سلاطة). وكان الطيبخ يتم طهيه داخل المطبخ العام الذي كان قريباً أيضاً من الكنيسة وملاصقاً للمائدة.

وقد جاء ذكر هذا المطبخ العام في قصة مرقص تلميذ سلوانس لما طالبه معلمه الروحي بأن يقابل أمه التي جاءت لزيارته وكان متضرراً من ذلك، فذهب إلى المطبخ العام وسود وجهه بالهباب حتى لم يعد له منظر على الإطلاق وذهب ليقابل أمه (٦٦). كذلك نسمع عن المطبخ العام في قصة زيارة أنبا شنودة لجمع دير أنبا مقار عند عودته من مجمع أفسس سنة ٤٣١ م. حيث وجد الإخوة في المطبخ العام يطهون لحم العيد (٦٧). وكان المطبخ العام تحت إشراف وتدبير صاحب الديرية أي «الأقنوم».

المخبز العام:

كان المخبز العام من أهم دعائم الحياة الرهبانية، فكل دير كان له المخبز العام الذي يقوم فيه الإخوة بالمخبز، إما جماعات جماعات وإما كل واحد لنفسه. وكانت عملية التطوع معروفة بين الإخوة، فالذي كان يجيد صناعة الخبز كان من نفسه يقوم بالتطوع للمخبز للإخوة الضعفاء أو المرضى أو غير القادرين على هذا العمل الشاق. فنسمع عن الأب الذي كان يذهب ليخبز خبزه في الصباح فيضطر إلى العودة في المساء لأنه كان يظل هناك يخبز لكل أخ ضعيف.

(65) Apoph. Patr., Arsen, XVI; Cassian Inst., V, 40; Achillas., II; Hist. Monach., L. ch. XXIX.

(66) Apoph. Patr., Marcus, III.

(67) A.M.G., XXV, pp. 149f.

الكنيسة كمكان اجتماعات:

لم يكن في شبيته أمكنة يجتمع فيها الآباء للمناسبات العامة إلا الكنيسة، فنسمع أن الشيوخ يعتقدون فيها اجتماعاتهم في كل الأمور التي تخص الإخوة عامة، ففيها كما نعلم نوقشت أفكار بدعة ملكي صادق^(٦٨) (أنه هو المسيح)، وفيها أيضاً عُقدت الاجتماعات الخطيرة بخصوص خطاب ثاوفيلس البطريرك ٢٣ الفصحى الذي فيه دحض بدعة «شكل الله الإنساني».

كما كانت الكنيسة تُستخدم لمبيت المرضى الذين يجيئون من العالم طلباً للشفاء على أيدي الشيوخ، وكان المرضى من الرهبان يُنقلون أيضاً إليها و يقيمون فيها حتى يتم شفاؤهم كما قرأنا في سيرة أنبا موسى الأسود وكما نقرأ في سيرة القديس أرسانيوس.

وقبل أن يقام في شبيته بناء خاص للمائدة كانت الأغابي تُعمل داخل الكنيسة^(٦٩).

أما الضيوف والزائرون من الأجانب والبلاد فكانوا ينزلون في الحصون القديمة التي كانت ولا تزال بسبب ذلك تدعى «القصر القديم».

الرهبان الأجانب:

اكتظت شبيته دون غيرها من البراري بالرهبان الأجانب من كل قطر وذلك بسبب ارتفاع درجة الروحانية بين الآباء الشيوخ مما جذبت أنظار العالم كله، ويقص علينا سيرايون كاتب سيرة أنبا مقار: [إنه كان بين رهبان شبيته رهبان أجانب من رومانيا (بلاد الروم أي اليونان) وأسبانيا وليبيا والمدن الخمس بشمال أفريقيا وكبدوكيا وبيزنطة (القسطنطينية) وإيطاليا ومقدونيا وآسيا وسوريا وفلسطين وغلطية]^(٧٠). ونحن نعلم فعلاً أن بورفيري الغزاوي جاء سنة ٣٧٨ م. من تسالونيكى^(٧١)، وفوثينوس العالم المشهور جاء من كبدوكيا^(٧٢) سنة ٣٩٩ م.؛ كما نعلم أن مكسيموس ودوماديوس جاءا من اليونان وأرسانيوس جاء من هناك، كذلك ألبانيوس جاء من غلاطيا، وإيقاجر يوس جاء من بُطس، هذا بالإضافة إلى إيلاريا (من اليونان)، وكذلك أنتاسيا وأناسيا أيضاً.

وقد كان مجيء هؤلاء الأجانب وسفرهم أحياناً إلى بلادهم سبباً في ذبوع سيرة الآباء

(68) Apoph. Patr., Copres, III.

(69) Cassian. Instit., II, 18; Ev. Wh., II, p. 187, 211.

(70) A.M.G., Life of Macar., XXV, p. 99.

(71) Life of Prophyry by Marc., P.G., LXV, col. 1213.

(٧٢) هذا الأب الفاضل هو الذي كان سبباً في هدوء العاصفة التي اجتاحت شبيته كلها غضباً على خطاب ثاوفيلس ٢٣،

فقد أقع الرهبان بركة إيمان ثاوفيلس. Ev. Wh., II, p. 133.

المصريين القديسين في الخارج، حتى صارت شبيته لها الكرامة والتقدير كأورشليم القدس تماماً.

التوقير الذي كان يقدم للرهبان من عظماء العالم!

وبالرغم من أن عظماء قديسي شبيته كانوا جميعاً من فلاحين ورعاة غنم وجمالين، ومعظمهم كان أمياً لا يعرف القراءة والكتابة، إلا أن الإحترام والكرامة والتوقير الذي كان يقدمه إليهم كبار الزائرين، سواء كانوا أجانب أو ولاية أو رؤساء، شيء يفوق الوصف؛ لأنهم كانوا محسوبين في أعين الناس مثل الملائكة، وقد كانوا بالفعل يمارسون «حياة ملائكية» سواء بالنسك أو الصلاة.

وقد كان الآباء أنفسهم يحسون بهذه الحياة وعلو قدرها؛ فيحكى عن أنبا بامو (بموا) أنه بينما كان مرتحلاً مع بعض الآباء قابل أناساً علمانيين جالسين فخاطبهم قائلاً: «قوموا وحيوا الرهبان حتى تتباركوا من أفواههم الطاهرة لأن أفواههم لا تكف عن الحديث مع الله»^(٧٣). ويحكى عن القديس أثناسيوس أنه كان يحترم الآباء الرهبان المتوحدين غاية الإحترام وكان دائم السؤال عنهم طالباً بركاتهم وكان يفتخر أنه خدم الأب أنطونيوس وصب الماء على يديه كتلميذ، وثاوفيلس البطريرك ٢٣ كان كلما أصيب بالضجر وصغر النفس كان يذهب ليستشفى في شبيته ويتعلم الحكمة من الآباء ولكنه لم يتعلم أبداً. والإمبراطور كونستانتينوس أرسل يدعو أنبا أنطونيوس لزيارة القسطنطينية ويطلب صلواته، وثيودوسيوس الأول كان يرسل الخطابات ويستشير الأب يوحنا الأسيوطي.

أما عامة الشعب فكانوا يعتبرون الآباء الرهبان بمثابة أنبياء ورسل، وكانوا يعتقدون بقدرتهم على الشفاء وصنع المعجزات بصورة إيمانية فائقة.

الدخول في الحياة الرهبانية:

كان لا يمكن لأي إنسان أن يُقبل راهباً ضمن الجماعة أو تُحسب رهبانيته قانونية إلا إذا قدمه أحد الآباء المسؤولين رسمياً في المحيط الرهباني والكنسي، إذ لا بد أن يُشهد للإنسان أولاً أنه مستحق للباس الرهباني وأن يُرَكَّى ليقبل وسط الجماعة.

وكان الإعتقاد السائد أن الأب إذا قدم تلميذاً للرهبنة فهذا معناه أن التلميذ ليس فقط قد أخذ العلم والمعرفة اللازمة للرهبنة بل قد أخذ أيضاً من روح الأب، أو بمعنى آخر أن بركة ونعمة الأب حلت سرّاً على ذلك التلميذ، فأصبح أهلاً أن يدخل في زمرة الطقس الملائكي. فالرهبنة

(73) Apoph. Patr., Pambo, VII.

بنوع ما كان يُنظر إليها أنها تسليم روحي سري كتسليم الرسل للأساقفة بوضع اليد، ولهذا فأى راهب قديم مشهود له بالتقوى والقداسة كان في استطاعته رسامة رهبان. أما في العصور المتأخرة نوعاً ما، في بداية الحكم العربي، لما اندس في الرهبنة بعض الهاربين من الضرائب فقد التزمت الأديرة بحفظ سجلات للرهبان ليتحقق منها الرؤساء صلاحية المتقدم وصدق نذره. وقد تم هذا حسب طلب الحكومة وذلك في زمن بطريركية ألكسندر يوس الثاني في زمن الوالي الأصبغ أيام الخليفة عبد العزيز ٦٨٥-٧٠٥ م.

ولكن عندما أصبح نظام الرهبنة يحتم وجود أب مسئول عن الدير أو الجماعة الرهبانية، صار مستحيلاً على أي إنسان أن يُعترف به راهباً إلا إذا زكاه أب الدير المسئول.

النذر الرهباني:

لم يكن هناك في بداية الرهبنة أي صيغة خاصة ينذر بها الراهب نفسه، ولكن المعروف أنه عندما يقدم نفسه لقبول الشكل الرهباني فهذا معناه أنه نذر نفسه لله حتى الموت. فإذا غير رأيه وانتكص على أعقابه فلا يوجد أي شيء يمنعه من العودة إلى العالم إلا ضميره الذي يقف شاهداً ضده أنه حانث في عهده. فعهد الرهبنة كان موضوع ضمير وأمانة شخصية أمام الله يتم سراً في القلب في لحظة من لحظات الحياة.

وكثير من الرهبان حنثوا في عهدهم وارتدوا إلى العالم وعاشوا فيه وبعضهم تزوج، ولكن لم يطبقوا ثقل تأنيب الضمير فرجعوا مرة أخرى وقُبِلوا ككتائبين. ونحن نعرف قصة هيرود (٧٤) الذي عاد من العالم وقُبِل ككتائب؛ وبافنوتوس أيضاً قُبِل بعض الرهبان الذين عادوا من العالم بعد أن تركوا الرهبنة، ووضع عليهم قانون توبة (٧٥).

معنى ترك العالم:

إن الشرط الأول والأعظم الذي يؤخذ على الأخ المبتدئ ليؤهل لقبول الرهبنة هو أن يترك العالم تركاً كلياً بكل ما فيه من مسرات واهتمامات.

وقد أعطانا القديس مقاريوس هذا المعنى في قانون واضح قاطع استلمه من الراهبين اللذين قابلهما في البرية الجوانية: [إذا لم يتخل الإنسان عن كل شيء في العالم فإنه لا يستطيع أن يصير راهباً] (٧٦). وهذا كان يعني الآتي:

أولاً: أن يقطع الإنسان نفسه كلياً من أهله سواء كان أباً أو أمّاً أو أخاً أو أختاً، أو زوجة أو

(74) Laus. Hist. Pallad., ch. XXVI, XXVII.

(75) Apoph. Patr., Paphnutius, IV.

(76) Apoph. Patr., Macar., II.

أولاداً كوصية الإنجيل، وتطبيقاً لذلك نسمع عن ييمن وأنوب وإخوته أنهم رفضوا رفضاً قاطعاً أن يسمحوا لأهمم العجوز أن ترى وجوههم (٧٧). وبيثور لما صار راهباً أخذ عهداً على نفسه أن لا يرى وجه إنسان من أهله طالما كان حياً (٧٨)؛ ولما أجبره القديس أنبا أنطونيوس أن يسمح لأخته أن تراه بعد إلحاح مرير ووساطة الآباء وأسقف دمنهور تقدم إلى أخته وهو مغمض العينين ثم تركها وعاد من حيث أتى. أما مرقص تلميذ سلوانس فقد سوّد وجهه بالهباب وتقدم إلى أمه التي لم تعرفه، وعاد من حيث أتى (٧٩).

ونسمع عن أنبا قاريون كيف ترك زوجته وولدين وذهب إلى شيبيت (٨٠)؛ وأرسانيوس لما أتاه رسول بوثيقة ميرات واحد من أقاربه الذي مات وترك له ميراثه قال له: «أنا مُتُّ قبلاً منه» (٨١)؛ وإيقاجر يوس لما أتى واحد ليعزيه في أبيه الذي مات بادره قائلاً: «صّة! إن أبي لا يموت» (٨٢).

وبالتالي إذا كان على الراهب أن يتخلى عن عواطف اللحم والدم فيقطع صلته بأهله وأقاربه وأصدقائه، فبالحري يكون مطالباً أن يقطع صلته بالمال والثبّة؛ وقد صور القديس أنطونيوس للراهب الذي أراد أن يأتي إلى الدير ومعه أمواله، تصوراً عملياً، كيف أن الشياطين تقطعه قطعاً قطعاً (٨٣).

وإن الحكم الصارم الذي قطعه الآباء الشيوخ على الأخ الذي مات فوجدوا في قلايته ديناراً ذهبياً مع أنه كان يقتات ويُعال من المجمع، صورة مفزعة لخطورة اقتناء المال بالنسبة للراهب: «لتذهب فضته معه للهلاك» (٨٤).

ومعروف أن الرهبنة في عصورها الأولى الحارة والمزدهرة كان الراهب لا يُسمح له ولا يسمح هو لنفسه أن يقول أن شيئاً ما ملكه الخاص. وكان قانون الرهبنة بحد ذاته يلغي قانون الملكية إلغاءً بائناً. فنسمع أن أنبا ثيودور البرامي عندما ذهب ليستشير القديس أنبا مقارهل أفضل أن يحتفظ بثلاثة كتب روحية لمنفعته ومنفعة الإخوة، أم أن يتخلى عنها وبيعهما أفضل؟ فأشار عليه مقاريوس في الحال بأن الفقير في الرهبنة أفضل من الأعمال الحسنة (٨٥).

(77) Apoph. Patr., Poemen, LXXVI.

(78) Vitae Patrum Rosweyd, III, p. 503.

(79) Apoph. Patr., Marcus, III, IV.

(80) Apoph. Patr., Kario, II.

(81) Apoph. Patr., Arsen., XXIV.

(82) Pallad., Hist. Laus., Ch. XXXVIII.

(83) Apoph. Patr., Antony XX.

(84) Jerome, Epistle XXII, ch. 33.

(85) Apoph. Patr., Theodore of Pherme, I.

وفي كلمة، يمكن تلخيص معنى الرهبنة لدى المصريين الأوائل، فهي التضحية بكل أمل وكل هوى وكل مسرة مهما كانت بريئة أو حلالاً وبكل ما يعطل صلته القلبية بالله وخدمته وصلواته التي لا تنقطع.

لبس الشكل الرهباني:

كان العرف السائد في شيهيت منذ بداية الحياة الرهبانية ألا يلبس الشكل الرهباني أي من كان عمره دون الثمانية عشر. وإن كانت شيهيت قد رأت بعض الصبيان فكان هذا استثناءً، لأنهم كانوا برفقة الأب الجسداني، مثل زكريا الذي ترهب وهو طفل مع أبيه قاريون.

ولم يكن اللبس الرهباني يستدعي في البداية أي طقس أكثر من أن يصلي عليه الأب ويرشمه بعلامة الصليب ويعطيه للمبتدئ ليلبسه بنفسه. ولكن في القرون الوسطى بدأ لبس الشكل الرهباني يأخذ طقساً كنسياً وصلوة جماعية^(٨٦).

ولكن بالرغم من ذلك ظل طقس الصلاة في شيهيت الذي يصاحب الشكل الرهباني بسيطاً للغاية وخاصاً لا يتعدى الأب وولده. فنقرأ عن مكسيموس ودوماديوس أنها قبلاً الشكل الرهباني لشيهيت في الحال بدون صلاة^(٨٧) (خلعاً للباس الأسود الخاص بالسريان ولبس اللبس الأبيض الخاص بالأقباط)؛ ونقرأ عن بُرفيري الغزاوي أنه بعد أن وصل إلى شيهيت ومكث أياماً قليلة وُجد مستحقاً للشكل المقدس^(٨٨)؛ وفي رسامة يونس القصير على يدي أبيه أنبا أموي نقرأ تفصيلاً دقيقاً متمماً لكيفية لبسه للإسكيم الروحي أولاً ثم المادي هكذا: [و بعد أن بناه أنبا أموي بكلمة الله وأعدّه بالشجاعة ليكون مهياً للنزاع مع الأعداء الخفيين وألبسه القوة ليتمنطق ويغلب جيوش المقاومين، ثم حلق شعر رأسه، وضع الشكل الرهباني على الأرض وظل يصلي عليه مع تلميذه ثلاثة أيام وثلاث ليال، وفي الليلة الأخيرة رأيا ملاكاً يرشم بيده الملابس ثلاث مرات بعلامة الصليب ثم اختفى. وفي فجر اليوم الأخير ألبس أموي تلميذه يوحنا الشكل المقدس].

ويلاحظ أن في هذه السيرة يتقارب وصف لبس الإسكيم بما بدأ يظهر في القرون الوسطى، أما الوعظ الروحي الذي يسبق لبس الإسكيم فهو من روح الرسالة إلى أفسس أصحاب ٦.

ويلاحظ في هذه الرسامة أنها حدثت مباشرة بعد حضور يوحنا إلى أنبا أموي، فلم تكن هناك فترة اختبار طويلة، وذلك كان يعتمد أساساً على قدرة الأب أنبا أموي في كشف النفس ومعرفة استعدادها وقداستها. ثم نلاحظ أن الرسامة كانت خاصة جداً، فلم يحضرها إلا أموي و يوحنا

(86) Le Rite copte de la prise d'habit, ed. B. Evetts, in R.O.C., XI, pp. 60f.

(87) A.M.G., XXV, p. 296.

(88) Life of Porphyry by Mark., ch. IV.

فقط ولم يسبقها أو يعقبها أي إجراءات أخرى.

ومن ذلك نتأكد أن طقس الرسامة في العصور الأولى لم يكن طقساً كنسياً بالمرّة، ولا علاقة له ببقية الأسرار، فهو قد يُعتبر بحد ذاته سرّاً كاملاً يختم على بقية الأسرار ويسمونها جميعاً.

وظلت أوصاف هذه الرسامة البسيطة الروحية العميقة كما هي حتى القرن السابع، إذ نقرأ في سيرة أنبا صموئيل المعترف نفس خطوات الرسامة بالضبط على يد أغاثون المتوحد^(٨٩) كما حدثت على يد أموي تماماً.

ولكن الذي زاد على هذا الطقس منذ البدء أيضاً هو فترة الإختبار التي كانت تطول أو تقصر حسب همة المبتدئ وطاعته ورضى الشيوخ عنه. إذ نقرأ في أحد أقوال الآباء عن راهب لبس الإسكيم قبل مياعده فاضطر الشيوخ إلى تهذيبه وإسقاط درجته إلى «مبتدئ» حتى يكمل طقس الإلتضاع: [يُحكى أن أخاً بعد أن لبس الإسكيم σχῆμα أغلق على نفسه ودعا نفسه متوحداً، فلما سمع به الشيوخ طردوه من القلاية ووضعوا عليه أن يظل يمر على قلالي الرهبان والإخوة يسألهم الجِلّ والصفح وأن يقول لكل واحد: «أخطأتُ حاللي لأني لست متوحداً ولكني مبتدئ»] ^(٩٠).

الزي المقدس (الملابس الرهبانية):

كان الأقباط أول من وضع زياً خاصاً، ويؤكد العلامة أميلينو أن القديس أنطونيوس هو أول من رسم الشكل وحدد قطعه، وأن معظمها مأخوذ من ملابس الكاهن^(٩١). ولكن يقول كاتب «التاريخ الرهباني» «هستوريا موناخورم» أن الأب متيوس هو أول من وضع شكل الزي الرهباني^(٩٢).

ولكن أياً كان وضع الزي المقدس ووضعه، فإن الكل يتفق عند حقيقة واحدة وهي أن قطع الملابس تحوي في لبسها بعد الصلاة عليها قوة الفضائل اللازمة للحياة الرهبانية! ويقص علينا القديس أنبا أنطونيوس أنه رأى مرة الشياطين بالمنظر المعقول وهي تُظهر غضبها على الملابس الرهبانية فتعجب من سذاجتهم، ولكنه أعلم بواسطة الملاك أن الشياطين تكره هذا اللبس بسبب أصحابه.

وقد اعتاد الرهبان منذ البدء أن يحتفظوا بالثوب الرهباني والقلنسوة (غطاء الرأس) التي قبلوا

(89) Vita de Abba Samuel, p. 140 (Periera).

(90) Apoph. published by Nau (R.O.C., XIV, p. 364 No. 243).

(91) Amélin., A.M.G., XXV, pp. XXIIIf.

(92) Hist. Monach., Gr. V., ch. XI.

بها الرسامة الأولى حتى يوم الممات ليُدفنوا فيها، وكانوا لا يلبسونها إلا في يوم الأحد لقبول سر الإفخارستيا ثم يخلعونها بعد ذلك في الحال (٩٣). وكانت هذه الملابس ثمينة في عين الراهب العمّال جداً، فنسمع من سيرة ثيوذور البرامي أنه لما أتاه اللصوص وسرقوا كل كتبه وسرقوا معها ثوبه صرخ إليهم متوسلاً أن يأخذوا الكتب ويتركوا له الثوب (٩٤)!!

ومهما قيل في سبب احتفاظ الراهب بثوبه، فالأرجح هو لكي يظل الراهب على عهده الأول وبتذكروم رسامته وخروجه من العالم بإرادته حتى يوم الانتقال!

وعمدنا الراهب والمؤرخ يوحنا كاسيان (٩٥) بدقائق الملابس الرهبانية ومعناها الروحي، وقد حاول إيثار يوس (٩٦) أن يقلد كاسيان ويضيف من عنده أوصافاً كثيرة قائلاً أن هذا كله كان يعملها الآباء الرهبان.

الثوب المقدس ومنطقة الجلد:

وأول ما يذكر كاسيان من هذه الملابس: الثوب والمنطقة الجلد.

فالمنطقة الجلد: σχῆμα = ζώνη وهي جزء أساسي من الإسكيم المقدس، فهي تشير إلى الشجاعة أو الرجولة. ومن سيرة مكسيموس ودوماديوس نعلم أن الراهب لا يخلع منطقهته إلا عند النوم فقط (٩٧).

ويصفها لنا المؤرخ المقريري هكذا: [وهي شريط من الجلد عليها رسم صليب، لا يلبسها إلا الرهبان، وهم ينطقون بها أنفسهم].

ثوب الشعر:

وهو ثوب خشن من شعر الماعز، وحينما يلبسه الراهب فذلك معناه الإماتة الكلية، ونعلم من حياة أرسانيوس أنه استبدله بثوب من الجلد ويدعى قيطونة χιτώνα δερμάτινον. وأرسانيوس جعل ثوب الشعر هو القميص (من الداخل) ليكون أكثر تعبيراً عن الإماتة، وقيص الشعر اسمه Τρίχινον Κάμαβιν. وقيص الشعر يدوم سنين طويلة لا يبلى، وقد أهده أرسانيوس عند موته إلى تلميذه دانيال (٩٨).

ونعلم من سيرة يوحنا القصير أنه كان يلبس قيصاً من الليف (٩٩): [وهو ربما يكون من نسيج رفيع يشبه المزبلة (الغبيط) التي نستخدمها الآن].

وقد يكون هذا الثوب من الكتان ويسمى λεβίτωνα، وهو الذي يحتفظ به للتناول كل يوم أحد وكان لونه أبيض؛ لذلك فالمعروف عن زي الرهبان الخارجي أنه كان أبيض اللون، وهذا نعلمه بوضوح من سيرة أنبا دانيال قص شيهيت التي فيها يقص الكاتب عن ذهاب رهبان نتريا وشيهيت وهم في ملابسهم البيضاء: [وانحدر كل رهبان شيهيت وهم بملابسهم البيضاء إلى الإسكندرية للاحتفال بجزازة مرقص] والتبرك من جسد المقبوط مرقس القديس الذي ظل متخفياً في شكل شحاذ إلى أن اكتشف حقيقة أنبا دانيال (١٠٠).

ونسلم عن الراهب المدعو يوحنا الجنائني بدير أنبا باخوم بالصعيد الذي [ظل يحتفظ بهذا الثوب نظيفاً يلبسه كل يوم أحد ويخلعه بعد تناول مباشرة فعاش عنده ٨٥ سنة] (١٠١).

ويحكى الأب يوسف الذي من السيلوز يوم (بورسعيد الآن) عن الراهب الذي من سيناء [الذي كان يحضر القداس كل يوم أحد لابساً ثوبه μαρφορίον العتيق وقد انكمش وامتلاً رقعاً فكان يبدو بالرغم من ذلك كأنه ملاك وسط الإخوة]، فلما غضب عليه الأب يوسف بسبب ذلك علم منه أنه لا يملك غيره، فأعطاه الأب يوسف λεβίτωνα جديدة (١٠٢).

غطاء الرأس:

ويدعى كوكولاً، أو كوكوليون κουκούλιον، أو بالمصري «كلفت». وهو غطاء يغطي الرأس والقفا معاً (الرقبة)، لذلك فهو يشبه غطاء رأس الأطفال تماماً، لذلك فهو محسوب أنه يشير إلى روح البساطة التي للطفل، وكل الإشارات التي جاءت عنه في أقوال الآباء تفيد أنه قطعة منفصلة بذاتها لا تتصل بأي ملابس أخرى، ويمكن خلعه في الحال فتسقط إما إلى الأمام أو إلى الخلف لأنها تكون مربوطة حول الرقبة (١٠٣).

ونرى هذه «الكوكوليون» مرسومة على رأس أنبا أنطونيوس في صورته بالهيكل البحري بالحصن بكنيسة أنبا مقار.

ويقرر إفلين وايت أنه رأى بعض الرهبان الشيوخ يلبسونها في وادي النطرون وبالأخص في

(99) A.M.G., XXV, p. 351.

(100) Ev. Wh., II, p. 243; Clonget, Vie de l'abba Daniel, pp. 12f.

(101) Patrologia Orient. by Graffin & Nau, IV, p. 474.

(102) Apoph. Patr., Cronius, V.

(103) Apoph. Patr., Zacharias, III, Theodore of Pherme, XXVIII.

(93) Apoph. Patr., Phocas., I.

(94) Apoph. Patr., Theodore Pherme, XXIX.

(95) Cassian Inst., I, 3f.

(96) P.G., XL, col. 1221.

(97) Apoph. Patr., Macar., XXXIII.

(98) Ibid., Arsen., XLII.

رحلاتهم خارج الدير (١٠٤).

الكولوبيون أو القصارية:

وهو الثوب الدائم الذي يلبسه الراهب طول النهار وخصوصاً أثناء العمل، وهو ثوب واسع من الكتان أكمامه قصيرة جداً فوق الكوع، لذلك سمي بالقصارية، وهذا هو ترجمة الاسم اليوناني *κολόβιον* والتي حُرِّفت بالعربي فصارت «جلابية». ويلزم أن تكون قصيرة أيضاً في طولها فهي لا تتعدى أسفل الركبة إلا قليلاً حتى تصلح لأن تكون ملابس عمل، كما أنها متسعة حول الرقبة تترك كل الرقبة عارية وجزءاً من الأكتاف والصدر مفتوحاً، وهذا الوصف نجده بوضوح في سيرة أنبا ثيودور البرامي (١٠٥).

المرقعة:

ومن اسمها يتضح أنها ثوب قديم جداً أو قصارية مرقعة، وتسمى باليوناني *κεντονάριον*، ومن بداية الاسم نعلم صفتها (كانت)، وهذه يلبسها الرهبان لتأدية الأعمال القذرة أو الخشنة جداً. ونقرأ في سيرة مرقص تلميذ سلوانس أنه عندما جاءت والدته لتزوره وتراه، وكان هذا ضد رغبته جداً، فلما اضطره أبوه لرؤيتها ذهب ولبس هذه المرقعة وسودها أكثر بهباب المطبخ (١٠٦).

وفي أيامنا هذه كان الآباء الرهبان الإثنا عشر الذين كانوا يعيشون في مغائر وادي الريان يلبسون القصاريات هذه أثناء العمل طول اليوم، وكانت أيامهم كلها عمل، وقد ثبت صلاحية هذه القصارية للعمل جداً. وبعضهم كان لا يُرى إلا بالمرقعة سواء وقت العمل أو الراحة. أما في دير أنبا صموئيل فالراهب الفاضل المنتيج أبونا صليب كنت لا تراه إلا بها فهو لم يكن يخلع المرقعة عنه أبداً ولا يلبس تحتها إلا وزرة تستر جسده.

القطعة الثالثة: الإسكيم: *σχημα*

ويدعى بالقبطية *τμαρ πσηα* وباللغوية *ανάλαβοι*، وهذا عبارة عن شريطين من الجلد يلتحمان خلف الرقبة ثم يمران حول الرقبة و يتقاطعان أمام الصدر ليعبر كل منهما الآخر تحت الإبطن ليدور حول الوسط.

وقد ازداد هذا الإسكيم على مضي الزمن فأصبح مشغولاً من الجلد المضفور وبه عدة صلبان في الظهر والصدر، وأصبح يلتحم بالمنطقة ليشد الجسم كله.

(104) Ev. Wh., II, p. 195.

(105) Apoph. Patr., Theodore of Pherme, XXVIII.

(106) Apoph. Patr., Marcus, III.

وكان الإسكيم من المميزات الهامة التي تميز الراهب الذي قبل الشكل الرهباني، فكان لا يُدعى راهباً إلا مَنْ لبس هذا الإسكيم. ثم تطور الإسكيم بعد ذلك فلم يكن يُعطى إلا للمتوحدين فقط الذين يعيشون في الجبال خارج الأديرة. وللأسف أصبح الرهبان الذين يلبسون هذا الإسكيم في الوقت الحاضر في مصر كلها قلائل أو ربما واحداً، وهم ليسوا متوحدين. واكتفي الآن في رسامة الرهبان بالمنطقة الجلد فقط، ولكن هذه لا تزيد في تعبيرها الطقسي عن الإبتداء الرهباني فقط وهي تسمى وحدها بالإسكيم الصغير.

لذلك نتطلع إلى الوقت الذي يصبح فيه التوحد طقساً رهبانياً رسمياً، حيث يمكن إعادة لبس الإسكيم الكبير حسب الطقس الرهباني الصحيح.

والمعجيب أنه لا يجوز رسامة أسقف الآن في مصر إلا بعد إلباسه الإسكيم، لأنه فضيحة أن يُدعى راهب للأسقفية وهو ليس في طقس الرهبان، فالراهب بدون إسكيم لا يمكن أن يدعى راهباً.

فلعل إلباس الأسقف الإسكيم قبل رسامته أسقفاً يكون تذكيراً لنا أن الطقس الرهباني متعطل، والطقس الرهباني متعطل بسبب تعطل الوحدة، والوحدة متعطله بسبب ضعف الحياة الرهبانية.

القطعة الرابعة: الشَّمْلَة أو التلفيحة (الشال):

وكانت تسمى *μαφόριον* وهي من القطع الأساسية في ملابس الراهب، وكانت تغطي الرقبة دائراً والكتفين، أي أنها كانت تكمل ما ينقص في القصارية مثلاً. ونسمع عن وظيفة هذه القطعة من الملابس في سيرة ثيودور البرامي وتلميذه: [ولما جئت وقت الغروب وجدت أبا ثيودور لابساً قصاريته وقد تعرى صدره، وكوكوليتيه (غطاء الرأس) ساقطاً إلى الأمام. وبينما هو بهذا الحال، إذا بالحاكم (المأمور) قادم لزيارته، فأخذت أنا الشملة وطرحتها على كتفيه] (١٠٧).

القطعة الخامسة: الملوطة الجلد:

وهذا يعتبر أكثر ملابس الراهب تمييزاً له، وهو عبارة عن جلد ماعز أو خروف ويسمى الشار *σαρ* وباللغوية *μηλώτης*، ونسمع عنه في سيرة القديس أنبا أنطونيوس الكبير أنه: [عند نياحته أوصى بعكازه لمكار يوس والفروة لأثناسيوس والملوطة الجلد لسيرابيون] (١٠٨).

ولبس الملوطة يشير إلى الموت عن الشهوات والملذات الجسدية، أما استخدامه العملي فكان

(107) Apoph. Patr., Theodore of Pherme, XXVIII.

(108) Synax. R. Basset, p. 666.

للقاوية من صقيع الشتاء، وكان من ملابس السفر التي لا غنى عنها. وفي غير ذلك كان يحتفظ به في أحد أركان القلاية، لذلك فعند قول الكاتب في أي قصة «وقد أخذ الجلد» يكون معناها الرحيل أو السفر. ففي الرواية عن اضطهاد ثاوفيلس البطريرك ٢٣ للرهبان، نقرأ أن الرهبان أخذوا الجلد وتوجهوا إلى أيليا Aelia (أورشليم). وهناك اصطلاح شعبي متداول قلّ من يعرف أصله وهو هنا يتضح معناه، فيقول قائل: «وفلان نفذ بجلده» أي استطاع أن يهرب ومعه الجلد وهو آمن شيء تقريباً في قلاية الراهب.

الصندل (النعل):

ويذكر كاسيان أن الرهبان كانوا يستخدمون الصندل لإلقاء صقيع الأرض في الشتاء وحرارة الصيف الملهبة، وكانت من عاداتهم أن يخلعوه قبل الدخول للتناول. ونسمع في سيرة أرسانيوس أنه ترك صندلاً مصنوعاً من الليف $\sigma\alpha\nu\delta\acute{\alpha}\lambda\iota\alpha \sigma\epsilon\beta\acute{\epsilon}\nu\iota\nu\alpha$ (١٠٩)، وأن الأم ثيودورا لبست الصندل قبل الرحيل (١١٠).

العكاز (الشبوتة):

واسمه $\epsilon\upsilon\beta\alpha\tau\alpha$ ، وكان يُصنع من جريد النخيل، وكان يحمل الراهب في الأسفار فقط، وهو من أمتعة الراهب الهامة والعزيزة عنده لأنه يحمل له ذكريات رحلاته وأسفاره. وبالنسبة للآباء الكبار يُعتبر العكاز رمز الأبوة والقوة الروحية باعتبار أن عصاة موسى فلقت البحر. لذلك لما سلم أنطونيوس عكازه الذي طالما اتكأ عليه وارتحل به، لمكار يوس، كان ذلك يعني تسليمه روح الأبوة والقوة الروحية إلى من سيحمل لواء الرهينة من بعده (١١١).

ويؤكد العلامة تشندورف أن في كل العصور حتى القرن التاسع عشر كان عكاز الراهب يسمى عكاز مكار يوس (١١٢).

+ + +

هذه الملابس الرهبانية كانت مفروضة بحكم العرف والتقليد الرهباني، وكان على الراهب أن يتزيا بها، ولا يشذ عن هذه القاعدة إلا بعض القديسين الشيوخ عندما يتقدمون في السن (١١٣).

(109) Apoph. Patr., Arsen. XLII.

(110) Apoph. Patr., Amma Theodora, VII.

(111) A.M.G., XXV, p. 26.

(112) Travels in East, p. 51.

(113) Apoph. Patr., Isaac the Priest, VII.

الفصل الثامن

حياة الراهب اليومية في شهيت

□ □ □

راهب شهيت متوحد لا يجتمع بإخوته إلا في يومي السبت والأحد، ولا يجمعه بهم إلا الصلاة في الكنيسة والأغابي في المائدة. أما بقية الأيام الخمسة فلا يُسمح فيها للراهب بالخروج من قلايته، وعلى مدار السنة يجتمع الإخوة عشية السبت للصلاة وسماع كلمات الوعظ التي يرتبها الشيوخ، حيث في آخرها تُقدّم الأسئلة من الإخوة المبتدئين ويرد عليها الشيوخ بترتيب، ويقدم لنا القديس مار اسحق في كتابه الأول صورة حياة الإخوة في شهيت:

[لأننا نعلم من الكتاب الذي صنعه القديس مقار يوس أن الأخ المبتدئ لا يخرج بالكلية من قلايته وسط الأسبوع ولا يستطيع أحد أن يزور أخاه، بل في يوم السبت يخرجون من قلايتهم وقت العشاء ويأتون إلى المجمع وهم صيام لأن طول السنة صيف شتاء كانوا يتقربون «بتناولون من الأسرار المقدسة» عشية السبت.

ولما كانوا يخرجون ويأتون إلى المجمع ليسمعوا القراءة، كان الذي يتهاون ولا يحضر، يقطع عليه الآباء حكماً صعباً، ومن بعد أن يتقربوا كانوا يدخلون المائدة (لأكلة الأغابي مساء).

ومن بعد الأكل يقفون للصلاة ليلة الأحد (صباح الأحد) ساهرين بلا نوم من العشية إلى بكرة بخدمة المزامير والتسابيح والقراءة في الكتب مع تفاسيرها ومسائل الإخوة وأجوبة الشيوخ الذين يرتبون أنفسهم للوعظ.

وما كانوا يعطون فسحة لا للشيطان ولا لأحد من الإخوة المنحليين أن يتكلم كلمة تجلب خسارة لأحد. ولا أحد يُسمح له أن يثلب رفيقه أو يُحرك خصومة، ولا أحد يجلب ذكر شيء من العالم أو من سيرته البطالة لكيلا يتأذى أحد من الإخوة المحترفين.

فإذا كان أحد يتأذى من قتال أو ضجر في قلايته كان إذا خرج إلى المجمع (يومي السبت والأحد) كان ينتفع بمنظر الآباء وتأخذه حرارة الغيرة مثل النار عندما ينظر أعمال الآباء ويسمع كلامهم ويشاهد فضائلهم فيتزود بمنفعة عظيمة كلها تكون من اجتماعهم ليلة الأحد، ومع ذلك

ما كانوا يفسحون للإخوة أن يخرجوا في وسط الأسبوع [١].

ثم يعود القديس مار اسحق و يعطينا صورة حزينة لحال المجمع يومي السبت والأحد في بداية القرن السابع أي في أيامه فيقول:

[أما في زماننا هذا العادم من الإستقامة الذي برد في الحب، والحرارة تخلفت مع عدم التحفظ، فكل وقت نخرج فيه إلى المجمع نوسق بخسارة ليست بقليلة بسبب كلامنا البطال، حتى أنه لم يصبح لصلواتنا قوة، وإن كان فينا إخوة محترصين يتشتت حرصهم طول الأسبوع بسبب الكلام الرديء الذي يسمعه من المعتادين بالإخلال.

فالضرورة تلجئ الذين يهتمون بخلاص أنفسهم و يشتاقون محبة ربنا وتكميل وصاياه المقدسة أن يداوموا الثبات في السكون كل واحد حسب رتبته، أولاً يُبعد الإنسان نفسه من كل شيء ويحد نفسه قانوناً أن في مدة الأسبوع لا يخرج من قلايته بالكلية، ولا يُفسح لأحد من الإخوة أن يعبر إليه، وإن أمكن ولا من الطاقة يتكلم مع أحد، حتى يأخذ لنفسه تجربة في جميع الضوائق التي تحدث عليه من الآلام والشياطين المنوطين بمقاومة أصحاب السكون الأسبوعي، وتمييز الأفهام الروحانية والعزاء الإلهي الذي يعطى له بنعمة الله حسبما يليق بطقس عمل السكون الصغير أي حسب الأسابيع [٢].

من هذا القول المنير ندرك أن القديس أنبا مقار ألف كتاباً فيه قوانين للمتوحدين في شيهيت، وأن اعتكاف الإخوة وسكونهم طوال الأسبوع كان من أهم الوصايا التي لا يمكن التفریط فيها بالنسبة للرهبان جميعاً كباراً وصغاراً ومبتدئين. فالتوحد طقس رهباني إلزامي، الذي من خلاله يمكن فقط للراهب أن ينال الإفراز والحكمة والعزاء والنعمة!

لذلك نسمع القديس مقار يوس يرد على الأب إشعيا عندما سأله: «قل لي كلمة لأحيا بها»، فقال له: «اهرب من الناس وأنت تحيا». فلما أمعن في السؤال: «وما معنى الهروب من الناس؟» قال له: «هو أن تجلس في قلايتك وتنوح على خطاياك» [٣].

كذلك لما ذهب أحد الرهبان المبتدئين إلى القديس أرسانيوس، وشكى له أنه بسبب ضعفه وعدم مقدرته على الصوم قرر أن يفتقد المرضى ويخدم المتعبين؛ كان رد أرسانيوس له: «هذا الإقتراح من الشيطان، اذهب أنت كُل واشرب ونم ولا تشتغل، ومن قلايتك قط لا تخرج، لأن

(١) كتاب مار اسحق الميعر الأول.

(٢) شرحه.

(3) Apoph. Patr., Macar., XXVII.

بصبرك ومداومتك في قلايتك سوف تأتي إلى القدرة على تنظيم حياتك» [٤].

كيف يقضي الراهب يومه داخل القلاية:

يمكننا أن نعرف كيف كان يقضي الراهب يومه من حديث للأب أنبا بيمن لراهب سأله عن كيف يقضي يومه، فكان رده أن لا يكف عن عمل اليدين، وأن يأكل مرة واحدة في النهار، وأن يحفظ الصمت وهذا بالصلاة ولا يهمل قوانين السواعي [٥].

أما الأب إشعيا فيعطي قانونه واضحاً مختصراً: [إذا جلست في قلايتك فاهتم بثلاثة أمور، الأول: أن تدمن الصلاة بالمزامير، وأن لا تكف عن التأمل مع شغل اليدين] [٦].

ويزكي الأب إشعيا الإسقيطي أن يمضي الراهب نصف ليلته في النوم ونصفها في سهر بالصلاة [٧].

ويبدأ اليوم عند الآباء الرهبان من بعد نصف الليل مباشرة، وهو يبدأ بخدمة تسبيح صلاة نصف الليل، أما تحديد الساعة بالضبط فهي متغيرة، ويحددها كاسيان بصياح الديك الأول.

وتسبحة نصف الليل خاصة يكملها الراهب في قلايته على مدار الأسبوع، ما خلا ليلة الأحد فقط فإن الجماعة تكملها معاً في الكنيسة [٨]. وفي حالة وجود أكثر من راهب في القلاية (المنشوبيات) فإنهم يخدمونها معاً، باتفاق، بكل مزاميرها وألحانها.

فإذا انتهت تسبحة نصف الليل، ويتحتم أن تنتهي قبل ظهور ضياء الفجر، فإن الراهب لا يعود إلى النوم بل يتبع الصلاة بالهذيد في الكتاب المقدس حتى يبرغ نور الفجر [٩]، «سبقت عيناي وقت السحر لأهج في أقوالك» (مز ١١٩: ١٤٨)، وذلك تنميماً لوصية أنبا أنطونيوس الأولى والعظمى: «أن تصلي دائماً وترنم بالمزامير قبل النوم وبعد اليقظة من النوم، وأن تهذ في قلبك بمقولات الأسفار المقدسة» [١٠].

فإذا أشرق نور النهار يهبط الراهب نشيطاً ليبدأ عملاً من أعماله اليدوية، [وهكذا بواسطة ترديد مزموه أو فصل من الكتاب المقدس في هذه الساعة يمنع الفرصة عن الأفكار الشريرة] [١١].

(4) Apoph. Patr., Arsen., XI.

(5) Apoph. Patr., Poemen, CLXVIII.

(6) Rule of Isaías, ch. XI (P.L. CIII, col. 429).

(7) Isaías Regula, ch. LVII (P.L. CIII, col. 432).

(8) Ev. Wh., II, pp. 174, 186, 198.

(9) Cassian Inst., II, 12.

(10) Athanas., Life of Antony, 55.

(11) Cassian Inst., II, 15.

[أما العمل اليدوي فهو دائماً داخل القلاية، يقوم به الراهب بلا انقطاع مع الحديد بالمزامير وقطع من الكتاب المقدس بصفة مستمرة مع العمل] (١٢).

والمصدر الأساسي في الشغل اليدوي في شيهيت هو النخيل، الذي كان ينمو بكثرة على ضفاف البحيرات (الآن زادت ملوحتها فقلت الأشجار جداً)؛ وكذلك في مناطق العيون حيث المياه الباطنية تكون قريبة من سطح الأرض.

وتُقطع عادة فروع الجريد في مواسم معينة وبنسبة معينة، حتى تستطيع شجرة النخيل الإستمرار في النمو وتغذية فروعها أولاً بأول، وتُجرد الأوراق بسكين خاص. ونسمع أن هذه العملية كان يختص بها الأب ألكسندر تلميذ أرسانيوس (١٣)، وعندما تجف الأوراق (السعف)، تُنقع في أحواض للماء كانوا يحتفظون بها داخل قلايتهم، غالباً من الفخار (١٤)، ونسمع عن هذه الأحواض المليئة بالخصب المبلول، في قصة زيارة مقار يوس لأنطونيوس، وفي قصة بولا البسيط عند حضوره لأنطونيوس أول مرة.

ونسمع عن أرسانيوس أنه لم يكن يغير ماء الخوص إلا كل سنة، فكان يتعفن وتملاً رائحته النتنة كل القلاية، وكان يرى ذلك تعويضاً للتعنات والروائح الزكية التي كان يتعطر بها في العالم.

وكانت صناعة الخوص تقوم أساساً على معرفة جدل الضفيرة، لذلك نسمع أن مكار يوس لم يسلّم مكسيموس ودوماديوس إلا بداية الضفيرة وكيفية خياطتها بالمسلة لتشكيل المقطف.

ونسمع أيضاً من كاسيان عن الأخ الحاقد الذي اتهم أنبا بافنتيوس (في صغره) بسرقة كتبه المقدسة، مع أنه هونفسه الذي اقتحم قلاية بافنتيوس وخبأ المخطوطة وسط «الصفائر» (١٥) وتسمى σείρα = صيرا.

وهذا يعني أن الراهب يجدل كميات كبيرة من الضفيرة أولاً، وبعد ذلك يقوم بخياطتها إلى عدة مقاطف بعد أن يبلها مرة أخرى.

والمقاطف والقفاف يبدأ عملها من عقدة القاع أولاً، وهي أصعب مرحلة في خياطة الضفيرة. ونسمع عن ذلك في سيرة أنبا ثيودور البرامي: [جاء أحد الإخوة إلى الأب ثيودور ليعلمه خياطة الضفيرة، وقد أحضر الخوص معه، ولكن قال له الشيخ: «اترك الخوص وعُد باكراً»، وفي

(12) Cassian Inst., III, 2.

(13) Apoph. Patr., Arsen., XXIV.

(14) Pallad., Hist. Laus., ch. XXII.

(15) Cassian Coll. XVIII, 15, 4.

الصباح الباكر قام الشيخ وبلّ أمامه الضفيرة وبدأ له بعمل العقدة الأولى وهو يشير إليه كيف يعملها هكذا وهكذا...] (١٦).

والمقاطف في صناعتها متعددة الأشكال، فمنها السلال المشغولة بالخصب الملون ولها أغطية، وتحتاج إلى عناية أكثر، والصلال الكبيرة تسمى σπυρίδες (سبريدس) ولها عمال مهرة نسمع عنهم ضمن أصناف الصناعات لدى باخوميوس، «وصناعات قفف (صلال) كبيرة» (١٧). أما المقطف أو السبّت الصغير فكان يسمى ελάκι ونسمع عن أنبا يونس الشهيد، أول من ذُبح من التسعة والأربعين شهيداً في البرية، أنه كان صانع مقاطف أو سلال πικαπλακι. ولا زالت في واحة الخاريجة (أكثر الواحات اتصالاً بالحياة الرهبانية) تُعتبر صناعة المقاطف (الصلال ذات الغطيان) من الصناعات الأساسية. والمقطف أو السبّت المعمول بالخصب الملون الجميل، يسمى بالعربية هناك «مَلَقُون» وهو نفس النطق اليوناني القديم. وكان هذا الاسم متداولاً بين الرهبان، فنسمع في سيرة بولس الكبير أنه أمضى الأربعين المقدسة يجدل ملقوناً (سبّت من الخوص المتقن) ويفكه ثم يجده مرة أخرى (١٨).

أما مقدرة الراهب على إنجاز كميات كبيرة من الجديلة أو المقاطف، فهذا نفهمه من الخبر الآتي: [وكان أنبا أخيلاس يعمل عشرين باعاً من الضفيرة في الليلة الواحدة وهو ساهر] (١٩). أما ٢٠ باعاً فتساوي الآن حوالي ٤٠ متراً.

وإن كانت صناعة المقاطف سهلة ولكن تحتاج إلى الإنتباه أحياناً، لأننا نسمع عن يوحنا القصير أنه وهو في تأملاته، غاب فكره، فخاط الضفيرة مقطفين بدلاً من مقطف واحد، ولم ينتبه حتى وصل إلى الحافة (٢٠).

ولكن كان الآباء يضعون أمامهم القرآية وعليها الكتاب المقدس أو كتاب المزامير؛ وكانت عيونهم طول الوقت لا تكف عن القراءة أثناء عمل الأصابع، فكانوا بهذه الطريقة يحفظون كميات هائلة من الأسفار المقدسة بدون أي جهد. فنسمع عن أمونيوس الطويل أنه حفظ بهذه الطريقة العهد العتيق والتعهد الجديد عن ظهر قلب (٢١)، وأن الأب هيرود الذي من القلاية تلى أثناء ذهابه من القلاية إلى شيهيت، ١٥ مزموراً والمزمور الكبير، والرسالة إلى العبرانيين، وسفر

(16) Apoph. Patr., Theodore Pherme, XXI.

(17) Pallad., L.H., XXXII.

(18) Apoph. Patr., Paul the Great, III.

(19) Apoph. Patr., Achilles, V.

(20) Apoph. Patr., J. Colobos, XI.

(21) Pallad., Hist. Laus., ch. XI.

إشعياء وجزءاً من إرميا، وإنجيل لوقا، وكل الأمثال (٢٢).

الإستراحة من عمل اليدين:

والمعروف عند الآباء الرهبان أن شغل اليدين ينتهي ظهراً، أي بحلول الساعة السادسة؛ فنقرأ في سيرة أرسانيوس [وكان من عادة أرسانيوس أنه يستمر في الضفيرة وخباطتها حتى الساعة السادسة من كل يوم] (٢٣). وبعد ذلك يُترك للراهب أن يأخذ لنفسه راحة تتناسب مع طبيعته.

وجبة الغذاء وفترة الصوم الإنقطاعي اليومي:

وقد أجمع الآباء جميعاً على تحديد موعد الوجبة الأولى والوحيدة التي يصرح للراهب أن يأكلها كل أربع وعشرين ساعة، أن تكون في الساعة التاسعة من النهار أي الساعة الثالثة بعد الظهر الآن. وكان هذا التحديد نتيجة خبرة عملية انتهى إليها جميع الآباء النساك العمّالين بالروح؛ لذلك لم يكن يُسمح للراهب العادي أن يتجاوزها في التبكير أو التأخير.

ويقدم لنا الأب بيمن هذه النصيحة، بل هذه الخبرة، بل هذا القانون كالاتي: [سأل أبا يوسف أبا بيمن عن مقدار الصوم اللازم للراهب يومياً، فأجاب أبنا بيمن: إني أشاء للراهب أن يأكل مرة واحدة خفيفة كل يوم. فرد عليه أبنا يوسف: وأنت حينما كنت شاباً ألم تصم يومين يومين؟ فأجابه الشيخ: حقاً هذا، وكنت أيضاً أصوم ثلاثة أيام وأربعة أيام وأحياناً أسبوعاً، والآباء أيضاً الذين كانوا أقوياء في الفضيلة صنعوا كل هذا، ولكنهم وجدوا أخيراً أنه أفضل جداً للراهب أن يأكل كل يوم مرة واحدة، ولكن ليس إلى الملاء، وسلمونا هذا الطريق الملوكي لأنه سهل] (٢٤).

ويحكى لنا كاسيان أنه رأى في شبيبت في نهاية القرن الرابع، أن هذه العادة كانت سائدة بلا استثناء (٢٥).

ولكن أول من حدد الساعة التاسعة لتكون ساعة الإفطار اليومي للراهب هو القديس أنبا أنطونيوس، وذلك حسب رواية البابا أثناسيوس (٢٦)، وأيضاً حسب ما نقرأه في سيرة أنبا أنطونيوس، وبداية نشأة إقليم القلاي حينما قال أنطونيوس لآمون: [«حينما نأكل الساعة التاسعة نقوم ونذهب لنرى المكان المناسب»] (٢٧). وكذلك يعود أنبا أنطونيوس ويشدد على تحديد هذه

(22) Ibid, ch. XXVI.

(23) Apoph. Patr., Arsen., XVIII.

(24) Apoph. Patr., Poemen, XXXI.

(25) Cassian Coll., II, 19f.

(26) Life of St. Antony, 65.

(27) Ibid.

الساعة عرضاً أثناء الحديث عن صلاحية المكان الذي اختاره ليسكن فيه المتوحدون، على أساس أن المسافة من نتريا إلى القلاي ينبغي أن لا تزيد عن الوقت من بعد الساعة التاسعة - موعد الإفطار - (٣ بعد الظهر) حتى الغروب: [حتى إذا أراد رهبان نتريا زيارة إخوتهم في القلاي يستطيعون، بعد أن يأكلوا لقماتهم الساعة التاسعة، أن يقوموا ويصلوا إلى هناك قبل الغروب] (٢٧).

استثناءات:

وكان يُستثنى من هذه القاعدة الإخوة الرهبان الذين في قتال شديد، مثل الأخ «ثيوثيمبستس»، الذي أوصاه أنبا مقار أن يصوم للغروب بدل الساعة التاسعة تكميلاً للتوبة (٢٨)؛ كذلك إذا دخل للراهب ضيف من بعد سفر فإنه يكسر اللقمة و يأكل معه قبل الميعاد تكميلاً لوصية المحبة (٢٩).

وكان يستحسن الآباء أن لا يستمر الراهب في الصوم أكثر من الساعة التاسعة، لأن ذلك يؤثر على نشاطه في الصلاة والقراءة والتأمل، ويحرمه من بهجة الوقوف والتسبيح لله، وخصوصاً في صلاة نصف الليل (٣٠). لذلك ينبغي لكل قارئ في بستان الرهبان أن يحترس حتى لا يتسرب إلى ذهنه صورة الاستثناءات التي كان الكتاب مغرمين بتقديمها، تاركين القاعدة الذهبية التي كان الآباء يتشددون فيها إلى أقصى حد.

فالأمثلة الفاتقة في الصوم والنسك، مثل بيساريون الذي ظل أربعين يوماً وليلة واقفاً وسط الشوك بلا نوم (٣١)، أو الصوم يومين يومين باستمرار، كل هذه شجها الآباء وقرروا أنها ضارة بالراهب (٣٢). بل إن الأب موسى الذي كان يتحدث معه كاسيان قال إن الصوم يومين يومين ينشئ لدى الراهب على مدى الأيام إحساساً بالحنجرة، أي بالنهم أثناء الأكل (٣٣).

كمية الطعام:

كان من عادة الآباء أن يضعوا حداً أقصى لأنواع الأطعمة و يتركوا الحد الأدنى لتدبير الراهب، فمثلاً يضع الأب موسى صاحب الحديث مع كاسيان الحد الأقصى للخبز، حسب تسليم الآباء، خبزتين فقط في الوجبة إذا كانت الوجبة معظمها من الخبز، حيث الخبزة الواحدة تزن ٦

(27) Ibid.

(28) Apoph. Patr., Macar., III.

(29) Apoph. Patr., No. 229 (R.O.C. XIV, p. 361).

(30) Cassian Coll., II, 26, 2f.

(31) Apoph. Patr., Bisarion, VI.

(32) Cassian Coll., II, 24, 1.

أوقيات تماماً أي نصف رطل (٣٣) بمعنى أن الأقة تزن ست خبزات. والمعروف أن الخبزة في شبييت في القرن الرابع هي نفسها بحجمها وشكلها كما تُصنع الآن في شبييت. ويقرر لنا إيقاجر يوس أنه كان يأكل كل يوم لتراً واحداً من الخبز (٣٤) (واللتر يساوي ١٢ أوقية).

وبالليديوس يقص لنا قصة أول لقاء وغذاء تم بين أنبا أنطونيوس وبولا البسيط هكذا: [فأعد أنطونيوس المائدة وأحضر الخبز وبلّ خبزة واحدة لنفسه، لأن الخبز كان يابساً، وبلّ لبولا ثلاث خبزات، وكلّ خبزة كانت تزن ست أوقيات]. ومنها يُستدل أن أنطونيوس أراد أن يعطي نصف نصيبه لبولا تحية منه للضيف الجديد.

والمعروف عند المصريين، وخصوصاً الرهبان، أنهم كانوا يختزنون الخبز بأن يجففوه، فكان يمكث عندهم شهراً أو أكثر وكان يسمى *παζαμάτια* (بقسماط)، وكان يستحيل أكله إلا بعد أن يتقع قليلاً في الماء.

ونقرأ في قصة إشعيا مع أخيلاس، كيف كان يعتبر بلّ الخبز الجاف في ماء وملح نوعاً من الترف: [تعالوا انظروا إشعيا كيف يأكل مرقاً في شبييت. يا إبني إذا أردت أن تأكل مرقاً فاذهب إلى مصر] (٣٥). وهذا طبعاً شيء مغالى فيه، والقصد منه كان تعليم أخ آخر يأكل عدة أنواع من الأطعمة في الوجبة الواحدة.

ومن حديث آخر ليوحنا القصير، نفهم فعلاً أن بعض الآباء العمّالين بالروح كانوا يعتبرون أكل الخبز والملح شيئاً يمكن الإقلال منه!! [وبينا نحن نأكل خبزاً بملح قال لنا يوحنا أن الآباء كانوا يوصوننا أن لا نجعل حتى أكل الخبز والملح ضرورة لنا] (٣٦).

ولكن يلزم أن نعلم تماماً أن تدبير شبييت النسكي كان يقوم على أساس تحديد الطعام بالخبز والملح فقط، على مدى الخمسة أيام من كل أسبوع، على أن لا يُحلّ هذا القانون إلا يومي السبت والأحد، حينما يؤكل الطيبخ على المائدة العامة مع بقية الآباء بعد الشركة من الأسرار. كذلك يُحلّ هذا القانون في حالة زيارة إخوة غرباء في أي وقت؛ كما رأينا موسى الأسود كيف حلّ قانون الصيام العام بأن أصلح طيبخ عدس لإخوة ضيوف غرباء جاءوا لزيارته (٣٧)؛ وكذلك

(33) Ev. Wh., II, p. 202.

(34) Pallad., L.H., ch. XXXVIII.

(35) Apoph. Patr., Achilles, III.

(36) Apoph. Patr., J. Colobos, XXIX.

(37) Apoph. Patr., Moses, V.

كيف أخذ إشعيا حفنة عدس وجعلها تغلي على النار قليلاً ورفعها قبل أن يتم نضجها، وقدمها للراهب الذي كان نازلاً عنده كضيف (٣٨) من مكان بعيد.

أنواع الأطعمة الأخرى:

نسمع عن بعض رهبان كانوا يتنسكون حتى عن الخبز، فكانوا يضطرون إلى الإعتماد على القطناني، وهو الحمص والفاصوليا، أو على الخضر أو الشعير (٣٩)، كما كان يعمل إيقاجر يوس. ونسمع عن سلوانس أنه عاش فترة من حياته على الحمص فقط (٤٠)، أما الفاكهة مثل التين والعنب والتفاح والخضروات مثل البصل فكانت تُحسب أنها ترف. لذلك لم يكن الرهبان يقتنونها ولكن كانت توزع عليهم من المخازن العامة لأنها كانت تأتي كهبات، وكان يختص بها في غالب الأحيان الشيوخ الضعفاء والمرضى.

الزيت:

وكان يُستخدم الزيت بنوعيه، زيت حار (بذر كتان) وزيت الزيتون (ويسمى «زيت طيب»). وكان استهلاك الآباء منه يتناسب مع نسكهم. فنسمع عن إيقاجر يوس أنه كان يستهلك كل ثلاثة شهور مقدار بنت وهو يساوي ثمن جالون (أي ٥٦٨ لتر) أي نصف كيلو تقريباً (٤١).

ويحكى لنا بنيامين الراهب أنه جاء من الإسكندرية هدية للآباء زجاجة زيت لكل راهب، ولكن معظم الآباء لم يستخدموها. أما هوفثقب السدادة بدبوس وكان ينقط منها على الطعام (٤٢).

النبيد:

كان النبيد في الحياة الرهبانية الأولى غذاءً مباحاً بلا أي حرج، حتى أننا نسمع عن القديس مقاريوس نفسه أنه كان لا يمانع في أن يشرب منه كلما كان يُقدّم إليه (٤٣). ولكن لما زاد الإخوة من تقديمه إليه، بدأ يصوم عن كل كأس نبيد يشربه معهم يوماً كاملاً بلا ماء ولا طعام. غير أن قبوله لشرب النبيد هو في حد ذاته دليل قاطع أنه كان أمراً مباحاً بلا حرج.

ومعظم الآباء الكبار كانوا في شرب النبيد معتدلين، حتى أنهم أوصوا بأن لا يزيد الراهب في

(38) Apoph. Patr., Isaías, VI.

(39) Pallad., Hist. Laus., ch. XXXVIII.

(40) Apoph. Patr., Silwan, VII.

(41) Pallad., Hist. Laus., ch. XXXVII.

(42) Apoph. Patr., Benjamin, I.

(43) Apoph. Patr., Macar., X.

شربه للخمر عن ثلاث كؤوس. ونسمع عن أنبا شيشوي أنه كان يقبل كأسين ويرفض الثالث^(٤٤)، معتبراً أن الكثرة منه هي إيجاء شيطاني.

ولكن كان للنبيذ أعداء علنيون، فأنبا بافنونتيوس^(٤٥) كان لا يذوقه ولا يشجع أحداً على شربه، وأنبا بيمن أعلن: [إن الراهب ليست له حاجة إلى شرب النبيذ البتة]^(٤٦).

ولكن من المعروف أن النبيذ كان يقدم على المائدة العامة يومي السبت والأحد: [وعندما كان الإخوة مجتمعين للأكل في الكنيسة (المائدة) في يوم عيد القيامة أعطوا أنخاً كأساً من النبيذ]^(٤٧).

وفي سيرة اسحق التبايسي: [وكان دائماً يعمل الأغابي بعد الصلاة ويقدم للإخوة كأساً من النبيذ]^(٤٨).

أما الماء فظل هو مشروب الآباء النساك الوحيد، فنسمع عن مقار يوس الكبير أنه كان يشربه بالميزان، بل وكان بمثابة الفاكهة التي يشاق إليها العابد بعد فترة الصوم المجهدة. فيقول أرسانيوس لألكسندر تلميذه أن يبكر في صلاته (الساعة التاسعة)، حتى يستطيع أن يشرب ليلاً ريقه بعد وصوله من تقطيع الخوص في الصحراء الشديدة القَيْظ^(٤٩).

ومقار يوس الكبير بعد أن اشترك في مائدة الخبز الجاف مع ولديه مكسيموس ودوماديوس، ناوله الأخ الأكبر كوز الماء فشرّب كفايته^(٥٠).

صلاة الساعة التاسعة وميعاد الأكل:

يقرر بالليديوس أن في الساعة التاسعة تُسمع الأبصلمودية بوضوح من كل القلاي و يتردد أصداؤها في الجبل كله، ويؤكد كاسيان أيضاً هذه الحقيقة. ولكن نعلم أيضاً من كاسيان أن آباء مصر الرهبان كانوا يحافظون على ساعتين فقط من ساعات النهار يقدمون فيها الأبصلمودية بصورة محددة قانونية، وهي صلاة الغروب وصلاة الليل في قلايهم. إذن فصلاة الساعة التاسعة التي يسبّح بها الرهبان قبل ميعاد الإفطار هي نفسها أولى هاتين الساعتين أي صلاة الغروب، وهذا كان المتبع لدى عامة الرهبان في العصور الأولى وفي حياة أنطونيوس أيضاً^(٥١).

(44) Apoph. Patr., Sisoës., VIII.

(45) Apoph. Patr., Paphnotius, II.

(46) Apoph. Patr., Poemen, XIX.

(47) R.O.C. XIII, p. 53; Ev. Wh., II, p. 203, 211, 212.

(48) Apoph. Patr., Isaak of Thebes, II.

(49) Apoph. Patr., Arsen., XXIV.

(50) Apoph. Patr., Macar., XXXIII.

(51) Athanas., Life of St. Antony, 65.

ولكن أحياناً كان يؤخر الآباء ميعاد هذه التسبحة قليلاً وكذلك ميعاد الأكل، كما رأينا في أول يوم لمقابلة القديس أنطونيوس لبولا البسيط حيث كان جلوسهم للأكل بعد غروب الشمس مباشرة، وهكذا أيضاً كان يسلك الآباء الذين تمكنوا من حياة النسك في شيهيت. وينقل لنا كاسيان رأي أنبا موسى في أهمية الأكل الساعة التاسعة حتى يكون الراهب قد هضم أكله قبل الوقوف للصلاة في الغروب^(٥٢). والحقيقة أن صلاة التاسعة كانت ولا تزال تتداخل في صلاة الغروب في أوقات الشتاء، لأن غروب الشمس في الشتاء يكون بعد التاسعة بقليل جداً.

ما بين التاسعة والغروب، ميعاد الزيارة:

وإن كان من المعروف أن متوحيدي شيهيت لا يجيزون الزيارات على وجه الإطلاق حتى بين الأب وتلاميذه إلا للضرورة القصوى، لأن التوحد عندهم مقدس وهو على أعلى مستوى من المحبة؛ لأنه من أجل محبة الله يعتزل الراهب خمسة أيام، ومن أجل محبة الإخوة يحضر يوم السبت لسماع العظات أو إلقائها. ولكن بسبب الضجر الذي يُصاب به المبتدئون، أفسح الآباء الشيوخ صدرهم للزيارات في حدود معقولة، ليأتي فيها المتعبون أثناء الأسبوع يسألون كلمة خلاص أو نصيحة «قل لي يا أبي كلمة لأحيا»... وقد علمنا من كلام أنبا أنطونيوس لآمون أنه مباح زيارة المتوحدين في القلاي فيما بين التاسعة والغروب.

قبول الغرباء:

والغريب الآتي من بعيد لا يتحكم في ميعاد وصوله، لذلك فإن المسافر الآتي من الدلتا مثلاً كان له قبول وترحاب لدى الآباء بلا أي قيد أو شرط في ميعاد وصوله. وكان طقس مقابلة الزائر والغريب هاماً ومميزاً للآباء والرهبان. فأولاً يخلعون عنه ملابسه وجلده، وثانياً يدعونه للصلاة، ثم يأمرونه بالجلوس والراحة على الوسادة المخصصة للضيوف المسماة «امبرييا»، ويحرمون على أنفسهم وعلى ضيفهم أن يتكلم بأخبار العالم، فليس من حديث مباح إلا فيما يخص راحته وسلامه وروحياته فقط، ثم يدعونه لغسل رجله، وبعد ذلك يعدون له المائدة بأفخر ما عندهم من طعام. وكان قبيحاً بالراهب جداً أن لا يحيي ضيفه، فيُحكى أن جماعة إخوة ذهبوا لزيارة يوحنا الخادم، فلما فتح لهم استمر في عمل يديه، فما كان منهم إلا أنهم وبخوه بالرغم من علو مرتبته [يا يوحنا من الذي رهبنك؟ وهل الذي رهبنك لم يعلمك كيف ترفع عن الإخوة ملابسه (جلدهم) أو تقول لهم هلموا للصلاة أو تفضلوا اجلسوا؟؟]^(٥٣).

والمفروض إذا كان الزائر آتياً من سفر أن يُعمل له طبيخ خاص، كما صنع موسى الأسود

(52) Cassian Coll., II, 26.

(53) Apoph. Patr., John Coenobitae.

لضيوفه، و يأكل بدون النظر إلى سواعي الصلاة أو الصوم، إذ هنا تكون المحبة فوق قانون النسك والصلاة.

أما الأطبحة الشائنة آنذاك فهي العدس والفول المدشوش.

وحيثما يتقدم الراهب الضيف ليأخذ صحناً أو فنجالاً، فإنه يسبق أخذه بكلمة «حالني» *συγγώρησον* وهي *Χωρησον* وذلك تأدباً. وكانت هذه من مميزات الأدب الرهباني ولا تزال. وقد حدث مرة أن زار أنبا ثيودور البرامي مع بعض الإخوة أخصاً من شيهيت، فوجدهم يمدون أيديهم على الأكل بدون كلام صامتين فانتهرهم: [لقد أضاع الرهبان شرف اسمهم بضياح كلمة «حالني»] (٥٤)، فانتهبوا واعتذروا.

وليس من عادة رهبان مصر على الإطلاق أن يأكلوا بلذّة أو بشره، سواء في قلايهم أو في الأغابي العامة أو في زياراتهم (٥٥).

وعند حلول ساعة الغروب يُدعى الضيف للصلاة ثم يمهد له مكان للنوم. والزائر في ارتحاله يطلب دائماً الجِلّ والصلاة. وغير مصرح للزائر في شيهيت أن يمكث أكثر من ثلاثة أيام (٥٦).

النوم:

بعد صلاة الغروب يخلد الراهب إلى النوم— إلا إذا كان محباً للسهر بنوع النسك— فيخلع نعليه ومنطقته وجلده إذا كان الوقت شتاءً. أما فراش الراهب فهو بسيط للغاية لا يزيد عن حصير *Ψιάθος* من السمار أو البردي مفروشة على الأرض العارية، وأحياناً يوضع عليها فرو خروف. ويذكر كاسيان نوعاً من الوسادة يسميها (٥٧) *εμβρίμια*، ويصفها بأنها حزمة من البردي مربوطة من طرفيها وعلى مسافات متساوية كل ٣٠ سم، فتصلح كوسادة وثلثة للجلوس في الكنيسة (٥٨) أثناء الخدمة.

وينام الراهب العادي من ساعة الغروب مباشرة حتى ميعاد صلاة نصف الليل، فيقوم للخدمة داخل قلايته.

الإجتماع الأسبوعي العام:

يفيدنا كل من بالليديوس وكاسيان أن في شيهيت كان يجتمع كل الآباء الرهبان في يومي

السبت والأحد من كل أسبوع للعبادة والصلاة وسماع كلمة وعظ (٥٩).

وفي هذا الإجتماع الكبير كانت تقام تسبحة صلوات خدمة الغروب وخدمة نصف الليل، ثم الإشتراك العام في القربان المقدس يومي السبت والأحد صباحاً، كما يقرر ذلك كل من كاسيان: [وكانوا يجتمعون معاً في يومي السبت والأحد في الساعة الثالثة للشركة في القربان المقدس] (٦٠)، والقديس مقار يوس يقول عن نفسه [ولا يمر عليّ أي سبت أو أحد دون أن أرى ملاك المذبح عندما أرفع الصعيدة الطاهرة أمام الله] (٦١).

ولكن يضيف لنا القديس مار اسحق بتدقيق ووعي كامل، أن ذبيحة يوم السبت كانت تقدم مساءً، وذبيحة يوم الأحد كانت تقدم صباحاً.

ولكن بعد مدة وجيزة من نياحة القديس أنبا مقار، اختصر قداس يوم السبت وصار عشية فقط ثم تسبحة طويلة تنتهي بقداس واحد يقام في نهاية تسبحة صلاة نصف الليل وينتهي بالصباح، وُسّمى هذا بقانون القديس مقار يوس (٦٢). وظل هذا الطقس معمولاً به حتى بداية القرن الثامن عشر، كما يقرر السائح سيكار أنه اشترك في خدمة صلاة نصف الليل التي بدأت الساعة الثانية بعد منتصف الليل وانتهى القداس في الصباح (٦٣)، وهذا هو الطقس الذي لا يزال معمولاً به في الكنائس النشيطة بشيهيت حتى اليوم.

وعلى مدى أقوال الآباء وتراجم حياتهم التي قدمتها لنا المخطوطات، نستطيع أن نلمح بعض مواصفات القداس القبطي في شيهيت في العصور الأولى:

١— كان الآباء يقفون (أو يجلسون) فوق وسائد من البردي، وهي التي تسمى إمبريميا *embrimia*، وكان بعضها طويلاً يكفي لوقوف ثلاثة معاً، وهذا نقرأه في حياة أرسانيوس على لسان دانيال تلميذه (٦٤).

٢— كان المذبح يُرى من بُعد وبدون حجاب أو ستارة.

٣— كان الآباء وقت الإشتراك في القربان يغادرون مكانهم بهدوء ويدخلون الهيكل.

٤— كان المتناولون يشتركون في الجسد والدم.

(59) Pallad., ch. VII; & Apoph. Patr., Daniel, VII; Moses, V; & Cassian Collect., III, 1.

(60) Cassian Inst., III, 2.

(61) A.M.G., XXV, pp. 254 f.

(62) Rule of Macarius, ch. 15 (P.L., CIII, col. 449).

(63) Sicard., Lettres edificantes t. V. p. 45.

(64) Apoph. Patr., Daniel, VII.

(54) Apoph. Patr., Theodore of Pherme, VI.

(55) Apoph. Patr., No 229 (R.O.C., XIV, p. 361).

(56) Ev. Wh., II, p. 207.

(57) Cassian Coll., II, 26.

(58) Cassian Coll., I, 23, 4.

نظام خدمة التسبيح الجماعي في الغروب ونصف الليل (٦٥):

يقدم لنا كاسيان وصفاً غاية في الدقة لتسبحة كل من الغروب ونصف الليل، وهما الساعتان الوحيدتان اللتان كان يشترك فيها جماعة المسيحيين معاً في الكنيسة على مدار الأسبوع. يقول كاسيان إن الرهبان يسبحون في كل ساعة اثني عشر زموراً، و يقومون بعدها بتلاوة فصلين من الكتاب المقدس فصل من العهد القديم والآخر من العهد الجديد، (ومن العهد الجديد فصلان واحد من الرسائل والآخر من الأناجيل).

أما المزامير فيتحتم أن يكون المزمور الأخير من المزامير المنتهية بهليلويا، حتى يختم التسبيح بها ثم بالذكصا. والمزمور إذا كان من المزامير الطويلة، يقسم بواسطة وقفات معينة إلى عدة أقسام، كل قسم يُحسب زموراً مستقلاً تُتلى بعده صلاة.

وتسبيح المزامير لا يكون مرة واحدة، بل بعد التسبيح بكل زمور يكون هناك وقفة قصيرة للصلاة. ولذلك نسمع أن أنبا أنطونيوس مع بولا البسيط سبح اثني عشر زموراً مع اثني عشرة صلاة. وفي كل صلاة يقف الرهبان ويرفعون أيديهم بالصلاة، ثم يخرون جميعاً ساجدين معاً مرة واحدة، وبعد لحظة وجيزة يقومون جميعاً.

أما خورس المسبحين فكان لا يزيد على أربعة على الإطلاق، وقد يقوم بالتسبيح كله شخص واحد أو إثنان أو ثلاثة يقسمون المزامير بينهم.

وإذا تباطأ الراهب في التسبيح أو عمد إلى التطويل، فإن رئيس التسبحة يصفق بيديه، وفي الحال يقف الرهبان معاً للصلاة باعتبار أن المزمور قد انتهى، وهنا يضطر الراهب إلى قطع التسبيح في الحال والنزول.

وفي أثناء تسبيح المزمور يكون الآباء كلهم جلوساً على وساداتهم المنخفضة، وفي منتهى الصمت والإصغاء، فإذا انتهى المزمور يقومون جميعاً للصلاة برفع الأيدي والسجود والقيام ثم الجلوس مرة أخرى للإنصات إلى المزمور الآخر.

السهر في التسبيح:

وفي وصف شيق، إنما مؤسف للغاية، يصف لنا كاتب المستور يا موناخورم حال الرهبان في أثناء سهرة من سهرات السبت التي تنتهي بقداش الأحد صباحاً هكذا: [وفي يوم من الأيام دخل القديس أنبا مقار ليحضر السهر، فلما دخل رأى (بالنظر المعقول) أن الشيطان يأخذ نصيباً كبيراً في خدمة هذه السهرة، إذ لما دخل الكنيسة رأى أن المكان مملوء بقروود لها منظر الأولاد الصغيرة

سوداء الجلد يعبثون ويجرون هنا وهناك — وكان من عادة الآباء أن يقف واحد منهم يتلو المزمور بينما يكون الآخرون جالسين يصغون — فرأى أنبا مقار بعض القروود وهي مهتمة جداً بتغميض عيون بعض الرهبان ليحلبوا عليهم النعاس الشديد، وبعض القروود الأخرى تضع أصابعها في أفواه الرهبان الآخرين لكي تتشابب باستمرار. وعند انتهاء المزمور ويحين الوقوف للصلاة ثم السجود يتحایل القروود بشتى الوسائل والحركات لتشتيت ذهن الرهبان.

وحيثما حان ميعاد تناول رأى القديس مقار يوس هذه القروود عينها وهي تضع جرة نار في أيدي بعض الرهبان غير المستحقين، وفي نفس الوقت رأى قطعة الجسد وهي تعود مرة أخرى من أفواههم إلى الصينية!!] (٦٦).

من هذا الوصف يتضح لنا ترتيب طقس السهر ونظام التسبيح والصلاة والسجود وكيف ينتهي السهر والتسبيح بالقداش.

الأغابي وكأس المحبة:

كانت الأغابي هي الأكلة الوحيدة التي يأكلها الآباء معاً بعد الإنتهاء من القداش مباشرة كل يوم سبت وكل يوم أحد، ثم صارت كل يوم أحد بعد أن ألغي قداش السبت. وكان يتناولها الآباء في بادئ الأمر داخل الكنيسة الجامعة، ولكن بتقدم الزمن صار يلحق بكل كنيسة خورس أخير للمائدة.

أما كلمة «أغابي» نفسها فهي تفيد معنى المحبة، وكان يستخدمها الرهبان في مناسبات كثيرة. فمثلاً:

١ — حينما يطلب راهب شيئاً من راهب آخر يتحتم أن يقول له «اصنع محبة واعطني هذا أو ذاك».

٢ — وكذلك حينما يقرع الراهب باب راهب آخر يلزم أن يقول كلمة «أغابي»، أي بسبب «المحبة» أنا أتيت ومن أجل «المحبة» افتح لي!!

٣ — كذلك فإن أي تذكارات لأي قديس، إن كان يقام له قداش، يلزم في نفس الوقت أن يُقام بعد القداش مائدة تسمى «مائدة أغابي» باسم القديس. وهذا شائع في العالم فقط، لأن طقس القداش في شهيت كان يختص بيوم الأحد فقط، ولم يكن يقام تذكارات وقداش خاصة للقديسين في أيام الأسبوع الأخرى إلا عند نياحة أي أب كجزء من التجنيز، كما نسمع من قول أرسانيوس لتلاميذه عند دنو وفاته: «لا تفكروا في إقامة أغابي بإسمي» (٦٧).

(66) Hist. Monachor., Latin Version, ch. XXIX.

(67) Apoph. Patr., Arsen., XXXIX.

٤ - كذلك فإن أي مائدة تُقدم لضيف غريب أو مريض أو جماعة رهبان كانت تسمى مائدة أغابي، وكان الرهبان لا يقيمونها إلا يومي السبت والأحد فقط، وهذا نعلمه من سلوك الأخين باثيسوس وإشعيا اللذين [كانا ينتحان كل غريب وكل إنسان ضعيف وكل شيخ عجوز وكل فقير، فكانا يقدمان مائدة المحبة ثلاث مرات كل يوم سبت وأحد] (٦٨).

٥ - وأخيراً فإن المائدة العامة التي كانت تقام كل يوم سبت وأحد في شيهيت كانت تسمى الأغابي، لأن هذين اليومين في عُرف الآباء والكنيسة الأولى كانا محسوبين أنها عيدان من الأعياد الروحية. فكان أقباط مصر [يمتنعون عن إحناء الركب (الركوع) وعن الصوم] (٦٩). لذلك جعلها الرهبان فرصة لإظهار الفرح وشعور المحبة والألفة بإقامة المائدة العامة، التي وإن كانت تظهر بمظهر الترفيه الجسدي لأن الخمر كان يُقدّم عليها للرهبان، إلا أنها في الحقيقة - التي خفيت عن جميع المؤرخين والعلماء - هي أن هذه المائدة وهذا الخمر بالذات يعتبر جزءاً أساسياً في طقس الإفخارستيا أي طقس العشاء السري. لأنه كان يقام أصلاً بكسر الخبز وكأسين من الخمر، الأول هو الكأس السري والثاني كأس المحبة أو كأس الأسرة؛ لذلك اعتبر أقباط مصر عموماً والرهبان بصفة خاصة أن مائدة الأغابي جزء هام أساسي في سر الإفخارستيا، وكأس الخمر الذي يُقدّم فيها باسم المحبة متمم لكأس العشاء السري !!

ولذلك لا نتعجب إذا سمعنا أن الأغابي كانت تُعمل داخل الكنيسة في العصور الأولى، وهذا عين الحق لأن المسيح يكون حاضراً أيضاً وهو الذي يوزع بيديه كأس المحبة هذا. ويعتبر إقليدس وإيت نفسه أن هذه المائدة المسماة بالأغابي تُعتبر «نصف طقسية» (٧٠)؛ وقد ذكر لنا التاريخ عن أقباط مصر قديماً كما يروي المؤرخ سقراط (٧١) (٣٨٠ - ٤٥٠ م.) أنهم [يقيمون القداس في يوم السبت ولكنهم لا يشتركون في الأسرار على نظام بقية المسيحيين (في العالم)، بل بعد أن يولوا الوليمة ويأكلوا من جميع أنواع الأطعمة حتى الملء، يقدمون بعد ذلك القرايين عند المساء ويشتركون في الأسرار].

أما هذا الترتيب فكان هو نظام سر العشاء الذي أقامه المسيح والذي كان يتممه الرسل ومار مرقس نفسه في بادئ الأمر، لأن كأس البركة وكسر الخبز كان يُقدّم في نهاية العشاء كما جاء في إنجيل مرقس: «وفيما هم يأكلون أخذ يسوع خبزاً وبارك وكسر وأعطاهم وقال خذوا كلوا هذا هو جسدي، ثم أخذ الكأس وشكر وأعطاهم فشرّبوا منها كلهم وقال لهم هذا هو دمّي» (مر ٢٢: ٢٤)، وكما جاء في إنجيل يوحنا بوضوح أكثر: «قام عن العشاء... ثم صبّ ماءً

(68) Pallad., Laus. Hist., ch. XIV.

(69) Cassian Inst., II, 18.

(70) Ev. Wh., II, p. 211.

(71) Socrate, H.E., V, 22.

في مغسل وابتدأ يغسل أرجل التلاميذ (التمهيد لطقس السر)... فلما كان قد غسل... فغمس اللقمة وأعطاهم ليهوذا» (يو ١٣: ٤-٢٦).

وهكذا يتضح أن العشاء السري أصلاً كان يشمل العشاء العادي أولاً، ثم بعد غسل الأيدي والأرجل يتقدمون لنوال سر اللقمة المكسورة وكأس البركة اللذين يصيران جسد الرب ودمه. وهكذا ظل اليهود المنتصرون محافظين على طقسهم اليهودي حتى استطاعت الكنيسة تعديل هذا الطقس بما يتناسب مع هبة وقداسة السر الإلهي. وابتدأت الكنيسة في هذا التعديل منذ أيام بولس الرسول نفسه، وهو يشرح هذا الترتيب في رسالة كورنثوس الأولى في الأصحاح الحادي عشر: ١٧-٢٢؛ حيث يتضح لنا أنه بسبب استهتار الكثيرين والتفادي في شرب الخمر قبل التناول، فصلت الكنيسة منذ البدء بين العشاء وسر العشاء، وقطعت بسلطة القانون كل من يتقدم إلى الأسرار وهو غير صائم، إذ جعلت سر العشاء هو الأول و يليه أكلة العشاء نفسها التي سميت بالأغابي. وهكذا استمر الآباء الأقباط، وخصوصاً الرهبان، محافظين جداً على أكلة الأغابي بعد التناول مباشرة بكل دقة واهتمام، ولا يزال هذا الطقس حتى زماننا هذا في بعض الكنائس والأديرة إنما بصورة ضعيفة.

ولما قام بعض الأساقفة وعلى رأسهم ميليتوس متروبوليت أسيوط (٣٠٢-٣٣٠ م.)، ومعهم بعض الرهبان وأرادوا استرجاع عادة اليهود في أكل العشاء قبل السر المقدس قطعهم الكنيسة وحارهم القديس أثناسيوس الرسولي واعتبرهم هراطقة، ولم يأت القرن السادس حتى انقطع جذرهم من الكنيسة (٧٢).

وأما لماذا كانت الأديرة تقيم قداس السبت وترفع القرايين مساءً، فلأن هذا هو الميعاد الأصلي الذي أقام فيه الرب سر العشاء الأول، أما القداس الثاني في فجر يوم الأحد فهو لتذكّار قيامة الرب من بين الأموات، فقداس السبت كان يحمل في ملابسات الوقت، الوقت الذي أُقيم فيه سر ذبيحة المسيح أي موته، والثاني أي قداس الأحد فكان يحمل في ملابسات الوقت، الوقت الذي أُقيم فيه سر قيامته من الأموات.

وأغابي يوم السبت واضحة في أقوال الآباء: [وكان هذا الأب يأتي متأخراً يوم السبت

(٧٢) وقد تشيع لميليتوس هذا بعض الرهبان في شيهيت كما يجبرنا كتاب تاريخ البطارقة: [وكان من بين رهبان شيهيت بعض الميليتيين أتباع ميليتوس الذين اعتادوا أن يشربوا عدة كؤوس من الخمر قبل أن يتقدموا للتناول، وظلوا هناك حتى جاء البابا دميانوس (٥٦٩-٦٠٥ م.) وأمر بطرد من تبقى منهم]؛ كما يقص لنا السنكسار لباسيه ص ٤٨٨ أن في رئاسة أنبا دانيال قص شيهيت كان على دير أنبا مقار الأب يوحنا الذي صار أسقفاً على البرلس، وفي أيامه نصح الميليتيين أن يرتدعوا فلم يرتدعوا، فدعى عليهم فنزلت النار وحرقت رؤسهم.

ليشترك في القداس، فإذا خرج القداس يهرب سريعاً لئلا يجبره الإخوة على الإشتراك في الأكل مع الإخوة في الكنيسة [٧٣]، وطبعاً كان هذا السلوك مذموماً من الآباء جداً لأن الأغابي كانت مقدسة!! ويؤكد كاسيان أن في شبيبت كانت تقام أكلتان للأغابي واحدة يوم السبت والأخرى يوم الأحد [٧٤].

أما كون الأغابي كانت تقام داخل الكنيسة فهذا ليس فيه أي مجال للشك، لأن النصوص التي وصلتنا كلها واضحة صريحة، إذ لم يكن للمائدة مكان خاص بل كان الأكل يتم داخل الكنيسة نفسها:

— [وبينما كان الإخوة يأكلون داخل الكنيسة وأعطوا لأخ كأس نبيذ...] [٧٥].

— [وكان عيد في القلاية وكان الإخوة في الكنيسة يأكلون...] [٧٦].

— [وبينما كان الإخوة يأكلون داخل الكنيسة أمروا بطرس وأبيماخوس بالانتقال للأكل على مائدة الشيوخ] [٧٧].

ومن ذلك يظهر أن المائدة كانت أقساماً، منها ما هو للمبتدئين ومنها ما هو للشيوخ. ومعلوم أن تكاليف مائدة الأغابي كانت تؤخذ من أموال الكنيسة، أي من الهبات والتبرعات ومساعدة الإخوة النشطاء الذين كانوا يمتنون الكنيسة من عمل أيديهم سواء من صناعة السلال أو النساخة، وقد وصل إلينا أيضاً أن بعض الآباء كانوا يقيمون هذه الأغابي العامة على نفقتهم الخاصة محبة للإخوة [٧٨]، فيحكى عن الأب اسحق التبايسي أنه [كان دائماً يوزع على الآباء بعد خروجهم من الكنيسة خبزة وكأس نبيذ] [٧٩].

والمفروض في اجتماع الأغابي أن لا يتكلم أحد على المائدة إطلاقاً، لأنها كما سبق وعرفنا طقس روحي صرف وفرصة لشركة المحبة الصامتة، ولكن في بعض العصور المتأخرة نسمع عن تهاون كثير حتى أن أبا يوسف ظل يوبخ الإخوة كثيراً على انحلالهم في الكلام أثناء المائدة (أنظر ص ٢٩٧ من هذا الكتاب).

كذلك نسمع أيضاً عن راهب قسيس من البيلاوز يوم (بورسعيد الآن) كان حاضراً وقت

(73) Rosweyd, Vitae Patrum, p. 572.

(74) Cassian Coll., II, 19, 1.

(75) R.O.C., XIII, p. 53.

(76) R.O.C., XIV, p. 367.

(77) Apoph. Patr., Peter the Pionete, III.

(78) Apoph. Patr., Agatho, XVII.

(79) Apoph. Patr., Isaak of Thebes, II.

الأغابي، ولما سمع الإخوة يتحدثون على المائدة وبخهم قائلاً: [يا إخوة ألا يمكن أن تصمتوا على المائدة؟ إني أرى في وسطكم أباً يأكل ما تأكلون ويشرب معكم عدد الكؤوس التي تشربون ولكن هوذا صلاته ترتفع أمام الله مثل عمود النار] [٨٠].

وكان دائماً للمائدة هيبة ووقار كهيبة المذبح ووقاره تماماً، فيحكى عن يوحنا القصير أنه رأى واحداً من الرهبان يضحك على المائدة فما كان منه إلا أنه بكى قائلاً: [ماذا أصاب هذا الراهب في قلبه حتى أنه يضحك بينما كان ينبغي عليه أن يبكي لأنه إنما يأكل هنا خبز الأغابي (المحبة) كصدقة؟] [٨١].

كل هذا يشير تماماً إلى أن الأغابي في شبيبت لم تكن إلا طقساً متصللاً بالقربان المقدس وكأس الإفخارستيا الذي كان من أهم مميزات المسيحية الأولى (١ كو ١٠: ١٦ و ١٧).

العودة إلى القلاية يوم الأحد:

كانت نصيحة أنبا مقار لأولاده أن يسرعوا إلى قلايتهم بعد الخروج من الكنيسة، أي بعد أن يخرج الإخوة من الأغابي التي كانت تُعمل لهم داخل الكنيسة، ويُقرأ في نهايتها البركة كعلامة للإنصراف: «إذا سُرحت الكنيسة فاهربوا يا إخوة». لأنه كان من عادة بعض الإخوة التلكوء خارج الكنيسة وتجاذب الحديث. ولكن كان الآباء العمالون يسرعون بأخذ ما كان يلزمهم طول الأسبوع من الخبز والماء الذي يكفي لخمس أيام. والمعروف أنه كان لكل واحد قدر من الماء وسبت يد صغير يحمل فيه خبزه ويسمى Prochirium [٨٢]. ونعلم من سيرة يوحنا الخادم أنه كان يحمل لنفسه «سبعة أزواج من الخبزات تكفي لسبعة أيام» [٨٣]، وكان يعرف من عدد الخبزات معاد مجيء يوم السبت حتى لا ينسى الحضور إلى الكنيسة، لأنه كما علمنا من مار اسحق «أن الذي يتغيب عن الحضور يوم السبت بدون سبب مرض كان يقطع عليه الآباء حكماً صعباً». أما الذين يتغيبون فكان على قس الكنيسة والإخوة خدام المجمع أن يتوجهوا إليهم ويخدموهم.

قلاية الراهب وأثاثها:

كانت قلاية الراهب في منطقة نتر يا تُعمل من الطوب، ومعظمها كان يُعمل من الطوب الأحمر وكان لها حوش متسع حولها. وبعضها، كما نعلم، كان له سور مثل قلاية أمونيوس [٨٤].

(80) Apoph. Patr., Isaías, IV.

(81) Apoph. Patr., John Colobos, IX.

(82) Rosweyd, Vitae Patrum, p. 493.

(83) Cassian Coll., XIX, 4, 2.

(84) Hist. Monach., Lat. ch. XXIII.

وبعض قلالي نتريا ظلت قائمة بأساء أصحابها عدة قرون مثل قلاية إيڤاجر يوس التي تُركت مهجورة لأن الآباء كانوا يقولون أنه كان يسكنها شيطان، وظلت قائمة حتى القرن السادس^(٨٥).

أما المساكن الرهبانية في نتريا (وكانت تدعى إسكيني على قياس اسم خيمة الاجتماع لدى شعب إسرائيل في البرية)، فكانت الواحدة تسع مائة راهب تقريباً^(٨٦). وكانت القلاية، كما نعلم، واسعة ومرمجة حتى أننا نسمع عن آمون الذي من نتريا أنه بنى لنفسه قلاية ذات غرفتين ولها قبستان، وأن الرهبان بعد ذلك اقتدوا به جاقلين الغرفة الأولى من القلاية للنوم (محبسة)، والأخرى للاستخدام اليومي^(٨٧).

أما في شيبيت فكان يوجد نوعان من القلاية، قلالي داخل منشويات وكانت هذه للضعفاء والمرضى والشيوخ، وقلالي في الجبل وهذه كانت مغائر، إما محفورة حفرًا كاملاً بحيث تكون كلها تحت سطح الصخرة، وإما نصف محفورة ويكملها حوش من الخارج مبني جداره بالحجارة والطين ويسقف بالنخيل والجريد. وهذا يوضحه قول القديس مقار يوس للإخوة الغرباء مكسيموس ودوماديوس [وأراهم صخرة صلبة (أي تصلح أن تكون سقفاً للمغارة) وقال لهم: احفروا هنا... وأحضروا لأنفسكم جريداً من البحيرة وسقفوها واسكنوا فيها]^(٨٨).

وكان لكل قلاية أو مغارة باب يمكن إغلاقه، وداخل المغارة غالباً كان مقسماً إلى قسمين: قسم داخلي للنوم، وقسم خارجي لمقابلة أي زائر فيه؛ وجدران المغارة كلها مطلية بالطين. وهذا نسّمعه جيداً من قصة أبا أوروزميلة اللذين كانا مشغولين بطلاء جدران قلايتهما بالطين، وتذكرا إمكانية مجيء الرب في هذه اللحظة فخرجوا من أنفسهما لتلا يجدهما الرب في مثل هذا العمل التافه فنزلا من على الحائط وصلباً^(٨٩).

وكل قلاية أو مغارة كان لها شبك أي طاقة أو أكثر، ونسمع عن نقش أنبا مقار يوس الإسكندراني أنه كانت له قلاية خالية من النوافذ كنوع من شظف المعيشة^(٩٠). كما نعلم أن كل قلاية كان بها دولاب أو عدة دواليب حائطية (طاقة) وكانت تسمى بالقبطية $\mu\omicron\upsilon\upsilon\upsilon\tau$ وبالبيونانية $\theta\upsilon\rho\acute{\iota}\delta\epsilon\varsigma$ ^(٩١)، حيث كانت تُحفظ بها الأشياء الثمينة كالمخطوطات والودائع والنقود

(85) John Moschus, Prat. Sprit., CLXXVII.

(86) Jerome, Epist. XXII, ch. 33.

(87) Pallad., Hist. Laus., ch. VIII.

(88) Apoph. Patr., Macar., XXXIII.

(89) Apoph. Patr., Or. I.

(90) Pallad., Hist. Laus., ch. XVIII (Butler).

(91) Zoëga cat., No. LXXI.

أحياناً، فنسمع في سيرة أنبا بامو (بموا) أنه أمر تلميذه أن يضع صرة النقود التي أحضرها القديسة ميلانية له في الدولاب^(٩٢). كما نسمع أيضاً في كلام سراييون لأحد المغرّمين باقتناء الكتب دون العمل بما فيها هكذا: [لقد أخذت قوت الأرامل وملأت به هذا الدولاب أوراقاً، لأنه رأى دولاب الأخ مملوءاً بالكتب]^(٩٣). ويعزينا القديس أموي في وصفه لبعض الآباء الذين ملأت حرارة الروح قلوبهم [فتركوا دواليب كتبهم ملآنة بالمخطوطات، وحتى لم يعتنوا أن يقللوا ضلفتها بل تركوها مفتوحة، وخرجوا (ليستشهدوا)]^(٩٤).

وهكذا نأخذ صورة واضحة جداً لمنظر هذه الدواليب ورفوفها المنسقة بالمخطوطات الثمينة ووضفها المحكمة التي يمكن إغلاقها.

الكتب في قلاية الراهب:

كان كثير من الآباء يقتنون الكتب الروحية الهامة بالإضافة إلى الكتاب المقدس الذي لم تكن تخلو منه قلاية الراهب إذا كان مجيداً للقراءة، فنسمع أن الأب شيشوي كان يقتني الكتب الخاصة بلاهوت القديس أثناسيوس^(٩٥)، والأب ثيودور البرامي كان يقتني ثلاثة كتب هامة^(٩٦)، والإخوة الطوال كانت لهم مكتبة تحوي الأسفار المقدسة والكتب الأخرى الهامة^(٩٧)، ومرقس تلميذ سلوانس كان يقتني المخطوطات وينسخها فكان لديه الحبر والأقلام البسط وأوراق الرق أو البردي.

الآلات والأدوات المستخدمة في ذلك العصر:

وكانت قلاية الراهب لا تخلو من كومات الخوص ولفات حبال الليف الرفيع والكتان لعمل السلال والمقاطف، ومسلة وخيوط الكتان الرفيع لترقيع وخياطة الملابس، والبلطة آلة ضرورية لتقطيع جريد النخيل، والمنجل للحصاد والفأس للعزيق، ونول الحصير وقدر من الفخار أو النحاس $\chi\upsilon\tau\rho\alpha\iota$ للطبخ، وقدر أو زير فخار للماء $\delta\delta\rho\iota\alpha\iota$ (البوكلة) $\beta\alpha\upsilon\kappa\acute{\alpha}\lambda\iota\alpha$ ، وكوز للماء للشرب وأوعية فخارية لحفظ الأطعمة، وأطباق من الفخار أو الحجر البازلت أو الخشب $\pi\iota\nu\acute{\alpha}\kappa\iota\alpha$ ، ومغارف وملاعق من الخشب (الكورناب)، وزجاجات لحفظ الزيت وزكايب للقمح (تليس)، وكانون وقطع خشب للوقود، وحجر المحك لإشعال الشرارة، ومصباح من الفخار

(92) Pallad., Laus. Hist., ch. X.

(93) Apoph. Patr., Serapion, II.

(94) Apoph. Patr., Ammoës, V.

(95) Apoph. Patr., Sisoës, XXV.

(96) Apoph. Patr., Theodore of Pherme.

(97) Pallad., Vita John Chrys., XVII.

وزيت للوقود، والمائدة وكانت تصنع من الخشب (الطلبية، ويلاحظ أن كلمة «طلبية» هي أصلاً Table)، والمتكآت وكانت تصنع من البردي على هيئة حزم مربوطة؛ والحصير وكان يُستخدم للجلوس عليه أو النوم مع جلد الغنم ووسادة خشنة من البردي؛ وسلة الخبز المعلقة على الحائط خوفاً من الفئران؛ وحُق الملح (من الخشب) κάμψιον؛ ومغسل من الفخار λαγύνια.

الفصل التاسع القوانين الديرية لمتوحيدي شيهات

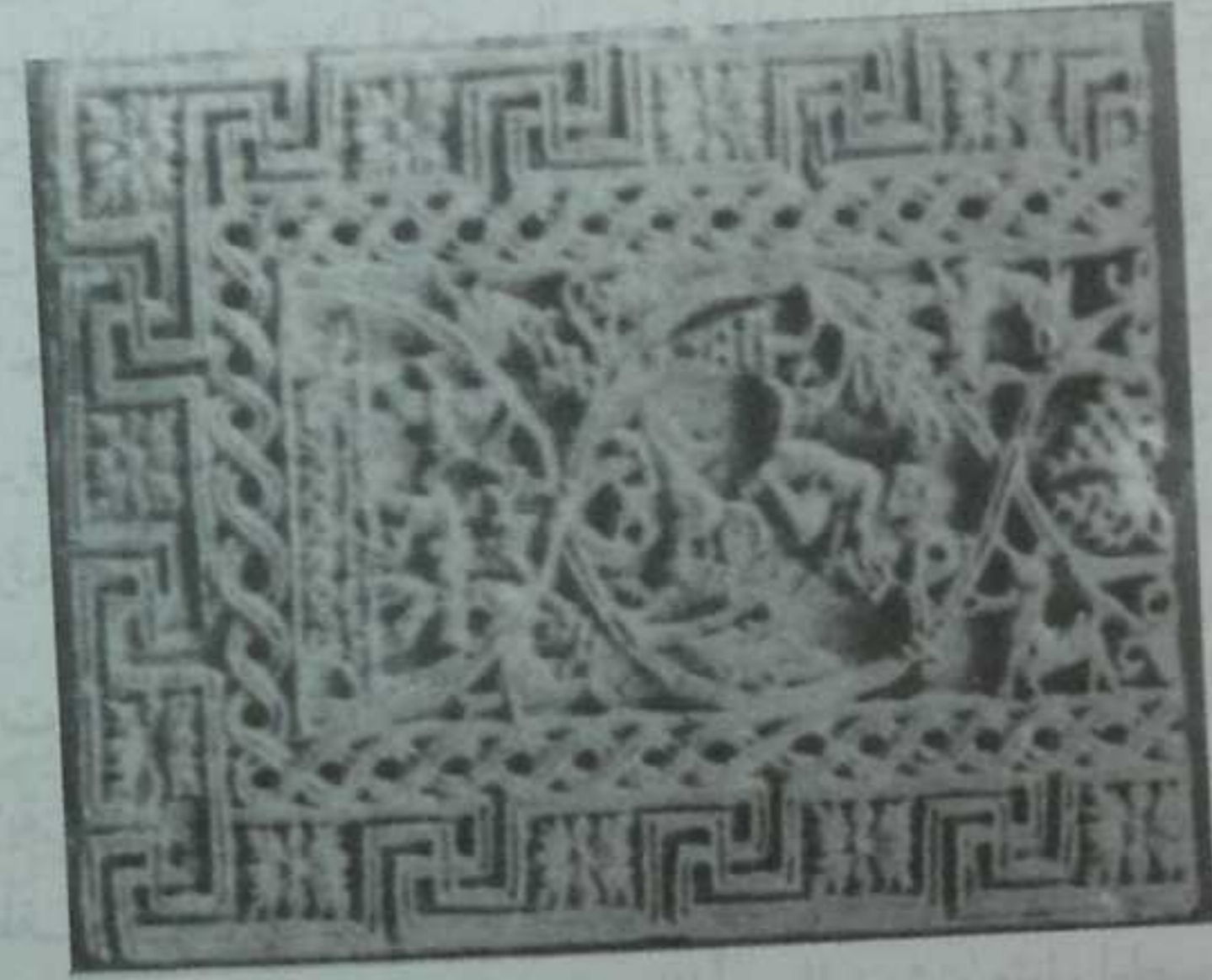
□ □ □

هذه القوانين الديرية لمتوحيدي شيهات مأخوذة مما جمعه عنهم القديس بنو دانيان St. Benoit d'Aniane، ومما ذكره عنهم مؤرخو الرهبنة. ولو أن شيهات تبعد عن جبل نتر يا كما بيّنا، إلا أن المتوحيدين في كل منها كانوا على صلة ببعضهم البعض. وكان آباؤهم، أمثال المكار يوسين وسيرابيون وباموي وأغاثون وغيرهم، لهم قلالي في هذه الصحاري، حيث يجتمعون في بعض الأحيان ليتباحثوا فيما بينهم بما يؤول لخير الرهبان تحت قيادتهم، أو لبحث حالات شاذة تعرض لهم، أو لأجل وضع قواعد وقوانين لأجل السلوك والنظام في أديرتهم، ولذلك فإن القواعد التي سنذكرها ليست خاصة ببرية شيهات، أو أنها سُنتت لأجل جبل نتر يا أو القلاي.

وقد عُثِر على قواعد وضعتها جمعية مكونة من القديسين سيرابيون ومكار يوس وبنفوتيس ومكار يوس آخر. وهذان المكار يوسان هما بلا شك مكار يوس الكبير أو المصري ومكار يوس الصغير أو الإسكندري.

وهناك أيضاً مجموعتان من القواعد تليان هذه المجموعة، في ما جمعه القديس بنو دانيان، لا يُذكر واضعوها أو لأئي من المتوحيدين قد وُضعت، ولكنها تشبه تلك التي وضعها القديس مكار يوس الإسكندري إلى حد أنه لا شك في أنها وُضعت لرهبان هذه المؤسسات الديرية. ففيها نفس الروح وكثير من القواعد التي لا تعدو كونها تكراراً لما وضعه هذا القديس، وإذا لم تكن مطابقة كل التطابق فهي على الأقل تشبهها، فجميع القوانين تبين لنا ما كان يصنعه متوحدو شيهات وجيرانهم، ونتبين فيها يقظة الآباء وأمانة أولئك الذين كان عليهم أتباع هذه التعاليم.

وتتضمن قوانين الآباء القديسين سيرابيون وبنفوتيس والمكار يوسين ستة عشر فصلاً غير المقدمة، التي يذكر فيها أن أولئك الآباء وقد اجتمعوا في مجلس خلاصي، صلّوا للرب لأجل أن ينيرهم بنور روحه القدوس، لأجل أن يعلموا ما يجب عليهم وضعه للإخوة لأجل أن يسلكوا في قداسة. ثم قال الأنبا سيرابيون: بما أننا نرى، كما يقول النبي الملك، أن الأرض امتلأت من رحمة الرب، ونرى أن جيوشاً غفيرة من المتوحيدين قد تجمعت من جميع الأنحاء للعمل على الحصول على



لوحة من الرخام المنحوت تمثل مشهداً لعملية جمع الكروم وعصره، يحيط بها إفريز من زخرفة الصليب المعقوف Swastika مع زهرة رباعية الأوراق بالتبادل ترجع إلى القرن السابع [معروضة بالمتحف البريطاني]

الكمال الديني، وبما أنه من الخطر أن يعيش الإخوة وحدهم في الصحاري المترامية الأطراف، بسبب الأطياف الشريرة التي قد تسبب لهم مخاوف كبيرة، فلنتبع ما يعلنه لنا الروح القدس في الكتب المقدسة التي تقول: «هوذا ما أحسن وما أجل أن يسكن الإخوة معاً» وتقول في موضع آخر: «الله مُسَكِّنُ المتوحدين في بيت». فباتباع هذه القاعدة التقوية التي يملها علينا الروح القدس، نريد من الإخوة أن يتحدوا في فرح مقدس وتعزية قلبية كبيرة، لأجل أن يعيشوا معاً في دير واحد. ولكن لأجل أن يزداد هذا الإتحاد. وثقاً، وأن تكون هذه الجماعة معزية حقاً، نريد أن يكونوا تحت إرشاد أحد الشيوخ يخضعون له في فرح، لا يبتعدوا عن نصائحه وأوامره، وفقاً لأقوال بولس الرسول: «أطيعوا مرشديكم واخضعوا لأنهم يسهرون لأجل نفوسكم». وكذلك قول الرب: «أريد طاعة لا ذبيحة» (١ صم ١٥: ٢٢)، فيجب على الإخوة المحتممين في الأديرة أن يبادروا بتنفيذ هذا الخضوع وهذه الطاعة بكل أمانة، ذاكرين أنه بهذه الفضيلة أصبح إبراهيم محبوباً لدى الرب ودُعي خليله، ووجد الرسل جديرين بالشهادة لمعجزات يسوع المسيح أمام الأسباط والشعوب، وأخيراً عندما نزل يسوع المسيح من السماء قال: «جئت لأفعل لا إرادتي ولكن إرادة الذي أرسلني».

وتكلم بعد ذلك الأنبا مكار يوس عما يجب على الرؤساء من السلوك، والنظام الذي يجب أن يتبعوه في التسبحة عند اجتماع الإخوة. والإمتحان الذي يجب عليهم عمله لمن يتقدم للحياة النسكية، والمحبة التي يجب بها استقبال الضيوف، وقال: «بعد الذي سُنَّ فيما يختص بالكمال الذي يجب أن يكون عليه الإخوة فيما يختص باجتماعهم المقدس في الأديرة، وبطاعتهم للرؤساء، يجب إرشاد هؤلاء الرؤساء في الواجبات التي يجب عليهم شخصياً. يجب عليكم إذن أن تسلكوا، أنتم الذين عهد إليكم أن تكونوا آباء للآخرين، كما يأمره القديس بولس عندما قال: «صرتم قدوة لجميع الذين يؤمنون»، أي أنكم باتباع الوسائل الخلاصية التي تملها التقوى والحزم بمحبة، تجعلون الإخوة يتخلون عن الأرضيات ويتجهون إلى السماويات، وفق قول نفس الرسول: «وبخ انتهر عظ بكل أناة وتعليم». كما يجب أيضاً على من يقام لقيادة الآخرين أن يكون من ناحية ذا محبة رقيقة وتقوية نحو كل من الإخوة بوجه خاص، ومن ناحية أخرى أن يكون متيقظاً للمحافظة على النظام، متذكراً ما قاله الرب «بالكيل الذي تكيلون به يُكال لكم».

وقال أيضاً: «عند الاجتماع للصلاة، لا يتلو أي أخ التسبحة دون أمر من يترأس الاجتماع، وهذا هو النظام الذي يجب أن يتبع: لا يتقدم أحد على من يترأس الاجتماع سواء في القيام أو في تلاوة المزامير، إذ يقول الكتاب المقدس «متى دعيت من أحد إلى عرس فلا تتكىء في المكان الأول». فإذا تأخر عن الحضور من له حق الرئاسة، فلينتظر حتى يتبين ما يجب عمله، ثم يتبع بروح الطاعة ما يؤمر به».

وقال أيضاً: «لنبن أيضاً كيف يجب امتحان من يتركون العالم ليدخلوا الرهبنة. يجب بصفة خاصة التمسك بأن يتركوا كل غنى الدهر، وأن ينتزعوا من قلوبهم كل ما تبقى فيها من علاقة به، فإذا كان المتقدم فقيراً فلا تحسبوا أنه لذلك ليس لديه أي ثراء يجب أن يُجبر على تركه، فقد يكون لديه ذلك الغنى الذي يرفضه الروح القدس على لسان الحكيم عندما يقول «قلبي يكره الفقير المتكبر والغني الكاذب»، ويسميه في موضع آخر «متكبر تكسوه الجروح».

فيجب إذن على الرئيس أن يلاحظ بعناية كبيرة، إذا كان المتقدم فقيراً فليمتحنه جيداً ليعلم إذا ما كان متكبراً، ليخلع عنه هذه الحلة الخبيثة وليطلب منه بصفة رئيسية أن يتخلى تخلياً تاماً عن إرادته، فهي الذبيحة التي يفضلها الرب على ما عداها، وهي التي تُعدُّ القلب للخضوع بتواضع لكل ما يؤمر به. فالذين يُقبَلون بذلك في الدير يجب عليهم الخضوع لكل ما يحدث لهم مما يتعارض مع رغباتهم، وأن يتذكروا أن بولس الرسول يوصينا بالصبر في الضيق، وأن نتوخى الحق في كل ما نعمل، وأن نكبت في نفوسنا أقل ثورات الغضب، وأن نشابر على ممارسة الفضائل.

وزيادة على ذلك فأولئك الذين يتقدمون لقبولهم يجب أن يظلوا خارج باب الدير لمدة أسبوع بأكملها، دون أن يتصل بهم أي من الإخوة، ولكن يُمتحنون بأن لا يعهد إليهم سوى بكل ما هو خشن ومؤلم، فإذا تحملوا هذا الإمتحان وثابروا على الصلاة فليقبلوا، وليُدخلهم الرؤساء في الدير، وليلقنوا القوانين التي يجب اتباعها، والواجبات التي يجب عليهم القيام بها.

فإذا كان طالب الدخول يمتلك أشياء عالمية، فيجب أن يُعرض عليه قبل كل شيء، الذي ينص عليه الإنجيل وهو قول السيد المسيح للشباب الغني (مر ١٠) «بع كل ما تملك واعط ثمنه للفقراء واحمل صليبك واتبعني»، ثم يأمره الرئيس ألا يحتفظ بشيء سوى صليب يسوع المسيح الذي يحمله بين يديه ثم اتباع ذلك المعلم الإلهي. ثم بعد ذلك يجب أن يعلم أن طريق الصليب الذي يجب عليه السير فيه هو، قبل كل شيء الطاعة التامة، وعدم اتباع رغبته الخاصة كلية، ولكن رغبة الآخرين فقط، وإذا كان يريد أن يهب بعض ما يملك للدير، فليعلم أنه غير مسموح له أن يتصرف فيه بعد ذلك إطلاقاً، مثله في ذلك مثل شخصه. وأخيراً إذا أراد أحد خدَمه أن يقتني أثره، فبمجرد دخوله الدير لا يجب أن يعامله كما لو كان في خدمته، ولكن كمن صار أncia له، حتى يكون راهباً كاملاً من كل ناحية.

وقال أيضاً: «غير مسموح لأي من الإخوة أن يتقدم لإستقبال من يقصدون الدير، هذا الواجب موكول إلى الشخص الذي يعينه الرئيس لإستقبال الضيوف فقط. كذلك غير مسموح لأي من الإخوة أن يصلي معهم أو أن يعطيهم قبلة السلام قبل أن يروا الرئيس. فلا يتصل بهم سوى الرئيس أو من يعينهم. ولا يسألهم أي من الإخوة عن المكان الذي أتوا منه، أو ما يريدونه

أولى أين يقصدون. وإذا حضر إلى الدير أخ غريب فلا يجلس على المائدة مع الإخوة، ولكن يتناول الطعام معه الرئيس فقط، ولا يُسمح للإخوة الآخرين بأن يتحدثوا معه. وأخيراً فلتعتبر قاعدة أنه غير مسموح للإخوة أن ينشئوا صلوات غير مفيدة مع أشخاص من الخارج، حتى ولو كان ذلك لأجل مواضيع روحية. ولا يستمعون لتعاليم غير تلك التي يلقيها عليهم رئيسهم عن الكتب المقدسة، أو يلقيها عليهم من يعهد إليه الرئيس بذلك».

وتحدث بعد ذلك الأنبا بفتوتوس عن الصيام وعن تقديس الأحد وعن العمل وعن المحبة المتبادلة التي يجب أن يمارسها الإخوة، فقال: «يا إخوتي، كل ما قَلتموه نافع جداً لخلاص النفس، ويجب الآن التحدث عن الصوم، فلتعلم من الكتب المقدسة الساعة التي يجب فيها أن نتناول الطعام، إذ ذكر في سفر الأعمال: «وصعد بطرس ويوحنا إلى الهيكل في ساعة الصلاة التاسعة». فلا يُسمح إذن للإخوة في الدير أن يتناولوا طعامهم قبل الساعة التاسعة، ما عدا يوم الأحد والخمسين يوماً منذ الفصح إلى العنصرة، ويضاف إلى ذلك أن يتفرغ الإخوة للرياضة الروحية كلية أيام الأحد؛ ولا يشغلوا أنفسهم بأي شيء آخر مهما كانت الأسباب، فيمضون هذا اليوم بأكمله في تمجيد الرب بالتسابيح والأبصلمودية والألحان المقدسة.

ويجب أن يتبع الإخوة أيضاً النظام الذي سألته في أعمالهم اليومية. فيتفرغون للأعمال التقوية من الساعة الأولى إلى الثالثة، ومن الثالثة إلى التاسعة يقومون بما يأمرهم به الرئيس، ويؤدونه بخضوع ودون تملل كما يوصي القديس بولس: «افعلوا كل شيء بلا دمدمة ولا مجادلة». إذ يجب أن يخافوا ذلك التهديد الخفيف لهذا الرسول الذي يقول: «لا تتذمروا كما تذر أناس أيضاً منهم فأهلكهم المهلك». ويجب على الرئيس أن يعطي أوامره عن العمل الذي يجب أن يتم لأحد الإخوة الذي يخضع له جميع الباقين ليتجنب بذلك أي جدال».

وقال أيضاً: «لقد أعطى لنا الرسول المثل للعمل عندما قال لأهل كورنثوس أنه يكسب قوته بعمل يديه لأجل ألا يكون عالة على أحد، فيجب على الرئيس أن ينظم هذا العمل بحيث يُدخل في حسابه حاجة الإخوة. وأيضاً إذا توقعك أحد الإخوة، يجب أن يُفحص سبب ذلك التوقع ويُعمل على علاجه بأن يُرفع عنه الصوم والعمل، وإذا كان المريض روحياً أكثر منه جسدياً، كأن يكون قد وقع في تجربة، فيجب أن يزيد من انكبابه على العمل، بما أن الرسول يقول عن نفسه أنه قد استعبد جسده. كما يجب الإهتمام بمنع هذا الأخ من أن يمارس إرادته الخاصة».

وقال أيضاً: «عندما تكون الجماعة كبيرة، فإن الإخوة يتولون الخدمة كل بدوره لمدة أسبوع، حسب ما يتراءى للرئيس، الذي يعين أيضاً من يتولى شؤون المخازن وهم بما يحتاج إليه الإخوة. على أن ينتقي لذلك أحد الإخوة الذين لم يشتهروا بالشرافة في الطعام، ويعرف كيف يوزع على

كل شخص ما يحتاج إليه تبعاً لقوانين المحبة الإنجيلية، ويخشى أن يقع في جريمة يهوذا الذي ينسب إليه الكتاب المقدس تهمة السرقة. هذا (الربيتة) يجب أن يتمثل في نفسه تلك الجملة التي كتبها بولس إلى تيموثاوس: «الذين تشمسوا حسناً يقتنون لأنفسهم درجة حسنة» ويفعلون خلاص نفوسهم.

يُضاف إلى ذلك، أن الإخوة يجب أن يعتبروا كل شيء يستعمل في الدير شيئاً مقدساً، سواء كان كؤوساً أو آلات أو أشياء أخرى. فإذا لم يعتنوا بها كما يجب، حق عليهم الحكم الذي على الملك الذي تجرأ فشرب مع صوحيباته من الكؤوس المقدسة التي في بيت الرب. وأخيراً، يجب أن يُذكر الإخوة يومياً بهذه التعليمات حتى لا يجيدوا عنها ولا تقع عليهم مسؤولية.

وتكلم أنبا مكار يوس الآخر عن وسائل حفظ السلام والإتحاد في الأديرة وعن واجبات الضيافة نحو رجال الدين، وعن قواعد العدالة التي يجب اتباعها وقال: «تعرفون أن الحقيقة قد علمتنا أن «كل كلمة تقوم على فم شاهدين أو ثلاثة» فيجب أن نتبع دائماً هذه القاعدة التقوية، كما يجب أن نتحدث أيضاً عن الوسائل لدعم الإنسجام الذي يجب أن يسود الأديرة في علاقتها مع بعضها. ولذلك لا يجب على الإخوة أن يقبلوا أخاً من دير آخر، دون إذن من رئيسه، وفي ذلك يقول القديس بولس في رسالته إلى تيموثاوس «أن من يرفض الإيمان الأول فذلك له دينونة». وأما إذا كان رئيسه هو الذي رأى من الأوفق له أن ينقل إلى دير آخر، فليبعث بذلك إلى رئيس الدير الذي يريد أن ينتقل إليه الأخ. وفي كلمة واحدة لا يُقبل أي أخ في أي دير دون موافقة رئيسه السابق. فإذا خالف أحد الرؤساء ذلك فلتقدم فيه شكوى إلى الأسقف، أو يُرغم على المشول أمام مجمع الإخوة ووقف عن وظيفته إلى أن يُصلح خطأه وذلك بطلب الصفح من الشخص الذي أساء إليه، وبذلك لا تُعطى فرصة لأي أخ لأن يسيء إلى الرؤساء.

«وأيضاً فإن ذلك الأخ الذي انتقل إلى دير آخر بإذن رئيسه، يجب أن يعلم أنه يُعتبر في الترتيب آخر الرهبان في الدير الجديد، دون أي اعتبار للرتبة التي كانت له في الدير السابق. بل يجب أن يعامل كما لو كان مبتدئاً ولا يجب أن يمتلك أي شيء أحضره معه، سواء كان أثاثاً أم كتباً أو أشياء أخرى. يجب تجريده من كل شيء حتى يصير كاملاً إذا لم يكن قد عمل في الماضي للحصول على مرتبة الكمال.

«وأخيراً عندما يجتمع الإخوة معاً لأجل العظة الروحية، فلا يُسمح له بالكلام مطلقاً، دون إذن من الرئيس، مهما كان عالماً بالجزء موضوع البحث.

«يجب أن يُستقبل خادم الهيكل باحترام، ويُعطى له شرف ختام التسبحة عندما يوجد في

المجمع معها كانت درجته الكهنوتية. أما إذا بدرت منه سقطة كبيرة، أثبتتها التحقيق، فلا يستطيع أن يحتم التسبحة في حضور الرئيس أو من يليه. ولا يقبل الكهنة للإقامة في الدير، إلا إذا شعر أحدهم بارتكاب خطيئة كبيرة، وأراد دخول الدير للتوبة والتكفير. واجدين في ممارسة الخضوع والإذلال لنفوسهم دواء للجرح الذي أحدثوه في أرواحهم بالخطيئة. هذا هو السلوك الذي يجب أن يتبعه الإخوة نحو الكهنة الذين يقصدون الأديرة حتى لا يكون عليهم لوم أمام الله أو أمام الناس.

«أما الإخوة الذين تصدر عنهم غلطات، فالطريقة لتهديبهم أن يُفرزوا من بين الإخوة بنوع من الحرم، يتناسب مع نوع الجريمة.

«وهذه هي القاعدة: إذا أضع أخ وقته في أحاديث باطلة فيمنع لمدة ثلاثة أيام من حضور اجتماع أو أحاديث الإخوة، كما يُحرم عليهم أن يتحدثوا معه. أما إذا أطلق أحدهم العنان لضحكاته، أو انغمس في أحاديث سخيفة (لا تليق) كما يقول الرسول، فيعاقب بالقيام بأعمال فيها تحقير وإذلال لنفسه لمدة أسبوعين حتى يرعوي، ولا يكون العقاب بروح الكراهية، بل يكون مشوباً بروح الرغبة في الإصلاح. ولذلك يقول هذا الرسول أيضاً «إن انسبق إنسان فأخذ في زلة ما، فأصلحوا أنتم الروحانيين مثل هذا بروح الوداعة». بهذه الروح أصلحوا أنتم أحاكم، حتى يرجع إلى طريق الفضيلة، ولا يضع في الحالة التي هو عليها.

«وأخيراً أوصي الرؤساء بكل إلحاح ألا يفرقوا في معاملتهم، ولكن ليصلحوا الجميع بوسائل المحبة، لأن الرب يحب التزام مساواة عادلة، إذ قال على لسان نبيه في المزمور: «بالمستقيمات تقضون يا بني آدم».

«يجب علينا أن نبين للرؤساء أن من لا يؤدّب منهم الذي يخطيء، سيسألهم الرب عن ذلك. كونوا إذن أيها الرؤساء مرشدين صالحين وأمناء، ابنوا النفوس القلقة غير المطيعة، اعطفوا على المرضى، واستعملوا الصبر والعطف نحو الجميع، وفكروا أن الرب سيعطيكم من الأكاليل عدداً بقدر النفوس التي كسبتموها له مكافأة لكم، باسم الآب والابن والروح القدس».

هذه هي القوانين الخلاصية التي وضعها آباء البرية المشهورون، لسلوك رهبانهم، وهي تمدنا بأضواء قوية على النظام النسكي، ونرى فيها جميعاً روح الحكمة والرزانة والحزم والمحبة، مما يعطينا فكرة عظيمة عن فضائلهم وعن قوتهم العقلية، وعن حماسهم لخلاص الإخوة، ولسعادة أولئك الذين يعيشون تحت إرشادهم.

كان المتوحدون في شيهات يعيشون بعضهم في جماعة، ويعيش البعض الآخر كل منهم في

قلاية خاصة، أو كل إثنين أو ثلاثة أو أربعة في قلاية، كما كان بعض الشيوخ يعيش مع عدد من تلاميذه. ويجب الملاحظة أنه لم تنشأ في شيهات أديرة كبيرة لغرض العيش في داخلها عيشة الشركة الرهبانية، كما في الصعيد أو في ضواحي الإسكندرية. ولكن كان مع ذلك يوجد أديرة، بما أنه ذُكر في القوانين التي ذكرناها، أن من يريد الدخول في دير فعليه أن يسأل ذلك لمدة ثمانية أيام في خضوع على باب الدير. كما كان يفعل ذلك أيضاً في البراري الأخرى.

وكان جميع النساك في شيهات خاضعين لما يمكن أن نسميه مجمع الشيوخ، مما يفسر لنا ذكر ذلك كثيراً في حياة وأقوال الآباء.

وكانت هذه المجمع تلتئم عادة في الكنيسة، حيث كان يعلن عنها الكاهن في الأحد السابق. وكان الشيوخ فقط لهم حق حضورها والكاهن على رأسهم، وكانوا يستعرضون فيها المواضيع الروحية أو التي يشترك فيها جميع المتوحدون، أو العقوبات التي تُوقع على من بدر منه أفعال شائنة، أو اختيار من يُقدّم للأسقف لنيل بعض رتب الكنيسة، إذا كانت كنائسهم في حاجة إلى ذلك.

ويقول بلتو (M. Bulteau) وهو مؤلف دقيق، عن كنائس النساك: «يبدو بوضوح أنه قبل القرن الخامس، كان للنساك الذين كانوا يعيشون جماعة، كنائس خاصة، وإذا أعوزهم الكهنة، دعوا أحد الكهنة من الخارج ليقم لهم القداس. وكان مكان النساك الذين لا يحملون أي رتبة كنسية بجوار الخورس، ويتناولون بعد الكهنة مباشرة وقبل العلمانيين».

وكان في شيهات كنيسة واحدة في البدء، ولكن نظراً لازدياد عدد النساك ولا تساع أرجاء الصحراء فقد بنيت بعد ذلك ثلاث كنائس أخرى ضماناً لراحة الإخوة. وكان الكهنة الذين يقومون بالخدمة فيها من الرهبان. وكانوا يجمعون المجمع — كما بيّنا سواء كان من تلقاء أنفسهم أو بناء على رأي الشيوخ. وكانوا إما يقومون بالكلام في المجتمعات أو بأعمال النشر، أو أن يأذنوا بذلك للغير، وكان لهم الحق في الدعوة إلى أصوام خاصة لأحوال ضرورية.

واشتهر نساك شيهات بتطرفهم في التقشف، وكانوا في بعض الأحيان يصومون عن الطعام يومين أو ثلاثة أيام، وكان كثير منهم لا يأكل شيئاً لمدة أسبوع. ولكنهم اضطروا إلى التخفيف من شدة هذا الصوم، وكان الشيوخ الذين جربوه ينصحون بعد ذلك المستجدين بالإنكفاء بتناول الطعام مرة واحدة في اليوم، ولكن دون أن يشعروا بالشبع، فيتناولون فقط ما يقوم بأود الجسد دون أن ينعموا عليه بما يزيد عن حاجته، حتى يستطيع أن يقوم بالأعمال التي تتطلبها الحياة النسكية. ومنذ هذا التخفيف صاروا لا يتناولون طعاماً مطبوخاً سوى يوم الأحد، بل حتى في ذلك اليوم كان الكثيرون يمتنعون عن الطعام المطبوخ.

ومها كان من أمر حدة هذا الصوم، فقد كانوا يعنون بحاجة الزوار الذين كانوا يذهبون إليهم، بل لم يمانعوا في تقديم مواعيد طعامهم لأجل أن يتناولوا الطعام معهم، وكانوا يعدون لهم أيضاً طعاماً مطبوخاً.

وإذا أرسل بعض الأتقياء إليهم فاكهة أو أي عطية أخرى، فإنهم يحملونها عادة إلى الكاهن، الذي إما أن يوزعها على كل منهم يوم الأحد، أو يرسل إلى كل منهم بنصيبه في قلايته. وكانوا يمارسون هذه العادة لأجل أن يزيدوا اتحادهم توثيقاً، وحتى لا يستأثر أي منهم بأي شيء دون الآخرين. وفي أحد المرات لم يتسلم القديس أرسانيوس نصيبه الضئيل من التوزيع، ولم يرسل له ذلك النصيب عن احترام له نظراً لضآلته، فتذمر في وداعة عميقة وقال بما أنه قد اعتُبر غير جدير بالمشاركة في محبة الإخوة، فهو يعد نفسه غير جدير بحضور جمعهم.

ونقرأ عن تقشفهم وقمعهم لجسدهم أمثلة صارخة، إلى درجة لا يسعنا إلا أن نقرر معها أن حياتهم كانت استشهاداً متواصلًا. كان هؤلاء النساك المتحمسون يقمعون الفكر والقلب والشهوات والحواس والجسد، وكان كل ما فيهم خاضعاً لهذه الفضيلة التي تقهر الطبيعة. كانت الصلاة مستحوزة على الفكر، وكذلك ذكر الرب الذي كان دائماً ماثلاً أمامهم حتى وقت العمل. أما القلب فكان مأخوذاً بالطاعة والإنطلاق، وأما الشهوات فقد حاربوها باليقظة على أنفسهم، وبما كانوا يستعملونه من القوة في البعد عنها، واستخدموا ضد الحواس الوداعة النسكية، وحاربوا الجسد بالأصوام الطويلة والسهر والقمع العنيف. يضاف إلى ذلك أن برية شيهات، كما قلنا في موضع آخر، كانت مكاناً قحلاً ليس فيه أي تعزية عالمية. ولذلك كان المعروف أن نساك شيهات أكثر نساك الشرق تعبدًا وممارسة لأعمال التوبة، سواء في ذلك نساك أفريقيا أم فلسطين أم بلاد العرب أم سوريا أم العراق أم الهند. كانوا يشربون الماء فقط، وكان البعض منهم يتناولون قليلاً من النبيذ في بعض أيام الآحاد أثناء تناولهم الطعام معاً، بينما الكثيرون يمتنعون كلية، وحتى الذين كانوا يتناولونه، كانوا يفعلون ذلك بكل رزانة، ولأجل ألا يجرحوا شعور أولئك الذين كان يقدم لهم الخمر بروح المحبة والإحسان، وحتى الماء الذي كان من القلّة في هذه البرية، كانوا يتناولونه بروح القمع أيضاً، إذ كان عليهم ليس فقط أن يذهبوا لإحضاره من مسافات طويلة بما يتحملونه من تعب في هذا السبيل، بل كان عليهم أيضاً أن يتحملوا رائحته الكريهة وطعمه الكبريتي. وفوق ذلك فكانت أحسن بقعة في هذه البرية بجوار بحيرات ملأى بالذباب والناموس الذي كان يحدث التهابات قوية في الجلد. فلم يكن هذا المكان غير ملائم للسكنى نظراً لطبيعة أرضه ولصعوبة الحصول على الماء فقط، بل كانت هذه الحشرات تزيد من عدم الملاءمة هذه. وكان إذا وُجد مكان ملائم في تلك الأنحاء فلم يسع هؤلاء النساك في الاستفادة منه، كما نعلم من حياة مكار يوس الإسكندري، إذ كانوا يعتقدون أننا لن نكون

جديرين بالتمتع بمباهج السماء، لو سعينا حثيثاً في التمتع بالهناء في الأرض.

لقد كان هؤلاء النساك يعيشون بذلك، وقد اعتقوا أنفسهم من كل شيء بل ومن أنفسهم، واضعين كل رجائهم في الحياة الأبدية، ولذلك كان فقرهم الاختياري إلى حد نستطيع معه أن نقول أنهم لم يملكوا شيئاً على الأرض، فلم يخلعوا عنهم ثوباً إلا إذا وصل إلى حالة صار معها غير ملائم ليستريحهم. ونستطيع أن نتبين ما كانت عليه قلايتهم من فقر أيضاً إذا علمنا الوقت الذي كانوا يستغرقونه في بنائها. لقد كانوا يقيمونها في يوم واحد، ويتركونها طواعية واختياراً لأول قادم، بكل ما فيها من أثاث أولي. ولم يحتفظوا إلا بما كان يساعدهم على التنقل، وكانوا يأكلون من نتاج ما كانوا يصنعونه بأيديهم، ونظراً لشدة تقشفهم لم يحاولوا جمع أو تخزين شيء مما كانوا يستطيعونه لو أنهم كانوا أكثر تعلقاً بالحياة أو أقل ثقة في القدرة الإلهية.

كان عملهم الرئيسي صنع السلال المتنوعة الأغراض، وكانوا يفضلون مثل هذه الأعمال على الأعمال الأخرى التي تتضمن حركة أكثر، سواء أكان الدافع إلى ذلك ما كانوا عليه من ضعف لصيامهم، أو لعدم قدرتهم على القيام بأعمال أشق، أو لأن القيام بالعمل بينما هم جالسون يساعدهم على عدم الشرود ويسهل عليهم التأمل بينما هم يعملون، ومع ذلك ففي زمن الحصاد كانوا يؤجرون أنفسهم للحصاد، ولم يجسروا أن يتناولوا حبة دون إذن صاحب الحقل، ولم يكن أجرهم عن ذلك محل نزاع يوماً ما، وكانوا يصبرون على دفعه حسب إرادة صاحب العمل، وفي بعض الأحيان كانوا يقومون بالعمل دون مقابل، نظراً لشدة تجردهم.

وكانوا يحثّمون حفظ مواعيد التسابيح بكل دقة، فيترك النساك كل شيء ليذهب للتسبحة عند أول إشارة، وكان أول واجب النساك وأهم ما يجب أن يبرن نفسه عليه التأمل والتسبيح الفكري، وكان ذلك أشق عمل يجب أن يقوم به نظراً للحرب التي كانت تشنها أرواح الظلمة على المتوحدين لتحوّلهم عنه، ولذلك كان الشيوخ يشجعون المبتدئين على محاربتها، وعلى ألا يستسلموا لها بالإهمال أو بالشرود الذهني أو بالنكوص النفساني.

كان من عادة أولئك النساك أن يصلوا بأيديهم مرفوعة نحو السماء، وكان القديس مكار يوس يقول لتلاميذه: لأجل أن نصلي جيداً ليس من الضروري أن نتكلم كثيراً، ولكن يكفي أن نرفع أيدينا نحو السماء كلما أمكننا ذلك.

كانوا ينصحون النساك المستجدين بأن يلزموا قلايتهم، وبألا يخرجوا منها دون موجب، وذلك ليحفظوا أنفسهم في التأمل وفي حالة قريبة من الصلاة.

يقول أنبا موسى لأحد النساك المستجدين وقد أتى إليه يطلب نصائح: «احفظ نفسك هادئاً في قلايتك، فتتعلم كل ما يجب أن تعمله». وذهب متوحد مبتدىء آخر يوماً ما إلى القديس

أرسانيوس وقال له: «يا بَيت إن نفسي لني قلق إذ لا أستطيع أن أصوم أو أن أعمل، أو أن أخدم المرضى، مع أن هذه هي وسائل نيل مكافأة السماء». فأجابه القديس: «ارجع إلى قلايتك وكن واشرب وتم فيها كما تشتهي، وأنصحك فقط ألا تخرج منها دون حاجة لذلك، فالمثابرة في الإقامة فيها لا تلبث أن تضع الناسك في الحالة التقوية التي يجب عليه أن يكون فيها». وأراد الناسك أن يفيد من هذه النصيحة فلزم قلايته، ولم يلبث أن شعر بمل في اليوم الثالث، ولكنه وجد بعض سعف النخل فتسلى في قطعها، وفي اليوم التالي عكف على عمل سلة، ثم شعر بعد ذلك بالرغبة في تناول الطعام فقال في نفسه: سأرتب أولاً السعف ثم أتناول الطعام. وبعد أن عمل في هذا الترتيب عوضاً عن أن يأكل، قال أيضاً فلأجلس الآن لأقرأ قليلاً ثم أتناول الطعام، وبعد القراءة قال: من المستحسن أن أتلو الآن بعض المزامير، وعند الإنتهاء من قراءتها يكون قد حلّ وقت الطعام فأتناولوه بكل ثقة، وظل كذلك بعض الوقت، وبالتدريج بمساعدة الرب وصل إلى أن ينزع عنه الأفكار التي كانت تؤرقه، واتبع القوانين التي يسير عليها الناسك الآخرون.

كان إذن التزام القلاية إحدى الوصايا الرئيسية التي كان الشيوخ يوصون بها الشبان المتوحدين، ولكن لم يكن ذلك أبداً على حساب الصلاة الجماعية وما توجه عليهم الطاعة، وكانت أهم تعاليمهم أن المبتدئين في الحياة النسكية يجب عليهم أن لا يسلكوا طبقاً لما يترأى لهم، ولكن وفقاً لما ينصح به آباؤهم الروحيون. وبعد ذلك إما أن يعاقبهم أو أن يسرحوهم. وفي أحد الأيام أراد أحد المبتدئين في لبس الرهينة أن يقلب نفسه في قلايته كحبيس قائلاً: أريد أن أكون متوحداً. ولكن الشيوخ في القلاية المجاورة عندما علموا بعزمه هذا، أجبروه على أن يذهب إلى قلاية جميع الإخوة قائلاً لكل منهم: أرجو أن تسامحني، إني أعلم بأني ما زلت مبتدئاً في حياة النسك، ولست بمتوحد.

ولم يكونوا يسمحون لأي متوحد أن يعيش بمحض إرادته، عيشة نسكية لم يمارسها الشيوخ الذين سبقوه، خوفاً من أن يقذف به الشيطان في طريق الغرور والأوهام، أو أن يقتني غيره أثره، إذ أن من الطبيعي أن يحب الإنسان كل ما هو جديد ويتمسك بأفكاره، عوضاً عن أن يلهمه الروح الإلهي التواضع وإنكار الذات وحب القريب.

ولذلك كانوا في غالب الأحيان يمتحنون فضائل الناسك بالتواضع والطاعة، وخصوصاً المبتدئين منهم، الذين كانوا يكلون أمرهم إلى أحد الشيوخ وكانوا ملزمين بطاعته، وكان يمتحنهم بأعمال فيها تحقير لهم وكانت غالباً ما تتعارض والتفكير السليم، حتى يتعودوا تسخير إرادتهم لنير إرادة عمياء. وقد رأينا في تاريخ حياة القديس أرسانيوس، كيف امتحنه أنبا يوحنا القصير امتحاناً فيه امتهان، ليتبين صدق نيته في النسك.

لقد كان هذا السلوك مملوءاً حكمة، وعندما يخضع المبتدئون لأبائهم الروحيين طوال عدد من السنين، إذ لم يكن هناك وقت محدد، يصبحون في وضع يستطيعون معه أن يقودوا آخرين في طريق النسك، ولذلك نلاحظ في تاريخ الرهينة في مواضع كثيرة تعاقب المعلمين والتلاميذ. فالقديس أرسانيوس الذي كان أنبا يوحنا القصير معلمه، صار له أيضاً تلاميذ، وهؤلاء تتلمذ عليهم آخرون أيضاً. وكان هناك من التلاميذ من يلزم آباءهم الروحيين إلى أن يتنحوا، وكانوا يقومون بخدمتهم في شيخوختهم بمحبة واحترام وعناية تفوق حد الإعجاب.

ولا يفوتنا أن نذكر أنهم كانوا يعوّدون المبتدئين على الإعتراف بخطاياهم وعلى أن يخضعوا للعقاب، إلى حد أن كانت هذه الفضيلة كشيء طبيعي لديهم طوال حياتهم فكانوا دائماً خاضعين لتوجيه الشيوخ، وكان الشيوخ أنفسهم خاضعين لتوجيه كهنة الكنائس وجمع الإخوة.

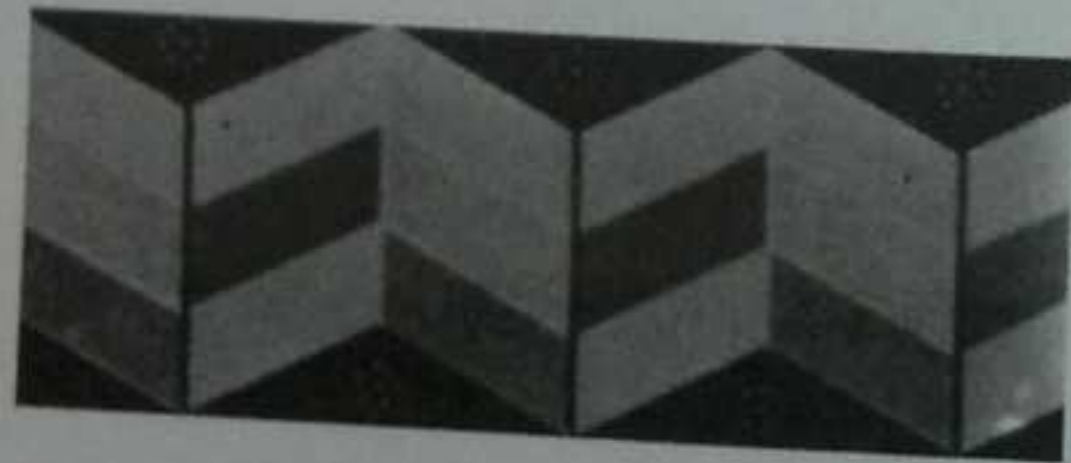
ويذكر روفينوس أن متوحيدي شيهات، كانوا يميلون دائماً إلى القيام بأعمال المحبة والإحسان، ليس فيما بينهم فقط، بل نحو الأعراب أيضاً الذين كانوا يقصدونهم في وحدتهم. لكن كان سلوكهم نحو السيدات مختلف، فإذا حضرت إحداهن لرؤية أخيها أو أحد أقاربها فكانت العادة أن يحدثوهن عن بعد.

عن كتاب:

أديرة وادي النطرون

للدكتور منير شكري

من ص ١٢٨ - ص ١٤٢



نوع من الزخارف الهندسية الملونة التي تزين الحنيات الحائطية niches في دير باويط - محافظة أسيوط
ترجع إلى القرن السادس/السابع

منهج البحث

رجعنا في هذا البحث الهندسي التاريخي إلى المراجع العلمية الدقيقة وأهمها بلا نزاع هو كتاب هيو ج. إفلين هويت Hugh G. Evelyn White الجزء الثالث المتخصص في تاريخ العمارة الهندسية لأديرة وادي النطرون الذي استعان بالمهندسين و. ج. بالمرجونز W.J. Palmer-jones الذي أكمل أبحاثه الهندسية في دير أنبا مقار من صور فوتوغرافية ولوح هندسية ومساقط وأبعاد وقياسات في سنة ١٩٠٩-١٩١١، ولحق به إفلين هويت مع مساعديه ه. بورتن H. Burton وزميله و. هوسر W. Hauser في نوفمبر ١٩٢٠ ومايو ١٩٢١. وفي الحقيقة تعتبر أبحاث إفلين هويت عن دير أنبا مقار بالذات، والتي استغرقت هذه السنين، من أدق وأعمق الأبحاث التي عرفها التاريخ الكنسي في فن العمارة. وقد رجع هذا المؤرخ العلامة في كتبه إلى كافة المراجع التي يمكن أن يحصل عليها باحث مقتدر مزود بالأموال الطائلة والإمكانات العلمية النادرة. وعدد المراجع والمخطوطات التي استخدمها يربو على الأربعة والثمانين مرجعاً من كافة اللغات بما فيها اللغات القبطية والعربية.

وبجدر الإشارة هنا إلى أن أبحاث إفلين هويت كانت تكليفاً من متحف المتروبوليتان للفنون بنيويورك، فهو عمل أكاديمي من الدرجة الأولى، ولا نملك إلا أن نشكر الله عليه ونشكر هؤلاء العلماء الذين بذلوا من الجهود المضيئة في السفر والإقامة ما يعجز اللسان عن وصفه.

وقد رجعنا بالإضافة إلى كتب إفلين هويت الثلاثة إلى مصادر أخرى كثيرة للإستيضاح وتكامل الثغرات التي واجهت إفلين هويت، وأهمها:

- ١ - مخطوطة رحلة أنبا بنيامين مع تكريس هيكل أنبا مقار، رقم ٢٠٧ س.
- ٢ - مخطوطة رقم ١٨ سير قديسين.

وذلك بالإضافة إلى أبحاثنا وملاحظتنا العينية كسكان في الدير وهذه البرية سنين طويلة.



مقدمة عامة

للتاريخ الرهباني والمعماري لدير أنبا مقار

الفصل الأول

نشأة الدير

- ١ - لم يكن أسوار بالمرّة.
- ٢ - مغائر مسقوفة بالجريد والبردي.
- ٣ - هندسة المباني تقوم على أساس الفقر والصمت.
- ٤ - الكنيسة والمائدة لممارسة الإفخارستيا والأغابي.
- ٥ - الميراث الوحيد: جسد القديس.

حينما بدأ دير أنبا مقار في الظهور في الثلث الأخير من القرن الرابع^(١): لم يكن بشكله الحالي على الإطلاق، وكذلك بقية الأديرة الثلاثة، بوادي النطرون، فلم يكن له أسوار بالمرّة ولا حصن ولا قصور للضيافة ولا طواحين للجبس ولا سواقي ولا حظائر للبهائم ولا شيء من كل هذه الصورة التي يبدو فيها الدير اليوم.

بل بدأ الدير بقلاية الأب الكبير مقار يوس التي بناها في طرف الصخرة (الصخرة يُقصد بها الجبل الواقع الآن غرب دير الأنبا مقار مباشرة). وكانت عبارة عن مغارة مسقوفة بالجريد والبردي. ثم تجمع حوله التلاميذ وبنوا قلايتهم على مسافات متباعدة من قلاية الأب، وعلى نفس النمط. وكان لا يتحكم في نظام هذه القلاي وبنائها إلا عاملان أساسيان وهما التزام الفقر منتهى الفقر، والرغبة الشديدة في الوحدة والصمت^(٢).

ومع بناء القلاي كعادة الآباء بُدئ ببناء الكنيسة لإقامة الصلوات؛ وبظهور الكنيسة ظهر معها في الحال قلاي ملاصقة لخدّام الكنيسة من كهنة وشمامسة ومخازن وبقرييب وغرف

(١) بعد نياحة مكسيموس ودوماديوس مباشرة. أنظر ص ٢١٣ من هذا الكتاب.

(2) Ev. White, III, p. 5.

ولم ينته القرن الرابع إلا وكانت الجماعة الديرية التي تعيش في هذا المكان لها هذه الأوصاف:

كنيسة حولها قلالي كثيرة متفرقة على مساحة كبيرة، وبيت متواضع للضيافة ليس أكثر من قلالية كبيرة، ومكان للمرضى ملاصق للكنيسة، وبئر، وبعض المخازن. ولكن لم يكن هناك أسوار على الإطلاق. فكانت المجموعات الديرية عموماً (Lauras) تعيش عيشة الإيمان وتسليم الحياة لله بصورة كاملة. وكان عددهم في كل البرية في أيام أنبا مقار قد بلغ ٢٤٠٠ راهباً^(٣) موزعين على أربعة أديرة. ولم يكن يجتمع الرهبان المتوحدون في الكنيسة إلا يومي السبت والأحد من كل أسبوع للتناول وسماع كلمات الوعظ والتعليم من القديس مقار يوس أو بقية الشيوخ الذين كان يكلفهم القديس بهذه الخدمة حسب ترتيب ونظام خاص — كما يخبرنا القديس مار اسحق في كتابه^(٤) — وذلك مساء السبت حتى مطلع فجر الأحد، ثم يتناولون معاً من الأسرار المقدسة، ثم يجتمعون مباشرة في المائدة لتناول وجبة الأغابي المشهورة باعتبارها جزءاً هاماً من طقس الإفخارستيا (سر العشاء).

وهكذا نجد أن الكنيسة ارتبطت في البرية منذ البدء ارتباطاً جوهرياً بالمائدة، فصارت المائدة جزءاً لا يتجزأ من الكنيسة، سواء من الوجهة السرائرية أو الهندسية أو المعمارية، فصار من المحتم أن يلحق بالكنيسة الجامعة (الكاثوليكا) التي يجتمع فيها جميع الرهبان: مائدة تفتح على الخورس الثالث منها، حتى بعد أن يفرغ الرهبان من طقس الإفخارستيا يدخلون المائدة مباشرة ليكملوا طقس الأغابي^(٥). وبقيام المائدة ظهر المطبخ بمبانيه كجزء أساسي في مجموعة الأبنية التي يتحتم أن يتكون منها الدير حتى في صورته البدائية. ودُعي المطبخ بملحقاته من أفران وكوانين باسم «الدياكونية» أي «مكان الخدمة» ويُطلق عليه بالصعيدية «داجونية».

ومما يؤيد هذا الكلام خبر الزيارة المشهورة التي قام بها القديس أنبا شنودة لدير أنبا مقار سنة ٤٣١ م، عند عودته من مجمع أفسس، التي يذكر فيها أنه دخل على الآباء في المطبخ^(٦) (الداجونية)، وكان وقتها عيد الميلاد وكان الآباء يطهون اللحم في قدر يغلي على النار، فلما استنقص شنودة عمل الآباء إذ كيف يأكلون اللحم وهم نساك، أمر رئيس المطبخ تلميذه أن يضع يده في القدر وهو يغلي وأن يخرج قطعة لحم منه للقديس، فما كان من التلميذ إلا أن مده يده

(٣) بستان الرهبان، طبعة ١٩٥٦، ص ١٩.
(٤) مار اسحق الباب الأول.

(5) Ev. White, III, p. 6, Note 3.

(6) Amélin. A.M.G., XXV, p. 149 f; & Ev. White, II, p. 161.

العارية بهدوء في القدر وهي تغلي وأبقاها فترة ثم أخرج قطعة لحم دون أن يمسه سوء. فلما رأى القديس هذه المعجزة تعجب ولام نفسه واعتذر للآباء إذ تيقن أن القداسة تسمو فوق النسك، وبساطة الروح تطفىء لهيب النار.

وبنياحة القديس مقار ودفنه في مغارته التي أحبها وعاش فيها كل حياته، كما تقول المخطوطة التي بها سيرة حياته، ارتبطت الجماعة كلها بالمكان وصارت القلاية التي تحوي جسده الطاهر نقطة الارتكاز الأساسية لتثبيت المكان واسمه على مدى الدهور، وهكذا صار جسد القديس جزءاً جوهرياً في كيان الدير سواء من الوجهة الروحية الصرف أو من الوجهة الهندسية المعمارية. فن أجل هذا الجسد وكرامته شيدت الكنائس وزينت الهياكل من جيل إلى جيل دون ملل حتى هذا اليوم.

وهكذا نجد أن ظروف الحياة الجماعية للمتوحدون ووجود الكنائس هي التي حتمت بهذا النمو المتواصل والتطور السريع في شكل الجماعات الديرية وفي هندسة مبانيها.

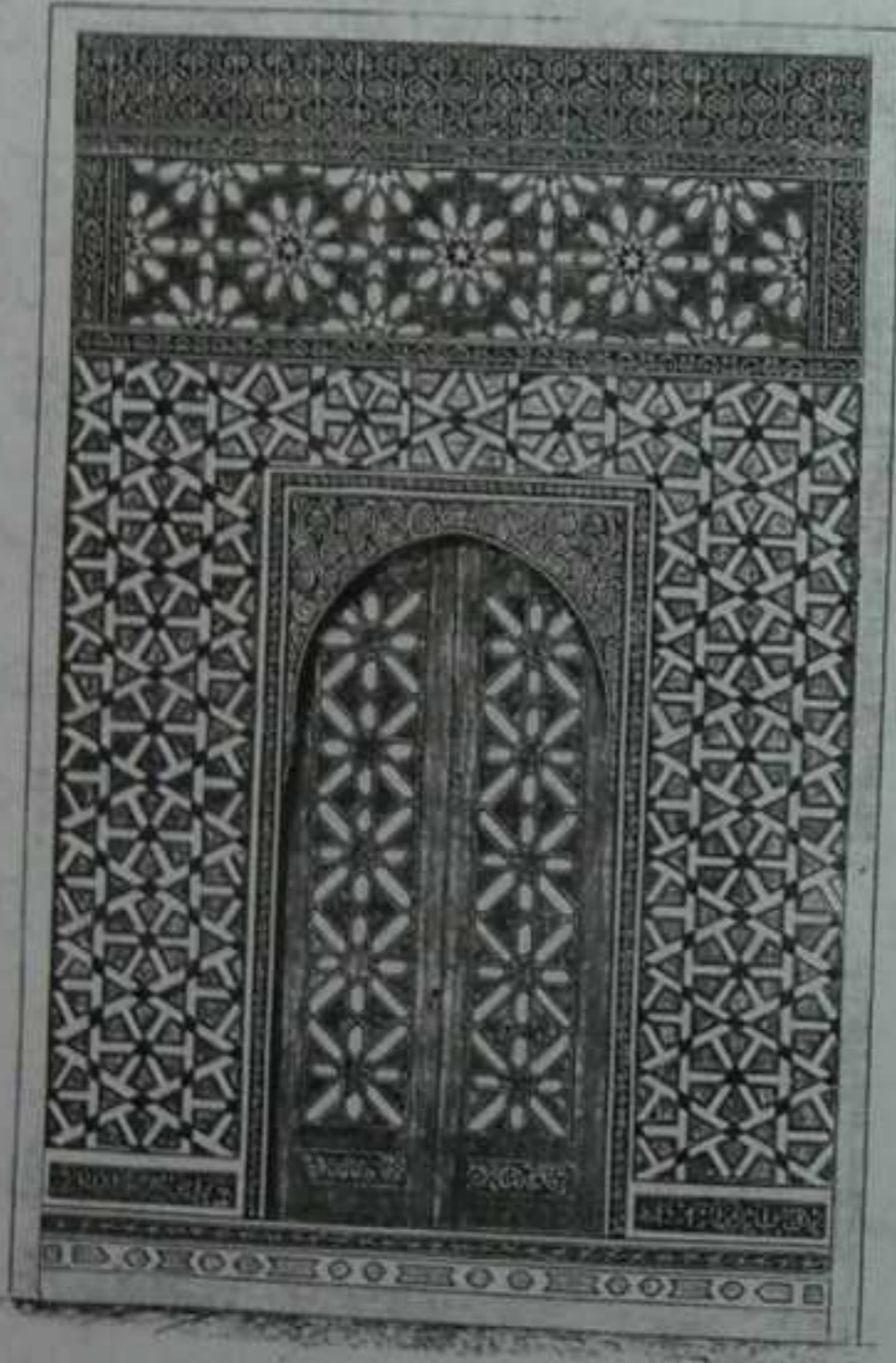


قطعة من الحجر المنحوت تمثل طاووسين متواجهين يشربان من نافورة مياه [واردة من كنائس قديمة في صعيد مصر ترجع للقرن ٤/٥ الميلادي — معروضة بالمتحف القبطي].

توفره فوق الصخرة.

لذلك كان بناء أول حصن لدير أنبا مقار المدعو بحصن «بيامون» بعد الغارة الثانية، أي بعد سنة ٤٣٤ م. وقبل الغارة الثالثة ٤٤٤ م.، هو بداية تحديد مكان أو طبوغرافية الدير في وضعه الراهن. ولكن أين تحديد مكان حصن البيامون بالضبط؟ هذا ما سنرجى بحثه للفصل القادم.

وفي نهاية القرن الخامس تقريباً (٤٨٢ م.) حدث أمر هام كان له الأثر الكبير في مصير دير أنبا مقار وتطور عمارته تطوراً سريعاً وتركزه بصورة نهائية في المنخفض المتاخم للصخرة شرقاً، ألا وهو دخول الراهبة إيلارية بنت الملك زينو (٣) التي هربت من قصر الإمبراطور متخفية وصارت ضمن مجموعة متوحدي دير أنبا مقار متخفية في زي رجل: الأمر الذي لما كشفه الملك زينو بعد ذلك بزمن طويل جعله يفتقد على دير أنبا مقار بعطف متزايد، وبقية الأديرة معه، من هبات وأوقاف ومباني، الأمر الذي تسبب في ظهور الحصون الضخمة والكنائس والمنشآت والمباني ذات الأعمدة الرخامية العديدة، والتي لا تزال آثارها بدير أنبا مقار تشهد لعصور سألقة بلغت فيها عمارة الدير أوج عظمتها، فقد ذكر أن صحن كنيسة أنبا مقار كان مرفوعاً فوق عشرين عموداً رخامياً... ولا تزال التيجان الكثيرة المتعددة الأحجام والأشكال والألوان تملأ الدير حتى يومنا هذا.



Ev. Wh., II, 1, § 3.

(٣) توفى هذا الملك سنة ٤٩١ م.

الفصل الثاني

عصر الحصون والأعمدة الرخامية

١ - الحصن يجمع كل مقومات الحياة والصلاة.

٢ - النزول من على الصخرة أمر حتمي.

٣ - هبات الإمبراطور زينون تغلب المصير الهندسي والمعماري من طين وبردي إلى حجارة ورخام وتيجان.

بحدوث الغارة الأولى التي قام بها البربر سنة ٤٠٧ م. ثم تكرارها سنة ٤٣٤ م. وما نتج عن ذلك من تخريب ونهب وقتل، نجد الجماعات الديرية بدأت تفكر جدياً في إقامة حصون متينة يلتجئون إليها وقت الغارة بحيث تكون مهيأة بمخازن تحوي القوات الضروري لفترة طويلة وبثراء وكنيسة يصلون فيها. وهكذا تحتم على النظام الرهباني إقامة الحصون التي نراها الآن بشكلها المتكامل (١). وهكذا تم بالفعل إقامة أول حصن المدعو بحصن «بيامون» وصار صالحاً بالفعل لإيواء الرهبان قبل حدوث الغارة الثالثة التي حدثت سنة ٤٤٤ م.

تاريخ طبوغرافية الدير:

ينبغي أن نعلم أن المباني الجماعية الأولى التي يُظن أنها كانت بدائية ومعظمها بالطين (٢)، والتي كانت تضم الكنيسة والمائدة والمطبخ وبيت الضيافة والمرضى، كانت تحت الصخرة بسبب عدم وجود الماء فوق الصخرة. لذلك اضطر كثير من الآباء الشيوخ والضعفاء والمرضى أن يبنوا قلاليم بالقرب من الماء، فابتدأت مباني الدير تزحف من فوق الصخرة لتستقر في المنخفض المتاخم لها، وهو موضع دير أنبا مقار الحالي.

أما بداية الظروف التي حتمت نهائياً النزول من فوق الصخرة، فكانت فكرة بناء الحصون التي يأوون إليها وقت الغارات والخطر والتي كان يتحتم وجود بئر ماء داخلها، الأمر الذي يستحيل

(1) Ev. Wh., I, X, p. 7.

(2) Ev. Wh., III, p. 5.

الفصل الثالث

عصر ازدهار رهباني وبدء المساكن الجماعية المتفرقة

١ - الدير ملجأ أمين للبطريرك.

٢ - الشعب ينتبه إلى قيمة العمارة في الأديرة.

٣ - بدء ظهور المنشويات كمنهج روحي عالي.

وثمة حادث آخر أثر تأثيراً مباشراً في عمارة دير أنبا مقار وتطورها وهو انتقال كرسي البطريركية مؤقتاً من الإسكندرية إلى دير أنبا مقار^(١). وذلك سنة ٤٥١ م. على أثر فظائع مجمع خلقيدونية ونفي ديسقوروس وطرد البطريرك الذي انتخبه الأقباط خلفاً لديسقوروس من الإسكندرية مقر رئاسته الذي التجأ إلى دير أنبا مقار، فصار منذ ذلك الوقت مقر رئاسة البطريرك ومحط الأنظار ومكان تدفق الشعب من كافة أنحاء البلاد في أيام الشدة والضيق.

ويقول تاريخ البطارقة لأنبا ساويرس:

[ولم يشعر الرهبان القاطنون في الأديرة آنذاك بأي احتياج لأن المؤمنين كانوا يتبارون في تقديم عطاياهم للأديرة، فكانت فترة هدوء اهتم فيها الرهبان بعمارة وترميم أديرتهم وتجديد مبانيها بعد أن كانت قبائل البربر قد خربت منها الشيء الكثير]^(٢).

وقد بلغ عدد الرهبان في برية الإسقيط في هذه الحقبة الزمنية الزاهرة ٣٥٠٠ راهباً. ونتيجة لكشفة هذا العدد ظهرت القلاي الجماعية على هيئة «منشويات» *εἰσαγωγι* «(أماكن سكن جماعية) أو قلاي كبيرة (تي نشتي ري)، متفرقة ولكن تحيط كلها بالكنيسة والحصن وملحقاتها بدون أسوار.

وفي الواقع أن هذه المنشويات تصور لنا بل وتشرح لنا أيضاً منهج الحياة الروحية السائدة في النظام المقاري. فالمنشوية تقوم أساساً على وجود رئيس روحي أب:

(1) Ev. Wh., II, iii, § 1 & 2; I, p. 7.

(2) كتاب تاريخ البطارقة لأنبا ساويرس أسقف الأشمونين، طبعة إفتس ص ٤٧٣.

أولاً: يكون قد بلغ المستوى الكامل الذي يؤهله للتعليم والبناء الروحي وشفاء النفس وتهذيبها.

وثانياً: يكون على مستوى المسؤولية الكنسية أي له يمين الشركة والمشورة رسمياً في الأوساط الكنسية الديرية خاصة وعمامة، أي يكون مشهوداً له من كافة الآباء المعاصرين بالصلاحية الكاملة لاهوتياً وطقسياً وروحياً.

وثالثاً: يكون للمنشويات كلها رئيس واحد مدبر يدعى «القمص» أو «الهيجومينوس» أي «المدبر العام» أو «الرئيس»، يخضع له كافة آباء المنشويات خضوعاً روحياً وأدبياً ورسمياً معاً. فالقمص يأخذ اعترافات الشيوخ ويمثل كل جماعة الرهبان أمام الكنيسة ولدى البطريرك.

والمعروف في كل العصور تقريباً أن قص جماعة دير أنبا مقار هو بالتالي قص شبيهت عموماً، حتى في العصور التي ضعف فيها نفوذه العملي والروحي ظل وضعه الرسمي الصوري كما هو.

كذلك فالمعروف أيضاً أن كافة آباء منشويات (أديرة) أنبا مقار كانوا جميعاً ذوي ترتيب واحد وطقس واحد التزموا به وألزموا به الكنيسة كلها في ظروف متعددة.

[ولكن انهار هذا النظام العملاق أي نظام المنشويات في دير أنبا مقار روحياً وبالتالى هندسياً في منتصف القرن الرابع عشر حينما دخل كافة الرهبان داخل الأسوار وصاروا تحت ناموس واحد التزم أن يتوافق مع الضعفاء ويتمشى دائماً مع المبتدئين فقط].

وبعد هذا الإزدهار السكاني والمعماري أصيبت الأديرة فجأة بالغارة الرابعة، وذلك في نهاية القرن السادس سنة ٥٧٠ م. تقريباً التي تركت الأديرة فارغة مهتمة. وجاء بعدها اضطهاد كيرش الخلقيدوني سنة ٦٣١ م. الذي بدد شمل كثيرين من الرهبان الذين انحدروا جنوباً وسكنوا في قلاي منفردة خارج دير نهبيا بالجيزة، كما يخبر أبو صالح الأرمني في كتابه: «تاريخ الكنائس والأديرة»: [فخارج دير نهبيا وبجواره توجد قلاي كثيرة تابعة للآباء الرهبان الذين جاءوا من دير أنبا مقار زمن بطريركية أنبا بنيامين]^(٣).

(3) Churches & monast. of Egypt, fol. 63 b.

الفصل الرابع عصر المنشوبيات الكبرى والكنائس

- ١ - تأمين حياة الرهبان وعمارة الأديرة.
- ٢ - أسماء أشهر المنشوبيات.
- ٣ - نقل جسد القديس أنبا مقار.
- ٤ - الدبر: قلعة أديرة بها ألف قلاية.

استهل القرن السابع بدخول العرب مصر سنة ٦٤١م، وقد بدأ عمرو بن العاص حكمه بأن أمّن للرهبان عبادتهم ومنحهم حق تشييد الكنائس والمباني وتجديد عمارتها^(١).

وسرعان ما انتشرت المباني الجديدة بهمة القديس يونس قصص شهيته، وكانت على هيئة منشوبيات كبيرة أو أديرة صغيرة. وتسمت هذه المنشوبيات بأسماء القديسين أو بلادهم خاصة الذين كانوا يدبرون حياة الرهبان فيها، وظلت عامرة قروناً عديدة حتى القرن الرابع عشر. وقد خرج منها بطاركة كثيرون ومطارنة كثيرون جداً. والملاحظ أن بعض هذه المنشوبيات ظل محتفظاً باسمه الأول مثل القلاية الكبرى التي كانت تدعى «دنشتيري» حتى صارت لقباً لكل راهب يتخرج فيها. كما أصبح لبعض هذه المنشوبيات صفات أو تقاليد خاصة، مثل قلاية «دورودي» التي أصبح من تقاليدها أن لا يصلي فيها إلا من كان حافظاً المزامير والتسبحة عن ظهر قلب.

وسنحاول هنا تجميع كافة أسماء المنشوبيات التي وصلت إلينا عبر التاريخ كله^(٢)، لأننا لا نستطيع أن نحدد زمان بناء كل منشوبية. كذلك فرما تكون منشوبية واحدة قد أخذت عدة أسماء على ممر العصور، ولكن على أي حال فإن القرن السابع يعتبر بداية واضحة جداً لتأسيس معظم المنشوبيات في منطقة الياصون أي وادي القديس أنبا مقار. وقد أصبحت هذه المنشوبيات في مدة وجيزة عبارة عن أديرة متاخمة بعضها لبعض:

(1) Ev. Wh., III, p. 8; H.N.S., III, ii, ch. 1.
(2) Hist. of Monast. of Nitria & Scetis, by Ev. White.

١ - قلاية البهاسبيت: أي الـ ٤٩ شيوخ شهيته الشهداء. وقد صارت نواة لكنيستهم التي دخلت ضمن أسوار الدير فيما بعد.

٢ - منشوبية أنبا يونس: قصص شهيته ومدبر جماعة أنبا مقار.

٣ - منشوبية ابراهيم وجورجي: وهما القديسان الشهيران وكانا تلميذين لأنبا يونس قصص شهيته.
وهاتان المنشوبيتان (٢) و(٣) تسميان قلاية بيجيج^(٣).

٤ - منشوبية أنبا زكريا: وتعرف بدير أنبا زكريا (الذي صار أسقف صا أو صايفس)، وتعرف أيضاً بالقلاية الكبرى «دنشتيري». وظلت عامرة حتى القرن الرابع عشر، وتخرج فيها بطاركة كثيرون منهم ميخائيل الخامس (١١٤٥-١١٤٦م).

٥ - قلاية أنبا أغاثون: التي تخرج فيها القديس أنبا صموئيل المعترف، وكذلك صاحبها أيضاً وهو القديس الشهير أنبا أغاثون العمودي تلميذ القمص يونس قصص شهيته.

٦ - منشوبية البتانون: ورئيسها كان من البتانون، فدعيت باسم بلده. ودُكرت في خبر التسعة والأربعين شهيداً شيوخ شهيته. «وكان رئيسها شيخاً راهباً من البتانون وكان أب قلاية البتانون».

٧ - قلاية درودي: أو تيروتى، وعُرفت أيضاً بقلاية دوروثيوس، وهو قديس عظيم معلم القديس يونس كاما (قديس دير السريان حالياً)، وقد ألبسه الإسكيم. وقد تخرج في هذه القلاية البطريرك أنبا غبريال الـ ٥٧ (٩٠٩-٩٢٠م)^(٤).

٨ - قلاية ديرنبا: أو درنبا أو دنبا، وهي أسماء وردت في عصور مختلفة لقلاية واحدة على أغلب الظن. وقد تخرج فيها البطريرك أنبا ميخائيل الثاني (٩٥٦-٩٧٤م). البطريرك الـ ٦١ في عداد البطاركة، الذي من أهل صندلة^(٥).

٩ - قلاية ذكر كفري أو دكنكفري: وتخرج فيها البطريرك الأنبا فيلوثيوس الـ ٦٣ (٩٧٩-١٠٠٣م).

١٠ - قلاية دنجاية: وتخرج فيها البطريرك أنبا شنودة الثاني الـ ٦٥ (١٠٣٢-١٠٤٦م).

١١ - قلاية بربيروس: كانت عامرة أيام البطريرك يوحنا السادس (١١٨٦-١٢١٦م).

١٢ - قلاية الدماهرة: ربما لوجود عدد من الرهبان من بلد واحدة، وهذه محض صدفة. ويذكر تاريخ البطاركة أنه كان يوجد بها كتبة ماهرون سنة ١٢٧٥م.

(٣) بيجيج أو بيجيج (بشبيش) بلدة في الفيوم وفي المنوفية أيضاً، وقد ورد ذكرها ضمن تاريخ البطريرك كيرلس ابن لقلق.

(٤) ارجع لتاريخ البطاركة لأسقف فوه.

(٥) أنظر كتاب وادي النطرون للأمير عمر طوسون ص ٢١١.

وفي رحلة البطريرك أنبا بنيامين الثاني التي قام بها سنة ١٣٣٠ م، يقول المؤرخ أنه زار القلاية الملحقة بدير أنبا مقار يوس وهي كالآتي:

١٣ - قلاية البرصيني.

١٤ - قلاية عوزيال.

١٥ - قلاية داكنونية (الخدمة؟).

١٦ - قلاية بلتوس.

١٧ - وفي أيام البطريرك يوحنا الخامس (١١٤٧-١١٦٧ م) نسمع عن رهبان يسكنون قلاية بشبيش، بدير أنبا مقار.

١٨ - وفي أيام البطريرك يوحنا السادس (١١٨٦-١٢١٦ م) نسمع عن راهب رسام يدعى عبد المسيح من القلاية التي تدعى اسكسيك بدير أنبا مقار.

١٩ - وفي أيام البطريرك أنبا ميخائيل الخامس بن الدنشتيري البابا الـ ٧١ (١١٤٥-١١٤٦ م) نسمع عن: قلاية كدران التي رشح منها يوثس بن كدران للبطريركية ورُقِّص.

وعلى العموم ينتهي القرن الثامن (٨٠٠ م) بصورة رائعة عن دير أنبا مقار يصفه أحد الرهبان الزائرين من أورشليم يدعى إبيفانيوس بقوله: [وكان الدير عبارة عن قلعة يحيط بها ألف قلاية]^(٦).



حشوة من الخشب المحفور ترجع إلى القرن الحادي عشر، تكوينها الأساسي هو فرع نباتي يبدأ في المحور ثم يتفرع إلى الجانبيين في طيات لينة خلفه زهوراً زخرفية، ثم يدور في منحنى واسع ليحتضن الصليب بتفرعات نباتية دقيقة حتى ينتهي في الزاوية العليا للحشوة - من حجاب كنيسة مارجرجس إحدى كنائس دير أبوسيفين بمصر القديمة

(6) Epiphanii monachi, ed. Dressel p. 6.

الفصل الخامس

عصر الأسوار والحصون

وبدء انحصار الرهينة داخل الأديرة

- ١ - أنبا يعقوب يبدأ بالأسوار لتغطي المساكن.
- ٢ - أنبا شنودة يرتفع بالأسوار والأبراج إلى حد الضخامة والمناعة.
- ٣ - غلطة هندسية أودت بالتوحد وقضت عليه. متوحدو أنبا مقار يقاومون إغراء الأسوار خمسة قرون.
- ٤ - تاريخ الطافوس الحالي.
- ٥ - أمور ساعدت على ازدهار عمارة أنبا مقار فترة طويلة.

كان القرن الثامن امتداداً للقرن السابع، الذي ظل طابع الدير فيه هو طابع المنشوبيات الكبرى منها والصغرى، والتي كانت مستقلة عن بعضها. غير أنه كان يجمعها منهج فكري وروحي واحد.

وتحكي لنا إحدى المخطوطات خبراً يفيدنا من الوجهة الهندسية المعمارية يقول أنه في مستهل القرن التاسع قدم إلى دير القديس مقار يوس الشاب المختار من الله المدعو يوحنا كاما^(١)، وقرع باب المنشوبية المدعوة قلاية درودي أو تروقي. ومن ذلك نعلم أن في هذا العصر بدأت كل منشوبية تعمل لنفسها سوراً متوسط الارتفاع يحميها من اللصوص الصغار أو العرب عابري السبيل. ولكن لم يكن القصد من هذه الأسوار المختصرة أن تحمي المنشوبيات من هجمات البربر، أي أنها لم تكن أسوار حصون ولكن أسوار مساكن.

ولكن للأسف لم يدم هذا التعمير طويلاً، إذ فجأة هجم البربر على الأديرة وخربوها وهدموا مبانيها بقسوة وأحرقوا الكثير منها بالنار، وذلك سنة ٨١٧ م. وكانت هذه هي آخر غارات البربر العنيفة على بركة الإسقيط ووادي التطرون بصفة عامة (إذا استثنينا غارة اللواتيين التي حدثت سنة ١٠٦٩ م. وكان أثرها محدوداً). وتهمنا هذه الغارة الأخيرة أهمية عظمى من الوجهة الهندسية لدير أنبا مقار ولبقية الأديرة عموماً، إذ تجعلنا حريصين في أن لا نغالي في قدم الأبنية الموجودة

(1) Life of John Kamé, Patrol. Orient, XIV, fase 2 p. 23.

حالياً، إذ لم يفلت أي مبنى من الهدم والتخريب في هذه الغارة، فعلى أحسن وجه نستطيع أن نقول إن عمليات الترميم هي التي أوقفت هذه المباني القديمة مرة أخرى بمنظرها القديم خصوصاً الحصون الكبيرة.

ولكن بعد هذه الغارة الأخيرة مباشرة، عاد الرهبان إلى قلايهم أي منشوبياتهم، وكانوا يُصلُّون في مواضع الكنائس المحرقة تدللاً أمام الله ليعيد بناءها؛ وبدأوا عصر التعمير والبناء فامتدت مرة أخرى عمارة المنشوبيات وتحصينها.

فقد ورد في خبر رسامة الأب البطريرك الخمسين أنبا يعقوب سنة ٨٢٥ م. أن هذا الأب المبارك كان راهباً بالدير وكان ممن نجوا من فتك البربر في الغارة الأخيرة؛ وقد توجه إلى الصعيد الأعلى وعاش في دير مهجور وكان يتحين الفرصة للعودة إلى ديره المحبوب، وقد رأى رؤيتين: الأولى تحثه فيها السيدة العذراء للرجوع إلى ديره، والثانية عند وصوله للدير؛ فقد ظهرت له وقالت: «مبارك قدومك إلى هذا الدير العظيم أيها الثابت على الإيمان، تقوّ ولا تخف لأن رجوعك إلى هذه البرية المقدسة سيجتذب الكثيرين، فيأتون إليك ويعمرون الدير من جديد فتجمعهم الألفة والمحبة ويعيشون كأبائهم في ألفة الروح».

وفي هذا العصر قام المسئولون عن عمارة الأديرة بإقامة الأسوار الحصينة العالية والحصون والأبراج لا تقاوم هجمات البربر. ولكن لا نستطيع أن نقطع بوجود أسوار متكاملة عالية وحصون مرتفعة مهيأة تماماً لحماية الرهبان من الغارات العنيفة إلا في نهاية القرن التاسع، وعلى وجه التحديد سنة ٨٧٠ م. وهو تاريخ أول خبر بوجودها. وكان ذلك على يد البطريرك أنبا شنودة الأول (٨٦٥-٨٧٧ م.). وعندما اعتكف هذا القديس في دير أنبا مقار، وعانى في بداية زيارته للدير من مناوآت البربر الذين قذفوا الدير بالحجارة والطوب، فما كان من هذا القديس إلا أن صمم على تحصين كنيسة أنبا مقار بسور عال وترميم الحصن الملاصق لها وبناء قلالي جديدة للرهبان في داخل السور.

ولكن إقامة الأسوار العالية المحيطة بالكنيسة الكبيرة: أي كنيسة أنبا مقار (وكانت ملاصقة للسور الشرقي القديم ومنتهية بالسور الغربي وامتدادها جنوباً كان حتى إلى الحصن القديم)؛ كل ذلك لم يمنع وجود المنشوبيات العامرة بالرهبان في المنطقة الواسعة المحيطة بكنيسة أنبا مقار من خارج الأسوار. فالأسوار جعلت لزمن الخطر فقط.

وقد حذت المنشوبيات حذو كنيسة أنبا مقار، فأقامت كل جماعة حول منشوبيتها أسواراً حصينة نوعاً ما، فبدت المنطقة وكأنها منطقة قلاع وحصون عالية.

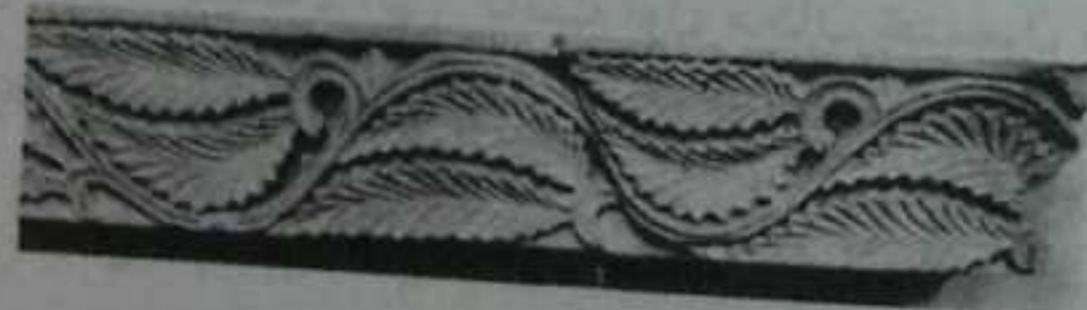
في حين أن بقية الأديرة الأخرى الثلاثة (أنبا بيشوي والسريان والبراموس) اكتفى الرهبان فيها بأسوار الدير العالية وتجمعوا جميعاً داخل الأسوار، وبدأت الحياة المشتركة الجديدة داخل الأسوار في صورتها الفاقدة لمظهر الوحدة وجوهرها، كما يصفها إقليد وايت: [نساك ساكنون في قلاع، وهذه هي الغالبية العمومية، ومتوحدون خارج الأسوار وهؤلاء قلة مستثناة] (٢).

كما يضيف إقليد هوايت قائلاً: [ظاهرتان بدتا على الحياة الرهبانية داخل الأسوار: الأولى: بدأت الجماعة تجتمع معاً لتلاوة قانون السواعي معاً في مواعيد محددة. الثانية: احتفظ كل راهب ببقية من تدبير توحيده السابق، وهو أن يعيش منفرداً في قلالية وحده يأكل ويشرب وينام وحده. وبقيت المائدة العمومية للمناسبات] (٢).

ولكن في كل ذلك بقيت جماعات المتوحدين الساكنين في المنشوبيات والقلالي المنفردة خارج دير أنبا مقار وخارج الأسوار مزدهرة وقوية حتى القرن الرابع عشر، ولكن بعد ذلك التاريخ توقف تدبير الوحدة كطقس رهباني متكامل.

ويجدر الإشارة هنا إلى أن مدافن الرهبان بقيت خارج الأسوار حتى القرن الرابع عشر، هذا ما تنص عليه المخطوطات (٣). وهذا معناه أن تاريخ الطافوس الحالي داخل دير أنبا مقار يبدأ منذ ذلك التاريخ فقط أي منذ القرن الرابع عشر، وهذا أمر يثير الحزن والشجن، فحتى الأجساد انجست مع الرهبان داخل الأسوار بغير ما سبب!

والملاحظ أنه من الأمور التي ساعدت على بقاء ازدهار الرهبنة والعمارة معاً في دير أنبا مقار أكثر من أي دير آخر بعد ذلك حتى القرن الرابع عشر هو التمسك بتقليد طبخ الميرون بدير أنبا مقار، وتقليد تجليس البطارقة في هيكل أنبا بنيامين، هذا بالإضافة إلى رسامة عدد عديد من البطارقة من رهبان هذا الدير مما جعله قبلة أنظار البطارقة والمطارنة وأراخنة الشعب والزوار؛ كل هذا بالإضافة إلى المكانة المرموقة لهذا الدير بسبب جسد القديس مقار يوس الذي ظل فيه مصدر عزاء وبركة لكافة الناس من جميع أنحاء العالم، مما جعل الكثيرين يتبارون في تقديم الأموال والمساعدات لعمارته.



(2) Ev. White, III, p. 10.

(3) كتاب تكريس الميرون: ففي تاريخ طبخ الميرون سنة ١٣٣٠ م. على يد أنبا بنيامين الثاني يذكر المؤرخ أنه في يوم أحد الخوص ركب أنبا بنيامين ركوبته من الدير حتى وصل إلى مدافن الآباء فوق الصخرة وصل على جسدي إبراهيم وجورجي.

الدراسة التفصيلية للتاريخ الرهباني والمعماري لدير أنبا مقار

الفصل الأول

من القرن الرابع حتى القرن السادس

١ - إرشاد الملاك إلى موضع الدير.

٢ - البيامون وحصن البيامون.

١ - شيهيت الأولى

يبدأ تاريخ دير أنبا مقار في المخطوطات التي تسلمت لنا بظهور الشيروبيم للقديس مقار يوس بعد نياحة القديسين الشابين مكسيموس ودوماديوس بمدة وجيزة، حيث اقتاده «إلى مكان الصخرة جنوب البحيرات في مكان غرب البئر مباشرة يعلو الوادي»^(١). وهناك باركه الشيروبيم باسم الرب وقواه وأمره أن يبني كنيسة [فقال له الشخص النوراني: اسكن هنا، واعمل لك قلاية، وابن كنيسة، فإن شعباً كثيراً يجيء إليك ويسكنون عندك، فعمل ذلك وسكن في ذلك الموضع إلى آخر نسمة من حياته. لذلك سمي الموضع بعد نياحته باسم برية مقار يوس منذ ذلك الزمان وإلى آخر الدهور لأن فيه أكمل سعيه]^(٢).

وبسكنى القديس في هذا المكان، بدأ في الحال تلاميذه في بناء القلاية في السفح تحت الصخرة^(٣) حيث بنوا أيضاً كنيسة، التي كانت أول مكان يجتمعون فيه معاً. وكان بجوارها بئر ومخبز ومطبخ وبجوارها أيضاً بيت للضيافة، وكانوا يكلفون الزائرين بالعمل إما في الحديقة أو المطبخ أو المخبز، ولم يكن يُسمح لهم بالكلام أو الأكل إلا بعد الساعة السادسة.

(١) مخطوطة ١٨ س بمكتبة دير القديس أنبا مقار. Ev. White III, p. 31; A.M.G. Amélineau, XXV, pp. 88 f.

(2) Ibid., 31.

(3) Pallad., Laus. Hist., New ed., p. 40, 41.

وحفر القديس مقار يوس لنفسه سرداباً تحت قلايته يمتد نصف ميل و ينتهي إلى مغارة مخفية كان يلجأ إليها للخلوة بسبب كثرة الزائرين له. و يقول بالليديوس أنها استغرقت منه زمناً طويلاً^(٤). وقد ذكر روفينوس أن مغارة القديس كانت مطلية بالطين^(٥).

وقد ذكر في قاموس «الآثار النصرانية» ص ٣١٢٥، أن دير أنبا مقار أقيم على موقع سكنى القديس مقار. ولما تنيح القديس مقار يوس استودع تلاميذه جسده الطاهر في نفس المغارة التي حفرها لنفسه بجوار الكنيسة^(٦).

٢ - البيامون وحصن البيامون

وأول بناء هندسي يذكره التاريخ في مجموعة قلاية دير أنبا مقار هو حصن البيامون، و يأتي ذكره في قصة استشهاد الآباء التسعة والأربعين شيوخ شيهات القديسين الذين استشهدوا في الغارة الثالثة التي حدثت سنة ٤٤٤ م.

وهنا يجدر الإشارة أن «البيامون» ذكرت مع «الإسقيط» و«نتريا» باعتبارها أماكن تجمعات Lavra أي شبه مدينة رهبانية صغيرة. وكلمة Lavra اصطلاح رهباني عند الغرب يفيد معنى دير في وضعه البدائي الأول حيث مئات القلاية المتفرقة حول كنيسة الدير. والإسقيط: أول من ذكره هو المؤرخ بطليموس أحد العلماء الجغرافيين من القرن الثاني الميلادي باعتبارها مدينة صغيرة، وأخذ عنه المؤرخ شاميليون. أما نتريا: فأول من ذكرها هو المؤرخ جيروم، وهو قديس من القرن الرابع الميلادي باعتبار نتريا مدينة صغيرة من الوجهة العمرانية الصرف: «مدينة يقال لها نتريا». أما البيامون فهي المدينة الرهبانية الثالثة التي ذكرها أميلينو (في كتابه جغرافية مصر) بقوله: [والذي صان اسم هذه المدينة من الاندثار هو مخطوط الفاتيكان الذي ذكرت فيه قصة نقل أجساد هؤلاء القديسين التسعة والأربعين شيخاً الذين ذبحهم البربر في شيهات]^(٧). وأجساد هؤلاء الشهداء القديسين دفنت في مغارة بجوار برج أو حصن هذه المدينة الرهبانية الصغيرة Lavra التي تدعى بيامون.

(4) Pallad., Laus. Hist., p. 57.

(5) Ruf., H.E., II, 4.

(٦) ملاحظة هامة جداً: إن كنيسة أنبا مقار هي لم يتغير مكانها على الإطلاق، ولكن لما تهدمت على أيدي الفرس («وادي النطرون» تأليف عمر طوسون ص ٢٠٠) كان الرهبان الشيخ يضطرون للذهاب إلى الكنائس العامة على الصخرة التابعة للمنشويات. فكان هذا تعباً عليهم جداً بالإضافة إلى أنهم لم يطبقوا أن تبقى كنيسة مقار يوس أبيهم مهدمة فأعادوا بناءها وذهبوا لأنبا بنيامين في طلب تكريسها.

(7) Amélin., Notices et Extrait, XXXIX, pp. 330, 336.

قصة استشهاد التسعة والأربعين شهيداً والبيامون^(٨)

كان على زمان ثاؤذوسيوس الملك ابن أركاديوس، أن ثاؤذوسيوس لم يكن له ولد، فأرسل إلى الشيوخ بشيئات يسألهم أن يسألوا الله من أجله فيعطيه ولداً. وكان من بين هؤلاء الشيوخ شيخ كبير يسمى الأب إيسيدوروس كتب إلى الملك يعرفه أن الله ما أراد أن يخرج منك ولد حتى لا يشارك أرباب البدع بعدك. فلما وقف الملك على رسالتهم بذلك شكر الله وسكت، فأشار عليه قوم أرباباً أن يتزوج امرأة أخرى ليرزق منها ولداً يرث الملك من بعده، فأجابهم: ما أفعل شيئاً بخلاف أمر الشيوخ ببرية مصر، لأن صيتهم كان قد خرج في أكثر الدنيا، فأرسل رسولاً يستأذنهم في ذلك. وكان للرسول ابن وحيد فطلب منه أن يصحبه فأخذه معه ليتبارك من الشيوخ. ولما وصلوا إلى الشيوخ وقرأوا كتاب الملك، وكان أنبا إيسيدوروس قد تنيح، فأخذوا الرسول وأتوا به إلى حيث جسده وقالوا للجسد: يا أبونا قد وصلت هذه الكتب من عند الملك وما نعرف بما نجاوبه. فجلس الشيخ وقال: ما قد قلته للملك أن الرب ما يرزقه ولداً، فمن أعلمه شيئاً آخر يتنجس. فلو أنه يتزوج عشر نساء فلن يرزق منهن ولد. ثم عاد القديس وانضجع. فكتب الشيوخ للرسول جواب الكتب. ولما عزم على الخروج، إذا البربر قد أتوا، فوقف شيخ كبير يقال له أنبا يونس وقال للإخوة: هوذا قد أتوا وهم لا يطلبون إلا قتلنا، فمن أراد الشهادة يقف معي ومن خاف يصعد إلى القصر (الحصن) فهرب بعضهم، وبقي مع الشيخ ثمانية وأربعون فأقن البربر وذبحوا الشيوخ، فالتفت ابن الرسول من الطريق فرأى الملائكة وهم يضعون الأكاليل على رؤوس الشيوخ المقتولين. وكان اسم الصبي ذيوس، فقال لأبيه: هوذا أنا أبصر قوماً روحانيين يضعون الأكاليل على رؤوس الشيوخ، والآن أنا ماضٍ لأخذ إكليلاً مثلهم. فأجابه والده وأنا معك يا بني. فعادوا وأظهروا نفوسهم للبربر فقتلوهم وأخذوا الشهادة. وبعد مضي البربر نزل الرهبان من القصر وضموا الأجساد معاً وجعلوهم في مغارة، فصاروا يصلون قدامهم كل ليلة ويرتلون ويتباركون منهم فجاء قوم وسرقوا جسد أنبا يونس وذهبوا به إلى البتانون وأقام عندهم مدة، ثم أعاده الشيوخ إلى مكانه. وآخرون من أهل الفيوم سرقوا جسد الصبي، وعندما وصلوا به إلى البحيرة بالفيوم خطفه ملاك الرب وأعاده إلى حيث جسد أبيه.

ولما خربت البرية خافوا على الأجساد فنقلوهم من مكانهم وأتوا بهم إلى جانب كنيسة أنبا مقار، وبنوا لهم مغارة، وعملوا عليها كنيسة في زمان ثيؤذوسيوس البطريرك.

و يقول أميلينو، وهو جازم بصحة ما يقول، أن حصن البيامون كان قائماً في الصحراء على مسافة قريبة من دير القديس أنبا مقار^(٩).

(8) René Basset, Le Synaxaire A.J., 26 Toubeh, pp. 699-703.

(9) Amélin. Geographie, p. 343.

و يعود المؤرخ العربي أبو عبيد البكري (١٠٩٤ م.) في كتابه: «المسالك والممالك» ص ٢ فيا يختص بالمدن والقرى الواقعة في الطريق من مصر إلى برقة والمغرب فيذكر أطلال هذه المجموعات الرهبانية الثلاث باعتبارها ثلاث مدن هكذا:

[وهي ثلاث مدن قائمة البناء، معظمها خالية، فيها قصور شريفة في صحراء رمل، وتلك القصور محكمة البناء (محصنة) منجدة الجدران، أكثرها على آراج معقودة (أقبية القلاي والحصون) يسكن بعضها رهبان وبها آبار عذبة قليلة الماء].

فهذه المدن الثلاث: (سكيتيس، ونتر يا، وبيامون التي في إقليم نتر يوتيس أي وادي النطرون)، التي ذكرها المؤرخون بطليموس وشميليون وچيروم وأميلينو وأبو عبيد البكري، ليست إلا مراكز أديرة وادي النطرون التي كانت منتشرة على طول الوادي على هيئة ثلاث جماعات كبيرة. وهكذا التجأت جماعة رهبان دير أنبا مقار التي كانت منطقتهم تدعى «بيامون» إلى حصنهم المدعو حصن البيامون، وتسميه إحدى المخطوطات وبها سيرة أنبا بيشوي بقلم يوحنا القصير نفسه — المحفوظة بالمكتبة الأهلية بباريس — تسميه باسم «الحصن الشرقي، حيث ذبح بجواره التسعة والأربعون شيخاً في شيئات»^(١٠)، نظراً لأن مجموعة قلاي رهبان دير أنبا مقار وحصنهم كانت تقع في أقصى الشرق بالنسبة لكل المجموعات الرهبانية الأخرى.

و يؤكد إقليم هويت مرة أخرى [إنه من المؤكد أن حصن البيامون تعود تسميته إلى أحد الآباء القديسين المدعو أمون، وهو يكون جزءاً من مجموعة مساكن Lavra القديس مقار^(١١)].

و يضيف المؤرخ إقليم وايت قائلاً:

[وذلك معناه أن دير أنبا مقار أضاف إلى مبانيه حصن البيامون التاريخي المشهور قبل منتصف القرن الرابع، الذي أصبح النواة الأولى التي قام على أساسها الحصن أو القصر القديم الحالي]^(١٢).

الإمبراطور زينو وإيلارية الراهبة ونهضة معمارية بدير أنبا مقار:

في سنة ٤٨٢ م. حاول الإمبراطور زينو (Zaënoun) توحيد الخلقيدونيين في مملكته مع اللاخلكيدونيين (الأرثوذكس أصحاب الإيمان بالطبيعة الواحدة لله الكلمة المتجسد) فأصدر، بعد مداوات ومشاورات، المنشور المسمى «هنيتيكون» أي «وثيقة الإتحاد» برجاء ضم الصفوف بعد انفصالها سنة ٤٥١ م. في مجمع خلقيدونية المشؤم. ولو أن هذه الوثيقة أخفقت في مسعاها إلا أن نتيجتها المباشرة كانت تقرب الإمبراطور زينو إلى الرهبان في شييت الذين اعتبروه ملكاً

(10) Ms., B.N., Fonds Arabe, No. 4796, fol. 162.

(11) Ev. Wh., II, p. 39.

(12) Ev. Wh., III, p. 31-32.

صالحاً ذا ميول سلامية واشتياقات وحدوية صادقة، فكرموه جداً وراسلوه وراسلهم. وكانت هذه المراسلات والتكرعات سبباً بالتالي إلى اشتياق قلب إحدى بناته المدعوة إيلارية نحو حياة النسك والمعيشة في البراري مع هؤلاء القديسين.

سيرة إيلارية وعلاقتها بالدير (١٣):

أما سيرة إيلارية (ترجمة اسمها بنت الفرح) فهي تكاد تكون طبق الأصل من سيرة أبوليناريا من كافة الوجوه، فهي تتخفى وتنزل إلى الإسكندرية ثم إلى شيهيت ويستقبلها شيخ قديس اسمه «بامو» قس شيهيت، ويُلْبَسها الزي الرهباني ويسميا «إيلاري»، وتتقشف حتى يتغير شكلها وطبيعة جسدها فقالوا إنها خصي. ثم تمرض أختها في القصر الملكي فيرسلوها إلى الشيوخ في شيهيت ويسلمونها إلى إيلارية التي تسمت بالراهب إيلاري وتصلي عليها فتشفى، وتعود بنت الملك إلى أبيها وتقص عليه خبر إيلاري الخصي الذي كان يعاملها معاملة خاصة استرعت انتباه الملك، فيرسل الملك ويستدعي هذا الراهب ليحقق في أمره فيجده ابنته التي فقدتها منذ سنين كثيرة، ولكن إيلارية تستحلفهم ليطلقوها لتكمل حياتها في البراري. فأعادوها معها خطابات توصية وأرزاق كثيرة وأموال لعمارة القلاي والكنائس، فكان ذلك سبباً في نمو الأديرة وازدهارها، وعاشت إيلارية بصفته الأولى تحت اسم إيلاري الخصي خمس سنوات، وتنيحت ولم يُعرف أنها امرأة إلا بعد نياحتها حينما أعلم القديس بامو في شيهيت الإخوة بأمرها.

وقد تنيحت هذه البارة القديسة في يوم تذكارة نياحة العذراء مريم في ٢١ طوبة، فجعلته الكنيسة تذكارة لها مع سيدتنا كلنا والدة الإله — بركة صلاتها فلتكن معنا آمين.

□

والحقيقة التي ينبغي أن ينتبه إليها القارئ أن قصص كثير من الآباء القديسين والقديسات يحوطها الغموض الشديد بسبب تمسك أصحابها بسرية أخبارهم وحياتهم وتمسك آباء اعترافهم بهذه السرية عينها مما يضطر الكاتب إلى تكميل الفجوات التي تبدو أمامه، من عنده. وهذا مما جعل كثيراً من تراجم حياة هؤلاء القديسين والقديسات متشابهة.

والذي يهمنا من قصة إيلارية ثلاثة أمور:

الأول: الناحية الروحية: كيف تستطيع شابة رهيبة بنت ملك أن تحيا حياة الشظف والجهد والجوع والفقر المتواصل مما يوبخ ضمائر الشباب الذي يستصعب حياة القداسة والنسك.

الثاني: جرأة آباء الاعتراف الأوائل في تحمل مسؤولية إعالة شابة في هذه البراري مما يوبخ

ضمائر آباء الاعتراف الذين يحجزون الشباب عن تكريس حياتهم ناظرين إلى الصعوبات التي تعترضهم في البراري أو إلى أحزان أهلهم.

الثالث: البركة العظيمة التي صارت لبراري شيهيت بسبب رهينة هذه الفتاة القديسة، إذ صارت واسطة صلح وسلامة بين إمبراطور الروم ورهبان مصر مما كان له أثر كبير على نمو الرهينة وازدهار عمارة الأديرة، إذ تقص علينا المخطوطة السريانية التي تحمل سيرة هذه الراهبة المغبوطة ذات الذكرى العاطرة السعيدة هكذا:

[وأخبرت إيلارية أباه الملك أن في شيهيت متوحدين لا يجدون المأوى ولا الماء للشرب، ويعيشون حياة مضيئة غاية التعب لبعدها عن المياه، ولا يجدون قدرة على البناء، ولا المواد التي تلزم البناء متوفرة هناك، وترجت أباه أن يرسل معها من ياتمنه لكي يحفر الآبار للآباء والمغانر المريحة للذين يتعشقون العبادة في الخفاء... فأرسل الملك معها إنساناً مؤتمناً وزوده بالأموال اللازمة للإنفاق على عمارات الأديرة وإقامة حصون فيها للنجاة، فذهب وعمل ما أوصاه الملك وأقام منشوبيات كثيرة (حول دير أنبا مقار) وبيوتاً حصينة (أبراجاً)، وبني كنائس في كل البرية وخصوصاً كنيسة أبو مقار في وادي هيب [١٤]، [وقرر الملك أن يكون للأديرة في شيهيت من مخصصات الملك ثلاثة آلاف أردب قمح وستمائة مكيال زيت كل سنة وهي عادة مستمرة حتى اليوم] [١٥].

و يقرر المؤرخ إفلين هوايت مع كل المؤرخين القدامى والمعاصرين أن قصة إيلارية بالرغم مما يبدو فيها من الخيال إلا أنها حقيقة تاريخية مدموغة بكل صحة و يقين.

الإمبراطور زينو وهندسة الدير:

وهكذا لم ينته القرن الخامس (٤٨٢ م.) حتى بدأت العمارة الهندسية للدير تأخذ وضعها التأثيري بفضل المساعدات التي انهالت على الدير من الإمبراطور زينو، وهو — كما قلنا — الإمبراطور الذي كان ذا ميول سلامية لوحدة الإيمان. وأصدر الهنيتيكون أو وثيقة الإتحاد سنة ٤٨٢ م. وقد توفي سنة ٤٩١ م. وتاريخ البطاركة يذكر هبات هذا الإمبراطور الصالح فيقول: [وكان يوحنا الناسك (ربما قص دير أنبا مقار) يعيش في زمن الملك زينو ذلك الرئيس الصالح. ولما علم زينو بإيمان يوحنا وطيبته، أمر في أيامه أن يرسل إلى دير أنبا مقار كل ما يحتاج إليه الدير من قمح ونبيد وزيت وما يحتاجون إليه لأجل تأسيس القلاي].

وهكذا قامت المنشوبيات المحصنة، وارتفع حصن الدير، وبُنيت كنيسة أنبا مقار (١٦) التي أخذت نصيبها من الإتساع ومن العمارة اللائقة لتكون الأساس الدائم الذي ظل يتجدد من قرن إلى قرن.

(14) Syriac Vers. & Karshuni, Wensinck, p. 62.

(15) R. Basset, p. 602. (16) H. N. S., II, 1 § 3.

(13) (a) Amelineau in P.S.B.A., X, pp. 194 f. (b) Giron, Légendes Coptes, pp. 44 f. (c) Syriac V.: Wensinck's Legends of East. Saints, II. (d) Coptic V.: Ibid. (e) Synax., R. Basset, pp. 590 f.

قديسو دير أنبا مقار في القرن السادس

أنبا دانيال قص شهيت:

في مستهل هذا القرن وحتى السبعينات منه، ظل اسم أنبا دانيال قص شهيت يملأ الوادي كله، ليس وادي النظرون فحسب بل وادي النيل، فقد كانت قداسة هذا الأب الفاضل وحكمته وإفرازه الروحي سبب إحياء شهيت بعد نكسة خلقيونية المرة التي أطفأت جذوة المحبة والحرارة بين النساك بسبب الإضطهاد والتشتيت.

وسيرة هذا الأب غير مكتوبة، ولكن أول من جمعها من شتات المخطوطات اليونانية والقبطية والسريرية والحبشية والعربية (١٧) هو العالم المدقق إقليد هويت، وأضاف إليها عدة ملاحظات وردت في السنكسار الحبشي (هملا ١) والمرج الروحي ليوحنا موسخوس (١١٤).

ولد هذا القديس في سنة ٤٨٥ م. (٥) لأن في سيرته نعلم أنه كان ابن أربعين سنة لما عثر أولوجيوس (أحد الأشخاص البارزين في سيرة دانيال القصص) على الكنز الكبير، وأولوجيوس معروف أنه عثر على هذا الكنز على وجه التحقيق سنة ٥٢٥ م.

وتقول المخطوطات أنه ارتحل إلى برية شهيت وهو صبي صغير. ولا ندري كيف كانت رهبنته، ولكن قيل أنه وقع في أسر البربر ثلاث مرات في مدة رهبنته المبكرة، ولعلها كانت لسبب كثرة حبه للإرتحال والدخول إلى البرية الجوانية. وفي أول مرة ظل أسيراً لمدة سنتين وقد عتقه من الأسر رجل بحار (دفع ثمن رقبته)، وفي ثاني مرة هرب من الأسر بعد ستة شهور، أما ثالث مرة فقد فرغ صبره وأتى عملاً عنيفاً، فقد صرع أسيره بحجر أرداه قتيلاً، وهرب، ولكنه ظل تحت عذاب الضمير طول حياته، فذهب إلى بابا الإسكندرية أنبا تيموثاوس الثالث (٥١٨-٥٣٦ م.) وسأله عن العقوبة التي ينبغي أن يتحملها ليكمل توبته، ولكن تيموثاوس حاول عبثاً أن يرفع عن ضميره ثقل هذا الكابوس، عندما أراد أن يقتعه أن الرجل الذي أسره هو في مرتبة الوحوش الكاسرة المفترسة، والدفاع عن النفس لا يكون إلا بقتلها؛ فلم يقتنع ورحل إلى روما، فقالوا له ما قاله تيموثاوس، فلم يسترح. ومنها أفلح إلى القسطنطينية ثم أفسس ثم أورشليم ثم أنطاكية ليسأل أساقفتها، فلم يسترح. وأخيراً عاد إلى الإسكندرية وسلم نفسه للسلطات القضائية باعتباره قاتل نفس، ولكن القاضي أخلى سبيله وتمنى لو كان قد قتل سبعة برابرة آخرين.

(٥) وتذكر مخطوطة س ٣ ورقة ٥٦ مكتبة دير أنبا مقار أنه وُلد في الصعيد.
(17) Greek, Coptic, Syriac Versions of Ms., are edited by: Clugnet, Guidi & Nau, respectively in Vie et Récit de l'Abbé Daniel le Scétiote (R.O.C., V, pp. 49 f., 254 f., 370 f., 535 f). The Ethiopic Version is edited by: Goldsmith, E. Periera.

وأخيراً لجأ إلى أعمال النسك والرحمة ليعزي ضميره، فأضاف في قلايته رجلاً كسيحاً مقعداً أخذ يعتني به بنفسه.

دانيال وألوجيوس قاطع الأحجار:

وتتخلل حياة دانيال قصة أولوجيوس قاطع الأحجار الذي صلى دانيال من أجله على أن يكون ضامناً له ليعطيه الرب مالاً ينفقه على نفسه وعلى ضيوفه، لأنه كان يحب ضيافة الغرباء الذين كان دانيال واحداً منهم، إذ اعتاد أن يزوره في كوخه الصغير. وفعلاً وجد أولوجيوس كنزاً كبيراً ولكنه بدلاً من أن يكون مضيفاً كريماً ذهب إلى القسطنطينية يطلب وظيفة وجاهاً لدى الملوك. واشترك أولوجيوس في مؤامرة سياسية ضد جوستينيان سنة ٥٣٢ م.، وكان وشيك الوقوع في القبض لولا أنه هرب من القسطنطينية تاركاً كل ثروته وعاد إلى مصر إلى مهنته الأولى، وبالتالي إلى فقره الكريم وغنى محبته في إضافة الغرباء. فتعلم دانيال أن لا يكون ضميناً لغنى ولا مشتهياً للغنى سواء لنفسه أو لغيره.

دانيال والراهب الهبيل:

وكان دانيال قصصاً على شهيت قبل سنة ٥٣٥ م. (السنة التي بدأ فيها النزاع مع الغيانين)، وقام كعادة رؤساء شهيت بزيارة بابا الإسكندرية في عيد الفصح. [وهناك كشف دانيال للبابا عن شخصية أحد القديسين الرهبان الذين كانوا يعيشون عيشة النسك الشديد وإنكار الذات في زي شحات فقير يتظاهر بالبلاهة حتى يخفي أعمال حسناته و يكفر عن حياة الخطيئة التي عاشها سابقاً، وكان اسمه مرقص، وقد كشفه دانيال بالزوح عندما وجده على باب البطريركية يطلب حسنة، وقد اعترف مرقص للبابا بكل سيرته. ولما أحضره بالكرامة وأدخلوه دار البابا وجدوه ثاني يوم راقداً وقد تنسح. فكان لنياحته أثر كبير في نفس البابا الذي كرم جنازته إذ أرسل يستدعي قديسي شهيت ونتريا، ودعا كل أكابر الإسكندرية الذين اشتركوا في تشييع جنازته بكرامة فائقة. وقد حضر فعلاً كثيرون من قديسي شهيت بملابسهم البيضاء وكل نساك الإيناتون والبيمبتون (الدير التاسع والدير الخامس الذي كان يعيش فيه مرقص سابقاً) وكل أديرة ظاهر الإسكندرية، وخرج الشعب وراء نعشه بالأغصان والشموع والدموع.]

دانيال والراهبة الهبيلة (١٨):

وعلى نفس مستوى القصة السالفة قصد أنبا دانيال ديراً للراهبات وأخذ تلميذه معه، وكشف بالروح أمر الراهبة التقية التي كانت تعيش بإرادتها كهبيلة داخل ذلك الدير لتكسب فضيلة تحمّل الإهانات التي كانت تنهال عليها من كافة أخواتها حتى من الرئيسة نفسها، فلما كشف

(18) Clugnet, Vie de L'abbé Daniel, pp. 24, 25.

أمرها القديس دانيال وأراها للرئيسة وهي في حالة تجلي، والنور ينبعث من جسدها وهي واقفة للصلاة خفية في قلايتها في نصف الليل، كان ندم الرئيسة كبيراً وكان حزن الأخوات المستهزئات بها لا يوصف. أما هي فلما رأت أن سيرتها انكشفت وأنهن مزعمات أن يكرمها هربت وتركت اعتذاراً ومدحاً لمن على ورقة ثبتتها على قصبه واختفت قبل أن يبزغ نور النهار!...

دانيال يهب البنين بالصلاة ويدافع عن سر قداسته (١٩):

وكان دانيال يعيش عيشته النسكية في شيهيت كأبي متوحد من متوحيدي ذلك الزمان، يكذب بيديه ويبيع شغله في ترنوط (الطرانة) التي كانت سوقاً كبيراً لمبيعات أعمال الرهبان وقضاء حاجاتهم المعيشية، كما يجزنا السائح يوحنا موسخوس في المرج الروحي. وبينما هومرة في سوق ترنوط أتاه شاب متوسلاً أن يأتي ويصلي على زوجته لكي يهبها الله ولدًا، فلما أنجبت الشابة وليدها في الميعاد أشاع أناس أشرار من أرباب السوء الذين يتكلم الشيطان على أفواههم دائماً لإزعاج قديسي الله وبلبله أفكار الناس من جهة قداسته قديسيه أن الولد هو ابن دانيال. فما كان من القديس لما سمع هذا إلا أن أحضر الصبية والزوج والولد في وسط الناس وأمام هؤلاء الأشرار وحمل الولد على ذراعيه وأمره أن يتكلم من هو أبوه؟ فأشار الولد بيده إلى أبيه وفتح فمه وهو ابن أسبوعين وقال: «هذا أبي».

دانيال وأسفاره الكثيرة:

ويؤخذ على هذا القديس أنه كان كثير الأسفار والتنقل، فعرف أنه زار روما والقسطنطينية وأفسس وأنطاكية وأورشليم يسأل أساقفتها، ومرة أخرى نسمع أنه سافر إلى القسطنطينية ليقنع أولوجيوس قاطع الأحجار أن يعود إلى رشده، ثم نجده في صعيد مصر (٥) حيث قابل أولوجيوس هناك، وفي أديرة للراهبات الباخومييات بطنبيس (إسنا) يكشف أمر الهبيلة، وفي الإسكندرية يطوف بأديرة الساحل في ظاهر المدينة. ولكن إقليين هويت (٢٠) يدافع عن دانيال، إنما في ريبة وشك أنه ربما يكون ذلك بسبب إضطهاد خلقيدونيا والغيانين مما فرق شمل الأرثوذكس (التيودوسيين) وجعلهم يغادرون دير أنبا مقار تحت وطأة التهديد بالضرب والقتل.

دانيال والقديسة أنستاسيا:

من أشهر القصص التي تروى عن أنبا دانيال قصص شيهيت قصة القديسة أنستاسيا والتسعة والأربعين شيخاً شهداء شيهيت. ويقول كاوفنبرج المؤرخ الذي جمع شذرات هذه السيرة أن

(19) John Moschos, Patrum Spiritualia., CXIV.

(20) Ev. White, II, p. 244.

(٥) ذكرت مخطوطة س ٣ رقة ٥٥ مكتبة دير أنبا مقار أن القديس دانيال توجه دفعة إلى صعيد مصر ومعه تلميذه، ووصلوا ضيعة صغيرة، فقال الشيخ: ههنا نقيم اليوم. فتذمر تلميذه قائلاً: إلى متى نطوف؟ سر بنا إلى الإسقيط.

أنستاسيا هذه هي إحدى الشماسات اللاتي هربن مع أنبا ساو يرس بطريرك أنطاكية إلى مصر (٢١) سنة ٥١٨ م. والمعتقد أنها كانت متزوجة أحد القناصل وكان لها ابنة كانت من خواص أنبا ساو يرس بطريرك أنطاكية، والتي كان يرأسها (٢٢). ويقرر المؤرخ كلونييه أنها كانت من عائلة غنية من أكابر المدينة (٢٣) «بطريقة» (وهذه اللفظة منقولة حرفياً من الكلمة اليونانية «باتريك»). وتحت الخوف من تهديدات الملك جوستينيان للأرثوذكس هربت من أنطاكية مع البطريرك أنبا ساو يرس وحضرت إلى الإسكندرية في زي أستاذ وترهبت (٢٤)، وعمرت ديراً على نفقتها سُمي فيما بعد «دير السيدة النبيلة»، عند الميل الخامس في ظاهر الإسكندرية. وعاشت هناك حتى زمن وفاة الإمبراطورة ثيودورا (سنة ٥٤٨ م). وعندئذ بدأ جوستينيان من جديد اضطهاده للأرثوذكس الهاربين من وجهه، فهربت أنستاسيا مرة أخرى متخفية في زي راهب بسبب ذبوع شهرتها واسمها في شيهيت حيث توجهت إلى دير القديس أنبا مقار وسجدت تحت أجساد الشهداء التسعة والأربعين (٢٥)، وصلت فسمعت منهم في قلبها مشورة أن تسلم حياتها للقديس أنبا دانيال الذي كان وقتها قصاً على شيهيت، الذي أخذ اعترافها وآواها في مغارة تبعد عن الدير ١٨ ميلاً حيث عاشت متوحدة حبيسة لا تخرج إلا لزيارة أنبا دانيال مرة كل أسبوع لأخذ الأسرار المقدسة. وكان يعولها أحد أولاد أنبا دانيال الأكفاء المخلصين. وظلت هذه الحبيسة تمارس عبادتها ونسكياتها وتقدم صلواتها الطاهرة عن العالم ثمانية وعشرين سنة في مغارتها بعد مجيئها إلى شيهيت. وفي أحد الأيام ذهب التلميذ كالعادة ليعولها بالماء والخبز فوجد خارج القلاية (إذ كان لا يقابلها ولا يراها) شقفة (كانت إحدى الوسائل السائدة لكتابة الخطابات في ذلك العهد) مكتوب عليها: «احضر ومعك الأدوات» (وكانت تقصد الأسرار، والفأس لدفنها). فلما قرأ التلميذ الشقفة علم أن المتوحد الحبيس يحضر، فجرى بسرعة إلى معلمه الذي حضر ومعه الأسرار وأدوات الدفن، فوجدها تلفظ أنفاسها الأخيرة. فأخذ آخر الكلمات من فمها الطاهر وناولها من الأسرار المقدسة ثم كشف لتلميذه سر حياتها وقاما بدفنها معاً. وهكذا عاشت هذه القديسة كأحد رهبان دير أنبا مقار من سنة ٥٤٨ م، وهو ميعاد مجيئها لتسجد في دير أنبا مقار، وهو نفسه تاريخ نياحة الإمبراطورة ثيودورا، حتى سنة ٥٧٦ م، وهو ميعاد نياحتها.

وتعيّد لها كل من الكنيسة القبطية في يوم ٢٦ طوبة والكنيسة اليونانية أيضاً، وهو يوافق نفس اليوم الذي تعيّد فيه الكنيسة لاستشهاد التسعة والأربعين شهيداً شيوخ برية شيهيت.

(21) Cowvenbergh, Hist. Patr., p. 189.

(22) Select Letters of Severus, Section X, No. 8.

(23) Clugnet, Vie de L'abbé Daniel, pp. 2 f.

(24) Synax. R. Basset, p. 365, 8 Bachons.

(25) Notices et Extraits, XXXIX, p. 349.

أبنا دانيال وأثناسيا وزوجها أندرونيكس (٢٦):

توضع هذه القصة دائماً في مقدمة القصص المنسوبة لأبنا دانيال قصص شهيبت لما فيها من طرافة.

كان أندرونيكس هذا صانع فضة، وكان هو وزوجته من الأثرياء ومن كرام شخصيات أنطاكية. وقد أصيب هذان الزوجان بتجربة شديدة وهي موت أولادهما جميعاً فجأة، وفي حزنهما قررا أن يترهبيا، فتركا كل أموالهما وخرجا يبحجان إلى أورشليم ومنها انحدرا إلى مصر وذهبا وتبركا من كنيسة أبنا مينا في الإسكندرية (٢٧). ومن هناك انحدر أندرونيكس وحده إلى شهيبت ليستبارك من أديرتها الطاهرة وقابل أبنا دانيال قصص شهيبت وقص عليه قصته هو وزوجته، فأمره بالذهاب إلى الإسكندرية وأن يستودع زوجته إحدى أديرة الراهبات التي هناك وأعطاه خطاب توصية لرئيسة الدير، فعمل أندرونيكس كل ما أشار به أبنا دانيال، وعاد إليه حيث ألبسه الزي المقدس وعلمه التدبير الرهباني، وعاش أندرونيكس متملماً على يدي أبنا دانيال اثنتي عشرة سنة، ولكنه عاد وأراد أن يزور الأماكن المقدسة بأورشليم (شأن جميع الذين يكون معهم أموال). وفي الطريق تقابل مع راهب قاصد هذه الديار المقدسة أيضاً وتحدث معه ولم يعرفه أنه هو أثناسيا زوجته!! لأنها كانت متخفية في زي رجل راهب! وتعاهدا في الطريق أن يعيشا معاً عند عودتهما، وتما ذلك فعلاً فأتيا وعاشا بالإسكندرية في الدير المدعو «أوكتوكا يديكاثون» أي «الدير الثامن عشر». ومكثا هناك معاً اثنتي عشرة سنة يزورهما أبنا دانيال من حين لآخر. وأخيراً ماتت أثناسيا فعرف زوجها أمرها بعد هذه السنين الطوال؛ ولكن أندرونيكس لم يعيش بعدها كثيراً، إذ تنيح بعد قليل ودُفن بجوارها. (ولا تخلو هذه القصة من ملابسات نسجتها براءة المؤلف).

أبنا دانيال يواجه العذابات من أجل الأمانة المقدسة (٢٨):

وفي سيرة حياة أبنا دانيال يسجل الكاتب قصة العذابات التي تحملها هذا القديس في سبيل الأمانة المقدسة: إذ لما كان بشهيبت وحضر مندوب الملك چوستنيان ليضطر الرهبان على الموافقة على عقيدة خلقيدونيا، وقف دانيال بصفته قصص شهيبت وشجب طومس لاون وعقيدة خلقيدونيا علناً أمام الوالي وثبت إيمان الآباء وقوى شجاعتهم، فما كان من الوالي والجنود إلا أن أوقعوا به ضربات كثيرة حتى قارب الموت، وبعدها قام هو وكثير من الآباء وانحدروا إلى نواحي مصر وتشتتوا في البلاد. وتقول سيرة حياته أنه التجأ إلى مدينة تسمى «تامبوك» (مركز شبراخيت) حيث أقام بجوارها ديراً ومكث فيه يجاهد بإماتات كثيرة حتى مات چوستنيان سنة ٥٦٥ م.

(26) Clugnet, Vie de L'abbé Daniel, p. 50 (not Menas Sanc. found by Kaufmann).

(27) Coptic text, edited by Guidi, see Clugnet, pp. 95 f.

(28) Clugnet, pp. 95 f.

حينئذ قام وعاد إلى شهيبت إلى ديره حيث كانت الأديرة في ذلك الوقت قد دخلت في عصر نهضة ونشاط روحي، حيث يقول كاتب تاريخ البطاركة في سيرة أبنا بطرس الرابع (٥٦٧-٥٦٩ م.): [وكانت الأربعة الأديرة في ذلك الوقت تُبنى وتنمو مثل الغروس الناضرة التي في الحقل، وكان الشعب يأتي إلى الأديرة بكل ما تحتاج إليه من جهة البناء والتعمير] (٢٩). وربما كان لصيت أبنا دانيال وقداسته دخل كبير في هذا النشاط وفي مجيء أفواج الزائرين للتبرك والإشارة وخصوصاً في دير أبنا مقار.

نياحة أبنا دانيال بعد الغارة الرابعة مباشرة (٣٠):

تقول المخطوطة القبطية أن أبنا دانيال تلقى إعلاناً سماوياً بعد وقوع غارة البربر الرابعة على شهيبت سنة ٥٧٠ م.، إذ بينا كان في نسكه وصومه وإماتاته الكثيرة أتاه ملاك في أول بشنس وأعلمه أن يوم نياحته قد قرب. وفي اليوم الثامن من بشنس تنيح وهو يقول:

[ياربي يسوع المسيح حبيب روحي إقبل نفسي بين يديك].

وهكذا تنيح هذا القديس عن ٨٥ سنة قضاها في النسك والتطواف.

وتعيد له الكنيسة في اليوم الثامن من بشنس، ويذكر اسمه في القداس مرتين: مرة في المجمع وهذا يقوله الكاهن، ومرة في لحن «بي نيشتي» الذي يقوله الشماس.

وفي الحقيقة قد أساء المؤرخون القدماء والمحدثون لشخصية هذا القديس كثيراً باعتباره من أصحاب عقيدة «الطبيعة الواحدة لله الكلمة المتجسد» ومن المجاهدين الأبطال، فحاولوا تلويث اسمه وسمعته كثيراً، ففهم من قال أنه يوناني الأصل ومنهم من قال أنه شخصية خيالية؛ وكل ذلك لأنه كان أبرز القديسين فيما بعد خلقيدونية، فكان أحد الضحايا التي فتك بها المؤرخون كمحاولة لتحطيم سمعة الأقباط الراسخين على عقيدة آباءهم المستقيمة. اذكرنا أيها القديس المجاهد واعطنا اعترافاً حسناً في لحظات الآلام والإضطهاد.

البدعة الغيانية وكنيسة المغبوط أريستوماخوس:

ظل هذا النشاط المعماري في أوجه حتى القرن السادس: وبالتحديد حتى سنة ٥٣٥ م. (٣١) عندما قامت البدعة الغيانية Gaiñites نسبة إلى غايانس. وغايانس هذا اسكندري الجنس، شماس كبير السن، من شيعة المانين (٣٢). كان ذا معرفة مع كبرياء وتعظم، وكان صاحب بدعة القائلين بعدم تألم المسيح بالجسد، إذ نسبوا آلام المسيح إلى الخيال أو الظاهر فقط، وكان

(29) Hist. of Patr., Evetts., p. 209.

(30) Ev. White, II, p. 250.

(31) Ev. White, II, p. 96.

(32) Ev. White, p. 229.

تابعاً في معتقده لأسقف يوناني خلقيدوني يسمى «يوليانس» أسقف هاليكرناسوس في «أرخيبيل اليونان» (٣٣)، فتشيع له بعض الإسكندرانيين وأخذوه ورسموه بطريركاً سراً، مع أن ثيودوسيوس الأول البابا الـ ٣٣ كان جالساً على عرش مارمرقس آنذاك. وكان حينئذ أنبا ساو يرس بطريرك أنطاكية قد التجأ إلى مصر (٣٤) بعد نفيه من كرسيه سنة ٥١٨ م. وكان يعيش في الأديرة متنقلاً من دير إلى دير يشدد الرهبان ويثبتهم في العقيدة الأرثوذكسية الصحيحة. ولما بلغ دير أنبا مقار قاومه المنشقون وضربوه هناك — كما يروي لنا السنكسار الأثيوبي (٣٥).

وقد نشأ عن هذه البدعة بلبلة وانقسام عانت منها الكنيسة أشد معاناة. وتشيع لهذا المبتدع بعض الرهبان من جماعة دير أنبا مقار. ويقص كتاب تاريخ البطارقة هذه القصة هكذا: [وقد وقع في هذه المرطقة في دير أنبا مقار كثير من الرهبان ما عدا سبعة منهم أنار الرب قلوبهم، عند ذلك قام عليهم الذين وقعوا في بدعة غايانوس وقتلوا منهم إثنين وتفرق الباقون، وبدأوا يقيمون القداسات في منشوبياتهم في دير أنبا مقار].

وقد وقع هذا الحادث قرب نهاية بطريركية أنبا تيموثاوس الثالث ولكن قبل سنة ٥٣٥ م.

ويعود تاريخ البطارقة ويكمل هذه الحادثة المؤلمة هكذا:

[وبقوة ونعمة الروح القدس جاءت مساعدة للرهبان الخمسة الذين بقوا من السبعة، فاستطاعوا أن يقنعوا الرهبان المنشقين برفض هذه البدعة].

وربما تكون هذه المساعدة قد أتت بفضل أنبا ثيودوسيوس الأول بعد نياحة سلفه، وذلك في سنة ٥٣٥ م. ويُعتقد أنها جاءت بتوسط أرخن مبارك متقرب للولاة يدعى دوروثيوس يقول عنه تاريخ البطارقة: [رجل يدعى دوروثيوس كان يعنى بأمر الشيوخ الرهبان الذين رفضوا هرطقة جايانوس. وقد سُمع لهذا الرجل أن يزور حاكم مصر المدعو أريستوماخس ورجاه أن يشمل الرهبان الشيوخ المقيمين في برية شيهيت بعطفه فيسمح لهم بأن يقيموا كنائس وأبراجاً (حصوناً) عوض تلك التي انتزعها منهم يوليانس. فأمر الحاكم بأن يسمح لدوروثيوس بأن يصنع ما يريد] (٣٦)، وهذه المساعدة هي التي تلقاها الرهبان الخمسة في عزلتهم بدير أنبا مقار، أي

(٣٣) وهو أسقف يوناني خلقيدوني طرد من كرسيه عام ٥١٨ م. وقد وصف الأسقف يوحنا النقيوسي المؤرخ (٥) عقيدته بأنها كانت تشلخص في اعتقاده بأن جسد المسيح كان قابلاً للفساد وإلا ما كان يمكن أن تقع عليه الآلام، فقام القديس ساو يرس الأنطاكي الذي كان قد نفي من كرسيه على يد الخلقيدونيين وقاومه مبرهنناً أن الجسد كان غير قابل للفساد. وقد وضع في الأجيبة في صلاة الساعة السادسة جملة ترد على هذه المرطقة: [نسجد لشخصك غير الفاسد أيها المسيح إلهنا].

(*) John of Nikia, Chronic; XCIV.

(34) Hist. of Patr., Evetts, pp. 189.

(35) Conflict of Sev., Ethiopic Ed. (Goodspeed & Crum, p. O., IV, pp. 714-15).

(36) Hist. of Patr., pp. 133 f.

مساعدة الوالي التي لا بد أنها كانت مشفوعة بأوامر وأموال التي بواسطتها أقام الرهبان الكنيسة المعروفة بكنيسة أريستوماخس وحصنها الملاصق لها. فانقسم الدير، ونتج عن ذلك أن انفصل جماعة الغايانيين، وكانوا الحزب المشاكس الذين تملقوا يوليانس فأمدتهم بالمساعدات واغتصبوا لأنفسهم كنيسة وحصناً مستقلاً.

ولكن سرعان ما تم الصلح بين البابا ثيودوسيوس وغايانوس على يد والي البلاد بإيعاز من الإمبراطور يوستينيان، على أساس أن يتنازل غايانوس عن البطريركية (التي ظل فيها سنتين)، ورضي أن يعود برتبة رئيس شمامسة كسابق عهده، فعاد الهدوء والسلام سريعاً في الكنائس والأديرة.

ولكن ظلت بذور هذه البدعة ضاربة في أعماق البراري بين الرهبان وبالأخص في إقليم المونا (القلالي)، ووجدت بين كثيرين منهم متسعاً للنقاش والجدل حتى إلى قرن ونصف، أو بحسب التحديد الذي يذكره تاريخ البطارقة حوالي ١٧٠ سنة منذ أيام يوليان وغايانوس حتى أيام يوحنا أسقف صا سنة ٧٠٥ م.، الذي قام بنفسه بحملة توعية وعمد من تبقى من الرهبان الغيانيين المنشقين في منطقة المونا، وذلك في بطريركية اسكندر الثاني (٢٥ أبريل سنة ٧٠٤ م.) (٣٧).

وهذه الكنيسة الجديدة التي بنيت بمساعدة أريستوماخس لأتباع ساو يرس هي الكنيسة المشار إليها في جميع المخطوطات القبطية بكنيسة «المغبوط أريستوماخس» (٣٨).

والمعروف في التاريخ على وجه الصحة واليقين أن أريستوماخس هذا كان فعلاً والياً صالحاً على البلاد أحب المصريين جداً وساعدهم كثيراً (على يد الأرخن دوروثيوس)؛ وقد أقامه الإمبراطور يوستين الثاني بدلاً من الوالي السابق أبوليناريوس الذي كان خلقيدونياً متعصباً وكان عمله الوحيد هو بذر الشقاق والإيقاع بالأساقفة ونفيهم، فقد نفي كل الإكليروس وطردهم من الإسكندرية، فتوجه معظمهم إلى دير أنبا مقار حيث كانت تقام جميع الإحتفالات الرسمية من تكريس ميرون أو رسامة أساقفة أو حتى رسامة البطريرك نفسه طوال هذه الفترة (٣٩).

ومن أعمال أريستوماخس العجيبة أنه أوعز للأساقفة سراً، وبدون علم الإمبراطور، بالذهاب لأحد الأديرة ورسامة بطريرك جديد لهم عوض البطريرك ثيودوسيوس الأول الذي مات منفياً في سجون القسطنطينية (٤٠).

(37) Hist. of Patr., pp. 316 f.

(38) Amélineau, Notices et Extraits, XXXIX, p. 353.

(39) Ev. White, III, p. 231-32.

(٤٠) قصة الكنيسة القبطية، الجزء الثاني — إيريس حبيب المصري — ص ١٥٨.

هذا هو أريستوماخس الذي انفق على عمارة الكنيسة المذكورة باسمه وعلى حصنها الذي نعتقد أنه كان ملاصقاً لها من الجهة الشرقية والذي كانت قلايته السفلية ملاصقة لهياكل الكنيسة.

ولم تكد تنتهي عمارة الكنيسة المذكورة «أريستوماخس» وحصنها حتى كان قد تم الصلح والسلام وتنازل غايانوس عن موقفه، فحضر البابا ثيودوسيوس وكرسها بنفسه في سنة ٥٣٥ م. وضمت إلى مباني الدير^(٤١)، وكانت تدعى بالكنيسة القبلية. وهذه الكنيسة يعتقد أنها سميت فيما بعد باسم الشهيد أبسخيرون القليني، لأن الأقباط ليس من عاداتهم إطلاقاً أن يسموا كنائسهم بأسماء الولاة، وهي معروفة في المخطوطات أيضاً باسم الكنيسة القبلية، بحسب موقعها من الكنيسة الكبيرة الجامعة، كنيسة أنبا مقار.

كنيسة أريستوماخس وأجساد الشهداء:

وهذه الكنيسة ضمت أجساد التسعة والأربعين شهيداً شيوخ شيهيت (شرقي الهياكل أي في أسفل صحن الكنيسة) مدة مائة سنة تقريباً، أي من منتصف القرن السادس حتى منتصف القرن السابع في أيام البابا بنيامين الأول (٣٨) الذي أمر برفع الأجساد ووضعها في كنيسهم الخاصة التي كرسها في ٥ أمشير^(٤٢). وكان ذلك في أيام القمص يوحنا قص شيهيت.

الإضطهاد الخلقيدوني وزيادة عمارة الدير:

وظلت العمارة قائمة في دير أنبا مقار على أوج نشاطها، وعدد الرهبان يزداد في شيهيت حتى بلغ ٣٥٠٠ راهباً في منتصف القرن السادس، وذلك في زمان القديس أنبا دانيال قص شيهيت المشهور وبعده أيضاً، وذلك بسبب انتقال كرسي البطريركية من الإسكندرية إلى دير أنبا مقار بسبب النزاع الخلقيدوني^(٤٣).

يقول سعيد بن بطريق الملقب بأفتيخوس وهو بطرك الملكيين الذي عاش في النصف الأول من القرن العاشر أن النزاع الخلقيدوني في أيام الإمبراطور چوستنيان أدى إلى زيادة اتساع وأهمية دير أنبا مقار^(٤٤).

وفي هذا الزمان كان قص دير أنبا مقار يدعى يوحنا ويساعده القمص صموئيل^(٤٥)، وهو

(41) Ev. White, III, p. 231-32.

(42) Synax. Basset, p. 668; Hist. of Patr., p. 193.

(43) H.N.S., II, III, ch. 2,3.

(٤٤) أديرة وادي النطرون، للدكتور منير شكري، ص ١٥٧.

(٤٥) قصة الكنيسة القبطية، الجزء الثاني - إيريس حبيب المصري - ص ٢٤٢.

الذي عُرف فيما بعد بالقديس أنبا صموئيل المعترف قص القلمون الذي تولى الدفاع عن الإيمان المستقيم أمام قورش والي البلاد الخلقيدوني داخل كنيسة أنبا مقار الكبرى ومزق طومس لاون، فضُرب حتى قارب الموت وحملوا جسده إلى الجبل الذي يقع قبلي الدير حتى عوفي، فقام وغادر شيهيت إلى برية النقلون بالفيوم، وبعدها أقام في الدير الذي عُرف باسمه فيما بعد (دير القلمون بوادي الريان)^(٤٦).

أما القمص يونس فلما علم بقرب قدوم البربر (سنة ٥٧٠ م.) حمل أواني البيعة ونفائسها وأموالها المرصودة لعمارة الدير وخرج ليدفنها على الصخرة بقرب البحيرة، فلاقاه البربر وأخذوه أسيراً^(٤٧)، والتقى في الأسر - بعد أربع سنوات - مع القمص صموئيل قديس القلمون، الذي كان قد أُسر هو الآخر وهو يصلي في دير أنبا صموئيل بالقلمون.

انتهاء نشاط العمارة بغارة البربر سنة ٥٧٠ م. التي دامت حتى نهاية القرن السادس:

ولكن فجأة توقفت العمارة بحدوث غارة البربر التي اجتاحت الأديرة كلها سنة ٥٧٠ م. وما بعدها، إذ ظل البربر مرابطين حول الأديرة ما يقرب من خمسين سنة يعاودون النهب والسلب ويجردون الرهبان من قلايهم وأمتعتهم حال ظهورهم خارج منشوبياتهم المحصنة.

وهكذا انتهت فترة نشاط العمارة في القرن السادس بهذه الغارة التي هدمت كثيراً من المباني، فغادر كثير من الرهبان الدير وبقيت شيهيت تعاني من إغارات متعددة لهؤلاء البربر حتى سنة ٦٣١ م.^(٤٨)

وقد وُجد في مخطوطة لأبي صالح الأرمني في وصفه لدير نهبيا بالجيزة أن [أمام الدير وخارجه كان يوجد عدد من القلاي التي كان يسكنها الرهبان الذين أتوا من دير أنبا مقار، في أيام الإضطهاد الخلقيدوني الذي كان امتداداً لغارة البربر، وفي أيام بطريركية أنبا بنيامين الأول (٣٨) (٦٢٢ - ٦٦١ م.)].

(٤٦) وقد رأينا آثار خرائب هذا الدير بوادي الريان، وعثرنا على مدافن الآباء هناك وعليها نقوش وصلبان وأسما.

(٤٧) أديرة وادي النطرون، للدكتور منير شكري، ص ١٧٢.

(48) Ev. White, III, p. 32.

الفصل الثاني

القرن السابع والقرن الثامن

- ١ - كنيسة أنبا مقارثني من جديد.
- ٢ - هيكل أنبا بنيامين يتزين بالصور.
- ٣ - هيكل جديد للتسعة والأربعين شهيداً شيوخ شيهات.
- ٤ - عمارة القلاي.

كنيسة أنبا مقارثني من جديد:

بدخول العرب مصر سنة ٦٤١ م. بقيادة عمرو بن العاص نال الرهبان وثيقة أمان مكتوبة بخط يده يصير بمقتضاها تسليمهم مطلق الحرية في استغلال مواردهم بالرّيف (١) وبشفاعة القديس أنبا بنيامين لديه، نالت الأديرة حق العمارة والتجديد من جديد (٢).

وقد بُدئ هذا العصر بعمارة كنيسة أنبا مقار التي تم تكريسها في سنة ٦٥٥ م. وقد أخطأ إقليدس هوأيت في ظنه أنها كنيسة أخرى لأنبا مقار غير كنيسة الأولى التي يعتقد أنها كانت في موضع آخر فوق الصخرة، معتمداً على الحديث الذي دار بين شيوخ الدير وبين أنبا بنيامين حينما قالوا له: [أن يكرس لهم الكنيسة الجديدة التي بُنيت على اسمه عند سفح الصخرة بين القلاي، لأن كثيرين من الشيوخ والمرضى يسكنون بجوار الماء ويتعجبهم أن يصعدوا إلى أعلا الصخرة]. والحقيقة أنه لما تهدمت كنيسة أنبا مقار الكبرى في الغارة الرابعة اضطرت الشيوخ والمرضى الساكنون بجوار كنيسة أنبا مقار التي تهدمت والتي كانت بجوار الماء أيضاً أن يسيروا غرباً مسافة ميل. وأن يصعدوا على الصخرة لحضور الصلاة في الكنائس الصغيرة بالمنشوبيات التي نجت من التخريب بسبب صغرها وبساطتها.

(١) يقول المقرئيني: « إن في دير أنبا مقار يوجد خطاب كتبه عمرو بن العاص عن موضوع أموال الوجه البحري »، وهي التي كانت موهوبة للدير بواسطة الملك زنون كما يقول إقليدس هوأيت (أنظر كتاب أديرة وادي النطرون - دكتور منير شكري، ص ١٨٢). ويقول الأمير عمر طوسون في كتابه « وادي النطرون »: « وعن جراية الأديرة أن هذه الجراية بلغت في سنة من السنين أكثر من خمسة آلاف أردب قح. ويضيف أنها الآن لا تزيد عن ١٠٠ أردب ».

(2) Ev. White, III, p. 32.

فلما حل عصر الأمان، بُدئ أول ما بُدئ بعمارة كنيسة أنبا مقار بطبيعة الحال. ودليلنا على ذلك ما جاء في كتاب تاريخ البطارقة أن: [في أيام أنبا أغاثون (قس الدين) بُنيت الكنيسة التي كانت مقامة باسم الأب مكار يوس وازداد عدد الإخوة...].

ومن هذا يُفهم تماماً أن الكنيسة التي بنيت في أيام أنبا بنيامين وتلميذه القديس أغاثون، هي نفسها الكنيسة التي كانت مقامة سابقاً باسم الأب مكار يوس.

ويضيف كتاب تاريخ البطارقة أمراً له علاقة كبيرة بعمارة كنيسة أنبا مقار إذ يقول: [وساعدهم - أي ساعد رهبان دير أنبا مقار - الإخوة المؤمنون]. وهكذا يعطينا فكرة أن عمارة الكنيسة استنفذت جهوداً كبيرة لاثقة بقيمة هذا العمل العظيم وأهميته الروحية والتاريخية.

أما شكل الكنيسة ورونقها وهيبتها، فتدلنا عليه كلمات القديس أنبا بنيامين نفسه وهو يصف شعوره وقت دخوله الكنيسة إذ يقول: [وأخيراً اتجهنا شطر دير الأنبا مقار، وعندما اقتربنا منه تلقانا شباب النساك بسعف النخيل في أيديهم وجاء خلفهم الشيوخ يحملون المباخر، ثم الكهنة يرتلون كالملائكة... ثم سار أمامي جميع النساك والكهنة والإخوة إلى أن دخلت الكنيسة الجديدة، وهناك خُيِّل إليّ أني دخلت الفردوس].

ويروي لنا القديس البابا بنيامين بنفسه قصة تكريس الكنيسة كما نقلها إلينا تلميذه أغاثون القس. يقول البابا بنيامين (٣):

قصة تكريس كنيسة أنبا مقار (قبة أنبا بنيامين)

[لما كنت في مدينتي (الإسكندرية) في قلايتي، وعندما وجدت زماناً يسيراً سالماً من الإضطهاد الذي للهراطقة، وإذ قد حضر يوم ميلاد ربنا يسوع المسيح - تمجد اسمه - الذي هو الثامن والعشرون من كيهك، كنا مجتمعين في كنيسة والدة الإله القديسة مرتميم التي تدعى «أسطوا أنجيلون» أعني مجمع المسيحيين وقد عملنا فيها صلوات كثيرة وقداساً بمحضر من جماعة الكهنة ومقدمي المدينة وجميع الشعب الكبار والصغار، والأغنياء والمساكين، وجمع كثير من النساء المؤمنات المحتشمتات... تطلعت فرأيت رهباناً فضلاء قد دخلوا في وسط الشعب، وقوم منهم كهنة، قد جاءوا من برية أنبا مقار الرجل الصديق. وكنت أنظرهم واقفين في هدوء وثبات بشكل ملائكة الله. وأنا عرفتهم من مشيهم المهتدي المتواضع أنهم من جبل شيهات. أما هم فلم

(٣) عن مخطوطة ١٨ سير - محفوظة بدير القديس أنبا مقار.

يستطيعوا أن يصلوا إليّ من كثرة الجموع التي كانت تزاحمهم . حينئذ تطلع واحد من كبار الكهنة الذين في الإسكندرية ، فعلم أنهم من برية أنبا مقار ، فمشى آتياً نحوي وأعلمني عنهم . فأمرت أن يأتوا بهم إليّ . ولما نظرت ثباتهم الحسن وكثرة تواضعهم علمت أنهم كاملين ، وقد جاءوا من الأرض المقدسة . وحينئذ سألتهم : « من أين أتيتم يا آبائي إلى ههنا ، ومن أجل أي عمل ؟ » أما هم فقالوا لي : « أبوتك تعلم ! » وأنا قلت لهم : « أعلموني يا أولادي لماذا أتيتم ومن أجل أي عمل قبلتم هذا التعب وهذا العناء العظيم وهذه الطريق المقفرة ؟ » فأجابوا : « أتينا لأبوتك نطلب إليك كي تتكلف مشقة الطريق إلى جبل شيهات المقدس مسكن أبينا الصديق البار العظيم أنبا مقار ، من أجل الله ، لكي تركز لنا البيعة الجديدة التي صنعها في الصخرة القائمة بين القلاي ، من أجل أن كثيرين من الشيوخ والضعفاء ممن يسكنون في القلاي السفلية يتبعون في صعودهم إلى المواضع العلوية ، والآن يا أبانا نبحثنا من أجل الرب لتأت مع عبيدك لتصنع معنا رحمة ومع إخوتنا ليأخذوا بركتك المقدسة لأنهم جميعاً منتظرون ومشتاقون لرؤياك » .

وأنا لما سمعت هذا من أولئك الإخوة المحبين لله أخذني فرح عظيم تجاوز حد مسكنتي وقلت : « ترى هل يجعلني الله مستحقاً لهذا الأمر ؟ » ثم قلت لهم : « يا آبائي أقيموا عندي اليوم وغداً حتى نصنع عيد ربنا يسوع المسيح ونجتمع بالشعب ونعظم بكلام الرب وبعد ذلك نستعد للسير معكم بإرادة الله لناخذ بركتكم » .

وعندما صنعت العيد الذي لربنا يسوع المسيح الذي هو الثامن والعشرين والتاسع والعشرين من شهر كيهك ، قنا في نهاية هذا الشهر وقلت لأغاثو القسيس الذي لي وقسما كاتي : « اهتموا بنا يا أولادي لكي نمضي إلى جبل شيهات ونأخذ بركة آبائنا الرهبان أولاد أبينا الصديق العظيم أنبا مقاره » .

وفي اليوم الثاني من طوبة قنا وتقدمنا في المسير في الطريق ، وكانت نعمة الله تظللنا ونحن نمشي على قم بحيرة مريم وأتينا إلى تروجه ، فقبلونا أولئك الرجال أهل ذلك الموضع بفرح عظيم . ومن هناك أتينا إلى جبل نيري المقدس الذي لأبينا أنبا إيساك على رأس جبل برنوج . فبالعظم فرح الإخوة بنا وحلاوتهم الروحانية والجسدانية . وأمسكونا عندهم يومين . ومن بعد هذا قنا باكراً وركبنا دوابنا وهم يودعوننا ، هؤلاء الإخوة المحبين لله الذين وجدنا منهم ربحاً عظيماً وافتقاراً . ثم ابتدأنا بالمسير في الطريق المقفرة في البرية الداخلية ، وكانوا يمشون معنا — أي الإخوة الذين من جبل نيري — ليدلونا على استقامة الطريق . وكانت معنا قوة عظيمة تظللنا من الله ، حتى أشرفنا على قم الوادي الذي في داخل جبل النطرون . ثم استقمنا إلى دير أبونا الروم مكسيموس ودوماديوس واسترحنا هناك في كنيسة القديس إيسيدوروس القس يوماً .

حينئذ مضى الإخوة الذين كانوا قد أتوا إلينا في الإسكندرية متوجهين إلى دير أبينا أنبا مقار وبشروا الإخوة كلهم والشيوخ بمجيئنا إلى البرية . وبقي معنا إثنان من كهنتهم مع الإخوة الذين صحبونا من نيري .

ومن بعد هذا قنا في السابع من الشهر ومررنا على ديارات آبائنا أنبا بيشاي وأنبا يحنس وأخذنا بركتهم المقدسة وسرنا إلى دير أنبا مقار فلما قربنا من البيعة نحو ميلين ، وهوذا قد تلقانا منه أولاً شباناً حاملين سعوف نخيل في أيديهم ، ومن بعدهم شيوخاً حاملين مجامر وصلبان يسبحون بمدايح وتراويل بأصوات تشبه أولاد العبرانيين لما خرجوا يسبحون قدام ربنا يسوع المسيح حتى أتوا به إلى أورشليم . وهكذا صنعوا بمسكنتي . وعندما خرج الشيوخ يرتلون أمامي تنزلزل الجبل من كثرتهم . وكانت صفوفهم مثل جنود السماء طغمة طغمة ، وكان معهم المعلم باسيلوس أسقف مدينة نقيوس .

وأنا عندما نظرت هذه الثيور يا (الرؤية) هكذا ، وعجبهم فيّ ؛ مجدت المسيح إلهنا قائلاً : « أشكرك يا سيدي يسوع المسيح ، لأنك جعلتني مستحقاً أن أنظر علانية الأمانة الأرثوذكسية مرة أخرى ، وازدهار الكنيسة المقدسة ، وانقلاب وهدم كل الهراطقة الكفرة . نعمتك مقبولة يا مخلصنا الصالح بالمثل الذي أريتني فيه الكنائس مرة أخرى في مجدها واستقامتها . أشكرك يا سيدي يسوع المسيح لأنك خلصت نفسي من المارد التين المنافق ، هذا الذي كان يطاردني من أجل الأمانة المستقيمة . أشكرك يا مالكي المسيح لأنك جعلتني أنظر أولادي مرة أخرى وهم يحيطون بي في كرامتك يا سيدي يسوع المسيح » .

وحينئذ كان الكهنة كلهم والرهبان يمشون قدامي ، حتى دخلنا إلى الكنيسة الجديدة التي بنوها ، فقلت أنا في ذلك الوقت : « إني قد حُملت إلى فردوس الله ، مجمع الملائكة ، فرح القديسين ، راحة الصديقين » . واسترحنا ذلك اليوم ... ثم دعوت أغاثون القس الذي لي ، الذي تعب معي من أجل الأمانة في زمان تجاربي عند مطاردة كيرش المقوقس ، عدو كل حق ، لضعفي . وقلت له : قم يا بني لتخرج كتب القراءة المختصة بتكريس الكنيسة لأكرسها مع المذبح . وحينئذ لما ابتدأت بأول صلاة ، كان يساعدي أنبا باسيلوس أسقف بشادي وكل الكهنة حولي .

وفيا أنا أشاهد جموع الرهبان والكهنة ، إذ بي أرى واحداً منهم ووجهه يضيء جداً ، يسطع منه بريق ، في وسط الكهنة . وكنت أتأمله وقتاً طويلاً ، ولم أكن أعلم أنه هو العظيم أنبا مقار أب هذا الجبل الذي جاء في وقت تكريس الكنيسة . بل كنت أفكر قائلاً : هوذا أب الشعب وراعي الخراف . إذا أراد الرب وخلا كرسي فإني أجعله أباً عليه ، لأن هذا الرجل قديس ويليقي به هذا الأمر وهذه الأبوة تصلح للكاملين بهذا المقدار . وفيما كنت أتفكر بهذه الأمور وفي ذلك القديس إذا

بشاروويم ذي ستة أجنحة وقد ظهر مقابلي وقال لي: «يا أسقف، لماذا تخطر هذه الأفكار في قلبك؟ هذا هو أبو مقار أب البطاركة والأساقفة. هذا هو لباس الروح أب الرهبان كلهم الذي لهذا الجبل». أما أنا فقد صرت داهشاً وأنا أنظره في وسط بنيه يفرح معهم. وكان صوت ذلك الشاروويم يطن في مسامعي، وقد خفت منه. ثم قال لي ذلك الشاروويم: «إذا سلك أولاده الطريق المستقيم وسعوا السعي الملوكي الذي مشى فيه أنبا مقار والذي علمه لهم، فإنهم يدخلون معه في طريق الملك ويفرحون معه في دهر الأتوار. وإذا لم يسمعوا منه ولم يتبعوا وصاياه فليس لهم معه نصيب لكنه يطردهم من قطيعه ولا يكون لهم نصيب في ميراثه». فأجاب البار أنبا مقار بتحن ومحبة لبنيه: «ياسيدي لا تقطع على أولادي بهذا. لكن إذا بقي في العنقود حبة واحدة، قيل «أنه لا يهلك»، لأن بركة الرب تكون فيه. وأنا أو من بالمسيح حبيب نفسي أنه إذا وجد في أولادي وصية واحدة لله التي هي محبة الأخوة بعضهم لبعض والرفقة لكل أحد أو وصية أخرى من الوصايا، أو يرفعوا عيونهم إلى السماء إلى المسيح ملكنا يسوع دفعة في كل يوم، فأنا أو من بصلاحه أنه لا ينسى تعبهم بل يخلصهم من العذاب الأبدي. لأن محبة الرب تسهل التوبة للخاطيء ولا تريد أن الخاطيء يموت في خطيته بل يرجع ويحيا بالتوبة».

وحينئذ لما سمعت هذا الكلام من رجل الله أنبا مقار علمت أنه محب لأولاده بالحقيقة. هذا هو مقار الحقيقي المكرم عند الله والناس. هذا هو الشبكة التي تجمع من كل جنس إلى ملكوت الله، أعني الأب أنبا مقار، تلميذ الرب. فأجبت حينذاك: طوباك يا أنبا مقار، طوبى لطغمتك. طوبى لبنيك لأنهم استحقوا أن تكون أنت طالباً عنهم أمام منبر الله الآب ووحيد الابن ربنا يسوع المسيح والروح القدس إذا جاء ملكنا وإلهنا يسوع المسيح في مجيئه الثاني ليعطي كل واحد كنحو عمله. بالحقيقة أنك أنت أنبا مقار القديس الذي خلصت أنفوس كثيرين، ورسيت بهم إلى ميناء الخلاص، وكنت شفيعاً لهم كلهم. داوود البار أبو المسيح بالجسد يكرم اسمك في أول مزموه ويصرخ لنا هكذا قائلاً: «طوبى للرجل الذي لم يتبع رأي المنافقين. ولم يقف في طريق الخاطئين. ولم يجلس في مجالس المستهزئين» بالحقيقة يا أنبا مقار قد صرت مختاراً في جبلك. طوباك أنت يا شجاع الملك المسيح طوبى للبطن التي حملتك بالحقيقة في العالم. اذكروني يا قديس الله.

فقال باسيليوس وانبثيوس لي أنا وأغاثون القس: «يا أبانا، لمن تخاطب؟» فقلت لهم: «يا إخوتي، أنا أتكلم مع أنبا مقار النبي، أب هذا الجبل. لكن يوجد زمان للكلام ويوجد زمان للسكوت». وصعدت إلى المذبح وقلت صلاة الميرون المقدس. ولما أخذت الميرون المقدس لأنقط منه على المذبح المقدس، سمعت صوتاً يقول: «تأمل يا أسقف». وفيما أنا أقطر على المائدة نظرت يد المخلص تمسح المذبح. وللوقت اعتراني خوف ورعدة حتى قلت مع البطريرك (رئيس الآباء) يعقوب: «إن هذا الموضع مخوف وهوذا بيت الله وهذا محله وموضع راحة العلي» (٤). وحينئذ لما

(٤) رؤيا يعقوب هذه مصورة في الناحية الغربية البحرية في قبة هيكل يوحنا المعمدان بكنيسة أنبا مقار.

تطلعنا (إلى أنبا بنيامين) رأيناه وقد صار كله ناراً ووجهه يضيء جداً بالنور، ولم يجسر أحد منا أن يتكلم معه، لكن كنا قائمين يهدوء. فأجاب هو وقال: «هذه مظلة (خيمة) الآب والابن والروح القدس» وكان يدور حولها قائلاً ثلاث مرات: الليلويا. ثم رتل قائلاً: مساكنتك محبوبة يارب إله القوات ملكي وإلهي. تشتاق نفسي وجسدي إلى دخول ديارك. مذبحك مقدسة أيها الرب إله القوات ملكي وإلهي إلى أبد الآباد.

ولما كرز القبة خرج إلى الشعب وكرز الأعمدة والجدران ثم عاد وجلس في القبة وأجابنا قائلاً: قد حملت اليوم إلى فردوس الرب إله الصباؤوت، وسمعت أصواتاً لا يُنطق بها ولا تخطر على قلب بشر كقول الحكيم بولس. صدقوني يا إخوتي أنني نظرت مجد المسيح اليوم وقد ملأ القبة. ونظرت بعيني الخاطئة الذراع غير المرئي واليد الغالية، نظرت يسوع المسيح يسبح مائدة هذا الموضع المقدس. ورأيت أيضاً الشاروويم والسارافيم والملائكة ورؤساء الملائكة ورؤساء الكهنة وقوات العلاء كلهم يسبحون الآب والابن والروح القدس في هذه القبة اليوم. ورأيت أب البطاركة والأساقفة أب كل معلمي البيعة الأرثوذكسية قائماً في وسطنا اليوم يفرح وسط أولاده، أعني العظيم أنبا مقار. بالحقيقة أن كرسي الله الضابط الكل أبو ربنا يسوع المسيح والروح القدس فوق هذا الموضع المقدس. بالحقيقة هذا هو المذبح الذي تكلم إشعياء النبي من أجله قائلاً: «يكون مذبح للرب في أرض مصر وعمود الرب في قره المقدسة» قوموا الآن يا أولادي لنكمل الخدمة المقدسة ونأخذ بركة آبائنا ونمجد الله العلي».

ولما أكملت الخدمة، وفيما أنا أقرب الكهنة، إذ رأيت أيضاً نعمة عظيمة لا يجب أن نخفيها: لما أتيت لأقرب الشيوخ رأيت صفوف الشيوخ كلهم تلقى دخاناً إلى فوق القبة. وهكذا انفتح سقف الكنيسة وصعد دخان البخور إلى السماء. وكنت أفكر أن كل واحد من الآباء يرفع البخور حتى يتناول من الأسرار المقدسة التي لابن الله العلي بشكر. فلما تأملت وإذا أولئك الشيوخ يصلون وبخور خارج من أفواههم صاعد إلى السماء. فعلمت بالحقيقة أنهم يقولون صلوات وطلبات قبل أن يأخذوا من الأسرار المقدسة أي الجسد والدم الكرم للذين للمسيح. ونظرت صلوات القديسين والملائكة تستقبلها وتصعد لها أمام كرسي الله (٥). ومن كثرة صلواتهم علمت بالحقيقة أن هذه هي المنارة الذهب التي عليها السراج، والجوهرة الثمينة المختارة وكوكب الصبح المشرق مجداً الذي ينير على المسكونة. وكنت أجد وأسبح، وأرتل تسبحة الثلاث فتية عزاريا وحنانيا وميصائيل (٦) الذين قالوها وهم في أتون النار: تباركت أيها الرب إلهنا إله آبائنا. تزايدت بركة وعلواً إلى الأبد. مبارك إله الرهبان، بالحقيقة أن العالم كله مستقيم بهؤلاء القديسين وبنسلهم الروحاني. هذا هو

(٥) لاحظ أن قبة أنبا بنيامين الحالية مزينة بصور الأربعة والعشرين قسيساً المحيطين بعرش الله.

(٦) جلد الرسام القبطي شخصية الثلاثة فتية برسم على الحائط الشرقي في هيكل يوحنا المعمدان بالدير.

بجمع الملائكة وخلص الأتفس الذين التجأوا إلى الله منجى كل أحد.

وأنا عندما نظرت هذه الأعمال هكذا، مجدت ملكنا المسيح، الذي جعلني مستحقاً للرؤيا العظيمة هكذا. وكنت داهشاً من أجل الذين رأيتهم كلهم. وهكذا اجتذبتني نوم كثير. ولما غطيت في النوم قليلاً، إذا بإنسان منير وقف معي فوقاً مني وقال لي: قم يا أسقف لترتب قوانين هذه البيعة وهذه القبة الواحدة معاً. ليحترز كل أحد من سلوكه فيها من القسوس إلى الشمامسة بصبر تام وسكون صالح، لأن المسيح ههنا وملائكته المقدسين معه. وهكذا فلتثبت هذه القوانين تذكاراً لهذه القبة إلى الأبد. لأنه سيأتي جيل يحبون فيه مجد الناس أكثر من مجد الله ويدوسون هذا الموضع المقدس بجسارة وقحة بغير حشمة، وبيدلون نعمة الروح القدس التي دفعها بغير حسد للكنيسة المقدسة بالأموال ويقاومون القوانين الرسولية. فمن أراد أن يكون له ميراث في هذا الموضع المقدس وهو بلا مخافة ولا يفتش نفسه، وبيدلون مجد هذا الموضع الكريم ويكون عندهم كمثله موضع البهائم في دخولهم إليه؛ هؤلاء الذين لهم قلوب البهائم لا يقرأون ولا يفهمون. قد زاغوا كلهم وصاروا غير مفلحين وهمهم في بطونهم ومجدهم في عارهم. يمشون على بطونهم مثل الحيات وينفخون وبلدغون. جاهلون، مبغضون لإخوتهم، مستهزئون، متطلعون للمآكل والمشارب، يشبهون البهائم التي لا فهم لها. هؤلاء تفرزهم هذه البيعة المقدسة السعيدة الجامعة.

(ثم أخذ الملاك يذكر القوانين المختصة بالصلاة في هذه البيعة وختمها بهذه الكلمات):

اعلموا يا إخوتي أن نصيب يعقوب لا يكون لواحد من هؤلاء القوم. لأن هذه القبة والقوة الساكنة فيها مع مذبحها لا ترضى بشيء من هذا. بل من يكون متواضعاً متزيناً بالأناة كاملاً في شكل حسن كمثله ما شهد لنا المعلم بولس الرسول في قوله على هذه الدعوة، أنظروا ولا تظنوا يا إخوتي أنه أتتني هذه القوانين من أجل هذا الجليل، لا بل حينما يتم ما أعلن لي من قبل. والذي أعلمني قال لي أنه لا بد من أن يكون هؤلاء في آخر الأيام. ومن أجل هذا كتبت هذا القانون بثبات كثير لمن يأتي في كل زمان. لكي يتعدوا من الناس ويحبوا مجد الله العلي.

قال لي صاحب الشكل المنير الذي لا أستحقه هذا الكلام أيضاً: إن يوم خروجك من الجسد يوافق يوم تكريس هذه الكنيسة المقدسة لتمضي إلى المسيح الذي أحببته وتستريح مع كافة القديسين كلهم في أورشليم مدينة الفرحين كلهم. فقلت له: ياسيدي، أترى الله يجعلني مستحقاً أن يقبلني إليه في هذا اليوم المقدس ويفتقدني فيه أنا عبده الخاطيء؟ مبارك هو المسيح ملكي حبيب نفسي وروحي لأنه صنع رحمة عظيمة معي.

وللوقت غاب عني ذلك الشاروبيم. فدعيت أغاثون القس وقلت له: يا ابني أغاثون، أكتب يوم تكريس هذه الكنيسة عندك وذكرني به في كل يوم لكي أكون ذا كراً خطاياي. لأن

الشاروبيم قد قال لي أن يوم خروجك من الجسد يوافق يوم تكريس هذه الكنيسة الجامعة التي لأبينا الصديق أنبا مقار البار.

والآن فلنأت إلى هذه الأعجوبة العظيمة التي كانت في يوم تكريس هذه القبة، هذه التي لا ينبغي أن نسكت عنها:

كان أرخن عظيم في مدينة نقيوس حاضراً في ذلك اليوم يدعى اسمه أنادوليس (٧) وهذا كان قد أتى لحضور التكريس وكان ابنه معه وهو أجزم. فاستمع - بتأمل - القول والعجائب التي تظهر من قبل أبينا القديس العظيم أنبا مقار رجل الله أب هذا الجبل المقدس شيهات، زينة الرهبان كلهم والأساقفة والبطاركة والمعلمين العظماء الذي للمسكونة كلها، هذا الذي بخور فضائله الكثيرة وسعيه الكريم قد ملأ جوار الساء كلها وسراجه ينير لكل من يأتي إليه. وهذا الأرخن الذي ذكرناه أنادوليس، هذه كانت عادته أن يأتي إلى شيهات مرات كثيرة ليقتني بركة الشيوخ. وفي هذه المرة أحضر معه ابنه الصغير الضعيف لحضور تكريس الكنيسة الجامعة التي لأبينا المبارك العظيم أنبا مقار. ومن أجل نصيحة الناس حمل أنادوليس ابنه وأحضره إلى الجبل ودفعه لشيخ قديس لله طاهر مع عبد صادق ليخدمه لأنه كان يأتي إلى شيهات عند الشيوخ ثلاث مرات في كل سنة: كان يصنع يوم ميلاد ربنا يسوع المسيح في شهر كيهك، ومن بعده يقيم في البرية لا يتجاوزها حتى يعمل عيد الغطاس المقدس، وأيضاً يصنع عيد الشيوخ (الشهداء)، ويرجع إلى مسكنه، ثم كان يصنع هكذا أيضاً في عيد القيامة المقدسة. وكان أنه لما أكملنا تكريس الكنيسة المقدسة وصنعنا الخدمة وقربنا الشعب من الأسرار المقدسة، كان الصبي راقداً يصرخ صراخاً كثيراً في النوم حتى انزعجت الشيوخ من كثرة صياحه، وأن واحداً منهم ستر ذلك الطفل الصغير وأخذ له قوة قلب وأيقظه ولما قام الطفل نظروه كلهم، وإذا هو قد عوفي مثل واحد قد ولد الآن معافي في جسده. وكانوا يجدون الله من أجل هذه الأعجوبة العظيمة التي كانت.

ولما أكملت الخدمة المقدسة جاء إليّ أبو الصبي وأعلمني بالذي كان من ابنه. وأنا سألت الطفل قائلاً: ما الذي نظرتة يا ابني؟ أعلمني ولا تخفي شيئاً مما نظرتة. فأجاب الشاب قائلاً: لما كنت راقداً رأيت إنساناً طويلاً ذا شبيبة ولحيته نازلة على صدره قد دغدغ جسدي كله بيديه، فصرخت من الوجع. ثم أمسك طرف ثوبي وأصعده من فوق رأسي. حينئذ رأيت وجعي وجراحاتي ملتصقة بملابسي. فقال لي: تقوّ يا ابني، هوذا الخلاص قد صار لك. وإن واحداً من الآباء أيقظني بعد ذلك فقممت وأنا معافي. وكان لي هذا ياسيدي الأب وأنا رأيتة بعيني. وقد صرت كمثله من لم يمرض أبداً بل قوى في جسدي كله. فجدت ربنا يسوع المسيح الذي أظهر قواته وآياته من قبل أبينا العظيم أنبا مقار لابس الروح هذا الذي مجده ربنا يسوع المسيح إذ صنع له إرادته كلها.

(٧) ترجمتها «الشرقاوي».

بالحقيقة أن أبانا الصديق العظيم أنبا مقار صار مينا خلاص للعالم كله يشفي كل مرض النفس والجسد معاً. ومن بعد موت أبينا أنبا مقار اللابس الروح مكث حياً صديقاً كائناً في وسط أولاده يشفي أمراضهم.

طوباك أنت يا جبل النطرون لأنك استحققت هذا الرئيس العظيم هكذا، هذا الذي جمع إليه جنده كلهم. هؤلاء الذين شددهم المسيح ليحاربوا الأرواح الخبيثة. أيها الجبل الذي سُر الله به. أيها الجبل الذي جذب إليه هذه الأنوار العظيمة الذي يضيء أكثر من الشمس في النهار وفي الليل أيضاً. تصعد صلواتهم كمثل النار المشتعلة. أيها الجبل الذي أثمرت فيه الثمار الروحانية ثلاثين وستين ومائة. أيها الجبل الذي قبل إليه الأنفس المسودة بالخطية. وملحه الروحاني التي هي التوبة المقدسة بيضتهم أكثر من الثلج. أيها الجبل الذي صيته شاع في كل مكان وجذب إليه الملوك والأغنياء والمساكين يخدمون الله فيه. بالحقيقة أنت هو الجبل الذي هو الملح الروحاني المملح به الأنفس التي قد فسدت بالخطية، وثبتهم لله الذي خلقهم. أيها الجبل الذي جعل اللصوص قد صاروا معلمين وواضعي ناموس وشهداء أيضاً.

والآن يا آبائي القديسين فلنطلب دوماً لكي ملكنا المسيح يؤسسنا على أساس بيعته المقدسة، ويحصننا بصلاحه، ويجعل أمانته الأرثوذكسية كائنة دائماً في إعلان بدون خوف في كل حين نفتخر نحن المسيحيين بها في كل حين، ومخلصنا من قلق الأعداء ومن حسد الصياد عدو كل حق الشيطان.

لأن الملك والقوة والسلطان لربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح. آمين [أهـ].

أوصاف الكنيسة وهيكل أنبا بنيامين:

وتعتبر الأوصاف التي تمدنا بها المخطوطات عن تكريس كنيسة أنبا مقار وهيكلها الكبير سنة ٦٥٥ م. أول وأهم أوصاف دقيقة بلغتنا عن كنيسة في القرن السابع. ومنها (٨) يستفاد أن الكنيسة كانت مقسمة إلى ثلاثة أجزاء: الهيكل، ثم القبة أو الأسكنا أو الخورس الأول، ثم صحن الكنيسة.

أما من حيث الهيكل فيظن إقليدس هوأيت أنه كان ذا ثلاثة مذابح على اسم الآب والابن والروح القدس. ولكن هذا احتمال ضعيف، فالواضح من ترتيب طقس الصلاة والسيرورة أنه هيكل واحد ذو مائدة أو مذبح واحد.

وأما القبة أو الأسكنا الأولى («الأسكنا» لفظة ذات أصل عبري تدل على الحضرة الإلهية)

(8) Hist. of Patr., p. 246.

أي الخورس الأول، فن الوصف يبدو أنه كان ذا سقف على هيئة قبة أو قباب تتناسب مع طول الخورس («الخورس» لفظة يونانية تدل على «الصف») من بحري إلى قبلي.

وأما صحن الكنيسة فيبدو من القصة أنه كان مقاماً على أعمدة. والمعروف في الطقس القبطي في العصور الأولى أنه كان يراعى في هندسة الكنائس أن يكون صحنها مرفوعاً على اثني عشر عموداً «تعبيراً عن الإثني عشر رسولاً أول عدد للكنيسة». وتحقيقاً لهذا الطقس الهندسي ما وجدناه في تاريخ البطاركة بخصوص كنيسة مارمينا بمر يوط التي أراد أن ينازعنا فيها الخلقيدونيون في أيام حكم أبي الحسين أيام الخليفة مروان. فلما طلب الوالي من البطريرك القبطي أنبا خائيل الأول أن يثبت حق ملكيته للكنيسة مارمينا، قال: «لقد شيد أنبا ثاوفيلس (البطريرك الـ ٢٣) هذه الكنيسة وزينها بإثني عشر عموداً نقش اسمه على كل عمود منها، ثم أكمل أنبا تيموثاوس البناء ونقش اسمه على أحد جدرانها. فشهودي لديك هم أسلافي الأماجد».

وكانت الأعمدة بمثابة الأيقونوستات. فكانت صور الإثني عشر تلميذاً أو صور القديسين (٩) وصاحب البيعة تُرسم عليها إما بالبارز أو بالألوان أو بالحفر. وتدلنا المخطوطة التي تصف لنا خبر نقل جسد القديس أنبا مقار من مدينة «المي» التي بالقرب من شيشو ير إلى ديره بشيبت على أن صورة القديس أنبا مقار كانت مرسومة بالفعل على أحد أعمدة الكنيسة التي باسمه داخل الدير سنة ٧٨٤ م. فتقول المخطوطة: [ولوقت نظرت (بالروح) واقفاً فوق التابوت بمجد لا يُنطق به ووجهه يضيء مثل الشمس وكان شكله مثلما هو مصور على العمود الذي بكنيسته في البرية] (١٠).

ومما يزيد هذه الحقيقة وضوحاً وجود جزء من عمود رخام بكنيسة الملك ميخائيل بالحصن منقوش عليه كلمة «أنبا مقار» وتحتها صليب صغير، مما يفيد أن صورة القديس ربما كانت موجودة بالجزء الناقص. (أنظر الرسم في إقليدس هوأيت لوحة نمرة XIC) وسوف نرى في عصر قادم أن الأعمدة في كنيسة أنبا مقار زادت حتى صارت عشرين عموداً وذلك في القرن الثامن عشر بالتحديد كما رآها سيكار سنة ١٧١٢ م. في رحلته المشهورة، ويقول أنه رأى خمس قباب متبقية من صحن الكنيسة محمولة على عشرين عموداً من الرخام القوطي (١١).

وتمدنا مخطوطة باللهجة الصعيدية محفوظة في مكتبة باريس ترجمها العلامة كرام (١٢) بمعلومات عن الصور التي كانت مرسومة على الجدران وقت دخول أنبا بنيامين كنيسة أنبا مقار،

(9) Abu Saleh, Church & Monast., fol. 27.

(١٠) مخطوطة رقم ١٨ ص ٥٨ — مكتبة دير القديس أنبا مقار.

(11) See. Ev. White, II, p. 423.

(12) B.N., Copt., 129, 125; Crum, P.S.B.A., XXIX, p. 203.

وهي صورة للأبنا أنطونيوس ومعه أنبا بولا، صورة للأبنا باخوم، صورة للأبنا مقار، صورة للقديس مرقس الرسول، صورة للقديس بطرس خاتم الشهداء، صورة للقديس أثناسيوس، صورة للقديس ليسبريوس، صورة للقديس كيرلس الكبير، صورة للقديس ديوسقوروس. وظهرت صورهم على الجدران بالفرسكو، تحيي أنبا بنيامين عند دخوله الكنيسة.

ومن هذه الصور نستطيع أن نفهم أن الكنيسة كانت في حالة عالية من الوجهة الهندسية والزخرفية معاً.

و يقول بطر (١٣) أن كنيسة أنبا مقار في ذلك العصر وبذلك الوصف كانت مماثلة لكنيسة أبو سرجة الآن بمصر القديمة.

هيكل كنيسة التسعة والأربعين شهيداً شيوخ شيهيت:

وفي هذا العصر أضيف إلى مباني الدير هيكل جديد تقام فيه الصلوات وتُرفع القرايين على اسم التسعة والأربعين شهيداً شيوخ شيهيت.

وقد علمنا سابقاً أن أجساد الشيوخ رُفعت بعد الشهادة مباشرة وأودعت في مغارة البيامون (أي في مغارة قرب حصن البيامون) باعتبارهم شهداء في دير أنبا مقار. وقد بقيت الأجساد في المغارة المذكورة مدى القرنين الخامس والسادس. وفي مخطوطة باللغة القبطية (١٤) تقول أنه [في عصر ثيودوسيوس الأول قامت بدعة نجسة وتسربت إلى جبل شيهيت بواسطة جماعة تسموا بالغيانيين. فلما جاء يوم تذكارة القديسين الشهداء التسعة والأربعين، اجتمع هؤلاء الغيانيين المرطقة الأنجاس معاً لكي يقيموا تذكارتهم بل ليريقوا دماء الأبرياء داخل بيت الله. ولكن آباءنا الأرثوذكس الأتقياء تشجعوا ووقفوا ومنعواهم من الدخول إلى الكنيسة المقدسة، ولكن لكثرة عددهم وشدة أجسادهم النجسة هجموا مرة واحدة وأوقعوا بالآباء وقتلوا منهم كثيرين...].

ولكن في تاريخ البطارقة تنجلي هذه المعركة الإيمانية عن قتل إثنين فقط من الأرثوذكس: [وكان أن قام جماعة من الرهبان أتباع يوليانس وقتلوا اثنين من الرهبان فكان على أثرها أن تفرق الرهبان وكانوا يقيمون القداسات في قلايهم] (١٥).

ثم أعيد رفع الأجساد من مكانها (ربما بسبب استيلاء الرهبان الغيانيين على الحصن وملحقاته)، واستودعت الأجساد في الكنيسة التي تدعى كنيسة المغبوط أريستوماخس، وذلك

(13) Butler, op. cit., I, Plan facing, p. 182.

(14) Amélin., Notices et Extraits, XXXIX, p. 353.

(15) Hist. of Patr., Evetts, pp. 189 f.

بأمر البابا ثيودوسيوس الأول (١٦). وهذه الكنيسة كانت تدعى أيضاً كنيسة الجنوب (الكنيسة القبلية) وخصصوا للأجساد غرفة مقفلة من كافة الجهات ملحقة بالهيكل القبلي، نعتقد أن هذه الغرفة كانت أصلاً من ملحقات حصن كان ملاصقاً للكنيسة من الجهة الشرقية ولا تزال هذه الغرفة موجودة حتى اليوم.

ولكن بهجوم البربر عام ٥٧٠ م. وتهدم أجزاء كبيرة من كنيسة أريستوماخس المذكورة، لم تعد الأجساد في مأمن مناسب. فلما وصل أنبا بنيامين الأول (٣٨-٣٩) في زيارته الأولى للدير سنة ٦٣١ أمر القمص يوحنا هكذا: «ابن لهم يايوحنا كنيسة (هيكلًا) في وسط الدير»: [وفي اليوم السادس والعشرين من شهر طوبة وصل البطريرك إلى شيهيت وهو يوافق عيدهم. وسار أمامه الشعب بفرح كبير. وفي الخامس من شهر أمشير من ذلك العام رفع أبونا أنبا بنيامين أجساد هؤلاء القديسين واحداً واحداً وناولها للكهننة والشمامسة فحملوها إلى وسط (صحن) الكنيسة ودفنوها في أكفان مقدسة معطرة بالبخور بين تراتيل المزامير. ثم صلى عليهم القديس وكانت تجرى في مقصورتهم معجزات شفاء] (١٧).

وعُرفت كنيستهم بقلاية الـ «بي إهميه إيسيت» أي الـ ٤٩. ومن ذلك نظن أنها لم تكن برسم كنيسة كالمعتاد وإنما كانت برسم قلاية، ربما في أسفل أحد الأبراج المهدمة التي أعيد عمارتها لتكون مناسبة للأجساد.

وقد كانت أرواح هذه الأجساد الطاهرة مصدر إرشاد ومعونة للكثيرين. فهم الذين أُرشدوا إيلاريا وأنستاسيا الراهبتين اللتين عاشتا في شيهيت تحت رعاية القمص دانيال وكثيرين غيرهما. ولا تزال أرواح هؤلاء الشهداء الأبرار تعين وتساعد الذين يجاهدون من أجل عمارة هذا الدير المقدس روحياً ومادياً حتى اليوم، والكاتب يشهد بذلك.

مدبرون لشيهيت يجاهدون لعمارة القلاي:

كانت أيام أنبا بنيامين وتلميذه أغاثون ورفيقه القديس يوحنا قصص شيهيت الذي على دير أنبا مقار، من أزهر أيام العمارة والإتساع والترميم في دير أنبا مقار. ومع الكنائس التي كانت تُبنى كان يُقام معها ملحقات وقلالي ومنشوبات لإقامة الرهبان جماعات كانوا أو متوحدين.

وظلت عمارة القلاي بدير أنبا مقار مستمرة لا تتوقف. ونسمع عنها في بطريركية أنبا أغاثون تلميذ أنبا بنيامين الذي صار البطريرك الـ ٣٩ (٦٦٢-٦٨٠ م). ففي أيام بطريركيته، يقول كتاب تاريخ البطارقة: [إنه كان كثير من المؤمنين يذهبون للتبرك بنسك شيهيت وللمعاونة

(16) Amélin., Notices et Extraits, XXXIX, pp. 344 f.

(17) Ev. White, III, 370, 271, 272.

(١٧) أنظر مخطوطة رحلة أنبا بنيامين مع تكريس هيكل أنبا مقار.

الرهبان على بناء الصوامع (القلالي) التي اقتضى بناؤها ضرورة تزايد عدد النساك في ذلك الزمان. وكان بين المؤمنين رجل مؤمن اسمه يونس السمنودي، كان منهمكاً مع الرهبان في البناء بيديه، ولكنه لم ينزل من الدير بعد ذلك بل قبل الشكل الرهباني فيه، وهو الذي صار بطريركاً خلفاً لأبنا أغاثون (٦٨٠-٦٨٩ م).

وفي هذه الحقبة أيضاً اختير أحد رهبان دير أنبا مقار المدعويوحنا أسقفاً على نقيوس، وهو المعروف في التاريخ باسم يوحنا النقيوسي وهو المؤرخ المشهور، وقد رسمه أبنا أغاثون (الـ٣٩) وذلك بعد سنة ٦٦١ م. وقد عينه البطريرك سمعان الأول (٦٨٩-٧٠١ م) مديراً على أديرة شيهيت وتسلم مقاليد تدبيرها عام ٦٩٤ م.؛ ولهذا عُرف اسمه بـ«المدير» لأنه كان خبيراً بتدبير الرهبان وقوانينهم.

وفي أيامه، يقول ابن المقفع في تاريخ البطاركة: [إنهم كانوا يعمرون القلالي بغير فتور، والأراخنة يقومون بسد احتياجاتهم].

بطاركة من أبناء الدير يتابعون عمارته (١٨):

وقد خلف أبنا يونس السمنودي البطريرك (الـ٤٠) تلميذه الراهب اسحق الذي من دير أنبا مقار أيضاً وصار البطريرك (الـ٤١) (٦٩٠-٦٩٢ م). وكان هذا الراهب اسحق تلميذاً لأبنا زكريا رئيس دير أنبا مقار الذي رسم بعد ذلك أسقفاً على مدينة صا (صاحب الدير المسمى دير أنبا زكريا المتاخم لدير أنبا مقار من الغرب). وكان الراهب اسحق كاتباً ماهراً في أيام علمانيته وابناً لرئيس كتبة دار الولاية، وقد برع في المعرفة الروحية تحت إرشاد معلمه القديس زكريا اللابس الروح، لأن دير أنبا مقار كان وقتئذ شعلة من النور أو على حد تعبير المؤرخ الفرنسي الشهير أميلينو: [وكان العلم والتعليم أجمل مميزات الحياة الرهبانية].

والمعروف أن أنبا زكريا أسقف صا خلد إلى دير أنبا مقار آخر أيامه لمرضه وقام بتمريره وتلميذه اسحق حتى تنيح ودفنه بيديه، وبعدها انتخبوه مباشرة بطريركاً (الـ٤١) خلفاً ليونس (الـ٤٠).

وكان البطريرك اسحق بالرغم من قصر زمان بطريركيته نشيطاً في بناء وتعمير الكنائس والأديرة. وقد كتب سيرته الأسقف مينا أسقف نقيوس الذي من دير أنبا مقار والذي رُسم خلفاً ليوحنا النقيوسي الشهير. ويقص لنا عن سيرة أبنا اسحق أنه كان وهو راهب ينفرد أيام الصوم وحده وقد أعجب به القديسان ابراهيم وجورجي لما وجدا أن قلايته لم تكن تحوي سوى الخبز والملح.

(١٨) المراجع هنا كلها من تاريخ البطاركة أنظرها في مواضعها.

الصلاة والتلمذة المخلصة هي سر بناء الأديرة وعمارته:

وهكذا نجد أن استمرار البناء والتعمير في دير أنبا مقار في هذه الحقبة الزمنية المباركة كان يوازره بناء وتعمير روحي ملحوظ جداً في دير أنبا مقار. فقد كان يغص بالنساك القديسين والتلاميذ الروحانيين النشطاء. فتخرج فيه عدة بطاركة متلاحقين قديسين وعظماء بحق، وعدة أساقفة علماء ومؤرخين، وعدة قديسين مشهورين. وهم بالاختصار كالآتي:

قديسو دير أنبا مقار في القرن السابع

١ - أبنا صموئيل المعترف (القلموني) (١٩)

حسب تحقيق المؤرخين، ولد صموئيل سنة ٥٩٧ م. في مدينة تسمى «داكلوبة» Daklûbe بالقرب من المدينة التي تدعى «بلهيب» Pellhip. ورُسم مساعد شماس وهو ابن ١٢ سنة، وفي الثامنة عشر رفض الزواج ورُسم شماساً، وبعد وفاة والده سلموه الكنيسة التي بناها أبوه، وعندما بلغ سنه ٢٢ عاماً صمم أن يصير راهباً. وحوالي سنة ٦١٩ م. انطلق نحو البرية وقد قاده أحد الشيوخ حتى وصل برية دير أنبا مقار، وأوقفه الشيخ (ملاك؟) على تلة عالية تطل على مجموعة قلالي دير أنبا مقار في المسافة بين ديريونس القصير ودير أنبا مقار، وأشار إليه بأصبعه على مغارة القديس أبنا أغاثو «راهب متوحد عظيم القدر»، فقبله أغاثو وحياه وصل على الشكل والقلسوة ومنطقة الجلد وألبسه إياها قائلاً: «إن إله أبينا القديس أبنا مقار وأبنا أنطونيوس يكون معك لتصير تلميذاً لهم». وعلمه الإضاع والصمت والمحبة والإفراز وكلمة «أخطأت حالني». وبعد ثلاث سنوات مرض أغاثو، وبالرغم من عناية أبنا صموئيل به تنيح، فبق صموئيل وحده ناسكاً يصوم مرتين في الأسبوع ويطوي الأربعين المقدسة بدون خبز على قليل من الخضر. وفي مدة بسيطة ذاع صيته بين الرهبان وكانت له مكانة كبيرة بينهم فرسموه قسيساً على كنيسة أبنا مقار.

وعلى يد هيراكليوس تم انهزام الفرس الذين كانوا قد أغاروا على مصر واحتلوها من سنة ٦١٦-٦١٧ م.؛ فعادت مصر إلى حكم بيزنطة التي أرادت ضم كل إقليم مصر تحت سلطانها، فأرسلت «كيرس» أو «كيرش» أسقف فاسيس في كولكيس وعينته بطريركاً وحاكماً في نفس الوقت على مصر وكان أول همٍّ له هو توحيد عقيدة البلاد بالقوة حتى تخضع لسلطانه، وكان أنبا بنيامين (الـ٣٨) هوبابا الإسكندرية في ذلك الوقت (٦٢٢-٦٦١ م)، الذي تحت إحساسه بالخطورة من الصدام ترك الكرسي واختبأ في الأديرة لتفادي الصدام مع السلطة الحاكمة وذلك سنة ٦٣١ م.؛ فسافر على قدميه ليلاً من الإسكندرية إلى مريوط، وانحدر منها إلى القلالي ثم

(١٩) راجع «أوراق متناثرة عن ميمر قبلي لتكريم أبنا صموئيل القلموني» بالفرنسية للأب سيمون نشره في مجلة «ميسيلانيس بيبليسي» ج ٢ ص ١٦١-١٧٨، طبع في رومية سنة ١٩٣٤.

اتجه إلى شيهيت، فوجد هناك رهباناً قلائل وليس بعددهم الأول وذلك بسبب غارة البربر سنة ٥٧٠ م. التي لم يكن قد مضى عليها كثيراً؛ ومنها انحدر إلى صعيد مصر حيث مكث مختفياً هناك في أحد الأديرة الصغيرة عشر سنوات حسب إرشاد الملاك له.

وقد حاول كيرش عبثاً تقريب وجهات النظر بالقول بالمشيئة الواحدة بدل المشيئتين، ولكن محاولاته ذهبت عبثاً أمام صمود عقيدة مصر بالطبيعة والمشيئة الواحدة للكلمة المتجسد!! ولما وجد كيرش بعض النجاح في أديرة ظاهر الإسكندرية اتجه إلى وادي النطرون وإلى دير أنبا مقار بالذات باعتباره مركز القيادة الروحية واللاهوتية في البلاد مؤملاً إخضاع رهبانه لوثيقته المسماه «طومس لاون وملحقاته»، والتي حملها قائده مكسيميانوس مع مائتي جندي. وبمجرد وصوله احتل كنيسة أنبا مقار الكبرى معطياً الأوامر لاجتماع رهبان البرية الذين كانوا كلهم تحت إمرة القمص يونس! ولكن كان يونس قصص شيهيت قد خرج لتوه حاملاً أواني البيعة وكنوزها لدفنها عند البحيرة الداخلية خوفاً من البربر الذين فاجأوه هناك وربطوه وأخذوه أسيراً...

ولما اجتمع الرهبان قرأ عليهم الضابط المذكور منشور «ليو» (طومس لاون) مع خطاب كوشيانوس (أي خطاب كيرس الكولشي Cyrus the Colchian) مطالباً الرهبان بقبول عقيدة خلقيدونيا، وأمر أحد الشماسة لينادي داخل الكنيسة إذا كانوا قد وافقوا جميعاً؟ وبعد ثلاث مرات والشماس يسأل عن رأي الشيوخ الرهبان كان يقابل السؤال كل مرة بصمت قاتل!! فابتدأ يحتل هدوء الضابط وهدد بالعقاب، فانبرى القديس صموئيل وكان عمره وقتئذ ٣٤ سنة مُهدداً بصوت جهوري: «نحن لا نوافق هذا الطومس ولا نقبل مجمع خلقيدونيا ولا نعرف برئيس أساقفة آخر سوى أبينا أنبا بنيامين».

وبعدها طلب صموئيل من الضابط أن يطلعه على الطومس، فلما مسكه أراه للجماعة كلها، ونادى بحرمان الطومس وجمع خلقيدونيا والبابا لاون جميعاً ومع كل الذين يقولون بعقيدتهم! ثم مزق الوثيقة إلى شرائح وألقاها خارج باب الكنيسة!!

ولكن كان نصيبه بالطبع العقاب بصورة وحشية حتى صار بين ميت وحي، فحمله تلاميذه الذين طردهم الضابط خارج الكنيسة، وذهبوا به قبلي الدير إلى الجبل المتاخم للدير في مغارة أمينة وأخذوا يعالجون جروحه حتى شفي بأعجوبة!... وبعدها قام أنبا صموئيل وانحدر جنوباً مع تلاميذه إلى إقليم الفيوم تاركاً وراءه شيهيت بتاريخها ليبدأ بنفسه صفحة أخرى من تاريخ برية القلمون!! وبخبرنا المؤرخ أبو صالح الأرمني (والصحيح أبو المكارم) في كتابه: «تاريخ الكنائس والأديرة»، باختصار شديد كيف وأين ومتى نزع رهبان دير أنبا مقار بسبب هذه الضيقة العظيمة هكذا:

[ويوجد خارج دير نهبيا بالجيزة قلالي كثيرة تابعة للرهبان الشيوخ الذين جاءوا من دير أنبا مقار زمان بطريركية أنبا بنيامين] (٢٠).

٢ - يونس قصص شيهيت

كان القرن السابع من أزهى العصور الروحية التي عبرت فيها برية القديس أنبا مقار سواء من جهة العبادة وتدريب طقوسها وصلواتها أو من جهة كثرة القديسين الذين ظهروا في هذا القرن أو من جهة العمارة التي قامت داخل الدير وخارجه، وكل هذا الفضل يعزى إلى شخصية قديسة عظيمة تجاهلها التاريخ الرهباني مع أنها جديرة بأن توضع فوق منارة، وهي شخصية الأب الفاضل القديس أنبا يونس قصص شيهيت المعترف. فعلى مدى ٧٠ سنة وهي الفترة بين رهبنته سنة ٦٠٣ م. وبين نياحته سنة ٦٧٥ م.، ظل الدير يوجع بأعمال العمارة، والبرية كلها يتجاوب فيها أصداً نشاطاً روحي منقطع النظير. وقد استقيننا سيرة هذا الأب الفاضل من كتاب تاريخ البطاركة، وكتاب السنكسار الكبير لناشره «باسيه»، ومن سيرة القديس أنبا صموئيل المعترف زميل القمص يوحنا الذي عاصره في جهاده في عمارة الدير، وفي آلامه وتعذيبه على يد قيرش الوالي البيزنطي بسبب طومس لاون الخلقيدوني، وفي الأسر على يد البربر.

والمعروف من سيرة القمص يوحنا أنه من مواليد شبرامنصو (٢١)، ويعتقد أنه ولد سنة ٥٨٥ م. [وقد وقع في أسر البربر ثلاث مرات، فاستعبده وأذلوه وحملوه آلاماً كثيرة] (٢٢).

وتبتدىء سيرة هذا الأب تتوضح لنا منذ الأسر الثالث الذي عاناه وقت قدوم قيرش الوالي الخلقيدوني إلى البرية طالباً قصص شيهيت ليعرض عليه طومس لاون للتصديق سنة ٦٣١ م. ولكن يوحنا كان في هذه اللحظة قد خرج من الدير حاملاً أواني البيعة وأمواها وذخايرها ليدفنها عند البحيرة الداخلية (٢٣) (المسماة بالفاسدة الآن). ولكنه فوجيء بالبربر الذين حملوه أسيراً إلى بلادهم (٢٤). وبعد أربع سنوات في الأسر تقابل هناك مع القديس أنبا صموئيل القلموني الذي أسره البربر وهو في برية القلمون جنوب الفيوم.

وبينا كانت مدة الأسر التي عاناها أنبا صموئيل قصيرة (٢٥) نجد أن فترة أنبا يونس قصص شيهيت تمتد إلى عدة سنوات (٢٦)، حيث كان يعمل راعياً للجمال هناك ولم يرجع من الأسر إلا

(20) Church & Monast., fol. 63 b.

(21) Hist. of Patr., p. 336.

(22) Ibid.

(23) Cauwenbergh, Etudes sur les moines d'Egypte, p. 87.

(24) Morgan, Ms., Life of Samuel, p. 21.

(25) Vida de Abba Samuel, ed. Periera, pp. 153 f. (Ethiop.).

(26) Synax. Basset, p. 467.

في بداية دخول العرب مصر. وبعد رجوع القمص يونس من الأسر أُقيم قصصاً على شيهيت (٢٧) وذلك سنة ٦٤١ م. لأنه كان كاهناً، ويقول كاتب تاريخ البطاركة: [لأنه كانت العادة في برية وادي هيبب أن كل راهب يوهب درجة الكهنوت (على كنيسة أنبا مقار) يُعِين قصصاً على شيهيت] (٢٨).

وهو الذي قام بنقل أجساد القديسين الشهداء التسعة والأربعين. كما أنه من المعتقد أنه هو الذي اضطلع ببناء كنيسة أنبا مقار (٢٩) وهيكلها المشهور والمذكور على مدى التاريخ الذي كرسه البطريرك أنبا بنيامين (٣٨). ويقول عنه كاتب سير البطاركة أنه [لم يشترك في إقامة الأسرار المقدسة قط إلا ورأى الرب المخلص في الرؤيا مع السيدة العذراء وكُشفت له أسرار كثيرة].

ويعطي كاتب السنكسار (٣٠) نموذجاً لانكشاف بصيرته وقدرته على التعليم وتهذيب النفوس: [إنه بينما كان أحد القسوس في طريقه إلى باب الكنيسة رأى يوحنا بالمنظر المعقول فإذا به تحيطه الشياطين من كل جهة ويضعون شيئاً في فمه، ولكن حيناً همّ بالدخول إلى الكنيسة رأى وإذا ملاك بيده سيف من النار يطرد الشياطين عنه، ولكن عندما أنهى القس تقديمه للأسرار ولبس ملابسه وهمّ بالخروج من الكنيسة إذا بالشياطين المنتظرين يحتاطون به مرة أخرى ويتسيطرون عليه؛ بهذه الرؤيا كان القديس يوحنا يعلم تلاميذه أن يفرقوا بين كهنوت الكاهن وبين سيرته كإنسان، لأن خدمة الكاهن الممسوك بالخطيئة لا دخل لها بخطيئته إذ لها نفس قوة الكاهن الطاهر] (٣١).

وعندما قربت أيام هذا الكاهن البار علم بساعة انتقاله بإعلان سماوي، فلما اجتمع الإخوة حوله أعطاهم نصيحته الأخيرة ثم مرض قليلاً، وفي لحظة انطلاقه رأى جماعة القديسين في انتظار خروجه.

[فأخذه الإخوة ليدفنوه، ولكنهم لشدة أمانتهم فيه وجههم له اقتسموا كفه الطاهر فيما بينهم وكان كل واحد منهم يأخذ قطعة منه للبركة والتذكارة، وكانت تجرى أشفية كثيرة بواسطتها. وقد عاش هذا الأب تسعين سنة (٣٢) وقد بقيت قلايته التي عاش فيها إلى هذا اليوم (زمن كاتب السنكسار) وعليها علامة في مكان قلاية بيجيج (بشبيش)] (٣٣).

(27) Crum, P.S.B.A., XXIX, p. 289.

(28) Synax. Basset, p. 465.

(29) Ev. White, II, p. 276.

(30) Synax. Basset, p. 336.

(31) Ibid., p. 465.

(32) B.N. Fonds Arabe, No. 256 (XVI Century). & No. 4869.

(33) Synax. Basset, pp. 465 f.

ولكي نعرف تحديد سني حياة هذا الأب الفاضل يلزمنا أن نرجع إلى سيرة أحد أولاده المشهورين جداً المدعو أبيماخوس الذي من أرواط (٣٤)، الذي عاش أكثر من مائة سنة قص دير السيدة العذراء بمنطقة تنيس سنة ٧٤٤ في أيام حكم القاسم (٣٥) (منطقة تنيس جزيرة بحيرة المنزلة وتبعد ١٠ أميال جنوب بورسعيد الآن). وأختير بعد ذلك أسقفاً على مدينة الفرما المسماة في التاريخ «بيلبوزيوم»، وذلك أثناء بطريكية أنبا ميخائيل الأول (٧٤٤-٧٦٨ م.) (٣٦). وقد تنيح أبيماخوس أسقف الفرما سنة ٧٥٠ م.؛ والمعروف أنه ولد سنة ٦٥٠ م.؛ وأنه التحق بشيهيت سنة ٦٦٨ م.؛ وتعلم على يدي أنبا يونس قصص شيهيت ومكث تحت تدبيره مدة لا تقل مثلاً عن خمس أو سبع سنوات. ومنها نعلم أن أنبا يونس ظل حياً حتى سنة ٦٧٥ م.، إن لم يكن بعد ذلك أيضاً.

لذلك يمكن تلخيص سيرة حياة أنبا يونس قصص شيهيت هكذا:
ولد سنة ٥٨٥، ترهب سنة ٦٠٣، أسر في المرة الثالثة سنة ٦٣١، أُقيم قصصاً على شيهيت سنة ٦٤١، وتنيح سنة ٦٧٥ في الثلاثين من شهر كيهك. وقد جعلته الكنيسة ضمن قديسيها الذين تتشفع بهم وتقيم لهم التذكار السنوي. بركة صلاته تكون معنا آمين.

وإن عظمة هذا الأب القديس لتبدو واضحة أشد الوضوح في كثرة تلاميذه وعلو مقدرتهم في القداسة والعلم وقد تبوأ معظمهم مراكز كبيرة في الكنيسة على مدى قرن من الزمان!

وقد رأى المؤرخ إقلين هويت أن يقسم أولاده إلى مجموعتين، وجعل مميزات المجموعة الأولى: الحفاظ على ناموس تدبير الحياة التوحيدية الساري في شيهيت منذ القدم، ومميزات المجموعة الثانية: الاتجاه نحو التجديد في الحياة الرهبانية.

القديسان ابراهيم وجورجي:

وهما أشهر المجموعة التي تميزت بالحفاظ على التراث التوحيدي الساري في شيهيت منذ القدم. وهما اللذان يوصفان بـ«آخر القديسين» في شيهيت. ونستقي سيرتهما من مصدرين أساسيين هما:
١ - نسخة عربية بها سيرة الأنبا زخار ياس أسقف سخا (٣٧)، وقد ورد ملخصها في السنكسار (باسيه) تحت يوم ٩ طوبة.

٢ - ملاحظات واردة في السنكسار ذات معلومات إضافية (٣٨).

(34) Hist. of Patr., p. 336.

(35) Hist. of Patr., p. 356; Lane-Poole, Hist. of Egypt in the Middle Ages, pp. 48-9.

(36) Hist. of Patr., p. 456.

(37) B.N. Fonds Arabe, No. 4888, Roc, XIV, p. 276.

(38) Synax. Basset, 9 Tübeh & 18 Bashans, pp. 531, 1035 f.

كان أبوه رجلاً ثرياً مشهوراً بكرمه ومحبه التي لا تنتهي، وكانت أمه امرأة تخاف الله، تقية، وقعت في الأسر عند غزو الفرس لمصر وأخذت عبدة، وقد استردها أهلها بعد أن انتصر هيراكليوس على الفرس في دستاجرد سنة ٦٢٨ م.، وقد رأت نجاتها في رؤيا قبل مجيء النجدة إليها...

وقد عول ابراهيم بعد وفاة والده أن يصير راهباً وكان وقتئذ ابن ٣٥ سنة، وقد ودعته أمه بالصلاة وباركت على عزم قلبه، وقد قصد راهباً شيخاً قديساً وهو الأب الطوباني أنبا يونس الذي كان وقتئذ رئيس كهنة وقصاً على دير أبينا أنبا مقار، وقد درب القمص يونس تلميذه ابراهيم بحزم فلم يدعه يتصل بأي إنسان آخر ولا يميل يميناً أو يساراً، [فعاش ابراهيم في الطريق المستقيمة طريق الطاعة في كل ما هو صالح واقتنى الإتضاع وحسن الظن بكل الناس] (٣٩).

وقد بدأ ابراهيم ينمو في القداسة واشتهرت حياته بين الرهبان سريعاً، وفي يوم من الأيام رأى رؤيا ظلت أصداؤها تتردد في شيهيت ودير أنبا مقار إلى قرون عديدة: [وفي يوم من الأيام في الساعة السادسة من يوم الجمعة الثالثة من الصوم الكبير بينما كان واقفاً في الصلاة في قلايته رأى وإذا بفتحة قد انفتحت في سقف القلاية؛ وفجأة رأى السيد المسيح نازلاً ودخل القلاية راكباً فوق مركبة مضيئة محاطاً بالسيرافيم والشيروبيم، فسجد ابراهيم طالباً البركة، فباركه الرب وصعد إلى السماء مرة أخرى] (٤٠).

وقد أخبر أن ملاكاً كان معيماً لحراسته وتعزيتته (٤١). وأخبر القديس ابراهيم أن هذا الحارس كان يوبخه على أفكار الدينونة التي كانت تدور في قلبه من جهة أحد الإخوة، فانتبه القديس وتخلص سريعاً من هذه الخطيئة وأصلح قلبه وابتدأ يتقدم بعد ذلك بسرعة في القداسة حتى أنه كان بمجرد أن يصلب على أي إنسان به روح نجس كان يخرج منه (٤٢).

وقد أخبر عنه أحد الإخوة أن قلايته كانت تُرى مراراً وهي مضيئة عندما يكون واقفاً في الصلاة.

وقد أخبر عنه كاتب سيرته، الأنبا زخارياس أسقف صا، أن أحد الإخوة ذهب إليه فجر يوم الأحد ليسأله عن أمر قبل دخول الكنيسة، فلما قرع بابه وجدته في حالة تهليل وفرح مفرط، ولما

(39) Ms. Cited, fol. 190 B.

(40) Ms. Cited, fol. 191 A.

(41) Ms. Cited, fol. 192 B.

(42) Ms. Cited, fol. 195 A.

سأله عن سرفرحه أجابه بصعوبة أن غريغور يوس النيسي أخا باسيليوس الكبير ظهر له وكان يتحدث معه (٤٣).

٤ — القديس جورجي

يلتصق اسم القديس ابراهيم باسم القديس جورجي، فهما الصديقان الوفيان اللذان لم يفترقا في حياتهما وموتها. وقبرهما كان من معالم شيهيت البارزة الذي ظل إلى قرون عديدة موضع تكريم البطاركة، وكان له رسم زيارة طقسية يقوم بها البطريرك سنوياً وفاءً لذكرى نسكها وقداستها وإخلاصها للحياة التوحيدية.

سيرة حياته:

يقص سيرة حياته وظروف لقائه مع جورجي القديس العالم الناسك أنبا زكريا أسقف صا، فيقول أن كلاً منهما كان متعبداً بمفرده، ابراهيم في جبل القديس مقار يوس بشيهيت وجورجي في جبل القديس أوريون، وبتدبير من الله توجه ابراهيم إلى جبل الأب أوريون وتقابل هناك مع القديس جورجي، وبعد حديث دار بينهما اتفقا أن يعيشا معاً في دير القديس مقار يوس. فرجع ابراهيم إلى شيهيت ولحقه جورجي بعد أن رتب أمور معيشته، ولكن بسبب ضعف جسده وعدم درايته بالطريق تعب في السفر حتى يش من الوصول إلى دير القديس مقار يوس، وإذا به فجأة يجد نفسه أمام الدير؛ فتقابلا ولم يفترقا بعد ذلك طول حياتهما. و يضيف السنكسار (لباسيه) تحت ١٨ بشنس أنها تتلمذا معاً فترة طويلة تحت تدبير القديس أنبا يونس قص شيهيت، وأن في منشوبيتها لا تزال الطاقة التي ظهر فيها السيد المسيح باقية (٤٤).

وللتدليل على مكانتها العالية ما جاء بقلم المؤرخين الكنسيين العظام في تاريخ البطاركة عن سيرتها العطرة وطريق حياتها المستقيم والمتمسك بروح الآباء الأوائل: [لقد سارا معاً في طريق أنطونيوس الكبير وأكملوه حتى الغاية] (٤٥).

وقد أمضى القديس جورجي أواخر أيامه في مرض استتال عليه، ويقول السنكسار: [وحيثما تنيح الأب القديس يونس القمص، ساق الشياطين على القديس جورجي مرضاً ظل يرافقه ثمانية عشر سنة، فلما قربت أيامه طلب أن يتناول من جسد الرب، وقد حضر إليه بالروح أبوه أنبا يونس وأخبره أن الرب يدعوه للوليمة العظمى، فرقد في سلام كامل وهو ابن ثمانين سنة] (٤٦).

(٤٣) يلاحظ أن طقس دير أنبا مقار كان دائماً أبداً لا تقام فيه القداس إلا يوم الأحد فقط. انظر أيضاً:

Ev. White, II, p. 279

Ms. Cited, fol. 197 A.

(44) Synax. Basset, pp. 1035.

(45) Hist. of Patr., p. 337.

(46) Synax. Basset, p. 533.

ويضيف أنبا زكريا كاتب سيرته قائلاً: [لم تكن نياحته بدون آية: فكثيرون ممن كانوا ملازمين فراش مرضه في ذلك اليوم — وقد كانوا أخوة مختارين ومقدمين — رأوا ملائكة ومعهم جماعة الآباء القديسين يونس القمص وأنبا مقار الكبير وأنبا بيشوي مع جمع غفير من القديسين، ورفعوا روحه من الوسط إلى مواضع الراحة. وقد أكمل سعيه في شيخوخة حسنة وهو ابن ٨٥ سنة عاش منها ٣٤ سنة في العالم، و٥١ سنة راهباً].

تحديد تاريخ حياته:

نعتمد في تحديدنا لتاريخ حياة القديس جورجي على التاريخ الثابت لأبيه الروحي القديس يونس قص شيهيت. فإذا كان جورجي قد تنيح بعد أبيه الروحي بمدة ثمانية عشر سنة، والمعروف أن أنبا يونس تنيح سنة ٦٧٥ م، يكون ميلاده سنة ٦٥٨ م، ويكون قد ترهب حوالي سنة ٦٤٢ أي بعد غزو العرب لمصر مباشرة.

بيجيج، بشيش (٤٧):

وهو اسم القلاية (دير صغير أو منشوبية) التي كان يعيش فيها كل من ابراهيم وجورجي، وكانت تجاور قلاية أبيها الروحي أنبا يونس قص شيهيت. وظلت قلاية ابراهيم وجورجي من معالم شيهيت البارزة حتى بعد القرن الرابع عشر، وهذا الاسم أطلق فيما بعد على قلايتها ربما للدلالة على مدينة معينة أو على شكل القلاية أو هو اصطلاح معين يعود إلى شيء من حياة أنبا مقار كما يقول العلامة كرام. والمعروف حالياً أنها المبنى المتهدم الذي يجاور دير زكريا من الجهة القبلية. وبرجعنا إلى كتاب تكريس الميرون نقراً عن البطريرك أنبا بنيامين الثاني (١٣٣٠ م). أنه في دورته الطقسية يوم أحد الخوص ركب من الدير وزار «مغارة الآباء» ثم زار «مقبرة الآباء الرهبان حيث صلى الترجيم على مقبرة ابراهيم وجورجي».

٥ — القديس أغاثو العمودي

من أهالي تنييس (جزيرة ببحيرة المنزلة على بعد ٩ كيلو جنوب غربي بورسعيد، الآن مغمورة). وكان أبواه تقيين يخافان الله. التهب نفسه بحب الرهينة منذ حداثة سنه، ولكنه تعوق كثيراً إذ لم يستطع أن ينطلق إلا بعد أن بلغ ٤٠ سنة. وقد توجه أولاً إلى إقليم مريوط ومنها اتجه جنوباً نحو الصحراء المترامية يقوده ملاك، حتى وصل إلى دير أنبا مقار وتعلم على ابراهيم وجورجي ثلاث سنوات. أرقنوه بعدها أمام المذبح مع أنبا يونس قص شيهيت وظلوا يصلون ثلاثة أيام فوق ملابسه ثم ألبسوه إياها ثم منطلقوه بالإسكيم السماوي. وعاش أغاثو بعدها عيشة شظفة

(٤٧) أنظر تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية، ساويرس بن المقفع، المجلد الثاني/ جزء ثان ص ١١٩.

(47) Crum, P.S.B.A., XXIX (1807), p. 290.

قاسية، وقد أدمن الصلاة، وشغف جداً بحياة القديس سمعان العمودي مدة عشر سنوات اشتاق بعدها أن يقتني سيرة حياته. فاستشار الآباء، وبعد أن حصل على موافقتهم وصلواتهم ترك شيهيت واستقر في مكان قريب من «سخا» حيث بنى له المؤمنون هناك عموداً صعد عليه وعاش عيشة العموديين. وقد صنع معجزات كثيرة، وتنيح عن مائة عام في ١٤ توت وهو يوم تذكاره. وقد قضى فيها خمسين سنة عامودياً (٤٨).

والمعروف من السيرة أنه عاش مع ابراهيم وجورجي مدة ثلاث سنوات يخدم مع يونس قص شيهيت حتى تنيح. ومن هذا نعلم أن مجيئه إلى شيهيت كان حوالي سنة ٦٧٨ ونياحته تكون حوالي سنة ٧٢٨. والذي يهمنا جداً من سيرة هذا القديس العمودي هو الفضل الذي أسداه لدير أنبا مقار فيما يختص بالتشديد في نظام العبادة بالسواعي. فبعد أن كانت السواعي المرعية في الصلاة عند الرهبان تقتصر فقط على ساعتين وهما الغروب ونصف الليل — كما يخبرنا كاسيان (٤٩) — استطاع أغاثو أن يقنع الرهبان بضرورة الصلاة بالسواعي القانونية كلها (٥٠).

وقد جاء هذا الخبر في سيرة القديس يوحنا كاما (٥١)، حيث يقول الكاتب أن الأب دوروثي (ذورثيوس) — وهو صاحب القلاية (الدير) المشهورة باسمه، علم يوحنا كاما «قانون الخدمة المقدسة بالسواعي وكيف يصلي في كل ساعة من الساعات القانونية حسب وصية أبينا أنبا أغاثو العمودي».

٦ — أنبا زكريا أسقف صا

ليس عبثاً ما يقوله السنكساري تطويب ابراهيم وجورجي أنها «آخر القديسين»، إذ أن سيرتها تقف مساوية تماماً للقديسين مقار يوس وبقية آباء القرن الرابع وذلك في الإنعكاف على التوحد والاهتمام بجوهر الرهينة أي النسك والصلاة فقد عاش هذان القديسان وكأنما في عزلة كاملة عن العالم المحيط آنذ، في حين أن رهبان المجموعة الثانية من أولاد يونس قص شيهيت بدأت تظهر على سيرتهم علامات تفيد أن الحياة الرهبانية في جوهرها كتوحد ونسك وصلاة لم تعد الهدف الأخير، وإنما مجرد خطوة أو قنطرة لنيل وظائف كنسية أفضل!!! والمؤسف — على حد قول إقليد هوأيت في هامش كتابه الثاني ص ٢٨٢ — أنه منذ ذلك الحين أصبحت الرهينة طريقاً سهلاً يؤدي إلى الظهور والتفوق عن طريق الوظائف الكنسية!!!

فبينما يبقى ابراهيم وجورجي وأغاثو العمودي (إذا استثنينا فرصة الظهور والمجد المكشوف في

(48) Synax. Basset, Tût 14, pp. 51 f.

(49) Ev. White, II, 209, 281.

(50) The Copt. Morn. Service for the Lord's day, by Marquis of Bute (1882).

(51) Ed. by M.H. Davis, pp. 24, 25.

المعيشة على العمود) منعكفين على القداسة في جوهرها السري غير المنظور؛ إذ بالفريق الآخر في هذه العائلة الروحية يتبارى في اعتلاء مواقف الكرامة في قائمة المجد المنظور. وأول فارس في هذا المضمار من هذه المجموعة كان زكريا.

حياته الأولى مجهولة، ولكن المعتقد أنه جاء شيهيت في نفس الزمان الذي جاء فيه ابراهيم وجورجي حوالي سنة ٦٤٢، وبسرعة خاطفة اشتهر اسمه. ونسمع عنه مبكراً، فعند زيارة أنبا اسحق البطريك (٦٥٢-٦٥٤ م.) كان زكريا على رأس دير أنبا مقار، واتخذ اللقب المشهور «كاهن وقص الدير المقدس الذي لأبينا أنبا مقار». وشاع عنه أنه «رجل رؤى وإعلانات». وكان مقرباً من أنبا يونس قص شيهيت كما يقول أنبا مينا المؤرخ أسقف إيشادي (٥٢). و يروى عن أنبا زكريا أنه هو الذي استمع إلى رؤية ابراهيم البليسي التي رآها وهو قائم في مغارة الآباء الشهداء الشيوخ التسعة والأربعين (٥٣).

والمعروف أيضاً أنه هو الذي قام ببناء القلاية الكبيرة (دير أنبا زكريا)، وهو الدير (مانشوني) الذي أصبح من أكبر مجموعات أديرة (مانشوبيات) أنبا مقار في المنطقة، والتي اشتهرت بالقلاية الكبيرة = دنشيري. وظلت هذه القلاية عامرة «وتخرج» فيها عدة أساقفة وبطاركة (٥٤)، ربما كان آخرهم هو ميخائيل الخامس في القرن الثاني عشر. ويعتقد أن زكريا هذا أخذ لقب «قص» عند نياحة أنبا يونس قص شيهيت مباشرة سنة ٦٧٥، وذلك أثناء بطريكية يوحنا الثالث (٦٧٧-٦٨٤ م.). وقد سقوه على «صا» أو «صايس» كما يؤرخ أنبا مينا أسقف بشادي، ولكن يبدو أنه لم يدم على كرسيه كثيراً (٥٥) إذ دمه مرض عضال، وإذ علم بالروح أنه مرض الموت قفل راجعاً إلى شيهيت حيث قام بتمر يرضه ابنه الروحي اسحق. فلما دنت وفاته جمع أولاده وباركهم وتنبأ عن مستقبل اسحق «الكبير» وأسلم الروح، ودُفن في شيهيت حيث ظلت ذكراه والمعجزات التي صنعها في حياته يتردد صداها في شيهيت على مدى السنين.

أما سنة وفاته فكانت ٦٨٤ م. المرادفة لزمن نياحة البطريك يوحنا الثالث الذي خلفه اسحق تلميذ أنبا زكريا.

٧ - أنبا اسحق

يخبرنا أنبا مينا أسقف إيشادي (نقيو أو نقيوس) عن اسحق أنه ينحدر من أبوين تقيين. وكان يعمل مع قريب له يشغل وظيفة كاتب عند والي البلاد البيزنطي المدعو جورج، ولكنه كان بالرغم من تقلده لهذا المنصب الرئاسي يمارس حياة النسك، ولما اضطره أبواه على الزواج هرب إلى شيهيت وتلمذ على أنبا زكريا، ولما خاف زكريا أن يكتشف أبواه مكانه ويجبراه على العودة، أرسله إلى ترنوط (الطراثة الآن)، ثم من ترنوط أرسله مع أب ناسك يدعى ابراهيم إلى جبل «باماهو» (٥٦). ولكن أخيراً رضخ الأبوان لرغبة ابنها فعاد في أمان لشيهيت مرة أخرى وبدأ حياة النسك التي كانت تعتبر مثالية، فكان يسهر الليل مصلياً وفي النهار يخدم الإخوة في الدير كونه، يوقد المواقد ويعد المائدة وينظف المراحيض **малгемси** وينزحها، حتى دعي على اسحق اسم من أجل الأسماء «ابن المجمع» (٥٧) **Отцыи лкoлшлмд**.

وفي الوقت المعين اختاره البطريك أن يكون تلميذاً له Synellos وكاتم سره «Secretary». ولكنه كان مغموماً غماً شديداً بسبب تركه للبرية، وأخيراً اتفق مع البطريك أن يخدم شهراً واحداً، كان يساعد فيه البطريك على كتابة الخطاب الفصحي السنوي ثم يعود إلى ديره ليقتضي بقية السنة في الدير، وكان ذلك قبل أن يرسم معلمه أسقفاً على «صا».

وقد اعتاد اسحق عندما يحين فصل الصوم الكبير أن يعتكف في قلاية نائية عن الدير ليضي الصوم في وحدة كاملة. وكان يزوره فقط كل من ابراهيم وجورجي اللذين كانا يتعجبان وينتفعان من نسكه إذ لم يكن يوجد في قلايته إلا الخبز والملح!!

وبعد سنة من نياحة معلمه زكريا، أعلم البطريك يوحنا بالروح أن الذي سيخلفه في البطريكية هو اسحق. فأخذه عنده واحتفظ به حتى زمان نياحته.

وبنياحه أنبا يوحنا الثالث انتخب اسحق، بعد تمنع شديد، ليكون بطريكاً. وكان ذلك على أثر سقوط قنديل كنيسة القديس سرجيوس على الراهب اسحق ومسحه بالزيت وهو واقف وسط جماعة المنتخبين المتحيرين، فصرخ الجمع «هذا هو المستحق، هذا هو المستحق».

ولكن حياته كرئيس في الكنيسة لم تكن طويلة، إذ تنيح سنة ٦٨٧ م. بعد أن جاء إخوته الروحيون وخدموه في مرضه. وقد استمرت بطريكيته حسب تقدير أميلينو من ٤ ديسمبر ٦٨٥ - ٦ نوفمبر ٦٨٨ م. (٥٨).

(٥٦) جبل باماهو موجود في إقليم الجيزة - أنظر جغرافية إميلينو، ص ٢٩٧.

(57) Menas Vie d'Isaac, p. 27.

(58) Ev. White, II, 284.

(52) Menas Vie d'Isaac, ed. Procher, p. 15.

(53) Amélineau, Notices et Extraits, XXXIX, p. 336.

(54) Cod. Vatic. Copt., Nos. LXI, LXVIII.

(54) Zoëga, Cot., Nos. XLIII, LIV.

(55) Menas Vie d'Isaac, p. 36.

و يُعتقد أنه اعتلى الكرسي سنة ٦٨٤ وهو ابن خمسين سنة، فيكون ميلاده سنة ٦٣٤، ومجيئه إلى شبيبت حوالي سنة ٦٥٢ م.

٨ — أنبا مينا أسقف تمي

وتعيّد الكنيسة لتذكاره في ٧ هاتور (٣ نوفمبر)، وهو أصلاً من أهالي سمنود، وإذ أجبروه على الزواج رغماً عن مشيئته ترك زوجته وهرب إلى دير القديس أنطونيوس وتصادق هناك مع راهب زميل له يدعى ميخائيل الذي صار بعد ذلك بطريركاً.

وحدث أن اتفق الإثنان على ترك الدير والذهاب إلى برية القديس مقاريوس، وتلمذ مينا على إبراهيم وجورجي وقد نال إعجابها بمواهبه وفضائله وفي أثناء بطريركية أنبا سمعان الأول (٦٨٩—٧٠١ م.) رسموه أسقفاً على تمي أو تمويس، ولكنه ندم كثيراً وبكى وأعطى لنفسه الويل. وفي أثناء أسقفية أعطاه الله قوة الشفاء وكشف النفوس. وقد كان أباً روحياً لأربعة بطاركة: اسكندر الثاني الذي رسم سنة ٧٠١ م.، وقزماش، وثيودور، وميخائيل الأول الذي رسم سنة ٧٤٣ م.، ووضع اليد على جميعهم وقت رسامتهم. وقد تنيح هذا الأب في سن الشيخوخة (حوالي ٩٥ سنة) وذلك سنة ٧٦٨ م.، وبذلك يكون تاريخ ميلاده حوالي ٦٧٣ م.، أما وصوله إلى شبيبت فلم يكن قبل ٦٩٠ م. (٥٩).

٩ — أنبا ميخائيل الأول

وهو الذي رافق مينا من دير أنبا أنطونيوس إلى دير أنبا مقار. وكان له صديق النسك والعبادة. ويغلب الظن أنه تلمذ أيضاً على إبراهيم وجورجي. وقد ذاع صيت قداسته ونسكه حتى أنه وقت الرسامة قيل عنه «الرجل القديس الفاخر الكاهن ميخائيل الذي بكنيسة أنبا مقار البتول الطاهر الذي نشأ وترى في البرية». وقد رسموه بطريركاً سنة ٧٤٤ م.

١٠ — أنبا مينا أسقف نقيوس (أبشادي)

المعروف عن هذا الأب أنه كان تلميذاً للأب الكبير القمص يونس قصص شبيبت. وكثيراً ما يخطىء المؤرخون بينه وبين مينا أسقف تمي، والفرق الزمني بينها كبير، فينا أسقف تمي لم يحضر إلى شبيبت إلا بعد نياحة يونس قصص شبيبت. وقد خلف مينا أسقف نقيوس (نقيوس أو إبشادي) سلفه يوحنا أسقف المدينة المذكورة وهو المؤرخ الكنسي المشهور (٦٠).

(59) Ibid.

(60) Hist of Patr., p. 287 f.

١١ — أنبا زكريا أسقف سخا، وبطليموس

وهما آخر تلميذين من عائلة أنبا يونس قصص شبيبت الروحية من المجموعة الثانية التي تبوات المراكز المرموقة في الكنيسة. ويذكرهما كل من السنكسار (٨٠٤، وتاريخ البطاركة صفحة ٣٠٠).

وزكريا هذا هو أصلاً من عائلة كتبة، وكان مستخدماً في الديوان قبل دخوله الرهبنة، وقد تعرف أثناء خدمته في الديوان على زميل له اسمه «ابلا توس» (بتولي = بطليموس). وقد عانى كل منها صعوبات جمة حتى استطاعا التخلص من خدمة السلطان وهربا معاً سرّاً إلى شبيبت؛ وتوجها أولاً إلى دير أنبا يونس القصير وظلا من هناك على صلة بكل من إبراهيم وجورجي يستشيرانهما في كل أمور حياتهما، فأحرزا تقدماً سريعاً في المعرفة الروحية وكان ذلك حوالي سنة ٦٨٠ م.

فلما خلا كرسي سخا طلب البطريرك سمعان الأول (٦٨٩—٧٠١ م.) الراهب زكريا؛ فأحضره من البرية ورسمه أسقفاً على المدينة المذكورة سنة ٦٩٥ م. أما رفيقه بطليموس فرسمه على منوف العلاء.

وقد خدم زكريا كرسي سخا ثلاثين سنة وتنيح سنة ٧٢٥ م.، وقد اشتهر زكريا أسقف سخا في التاريخ الكنسي بصفته مؤلفاً كنسياً ممتازاً، فقد كتب المقالات وألف المواعظ وصنّف الكتب، وكان فصيحاً مملوءاً من النعمة والمواهب حسب قول كاتب السنكسار. وقد وصلنا أربع عينات من كتاباته: اثنتان عن دخول المسيح أورشليم وتوبة أهل نينوى (٦١)، واثنتان من تراجم حياة قديسين أولاهما سيرة إبراهيم وجورجي (٦٢) والثانية سيرة يوحنا القصير (٦٣).

□ □ □

وفي نهاية سيرة هذه الجماعة الرهبانية لا يسعنا إلا أن ننحني أمام شخصية يونس قصص شبيبت، هذا القديس المتسع القلب والفكر الذي استطاع أن يسقي هذه الغروس من نبع الروح والمعرفة الروحية. فالذين استقوا الروح صاروا قديسين على مستوى الآباء الأوائل تماماً، ولكنهم كانوا قلائل بل اثنين فقط، هما إبراهيم وجورجي؛ أما الذين استقوا المعرفة الروحية فطوّخت بهم المعرفة إلى كراسي التعليم فصار منهم اثنان من البطاركة وستة من الأساقفة (٦٤).

(61) Zoëga Cat. No. XII, p. 10.

(62) B.N. Fonds Arabe, No. 4888, (R.O.C., XIV, p. 276).

(63) Ed. Amélineau, A.M.G., XXV, pp. 316 f.

(64) ولكن يضاف إلى هذين البطريركين أيضاً كل من أنبا يوحنا الثالث السمنودي وقزمان الأول (٧٣٠—٧٣١) الذي كان =

وهكذا نجد أن القرن السابع ازدحم بالنشاط المعماري والروحي بدرجة فائقة.

القرن الثامن شحيح في أخبار العمارة

أما في القرن الثامن فلا نجد إلا اسمين أو ثلاثة كان لهم علاقة بعمارة دير أنبا مقار:
الأول منهم هو أنبا خائيل أو ميخائيل الأول البطريرك الـ٤٦ (٧٤٣-٧٦٧ م.)، وكان قساً تقياً ورعاً ورئيساً على دير أنبا مقار، رفيقاً لمينا أسقف نقيوس وتلميذاً لابراهيم وجورجي، وكان مشهوداً له بالقداسة. وقد أبدى اهتمامه بدير أنبا مقار الذي كان رئيسه وقتئذ أثناسيوس قصص دير أنبا مقار (٦٥) الذي وقف بجوار أبيه الروحي خائيل الأول حال آلامه والإضطهادات التي عاناها على يد الخليفة الأموي مروان الثاني بن محمد سنة ٧٥٠ م. وقد أقيمت الصلوات والأصوام داخل دير القديس أنبا مقار مدة أيام كثيرة من أجل البطريرك خائيل الأول، فنجاه الله بصلوات الآباء بأن هزم الخراسنة مروان وأتباعه وذلك في أول يوم أعلن فيه آباء الدير الصوم والصلاة؛ وكان يوم السبت آخر أبيب (٦٦).

وقد خلف خائيل في البطريركية أنبا مينا الأول (٧٦٧-٧٧٦ م.) الذي من دير أنبا مقار، وكان الابن الروحي لأنبا خائيل حال وجوده بالدير. وقد خلفه أيضاً في رئاسة منشوبيته ولعلها منشوبية ابراهيم وجورجي.

وبعد مينا الأول جلس أنبا يوحنا الرابع على كرسي البطريركية (٧٧٧-٧٩٩ م.)، وكان راهباً تقياً من دير أنبا مقار. وفي أيامه تمت أعمال معمارية هامة بالدير، وأعيد تزيين كنيسة أنبا مقار بما يتناسب واستقبال جسد القديس أنبا مقار. ويعطينا الراهب إيفانيوس الذي من أورشليم، في مدوناته، صورة أخيرة لدير أنبا مقار في أيام أنبا يوحنا الرابع تصف عمائر وازدهار الدير في نهاية هذا القرن سنة ٨٠٠ م. هكذا: [وكان الدير كالقلعة يحوي حوله ألف قلاية!!] (٦٧). ووقتئذ (٨٠٠-٨١٠) كان قد تم نقل جسد القديس أنبا مقار، ويقول هذا الزائر عن القديس مقاريوس: [وهناك القديس مقاريوس الكبير الذي أصبح الآن مجاوراً للفردوس].

القرن الثامن يحمل الذكرى العطرة لنقل جسد أنبا مقار

وفي أيام هذا البطريرك المبارك، تم نقل جسد القديس أنبا مقار من كنيسة مدينة «ألمى» بسرية القديس مقاريوس (تاريخ البطارقة ص ٣٣٨). كما يضاف إلى الستة الأساقفة أيضاً كلٌّ من: بطرس أسقف تارنوط، وموسى أسقف أوسيم (تاريخ البطارقة ص ٣٦٠ و٣٦١).

(65) Hist. of Patr., pp. 429, 435.

(66) See: Lane-Pool, Hist. of Egypt in the Middle Ages, p. 30; Hist. of Patr., p. 410.

(67) Epiphanius, Hagiographites, Visit., Ed. Dressel, p. 6.

بجوار ششوير (شباشير الآن) إلى ديره. ونقلوا مع التابوت الذي كان يحوي جسده الطاهر جزءاً من جسد الشهيد أنبا أندونيوس في تابوت آخر صغير. وكان ذلك بحسب تحقيق المخطوطة العربية الموجودة بالدير (تحت رقم ١٨ سير آباء) هكذا:

[في ١٧ مسرى سنة ٥٠٩ للشهداء الأظهار (٧٩٣ م.) في السنة الثامنة عشر من بطريركية أنبا يوحنا (يونس) الرابع... في أيام أنبا جورجي أسقف مصر (القاهرة) الذي كان مهتماً بعمارة البراري المقدسة. وكان في ذلك الوقت رئيس المتوحدين على دير أنبا مقار هو القديس خائيل القس الإيغومينوس على جبل شيهيت خلفاً للقديس أنبا جورجي. وخائيل القس هذا، كان الابن الخصوصي لأنبا خائيل رئيس الأساقفة. وكان أيضاً في ذلك الوقت أقيم الدير (أو الربيطة) هو أبا كييري اللابس الإله المجتهد الذي من قبل اجتجاده أشرق علينا نور هذه الجوهرة الثمينة (جسد القديس أنبا مقار)].

ويقال أن جسد القديس أنبا مقار ظل بعيداً عن ديره مدة طويلة من سنة ٤٨٠ م. تقريباً حتى سنة ٧٩٣ م.، ولم يفكر الرهبان طيلة هذه المدة في كيفية رجوعه لأنهم كانوا منهمكين في عبادتهم الروحية الخالصة وخلّاص أنفسهم غير منشغلين بالمظاهر والتفاخر بالأجساد التي بدأت منذ ذلك العصر تأخذ صورة تنافس بين الأديرة كمصدر ثروة مادية بسبب كثرة الزائرين للبركة والتشفع بصلوات القديسين للشفاء (٦٨).

وتذكر نفس المخطوطة (٦٩) أيضاً أن جسد أنبا مقار الإسكندري كان موجوداً وقتئذ بالدير. كما انضم إليهم جسد أنبا مقار أسقف ادقاو (مدينة بأسوط) في بطريركية أنبا خائيل الثالث (٨٨٠-٩٠٧ م.). أما جسد القديس يونس القصير فقد نقل إلى دير أنبا مقار من ديره سنة ١٤١٣ م. إثر تداعي سقف الدير وسقوطه بعد أن أكله النمل الأبيض.

نقل جسد أنبا مقار

[وأهل ششوير بلد أبينا القديس كانوا يأتون إليه مجتهدين لأن يسجدوا عليه وينظروا الآيات الإعجازية التي تظهر من جسده المقدس، من بعد ما كانوا يرونها منه حين كان في الجسد. فقرروا بعضهم مع البعض أن يحملوه خلسة من البرية إلى بلده ششوير. ولهذا فقد اجتمع جموع كثيرة وجاءوا خفية إلى شيهيت لأنهم قد سبقوا أن عرفوا الموضع الذي كان فيه جسد أبينا القديس، فذهبوا وأخذوه من الموضع الذي كان فيه، وحملوه على دواب إلى ششوير وبنوا له كنيسة وزينوها حسناً كما يليق بكرامته ووضعوه فيها من أجل أن أرض مصر كانت في هدوء]

(68) Ev. White, II, p. 292.

(٦٩) مخطوطة رقم ١٨ س من صفحة ٥٥-٦٢.

عظيم في تلك الأيام، لأن المملكة كانت للروم في ذلك الزمان. ومن قبل البارقليط الكائن فيه كانت أشفية كثيرة ومعجزات كثيرة تحدث في تلك البيعة.

ومن بعد هذا لما ملك المسلمون أرض مصر ابتدأت هذه البيعة تخرب قليلاً قليلاً من جهة نيرهم الثقيل المر. وكذلك ششوير أيضاً خربت ولم يبق منها إلا القليل. فلما نظر الأرخن المحب للمسيح يوسف الذي من أهل أوما أنه لم يبق من يهتم بتلك البيعة التي كان فيها جسد أبينا النبي العظيم أنبا مقاره، مضى مهتماً مع كهنة كثيرين ليحمله إلى أوما، وكانوا يمشون حاملينه بهدوءٍ عظيم في سنة ٥٠٠ للشهداء (٧٨٤ م.)؛ ولوقت بنوا كنيسة حسنة ووضعوه فيها لأجل أنه كانت له أمانة كبيرة في رجل الله العظيم أنبا مقاره.

ومن بعد هذا كان في سنة ٥٠٩ للشهداء القديسين (٧٩٣ م.) الذين كملوا على عهد دقلديانوس الملك الكافر، في السنة الثامنة عشرة من رياسة أبينا البطريرك الابس الله أنبا يونس رئيس أساقفة الإسكندرية الذي زين البيعة مثل أثناسيوس الرسولي، الذي نادى بالأوامر المستقيمة، مثل جرو الأسد كيرلص الذي صار قاطعاً وصانعاً للكتب بحرارة عظيمة على الجمع النجس الذي اجتمع بخلقيدونية، مثل ديسقوروس المعترف الحقيقي، الذي أشهر معرفة الأرثوذكسية جهراً من قبل فلسفة أوامره السرية، ومثل ثيودوسيوس حجر الماس الذي لا ينكسر، الذي صار مخوفاً لكل شربع الأمانة، إذ يطعن — برماح رسائله القوية العجيبة — واحدة واحدة منها، مثل العظيم في البطارقة ساويرس، وبالْحَقِيقَةُ قد صار كغم الذهب الجديد في جيلنا، وذلك أيضاً في أيام أنبا جاورجي الأسقف الفاضل الذي لمصر مدبر جميع كنائس الثيودوسيين هذا الذي صار مهتماً بعمارة البراري المقدسة، وكان رئيس المتوحدين لكنيسة أبينا القديس المبارك العظيم أنبا مقاره — أنبا خائيل القس والإيغومانس العابد لله الذي جاء من بعد الطوباني أنبا جاورجي الابن الخاص لأنبا خائيل رئيس أساقفة الإسكندرية، وكان أقنوماً لهذه البيعة الواحدة أبا كيري القس الابس الله. هذا الذي من جهة اجتهاد اهتمامه، أشرق علينا نور هذه الجوهرة الثمينة أعني جسد أبينا المبارك العظيم أنبا مقاره، وسُرَّ الثالث المقدس أن يصنع هذه الزحمة العظيمة على الأربعة أديرة في شيهات، هذه النعمة التي لا ينطق بها، هذه الصعيذة المملوءة من كل ستر ومعونة وخلاص وشفاء للأنفس والأجساد معاً، وفي هذه السنة الواحدة كان صاحب السرائر الخفية المعلم الحقيقي بالحقيقة المصباح المضيء أبينا أنبا يونس رئيس أساقفة الإسكندرية في جبل شيهت في أيام السارستيك التي هي الأربعين المقدسة. فلما كان ذات يوم وبيننا الشيوخ جلوس حوله وهو يروهم من ينبوع ماء الحياة النابع من فيه، أتى ذكر أبينا القديس العظيم أنبا مقاره وكأنه متحرك من الروح القدس. فقال للشيوخ باشتياق حسن: كنا نشتهي الآن أن يكون في هذا الموضع عندنا جسد أبينا أنبا مقاره لكي في كل وقت نشتهي أن ننال بركته بسجودنا عليه. ثم امتلاً من روح النبوة، فقال: أنا أرجو أن الله يكمل لنا هذه المسألة. ومن بعد ما فرغ من

الإحتفال بعيد القيامة المقدسة مضى إلى قلاية البطريركية من أجل اهتمام البيعة المقدسة. وبعد ما ذهب، كان الكلام الذي خرج من فيه كأنه من البارقليط روح القدس الساكن فيه، وكان مثل النار التي تتقد داخل قلب أبينا المتعبد لله أبا كيري أقنوم البيعة المقدسة التي لأبينا الصديق العظيم أنبا مقاره وهو مثل النار الإلهية التي تتوقد فيه، كان يكمل ما سبق أن يرسم له ليكون في الزمان الأخير من قبل تدبير المسيح وسابق علم الله خالق المسكونة كلها.

ويوماً بعد يوم وهذا الاشتياق والاهتمام ينبع ويتحرك داخله، مضى في اهتمام خدمة البيعة المقدسة في شهر مسرى. وبيننا هو في الكرم الذي للبيعة المقدسة التي على عبر البحر مشهد (٧) القديس أبادير، وكان معه القس العابد لله أنبا خائيل الذي كان إيغومانساً لجبل شيهات في تلك الأيام، لأنه هو أيضاً كان في هذه الشهوة الطوبانية، وكذلك أبا كيري كان له هو الآخر الاشتياق الحسن، هذا ذكره قائلاً لأنبا خائيل: يا أبتاه بمشيئة الله فلنبتدىء أن نصنع كل اجتهاد كما نستطيع أن نحضر جسد أبينا الطوباني العظيم القديس أنبا مقاره من مصر إلى هذه البرية المقدسة عزاءً أدياً وأساساً غير متزعزع لجميع الرهبان العباد الساكنين بهذا الجبل. أما أنبا ميخائيل ففرح جداً على هذا الكلام لأنه كان يشاق إليه، وقص هذا الكلام أمام الشيوخ المحبين للإله، فسرههم ذلك وتعزوا وطلبوا إلى الرب أن يكمل لهم هذا السؤال سريعاً، حينئذ اختاروا الشيوخ الذين كانت هذه المشورة أمامهم: أنبا خايل وأنبا كيري مع عشرين راهباً من الإخوة وأرسلوهم قائلين: إله أبينا الصديق أنبا مقاره يصحبكم ويعيدكم إلينا حاملين هذا الكنز العظيم المعطر والجوهر المتقد، أعني جسد أبينا المبارك العظيم أنبا مقاره. أما هم فلما ذهبوا قاموا في ذلك الموضع متطلعين ومشتاقين أن يشاهدوا الجوهر الحقيقي.

ثم أن أحد الشيوخ الذين مضوا ليحضروا جسد أبينا الصديق أنبا مقاره شهد لنا قائلاً: «إنني رأيت في الليل كأنني مع الإخوة قائم في البيعة التي بناحية أوما التي كان فيها جسد أبينا المبارك. وعندما أطلعناه من الموضع الذي كان مخفياً فيه، كنا واقفين نتشاور بعضنا مع بعض قائلين: ما هي صفة ما أتينا لنحمله؟ ولوقت نظرته واقفاً على الكفن بمجد لا ينطق به، ووجهه يضيء مثل الشمس في ضيائه، وكان شكله مثلما هو مصور على العمود الذي بكنيسته بالبرية. وكان يصرخ علينا ويشير إلينا بيده قائلاً: أسرعوا يا أولادي واحملوني من هذا الموضع فقد حان الزمان لأنني لست أحتمل أن تبقى عظامي ههنا وحدها، بل أسرعوا واحملوني من هذا المكان. وهذا ما قاله لنا وكان يستعجلنا بحركة يديه. فلما رأى الشيخ هذا في الرؤيا استيقظ من النوم وأخبر الإخوة بذلك. فلما سمعوا هذا اعتزت قلوبهم مثل السباع وقالوا: نحن نؤمن أن الله يسهل طريقنا. وعندما وصل الشيوخ مع الإخوة إلى أوما، ابتدأوا يكملون العمل الصالح الذي كانوا مجتهدين فيه. وحينئذ وقعوا في عقبات كثيرة وجراحات عظيمة. حتى أنه من كثرة جراحاتهم تبللت ثيابهم من الدم.

وكان ذلك الوقت ليلاً.

فأما الشماس المحب لله الذي كان في ألما، فإنه اعترف قائلاً: إنني في هذه الليلة الواحدة رأيت كأني واقف في الكنيسة التي كان جسد أبينا أنبا مقاره فيها، وبيننا أنا واقف في الصلاة رأيت كفنًا عظيمًا قد أُخرج من الكنيسة، وهم صاعدون به إلى السماء، فبهت متعجباً لما رأيت الكفن صاعداً به إلى السماء، وسمعت صوتاً عظيماً قوي الصراخ من السماء قائلاً: أعطوا القدس للمقديسين، ولوقتي نهضت قائماً بخوف عظيم، وكل من سمع بهذا طابت قلوبهم أن هذا الأمر صار من قبل الله ضابط الكل. وعندما رأى الله إيمان المشايخ الثابتة في هذه الخدمة المقدسة طيب قلوب الولاة المتسلطين أن يساعدهم على إتمام غرضهم الكريم.

وبدالة من غير خوف، دخلوا إلى البيعة وحملوا جسد أبينا المبارك العظيم أنبا مقاره. وكانوا يسيروا به مهتلين بفرح عظيم لا يُنطق به، وكان ذلك في السابع عشر من مسرى.

وكان أيضاً جزء يسير من جسد الشهيد اللابس الجهاد القديس أنبا أندونيوس الذي من أهل تنّا (٧١) مكفناً وكائناً مع جسد أبينا الصديق، وكان في تابوت صغير فحملوا هذا الآخر معهم ووصلوا إلى ساحل ديدا، فصعد للوقت إنسان راعي من سفينة وخرَّب وجهه يطلب إلى الشيوخ قائلاً: ياساداتي الآباء، فلتدركني رحمتكم أن أحمل جسد هذا النبي القديس في مركبي، وأنتم معه أيضاً، إلى ترنوط. فتعجب الشيوخ جميعهم من هذا أن الرب يسوع المسيح يسهل طريقهم كما هو مكتوب في إشعيا النبي: هوذا أنا مرسل ملاكي أمامك ليسهل طريقك. ولما حملوه إلى السفينة ووضعوه في الوسط، كان الإخوة جميعهم قيام حوله يرفعون أصواتهم أكثر فأكثر ويرتلون بمدائح تليق بطوبانيته، وكانت أصواتهم تتردد في الأصقاع حتى طن البحر كله. ولأن أهل «أنوقاوس» كانوا مستعدين لأن يخرجوا للقائه كما يحملوه إلى كنيستهم المقدسة بمجد يعجب منه، أقاموا ثلاثة أيام يعيدون له قبل أن يطلقوه، وهذا كان من جهة حرارة أمانتهم القوية فيه. وعندما سمعوا أيضاً أنهم مقبلين إلى القبلة معه، أسرع جموع كثيرة رجالاً ونساءً كباراً وصغاراً وتمشوا على شاطئ النهر يصرخون ويطلبون إلى الشيوخ قائلين: ارسوا على البر كما نتبارك من أبينا اللابس الروح، أما الشيوخ فلم يكونوا يطيقون هذا الأمر. وكان يسير على ساحل البحر قوم من بعد قوم يصرخون بأصوات عظيمة قائلين: باركنا يا رجل الله إيليا وأليشع الجديد. وعندما كان الشيوخ ينظرون إيمان الجموع، كانوا يتعجبون ويمجدون الله. وفي هذا، كان يسير في الإقلاع معهم الروح القدس الساكن في أبينا العظيم أنبا مقاره السعيد بالحقيقة حتى وصلوا إلى بيعة القديس أباديير في الساعة الأولى من الليل. فحملوا جسد أبينا القديس بأصوات محبة لله إلى دهروط الكنيسة المقدسة التي لأبينا العظيم أنبا مقاره، وأقاموا الليل بأجمعه يسبحون ويرتلون حوله بعظيم ابتهاج.

ولما كان باكراً زينو بالأطياب والسعف وحملوه في مركب، وكانوا يقلعون به إلى ساحل

(٧١) تنّا مركز منوف وتنطق قديماً ديدا.

ترنوط حتى أن ضجيج أصواتهم ملأ البحر كله. ولما رسوا على البر وجدوا رهباناً كثيرين وكهنة قد سبقوا وجاءوا على البر حاملين الأناجيل والصلبان ومجامر البخور. وحينئذ حمل الإخوة جسد أبينا المبارك على أعناقهم وكانوا يسيروا به بفرح عظيم لا يُنطق به. ومن كثرة الجموع ارتفعت أصواتهم جداً وهم يسبحون أمامه. وكان ذلك باكر يوم الأحد المقدس. وكانت سواحل ترنوط مملوءة رجالاً ونساءً نصارى ومسلمين، وكانوا جميعهم مسرعين بغيره مملوءة محبة للمقدس، بل محبة للإله في السجود للقديس. ولولا أنهم سبقوا وأوقفوا شباناً أقوياء بسيوف مجردة في أيديهم حول جسد أبينا الصديق، لما كان أحد من الجموع قد ترك شيئاً من الأكفان واللفائف التي كانت عليه. وكان المسلمون أيضاً يسرون معهم والجموع يزدحمون بعضهم مع البعض وهم كائنون في سهر وخوف.

ولما وصلوا إلى البيعة المقدسة التي لأبينا الصديق العظيم أنبا مقار فيما بين القلاي، لم يقدرُوا أن يدخلوا به لوقتهم من أجل ازدحام الجمع، بل تركوه خارجاً حتى سجد عليه كل الجمع المجتمع هناك، ومن بعد هذا حملوه إلى داخل الكنيسة ووضعوه على كرسي. حينئذ دخل النساء والرجال وتباركوا منه، ثم صنعوا قداساً جامعاً ورفعوا القربان المقدس وتناولوا جميعهم من جسد ودم ربنا يسوع المسيح بتهليل عظيم، في الثامن عشر من مسرى. ولما كان في الساعة العاشرة من هذا النهار الواحد، حملوه على جمل وابتدأوا يسرون به في الجبل، وكانت جموع الرهبان يسرون أمامه. وعندما وصلوا إلى نصف الطريق، قال أنبا خائيل لأنبا كيري: أختار يا أبي أن نقيم ههنا كما نستريح نحن والدواب قليلاً؟ فقال أنبا كيري لأنبا خائيل: لا نحن ولا البهائم نستريح حتى نصل إلى الموضع الذي خاطب فيه الشارويم أبانا النبي هناك. وحينئذ ساروا من غير أن يعوقهم شيء البتة مترجين أنهم إذا وصلوا الموضع يرهم الله إياه بآية. وكانوا يجولون حول الجبل من هذه الجهة وهذه الجهة ويعيونهم محذقة نحو جسد القديس وكانهم من السمع ينظرونه مواجهة. ولما بلغوا رأس الصخرة فوق الجبل، الموضع الذي كتب عنه موسى الجديد، أعني العظيم أنبا مقاره أنه نظر أول رؤيا فيه؛ فللوقت وقف الجمل وجذب القود من يد الجمال ورجع بوجهه بهذا الجانب وهذا الجانب، وكان يلحس الكفن الطاهر الذي لأبينا القديس وكان يخني رأسه على الجسد كما يسجد له. فتعجب الجمال لذلك، ولما نظر الشيوخ هذه الآية تعجبوا وتحققوا بقلوبهم أن هذا هو الموضع الذي تكلم فيه الرب مع أبينا القديس من جهة الشارويم، وحينئذ أنزلوا في ذلك الموضع وصنعوا أبصلمودية (تسبحة) عظيمة على جسد أبينا القديس بهدوء عظيم. ولما أشرق النور حملوه على جمل ونزلوا معه إلى أسفل الوادي.

وفي هذا جميعه، كان معه جسد اللابس الجهاد الشجاع القوي القديس أنبا أندونيوس شهيد

ربنا يسوع المسيح.

وكانوا قد سبقوا وأرسلوا قوماً من الرهبان إلى الدير لكيما يستعد الشعب بالنافوس، فاجتمعوا

وخرجوا للقائه بكرامة عظيمة وتبجيل كثير بالقراءة والتسبيح قدامه، إلى أن أدخلوه إلى الدير ووضعوه بجانب المذبح.

وكان ذلك في زمن أبينا البطريرك أنبا يونس الرابع الذي استحق هذه النعمة أن يكون جسد أبينا العظيم أنبا مقاره في دير المقدس، بعد زمان كبير؛ واتفق أن يكون جسد أنبا مقاره الإسكندراني عنده ليصيرا مثل حجر الماس بعضها مع البعض. وبعد زمان كبير في أيام أبينا البطريرك أنبا خائيل الثالث (٨٨٠-٩٠٧ م.) فاجتهد أن يكون جسد أبينا أنبا مقاره القديس الأسقف معهم فاتكثوا معاً في موضع واحد، وهذا صار الثلاثة مقارات كمثال الثالوث المقدس. وهذه نعمة الموهبة التي أنعم الله بها في دير أبينا العظيم اللابس الروح أنبا مقاره أن يشبه جبل تابور عندما أخذ مخلصنا الصالح بطرس ويعقوب ويوحنا الذين صار هؤلاء الثلاثة مقارات متشبهين بهم، فإن بطرس صار متقدم الرسل الأطهار؛ والعظيم أنبا مقاره أب الرهبان. بطرس أعطي مفاتيح ملكوت السموات وسلطان المغفرة؛ والعظيم أنبا مقاره سمع الصوت من السماء قائلاً: قد صرت يامقاره إلهاً على الأرض. بطرس كان صياداً يصيد السمك فدعاه الرب إلى رسالة نعمته وجعله صياداً يصيد الناس ويجمعهم إلى الملكوت؛ والعظيم أنبا مقاره دعاه الرب إلى هذا الجبل المقدس وصار شبكة تجمع من كل جنس ويشدهم أجناداً للرب الصباؤوت الملك الحقيقي. يعقوب أيضاً أخو الرب الذي يدعى بالصديق هو الذي أصعده الرب إلى الجبل لأجل ارتفاعه في الفضيلة والطهارة والعبادة؛ وأنبا مقاره الإسكندراني هو صار صديقاً مثله بتقشفاته الصعبة والفضيلة والصلوات الدائمة والأعمال العجيبة. يوحنا البتول أيضاً ابن الرعد صار موسى حاداً يقطع كل بدعة بكلام إنجيله المتسامي؛ وأنبا مقاره الأسقف صار يشبه في ذهابه إلى مجمع خلقيدونية النجس وكيف قطعه وحرّم كل من فيه ... وأصعدهم معه إلى جبل عال، هذا الذي هو جبل شيهات أعلى منه الآن في الفضيلة وتجلي قدامهم وأراهم مجده وظهر له موسى وإيليا، فقال بطرس لمخلصنا: يارب، لنصنع ههنا ثلاث مظال واحد له وواحدة لموسى وواحدة لإيليا؛ فقد كمل الآن هذا على جبل شيهات في دير أبينا أنبا مقاره الذي أخذ شبه إيليا التشبثي في الصدق، في البتولية، في الفضيلة، في العفة، في السكن في البرية، لأننا قد عرفنا يقيناً بعد ما فحصنا أن اليوم الذي أسلم فيه الصديق أنبا مقاره روحه بيدي الرب هو السابع والعشرين من برمهاة، وهذا اليوم نفسه هو الذي أسلم فيه ملك السماء والأرض المسيح إلهنا روحه فيه برأيه في يدي أبيه، وهو أيضاً يوم الجمعة وسادس ساعة من الجمعة، اليوم الذي خلق آدم فيه ولهذا سموه الجمعة، وهو أيضاً الذي تسامح مخلصنا الصالح أن يصلب فيه. وفي ثالث ساعة منه خلق آدم، وفيها جلد مخلصنا وجعل إكليل الشوك على رأسه ولطم في وجهه. وفي سادس ساعة أكل آدم من الشجرة وفيها أيضاً تسامح الله أن تصير ظلمة وهو معلق على الأرض. وفي تاسع ساعة أخرج آدم من الفردوس وفيها أيضاً رضي الله أن يسلم نفسه بيدي أبيه وفتح فيها باب الفردوس وأدخل اللص

إليه بمجد - وكان ذلك جميعه في السابع والعشرين من برمهاة كما قد سبقنا وذكرناه. وهو اليوم الذي أسلم فيه الصديق أنبا مقاره روحه بيدي الرب، لأن يوم وفاته وافق يوم موت الرب بالجسد. فإن أعماله كلها تشبه أعمال سيده حتى إلى موته أيضاً.

وقد وجدنا في الميمر الذي قاله أنبا يعقوب أسقف بوضير على الصديق أنبا مقاره أن اليوم الذي أقام فيه أبونا اللابس الروح الصديق أنبا مقاره الميت هو السادس والعشرون من شهر برمودة في سنة ٨٢ للشهداء.

ولهذا رأينا و يلزمنا ويجب علينا أن لا نتكاسل أن نكمل تذكاراته أعني رئيسنا والمحارب عنا أبينا أنبا مقاره العظيم اللابس الروح، ونقتني آثاره وتواضعه ونرسم داخلنا شكل فضائله المختلفة الأنواع كما نسمعه هو أيضاً يخاطبنا مشافهة، مثل تيموثاوس أمام بولص قائلاً: أتم الذين تبعتم تعليمي واقتنيتم آثارني وسرتم بشكلي وإيماني وأناقى ومحيتي وصبري وجميع التجارب والآلام التي صبرت عليها من الشياطين ومقدمهم الأشرار وخلصني الرب من جميعها. هكذا نحن أولاده، فلنجاهد في الجهاد الصالح ونكمل سعينا جيداً ونحفظ إيماننا كما تقتني معه إكليل الحياة الذي يهبه الرب لمحبيه. فلهذا ينبغي لنا أن نهتم بهم ونكملهم بكل اجتهاد وكل عبادة ولا سيما تذكاره الذي نعيّد له اليوم رئيسنا والمحارب عنا أبينا العظيم اللابس الروح أنبا مقاره، هذا الذي تبعنا آثاره ليسهل لنا طرق الحياة وهي العبادة و يكملنا في مخافته الإلهية، هذا يكون لنا أن نستحقه بطلبات أبينا الطوباوي اللابس الروح العظيم أنبا مقاره الذي أكملنا تذكاره الكرم اليوم كما يصنع هو أيضاً تذكارتنا أمام الله الخالق بارئ الخليفة كلها، الرحيم المتراءف، ليتحن علينا وينقذنا من فخاخ المضاد ويستترنا من حيله القوية و يطهرنا من كل دنس و يوجد لنا راحة و رافة أمام منبره الخوف. ولنستحق ملكوته العالي بنعمة ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح، هذا الذي إياه نسأل أن يغفر خطايكم ويسامحكم بآثامكم ويجعلكم ممن يفوزون بصالح الأعمال قبل فروغ الآجال ويسمعكم الصوت الفرخ القائل: تعالوا إليّ يامباركي أبي رثوا الملك المعد لكم من قبل إنشاء العالم بشفاعة ستنا السيدة العذراء الطاهرة مريم وكافة الملائكة والآباء والأنبياء والرسل والشهداء والقديسين وكل من أرضى الرب بأعماله الصالحة الآن وكل أوان إلى دهر الدهارين آمين كبير باليصون الليلويا [أه].



زخرفة حائطية ملونة تجمع شكل الضفيرة مع مستطيلات من القاعة رقم ١٩ بدير باو يبط
ترجع إلى القرن السادس/ السابع

الفصل الثالث القرن التاسع

- ١ - هيكل أنبا شنودة بُني على يد راهب بالدير.
- ٢ - إعادة الكنيسة الكبرى، كنيسة أنبا مقاره، وترتيبها وإضافة هيكل جديد عليها.
- ٣ - كنيسة أنبا ساويرس.

غارة البربر سنة ٨١٧، وتوقف قصير في مسيرة التعمير:

ما كاد يهل القرن التاسع حتى قام البربر بهجوم شديد على وادي النطرون سنة ٨١٧ م، أغاروا فيه على الأديرة فهدموا مبانيها ونهبوا محتوياتها وأحرقوا كنائسها ومنشوبياتها بالنار. أما الرهبان فمنهم من هرب ومنهم من استشهد والقليل منهم من تحصن ونجا. وكان ذلك في بطريكية أنبا مرقس الثالث (٧٩٩-٨١٩ م) (١) الذي حزن على هذه الخسارة حزناً بليغاً حتى مات!

وقد وُجد في إحدى المخطوطات الخاصة بسيرة مكسيموس ودوماديوس خبر عن هذه الغارة مؤداه هكذا: [وقد أحضرت هذه المخطوطة من شبيبت إلى دار الضيافة بالإسكندرية في زمن تحريب الأديرة على أيدي البربر، وبقيت هنا حتى زمان بطريكية أنبا ميخائيل (الثالث) (٨٨١-٩٠٩) ثم أعيدت مرة أخرى لتكون ضمن حيازة دير الإناثون (التاسع) على يد الراهب الشماس يوستاثيوس] (٢).

الله يُبقي للدير بقية ويقم من الرهبان عموداً مضيئاً:

وكان بين رهبان دير أنبا مقار الذين نجوا من المذابح راهب تقي نشيط إسمه يعقوب اشتهر بأعماله الصالحة، هذا انحدر إلى الصعيد وعاش هناك فترة في دير مهجور (٣) إلى أن دعتة السيدة العذراء في الرؤيا للعودة إلى ديره وتعميره وأخبرته أنه سيكون أباً لشعب كثير. فقام للحال وأتى إلى دير أنبا مقار، وهناك ظهر له القديس أنبا مقار نفسه وعزاه وفرح قلبه وشجعه وأنبأه أن عمارة

(1) Hist. of Patr., pp. 552 f.

(2) See: Cauwenburgh, Etude sur Les moines d'Egypte, p. 71, Note 4.

(3) Abu Salih., Churches & Monast., Evett., fol. 806.

الدير ستكون على يديه وأن رهباناً كثيرين سيعودون وكثيرين سيأتون و يتلمذون له (٤). وصار فعلاً ياكوبوس أب رهبان دير أنبا مقار. وقد بدأ بعمارة الدير وكان يعمل بيديه كعادته طول حياته. وقد ظهرت له رؤيا وأعلم أن البطريرك سينتقل في ظرف سنة.

وما أن تنسح أنبا مرقس الثاني البطريرك الـ ٤٩ حتى انتخب الشعب الراهب يعقوب ليكون باباهم الـ ٥٠. وقد حاول كثيراً أن يتخلى عن هذا المنصب ولكنه سمع صوتاً يشجعه بالقبول.

هيكل للقديس أنبا شنودة:

وقد بدأ هذا البطريرك النشط المخلص في عمارة الدير منذ أن عاد إليه من الصعيد وهو بعد راهب، إذ بدأ في تشييد هيكل (كنيسة) باسم القديس أنبا شنودة قبلي هيكل أنبا مقار، حيث بدأ الرهبان يصلون فيه عوض الهياكل الأخرى التي تهدمت من الكنيسة الكبرى أي كنيسة أنبا مقار (٥)، وبدأ في تموين الآباء المتوحدين في كافة القلايا المنفردة بكل ما يحتاجونه لأن البربر نهبوا كل قلايهم ولم يتركوا فيها شيئاً. وهكذا بدأ المتوحدون يعودون من كافة أماكنهم التي تفرقوا إليها وصاروا كالحمام العائد إلى أبراجه، وذلك كله تم سنة ٨٢٥ م. وكان الرهبان يصلون في هيكل أنبا شنودة الذي هو قبلي هيكل أنبا بنيامين لأن هذا كان قد تهدم وصار أنقاضاً (٦).

تجديد كنيسة أنبا مقار الكبرى:

ثم أخذ وهو بطريرك في إعادة بناء كنيسة أنبا مقار التي كانت قد تحربت، فأعاد إليها اتساعها وهياكلها الأولى وكرسها في أول برمودة وزينها - كما يقول تاريخ البطارقة - بكل زينة، فصار له ذلك ذكرى طيبة للمسيح مجدداً أبدياً. وقد دُعي هذا البطريرك بـ «العمود المضيء» (٧).

ويقول المؤرخ الأمير عمر طوسون في كتابه «وادي النطرون»، صفحة ٤٢:

«ويظهر أن برية شبيبت كانت في هذا العهد كفر دوس الرب، فكانت عزيزة في قلب البطريرك أكثر مما كانت عند الرهبان أنفسهم».

العمارة تبلغ أوج نشاطها، زراعة بستان وتربية مواشي:

وقد خلف أنبا يعقوب، سنة ٨٣٠، في البطريركية أنبا سيمون الذي لم يكمل إلا شهوراً قليلة وخلفه أنبا يوساب البطريرك المشهور، الـ ٥٢ (٨٣١-٨٤٩). وقد كان راهباً قيماً على دير أنبا

(4) Hist. of Patr., p. 556.

(5) Hist. of Patr., pp. 566 f.

(6) Hist. of Patr., pp. 573 f.

(7) A.A.C.M. (Ev. White, I), II, i, ch. 3.

مقار، وكان عالماً مسالماً ومصلحاً كبيراً محباً للأديرة، ويقال أنه نال قسطاً كبيراً من التعليم في قلاية البطريرك بالاسكندرية وأتقن اليونانية، وأبنا مرقس البطريرك هو الذي شجعه وأرسله إلى دير أنبا مقار ليترهب هناك عندما كان بولس قصصاً على شبيبت^(٨). وقد شجع عمارة دير أنبا مقار. وقد مرَّ الله على هذا الدير بعد اسحق براهب آخر مخلص غيور يدعى شنوده كان «إيكونوموساً» على دير أنبا مقار— وكان من البتانون (منوفية)— أوقف حياته وصلواته على عمارة الدير ورعاية الرهبان، فكان أباً ومرشداً لكافة المتوحدين الذين تكاثروا عددهم في أيامه. ويقول عنه كاتب تاريخ البطارقة كلاماً عجيباً:

[أقام المباني الفخمة تمجيداً لاسم أنبا مقار. وبنى الصوامع (القلاية والمنشويات)، واعتنى بتربية المواشي بالدير، وأنشأ بستاناً وزرع كروماً وبنى مطاحن للقمح ومعاصر للزيت، وأدَّى للدير خدمات جليلة لا تحصى]^(٩).

كما اهتم هذا الأب المبارك بآبار للدير وأعاد حفرها واكتشف ينابيع أخرى وهي التي ساعدت على إقامة الزراعات الجديدة.

و يصف كاتب سير البطارقة الدير أيام هذا الأقبوم المبارك هكذا:

[وكان في زمان هذا الأب داخل الدير عدد كبير من الرهبان ليس فقط من الأرثوذكس بل ومن العقائد الأخرى بسبب المعجزات والعجائب التي كان يظهرها الله في هذا الدير، هذا هو الإيكونوموس شنوده الذي كان يطلب في كل أعماله وجهاده العوض من الله فقط].

كنيسة الآباء التلاميذ:

ومن الناحية الأخرى يسجل كتاب تاريخ البطارقة لهذا الأب أيضاً بناء كنيسة جديدة بحري كنيسة أنبا مقار الكبيرة وسماها كنيسة «الآباء التلاميذ» يصفها الكتاب بقوله: [عظيمة الاتساع جميلة البناء]. ولما فرغ من بنائها قام هذا القديس الراهب شنوده مع وفد من أبنائه وطلبوا من البابا أنبا يوساب الحضور لتكريسها، فقام معهم وكرسها سنة ٨٤٧م^(١٠)، وذلك في أول يوم من شهر برمودة وفي السنة السابعة عشر لبطريركيته، وبارك كثيراً على ولده شنوده هذا.

وهنا يجدر بنا الإشارة إلى أن المؤرخين حينما يقولون أنه بنيت كنيسة قبلي أو بحري الكنيسة الكبرى (كنيسة أنبا مقار)، فإن ذلك لا يعني بناء كنيسة منفصلة وإنما بناء هيكل جديد ذي صحن جديد يضاف للكنيسة، الهيكل بجوار الهيكل مع عمل فتحات جديدة بين الإثنين. والصحن يضاف على الصحن مع عمل فتحات أو هدم الحائط وإقامة أعمدة جديدة أو قوائم

(8) Ev. White, II, 300.

(9) Hist. of Patr., pp. 652 f.

(10) Ev. White, II, 301; A.A.C.M., II, 1, ch. 3.

جديدة حتى يصبح الصحن واحداً للكنيسة كلها.

والرسم التوضيحي في صفحة ٥٠٧ يبين مراحل بناء الأربعة هياكل بصحنها حيث تبدو كنيسة أنبا مقار وكأنها أربعة كنائس ملتحمة، ولذلك كانت تدعى بحق «الكنيسة الكبرى»، وفي منتصف القرن التاسع كان لكنيسة أنبا مقار ثلاثة هياكل وثلاثة أصحن فقط: هيكل أنبا بنيامين الذي أعاد بناءه أنبا يعقوب البطريرك، وقبليه هيكل أنبا شنودة، وبحريه هيكل الآباء التلاميذ.

ويذكر لنا تاريخ البطارقة بناء كنيسة جديدة على الصخرة سنة ٨٣٥. ويُظن أنها شرقي كنيسة أنبا مقار على مرتفع متاخم لها، فهي ليست من ضمن مجموعة هياكل كنيسة أنبا مقار، وذلك في أيام بطريركية أنبا يوساب. ويُعتقد أن الذي قام ببنائها هو نفس الراهب القس أنبا شنودة أب رهبان أنبا مقار في ذلك الوقت. ولا يذكر تاريخ البطارقة أي شيء آخر بخصوص هذه الكنيسة.

دفن أول بطريرك في دير أنبا مقار:

من الأمور التي وطدت الصلة بين دير أنبا مقار وكرسي البطريركية ابتداء عادة دفن البطارقة في الدير، وكان أول من دُفن في الدير هو أنبا خائيل الثاني الـ ٥٣ الذي خلف أنبا يوساب الـ ٥٢، والذي لم تدم بطريركيته طويلاً (٨٥٠—٨٥٢)، وقد تنيح في ٢٢ برمودة ٥٦٧ للشهداء الأبطال، وجعلوا جسده داخل الكنيسة: [فلما كان في أيام الصوم توجه هذا الأب البطريرك إلى البرية المقدسة ليتم هناك عيد الفصح كعادة الآباء البطارقة. فما كان بعد العيد إلا أن توجه قليلاً، فدعاه السيد المسيح إليه وتنيح في ٢٢ برمودة ٥٦٧ للشهداء الأبطال، وتم فيه قول المزمور «شهوة قلبه أعطيته ولم تمنع عنه إرادة شفثيه». وجعلوا جسده في بيعة القديس أبو مقار]^(١١).

وإذ تنبه البطارقة إلى هذه العادة بدأوا ينقلون حتى أجساد البطارقة السابقين الذين تنيحوا لكي تُدفن بالدير. والمعروف أنه يوجد حالياً بالدير أجساد الباباوات: خائيل الثاني (٥٢) وخائيل الثالث (٥٦) وغبريال الأول (٥٧) وقسا الثالث (٥٨) ومكار يوس الأول (٥٩) وخرستوذولوس (٦٦) وكيرلس الثاني (٦٧) ويونس الخامس (٧٢) ومرقس الثالث (٧٣) ويونس الخامس عشر (٩٩).

(١١) تاريخ بطارقة الكنيسة المصرية، لساويرس بن المقفع، مجلد ٢، جزء ١، ص ٢.

أعجوبة أيقونة تسيل منها الدماء:

ويذكر لنا تاريخ البطاركة في سيرة أنبا قزمان البطريرك الـ ٥٤ (٨٥١-٨٥٨): [أنه في سنة ٨٥٣ ظهرت أعجوبة، إذ وُجدت أيقونة المخلص في كنيسة القديس ساويرس التي فوق الصخرة تسيل منها الدماء من جنب المخلص، وقد رأى جميع الرهبان هذه الأعجوبة وأخذوا من الدم ودهنوا به مرضى فشُفوا، وقد أراد الرب بهذه العلامة أن يتقوى المؤمنون وقت الشدة، ويكثروا الرجاء بدمه وصلبيه. وقد ظهرت في هذه السنة أيضاً في دير أنبا مقار عجائب كثيرة حتى أن جميع الصور (الأيقونات) كانت عيونها تفيض دموعاً لأن كثيرين تركوا دينهم وأخفوا صليهم، فكانت هذه العجائب تصبرهم وتثبتهم] (١٢). كما أن كثيرين اعتقدوا أن أمراً جليلاً وشيك الوقوع، وفعلاً دخلت الأديرة في ضيقات كثيرة سواء من جهة فرض ضرائب على الرهبان أو غارة النومايين التي حدثت سنة ٨٦٦.

أسوار حصينة وأبراج مرتفعة لأول مرة في البرية:

اختير الراهب القس شنوده أب رهبان دير أنبا مقار وإيغومانس شيهيت والمعماري النشط ليكون البطريرك الـ ٥٥ (٨٥٩-٨٨٠). ويذكر عنه أنهم قيدوه وأحضره وهو في القيد لرسامته: [اسمعوا الآن يا أحبائي ما فعله هذا الأب البطريرك أنبا شنوده عند جلوسه على الكرسي المرقسي: كان كلامه يشبه تواضعه، وكانت دموعه يسكبها قدام كل أحد، وإذا ما عزوه كان يرد قائلاً مخاطباً الله: ما هي الخطية التي صنعتها الكنيسة يارب ولماذا غضبت عليها حتى قدمت عليها إنساناً خاطبياً مردولاً مثلي؟ هل لكي تفضحها بواسطتي؟ وكان يقول كلاماً أكثر من هذا ولا يكف عن البكاء ولم يقدر أحد أن يعزيه، ولم يكن يعول على إنسان ولا على شيء بل على اسم المخلص متوكلاً عليه كطفل عيناه نحو أمه كل ساعة. فكان في جلوسه نعمة وهيبة واسم المسيح في فمه على الدوام] (١٣).

فكان ذلك إشارة إلى عمل جديد سيتم في الدير، ولو أنه تم في أسوأ الظروف، إذ أغار البربر في أول يوم من برمودة سنة ٥٨٢ ش، ٨٦٦ م على البرية ونهبوا أمتعتها وأثاثها ومخازنها. ولما علموا بوصول البطريرك أنبا شنوده والزائرین الذين معه أغاروا مرة أخرى وأحدقوا بالدير استعداداً لأعمال السلب والنهب والذبح، وقد أبدى هذا البطريرك شجاعة نادرة إذ خرج من الدير وحده رغم توصلات الرهبان والزوار ليواجه تهديداتهم، وطلب منهم أن يقتلوه فاحتشم البدو من مهابته وشجاعته وارتدوا عن الدير.

ولكن كانت هذه الحادثة كفيلاً أن تقوي عزيمة البطريرك للقيام بعمل أسوار عالية حول

(١٢) نفس المرجع، ص ٩.

(١٣) نفس المرجع، ص ١٥ و ١٦.

الكنيسة الكبرى - أي كنيسة أنبا مقار - لتكون كهفاً حصيناً «بعد السيد المسيح» يلتجئ إليه الرهبان وقت الغارة. ويقول في ذلك كتاب تاريخ البطاركة:

[وقد أبدى هذا البطريرك عناية فائقة بالبرية المقدسة، فأقام في كنيسة القديس مقار نصباً عظيماً إذ صمم على بناء سور عظيم حول الكنيسة الكبرى نظراً لما يتعرض له الرهبان والكنائس، حتى صار بمثابة كهف وحصن بعد السيد المسيح الذي لا يقاوم، وقد جمع الأحجار وأسرع بالعمل حتى انتهى بأبراجه وأقام بداخله مساكن وأمكنة للنوم في أقصر وقت إذ كان يعمل بيديه مع العمال كواحد منهم. وكان قد تعود على العمل عندما كان مدبراً بالدير المقدس واستمر في ذلك حتى انتهى من السور] (١٤).

ولكن الملاحظ أن هذا العصر أصيب فيه الرهبان بفتور روحي، فلم يكن يعتني الرهبان بدراسة الكتاب المقدس واكتفوا بتلاوة المزامير مع شغل اليد، فتقهقرت روحياتهم وضعف نسكهم. وقد لاحظ ذلك أحد الزائرین الذين زاروا الدير في ذلك الزمان سنة ٨٢٩ وهو البطريرك ديونيسيوس بطريرك أنطاكية للسريان، أثناء بطريركية أنبا يوساب الأول (١٥).

وهكذا نجد أن هناك علاقة وثيقة بين التهافت على المناصب الكنسية وبين الانسحاب من قهر النفس بالنسك والصلاة ودراسة الكتاب المقدس. كما أن هذه العلاقة نفسها ثابتة بين الركون إلى الراحة والأمان داخل الأسوار وبين إهمال النسك عامة بما فيه دراسة الكتاب. فالرهبنة الحقيقية لا يمكن أن تقوم مع تأمين النفس وأنس الجماعات.

المتوحدون يقاومون إغراء الأسوار العالية:

وينبغي أن نعلم أن الأسوار الحالية لدير أنبا مقار هي صورة مكبرة للسور الذي قام به البطريرك شنوده الذي بناه أصلاً لا ليكون ديراً يحبس فيه الرهبان مدى الحياة بل ليكون ملجأً للهاربين من غارات البربر في وقت الشدة فقط، وقد أقامه كما يقول كاتب تاريخ البطاركة حول الكنيسة الجامعة (الكبيرة) مع غرف نوم مؤقتة لا تصلح أن تكون للإقامة الدائمة، وكانت مساحة الدير في ذلك الوقت ضعف مساحته فيما بعد وحتى عام ١٩٧١ بعد تقهقر السور الشرقي والسور البحري.

وقد ظل رهبان دير أنبا مقار بصفة خصوصية يعيشون حياة التوحد خارج هذه الأسوار بعد بنائها، في قلالي ومنشوبيات وأديرة صغيرة متفرقة بلغ عددها حوالي ٤٠ ديراً مع آلاف المغائر (١٦)، وذلك حتى منتصف القرن الرابع عشر حينما قل عددهم جداً بسبب وباء الطاعون

(14) Hist. of Patr., Ms. cit., pp. 39-40.

(15) Ibid.

(16) Ev. White, II, pp. 395, 400.

الذي انتشر وقتئذ وحصد منهم المئات مما جعلهم يأوون داخل الأسوار عن ضعف .

والمعروف أن عدد المتوحدين في القرن التاسع بلغ في دير أنبا مقار ألف راهب، أما في القرن الحادي عشر فكان حوالي ٧٠٠ ناسك . وظل هذا العدد يتناقص حتى منتصف القرن الرابع عشر حينما اضطرتهم الظروف إلى الإلتجاء للأسوار للإحتواء داخلها حينما بلغ عددهم أربعة رهبان!

أما بقية الأديرة بوجه عام، فالتوحد انتهى منها منذ القرن التاسع؛ ودخل مفهوم الدير في معنى الأسوار العالية التي تحم حياة الشركة داخلها (١٧).

رهبان أنبا مقار في مركز المحكّمين:

ويجدر بنا أن نشير هنا إلى حادثة نستوضح بها مكانة دير أنبا مقار ومكانة شيوخه الأجلاء الأطهار في هذه الحقبة الزمنية — أي أيام الأب البطريرك أنبا شنودة . يقص علينا كتاب تاريخ البطارقة قصة أساقفة إقليم البلينا وما صار منهم من جهة سقوطهم في هرطقة تقول أن المسيح مات بلاهوته وناسوته، وكيفية رجوعهم بواسطة تعاليم البطريرك شنودة هكذا:

[وكتبوا يعترفون بضلالتهم ويسألون الصفح عنهم وأنهم يؤمنون بالإيمان الصحيح، ثم أن الأساقفة الذين في تلك المواضع حضروا إلى الأب البطريرك وسجدوا له على الأرض قائلين له: قد أضأت نفوسنا من النسقم بتعاليمك المحيية ولم تتركنا وشعبنا لنبقى في الضلالة . فعمل الأب البطريرك أنبا شنودة عملاً حسناً لكي يكون تأديباً للأساقفة وغيرهم وكل من يحيد عن الأمانة، أن جعل هؤلاء الأساقفة الصعيديين قاموا في وسط جماعة الآباء الرهبان القديسين في بيعة القديس أنبا مقار يوم أحد الفصح المقدس وصنعوا مطانية للجماعة وسألوهم وتوسلوا إليهم أن يصلوا عنهم ويستغفروا لهم، فصلوا عليهم وباركوا عليهم وفرحوا برجوعهم عن الأمانة الرديئة التي كان الشيطان قد زرعها في قلوبهم] (١٨).

ضريبة على الرهبان وعلى البردي والنخيل:

كذلك يوجد في سيرة هذا الأب البطريرك أن في أيامه فرض الوالي (أحمد بن محمد المدبر) الجزية والخراج على الرهبان وعلى البردي الذي بالهلس (البحيرة) وعلى شجر النخيل والأشجار المثمرة التي بالأديرة.

زيارة خماروية بن طولون (سنة ٨٨٤ م) للدير؛ أنبا مقار يثبت وجوده:

وذلك في بطريركية أنبا خائيل الثالث (٨٨٠—٩٠٧ م) ويقص هذا الخبر كتاب تاريخ

(17) Ev. White, II, pp. 333, 363.

(١٨) تاريخ بطارقة الكنيسة المصرية، لساو يرس بن المقفع، المجلد الثاني، الجزء الأول، ص ٢١.

البطارقة هكذا:

[وسمع خماروية تقارير عن وادي «هبيب»، فقام برحلة إلى ذلك المكان ودخل كنيسة القديس مقار ورأى جسده المقدس وسأل عنه فقيل له أنه مؤسس هذه الكنيسة، فأمر بأن يُرفع الغطاء ويُنزع عنه الكفن؛ وأمسك بشعر لحيته . وإذا بالقديس يفتح عينيه فارتج على الأمير ووقع على ظهره وظل مغشياً عليه مدة ساعة . فحملوه إلى خيمته وأخذوا زيتاً من قنديل القديس ومسحوه على جبهته] (١٩). وكانت هذه الزيارة هي أولى الزيارات التي قام بها الملوك والخلفاء المسلمون للأديرة بوادي النطرون.

الشهيد تادرس المشرقي يثبت وجوده أيضاً:

وبعد ذلك حدثت له معجزة أخرى في نفس الكنيسة، إذ بينما هو يمر من باب الكنيسة البحري بجانب الأسكنا (الخورس الأول) رأى صورة الشهيد ثيودوروس، وكان في يد الأمير حزمة ريحان زكية الرائحة، فقذف بها إلى الأيقونة قائلاً: خذ هذا أيها الفارس الشجاع! وإذ بيد القديس تمتد من الأيقونة وتمسك بالحزمة وظلت معلقة في اليد والجميع يتأملون المنظر، فخاف خماروية خوفاً شديداً، وأمر بأن توضع علامة على الأيقونة بحيث تظل ظاهرة فيها دائماً فرسموا صليباً آخر في يد القديس ومازال هذا الصليب في يد القديس إلى يوم كتابة الناسخ لسيرة أنبا خائيل (١٩).

ومن هذه القصة يستدل أن كنيسة أنبا مقار كانت في أوج زينتها وأيقوناتها تملأ الجدران . وأن بستانها كان يزرع فيه الريحان . وأنه كان على جسد القديس قنديل مضاء بصفة مستمرة .



كورنيش من الحجر المنحوت مصمم ليوضع فوق تيجان صف من الأعمدة
[من دير باو يبط (ق ٧) — معروضة بمتحف اللوفر — باريس]

(19) Hist. of Patr., pp. 64, 65.

الفصل الرابع القرن العاشر

- ١ - بيع الأماكن المقدسة بدير أنبا مقار.
- ٢ - بيع قطعان جمال دير أنبا مقار سداداً لديون البطريرك.
- ٣ - بطريرك بنزح المراحيض دير أنبا مقار.
- ٤ - بدء تكميل طقوس رسامة البطريرك في دير أنبا مقار.
- ٥ - بطريرك هب كل أمواله لعمارة الأديرة.
- ٦ - علماني تقي هب ألفين من الدينارات لدير أنبا مقار.

بيع الأماكن المقدسة:

كانت هذه القرون الأربعة: العاشر والحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر قروناً سلامية، كانت عمارة الدير فيها دائمة، ولكن لا يسجل المؤرخون عنها شيئاً يُذكر.

فالقرن العاشر يبدأ بالبطريرك خائيل الثالث (٨٨٠-٩٠٧ م) الذي من دير أنبا مقار الذي خلف أنبا شنودة البطريرك الـ ٥٥.

وبالرغم من أن أيامه كانت هادئة نوعاً ما، إلا أنه إزاء الوشايات التي قُدمت ضده فُرض عليه من عند الوالي أحمد بن طولون ما قيمته الآن «خمسون ألف دولار!!» فاضطر البابا لبيع الأماكن المقدسة كما يقول تاريخ البطاركة:

[ذهب البطريرك إلى وادي هبسيب وهناك باع الرمارم، وهي موضع وقوف الرهبان في الكنيسة للصلاة؟ وأخذ من كل راهب ديناراً ثمناً للمكان الذي يقف فيه] (١).

ويذكر المؤرخ أبو صالح الأرمني في كتابه «الكنائس والديارات» أنه باع أيضاً كنيسة قصر الشمع لليهود وكانت باسم الملك ميخائيل وما زالت في أيديهم، وكذلك باع قطعان الجمال التي كان يملكها دير أنبا مقار (٢).

بطريرك بنزح المراحيض إخضاعاً لنفسه:

وقد خلف أنبا خائيل الثالث راهب من دير أنبا مقار يدعى غبريال، ترقى في قلاية تدعى

(1) Hist. of Patr., p. 62.

(2) Abu Salih., Churches & Monast., fol. 44 a.
Butler, Ancient Copt. Ch. I, pp. 169, 232.

قلاية السرياني (التي عاش فيها يوحنا كاما)، وهي أصلاً قلاية القديس تيروتى (أو دوروثيئوس)، وكان وديعاً متضعاً ترقى على يدي شيخ وقور يدعى الراهب مكسيموس. ويقص عنه تاريخ البطاركة أنه عندما صار البطريرك الـ ٥٧ (٩٠٩-٩٢٠ م) وجد أن الشهوات ما زالت تقلقه، فاستشار مجمعاً من الشيوخ الرهبان وكان من ضمنهم أبوه الروحي مكسيموس وقديس آخر اسمه دوروثيئوس، فأشاروا عليه بالعمل الجسدي والإتضاع كعلاج. فكان بعد أن ينتهي من صلاة نصف الليل يلبس القصارية (قيص قصير الأكمام ينزل فوق الركبة) ويدور حول القلاية (وهي الأديرة الصغيرة خارج الدير) والمنشوبيات، ينزح المراحيض. وثابر على هذا العمل مدة سنتين حتى استراح (٣).

ويقول تاريخ البطاركة: [ويذكر عن هذا الرجل القديس أنه أمضى جميع أيام بطريركيته في وادي هبسيب لا يغادرها إلا إذا دعت الضرورة. وقد رقد في الرب في ١١ أمشير وذُفن في الدير أي دير أنبا مقار] (٤).

ربيثة أنبا مقار يقرأ على رأس البطريرك التحليل:

وقد تعاقب بعد أنبا غبريال البطاركة قزمان الثالث (٩٢٠-٩٣٢ م) وهو من دير أنبا مقار، ومكار يوس الأول (٩٣٢-٩٥٢ م). ولا يُذكر شيء في أيامهما فيما يخص دير أنبا مقار سوى أن مكار يوس الأول تمم رسامته التي أجريت في الإسكندرية بطقس رسامة أخرى في دير أنبا مقار، تتلخص في أن ربيثة أنبا مقار يقرأ على رأسه التحليل ثم يصرح له بدخول هيكل بنيامين لرفع القربان. وفي هذا الطقس يظهر مركز دير أنبا مقار بالنسبة للكرسي البطريركي. ومكار يوس الأول هو البطريرك الذي وبخته أمه على فرحه بكونه صار بطريركاً (٥).

بطريرك كان سائحاً:

وكذلك تعاقب بعد مكار يوس البطاركة ثيوفانيوس (٩٥٢-٩٥٦ م)، ومينا الثاني (٩٥٦-٩٧٤ م).

ولا يذكر عن هذين البطريركين شيء سوى أن مينا الثاني ترقى في دير أنبا مقار في قلاية تدعى دير نيبا أو دنهبا مع شيخ قديس كان رئيس القلاية، علمه مخافة الرب حتى صار في رتبة السياحة (٦). وقد حدثت في أيامه مجاعة كبيرة، وسطا المغاربة على الوجه البحري ونهبوه وحاولوا

(3) Renaudot, Hist. of Patr. Alex., p. 331.

(4) Hist. of Patr., p. 67.

(5) Hist. of Patr., M.S. cit. p. 69.

(6) Hist. of Patr., M.S. cit. p. 71.

Renaudot, Hist. of Patr. Alex., p. 351.

اقتحام الأديرة ولكنهم ارتدوا عنها^(٧).

بطريك يهب أمواله للدير ويطلب بركات المتوحدين:

وقد خلف مينا في البطريركية أبرام بن زرعة السرياني (٩٧٧-٩٨١) وكان سابقاً علمانياً. وأول عمل قام به بعد الرسامة هو زيارة دير أنبا مقار، وطاف بالمغارات طالباً بركات المتوحدين. وقد وهب كل أمواله للفقراء ولعمارة الأديرة^(٨)، وقد اقتدى به رجل علماني اسمه الشيخ أبو اليمن قزمان، فوهب لدير أنبا مقار ألفي دينار ورجا الرهبان أن يذكروه في صلواتهم^(٩).

وخلف أبرام بن زرعة في البطريركية فيلوثيريوس وكان راهباً من دير أنبا مقار تلميذاً للشيخ يوحنا رئيس قلاية ذاكر كفرا (٩٧٩-١٠٠٣ م). وكان مهتماً بالأكل والشرب وصرف الأموال على نفسه وأقاربه. وقد رسم دانيال أحد رهبان دير أنبا مقار مطراناً على الحبشة^(١٠). وكان في أيامه راهب فاضل قديس بدير أنبا مقار مشهور بالتقوى يدعى أنبا بافوتيوس عاش ٣٥ سنة في التوحد والنسك، هذا رسموه أسقفاً فقضى ٣٢ سنة في خدمة رعيته بنفس التقوى والنسك اللذين كان يعيشهما في التوحد^(١١).

ذكرى عاطرة لمؤرخنا العملاق ساويرس بن المقفع:

ومن مآثر القرن العاشر ظهور العالم الكنسي واللاهوتي البارع والمؤرخ المشهور أنبا ساويرس بن المقفع أسقف الأشمونين (هرموبوليس ماجنا) مركز ملوي - محافظة المنيا (حالياً).

والمعتقد أن الذي رسمه أسقفاً هو أنبا مكار يوس الأول الـ ٥٩ (٩٣٢-٩٥٢ م) وقد عاش ثمانين سنة ألف فيها ما يزيد عن ٢٦ كتاباً في كافة علوم البيعة، أشهرها وآخرها هو كتاب تاريخ البطارقة الذي جعلناه معتمداً في كتابة هذه الحوادث.

وقد عاصر خمسة بطارقة: مكار يوس الأول، وثيوفانيوس، ومينا الثاني، وأبرام بن زرعة، وفيلوثيريوس.

(٧) المخطوط، للمقريري، جزء أول ص ٣٢٩.

(8) Life of Abrah. ed. Leroy in R.O.C. XIV, p. 381.

(9) Abu Salih, op. cit., fol. 36 a.

(10) Hist. of Patr., p. 96.

(10) Renaudot, Hist. of Patr. Alex., p. 381 f.

(11) Synax. Basset, Bashans, II, pp. 1015 f.

الفصل الخامس

القرن الحادي عشر

١ - بناء هيكل جديد باسم أنبا مقار تكلف ٣٠٠٠ دينار.

٢ - كنيسة أنبا نوفر.

٣ - وصول رأس مار مرقس إلى دير أنبا مقار وبناء هيكل جديد لها.

٤ - غارة اللواتيين على الأديرة.

دير أنبا مقار ينجو من التخريب ويصير ملجأ للأساقفة والبطريرك ٩ سنوات:

وبعد أنبا فيلوثيريوس، جلس على كرسي البطريركية أنبا زخارياس^(١) (١٠٠٤-١٠٣٢). وهو رجل قديس صانع معجزات ومن دير أنبا مقار. وقد عانى هذا الأب على يد الحاكم بأمر الله كثيراً من الإضطهادات والحبس. ورماه مرة في جب الأسود، وكان ذلك بوشاية الراهب يونس الذي من منشوية أبا نوفر بحري كنيسة أنبا مقار الذي كان يشتهي الأسقفية. وقد هُدمت في أيامه كنائس لا حصر لها وأديرة كثيرة بالرليف وخصوصاً أديرة الفيوم، ولكن أديرة وادي النظرون نجت جميعها. وكانت الكنائس مقفرة ولا يسمح في كل مصر بإقامة القربان الطاهر مدة ٩ سنوات، كانت كلها ضيق وأهوال وخراب وعذاب وقتل وخوف. وفجأة تغير موقف الحاكم بأمر الله وأعاد الأمان للمسيحيين وصرح لهم بعمارة الكنائس والأديرة التي تهدمت. ويذكر رينودت أن هذا الهدوء حدث سنة ١٠٢١ م^(٢). وهذا من الأمور التي يندعش لها العقل، إذ كيف ينقلب هذا الحاكم بأمر الله من ذئب مفترس إلى حمل وديع. ويقول الأمير عمر طوسون في كتابه عن وادي النظرون نقلاً عن المؤرخ كاترمير أنه عين حراساً بأجر يجرسون أديرة وادي هبيب. والأعجب من هذا كله أن هذا الحاكم بأمر الله ترهب بوادي النظرون وأمضى بقية أيام حياته هناك. ويقول المؤرخ ابن العبري في تاريخ السريان: [وكثيرون يعتقدون أنه رحل إلى الصحراء بالإسقيط (شيبيت) وصار راهباً وأنهى حياته هناك، وأنا نفسي عندما كنت في دمشق سمعت من بعض الكهنة المصريين أنه حينما اضطهد الحاكم المسيحيين

(١) تاريخ بطارقة الكنيسة المصرية، لسواويرس بن المقفع، مجلد ثاني، جزء ثاني، ص ١١٦.

(2) Renaudot, Hist. of Patr. Alex., p. 394.

ظهر له المسيح كما ظهر لبولس فقبل الإيمان والتجأ إلى الصحراء ومات هناك [٣].

وقد لجأ بعد ذلك أنبا زخار ياس إلى دير أنبا مقار ومعه أساقفة كثيرون للصلاة والشكر وإقامة القرايين التي كانت تشتهيها الناس في تلك الأيام شهوة: [وكانوا يشتهون القربان في ذلك الزمان كما يشتهي الطفل الرضيع لبن أمه] [٤]. [وهذه التسع السنين التي كان فيها الأدب من الرب منها ثلاث سنين لم يقدر أحد أن يعمل فيها ظورون (ذورون = أي قربان) إلا في الديارات فقط]. وتوجد مخطوطة محفوظة الآن بالفاتيكان جاء فيها وصف مؤثر لهذه الأيام هكذا: [وأنا أتيت بنعمة الله إلى هذا الدير المقدس في هذا الزمان المملوء بالحن عندما تحزبت أديرة الفيوم وكل الكنائس على يد الحاكم بأمر الله، وهذا كله يآبائي القديسين حل علينا بسبب خطايانا، وقد أتيت إلى دير أنبا مقار لأجل تناول من جسد الرب ودمه لأشترك فيه لأنه لا يتوفر لنا الاجتماع بأمان في أي مكان إلا في هذا المكان المقدس الذي لأبينا أنبا مقار] [٥]. وقد ذكر الكاتب اسمه: «يوسف بن مكار يوس» والسنة التي كتب فيها «٧٣٠ لدقلديانوس» أي سنة ١٠١٤ م. ومكث أنبا زخار ياس في الدير مدة ٩ سنوات متوالية.

ويقص كتاب تاريخ البطارقة قصة عجيبة عن هذا الأب البطريرك زخار ياس مؤداها أن واحداً من رعيته إنساناً بسيط الحال أخطأ خطية وخان عهد زوجته فتبرص جسده كله، فلما ذهب إلى البطريرك واعترف له، وضع عليه الأب أربعين يوماً صوماً كاملاً بالخبز اليابس والملح مع الحبس والصلاة. وفي نهاية القصة تبين أن الأب البطريرك وضع على نفسه هذا القانون عينه، إذ صام مع الرجل بنفس القدر الذي وضعه على الخاطيء وكان يصلي عليه حتى شفي تماماً، وخاطبه قائلاً: «حي هو اسم المسيح أني ما تغذيت في هذه الأربعين يوماً إلا بمثل ما غذيتك به ولا كنت أفطر إلا في وقت إفطارك، ثم بارك عليه وأمره بالإنصراف» [٦].

وقد حدث في هذه الأيام حادث ذو علاقة كبيرة بعمارة دير أنبا مقار [٧]، إذ يقص علينا تاريخ البطارقة أن أحد الأساقفة يدعى اسمه «مكار يوس» أسقف منوف العلا وكان كاتباً للسينودس (سكرتير المجمع المقدس)، كان له أخ اسمه «مينا» أسقفاً على «طانا»، ترك مالا كثيراً عند نياحته لأخيه حوالي عشرة آلاف دينار، فأخذها أخوه واتجه إلى دير أنبا مقار وأنفق منها

(3) Chron. Syr., ed. Bruns, p. 226, Ev. White, II, p. 346.

(٤) تاريخ بطارقة الكنيسة المصرية، لساو يرس بن المقفع، مجلد ثاني، جزء ثاني، ص ١٣٣.

(5) Cod. Vatican., Copt., No. LXVIII, after Quatremère, p. 249 f.

(٦) تاريخ بطارقة الكنيسة المصرية، لساو يرس بن المقفع، مجلد ثاني، جزء ثاني، ص ١٥٠.

(٧) تاريخ بطارقة الكنيسة المصرية، لساو يرس بن المقفع، مجلد ثاني، جزء ثاني، ص ١١٨ و ١١٩.

على بناء هيكل جديد لأنبا مقار— قبلي هيكل أنبا بنيامين — كرز في أول كهك وزينه بكل زينة: وقد كلفه ٣٠٠٠ دينار. ويلاحظ هنا أن هيكل أنبا بنيامين لم يكن أصلاً إلا هيكل أنبا مقار، ولكي دعى فيما بعد «هيكل بنيامين» بسبب تكر يسه على يديه فقط، فلما أطلق عليه اسم «هيكل أنبا بنيامين» وثبتت عليه هذه التسمية، أصبح من الضروري بناء هيكل آخر باسم قديس الكنيسة، أي باسم أنبا مقار.

ولما كان كل هيكل يبنى جديداً يتحتم أن يكون له خورس أول وثن أي صحن كامل، لذلك فإن ما اعتاد المؤرخون أن يقولوه بخصوص بناء هيكل جديد أو بناء كنيسة جديدة هو على حد سواء. أما التعبير عن ذلك باللغة القبطية فكان يقتصر على كلمة «اسكيني» أي «قبة أو مسكن».

ذكر كنيسة أونوفر (أونوفر يوس) [٨]:

وقد جاء عرضاً في سرد حياة أنبا زكرياس البطريرك الـ ٦٤ خبر راهب قسيس مشاكس طماع من دير أنبا مقار من الذين باعوا الحياة الرهبانية طلباً للمال والجاه وكان يتحرق شوقاً لمنصب الأسقفية، ويُقال أنه كان يسكن في القلاية (المنشوبية) التي بها كنيسة أونوفر يوس، وكان قيماً على هذه الكنيسة وهي التي تقع بجري كنيسة أنبا مقار؛ فلما طلب من البطريرك الذي كان من ديره أن يرسمه أسقفاً تحت التهديد مستغلاً شراسة الوالي وضعف البطريرك، رفض البطريرك طلبه بناء على نصيحة أنبا ميخائيل أسقف سخا (وكان ابن أخت البطريرك). فما كان من هذا الراهب — الذي يسميه كتاب تاريخ البطارقة: «الوعاء الذي ملأه الشيطان» — إلا أن ذهب وقدم شكاية كلها افتراء وكذب للوالي الحاكم بأمر الله الذي انتهز الفرصة وطلبه بأموال كثيرة. فلما اعتذر البطريرك أذاقه أنواعاً من العذاب، إذ سجنه ثلاثة أشهر ثم ألقاه في جب أسود جائعة، لكن الله نجاه.

ويستفاد من هذه القصة أن المنشوبيات المتناثرة حول دير أنبا مقار كانت عامرة حتى هذا العصر، وكان يوجد بها كنائس تؤدي فيها الخدمات الإلهية، ومنها هذه المنشوبية التي كان بها كنيسة القديس أبا نوفر السائح.

وصول رأس مارمرقس إلى دير أنبا مقار وبناء هيكل جديد لها [٩]:

وفي زمن أنبا زكريا سرق أحد الضباط الأتراك رأس مارمرقس من كنيسته بالإسكندرية

(8) Budge, Copt. Martyrdoms, p. 205 f., 455 f.

(٩) تاريخ بطارقة الكنيسة المصرية، لساو يرس بن المقفع، مجلد ثاني، جزء ثاني، ص ١٣٢ وما بعده.

وذهب إلى مصر وباعها إلى أحد الأراخنة و يسمى «بقيرة الرشيدى» مقابل ٣٠٠ دينار، وسافر هذا إلى دير أنبا مقار مسرعاً وقدمها للبطريرك هناك. و يضيف كاتب سيرة أنبا زكريا هكذا: [وهي الآن في دير أنبا مقار]. فلو علمنا أن كاتب سيرة أنبا زكريا هو ميخائيل أسقف تنيس الذي كتب تاريخ البطاركة حتى سنة ١٠٥١، فهذا يعني أن رأس مارمرقس كانت موجودة بالدير حتى هذا التاريخ.

ونعلم أيضاً من الحوادث الملازمة أنها كانت حتى أيام أنبا خرستوذولوس البطريرك الـ ٦٦ (١٠٤٦-١٠٧٧). وربما تكون قد خرجت من الدير سنة ١٠٥٧ م (١٠)، إذ يروي تاريخ البطاركة في سيرة أنبا خرستوذولوس أنها كانت موجودة بالإسكندرية وظلت تنتقل من بيت لبيت خوفاً من مطالبة الروم لها بواسطة الوالي وطمعاً في ثمنها (١١).

والذي يعنيننا في هذا من الوجهة الهندسية أنه وُجد في كتاب تاريخ عمل الميرون في أثناء حياة أنبا غبريال الثاني (١١٣١-١١٤٥) ذكر هيكل مارمرقس كهيكل أساسي ورئيسي في الكنيسة الجامعة الكبرى - أي كنيسة أنبا مقار - ولو أنه ذكر عنه أنه «الهيكل الصغير أو القصير» وهو مدخل هيكل يوحنا المعمدان الآن (١٢).

إذن فوجود رأس مارمرقس في حوالي منتصف القرن الحادي عشر بدير أنبا مقار هو الذي نبه الرهبان بضرورة إقامة هيكل يتناسب ووجود هذا الأثر النفيس الطاهر. ولكن في أي عصر بالضبط وعلى أيدي من من البطاركة تم تشييد هيكل للقديس مارمرقس؟ هذا ما لا نجد له أي إشارة حتى الآن.

ولكن يرجح العالم الأثري إقلين هوايت أن بناء هذا الهيكل يلزم أن يكون قد تم في فترة وجود الرأس المقدسة بالدير، أي في زمان بطريركية أنبا زكريا أو شنودة الثاني على الأكثر. ومن المعلوم أن هناك تقليداً متوارثاً لدى آباء دير أنبا مقار أن رأس مارمرقس لا يزال مدفوناً في هيكله.

(١٠) و يقول كترمير نقلاً عن المقريري أن أهل فينيسيا حصلوا عليها (سرقة) سنة ١٤١٩ م.

(١١) تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية، لساو برس بن المقفع، مجلد ثاني، جزء ثاني، ص ١٧٤ و ١٧٥.

(١٢) وهذا الهيكل، كان معلوماً من بعض المصادر ومن التقليد المتواتر أن جسد يوحنا المعمدان وجسد أليشع النبي مدفونان تحته على مسافة قامة إنسان، وقد اكتشف رفات الجسدين فعلاً خلال الصوم الكبير عام ١٩٧٦ أثناء إجراء عمليات ترميم وتوسيع كنيسة أنبا مقار. راجع التقرير الذي نشره الدير بعنوان: «الكشف الأثري في دير القديس أنبا مقار عن رفات يوحنا المعمدان وأليشع النبي»، ١٩٧٩.

(أنظر كتاب وادي النطرون لعمر طوسون ص ٢٠٨ و ٢٠٩).

رهبان دير أنبا مقار يحملون مسئولية انتخاب البطاركة:

منذ بداية عصر أنبا شنودة الثاني البطريرك الـ ٦٥، نجد بادرة جديدة في رسامة البطاركة، إذ مع أساقفة مصر وأراخنة الإسكندرية ذكر رهبان دير أنبا مقار: [وبعد نياحة أنبا زكريا اجتمع الأساقفة مع رؤساء وادي هيبب وجلسوا يفكرون في قوم يختارونهم ليرسموا منهم واحداً. فذكر إنسان كان قد ترهب وعمره أربع عشرة سنة اسمه «شنودة» قسيساً في أسكينا أبو مقار عارفاً بالكتب المقدسة، ترهب في منشوية دهبية] (١٣).

ويلاحظ هنا أن كاتب سيرة هذا البطريرك في كتاب تاريخ البطاركة لم يستطع أن يكتب ولا صفة روحانية واحدة سوى أنه عارف بالكتب المقدسة. ولكن ما كانت المعرفة تغني عن القداسة أو النسك، لذلك نسمع في أواخر أيام هذا البطريرك: [وقد تنيح في اليوم الثاني لهاتور سنة ٧٣٣ للشهداء وهو يشتهي الدنيا] (١٤).

وهذه هي المرة الأولى التي يدخل فيها رؤساء الأديرة كعنصر أساسي في انتخاب البطريرك.

والمناسبات الأخرى التي ذكر فيها اشترك الرهبان هي كالاتي:

١ - كيرلس الثاني: ويذكر فيها رهبان دير أنبا مقار فقط.

٢ - مكار يوس الثاني: ويذكر فيها رهبان دير أنبا مقار فقط.

٣ - مرقس الرابع: ويذكر فيها الرهبان بدون تخصيص.

٤ - كيرلس الثالث: ويذكر فيها الرهبان بدون تخصيص.

وقد قام جدل كثير بين المؤرخين في معنى وسبب تدخل الرهبان في انتخاب البطريرك، وقد أجمعوا أن كلمة «رؤساء وادي هيبب» معناها «رهبان دير أنبا مقار» بالذات.

فيقول المؤرخ رينودوت أن رهبان أنبا مقار كانوا يُدعون كخبراء للإستشارة فقط لأنهم هم وحدهم الذين لهم الخبرة في معرفة أحوال الرهبان. ومن المفيد حقاً أن يعطوا تأكيدهم بقداسة البطريرك القادم. والدليل على ذلك أن قصص شهبث كان وحده له الحق في التوقيع على التزكية.

أما إقلين هوايت فيؤكد أن الرهبان كان لهم الحق الجماعي في الإنتخاب، لأن في طقس الرسامة يصف جماعات الناخبين بأنهم من الأساقفة، والكهنة، والشمامسة، ثم يذكر «والرهبان والإيغومانسيون العظام»، ثم كل شعب الإسكندرية والدلتا، بحسب ترتيب طقس التزكية.

(13) Ev. White, II, p. 347.

(١٣) تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية، لساو برس بن المقفع، مجلد ثاني، جزء ثاني، ص ١٥٢.

(١٤) تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية، لساو برس بن المقفع، مجلد ثاني، جزء ثاني، ص ١٥٨.

ويعقب إقليدس هويت على توقيع قصص شبيبت وحده الذي كان دائماً رئيس دير أنبا مقار، فيقول أن هذا التوقيع هو بدوره شهادة على صحة تركيبة الرهبان الحاضر بين الذين بلغ عددهم في انتخاب كيرلس الثالث أربعين راهباً.

وطبعاً يُرجع المؤرخون مسؤولية رهبان أنبا مقار بنوع خصوصي في انتخاب البطريرك في هذه الأزمنة إلى المكانة التي صارت لدير أنبا مقار كملاذ للبطاركة وقت الضيق، وقضاء فترات الصوم الكبير وأسبوع الآلام وعيد الفصح، وإلى كثرة عدد قديسيه وشيوخه، وإلى الحالة الروحية والعلمية العالية التي كانت لرهبانه في تلك الأيام، وإلى منزلة قديسه أنبا مقار والمعجزات الكثيرة التي كانت تتم فيه، وأخيراً إلى اعتباره مسئولاً عن لاهوت البيعة ومركز تكريس ميرونها، ومكلاً لطقس رسامة البطريرك حيث كان يقرأ الربيته التحليل على رأس البطريرك قبل دخوله الهيكل لإقامة الذبيحة، ثم باعتبار دير أنبا مقار مكاناً مقدساً مختاراً للإحتفاظ بأجساد البطاركة. وقد كان للبطريرك دائماً أبدأ قلاية خاصة به تُدعى «قلاية البطريرك» ينزل فيها عند وجوده بالدير.

عدد متوحيدي دير أنبا مقار في القرن الحادي عشر:

ويذكر موهوب بن منصور الشماس المؤرخ المشهور كاتب سير الآباء البطاركة أنه توجه إلى دير أنبا مقار في زمان بطريركية أنبا كيرلس الثاني البطريرك الـ ٦٧، وذلك في سنة ١٠٨٨ م، فوجد أن عدد رهبان برية شبيبت كلها ٧٠٠ راهب، كان منهم في دير أنبا مقار ٤٠٠ بين متوحد وراهب (١٥).

وكان توزيعهم كالاتي:

- | | |
|-----------------------------|-------------|
| ١ - دير القديس أنبا مقار | ٤٠٠ راهب. |
| ٢ - دير القديس يوحنا القصير | ١٦٥ راهباً. |
| ٣ - دير السريان | ٦٠ راهباً. |
| ٤ - دير بيشوي | ٤٠ راهباً. |
| ٥ - دير كاما | ٢٥ راهباً. |
| ٦ - دير براموس | ٢٠ راهباً. |
| ٧ - مغارة أنبا موسى | ٢ راهبين. |

غارة اللواتيين على الأديرة، أسر البطريرك خرستوذولوس:

كانت انذارات كثيرة قد بدأت تظهر في الأديرة سنة ١٠٦٥ م، سواء على فم القديسين أو

(١٥) تاريخ بطاركة كنيسة الإسكندرية، مجلد ثاني، جزء ثاني، ص ١٦٠.

بواسطة الأيقونات، تفيد أن هناك كارثة وشيكة الوقوع في زمن بطريركية أنبا خرستوذولوس بواسطة الأيقونات، تفيد أن هناك كارثة وشيكة الوقوع في زمن بطريركية أنبا خرستوذولوس (١٠٤٦-١٠٧٧ م) (١٦).

فقد نبع دم من أيقونة مار مينا الموجودة بالاشكينا (الخورس الأول) بكنيسة أنبا مقار الكبرى، وشهد برؤية الدم الأب القديس مقاره أقنوم الدير وموهوب المؤرخ نفسه (١٧). وحدثت مجاعة عظيمة في طول البلاد وعرضها سنة ١٠٦٥ م، ونسمع أثناءها عن راهب قديس صانع عجائب ومعجزات كثيرة يدعى «بسوس» كان يطعم البدو الخائرين في الصحراء الذين كانوا يرزحون تحت عبء المجاعة.

وظهرت السيدة العذراء على هيئة نور عظيم فوق أيقونتها التي بكنيسة أنبا بقطر بالجيزة في شرق الهيكل، وثبتت النور عليها طويلاً، وشاهده جميع الشعب الحاضر في العيد، وشهد بذلك القس يونس رئيس دير نهبيا وأسقف الجيزة أيضاً (١٨).

كما ظهرت الأيقونات في الكنائس والأديرة والأعمدة أيضاً وهي تسيل منها قطرات ماء بشبه الدموع (١٩).

[وهجم اللواتيون سنة ١٠٦٩ م على صعيد مصر وانتشروا في البلاد كلها وأخذوا الأب البطريرك أنبا خرستوذولوس من داره ونهبوا ما فيها واستولوا على أموال كثيرة جداً كانت في حوزته؛ وكان يقول لهم أنها مال مارمرقس ومال القديس أبو مقار، ولكنهم لم يقتنعوا بل عاقبوه وأهانوه جداً] (٢٠).

ولم يتركه اللواتيون حتى أوفى ٣٠٠٠ دينار.

ووصل اللواتيون إلى وادي هيبب فنهبوا الديارات وقتلوا رهبانها وهرب من بقى منهم إلى الريف. ولكن لم يمس هيكل أنبا بنيامين بسوء، وقد عثرنا في سيرة هذا البطريرك خرستوذولوس على وصف إقامة التسبيحة (الأبصلمودية) في منتصف الليل في الأديرة التي حبس الرهبان أنفسهم داخلها، وكيفية استيقاظ الرهبان بضرب الناقوس الخشبي (٢١).

ولكن بحلول سنة ١٠٧٣ م بدأت المجاعة والمصائب تخف وطأتها، وذلك بظهور بدر الدين

(١٦) تاريخ بطاركة كنيسة الإسكندرية، مجلد ثاني، جزء ثاني، ص ١٨٢.
 (١٧) تاريخ بطاركة كنيسة الإسكندرية، مجلد ثاني، جزء ثاني، ص ١٩٧.
 (١٨) تاريخ بطاركة كنيسة الإسكندرية، مجلد ثاني، جزء ثاني، ص ١٨٦-١٨٧.
 (١٩) تاريخ بطاركة كنيسة الإسكندرية، مجلد ثاني، جزء ثاني، ص ١٨٢ و ١٩٠.
 (٢٠) تاريخ بطاركة كنيسة الإسكندرية، مجلد ثاني، جزء ثاني، ص ١٨٣.
 (٢١) تاريخ بطاركة كنيسة الإسكندرية، مجلد ثاني، جزء ثاني، ص ١٨٨-١٨٩.

الجمالي الذي قتل القواد الأتراك واسترد الإسكندرية وأخضع اللواتيين وقهر الجيوش السودانية.

ولما كان القائد بدر الدين الجمالي أرمني الجنس فقد بدأ الأرمن منذ ذلك الحين يجدون في مصر وطناً جديداً. وقد زار البلاد في هذه الآونة الكاثوليكوس اغريغور يوس الأرمني، وقام بزيارة الأديرة (وكان للأرمن دير جنوب دير أنبا مقار) التي في صحاري مصر، وهذه الزيارة كانت منتهى شهوة قلبه، وترك مصر حوالي سنة ١٠٨٨ م (٢٢).

شاهد شجاع محب للمسيح، وبطريرك متواضع محب للشهداء:

[وكان من هؤلاء النصارى بمصر شاب اسمه قام بن بقورة الصواف عمره ٢٢ سنة، كان قد غير دينه فرفضه أبوه وأمه وأبعدوه. فقدم وعاد إلى كنيسة الملاك ميخائيل وأقام بها، وعول على الدخول إلى دير أنبا مقار، ولكن في الطريق إلى الدير قال للرهبان: ما منعتني إذا أنا ذهبت إلى البرية ولم أعترف بالمسيح في الموضع الذي أنكرته فيه؟ ... فتركهم ونزل إلى مصر وشد وسطه بزئار المسيحيين (حزام عليه صليب)، فأخذوه في الشرطة واعتقله الوالي وضيق عليه، ولما بقي على إصراره أمر الوالي بقتله فخرجوا به وبأيديهم العصي، ولاطفه نائب الوالي ووعد بهدايا وأموال فرد عليه الشاب: ولو أعطيتني مُلك مصر لن ألتفت إليه! فرجع يده بالسيف وقال له: أنظر حد هذا السيف، فرد عليه الشاب: يامولاي إنه بجر يده أيضاً تقدر أن تقتلني، فأمر نائب الوالي بقطع رأسه.

فجثا الشاب على ركبتيه وحول وجهه للشرق وعصب عينيه بيديه ومد عنقه، فضربت عنقه بحد السيف، فوقعت رأسه قائمة ووجهه ظل نحو الشرق، فحمله أبوه إلى كنيسة الملاك ميخائيل ودفنوه خارج الباب. وفي اليوم الثالث وصل الأب أنبا خرستوذولوس من دير الشمع إلى البيعة المذكورة فوجدهم قد دفنوه خارج باب البيعة فأنكر عليهم ذلك وقال: شهيد يُدفن خارج البيعة؟ وأمر يهدم القبر ودخل بالجسد إلى الكنيسة وكشف عنه الكفن وقبله وتبارك منه، ووجد عليه دمياً طرياً كأنه نبع لساعته فأخذ منه وصلب على ملابسه، وبني هناك مذبحاً على اسمه وكرزه ودفنه مقابله على وجه الأرض. وجسده ظل باقياً في كنيسة الملاك ميخائيل] (٢٣).

أنبا خرستوذولوس يتنبح ويُدفن بدير أنبا مقار:

تنبح أنبا خرستوذولوس سنة ١٠٧٨ م في مصر ودفن أولاً في كنيسة المعلقة، ولكن بعد مدة نقلوا جسده الظاهر إلى دير القديس أنبا مقار.

(22) Lane-Poole, Hist. of Egypt in the Middle Ages, p. 151.

(٢٣) تاريخ بطاركة كنيسة الإسكندرية، مجلد ثاني، جزء ثاني، ص ١٧٠-١٧١.

رسامة قس اسكنا كنيسة أنبا مقار بطريركاً:

وكعادة هذه الفترة الزمنية اجتمع جمع غفير من الأساقفة بعد نياحة أنبا خرستوذولوس وتوجهوا إلى دير أنبا مقار مع كهنة الإسكندرية وجماعة المصريين وأقاموا بالدير شهرين يتشاورون فيمن يصلح بطريركاً، ولما أرادوا اختيار الأب القديس الفاضل أنبا مقار أمنوت (بواب) دير أنبا مقار هرب منهم واختفى، وأخيراً استقر رأيهم وبمشورة شاروت أرشي ذياقون دير القديس أنبا مقار على راهب شيخ وقور اسمه جرجة قس دير أنبا مقار، فأخذوه كرهاً وألبسوه - وهويبكي - الثوب واسموه كيرلص، وكرزوه في كنيسة المعلقة وصعد إلى دير أنبا مقار في الصوم الكبير؛ ولما مسك قلة الميرون في يده في اسكنا كنيسة أنبا مقار يوم الخميس الكبير فاضت القلة على يديه وعلى المذبح حتى تعجب الحاضرون ومجدوا الله جل اسمه.

والذي يهمننا من رسامة هذا البطريرك هو أنه، كما يقول كتاب تاريخ البطاركة: [وأوقف ما يتحصل من بعض كراسي الأساقفة على دير القديس أنبا مقار، وهي كراسي أسقفيات دميرة وأبو صيربنا ودمنهور وأهناسية. وكتب في ذلك شروطاً في سنة ١٠٨٦ م سلمها للرهبان القائمين بأعمال دير أنبا مقار].

ومن هذه الإشارة ندرك أن عمارة الدير كانت تسير سيرها المعتاد بسبب الأموال التي كان يتحصل عليها الدير من الإيبارشيات المذكورة أولاً بأول.

وقد تنبح هذا الأب الطيب سنة ١٠٩٢ م؛ ودفن في كنيسة الملاك ميخائيل، وحُمل جسده بعد ذلك إلى دير أنبا مقار بوادي هيب المقدس (٢٤).



نوع من الزخارف الهندسية الملونة التي تزين الحنيات الحائطية niches في دير باو يط - محافظة أسيوط
ترجع إلى القرن السادس/السابع

(٢٤) تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية، لساو يرس بن المقفع، مجلد ثاني، جزء ثاني، ص ٢٣٢.

وقد اختاروا [المبارك مكار يوس ، الكاهن بكنيسة أنبا مقار المعروف بالرسام (٢)] كهل محاجج جيد الكلام ، ضابط لقوانين الرهبنة ، حاول الهرب فقيده وألبسوه الثوب ورسموه (٣) . ومن ذلك نفهم أن دير أنبا مقار كان به رسام ، وبالتالي أن صناعة الأيقونات وتزيين الكنائس كانت مستمرة .

وبخصوص رسامة هذا البطريرك ، يذكر كتاب تاريخ البطارقة أنه حاول أن يتملص من الالتزام الذي فرض على البطارقة السابقين لتكميل الرسامة بدير أنبا مقار ، ولكن رهبان الدير هددوه بحرمانه من زيارة الدير وقطع اسمه من صلاة القديس وبقية الصلوات : [إذا لم تتبع هذه القاعدة وأقمت قداساً في كنيسة مصر قبل أن تقيمه أمام مذبح أنبا مقار فلن يكون لنا علاقة بك بعد ذلك ، ولن يذكر اسمك في كنيستنا ولن نسمح لك بدخولها أو أن تقيم قداساً فيها في أي وقت حتى ولو قُتلنا جميعاً] (٤) .

وهكذا أصبحت الكرامة التي كانت تُمنح للدير طوعاً أصبحت تُطلب قسراً ، والزيارة التي كانت تُعمل له تبركاً أصبح يُطالب بها كحقوق تُفرض تحت التهديد . وهذا في الواقع يوضح لنا مقدار الانقلاب الخطير الذي حدث للرسالة الرهبانية العالية التي بدأت في دير أنبا مقار ، ومقدار اهتزاز المبادئ الروحانية والمثل العليا لدى كهنة ورهبان هذا الدير في هذا العصر ، ولعل السر الأساسي في هذا الانحدار السريع هو كثرة وجود الكهنة المعيّنين لخدمة الكنيسة داخل الدير وتكالبهم على الكرامة وتزكية طقسهم ، ثم الانتفاع المادي !!

ونسمع بالفعل في زمن لاحق عن قصة كاهن سرق أموال الميرون التي كانت تُعتبر ضمن دُخل دير أنبا مقار وذلك في بطريكية أنبا كيرلس الثاني .

والمعروف أن عدد الكهنة في دير أنبا مقار بلغ في هذا العصر ٨٠ كاهناً . وهذا العدد يبين مقدار التكالب على هذه الرتبة التي كانت من اختصاص أب البرية وحده فصارت عنصر مناوأة للكنيسة ، فكانوا يعتمدون بالفعل على عددهم في فرض الحقوق وطلب الامتيازات والكرامات واستخدام السلطان الكهنوتي للتهديد . ومن هذا نستشف أنه من الطبيعي ، إذا زاد عدد الكهنة في الدير ، فهذا كفيل أن يتحول الدير تلقائياً عن رسالته الرهبانية الأصيلة التي تقوم على الفقر والعفة والطاعة ، بل والقداسة أيضاً .

(٢) يلاحظ هنا أن هذا الأب مقار كان راهباً بدير أنبا مقار وكان رساماً أو حسب قول تاريخ البطارقة : « كان مصوراً » . لذلك فإنه يرجع الفضل حسب تقدير العالم الأثري لوروا في تزيين قباب كنيسة أنبا مقار بالصور التي يعتبرها هذا الأب الأثري الفاضل من أروع ما شاهده في فنون التصوير .

(٣) تاريخ البطارقة ، المجلد ٣ ، جزء أول ، ص ٢ .

(٤) تاريخ البطارقة ، المجلد ٣ ، جزء أول ، ص ٤ .

الفصل السادس القرن الثاني عشر

- ١ - بدء قيام نظام الشركة الجماعية داخل الأسوار جنباً إلى جنب مع نظام التوحيد والإنفراد .
- ٢ - كرامة الدير تُطلب قسراً من البطارقة .
- ٣ - إحساس كهنة أنبا مقار بالولاية الكهنوتية على البطارقة والكنيسة .
- ٤ - تعديل في عادة تكريس الميرون في دير أنبا مقار .
- ٥ - رهبان أنبا مقار يقومون بوضع طقس جديد لقراءات أسبوع الآلام .
- ٦ - أنبا ميخائيل الثالث ، وقلايته الدنشيري .
- ٧ - موقف رهبان دير أنبا مقار المتصلب إزاء التغييرات في العقيدة .
- ٨ - ذكر راهب شهيد من دير أنبا مقار .

كان لا يزال في هذا العصر نظام التوحيد خارج الأسوار قائماً كما هو في دير القديس أنبا مقار . ففي أثناء انعقاد مجلس الأساقفة والكهنة والأراخنة لاختيار مكار يوس الثاني البطريرك الـ ٦٩ (١١٠٢-١١٢٨ م) خليفة للبطريرك ميخائيل الثاني الـ ٦٨ يقول كتاب تاريخ البطارقة : [واستعرضوا أسماء بعض المتوحدين وأيضاً النسك الساكنين في الأبراج] (١) .

ومن هذه الإشارة نفهم أن كلمة « أبراج » تعني الأديرة الآن ، أي المساكن المحاطة بأسوار عالية ، أما المتوحدون فهم سكان القلاي والمنشوبيات المنفردة خارج الأسوار .

وهكذا نجد أن القرن الثاني عشر شاهد قيام النظامين معاً جنباً إلى جنب في دير أنبا مقار : نظام التوحيد والإنفراد وهو النظام المقاري الأصيل ، مع نظام الشركة الجماعية داخل الأسوار ، وهو النظام نصف الباخومي الذي فرضته الظروف القاسية على برية أنبا مقار ، وهو نظام لا يتمشى مع الروح القبطية ، وكان من الأسباب المباشرة التي أضعفت الروح الرهبانية وأتت على كل مميزات الروحانية العميقة الأولى .

(١) تاريخ بطارقة الكنيسة المصرية المجلد ٣ ، الجزء الأول ، ص ٢ .

وهذا كله نتيجة مباشرة لتقلص نظام التوحيد الكامل وانشغال الرهبان بالكهنوت وهي رسالة لا تخصصهم في شيء، فهل من عودة إلى نظام أنبا باخوم وأنبا مقار حينما كان للبرية كلها كاهن واحد؟

وإنه وإن كان أنبا مكار يوس الثاني (١١٠٢-١١٢٨ م) قد خضع لهم بالفعل ولم يقدر قداساً واحداً في مصر من وقت رسامته أي من ١٣ هاتور حتى منتصف شهر طوبة حين ذهبه إلى دير أنبا مقار، حيث أقام الذبيحة هناك كالعادة القديمة، إلا أن هذه الحادثة نبت البطارقة اللاحقين إلى خطر ازدياد سلطان كهنة الرهبان على الكنيسة، فبدأت بالفعل عمليات العزل بالتدريج، وبعودة البطريرك إلى القاهرة فُرى تقليده في كنيسة المعلقة على الإنبل باللغات اليونانية والقبطية والعربية؛ ومن هذا يتبين لنا أن اللغة اليونانية كانت لا تزال حية على ألسنة رجال الكنيسة القبطية.

وقد جاء ضمناً أثناء سرد حياة هذا البطريرك، عدة أسماء لآباء رهبان فضلاء بدير أنبا مقار استعرضوها لاختيار ما يصلح منها لأسقفية مصر عوض أنبا يعقوب أسقف مصر (١٠٦٤-١٠٨٨)، الذي كان رجلاً عالماً ناسكاً مشهوراً وهو أصلاً من دير القديس أنبا مقار، ويلاحظ القارىء طريقة هجاء الأسماء لأنها تحمل طابعاً خاصاً وكذلك الوظائف التي تفيد أن الدير كان له نظام ترتيب كهنوتي دقيق (٥):

١ - كيبييل: (اختصار لكلمة ميكايل) - الأبسلمدس بدير أبو مقار (ميخائيل رئيس التسبحة) وهو أعلا من القسوس.

٢ - مينا:

القس باشكينا (اسكننا أي مسكن الله أو حلول الله) أبو مقار (خادم كنيسة أنبا مقار).

٣ - تيدور: (اختصار لكلمة ثيودوروس) القس بدير أبو مقار. يفيد هنا أنه كاهن عادي في أي منشورية.

٤ - يسيب: الراهب بدير أبو مقار (يسيب أو يوسف).

إحساس كهنة أنبا مقار بالولاية اللاهوتية على البطارقة والكنيسة كلها:

حدث في عهد غبريال الثاني البطريرك الـ ٧٠ المدعو «بن تريك» (١١٣١-١١٤٦ م) أن أضاف الأساقفة على الاعتراف الذي يتلى في نهاية القداس جملة «وجعله واحداً مع لاهوته»، فلما استلم منهم البطريرك هذا القول وعلم كهنة الدير بذلك وسمعوا أن البطريرك الجديد يقوفاً كذلك، نزلوا إليه واعترضوا عليه، مع أنه كان عالماً أيضاً وبارعاً لاهوتياً، وأنكروا عليه إضافة أي شيء على الاعتراف. وقد حاول البطريرك اقناعهم بشتى الطرق فلم يقتنعوا. وأخيراً أرغموه أن

(٥) تاريخ بطارقة الكنيسة المصرية المجلد ٣، الجزء الأول، ص ١٥.

يؤمن هذه الإضافة بإضافة جديدة بأن يقول: «وجعله واحداً مع لاهوته بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير». فخضع البطريرك لمشورتهم، وجرى الاعتراف حسب قولهم حتى اليوم، فكان ذلك موقفاً جريئاً شجاعاً ينم عن ثقة بالنفس لا حد لها (٦).

١ - ومن هذه الحادثة ندرك أن كهنة أنبا مقار كانوا يعتبرون أنفسهم أصحاب ولاية شرعية على لاهوت الكنيسة، وكانوا بالحقيقة محقين في شعورهم هذا، إذ كانوا بالفعل على درجة عالية جداً من العلم والمعرفة اللاهوتية والطقسية، إذ كان دير أنبا مقار في ذلك العهد وما قبله مصدر نور ومعرفة وتقوى، فكان كثير من رهبانه أصحاب فضل في وضع كثير من ترتيبات الصلاة والطقوس والتسبحة والنسك، ولا تزال كثير من المخطوطات والكتب السارية في الكنيسة الآن تحمل هذه الذكرى الطيبة لدير أنبا مقار، إذ تقول في صدر بعض الطقوس والترتيبات والتسبحة كلمة: «حسب طقس دير أنبا مقار».

٢ - كتاب البصخة: [وقد اجتمع بعض المتعلمين والحكماء مع كثير من الرهبان بدير أنبا مقار وجمعوا (ألفوا) كتاباً فيه مختارات من العهد القديم والعهد الجديد وأسموه قطمارس الآلام «البصخة». وهو يستخدم سنوياً في طقس أسبوع الفصح وعيده في الكنيسة] (٧).

٣ - طريقة رسامة الرهبان الجدد بدون أخذ موافقة قص البرية وبدون أي طقس صلاة خاصة كنسية (٨).

٤ - ونقرأ في مخطوطة سرياني [عن نظام تلاوة المزامير وأوقات الصلاة «حسب طقس دير أنبا مقار»] (٩).

٥ - وفي مخطوط قبطي آخر كتبه «خائيل بن مانوي» عن مديحة وعظة ألفها ثاوفيلس ٢٣ عن الثلاث فتية: [ثم تُقرأ هاتين القطعتين بالتناوب خلال الذكولوجية في الهيكل القبلي لكنيسة أنبا مقار (وكان مكرساً للثلاث فتية)]. أي أن ذلك كان طقساً خاصاً بالدير فقط (١٠).

٦ - مخطوط عربي في روما يحتوي أولاً على ٢٦ قانوناً جمعها يوحنا البطريرك الـ ٩٤ من ثلاث نسخ قديمة جداً محفوظة في دير القديس مقار يوس. ولعلها قوانين رهبانية متبعة بالدير، ثانياً على طقس

(٦) تاريخ بطارقة الكنيسة المصرية المجلد ٣، الجزء الأول، ص ٢٧.

(7) Dillmann, Codices Aethiopic, No. XXVII, p. 30.

(8) Ev. White, II, p. 131, 252, 260, 378.

(9) Wright, Cat. Syr. Mss. in B.M. No. CCXVIII.

(10) Zoëga Cat. No. LVI, p. 107.

تكريس المذبح «حسب طقس دير القديس أنبا مقار»^(١١). ثالثاً قوانين نسكية يُقال أن السيدة العذراء سلمتها للقديس أنبا مقار.

٧ — من المخطوطات يتبين أنه كان لدير أنبا مقار طقس بالنسبة لخدمة المذبح، وكان يُحرّم على الكاهن ليّس البرنس أثناء الخدمة في الهيكل أثناء القداس^(١٢).

٨ — كان رهبان دير القديس أنبا مقار يرفضون أن يُقرأ أي شيء في كنيستهم بغير اللغة القبطية^(١٣) حتى أن البطريك ميخائيل الثاني — كما يقول المؤرخ موهوب: [لم يستطع أنبا ميخائيل الثاني الذهاب مباشرة بعد رسامته في الإسكندرية سنة ١٠٩٢ م إلى دير أنبا مقار بل اضطر إلى الانتظار مدة حتى يدرس الأناجيل بالقبطية لأنه لم يكن يجيد القبطية].

٩ — كان لدير أنبا مقار تقويم تاريخي خاص للمناسبات بالكنيسة أخذت به الأديرة الأخرى وكنائس الوجه القبلي، ولكن لا نعلم مدى مطابقتها للتقويم الحالي المعمول به الآن لأن ذلك يحتاج بحثاً خاصاً^(١٤).

١٠ — يقول المؤرخ فانسليب في تاريخ كنيسة الإسكندرية أن كل ألحان الكنيسة القبطية الصافية أُلّفها راهب من دير أنبا مقار كان في صناعته فاخورياً^(١٥).

تعديل في عادة تكريس الميرون في دير أنبا مقار سنوياً:

ومن الأمور التي كان يتمسك بها كهنة دير أنبا مقار تكريس الميرون سنوياً بالدير في يوم الجمعة العظيمة أو خيس العهد حسب الإستلام الذي وضعه مارمقس نفسه، ويقال أنه كان من وضع ثاوفيلس البطريك الـ ٢٣.

وكان يُجرى أولاً في كنيسة مارمقس بالإسكندرية، ولكن في عام ٤٣٠ م أمر البابا ثاوفيلس الـ ٢٣ إطاعة لرؤيا ملائكية أن يجرى التكريس في كنيسة القديس أنبا مقار في يوم الجمعة من الأسبوع السادس من الصوم الكبير. ولكن في القرن العاشر تغير هذا اليوم إذ عمله مكار يوس الأول في يوم خيس العهد بدل الجمعة وسار من خلفه بعد ذلك على هذا النظام.

وفي صدر كتاب الميرون نجد هذه العبارة: [العادة المتبعة لعمل الميرون المقدس في دير القديس أنبا مقار الكبير في برية شيهيت التي تدعى ميزان القلوب في يوم الخميس من الأسبوع

(11) Cod. Vatic. Arab. No. DCLXII (Mai. S.V.N.C p. 584).

(12) Renaudot, Lit. Orient., col. 1, pp. 162 f.

(13) Ibid., pp. 95 f.

(14) Synax. Basset, p. 39.

(15) Wanseleben, Hist. de l'église d'Alex. pp. 56 f.

المقدس (أسبوع الآلام)].

ولكن منذ أيام أنبا غبريال الثاني «ابن تريك» انقطعت العادة التي كانت تُلزم البطارقة بعمله سنوياً، إذ اختط هذا البطريك نظاماً جديداً هو أن يُعمل الميرون بكليات كبيرة حتى يتفادى الإلتزام بالذهاب إلى الدير سنوياً، فأصبح يُعمل على مدى سنين متباعدة، إنما احتفظوا بخميس العهد كيوم رسمي لصنعه.

وهكذا نلمح تصميماً خفياً من البطارقة لتفادي طغيان سلطان الأديرة على رسالتهم في العالم، وكان هذا في الحقيقة مفيداً للرهبنة أشد الفائدة ومضراً للكنيسة غاية الضرر، لأن البطارقة استخدموا سلطانهم المطلق بعد ذلك في كل الأمور بغير رقابة ولا خوف ولا رادع.

رهبان أنبا مقار يقومون بوضع طقس جديد لقراءات أسبوع الآلام:

كان من الأمور التي استرعت انتباه أنبا غبريال بن تريك صعوبة تنفيذ الأوامر التي قيل أنها من وضع الرسل بخصوص قراءة الكتاب المقدس بعهديه في الكنيسة في أسبوع الآلام: [وفي الحقيقة كان هذا في ذلك الوقت مناسباً للشعب الذي كان محروماً من الكتاب المقدس الذي لم يكن يوجد إلا مخطوطاً باليد وبأثمان باهظة جداً]. فلما وجد أنبا غبريال بن تريك أن في هذا مشقة عظيمة للشعب سواء للقارئ أو السامع، استعان برهبان دير أنبا مقار في اختيار الفصول الملائمة من العهدين لأيام الأسبوع المقدس: [وقد قام بعض ذوي العلم والفضل والحكمة وكثيرون من رهبان دير القديس أنبا مقار بوضع كتاب فيه مختارات من العهدين وأسموه كتاب البصخة]. إذن فكتاب البصخة بجماله وإتقانه الروحي واختيار فصوله الذي يدل على درجة الإلهام، هو من وضع رهبان دير أنبا مقار^(١٦).

ومن هذه الإشارة نفهم أن دير أنبا مقار كان لا يزال يحمل شعلة الإنجيل والمعرفة الروحية، لأن المدقق في تأمل هذه المختارات ومطابقتها للمناسبات لا يشك لحظة في أن الذين قاموا بهذا العمل رجال ملهمون ذوو بصيرة ونعمة وفطنة تكاد تحير فكر الإنسان.

والمعروف أنه كان لدير أنبا مقار تقاليد كثيرة مسلمة وموروثة في تدبير الخدمة داخل الهيكل في اللبس وفي الصلوات والتسابيح وتحديد مواعيد بعض الأعياد، والتدقيق الشديد في الارتباط بيوم الأحد لإقامة القداس بحيث لا يُسمح بإقامته إلا في هذا اليوم ما عدا أيام الصوم، فكان يُسمح بإقامته يومي الأربعاء والجمعة فقط.

(16) Ev. White, II, p. 378.

أنبا ميخائيل الثالث وقلايته الدنشتيري:

وبنياحة أنبا غبريال الثاني (الـ ٧٠) في سنة ١١٤٦ م تمت تزكية ميخائيل الراهب بدير القديس أنبا مقار الذي كان يعيش في المنشوبية الكبرى المسماة دنشتيري ليكون البطريرك الـ ٧١، وكان قد تنبأ بذلك الراهب أبو الخير رئيس التسبحة بدير أنبا مقار قائلاً أن الدنشتيري سوف يخرج منها البطريرك. ولكن بطريركيته لم تدم كثيراً، فقد تنح بعد الرسامة بثلاثة شهور، وقيل أن راهباً من قلاية ابن كدران (منشوبية بجوار دير أنبا مقار) وضع له السم فمات.

موقف رهبان دير أنبا مقار المتصلب إزاء التغييرات في العقيدة:

وقد حدث في بطريركية أنبا يوحنا الـ ٧٢ (١١٤٧-١١٦٧ م) أن بعض رهبان قلاية (منشوبية) بيثيش التابعة لدير أنبا مقار، مع رئيسهم المدعو الأب سلمان، كانوا في زيارة لسمنود، وقد اتفقوا حال وجودهم هناك مع مكار يوس أسقف هذه المدينة على تغيير أو إضافة لفظة جديدة على الإعراف العلني الذي يقوله الكاهن في نهاية القداس وهي لفظة «المحيي» على كلمة الجسد. فصارت الجملة: «أؤمن وأعترف إلى النفس الأخير أن هذا هو الجسد المحيي الذي أخذه الإبن الوحيد ربنا ومخلصنا يسوع...»؛ [فلما وقف البطريرك على كتاب أنبا مقاره أسقف سمنود تغير على أنبا سلمون وإخوته. ولما كثر الحديث في ذلك جمع جماعة كبيرة من الأساقفة ونظروا في ذلك فوجدوه حق وليس فيه شيء يُكره، لأن الجسد محيي بالحقيقة لأنه يؤدي بمن يؤمن به إلى الحياة الدائمة. فكتب البطريرك بذلك إلى سائر الأعمال فقبلوه أهل الوجه البحري ومصر والإسكندرية وجميع رهبان الديارات ما خلا قسوس اسكناه (كنيسة) أبو مقار فإنهم امتنعوا عن إضافتها واعتذروا عن ذلك بأنها مضافة ومستجدة ولم يجري بها عادة من تقدمهم، وانتصب قوم منهم (القسوس) لمناسبة البطريرك والأساقفة... وجرى من وراء ذلك خطوب وأتعاب...] (١٧).

ذكر راهب شهيد من دير أنبا مقار:

وإن كان الراهب بجد ذاته كإنسان مات عن العالم طوعاً وبموت كل يوم، فهو شهيد باختياره سراً، إلا أن شهادة الأب القديس الطاهر أنبا شنوفا الراهب بدير أنبا مقار قد تمت علناً وتحت تهديد الحرق بالنار. وهذا الإستشهاد يعتبر بجد ذاته سفيراً نفيساً لأعمال الدير لا يقل أثره عن بناء كنيسة. أما مكان استشهاد هذا الشهيد ففي القاهرة أثناء عودته إلى ديره (١٨). أما مكانة هذا الشهيد فلو أنصف التاريخ لجعله مع التسعة والأربعين شهيداً شيوخ شبيبت المكرمين!

نقل جسد أنبا غبريال مع جسد أنبا يوحنا الخامس للدير:

وقد قام البطريرك أنبا مرقس الثالث الـ ٧٣ المدعو ابن زرعة (١١٦٦-١١٨٩ م) بنقل جسد

(١٧) تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية المجلد ٣، الجزء الأول، ص ٥٥.

(١٨) تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية المجلد ٣، الجزء الأول، ص ٥٢.

أنبا غبريال البطريرك الـ ٧٠ مع جسد أنبا يوحنا البطريرك الـ ٧٢ إلى دير القديس أنبا مقار، وذلك أثناء الصوم الكبير سنة ١١٧٠ م باحتفال كبير: [وكان لإخراجها ليلة مشهورة من كثرة الجمع والناس الحاضرين ومداومة القراءة والصلوات من أول الليل إلى آخره وحملوا أجسادهم عن طريق نهبها بالجيزة ودفنوا في تربة البطاركة بالدير مع آبائهما بسلام] (١٩).



قوسرة من خطوط منكسرة Pediment تعلو حنية حائطية nich من القرن السادس [دير باو يبط - معروضة بمتحف اللوفر بباريس]

(١٩) تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية المجلد ٣، الجزء الأول، ص ٥٧.

الفصل السابع القرن الثالث عشر

- ١ - أنبا يوحنا السادس لا يُدفن جسده بدير أنبا مقار.
- ٢ - زيارة الملك الكامل لدير أنبا مقار.
- ٣ - عدد الرهبان في ذلك القرن.
- ٤ - إقامة الضريبة على الرهبان الذين لا يعيشون في الصحراء.
- ٥ - أنبا كيرلس الثالث بن لقلق ودير أنبا مقار.
- ٦ - الملك الظاهر بيبرس يزور الدير.
- ٧ - عودة رسامة البطارقة في دير أنبا مقار.
- ٨ - الراهب مكار يوس مؤرخ وجامع القوانين.

أنبا يوحنا السادس (الـ ٧٤) لا يُدفن جسده بدير أنبا مقار:

العجيب أن ذلك لم يكن صدفة بل إن نفس هذا الأب البطريرك [وقد كان علمانياً قبل رسامته بطريركاً] أوصى قبل نياحته أن لا يُدفن جسده في دير أنبا مقار (١). ومن هذه الوصية يبدو بوضوح محاولة البطارقة كسر عادة دفن أجساد البطارقة في دير أنبا مقار كما تبدو روح النفور من سلطان الرهبان المتزايد في شؤون البطريركية.

والمعروف أن الكرسي البطريركي ظل شاغراً بسبب انقسام رأي الناخبين من سنة ١٢١٦-١٢٣٤م، مما كان له أثر مباشر على الأديرة كلها التي كانت في ذلك الوقت تتبع في تدبيرها البطريرك مباشرة، وذلك من جهة رسامة الكهنة أو المعونات المالية، ودير أنبا مقار على وجه الخصوص لأنه كان يعتمد كثيراً على زيارات البطريرك وما تدره عليه من مساعدات ورسامات وكرامات.

وقد فُرضت الضرائب مرة أخرى على رهبان الأديرة في هذه المدة سنة ١٢٢٥م، بسبب وشاية

(١) وذلك يرجع إلى الأموال التي عاناها سلفه من مصادمة رهبان دير أنبا مقار له بخصوص التغيير الذي أجازه في الاعتراف الذي يتلى في آخر القداس. أنظر صفحة ٤٨٠.

أحدهم، فجمعوا منهم ستمائة دينار (مما يفيد أن عددهم كان يقارب هذا الرقم). ولكن العجيب أن بعض الرهبان الشيوخ نزلوا إلى القاهرة وتظلموا لدى الملك الكامل فأمر بإرجاع أموالهم لهم.

زيارة الملك الكامل لدير أنبا مقار:

قام الملك الكامل بزيارة إلى وادي النطرون ونزل في دير أنبا مقار ضيفاً على الرهبان الذين بالغوا في إكرام وفادته [فغمرهم السلطان برضاه وأهداهم خمسمائة أردب منها ٣٠٠ قح وشعير ومائة فول ومائة ترمس. وعامل الرهبان بكل احترام]، وأعطاهم صكاً بإعفائهم من الضرائب وبحق أيلولة تركة الراهب إلى ديره، وكان كرسي البطريركية شاغراً في ذلك الزمان بسبب الإنقسامات (٢).

عدد الرهبان الذين كانوا في الدير في ذلك القرن:

ويقال أنه كان في دير أنبا مقار سنة ١٢١٦م حوالي ثمانون كاهناً، وبالتالي كان لا يقل رهبانه عن ٤٠٠ راهب، حسب الجدول الذي تركه لنا موهوب في أواخر القرن الحادي عشر، كما يتفق هذا العدد تقريباً مع حاصل الضريبة المستوفاة من الرهبان التي بلغت ٦٠٠ دينار بحسب دينار على كل راهب. ولكن بسبب استقالة فترة الكرسي البطريركي شاغراً حدث تناقص شديد في عدد الكهنة حتى صاروا في سنة ١٢٣٤ أربعة كهنة فقط بعد أن كانوا ثمانين. لأن الذي كان متوكلاً برسامتهم هو البطريرك نفسه (٣).

إقامة الضريبة على من لا يعيشون في الصحراء:

ولكن عاد الملك الكامل وفرض الضريبة على كل راهب لا يقيم في الدير أو الصحراء، لأن كثيرين ترهبوا هرباً من الضرائب وظلوا مقيمين في المدن. ولكن جباة الضرائب لم يستطيعوا أن يقرقوا بين الراهب الهارب من الضريبة والراهب الحقيقي، فقبضوا على كثيرين، فتظلموا، فعاد الملك الكامل وأصدر سنة ١٢٣٥م قانوناً ينص على الآتي:

- ١ - يُترك جميع الرهبان بلا ضرائب بدون قيد أو شرط.
- ٢ - لا يتسّر الرهبان في الأديرة على أي شخص عليه ضريبة.
- ٣ - لا يُقبل أحد في الرهبنة قبل أن يُخطر الديوان للتحري عما إذا كان مطالباً بضرائب.
- ٤ - أن لا يُقبل في الرهبنة إلا اللائقون والذين ليست عليهم ضرائب (٤).

(2) Hist. of Patr., MS. 353.

(3) Ibid.

(4) Ev. White, II, p. 386.

أنبا كيرلس الثالث بن لقلق الـ (٧٥) (١٢٣٥-١٢٤٣م) ودير أنبا مقار:

اختير هذا البطريرك بعد نحو ٢٠ عاماً من نياحة سلفه بسبب الإنقسامات المرة التي وقعت في صفوف الناصبيين، وكرزوه في ١٧ يونية سنة ١٢٣٥م، وتوجه بعدها إلى دير أنبا مقار كالعادة ورسم كهنة وشمامسة (بعد أن دفعوا ما تعودوا دفعه) وأجرى هناك بعض التنظيمات، كما يقول كتاب تاريخ البطاركة.

وفي العام التالي أي سنة ١٢٣٦م سافر البطريرك إلى دير أنبا مقار ليضي فيه أيام الصوم حسب العادة المتبعة من البطاركة أسلافه ولتكريس الميرون الذي كان قد توقف عمله ٢٠ سنة وقارب على النفاذ، وقد أحضر البطريرك ابن لقلق معه بعضاً من زيت البلسم الذي وهبه له السلطان.

وحدث في أسبوع الآلام أن أعطى البطريرك الحيل لبعض الكهنة العلمانيين (أي من غير الرهبان) الذين حضروا معه من القاهرة للدخول في هيكل أنبا بنيامين (و يظهر أن ذلك كان ليلاً)، فأثار ذلك غضب كهنة دير أنبا مقار، فما كان من الرهبان إلا أن احتجوا وأحضروا عكاكيزهم وحطموا المصابيح التي في الكنيسة. وغضب البطريرك أيضاً واعتكف في قلايته؛ ولكنهم اصطلحوا أخيراً وعادت الأمور إلى مجارها واستلم البطريرك ثمن الرسامات التي أكملها بالدير، لأن غبطته كان محباً للمال متكالباً على السيمونية، [وأق كيرلس إلى الكنيسة وتعزى وانتهى من إقامة العيد].

وظلت كافة العادات المتبعة سابقاً من تكريس البطاركة بالدير وزيارتهم له في أسبوع الآلام وعمل الميرون سائرة كما هي حتى القرن الرابع عشر. إلا أنه كانت كنائس مصر تتبادل معهم هذه الامتيازات أحياناً.

الملك الظاهر بيبرس البندقداري يزور الدير^(٥):

وفي أيام خلو الكرسي بين أنبا أثناسيوس الثالث وأنبا غبريال الثالث قام الملك الظاهر بيبرس بزيارة أديرة أنبا مقار وذلك في سنة ١٢٦٤م.

أنبا غبريال الثالث يُرسم في دير أنبا مقار سنة ١٢٦٨م.

يؤكد المؤرخ إفيلين هوايت^(٦) أنه بالرغم من المحاولات التي قام بها كيرلس الثالث بن لقلق لإلغاء عادة رسامة البطاركة في دير أنبا مقار، فإن خلفه أنبا غبريال الثالث اتجه في عيد رسامته السنوي إلى دير أنبا مقار لنوال البركة وقبول صلاة الآباء عليه كعادة أسلافه^(٦). وكان قد

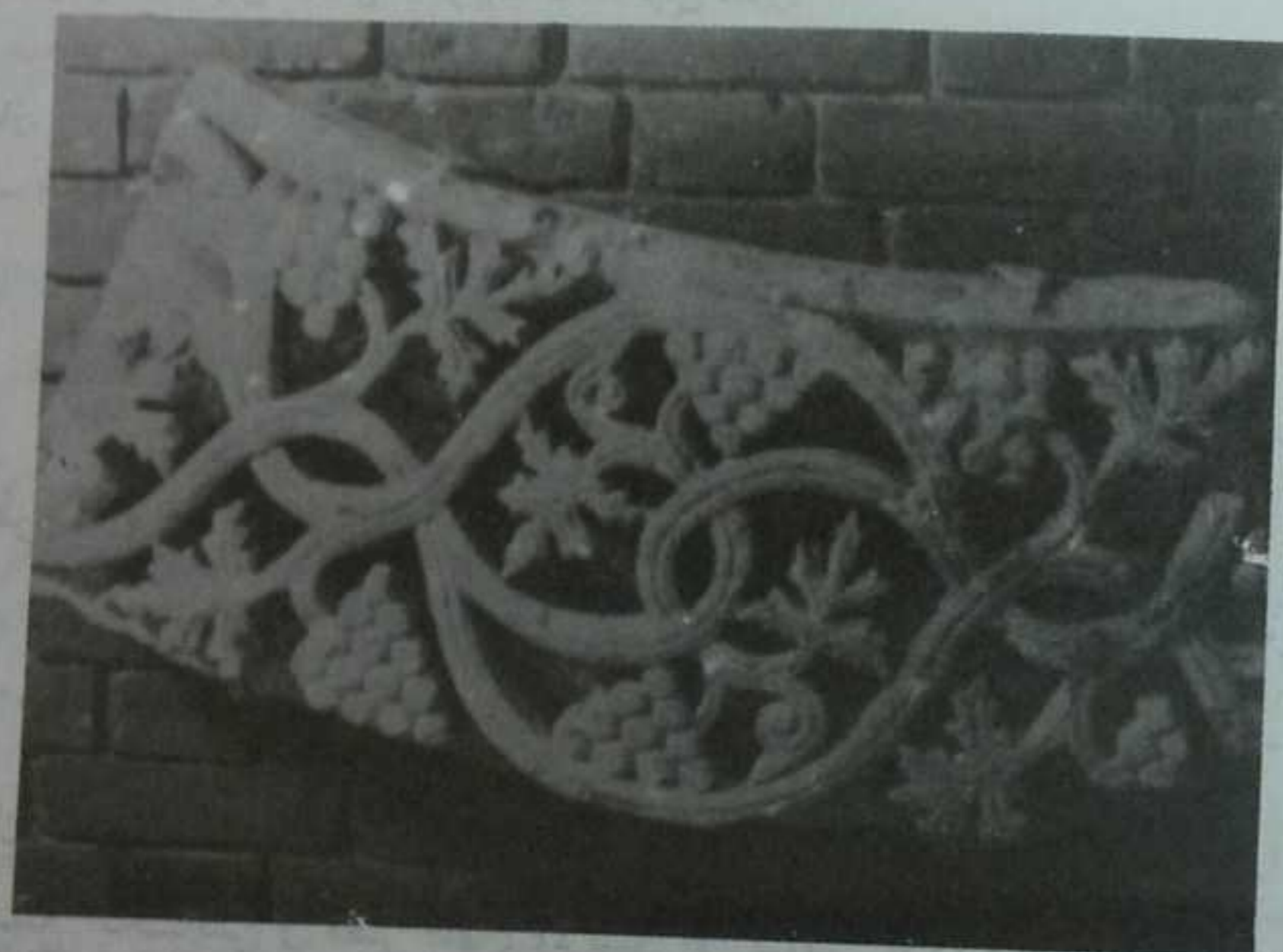
(٥) الفرغزي، كتاب السلوك، فصل ٣١٤.

(٦) Ev. White, II, p. 391.

أمضى فترة كبيرة من حياته كراهب في دير أنبا مقار قبل أن يتوجه لدير البراموس و يصير رئيساً هناك^(٧).

الراهب مكار يوس مؤرخ وجامع للقوانين:

وقد ظهر في منتصف هذا القرن راهب عالم مؤرخ اشتغل بجمع كل القوانين والشرائع القبطية المعمول بها في الكنيسة؛ وقد أمضى في هذا العمل كل حياته، وأكملها بعد عمل مضني كما يقول، وبعد أن رجع لكافة المخطوطات الموجودة في الأديرة بالبرية ومصر، ياحبذا لوقام أحد الأقباط بتحقيق هذه المخطوطة ونشرها^(٨)، لأنها لا بد تحوي خلاصة قانونية تهم المشتغلين بالقانون!



جزء من عقد حجري منحوت بشكل فروع الكرمة ترجع إلى القرن السادس
[مجموعة تحف Dumbarton Oaks في واشنطن]

(٧) السنكسار الأثيوبي شهر هاملا، يوم ١١.

(8) See Slane, Cat. Mss. arabes B.N., No. 251.

See Mai, S.V.N.C. (Scriptorum veterum Nova collectis 10 Vols)

IV, ii, pp. 275 f. Cod. Vatic. arabes Nos. CXLIX, CL.

الفصل الثامن القرن الرابع عشر

- ١ - زيارة البطريرك يوحنا الثامن لدير أنبا مقار لتكريس الميرون.
- ٢ - زيارة أنبا بنيامين الثاني لدير أنبا مقار وعمل الميرون، وملاحظات على الدير في زمانه.
- ٣ - زيارة أنبا بطرس الخامس البطريرك الـ ٨٣ مرتين للدير.
- ٤ - «مارينوسانيوتو» زائر أوروبي يزور الدير ويترك خريطة بمواقع الأديرة وهيئتها، ومن بينها دير أنبا مقار.
- ٥ - بدء مغيب شمس مجد الدير بتواري الحياة التوحيدية قليلاً قليلاً.

النصف الأول من القرن الرابع عشر

زيارة البطريرك يوحنا الثامن لدير أنبا مقار سنة ١٣٠٥:

استهل القرن الرابع عشر برسامة «ابن القديس» يوحنا الثامن (١٣٠٠ - ١٣٢٠) بطريركاً (٨٠)، الذي قام في سنة ١٣٠٥م بزيارة دير أنبا مقار لتكريس الميرون (١).

ويقول أبو البركات أنه بسبب الاضطهاد الذي أصاب المسيحيين في زمن هذا البطريرك أغلقت جميع الكنائس في مصر كلها، ولم يتبق إلا كنائس الأديرة الأربعة في برية شيهيت. وبذلك صار وادي هيبب ملجأً للمسيحيين كما كان في القرن الحادي عشر (٢).

ويحمل لنا كتاب الميرون وصف الزيارة التي قام بها البطريرك يوحنا الثامن داخل دير أنبا مقار هكذا (٣):

[ولما نزلنا من «قلاية الميرون» اتجهنا إلى هيكل مرقس فأنزلوا الأوعية التي تحمل الميرون ثم رفعوها وساروا بها غرباً وعبروا الخورس الأول والثاني واستداروا واتجهوا نحو هيكل بنيامين ودخلوه ثم داروا حوله واتجهوا بحري مرة أخرى وعبروا من باب هيكل بنيامين البحري ودخلوا

(١) كتاب تكريس الميرون - مخطوط، ورقة ٢٨ ب.

(٢) كتاب أبو البركات - نشر فانسليب في كتابه عن تاريخ كنيسة الاسكندرية ص ٣٢٧.

(٣) نفس المخطوط السابق.

هيكل مرقس مرة أخرى ثم خرجوا وداروا حول الكنيسة كلها واتجهوا نحو هيكل شنودة متجاوزين هيكل أنبا مقار لأنه كان مغلقاً بسبب قبته التي تهدمت ثم عبروه من بابه القبلي ودخلوا هيكل بنيامين مرة أخرى ووضعوا الميرون ...]

ومن هذا الوصف يتبين لنا مقدار التلف الذي أصاب كنيسة أنبا مقار الكبرى، فهيكلي أنبا مقار مغلق لأن قبته تهدمت. ولكن يبدو بكل وضوح أن الكنيسة لا تزال تحمل اتساعها الهائل، فإن صحنها يشمل من بحري إلى قبلي أربعة هياكل.

كذلك بقوله أنهم لما نزلوا من قلاية الميرون دخلوا مباشرة الكنيسة متجهين إلى هيكل مار مرقس، يتضح أن الكنيسة كانت متاخمة من الغرب لقلاية الميرون (الموجودة الآن قرب السور الغربي).

إذن فكنيسة أنبا مقار كانت حتى إلى القرن الرابع عشر تشمل المساحة التي تحتوي على الكنائس الأثرية والحصن والمائدة الأثرية في الدير الآن ... !

وإشارة جديدة بالذكر أن هذا القسم من دير أنبا مقار كان يسمى حتى القرن الرابع عشر بـ «الحصن» أو «القستالية» بما فيه من كنائس ومخازن وقلاية قليلة العدد للمرضى والضعفاء فقط، لأن كل الآباء المتوحدين كانوا يسكنون في قلايتهم ومنشوبياتهم خارج الحصن أو «القستالية»، أي خارج ما يسمى بـ «الدير» حالياً. أما كلمة «دير» فكانت تعني حتى القرن الرابع عشر جميع المنشوبيات والقلاية خارج القستالية ثم القستالية أيضاً.

زيارة أنبا بنيامين الثاني لدير أنبا مقار سنة ١٣٣٠م:

كانت الوجهة الأساسية التي رتب من أجلها أنبا بنيامين زيارته لشيهيت هي إصلاح دير أنبا بيشوي عقب الكارثة التي حلت به بسبب الغل الأبيض وسقوط أخشابه كما عرّض كل مبانيه للانهار.

واتجه البطريرك في رحلته إلى دير أنبا مقار أولاً [حيث استقبله الرهبان وبعد أن قرأ عليه إيغومانوس الدير التحليل حسب العادة دخل الكنيسة فتبارك من أجساد المقارات الثلاثة ثم صلى تسعة الساعة التاسعة. وذهب بعد ذلك إلى قلاية المجمع (بين الهياكل) حيث بدأوا بترتيب مواد الميرون. وبعد أن أقام القداس بالدير توجه لزيارة قلاية ومنشوبيات الآباء المتوحدين قلاية سدري وقلاية دير نابابا. وصرف اليوم التالي في قستالية أنبا مقار (الحصن الكبير أو البرج وهو الدير الحالي) - أي البناء المحصن الذي بداخله الكنائس وبعض القلاية. وفي يوم السبت تناول الإفطار في قلاية بييجيج، وسجد له رؤساء الرهبان هناك. وفي الأحد الرابع من الصوم زار قلاية

برسني والقلالي المجاورة. ثم قام بعد ذلك بزيارة دير أنبا يوحنا، وفي الطريق استراح في طريق الملائكة وصلّى وسجد ثلاث مرات، ثم منه إلى دير أنبا بيشوي ودير البرموس ودير السور يان ودير الأحباش، ورجع إلى دير أنبا بيشوي وأكمل هناك الإصلاحات للدير].

وعاد إلى دير أنبا مقار. وفي يوم أحد الشعانين قام بزفة طقسية حول الكنيسة. وتعتبر هذه الزفة بأوصافها التي جاءت في مخطوطة تكريس الميرون هامة جداً لنا من حيث تحديد هندسة الدير وأسواره وبوابته القديمة إذ تقول المخطوطة:

[وركب لزيارة مدافن الآباء (البطاركة) ثم مدافن الآباء الرهبان وصلّى على قبر القديسين ابراهيم وجورجي وزار قلالية «عوز يال»، ثم عاد إلى الدير من الناحية الأخرى، وفي الطريق عبر من تحت القوس المتبقي من الدير القديم].

وهنا يتضح لنا أن تعديلاً هاماً حدث في عمارة أسوار القستلية قبل زمن أنبا بنيامين الثاني بمدة؛ لأن قول المخطوطة [العقد المتبقي من الدير القديم] يُفهم منه أنه عقد البوابة القديمة. والمعروف أن دخول البطريرك إلى الدير من تحت عقد البوابة القديمة — أي المدخل القديم الأصلي للدير — يعتبر كأنه تعبير عاطفي عن رجاء عودة الدير إلى وضعه القديم باتساعه الأول.

ووجود هذا العقد القديم وعبور البطريرك من تحته وهو راكب دابته معناه أن البوابة الجديدة رجعت إلى خلف. وهذا يعني أن الأسوار الأولى نفسها قد تداعت وسقطت وأقيمت أسوار جديدة ذات بوابة جديدة في عصر سابق لزمان أنبا بنيامين، لأن المخطوطة تقول: [ودخل على ركوبته، ماراً تحت القوس الذي تبقى من الدير القديم] كما فعل البطاركة أسلافه!

ويقول إقليد هويت أن بوابة الدير القديم بعقدتها الجميل تُركت للذكرى دون بقية الأسوار القديمة.

وهكذا يتبين لنا أن الدير قبل زمن أنبا بنيامين الثاني بدأ يأخذ مساحة أقل من مساحته ويتخلص من كثير من القلاي والمباني والكنائس القديمة الصغيرة التي كانت ملاصقة لأسواره الأولى. وبالتالي فقدت كنيسة أنبا مقار كل ملحقاتها بعد فقدان هيكل الآباء التلاميذ (هيكل مرقس) من الجهة البحرية (٤).

ومن هذا يتضح لنا أن القسم الأثري من دير أنبا مقار كان قد بدأ يأخذ صورته الراهنة التي هو عليها الآن تقريباً منذ بداية القرن الرابع عشر أو قبل ذلك بقليل.

(4) Ev. White, III, 46.

عمل الميرون والعودة إلى مصر:

وقام أنبا بنيامين الثاني بعمل الميرون كالعادة. وفي وصف الزفة الطقسية لمسيرة البطريرك وهو حامل الميرون داخل الهيكل والكنيسة، يتضح لنا أن قبة هيكل أنبا مقار التي كانت قد تهدمت في زمان بطريركية أنبا يوحنا الثامن سنة ١٣٠٥ م قد أُعيد بناؤها. وكذلك تذكر أخبار هذه الرحلة أنه تم أثناءها تقوية أرضية قلالية الميرون بقوائم خشبية (٥).

ملاحظات على الدير في زمان أنبا بنيامين الثاني:

١ — مدافن الآباء البطاركة ومدافن الآباء الرهبان كانت خارج الدير، أي خارج الأسوار.
٢ — المنشوبيات خارج الدير كانت عامرة برؤساء الرهبان، وقادرة على أن تستضيف البطاركة.

٣ — أسوار الدير القديمة تهدمت وتراجعت إلى خلف وأخذت مساحة أقل من الأول.

٤ — عقد بوابة الدير القديم ترك كأثر صارخ ليستحث البطاركة على إعادة بناء الأسوار التي تداعت وسقطت.

٥ — الجزء الذي تبقى من الأسوار الأولى التي أقامها أنبا شنودة الأول البطريرك الـ ٥٥ هو نصف السور القبلي من الجهة الغربية والسور الغربي كله ما عدا ٢٢ متراً من جهة الغرب.

زيارتنا أنبا بطرس الخامس البطريرك الـ ٨٣ سنة ١٣٤٠، ١٣٤٦ م:

أنبا بطرس كرس الميرون المقدس في هاتين السنتين، وكل مرة كانت له زيارة جاء كتاب تكريس الميرون بأوصافها.

الزيارة الأولى:

عند وصوله إلى منطقة البيدس (بئر أنبا مقار نصف كيلومتر بحري الدير) استقبله الرهبان رسمياً؛ وعند وصوله إلى القلاية «دكنونية» التي بجوار الدير الرئيسي وقف المرافقون وقرأ عليهم البطريرك التحليل كما كان متبعاً. وعند وصوله إلى باب الدير دخل البطريرك وأعطوه مفتاح الكنيسة ففتحها ودخل وزار أجساد الثلاثة مقارات. ثم جلس (أمام باب هيكل أنبا بنيامين) مع بقية الأساقفة، بينما قرأ عليهم أنبا جرجس إيغومانوس الدير التحليل كعادة دير أنبا مقار.

وفي يوم أحد الشعانين ذهب البطريرك في موكب رسمي حول السور إلى أن وصل إلى المكان الذي دُفن فيه الآباء البطاركة القديسون. ثم تقدم الموكب إلى المغارة المدفون فيها القديسان ابراهيم وجورجي حيث قرأ البطريرك الترحيم.

(5) Ibid., p. 47.

وبعد تكريس الميرون يوم خميس العهد، وفي يوم الثلاثاء الثاني، جاء راهبان كاهنان من قلاية «بلتوس» المسماة باسم القديس فيلوثيريوس يرجوان البطريرك أن يكرس كنيسة قلايتها. وتقول المخطوطة: [وقد لفتت الأنظار الرسومات الدقيقة وجمال هندسة الأبنية وبياضها الناصع والجدران الجديدة التي بعد أن تهدمت بفعل الزمن أعيد بناؤها وزخرفتها]، وقد سار البطريرك في موكبه بين القلاية شاكرًا الرب الذي أعطى هدوءاً وسلاماً، وبني الكنائس وأصلحها في كل مكان، وبعد أن كرس هذه الكنيسة رجع إلى القستلية (حصن أديرة أنبا مقار).

وفي يوم الأربعاء قام برسامة كهنة وشمامسة لدير أنبا يوثس كاما، الذين حضروا مع قصهم إلى دير أنبا مقار لهذا الغرض، فرسم منهم أحد عشر شماساً وثمانية عشر كاهناً!! وفي يوم الأحد أقام القديس [كما هي عادة أنبا مقار أن يُقام القديس يوم الأحد على الدوام] كما تقول المخطوطة.

الزيارة الثانية:

كالأولى تماماً ولا يُذكر فيها شيء جديد فيما يختص بحالة الدير الهندسية إلا هذه الإشارة: [سار البطريرك حتى الحائط الغربي وهو أحد جدران الدير. فنزل البطريرك عن الركوبة وصلى لذكرى الآباء البطارقة المدفونين عند هذا الحائط]: إما كان ملاصقاً للحائط الغربي وإما في بناء مستقل.

كما وُجد أيضاً ذكر كنيسة جديدة (أو هيكل) في الدير باسم الثلاثة فتية لم تُذكر سابقاً، يذكرها هنا كتاب تكريس الميرون هكذا: [وبعد صلاة باكر دخل أنبا بطرس البطريرك هيكل الثلاثة فتية وجلس هناك وجلس الأساقفة مقابله].

ويظن المؤرخ إقيلين هوأيت معتمداً على مخطوطة أن هذا الهيكل كان قبلي هيكل أنبا شنودة^(٦).

ومن هاتين الزيارتين لأنبا بطرس الخامس يمكننا أن ندون بعض الملاحظات:—

١— حتى سنة ١٣٤٦م كانت لاتزال المنشوبيات خارج الدير عامرة، ليس عامرة فقط بل وكان يُقام فيها كنائس خاصة (على أساسات الكنائس القديمة الأولى) لتوفير الصلاة بسهولة للجماعة التي تعيش حولها، وليس فقط مجرد كنائس بل كما تقول المخطوطة: كنائس جميلة ذات هندسة دقيقة مبيضة ومزخرفة داخل قلاية متسعة ذات جدران عالية على نمط الدير نفسه، وكانت هذه الكنائس موضع فرح كبير لقلب البطريرك الذي كرسها بنفسه.

(6) Ibid., p. 46 N.

Zoëga. Cot. No. LVI.

٢— إن مدافن البطارقة في ذلك الوقت كانت ملاصقة و«داخل» السور الغربي للدير. ويقول إقيلين هوأيت أنها قبو ملاصق للسور الغربي في الزاوية القبليّة الغربية، وبأها مسدود الآن، وهو يُرى من داخل المائدة القديمة الأثرية.

٣— بناء كنيسة (هيكل) جديد باسم الثلاثة فتية القديسين ضُم إلى كنيسة أنبا مقار من الجهة القبليّة بعد هيكل أنبا شنودة.

آثار هامة لزيارة الرحالة مارينو سانويوتوسنة ١٣٢٠م:

قد قام هذا الزائر الأوروبي بزيارة لمنطقة أديرة شيهيت، وترك لنا خريطة تقر بيبة هامة يوقع فيها أماكن الأديرة وما يجاورها من البحيرات، ويعطينا فكرة مبسطة عن هيئة الأديرة ورسمها الهندسي، فكل دير يظهر في الخريطة عبارة عن حصن مرتفع يلاصقه مربع من سور مرتفع يحوي داخله المباني حسب الرسم الكروكي في ملزمة الصور من هذا الكتاب.



النصف الثاني من القرن الرابع عشر

ظلت الأديرة في ازدهار بوجه عام حتى منتصف القرن الرابع عشر سنة ١٣٤٦م تقريباً، وظل دير أنبا مقار يزدهر بجماعات المتوحدين الذين لم يكن عددهم يقل عن أربعمئة راهب يعيشون في قلايتهم ومنشوبياتهم المتناثرة حول الدير الرئيسي الذي كان يُدعى في ذلك الوقت «القسطلية»، وكان عبارة عن الأسوار الأربعة العالية تحمي داخلها الكنائس وضعفاء الشيوخ^(٧).

وقبل أن يبدأ النصف الثاني من القرن الرابع عشر رأى دير أنبا مقار مغيب شمس أمجاده الأولى، فقد ابتدأت أمجاد الحياة التوحيدية تتوارى قليلاً قليلاً من دير أنبا مقار، ثم تقلصت الحياة الرهبانية ودخلت المنطقة المظلمة من عصورها الأخيرة حتى داخل الأديرة نفسها. ففي بداية النصف الثاني من القرن الرابع عشر ما بين عامي ١٣٤٨، ١٣٤٩م حلت بالبلاد كارثتان كبيرتان:

(٧) من الأسباب الرئيسية التي جعلت دير أنبا مقار الحالي بوضعه حتى عام ١٩٦٩م مكتظاً بالمباني وليس فيه متسع لسكنى الرهبان، هو أن مبانيه وهندسته كانت أصلاً مصممة ليكون كله حصناً يلتجئ إليه الرهبان وقت الغارة.

الأولى: ازدياد الإضطهاد بدرجة لم ير المسيحيون مثلها من قبل (٨).

والثانية: نزول وباء الطاعون الذي كان يُدعى الموت الأسود، فحصد مئات الألوف وترك البلاد في مجاعة والأرض خربة ليس من يفلحها... ويقول عنه المقرئزي أنه كان يهلك يومياً بالقاهرة وحدها ما بين عشرة آلاف وعشرين ألف نسمة، وكان يترك شوارع بأكملها وأحياء بأكملها خراباً ييباً.

ثم مرة أخرى وقبل أن تفيق البلاد من الضربة الأولى اجتاحت البلاد مجاعة انتشرت على إثرها موجة طاعون أخرى عام ١٣٧٤ م، يقول المقرئزي عنها أن البلاد بسببها كانت تسير سيراً حثيثاً نحو الخراب حتى عام ١٣٨٨ م.

ولكن ماذا حدث للأديرة وقتذاك؟ وماذا أصاب الوادي المقدس وادي هيب؟

هذا ما لم يعرفه أحد حتى اليوم، فقد انقطعت أخبار الأديرة خمسين سنة عن المؤرخين، إذ لا توجد مخطوطة واحدة تحمل أي إشارة عن كيف تحملت برية شبيهت هذه الصدمات. + الرهبان أصبحوا يُعدُّون على الأصابع، وقد أنهكهم المرض والجوع والكوارث، وكلهم محتمون بالأسوار داخل الدير.

+ أما الدير فأصابه الضمور، وظهر بضيقه وقلة قلاله أوسع من حاجة الساكنين فيه.

+ أما فيما يختص بالمباني التي خارج الدير من منشوبات محصنة وكنائس عديدة مزينة وأديرة صغيرة كالقلاع وقلاي بالألوف ومغائر بلا عدد فقد دخلت جميعها تحت سطوة الريح والمطر وعبث العابثين إذ كانت كلها تخلو من ساكن واحد. ولم تلبث إلا قرناً واحداً حتى صارت أطلالاً وخرائب حزينة كئيبة تحكي على ممر السنين والعصور وإلى اليوم قصة ماضٍ يحمل أجداد ذكريات الكنيسة والمسيحية على وجه العموم.

ويقول المقرئزي المؤرخ الذي مات سنة ١٤٤١ م في كتابه الخطط والآثار صفحة ٣٣٩ عن دير أنبا مقار— أي بعد مرور قرن واحد على عصر ازدهار المنشوبات والقلاي: [ويقولون أنه كان يقيم به ألف وخمسمائة راهب ولكن لا يوجد اليوم سوى عدد صغير، ويُرى خارجه أطلال عدد كبير من الأديرة.]

(٨) [كان هذا القرن شؤماً على الكنيسة، خربت فيه البيع تحزيباً فظيماً، وصودرت أملاكها، وهدم معظم الأديرة وضوعقت الجزية على الأقباط وقتل من قُتل وأسلم من أسلم، حتى أشرفوا على الفناء. وكان للكنائس أوقاف تبلغ ٢٥ ألفاً من الأقدنة أخذها الملك الصالح بن محمد ابن قلاوون وهو من المماليك البحرية وأنعم بها على الأمراء. ولم يأت آخر هذا القرن حتى كانت أبروشيات عديدة في الوجه البحري قد تلاشت لإنقراض نصاراها] عن كتاب تاريخ المسيحية في مصر ص ١٥٣.

الفصل التاسع

من القرن الخامس عشر حتى العشرين

١ — زوال مجد الوحدة والحياة الرهبانية الأصيلة.

٢ — عمارة عابرة سنة ١٥١٧ م تشفعاً وتطلعاً لعمارة شاملة.

٣ — مباني دير أنبا مقار تنداعى وتهدم أمام عيون الرهبان. شهادة سائح فرنسي سنة ١٦٥٦ م.

٤ — سائح فرنسي آخر يصف سنة ١٧١٢ م ما تبقى من خرائب الدير في أوائل القرن الثامن عشر.

٥ — حالة وعدد رهبان دير أنبا مقار سنة ١٧١٢ م.

٦ — حالة وعدد رهبان دير أنبا مقار سنة ١٧٩٩ م.

٧ — حالة وعدد رهبان دير أنبا مقار سنة ١٨٣٧ م.

٨ — حالة وعدد رهبان دير أنبا مقار سنة ١٨٤٣ م.

٩ — حالة وعدد رهبان دير أنبا مقار سنة ١٨٤٤ م.

١٠ — بداية حركة لترميم والبناء في مطلع القرن العشرين.

وأخيراً بزغ فجر القرن الخامس عشر يحمل هذه الحقيقة المرة: أن مجد الوحدة والحياة الرهبانية الأصيلة قد زال.

أما أول إشارة وصلتنا عن دير أنبا مقار بعد هذا الظلام الدامس فجاءت عفواً في مخطوطة بالفاتيكان (١)، ملحقة بتاريخ البطاركة، تحمل تاريخ أول حادثة بعد القرن الرابع عشر سنة ١٤٠٩ م، تقول:

[وما أن تنيح أنبا متاؤوس الكبير (الأول) البطريرك الـ ٨٧ (المدعوم من المسكين) وكان ذلك أول مسرى سنة ١٤٠٩ م حتى أظهر الرب علامات وعجائب، ففي ليلة نياحته تحركت أجساد القديسين إخوته البطاركة الراقدين في دير أنبا مقار فسقط القنديل الذي كان أمامهم فلم ينكسر، وسمع الرهبان من خلال حركة الأجساد صوتاً من الصندوق يقول: قوموا اخرجوا، افتحوا الباب لأن أبانا متاؤوس حضر وهو واقف على الباب، وعندما خرج الأخوة وفتحوا الباب لم يجدوا أحداً. فتعجبوا وظلوا يتربصون الأمور حتى وصلتهم أخبار من مصر أن هذا الأب تنيح في الليلة التي زارهم فيها.]

(1) Vatican Ms. E., 686 fols. 219 b, 220 a.

ومن هذه الإشارة يُفهم أنه بقيت للرهبان في هذه المحن كلها بقية في شبيبت تشهد للرب ولحياة الصلاة والنسك، ولكن بسبب الخوف والمرض والضعف وقلة العدد التجأوا جميعاً إلى الأسوار العالية واحتتموا فيها فلم يبق خارج الدير أحد.

ثم يمضي القرن الخامس عشر كله دون أي إشارة على بادرة نشاط داخل دير أنبا مقار ولا بقية الأديرة التي في وادي النطرون. بل على العكس، إذ نسمع عن تداعي جزء كبير من مجموعة أديرة يوحنا القصير ويوحنا كاما، وتلاشت بعض الأديرة بكنائسها. فيذكر المقرئ في تاريخه وهو ينحصر في زمن ما قبل وفاته سنة ١٤٤١م أن دير يوحنا القصير كان به ثلاثة رهبان!! ودير السريان كان به راهب واحد فقط سنة ١٤١٣م!! وأن دير يوحنا كاما أكله النمل الأبيض وقد تهدم تماماً ولم يبق منه إلا الأنقاض، وتهدم معه دير الأحباش ودير الأرمن.

ولا نجد في هذه الحقبة أي إشارة عن ممارسة البطارقة لعادة تجليستهم في دير أنبا مقار بعد رسامتهم ولا عادة عمل الميرون هناك.

عمارة عابرة سنة ١٥١٧م تشفعاً وتطلعاً لعمارة شاملة:

تحكي لنا إحدى المخطوطات عن تشييد رهبان دير أنبا مقار بالرجاء واحتفاظهم بروح العمارة والتجديد حتى في أحلك الأزمنة. فقد جاء في هامش مخطوطة الفردوس العقلي بمكتبة دير أنبا مقار خبر عن إصلاحات تمت في الحصن القديم وبعض الأبنية المتهمة في زمان بطريركية أنبا يوحنا ١٣ البطريرك الـ ٩٤ (١٤٨٤-١٥٢٤م)، وفي عهد رئاسة الأب الراهب أنبا يعقوب القمص (٢).

[وقد تكرست هذه الكنائس الثلاثة (الملك ميخائيل والأنبا أنطونيوس والسواح) حتى تحل بركاتهم وأن يبقى الدير في الحفظ والحماية وأن تجرى عمارته بصلواتهم وتضرعاتهم. وقد صوروا في كل كنيسة الصور المناسبة لقديسها، ودهنوها بزيت التكريز أي الميرون الذي تركز به الكنائس وتم ذلك بحضور الأب البطريرك الأنبا يوحنا الرابع والتسعين].

وكانت البلاد في هذه الأيام تعاني كلها من غزو الأتراك لمصر في عهد سليم الأول.

وقد وردت إشارة عابرة في مخطوطة كانت سابقاً في حيازة دير أنبا بيشوي مكتوبة سنة ١٥١٤م تفيد أن أنبا غبريال الثامن (١٥٨٥م) تنيح في بركة شبيبت ودُفن هناك أي بدير أنبا مقار (٣).

(٢) الفردوس العقلي وتكريس هيكل أنبا بنيامين، مخطوطة بمكتبة دير أنبا مقار رقم ٢٠٧ ط.

(3) Vatican Ms. Hist., Patr. E. 686, fol. 222.

مباني دير أنبا مقار تتداعي وتهدم أمام عيون الرهبان. شهادة Thévenot :

لم يستطع الرهبان لعددهم الضئيل وفقرهم الشديد أن يذودوا عن كنائسهم وهياكلهم ومخازنهم وقلاليهم داخل الدير وهي تتداعي الواحدة بعد الأخرى أمام عيونهم.

ويحكي لنا سائح فرنسي يدعى Thévenot عن حالة دير أنبا مقار سنة ١٦٥٦م فيقول (٤): [وكان دير أنبا مقار أكثر الأديرة الأربعة تهدماً وتخريباً، وقد صارت الكنيسة الكبرى بصفة خاصة أكثرها تهدماً وهي كنيسة أنبا مقار ذات الخمسة هياكل سابقاً (٥)، صارت أنقاضاً. ولكنها ظلت مع كل ذلك محتفظة بشيء من مسحة جلالها الأول]. ويذكر أن دير أنبا مقار كان خالياً من أي حديقة وأن ماءه كان مالحاً.

وعلى هذا المنوال ظل دير أنبا مقار يفقد مبانيه الواحدة تلو الأخرى حتى جاء القرن الثامن عشر.

سيكار السائح الفرنسي يصف سنة ١٧١٢م ما تبقى من خرائب الدير في أوائل القرن الثامن عشر:

ويصف سيكار (٦) كنائس الدير، الذي تخرب منها والقائم، دون أن يوضح تماماً مواقعها، ولكن بشيء من البحث والتدقيق يمكن معرفة ما اختفى من أسهاء وملاح هذه الكنائس. يقول سيكار: [إن الحصن كان مرتفعاً عن الأسوار بمقدار نصف ارتفاع الأسوار، ويحتوي دير أنبا مقار على كنيستين، الأولى صغيرة وكاملة وكانت مكرسة على اسم القديس أنبا مقار، والثانية كبيرة ونصف مخربة على اسم القديس يوحنا. وقد تبقى منها خمس قباب محمولة على عشرين عموداً من الرخام القوطي ولها خمسة مذابح (٧).

وهنا نعتقد أن سيكار وقع في خطأ غير مقصود، فالكنيسة الصغيرة الكاملة ليست هي كنيسة أنبا مقار، ولكنها غالباً إحدى الكنائس التي كانت تستخدم في الصلاة وبالتالي كانت تحتوي على جسد القديس أنبا مقار (٨). أما كنيسة يوحنا فهي بالطبع الهيكل المتبقي من كنيسة أنبا مقار التي تدعى بالكاثوليكية أي الجامعة أو الكبرى، أما الخمس القباب فهي قباب صحن الكنيسة الكبرى الذي كان لا يزال محمولاً على أعمدته العشرين بالرغم من تهدم قباب الهياكل نفسها (ما عدا هيكل يوحنا المعمدان) وقد ظهرت المذابح الخمسة في هياكلها.

(4) Voyages II, ch. LXXI.

(٥) من قبلي إلى بحري: هيكل الثلاث فتية - هيكل أنبا شنودة - هيكل أنبا مقار - هيكل أنبا بنيامين - هيكل مارمرقس (الآباء التلاميذ سابقاً) والذي يدعى الآن هيكل يوحنا المعمدان.

(6) P. Claude Sicard, a Jesuit missionary: Lettres édifiantes & curieuses. Levant pp. 17f.

(7) Ev. White, II, p. 423.

(٨) جسد القديس أنبا مقار يحمله الرهبان دائماً أينما صلوا. ولذلك اعتقد سيكار أنها كنيسة أنبا مقار.

[وأراني الرهبان في كنيسة يوحنا المعمدان كنيسة صغيرة تدعى كنيسة القديس «أبوليناريس»، و يعتقد الأقباط أن أبوليناريس «إيلاريا» هي بنت الملك زينون].

و يعتقد إقليد هوأيت أن هذه الكنيسة كانت قبلي كنيسة أنبا مقار (أي قبلي الكنيسة الكبرى التي رآها Thévenot السائح السابق ذكره وهي مهتمة ولم يبقَ منها إلا خمس قباب محمولة على عشرين عموداً رخامياً).

و يصف سيكار «حوض للغطاس» Epiphany Tank متبقياً وسط خرائب الكنيسة الكبرى، يقول عنه إقليد هوأيت أنه اللقان المستخدم لغسل الأرجل. ولكن الحقيقة التي لا يعرفها إقليد هوأيت أنه حوض ماء كبير جداً كان يستخدمه الرهبان في عيد الغطاس ينزلون فيه إما أفراداً أو جماعة للتبرك كطقس مهم في هذه المناسبة، وكانوا يستخدمونه أيضاً للعماد، وربما كان هذا الحوض من الآثار الهامة في دير أنبا مقار الذي يرجع تاريخه إلى زمن القديس أنبا مقار نفسه الذي عمد فيه الكاهن الوثني وآخرين، كما ورد في البستان. و نعتقد أنه كان بجوار البئر القديم حتى يمكن ملؤه وتفريغه بسهولة. ومعروف أن البئر القديم كان في الركن البحري الغربي من الدير الحالي بحري هيكل كنيسة الشيوخ الآن.

وقد رأى سيكار [شرق هياكل الكنيستين المذكورتين (أي كنيسة أبوليناريس و يوحنا المعمدان) فرناً خاصاً بصناعة القربان الذي يُقدّم للذبيحة].

وهاجم إقليد هوأيت فكرة وجود فرن شرقي الهياكل مكتفياً بوجود فرن عام للدير في الجهة القبليّة. ولكن الحقيقة أن وجود فرن شرقي الكنيسة هو حقيقة طقسية، فقطس الكنيسة الأولى كان يحتم وجود الفرن في هذا المكان من الكنيسة، وكان يسمى «بيت لحم»، ولا تزال آثار وجود فرن شرقي الكنيسة موجودة بكنيسة الشيوخ حتى اليوم.

أما غرفة فرن القربان التي كانت موجودة غربي بحري خورس كنيسة أنبا مقار الآن، الذي يقول عنه إقليد هوأيت، فكانت تُستخدم لعمل الشمع وليس لعمل القربان.

ومن هذا يُستفاد قطعاً أنه بعد زيارة سيكار حاول الرهبان استعادة كنيسة أنبا مقار من وسط الخرائب. ولما كانت كميات الرديم الناتجة عن الهدم كبيرة للغاية ولم يكن لهم قدرة لرفعها من المكان، فقد كوموها بجوار السور بين السور والهياكل وظلت كما هي حتى اليوم.

خرائب المنشوبيات والقلالي الخارجية في القرن الثامن عشر:

وأخيراً يذكر سيكار في زيارته أن القلالي والأديرة المنفردة خارج الأسوار لم يُر منها سوى أساساتها وبعض جدرانها التي تحكي عن مجدها التليد وعن عظم اتساعها وآثار ومواضع توزيع

مبانيها من الداخل، وبعضها يوجد على بعد بضعة مئات من الخطوات خارج الدير^(٩).
و يذكر أيضاً سيكار اسم إحدى هذه المنشوبيات «قصر البنات»، وربما تكون هذه المنشوبية بها أجساد القديسات إيلاريا أو غيرها؟

حالة وعدد رهبان دير أنبا مقار سنة ١٧١٢ م، عن تقرير سيكار:

يقرر السائح الأب كلود سيكار أنه في رحلة قام بها في ٧ ديسمبر سنة ١٧١٢ م، وجد بدير أنبا مقار أربعة رهبان بالإضافة إلى القسيس الرئيس وبواب وشماسين من العلمانيين المبتدئين، أي ثمانية أشخاص. في حين أنه كان بالبراموس اثنا عشر والسريان خمسة عشر. أي أن مجموع الرهبان في هذه الفترة الزمنية كان لا يزيد عن أربعين راهباً في بركة شهيبت كلها. وأن دير أنبا مقار كان في حالة يرثى لها.

عدد رهبان دير أنبا مقار سنة ١٧٩٩ م عن تقرير الجنرال أندريوسي:

يقرر السائح الجنرال أندريوسي أنه في رحلة قام بها سنة ١٧٩٩ م وجد في دير أنبا مقار عشرين راهباً، ودير أنبا بيشوي إثني عشر، والبراموس تسعة، والسريان ثمانية عشر، وكان تعداد رهبان بركة شهيبت في ختام القرن الثامن عشر تسعة وخمسين راهباً^(١٠)، وأن الدير كان في حالة يرثى لها.

عدد رهبان دير أنبا مقار سنة ١٨٣٧ م عن تقرير روبرت كيرزون:

يقرر السائح روبرت كيرزون سنة ١٨٣٧ م أنه وجد في دير أنبا مقار أربعة رهبان، وفي دير بيشوي ثلاثة رهبان، وأن دير السريان كان يقطنه الأحباش بسبب سقوط ديرهم، وفي دير البراموس إثنين أو ثلاثة رهبان في حالة فقر.
أما دير أنبا مقار فكان في حالة يرثى لها، والخرائب تحيط به من كل الجهات^(١١).

مباني ملاصقة للدير سنة ١٨٣٨ م:

وتقرر السيدة بلاط في رحلتها التي قامت بها مع تاتام سنة ١٨٣٨ م أنها وجدت [ملاصقاً لسور الحديقة مباني لا تزال متصلة بالدير الحالي].

حالة وعدد رهبان دير أنبا مقار سنة ١٨٤٣ م:

و يقرر السير جاردنر و يلكنسون أن في الرحلة التي قام بها سنة ١٨٤٣ م وجد عدد رهبان دير أنبا مقار إثنين وعشرين راهباً، وفي بيشوي ثلاثة عشر، وفي السريان ثلاثين، وفي البراموس

(9) Ev. White, II, p. 424.

(10) Memoire sur la Vallée des Lacs de Natroun. I, pp. 279 f.

(11) Visits to Monasteries in the Levant, pp. 74 f.

سبعة، والعدد الإجمالي حوالي ٧٧ راهباً في البرية كلها (١٢).

حالة وعدد رهبان دير أنبا مقار سنة ١٨٤٤ م عن تقرير الرحالة الإنجليي قسطنطين تشندورف:

استرعى انتباه هذا العلامة أن مباني الأديرة الحالية تقوم على آثار أخرى جيدة كان لها رونق ونقوش سواء القلايى أو الكنائس.

وقد وجد في دير أنبا مقار خمسة عشر راهباً، معظمهم مرضى صُفّر الوجوه، يعانون كلهم تقريباً عجزاً في عيونهم ورئسهم كفيف البصر تماماً. ويُعزى ذلك إلى قلايهم المنخفضة التي لا تحتوي على نوافذ تسمح بدخول الشمس أو الضوء، وإلى تغذيتهم التي تعتمد على تسقية العدس والبصل والزيت الحار. وقد لاحظ أنهم يستخدمون القهوة ويدخنون الطباق.

ويقرر أنه حضر في يوم الأحد قداساً استمر منذ ما قبل الفجر حتى ثلاث ساعات، والشيوخ واقفون خارجاً مستندون على عكاكيزهم التي تدعى عكاز مكار يوس.

وقد لاحظ أمام مبنى الكنيسة (من الغرب) حوضاً مربعاً سماه Epiphany Tank أي «حوض الغطاس». وشرق مبنى الكنيسة رأى فرن القربان.

وفي دير بيشوي وجد هناك أربعة رهبان ورئسهم ضرير وله من العمر مائة وعشرون سنة، وفي البراموس وجد عشرين راهباً.

بداية حركة للترميم والبناء في مطلع القرن العشرين (١٩١١-١٩٢٩ م):

يخبرنا إقطين هويت أنه شاهد، قبل وصوله دير أنبا مقار في رحلته المشهورة، بواسطة الصور التي سجلتها عدسة مهندسه جون بالمرسنة ١٩١١ م نهاية حركة قامت في ذلك الوقت بقصد إعادة ترميم كنيسة أنبا مقار حتى يتسنى للرهبان الصلاة فيها، وقد سجل إقطين هويت هذه الحركة المعمارية في النواحي الآتية:

١ - إزالة بقايا صحن كنيسة أنبا مقار المهتم والإكتفاء بالخورس الأول فقط، وكان عبارة عن ثلاث قباب محمولة على أقواس مقببة، ورفعت بقايا السقف الذي كان من أخشاب حديثة.

٢ - سد فتحة الأبواب المتسعة لهيكل أنبا بنيامين وهيكل يوحنا المعمدان بواسطة أكتاف من المباني لإمكانية عمل حجاب خشبي لكل منها.

٣ - سد الأقواس الكبيرة القائمة في الحائط الفاصل بين الخورس الأول وبقية صحن الكنيسة والمواجهة لكل من هيكل يوحنا المعمدان وهيكل بنيامين وجعلها فتحات مربعة بدل الأقواس.

(12) Modern Egypt & Thebes I, pp. 382f.

أما الفتحة المواجهة للهيكلي القبلي الأخير (قلاية المجمع) فقد سدت تماماً، وكلها لا تزال آثارها ظاهرة حتى الآن.

٤ - سد القوس الهائل الكبير في الجدار القبلي للكنيسة الذي كان يفتح على بقية صحن الكنيسة المهتم والذي كان يواجه هيكل الثلاثة فتية وهيكل أنبا شنودة. وأثر هذا القوس لا يزال ظاهراً حتى الآن.

٥ - رفع مستوى أرضية كنيسة أنبا مقار وهيكلها ٩٠ سم. وكل هذه الإصلاحات تمت في عهد رئاسة القمص فيلوثاوس (أبرام مطران البلينا) والقمص مقار.

ولكن للأسف فإن كنيسة أنبا مقار لم تكن معدة تماماً للصلاة، فبقيت الصلاة فيها معطلة نحو عشرين سنة تقريباً (١٩٠٩-١٩٢٩) حينما بدأ أنبا أبرام سنة ١٩٢٩ م تكميل عمارتها وهدم قباب الخورس الأول، وأقام بدلاً منها سقفاً شبه مقبي على كمرات حديد، وأضاف للكنيسة خورساً آخر ورمم حجاب كنيسة أنبا مقار القديم الذي كان في حيازة المتحف القبطي وأعادته في مدخل هيكل أنبا بنيامين، وأقام فيها أول قداس في ٢٧ برمهات (٥ أبريل سنة ١٩٢٩).

وكذلك أقام في هذه السنة أيضاً منارة للجرس القديم الضخم الذي يصفه إقطين هويت كالاتي:

«قطره ١٢٥ م. مصنوع في إنجلترا من الحديد الزهر في مصانع شفلد سنة ١٨٦٦ م شركة تايلور فكرز» (١٣).

كما اشترى أنبا أبرام أيضاً جرساً جديداً زنته ٣٠٠ رطلاً وثبته بجوار الجرس القديم في نفس المنارة.

وقد قام أنبا أبرام أيضاً باغلاق باب الدير القديم، وفتح بجواره في السور فتحة أخرى لتكون بوابة جديدة أكثر سهولة لدخول القوافل.

وفي زمن سابق لذلك، أي قبل سنة ١٩٢٠ م، أقام أنبا باسيليوس مطران أبوتيج قصر الضيافة قبلي كنيسة أنبا مقار، فزاد الدير ضيقاً على ضيق، وفي نفس الوقت بقيت قلاي الرهبان غير صالحة للسكنى.

الحديقة وما كينة المياه:

ظلت مياه الشرب داخل دير أنبا مقار مالحة، وعبثاً حاول الرهبان الوصول إلى المياه العذبة، وظلوا يستقون المياه من بئر أنبا مقار خارج الدير التي تبعد عنهم مقدار نصف كيلو، فكانت

(13) Ev. White, II, p. 90.

الزراعة داخل الدير غير ناجحة على ممر السنين. واستمر الوضع على هذا الحال إلى أن جاء أنبا أبرآم مطران البلينا واشترى للدير سنة ١٩٣١ ما كينة لرفع المياه، ودقّ المواسير إلى مسافة ٤٦ متراً حتى عثر على طبقة مياه أصلح من سابقها، وإن كانت تحمل آثار الصودا بدرجة محسوسة إلا أنها مقبولة نوعاً ما. فازدهرت الحديقة داخل الدير وخارجه إلى حد محدود. وقامت الماكينة بإدارة طاحونة للغلال وآلة لتوليد التيار الكهربائي لإنارة الكنيسة والقصر.

وقد حاول أنبا أبرآم مطران البلينا إعادة السور القديم إلى وضعه الأول ولكن فشلت كل جهوده، فتوقف بعد أن ارتفع بالناحية البحرية مقدار مترين ونصف.

الفصل العاشر العمارة الحالية بالدير

- + المشروع من الوجهة الهندسية الرهبانية.
- + المشروع من الوجهة الهندسية المعمارية.
- + المشروع من الوجهة الهندسية الأثرية.

الله الذي قال أن يشرق نور من ظلمة، هو الذي كان ولا يزال يشرق على الكنيسة القبطية وفي قلوب أولادها على ممر الدهور وفي أحلك أوقات الظلام، حتى تبقى دياراتها مشيدة وعامرة شهادة أبدية لحياة قديسيها وشهدائها الذين قادوا الحياة التقوية والنسكية الإنجيلية في العالم كله!

وفي هذا الفصل لوتوخيت الاختصار منتهى الاختصار حتى أسرد للقارىء كيف وصلت جماعتنا الرهبانية القليلة العدد والضعيفة الجهد، والتي كان لا يزيد عدد أفرادها عن إثني عشر راهباً، إلى دير القديس أنبا مقار عام ١٩٦٩، ثم كيف بدأت العمارة الحديثة في الدير منذ هذا التاريخ وكيف سارت حتى اليوم مع باقي الأنشطة الأخرى من استصلاح أرض وزراعتها وتجارب استنبات زراعات غير تقليدية وتحسين الإنتاج الحيواني، يلزمي أن أكتب كتاباً لا تقل صفحاته عن المئات الكثيرة، لأنها كلها تنطق برحمة الله ورضاه ولطفه وإحسانه الجزيل، أقل ما فيها يهر العقل وأصغر ما فيها مُعجز تمام الإعجاز، ويكفي للقارىء زيارة عابرة للدير ليرى ما لا يمكن شرحه ويتحقق مما يستحيل وصفه.

وأولاً ينبغي أن نذكر بادية كل ذي بدء أن نياقة أنبا ميخائيل مطران أسيوط ورئيس الدير هو الذي رحب بنا في ديره وشجع أعمالنا منذ بدايتها.

+ ثم ينبغي أن نذكر بالفضل الأستاذ الدكتور أحمد محرم أطال الله حياته وزميله المرحوم الأستاذ الدكتور ميشيل باخوم، اللذين قبلا رعاية المشروعات من الوجهة الهندسية الإنشائية وتحملاً كافة المصاريف المكتبية اللازمة للإشراف الفني بواسطة مهندسي مكتبها الأفاضل،



شاهد حجري يرجع إلى القرن السادس/ السابع
[متحف Glyptothek Ny Carlsberg في كوبنهاجن - الدانمرك]



نيافة أنبا ميخائيل مطران أسبوط ورئيس دير أنبا مقار
تقبل موهبة الأسقفية في ٢٥ أغسطس سنة ١٩٤٦ م

+ عرفته إيبارشيتة رجل تعليم وبناء وتعمير، وسيظل جبل العذراء بأسبوط يحمل له ميمانيه الضخمة الجميل إلى الأبد...
+ أما دير أنبا مقار فقد صار برعايته الحكيم مكان الصلاة الدائمة وموضع الحكمة العالية كما وصفه سابقاً ساو يرس بن المقفع.
+ وعلى يديه قامت داخل الدير النهضة الروحية والمعمارية الكبرى.
+ عرفته الكنيسة كلها لسان حق ورجل مواقف أطل الله حياته.

والأستاذ الدكتور صبري سمعان الخبير الإستشاري في الهندسة الإنشائية. وهنا لا يسعنا إلا أن نرفع قلوبنا أمام الله العلي أن يكافئهم عنا المكافأة الحسنة التي ترضي قلوبهم وتنفع أرواحهم وحياتهم.

+ كما ينبغي أن نذكر بالفضل المهندس الدكتور عبده فام خبير الجمهورية الإستشاري في الأساسات والذي تولى عملية اختبار الأساسات ووضع مواصفاتها، وزياراته المتكررة للإطمئنان على عمارة الدير من كل النواحي التي تختص بفنه وعبقريته.

+ كما نذكر بالإعزاز توجيهات المهندس الماهر مفيد الصيفي وكذلك الجهد والمحبة والمؤازرة التي قدمها لنا المهندس التقي محب فؤاد.

+ كذلك نذكر بالفضل المرحوم الأستاذ الدكتور صبحي صديق المهندس الخبير في الإنشاءات الصحية الذي تولى دراسة مشروع مجاري الدير على أحدث المواصفات الصحية.

ولزاماً علينا أن نذكر بالفضل الجزيل والعرفان بالجميل أخانا وشريك جهادنا بالروح المرحوم المقاول صبري عياد بالفن الذي تولى توفير العمالة لنا ما يقرب من عشر سنوات مستمرة معلمين وعمال وقد دخل الآن إلى فرح سيده ليؤمن على الكثير.

١ - المشروع من الوجهة الهندسية الرهبانية:

أولاً: إذا أمعن القارئ في اللوحة رقم ١ معماري يجد مقطعاً أفقياً الجزء الأسود منه يوضح معالم الدير في حالته الراهنة قبل العمارة، حيث المباني الأثرية والمباني المستحدثة في العصور المتأخرة متشابكة معاً، مما جعل آثار الدير العتيقة والهامة تتوه وسط كثرة القلاي والجدران المتهاكة التي أنشئت أخيراً بلا نظام ولا ترتيب حتى ملأت كل مساحة الدير تقريباً.

وهكذا أصبحت السكنى داخل الدير بالنسبة لرهبان ينشدون الهدوء والسكينة أمراً محالاً. فالمساحة ضيقة غاية الضيق والقلاي متلاصقة والأسوار متقابلة، وأقل صوت يرن في الدير كله ويعكر هدوءه.

ثانياً: ولهذا بدأ المشروع على أساس فصل كامل بين سكنى الرهبان وبين آثار الدير الهامة والعتيقة حفظاً لها وتسهلاً لصيانتها، على أن تكون القلاي الجديدة متباعدة بقدر الإمكان لتتيح للراهب فرصة الهدوء وتوحي إليه بالتوحد الذي هو جوهر الرهبانية، لأن على أساس التوحد تقوم مقومات الرهبنة.

ثالثاً: ثم روعي أن تكون مباني الدير العامة المختصة بالحياة اليومية من معجن وفرن ومطبخ

ومغسل وغيرها منفصلة انفصلاً تاماً عن مكان سكنى الرهبان، حتى يتاح للحبساء والمتوحدين أكبر قسط من الهدوء.

رابعاً: وكذلك روعي أن تكون أماكن الضيافة المؤقتة والدائمة ومبيت الزائرين منفصلة هي الأخرى انفصلاً كاملاً عن كل أماكن خدمات الرهبان اليومية وعن مساكنهم أيضاً، حتى يحتفظ الدير باستقلاله وحرمة تماماً.

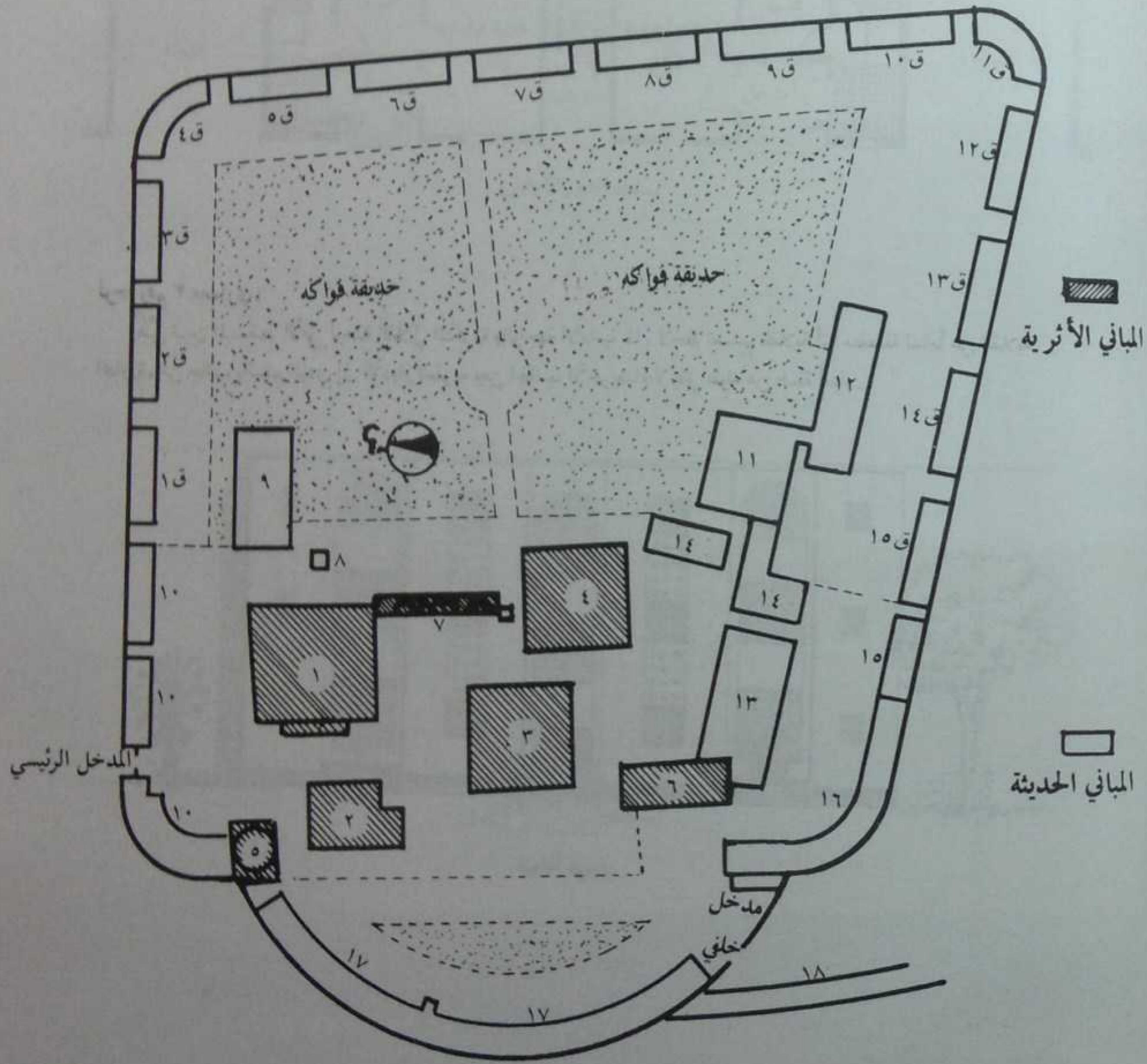
خامساً: أما هندسة قلاية الراهب فقد روعي فيها ما يناسب واقع حياة الراهب اليومية إذا ما نُظر إليه كإنسان متوحد. فقد صممنا القلاية على أساس إمكانية الإقامة فيها لأيام كثيرة دون الحاجة مطلقاً إلى الخروج والدخول. فقد جعل فيها دورة مياه كاملة ذات تصرف على مجاري حسب الأصول والمواصفات الصحية مع حوض للوجه وآخر للغسيل ومكان للمطبخ في جزء مستقل من القلاية بالإضافة إلى غرفة صغيرة للمبيت أرضيتها من الخشب حتى يتوفر للراهب فرصة النوم على الأرض دون أن يتأذى جسده لو كان رهيفاً. ثم غرفة متسعة للمطالعة والسهر والدراسة بمكتب ودولاب حائط وأرفف وأدراج ثابتة يمكن أن تستوعب مكتبة كبيرة لراهب عالم باحث.

سادساً: أما صفوف القلاية فقد اهتممنا جداً أن لا تلاصق قلاية قلاية أخرى بأي حال من الأحوال. فقلاية أي راهب منفصلة تماماً عن قلاية الآخر، يفصل بينها — من جهة — فناء لا يقل طوله عن خمسة أمتار، ومن الجهة الأخرى السلم الذي يصعد إلى الدور العلوي، كما زيدت المادة العازلة للصوت، تحت الأرضيات، وذلك حتى يتوفر للراهب الاستقلال الحتمي الذي تستوجبه العبادة والصلاة والحياة الداخلية التي بحسب روح الإنجيل: «إذا أردت أن تصلي فادخل إلى مخدعك وأغلق بابك وصل إلى أبيك الذي يرى في الخفاء».

سابعاً: وبسبب خبرتنا السابقة في أهمية الجدران في التأثير على جو القلاية ونفاذ الأصوات، فضّلنا استخدام الحجر المتوفر في الموقع وفي الجبال المحيطة عن طوب الخرسانة المفرغ لبناء الحوائط الخارجية والجانبية للقلاية؛ إذ ثبت أن طوب الخرسانة المفرغ موصل جيد للصوت بعكس ما يُقال عنه، كما أنه ضعيف في عزل جو القلاية الداخلي عن الجو الخارجي من حيث حرارة الصيف الشديدة أو صقيع ليالي الشتاء القارس. هذا بالإضافة إلى أنه قد ثبت أن الحجر جيد الإلتصاق بالخرسانة المسلحة مما يخلص المباني من الشروخات المألوفة بين الأعمدة والكمرات الخرسانية وبين الحوائط، ولم يظهر منها شيء حتى في الأسقف الخرسانية المعرضة للجو مباشرة إلا في حالات نادرة.

لذلك كان اختيارنا لمادة الحجر بدلاً من طوب الخرسانة — رغم توافر مواده الأولية في الدير — موفقاً أشد التوفيق بالرغم من أنه زاد عبء تسليح القواعد السفلى للأعمدة والسملات التي تقوم

لوحة رقم (١)
التخطيط العام لتوسيع الدير



المنطقة الشمالية من الدير
المنطقة الجنوبية من الدير
المنطقة الغربية من الدير
المنطقة الشرقية من الدير

لوحة رقم ١ معماري:

توضح الدير الحالي بعد أن زادت مساحته من ٢٢ ط ١ ف (حوالي ٨٠٠٠ م. مربع) إلى حوالي ١٥ ط ٧ ف (٣٢ ألف متر مربع). وتظهر القلالي الجديدة ملاصقة للأسوار الجديدة لتدعيمها. لاحظ أنها منفصلة تماماً عن أماكن الضيافة المقامة في الركن البحري الغربي، وكذلك عن مباني الدير العامة المختصة بالحياة اليومية (معجن. فرن. مطبخ. إلخ) الكائنة في الركن القبلي الغربي.

أولاً: المباني الأثرية:

- ١ - كنيسة القديس أنبا مقار.
- ٢ - كنيسة الشيوخ.
- ٣ - كنيسة الشهيد أسخيريون.
- ٤ - الحصن.
- ٥ - قبة الميرون.
- ٦ - المائدة القديمة.
- ٧ - قلالي قبو قديمة.
- ٨ - كنيستين قديمتين.
- ٩ - المكتبة ومجاورها متحف صغير.
- ١٠ - مباني الضيافة.
- ١١ - مطبخ حديث.
- ١٢ - مائدة جديدة.
- ١٣ - الدياكونية (فرن ومعجن... إلخ).
- ١٤ - مخازن أطعمة تابعة للمطبخ.
- ١٥ - وحدة طبية وجراحة ومستشفى.
- ١٦ - مخازن أدوات.
- ١٧ - مطبعة ودار نشر.
- ١٨ - جراجات للسيارات.
- ١٩ - عنبر ماكينات الكهرباء ومحطة تشحيم.

- ١ - كنيستين قديمتين.
- ٢ - كنيستين قديمتين.
- ٣ - كنيستين قديمتين.
- ٤ - كنيستين قديمتين.
- ٥ - كنيستين قديمتين.
- ٦ - كنيستين قديمتين.
- ٧ - كنيستين قديمتين.
- ٨ - كنيستين قديمتين.
- ٩ - كنيستين قديمتين.
- ١٠ - كنيستين قديمتين.
- ١١ - كنيستين قديمتين.
- ١٢ - كنيستين قديمتين.
- ١٣ - كنيستين قديمتين.
- ١٤ - كنيستين قديمتين.
- ١٥ - كنيستين قديمتين.
- ١٦ - كنيستين قديمتين.
- ١٧ - كنيستين قديمتين.
- ١٨ - كنيستين قديمتين.
- ١٩ - كنيستين قديمتين.

لوحة رقم (٢) قطاع وواجهة لمجموعة نموذجية من ٦ قلاوي

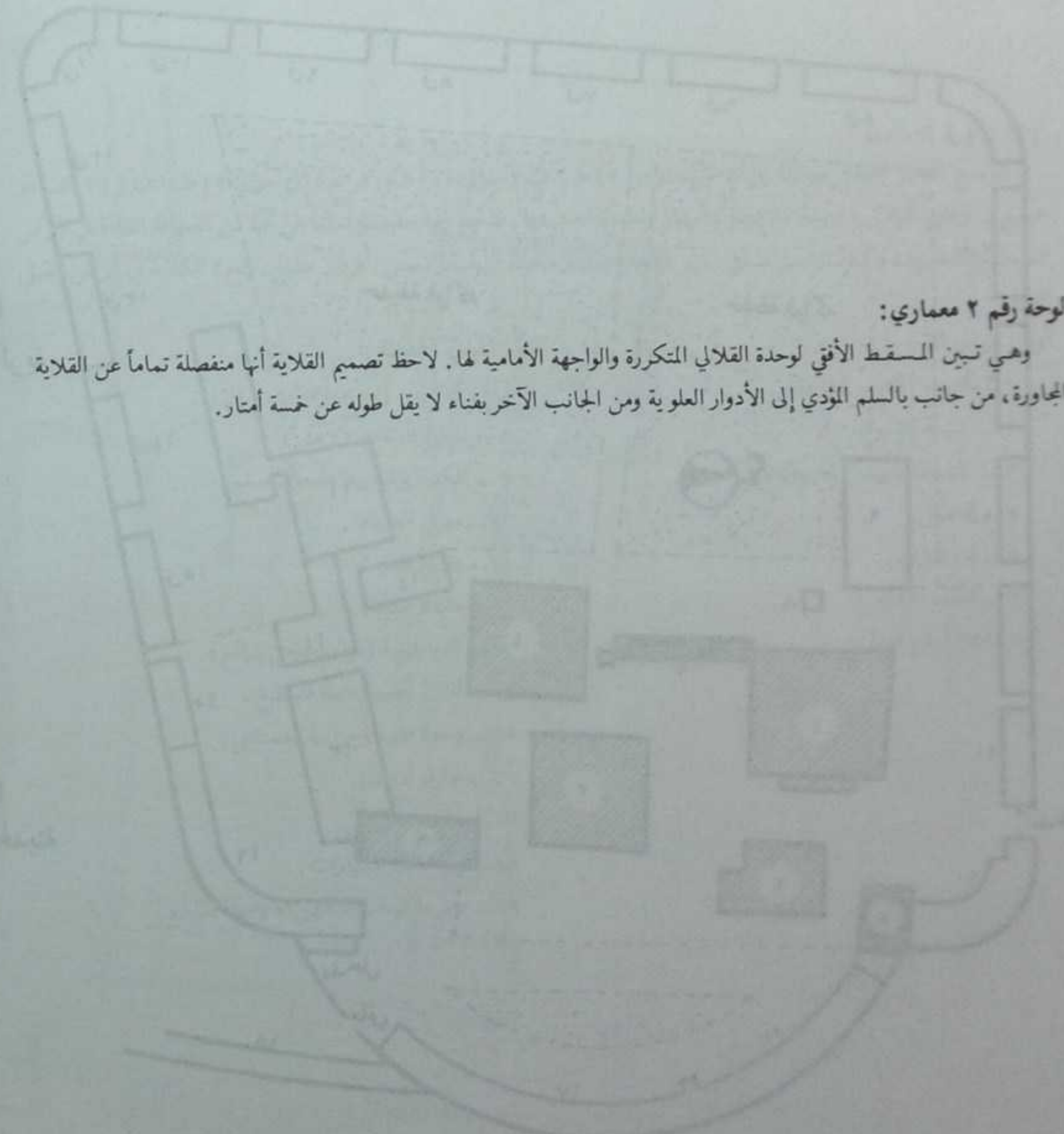


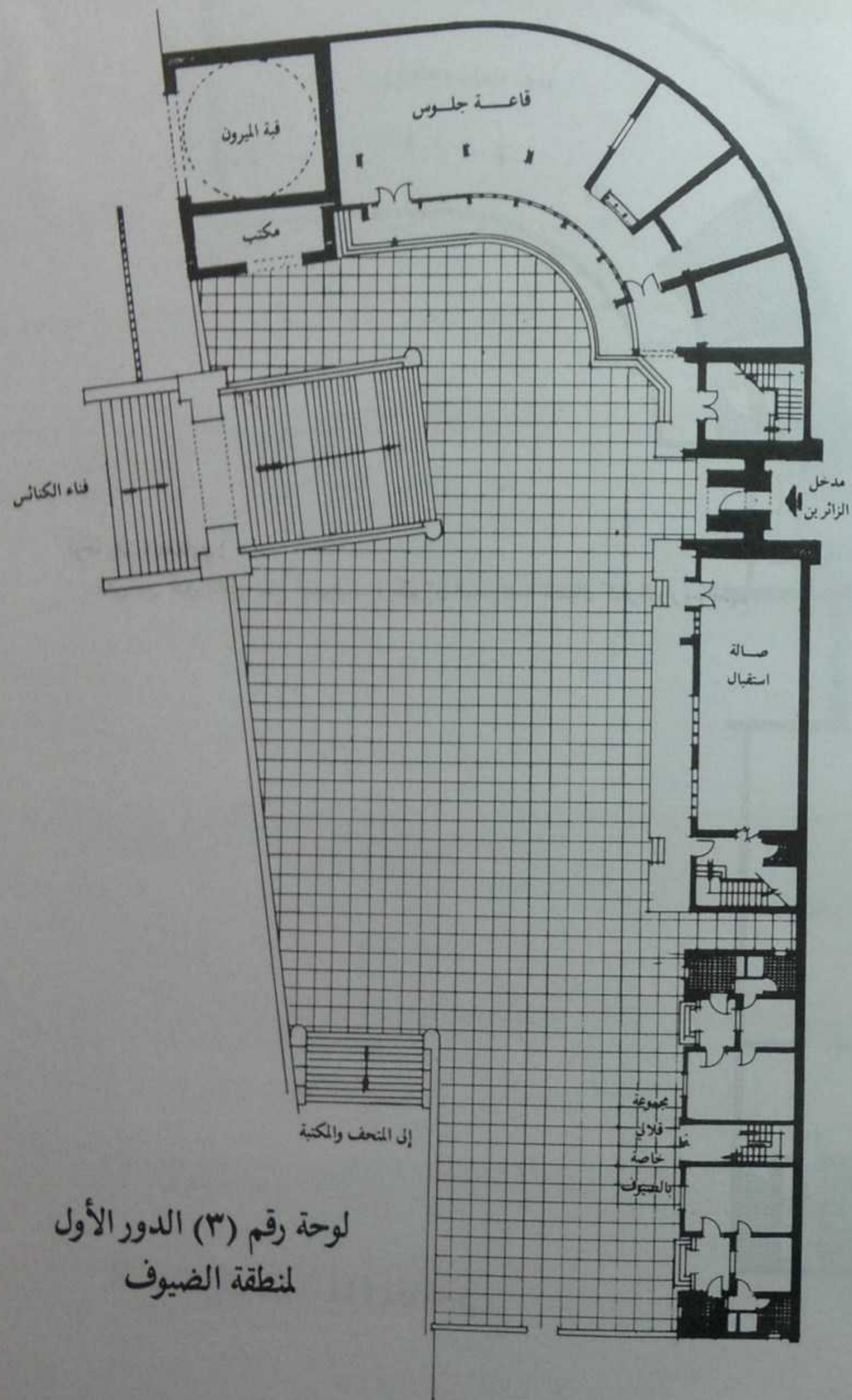
(١) قطاع كسحها
قطاع وسجنتها بالعام الخيانتا



لوحة رقم ٢ معماري:

وهي تبين المسقط الأفقي لوحدة القلاوي المتكررة والواجهة الأمامية لها. لاحظ تصميم القلاوي أنها منفصلة تماماً عن القلاوي المجاورة، من جانب السلم المؤدي إلى الأدوار العلوية ومن الجانب الآخر بفناء لا يقل طوله عن خمسة أمتار.





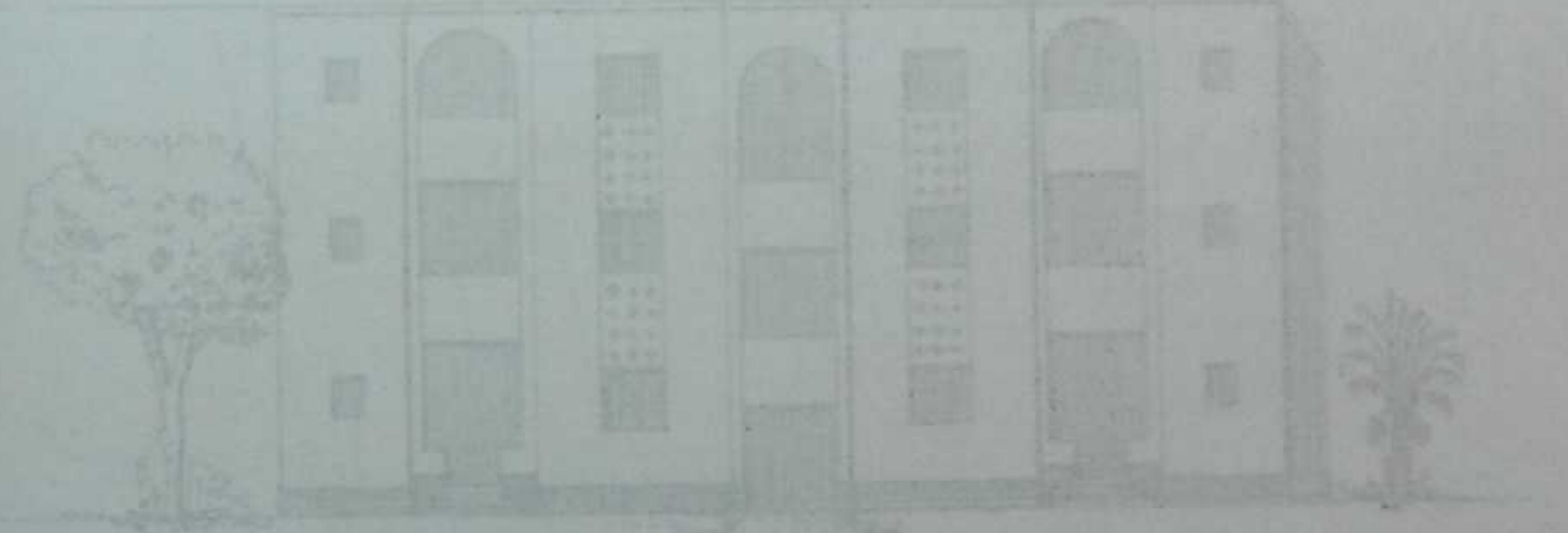
لوحة رقم (٣) الدور الأول لمنطقة الضيوف

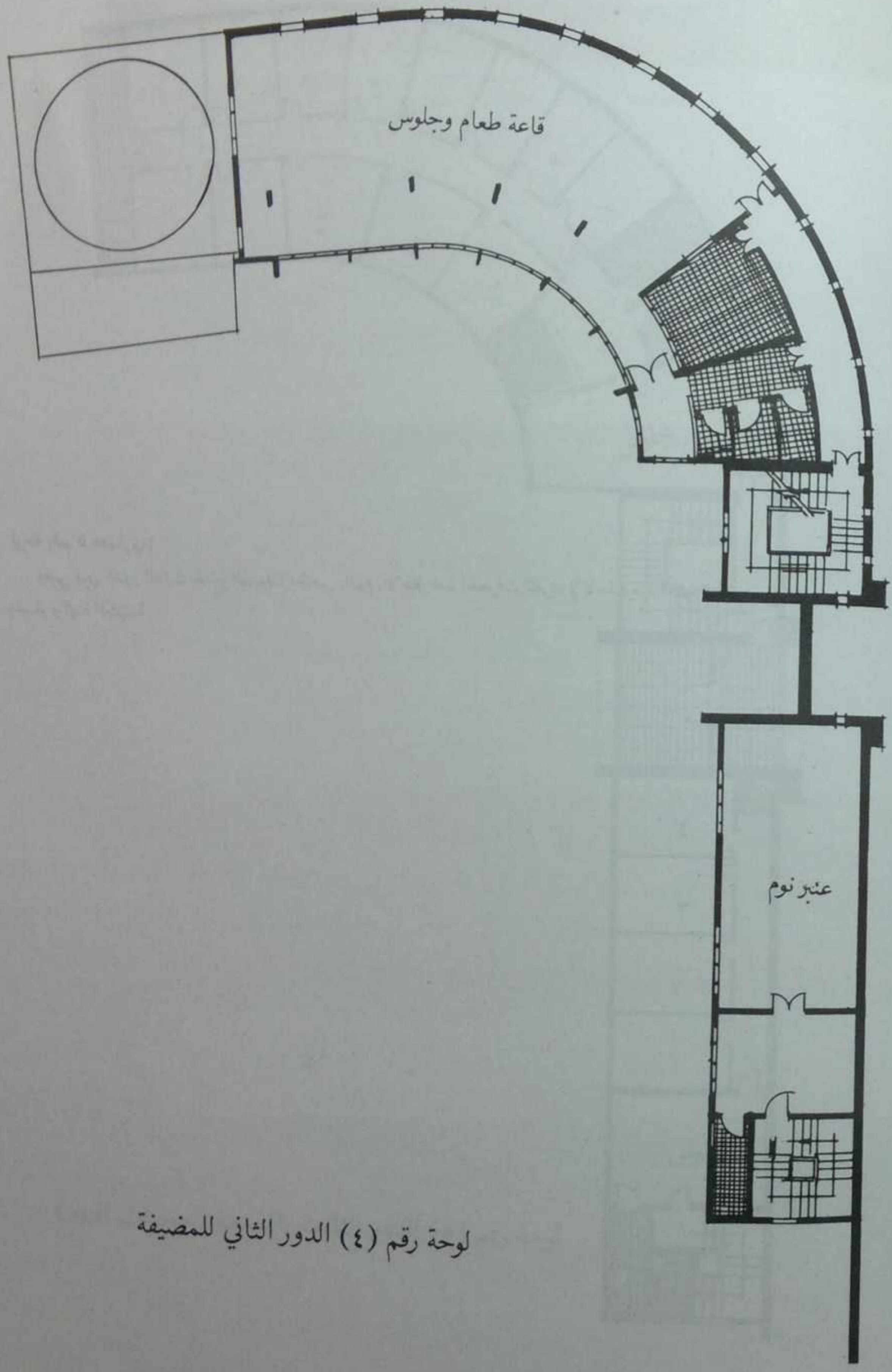
لوحة رقم ٣ مبنى قبة المبرون والفناء (٢) طبقاً



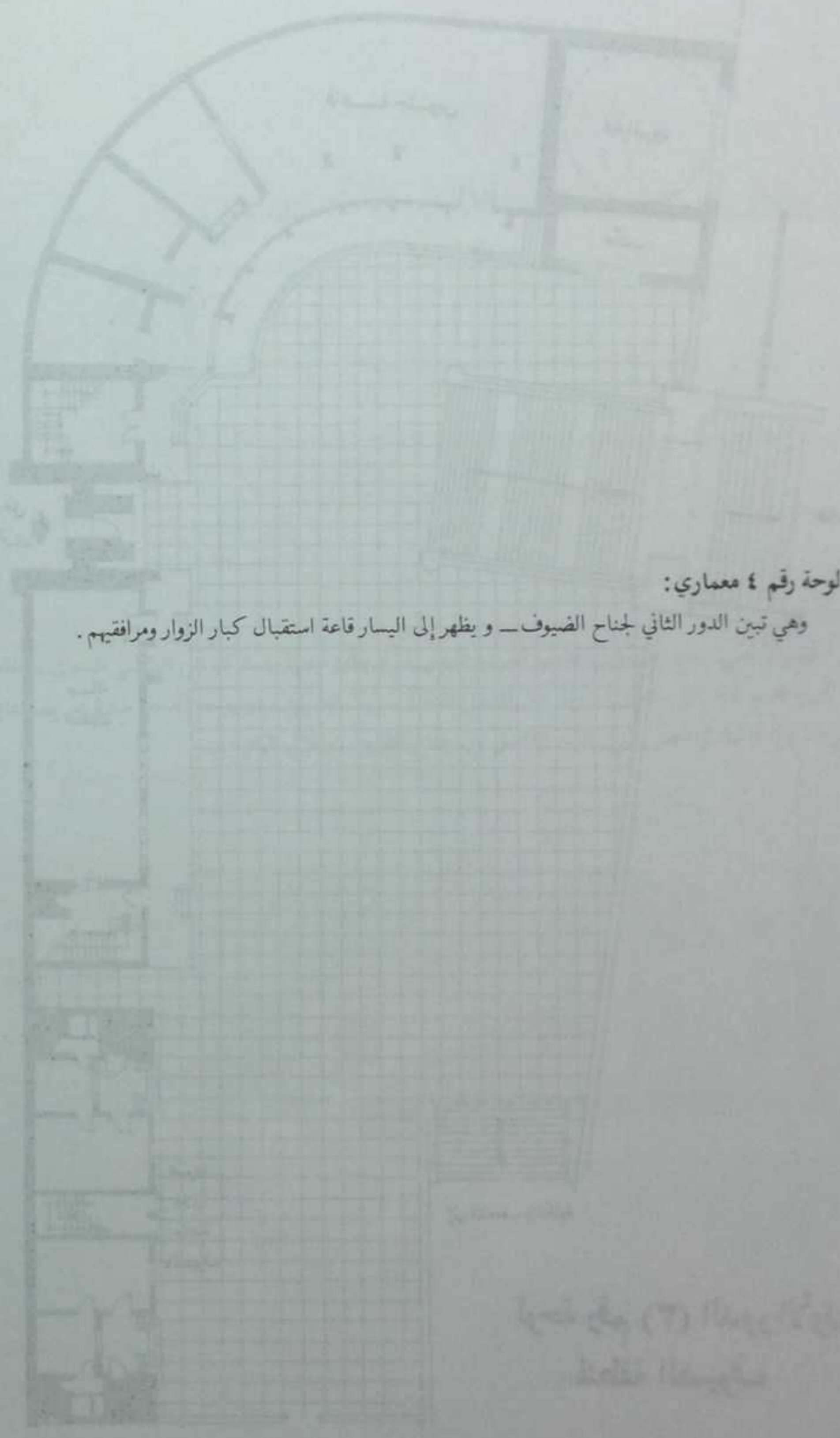
لوحة رقم ٣ معماري:

وهي تبين الدور الأرضي جناح الضيوف بالناحية الغربية البحرية. و يظهر فيه إلى يسار المدخل الرئيسي البحري، الخاص بالزوار، صالة كبيرة تتسع لمائة زائر وملحقاتها. وإلى يمين المدخل قاعة لاستقبال الضيوف. ويواجه المدخل سلام عريضة هابطة إلى كنائس الدير القديمة. لاحظ في أقصى اليمين السور الفاصل بين جناح الضيوف وقلالي الرهبان.



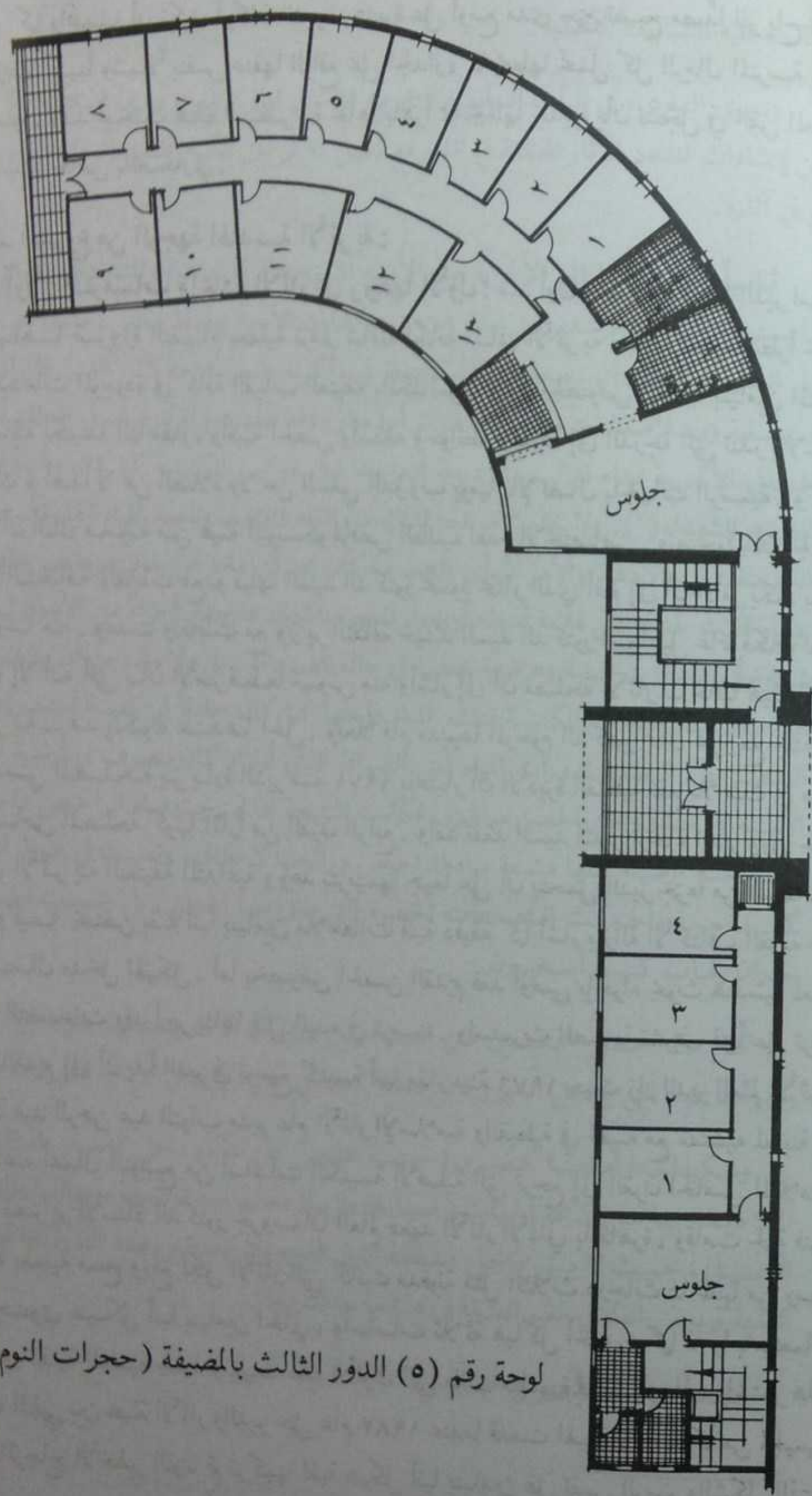


لوحة رقم (٤) الدور الثاني للمضيقة



لوحة رقم ٤ معماري:
وهي تبين الدور الثاني لجناح الضيوف - و يظهر إلى اليسار قاعة استقبال كبار الزوار ومرافقهم.

مخطط المضيقة (٤) طبق المصفاة
مخطط المضيقة



لوحة رقم (٥) الدور الثالث بالمضيقة (حجرات النوم)



لوحة رقم ٥ معماري:

وهي تبين الدور الثالث جناح الضيوف الخاص بالنوم. لاحظ عدد الحجرات المفردة لإتاحة فرصة الخلوة للراغبين من شباب وتخدام وكهنة الكنيسة.

تخطيط الدور الثالث (3) مبنى

كما راعينا أن تكون أركان الدير مستديرة على أوسع مدى حتى تصبح مصداً للرياح العنيفة توزعها يميناً وشمالاً بنفس عنفها الواقع على الجدار، مما يجعلها تحمل كل الرمال المترسبة بأسفل السور. وقد نجحت هذه النظرية نجاهاً باهراً مما يجعلها جديرة بأن تسجل في الفن المعماري الحديث الخاص بالصحاري.

٣ - المشروع من الوجهة الهندسية الأثرية:

أولاً: الترميمات وإعادة الآثار إلى رونقها الأول: منذ أول لحظة دخلنا فيها الدير استرعى انتباهنا ضرورة القيام بعملية ترميم شاملة لكافة المباني الأثرية وبغاية السرعة نظراً لخطورة التصدعات الموجودة في كافة القباب العتيقة بالكنايس، وعلى الخصوص قبة أنبا بنيامين المشهورة الكائنة بكنيسة أنبا مقار، وأقبية الحصن وأسقفه وحوائطه وعقوده إلى الدرجة التي تنذر بالانهيار. لذلك لم أهدأ إلا عن الصلاة ولا عن السعي الدؤوب يومياً بالإتصال بالجهات الرسمية. وكنت أمل أن أنال معونة من هيئة اليونسكو فرفض الطلب لعدم الاختصاص. ونصحوني أن ألتجأ إلى وزارة الثقافة وتقابلت مع وكيلها السيد الدكتور محمود مختار الذي ألمح إلى أن الأمر يكاد يكون ميئوساً منه. وعدت وتقابلت مع وزير الثقافة حينئذ السيد الدكتور اسماعيل غانم فكان لطيفاً معنا إلا أنه أفتى بأن الأمر قطعاً ميئوس منه وأشار إلى أن مصلحة الآثار - حالياً هيئة الآثار المصرية - قد يكون عندها الحل. وفعلاً قام مديرها المرحوم الدكتور جمال محرز مع لجنة من مهندسي المصلحة بزيارة الدير سنة ١٩٧١ باعتبار أن الأديرة القبطية تقع بلا شك في دائرة اختصاص المصلحة كونها آثاراً من القرن الرابع. ولقد تفقد السيد المدير أرجاء الدير ورثى لحال المباني الأثرية العتيقة المتداعية ووعده بترميمها جميعاً على أن يتحمل الدير جزءاً من النفقات. وقد قدم فيما يختص بقبة أنبا بنيامين ملاحظات فنية دقيقة كما أشار بإزالة الأكتاف القائمة على يمين وشمال مدخل الهيكل. أما بخصوص الحصن القديم فقد أوصى بإجراء بحوث هندسية لمعرفة أسباب التصدعات وقد أجريناها قبل البدء في ترميمه. واستمرت المصلحة تشرف فنياً على ترميم الحصن القديم إلى أن بدأ الدير في توسيع كنيسة أنبا مقار سنة ١٩٧٦ حيث زار الدير العالم الأثري الأستاذ عبد الرحمن عبد التواب مدير عام الآثار الإسلامية والقبطية في الهيئة مع مفتشيه لمعاينة ما كشفت عنه أعمال التوسيع من أساسات الكنيسة الأصلية التي ترجع إلى القرن الخامس الميلادي بحسب تقرير الأستاذ الدكتور جروسمان العالم بمعهد الآثار الألماني بالقاهرة، وقامت لجنة فنية من الهيئة بعملية مسح ورفع لكل الآثار التي كانت مدفونة مثل الثلاث درجات بما عليها من رسوم ملونة جنوبي هيكل أنبا بنيامين الحالي، وأساسات ثلاثة هياكل أخرى؛ كما قاموا باستعمال أساليبهم الفنية العلمية لحفظ وتثبيت هذه الألوان التي ظلت مطمورة قروناً طويلة. واستمر هذا التعاون الفني بين هيئة الآثار والدير حتى عام ١٩٨٢ عندما قدمت الهيئة ٣٧ شباكاً من الجبس المعشق بالزجاج الأخضر اللون تم تركيبها لقبة هيكل أنبا بنيامين على نفس الرسم والشكل الذي

كانت عليه الشبايك الأصلية.

وسيرى القارئ في الباب السابع «التاريخ الأثري لمباني الدير» وصفاً مجملًا لما قام به الدير من إنشاءات لتدعيم الآثار المختلفة في الدير مع تعليق الأثرين الكبار الذين زاروا الدير وعابنوا ما تم في آثاره.

ثانياً: تخلص المباني الأثرية من الأبنية المستحدثة المتداعية والمتشابكة معها: إن أول ما استرعى انتباه الزائر للدير قبل سنة ١٩٦٩ هو تشابك الأبنية بعضها ببعض، قديمها مع حديثها، إلى الدرجة التي كان يصعب فيها أن يحتفظ في ذاكرته بصورة محددة لآثار الدير. فالمباني كانت متصلة ومتلاصقة تعترض مسيرة الزائر أينما سار. وقد بلغت جراءة الرهبان في اقتطاع أجزاء من المباني الأثرية لبناء قلاليمهم إلى درجة أن بنوها فوق خوارس الكنيسة كما كان حادثاً في كنيسة الشيوخ الشهداء^(٣). ولا يخلو الأمر تبعاً لذلك من إلقاء المياه - ونقص المياه القذرة - فوق سطح الكنيسة. بل والأدهى والأمر أن أي راهب ما كان يجد أي مانع من عمل مرحاض خاص لنفسه بجوار قلايته يفتحه على قلاية أسفله أو بجوار السور مباشرة، مما جعل أجزاء من الأسوار تهبط تاركة شروخاً وتصدعاتٍ طولية وعرضية جعلتها في حالة تلف بالغ. بل ولا مانع من أن يكون المرحاض على بعد أمتار قليلة من الكنيسة فتنتشع المياه داخلها كما كان حادثاً في كنيسة أبسخيرون. بل إن التصريف الرسمي لدورات المياه لمبنى الضيافة الذي أزلناه كان يتصرف في أرضية الدير وسط الأبنية في خندق بجوار الحصن مباشرة. فكانت النتيجة أن تسربت مياه المراحيض داخل الحصن وأصبحت أرضيته كلها مشبعة بمياه المراحيض ورائحتها لا تطاق، وتسببت في هبوط الجدران من كل ناحية وأحدثت التصدعات الخطيرة التي عانى منها الحصن، بل وتسببت أيضاً في تصدع جدران وقباب كنيسة أبسخيرون.

كل هذا جعل المختصين من المهندسين ورجال الآثار ينصحون بسرعة إزالة المراحيض ودورات المياه التي بداخل الدير وكان عددها تسعة في كل ركن من أركان الدير القديم.

وهكذا بدأ أمامنا كضرورة حتمية تخلص كل الآثار داخل الدير من المباني المستحدثة الملاصقة بها من كافة الجهات، صوناً لها ولإبراز معالمها بعد ترميمها وإعطائها طابعها الأثري الأصيل، بحيث لا يبقى داخل منطقة الدير القديم إلا الكنائس وقبة الميرون والحصن والمائدة القديمة وبعض القلاي القبو العتيقة؛ وهذا ما حدث فعلاً.

ثالثاً: (أ) الأسوار: لقد وصفنا ما آلت إليه أسوار الدير من شروخ طولية وعرضية بسبب

(٣) على القارئ إن يرجع إلى الصورة الفوتوغرافية للدير قبل التعديلات الأخيرة في صفحة ٨٦٣.

تصريف مياه المجاري في أرضية الدير. ولكن الذي أضر أكثر بالأسوار الأربعة هو إقامة حديقة داخل الدير وإغراقها بالمياه على فترات وجيزة، والأشجار مزروعة على بعد متر أو أقل من متر من بعض الجدران كما كان حادثاً في الحصن. وقد زُرعت هذه الأشجار والمباني القديمة في حالة تصدع فعلي، فكانت النتيجة أن زادت التصدعات بسبب انخفاض أجزاء من الأسوار والجدران. وهكذا أتلّف الرهبان أعزما عندهم من آثار وأسوار في سبيل إقامة بعض الأشجار.

أما الأسوار البحرية والقبليّة وهي التي كانت على أسوأ حال من الإتلاف فقد تحققتنا بعد الكشف عليها أنها لم تعد تحتل إقامة أية مباني جديدة ملاصقة لها، مما حتم علينا ضرورة النظر في الاتساع خارج الأسوار القديمة وضم أجزاء جديدة للدير، ثم إعادة إقامة أسوار جديدة بالخرسانة المسلحة على قواعد ضخمة وسملات شديدة الإحتمال.

وفي أثناء إزالة السور القبلي للدير وجدنا أجزاء من أساسه مبنية على فراغات هي أقبية قلالي قديمة مهجورة بعضها كان مستخدماً كمقابر. ووجدنا أجزاء أخرى مبنية على تراب فرن، ومعظم السور محشو بالتراب الخالص غير المعجون بالمياه حتى تجعله مونة صالحة للبناء. وكان الشيء الوحيد الذي جعل السور يقف هذه السنين هو غلاف خارجي من الدقشوم وقشرة من الحجر وطبقة سميكة من الجبس.

أما السور البحري فقد وجدناه سوراً مزدوجاً؛ ويبدو أن السور الأول كان في حالة انهيار تماماً. فالشروخ الطولية فيه كاملة من أعلى إلى أسفل مما اضطر الرهبان القدامى أن يقوموا ببناء طبقة أخرى من سور يحمي السور الأول قامت مائلة عليه ميلاً شديداً فلم تنجح هي الأخرى من التصدعات في نفس أماكن تصدعات السور الأول. وكان ذلك بسبب وجود بئر مياه ومراحيض قديمة متاخمة للسور في هذا المكان بالذات. وهكذا كان حال باقي الأسوار القديمة.

(ب) بوابة الدير الأثرية الأولى: كان من المعروف حتى سنة ١٩٧١ أن باب دير أنبا مقار الرسمي جهة الشرق. فصور الحملة الفرنسية يرسم الباب الأصلي للدير في الجزء القبلي من السور الشرقي. والعالم بطليريرسم لنا رسماً كروكياً يبين فيه الباب أنه في الجهة الشرقية أيضاً، وكذلك العلامة إفلين وايت. وكنا نشك دائماً في صحة هذه الأقوال ونعتقد اعتقاداً جازماً أن باب الدير الأصلي لا بد وأنه كان في الجهة البحرية كبقية الأديرة وكقطس الكنيسة القبطية التي لا تسمح مطلقاً بجعل باب لكنيسة أو لدير في الجهة الشرقية، لأن المعروف أن الرب وحده سيأتي من المشرق. لذلك يقول حزقيال النبي: «ثم أرجعني إلى طريق باب المقدس الخارجي المتجه للمشرق وهو مغلق. فقال لي الرب: هذا الباب يكون مغلقاً لا يُفتح ولا يدخل منه إنسان لأن الرب إله إسرائيل دخل منه فيكون مغلقاً» (حز ٤٤: ٢١). وقد صدق حدسنا إذ بينما نحن نقوم بإزالة

السور البحري وجدنا الباب الأصلي والأثري للدير بعقده الجميل الذي من الطوب الأحمر الصغير (٤) إنما في حالة تفكك. ولقد بذلنا مجهوداً فنياً لا يصدق استغرق ستة أشهر حتى استطعنا أن نحصر هذا العقد الأثري العظيم المتداعي في كل أجزائه، نحصره بطبقة حاملة من الخرسانة المسلحة من أسفله ومن أعلاه، ونضمه من جانبيه بدعامتين من الخرسانة المسلحة ذات مدادات أرضية وكتفين من الحجر الضخم لحفظ توازنه، بعد أن كشفناه من كل ناحية وفرغنا داخله من المباني التي كانت تسده. هذا الأمر الذي لما اطلع عليه مهندسو الآثار تعجبوا كيف وقف لنا هذا العقد طائعاً مستسلماً وهو متهاك. ثم كيف ضبطناه هكذا بهذه القوة. ولكن السر في هذا وفي غيره كانت الصلوات الكثيرة التي قدمناها لله من أجل انفتاح البصيرة والمعونة الإلهية.

ولكن الذي تعجبنا له كثيراً ووقفنا أمامه مذهولين هو أننا كنا — وقبل الكشف عن هذا الباب — قد وضعنا أساس السور البحري الجديد الموازي للقديم. وكنا قد حددنا مكان الباب الجديد وأقننا بالفعل أكتافه منذ عام ١٩٧٠ تقريباً وتم صب عقده بالخرسانة المسلحة. فلما عثرنا بعد ذلك على الباب القديم في الطبقة الداخلية للسور البحري وجدنا البابين على خط واحد. فعرفنا في الحال أن الله يريد أن يقول لنا أنه هو الذي يبني ويعمل ويحدد الأسوار والأبواب بواسطتنا دون حذق منا. كما تأكدنا أنها إشارة من الله خفية تقول لنا أن الرب اختار هذا الجيل ليكون مكملاً لأعمال وتدير الجيل الأول.

وصف إجمالي لمباني الدير

(١) القلالي: أقيمت ١٦ مجموعة قلالي، كل مجموعة تحتوي على ٦ قلالي، على النمط المرسوم في لوحة ٢ معماري.

أما قلاية الأخ أو الراهب المبتدئ فبحسب التقليد الرهباني تختلف احتياجاته عن الباقين، إذ توصي تعاليم الآباء أن يهتم بقضاء أكبر وقت ممكن في خدمة مجمع الدير، وبذل المحبة، والتواضع، ليكتسب الفضائل التي تهيئه للوحدة بعد ذلك، مثل إماتة الذات والطاعة الكاملة وحفظ الوصية وسط ضجيج العمل. كما أنه غير مُطالب إلا بالصلوات القانونية والمطانيات في قلايته. لذلك تم تخصيص المباني الغربية والجنوبية لحجرات المبتدئين، نظراً لقرها من أماكن الخدمات العامة في الدير.

(٤) يقول الأثريون أن العقد المدبب المبني بالطوب الأحمر «بجنزير من طوب على سيفه» محصور بين «جنزيرين من طوب على بطنه» ظهر في مصر في القرن التاسع، وهذا يتفق مع تاريخ ظهور أسوار الدير التي بنيت على يد البابا شنودة الأول (٨٦٥-٨٧٧ م) على أثر هجوم البربر على الدير.

و يبلغ عدد الرهبان الذين تستوعبهم قلالي النوع الأول وقلالي المبتدئين مائة وخمسة وعشرين راهباً.

(٢) المائدة الجديدة: عرف رهبان مصر آداب المائدة؛ ووضعوا لها الأصول على أعلى مستوى (٥)، بينما كانت أوروبا غارقة في ظلمة الجهل والبدائية. فالمائدة في الدير امتداد لوليمة الأغابي المعروفة منذ عصر الرسل، والتي شاعت في الكنيسة الأولى، حتى اندثرت بعد ذلك منذ وقت بعيد، إلا في مصر، حيث حافظت عليها الأديرة القبطية.

وفي عصرنا هذا، الذي نسعى فيه للإرتواء من الينابيع الأولى، أقيمت لأول مرة في الأديرة القبطية مائدة تجمع الرهبان يوماً على نفس مثال مائدة العشاء الأخير يوم خميس الفصح. فكما كان الطقس اليهودي يحتم أن يجلس رب الأسرة أو الجماعة على رأس المتكأ، وإلى يمينه أكبر أفرادها سناً، وهكذا بالترتيب إلى أن تنتهي الدورة يجلس أحد الموجودين سناً على يسار رئيس الجماعة، هكذا في مائدة الدير يتصدر الأب الروحي المائدة والصلاة؛ ويقرأ البركة، ثم عن يمينه يجلس أقدم الرهبان، وهكذا إلى أن تنتهي الدورة بأحدث المبتدئين عن يساره.

ومن خلال هذه الوليمة اليومية وتعاليم الأب الروحي وشروحاته على كتاب «بستان الرهبان» الذي يُقرأ على المائدة باستمرار، يحل الروح الواحد على الجماعة، ليكون لها الفكر الواحد والمبدأ الواحد والحياة الواحدة، للكبير والصغير على السواء. ومن خلال الصلاة وكلمة الله تتقدس حياة الراهب كما هو مكتوب: «فإذا كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئاً فافعلوا كل شيء مجد الله» (١ كو ١٠: ٣١).

وقد ألحق أخيراً بالمائدة مطبخ حديث فسيح لإعداد الطعام لما يربو على ١٥٠ راهباً، في فترة وجيزة وبأقل جهد ممكن، لما فيه من معدات حديثة. ويتكون هذا المطبخ من صاليتين كبيرتين: الأولى للإعداد والتجهيز، بها ثلاجة لحفظ الأطعمة، والثانية للأفران وطهي الطعام.

(٣) المكتبة: كان لها في الأديرة شأنٌ كبير، وبالأخص دير القديس أنبا مقار الذي اقترنت فيه التقوى والقداسة مع العلم والمعرفة، حتى قيلت فيه هذه العبارة البليغة: «إنه موطن الصلاة الدائمة والحكمة العالية» (٦). لذلك أقيمت فيه أكبر مكتبة ديرية لحفظ ما تبقى من مخطوطات (٧) أفلتت من أيدي الهواة والسارقين الأفاضل. كما نجتهد منذ ثلاث عشرة سنة حتى الآن للحصول على ميكروفيلم وصور للمخطوطات الهامة التي تسربت إلى الخارج حتى تكون في متناول يد أصحابها

(٥) من تعاليم أنبا إشعيا الإسقيطي للمبتدئين (وهو من آباء القرن الخامس العظام): «إذا جلست على المائدة مَدَّ يَدَكَ إِلَى مَا هُوَ قَدَامَكَ فَقَطِّعْ... لَا تَنْتَفِطْ هُنَا وَهَنَّا وَلَا تَتَكَلَّمْ كَلِمَةً فَارِغَةً... إِذَا شَرِبْتَ الْمَاءَ فَلَا تَدَعِ حَلْقَكَ يُحَدِّثُ صَوْتًا».

(٦) كلمة مأثورة لساو بريس بن المقفع الأسقف الأشمونين في القرن العاشر في تاريخه عن بطاركة الكنيسة المصرية.

(٧) سينشر الدير قريباً كتالوج المخطوطات القبطية والعربية والحشية التي بقيت في الدير.

الرهبان الراغبين في البحث والإطلاع، لأن وجود مطبعة حديثة بالدير سييسل نشر هذه المخطوطات لتعريف العالم، والشعب القبطي خاصة، بالتراث الروحي واللاهوتي والطقسي الذي كان وما زال تعيش عليه كنيسة مصر.

المتحف: وهو ملحق بالجهة البحرية من المكتبة حيث تُعرض القطع الرخامية التي عُثر عليها أثناء تجديد الدير مثل الأعمدة والتيجان والقواعد ولوحات المذبح التي تعتبر من أندر القطع في العالم كله، مع أحواض اللقآن والآنية الفخارية والخزفية الملونة.

(٤) المطبعة: تمكن الدير بتعصيد الغيورين على نشر الثقافة القبطية المسيحية من إقامة مطبعة بها أحدث الماكينات وتشغل الدور الأرضي من المبنى الغربي. وهذا يشمل غرفة متسعة مكيفة الهواء لآلة الجمع والتصويري المزودة بذكرة إلكترونية، وذات إمكانية لجمع وتصوير النصوص إلى ثماني لغات، بالإضافة إلى الآلات الهامة التي تستلزمها الطباعة اليوم خاصة طباعة الأوفست وآلات التطبيق والتدريس والقص.

و يشرف على جميع هذه العمليات رهبان برعوا في إدارة ماكيناتها الحديثة.

وقد صدر عنها ما ينيف على ٨٠ كتاباً، منها الأحجام الكبيرة التي تزيد صفحاته عن ٨٠٠ صفحة (كتاب القديس أثناسيوس الرسولي)، بالإضافة إلى مجلة الدير الشهرية «مرقس» التي تعبّر عن رسالة الفكر المسيحي الذي ينبغي أن يكون للشباب والخدام، وقد أضيف إليها مقال مترجم بالإنجليزية بصفة دائمة لمنفعة آلاف الأسرات القبطية في المهجر.

(٥) مباني الضيافة: التزامنا بالفصل الكامل بين أماكن الزائرين وبين قلالي الرهبان جعلنا نخصص الناحية الغربية البحرية لإستقبال الزائرين. وتشمل هذه الجهة كل المباني الملاصقة للمدخل الرئيسي، وتتكون من صالات فسيحة بالدورين الأرضي والأول تتسع كل منها لمائتي زائر. أما المجموعات التي تزيد على هذا العدد فقد أقيمت لها صالة كبيرة على اليمين في فناء الكنائس أسفل السلم الرئيسي الهابط إلى هذا الفناء.

ومن الأمور الملفتة التي تشير إلى أصالة المعرفة الروحية في دير أنبا مقار أن بدأ يفد علينا الكثير من رهبان بل ورؤساء أديرة الغرب، للتعرف على الخبرات الروحية التي هي في واقعها مجرد إحياء لتراث الأقباط الأولين. وهؤلاء أيضاً خُصصت بعض القلالي في منطقة الضيافة التي لا تزيد في مكوناتها عن قلالي الرهبان الأخرى.

(٦) مبنى المستشفى وملحقاته: وموقعه في المباني القبليّة من الدير. وهو تحت الإنشاء ويتكون من غرفة كبيرة للجراحة وأخرى للتعميم، وصيدلية كاملة بمعمل تحليل وعيادة أسنان وعيون، يشرف عليها أطباء متخصصون وصيادلة من الرهبان.

ونأمل، بعد استكمال تأثيثه وتزويده بالأجهزة الطبية الحديثة وسيارة إسعاف، أن نقوم بواجبنا الإنساني في نجدة المصابين من خارج منطقة الدير.

(٧) **محطة الكهرباء والتشعيع:** أقيمت خارج الدير لآلات توليد الكهرباء، وألحق بها محطة كاملة لتموين معدات الدير بالبتروول. كما تحوي أماكن إقامة الرهبان المسؤولين عن تشغيلها مع الفنيين المساعدين لهم.

(٨) **مباني المزرعة:** يرى الزائر إلى الشمال الشرقي من الدير مجموعة مباني تفتersh مساحة تزيد عن عشرة أفدنة خاصة بالورش والجراشات لمعدات الدير (سيارات نقل — جرارات زراعية — لوادر — بولدوزرات... إلخ)؛ كما تضم حظائر المواشي والدواجن والأغنام، وما يلزمها من مخازن أعلاف جاهزة ومصنّعة وصلالات تصنيع المنتجات الزراعية والألبان.

(٩) **مباني العمال الزراعيين:** أعد الدير قرية عمالية كاملة على أسوار الأرض الزراعية في الناحية البحرية، وهي المباني التي يراها الزائر عند قدومه من البوابة الخارجية. وتستوعب هذه المساكن ٥٠٠ عامل زراعي لمباشرة الزراعات المحيطة بالدير بما يلزمهم من مطابخ وأفران ومخازن وعيادة طبية وصيدلية. وسيخصص الدور العلوي منها للفنيين والصناع المهرة كما سيتم تزويدها بالكهرباء والمياه.

(١٠) **مباني الدير على الساحل الشمالي طريق الإسكندرية — مرسى مطروح ك ٦٩:** يمتلك الدير حوالي ٣٠ فداناً في هذه المنطقة التي تمتاز بجمال الطبيعة الرائع بين مياه راقية بلونها الأزرق اللازوردي ورمال بيضاء ناصعة.

وقصة هذه الأرض ترجع إلى عشرين سنة مضت حينما كنا نعيش في وادي الريان، فواجهتنا في السنة الأولى مشكلة المياه المالحة الملوثة. فاتجه التفكير إلى البحث عن مكان آخر تتوفر فيه العزلة والمياه الصالحة للشرب، فأرشدنا أصحاب العلم والفضل إلى الساحل الشمالي وتحركت السيارة من الإسكندرية على هذا الطريق وفيها الأب متى المسكين يتأمل الشاطئ والطبيعة حتى جذبته هذه البقعة بهدوئها الأخاذ. وتم التعاقد مع صاحبها، وبدأنا إقامة المباني المناسبة. ولكن للأسف أوقفت المباني بإيعاز من المسؤولين، لذلك اكتفينا بإحاطتها بحزام أخضر من أشجار الكازورينا، وأقمنا مروحة هوائية على بئر المياه لترفعها وتروي بعض الأشجار.

فلما شاءت إرادة الله وزالت الموانع التي تحول دون البناء على هذا الساحل، أنشأنا عدة مباني على المنحدر الطبيعي المواجه للبحر لاستغلالها لخلوة الرهبان الذين يرى الأب الروحي حاجتهم للإقامة هناك فترة محددة.

وفي ختام هذا الفصل عن أعمال البناء والتجديد والترميم، نقول أن العمل ليس في حد ذاته غاية نبلغها ونرتاح عندها، بل وسيلة نافعة لنمو الراهب الروحي. فالذي عزم في قلبه أن يعيش حياة الكمال المسيحي يدرك منذ اللحظة الأولى لدخوله الدير أنه قدم من عالم الجسد والخطيئة، حاملاً في جنباته ميراث المجتمع والأسرة والجسد والملذات التي تتصادم جميعاً مع متطلبات الكمال. فالعمل الجاد يكشف تزييف النفس ويعرها من غطاء البر الذائق، والراهب الحكيم يتعلم كل يوم من أخطائه وخطاياها كيف يتقدم نحو الكمال المسيحي. ومن خلال تعرف الراهب على ضعفاته يتيسر للأب الروحي أن يقوّم و يصحح، فتزداد المعرفة لحساب الله والعمل معاً.

وهكذا فالعمل ليس غاية للراهب بل وسيلة فعالة للتغيير المتواصل لبناء النفس بناءً سوياً ومشاركة حية في أعواز الآخرين.



شاهد حجري يمثل صليب قبلي مفرغ يرجع إلى القرن السادس/السابع
[المتحف البريطاني في لندن]

مكتبة دير القديس أنبا مقار وتاريخها على ممر العصور

كلمة «مكتبة» عُرفت باللغة القبطية لدى الرهبان الأقباط باسم «الوولثاكي»^(١)، حيث حرف **Ⲫ** ينطق «واو» باللهجة الصعيدية. وتُكتب **Ⲫⲃⲧⲗⲓⲟⲑⲏⲕⲏ** حيث «بيبلو» = كتاب، و«ثيكي» = دولاب.

العصور المبكرة: مكتبة الكنيسة:

بدأت مكتبة دير أنبا مقار بطبيعة الحال بدولاب صغير داخل الكنيسة يحوي كل كتب القراءة. والدولاب كان يسمى **θυρίδες**، ولم يُعرف الدولاب بوضعه المستقل الحالي بل كان عبارة عن طاقة في الحائط طويلة لها ضلفتان وبها رفوف تُرصُ فوقها الرقوق. والمخطوط كان يسمى بالقبطية واليونانية «طومس» **τόμος**. أما كتب القراءة في الكنيسة فكانت تشمل منذ البدء كافة الكتب المستخدمة الآن، إنما كلا منها على حدة، بترتيب مبسط نوعاً ما، فكان يوجد — بحسب ما تحققنا من روايات سارقي المخطوطات — مخطوطات تحوي الأناجيل قائمة بذاتها ومخطوطات تحوي الأسفار الخاصة بالعهد القديم فقط ومخطوطات خاصة بالرسائل^(٢).

ومن أمثلة ذلك ما يذكره إقليد هوأيت عن مخطوطة الأسفار الخمسة التي كانت تستعمل في الكنيسة وهي محفوظة الآن بمكتبة القاتيكان^(٣) في قسم المخطوطات القبطية، كذلك وبحوار هذه المخطوطة تماماً في نفس مكتبة القاتيكان مخطوطة أخرى لدير أنبا مقار تشمل سفر المزامير بأكمله ونشيد الأنتشاد وعليها آثار الخدمة في الكنيسة (نقط شمع وزيت وخلافه)^(٤) وهي من القرن العاشر.

ومن أعجب المخطوطات التي كانت في حيازة مكتبة دير أنبا مقار مخطوطة للمزامير مكتوبة بست لغات على ستة أنهر قبطي وعربي و يوناني وأرمني وحبشي وسرياني، ولعلها كانت تخرج في

(1) See Zoëga cat., No. XLIV, p. 66.

(2) Hist. Patr., p. 469.

(3) Cod. Vatic. copt. I.

(4) Cod. Vatic. copt. V.

المناسبات عند وجود رؤساء دينيين أجانب، فتقرأ الفصول بلغتهم جنباً إلى جنب مع قراءة القبطي. وهذه المخطوطة الثمينة دُعيت باسم «مزامير البربريني» وهو الشخص الذي وقعت من نصيبه في عملية نصب ضاعت فيها معظم مخطوطات الدير، لأن المركب التي أقلت بالصفقة المسروقة وقعت في شرك قراصنة البحر؛ وأخيراً ظهر المخطوط في يد رئيس فرسان فرقة القديس يوحنا بالطة الذي قدمه هدية إلى الكردينال بربريني^(٥).

ومن عينة مخطوطات الأناجيل التي كانت تستخدم في الكنيسة المخطوطة التي سرقها هنتنجتون Huntington وهي موجودة الآن في مكتبة البوديليان^(٦).

ومن عينة مخطوطات الرسائل، المخطوطة «الجميلة» التي رآها «طاطام» Tattam سنة ١٨٣٩ م وتعذر عليه شراؤها ولا نعلم مصيرها بعد ذلك.

وبجوار الأسفار المقدسة بعهدتها القديم والجديد، كانت مكتبة الكنيسة بطبيعة الحال تحوي بعض الخولاجيات التي رأى منها طاطام مؤخراً «مائة» مخطوطة بالمكتبة^(٧).

وإن كانت هذه المخطوطات تحمل تواريخ متأخرة مثل القرن العاشر مثلاً إلا أن كلاً منها عبارة عن نسخة منسوخة من نسخة أقدم منها كانت مستخدمة في الكنيسة ولكن بالإستخدام المتواتر صارت غير صالحة للإستعمال داخل الكنيسة^(٨).

كذلك من الكتب الكنسية التي كانت مخصصة للخدمة داخل الكنيسة فقط القطمارسات الضخمة التي تخدم فصول السنة والمناسبات المختلفة، ويفيدنا الرحالة روبرت هنتنجتون أنه رأى منها في المكتبة سنة ١٦٨٢ أربعة أجزاء ضخمة تخدم قراءات السنة كلها باللغة القبطية، وهذه أيضاً لا نعلم مصيرها الآن.

وهذه القطمارسات تمثل بداية العصر الكنسي الذي فيه اختزلت كثرة استخدام الكتب المتنوعة من العهد الجديد والقديم والرسائل والمزامير كل على حدة، فجمعت منها الفصول حسب ترتيبها وأودعت مجلداً واحداً دعي بـ «القطمارس» لتسهيل القراءة.

وهكذا نعتقد أن الكتب الكنسية كانت هي المصدر الأول الذي منه بدأت ذخيرة مكتبة الدير، كما ظلت الكنيسة مصدر تغذية دائمة للمكتبة على مدى العصور سواء بما كان يُقرأ فيها ويتقادم عهده أو ما كان يُهدى إليها من البطاركة والأساقفة.

(5) See the original documents: Nau P.O.X. p. 217.

(6) Bod. Lib. (Hunt 17) described by Horner.

(7) Ev. White, I, XL.

(8) Ev. White, I, XXX.

كما أن المعتقد أن موضع المكتبة كان في البداية داخل الكنيسة وفي عهدة كاهن الكنيسة باعتبارها المبنى المركزي الوحيد الذي يمكن أن تحفظ فيه الكتب.

عصر المكتبات الفردية في قلالي الرهبان:

وهذا يمثل المصدر الثاني الثمين الذي كان ولا يزال يغذي المكتبة منذ أول يوم حتى الآن، فكل ما يقتنيه الراهب من الكتب كان يوقفه بعد موته على مكتبة الدير.

وكانت هذه الكتب تُحفظ أيضاً في طاقات ذات ضلف داخل الحيطان في القلاي، ونحن نذكر ما قاله القديس سراييون الكبير لما دخل قلالية أحد الرهبان فوجد طاقة (خزانة) الكتب ملانة فأنبه ربما لكونه من محبي القنية: [لقد أخذت قوت الأرامل واليتامى وملأت به دولابك... لأنه رأى الدولاب ملاناً كتباً]^(٩).

كما نذكر أيضاً ما قيل للأخ الذي نسخ لنفسه جميع أسفار العهد القديم والجديد: [لقد ملأت الدواليب ورقاً]^(١٠)، لأن أسفار العهد القديم والجديد إذا نُسخت في مخطوطات على الرقوق فحتماً تملأ عدة طاقات!! وكان معظم الآباء ينسخون لأنفسهم أقوال الآباء التي يسمعونها، فنحن نقرأ في سيرة كل من إشعياء الإسقيطي ومقار يوس الكبير كيف جلس الأب إشعياء يسجل بالكتابة حواراً كان يدور بين إخوة رهبان جاءوا لزيارة القديس أنبا مقار وكانوا من أديرة ظاهر الإسكندرية، [وكان معظم رهبان أديرة ظاهر الإسكندرية يتقنون اليونانية ومحبين للعلم والمعرفة واقتناء الكتب].

إذن فهذه هي بداية الأپوفثجماتا پاترم التي كانت أولاً عبارة عن عمل فردي يقوم به الراهب من أجل منفعة نفسه قبل أن تظهر المجموعات الكبيرة. كما نعلم أن الرهبان كانوا ينسخون لأنفسهم الخطابات الدورية التي كان يرسلها الآباء البطاركة وبالأخص خطابات البابا أثناسيوس والبابا كيرلس الفصحية^(١١).

كما كان يحتفظ كثير من الآباء بكتب القديس أثناسيوس اللاهوتية، مثل شيشوي الذي كان يحاجج بها الهراطقة^(١٢).

وقد ابتدأ الآباء الرهبان النشطاء منذ بداية العصر الرهباني في شيهيت في كتابة سير الآباء القديسين بعد نياحتهم مباشرة، كما فعل الشماس بيشوي القسطنطيني (الذي كتب سيرة

(9) Sarapion II.

(10) R.O.C. XVIII.

(11) Cassian Collationes X, 2.2.

(12) Apoph. Patr., Sisoës, XXV.

القديسين مكسيموس ودوماديوس في مخطوط على ورق بردي واستودعه خزانة الكنيسة) (١٣).

علماً بأن النساخة كانت في حد ذاتها صناعة رهبانية يقتات منها الرهبان، أو يمارسون من وراثتها أعمال المحبة بإهداء الكتب للكنيسة أو المعلمين الكبار. ومن النساخ المشهورين الذين اشتهروا بالخط المليح مرقس تلميذ سلوانس (لعله مرقس الناسك المشهور)، وأوغريس الذي برع في الخط المعروف باسم خط أوكسيرينكوس (١٤). (أي الهنسا) وغيرهم.

أول ذكر لعصر المكتبات المستقلة:

كانت الغارات الكثيرة التي نزلت على شيهيت سنة ٤٠٧ م وسنة ٤٣٤ م وسنة ٤٤٤ م من العوامل التي أخرجت وأضرت بتأسيس مكتبات مستقلة في شيهيت، كما تسببت في ضياع مخطوطات ثمينة لا حصر لها.

ونقرأ في حاشية إحدى المخطوطات التي خطها بيثوي الشماس القسطنطين لسيرة مكسيموس ودوماديوس أن إيسيدوروس بعد هجوم البربر حمل معه هذه المخطوطة إلى الإسكندرية — وبالطبع مخطوطات أخرى كثيرة — واستودعها في بيت الضيافة.

إذن فعظم مخطوطات نتريا وشيهيت كانت تُحمل إلى الإسكندرية وتُحفظ في بيت الضيافة إلى أن تعبر أزمنا الإضطراب، ومن يدري إن كانت تعود أو لا تعود! ولكن تقول الإشارة الواردة في هذه المخطوطة أن هذا الكتاب أعيد مرة أخرى بيد الشماس أستاثيوس إلى راهب من شيهيت وذلك في زمان البطريرك ميخائيل.

أما من هو إيسيدوروس هذا فلا نعرف، ويُستبعد أن يكون القس إيسيدوروس قس شيهيت المشهور الذي مات قبل غارة البربر الأولى، وكذلك من هو البطريرك ميخائيل فلا نعرف. ولكن يُظن أن هذه الإشارة تتعلق بالغارة الأخيرة سنة ٨١٧ م وأن المخطوطة أُعيدت في زمن أنبا ميخائيل الثاني سنة ٨٥٠ م (١٥).

وتفيدنا مخطوطة أخرى سر يانية عن بداية تكوين مكتبات مستقلة بالأديرة وهي المخطوطة التي استولى عليها «السمعاني» أمين مكتبة الفاتيكان من دير السريان، ومكتوب في حاشيتها الأخيرة هكذا: [هذه المخطوطة اشتريت في يوم ٣٠ من شهر تموز (يولية) في سنة اليونانيين ٨٨٧ =

(13) Morgan. Life of Max. & Domed. (Cauwenbergh p. 71).

(14) Pallad. Hist. Laus., XXXVIII.

(15) Ev. White, I, P. XXIII note.

٥٧٦ م، وذلك لحساب الدير المقدس بشيهيت، وذلك في أيام قداسة مارثيودور رئيس الدير بنعمة الله من ماله (مال ثيودور) الخاص، وقد اشتراه مع كتب أخرى لفائدة التأملات والقراءة والنحو الروحي لكل من يتصفحها. والرب الإله الذي من أجل اسمه قد صار هذا الكنز الثمين ملكاً للدير يكافئه... ولكن كل من يأخذ هذا الكتاب ليقرأه ولا يعيده إلى أصحابه (رهبان الدير) فليرت نصيب يهوذا إلى الأبد آمين].

و يقول إقليدس هوأيت أن دير السريان وقتئذ كان عبارة عن «لاقرا» أي «منشوية» صغيرة ملحقة بأحد الأديرة الأربعة، ولكن كان في حيازة هذه المنشوية كما قرأنا مجموعة كتب لمنفعة الجماعة كلها، أي «مكتبة» بكل ما في الكلمة من معنى.

وهكذا نستطيع أن نجزم أن عصر المكتبات الرسمية بدأ في كل دير من أديرة شيهيت (بل وفي كل منشوية) وذلك في بكور القرن السادس وربما قبل ذلك أيضاً.

ونحن نسمع عن بعض العلماء والرحالة في بداية القرن السابع مثل «حنان عيسو» السرياني الذي حضر إلى شيهيت وبدأ يجمع من مكتبات الأديرة كتابه المشهور «بستان الرهبان»؛ ويؤكد العلامة بطريرك (١٦) في تعليقه على بستان الرهبان أن حنان عيسو هذا اعتمد كلياً في تأليف كتابه على مخطوطة قبطية ضائعة الآن وهي في غاية الأهمية وكانت تدعى فردوس شيهيت **παραδεισος ἡ ἐν τῇ** وهذه المخطوطة ذُكرت مرتين في سيرة أنبا بسنتي (١٧)، وذُكرت أيضاً في سيرة يؤنس القصير بقلم زكريا أسقف صا ويقول أنه جمعها من الكتاب المعروف باسم «كتاب الآباء الشيوخ» **πιστωμ ἡ πηδελλοὶ** أو فردوس شيهيت، ويذكر أنه كان يحوي أعمال الآباء والآمهم، وكان كتاباً هاماً ومشهوراً، وهو يقابل كتاباً آخراً نسمع عنه ولا نعرف عنه شيئاً بعد ويسمى «فردوس نتريا» (١٨).

أما في دير أنبا مقار فيعتقد أن مكتبته بدأت مبكرة جداً، أولاً بسبب رعاية الملك زينو المفاجئة للدير، وقد نقل إلينا المؤرخ جورجي تلميذ البطريرك سمعان الأول (٦٨٩—٧٠١) وكاتب سير البطارقة (كيرلس الأول — ألكسندر الثاني) عن وجود رسالة من الملك زينو محفوظة بمكتبة الدير مع مجموعة كبيرة جداً من رسائل البطريرك أنبا بطرس الثالث (٤٧٧—٤٨٩ م) (١٩)، ولا تزال توجد مخطوطة بالفاتيكان تحمل هذه الحقيقة (٢٠).

(16) Butler, Laus. H., I, 85.

(17) Amélineau, Life of Pisenti, (Memoire de L'inst. Egypt, II, 339, 363).

(18) Crum, Coptic Ostraca, No. 250, C.P.P. 63.

(19) Ev. White, I, p. XXIV, note.

(20) Cod. Vatic. Copte LXII, 4.

كذلك يعزى ازدهار مكتبة دير أنبا مقار في عصوره المبكرة إلى التجاء البطارقة إليه أثناء النزاع الأريوسي والخلقيدوني وانتقال كرسي البطريركية من الإسكندرية واستقراره في هذا الدير مدداً طويلاً. ومعروف أن البطريرك كانت عليه أعباء تعليمية للشعب وأعباء لاهوتية لمواجهة الهرطقة، فلا بد أن معظم المخطوطات الثمينة التي كانت بمكتبة الإسكندرية والمعتبرة كمراجع لاهوتية انتقلت إليه واستقرت في مكتبته. كما أن نسخاً من المؤلفات التي كتبت فيه ظلت محفوظة بمكتبته، وذلك كما قلنا منذ بدء النزاع الأريوسي وهروب أنبا أثناسيوس واختبائه بين الرهبان حيث كان يكتب رسائله ويبحثها مع رسله لجميع الأساقفة. كذلك أيام أنبا بنيامين الذي كان يتصل بالشعب بواسطة هذه الرسائل أيضاً في أيام اختبائه، وأنبا ساو يرس الذي لا تزال بعض مقالاته منسوخة ومحفوظة بشيبيت، كذلك أنبا بنيامين الذي حضر إلى الدير لتكريس هيكله إذ نسمع منه وهو يخاطب أغاثون تلميذه: [أحضروا (من المكتبة) الكتب اللازمة للتكريس] (٢١).

ومجيء العرب إلى مصر وحصول الأديرة على عهد الأمان والتعمير، بدأت تسترجع المكتبة شأنها.

ونتحقق من الأخبار الواردة بكتاب تاريخ البطارقة أنه في أيام البطريرك سمعان الأول (٦٨٩-٧٠١م) قام تلميذه المدعوجورجي بتجميع سير البطارقة من عهد كيرلس الكبير عمود الدين حتى ألكسندر الثاني سنة ٧٣٠م، وتقول المخطوطة أنه قام بذلك العمل في [جبل] دير أنبا مقار بوادي هيب [٢٢]. إذن فالمكتبة وقتئذ كانت قد أصبحت حاوية لكل المراجع والتواريخ اللازمة لتصنيف مثل هذا الكتاب الكنسي الهام.

ونسلم في القرن الحادي عشر بوجود هذه المخطوطة في دير نيبا بالجيزة (بيرامي)، ويظن أن الرهبان حملوها معهم أثناء غارة البربر في بداية القرن التاسع سنة ٨١٧م، ولا تزال بعض ورقات منها محفوظة بالمتروبوليتان بأمر يكا (٢٣) ومصورة بكتاب إقليد هويت لوحة رقم ٨. ويعتقد إقليد هويت أن حدوث الغارة الخامسة سنة ٨١٧م كان كارثة على مكتبة دير أنبا مقار، إذ أن معظم مخطوطاتها أُلِّف أو تمزق أو حُمِل بواسطة البربر، والقليل الذي نجا حمله الرهبان إلى دير نيبا بالجيزة، لذلك أصبح بعد ذلك من الصعوبة بمكان أن يعثر الباحث في المكتبة على مخطوطة يعود تاريخها إلى ما قبل القرن التاسع.

(21) Hist. of Patr., p. 243.

(22) Ibid., p. 344.

(23) Ev. White, I, XXIV, 164, pl. No. VIII.

العصور الوسطى:

بدأت المكتبة تستعيد مجدها الأول بسرعة بسبب إقامة البطارقة فترات طويلة بالدير خصوصاً أيام الصوم الكبير وأسبوع الآلام للصلاة والخلوة والدراسة. ولما كان حضور البطريرك للدير يكاد يكون إجبارياً بعد رسامته في الإسكندرية مباشرة كان من الحتمي أن يكون الدير، وبالأخص مكتبته، على درجة ملائمة لهذا الوضع.

وترتب على وقوف الدير بمثابة موقف الرقيب على العقيدة الأرثوذكسية وعلى طقوس الصلوات كما عرفنا في الأبواب السابقة، وجود رهبان مقتدرين في المعرفة اللاهوتية والطقسية، ونسمع بالفعل عن تأليف الكتب وترتيب الطقوس وإعادة اختزالها لتناسب الحياة العملية للمؤمنين في العالم.

كما ترتب على اختيار ورسم البطارقة والأساقفة من رهبان دير أنبا مقار بكثرة، إلى ازدياد غيرة الرهبان فيه على التعليم والتأليف والتضلع في اللغات، وهذا بدوره نشط صناعة النسخة التي اختصت بها بعض المنشويات.

وقد ظل دير أنبا مقار، كما يقول إقليد هويت، طوال العصور الوسطى الدير الأول بين كافة الأديرة وكان محسوباً مكاناً لكرسي البطريركية جنباً إلى جنب مع الإسكندرية!!

والدليل المادي على كل هذه الحقائق مجموعة المخطوطات القبطية التي خرجت من الدير في هذه العصور الوسطى واستقرت في مكتبات العالم كله وبالأخص مكتبة الفاتيكان. وعلى سبيل المثال فقط نقدم أسماء بعض هذه المخطوطات الموجودة حالياً بالفاتيكان:

ملاحظة: المخطوطات كلها باللغة القبطية وباللهجة البحرية:

- ١ - «نقل جسد أنبا مقار» تاريخ النسخة ٨٣٠م أجزاء.
- ٢ - «استشهاد يعقوب الفارسي» تاريخ النسخة ٨٨٤م بقلم قرياقس (كيرياك) ابن الشمس استاوروس (صليب).
- ٣ - سيرة أرخيلوس الذي من نيابوليس وميمر على رئيس الملائكة جبرائيل. التاريخ والنسخ مثل سابقه.
- ٤ - استشهاد مكار يوس الأنطاكي. تاريخ النسخة ٩١٤م بقلم يعقوب ابن يونس كاما.
- ٥ - سيرة موسى الذي من بلدة القفط، مديح لبسنتي الذي من قفط. تاريخ النسخة ٩١٨م بقلم يعقوب ابن يونس كاما.
- ٦ - استشهاد اسحق الدفراوي تاريخ النسخة ٩٢٥م النسخ ثيودور بأمر رئيس الدير ابراهيم القلتي.

٧ - ميمر على الثلاثة فتية بقلم كيرلس عمود الدين. تاريخ النسخة سنة ٩٣٣م.

- ٨ - استشهاد القديس مار جرجس . تاريخ النساخة ٩٥٦ م .
- ٩ - مديح لمقاريوس أسقف اتكاو بقلم ديسقورس . تاريخ النساخة ٩٥٧ م . الناسخ ثيودوسيوس بن منياس قس المنشوية الكبرى .
- ١٠ - على الثلاثة بطاركة (ابراهيم واسحق ويعقوب) بقلم البابا اثناسيوس . تاريخ النساخة ٩٦٢ م . (راهب من دير القديس أنبا مقار لا يذكر اسمه في زمن بطريكية أنبا خائيل) .
- ١١ - نياحة الثلاثة بطاركة . تاريخ النساخة ٩٦٢ م .
- ١٢ - مقالة عن الحياة الرهبانية للقديس باسيلوس أسقف قيصرية . تاريخ النساخة ٩٦٢ م .
- ١٣ - سيرة أنبا نوفر بقلم بافتوتيوس . تاريخ النساخة ٩٧٩ م . الناسخ جبرائيل الشماس .
- ١٤ - استشهاد ثيودور المشرقي ، نصف ، تاريخ النساخة القرن العاشر .
- ١٥ - ميمر على ذبح اسحق للقديس غريغور يوس النزيني ، وتحوي إشارة مؤرخة ٩٩٥ م . تاريخ المخطوطة القرن العاشر .
- ١٦ - ميمر على الفقر للقديس غريغور يوس النزيني ، تحوي إشارة مؤرخة سنة ١٠٢٥ م . تاريخ النساخة القرن العاشر .
- ١٧ - استشهاد يوسابيوس ، تحوي إشارة مؤرخة سنة ١٠٢٥ م . تاريخ النساخة القرن العاشر .
- ١٨ - استشهاد القديس لوقا . تاريخ النساخة القرن العاشر .
- ١٩ - حياة القديس أنبا مقار الكبير . تاريخ النساخة القرن العاشر .
- ٢٠ - مديح للأنبا ماكروبيوس بقلم منياس . تاريخ النساخة القرن العاشر .
- ٢١ - سيرة سمعان الذي من بين النهرين . تاريخ النساخة القرن العاشر .
- ٢٢ - سيرة يوسف النجار . تاريخ النساخة القرن العاشر .
- ٢٣ - مديح للأنبا بطرس (خاتم الشهداء) بقلم ألكسندر . تاريخ النساخة القرن العاشر .
- ٢٤ - استشهاد أنبا بطرس خاتم الشهداء . تاريخ النساخة القرن العاشر .
- ٢٥ - عظة للقديس يوحنا ذهبي الفم . تاريخ النساخة القرن العاشر .
- ٢٦ - تاريخ حياة يوسف النجار . تاريخ النساخة ١٠٦٧ م .
- ٢٧ - سيرة حياة اسحق الدفراوي . تاريخ النساخة ١١٣٥ م .
- ٢٨ - استشهاد يوحنا Phanidjoit بقلم القس جرجس . تاريخ النساخة ١٢١١ م . الناسخ بطرس بن أبو الفرج .
- ٢٩ - استشهاد يوحنا وسمعان ، به رسم يد لبعض الحيوانات موقع عليها اسم داوود المصور (و يظهر أنه كان ماهراً في رسم الحيوان ولذلك دُعي باسم Zoographos) . تاريخ النساخة القرن الثاني عشر أو الثالث عشر .
- ٣٠ - سيرة يونس كاما بقلم بولس قسيس كنيسة أنبا شنودة بمنشوية أجيح (دير أنبا مقار) .

والقصد الأساسي من توضيح أسماء هذه المخطوطات ليس فقط الإستدلال على نهوض النساخة في القرن التاسع والعاشر بدير أنبا مقار بصورة نشطة وجادة في كافة الاختصاصات الروحية والتاريخية والرهبانية ، بل نقصد أيضاً وبالأساس رفع مظلمتنا لدى رؤساء ومديري هذه المكتبات بالفاتيكان وغيرها التي استقرت فيها هذه المخطوطات أن يعيدوا إلينا ولو صورة ميكرو فيلم لهذه المخطوطات ، فقد آن الأوان لأولاد دير أنبا مقار أن يستعيدوا ميراث آبائهم ، يدرسوه وهم خير من يدرسوه ، وينشروه وهم خير من ينشروه ، وأخيراً يعيشوه وهم يعيشوه .

مشكلة اللغة في القرن الثالث عشر وصعوبة النهوض بالمكتبة :

وما أن طلع القرن العاشر والحادي عشر على الحياة الرهبانية في شبيث حتى اصطدم الرهبان بحقيقة مرة وهي بدء اضمحلال اللغة القبطية وضعف التخاطب بها بل وبدء دخول الأمية حتى بين الرؤساء ، وأنها لمصيبة عظيمة لا يمكن تعويضها ! وكلنا يذكر ذلك البطريرك الذي لم يجروا أن يذهب إلى دير أنبا مقار حسب عادة البطاركة في الرسامة ، وذلك بسبب عدم معرفته لقراءة الإنجيل باللغة القبطية ، فاضطروا أن يحضروا له معلماً ليدرسه اللغة (أنظر ص ٤٧٨) .

إن الكوارث والمصائب التي منيت بها الحياة الرهبانية في شبيث على يد البربر خمس مرات وتخريب الكنائس والمنشوبات والمكاتب وحرق المخطوطات ونهبها لم يؤثر في الحياة الرهبانية ، كما يظن المؤرخون ، بقدر ما استبدت بهم الأمية الفكرية واللغوية بالرهبنة القبطية !!

مصيبتان كبيرتان أحاقتا بالرهبنة القبطية : الأولى مجمع خلقيدونية الذي على أثره انعزلت الكنيسة القبطية عن العالم الخارجي وتوطدت بواسطته العداوة المرة بين الأقباط والروم . فأثرت تلك العزلة وأثرت تلك العداوة المرة على الثقافة الفكرية واللغوية في المعرفة الروحية والكتابية على وجه الخصوص لدى الأقباط بسبب انقطاع الصلة باللغة اليونانية المعبرة لغة الكتاب المقدس ولغة الآباء ولغة اللاهوت ولغة الإنفتاح على العالم الخارجي كما يقول المثل المشهور : إن كل من لا يتكلم اليونانية فهو بربري .

أما المصيبة الثانية وهي أثقل من الأولى أن يفقد الأقباط وللمرة الثانية لا التكلم باليونانية بل التكلم بالقبطية ذاتها ... لقد فقد الأقباط لغتهم الأصلية بدخول العرب في مدى قرون قليلة . وهكذا نستطيع أن نشبه الأقباط بعد أن تركوا لغتهم برجل بلغ حد الرجولة وتعلم على يد أعظم الحكماء فصار أحكم زمانه كله ، وفي ليلة من الليالي السوداء نام ثم استيقظ وإذا به نسي المعرفة بل نسي الكلام بل نسي حروف الهجاء ذاتها وأسماء المسميات فأحضروا له عريفاً من الكنيسة يعلمه الألفاظ ويتكلم بها من جديد أباً أمأ !!

وعلى القارىء أن يتصور جيلاً ينشأ غرباً عن كل ذخائر مخطوطاته، مقطوع الصلة بآبائه ومعلميه وفكر كنيسته ولاهوتها!! وإلى متى؟؟ حتى اليوم، حتى اليوم!!

ولكن إرادة الروح والحياة لدى الرهبان لم تستسلم لمصائب الزمن إذ بدأت تدب فيهم قليلاً قليلاً روح الأمل لملاحقة الماضي، فابتدأ الرهبان يترجمون المخطوطات من لغتها الأصلية إلى اللغة العربية وكأنما بدأ شعب بأكمله يتعلم من جديد كما يتعلم الطفل كيف ينطق بالحروف ويكتبها!!

ونستطيع هنا أن نقدم صورة مادية محزنة ومبكية لهذه المرحلة الحرجة التي مر فيها الرهبان الأقباط عبر هذه الأمية الطفولية. فإليك أيها القارىء بعض فقرات من كتاب بستان الرهبان حاول الأب الروحي في هذه الفترة الزمنية لأولاده الذين وقفوا بين الجهل باللغة القبطية إلا حروفها والجهل باللغة العربية إلا معانيها!! أي أنهم كانوا يعرفون الحروف القبطية ولا يفهمون معنى الكلمات، ويفهمون اللغة العربية ولا يعرفون حروفها!! فكتب لهم هذا الأب المسكين نسخة من بستان الرهبان باللغة العربية إنما بحروف قبطية!!
النص: (٢٤) (على القارىء أن ينطق الحروف القبطية بالعربية).

مقار أنبا سأل أخ
κακαρι : αα : σελ : αα

التوبة أصل لي قل
κακαρι . αα . σελ . αα

مقار أنبا له قال

κακαρι . αα αακαρι

بالمطانوه تبلغ ليس التوبة إن

αα αακαρι ληις ααλου πε μεταλοτβε

الخشبة كمثل

κακαρι αααααα

وقراءتها هكذا: أخ سأل أنبا مقارى: قل لي أصل التوبة. قال له أنبا مقارى إن التوبة ليس تبلغ بالمطانوه كمثل الخشبة... إلخ.

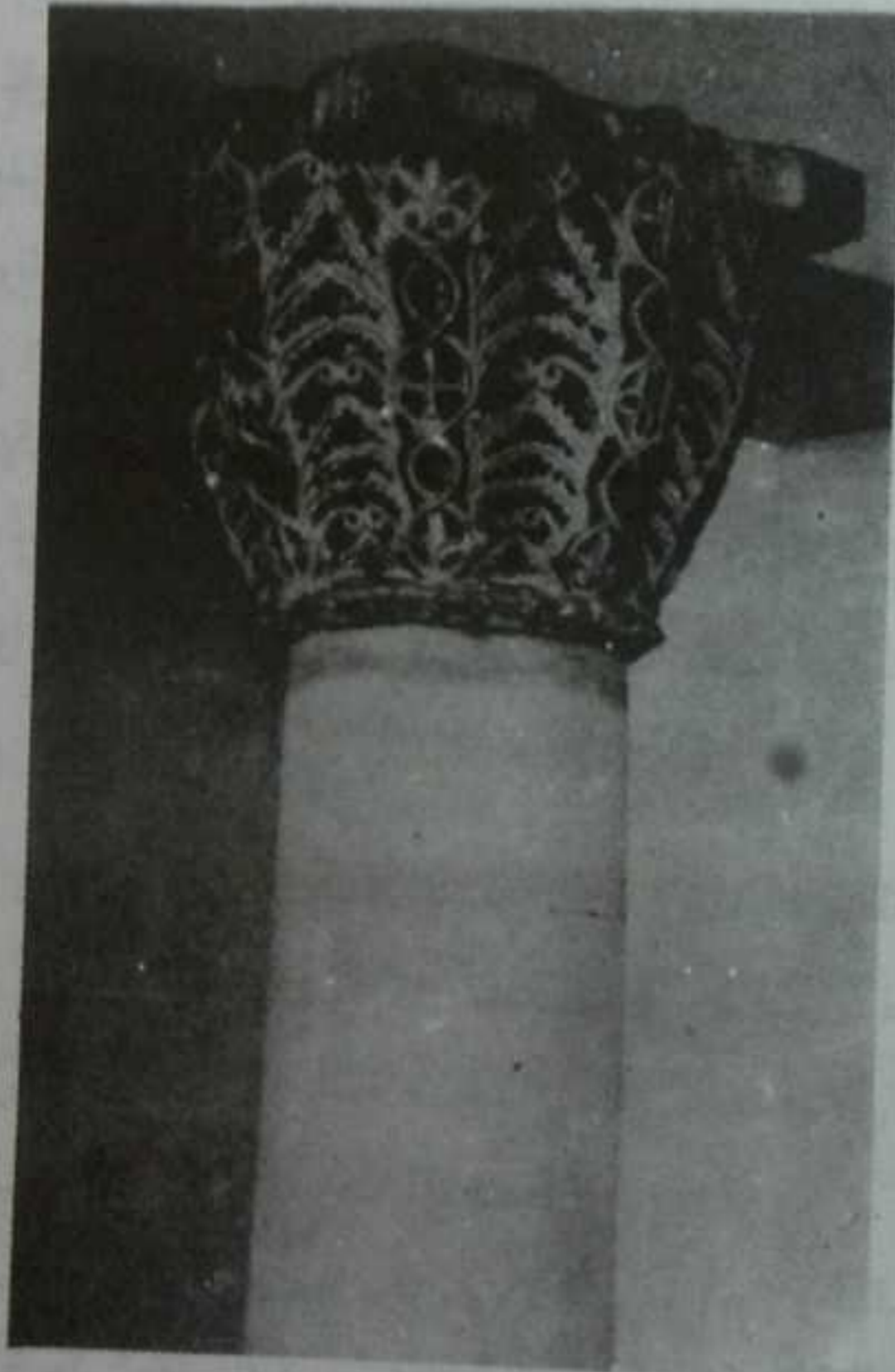
ولكن إن كانت هذه صورة محزنة للجيل الثالث عشر (زمن المخطوطة) فالصورة الآن محزنة

(٢٤) مخطوطة عثر عليها الدكتور جورجي صبحي عالم القبطيات المشهور وحققها، وقدمها للعلامة إفلين هوايت الذي نشرها في كتابه المجلد الأول ص ٢٣١-٢٦٩، وهو بحث ثمين جداً بالنسبة للذين يبحثون في أصل نطق الكلمات والحروف القبطية كما ينطق بها الأقباط تماماً. ومنها يظهر أيضاً أن نطق اسم أنبا مقاره الأصل هو مقاره أو مقار بكسر الراء.

أكثر، لأن جيل القرن العشرين لا يعرف حتى أن يقرأ الحروف القبطية!!

المكتبة مرجع أساسي للوثائق التاريخية:

بعد انعقاد لسان الرهبان عن النطق باللغة القبطية، لم تعد المكتبة بالنسبة لهم مصدر نور وعرفان، فقد فقدت المكتبة طابعها الشعبي بالنسبة للرهبان وأصبحت وقفاً على العلماء والباحثين والمنقبين.



تاج لأحد الأعمدة - مزخرف بورقة الأكانتس ذات الحفر الخفيف ترجع إلى منتصف القرن السادس
[من دير باو يبط قاعة B - معروض بمتحف اللوفر في باريس]

أولاً: مكتبة دير أنبا مقار والمؤرخ ساويرس بن المقفع (نهاية القرن العاشر وأوائل القرن الحادي عشر):

ساويرس بن المقفع أسقف الأشمونين (مركز ملوي) والمؤرخ الكنسي المعروف، أول من كتب وألف باللغة العربية؛ يذكر في المقدمة الأولى من كتابه: «تاريخ البطارقة» أنه لما أراد معرفة سير الآباء البطارقة خلفاء مرقس البشير على الكرسي الإسكندري قال عن نفسه: [وأنا ممن لا يجب له أن يكتب بخط يده البائسة الفانية شيئاً من أخبارهم، فاستعنت بمن أعلم استحقاقهم من الإخوة المسيحيين وسألتهم مساعدتي على نقل ما وجدنا منها بالقلم القبطي واليوناني إلى القلم العربي الذي هو اليوم معروف (نحن اليوم في نهاية القرن العاشر الميلادي) عند أهل هذا الزمان بإقليم ديار مصر لانعدام اللسان القبطي واليوناني من أكثرهم] (٢٥).

ثم يخبرنا هذا المؤرخ، وهو أول من فكر في جمع سير البطارقة جميعاً في كتاب واحد، أنه وجد في مكتبة دير أنبا مقار المصدر الرئيسي الذي استقى منه كل ما يلزمه في كتابة تاريخ البطارقة، وذلك من البيانات والوثائق القبطية واليونانية الغارقة في القدم. وما تعذر التعرف عليه في دير أنبا مقار، فقد وجده في الوثائق والمخطوطات المحفوظة بدير نهبيا بالجيزة. وقد سبق أن عرفنا أن دير نهبيا هذا كان الملجأ الأمين الذي كان يهرع إليه رهبان شهبث إبان الغارات والأخطار التي كانت تحرق بالدير ومعهم تراثهم من مخطوطاتهم الثمينة؛ فيقول العلامة إيفتس Evetts في تنقيحه لكتاب تاريخ البطارقة: [هذه التواريخ جمعت بمعرفة وهمة أنبا ساويرس بن المقفع... الذي يخبرنا أنه جمعها من دير أنبا مقار ودير نهبيا وأديرة أخرى] (٢٦).

ومن المؤكد أن ساويرس بن المقفع وجد في دير أنبا مقار مخطوطة جورجى تلميذ البطريرك سمعان الأول (القرن الثامن) الذي كان قد سبقه في جمع سير البطارقة الأوائل من كيرلس الكبير حتى ألكسندروس الثاني. وفي أحد التعليقات التي نصادفها في أبحاث هذا المؤرخ نعلم أن الدير كان به أيضاً بعض الوثائق القديمة جداً فهو يقول:

[وفي تاريخ البطريرك ديونيسيوس (٢٤٧-٢٦٤م) وجدت أن المخطوطة التي تختص بسيرته (٩) تقول أنه جلس على الكرسي ١٧ سنة، ولكن نسخة موجودة بدير أنبا مقار تقول أنه استمر على كرسيه سبع سنوات فقط] (٢٧).

ويعود نفس المؤرخ مرة أخرى ويشير إلى وثائق دير أنبا مقار: [أن ميخائيل الأول استمر على كرسيه الإنجيلي مدة ٢٣ سنة وذلك بحسب النص الوارد في إحدى المخطوطات بدير أنبا

(25) Hist. of Patr., Evetts, p. 4.

(26) Ibid., pp. 8, 32.

(27) Ibid., p. 93.

مقار] (٢٨).

وكذلك نعلم تماماً أن ساويرس اعتمد في تحديده لتاريخ كرازة واستشهاد مار مرقس الرسول في مصر على مخطوطة عتيقة بدير أنبا مقار، وهي بعنوان «أعمال الرسل»، وهي من ضمن كتب الأبوكريفا التي كانت محفوظة بالمكتبة والتي عثر إفلين هويت على ٣٩ ورقة مفردة منها (منقولة عن نسخة أقدم منها) داخل غرفة المكتبة التي كانت وقتئذ بالحسن بالدير، وقد اطلعنا على هذه الأجزاء الواردة من هذه المخطوطة في كتاب إفلين هويت المجلد الأول الخاصة بدخول مار مرقس الدير المصرية وكيفية استشهادها، ووجدناها فعلاً مطابقة تماماً لما أورده تاريخ البطارقة عن مار مرقس؛ وهذه الأبوكريفا جديدة بالدراسة (٢٩).

كذلك من المؤكد أن ساويرس بن المقفع اعتمد كلية على المخطوطات المحفوظة بدير أنبا مقار في تسجيل كل الحوادث التي حدثت في زمن بطريركية أنبا بنيامين الأول (٣٠). كذلك أيضاً اعتمد ساويرس بن المقفع في تسجيل حوادث بطريركية أنبا اسحق (٦٨٦-٦٨٩م) على السيرة التي صنفها عنه أنبا مينا أسقف بشادي (نيقيوس) باللغة القبطية وكانت محفوظة بمكتبة دير أنبا مقار (٣١).

ويقول ساويرس بن المقفع: [وفي دير أبو مقار اكتشفنا سيرة عشرة بطارقة من خائيل الثالث حتى شثوذة الثاني (٨٨٠-١٠٤٦م) وكان قد صنفها سابقاً أسقف تينيسي (مدينة على بحيرة المنزلة) وذلك سنة ١٠٥٥م].

ويعود أيضاً نفس المؤرخ ويذكر بالفضل مكتبة دير أنبا مقار في تصنيف سيرة تسعة بطارقة آخرين هكذا: [وبعد أن صنفنا سيرة عشرة من البطارقة التي ترجمناها (من اللغة القبطية إلى اللغة العربية) من الوثائق التي وجدناها بدير أنبا مقار، عدنا فترجمنا أيضاً من الوثائق الموجودة بالدير سيرة تسعة بطارقة آخرين وذلك في سنة ٧٩٦ للشهداء (١٠٨٠م). وقد قام بكتابتها أبا كيروس الشماس وميخائيل بن أبادير الدمنهوري، وذلك بنعمة الله مكنتنا من العثور على هذه السير في دير أنبا مقار بمساعدة الأخ تاووضروس بن يونس أمين الدير (الرَبِيَّة) وذلك في يوم الأحد السادس من شهر بوونة سنة ٧٩٧ للشهداء الأظهار (يونية ١٠٨١م). وقد قابلنا هذه النسخ بعضها على بعض فوجدناها مطابقة تماماً لما نسخناه فتأكدنا من صحتها] (٣٢).

(28) Ibid., p. 469.

(29) Ev. White, I, pp. 27-50.

(30) Hist. of Patr., pp. 239 f.

(31) Ibid., p. 275.

(٣٢) ابن المقفع كتاب ١٣ ص ١٢٧.

مكتبة دير أنبا مقار كانت معهد أبحاث الكنيسة القبطية لعدة قرون:

١ - في أيام البطريرك غبريال الثاني (١١٣١-١١٤٦م) اجتمع بالدير مجمع من بعض العلماء ورهبان دير أنبا مقار (٣٣) وقاموا مستعينين بالمخطوطات والمراجع الموجودة بالمكتبة بتعديل طقوس الصلوات والقراءات في أسبوع الآلام لتناسب الحياة اليومية للمؤمنين، فقاموا باختزال بعضها ورتبوا الآخر ليشمل خلاصة العهدين، إنما بحكمة ونعمة عظيمة يدركها كل من يتعمق في قراءات هذا الأسبوع المقدس.

٢ - قام رهبان دير القديس أنبا مقار بعمل من الأعمال الكنسية الهامة التي تعتبر من اختصاص المجمع المقدس الآن، وهو تسجيل عظماء الآباء قديسي شيهيت في القديس القبطي في الصلاة المعروفة بالمجمع مع تعديلات وإضافات هامة على الليتورجيا عموماً (٣٤). وإن نوع وكيفية ترتيب أسماء القديسين في المجمع الذي يتلوه الكاهن في القديس يكشف بصورة واضحة عن قصة هذه الترتيبات واتجاهاتها التاريخية، فثلاً نجد القديس ساو يرس الأنطاكي يُذكر في القديس قبل القديس أثناسيوس، وهذا طبعاً يرجع إلى الصلة الوثيقة التي قامت بين ساو يرس ودير أنبا مقار بل والكنيسة كلها أيضاً (ارجع إلى كتاب: «قصة الكنيسة القبطية» تأليف إيريس حبيب المصري، جزء ٢، صفحة ١٣٢ و١٣٨).

ثم نعود فنجد يوحنا ذهبي الفم مذكوراً قبل ثاوفيلس البطريرك الـ ٢٣، وهذا يكشف عن استياء الرهبان مما عمله ثاوفيلس معهم ومع يوحنا ذهبي الفم (أنظر صفحة ٢٤٢)، ولكن في نفس الوقت لا يُسقطون اسمه من القديس، وهذا يكشف عن إخلاصهم لبطاركة الكنيسة مهما كان ظلمهم وجورهم وجنونهم أحياناً. ثم نجد تكريراً زائداً لأنبا ثيودوسيوس البطريرك المحسوب كمتعترف، الذي ناصر رهبان أنبا مقار ضد الغيانيين. فبالرغم من كونه البطريرك الـ ٣٣ فهو يأتي قبل ثاوفيلس رقم ٢٣!!

وبعد ذلك نجد ذكر الثلاثة مقارات معاً وهو إحدى العلامات المميزة لدير أنبا مقار وحده. وبعدهم مباشرة يُذكر أنبا يونس القصير الموجود جسده مع الثلاثة مقارات!! ثم يُذكر التسعة والأربعون شهيداً شيوخ شيهيت بدير أنبا مقار قبل موسى الأسود وهو شهيد قبلهم بحوالي أربعين سنة، وبعد يونس كما مباشرة يُذكر أنبا دانيال قص شيهيت رئيس دير أنبا مقار الذي كان في القرن السادس قبل أن يُذكر أنبا باخوم وأنبا شنودة آباء رهبنة الصعيد في القرن الرابع.

وهكذا نلمح بوضوح كيف صاغت يد رهبان دير أنبا مقار أسماء قديسي المجمع في القديس

(33) See Dillmann Catalogus cod. Aetheopicorum in Museo Britan. No. XXVII (p. 30).

(34) Renaudot, Lit. O.r. Coll. I, p. 17.

Ev. White, I, p. XXVIII.

ليتناسب مع تاريخ الدير نفسه وعلاقاته بهؤلاء القديسين.

٣ - في مطلع القرن الرابع عشر سنة ١٣٣٢م قام أحد الرهبان العلماء بدير أنبا يونس القصير المدعو القس مقار يوس بتصنيف مؤلفه الكنسي المشهور المعروف باسم Nomocanon أي كتاب «التشريعات والقوانين الكنسية»، وعلى أساس هذا الكتاب قامت بعد ذلك كل التشريعات الكنسية في الكنيسة القبطية. ويقول المؤلف أنه أكمل عمله المصني في سنوات كثيرة، واعتمد على نسخ ووثائق من دير القديس أنبا مقار (٣٥).

ويقول العلامة كرام أن نسخة فريدة من قوانين القديس أثناسيوس الرسولي باللهجة البحرية والمترجمة إلى اللغة العربية محفوظة بمكتبة دير أنبا مقار (٣٦).

٤ - والمعروف أن مكتبة دير أنبا مقار كانت تحوي خلاصة الوثائق والقوانين الكنسية والرهبانية، باعتبارها مكتبة أديرة برية شيهيت بأجمعها، كما يقول إفلين هويت.

وتوجد إحدى المخطوطات العربية محفوظة بالفاتيكان الآن وبها «قوانين الرهبنة الأنطونية» جمعها البطريرك يوحنا الثالث (١٥٢١-١٥٢٦م)، ويقول فيها أنه جمعها [من ثلاث نسخ قديمة العهد جداً للمجمع التي كانت قائمة في برية القديس أنبا مقار] (٣٧).

٥ - يؤكد رينودوت أنه كانت هناك علاقة وثيقة بين دير أنبا مقار والكنيسة الأثيوبية من جهة رسامة المطارنة (٣٨) أمثال دانيال وجورجي في القرن الحادي عشر، وكانوا من الرهبان المستنيرين العلماء الذين قاموا بترجمة كثير من المخطوطات وخصوصاً العربية منها إلى اللغة الأثيوبية، وبالأخص مجموعات كبيرة من سير القديسين والأبوكريفا وتاريخ يوحنا النقيوسي الذي تُرجم إلى الحبشية سنة ١٦٠٢م، والذي ضاعت جميع نسخه من اللغات القبطية والعربية ولم يتبق إلا النسخة الحبشية الآن.

٦ - ظلت مكتبة دير أنبا مقار المصدر الدائم الذي يقصده كل المترجمين الذين تأخذهم الغيرة لترجمة الكتب من كافة الفروع إلى اللغة العربية:

- توجد مخطوطة عربية بياريس (٣٩) تحوي خلاصة متعددة الوجوه لعلم اللاهوت: ففيها أبحاث عن الثالوث الأقدس، والتجسد، ووصايا الله، وسر الإعتراف، وسر الشركة أي

(35) See (a) De Slane, Cat. MSS arabes B.N. No. 251.

(36) See (b) Mai, Script. Veterum Novo Collectio IV, II pp. 275 (Cod. Vat. arab. No. CXLIX & CL).

(37) See Riedel & Crum: Canons of Athan. p. 81.

(38) Cod. Vat. Arabe. DCLXII (Mai. S.V.N.C. IV, ii, p. 584).

(39) Renaudot, Histor. Patr. Alex. pp. 326, 381, 475.

(39) B. Nat. Fondes Arabe No. 184.

التناول، وواجبات الحياة الرهبانية، وذكر فيها أنها مترجمة ومنسوخة بدير القديس أنبا مقار سنة ١٢١٤ م.

— كما توجد مخطوطة عربية بمكتبة الفاتيكان (٤٠) عبارة عن شرح الرسالة إلى رومية ليوحنا كاليوبيوس، مترجمة ومنسوخة بدير أنبا مقار سنة ١٣٧٩ م.

— كما توجد بالفاتيكان أيضاً (٤١) مخطوطة عربية هي «خلاصة التشريعات والقوانين» للقس مقاره الذي من دير أنبا يونس القصير، منسوخة بدير أنبا مقار سنة ١٣٧٢ م.

— وتوجد بالفاتيكان أيضاً (٤٢) مخطوطة عربية أصلاً من دير أنبا مقار تحوي عدة طقوس منها تكريس الهياكل «حسب طقس دير القديس أنبا مقار».

فكرة عامة عن أنواع المخطوطات وتخصصاتها:

المكتبة بحسب ما لدينا من معلومات الآن واعتماداً على المخطوطات التي خرجت منها على مدى العصور والتي لا تزال باقية الآن، كانت ذات طابع ديني رهباني كنسي أكثر منه لاهوتي صرف، لأن نواتها الأولى كانت عبارة عن تجميع للمقتنيات الفكرية التي كانت تشغل الرهبان المتوحدين. فهي ذات طابع رهباني عام، وبعد ذلك كانت تجميعاً لمقتنيات الكنيسة ذاتها من جهة الكتب الخاصة بخدماتها، لذلك كان الطابع الثاني الغالب عليها هو الطابع الكنسي التقليدي، وأخيراً وبسبب الهرطقات التي أفضت مضاجع الرهبان في شيهيت لزم أن تكون مستوفاة من جهة الأبحاث اللاهوتية والجدلية، لذلك فإن الطابع اللاهوتي الجدلي فيها إضافي وثانوي خصوصاً أنه كان محرماً على المتوحد أن يقرأ الكتب الجدلية التي تبحث في العقائد الأخرى والهرطقات. لذلك فالجزء اللاهوتي فيها كان بالقدر الذي يلزم الراهب في إيمانه الإيجابي فقط.

الأقسام العامة:

١ — قسم الكتاب المقدس: يعتبر الآن أضعف قسم في المكتبة، وهذا أمر طبيعي لأن سارقي المخطوطات كان يستهونهم بشدة الأسفار المقدسة وخصوصاً القديم منها. فكان يلتقطها الأجانب أو كبار الزوار أولاً بأول. وحتى المخطوطات الخاصة بالكتاب المقدس التي سُرقَت لا نجد فيها نسخاً ذات تواريخ قديمة، لأن معظم هذه المخطوطات كان يُستهلك من كثرة الاستخدام سواء داخل الكنيسة أو في قلاي الرهبان؛ لذلك فالأوراق المفرد منها المتناثر كان دائماً أكثر من المخطوطات السليمة. وكانت عادة الرهبان أن يستخدموا هذه الأوراق المتناثرة في إصلاح كعوب المخطوطات الأخرى أو توزيعها على الزوار السذج على سبيل البركة. والذي تحققتاه على قدر جهدنا

(40) Cod. Vat. Arabe. XLIV (Mai. S.V.N.C. IV, II, 80).

(41) Cod. Vat. Arabe. DCLXII (Mai. S.V.N.C. IV, II, 584).

(42) Ibid.

وإمكانياتنا من مخطوطات الدير الموجودة في بعض المكتبات من هذه الأسفار مبين في الهامش (٤٣).

٢ — قسم الآبائيات: شرح الآباء للأناجيل كان من أهم ما تعنتي المكتبة أن يكون بين مخطوطاتها، لأنه كان يعتبر مصدر الثقافة الروحية الإنجيلية الأساسي للرهبان، ودليلنا على ذلك ما سجله الرهبان على هوامش هذه المخطوطات بكثرة.

(أ) وقد استحوذ السائح كيرزون Curzon على نسخة من شرح الأناجيل الأربعة منسوخة بمكتبة دير أنبا مقار ومملُك للدير، وجدها بدير السريان فاشتراها منهم (٤٤).

(ب) واستحوذ تشندورف Tischendorf على نسخة أخرى (مفردة) كانت أصلاً من مجلدين (٤٥).

(ج) واستحوذت مكتبة الفاتيكان على مجموعة مقتطفات من الشروحات ليوحنا ذهبي الفم على الأناجيل الأربعة وهي عبارة عن ٣٧ مجموعة كبيرة، وتعتبر أكبر مجموعة قبطية لشرح الأناجيل كان يفتنيها الدير في مكتبته (٤٦).

(د) مجموعة أوراق كبيرة استحوذ عليها لاجارد Lagard، وتشمل المخطوطة شرح الأناجيل، ناقصة استكمل أوراقها تقريباً إقليد هويت في تنقيبه بين الأوراق المفردة، وهي من منسوخات القرن العاشر وخطها دقيق وأنيق ومنتظم (٤٧).

(هـ) نسخة أخرى ناقصة لشرح الأناجيل موجودة الآن في المتحف البريطاني، وهذه النسخة تسمى «النترية»، وهو اصطلاح لمنسوخات دير أنبا مقار خاصة (٤٨).

هذه بخلاف مقالات منفصلة عديدة على شرح مواضيع خاصة جاءت في الإنجيل أو على بعض الأمثال أو المعجزات أو الحوادث وكانت تشمل في الغالب آراء وتأملات عدة آباء كبار معاً.

(٤٣) مكتبة المتحف البريطاني: (الأرقام هي أرقام الفهرس لسهولة البحث).

مخطوطات قبطية بحيرية وقبطية عربية للمزامير تحت أرقام (فهرس) ٧١٥، ٧١٦، ٧٢١، ٧٢٣.

مخطوطات قبطية بحيرية لسفر إشعيا النبي تحت رقم ٧٢٧.

أناجيل قبطية صعيدية من القرن السادس والسابع تشمل أسفار التكوين واللاويين تحت رقم ٢، وأسفار يشوع وقضاة وراعوث ويهوديت وأستير تحت رقم ١٢، ومزامير تحت رقم ٣٨. وعهد جديد سفر الأعمال تحت أرقام ١١٦، ١١٩.

(44) Now at Leipzig (cod. Tisch. XXVIII).

(45) Now at Leipzig (cod. Tisch. XXVII).

(46) Cod. Vatican. Copt. LVII.

(47) Lagard's Ms. (Parham, No. 20) Catin. Evang.

(48) Brit. Mus. add. 14740, Crum Cat. No. 914.

٣ - كتب الأبوكريفا: كانت مكتبة دير أنبا مقار تعتبر في نظر العلماء (أنظر إفلين هويت الجزء الأول ص ٣١) من أقل المكتبات اهتماماً بالأبوكريفا، ويسجل العلماء أنه لم تُنسخ في مكتبة الدير ولا نسخة واحدة لكتب الأبوكريفا عدا مخطوطة واحدة عن صعود العذراء مريم منسوبة للقديس بطرس والقديس يوحنا، وهي محفوظة الآن بمكتبة ليبزج (٤٩).

غير أنه بدأ يتسرب إلى المكتبة في العصور الأخيرة كثير من هذه الكتب التي لم يكن مصرحاً إطلاقاً بحيازتها أو قراءتها بين رهبان الدير حسب قوانين الآباء العلماء الأوائل مثل قانون أثناسيوس (٥٠)، ووصايا الآباء الشيوخ الذين كانوا يحذرون الرهبان من قراءة هذه الكتب بصفة دائمة.

وقد عثر إفلين هويت أثناء تنقيبه بالمكتبة على مجموعات من الأوراق هي بقايا لمخطوطات كانت معروفة بالأسماء الآتية: أبوكريفا عن آدم، أبوكريفا الإنجيل، النزول إلى الجحيم، إنجيل الرؤيا، أسرار يوحنا الرسول، أبوكريفا الأعمال للرسول، أخبار الصعود الثاني.

وقد استقت الكنيسة الأثيوبية مؤخراً الكثير من هذه الكتب وترجمتها ودخلت ضمن تراثها الفكري، وهذا مما يؤسف له.

٤ - سير القديسين والشهداء: (السنكسار) وهنا تبرز شهرة مكتبة دير القديس أنبا مقار إلى القمة، فقد كانت ولا تزال تحوي أضخم مجموعة من سير القديسين والشهداء الذين تحبهم الكنيسة وتذكرهم في التسبحة والقداسات والسنكسار والدفنار.

ومن هذه المجموعة النادرة قام بعض آباء الدير قديماً بترتيب سيرهم على الأيام بقصد قراءتها في كنيسة الدير يومياً، وعن دير أنبا مقار أخذت الكنيسة بعد ذلك بهذا الترتيب وترجمته إلى اللغة العربية، وجعلته في السنكسار الرسمي الذي يُقرأ في كل الكنائس الآن (٥١).

وعلى سبيل المثال الملموس الذي يثبت هذه الحقيقة نجد أن مديح الثلاثة فتية المنسوب للقديس كيرلس الكبير والعظة المنسوبة للبطريرك ثاوفيلس عن الثلاثة فتية أيضاً مجموعتان معاً في مخطوطة واحدة بواسطة رهبان الدير (موجودة الآن بالفاتيكان) (٥٢) وفي مقدمتها القانونية مكتوب الآتي:

[هاتان العظمتان تُقرآن معاً في كل سنة بالتناوب في اليوم العاشر من بشنس في الهيكل القبلي

(49) Ev. White, I, p. XXXI.

(50) Canon of Athanasius (ed. Crum-Riedel p. 33).

(51) Ev. White I, p. XXXI.

(52) Cod. Vat. Copt. No. LXII = Zoëga Cat. No. LVII.

(هيكل الثلاثة فتية القديسين) وذلك أثناء التسبحة].

وواضح هنا أن رهبان الدير هم الذين رتبوا الميعاد والطقس والمكان الذي تُقرأ فيه هذه السير.

ومرة أخرى نجد في مخطوطة سيرة القديس أنبا مقار (وهي محفوظة الآن أيضاً في الفاتيكان) (٥٣): [تُقرأ في ١٤ أيب في هيكل أنبا مقار الجنوبي].

كما نجد في مقدمة سيرة أنبا أباتيل Apatil: [تُقرأ هذه السيرة في يوم ١٦ أيب مع سيرة يوحنا صاحب الإنجيل الذهب الموجودة في صفحة ١٤٣ (؟) في المخطوطة رقم ٩١ وذلك في نفس اليوم] (٥٤).

وهذه المخطوطة محفوظة الآن في مكتبة الفاتيكان أيضاً.

كما نجد هذا التوجيه نفسه موجوداً بصورة واضحة أيضاً كقانون قراءة في المخطوطة التي كانت حاوية لكل الرسائل الهامة جداً المتبادلة بين أنبا بطرس الثالث بطريرك الإسكندرية وأكاكيوس بطريرك القسطنطينية هكذا: [تُقرأ في اليوم الرابع من هاتور، أو إذا أردت يمكنك قراءتها في يوم الأحد الأخير من شهر بابة أو شهر هاتور] (٥٥). وهذه المخطوطة محفوظة أيضاً في مكتبة الفاتيكان.

ومن هذا نستدل أن الآباء الرهبان العلماء قاموا فعلاً بترتيب الكتب الخاصة بسير القديسين والشهداء بالمكتبة ورتبوا كقراءات كنسية، والمعروف عن دير أنبا مقار أنه كان يقتني أربعة مجلدات ضخمة تحوي سير القديسين مرتبة للقراءة على أيام السنة كلها.

ولكن الذي ينبغي التنبيه إليه هنا هو أن سير الشهداء كانت في الأصل مكتوبة بلغة تعليمية دقيقة وبيد أشخاص مسئولين (أنظر تاريخ الكنيسة ليوسابيوس مثلاً)، ولكن للأسف قد صارت فيما بعد تحت هوى النساخ وتأملاتهم الوهمية وتهويلاتهم الطفولية حتى صارت عسيرة على النفس كل العسر.

والمعروف أيضاً أن قراءة ميامر سير وآلام القديسين الشهداء كانت هي الوحيدة التي صرح بها مجمع قرطاجنة سنة ٣٩٨م لتُقرأ أثناء القداس جنباً إلى جنب مع الأسفار المقدسة، وهذا القانون

(53) Cod. Vat. Copt. No. LXII = Zoëga Cat. No. LVIII.

(54) Cod. Vat. Copt. No. LXII = Zoëga Cat. No. XXI.

(55) Cod. Vat. Copt. No. LXII = Zoëga Cat. No. LIII.

(٥٥) قام بترجمتها إلى العربية أنبا إسيدوروس أسقف البراموس (في كتاب الخريدة النفيسة) ويمكن للقارئ الإطلاع عليها للأهمية.

المشار إليه كان سارياً حتى قبل مجمع قرطاجنة. فنحن نعلم كيف قام المؤرخ الكنسي المشهور يوسابيوس القيصري سنة ٣١٣ م بجمع كل ما عثر عليه من سير الشهداء وكيفية تعذيبهم واستشهادهم لتصير مادة قراءة قانونية داخل الكنيسة. وعلى هذا الخط سار كثير من أساقفة مصر الأقباط باجتهاد وغيره حسنة باعتبار أن عملهم هذا يعتبر كنسياً بالدرجة الأولى.

ومن مؤرخي سير الشهداء الأساقفة، عدا يوسابيوس القيصري الأسقف، قسطنطين أسقف أسبوط وهو من مؤرخي القرن السادس العظام، وقد رسمه البطريرك داميانوس (٥٧٨-٦٠٥ م). وهو الذي كتب سيرة الشهيد العظيم يوحنا من هيراكليه المذكور في مجمع التسبحة الذي استشهد على يد دقلديانوس في زمان تملك نومار يوس بمدينة حمبور بجوار القوصية بأسيوط (أنظر فهرس المتحف البريطاني ص ٣٦٣).

وكذلك نذكر الأسقف يوحنا النقيوسي - وستأتي سيرته في آخر الكتاب - وهو من مؤرخي القرن السابع. كما نذكر ساويرس بن المقفع أسقف الأشمونين وهو من مؤرخي القرن العاشر. ونذكر أيضاً أنبا ميخائيل أسقف تنيس وهو من مؤرخي القرن الحادي عشر. كما نذكر أيضاً أنبا يوساب أسقف فوه وهو من مؤرخي القرن الثالث عشر.

وإن في المقدمة الرائعة التي قدم بها يوسابيوس القيصري الكتاب الخامس من مؤلفه الشهير «تاريخ الكنيسة» وهو الخاص بالشهداء، توضيح كاف؛ يقول يوسابيوس: [في كتابنا «مجموعة الإستهادات» يرى القارىء وصفاً كاملاً متضمناً صدق الأنباء، ويعتبر هذا الكتاب لا تاريخياً فقط بل تعليمياً أيضاً... وروايتنا عن ملكوت الله تدون بحروف لا تمحي عن أنباء «حروب السلام» التي أثيرت من أجل سلام النفس، وتتحدث عن أشخاص ناضلوا بشجاعة من أجل الحق والفضيلة... وتضع أمامنا ذكريات لا تمحي عن أبطال الديانة وانتصارهم على الأعداء غير المنظورين والأكاليل التي وُضعت على رؤوسهم].

تشتت المخطوطات وتبديدها على مكتبات العالم:

١ - وقد فقدت مكتبة دير أنبا مقار أكبر مجموعة من كتب سير الآباء القديسين والشهداء سرقها العالم الفاضل المدعو J.S.Assemani، وذلك في سنة ١٧١٥ م واستقرت الآن في مكتبة الفاتيكان، وهي عبارة عن إحدى عشرة مجموعة كبيرة من المخطوطات بالإضافة إلى أجزاء أخرى كثيرة (٥٦).

٢ - كما جاء بعده العالم الفاضل Tischendorf سنة ١٨٤٤ وحمل ما تبقى من مخطوطات ثمانية وأوراق من الرق معظمها من سير القديسين والشهداء وهي مستقرة الآن بمكتبة ليبزج (٥٧).

(56) Cod. Vat. Copt. No. LVIII-LXIX.

(57) Leipzig. Nos. 1086-1090 (Cod. Tisch. XXIV-XXX).

وفي إحدى هذه المخطوطات نجد في الخاتمة اسم الناسخ وهو: [رئيس التسبحة بكنيسة دير أنبا مقار بشبهيت] (٥٨) وكلها يبدأ بقانون القراءة الذي وضعه آباء دير أنبا مقار. فثلاً نقرأ في إحدى هذه المخطوطات: [تقرأ هذه السيرة في التاسع عشر من شهر مسرى بعد التسبحة بالليل] (٥٩).

وإحدى هذه المخطوطات تُعتبر من أئمن ما يمكن أن يمتلكه الدير تاريخياً، إذ أنها فوق كونها تحمل تفاصيل نقل جسد القديس أنبا مقار باللغة القبطية فهي مؤرخة سنة ٨٣٠ م. وهذا التاريخ يشير إلى أنها نُسخت بالدير بعد غارة البربر الخامسة بحوالي خمس عشرة سنة فقط!! وهذا يفيد أن الدير استعاد قوته وازدهاره بسرعة!

٣ - ثم جاء السائح الفاضل طاطام Tattam، وحمل مجموعة أوراق مفردة أو ملازم يزيد عددها عن المائة، وهي تكشف عن أجزاء من مخطوطات تختص أيضاً بسير القديسين وتواريخهم وسير الآباء البطارقة، وقد قام بدراستها العالم كرام Crum وقد استقرت هذه المجموعة في مكتبة رايلاند بمانشستر (٦٠).

محاولات عقيمة لاسترداد صورتها الأولى:

وكان من جراء هذا النهب والسلب أن تمزقت المخطوطة الواحدة فصارت نصفها في الفاتيكان والآخر في باريس وملزمة في مانشستر وملزمة في برلين!!! وقد قام العالم زويجا Zoëga بفحص المجموعة بالفاتيكان وقد وجدها مبعثرة بلا أي نظام أو ترتيب، فاكتشف أن هذه المجموعة من الأوراق والملازم والأجزاء المحفوظة هناك تعود كلها إلى موسوعة قديمة كانت منسقة ومرتبطة بمكتبة دير أنبا مقار على الأيام والشهور حسب التقويم القبطي (٦١).

كتب ميامر للقراءات التعليمية:

ومما هو جدير بالملاحظة والدراسة أيضاً أن السنكسار في دير أنبا مقار لم يكن مجرد سرد أخبار القديسين؛ ولكن كان يشمل تعاليمهم وبعضاً من مواعظهم أيضاً. وكانت التعاليم البارزة للقديسين يُفرز لها مواسم خاصة تمشي مع الدورة الكنسية، أي مواعظ التوبة في أيام الأصوام واللاهوتية في أيام الخمسين مثلاً. وليست المواعظ والتعاليم الآبائية فقط هي التي كان يُفرز لها أوقات معينة في الخدمة، بل ويُعتقد أيضاً أن نفس القوانين الخاصة بالكنيسة والحياة الرهبانية كانت تُقرأ في بعض المناسبات من الكتب الخاصة بها والموضوعة خصيصاً لهذا الغرض، مثل كتاب «المجامع» الذي نسمع عنه في القرن السابع عشر وهو موجود الآن في باريس (٦٢). وإذا

(58) Leipzig. Nos. (No. XXIV, 31, Cod. Tisch.).

(59) Leipzig. (No. XXIV, 22, cod. Tisch.).

(60) Ryland Cat. No. 438, 441, 442, 448.

(61) Zoëga Cat. p. 4.

(62) Ms: «Counsils» Paris Bib. Nat. Fonds arabe No. 251.

رجعنا إلى زمان البطريرك أنبا خرستوذولو وما جرى بينه وبين رهبان دير أنبا مقار من حوار عنيف بلغ إلى حد المقاومة والتحدي من جهة حفظ مواد الإفخارستيا (الجسد والدم) للتناول منها خصوصاً في أيام الإثنين والثلاثاء والأربعاء من أيام أسبوع الآلام التي يمتنع فيها قيام ذبيحة، كيف أن البطريرك خرستوذولو استعان بالمكتبة وأخرج منها ميمراً خاصاً بالموضوع الذي يثبت به رأيه (٦٣).

إذن، فكانت المكتبة مجهزة بعظات ذات صبغة تعليمية من جهة قانون الكنيسة وترتيب أسرارها، الأمر الذي نفتقر إليه الآن بشدة خصوصاً في الأديرة حيث يقتصر على تلاوة السنكسار المختصر.

ميامر للسير والعظات:

ومن أهم كتب الميامر التي كانت تحتفظ بها مكتبة دير أنبا مقار، مخطوطان عربيان محفوظان الآن بالمكتبة الأهلية بباريس تحت رقمي ١٣٢ و ١٤٥ (رقم الفهرس)، وتشمل عدة ميامر هامة هم الباحثين والمؤرخين نذكر منها على سبيل لفت النظر:

- ١ - ميمر على ابراهيم واسحق ويعقوب بقلم القديس أناسيوس الرسولي.
- ٢ - ميمر لمار أفرام على تجلي ربنا يسوع المسيح فوق جبل تابور.
- ٣ - ميمر على نياحة أنبا متى الكبير بطريرك الإسكندرية (١٣٧٨ - ١٤٠٩ م)، وعن استشهاد كثير من أولاده.

- ٤ - ميمر يصف الرسائل المتبادلة بين أنبا متى الكبير وبين الفرنساويين.
- ٥ - ميمر يصف الحصار الذي أقامه الصليبيون على مدينة دمياط سنة ١٠٧٢ م.
- ٦ - ميمر يذكر تاريخ إنشاء الكنيستين المشهورتين: كنيسة القديسة بربارة وكنيسة القديسين سرجيوس وواخس بمصر القديمة.

- ٧ - ميمر يحوي سيرة مارمينا العجايب.
- ٨ - ميمر بقلم القديس كيرلس الكبير عن عيد الصليب المقدس.
- ٩ - ميمر عن القديس أرجانيوس Argenius وماري ابنته.
- ١٠ - ميمر عن العذراء بقلم قرياقص أسقف الهنسا.
- ١١ - حوار بين عيسى بن اسحق أبو زرعة و يوسف بن أبو الحكيم البحيري سنة ٩٨٨ م عن الإسلام والمسيحية.

- ١٢ - استشهاد القديستين بربارة و يوليانة المستشهدتين في مدينة هليوبوليس في زمان مكسيميانوس.

(63) For this ritual significance problem see: Renaudot Hist. Patr. Alex. p. 429.

١٣ - ثلاثة ميامر للقديس يوحنا ذهبي الفم عن البشارة.

١٤ - ميمر الأربعة والعشرين قسيساً بقلم القديس كيرلس الأورشليمي، وذكصولوجية كبيرة بالقبطي والعربي مؤلفة لتذكار عيدهم ٢٤ هاتور، وأخرى للأربعة مخلوقات الحاملة للعرش السماوي.

١٥ - ميمر لثيودوسيوس بطريرك الإسكندرية على رئيس الملائكة ميخائيل.

١٦ - ميمر لأرشيلأوس الأسقف على رئيس الملائكة جبرائيل.

مخطوطات لاهوتية:

توجد مخطوطة عربية بالمكتبة الأهلية بباريس مأخوذة من مكتبة دير أنبا مقار تحت رقم (فهرس) ١٨٤ و ١٨٥، عبارة عن أبحاث لاهوتية يُظن أنها ذات قيمة عالية، نذكر أبوابها على سبيل لفت النظر:

في مقدمتها تذكر المخطوطة أنها مقسمة إلى ٣٣ فصلاً. وتبحث في الثالوث الأقدس، التجسد، وصايا الله عامة، عن الإعراف، وعن التناول، وعن الحياة الرهبانية، وعن أسئلة روحية يجيب عليها أنبا كيرلس الكبير وأنبا باسيليوس وأنبا سمعان بطريرك الإسكندرية وأنبا ميخائيل بطريرك أنطاكية وكثيرون غيرهم من علماء البيعة.

وهذه المخطوطة منسوخة بمكتبة دير أنبا مقار سنة ١٢١٤ م. وواضح أنها منسوخة عن مخطوطة أقدم منها كُتبت بالخط اليوناني.

مخطوطات قانونية:

وهي في هذا المجال أن نقدم تقريراً وافياً عن المخطوطة الكبيرة والهامة جداً التي قام الراهب مقاره من دير يوتس كاما في القرن الرابع عشر بتأليفها وجمعها من عدة مخطوطات وسجلات محفوظة بمكتبة دير أنبا مقار، والتي تُعتبر أنها المخطوطة الأولى والعظمى التي جمعت كافة قوانين الكنيسة الأرثوذكسية، والتي على أساسها تقوم كل قوانين وفتاوي الكنيسة حتى اليوم، وهي المسماة Nomocanon، وهذه المخطوطة محفوظة الآن بالمكتبة الأهلية بباريس (٦٤) تحت رقم ٢٥١.

وفصولها كالاتي:

الأول: الورقة ٣.

الأعمال القانونية التي قام بها الرسل بعد صعود الرب يسوع، وعن أصالة هذه القوانين.

الثاني: الورقة ١١.

القوانين المعروفة بقوانين الآباء الرسل التلاميذ.

(٦٤) وسيقوم بمشيئة الله دير القديس أنبا مقار بالإطلاع على هذه المخطوطة وتحقيقها ونشرها.

الثالث:

(ورقة ١١) قوانين الرسل المعروفة باسم (ابسطلوسات).

الرابع:

(ورقة ١٨) القوانين المختصة بالإكليروس.

الخامس:

(ورقة ٣٧) قوانين الرسل القديسين بخصوص تدبير الكنائس مجموعة ومشروحة بقلم القديس اكليمنندس، وعدتهم ٧١ قانوناً، غير أنه مكتوب في نهايتها أنها مأخوذة من الأصل اليوناني الذي عدتهم ٨١ قانوناً.

السادس:

(ورقة ٣٨) قوانين الكنيسة المقدسة من أنفاس الرسل القديسين ومشروحة بقلم القديس اكليمنندس - وعدتهم ٥٦.

السابع:

(ورقة ٤٢) الدسقولية (ديداسكاليا) وعدتها ٣٨ فصلاً.

الثامن:

(ورقة ٩٠) قوانين القديس كليمنندس معنونة هكذا: «رسالة القديس بطرس».

التاسع:

(ورقة ٩٣) «أحكام العتيقة» أو ما تسمى بـ «قوانين الملوك» وهي موجهة لأحد الملوك بواسطة الرسل بإرشاد الروح القدس. وبها في الورقة (١٠٣) تصور لكيفية القانون الذي ينبغي أن يسود على المجتمع المسيحي.

العاشر:

(ورقة ١٠٤) مجمع أنقرة.

حادي عشر:

(ورقة ١٠٨) مجمع قيصرية الجديدة وأقوال على قرطاجنة.

ثاني عشر:

(ورقة ١٠٩) مجمع غانغرة.

ثالث عشر:

(ورقة ١١٢) مجمع أنطاكية وعدته ٢٥ قانوناً.

رابع عشر:

(ورقة ١٢١) ملاحظات على قسطنطين الكبير وعلى الدوافع التي حملته على دعوة مجمع نيقية.

خامس عشر:

(ورقة ١٢١) ملاحظات على مجمع نيقية بعد الخمسة والعشرين قانوناً.

سادس عشر:

(ورقة ١٢٧) الأربعة والثمانون قانوناً مجمع نيقية.

سابع عشر:

(ورقة ١٣٨) مجمع نيقية والقوانين الخاصة بتنظيم الأديرة بالمعايير الأرثوذكسية.

ثامن عشر:

(ورقة ١٤٨) ثمانية قوانين في التقليد القبطي وهي مطابقة للقوانين المعمول بها في تقليد الكنيسة اليونانية المأخوذة من مجمع نيقية. وفي نهايتها ملاحظات تاريخية.

تاسع عشر:

(ورقة ١٥٢) المجمع المسكوني الثاني العام بالقسطنطينية وعدته ٢٧ قانوناً.

العشرون:

(ورقة ١٥٤) مجمع أفسس وهو ملخص بسيط للمراسيم.

الواحد والعشرون:

(ورقة ١٥٤) مجمع لاوديكية.

الثاني والعشرون:

(ورقة ١٥٩) مجمع سارديكية.

الثالث والعشرون:

(ورقة ١٦٢) الثمانية والثلاثون قانوناً لهيبوليتس (أبوليدس) رئيس أساقفة روما (شهيد بورتو)، ويقول عنها أن هذه القوانين أعلنها الرسل أنفسهم بالروح القدس.

الرابع والعشرون:

(ورقة ١٧١) قوانين القديس باسيليوس وهم مجموعتان: الأولى ١٣ قانوناً والثانية ١٠٦ قانوناً.

الخامس والعشرون:

(ورقة ١٨٨) الأربعة كتب المسماة بقوانين الملوك (؟؟) وهي من قوانين الأباطرة المتعاقبين ومكتوبة بمعرفة الأساقفة الذين كانوا حاضرين في مجمع نيقية.

الكتاب الأول و يسمى التطلسات (النطق العربي للكلمة اليونانية τίτλος = العناوين) وبه أربعون فصلاً.

السادس والعشرون:

(ورقة ٢٢٢) الكتاب الثاني من الأربعة كتب المسماة بقوانين الملوك وهي مائة وثلاثون قانوناً.

السابع والعشرون:

(ورقة ٢٣٣) الكتاب الثالث من الأربعة كتب المسماة بقوانين الملوك.

الثامن والعشرون:

(ورقة ٢٤٧) قوانين بعض الملوك الأتقياء منتخبة من بعض مراسيم آباء نيقية، ويظن أنها للإمبراطورين يوستين وليون. مجموعة ومترجمة من القبطية إلى العربية. وهي المسماة «الرابع للملوك» أي الكتاب الرابع من قوانين الملوك.

التاسع والعشرون:

(ورقة ٢٦٠) عهد مخلصنا وإلهنا يسوع المسيح صنعه بعد قيامته على هيئة خطبة وجهها إلى الرسل. وهي تتكون من أول أعمال كليمنس، وهي أبوكريفا وتسمى «العهد السيدي».

الثلاثون:

(ورقة ٢٧٨) قوانين الرسل القديسين، وهو العمل الثاني من أعمال كليمنس، ويعقبها المقطوعات نمرة ٣ و٤ و٥ و٦ للقديس كليمنس أيضاً.

الواحد والثلاثون:

(ورقة ٢٩٦) قوانين مجمع قرطاجنة وعدتها ١٢٣.

ويقول الكاتب أن هذا المجمع كان في سنة ٥٩٢٥ للعالم، وهو يوافق سنة ١٥٠ للشهداء (٤٣٤ م) حينما كان ثيودور الصغير ابن ثيودور الكبير يحكم القسطنطينية وأثور يوس يحكم روما وخرستوذولوبابا المدينة العظمى (الإسكندرية).

الثاني والثلاثون:

(ورقة ٣٠٦) «قوانين المجمع الكبير المنعقد في أنطاكية ولاوديكية». وهذه عبارة عن نسخة هذين المجمعين مع تغييرات في بعض القوانين، وفيها يجمع المؤلف بين قوانين المجمعين في مجموعة واحدة.

الثالث والثلاثون:

(ورقة ٣١٠) قوانين إبيفانيوس.

الرابع والثلاثون:

(ورقة ٣١٢) قوانين يوحنا ذهبي الفم وعدتها اثنا عشر.

الخامس والثلاثون:

(ورقة ٣١٣) «القوانين الزمانية» وهي من أعمال الآباء التي سبق وذكرناها، وقد أعيد صياغتها بسبب مضي زمانها وبناء على رغبة الذين يقبلون على التوبة بانسحاق قلب.

السادس والثلاثون:

(ورقة ٣١٦) ملاحظات قانونية للقديس غريغور يوس النيسي.

السابع والثلاثون:

(ورقة ٣١٦) بيان عن السبعة كراسي التي لرؤساء الأساقفة.

الثامن والثلاثون:

(ورقة ٣١٧) «أوامر الآباء الأئمة الرؤساء».

التاسع والثلاثون:

(ورقة ٣١٩) قوانين معلمي البيعة مترجمة عن القبطية وعدتها اثنان وثمانون قانوناً.

الأربعون:

(ورقة ٣٢٣) قوانين البيعة وُضعت بأمر القديس أثناسيوس بطريرك الإسكندرية وعدتها ١٠٧ قوانين. وفي نهاية الكتاب اسم الكاتب «ميخائيل أسقف تيس»، ونحن نعلم أن هذا المؤلف جمعها بطريقة جعلت استخدام هذه القوانين سهلة في متناول كل واحد؛ وفي نهايتها جعل فصلاً بعنوان: «صفحة عن الموجود عند الآباء الفرنجة». ويعتبر هذا الكتاب شرحاً مطولاً للإيمان الأرثوذكسي بقلم اثنين من الأقباط (اليقوبيين).

الواحد والأربعون:

(ورقة ٣٣٩) مختصر تعاليم القديس أنبا ميخائيل مطران دمياط فيما يختص بأحكام الشريعة وجزائها.

الثاني والأربعون:

(ورقة ٣٤١) نسخة من الأحكام التي كتبها أنبا خرستوذولوبطريرك الإسكندرية.

الثالث والأربعون:

(ورقة ٣٤٣) قوانين كيرلس بن لقلق البطريرك الخامس والسبعين.

الرابع والأربعون:

(ورقة ٣٤٧) قوانين غبريال المسمى ابن ثريك بطريرك الإسكندرية.

الخامس والأربعون:

(ورقة ٣٥١) قوانين تخص الكهنة وكنائس الإسكندرية المكتوبة بقلم غبريال بن ثريك في شهر بؤونة سنة ٨٧٠ للشهداء الموافق (١١٥٤ م).

السادس والأربعون:

(ورقة ٣٥٢) مختصر الأحكام والفرانض والمواريث من العتيقة إلى الحديثه بقلم غبريال بن ثريك.

السابع والأربعون:

(ورقة ٣٥٣) نسخة من الأعمال والنزاعات الخاصة بالشروط القانونية التي قامت بين البطريرك كيرلس (بن لقلق) وأساقفته.

الثامن والأربعون:

(ورقة ٣٥٣) الترتيبات التي حددها البطريرك كيرلس بن لقلق مع مجمع الأساقفة وأراخنة الشعب وأقرها وصادق عليها أنبا يوحنا البطريرك الجديد، وهي تخص المعمودية والزواج

والمواريث وتاريخها ٢٠ توت سنة ٩٥٥ ش، وهي سنة ١٢٣٩ م.

التاسع والأربعون:

(ورقة ٣٦١) عقد الميثاق الذي قطعه على نفسه أنبا كيرلس مع الأساقفة في القلعة بجزيرة

الوزير معين الدين وجميع الأراخنة سنة ١٢٤١ م.

الخمسون:

(ورقة ٣٦٣) تنظيم الأوقاف والهبات الدينية والعشور كما شرعها أنبا كيرلس في برمودة سنة

٩٥٦ ش، سنة ١٢٤٠ م.

الواحد والخمسون:

(ورقة ٣٦٤) تنظيمات أخرى قام بها أنبا كيرلس في ٢٤ برمودة سنة ٩٥٦ ش، سنة ١٢٤٠ م

فيما يختص بالأعياد.

الثاني والخمسون:

(ورقة ٣٦٤) عشرة أبحاث حول التدبير الكنسي نظمها أنبا خرستوذولو مطران دمياط وأقرها

أنبا كيرلس البطريرك في بؤونة ٩٥٦ ش، ١٢٤٠ م.

والمخطوطة كبيرة الحجم تقع في ٣٦٦ ورقة ٣٤ × ٢٥ سم، والصفحة ٢٤ سطراً وتاريخ

نساختها ١٣٥٣ ميلادية.

الليتورجيات:

وهذا القسم يشمل كافة كتب الصلوات من خولاجيات وكتب تسبحة وكتب مزامير،

وأجابي، ودفنار باللغات اليونانية والقبطية والعربية. وكانت المكتبة تزدهم بأعداد هائلة من هذه

الكتب لأنها كتب خدمة يومية ولا غنى لأي راهب عن مجموعة كاملة منها.

وإن المجموعة الهائلة من هذه الكتب والتي تسربت من مكتبة دير أنبا مقار استطاعت أن تملأ

مكاناً كبيراً في كافة مكتبات العالم، وخصوصاً المنسوخ منها في العصور المتأخرة من القرن الثاني

عشر فما فوق.

ملاحظات على أهم النسخ:

١ - خولاجيات لقداس القديس باسيليوس والقديس غريغور يوس باللغة اليونانية. وقد عثر

إقلين هوابت في المكتبة بمحصر الدير على مجموعة أوراق من هذا الخولاجي بنهرين يوناني وعربي،

وقد استدل على تاريخ نساخه هذا الخولاجي بوجود اسم البطريرك أنبا بنيامين الثاني

(١٣٢٧-١٣٣٩ م) في أوشية البطريرك.

وبعد فحص هذه الأوراق وجد أنها تنتمي إلى خولاجيين: الأول للقديس باسيليوس ٢٥

ورقة، والثاني للقديس غريغور يوس ١٥ ورقة. والخط بدیع والناسخ حاذق والكتابة صحيحة

ومتينة، ويستدل عليها من ضبط توقيع الحركات على الحروف وتوقيع حركات التنفس على

الحروف الخاصة بها أيضاً، وقد قام إقلين هوابت بفحصها وترجمتها ونشرها (٦٠). وهذه ربما تكون

أول وآخر مرة يُسمع أن في شيهيت يقام القداس باللغة اليونانية. ولكن أدلة كثيرة تشير أن اللغة

اليونانية كانت لغة متداولة بين رهبان شيهيت، بل وكانت هي اللغة الرسمية لرهبان كل أديرة

ظاهر الإسكندرية. والمعروف أن أنبا مقار كان يجيد هذه اللغة ويتخاطب بها مع الرهبان

المتعلمين والأجانب.

ويُظن أنه كان على البطريرك عند تجليسه في كنيسة أنبا مقار بعد رسامته بالإسكندرية أن

يصلي القداس باللغة اليونانية أيضاً. وقد تعرفنا على بعض الخولاجيات ذات الثلاثة قداديس

باللغة القبطية التي كانت بمكتبة دير أنبا مقار ونُقلت إلى مكتبة المتحف البريطاني تحت الأرقام

(فهرس) ٧٨٩، ٧٩٢، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، (٨٠١ بتاريخ ٨٣٠ م).

كما تعرفنا على مجموعة أخرى ذات القداس الواحد أو المخصصة لمردات الشماس تحت الأرقام

(فهرس):

٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٥، ٨٠٧، ٨٠٩، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٦، ٨٢٣

وهو مختلف في ترتيبه وقراءته عن الخولاجيات الأخرى، ويُظن أنه مترجم من الخولاجي اليوناني

الذي كان يستخدم في العصور الأولى تحت رقم ٨٢٣ (فهرس).

٢ - أجابي باللغة القبطية باللهجة الصعيدية: إن وجود كميات كبيرة من الأجابي (كتاب

السواعي) باللغة القبطية وباللهجة الصعيدية يوضح لنا تمسك بعض الرهبان الآتين من الصعيد

باستخدام لهجتهم في الصلاة، علماً بأنه كان معروفاً أن لغة التخاطب في شيهيت هي البحرية

كما أن لغة الكنيسة والوعظ كلها كانت باللهجة البحرية.

إن فصول الأناجيل المنسوخة في هذه الأجابي والمزامير كانت كلها مكتوبة باللهجة الصعيدية

والخط الصعيدية، ولكن مقدمات الصلوات والصلوات (القطع) كانت مكتوبة باللهجة والخط

البحيري مع نهر مقابل للترجمة العربية. مما يوضح لنا أن زمن هذه الأجابي كان الزمن الذي فيه

وقف الرهبان متحيرين بين ضعف اللغة القبطية في الفهم وضعف اللغة العربية في اللسان!!

وهو زمن القرن العاشر فما فوق حتى القرن الرابع عشر.

وقد تعرفنا على بعض النسخ القبطية للأجابي (صلوات السواعي) منقولة من مكتبة الدير

وهي الآن بمكتبة المتحف البريطاني، وهي تختلف كثيراً عن الأجابي المطبوعة والمستعملة الآن

من حيث أنواع مزاميرها وحلاوة صلواتها، وهي تحت الأرقام ٨٢٥، ٨٢٧، ٨٢٩ (وهي أرقام الفهرس).

٣ - البصخة: (كتاب سواعي أسبوع الآلام) و يفحص بعض صلواتها بحسب الوريقات القليلة التي عثر عليها إفلين هويت كبقايا لمخطوطات سابقة نجد أن ترتيب سواعي البصخة وصلواتها مختصر كثيراً عما هو حادث الآن. وقد علمنا سابقاً أن رهبان دير القديس أنبا مقار قاموا بتعديل صلوات البصخة واختزلوها لتناسب ظروف المؤمنين وذلك في أيام بطريركية أنبا غبريال الثاني (١١٣١-١١٤٦م). ولكن للأسف فقد قام أحد الأساقفة وهو بطرس أسقف البهنسا - وكان من المغرمين بمشوا الكتب بالصلوات دون وزن أو تكيف مع الواقع والإمكانات - عاد فأضاف الكثير على هذه الصلوات (٦٦) وكرر بعضها حتى أصبحت في أشد الحاجة إلى تعديل جديد لتخليصها من التطويل الممل مع إضافة ما يلزم إضافته ليناسب حال الشعب الآن.

ومكتبة المتحف البريطاني الآن عدة نسخ لكتاب البصخة تحتاج إلى من يقوم بفحصها لأنها تحوي الكثير من الأبحاث الهامة التي تفيد الطقوس وتوضحه، فثلاً توجد نسخة قبطية تحت رقم ٥٩٩٧/١٢٤٧ في غاية الأهمية وهي منسوخة سنة ١٢٧٤م، وتحتوي هذه المخطوطة على طقس غسل الأرجل يوم الثلاثاء وليس الخميس، كما أن القداس المعروف باسم قداس خميس العهد نجده أيضاً يُقام بعد طقس غسل الأرجل يوم الثلاثاء. وهذا الطقس له قيمة لدى الباحثين وعلماء اللاهوت الذين يبحثون عن الثلاثة أيام والثلاثة ليالي التي قضاها المسيح في القبر! كما يوجد قطمارس خاص بصوم يونان وكان يسمى بصخة الثلاثة أيام تحت رقم ٧٧٢ (فهرس).

٤ - كتاب الدفنار Antiphonarium : وهو عبارة عن سنكسار ملحن أو مرتل. والإسم معناه «اللحن المتبادل» وفيه يقدم خورس الكنيسة مديحاً تردده مجموعتان متبادلتان لتذكار أحد القديسين وكل مرد عبارة عن أربعة سطور.

وقد فقدت مكتبة دير أنبا مقار أربع مجموعات كاملة من كتاب الدفنار، وكل مجموعة تغطي أيام السنة كلها ربما في ثلاثة مجلدات. وهذه المجموعات مستقرة الآن في مكتبات: جوتنجن بألمانيا، والفاتيكان بروما ورايلاند بمانشستر بإنجلترا، والرابعة محفوظة بمكتبة البطريركية بالقاهرة. وعلى العموم فإن نسخ الدفنار الموجودة الآن نادرة، وتاريخ تجميع أول دفنار غير معروف بالرغم من الأبحاث الكثيرة التي قام بها العلامة كرام في هذا الموضوع (٦٧).

(66) Ev. White, I, p. 215.

(67) Crum, Cat. of Copt. Mss. in: The Ryland Lib., p. 213.

ولكن العلامة إفلين هويت عثر على مجموعة من الملازم مفردة في أرضية المكتبة بالحصن، و بفحصها وجدها لمجموعتين تعودان إلى القرن الثالث عشر (٦٨).

وفي الدفنار يختص كل قديس أو قديسة أو شهيد أو تذكاري عيد بلحنين: واحد «واطس» والآخر «آدام»، والواطس دائماً يسبق الآدام، ما عدا في دفنار واحد وهو المحفوظ بمكتبة رايلاند بمنشستر وُجد فيه الآدام يسبق الواطس. والواطس يتميز بالطلبة «أسأل من أجلنا أيها القديس... ليغفر لنا خطايانا». أما الآدام فيتميز بالطلبة: «بصلوات القديس... يارب انعم لنا بغفران خطايانا»، أي أن الواطس لحن الصلاة فيه موجه للقديس، أما الآدام فلحن الصلاة فيه موجه إلى الله.

٥ - كتاب التسبحة للقديسين والأعياد: وهو عبارة عن تجميع لكافة «الذكصولوجيات» وترتيبها على أساس الشهور و يبدأ من شهر توت. وكل مناسبة لها لحن واحد إما «واطس» أو «آدام» بدون النظر إلى اليوم من الأسبوع، حيث نجد أن اللحن الواطس يختص بالأعياد التي تأتي في أوائل الشهر والآدام يختص بالأعياد التي تأتي أواخر الشهر. وهذا يماثل بداية قراءة السنكسار. فإذا كان العيد واقعاً في النصف الأول يُقال «أحسن الرب استقباله» وهنا يكون اللحن الواطس، ولعل ذلك من نوع التنبيه الذهني حتى يستطيع الرهبان متابعة الزمن ولسهولة حفظ الأعياد. أما النصف الثاني من الشهر ابتداء من اليوم الخامس عشر فيقول القاريء: «أحسن الرب انقضاءه» وهنا يختار غالباً اللحن الآدام.

ويلاحظ أن في حالة مجيء تذكاري عيد للعدراء مريم يقول الكتاب: «إرجع إلى كتاب الشيسوتوكيات وخذ شيسوتوكية هذا اليوم» وهو كتاب يبدو أنه كان خاصاً بالحن السيدة العذراء فقط.

وعدا ألحان الواطس والآدام يذكر هذا الكتاب أنواع ألحان أخرى غير معروفة الآن وهي لحن πισθελπι، ولحن πιακαδωη. واللحن الخماسيني ويُرمز إليه هكذا πιπ. ولحن «أياها الصليب القوي».

ويلاحظ أن أمام طريقة التسبيح لبعض القديسين يُذكر الموضع الذي ينبغي أن يتم فيه التسبيح. فثلاً في يوم ٢٠ أييب وهو تذكار ثيودور المشرقي يقول: «وتقام خدمة التسبيح له في هيكل مارمرقص الصغير» (٦٩).

وفي نهاية الكتاب يوجد فهرس دقيق يشير إلى ما يجب التماسه من الكتب الأخرى وتوضيح

(68) Ev. White, I, p. 215.

(69) Epip. 20, The Holy Theod. the General.

صفحاتها وأماكن وجودها في المكتبة في صناديقها ذات الأرقام!! فعلى سبيل المثال يذكر مثلاً في أعياد الشهر الصغير هكذا: القديس أندريانوس ١٥٣/٢٢/٦. وهذه أرقام المخطوطات والدوايب.

وفي عيد يونان هكذا: يوحنا فم الذهب ٢٣ = ١١٩/٨٢/١٨٥.

عيد الميلاد = ٤٩ - ٥

= يوحنا فم الذهب ٩١ - ١ - ٩٣

٦ - كتاب القراءة للقديسين والأعياد: (قطاميروس مبسط) هذا الكتاب يشمل كل الترتيب الطقسي اللازم لتذكار أي قديس أو أي عيد أو أي مناسبة إنجيلية. فهو يشمل كل القديسين والشهداء والبطارقة المهمين والأعياد الرسمية وتذكارات معينة من الإنجيل مثل تذكار الابن الضال والسامري الصالح ولعازر والغني.

وترتيبه كالآتي:

العنوان: ١ - ذكر اليوم من الشهر.

٢ - ذكر العيد التابع لهذا اليوم.

٣ - رقم المزمور الخاص بهذا اليوم.

القراءة: ١ - بيت واحد أو بيتان أو ثلاثة أبيات من المزمور (سطران أو أربعة أو ستة) (٧٠).

٢ - فصل من الإنجيل (يقرأ من كتاب آخر).

والكتاب بهذا الشكل يدلنا على كيفية تذكار القديس أو العيد بدون قداس، لأن المعروف في طقس دير أنبا مقار أن القداس كان لا يقام في وسط الأسبوع على الإطلاق بل كان مخصصاً له يوم الأحد فقط.

لذلك فإن هذا الكتاب، أي التسبحة الخاصة بالقديسين والأعياد، كان يُكتفى بالقراءة منه لتذكار القديس أو العيد أو المناسبة الإنجيلية بعد التسبحة.

وتوجد من هذا الكتاب نسخة ناقصة في مجموعة تشندورف، وقد عثر إقليد هويت على عدة أوراق وملازم من الرق من هذا الكتاب تعود إلى القرن الحادي عشر وقام ببحثها وتسجيلها.

قطاميروس الأحاد: ومن أعجب المخطوطات التي كانت موجودة بمكتبة دير أنبا مقار -

(٧٠) يلاحظ أن بين شطرات المزمور توجد كلمة **λεξις** وتعني «قراءة» أو «اقرأ» (وربما تقابل كلمة «سلاه» العبرية).

وقد قام العلامة يونكر الألماني ببحث هذه الكلمة. أنظر:

Junker, Koptische Poesie des Zehnten Jahrhunderts, I. Teil, pp. 57 f.

وهي الآن بمكتبة المتحف البريطاني تحت رقم ٧٦٤ - قطاميروس خاص بأحد السنة كلها فقط. وهذا يشير إلى ما سبق وقلناه عن النظام الذي كان متبعاً قديماً في القداديس بدير أنبا مقار الذي اختص به دون جميع الأديرة والكنائس الأخرى، وهو اقتصاره على إقامة القداس يوم الأحد فقط (يوم الرب).

قطاميروس آخر للسبوت والآحاد: كما تعرفنا أيضاً على مخطوطة أخرى بمكتبة المتحف البريطاني تحت رقم ٧٦٦، وفيها قراءات السبوت والآحاد فقط للسنة كلها، وهذا المخطوط نعتقد أنه أقدم في استخدامه من قطاميروس الأحاد فقط السابق ذكره أعلاه؛ وذلك حسب النظام القديم جداً الذي كان معمولاً به أيام القديس أنبا مقار حينما كان الآباء يحضرون يوم السبت من كل أسبوع في الغروب، و يقيمون قداساً في مساء السبت، ويمضون الليل كله في الصلاة والتسبيح، و يقيمون قداس الأحد في الفجر.

قطاميروس لآحاد الخمسين فقط: وهذه المخطوطة الموجودة الآن بالمتحف البريطاني تحت رقم ٧٧٧ تشرح لنا اقتصار إقامة القداديس في أيام الخماسين على الأحاد فقط.

٧ - القواميس وقواعد اللغة القبطية: وكما هو معروف إذا بدأت لغة في الإندثار بدأ في الحال ترتيب القواميس لها. وهكذا منذ بدء القرن العاشر بدأ نوع من المحاولة لتسجيل اللغة القبطية ومعانيها في قواميس باللغة العربية، وبمضي الزمن كثرت الكتب وكثر معها المؤلفون والمعلمون، وكثر معها ومعهم اضمحلال الأصول الأولى بسبب تعدد الآراء والنطق حتى أصبحت اللغة القبطية شيئاً آخر تماماً غير اللغة القبطية!

المكتبات ممتلئة بالمخطوطات التي تعلم وتشرح اللغة والمحاولات لا تكف عن تعليم اللغة، ولكن اللغة الحقيقية في اضمحلال تام.

وإن كان رهبان دير أنبا مقار ظلوا حتى القرن الرابع عشر يتكلمون و يصلون بالقبطية، ولكن فجأة انهار هذا التشبث إزاء طغيان اللغة العربية في الحياة اليومية. وشيئاً فشيئاً وقفت حركة النساخة للمعجمات القبطية وتداولها وبدأ تبديدها وبيعها للزوار الأجانب.

وقد حازت مكتبة البطريركية عشر نسخ من هذه المعاجم القبطية العربية كانت ملكاً لمكتبة دير أنبا مقار (وهي مقيدة تحت رقم ١٠٠ من ١ - ١٠). هذا عدا غيرها الموجود الآن في إنجلترا بمكتبة رايلاند بمنشستر (٧١) والموجود في فرنسا بالمكتبة الأهلية بباريس (٧٢)، وما عثر عليه إقليد هويت من أوراق وملازم مفردة قام بفحصها ونشرها في كتابه (٧٣).

(71) Crum Cat. 459.

(72) Bib. Nat. Copt. 44.

(73) Ev. White I, p. 222.

كل الدلائل تشير إلى أنه كان هناك مخطوطات كثيرة باللغة اليونانية في العصور الأولى لتغلغل هذه اللغة في كل الميادين الروحية والطقسية داخل الكنيسة وخارجها، وكانت هي لغة التخاطب بين المثقفين من الرهبان، فنعلم أنها كانت لغة الرهبان في أديرة ظاهر الإسكندرية، وأتبا مقار كان يتكلم اليونانية مع زائريه، وقصة الحوار الذي سجله لنا أنبا إشعيا وهو يتحدث إلى رهبان أديرة الإسكندرية معروفة.

ولكن الذي جعل هذه المخطوطات تختفي من المكتبة غارات البربر المتكررة، خصوصاً الغارة الأخيرة التي أنهت على كل التراث القديم تقريباً سنة ٨١٧ م. ولكن نعلم أن في رسامة أنبا مكار يوس الثاني (١١٠٣-١١٣١ م) قرىء تقليده باللغات اليونانية والقبطية والعربية (٧٤).

ولكن المعروف أن اللغة اليونانية بدأت تضعف على السنة الرهبان الأقباط منذ القرن السادس وحتى القرن التاسع، فلم يأت القرن العاشر حتى كان الذي يتكلم بها قلة. ولكن ظل كثير من النساخ المهرة يجيدون هذه اللغة قراءة وكتابة، فقد وُجدت مخطوطة تحمل سيرة القديس أنبا باخوم مكتوبة باللغة اليونانية سنة ١٢٥٩ م وقام بترجمتها إلى العربية أحد الرهبان (٧٥).

وقد سبق أن تكلمنا عن الخولاجي (أنافورا) المكتوب باللغة اليونانية لقديسي القديسين باسيليوس وغر يغور يوس، وكان تاريخ نساخته حوالي ١٣٣٠ م وهو منسوخ بدير أنبا مقار.

والمعروف أن قراءات أسبوع الآلام كانت تشمل قراءات كثيرة باللغة اليونانية، ولا تزال حتى اليوم قطع تقال وتلحن بالرومي أثناء البصخة المقدسة. وقد فقدت الأديرة كل هذه المخطوطات التي تحوي صلوات وتسابيح أسبوع الآلام باليونانية لأهميتها وندرتها، وهي الآن موجودة بمكتبات البوديليان، وليدن (٧٦).

الظروف الصعبة التي مرت بها مكتبة دير أنبا مقار:

ونستطيع أن نلخص هذه الظروف في الأسباب الآتية:

أولاً: انعدام اللغة اليونانية واللغة القبطية من على السنة الرهبان جعلت هذه المخطوطات الثمينة بلا منفعة وبالتالي بلا أهمية. وفي اعتبارنا كان هذا أول العوامل وأقساها.

(74) Synax., Tût 4, Basset pp. 6f.

(75) Crum, Theological Texts from Copt Papyri, p. 175.

(76) Lectionary of the Holy Week in Greek:

— Crum, B.M. Cat. No. 775 & Bodelian Ms. Copt. 3.

— Leyden C. cod. Scaliereg, 243.

ثانياً:

غارات البربر المتكررة التي جعلت الرهبان إما يحملون المخطوطات الثمينة خارج الدير فلا تعود إليه مرة أخرى، وإما إخفاء المخطوطات في غرف مسحورة مظلمة رطبة أساءت إلى أنواع المخطوطات سواء التي على الرقوق الجلد أو الورق، فأتلقت الحبر والدوبار فتبعثرت وتناثرت.

ثالثاً:

وباء الطاعون الذي حل بالدير وأنهى على الأعداد الكبيرة لرهبان الدير فصاروا أربعة رهبان أو أقل... وبذلك تُركت المكتبة بلا أي عناية تحت رحمة الرطوبة وديدان الكتب.

رابعاً:

لصوص المخطوطات، وهم اللصوص الأفاضل الذين استغلوا أموالهم ومراكزهم الأدبية والسياسية في تبديد المخطوطات. ومع احترامنا لأسمائهم ومراكزهم فمنهم الكهنة ومنهم أمين مكتبة الفاتيكان ومنهم الضباط والعلماء والسيدات، ومعظمهم كان يقدم أثمناً لهذه المخطوطات، ولكن الحقيقة التي لا مفر منها أنهم كانوا لصوصاً بمعنى الكلمة، وقد تاجروا فيها ورححوا جميعاً حتى على المستوى المادي. ونورد هنا أسماءهم حسب ترتيب زمان تواجدهم بالمكتبة علماً بأنه قد ابتدأ عصر العبث بالمخطوطات وسرقتها منذ القرن السابع عشر. وأبطال اللصوص الذين تم معرفتهم هم كالآتي:

الأول:

أجاثا أنج دي فندوم Agathange de Vendome الكبوشي، وكتب بخط يده إلى الذي كان يموله بالمال المدعو بيرسيك خطاباً في ١٨ مارس سنة ١٦٣٤ يبشره بقرب الحصول على الصفقة (٧٧)، ويخبره أنه وجد بالمكتبة ٨٠٠٠ ثمانية آلاف مخطوطة، وأنه حصل على كتاب المزامير مكتوباً بست لغات على ستة أشهر. وأن رئيس الدير نازل ومعه مخطوطة «المجامع» ليبيعهها ويشتري بثمنها أواني للمذبح!

الثاني:

فانسليب J.B. Wansleben، ويقال أنه لم يستطع الوصول إلى الدير، ولكن بأي طريقة احتال حتى حصل على مجموعته الكبيرة؟ لا نعلم.

الثالث:

هنتنجتون Robert Huntington، وهو قسيس «شركة رهبنة لوفان»، وقد وصف كنوز المكتبة، والذي استرعى انتباهه شرح الأسفار المقدسة وكتب القراءة التي توفي كل أيام السنة. وقد خرج من المكتبة بمخطوطة تحوي الأناجيل!! وغيرها (٧٨).

الرابع:

إلياس السمعاني سنة ١٧٠٦ م (٧٩)، وقد أوفد من قبل مكتبة الفاتيكان، وقد استولى على مجموعة ضخمة من المخطوطات السريانية من مكتبة دير أنبا مقار، ولا يُعرف هل وصل دير أنبا مقار أم لا. ولكن كان الوسيط بعد ذلك في مجيء ابن عمه يوسف سيمون السمعاني.

(77) Correspondance de Peirese p. 24.

(78) Huntingtoni Epistolae No. XXX (ed. Smith p. 69).

(79) See J. S. Assemani B.O. 1.

الخامس: يوسف سيمون السمعاني: سنة ١٧١٥م، وكان أكبر الذين سطوا على مكتبة دير أنبا مقار في العصور الحديثة كلها، وأخطر العوامل التي قوضت صرح المكتبة. وقد أوفد من قبل مكتبة الفاتيكان خصيصاً لهذا الموضوع، ويسجل هذا الأب الفاضل عن نفسه هكذا: [وقد حصلنا من رهبان دير أنبا مقار على مخطوطات هي على أعلى درجة من الأهمية والقيمة (Optimae notae) مكتوبة باللغة القبطية... ولم نبق عندهم على أي شيء آخر يمكن أن يحصل عليه أي أحد (سارق) آخر مهما كان طماعاً].

ولكن من اللطيف أن يرد على هذا الكلام الباحث إقليدس هوأيت بقوله: [ولكن جاء من يلتقط من وراء هذا السمعاني واستطاع أيضاً أن يخرج بغنيمة [متكلماً بذلك عن نفسه وعن آخرين (٨٠)].

السادس: أندريوسي Andréossi سنة ١٧٩٩م: [ووجدت معظم كتبهم نسكية مكتوبة على الرق وعلى الورق السميكة، وقد أخذت بعضاً منها وهي منسوخة منذ ٦٠٠ سنة] (٨١).

السابع: ب. دروفتي B. Drovetti سنة ١٨١٨م، وقد استولى على عدة مخطوطات للمزامير باللهجة البحيرية، وهي الآن مستقرة في مكتبة تورين (٨٢) بإيطاليا، ولا نعلم ما حصل عليه من المخطوطات الأخرى.

الثامن: روبرت كيرزون Robert Kurzon سنة ١٨٣٧م، ولو أننا لا نعلم بالضبط هل وصل إلى دير أنبا مقار أم لا، غير أننا نعلم أنه حصل على مجموعة من الكتب معروفة باسمه.

التاسع: طاغام وبنت زوجته پلاط Henry Tattam & his step daughter Platt [وقد وجدنا بدير أنبا مقار نحو مائة مخطوطة خولاجيات (ليتورجيات)، ونسخة جميلة للرسائل باللغة القبطية التي رفض الرهبان أن يبيعوها، وكان هناك أكوام من الأوراق المفردة والملازم وقد اخترنا منها نحو مائة مجموعة] (٨٣). وقد استقرت هذه المجموعة في مكتبة رايلاند بمنشستر. وقد قام العلامة كرم بفحص بعضها فوجدها خولاجيات ومعاجم للغة القبطية.

العاشر: تيشندورف Constantine Tischendorf أبريل سنة ١٨٤٤م، وقد استولى على مجموعة كبيرة من الأوراق. ويقول عن نفسه: [ولحسن حظي فقد عثرت على مجموعة

(80) Ev. White, I, p. XXXIX.

(81) Mem. sur La Vallée des Lec de Natroun, Description. de l'Egypte: Etat Moderne I, 279 f.

(82) Bib. Nazion., di Torino Ser. II, t. XLIII (1893).

(83) Quarterly Review LXXVII, p. 58.

أوراق وملازم على الرق من القرنين السادس والسابع] (٨٤). وقد استقرت هذه المجموعات في مكتبات ليبزج وكمبردج.

الحادي عشر:

فورتيون آم Fortune Ame سنة ١٨٧٣م: كل اللصوص السابقين دخلوا المكتبة من أبوابها، إلا هذا الفاضل فإنه قام بالليل وتسلل حتى وصل إلى غرفة المكتبة وقام بسرقة الثمينة التي ربما قذفها من فوق السور ولا نعلم بعد ذلك مصيره.

ولما جاء بعده الرحالة «جر يثيل شستر» منعه الرهبان من دخول الحصن جملة، وقالوا له عن هذا اللص وكيف استولى على [كل المخطوطات الثمينة] (٨٥)، ويطن إقليدس هوأيت أنها مخطوطات عربية هامة استقرت الآن في المكتبة الأهلية بباريس.

الثاني عشر:

إن كان هناك إنسان من الأجانب قد أسدى معروفًا لدير القديس أنبا مقار فهو بلا شك هذا اللص الثاني عشر، وهو العالم الأثري الرقيق المشاعر والأحاسيس، الدقيق في أبحاثه واستقراءاته، المخلص في عمله غاية الإخلاص: «مستر هيو ج. إقليدس هوأيت» الذي كان آخر من دخل المكتبة سنة ١٩٢١م، وأخذ من أوراقها التي ظن أنها من سبقه أنها من المهملات، ولكن بصبره ودقته وعلمه بجثها وترجمها وألف عليها كتاباً ضخماً جملته ٣٠٠ صفحة من القطع الكبير جداً ٣٥×٢٥. وقد قام أيضاً هذا العالم الأثري بمسح هندسي وتصويري شامل لدير أنبا مقار مع بقية الأديرة الأخرى بوادي النطرون، واستودع بحثه هذا مجلدين آخرين هما المجلد الثاني والثالث من كتابه المعروف: «أديرة وادي النطرون» على نفقة متحف المتروبوليتان للفنون بنيويورك بأمر يكا. وقد جاء عمله هذا من أدق وأصدق الأعمال التي شاهدناها طراً، وقد اعتمدنا عليها في معظم أبحاثنا التي قدمناها للقارئ في هذا الكتاب. لذلك كم نحن مدينون لهذا العالم المبارك، وكم نحن مطالبون أن نصلي من أجل نفسه ليكافئها الرب عنده. وإنه من المؤسف حقاً أن ينعي العالم موت هذا العالم وكتابه مقدّم للمطبعة في صيف ١٩٢٤م، فقام زميله ألبرت م. ليتجو Albert M. Lythgoe وأكمل مراجعته وطبعه.

أما الأوراق (المهملة) التي التقطها إقليدس هوأيت من الغرفة المسحورة للمكتبة التي كانت بالحصن فبعد البحث كشفت لنا عن مواضيع كانت قد عدت مصادرها باللغة القبطية مثل:

١ — إنجيل الرؤيا (٧)

(84) Cod. Tisch. XXIV—XXIX=Anect. de Sacra.

(85) Archaeological journal, XXX, 106.

٢ - رؤيا أنبا بنيامين (XXII C)

٣ - المناظرة مع يوحنا الرابع (XXXIII)

٤ - استشهاد القديس توما الذي من شنتاليت (XVII)

٥ - استشهاد استراثلول (XIX)

٦ - استشهاد أبا كراجون وآمون (XX)

٧ - استشهاد باثيسي وتكلا (XXI)

٨ - سيرة أنبا بيجيمي (XXIX)

٩ - سيرة تيموثاوس أليروس (XXXI)

١٠ - سيرة أباهور (XXXII)

١١ - أبوكريفا آدم (I)

ومعظم هذه الأجزاء غير الكاملة وجد أنها تكمل مخطوطات ناقصة في المواضيع الأخرى من المكتبات التي استقرت فيها هذه المخطوطات. وهذه الأجزاء مسجلة ومشروحة ومترجمة من صفحة ٢٧٣-٣ أي في حوالي ٢٧٠ صفحة من كتابه الأول.

□

وتعليقنا على ذلك هو أنه إذا كانت هذه الوريقات المهملة التي تركها أحد عشر مغامراً من المغامرين الأثرياء الذين نهبوا المكتبة كلها حتى لم يبقَ فيها شيء، قد كشفت لنا عن سير هؤلاء القديسين الذين لم نسمع عن بعضهم قبل ذلك، فكم كانت المكتبة في وضعها الأول الكامل؟؟ وكم كانت أعداد وسير القديسين والشهداء؟؟ إنه أمر عجب... هل يأتي اليوم الذي يُسمع لنا فيه باسترجاع مجرد صور من مخطوطاتنا الأولى مرة أخرى؟؟

نظام المكتبة وفن تنسيقها:

الذي يقرأ ملاحظات الأجانب على المكتبات القبطية كما وردت في أبحاث إفلين هوايت على لسان الزائر ينظن أن رهبان الأديرة أهملوا في الإحتفاظ بمخطوطاتهم وكانوا جاهلين بفن ترتيبها والبحث فيها. ولكن هذا كله افتراء وتبرير لعمليات السرقة ليظهر هؤلاء وكأنهم أسدوا معروفاً للدير أو الكنيسة أو المسيحية بسرقاتهم ونهبهم لهذا التراث المجيد. و يقيناً أنهم لو كانوا أبقوا على المكتبة كما هي ولم ينهبوا محتوياتها لكانت الآن أقدر وأنسب مئات المرات لبحث ما فيها وتجميع مخطوطاتها المفككة وجمع شمل أوراقها المبعثرة الموجودة الآن موزعة على عدة مكتبات في عدة بلاد بل عدة أقطار.

وما ينبغي أن يعرفه العالم الآن عن المكتبة الديرية أنها كانت منذ البدء في أيدي رهبان مهرة

في النساخة والتجليد والترتيب، فالمكتبة كانت تحوي عدة صناديق مخصصة للمخطوطات وكل صندوق عليه رقم يشير إلى نوع المخطوطات، وأرقامها وعنوان محتوياتها وبالصندوق من الداخل بيان مكتوب بعدد المخطوطات. والصندوق كان يسمى ثيكي **ΘΗΚΗ**، ومن هنا جاء اسم المكتبة «ببليو-ثيكي» أي صناديق الكتب. وكانت الكلمة تنطق باللهجة الصعيدية «ولشيكي» أو «الوولشاكسى». ونعلم أن الراهب شنودة (٨٥٠-٨٩٠م) الذي أقام الإصلاحات الكبيرة في الدير اهتم بتزويد الكنيسة والمكتبة بصناديق مطعمة بالعاج والصدف لحفظ الكتب والأواني^(٨٦).

أما المخطوطة فكان عليها رقمها الخاص داخل الصندوق الذي هو رقم الفرع الذي تتبعه المخطوطة. وهذا نجده بوضوح في المخطوطة الموصوفة في أطلس زويجا بالفاتيكان، وهو عن سيرة استشهاد القديس أباتيل في ١٦ أبيب، حيث يذكر الناسخ في ختام الميمر ضرورة تكميل القراءة بموضوع آخر يذكر رقم مخطوطته ثم رقم الصفحة في المخطوطة هكذا: (بالقبطي) [ثم اقرأ ما في صفحة ١٤٣ من المخطوطة ٩١]^(٨٧).

وكل مخطوطة يوجد بأولها فهرس يحمل عدد الورقات وموقع المواضيع الواردة فيها وبعض تعليمات عن القراءة، وفي آخر كل مخطوطة بيان باسم الناسخ وصاحب المخطوطة وزمن نساختها وربما نوع ورقم النسخة المأخوذة عنها، وهذا البيان الذي في آخر المخطوطة يسمى الخاتمة، واسمه العلمي Colophon.

أما بداية الموضوع أو الميمر فيكتب بالخط الأحمر غالباً، وفيه ينص الناسخ حسب التعليمات الواردة إليه أو الناقل عنها كيفية قراءة الموضوع وزمن قراءته المناسب ومكان قراءته، ويسمى هذا بقانون المخطوطة أو قانون قراءة السيرة، واسمه العلمي Roobric=Rubric. وكانت دائماً مخطوطات دير أبو مقار لها قانون خاص بها. والمخطوطات الثمينة كان لها جراب إما من الجلد أو الخشب أو الفضة أو الذهب، وبعض من هذه العينات موجودة مع المخطوطات الخاصة بها في مكتبة الفاتيكان ومكتبة المتحف البريطاني، وهي موصوفة بدقة في بحث بقلم العلامة بدج^(٨٨). وغالباً يوجد في المخطوطة إشارة إلى كيفية حفظها ومكانها، فنجد مثلاً في المخطوطة رقم ٩ في قسم المخطوطات القبطية بمكتبة الفاتيكان المأخوذة من دير أنبا مقار هذه الإشارة: [لا تُحفظ في الحصن مع بقية الكتب، وينبغي حفظها داخل الكنيسة مع كتب الخدمة] وهذه المخطوطة زمنها سنة ١٢٧٠م.

(86) Hist. of Patr., pp. 330 f.

(87) Zoëga, Cat. No. XXI, p. 16.

(88) Budge's Miscellaneous, Coptic Texts pp. LVII, LX.

نخرج من هذا الوصف بحقيقة واضحة: أن المكتبة كانت موضع اهتمام بالغ يفوق الوصف بالنسبة للرهبان. فكان ولا يزال يشعر كافة الرهبان في كل دير بأن المكتبة هي أئمن مكان في الدير بعد أجساد القديسين الموجودين فيه. وكان الرؤساء وأمناء الأديرة يعطون المكتبة وحفظها الإعتبار الأول في مسئولية الرهبان.



صليب منحوت على قطعة من المرمر عُثر عليها في نقادة، وعليها كتابة تفيد أنه نُقل من بيت المقدس، ويرجع تاريخه إلى القرن العاشر. والملاحظ أن هذا الصليب يبدو وقد اخضرت خشبته وأخرجت أوراقاً وعناقيد غنب، وهو يشير إلى حقيقة روحية تصوفية أن الصليب لم يعد علامة أو آلة موت؛ بل حقيقة إلهية حية منيرة، فقد امتص آلام الإنسان وحوّلها في المسيح إلى عصارة حية فأورقت وأخرجت عناقيد الفرح والبهجة والخلاص.

الباب السابع

التاريخ الأثري لمباني الدير

بحسب الوصف الهندسي الدقيق لبعثة إقليدس هوابت التي كانت موفدة من متحف المتروبوليتان بنيويورك على فترات بين سنتي ١٩٠٩ و ١٩٢١ م. وذلك قبل التعديلات الكثيرة التي قام بها أنبا أبرآم مطران البلينا ورئيس الدير (١٩٢١-١٩٤٣)، والتي غيرت كثيراً من معالم الدير.

كما أدرجنا في هامش الصفحات التالية وصفاً موجزاً للإصلاحات والترميمات التي قام الدير بإيجازها فيما بين سنتي ١٩٧٦ و ١٩٧٨ ليستطيع القارئ أن يكون لنفسه صورة عن القديم بالمقارنة مع الواقع القائم الآن.

ونحن نأمل هذا الباب بتسجيل تعليقات المختصين من هيئة الآثار المصرية ومن المسؤولين في الكنيسة الذين تولت زيارتهم على الدير لمتابعة الجهد المبذول للحفاظ على هذه الآثار من الإنهيار أو الضياع.

ملحوظة هامة:

اللوحات الخاصة بفضول هذا الباب تجدها في الملازم الأخيرة من الكتاب.

مقدمة عامة

فن العمارة في الكنائس القبطية

في وصفه للكنيسة القبطية يقول العالم القبطولوجي ألفريد بطلر أنها: «ما زالت أعظم الآثار الباقية حتى الآن للمسيحية الأولى». وأيضاً «الكنيسة القبطية هي الممثل الوحيد الحي لأعظم أمة مجيدة عريقة في القدم». فالأقباط كانوا من أوائل الذين قبلوا بشارة الإنجيل ووضعوا قواعد للسلوك في الحياة والعبادة وإقامة المباني الدينية، وتمسكوا بالصليب مرفوعاً خلال أجيال طويلة من الاضطهاد المتوالي، وطقوس كنيستهم هي أقل الطقوس تغيراً وتبدلاً بين سائر الكنائس المسيحية في العالم!... وإن هذه الشهادة من عالم كنسي أنجليكاني تعتبر وثيقة غالية القيمة!!

فبمجرد أن زرع القديس مرقس الرسول البذرة الأولى في مصر حتى نمت وأثمرت، فتفتحت تربة مصر السوداء عن عقائد وتعاليم وكنائس على سائر أرضها، وانتشرت أبنية الكنائس على طول ضفاف النيل في الدلتا والصعيد حتى بلغ عددها الآلاف، وبلغ عمقها حتى النوبة وأثيوبيا في الجنوب. أما سكون الصحراء وقفرها المميت في كل أنحاء براري مصر فقد تحول حسب وعد الله في المزمور المائة والثامن: «يجعل القفر غدير مياه، وأرضاً يابسة تفيض ينابيع. يسكن هناك الجياع (أي الصومامون) يهثون مدينة سكن». وانبثقت الكنائس في المواضع المنعزلة ودشنتها حياة المتوحدين والنساك، وتقدست بدمائهم. وبالرغم من أن الذي تبقى قائماً من الكنائس القديمة قليل جداً؛ ولكن لحسن الحظ، فإن هذا القليل الباقي— كما يقول علماء الآثار— ذو قيمة أثرية بالنسبة للتاريخ وللإنشاء المعماري فائقة القدر. ومحور هذه الدراسة الآن هو كنائس مصر وأديرة شيهيت ووادي العربة. ففي مصر «مصر القديمة» لا يزال قائماً حتى اليوم أقدم كنائس العالم التي يمت بعضها إلى القرن الثالث الميلادي.

التصميم العام General Plan :

النمط الغالب في كنائس مصر هو الطراز البازيليكي الذي يقال أن المسيحيين الأوائل استعاروه من العمائر الحكومية الرومانية. فكلمة «بازيل» تعني «ملك»، و«بازيليكي» تعني «ملكي»، وهذا بالطبع إشارة إلى قصور الملوك وحكوماتهم. ولكن هناك فارق كبير بين تصميم الكنيسة المسيحية في نواته البدائية وبين البازيليكا الرومانية. فالكنيسة الأولى عموماً بدأت بصالة مستطيلة بسيطة يقسمها عقد دائري يفصل بين الهيكل والصحن. هذا التصميم الأوّلي

أضيف إليه فيما بعد رواقان أو جناحان جانبيين aisles (أي إضافة طولية على كلا الجانبين) ثم إضافة ثالثة في المدخل؛ بينما أصل البازيليكا الرومانية هو ساحة مفتوحة تحيط بها بواكي على أعمدة، ثم تطور هذا التصميم فصارت هذه الساحة مغطاة بسقف، ثم أهملت البواكي الجانبية فصارت البازيليكا الرومانية عبارة عن صالة عالية يغطيها قبة مستطيل. على أنه جاء وقت تطابق فيه التصميمان معاً: تصميم البازيليكا الرومانية وتصميم الكنيسة المسيحية الأولى، بعد أن صار مهندسو الحكومة هم أنفسهم الذين يقومون بهندسة الكنائس.

و يبقى بعد ذلك سؤال مهم: هل أخذت الكنيسة عن البازيليكا الرومانية الأروقة الجانبية؟ هذا احتمال بعيد لأن المنطق والحقيقة ضده. فكنيسة السبعة الراقدين في أفسس، المنحوتة في الصخر والتي لا يتعدى تاريخها القرن الثالث الميلادي، مقسمة إلى ثلاثة أقسام طولية تمثل الصحن الأوسط والجناحين الجانبيين. وعندنا في مصر شاهد مادي قوي وهو كنيسة المغارة الواقعة أسفل كنيسة أبو سرجة بمصر القديمة، ويرجع تاريخها إلى القرن الثاني أو الثالث، وهي مقسمة طولياً إلى ثلاثة أقسام. وكانت توجد كنيسة في الإسكندرية قريبة من مدافن السرايب catacombs الصخرية، في منطقة كليوباترة الحمامات، قد هدمتها تماماً نيران مدفعية البحرية الإنجليزية في حرب عراقي سنة ١٨٨٢م، هذه الكنيسة كانت ثلاثية الأقسام. وأخيراً، فإن طقس الهياكل الثلاثة في الكنيسة الواحدة القائم في أقدم الكنائس القبطية هو بجد ذاته برهان قاطع على أن وجود الرواقين الجانبيين هو طقس هندسي أكثر منه فناً!! وهو موغل في القدم إذ يرجع إلى عصور المسيحية الأولى حيث كل هيكل يتبعه صحن خاص. هذا الطقس الهندسي وجدناه يمتد على مر الزمن ويتطور، ويزداد عدد الهياكل حتى يصبح خمسة هياكل، كما حدث في كنيسة القديس أنبا مقار الكبرى حيث كان لكل هيكل صحن خاص به إلى درجة أن اعتُبر كل هيكل بصحنه عبارة عن كنيسة قائمة بذاتها وباسمها الخاص!! وهنا يقرر العالم بطرأن هندسة العمارة القبطية في كنائسها القديمة تعتبر فريدة في نوعها تستمد أصولها من غير الأصل البازيليكي الروماني.

و يبقى طراز معماري آخر إلى جانب البازيليكي في تصميم الكنائس القبطية، وهو الطراز البيزنطي نسبة إلى مدينة بيزنطة التي اشتهرت بكنائسها «أجيا صوفيا» ذات القباب المتعددة. ويتميز هذا الطراز باستعمال القباب في تغطية مساحات ذات شكل صليب أحياناً، ثم عدم وجود أجنحة جانبية طولية. ويقرر العالم بطرأن إطلاق لقب «بيزنطي» على هذا الطراز خطأ منطقي، فالمعروف أن القبة عُرفت في مصر منذ أيام الفراعنة وعنها أخذ الإغريق وكل الغرب. فالمصريون عرفوا قطعاً نظام إنشاء القبة قبل الإغريق!! ثم إن انتشار المسيحية في مصر قبل غيرها من أقطار العالم قاطبة هو الذي هيا لها أن تبدأ إقامة المنشآت الدينية قبل أي مكان في العالم. وفي حفريات

المعهد الفرنسي للآثار الشرقية في منطقة القلاي (كيليا) عُثر على قلاية كبيرة كان يجتمع فيها الرهبان للصلاة يغطيها قبة نصف اسطواني طوله ٣٠ متراً واتساعه ٨ أمتار، ويرجع تاريخها إلى القرن الخامس، وكانت هذه القلاية ضمن مجموعة خرائب يبلغ عددها ستمائة كوم. ويقرر العالم بطرأن المهندس الذي صمم كنيسة «أجيا صوفيا» في بيزنطة— وتاريخها يرجع إلى منتصف القرن السادس— قد أخذ عن المصريين وليس العكس!! مثلما أخذ الإغريق سابقاً عن الفراعنة.

الخصائص المعمارية للكنيسة القبطية:

من جميع الكنائس الموجودة حالياً لا توجد واحدة تماثل تماماً الكنائس البيزنطية، فالمهندسون الأقباط لم يكونوا يميلون إلى تصميم الكنيسة على شكل صليب. ولكن وُجدت كنائس قبطية قريبة في شكلها من الطراز البازيليكي الروماني، ومثال ذلك كنيسة الملك ميخائيل بقصر الشمع والتي هي الآن كنيسة يهودي بمصر القديمة^(١). هذا المبنى الصغير بأجنحته الجانبية ودهليزه الغربي وأروقته العلوية وحائطه الشرقي المستقيم الذي تتخلله «الشرقية» المألوفة ذات العقد الدائري، ثم العقد الكبير الذي يتوج مدخل الهيكل، كل هذا يمثل شكلاً من أشكال البازيليكا الرومانية الأصيل! والعجيب أن في دير أنبا مقار بالحصن القديم توجد أيضاً كنيسة الملك ميخائيل من نفس الطراز.

ومع أن الأقباط لم يعرفوا المسقط الأفقي للكنيسة على شكل صليب ككنائس البيزنطيين، إلا أن القبة عند الأقباط كانت ولا زالت هي النموذج المفضل لأسقف الكنائس، سواء كانت قبة واحدة أو قباباً متعددة. وأقرب الكنائس القبطية إلى الطراز البازيليكي لا تخلو من قبة تغطي هيكلها الأوسط، وغالباً توجد قبتان جانبيتان للهياكل الصغيرة الجانبية.

نستخلص من هذا أن التصميم المعماري القبطي للكنائس يجمع بين الطرازين البازيليكي والبيزنطي، فلم توجد كنيسة واحدة تخلو من عناصر متناسقة من كل من الطرازين. غير أنه يتحتم أن ننسب الأذهان مرة أخرى إلى أن طقس هندسة الكنيسة القبطية القديمة مستقل في هندسته حتى عن الألفاظ الفنية المتعارف عليها أي كلمة «بازيليكي» و«بيزنطي»!!

ففي دير أنبا مقار نرى التنوع ظاهراً في عمارة الكنائس، فالآثار التي عثر عليها مهندسو البعثة الأمريكية سنة ١٩١٠ وسنة ١٩٢٠ والتي على ضوئها وضعوا تصميماً لكنيسة القديس أنبا مقار الكبرى كما كانت في القرون السابقة توضح أنها كانت ذات أربعة هياكل وأربعة صحنون

(١) بيعت هذه الكنيسة إلى يهود مصر في عهد بطريرك أنبا خنائل السادس والخمسين ليتمكن من تسديد الجزية الباهظة التي فرضها عليه الوالي أحمد بن طولون.

متميزة، وصحن الكنيسة العام محمول على ٢٠ عموداً بخلاف الجدارين البحري والقبلي مما يوحي بأن السقف كان عبارة عن تسع قباب أو قباين هائلين طوليين. هذا بخلاف الخورس الأول الذي يُعتقد أنه كان بسقف مكون من خمس قباب وكانت تسمى «الإشكينا» أي القباب. فإذا أردنا تحديد الطراز الهندسي لكنيسة أنبا مقار نجد عبارة عن باز يليكا مركبة.

في حين أن كنيسة أباسخيرون نجد صحنها عبارة عن قباين مركبين على بعضها يقسمان صحن الكنيسة إلى خورسين مستعرضين (لوحة رقم ٥٨ في الملزم الأخيرة من الكتاب). وهذا الطراز كان مفضلاً في كنائس الصحاري كما هو ملحوظ في كنيسة أنبا يشوي أيضاً. وهو طراز هندسي لا يمكن وضعه تحت الباز يليكي ولا البيزنطي بل هو أقرب إلى نظام السرايب. ومن جميع الكنائس التي بدير أنبا مقار لا نجد إلا كنيسة الملاك ميخائيل بالحصن مطابقة للطراز الباز يليكي كما قلنا.

وفي دير أنبا أنطونيوس قرب البحر الأحمر توجد كنيسة لكل منها اثنتا عشرة قبة. وفي أديرة وادي النظرون بالصحراء الغربية نرى قباب الكنائس قليلة لكنها تتميز بالاتساع مع دقة الإنشاء مثل قبة هيكل أنبا بنيامين بدير القديس أنبا مقار التي يبلغ قطر قاعدتها حوالي ثمانية أمتار. وفي مدينة بوش بمحافظة بني سويف يوجد طراز فريد من نوعه بالنسبة للكنائس القديمة: قبة مركزية يحيط بها أربعة أنصاف قباب، ثم أربع قباب صغيرة في أركان البناء المربع. وبصفة عامة، كان المهندس القبطي يهتم بإبراز القبة التي تغطي الهيكل، ونادراً ما كان يفكر في أية قباب أخرى على الإطلاق.

وتتميز القبة القبطية عن مثيلتها البيزنطية في أن الأولى يظهر خارجها مداميك الطوب الأحمر التي تتكون منها القبة كما هو واضح جداً في قبة الميرون (قبة القديسة إيلاريا) بدير أنبا مقار. كما تتميز أيضاً في الفن القديم بوجود فتحات على هيئة صلبان كما لا يزال واضحاً في قبة أنبا بنيامين وقباب المائدة الأثرية بدير أنبا مقار.

ومن مميزات تصميم الكنائس القبطية في الأديرة عموماً هو وجود قباب (ثلاث غالباً) كاملة فوق الهياكل الشرقية وليس أنصاف قباب كما في الكنائس البيزنطية والسريرية.

ومدخل الكنيسة القبطية يقع دائماً في الغرب بينما الهياكل في الشرق. ومع أن الدراسات الحديثة لأقدم الكنائس في جنوب إيطاليا دلت على وجود المدخل في الشرق والهيكل في الغرب، إلا أنه لم يثبت حتى الآن أي دليل أو تقليد يشير إلى قيام مثل هذا التنظيم في كنائس مصر. على أن الضرورة قد تحتم أن يكون المدخل في غير جهة الغرب وذلك يكون استثناء غير محبوب على الإطلاق كما هو حادث في كنيسة الشيوخ الشهداء بدير أنبا مقار.

واتجاه الكنيسة القبطية إلى الشرق أمر أساسي في تصميمها رغم وجود انحراف قليل عن الاتجاهات الجغرافية المعروفة في بعض الكنائس لأسباب خارجة عن طاقة المهندس وهو أمر أيضاً غير محبوب، والاتجاه ناحية الشرق ينطبق على كل الكنائس القديمة في مصر بينما لم تعرفه كنائس أوروبا إلا في العصور الوسطى، ويعتقد العالم بطر أن أوروبا أخذت عن الكنيسة القبطية هذا الطقس. ويبدو أن المسيحيين الأوائل في مصر كانوا يميلون إلى أن يكون المدخل الغربي للكنيسة ذا ثلاثة أبواب. ولكن بسبب طول معاناتهم من الاضطهاد في العصر الروماني ثم الفتح العربي جعلهم ينصرفون عن الثلاثة أبواب و يقصرون المدخل على باب واحد فقط في الناحية الغربية من الكنيسة مع الاستغناء عن النوافذ والاكتفاء بفتحات صغيرة للإضاءة والتهوية. ومتى وُجد مدخل بعض الكنائس في جهة أخرى كالجبهة البحرية أو القبلية وأحياناً الشرقية — كما هو في كنيسة حارة زويلة بالقاهرة — فهذا راجع إلى أنه لا سبيل للوصول إلى مثل هذه الكنائس إلا من هذه الجهة بالذات. هذا وإن الطقس الكنسي القديم يشير أحياناً إلى وجود ثلاثة أبواب في الثلاث جهات، واحد غربي في نهاية الجانب البحري وهو خاص بدخول الموعوظين، والآخر شرقي في نهاية الجانب القبلي وهو المخصص لدخول السيدات، والثالث يتوسط الجانب الغربي وهو المخصص لدخول المؤمنين.

والكنيسة القبطية من الخارج لا يميزها عادة شيء عن المباني المحيطة بها، فليس لها مثلاً فناء ككنائس أوروبا؛ بل نرى أن واجهتها المطلقة على الطريق العام — وغالباً تكون هي الواجهة الغربية — تمتد لتلتحم مع المباني المجاورة بحيث لا تبدو مستقلة عما حولها. وواضح أن قصد المهندس القبطي من ذلك هو أن تدخل الكنيسة في صميم الحياة اليومية كجزء لا يتجزأ من واجب البيت القبطي. وغالباً تكون المباني المجاورة هي مساكن الكهنة وبيوت المهتمين بخدمة الكنيسة. والهدف من كل ذلك هو جعل العبادة في الكنيسة مهمة سهلة وحاضرة كل وقت. لذلك لا يوجد للكنيسة القبطية عادة نموذج معماري خاص للواجهة. فلم يكن قصد الفنان القبطي أبداً أن تنتزع الكنيسة الإعجاب بنقوشها الباهرة بل أن يشد نظر العابرين إلى ما بداخلها من تسابيح وطقوس.

و يلاحظ في الكنيسة القبطية ازدحام المبنى الرئيسي بكنائس صغيرة تصل إلى ثلاث أو أربع كنائس داخل الكنيسة الأصلية دون الاهتمام بكيفية الوصول إلى هذه الكنائس. فالبعض منها في الأجنحة الجانبية والبعض الآخر في الأجنحة العلوية، ولا يهم في ذلك أن تكون منفصلة أو مفتوحة على الصحن الرئيسي... فكنيسة أبوسيفين مثلاً تبدو من الخارج وحدة معمارية كنسية في حين أنها من الداخل مجموعة كنائس متعددة. هذا النظام لا مثيل له في كنائس العالم إلا الكنيسة الأيرلندية التي استعاضت عن الكاتدرائيات الشاهقة بمجموعات من الكنائس الصغيرة

يحيط بها سور واحد تقع بداخله حجرات الخدمة وبيوت الكهنة . وهناك أيضاً تشابه غريب في بناء الكنيسة الأيرلندية ونظيرتها القبطية وهو تغطية الصحن الأوسط مع خورس المرتلين بجمالون واحد أو قبو واحد كما هو حادث في كنيسة أنبا يشوي بديره بوادي النطرون ، وهو أمر لا نظير له على الإطلاق في كنائس الغرب المسيحي . ولا عجب في هذا إذ يوجد في دير أوليخ بأيرلندا سبعة رهبان مصريون مدفونون فيه تُذكر أسماءهم في إحدى ليتورجيات هذه الكنيسة . كما أن التصميم المعماري القبطي واضح في كنيسة جلاستبري بإنجلترا . وقبلها تدخل رهبنة القديس أغسطينوس اللاتينية إلى الجزر البريطانية كان القانون الرهباني السائد هناك هو القبطي فقط .

المنارة «برج الجرس»:

وانعدام المنارات «أبراج الأجراس» المرتفعة من الكنائس القبطية في العصور القديمة سببه قطعاً هونفور الأقباط من هذا النوع من الإنشاءات المظهرية الباهظة، كما ويرجع في العصور المتأخرة إلى تعرض المسيحيين إلى مزيد من الاضطهاد بسبب هذه المظاهر؛ ولكن هذا لم يمنع وجودها في أديرة الصحراء الآن، وذلك دخل ولا شك في عصور حديثة تشبهاً بكنائس المدن . وتتكون المنارة في الغالب من طابقين، وذات مسقط أفقي مربع . والطابق الثاني منها تتخلله فتحتان في كل جانب لها عقود دائرية كما يظهر في منارة كنيسة التسعة والأربعين شهيداً بدير أنبا مقار، وهي تعتبر من أصغر وأجل وأبسط المنارات في الفن القبطي الكنسي على الإطلاق، وقد أخذ عنها التصميم الحديث لمنارة كنيسة مار جرجس بمصر الجديدة .

أما موضع المنارة — إن وُجدت — بالنسبة للكنيسة فهو غير محدد، ولكن غالباً ما تكون منفصلة عن البناء الرئيسي .

والأصل في المنارة أن تحمل النور، أي يوضع في أعلاها مصباح يرشد السائرين في الظلام إليها؛ وهذا تعبير سري عن وضع الكنيسة في العالم باعتبارها مركز النور ومصدر روح الله الذي يرشد السائرين في ظلمة هذا العالم إلى المسيح . والواقع أن في بعض الكنائس الأولى كانت المنارة تُستخدم فعلاً لإرشاد الناس كما نعلم من قصة قنديل كنيسة مارمرقس في الإسكندرية الذي أرشد سفينة الخليفة وهي تائهة في أعماق البحر حتى أوصلتها إلى الميناء، الأمر الذي جعله يخصص وفقاً بحجة رسمية للصرف على إنارة هذا القنديل مدى الحياة .

كما تشير المنارة عادة إلى روح الرب أو إلى الملاك الحارس للكنيسة والشاهد على كلمة الله . والمعروف في الطقس الكنسي أن لكل كنيسة ملاكين حارسين يحضران وقت الذبيحة والصلاة، ترمز إليهما الشمعتان اللتان توضعان عن يمين المذبح وشماله . لذلك فإن المنارتين اللتين خارج الكنيسة هما إشارة ورمز للملاكين المنوط بهما حراسة شعب الكنيسة ورفع صلواتهم أمام عرش الله . لذلك فحينما نسمع أجراس المنارتين تدعو المؤمنين إلى الصلاة فهذا يكون بمثابة صوت روح الرب أو صوت الملاك . وحينما تُضاء الشمعتان على المذبح فهذا يكون بمثابة حضور الملاكين

الحارسين إيذاناً ببدء الصلاة . على أنه يتحتم ألا تُطفأ الشمعتان إلا بعد صرف الملاك بالصلاة الخاصة بذلك في نهاية القداس .

التقسيم الداخلي:

نتجه الآن نحو الشكل والتنظيم الداخلي مميزين بين ما اصطُح على تسميته بالطراز البازيليكي القبطي والطراز البيزنطي القبطي .

وبصفة عامة، يفصل الصحن الأوسط عن الأجنحة الجانبية صفان من الأعمدة البسيطة أو اليونانية أو الرومانية المزخرفة . والنظام المفضل لهذه الأعمدة هو اثنا عشر عموداً موزعة على ثلاثة جوانب الصحن: القبلي والغربي والبحري، وبذلك يبقى الجانب الشرقي خالياً مفتوحاً على الهيكل بينما تكون أعمدة الجانب الغربي دهليزاً Narthex وهو الجزء الغربي من صحن الكنيسة المعتبر مدخلاً . ويندر أن تنتهي الأعمدة الجانبية في حائط الكنيسة الغربي دون وجود صف من الأعمدة موازي لهذا الحائط الغربي . كذلك يندر أيضاً أن تبقى الأعمدة الغربية ظاهرة حرة مكشوفة رواقاً غربياً كالذي يظهر في كنيسة الملاك ميخائيل (الآن كنيسة يهودي) بالحصن الروماني؛ وذلك لأن هذا الصف من الأعمدة الغربية قامت بينه حواجز جعلته يتحول إلى دهليز خارجي أو حوش غرب الكنيسة كما يتضح ذلك في كنيسة أبو سرجة .

والأصل هو أن يكون الرواق الغربي في الكنائس المسيحية بصفة عامة هو المكان المخصص للموعوظين أثناء الخدمات الكنسية، وهو أيضاً مكان وقوف التائبين الراجعين وكل من كان تحت قوانين التأديب الكنسية، كما كان فيه جرن المعمودية في الجهة البحرية . أما في الكنيسة القبطية بصفة خاصة فقد تطورت بسرعة من كنيسة موعوظين إلى كنيسة قديسين، فلم يخصص للموعوظين أو التائبين أي أمكنة خاصة بسبب روح الاتضاع العامة أو ما يمكن أن نسميه الروح الشعبية التي تسود الكنيسة القبطية؛ فهي تُحسب الآن كلها كنيسة موعوظين أو تائبين بسبب عمل الكلمة التي جعلت الكل قديسين فعلاً بسبب روح التوبة الشاملة .

ولكن الرواق الغربي كان يُستعمل في بعض الكنائس القبطية في عيد الظهور الإلهي — الغطاس — حيث كان ينزل عامة الشعب في الجرن الكبير (مكان المعمودية القديمة) الموضوع في أرضية الكنيسة بعد أن يقدس الكاهن الماء بالصلاة؛ ولا يزال هذا المغطس الهائل موجود في الخورس الثالث — ما يقابل الرواق الغربي — من كنيسة العذراء المسماة بكنيسة المغارة بدير السريان .

وفي كنيسة الدير الأبيض ناحية سوهاج — وتاريخها يعود إلى القرن الثالث أو الرابع الميلادي — رواق غربي منفصل عن صحن الكنيسة بجائط يتخلله المدخل الرئيسي الغربي للكنيسة؛ في هذا الرواق كان قائماً، ولا يزال، معمودية تُعتبر من أجل الآثار المسيحية الباقية منذ العصور المبكرة .

صحن الكنيسة:

حوائط الصحن في الكنائس البازيليكية الطراز محمولة في العادة على إفريز خشبي مستمر فوق الأعمدة، وتتخللها عقود صغيرة مفتوحة بكامل سمك الحوائط لتخفيف ثقلها على الأعمدة. والإفريز يزِين عادة بألوان وزخارف ذهبية وآيات مكتوبة باللغة القبطية مع صلبان متقاطعة. ولكن في كنيسة المعلقة استعملت عقود مدببة في جانب الصحن البحري بدلاً من الإفريز، أما في كنيسة أبو سرجة فقد استُعيض بالدعامات الضخمة المتصلة بعقود علوية عن الأعمدة المستديرة، وذلك لفصل الأجنحة الجانبية عن صحن الكنيسة.

وفي الكنائس البيزنطية خارج مصر لا نجد الدعامات، سواء المربعة أو المستطيلة، على استقامة واحدة بل في مجموعات تحمل عقوداً في جوانبها الأربعة. وكان المعمار يونانيون يجعلون الأعمدة متقاربة. أما الرومان فكانوا يفضلون المسافات المتباعدة بين الأعمدة مما جعلهم يلجأون إلى استعمال عقود مدفونة في الحوائط فوق الإفريز لتخفيف أثقال الحوائط على الإفريز. فجاء الأقباط واتخذوا خطوة أكثر جرأة وهي إبراز هذه العقود المدفونة، فظهرت فوق الإفريز، كما نراها في كنيسة أبو سرجة وأبنا شنودة بمصر القديمة، واستعاضوا أيضاً عن الإفريز الحجري بآخر من الخشب يصل بين الأعمدة، والخطوة التالية في هذا التطور هو توسيع العقد ليشمل المسافة كلها بين كل عمودين. وأخيراً، بسبب الحاجة إلى الإفريز استُغني نهائياً عن العقود.

الأروقة العلوية:

ويعلو الأروقة الجانبية والغربية طابق علوي بنفس المقاسات، كان يخصص للنساء وقت الصلاة في الكنيسة، وهو أمر معروف على الأقل منذ عصر أوغسطينوس. ويفتح هذا الطابق على صحن الكنيسة الأوسط ببواكي واسعة تتخللها أعمدة صغيرة تمتد بينها ستائر من خشب أرابسك مفرغ أو درابزين منخفض يكفي لإخفاء النساء عن جماعة المصلين بالطابق الأسفل. ومثال ذلك ما زال موجوداً في كنيسة أبي سرجة والست بربرة بمصر القديمة. بينما لا يوجد هذا النظام إطلاقاً في كنائس أديرة الصحراء لعدم وجود النساء. ومع مضي الزمن شغلت النساء الناحية الغربية من الدور السفلي، وأقيم حجاب يفصل بينهن وبين سائر صحن الكنيسة، وهذا حدث في القرن العاشر تقريباً. وتبع هذا تغيير استعمال الأروقة العلوية حتى أصبحت منفصلة أحياناً في استعمالها عن سائر جسم الكنيسة، لأن طريق الوصول إليها كان من المباني المجاورة وليس من نفس مدخل الكنيسة. فاستعملت الأروقة العلوية ككنائس صغيرة ملحقة، كما في كنيسة أبو سرجة والست بربرة. وبسبب الفتور الذي حل بالشعب واضمحلال عدد المصلين بطل استعمال هذه الكنائس الصغيرة وانضمت إلى منافع الكنيسة فصارت ضمن بيوت الكهنة وخدام الكنيسة أو اقتصر استعمالها على مرة واحدة فقط كل سنة.

الخورس الأول:

وهو مكان وقوف المرتلين في الكنيسة. ففي بعض الكنائس ذات الطراز البيزنطي — ككنيسة العذراء بجارة الروم — لا يتميز الخورس عن سائر الصحن بأي ارتفاع أو سلام أو درابزين. وفي كنيسة الأمير تادرس ترتفع أرضيته عن الصحن بمقدار درجة واحدة وكان له فيما مضى درابزين مرتفع من خشب الأرابسك المفرغ تفصله عن سائر الصحن.

و يبدو أن الكنائس في العصور القديمة لم يتميز فيها الخورس عن الصحن بأي شيء، وأول إشارة إلى وجود خورس منفصل ترجع إلى القرن السابع.

وتمتاز الكنيسة القبطية عن سائر الكنائس الأخرى بأن الخورس الأول يمتد فيها بعرض الكنيسة أمام الثلاثة هياكل الشرقية، وأحياناً يكون له درابزين من الخشب يفصله عن الصحن كما هو حادث في كنيسة الشيوخ بدير أبنا مقار. وفي بعض كنائس وادي النطرون نجد أن له حائطاً يرتفع إلى سقف الكنيسة مثل كنيسة أبنا مقار الحالية وكنيسة أباسخيرون بدير أبنا مقار وكنيسة المغارة بدير السريان، ويتخلل هذا الحائط باب أو بابان. وفي بعض الكنائس الأخرى نجد أن الفاصل بين الخورس والصحن عبارة عن حائط منخفض — دروة — بدلاً من الستارة الخشبية التي كانت توجد في كنائس مصر القديمة.

وكان يعلو حجاب الخورس — أي الستارة الخشبية العالية بين الخورس والصحن — سلسلة من الصور تمثل مناظر من الكتاب المقدس أو أيقونات الرسل والقديسين، كما أن القاعدة العامة هي أن تعلق صورة الصلبوت مدخل الخورس (٢)، ومثال ذلك ما كان موجوداً في كنيسة أبنا أنطونيوس الملحقة بكنيسة أبو سيفين بمصر القديمة. ولكن جميع أحجبة الخورس قد أزيلت من معظم كنائس مصر ولم يبق منها شيء إلا في كنائس وادي النطرون. واتساع الخورس مقاساً من الشرق إلى الغرب يتراوح بين عشر خطوات إلى اثنتي عشرة خطوة، ولا يحتوي على أية مقاعد أو أماكن ثابتة للمرتلين عدا منجلبتان متحركتان وحامل شموع مرتفع.

الإنبل: (المنبر):

وموضعه في صحن الكنيسة هو الزاوية البحرية الشرقية. وأروع النماذج الموجودة منه هو القائم في كنائس المعلقة وأبو سيفين ومارمينا بمصر القديمة. ومكانه ثابت، يمتد من الشرق إلى الغرب والصعود إليه يكون عن طريق سلم من طبقة واحدة فقط. أما كنائس أديرة الصحراء فالإنبل فيها كان من الخشب المفرغ والمطعم كما كان إنبل كنيسة أباسخيرون بدير أبنا مقار الذي استخدمت

(٢) لهذا السبب توصي الكتب الطقسية الكاهن أثناء رفع البخور أو في قداس الموعوظين أن يقول هذه الأرباع عند خروجه إلى الخورس الثاني: «يسوع المسيح أمس واليوم هو هو وإلى الأبد، بأقنوم واحد نسجد له ونمجده»، ثم يبخر الكاهن شرقاً، أي مقابل أيقونة الصلبوت: «هذا الذي أصعد ذاته ذبيحة مقبولة على الصليب عن خلاص جنسنا... إلخ.» (كتاب الخولاجي المقدس).

بقاياه في صنع حجاب كنيسة العذراء بحصن الدير.

الهيكل:

لكل كنيسة عادة ثلاثة هياكل بها ثلاثة مذابح، ولكن في كنائس وادي النظرون يقل العدد ويزيد تبعاً لاستخدام الكنيسة وحجمها، فقد كان لكنيسة أنبا مقار الكبرى بديره أربعة هياكل تفتح على بعضها، وكل هيكل له صحنه الخاص به. أما كنائس الحصن فبعضها له هيكل واحد مثل كنائس الطابق الثاني، وأما كنيسة العذراء بالطابق الأول فيلاحظ أن لها هيكلاً واحداً يتسع لثلاثة مذابح متحدة على مصطبة واحدة ممتدة لتشملها جميعاً.

وفي بعض كنائس مصر القديمة تقع الهياكل ضمن المبنى الرئيسي للكنيسة أي في نفس الطابق، وفي البعض الآخر تكون في الأروقة العلوية. وجميع الهياكل تقع على استقامة واحدة في الجهة الشرقية من الكنيسة، وهذا تقليد قديم. ففي كنيسة حارة زويلة والست بربارة، وهما من أقدم كنائس مصر، لا يزال ظاهراً فيها آثار مذابح أقدم من المقامة حالياً. وحتى الكنائس الصغيرة الملحقة بالكنائس الكبيرة كانت في الغالب ذات ثلاثة مذابح مثل كنيسة العذراء التي بالطابق العلوي لكنيسة أبو سيفين بمصر القديمة، طالما أن المكان يسمح بتقسيم الجهة الشرقية إلى ثلاثة هياكل. ولا بد أن يكون المذبح في وسط الهيكل حتى يسمح بالدورات الاحتفالية في الأعياد أو دورة البخور في القداسات، كطقس الكنيسة القبطية.

ويفصل الهياكل عن الخورس الأول حجاب خشبي مستمر أو حائط سميك كما هو حادث في كنائس أديرة وادي النظرون. أما الهياكل نفسها فتتصل عن بعضها إما بجوانب أو بواسطة دهاليز توصل بينها. وهي ترتفع درجة أو درجتين على الأكثر عن مستوى أرضية الخورس.

حجاب الهيكل أو الأيقونوستات (حجاب الصور):

أولاً: في الأديرة:

من الأمور الملفتة للنظر جداً أن كنائس الأديرة العتيقة تخلو تماماً من أي أثر للأيقونوستات أو حجاب الصور الذي يفصل الهياكل عن الخورس الأول، أي قدس الأقداس عن الشعب.

كما يلاحظ في الكنائس العتيقة وبالأخص في كنيسة أنبا مقار التي تُعتبر هياكلها القائمة الآن من عمارة القرن السابع الميلادي أن أبواب الهياكل متسعة جداً وعبارة عن عقد دائري ضخم يصل إلى السقف تقريباً.

هذا الإنجاء المعماري لا نستطيع أن نعبر عليه دون أن نشير إلى أن الأقباط الأوائل لم يرتضوا في فهم الكنسي أن تكون صور القديسين حاجباً بينهم وبين الله في قدس الأقداس (الهيكل)، ولا

ارتضوا بأن تكون أبواب الهياكل ضيقة إذ اعتبروا أن المسيح جعل بدمه المقدم على المذبح كل يوم «(دخولاً بسعة) إلى ملكوت ربنا ومخلصنا يسوع المسيح الأبدي» (٢ بط ١: ١١).

ولكن اقتصر الأقباط الأوائل على رسم صور القديسين والآباء والأنبياء داخل الهياكل وفي الدوائر العليا من القباب والسقوف تعبيراً على أنهم صاروا سحابة شهود لا حاجزاً وحجاباً. وتعتبر الصور المرسومة في هيكل أنبا مقار ويوحنا المعمدان في كنيسة أنبا مقار بيرية شبيهت نموذجاً رائعاً لدراسة الفن القبطي التعبيري عن هذا الموضوع العقائدي والروحي بأن واحد.

ثانياً: في الكنائس الآن بمصر:

تجده من الخشب المعشق المنقوش بزخارف أرابسك أو أشكال هندسية ومطعم بصلبان ونجوم رائعة من العاج الأبيض. ولكل هيكل مدخل ذو عقد دائري - غالباً على شكل حدوة الفرس - له باب من مصراعين، يعلو كل واحد منها آية من الكتاب المقدس بالقبطية أو العربية بحروف مطعمة بالعاج. وقد يبرز من حجاب الهيكل الأوسط عن جانبي الهيكلين الجانبيين، كما في كنيسة أبو سرجة وحارة زويلة. هذا البروز يسمح بوجود باين جانبيين للهيكل الأوسط، وهو طقس قديم له ارتباط بالدورات الاحتفالية في الأعياد داخل الهيكل والخورس، وعلى جانبي فتحة مدخل الهيكل يوجد شبك مربع في الحجاب له ضلفة منزلقة ويرتفع ١٥٠ متراً عن الأرضية. وكانت هذه الفتحات موجودة أيضاً في حجاب الخورس في كنيسة أبو سرجة قبل إزالته. وأمام الهيكل تتدلى ثريات من الفضة لإضاءة الخورس والهيكل. وباب الهيكل له ستر من الحرير تزينه آيات كتابية ووصلبان ومناظر مقدسة، مشغولة بخيوط الفضة، وستر باب الهيكل ثمين بهذا المقدار لأن المصلي عند دخوله الكنيسة كان يسجد أمام باب الهيكل ويقبل طرف الستر، وهي عادة قديمة عند الأقباط تمتد إلى زمن سحيق. وعند بدء الصلاة يطوى هذا الستر جانباً ويفتح باب الهيكل إلى الداخل.

وأعلى الحجاب مقسم إلى أقسام في كل منها صورة لأحد الرسل أو الأنبياء، أما توزيع الصور على الحجاب من أسفل فله طقس كنسي خاص به حسب ترتيب معين دقيق على كل من جانبي الهيكل المذكور في كتاب دورة الصليب.

من هذا الوصف يبدو أن حجاب الهيكل في الكنيسة القبطية أصبح شيئاً فشيئاً قريباً من مثيله في الكنيسة البيزنطية، بعد أن كان الحجاب أصلاً لا يزيد عن مصبغات خفيفة مفتوحة سواء خشبية أو معدنية. فيحدثنا أوسابيوس المؤرخ الكنسي عن الكنيسة الكبيرة في مدينة صور بفلسطين أنه كان لها مصبغات من الخشب المشغول بدقة فنية تثير دهشة الناظرين. ومعروف أن حجاب الصور (الأيقونوستات) بوضعه الراهن المسدود تماماً ظهر في القرن الثامن كرد فعل لحرب

الأيقونات في العالم البيزنطي. أما حجاب الهيكل في أقدم كنيستين في مصر: أبو سرجة والعذراء بحارة زويلة، فيرجع تاريخها إلى ما قبل القرن العاشر بقرن على الأقل. وفي هاتين الكنيستين نرى باب الهيكل ذا عقد منخفض وله مصراعان، وهو متطور عن نظام أقدم منه. والدليل الذي نعتد عليه في هذا التمييزين تطور الأحنجة في الكنيستين القبطية والبيزنطية هو الإكتشاف الذي اكتشفه مستر ألفريد بطلر في كنائس أديرة وادي النظرون. ففي كنيسة العذراء بدير السريان بابان مرتفعان (وهما من الفن السرياني وليس القبطي) ولكل منهما ثلاثة مصاريع، يرتكان على أكتاف حائط الهيكل؛ وحين تفتح هذه المصاريع الستة ينكشف الهيكل تماماً، وحين تغلق تكون هي حجاب الهيكل الذي يحجب ما في داخله تماماً. ومن طراز الخط السرياني على عتبة وقوائم هذه المصاريع يمكن ترجيح تاريخها إلى سنة ٧٠٠ م. وفي دير أنبا بيشوي عُملت أبواب الهيكل على نفس النمط فيما عدا أن لكل باب مصراعين بدلاً من ثلاثة، ثم أغلقت هذه المصاريع فتحوّلت إلى حجاب ثابت، وعلى ارتفاع ١٦٠ متراً من أرضية الخورس أزيل بالمنشار جزء نصف دائري من الصلبيتين الداخليتين فصار بذلك مدخل الهيكل عبارة عن فتحة نصف دائرية من أعلى بضلفة متحركة على كل جانب، وهكذا صار مطابقاً تمام المطابقة لحجاب هيكل كنيسة أبو سرجة. أما الصور المرسومة فقد استعُض عنها بأيقونات من العاج المطعم على مصاريع الباب المتحركة.

وهنا ينبغي أن نقرر أن حجاب كنيسة أبو سرجة (القرن التاسع تقريباً) بمصر القديمة يُعتبر أقدم الأحنجة الباقية في كنائس العالم حتى الآن سواء كنائس الشرق أو الغرب. فكل كنائس الغرب غيرت ورُمت واستبدلت أحنجتها بأخرى أحدث منها على ممر السنين. وأما كنائس الشرق فما نجا منها من أيدي الأتراك في آسيا الصغرى وبلاد اليونان تحول كله إلى مساجد وتحطمت أجزاءه أثناء استبدال الصليب بالهلال فيها.

ولكل هيكل جانبي مجموعة مستقلة من الأيقونات فوق حجابيه. وقد كان لكنيستي أبو سيفين ومارمينا بقم الخليج حجاب خاص للخورس كحجاب الهيكل يتوسط باب ذو مصراعين وتعلوه مجموعة من الأيقونات بدلاً من مصبغات الخشب الخفيفة التي تميز الخورس عن صحن الكنيسة. هذا المشال لحجابين أحدهما للهيكل والآخر للخورس، فريد في نوعه ولم يكن له ما يشابهه في أي كنيسة أخرى.

والحائط الشرقي للهيكل، وخاصة الهيكل الأوسط، مجوف إلى الداخل، ولكن لا يظهر منه شيء خارج الكنيسة، أي أن الناظر من الخارج لا يرى سوى حائط مستو دون أي تقوس أو انحناء. وتقوس الحائط الشرقي إلى الداخل سمة قديمة أثرية تميز كنائس العصور الأولى في آسيا وأوروبا. ويحتمل أن الكنائس ذات الحائط الشرقي الواحد المجوف إلى الداخل أقدم من تلك التي

لها ثلاثة حوائط مجوفة في هياكلها الثلاثة، ككنيسة العذراء بحارة زويلة والست بربرة بمصر القديمة. لكن هذا ليس شرطاً أساسياً، فكنائس الأديرة بوادي النظرون، الحوائط الشرقية في هياكلها مستقيمة مع أنها قديمة جداً.

وفي وسط الحائط الشرقي المجوف توجد «الشرقية» ولها درجات ممتدة بطول الحائط ومقوسة مع تقوس الحائط، وفوق أعلى درجة منها توجد مصطبة مرتفعة يتوسطها كرسي التجليس — الطرونوس — للبطريرك أو الأسقف حين وجوده في الكنيسة، وحوله كان يجلس على المصطبة اثنا عشر من شيوخ الكهنة. وفي جلوسهم هكذا يكون وجههم متجهاً ناحية الغرب ليتابعوا صلوات القداس في الهيكل. هذا الطقس كان موجوداً في كنائس الغرب القديمة إلا أنه لم يستمر فيها كاستمراره حتى الآن في كنائس مصر. وقد بلغت الدقة في تطعيم منصة التجليس هذه بقطع الفسيفساء الملون حداثاً رائعاً، كما يظهر في كنائس أبو سرجة وحرارة زويلة وأبو سيفين. وخلف كرسي التجليس توجد «الشرقية»، وهي ذات عقد دائري من أعلى حيث كان يعلّق فيها سراج دائم الإنارة^(٣). وهذه الشرقية يتحتم وجودها في كل كنيسة قبطية.

واستعمال حائط مجوف شرقي الهيكل قديم جداً في مصر، وتكرار استعماله في الهياكل الجانبية يدل على أنه كان أمراً ذا أهمية كبرى، ففي الهياكل الجانبية بكنيسة المعلقة وهياكل كنيسة أنبا مقار الحالية نرى الدرجات صغيرة جداً مما يوحي بأن القصد منها هو الإحتفاظ بتقليد معين فقط في شكل حائط الهيكل الشرقي. وحتى إذا وُجدت كنيسة حائطها الشرقي مستقيم — مثل كنيسة العذراء بدير أبو سيفين — فلا بد أيضاً من وجود «الشرقية» فيه. وكان يغطي «الشرقية» أحياناً رسم حائطي كبير للسيد المسيح وهو يرشم بيده البركة^(٤).

الموزاييك القبطي:

ويغطي حائط المنصة ألواح وقطع من الرخام متعددة الألوان بارتفاع حوالي ٢٠٠ متراً. هذه التكسية بالرخام قديمة الاستعمال في الكنائس. وقد تداعى هذا الفن في بلاد الغرب من عهد ليس بقریب.

وفن الموزاييك القبطي — الفسيفساء — يختلف عن مثيله خارج مصر من حيث التكوين. فالموزاييك القبطي يتركب من قطع متناهية الصغر من الرخام الملون موضوعة إلى جوار بعضها البعض دون أن يظهر أي أثر خارجي للحامات، ثم تطعم بعجينة مستخرجة من اللؤلؤ تسمى عرق

(٣) قارن (خروج ٢٧: ٢٠ و ٢١)، (لاو بين ١: ٢٤-٤).

(٤) أو أيقونة الصعود كالتى اكتشفت في دير باو يط ومعروضة حالياً في المتحف القبطي، ومثلها أيضاً في شرقية هيكل أنبا بنيامين بدير أنبا مقار (راجع ملازم الصور من هذا الكتاب).

اللؤلؤ تضيئي عليه بريقاً خاصاً كاللآلئ. وكان الأماكن الخاصة ذات الكرامة العظمى في الكنائس، وأساساً شرقية الهيكل — تغطى بهذه الفسيفساء. وأقدم مثال لذلك هو جرن المعمودية الدقيق الصنع بالكنيسة الصغرى بالمعلقة، وفي الهيكل القبلي بالكنيسة الكبرى بالمعلقة تظهر الفسيفساء جنباً إلى جنب مع قطع الرخام الدقيقة في تنوع مدهش. والمنبر — الإنبل — في كنيسة أبوسيفين بمصر القديمة مكسو بالفسيفساء المعقدة، وهي في غاية الإبداع مع أنها خالية من عرق اللؤلؤ هذا.

أما فن الموزاييك الذي اعتاده الأوروبيون في الكنائس البيزنطية — مثل آجيا صوفيا بإستانبول ومارمرقس بالبندقية — فهو يتركب من مكعبات متشابهة من الإنامل الملون، أي من عجينة زجاجية معتمة وملونة بأكاسيد معدنية. والموزاييك المذهب كان يتركب من صهر قطعتين من مكعبات الموزاييك الرقيقة بينها ورق الذهب. ولكن عند الأقباط لم تُعرف عجينة الإنامل هذه، فالموزاييك القبطي أساسه قطع الرخام بألوانه الطبيعية في أحجام متناهية الصغر وتشكل على هيئة مربعات أو مستطيلات أو مثلثات أو دوائر تجمع في أشكال هندسية زخرفية حسب ألوانها الطبيعية. وبذلك لم يتيسر لهم تركيب أي صورة من الموزاييك بسبب صلابة الرخام ومحدودية ألوانه الطبيعية التي لا تسمح بأية تلوينات تصلح للصور.

وعن الأقباط انتقل فن الفسيفساء إلى المساجد الإسلامية في مصر. بل إن التشابه الكبير بين أشغال الرخام والموزاييك في المساجد والكنائس يقطع بأن الفنانين الأقباط هم الذين قاموا بتزيين المساجد بالموزاييك. فالشرقية في الهيكل هي أغنى أجزاء الكنيسة بالفسيفساء، تقابلها القبلة في المسجد؛ وبالمثل أيضاً إنبل الكنيسة يماثل منبر المسجد.

بعد هذا الاستطراد الذي لا بد منه، نعود إلى حائط الهيكل الشرقي الذي يكسوه الرخام المزخرف والفسيفساء الملونة من أسفل، أما من أعلى فتوجد صور الإثني عشر تلميذاً يتوسطهم السيد المسيح فوق «الشرقية»، أو مرسوماً داخلها ويده في وضع البركة، وكل هذه الصور مرسومة بالفرسكو. أما إذا لم توجد تكسية الرخام في هذه الحالة تشمل الصور ارتفاع الحائط كله.

والا اتصال بين الهيكل الأوسط والهيكل الجانبية أمر على جانب من الأهمية كقاعدة ثابتة، وفي أديرة الصحراء يتم عن طريق أبواب تحترق سُمك الحوائط الفاصلة بين الهياكل. وعلى ذلك نقول أن مثل هذا الاتصال ذو قيمة طقسية هامة، لأن الطقوس يحتم على الشماس أن يخرجوا ويدخلوا من أبواب الهياكل الجانبية ولا يعبروا قط من باب الهيكل المتوسط المعتبر أنه الباب الذي لا يدخل ولا يخرج منه إلا الكاهن فقط.

ومع أن الهياكل الجانبية لا تُستعمل إلا مرات قليلة في السنة في أعياد القديسين الذين

تكرست هذه الهياكل على أسمائهم، إلا أن الملاحظ بصفة عامة في كنائس مصر القديمة أن الهياكل القبلية دائماً غنية بالزخارف ومعنى بها أكثر من الهياكل البحرية، بسبب استخدامها في خدمة المعمودية على مدار السنة، لأن الهيكل القبلي هو الذي يتقدم إليه المعمدون للتناول لأول مرة. وفي حالة استعمال الهياكل الجانبية للصلاة لأي سبب، فالقبلية أكثر استعمالاً من البحرية، وإذا استغنى عن أي مذبح جانبي، فيكون هو المذبح البحري (٥). ويلاحظ هذا في كنائس مارجرجس الملحقة بكنيسة مارمينا بضم الخليج وأبو سرجة والمعلقة.

المعمودية:

يلحق بكل كنيسة معمودية. أما موضعها فيختلف اختلافاً كبيراً من كنيسة لأخرى، ففي كنيسة أبو سرجة توجد في الجناح البحري، وفي أبوسيفين توجد في الجناح القبلي، وفي العذراء مريم بدير أبوسيفين بمصر القديمة توجد في الجهة الغربية من رواق المدخل الغربي. وأحياناً وجدت المعمودية في مبنى صغير ملحق بالكنيسة مثلما هو حادث في كنيسة مارمينا بضم الخليج وأغلب الكنائس الأخرى.

ومع أنه في سائر كنائس العالم كانت المعمودية أصلاً خارج مبنى الكنيسة الرئيسي إلا أنه في مصر غير ذلك، لأن الأمر يتطلب نوعاً من السرية. ومع أن التقليد القديم يقول، كما يذكر يوستين الشهيد وترتليان، أن المعمودية كانت خارجة عن الكنيسة، إلا أن جميع الشواهد في كنائس مصر تدل على أن هذا التقليد لم يكن متبعاً فيها. ففي العصور المسيحية الأولى كان جرن المعمودية موضعه في الفناء الداخلي المقابل للكنيسة، وحوض اللقان في الكنيسة القبطية ربما يكون هو الأثر الباقي لهذا التقليد القديم لأنه يقع فعلاً في هذا المكان بالنسبة للكنيسة القبطية، وحوافه الخارجية المصنوعة من الرخام تذكرنا بتقليد قديم عن المنطقة التي اعتمد فيها السيد المسيح في نهر الأردن أنها كانت بدرجات رخامية وحوائطها أيضاً كانت مغطاة بالرخام.

وجرن المعمودية عبارة عن حوض دائري غاطس في الأرضية. والمعمودية القديمة في كنيسة مار يعقوب المقطع ويوحنا المعمدان الملحقة بكنيسة أبوسيفين نرى جرنها عميقاً في الأرض وله درجات للنزول إليه، أي أنه مهياً أصلاً للتغطيس والعماد بالجملة.

وفي المكان المخصص للمعمودية لا يوجد مذبح ولكن نلاحظ وجود ارتداد دائري في حائطها الشرقي مثل «الشرقية» الهيكل. في هذا الارتداد توجد صورة للسيد المسيح وهو يعتمد في الأردن. ولكل معمودية صليب معدني أو من الفضة ومنجولية خاصة بها شمعدان للإضاءة أثناء ممارسة

(٥) كما هو قائم في كنيسة الشهيد أسخيريون بدير أنبا مقار.

السري. وحسب العادة القديمة، يُخصّص للنساء مكان منفصل بجباب داخل المعمودية. ولم يوجد في أي كنيسة قبطية جرن معمودية قائم بذاته منفصل عن الحائط كما وُجد في كنائس الغرب القديمة.

مباني أخرى ملحقة بالكنيسة:

وأهمها «المنذرة»، وفي كنائس الأديرة «الدوكسار»، وهو ملحق بالكنيسة حيث يجلس المصلون عقب الصلاة للحديث. ففي كنيسة أبو سيفين توجد منذرة منفصلة ولكنها ملحقة بمباني الكنيسة. وفي كنيسة أبو سرجة عبارة عن حوش صغير مفتوح تحيط به المقاعد. ولكن أجل أمثلة هذا النوع من المباني، وإن كانت الآن خراباً، هي ما يسمى بقاعة العرسان وكانت ملحقة بكنيسة مار جرجس بقصر الشمع، وهي مزينة بزخارف رائعة من المصيص الملون والخشب المشغول بدقة فنية مذهلة. كما توجد إلى الآن منذرة ملحقة بكنيسة المعلقة تبدو بأثاثها المصنوع من الخشب المطعم بالصدف آية في فن الأرابسك يشهد ببراعة الفنانين الأقباط.

وحيث أن الكنيسة تعتبر مؤسسة دينية متكاملة الخدمات لذا كانت تشمل أيضاً بيوت الكهنة وخدام الكنيسة وبنراً وخزاناً للمياه وفرن القربان. وما الدير الآن في حقيقته إلا صورة متكاملة للكنيسة وخاصة بعد أن صار له أسوار تضم بيوت الكهنة والشماسة وأماكن الخدمات الخاصة بالكنيسة.

المدافن القبطية:

للأقباط مدافن خاصة وتسمى في الأديرة بالطافوس ταφος وهي كلمة من أصل يوناني وتعني «مقبرة» مفردة أو للجمع.

والمعروف أن البطارقة والأراخنة والأعيان — كانت مدافنهم داخل الكنائس كما هو حادث في كنيسة أبي سيفين والمعلقة، لكن دون أي علامة خاصة أو نصب تذكاري يدل على مكان المدفن في الكنيسة. كذلك إذا قدم أحد المحسنين آنية للمذبح، لم يكن ينقش عليها سوى صلاة صغيرة دون أي ذكر لاسم واهبها، بعكس ما هو حادث الآن إذ أن كل من يقدم شيئاً للكنيسة يحاول أن يذكر اسمه واسم أمه وأبيه، وهذا في الواقع وضع قبيح وغير طقسي بل وغير روحي على الإطلاق، فالذي يريد أن يذكره الناس و يذكرون فضله ومعروفه لا يمكن أن يذكره الله ولا يكون له أي أجر فيما قَدَم. أما السكوت عن ذكر الاسم فإنه لا يُثَمَّن بثمن. وهذه القاعدة الذهبية ذاتها هي التي نجدها مطبقة مع الذين جعلتهم أعمالهم الخيرية يستحقون الدفن في الأبنية المحيطة بالكنيسة — كما هو الحال في كنيسة أنبا شنودة بمصر القديمة، ففي الأبنية المظلمة أسفل الجهة الغربية لهذه الكنيسة يرقد كثير من أعيان الأقباط دون سطر واحد على أي شاهد إلا ما تبقى في

أذهان الناس. وبالمثل أيضاً في مدافن كنيسة الست بربرة أسفل الحصن الروماني، هناك الموتي بدون أسماء.

أما في الأديرة فعسير جداً أن يتعرف الإنسان على أي اسم لأي من الأجساد المدفونة بالدير.

ولكن في الأزمنة الحديثة بدأ الأقباط يقلدون رجال الغرب وأهل السياسة بإقامة الأضرحة الفخمة التي تعلو على سطح الأرض لتسجل أسماء لا قيمة لها، وقد نسوا الحقيقة التي عاشها آباؤهم وأدركوها حق الإدراك، وهي أنه لا يستحق الذكر بعد الموت إلا من تركوا أعمالاً صالحة تشهد عنهم.

وما زال هذا التقليد الأصيل العريق قائماً في أديرة وادي النظرون. فعلى مدى خمسة عشر قرناً من الزمان وألوف من الرهبان سكنوا هذه الأديرة والبراري لكن من المستحيل أن تميز قبر أي شخص مهما كانت حيثيته، ولكن أعمال كل واحد مذكورة في وعي الكنيسة بل وفي صلواتها!!

[هذه المقدمة مقتبسة من كتاب:

Alfred J. Butler, *The Ancient Coptic Churches of Egypt*, Oxford, 1970, Vol. I.

ويتبعها الوصف الهندسي للمباني الأثرية للدير بحسب ما رآه إفلين هوايت بين سنتي

١٩٠٩ و ١٩٢١م، مع رجاء ملاحظة ما يرد في هوايت الصفحات من بيان التعديلات الحديثة التي

تمت بين سنتي ١٩٧٦ و ١٩٧٨.]

(وصف الدير كما رآته بعثة إفلين هوايت عامي ١٩٠٩ و ١٩٢١ م)

الفصل الأول

أسوار الدير

كان الدير الحالي مقاماً على رقعة من الأرض رباعية الشكل غير منتظمة تحيط بها أسوار عالية رتيبة المنظر (لوحة رقم ٢٦ و ٢٧ بالملازم الأخيرة من الكتاب) إلا في الزاوية البحرية الغربية حيث يقطعها بروز مستطيل. والحصن — أو القصر أو الجوسق كما يدعى في مخطوطات القرن الرابع عشر — ترتفع حوائطه عن أسوار الدير الشرقية. وكان هذا الدير يتميز عن سائر أديرة وادي النظرون بوجود مدخلين في الضلع الشرقي أحدهما كان مسدوداً وهو الواقع في الجزء القبلي من السور الشرقي.

وكانت الحوائط خالية من أية نقوش أو بروزات أو كرائش، عدا صليب كبير كان في بياض الواجهة الخارجية للسور القبلي، وآخر مماثل في حائط القصر الشرقي. ومتوسط ارتفاع الأسوار هو ١٤ متراً، لكن يبدو أن جزءاً كبيراً من مباني السور الشرقي كانت تحتفي تحت كميات الرديم الهائلة داخل الدير حيث أقيم عليها صف علوي من القلائي الحديثة. أما عرض حوائط السور فصعب تقديره لسبب تراكم مباني الدير على امتداد الحوائط من داخل. وعلى كل حال، فعرض السور عند مدخل الدير كان لا يقل عن ٣٥٠ متراً.

ومن المتعذر أيضاً معرفة كيفية إنشاء هذه الأسوار بسبب السُمك الكبير لطبقات البياض عليها. ولكن عند الزاوية القبليّة الشرقية للسور، تسببت عملية رفع الحطب من الخارج عبر السور في تساقط البياض فانكشف البناء عن كتل ضخمة من الحجارة المرصوفة بغير نظام وملصقة مع بعضها بمونة الجبس الأبيض^(١).

(١) عند هدم السور القبلي للدير اتضح أنه كان مبنياً على مراحل مختلفة وفي أزمنة متباينة. فالجزء العلوي منه كان عبارة عن حائطين من الحجارة غير المنتظمة، والفراغ الذي بينها مملوء بالخرسانة الطينية المكونة من كسر الحجر والدقشوم المخلوط بالطين. وعلى ذلك حائط ساند من الحجارة المبنية بمونة الجبس سمكها ١٠٠ متر تقريباً، ومن داخلها حائط مهدم مبني بقوالب الطوب الأخضر اللين — مقاساتها التقريبية ٨٠ × ٤٠ × ٦٠ سم يبدو أنه كان السور الأصلي للدير ثم تهدم نتيجة شروخ كانت ظاهرة فيه. وداخل السور اللين هذا كميات هائلة من الرديم بعرض ٣٧٠ م، كان يحجزها من داخل الدير حائط ساند حديث من الحجارة المرصوفة، وكان في حالة سيئة جداً بسبب ضغط كميات التراب الهائلة التي كان محشواً بها.

مساحة الدير:

هو في الواقع عبارة عن قلعة محصنة أو قسطنطية (Castle) كانت أصلاً ملجأ الأمان الذي بناه البطريرك شنودة الأول البطريرك الـ ٥٥ في القرن التاسع بعد أن اختصر منه شريطاً بعرض متوسط ٢٢ متراً شمالاً وآخر بعرض ٤٠ متراً تقريباً في الجهة الشرقية، وبذلك أصبحت مساحته الحالية نصف المساحة الأصلية (لوحة صفحة ٣٣٠) - والدليل الواضح على ذلك هو ما بقي ظاهراً من أساسات في الزاوية البحرية الغربية امتداداً للسور الغربي للدير مسافة ٢٥ متراً بعدها يتجه الأساس شرقاً.

في هذه المنطقة ينكشف الأساس بعرض ٢٢٠ متراً عن حائطين من الحجارة، الخارجي سُمك ١٠٠ متر والداخلي سُمك ٢٠ متر. أما قلب الأساس بينها فهو من الطوب اللين. وإذا ما تتبعنا بقايا البياض الموجودة على الأساس القديم يتضح لنا أن الحد البحري كان بطول ١١٤ متراً. أما تحديد السور الشرقي القديم فليس في وضوح السور البحري، ولكن من متابعة الحجارة المتناثرة حول موضع الأساس يمكننا القول بأن طوله كان ٩٥ متراً، أما ما تلا ذلك فالرمال الناعمة قد دفنت كل أثر ممكن للسور القديم، بحيث لم يبق ظاهراً إلا الزاوية القبليّة الشرقية، ومنها نستطيع أن نؤكد بأن السور القبلي الحالي كان يمتد شرقاً فيما مضى إلى مسافة أبعد مما هي الآن. وعلى هذا أمكن تحديد الزاوية القبليّة الشرقية للسور القديم الأصلي.

أما انحصار الدير إلى نصف مساحته الأصلية فيمكن تعليقه بأنه راجع إلى تدهم الحائطين البحري والشرقي في وقت كان عدد رهبان الدير فيه قليلاً لدرجة أمكن معها الإستغناء عن المساحة الأصلية وإعادة بناء الحائطين في حدودهما الحالية. وتاريخ حدوث هذا التغيير لا يمكن تحديده بدقة، لكن هناك إشارة واردة في وصف زيارة أنبا بنيامين الثاني للدير وعبره من «عقد الباب الذي تبقى من الدير القديم»^(٢) تجعلنا نرجح بأن هذا التغيير حدث قبل سنة ١٣٣٠ م.

أما العوامل التي تدخلت في اختيار الحدود الحالية للأسوار فليس من الصعب تحديدها، فالكنيسة الكبرى — كنيسة القديس مقار يوس — ينبغي أن تشملها الأسوار، وبهذا تحددت الزاوية البحرية الشرقية. والقصر لابد أيضاً أن تشملها الأسوار، بل ويمكن الانتفاع بحائطه الشرقي ليكون جزءاً من سور الدير. وواضح أن حد السور الشرقي مع حائط القصر الشرقي ليس على استقامة واحدة بل يتقابلان معاً بزوايا منفرجة. والعين المجردة لا يمكن أن تخطيء وجود فاصل بين مباني السور الشرقي للدير وبين حائط القصر رغم تراكم طبقات البياض^(٣).

(٢) «مخطوط الميرون المقدس» ص ٥٠ أ.

(٣) مساحة الدير الآن بعد الإضافات الحديثة هي ثمانية أفدنة تقريباً.

المدخل:

كان للدير مدخلان، كلاهما في السور الشرقي، أحدهما قرب الزاوية القبليّة الشرقية والثاني بحري الحصن مباشرة. ووجود مدخل ثانٍ أمر غير عادي في الأديرة؛ لذلك نرجح أن المدخل البحري كان مخصصاً للمواكب الإحتفالية في الكنيسة الكبرى بينما المدخل الآخر كان يؤدي إلى صوامع الحبوب والمخازن حيث كانت منافع الدير تشغل المساحة القبليّة داخل الأسوار^(٤).

والمدخل — كما في كل أديرة وادي النطرون — عبارة عن ارتداد في حائط السور مسافة متر واحد تقريباً، ينتهي من أعلى بعقد مدبب من الطوب المحروق قرب نهاية السور العلوية. ومن داخل هذا الارتداد توجد فتحة سرية مستطيلة تغلق بباب من كتل الخشب المغطاة بشرائط حديدية. ومن الداخل ملاصقاً للمدخل، يوجد ما يشبه مبنى حراسة مكون من طرقة قصيرة يغطيها قبو إسطواني وينتهي طرفها بجرتين، ثم سلم يؤدي إلى ممر علوي مستعرض فوق المدخل مباشرة، في أرضيته توجد فتحة مربعة تقع بأعلى عقد المدخل المدبب، كانت تستعمل قديماً لإدخال الرهبان الذين يقومون بسد باب مدخل الدير من خارج بحجارة الطواحين الضخمة وقت الإحساس بخطر هجوم البربر على الدير. أما الآن فتستعمل هذه الفتحة لاستطلاع الزوار الغرباء، ومن أجل إنزال الطعام والخبز للعرب الذين يقصدون الدير طلباً للمؤونة^(٥).

وإلى الآن توجد فتحة المَطْعَمَة هذه فوق المدخل البحري في السور الشرقي، أما ملحقات مبنى الحراسة فلم يبقَ منها شيء. والقبة الحالية التي تغطي المدخل من داخل مبنية من الطوب الأحمر حديثاً سنة ١٩١١م، في حين أن المدخل القبلي المسدود ما زالت به آثار قلاية خربة في جهته البحرية كان يغطيها إما قبو نصف إسطواني (Barrel vault) أو قبة نصف كروية آثار ابتدائها ظاهرة في حائط السور. ونستنتج من هذا أنها كانت مقام راهب البوابة. وفيما عدا ذلك لا يوجد شيء ذو قيمة.

والكتاب مائل للطبع (الطبعة الأولى — ١٩٧٢) اكتشفنا باباً أصلياً للدير كان مطموراً بين طبقات الأسوار القديمة المتوالية على مدى العصور المختلفة وموقعه في السور البحري وقد التقطنا له صورة تبين مكانه من الباب البحري الحديث الحالي (أنظر صفحة ٥٢٥).

(٥) لأجل ذلك دُعي هذا المرباسم المَطْعَمَة.

الفصل الثاني القصر القديم أو الحصن

الوصف العام:

هذا البناء — ويعتبر أحسن وأجمل الحصون الموجودة في وادي النطرون — وهو مربع المساحة، طول ضلعه ٢١ر٥٠ متراً وارتفاعه ١٦ متراً، حوائطه من الحجارة الضخمة الغشيمة مائلة بدرجة ملحوظة حسب القطاع المبين في لوحة صفحة ٥٩٣. وفيما عدا قليل من الكوى الضيقة وباب المدخل، فإن هذا المكعب الضخم المكسوط ببطقة من بياض الجبس خالي من أية سمات معمارية أو زخرفية مميزة، لكن له عظمته التي يتميز بها بسبب ضخامة شكله التكعبي.

المدخل والقنطرة المتحركة:

مدخله الوحيد عبارة عن باب مستطيل صغير في الجهة البحرية من الطابق الأول. والوصول إليه عن طريق المبانى التي تحيطه شمالاً^(١) يتم بواسطة قنطرة ضيقة متحركة من ألواح خشبية ثقيلة. والطرف الداخلي للقنطرة وهو الملاصق للجدار البحري للحصن يتحرك حول محور في حين أن طرفها الخارجي كان مشدوداً بسلسلة حديدية كانت تستعمل في الأزمنة القديمة لجذب القنطرة إلى أعلى بواسطة رافعة يدوية (ونش) عبارة عن بكرة خشبية موضوعة في غرفة صغيرة فوق المدخل مباشرة. بهذه الوسيلة كانت القنطرة تُرفع بسرعة وتلتصق بالمبنى عن طريق ارتداد مهياً لها في حائط القصر البحري^(٢).

وللمدخل باب من كتل خشبية يتحرك على محور رأسي بدلاً من المفصلات المألوفة، ومغطى بشرائط حديدية طويلة مثبتة في خشب الباب بواسطة مسامير ضخمة. وله مزلاج من الداخل عبارة عن ذراع من الخشب مربعة القطاع تنزلق من فتحة أفقية عميقة في الحائط الجانبي للباب إلى فتحة أخرى في الحائط المقابل فيستحيل فتح الباب.

(١) أز بليت هذه المبانى وأقيم بدلاً منها سلم مريح ليتمكن الزائرون من الصعود إلى الحصن.

(٢) هذه القنطرة مثبتة حالياً، وأضيف إليها درابزين خشبي لتأمين سلامة الزائرين أثناء عبورهم عليها.

التقسيم العام الداخلي:

ينقسم القصر من الداخل إلى ثلاثة طوابق: الأرضي والأول والثاني. وبيجاز، ينقسم أيضاً كل طابق إلى قسمين: الشرقي منها يشمل ثلثي مساحة الطابق والغربي الثلث الباقي، ويفصلهما دهليز يمتد في اتجاه البحري القبلي، ويستخدم للوصول إلى الحجرات المختلفة في كل طابق، كما أنه واسطة هامة في تهوية كل طابق نظراً لتوافق اتجاهه مع الرياح الشمالية السائدة في إقليم مصر.

أولاً: الطابق الأرضي

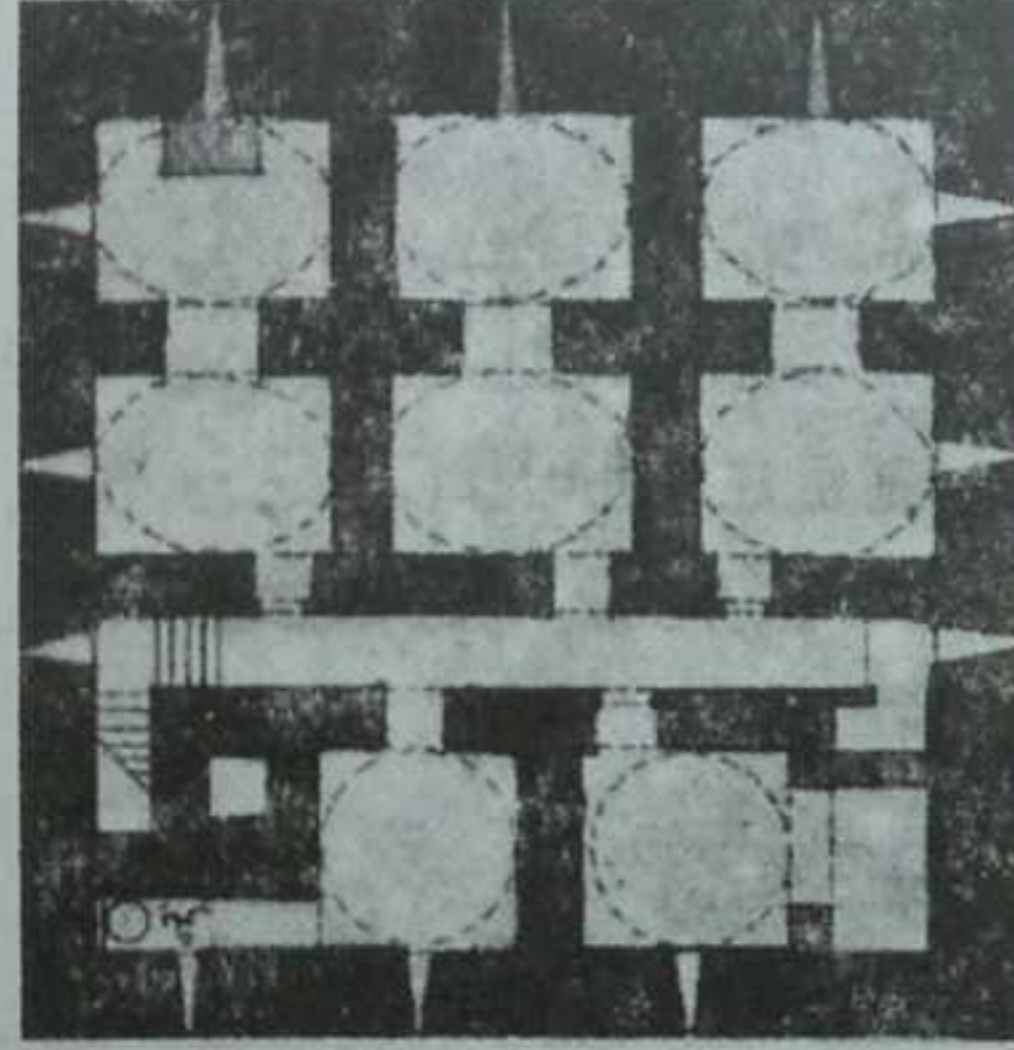
كل فتحاته مسدودة، والزائر الغريب يُصدم لأول وهلة عند دخوله هذا الطابق بسبب الصمت الثقيل الذي يحيط على المكان ولضخامة الحوائط القائمة، ولرائحة الهواء المشبع بالرطوبة، وكأن الإنسان في بيت سحري من بيوت الأساطير. مع أن هذا المكان إذا أحسن تهويته وإضاءته فلن يبدو بأي حال في مثل هذا الشكل.

والدهليز الذي يقسم هذا الطابق ضيق غاية الضيق، عرضه ١.٥٠ متراً، شاهق الارتفاع نسبياً ٠.٠٠ ره أمتار، مغطى بقبو نصف إسطواني مدبب من الحجارة المكحولة غير المنتظمة، يدعمه عقد مستقيم مستعرض في منتصف طوله. والطرف البحري له هو نهاية السلم الموصل للطابق الأرضي، أما طرفه القبلي فينتهي بارتداد جانبي ناحية الغرب (٣).

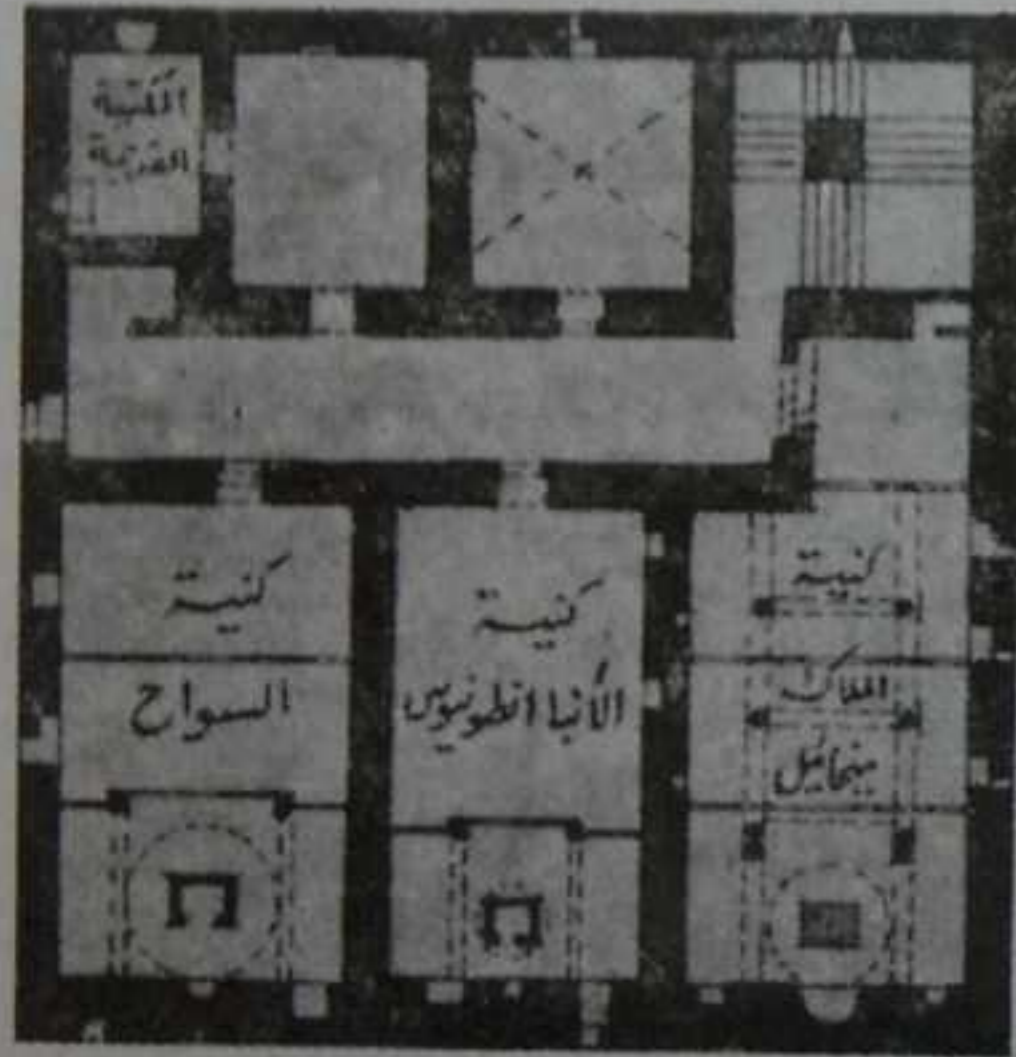
الحجرات الشرقية:

يتخلل الحائط الشرقي للدهليز ثلاثة مداخل لكل منها عقد حجري نصف دائري. وللمدخلين الأول والثالث أعتاب من الطوب المحروق تحت العقد الحجري (٤). وتؤدي هذه المداخل إلى ثلاث حجرات كبيرة مزدوجة ليس بينها اتصال. وكل حجرة مزدوجة تنقسم إلى قسمين متساو بين بواسطة دعامين كبيرتين من الحجارة الضخمة بارزة من الحوائط الجانبية، كل منها تحمل عقداً مدبباً محور دورانه من مركزين مختلفين (two centered arch)، مبني بالطوب الأحمر الظاهر ومونة بيضاء بعناية فائقة مماثلة للنماذج المشابهة في أديرة وادي النطرون. ويفطي كل قسم من هذه الأقسام الستة قبة من الطوب نصف دائرية مفلطوسة (Clipped hemi-spherical dome)، ولأقسام الثلاثة الملاصقة لحائط القصر الشرقي نافذة وحيدة (هي الآن مسدودة) في منسوب عالٍ عند خط تقابل القبة مع الحائط الشرقي. أما القسم البحري فالفتحة تسدها دعامة داخلية ضخمة من المباني في حين أن فتحات القسمين الأوسط

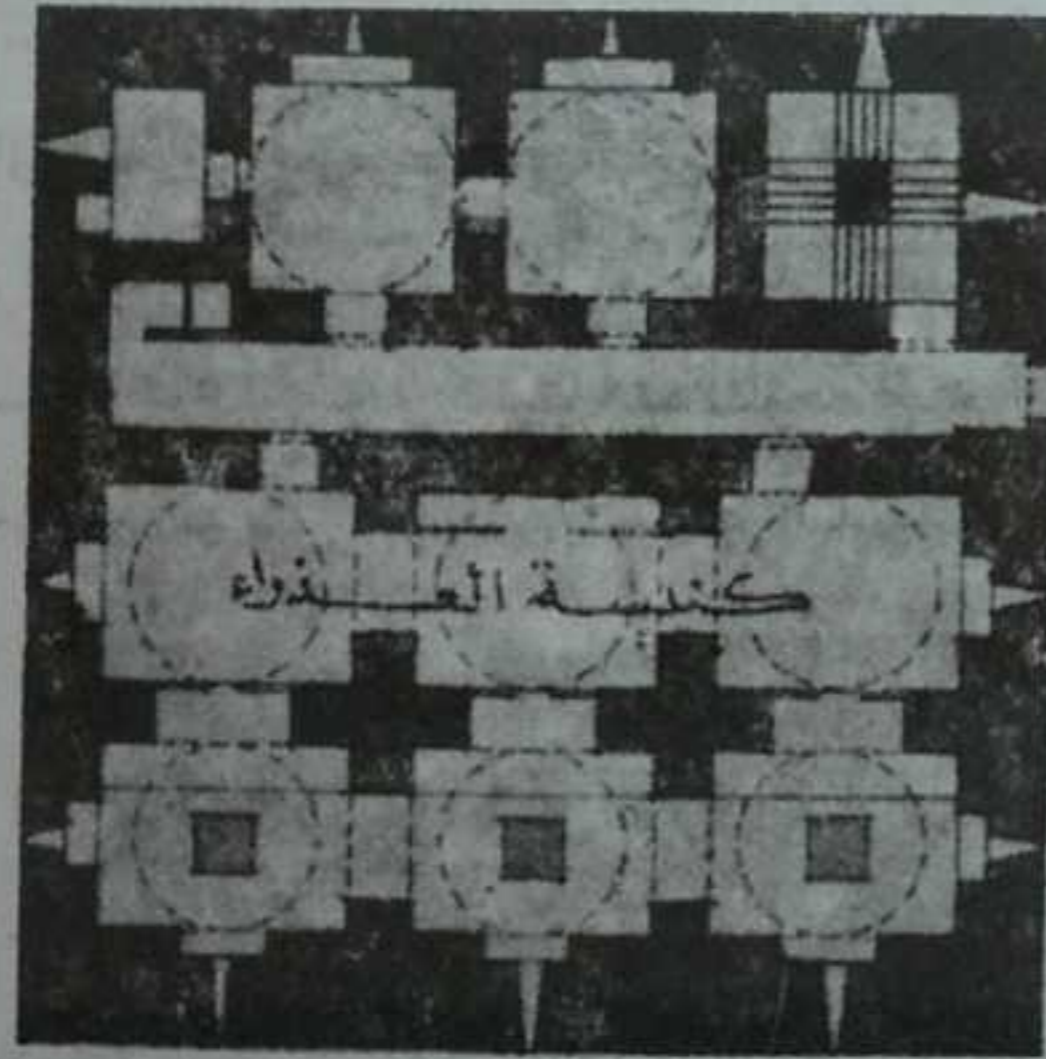
دير القديس أنبا مقار المساقط الأفقية للحصن



الدور الأرضي



الدور الثاني



الدور الأول

بدأت مصلحة الآثار في ترميم هذا الحصن لاستعادة وضعه الأول، واستكمل الدير ترميمه تحت إشرافها.

(٣) وكان يستعمل كمجرور لمراحيض الأدوار العلوية.

(٤) وحيث أنها مضافة لذلك أزيلت لتظهر فتحات المداخل بمجموعها الطبيعي.

والقبلي مسدودة من الخارج فقط (٥).

أما القسم الأوسط من الثلاثة الباقية فيظهر على أرضيته بعض الحجارة المتناثرة حول فتحة في وسطها توحى بأن في هذا المكان كان يوجد طاحونة غلال . وصعوبة بل استحالة إدخال ثور أو حمار عبر القنطرة المتحركة والسلام إلى هذا المكان لإدارة حجر الطاحونة يجعل احتمالاً بأنها كانت تدار بواسطة إنسان لا حيوان .

أما الأقسام الباقية فأرضيتها رخوة لكنها مكونة من عروق خشبية تستند على حائط عند منتصف مساحة الأرضية، تحمل فوقها حزاماً من الأعواد الصلبة المغطاة بطبقة سميكة من البياض الملاط، وأسفلها فراغ عمقه ١٩٠ متراً (٦). وربما كانت هذه الحجرات مستعملة لتخزين الحبوب، والفراغات التي أسفلها كانت بقصد تأكيد جفاف أرضيتها لإبعاد الرطوبة المفسدة للحبوب .

الحجرات الغربية:

القبلية منها مسقوفة مثل الحجرات الشرقية بقبة مفطوسة، وفي حائطها القبلي عقد نصف دائري من الطوب الأحمر المكحول بالمونة البيضاء اتساعه متران، يؤدي إلى غرفة ضيقة ملحقة بها عمقها ٢٢٠ متراً وعرضها ٢٩٠ متراً، تغطيها قبة أكثر انخفاضاً من الحجرة الرئيسية . ويؤكد الرهبان — وهذا صحيح — أنه كانت هنا معصرة زيوت في الأزمنة السابقة .

وبحري هذه الحجرة هناك حجرة أخرى أقل اتساعاً، في زاويتها الغربية البحرية باب معقود يؤدي إلى طرفة ضيقة مسقوفة بقبو نصف إسطواني حجارتها غير منتظمة في نهايتها بئر فتحته ضيقة (٥٠ سم) لكنه عميق مبطن بالمباني (٧). وكان هذا البئر مصدر المياه الوحيد للقصر وقت الحصار، والآن مياهه غير مستساغة إطلاقاً بسبب ملوحتها سواء كانت هذه الملوحة طبيعية أم نتيجة تلوث، ولا توجد أية فتحات في سقفه من فوق — مثل دير السريان ودير أنبا بيشوي — لإمكان رفع المياه إلى الطابق الأعلى .

ونظرة إلى المسقط الأفقي للدور الأرضي ترى أنه ما زال باقياً جزء شرقي غرفة البئر لا يبدو فيه شيء، فكتلة الدعامة الظاهرة في هذا الجزء لازمة حتماً لحمل السلم . ومع هذا يوجد داخلها فراغ بشكل ماسورة مدخنة رأسية تنتهي من أعلى عند بسطة السلم التي قبل الدور الأول حيث تغطيها

(٥) أعيد فتح جميع الطاقات المسدودة وتوسيعها بعد عمل أعتاب خرسانية لها، لتحسين إضاءة وتهوية هذه الحجرات، كما تم بياض القباب من الداخل بالمصيص الأبيض، فكانت النتيجة رائعة حسب توقعات العالم «إفلين هويت» .

(٦) نظراً لخطورة وجود فراغات أسفل حوائط الحصن اضطررنا لردمها بالرمال الجافة وتسويتها بأرضية باقي الحجرات .

(٧) أقيم حول هذه البئر سور واقٍ حرصاً على سلامة الزائرين .

بلاطة حجرية . وإذا لا سبيل للاستفادة من هذا الفراغ، فالإستعمال الوحيد له هو أن يكون مجرد مكان للاختباء .

نوافذ هذا الطابق:

في الحجرات الغربية السابق التحدث عنها توجد بعض النوافذ، أو بالأحرى طاقات، ما زالت مفتوحة، وهي تشابه سائر نوافذ الحصن عدا الدور الثاني . وهي دائماً توضع في أعلى مكان ممكن . أما اتساعها من داخل فهو ١٠٠ متر وارتفاعها ١٢٠ متراً أو ١٣٠ متراً . وأعتابها إما من بلاطات حجرية مستطيلة أو من الأخشاب التي تحمل نهاية القباب الدائرية أو النصف إسطوانية، وجوانبها شديدة الميل بحيث أن مقاسات الفتحة من الخارج يصل إلى ١٥ سم أو ١٠ سم في العرض، ٩٠ سم إلى ١٠٠ سم في الارتفاع . وحيث أن عتبها من داخل يرتفع كثيراً عنه في الخارج لذلك استعملت بلاطات حجرية متتالية بشبه درج مقلوب . أما الجلسات فتتحد بشدة إلى الداخل بسطح أملس مخدوم بإتقان ربما بقصد أن أي متطفل يتمكن من الدخول خلال فتحة القصر فإنه يتدحرج بسرعة ساقطاً على الأرض حيث يقبض عليه . ولم تُثبت إطلاقاً على هذه الفتحات أية قضبان حديدية أو ستائر خشبية (٨).

ثانياً: بئر السلم

يرتفع السلم الحجري من الطابق الأرضي خمس درجات إلى بسطة مربعة، ثم يتجه بزواوية قائمة إلى اليسار صاعداً بـ ١٤ درجة أخرى تنتهي عند بسطة ثانية تقع فوق بئر المياه مباشرة . وبعد ذلك يتخذ بئر السلم شكلاً مربعاً منتظم الأضلاع . وابتداءً من هذه البسطة يوجد فراغ مربع بين قلبات السلم حتى يبلغ سطح المبنى . وبين كل ضلع من أضلاع هذا الفراغ توجد أربع درجات ثم بسطة . والدرجة تكون عادة ٢٠ سم في الارتفاع، ٣٠ سم في العرض، مبنية من حجارة مختارة غير منحوتة (٩).

وكل واحدة من قلبات السلم مع بسطتها يغطيها قبو نصف إسطواني قصير مائل بمحاذاة

(٨) قمنا بتفريغ عراميس الحجارة بالهواء المضغوط compressor وإعادة ملئها بمونة الأسمنت والرمل شديدة القوة، وأصبح لا خطر من إعادة فتح جميع النوافذ والطاقات في هذا الطابق، بل وزيادة اتساعها إلى ٤٠ سم بعد عمل أعتاب مسلحة . وبذلك تحسنت الإضاءة والتهوية وصارت حجراته الآن متحفاً صغيراً للأخشاب الأثرية مثل ضلف الأحجبة القديمة، وأبواب ونوافذ ذات القيمة التاريخية وأدوات عصر الزيوت وتجهيزها والتي كانت مستعملة في إعداد الميرون المقدس، والقواديس الخشبية التي كانت تُستعمل في طحن الحبوب .

(٩) لما كان استعمال درج السلم بالمقاسات المذكورة غير عملي، وبسبب الشروخ العرضية في قبواته، رفعنا الدرج القديم وما تحته من أتربة وقمنا بصب قبو من الخرسانة المسلحة لكل قبة يشد قبو الطوب الأحمر أسفله ويرتكز على الحوائط الجانبية، ثم أعدنا بعد ذلك صب الدرج بمونة الأسمنت الأبيض وبودرة الحجر مع إعادة تقسيمه ليتناسب مع المقاسات المألوفة في عصرنا هذا .

الدرج، مبني بالطوب الأحمر والمونة البيضاء ويحمل فوقه قبة السلم العلوية. وطرف القبو الخارجي يبدأ من حائط بير السلم، أما الداخلي فليس هناك ما يحمله سوى الفراغ المبني بين القبلات. والقبو في العادة مبني من صفوف متوازية طويلة من الطوب الأحمر فيما عدا الدور الأخير فإنه أوسع قليلاً نظراً لتساع بير السلم في هذا الجزء. وقد استكمل فرق الإتساع هذا بصفوف عرضية من الطوب (لوحة ٣١).

ثالثاً: الطابق الأول

يفتح بير السلم على الطابق الأول بواسطة دهليز لا يختلف كثيراً عن دهليز الطابق الأرضي إلا أنه أوسع قليلاً، وفي نهايته من بحري يوجد المدخل الوحيد إلى الحصن، أما من قبلي فينتهي بارتداد صغير ناحية الغرب فيه المرحاض. وأرضية الدهليز من حجارة ظاهرة، أما السقف فهو قبو نصف اسطواني مدبب ومغطى بالبياض، يدعمه عقدان مستعرضان. وقرب نهاية الطرف القبلي للدهليز ما زال محفوظاً قادوس خشبي لطاحونة يبدو أنه مأخوذ من الدور الأرضي (١٠) وعليه كتابة عربية منقوشة نقشاً دقيقاً.

كنيسة العذراء:

التقسيم الداخلي: تقع في الطابق الأول شرقي الدهليز الذي يقسم الطابق إلى قسمين: شرقي وغربي، والدخول إليها عن طريق مدخلين في الحائط الشرقي للدهليز عليها عقدان دائريان. وبيننا نرى هذا الجزء في الطابق الأرضي منقسماً إلى ثلاثة أقسام مزدوجة بواسطة حوائط فاصلة، نجد هنا مفتوحاً كله بعضه على بعض بواسطة عقود أو بواكي دائرية تحملها دعامتان كبيرتان يبرز من كل منهما أربعة أجنحة على شكل صليب تحمل عقوداً في أربعة اتجاهات. وهنا كما في حصن دير السريان وأنبا بيشوي، أمامنا صالة فسيحة ربما كان القصد الأصلي منها أن تُستخدم لمعيشة مشتركة بين الزوار أو اللاجئين المتحصنين بالقصر. وفي زمن قريب تحولت هذه الصالة إلى كنيسة من الطراز القبطي نسبة إلى تقسيمها الملائم. فالثلث وحدات الشرقية استخدمت هيكلًا ثلاثي المذابح، والباقي يصلح كخورس. أما صحن الكنيسة فهو صغير جداً لأنه عبارة عن الإرتداد المحصور بين الدعامتين الكبيرتين اللتين في حائط الكنيسة الغربي، ومفصول بحاجز عن الخورس. وكل قسم مغطى بقبة، والقباب جميعها مع الدعامات والأعمدة مغطاة بطبقة من البياض يبدو أنها حديثة لكن ليست من عهد قريب.

الخورس: فيه بعض الأمور التي تستلفت النظر. ففي أرضية القسم البحري توجد قطعة من

(١٠) هذا القادوس معروض الآن في متحف الأخشاب بمجرات الدور الأرضي بالحصن.

الرخام على هيئة طبق مستدير قطرها ٢٣ سم محفور عليها صليب قبطي داخل دائرة (١١). وقطعاً هذا صليب تكريس Consecration Cross منقول من موضع آخر. كما أنه توجد في الحائط القبلي جلسة مرتفعة عن أرضية الكنيسة فيها مجرى من الفخار سيأتي فيما بعد شرح استعمالها مع مجرى آخر مماثل في الهيكل المجاور.

أما الحاجز الذي يفصل صحن الكنيسة عن الخورس فبصفة عامة ليس فيه شيء جدير بالملاحظة. جزؤه العلوي مجرد إطار (١٢)، أما السفلي فالقطعة القبلية مكونة من تقسيمات مستطيلة صغيرة موضوعة داخل براونيز. والقطعة البحرية عبارة عن درابزين محمول على صفتين من الأعمدة الخشبية المخروطة. هذان الجزءان المكونان للحاجز رغم صناعتها الجيدة إلا أنها ليسا ذوي قيمة أثرية مع أن تاريخها قد يرجع إلى نهاية العصر الوسيط. والجدير حقاً بالإهتمام في هذا الحاجز هو الوجه الغربي للقائم البحري حيث نُقشت عليه زخرفة من كرمة متموجة (لوحة ٣٨). هذا القائم مأخوذ أصلاً من حجاب هيكل، وكما يتبين من مقارنتها مع نظيرتها التي تزين كمرات الشدادات في جامع الصالح طلائع بن رزيق قرب باب زويلة، والذي يرجع تاريخ إنشائه إلى أواخر العصر الفاطمي، فإنه يمكن تحديد تاريخ هذه القطعة الأثرية بحوالي سنة ١١٦٠م تقريباً.

المذابح: المذابح الثلاثة تجمعها مصطبة واحدة ممتدة لتشملها جميعاً مرتفعة عن الأرض بمقدار درجة واحدة. هذه الظاهرة ربما يرجع سببها إلى عدم وجود فواصل بين هذه المذابح الثلاثة أكثر مما يرجع إلى أي سبب طقسي معين. البحري منها مبانيه من الداخل مفرغة ومزودة بأبواب خشبية من العصر الوسيط لتجعلها خزانة موصدة وعلوه بلاطة رخامية مربعة مقاسها ١ر٤٢ متراً من النوع الذي يجمع بين المربع والدائرة، وموضوعة بحيث يتجه الجزء المستدير ناحية الشرق وقاعدة المربع ناحية الغرب. وسطحها ينخفض عن الحافة بمقدار ٢ سم مكونة ما يشبه الحوض الضحل. مثل هذه البلاطات مستعملة في الكنائس الشرقية والقبطية نقلاً عن تقليد قديم يقول أن المائدة التي تناول عليها السيد المسيح العشاء الفصحى مع تلاميذه ليلة الآمه كانت بهذا الشكل (١٣). وبلاطة المذبح القبلي مشابهة للبحري إلا أنها أصغر مقاساً (٩٠×٩٠ سم) بينما بلاطة المذبح الأوسط مستطيلة الشكل (١٢٥×٧٧ سم) وكان عليها اللوح المقدس (سنة ١٩٢٠م)، في حين أن المذبحين الآخرين كانا خاليين منه. وتنتهي الحافة البحرية والقبلية للمذبح الأوسط بعمودين أفقيين من الرخام، مقطوعهما مربع وينتهي طرفهما العلوي بشبه مقبض مخروطي الشكل. وفي جوانبها ما زالت توجد قطع حديد صغيرة لأجل تثبيت الأعمدة مع ما يجاورها من مباني في الوضع

(١١) لم نعر على قطعة الرخام هذه عند تجديد أرضية الكنيسة.

(١٢) غير موجود الآن.

(١٣) قارن مع لوحة كنيسة أبو سرجة في مصر القديمة والتي ترجع إلى القرن السادس الميلادي.

الأصلي . أحد هذين العمودين كامل ، ارتفاعه ٨٠ سم بخلاف النهاية المخروطية وأما الآخر فكسور إلى قطعتين . ولا شك أنها يخصصان اللوحة الرخامية الموجودة في مذبح كنيسة القديس مقاريوس^(١٤) . واستعمال مواد قديمة منقولة يرجح أن هذه المذابح ليست على قدر كبير من القدم . ربما تكون بلاطها قديمة ، مأخوذة مثلاً من الخمسة مذابح التي شاهدها Thévenot في القرن السابع عشر وقت أن تهدمت هياكل الكنيسة الرئيسية^(١٥) . وبالتالي هناك أساس للاعتقاد بأن هذه الصالة تحولت إلى كنيسة في زمن متأخر ، بين سنتي ١٨٧٤ و ١٨٨٠ م كما سيظهر فيما بعد .

إثنتان من نوافذ الحائط الشرقي للهياكل مسدودة الآن ، أما الثالثة التي في مقابل المذبح الأوسط فما زالت مفتوحة حتى الآن . ولا شك أن أسفلها كان يوجد الإرتداد نصف الدائري المعروف في الكنائس القبطية بشرقية المذبح ، لكنه الآن مسدود إلا أنه يمكن تحديد مقاساته (٢٥٠ متراً ارتفاعاً × ١١٠ متراً عرضاً) من أثر شروخ البياض حوله^(١٦) .

مجاري تصريف طقسية !! : توجد جلسة مرتفعة قليلاً أسفل العقد القبلي في المذبح القبلي فيها مجرى تصريف ثان^(١٧) مشابه تماماً للمجرى السابق ذكره في الجانب القبلي لخورس الكنيسة . وفي كلتا الحالتين لا يوجد أي أثر لحوض ، وقطر كل فتحة منها ١٥ سم ، وتنحدر بميل شديد خلال مباني القصر حتى السطح الخارجي للحائط ، ويمكن رؤية نهاية هذه المجاري من خارج على ارتفاع متر واحد من الأرض الحالية . وهي تتكون من مواسير فخارية يبدو أنها كانت قوارير خمر من النوع المخروطي الطويل ثم أزيلت فوهاتها وقيعانها . وهناك احتمال كبير أنها وُضعت وقت تشييد الحصن ، أما الغرض منها فما زال غامضاً . المجرى الموجود في الهيكل القبلي ربما كان لتصريف مياه التطهير التي يستعملها الكاهن قبل البدء في صلاة القديس رغم أن مثل هذا الترتيب موضعه أصلاً هو الجانب البحري للهيكل الرئيسي حسب طقس الكنيسة القبطية . أما مجرى التصريف الموجود بخورس الكنيسة القبلي فغير مألوف إلا إذا كنا نفترض أن الشعب كان

(١٤) عثر على هذه اللوحة أخيراً في منقولات المتبحر القمص بولس العابد وهي الآن محفوظة بالمتحف بجوار مبنى المكتبة (راجع ملزمة اللوحات من هذا الكتاب) .

(١٥) نُقلت بلاطات المذابح وما عليها من أعمدة رخامية إلى المتحف ، وأعيد بناء المذابح بدلاً من المباني القديمة التي كانت بالدمشوم واللونة الطينية .

(١٦) ابتداء من هذا الطابق ، وبالتحديد في الحائطين الشرقي والقبلي للهياكل ، أقيمت شدادات خرسانية تحمل أعمدة وعقوداً بالخرسانة المسلحة لتقوية قباب الهياكل مما سمح بفتح جميع الشبابيك وتوسيعها ، كما تم ملء فراغات العقود في الحوائط بالدمش واللونة القوية . وصار هذا الطابق بمثابة أساس قوي لتحميل القباب والسطح الخرساني للطابق الثاني في الحصن . وأخيراً أعيد بياض الأجزاء المكشوفة والمستجدة بنفس اللون القديم وتبليط الأرضية بلون الحجر . وهكذا احتفظت الكنيسة والحصن من الداخل بالطابع القديم .

(١٧) لم يُستدل عليها أثناء الترميم .

يستعمله في تصريف مياه التطهير قبيل تقدمهم للتناول من الأسرار الإلهية (مز ٢٦ : ٦) . لكن الأرجح هو أن كلاً من المجرى كانا للإستعمالات الداخلية قبلما يتم تحويل هذه الصالة إلى كنيسة .

وعلى الدعامة بحري مدخل الهيكل القبلي وُجدت الكتابة التالية بالمُغرة الحمراء :
« الذي يتكلم علينا بما لا تراه عينه ، الرب يحكم بيننا وبينه » .

أحجية الهياكل :

الأحجية التي أمام الثلاثة مذابح هي أهم ما في كنيسة العذراء . وقيمتها كمجموعات من القطع الدقيقة أكثر منها كوحدات متكاملة . وأهمها جميعاً :

حجاب المذبح الأوسط : الجزء الأكبر منه مجرد ألواح من الأخشاب الغشيمة تعلوها مصبغات من نجارة المشربيات العربية . ويتوسط هذه المجموعة المتواضعة باب نفيس ارتفاعه ١٩٧٥ سم (لوحة ٥٤) ، الحلق عبارة عن قائمين جانبيين جزؤهما الأسفل منزوع ، تزينها وحدة زخرفية متكررة من ورق الشجر المتماوج undulating foliage تحمل العتب العلوي للباب . والفواصل الرأسية mullions المزخرفة تقسم هذا العتب — أسفل الوحدة الزخرفية المتكررة — إلى أربع فتحات مربعة كانت حتماً تحوي تقسيمات منقوشة لكنها غير موجودة الآن . وأسفل الفتحات المربعة عقد على شكل حدوة حصان يتوج الباب ومثبت على كتفي الضلفتين . والمساحة المتخلفة بين عقد الباب والقائمين الجانبيين مع الفتحات المربعة العليا تحوي أبداع نقش بارز رمزي موجود في الدير : طاووس^(١٨) يلتقط حبات العنب من كرمه دقيقة الصنع نامية من كأس صغير أسفلها ، وأغصانها تفرش المساحة الخلفية .

والآثار الباقية على جانبي القائمين اللذين يحملان ضلفتي الباب تدل على أنها كانا يحويان زخرفة من تقسيمات مربعة مشابهة للعتب العلوي . وأعلى العتب شريط عريض من نجارة عربية بالحفر البارز ذات أشكال تبدو كأنها منسوجة مع بعضها .

أما ضلفتا الباب فواضح أنها من طراز آخر غير الحجاب ، أي أنها ليسا أصليين . فالجزء العلوي فيها عبارة عن مستطيل بسيط تحيطه سدايب خشبية محلاة بخطوط دقيقة الصنع ، والجزء السفلي حشوة رأسية من أشكال هندسية سداسية ونجمية تكونها خطوط متقاطعة من السدايب الخشبية السابق وصفها^(١٩) .

(١٨) العيون التي في ذيل الطاووس موجودة بالتأكيد رغم أنها غير ملحوظة . والطاووس من الرموز الهامة في الفن القبطي البيزنطي . قارن القطعة الحجرية رقم ٨٦٧٧ في المتحف المصري حيث نجد طاووسين متواجهين يشربان من كأس موضوعة على قائم يتوسطها .

(١٩) نقلت هاتان الضلفتان لإستعمالهما كباب لهيكل الثلاثة فتية في كنيسة أنبا مقاريوس بعد تجديدها وتوسيعها سنة ١٩٧٧ م .

والحجاب الذي فيه هاتان الضلفتان شبيه إلى حد ما بحجاب هيكل مار جرجس بكنيسة الست بربرارة بمصر القديمة والمحفوظ حالياً بالمتحف القبطي. فالشريط العلوي ذو النقش العربي المتداخل يُعتبر من حيث تصميمه في موضعه الأصلي تماماً كما يظهر عند مقارنته بقطعة مشابهة فوق القبلة في مصلى الست رقية (يرجع تاريخها إلى سنة ١١٥٥ م) والمعروضة بالمتحف الإسلامي. ومن جهة أسلوب التصميم فعندنا مثال يشبهها تماماً وهو بقايا الأرابسك المفرغ في ضريح الإمام الشافعي المحفوظة الآن بالمتحف الإسلامي والتي ترجع إلى أوائل القرن الثالث عشر. فالمدخل إذن يعود تاريخه إلى العصر الأيوبي في حين أن زخرفة أوراق الشجر المتموج يعود تاريخها بالتأكيد إلى عصر أقدم أي أواخر العصر الفاطمي. وبالتالي لدينا ما يرجح تحديد تاريخها إلى أواخر القرن الثاني عشر أكثر من أوائل القرن الثالث عشر. أما ضلفتا المدخل فهما من القرن الرابع عشر، والنموذج الذي يماثلها هو الستارة الخشبية لتوافذ ضريح الناصر بالقاهرة (١٣٠٣ م) المطل على الشارع.

حجاب المذبح البحري: النصف القبلي منه يتكون في أغلبه من مسطحين كبيرين من الخشب المشغول الجيد الصناعة وإن كان عادياً في زخرفته التي هي وحدات مستطيلة مكررة من صلبان متساوية الأضلاع ومربعات تحدها سدايب خشبية متقنة الحفر. لكن الجزء الأعلى يتميز بدقة صناعته المماثلة لضفتي حجاب المذبح الأوسط. أما الجزء السفلي فصناعته فقيرة وخشبه متواضع.

والنصف البحري من الحجاب (لوحة ٣٩) قطعة واحدة متكاملة لكنها لم تكن أبداً جزءاً من حجاب، لأن تصميم زخرفتها يدل على أن الوضع الصحيح لها أن تكون أفقية وليست رأسية كما هي الآن. فإذا نظرنا إليها في الوضع الأفقي نجد أنها مكونة من صفتين: علوي (أيمن) وسفلي (أيسر) يحتويان على تقسيمات يجمعها إطار مزدوج طوله ٢١٧ متراً. العلوي منها (أي الأيمن) يشتمل على حشوة مستطيلة مكونة من عقد هندسية دقيقة تتجمع مثل الأشعة حول نجمة تتوسطها. وهذه العقد بارزة قليلاً ومستوية، ربما كان في النية أن تطعم فيما بعد بسن الفيل، وإلى يسارها (أي أعلاها) حشوة مختلفة من الحفر المفرغ على شكل هندسي. أما الحشوة المناظرة على اليمين (أي السفلية) فيبدو أنها ضاعت واستبدلت الآن بلوح مستوي من الخشب. هذا النصف ينتهي بحشوتين مربعتين من نفس زخرفة الحشوة الوسطى.

أما النصف السفلي (أي الأيسر) فيتكون من ثلاثة تقسيمات مستطيلة تختلف عن النصف الآخر في أسلوب تصميمها، ويفصلها عن بعضها فراغان كانا فيما مضى يشغلها حفر مفرغ، أما الآن ففيها لوحان منقوشان بالبارز بزخرفة مماثلة لما في الحجاب القبلي، أي ورقة الشجر الخماسية الأطراف مع زهرة الياسمين البري. وبالوجه الداخلي لهذا النصف، أي من جهة المذبح، مثبت جزء مزخرف مماثل للنصف العلوي.

هذه القطعة مع أخرى تساويها تماماً موجودة الآن في الصف العلوي لحجاب المذبح القبلي يكونان معاً وحدة متكاملة الشكل والطرز.

والمقارنة مع منبر كنيسة أنبا بيشوي (تاريخه سنة ١٣٣٠ م) لا تدع شكاً بأن هذه الأجزاء المتفرقة هي بقايا منبر من الطراز المربع؛ النصف البحري للحجاب البحري كان فيما مضى أحد جوانبه، والأجزاء الأخرى معاً تكوّن الجانب الآخر. (في دير أنبا بيشوي، المنبر مقام في أحد أركان الكنيسة فلا يحتاج إلى أكثر من جانبين).

يوجد داخل المذبح البحري قطعة من الخشب (٢٠)، رغم ما أصابها من عبث وتخريب إلا أن إتيان صناعتها ودقة الفن فيها قد بلغا حد الروعة (لوحة ٣٥)، ويبدو أنها كانت مستخدمة كباب لدولاب، مقاسها ٨٢ × ٥٠ سم، تحوي في وسطها مربعاً هندسياً تحده خطوط محفورة تحوي قطعاً من خشب الأبنوس ومطعمة بسن الفيل. وفوق هذا المربع وأسفله يوجد شريط ضيق كان يحوي في وقت ما قطعاً من سن الفيل المنقوش كالتي كانت على باب حجاب هيكل كنيسة الملاك ميخائيل بالحصن. ونظراً للتشابه الشديد بين الإثنين فالأرجح أن تكون هذه القطعة هي الناقصة من الجزء السفلي في باب حجاب الهيكل المذكور.

حجاب المذبح القبلي: وهو أيضاً مُجمّع من عناصر أكثر تنوعاً من الحجاب السابق. فنلاحظ أولاً أن العتبة العليا ذات وحدات زخرفية من ورقة شجر خماسية الأطراف، تليها زهرة الياسمين البري كالتي نألفها في أعمال زخارف المصيص. وتوجد أيضاً قطع أخرى من نفس الشكل الزخرفي تملأ الفراغات بين أجزاء الحجاب المختلفة، وكذلك في حجاب المذبح البحري. وكل نصف من هذا الحجاب يتركب من ثلاثة أقسام رأسية: القسم الأيسر في النصف القبلي (لوحة ٣٣) يكمل جانب المنبر السابق التنويه عنه؛ والقسم المناظر له في النصف البحري (لوحة ٣٤) يتكون من ثلاث قطع مزدوجة كل منها في إطار مستقل وجميعها زخرفة ذات طابع واحد لكنها تشكيلات متنوعة من صلبان هندسية الطراز تتخللها المربعات وتحدها خطوط بسيطة من الخشب البارز المحلى بخطوط محفورة مستقيمة. ومن جهة بساطتها وطابعها الرزين يمكن مقارنتها مع تقسيمات باب هيكل أنبا بنيامين الذي من القرن الثاني عشر (لوحة ٥٩). أما من جهة فن الصناعة فهما مختلفان: إذ بينما تقسيمات باب هيكل أنبا بنيامين محفورة على قطعة واحدة من الخشب، فإن هذه التي للهيكل القبلي في كنيسة العذراء مكونة من نجارة مجمعة. هذا الاختلاف في فن الصناعة ينم عن اختلاف التاريخ أيضاً؛ فإذا صح هذا، فهذا الجزء من النصف البحري للحجاب يمكن إرجاعه إلى أوائل أو أواسط القرن الثالث عشر.

بقى أمامنا القسمان الثاني والثالث من النصف البحري للحجاب، والأول والثاني من نصفه القبلي. ومن الواضح أن كلاً منها مصمّم أصلاً ليكون أفقياً وليس رأسياً كما هو الآن، كما أن كلاً منها مع الآخر يكوّن قطعة واحدة. ترى ما هو الإستعمال الأصلي لهما؟ الجزء البحري بفتحاته الواسعة التي تشبه «شيش» النافذة إما أن يكون واجهة لـ «بلكونة»؛ وإما — وهذا هو الأرجح — أن يكون جزءاً من تقسيمات خشبية كانت أصلاً حاجزاً لحجرة ذات ثلاث نوافذ تناظر الثلاثة أجزاء ذات الحفر المفرغ، في حين أن الجزء القبلي من الحجاب كان موضوعاً في الحائط المقابل لنفس الحجرة؛ والترجيح هنا مرجعه إلى أن الطابع العام لهذه الأجزاء يجعلها أقرب إلى الإستعمالات المنزلية أكثر من الدينية. كما أن هناك تشابهاً كبيراً بينها وبين الزخرفة الخشبية المأخوذة من بيت رشيد والمعروضة بالمتحف الإسلامي. ومن المعقول جداً أن مثل هذه الزخارف الدقيقة كانت موجودة فيما مضى في قلاية البطريرك أو في غرفة خاصة لإستقبال كبار الضيوف مثل السلطان الكامل الذي زار الدير (٢١).

أما القطع المشابهة لهذه الأجزاء فهي كالآتي: قطعة الحفر المربعة والمطعمة بسن الفيل في النصف القبلي للحجاب ويوجد ما يشبهها في هيكل أبا كير ويوحنا بكنيسة الست بربارة بمصر القديمة. كما أن القطعتين ذات الحفر البارز والأرضية البيضاء في نفس الحجاب تشبهان مصبغات المصيص Stucco-grilles في كنيسة العذراء بدير البرموس. وهذه النظائر قد تحدد زمانها بالنصف الثاني للقرن الثالث عشر.

فإذا صح الإفتراض بأن الأجزاء الباقية من هذا الحجاب مع شبيبتها بالحجاب البحري هما أصلاً مأخوذتان من المنبر الذي رآه ووصفه Greville Chester سنة ١٨٧٥ في كنيسة أبا سخيون والذي لم يذكره بطريرك سنة ١٨٨٤ عند زيارته للدير، يكون إذن زمان تجميع هذه الأحجبة محصوراً بين هذين التاريخين خاصة أن بطريرك أن كنيسة العذراء بالقصر كانت قائمة وقت زيارته. وبذلك يتحدد تاريخ تحويل هذه الصالة إلى كنيسة فيما بين سنة ١٨٧٥-١٨٨٤ م.

الحجرات الغربية:

يوجد مدخل واحد قرب نهاية الدهليز من قبلي يمثل السبيل الوحيد لدخول هذه الحجرات الثلاث، ويؤدي إلى الوسطى منها. وهذه الحجرات مسقوفة كالعادة بقبة، وليس فيها ما يستحق الذكر سوى معصرة الكروم الوحيدة الباقية والتي يفتخر بها هذا الدير. وتعمل هذه المعصرة بواسطة الرهبان أنفسهم، وإلى وقت قريب كانوا يصنعون الأباركة من الكروم التي تأتيهم من الدلتا. أما العصير فهو قاتم اللون غليظ القوام.

(٢١) أنظر تاريخ نتريا والإسقيط لإقطين هويت. (3: IV, IX)

أما طريقة تشغيلها فهي بدائية بسيطة: قائم قصير من الخشب عليه كتلة خشبية مخروطية الشكل مثل الفئجان توضع فيها عناقيد العنب ثم يضغط عليها من فوق قرص من الخشب مستدير ومشكل ليناسب الكتلة الخشبية أسفله بواسطة ذراع طوله ٤ أمتار له مكان يبيت فيه داخل الحائط. وعلى هذا الذراع يصعد الرهبان ذوو الأجسام البدينة فتنعصر العناقيد ويخرج العصير إلى مجرى محفور حولها تنتهي إلى فتحة، وبعد عناء كبير يحفظونها لتتخمر داخل قدور فخارية ضخمة باقية من زمان قديم أو في جمدانات زجاجية حديثة العهد (٢٢).

ومن هذه الحجرة يمكن الدخول (بواسطة باب في حائطها القبلي) إلى غرفة صغيرة ملحقة Annex ذات قبة أقل ارتفاعاً من الحجرة الوسطى. ويكوّن الفراغ الذي بين أرضية هذه الغرفة الصغيرة وقبة الحجرة التي أسفلها بالطابق الأرضي — حوالي متران — محبباً سريراً بغير فتحات، لكن الدخول إليه عن طريق باب صغير في الأرضية، وكان يُستعمل كمخزن لأوعية الزيت غير المستعملة (٢٣).

ويوجد باب آخر في الحائط البحري لنفس الحجرة يؤدي إلى غرفة ثانية مغطاة بقبة كالعادة ولها باب بعقد مغلق في حائطها الغربي كان على ما يبدو مستعملاً لرفع التوابل الكبيرة إلى الحصن، وفي ركن الغرفة يوجد جرنان كبيران من الحجر قطر كل منهما ١٢٠ متراً لتخزين الترمس (٢٤).

غرفة رفع القنطرة المتحركة (الونش):

من الطابق الأول نصل السلم بواسطة أربعة قلابات إلى بسطة لها فتحة ضيقة في حائط القصر البحري فيها غرفة رفع القنطرة المتحركة، وهي صغيرة مكعبة الشكل ضلعها حوالي ١٧٠ م وتقع فوق الطرف البحري لدهليز الطابق الأول. وفي ناحيتها البحرية توجد بكرة الونش الذي يرفع القنطرة المتحركة الموصلة إلى القصر من المباني المجاورة. أما الحائط القبلي فيؤدي إلى سرداب منخفض يمتد متجهاً إلى حائط القصر القبلي وهو الآن نصف مسدود بواسطة حائط عرضي حديث فيه فتحة ضيقة. هذا السرداب — مثل غرفة الونش — عرضه ١٧٠ متراً ومغطى بقبون نصف اسطواني يرتفع ١٨٠ متراً عن الأرضية ويمتد بطول دهليز الطابق الأول. ولم يكن هناك أي هدف من وراء إنشاء هذا السرداب أكثر من تهيئة سطح مستو لأرضية الدور الثاني، ولأجل إنشائه اضطر المصمم أن يخفض منسوب قبة دهليز الطابق الأول عن باقي قبب الحجرات المجاورة في

(٢٢) هذا الوصف ينطبق على معصرة زيت موجودة الآن مع معصرة الكروم في متحف الأخشاب بالدور الأرضي بالحصن.

(٢٣) تم عمل أرضية بالحرسانة المسلحة محملة على الحوائط وتبليطها بلون الحجر ولسائر حجرات هذا الطابق.

(٢٤) جميع ما وُجد من الأجران معروضة بالمتحف بالدور الأرضي في الحصن.

نفس الطابق. وينتهي هذا السرداب من الداخل بباب على حجرة المراحيض بالدور العلوي، وهو مسدود من أزمنة قديمة (٢٥).

رابعاً: الطابق الثاني

له دهليز كالعادة يمتد من بحري إلى قبلي حيث يوجد في نهايته ارتداد غربي كان مستعملاً كممرحاض. أما الطرف البحري له فقد انضم إلى كنيسة الملك ميخائيل ليصير جزءاً من صحن الكنيسة الغربي.

الحجرات الغربية:

يقع غربي الدهليز ثلاث حجرات، البحرية منها تختلف عن الإثنتين الباقيتين في أنها مسقوفة بقبة رباعية = Quadrilateral Vault أي تقابل قبو نصف اسطواني طولي مع آخر عرضي، ونقطة ابتداء قوس التقاطع = Spring of the groining ليست كما نتوقع عند ركن الحجرة بل على مسافة ٧٠ سم من الأركان (٢٦).

أما الحجرتان الباقيتان فيغطيهما سقف خشبي مستوي، وباب واحد من الطريقة يؤدي إلى الوسطى التي ليس فيها ما يستحق الذكر. ومنها ندخل إلى الحجرة القبليّة وفيها ما يلفت النظر إذ يوجد ارتداد عميق في حائطها الغربي كان له عتب دائري ومسدود الآن من خارج أما من الداخل فيقسمه رف خشبي أفقي. هذا الارتداد كان فيما مضى واحداً من مجموعة نوافذ سنبحتها فيما بعد. وفي قاعه يوجد حوض مربع — منخفض عن أرضية الحجرة — له مجرى تصرف مستدير غير معلوم الغرض منه. وفي حائط هذه الحجرة القبلي ارتداد آخر في قاعه باب صغير يؤدي إلى غرفة منخفضة مظلمة محصورة بين الأرضية وبين قبة الحجرة التي أسفلها، وهي بهذا تناظر المحبأ السري الموجود بالطابق الأول. وفي أكوام الأحجار والأتربة المتراكمة والخرق والسلال القديمة توجد رزم من أوراق المخطوطات أغلبها بالقبطية والعربية هي بقايا مكتبة الدير، مما يجعلنا نقطع بأن هذه الزنزانة (٢٧) مع الحجرات التي تعلوها كانت في وقت ما مكتبة الدير.

(٢٥) وُجد في هذا السرداب الكثير من قصاصات ورق مخطوطات الدير فُجّمت واحتُفظ بها في المكتبة. ثم رفعنا كل الرديم الذي كان على الأرضية وعلنا قبواً مسلحاً فوق قبو دهليز الطابق الأول، وهو أرضية السرداب، مدعم بعقود خرسانية في موضع الشروخ التي تخللت حوائط وأرضية السرداب. وفي نهايته القبليّة أقنأ سلماً خشبياً يصعد إلى الطابق الثاني داخل أرضية كنيسة السواح.

(٢٦) ترجع هذه القبة إلى وقت متأخر، ويبدو في مركزها هبوط خطير حدث بعد بنائها مباشرة على الأرجح مما جعلها آيلة للسقوط. وحدث فعلاً أنها انهارت سنة ١٩٧٥ في يوم زوابع عنيفة وأمطار غزيرة، واستعيض عنها بسقف خرساني مستوي مثل باقي حجرات الطابق الثاني للحصن.

(٢٧) يبدو أن إقنين هويت عندها على المخطوطات التي نشرها من دير أنبا مقار. أنظر مقدمة كتابه:

New Coptic Texts from the monastery of St. Macarius

الحجرات الشرقية:

المساحة التي شرقي الدهليز تشغلها ثلاث كنائس، يفصلها عن بعضها البعض حوائط، ولا توجد بها أية تقسيمات داخلية بعقود مثل كنيسة العذراء بالطابق الأول.

وقبل أن نتكلم تفصيلاً عن هذه الكنائس نورد هنا التسجيل التاريخي القيم لتكريس هذه الكنائس نقلاً عن المخطوطة الأثرية المحفوظة بالدير، وهي تحوي بالإضافة إلى خبر تكريس كنائس الحصن كتاب: «الفردوس العقلي» (٢٨) و«تكريس هيكل أنبا بنيامين» و«قوانين هذا الهيكل»:

[لما كان بتاريخ سنة ألف ومائتي وثلاثة وثلاثين للشهداء الأطهار السعداء الأبرار (١٥١٧م)، رزقنا الله بركاتهم ورحمنا بطلباتهم، طلع الأب السيد البطريرك أنبا يونس (الرابع والتسعون) أدام الله سني حياته سنين عديدة وأزمنة متصلة مديدة آمين، إلى البرية المقدسة لحضور عيد الغطاس المجيد وصوم الأربعين المقدسة في دير القديس العظيم أبو مقاره وصحبته الأنبا باسيلوس أسقف كرسي زفتي وأنبا يونس الأدرنكي ومن كان بصحبته... وأقاموا في دير القديس أبو مقاره مدة تقارب خمسة شهور. وقُدّم أنبا بطرس أسقفاً على كرسي منية صرد (مدينة مسطرد حالياً)، وأنبا ميخائيل وأنبا يونس أسقفين أيضاً على كرسي المحرق. وفي طول هذه المدة وهم مجتهدين في عمارة الأماكن المهتمة بالدير المذكور وبجوسقه بقطع المسالك (٩٩) التي عليه وفي عمل موايد جدد لمذابح الكنيسة الكبرى وعمل سترونس لتجليس بهيكل الأب البطريرك أنبا بنيامين. وكان تكريسهم في يوم الحادي والعشرين من شهر برمهاث سنة تاريخه (٣٠ مارس ١٥١٧م)، وكرز أيضاً كنيسة صغرى على اسم القديس أنبا صموئيل المعترف ورفيقه في سبي البربر أبو يحنس القمص والتسعة وأربعين شيوخ شهيته وأبونوفر السائح وأنبا أبرام وجرجه وأنبا أبوللو وأنبا أيوب وأنبا ميصائيل السائح وأنبا بيجيمي وذلك في يوم الأحد الذي هو الثاني من شهر طوبة (١٠ يناير ١٥١٧م) وكرز أيضاً كنيسة بجانبها على اسم القديس أنبا أنطونيوس وأنبا بولا وأنبا باخوم، وذلك في يوم الأحد العاشر من شهر برمودة وهو أحد الشعانين سنة تاريخه (١٨ أبريل ١٥١٧م) وحضر الراهب الناسك القس المكرم تكلا الحبشي وصوّر هؤلاء القديسين في الكنيستين المذكورتين ورشموا بزيت تقديس الكنيسة كل صورة باسم صاحبها، وصوّر أيضاً في كنيسة رئيس الملائكة ميخائيل صورته بمفردها، وقباله في الجانب الآخر واسيليدس وولديه حوله أوسابيوس ومقاريوس، وكذلك السيد يسطس وأبالي وثاوكليا. وكان في تلك الأيام ضيق عظيم في العالم وفي المملكة يغني عن ذكره. وكان المقصود بتكريس هذه الأماكن وتصوير هؤلاء الشهداء والقديسين حلول بركاتهم وحماية الدير وعمارته بصلواتهم وطلباتهم. وفي حال تكريس المذابح التي

(٢٨) يقول إفتس أن هذا الكتاب لا بد أن تكون منه نسخٌ عديدة في كل دير حيث كان على المبتدئين أن يدرسوا فيه.

بالكنيسة الكبرى والكنيستين اللتين بالجوسق أحضروا أجساد الثلاثة مقارنات وأبو يحنس القصير وأجساد التسعة بطاركة، الرب يرحمنا بصلواتهم وطلباتهم، وذلك في خدمة الأب الراهب الناسك الإيغومانس المكرم يعقوب].

والبطريرك الرابع والتسعون هو أنبا يونس الثالث عشر (سنة ١٤٨٢-١٥٢٤م)، وقد حدث في عهده الغزو التركي لمصر (١٥١٧م) وحسب ما هو معروف حتى الآن، ليس هناك في عهده أي كارثة أخرى غير ذلك.

كنيسة السواح:

هي القبليّة من الثلاث كنائس، وعلى اسم السواح الذين سيأتي ذكرهم بعد. والمدخل الذي اختصر عرضه من ١١٠م إلى ٨٠م ما زالت به ضلقة باقية من ضلقتي باب أثري (٢٩) (لوحة ٣٧)، متحركة على محور أفقي مثبت من أعلى ومن أسفل، وزخرفتها مشابهة لباب هيكل كنيسة العذراء بالطابق الأول ومطعمة بسن الفيل. ومع أنه جيد الصناعة إلا أنه يخلو من الدقة والإتقان في التفاصيل التي تميز مثيلاتها في الأديرة الأخرى (مثل أبواب الخوارس في كنيسة أنبا بيشوي والعذراء بالسريان).

والكنيسة من الداخل عبارة عن مستطيل خال من أية تقسيمات عرضية، والحاجز عبارة عن درابزين مكون من قوائم خشبية رخيصة يقسم الكنيسة إلى صحن غربي وخورس. ويتخلل هذا الحاجز ثلاث فتحات إحداها هي الوسطى والإثنتان في الطرفين. وبذلك أمكن تهيئة ثلاثة مداخل كالمألوف في الخوارس، هذا الحاجز ليس أصيلاً وقت إنشاء هذه الكنيسة لأن العارضة العلوية فيه تخترق الرسم الحائطي البحري (٣٠) والذي يُعتبر أثمن ما في الكنيسة.

أما الرسم الحائطي الذي قام بتصويره القس تكلا الحبشي فهو مجموعة صور لتسعة من شخصيات النساك الذين على اسمهم تكرست الكنيسة، مرسومة بمقاسات مُبالغ فيها بقصد إظهار بطولتهم (لوحة ٦٢ و٦٣). كل شخصية تشغل باكية من سلسلة بواكي تتكون من أقواس دائرية تعلوها صلبان وتحملها من أسفل أعمدة مستديرة كلها ملونة باللون الوردى الزاهي. ولكل منهم هالة نورانية تجلج الرأس. والجميع يرتدون زياً متماثلاً مكوناً من قيص داخلي طويل = Tunic ، ووشاح (شال = Overmantle) معلق على الكتفين بثنيات طويلة رأسية لكنه مشدود إلى الأمام بحركة الذراعين. وهذا أمكن لبقية الوشاح أن يبقى متديلاً أمام الشخصية ممثلاً بأقواس متتالية. والأذرع مثنية عند المرفق، والساعدان يستريحان على الصدر، واليدان ممسكتان

(٢٩) محفوظة الآن بمتحف الأخشاب بالطابق الأرضي في الحصن.

(٣٠) أزيل هذا الحاجز بعد ترميم الطابق الثاني للحصن.

بصليب أو كتاب أو عكاز رهباني رأسه بشكل حرف T (٣١).

والفن والألوان في غاية البساطة: الأحمر القاني — يكاد أن ينمحي — لتحديد الملامح وثنيات الملابس المرسومة بخطوط عريضة جريئة فوق أرضية بغير تلوين. الأعضاء الظاهرة من الجسم باللون الوردى الزاهي، الثياب الداخلية مع خلفية الصورة في كل باكية من البواكي ملونة بالألوان ثقيلة Solid masses ، المُغرة Ochre الحمراء والصفراء وحدهما لتلوين الثياب. لكن من أجل التنويع، وحينما تكون الثياب الداخلية باللون الأصفر والخارجية باللون الأحمر في إحدى الصور، تُستعمل الألوان بطريقة عكسية في الصورة التي تليها.

أما الشخصيات المرسومة بحسب ترتيبها من الشرق إلى الغرب فهي هكذا:

١ — أنبا صموئيل المعترف:

رئيس دير القلمون (٣٢) و يرتدي قلنسوة بيضاء وعباءة حمراء فوقها وشاح أصفر، يمينه تمسك بعكاز ويساره مفتوحة على صدره، ويتدلى من عنقه صليب متساوي الأضلاع. خلفية الصورة باللون الأحمر القاني.

٢ — أنبا يونس قصص شبيهت:

أحد السواح ورفيق أنبا صموئيل في السبي. يتدثر بوشاح أحمر وأبيض تحته عباءة صفراء تلتف حول جسمه. في يمينه صليب ويمسك بيساره كتاباً. خلفية الصورة باللون الأحمر.

٣ — أبونوفر:

جسمه عاري ولحيته بلون أصفر غامق تغطي جسمه من أمام إلى ما تحت الركبتين. وشعر رأسه يتدلى من خلف على كتفيه إلى أسفل القدمين، يده مرفوعتان بالصلاة.

٤ — أنبا أبرام:

وقد مُحيت أغلبية الصورة.

٥ — أنبا جاورجه:

رفيق أنبا أبرام، وكانا كلاهما معاصرين ليونس قصص شبيهت في القرن السابع. وفي الصورة يرتدي وشاحاً أصفر فوق عباءة حمراء ويده اليمنى صليب وباليسرى عكاز، وقلنسوة بيضاء فوق رأسه.

٦ — أنبا أبوللو:

يرتدي وشاحاً أحمر فوق عباءة صفراء. بيده اليمنى صليب وباليسرى عكاز.

٧ — أنبا أبيب:

يتدثر بوشاح أصفر تحته عباءة حمراء. في يده اليمنى عكاز وباليسرى كتاب.

(٣١) مشابهة لعصا أنبا مقار، أنظر كتاب إفلين هوايت عن تاريخ نتريا والإسقيط H.N.S. 3, I, XII

(٣٢) لمعرفة علاقته بدير أبو مقار: أنظر إفلين هوايت H.N.S. II & V وسنكسار ٨ كيهك.

٨ - أنبا ميصائيل السائح:

من دير القلمون (أنظر سنكسار ١٣ كيهك)، يرتدي وشاحاً أحمر فوق عباءة صفراء واليدان تمسكان بكتاب على صدره.

٩ - أنبا بيجيمي:

(أنظر سنكسار ١١ كيهك) يرتدي وشاحاً أصفر وعباءة حمراء ويمسك أيضاً بكتاب على صدره. هذه الصورة تبدو كما لو كانت مضغوطة في إطارها بسبب ضيق المساحة الباقية لها.

وقرب الركن القبلي للكنيسة توجد فتحة في الأرضية توصل إلى السرداب الذي تحت الطرقة الوسطى وقد كشفت عن طريقة إنشاء الأرضية، وهي تتكون من حزم من أعواد البوص ملتصقة مع بعضها البعض على قدر الإمكان وتغطيها طبقة سميكة من مونة الجبس البيضاء ومحملة على مدادات من كتل خشبية مشقوقة بحسب طبيعتها المستديرة (٣٣).

وفي الحائط القبلي نافذتان تبدآن من مستوى أرضية الكنيسة، إحداها مسدودة من الخارج، لها عتب مستدير ومهياة من الداخل لتكون دولاباً حائطياً، واتساعها ٨٠ سم وبذلك تكون مشابهة للتي في حجرة المكتبة. في حين أن النافذة الأخرى عرضها متر واحد مسدودة جزئياً ولها فتحة للخارج وعتبها مستقيم (٣٤).

وللكنيسة هيكل وحيد مقتطع من الخورس بواسطة حجاب جزؤه الأوسط من الخشب والباقي على الطرفين حائط مبني. والجزء الخشبي - طوله ٤ أمتار - عبارة عن حشوات خشبية بسيطة معشقة داخل عوارض أفقية ورأسية تكوّن أشكالاً مربعة ومستطيلة، والتصميم بسيط من غير تكلف، والصناعة جيدة ربما ترجع إلى العصر التركي (٣٥). أما الفراغ الذي بين الحاجز الخشبي وبين الحائطين الجانبيين فتشغله مباني خفيفة مكسوة بالمونة البيضاء ولكن عند اتصالها مع الحجاب الخشبي يوجد عمود من الرخام داخل الهيكل لا بد أنه كان فيما قبل يحمل قوس النصر المألوف في داخل الهياكل؛ والعمودان من الرخام المخطط، ارتفاع الجزء الإسطواني وحده ١٧٥ متراً والتاج بارتفاع ٢٢ سم من الطراز القبطي البيزنطي مزخرف بورقة الأكانثس المعروفة (٣٦).

(٣٣) بعد عمل الأرضية من الخرسانة المسلحة أمكن رفع كميات البوص ومونة الجبس وباقي الأخشاب.

(٣٤) عند ترميم هذا الحائط وإعادة بنائه بمونة الأسمنت والرمل تعدلت مقاسات الشبايك المذكورة لتكون مشابهة لباقي شبايك الحصن.

(٣٥) استبدلت أحجبة كنائس الطابق الثاني والتي بلا قيمة أثرية، بأحجبة أخرى ذات تصميم قبطي أصيل من تصميمات القرن ١٣/١٤ الميلادي.

(٣٦) جميع القطع الرخامية، سواء أعمدة أو تيجان أو قواعد أو كرانيش... إلخ معروضة في المتحف المجاور لمبنى المكتبة الجديدة بالدير، نظراً لقيمتها البالغة الأهمية.

والمذبح مبني بنساءً عادياً لكنه مفرغ من الداخل، ورخامته الكبيرة لا تتناسب مع حجمه، فهي تبرز من الشرق بمسافة كبيرة. وربما تكون واحدة من الخمس أو الست قطع رخام التي شاهدها Thévenot. وهي من الرخام الأسود اللامع ذي نقط بيضاء، وطرازها من النوع المربع ونصف الدائرة التي لها إفريز مرتفع (٣٧).

وشرقي المذبح توجد «الشرقية» بارتفاع ١٩٠ سم وعرض ٦٠ سم، وعلى جانبيها عمودان صغيران من الرخام ارتفاع الواحد منها ١٤٧ سم يحملان تاجين من النوع المزخرف بورقة الأكانثس. وظاهر أن التاجين ليسا للعمودين. وبحري «الشرقية» يوجد ارتداد آخر مشابه لها ذو عتب دائري. وأعلى الحائط الشرقي وتحت مستوى السقف فتحتان صغيرتان مستطيلتان ٧٠ سم × ٥٠ سم، إحداها في منتصف الحائط أعلى «الشرقية» والثانية تبعد عنها إلى الجنوب مسافة ١٢٠ سم. وكانت هناك ثلاثة تالفة تناظرها من بحري لكنها مسدودة الآن.

كنيسة أنبا أنطونيوس:

الكنيسة التالية من بحري باسم أنبا أنطونيوس، ولا تختلف عن كنيسة السواح إلا أنها تخلو من الحاجز الذي يفصل الخورس عن صحن الكنيسة؛ لكن له أثر في أرضية الكنيسة يدل على وجوده في زمن سابق. وعلى الحائط البحري عقب الحجاب مباشرة توجد رسوم لثلاث شخصيات قام برسمها نفس الفنان الذي رسم كنيسة السواح كما يستدل على ذلك من الطابع والأسلوب (لوحة ٤٠). والألوان الباهتة التي تظهر من تحت دهان الجير الأبيض الذي يغطي الحائط يكشف عن أن الرسومات كانت تمتد بطول الحائط من الشرق إلى الغرب (٣٨). أما الشخصيات الباقية فهي من الشرق إلى الغرب:

١ - أنبا أنطونيوس:

يرتدي عباءة صفراء ووشاحاً أحمر، بثنيات بيضاء، ويمسك صليباً في يمينه وعكازاً في يساره.

٢ - أنبا بولا أول السواح:

يتدثر بلباس أبيض بثنيات حمراء، ولا يظهر في الرسم أية ملابس أخرى داخلية. وأسفل الصورة يوجد الأسدان اللذان ساعدا أنبا أنطونيوس في دفنه كما تقول قصته التقليدية.

٣ - أنبا باخوميوس أبو الشركة:

يرتدي عباءة حمراء وفوقها وشاح أصفر، ويمسك كتاباً بين يديه.

(٣٧) محفوظة مع باقي لوحات المذابح في متحف الدير، وتعتبر مجموعة اللوحات الرخامية للمذابح المعروضة في المتحف من أثنى وأندر المجموعات في العالم (راجع Dict. d'Arch. Chret. et Lit. Tome III).

(٣٨) هذا الإستدلال ثبت عدم صحته حيث لم يذكر في كتاب تكريس هياكل الحصن سوى الثلاث شخصيات الموجودة حالياً.

وحجاب الهيكل مشابه في فنه وصناعته لحجاب كنيسة السواح، إلا أن العمودين اللذين يفصلان بين الحجاب الخشبي والحاجز المبني هما من الخشب المكسوطبقة من المصيص الأبيض، وعلوهما قاعدتان مقلوبتان بدلاً من التاجين، وفي الحقيقة هما يحملان المدادات الخشبية الضخمة التي عليها تستند عروق السقف والقبة الصغيرة. والمذبح مغطى بمخلفات الوطاو يط حتى أنه لم يمكن تمييز رخامته. و يبدو أنها مركبة من قطع مكسورة لبلاطة مستطيلة و يظهر على حافتها الشرقية جزء من عمود رخامي طوله ١٠٨ سم. ويجوار المذبح على الأرض يوجد شمعدان من الرخام الأبيض ارتفاعه ٧١ سم ضائع منه الطرف العلوي.

وفي الحائط الشرقي للهيكل توجد ثلاثة ارتدادات، أحدها عبارة عن شرقية المذبح المألوفة لكنها مرتفعة وضيقة مما يدل على أنها معدلة. أما الإرتدادان البحري والقبلي فهما مسدودان من خارج، وأعلى الحائط تحت السقف مباشرة توجد ثلاث نوافذ مستطيلة صغيرة، اثنتان منها مسدودتان وكلها تماثل نوافذ هيكل كنيسة السواح (٣٩).

والهيكل مغطى بقبة كروية صغيرة بشكل ملحوظ، وهي من الطوب ومحمولة فوق أربع كمرات خشبية كبيرة وأربعة مدادات خشبية فوق أركان تقاطع الكمرات الكبيرة (٤٠).

كنيسة الملاك ميخائيل:

الوصف العام:

تقع في نهاية الجانب الشرقي من بحري في الدور العلوي من الحصن، ومسجلة في قائمة كنائس البطريركية باعتبارها كنيسة (٤١) مكرسة على اسم الملاك ميخائيل. ومسقطها الأفقي عبارة عن مستطيل له امتداد غربي ربما أضيف فيما بعد باقتطاع النهاية البحرية لدھليز الدور العلوي وضمها إلى الكنيسة. ويتقسم صحن الكنيسة إلى ثلاثة أقسام طويلة: الصحن الأوسط وجناحين بحري و قبلي، بواسطة صفيين من الأعمدة الرخامية تحمل سقفاً خشبياً من منسوين (٤٢)، سقف الصحن الأوسط يرتفع ١٣٠ سم عن سقف الجناحين الذي هو في مستوى سطح الحصن. وفي العصر الذي أعقب القرون الوسطى أقيم حاجز عرضي يميز الخورس عن باقي الكنيسة، مكون من صفيين من الأعمدة الخشبية المحروطة، واحد فوق الآخر على شكل درابزين. ثم تمت تعلية هذا الدرابزين

(٣٩) عند ترميم الحائط الشرقي لهذا الهيكل عملت فيه «الشرقية» المعتادة في وسط الحائط، تعلوها فتحة بنفس مقاسات شبابيك الحصن، وألغيت باقي الفتحات.

(٤٠) بعد إزالة سطح الحصن وإقامة سقف من الخرسانة المسلحة بدلاً منه، أعيد بناء قباب هياكل الكنائس على قاعدة مثمثة بها فتحات صغيرة للإنارة الداخلية.

(41) Somers' Clark: Christian Antiquities.

(٤٢) بسبب مخافة الأعمدة الرخامية وعدم ثباتها انهارت بعض أجزاء السقف الخشبي مما اضطرنا إلى رفع الأعمدة وإزالة السقف واستبداله بآخر من الخرسانة المسلحة على منسوين، وهكذا كان الحال في باقي أسقف الكنائس بالحصن.

بإضافة قوائم من الخشب الرخيص تصل إلى السقف. ويتخلل هذا الحاجز ثلاث فتحات لتهيئة ثلاثة مداخل للخورس كعادة الكنائس (لوحة ٤٣).

أما الملحق الذي أضيف غربي الكنيسة فهو بعرض أقل من عرض الكنيسة وله أيضاً حاجز عرضي، جزؤه البحري على شكل درابزين مماثل لحاجز الخورس السابق وصفه، والباقي من خشب مفرغ على شكل نجوم واسعة ذات إثني عشر طرفاً. ولا يبدو أن الجناحين البحري والقبلي قد أقيم فيها أية حواجز أو تقسيمات (لوحة ٣٢).

وهيكل الكنيسة يرتفع درجة واحدة عن الخورس، له حجاب رائع من المؤكد أنه مصمم لهذا الغرض بالذات. وتغطي الهيكل قبة نصف كروية من الطوب الأحمر مائلة على قاعدة من الخشب مثمثة الشكل تستند جزئياً على عمودين من الرخام ملتصقين بالحائط الشرقي للهيكل.

الملحق الغربي للكنيسة:

المدخل — وكان أصلاً أوسع مما هو الآن — في الطرف الغربي للناحية القبلية للكنيسة، وله ضلفتان تطويان على جانب واحد، كل منهما تتكون من تقسيمات ثلاثية وسداسية من الخشب غير المحفور وهو بذلك يشبه ضلفتي باب هيكل كنيسة العذراء بالطابق الأول. وتتحركان على مفصلات ذات أربع عقل من النحاس يجمعها مسمار محوري. ويقابله في حائط الملحق من غرب دولا ب حائطي كانت تُحفظ فيه كتب القراءات والكتب الطقسية. وأرضية هذا الجزء مغطاه ببلاطات مستطيلة ملساء من الحجر الجيري مقاسها ١٦ × ٣٢ سم موضوعة في صفوف متوازية ولحاماتها مخلوفة.

ويتقابل الحاجز الخشبي الذي يفصل الملحق عن صحن الكنيسة مع الجناح البحري عند العمود الغربي الأخير لهذا الجناح، وهذا العمود جدير بالفحص إذ يتكون من إسطوانتين من الرخام: السفلية منها ارتفاعها ١٤٤ سم ومحيطها ١٠٢ سم تقريباً والعلوية ارتفاعها ٨٨ سم ومحيطها ٩٥ سم (٤٣)، وتتميز بوجود صليب تكريس Consecration cross منحوت عليها في واجهتها الغربية أسفل ثقبان dowel-holes لتثبيتها مع ما يجاورها من منشآت، والثقبان محشوان بالرصاص ربما بقصد تعليق قطعة زخرفية من المعدن. وعلى هذين العمودين كتابات عديدة بالسريانية والعربية وآثار زخرفية باللون الأسود والأحمر انمحت بسبب مياه الأمطار، ولكنها تحتاج لعالم باللغات الشرقية ليحل أغازها. وعلو هذا العمود قاعدتان مقلوبتان وليسا تاجين من الطراز الدورتي Doric كما يذكر بطر.

(٤٣) هذا العمود يتساوي في مقاساته مع أعمدة كنيسة الشيوخ، وهو قطعاً مأخوذ من الكنيسة الكبرى — كنيسة القديس مقار يوس — بعد أن تهدم صحنها وحيء به إلى كنيسة الملاك وقت ضم الملحق الغربي إليها.

أما أعمدة جناحي الكنيسة فهي موضوعة فوق بلاط الكنيسة (٤٤) مما يدل على أنها أقيمت متأخرة عن وقت إنشاء الكنيسة، ربما في أوائل القرن السادس عشر. فإن كان الأمر كذلك فهي قطعاً منقولة من صحن الكنيسة الكبرى. وهي عموماً أرفع قليلاً، وتتركب من قطعتين إحداها تعلو الأخرى، وكلٌّ من هذه الأعمدة ارتفاعه ١٤٢ سم وعلى مسافات حوالي ٢٥٠ متراً في كل صف. ومن العسير أن نفكر أنها كانت أعمدة مستقلة. أما التيجان، فإثنان منها من الطراز المزخرف بورقة الأكانثس المعروفة، والثالث هو قاعدة مقلوبة لعمود، والرابع من الحجر الجيري وزخرفته على شكل كأس زهرة متعدد الأوراق many petalled calyx. والعمود الثاني القبلي قاعدته هي تاج مقلوب لكنه مزخرف بدقة على شكل ورقة الأكانثس. وتعلو التيجان قواعد من الخشب تحمل قوائم من الطوب الأحمر المكحول بعناية. وفوق القوائم يمتد كورنيش من الخشب يحمل عروق السقف العالي لصحن الكنيسة الأوسط والمباني التي تملأ فرق المنسوب بين سقف الأجنحة الجانبية وبين سقف الصحن الأوسط.

البلاط:

بلاط الجناحين من الحجر الجيري الأملس مقاس ٣٢ × ١٦ سم مرصوص في صفوف متوازية. أما الصحن الأوسط ففيه تركيبات متنوعة. فالنصف الغربي بلاطه موضوع بطريقة زجاجية تعطي في النهاية نسيجاً على هيئة مربعات متداخلة. والنصف الشرقي بلاطه مسدس غير متساوي الأضلاع، لكنه موضوع في مجموعات كل منها أربع بلاطات متقابلة الأركان. والفراغ الذي يتبقى بين كل مجموعة والتالية لها تشغله قطع صغيرة من الحجر الجيري المربع. وفي النهاية تتكون أشكال متوالية من صلبان أطرافها ثنائية الفروع. أما الخورس فبلاطاته سداسية منتظمة الأضلاع مرصوصة بشكل مشابه لعش النحل (٤٥).

الرسوم الحائطية:

حوائط الجناح القبلي مزدانة برسوم حائطية من يد نفس الفنان الذي رسم الكنيستين السابقتين. فالحوائط القبلي تظهر عليه خمس شخصيات من الفرسان، الإثنان في الجهة الشرقية يمتطيان جيادهما من اليمين، والثلاثة الباقون من اليسار. ومع أنهم جميعاً من المحاربين وصورهم مواجهة بعضهم لبعض، إلا أنهم ليسوا في حالة عراك كما يظهر من تصوير أوضاعهم. أما الشخصيات فهي من الشرق إلى الغرب (لوحة ٤٥ و ٤٦):

١ - أوسابيوس:

وقد اتمحت صورته بسبب مياه المطر المتسربة من السقف.

(٤٤) الملاحظ هو العكس، فالبلاط يحيط بقاعدة العمود مما يعني أن الأعمدة أصلية في الكنيسة وقت إنشائها.
(٤٥) نُقل هذا البلاط بتصميمه وشكله ليكون أرضية هيكل المبرون القائم بحري كنيسة الشيوخ بالدير.

٢ - واسيليدس:

والد أوسابيوس، له لحية وعلى رأسه هالة نورانية، يمتطي جواداً أبيض، يلبس خوذة مفتوحة وسترة مدرعة، وعباءته مربوطة عند العنق وتطير خلف كتفه الأيمن. ويبرز من وراء الكتف الأيسر ترس مستدير، ويحمل في يده اليمنى رمحاً ينتهي طرفه السفلي بصليب. وفي ركن الصورة الأيمن العلوي توجد يد (الله؟!) تشير من السماء.

٣ - يواجه هذا الرسم فارس صغير على حصان أحمر هو مكار يوس أخو أوسابيوس، يرتدي سترة مدرعة بيضاء تنتهي من أسفل عند الجذع بما يشبه المروحة وتحتها قميص أحمر قائم، ثم عباءة عسكرية على الأكتاف، وخوذة على رأسه، ويحمل رمحه بيده اليسرى. والأجزاء الظاهرة من الجسم ملونة باللون الوردي الزاهي، أما خلفية الصورة فباللون الأصفر القائم. والجزء العلوي من الرسم عبارة عن زخارف أفقية كلاسيكية التصميم.

٤ - يسطس:

يلي هذا رسمٌ لِسَطْس الوزير بمقاس أكبر من سابقه، يمتطي جواداً وردي اللون ويرتدي سترة حربية حمراء وفوقها عباءة بيضاء، وحذاؤه باللون الأصفر القائم.

٥ - أبالي:

وهذا هو آخر رسم على الحائط القبلي وقد تشوه بسبب مياه المطر المتسربة من السقف، وهو لأبالي ابن يسطس ويرتدي ملابس صفراء قاتمة فوق قميص أبيض واسع يظهر عند العنق وفوق القدم اليسرى. ومع أنه ممسك برمح إلا أنه بدون المعدات الحربية التي في الرسومات السابقة.

٦ - ثاوكليا:

عند تقابل الحائط القبلي مع الحائط الغربي توجد صورة باهتة لامرأة واقفة بيدين مرفوعتين بالصلاة وملفوفة بثياب بيضاء فضفاضة بثنيات محدة باللون الأحمر، والعنوان المكتوب على هذا الرسم بالمُغرة الصفراء: ثاوكليا امرأة يسطس وأم أبالي (٤٦).

ومع تنوع شخصيات هذه الرسوم إلا أن الأسلوب العام والألوان هي نفسها المستعملة في الكنيستين المجاورتين. أما علة اختيار هذه الشخصيات فهو التشابه بينهم كقديسين محاربين وبين رئيس الملائكة ميخائيل.

وأسفل هذه الرسومات مكتوب عناوين أصحابها بالعربية. وقرب طرف صورة يسطس من

أسفل توجد هذه الكتابة القبطية محفورة على الحائط:

(أذكر يارب عبدك

الأب القس جرجس

(٤٦) بسبب تعديل المدخل الغربي وإلغاء الملحق الذي كان بطرف الكنيسة، زال رسم ثاوكليا.

пресвитерос φιωτ

عبدك أيها المسيح اصنع معه رحمة

πεκνωκ π̄χ̄ς

في ملكوتك يارب .

арнаицъ бѣт̄ тепмет

وبلا ريب فإن هذه الكتابة ليست قديمة .

отро по̄с̄ амни

ولكن هناك كتابات أخرى على هذا الحائط تستحق الإعتبار، كلها مخطوطة بالمغرة الحمراء . فيوجد أسفل صورة يسطس سبعة أسطر بالخط الأرمني ، ومع صعوبة نسخها بواسطة فرد عادي إلا أن العالم بالأرمنية يستطيع حل رموزها . ومعرفتنا القليلة بالجماعات الأرمنية التي عاشت في وادي النظرون تجعلنا نؤرخها بالقرن الثاني عشر أو الثالث عشر .

ويعلو صورة أبالي أحد عشر سطرًا بالخط السرياني ، ولسوء الحظ انطمست بسبب تسرب مياه الأمطار من السقف ، وربما — وهذا مجرد احتمال — تكون أقدم من الرسوم ذاتها . وبجوار صورة أوسايوس شرقاً توجد كتابتان بالسرياني تحويان تاريخاً محدداً ترجمتهما كالاتي :

« أذكر يارب عبدك الضعيف والخطيء إلياس ، بالاسم راهب وكاهن ، من بلاد مارد ... والراهب السرياني حبيرب و... في ديار الأنبا مقار المقدسة ... به . هذه الأمور كانت سنة ١٥٠٧ لچاقان Javan » (٤٧) (سنة ١١٩٦ م) .

وفي موضع آخر أسفل منه إلى اليمين :

« أذكر يارب أمي وأبي وأختي وامراتي ... الأنبا مقار يوس وكل القديسين » .

وفوق صورة مكار يوس ومغطة جزئياً بألوانها ، توجد كتابة سريانية من أحد عشر سطرًا . وبسبب تغطيتها بالألوان وتسرب الأمطار من السقف لم يتبق منها سوى أجزاء قليلة أمكن قراءة الثلاثة أسطر الأولى منها :

(زار) هذا الدير أبانا

مار أغناطيوس البطريرك

الرسولي الأنطاكي (٤٨) .

صور الحائط البحري :

على الحائط البحري للخورس توجد صورة بديعة للملاك ميخائيل (لوحة ٤١) مرسومة بنفس

(٤٧) أي سنة يونانية .

(٤٨) قد يكون أغناطيوس هذا البطريرك الأنطاكي أغناطيوس الحادي عشر الذي زار أديرة وادي النظرون عدة مرات منها تلك المذكورة في حصن دير أنبا بيشوي : في الصوم الكبير لسنة ١٤٧٣ م في شهر أُمشير سنة ١١٨٩ ش (« وادي النظرون » ، للأمير عمر طوسون ، ص ١٩٣) .

الأسلوب كباقي شخصيات الحائط القبلي والكنائس المجاورة (٤٩) ، وأسفل الرسم اسم صاحب الصورة بنفس لون المغرة الصفراء « رئيس الملائكة ميخائيل » . والألوان المستعملة هي الأسود لتحديد الخطوط والملامح ، والمغرة الصفراء والحمراء مع أرضية الحائط التي بلون الجبس الأسمر ، وحول رأسه هالة نورانية وجناحاه مطويان جزئياً ويده اليمنى ممسكة بعصا تنتهي من أعلى بصليب ، واليسرى بقرص مستدير عليه صليب ، وفوق القميص الداخلي الأحمر يرتدي لباساً أصفر — حبرية = Core مربوطة حول العنق بجلية ثمينة من الأمام ، والبطرشيل يلتف حول الجسم مرتين في اتجاه واحد مائل من الجنب الأيمن إلى الكتف الأيسر (٥٠) . هذا الترتيب في لف البطرشيل صعب التفسير ، ومن المحتمل أن الرسام خلط الرذاتين معاً ورسم ثنيتها مرتين .

وإلى الشرق قليلاً من رسم الملاك توجد صورة صغيرة ، ربما فتاة ، رافعة يديها بالصلاة (٥١) . ومع أنه لا توجد أية إشارة نستنتج منها شخصيتها إلا أنه من المحتمل أن تكون لإيلاريا ابنة الملك زينون .

حجاب الهيكل :

هذا الحجاب الرائع (لوحة ٥١) قد عانى كثيراً للأسف من الزوار وغيرهم ، فالكثير من القطع المحفورة والمنقوشة والمطعمة بسن الفيل أو العظم قد انتزعت قسراً وما تبقى منها مشوه للغاية بسبب محاولات اقتلاعه (٥٢) .

الجزء السفلي :

من الغريب حقاً أن النصف السفلي من الحجاب مع قائمي الباب قد قُطعا وأزيلوا من مكانها بيد جريئة لا يمكن أن تكون إلا يد راهب متلاف ، ثم جرت محاولة لإصلاح هذه الخسارة بتركيب مساحات أخرى أقل إتقاناً ، فالجزء الأيمن مقسم بحلقات إلى مربعات صغيرة كل منها

(٤٩) من السمات المميزة لهذه الرسومات جميعاً أن إنسان العين يبدو قريباً من عظمة الأنف فتعطي — لسوء الحظ — انطباعاً بوجود حَوَل في العين .

(٥٠) ربما كان المقصود هو رسم الملاك بالبطرشيل — بنفس أسلوب صورته التي بكنيسة أبو سرجة .

أنظر : Butler. II, p. 159, fig. 26.

(٥١) واضح من مقارنة هذا الرسم مع باقي الرسومات أنه بيد أخرى غير يد الفنان السابق . كما أنه لم يرد له أي ذكر في كتاب تكريس كنائس الحصن .

(٥٢) من المرجح أن موضع هذا الحجاب كان أصلاً في كنيسة أنبا مقار الكبرى بالدير . وبسبب ما أصابه من غارات البربر وتدهور حالة الدير في العصور الوسطى ، نُقل مُجزئاً إلى الحصن في زمن العمارة التي قام بها البطريرك أنبا يوتس الرابع والتسعين حيث تم تعديله وتجميعه ليتناسب مع وضعه الجديد في كنيسة الملاك ميخائيل . ومع ذلك لم ينبج من أيدي العاشين التي اقتلعت منه أجزاء كثيرة حتى صار في حالة يُرثى لها . وقد اخترنا الأجزاء التي لم يصبها التشويه لتكون ضمن الحجاب الجديد في كنيسة أنبا مقار الحالية ، وأضيف الباب إلى حجاب هيكل كنيسة السواح بالحصن ، واحتفظ بالباقي في متحف الأخشاب بالطابق الأرضي في الحصن .

بحوي صليبياً أبيض بالعظم على أرضية سوداء. أما الأيسر فإن هذه الحليات نفسها تحيط بنموذج مكرر من صليبان كبيرة بنهايات ثلاثية مع مسدسات صغيرة وأشكال هندسية أخرى تملأ الفراغات المتخلقة. وهنا أيضاً الأبيض والأسود لتأكيد الطابع العام. وفي وسط الحشوة اليسرى توجد فتحة مغلقة بصلفة خشبية من طراز مخالف تماماً. وتوجد فتحة أخرى على يسارها وأعلى منها بقليل بدون صلفة. وفي نهاية هذا الجزء من اليسار يوجد فراغ مستطيل كبير مشغول بقطعة من الخشب المفرغ بشكل نجوم ذات ١٢ فرعاً. أما نهاية الجانب الأيمن فيسده باب لا يُفتح، مزخرف بصليبان بسيطة الشكل، ويجاوره أيضاً فتحة تناظر الفتحة التي في الجزء الأيسر، وليس من السهل الحكم على هذه الفتحات إن كانت أصيلة في تصميم الحجاب أم لا.

الجزء العلوي:

وهو ما تبقى من الحجاب الأصلي، مكون من ثلاثة أو أربعة صفوف أفقية من الصليبان المطعمة بسن الفيل المنقوشة نقشاً دقيقاً بزخارف متموجة، والفراغ الذي بين نهايات الصليبان تشغله حشوات سداسية موضوعة مائلة، وهي أيضاً مطعمة بسن الفيل ومنقوشة نقشاً مماثلاً للصليبان. ومن كل هذا لم يتبق إلا القليل، وأقل منه ما بقي على حاله الأصلي دون أن تعبت به يد فاقد الضمير.

وينتهي الحجاب من أعلى بشرائط عرض أفقي تشغله سلسلة من الحشوات المستطيلة، كلٌّ منها يتوسطها صليب كبير من الحفر المطعم، وعلى جانبيه شريطان ضيقان رأسيان، به نقوش عربية قبطية رائعة الحفر والتطعيم.

أبواب الهيكل:

وأخيراً هناك البابان اللذان كانا يوماً ما نموذجاً نفيساً للزخرفة النجمية، أما الآن فحالهما يرثى له، فبالكاد نستطيع أن نعر على قطعة من هذا التصميم الرائع، فأغلبيته أصابه الإفساد بين سنة ١٩١١ وسنة ١٩٢٠م^(٥٣). أعلى وأسفل كل صلفة كان يوجد شريط من سن الفيل المنقوش عليه كتابة تحيط بها زخرفة زجاجية. أما الآن فقد سُرق ثلاث منها ولم يتبق سوى واحدة أسفل الصلفة اليسرى، أما ما كان مكتوباً عليهما من أعلى:

«افتحوا لي أبواب البر لأدخلها وأشكر الرب.
دا باب الرب يدخله الأبرار».

والكتابة السفلية والباقية إلى الآن:

(٥٣) وُجِدَت قطع منه ملقاة على سطح القصر وأخرى كاملة محطمة داخل المنجلى سنة ١٩٢٠م. وقارن لوحة ٤٩ و٥٠ التي تم تصويرها سنة ١٩١١ مع لوحة ٥١ التي تم تصويرها سنة ١٩٢٠.

«تمجيدات قد قيلت عليك يا مدينة إلهنا. أذكر راحاب وبابل اللتين تعرفاني».

وبالتأكيد كانت الكتابة السفلية على الصلفة اليمنى هكذا:

«أساساته في الجبال المقدسة أحب الرب
أبواب صهيون أفضل من مساكن يعقوب».

تاريخ هذا الحجاب مهم. فالعناصر المميزة في التصميم، وحركة الصليب المكررة، كلها سمات قبطية صميمة قطعاً. لكن التكوين العام وتفصيل الحشوات الصغيرة والتطعيم بسن الفيل، كل هذا لا يختلف عن الزخارف الإسلامية للقرنين الثالث عشر والرابع عشر. والأمثلة المناظرة هي أبواب جامع البكري (سنة ١٣٧٤م) وبيرسباي (حوالي سنة ١٤٢٢م) وجانب المنبر في مسجد المؤيد (سنة ١٤٦٨-سنة ١٤٩٦م) والمثل الأخير أكثرهم اقتراباً في تاريخه من تاريخ كنائس الدور العلوي في الحصن. لكن جانب المنبر هذا يبدو في طابعه ميكانيكية التصميم مما يجعلنا نرجع تاريخ الحجاب إلى أواخر القرن الرابع عشر أو أوائل الخامس عشر على أكثر تقدير. وهذا الإعتبار لو صحَّ يجعلنا نُورخ كنيسة الملك ميخائيل هذه إلى ما قبل سنة ١٥١٧م^(٥٤) بينما رسومها الحائطية فقط هي التي تعود إلى هذا التاريخ^(٥٥).

وعلى الحائط عند النهاية البحرية للحجاب كتابة طويلة في سطر واحد بالخط الأرمني مكتوبة بالمغرة باللون البني الباهت. ولأن الحجاب يغطي جزءاً منها، لذلك لا بد أن تكون مكتوبة قبل إقامته. ولم يمكن ترجمتها بدقة، إلا أنها صلاة توسلية. وضياع تاريخها أمر يؤسف له. كما أن ترميم الكنيسة في العصر الحديث طمس جزءاً كبيراً منها.

هيكل الكنيسة:

الأرضية مغطاة ببلاط حجري ١٦×٣٢ سم في صفوف متوازية تحيط بالمذبح. وعلى جانبي المدخل زوجان من الأعمدة الرخامية من النوع المنحوت قطعة واحدة = monolithic لها تيجان مزخرفة بورق الأكانثس بشكل بديع، وواحد منها ما زالت عليه بقايا من ألوان حمراء وزرقاء. وآخر يحمل في حافته العليا نقش صليب بارز. وتعلو هذه التيجان الركائز التي منها يبدأ عقد دائري من الطوب الأحمر المكسو بالبياض. وفي واجهة العمود الأول على يمين مدخل الهيكل صليب تكريس مخفي خلف الحجاب مماثل تماماً للموجود على آخر عمود غربي في صحن الكنيسة، وله أيضاً ثقب لتثبيت الشرائط المعدنية التي تربطه مع المباني المجاورة =

(٥٤) هذا الإستنتاج الذي وصل إليه المؤرخ إفلين هويت صحيح، كما اتضح من كتاب تكريس كنائس الحصن، والذي لم يطلع عليه المؤرخ، وهو أن كنيسة الملك كانت قائمة وقتئذ.
(٥٥) تبليط الكنيسة معاصر للحجاب. أما الأعمدة والسقف فمن المحتمل أن تكون قد أضيفت سنة ١٥١٧م- الأعمدة والتيجان نفترض أنها مأخوذة من إحدى مجموعات القلاوي الخربة.

Dowel holes. والعمود الشرقي الذي على يسار مدخل الهيكل عليه هذه الكتابة: **авва макари** أسفلها صليب على قاعدة نصف دائرية ترمز إلى جبل الجلجثة حيث صُلب السيد المسيح. والكتابة منحوتة بالأزميل بعناية وبعمق حتى أنها ليست مجرد كتابة منقوشة. ألا يجوز أن هذا العمود كان يحمل يوماً ما رسماً للقديس ثم انطمس (٥٦)؟!

أما العمودان الملاصقان للحائط الشرقي للهيكل فهما مائلان في الارتفاع وفي كل الاعتبارات لأعمدة صحن الكنيسة ذات القطعتين. و يوجد صليب بثمانية أطراف على الواجهة الغربية للعمود الأير منها مشابه للصليب السابقة.

ورخامة المذبح صغيرة 92×92 سم من النوع الذي يجمع بين المربع ونصف الدائرة ولها حافة قليلة الارتفاع. وعلى أرضية الهيكل بجوار المذبح شمعدان كامل من الرخام غير المنقوش ارتفاعه ٦٣ سم (٥٧).

وفي الحائط الشرقي توجد أيضاً «الشرقية» المعتادة وهي ارتداد نصف دائري يعلوه عقد نصف دائري، وعلى جانبيه عمودان صغيران من الرخام القاتم اللون ارتفاع كل منهما متر واحد. وبجوار الشرقية من قبلي ومن بجري كوتان صغيرتان مغلقتان من خارج ولهما عتب مثلث الشكل، وفي بياض الحائط البحري للهيكل محفور أسماء ثلاثة من الزوار الأجانب في القرن السابع عشر بالحروف اللاتينية:

كلود دوران ١٦٤٠ م. م. سنة ١٦٤٠؛ أنطوان با... سنة ١٦٤٤ (٥٨).

صندوق أجساد البطارقة (والآن بكنيسة أنبا مقار):

مقابل الحائط القبلي للهيكل يوجد صندوق خشبي كبير حديث الصناعة فيه أجساد تسعة من البطارقة (٥٩). وكما يظهر من بقاياهم أنها ليست محنطة بل يابسة. ومن النظر إليها خلال فتحة في ثنايا الأغطية التي تلفها، كان لون الجلد ليس بنياً محروقاً أو أسود كالعادة في الأجساد المحنطة لكنه أصفر قاتم في لون الرقوق الجلدية العتيقة. وتوجد صرة صغيرة بها عظام قيل أنها ذخائر إيلاريا ابنة زينون (وهذا رأي أغلبية الرهبان) أو ذيوس ابن الوزير الذي استشهد مع التسعة والأربعين شيوخ شيبث.

(٥٦) من المخطوطة القديمة التي تحكي خبر نقل جسد القديس أنبا مقار إلى دير بيرية شيبث في ١٩ مسرى يتأكد لنا أنه كانت للقديس صورة على عمود في كنيسته.

(٥٧) محفوظ مع باقي القطع الرخامية بمتحف الدير بجوار مبنى المكتبة.

(٥٨) من المحتمل أن يكونوا من البشرين أو من صيادي المخطوطات، وقد زالت هذه الأسماء مع إعادة بياض الحوائط.

(٥٩) يقول بطريرك سنة ١٨٨٤م أنه عاين عظام ستة عشر بطريركاً، ولكن الرقم المذكور عاليه هو الصحيح كما يظهر من مخطوطة تكريس كنائس الحصن (راجع ص ٦٠٦).

وكما هو في كنيستي السواح والأنبا أنطونيوس، هكذا هنا أيضاً يوجد صف من الفتحات في الحائط البحري عبارة عن نوافذ صغيرة مستطيلة تحت السقف مباشرة، وصف آخر تحته من فتحات أوسع بأعتاب مستديرة. وتشاهد آثار هذه الفتحات في سائر حوائط الطابق الأخير لأنها مسدودة الآن وهذا الطابق أعلى من أن تصل إليه سلم التسلق، كما أنه لا توجد علة تجعل المصمم لا يسمح بفتحات أكثر عدداً واتساعاً؛ وحتى في حالتها الراهنة حيث النوافذ الواسعة والمنافذ الضيقة جميعها مسدودة تماماً، ومع هذا فإزالت إضاءة هذا الطابق وتهويته كافيين. وإذا افترضنا جديلاً أن النوافذ المسدودة والسابق الحديث عنها كانت مفتوحة، فالضوء الذي سينفذ لن يكون ذا منفعة كبيرة لانخفاض مستوى النوافذ إلى قرب الأرضية، بالإضافة إلى تسلل الحشرات والذباب وازدياد التيارات الهوائية والرياح والغبار والحرارة. و يوجد البعض من هذه الفتحات مسدوداً من الخارج فقط وأما من الداخل فتصل فتحها إلى سطح الأرضية، وهذا يوحي بأنها أبواب متشابهة الإتساع والشكل، وربما كانت تؤدي إلى مشاية أو بلكونة معلقة من الخشب تحيط بالدور العلوي كله وتعتبر بهذا مكان ترويح للرهبان والزائرين (٦٠). فإن صح هذا الافتراض تكون النوافذ النصف دائرية هي سلسلة من فتحات على شكل بواكي في حائط الفراندة تسمح للضوء والهواء أن يتخللا الحجرات المطلة على الفراندة. أما الإضاءة المباشرة لهذه الحجرات فتكون من النوافذ العلوية الصغيرة المستطيلة حيث نفترض في هذه الحالة أن تكون مباشرة فوق سقف الفراندة الخارجي. ولا أعلم هل توجد آثار في مصر مماثلة لهذا التصور أم لا.

وإذا كان افتراضنا هذا صحيحاً فالتصميم الأصلي لهذا الطابق يختلف كلية عما هو الآن. هذا لا يعني أن التقسيم العام إلى حجرات يرجع إلى تعديلات متأخرة، لكن من الواضح أن الثلاث الحجرات الشرقية لم تكن أصلاً كنائس وإنما حدث تعديل لتهيئتها لهذا الغرض في عصر متأخر نسبياً. فكنيسة الملاك ترجع إلى أواخر القرن الرابع عشر أو أوائل الخامس عشر. والكنيستين الأخرين في أوائل القرن السادس عشر. ليس من المحتمل أن الطابق العلوي كان معداً أصلاً لاستقبال الزوار (٦١)؟

سطح القصر:

والوصول إليه عن طريق ثلاث قلابات في السلم. وهو سطح مستو لا يقطعه سوى الجزء العلوي في صحن كنيسة الملاك وقباب الهياكل الثلاثة. ويحيط به دروة مستوية من المباني

(٦٠) يذكر أبو صالح الأرميني مراراً أن هذا أو ذاك الحاكم المسلم اعتاد التردد على دير ما لأجل النزهة والترويح. فقال عن دير القصر: «إنه كانت فيه منظر (مندرة) خارويه ابن أحمد بن طولون في الطابق العلوي لحائطه الشرقي». وفي قصر دير طمويه - والدخول إليه من الكنيسة - «كانت في طابقه العلوي مندرة جميلة».

(٦١) من الملاحظات الجديرة بالإهتمام في هذا الصدد أن الرهبان يسمون بيت الضيافة المبني حديثاً: «القصر الجديد» تمييزاً له عن «القصر القديم» أي الحصن وهذا شائع في باقي الأديرة.

المكسوة بالبياض والخالية من أية أفاريز أو كرانيش (٦٢).

تاريخ انشاء القصر:

في وضعه الأخير بعد التعديلات، ثبت وجوده قبل سنة ١١٩٦ م حسب ما تحدده الكتابة السريانية الموجودة على الحائط القبلي لكنيسة الملاك. كما أنه ليس من السهل تحديد تاريخه بدقة. وقد رأينا من قبل أن الأسوار التي أقامها البابا شنودة البطريرك (٥٥) شملت حصوناً (= أبراج) ربما منها هذا الحصن، لكن من المستحيل أن نقطع بأن القصر الحالي هو أحدها. لكننا نقرر بتأكيد أن الطابقيين السفليين مبنيان معاً وهما من عصر مبكر ويكوّنان وحدة معمارية متكاملة يتحدد تاريخها بالسماط التي يتميز بها شكله وكيفية انشائه. ففي مصر العليا، وفي كنائس المدافن بالبحر الجوات بالوحدات الخارجية نجد أمثلة كثيرة من القباب المماثلة ترجع إلى القرن الخامس. وهذا ما يجعلنا نجزم بالقول أن هذا الحصن الأثري العظيم هو كما يروي لنا التاريخ الرهباني من مآثر القرن الخامس، وبالتحديد من أعمال الملك زينون. وفي وادي النطرون نجد الحجرات المقبية في حصن دير السريان تتشابه جزئياً مع هذا القصر. فبينما نجد القبة في كليهما من النوع النصف الكروي المفلطس Clipped hemi-spherical dome إلا أنه توجد اختلافات لا حصر لها بين القبو النصف الإسطواني المنخفض في حصن دير السريان والحجرات العالية القباب في حصن دير أنبا مقار.

وإن قيام هذا الحصن العتيق في هذه البرية الجرداء ليحكي بنفسه قصة الحركة الرهبانية في أوج ازدهارها كما يروي في صمت حزين مقدار ما عانته الأجيال الرهبانية من غزوات البربر على ممر العصور.



إفريز من الحجر المحفور مأخوذ من القاعة B في دير باويط (قرن ٧/٦)
[متحف اللوفر باريس]

(٦٢) بعد تقوية حوائط الطابق الأول للحصن بالشدادات والأعمدة والعقود الخرسانية، وترميم جميع التصدعات الخطيرة في مبانيه، أمكن عمل سطح بالحرسنة المسلحة ذي دروة مسننة ذات شكل خاص بالحصون. ويتميز السطح حالياً بظهور قبوات عالية لصحن الكنائس الثلاث فيها فتحات التهوية والإنارة، وقياب بيضاوية الشكل فوق الهياكل. ثم تمّ بياض جميع الأجزاء المرمة بنفس لون البياض القديم ليقب للحصن طابعه القديم.

الفصل الثالث

كنيسة القديس أنبا مقار

المسماة

«الكنيسة الكبرى، أو الجامعة»

□□□□□

ينقسم الدير من الداخل إلى قسمين متساويين تقريباً بواسطة مجموعة من المباني اتجاهها العام هو الشرق والغرب (لوحة ٢٦)، الجزء البحري مسطح رباعي الشكل تقريباً يشمل فناء مفتوحاً يتوسطه بئر، وساقية (١) بالطوب الأحمر أقيمت حوالي سنة ١٩١١. ولكن ماء البئر صار مالحاً بدرجة جعلته عديم الفائدة. لذلك تدهورت حديقة النخيل التي كانت أحد معالم الدير المهجعة في وقت ما. ويحيط بالساقية ما تبقى من هذه الحديقة. والضلعان الشرقي والبحري للفناء يحدهما صفان من القلاوي وكنيسة القديس أنبا مقار التي تمتد حتى زاوية السور البحرية الشرقية. وبيت الضيوف أقيم قبلي الفناء مع صف حديث من القلاوي. أما غرب الفناء فهو كنيسة صغيرة على اسم التسعة والأربعين شيخاً وبداية صف رابع من القلاوي.

والنصف القبلي للدير ليس سهلاً تحديد معالمه. فالأسوار قائمة في الناحيتين الشرقية والقبليّة، وبيت الضيوف وكنيسة أباسخيرون في الناحية البحرية، وغرباً توجد المائدة وفرن الخبز. وبعد هذا تتبقي مساحة غير منتظمة يشغل جزءاً منها أكوام المخلفات وبعض حظائر حديثة ثم حديقة موالح زُرعت أخيراً (لوحة ٢٩ و٣٠).

هذا التقسيم المرتب بالنسبة للمباني الرئيسية التي تحيط بالفناء البحري تقسيم مزيف. فالأمر لم يكن هكذا في نهاية القرن الحادي عشر مثلاً حيث كانت كنيسة القديس أنبا مقار الكبرى تغطي كل مساحة الفناء مع ملاحظة أن الدير كان أوسع مما هو عليه الآن مما يهيئ للكنيسة مساحة خالية محيطة بها من جميع الجهات. والكنيستين الصغيرتان القائمات الآن كانتا إما من بقايا الكنيسة الكبرى وإما من عصر متأخر. والجزء القبلي حيث كان له باب مستقل كان يحتوي

(١) وهي موضوعة الآن في الفناء قبلي حصن الدير.

على المنافع العامة: أجران حبوب، أنواع مختلفة من المخازن، قلالي ذات صلة بالمنافع... وهناك ما يدعو إلى الاعتقاد بأنه كان يشمل «الكنيسة الجامعة» التي ربما كانت تحتل الجزء القبلي الملاصق للجانب الشرقي للمائدة. علينا إذن أن نتصور هذا الدير بغير أفنية فسيحة حتى زمن قريب.

كنيسة القديس أنبا مقار الحالية:

تشغل، كما قلنا، الناحية البحرية من الفناء. حدّها البحري يبعد أقل من مترين عن سور الدير البحري في حين أن واجهتها الشرقية تبعد عن سور الدير مسافة كبيرة مردومة حالياً إلى ارتفاع أربعة أمتار لتقوية الأسوار أو حوائط الكنيسة. هذا المسطح المردوم يمتد شرقاً خلف صف القلالي الشرقي حتى بوابة الدير. والكنيسة في حالتها الراهنة (أنظر اللوحة) عبارة عن خورس مستعرض^(٢) اتجاهه بحري قبلي، وثلاثة هياكل، الأوسط والبحري منها باتساع معقول، أما القبلي فهو عبارة عن قلاية طويلة ضيقة. وبدون وجود أية قرينة، لا نتردد في اعتبار هذا المبنى بقايا لما هو أكبر وأضخم.

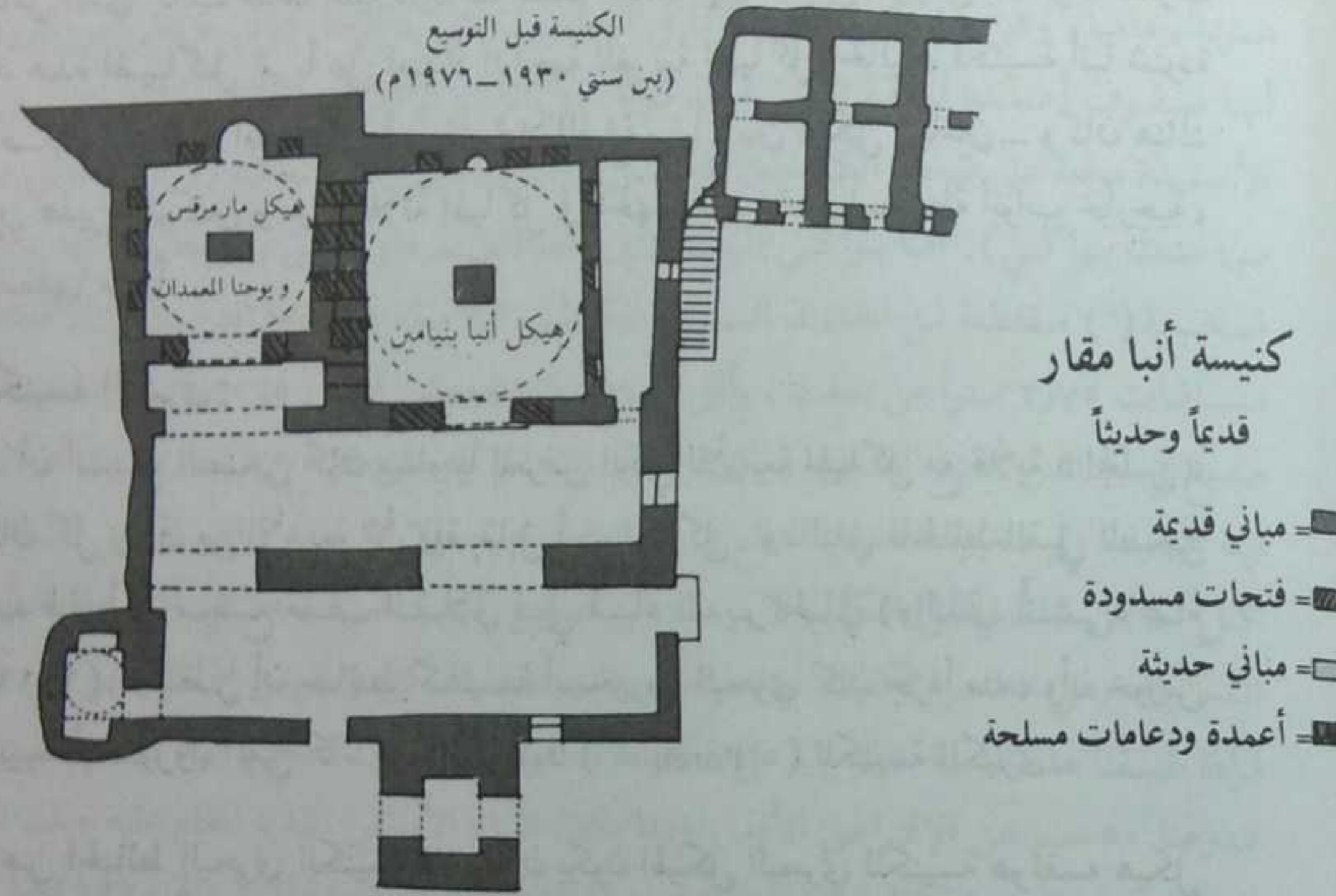
الأجزاء الضائعة من الكنيسة:

مصادر القرنين الثاني عشر والرابع عشر لا تدع أي شك في أن الكنيسة القائمة الآن مجرد أثر— ولو أنه ثمين— لبناء شامخ عظيم، منها نعلم أن الكنيسة كان لها أربعة هياكل يتوسطها قلاية «المجلس». وغرب الخورس كان يوجد صحن متسع مقسم إلى أربعة أروقة بواسطة صفوف من البواكي اثنان منها (إن لم يكن ثلاثة) كانت لهياكل أو كنائس جانبية معروفة أسماء أصحابها.

الهياكل الخربة:

البحري والأوسط من الهياكل الثلاثة هما من العصور الوسطى وكانا على اسمي بنيامين ومار مرقس، والقبلي هو قلاية المجلس التي كانت بين «الهياكل». والمصادر القديمة توحي بأن الهياكل الضائعة كانت مساحتها لا بأس بها، فلو افترضنا أن كلاً منها كان مساوياً في مساحته للهياكل البحري— وهذا تقدير معقول— فلا بد أن الهيكلين الناقصين كانا يشغلان المساحة الواقعة بين حائط الكنيسة القبلي الحالي حتى بيت الضيوف، وربما أبعد من ذلك^(٣) إذا كان لهيكل شنودة

(٢) هذا الوصف قبل إضافة صحن الكنيسة والمئارة الحالية على أيام أبرام رئيس وناظر الدير ومطران البلينا سنة ١٩٢٩ م. (٣) يؤكد الرهبان سنة ١٩٢٠ أن الهياكل الضائعة قد هدمها ربيّة مجنون في عهد قريب، وأن أساساتها ودهان أرضيتها قد عُثِرَ عليها أثناء حفر تربة الجزء الشرقي للفناء لإعداده للزراعة. ويقررون أيضاً أنها كانت أصلاً سبعة هياكل ممتدة جنوباً حتى الحصن. فلو كان هذا صحيحاً فلا بد أنه كان لكنيسة أنبا شنودة في نهاية الحد القبلي للهياكل هيكلان ضيقان على نظام القرن التاسع، وأن سيكار حذفها من روايته لعدم وجود مذابح فيها. وأثناء توسيع الكنيسة سنة ١٩٧٥ قامت هيئة الآثار بعمل حفريات قبلي الكنيسة وفتتد فعثرت على الأساسات والحوائط التي حكى الرهبان عنها للعالم إفلين هويت، وقامت الهيئة برفعها وتسجيلها في ملفاتها. والهياكل القبلي الحالي في الكنيسة والذي تكرر على اسم الثلاثة فتية أقيم على أساسات هيكل قديم ما زالت آثاره ظاهرة على درجات هذا الهيكل.



كنيسة أنبا مقار

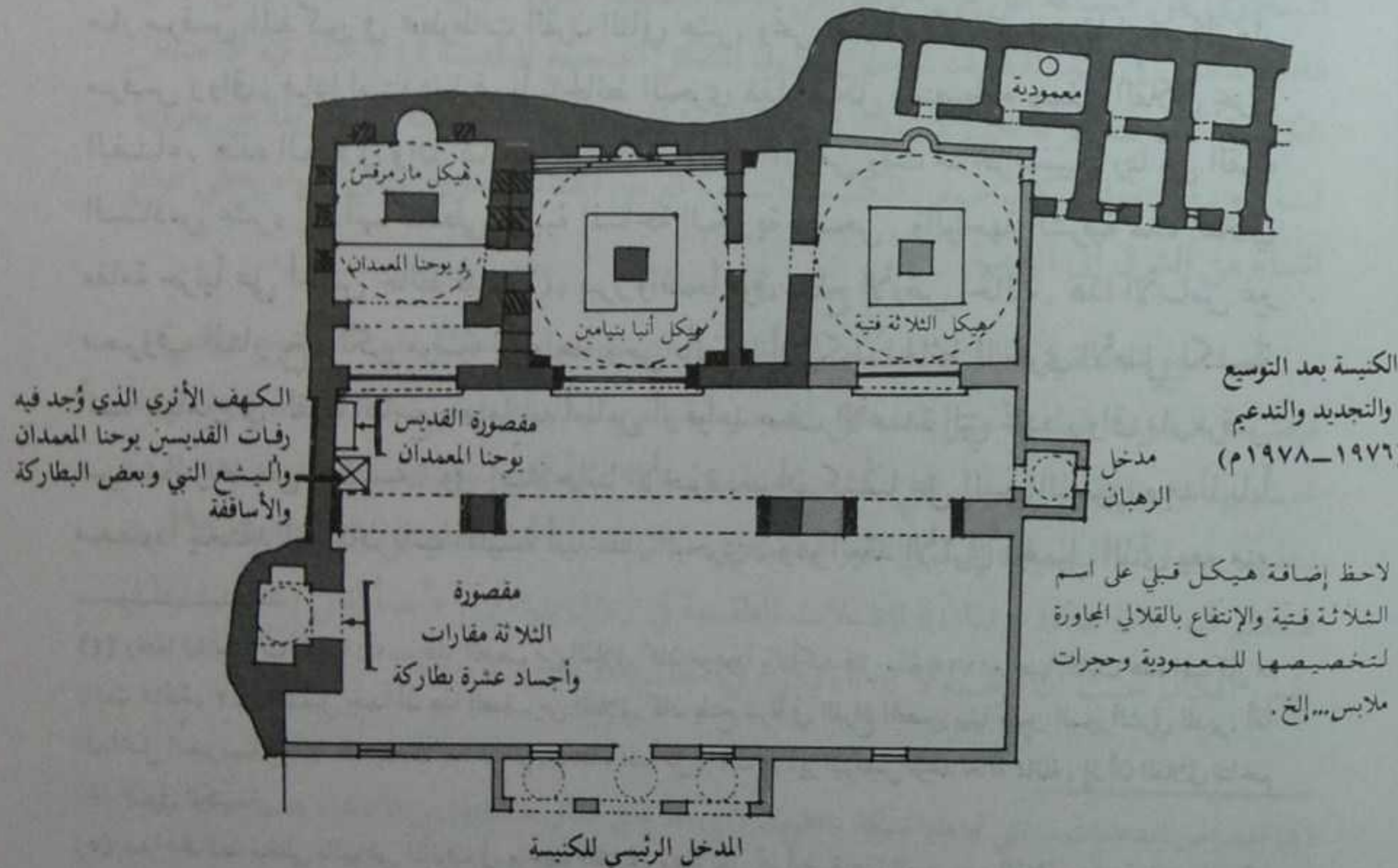
قديماً وحديثاً

■ مباني قديمة

▨ فتحات مسدودة

□ مباني حديثة

■ أعمدة ودعامات مسلحة



الكنيسة بعد التوسيع

والتجديد والتدعيم

(١٩٧٦-١٩٧٨ م)

الكنيسة قبل التوسيع

(بين سنتي ١٩٣٠-١٩٧٦ م)

المدخل الرئيسي للكنيسة

الكنيسة بعد التوسيع والتجديد والتدعيم

(١٩٧٦-١٩٧٨ م)

الكنيسة قبل التوسيع

(بين سنتي ١٩٣٠-١٩٧٦ م)

المدخل الرئيسي للكنيسة

الكنيسة بعد التوسيع والتجديد والتدعيم

(١٩٧٦-١٩٧٨ م)

الكنيسة قبل التوسيع

(بين سنتي ١٩٣٠-١٩٧٦ م)

المدخل الرئيسي للكنيسة

الكنيسة بعد التوسيع والتجديد والتدعيم

(١٩٧٦-١٩٧٨ م)

الكنيسة قبل التوسيع

(بين سنتي ١٩٣٠-١٩٧٦ م)

مذبحان على جانبيه . ولا يمكن تعيين الحد الشرقي لهذه الهياكل لاستحالة عمليات الجس ، والمفروض هنا أنها متطابقة مع الواجهة الغربية لصف القلاي الشرقي (٤) ، والذي تبقى من حائطها هو الأساس الذي كانت مقامة عليه درجات السلم الصاعد إلى الحصن . وليس بالأمر المستغرب أن تمتد هذه الهياكل غرباً على امتداد الواجهة الغربية للهياكل الحالية ، فكنييسة أنبا شنودة كانت أصلاً مستقلة ثم أقيم هيكل أبو مقار ليملاً الفراغ بينها وبين هيكل بنيامين ... وكان هناك اتصال بين هذين الهيكلين وبين الثلاثة الهياكل في الجهة البحرية منها بواسطة أبواب خارجية ، كما كان سقفها مقبياً .

صحن الكنيسة الكبرى :

لا بد أن اتساع الصحن كان مساوياً للعرض الكلي للأربعة الهياكل مع قلاية « المجلس » حيث كان كل رواق من الأربعة الأروقة يقابل أحد الهياكل . وبالتالي فالحائط القبلي للصحن كان لا بد قائماً في موضع صف القلاي قبلي فناء الدير الحالي (والذي أنشئ عام ١٩١٠-١٩١١) ، ويُظن أن حائط كنييسة أبسخيرون البحري كان جزءاً منه ، وأن خورس وصحن كنييسة أبسخيرون المقي كانا مداخلاً مسقوفاً (= Porch) للكنيسة الكبرى .

وأما عن الحائط البحري للكنيسة فلا بد أن يكون الهيكل البحري للكنيسة هو نفسه هيكل مار مرقس المذكور في مخطوطات القرن الثاني عشر . ونحن نعلم أنه كان يوجد مقابل هيكل مار مرقس رواق . فإذا امتدنا غرباً بالحائط البحري لهذا الهيكل فنصل إلى صف القلاي بحري الفناء . هذه القلاي وإن كانت ليست حديثة إلا أنها من وقت متأخر نسبياً ، ربما من القرن السادس عشر ، كما أنها تغطي غالبية المساحة البحرية للصحن . والواجهة الشرقية لهذه القلاي مقامة جزئياً على أساس حائط قديم (٥) ، يبرز واضحاً فوق سطح الأرض الحالية . هذا الأساس غير معروف التاريخ ، لكن موضعه واتجاهه يوحي بأنه إما أن يكون الحائط البحري الأصلي للكنيسة أنبا بنيامين في القرن التاسع ، وإما أنه أساس أو قواعد صف الأعمدة التي تحدد رواق مار مرقس من سائر صحن الكنيسة . وفي إصلاحاتنا الأخيرة بعد أن كشفنا على السور البحري وجدنا باباً معقوداً يُعتقد أنه كان باب كنييسة أنبا مقار البحري ، وهو العقد الأثري الجميل الذي يعبر منه

(٤) وهذا للأسباب التالية : ١ - هذا الصف من القلاي كان موجوداً بالتأكيد قبل سنة ١٧١٥ م حينما كانت هذه الهياكل ما زالت قائمة ، ٢ - يحتمل جداً أن هذا الصف من القلاي كان يفتح شرقاً في الفراغ المحصور بينها وبين السور الشرقي للدير ، أما الداخل الغربية الحالية فقد فتحت بعد ما خربت هذه الهياكل ، ٣ - في دير البرموس توجد حالة مماثلة ، إذ أن القلاي تتاخم الحد الشرقي للكنيسة .

(٥) هذا الحائط مغطى بالبياض المألوف في واجهته القبلية ، وهذا يعني أن أرضية هذا الصف من القلاي مرفوعة بقدر ملحوظ . ومن الواضح أن السطح العلوي لطرف القلاي الغربي هو واجهتها بعرض ٤ أمتار . وكلما اتجهنا شرقاً يأخذ حد المباني في الإقتراب من أساس الحائط القديم المقامة عليه .

حالياً الزائر في نزوله إلى فناء الكنائس .

ولتحديد طول الصحن التقريبي هناك معادلتان . يقول سيكار إنه شاهد في الكنيسة عشرين عموداً رخامياً ، وهي بالتأكيد كانت قائمة في الصحن ، والتي يذكرها كتاب « تكريس الميرون » أنها صفوف أعمدة أروقة الكنيسة المذكورة . وفي الرسم الافتراضي للكنيسة الكبرى تُرى هذه الأعمدة موقعة على صحن الكنيستين القديمتين « أنبا بنيامين وأنبا شنودة » (و يكون لكل صحن منها ست بواكي) . أما بواكي الكنيستين المضافتين - مار مرقس وأبو مقار - فلها دعائم ضخمة (٦) مقطوعة من الجدران السميكة للكنائس الملاصقة لها . فإذا افترضنا أن الأعمدة على مسافات ٢٧٥ متراً من بعضها ، وأقل اتساع ممكن للممشي الغربي هو ٣٠٠ متراً حسب ما هو متبع في كنائس أديرة الصحراء ، يكون الطول الإجمالي للصحن هو ١٦٧٥ متراً . ولو أنه لا توجد أية محاولة ولو صغيرة للتنسيق المنظم في العمارة القبطية ، إلا أنه يوجد قياس تقريبي للنسب على كل حال . فالهيكل الكبير لا بد له من صحن كبير يتناسب معه . ففي كنييسة العذراء بدير السريان وهي معاصرة لكنيسة أنبا بنيامين ، نسبة طول الهيكل والخورس إلى الصحن هي ٣:٢ . فإذا طبقنا هذه النسبة التقريبية على الكنيسة الكبرى يكون طول الصحن هو ١٧٢٥ م أي بزيادة قدرها ٥٠ سم عن الافتراض الأول . وربما يكون انتهاء الأساس القديم المقام عليه صف القلاي البحري على مسافة أقل من ٢٠ متراً من حائط الكنيسة الغربي الحالي (سنة ١٩٢٠) من الأمور ذات المغزى في هذا الصدد . ومهما يكن الشكل الصحيح للكنيسة فما لا شك فيه أن صحن الكنيسة كان يمتد غرباً حتى كنييسة الشيوخ الصغيرة التي ربما كانت متصلة بها بطريقة غير معروفة لنا . وباختصار ، كان صحن الكنيسة باتساع أكبر من الفناء البحري الحالي وطوله يغطي ضلع الفناء من الشرق إلى الغرب .

أما نوع السقف الذي استعمل لتغطية الكنيسة فغير مؤكد (٧) . فهناك تلميح عرضي في مصادر القرن الحادي عشر يدل على أن جزءاً ما من الكنيسة - غير محدد - كان يحمل سقفاً خشبياً ، بينما بقايا الصحن التي كُشف عنها سنة ١٩١١ وأمكن تسجيلها بدقة (لوحة ٤٧ و ٤٨) يظهر منها أن الطرف الشرقي للرواق البحري كان مقبياً . أما التفاصيل والمشمات الأخرى فنعلم أنه كان هناك « لقان » للغسلات الطقسية في رواق بنيامين ، وأيضاً إنبل (= منبر) ربما في نفس المكان حيث أن موضعه لا بد أن يكون في الجانب البحري كالعادة .

(٦) افتراض الدعائم - التي تجاهلها سيكار بالطبع - لازم ، فلا يُعقل أن أربعة صفوف من الأعمدة ، بعضها نحيف ، تحتل أربعة أسقف باتساع كبير هو عرض الصحن .

(٧) في المسقط الافتراضي ، اعتبرت كنيستا القرن التاسع بأسقف خشبية ، والإضافات المتأخرة من قباب نصف إسطوانية على دعائم .

تهدم الصحن:

ليس هناك ما يستحق الدهشة في اختفاء هذا الصحن. فحينما تناقص عدد الرهبان إلى ما يقرب من أصابع اليد، ما عاد هذا البناء الفسيح ذا منفعة لهم، لذلك لم يهتموا إطلاقاً بترميمه. وكما يظهر من وصف Huntington & Thévenot في القرن السابع عشر نعرف أن الكنيسة كانت تتهاوى، وفي بداية القرن الثامن عشر شاهد سيكار الكنيسة نصف متهمة. وبعد زيارة سيكار هذه لم نسمع شيئاً عنها لأكثر من قرن ونصف، وسكوت كورزون Curzon وتيشندورف يعني أن الخراب المحتوم قد حدث قبل زيارتهما المتتاليتين. وبطلر هو أول من تحدث في القرن التاسع عشر عن بقايا ما زالت قائمة من الخورس بمحاطب جزئي يفصله عن باقي الكنيسة غرباً، كما يصف الناحية الغربية بأنها غير منتظمة الشكل. أما «جاييه» في بداية القرن العشرين فهو أكثر تفصيلاً، فبعد أن ذكر أن الخورس منفصل عن الصحن بحجاب خفيف يستأنف قائلاً: «توزيع الأروقة أقل انتظاماً أيضاً، فمع أن الصحن غير منتظم على الإطلاق إلا أنه يحوي ثلاثة أروقة غير محددة جيداً... ويزيد من صعوبة تحديدها وجود ارتداد في سُمك الحائط، وتوجد أيضاً ثلاث دعائم ضخمة موزعة توزيعاً حسناً تعيد شيئاً من النظام إلى هذه الفوضى. والنتيجة هي إبراز رواق واحد فقط. وبيت القربان Matronikion =؟! موضوع في الزاوية البحرية الغربية ويبدو مستقلاً. والمدخل المسقوف = narthex موجود مقابل الهيكل الأوسط وراء الأكتاف البارزة من الحوائط، كما أنه يبرز في واجهة الكنيسة من الخارج». ويقول أيضاً: «وفي المدخل المسقوف نجد نفس المعالم المميزة وهي قبة مشابهة لقباب الهياكل وأيضاً العقد الذي بينه وبين الرواق مدبب، والدعامتان اللتان أمامه متصلتان بعقد مشابه».

من الصعب أن نحصل من هذا الوصف على شكل الصحن الذي كان وقتذاك. كل ما نعلمه أن المدخل من الصحن إلى الخورس كان عن طريق عقد له أربعة مراكز استدارة = Four-centered arch، وأن الصحن نفسه كان ينقسم إلى ثلاثة أروقة بواسطة دعائم ضخمة عديدة، إثنان منها كانتا تواجهان مدخل الخورس وتحملان عقداً. ومقابل الهيكل كان يوجد ارتداد ضيق مغطى بقبة. ربما كان هذا الصحن يشابه صحن كنيسة الشيوخ حيث الثلاثة الأعمدة منتظمة في صف واحد موازي للحائط الغربي للمذابح. فإذا كان الأمر هكذا، فصحن كنيسة القرن الرابع عشر قد تدمر بالتأكيد، وما رآه بطلر وجاييه هو مجرد بقايا حُفظت من الإنهيار واستُصلحت لاستخدام الكنيسة.

بل إن ما رآه جاييه قد اندثر أيضاً في غمرة التعمير الذي اجتاح الدير سنة ١٩١١. لكن المساقط والقطاعات والصور الفوتوغرافية التي عملت قبل انتهاء التعمير (١٩١٠ - ١٩١١) حفظت لنا الكثير من التفاصيل التي ضاعت تحت الواجهة القبيحة الشكل التي أُقيمت (لوحة

٤٧ و٤٨). ومنها نعرف أن الحائط الغربي للخورس كان يتخلله بواكي كبيرة معقودة مقابل الهيكلين البحري والأوسط، وباب صغير يعتبر مستقيم مقابل الهيكل القبلي. وحتى هذا التاريخ كان ما زال باقياً جزء صغير من قبو مدبب بالطوب الأحمر المكحول يستند على دعامة ضخمة كانت لا تزال قائمة قبل مدخل الخورس المواجه للسور البحري. كما أن كتفي دعامة عقد المدخل المواجه للهيكل الأوسط يبرزان من الخارج بمنسوب أعلى منها في الداخل، أي أن ارتفاع الكتفين من خارج يصل إلى سقف الصحن الباقي. وعندما نلاحظ أن نهايتها العلوية من خارج على نفس المنسوب بداية قبو الخورس نستنتج واثقين أن هذين الكتفين كانا يحملان إما قبواً مدبباً أو سقفاً خشبياً اتساعه يساوي فتحة قبو الخورس.

هذه البقايا البسيطة من الأسقف الممتدة غرباً فوق مداخل الخورس هي آخر آثار رواق أنبا بنيامين ومارمرقس حيث كان يمر فيها موكب خميس العهد الإحتفالي. وحتى هذه أيضاً قد ضاعت وأقيم عوضاً عنها واجهة غربية للكنيسة ذات شكل قبيح باللون الأصفر يتخللها بابان من خشب رخيص من إنتاج أحد المصانع الإيطالية أو الفرنسية^(٨).

آثار من الصحن القديم:

في الفناء وفي القلاي المجاورة له تُشاهد أجزاء من الأعمدة الرخامية التي عاينها سيكار. ويبدو أنها من طرازين مختلفين من جهة السُمك. الطراز الأول له تاج كبير من الرخام الأبيض مزين بحفر قليل البروز بورقة أكانثس acanthus ارتفاعه ٥٤ سم وقطر قاعدته ٣٣ سم. وأما أعلى التاج فهو شكل رباعي غير منتظم، مقاسات أضلاعه ٤٤ و ٤٣ و ٤٤ و ٣٣ سم، والشبيه الوحيد لهذا العمود هو في أقصى الجانب البحري بكنيسة الشيوخ، ولا توجد بقايا من أعمدة تتناسب مع هذا التاج.

والطراز الثاني أكثر نحافة وبقاياه كثيرة ملقاة في الدير أو مستعملة كدرجة في مداخل القلاي، ويوجد واحد منهم كامل في ارتفاعه محفوظ بإحدى القلاي الشرقية وإن كان سطحه متآكلاً، يصل ارتفاعه إلى ١٣٠ متراً (بعض الأعمدة المهشمة ارتفاعها ١١٤ و ١٢٠ و ١٣١ متراً) والقطر السفلي ٢٩ سم والعلوي ٢٥ سم. وهذا الطراز كان مستعملاً في أغراض دينية (أي مباني ذات استعمال طقسي كنسي) كما هو ثابت من بقايا أحد هذه الأعمدة كان محفوظاً بقلاية شرقية أخرى حيث محفور عليها صليب تكريس على بعد ٣٤ سم من أسفله.

وقرب الساقية في الفناء توجد قاعدة تكمل طراز الأعمدة الذي نحاول أن نعيد تركيبه، تتكون من مربع ارتفاعه ٣٤ سم يعلوه ربع عمود ثم تجويف داخلي وأخيراً حلقة دائرية. و قطر الجزء

(٨) هذه الأوصاف للكنيسة قبل عمارة أنبا أبرام الأخيرة سنة ١٩٢٩ م.

العلوي الذي يستريح عليه العمود عند تركيبه على هذه القاعدة هو ٢٩ سم.

لوحة رخامية رائعة النقش:

شاهد «إيوالد فولز» قرب كنيسة القديس أنبا مقار قطعة رائعة من الحفر البارز اعتبر أنها جزء من بناء المذبح أو إنبل قديم أثري. ويرجح أن تكون هي المحفوظة بالهيكل القبلي (لوحة ٤٤) (١٠)، وهي لوحة من الرخام الأبيض ارتفاعها ٩٢ سم وعرضها ٦٣ سم ولكن جانبها الأيمن بكامله - وعرضه ٢٦ سم - مكسور وضائع، كما أنه ينقص منها الركن الأيمن العلوي. ورقة سمكها ونعومة ملمسها من الوجهين تبين أنها كانت موضوعة لتكون مكشوفة من كل من الجانبين. والنقش ينحصر في إطار مربع يتوسط اللوحة طول ضلعه ٦٦ سم يحيط به حافة عالية بعرض ١٣ سم. والشكل الرئيسي في التصميم هو صليب كبير بارز يخرج من أسفله غصنان متماوجان تجلس عليهما حمامتان متواجهتان، وخلفية اللوحة مزدانة بزخارف متماوجة يجمعها قوس دائري من زخرفة ورق الشجر المنتظم، ويحمل هذا القوس من الجانبين عمودان مستويان لكل منها قاعدة وتاج. والمساحة المحصورة بين أعلى القوس وزاوية اللوحة مزينة بزخرفة مأخوذة من سعف النخيل المتماوج. والطابع العام للوحة يدل على أنها من العصر المملوكي، بين القرنين الثالث عشر والرابع عشر.

ويوجد شبيه بهذه الزخرفة في ضريح وجامع قايتباي بالقاهرة. وهو لوحة رخامية طولها حوالي ٢٠٠ متران ينتهي طرفاها بقائمين مربعين من الرخام، كلٌّ منها ينتهي من أعلى بما يشبه المقبض المخروطي، ويزينها قوسان يحيط كل منهما بمجموعة زخرفية من نباتات متماوجة تقارب في مجموعها شكل الصليب الذي في اللوحة التي نحن بصدددها، ولكنه مشكّل بطريقة تتناسب مع المبنى الإسلامي الموضوعه فيه. والتشابه الشديد الذي بين اللوحتين يجعلنا نستنتج أن العمودين المدفونين على مائدة مذبح كنيسة العذراء بالقصر ولهما نهاية مخروطية لا بد أنها كانا مع اللوحة المذكورة يكوّنان مجموعة متكاملة رائعة. وأما استعمالها فيحتمل أن يكون أحد جوانب مُنشأ مستطيل الشكل حيث تكون هذه القوائم هي أركانه الأربعة، ربما كانت حاجزاً يحيط باللجان مثلاً أو بأجساد القديسين إذا كانت مكشوفة للعرض.

هناك أيضاً قطعة من الرخام الأبيض ١٨٥ × ٢٥ سم تحمل نقشاً لصليب بثمانية أطراف، ربما كان صليب تكريس على أحد الحوائط، وكانت في سنة ١٩٢٠ مستعملة بإحدى القلالي الشرقية شمعداناً (١٠).

(٩) هي الآن معروضة بمتحف الدير.

(١٠) الآن في متحف الدير ومُظلمة بالصدف اللامع.

الخورس والهيكل الحالية

الخورس:

وهو من الطراز المستعرض كالمألوف. ولوائه رباعي الشكل إلا أنه ليس مستطيلاً، وعند تجديد الكنيسة سنة ١٩١١ رفعت أرضيتها بمقدار ٩٠ سم (١١) وأعيد دهان الحوائط ونتج عن ذلك أن كثيراً من الزخارف المعمارية قد انطمست أو تشوهت. وهو الآن (١٢) مغطى بسقف خشبي مستوي. وفي الحائط الشرقي إلى يسار الهيكل الأوسط من أعلى ما زال ظاهراً موضع بداية عقد أو قبو نصف إسطواني يدل على أن هذا الخورس كان قديماً مغطى بقبو نصف إسطواني أو قبة كروية تحملها عقود في الجزء المقابل للهيكل الأوسط كما هو الحال في سائر كنائس أديرة الصحراء.

وبالحائط الغربي للخورس بابان حديثان كان يعلوهما عقدان واسعان يؤديان إلى الصحن القديم. ورغم أن الفراغ بين عتب البابين وبين العقدين قد تم ملؤه بالمباني وكُسي بالبياض، إلا أن حدود العقدين ما زالت ظاهرة ويسهل تمييزها من الداخل (١٣). أما العقد الثالث فقد تم سدده تماماً. وكان بالطرف الغربي للحائط القبلي للخورس باب بعتب مستقيم يؤدي إلى خورس الهيكل المتهدمة. ومدخل الهيكل القبلي من الخورس قد أُغلق ولم يبق سوى باب ضيق منخفض، كما أن العقد الكبير الذي كان يتوج مدخل الهيكل الأوسط قد تم اختصاره بإقامة كتف من المباني على كل جانب. ولم يفلت من هذه التعديلات سوى العقد الذي بين الخورس والهيكل البحري فقد بقي كما هو.

صندوق أجساد الثلاث مقارات:

الشيء الجدير بالإهتمام في الخورس هو صندوق خشبي كبير لحفظ أجساد الثلاث مقارات حينما تنتقل الخدمة إلى هذه الكنيسة. وهو مستطيل الشكل ينقسم إلى طابقين، السفلي منها هو الذي يحوي الأجساد وجوانبه الثلاثة مغلقة أما الواجهة الرابعة الأمامية فهي المتحركة ولها ستارة من سدايب خشبية أما الطابق العلوي فلا نعرف له استعمالاً، ولكن بواجهته عمودان من الخشب كل منهما على شكل حبل غليظ له عقدة في منتصفه، وربما مأخوذان من صندوق ذخيرة أقدم. وقد

(١١) في الإصلاحات الأخيرة التي باشرها الدير في هذه الكنيسة رُفعت كميات هائلة من هذا الرديم للوصول إلى الأرضية الأصلية حيث اكتشفت آثار كنيسة قديمة أصغر مساحة، يرجع تاريخها إلى القرن الخامس الميلادي حسب تقرير الأثري الألماني د. جروسمان.

(١٢) أي وقت زيارة إفلين هويت سنة ١٩٢٠، ١٩٢١.

(١٣) الظاهر أن هذين العقدين قد انكشفا في التعديل الأخير الذي عمله أنبا أبرآم سنة ١٩٢٩ وأزيلت المباني التي كانت تحفيها. وقد أزيل جزء كبير من العقد الأوسط لتوسيعه وعملت له أعمدة وعقود بالخرسانة المسلحة لتقويته حتى يمكنه أن يعمل القبورين المستعرضين في الكنيسة الحالية.

يكون تصميم هذا الصندوق على نسق صندوق ذخيرة قديم، إلا أن صناعته لا تتعدى أواخر القرن التاسع عشر^(١٤).

والجرس الضخم — وكان وقتئذ ملقى على الأرض جنوبي الكنيسة — قطره السفلي ١٢٥ متراً، صناعته إنجليزية تاريخها سنة ١٨٦٦ وهو من الحديد الزهر^(١٥).

هيكل أنبا بنيامين:

يعلوه عقد متسع عالي مدبب قليلاً في منتصفه. وبسبب رفع أرضية الكنيسة وبناء أكتاف جديدة لتدعيمه صار المدخل ضيقاً ومشوهاً. لذلك مستحيل أن نعرف شيئاً عن الدعائم التي تحمل العقد. وكان بناء هذه الأكتاف سنة ١٩١١ — سنة ١٩١٢، لأن القبة الرئيسية للهيكل تصدعت بشكل خطير من ناحيتها القبلية مما جعل الرهبان يلجأون إلى تقويتها بهذه الأكتاف، ولسوء الحظ أنها حجبت واحدة من أهم معالم هذا الهيكل. فالحافة الخارجية للعقد، وبطنيته، كانت تغطيها معاً كسوة خشبية يبرز منها في الواجهة الأمامية حلقات خشبية مثبتة على السطح على مسافات متساوية. أما الكسوة الخشبية التي تغطي بطنية العقد فقد رُسم عليها أيقونات مستديرة. ورغم وضوحها فلم تسجل تسجيلاً دقيقاً سنة ١٩١١ حينما كان عددها وقتئذ تسعة أيقونات، واحدة في أعلى فتحة العقد من أسفل وأربعة في كل جانب. والتسجيل الفوتوغرافي الذي عُمل وقتها كان ضعيفاً لسوء الحظ فلم يمكن معرفة محتوياته. والآن قد غطت أكتاف التدعيم جميع هذه الأيقونات عدا ثلاثة والجزء العلوي من الرابعة^(١٦).

الأيقونات المستديرة:

يفصل كل واحدة منها عن المجاورة لها زخرف من نبات ذي ستة أغصان مزدهرة ينبع من كأس صغير، ويحيط كل أيقونة إطار أبيض. أرضية الأيقونات باللون الأصفر القاتم، واللون الأبيض لأجزاء الجسم الظاهرة والملابس الخارجية، والأزرق البنفسجي المظلل بالأبيض للملابس الداخلية. وعنوان الشخصيات مكتوب بالأحرف القبطية البيضاء.

الأيقونة العليا مطموسة تماماً. والتالية لها من بحري (لوحة ٦٠) يظهر فيها شخصان ينحنيان فوق جسد مسجى على الأرض ووجهه مكشوف. وموضوع الصورة يعلنه أسماء الأشخاص المكتوبة

(١٤) الصندوق الذي يذكره العالم إفلين هوابت نُقل إلى كنيسة الشهيد أباسخرون بالدير حيث يُحتفظ فيه برفات القديس يوحنا القصر. أما أجساد الثلاث مقارنات مع أجساد البطارقة فهي في مقصورة جديدة في الخورس الثاني بكنيسة أنبا مقار الحالية.

(١٥) معلق حالياً في المنارة العالية التي أنشئت حديثاً.

(١٦) بعد عمل قوس بالحرسنة المسلحة يحمل عقد الهيكل الأوسط أمكن إزالة المباني الزائدة وظهر العقد بكامل اتساعه الأصلي ورسوماته التي اختفت في الترميم القديم — أنظر صور هذه الأيقونات في الملزمة الخاصة باللوحات.

بالقبطية، فالأيسر نيقوديموس، والأيمن يوسف، وبينهما جسد الرب يسوع المسيح — فالأيقونة إذن تصور تكفين جسد السيد المسيح بواسطة نيقوديموس و يوسف الرامي.

والأيقونة المقابلة لها من الناحية الأخرى (لوحة ٦١) تصور نفس الشخصين يحملان الجسد المكفن. والمنظر التالي من قبلي وهو الذي انطمس جزؤه العلوي، يظهر فيه رؤوس ثلاثة أشخاص يبدو أنهم جالسون. الأوسط والأيمن — حسب الكتابة الموجودة عليها — هما يسوع المسيح وبطرس، وعلى اليسار امرأة أوفتي حدث ربما يكون يوحنا الإنجيلي (أنظر يوا ٢٠: ٢٠).

والأيقونة الأخيرة التي أمكن تمييزها في الجانب القبلي، وقد احتجبت الآن تماماً، تصور شخصين، السيد المسيح على اليسار بصحبة آخر لم تسهل معرفته^(١٧).

المنظران الثاني والثالث جديران بالإهتمام، واختيارهما يرجع إلى التقليد المذكور في كتاب الميرون وهو أن التلاميذ بعد القيامة أخذوا أربعمائة رطل من المر والصبغ (aloes) اللذين استعملهما نيقوديموس و يوسف في تكفين جسد السيد المسيح، وصنعوا منها أول ميرون مسحوا به المؤمنين الجدد يوم البنطيقستي، ونحن هنا نكرر أن الميرون كان يُكرس قديماً في هذا الهيكل.

أما تاريخ هذه الأيقونات فيعود إلى منتصف القرن الحادي عشر لتشابه طابعها مع رسومات الهيكل البحري. ويخيل إلينا أن هذا الوضع البديع لهذه الأيقونات المستديرة يعبر عن سحابة الشهود التي تحيط بالداخل إلى الهيكل.

حجاب الهيكل:

إن الحجاب الأصلي الذي كان يحمي هذا الهيكل كان يمكن أن يكون الآن تحفة دقيقة فخمة لو أنه نجا من غارة اللواطيين في القرن الحادي عشر والتدمير الذي أصابه على يد الراهب المجنون هالوس. ويبدو أنه قد استعُض عنه بعد فترة وجيزة بحجاب آخر من طراز معاصر ما زالت باقية منه بعض القطع. وحتى هذا أيضاً استُبدل لسبب ما بثالث من حشوات بصلبان مستوية من طراز العصر التركي ثم أزيل هذا الأخير وتحطم سنة ١٩١١^(١٨).

أبواب من القرن الثاني عشر:

لاحظ بطلسر أن أبواب الهيكل القديمة منقوشة بالحفر البارز على الطراز العربي. وهذا يجعلنا

(١٧) إذا كان موضوع ظهورات السيد المسيح بعد القيامة هو هدف الصور كلها، فهذه الصورة هي لرمح المجدلية في البستان.

(١٨) كانت بقاياها محفوظة بحجرة خزين البصل بالدير، ولكن استعاد كل قطعه أنبا أبرآم مطران البينا وقام بترميمه وأعادها في الجزء الصغير الذي تبقى بين الدعامين في وسط العقد. وقد استطننا تجميع ما تبقى من هذا الحجاب، حشواته وأبوابه، التي ترجع للعصر الفاطمي والأيوبي (١١/١٣ ق) ودخلت كعنصر أساسي في الحجاب الحالي هيكل أنبا بنيامين.

نتحقق أنه هو الباب الذي رفع من الكنيسة سنة ١٩١١ (١٩) و يبلغ ارتفاع المصراعين ١٨٥ سم وعرض كل منها ٤٧ سم ، ولكل منها محور رأسي يتحرك حوله (لوحة ٥٩). و يتركب المصراع من إطار عريض يحيط بصف من التقسيمات المستطيلة مقاس كل منها ١٧٥ × ١٧٥ سم ، والعوارض الرأسية والأفقية مزخرفة بورق الشجر المتماوج في سلسلة متوالية دقيقة الصنع . والتقسيمات المعشقة ، وعددها ستة ، مزينة بأشكال هندسية متنوعة تشابه إلى حد ما بعض زخارف حجاب كنيسة العذراء بالحصن . وطابع الزخرفة المتماوجة يوحي بأن تاريخه يرجع إلى العصر الأيوبي . لذلك فمن المحتمل أن الحجاب الأصلي الذي ينتسب إليه الباب الحالي استُعيض به عن ذلك الذي أحرقه الراهب هالوس . وبطول الحافة اليسرى للصلفة اليمنى وُجدت هذه الكتابة بالقبطية محفورة حفراً خفيفاً « باسم ربنا يسوع المسيح عمل هذا التذكار في وكالة المحب لله الأب ابراهيم بن الشماس ... »

وليست هناك أية آثار تدل على استمرار الكتابة على الصلفة الأخرى... و باقي الكتابة التي كانت تتضمن التاريخ بلا شك ، قد ضاعت .

الهيكل من الداخل:

الهيكل مربع المساحة ، يزيد ضلعه قليلاً على ثمانية أمتار ، وترتفع حوائطه الجانبية مسافة ٦٥٠ متراً يعلوها مضلع بثمانية جوانب يرتفع متراً آخر هو قاعدة القبة الرائعة من الطوب الأحمر والتي ترتفع بعد ذلك ٤٦٠ متراً آخرين ، وبذلك يصل ارتفاع الهيكل إلى ١٢١٠ متراً . وللوهلة الأولى يبدو الهيكل معتماً غير جدير بالإهتمام ، وهذا مرجعه إلى التشويه الكلي أو الجزئي لملاحه الأصلية : أولاً بسبب رفع أرضيته حتى غطت آخر درجة من منصة التجليس التي كانت في شرقية الهيكل ، وبذلك تضاعفت نسب الهيكل الشاهقة ؛ وثانياً بسبب غلق الفتحات والمقصورات التي كانت في الأجزاء المنخفضة من الحوائط والشبابيك العلوية والتي كانت على ثلاثة صفوف متنوعة ، كلٌ منها يعلو الآخر ، فكانت تغمر الهيكل بالأضواء الملونة حين تخترق الزجاج الملون الذي في الشبابيك ؛ وأخيراً بسبب ضياع الرسومات التي كانت تُصفي لوناً معمارياً قيماً على الهيكل ، وما بقى منها خال من أي قيمة زخرفية . ولا شك كان هذا الهيكل في حالته الأصلية « صرحاً خالداً » للبطريرك الذي بناه ، و« مجدداً للرب » بتعبير كاتب قصة تكريسه أيام أنبا بنيامين البطريرك .

(١٩) في سنة ١٩٢٠ وجد إقليدس هوابيت أحد مصراعيه في حجرة خزين البصل والثاني كان يغطي اصطبل الحمير حيث عانى كثيراً بسبب تعرضه للشمس والرطوبة عشر سنوات . وقد سعى مرقس باشا سميكة حتى ضمه إلى المتحف القبطي على نفقة متحف الشرو بوليتان بنيو يورك . وفي سنة ١٩٢٩ أعيد هذا الباب ثانية إلى الدير ليُقام في موضعه في الإحتفال بتجديد الكنيسة على يد أنبا أبرام ناظر الدير السابق .

المذبح:

كان سنة ١٩١١ على أرضية مربعة ضلعها ٤ أمتار وتعلوها حولها ٢٥ سم . وهذا الترتيب غير مألوف ولكن من الواضح أنه يهييء أوفر قسط من الحرية لحركة الكاهن الخديم المتقدم ، إذا كان هو البطريرك ، في دوراته حول المذبح بينما يقف معاونوه أسفل على أرض الهيكل (٢٠) . هذا الترتيب الهام قد اختفى بسبب تعلية أرض الهيكل ، أما المذبح الحالي فقد أُقيم وقت أن كانت له أرضية مرتفعة ، ومبانيه عادية يكسوها البياض ومفرغة من الداخل حيث كان يُحفظ فيه الميرون بعد تكريسه وحتى اليوم الثالث من عيد القيامة . وهو مغطى بلوحة من الرخام من طراز يجمع بين المربع ونصف الدائرة ، كان لها حافة قليلة الإرتفاع كالمعتاد (٢١) .

شمعدانات المذبح «المنارتان»:

لاحظ بطريرك في سنة ١٨٨٤ وجود شمعدانين قائمين على جانبي المذبح من الحجر؛ أما الآن فلا وجود لهما . لكن في إحدى القلاي الشرقية يوجد شمعدان رائع من الرخام به أفاريز محفورة على محيطه يعلوها صليب ، لاشك أن مثل هذا الشمعدان كان موضعه هناك بجوار المذبح ، وهو من الرخام الأبيض الرمادي ارتفاعه ٧٦ سم وقطره السفلي ٢٥ سم والعلوي ٢٠ سم ، وفي قاعدته العليا يوجد تجويف مربع لحامل شموع معدني taper holder . وهناك شمعدان آخر يُحتمل أن يكون لهذا المذبح أيضاً ، ولكن تاريخه أقدم ، وهو من الرخام الأبيض المشوب بزرقه ، ارتفاعه ٦٣ سم وحافته العليا ضائعة ، قطره ٢٥ سم وعليه صليب كبير بالحفر البارز .

قبة المذبح:

يقول بطريرك أنه لم ير على المذبح قبة «بلدكان Canopy» ، لكن شيئاً كهذا قد يكون موجوداً . وليس من الوهم أن نتصور أن العمود الملفوف twisted القائم الآن في مصطبة ناحية القلاي الشرقية كان يوماً ما أحد أعمدة قبة المذبح . والجزء الباقي من هذا العمود طوله ٥٧ سم وقطره حوالي ١٦ سم . هذا النوع من الأعمدة نادر الوجود في أديرة الصحراء حتى أن استعمالها كان مقصوراً على بعض الأغراض كحالة مثل هذه .

(٢٠) في كتاب تكريس الميرون وصف لدورة البطريرك حول المذبح للتبخير في الإحتفال الطقسي بأحد الشعانين سنة ١٣٤٦ م ، بينما الأساقفة (كان عددهم ١٨ أو ٢٠) واقفون يحيطون به ، وحينما يوجد مثل هذا العدد الكبير لابد من ترتيب كهذا .

(٢١) بعد رفع الرديم من الهيكل ظهرت الدرجة المحيطة بالمذبح ، كذلك عُثِر في مبانيه على لوحة رخامية قديمة مكتوب على أحد جوانبها باليونانية :

+ KE BOHΘHCN + OYLIANW
+ AGIE ICIAWPE BNHCΘ...

(أنظر صورتها في ملزمة اللوحات من هذا الكتاب).

منصة التجليس:

في الحائط الشرقي توجد منصة التجليس - الترونس (وقد اختفت تماماً الآن)، وهي من ثلاث درجات تمتد بطول الحائط. وقد ذكر مرتين أنه في الاحتفالات التي تبعت تكريس الميرون كان يوضع الميرون المقدس على منصة التجليس؛ ولا بد أنه كان يوجد وقتئذ مكان لإخفائه في المنصة كما هو موجود الآن بكنيسة أنبا بيشوي. وكالعادة كانت المنصة مزودة بكراسي جلوس الأساقفة والكهنة الحاضرين في الهيكل (٢٢).

شرقية الهيكل:

ويتوسط المنصة المقصورة المعروفة باسم الشرقية *συνταξ*، وهي تجويف نصف دائري ينتهي من أعلى بعقد مدبب حافته مكسوة بالخشب. هنا كان يجلس البطريرك، وهنا كان مجلس خادم الأسرار *mystagogia* أثناء تكريس الميرون. هذا المنظر يعني أكثر من معناه التاريخي المجرد، فالرسم الحائطي الباهت الذي يتصدر الشرقية - كما وصفه بطريرك قوي في ألوانه رغم أنه مسود ومشوّه بسبب دخان المحمرة التي اعتادوا تعليقها في هذا المكان. في الوسط رسم متوازن النسب لشخص رافع يديه بالصلاة، وإلى جانبه ٤ أشخاص على اليمين و٤ أشخاص على اليسار يعلو كل منهم هالة نورانية، فيكون عددهم جميعاً تسعة. وربما كان يوجد أربعة آخرون يملأون المساحة الحديثة الطلاء في جوانب الشرقية. من هذه الشخصيات ثلاثة يحملون كتباً، وجميع الوجود مطموسة مشوهة إلا واحد على اليسار بلحية بيضاء يشخص ببصره إلى فوق نحو شيء ما يتوسط قبة الشرقية، طمسته طبقة كثيفة من البياض الحديث. وعلى اليسار يوجد رسم صغير لملاك مجتّح يبدو كما لو كان يبتعد عن منتصف الشرقية ويحمل ما يشبه الإطار. فالرسم إذن هو للصعود، والشخصيات المصورة أسفل هي العذراء يحيط بها التلاميذ شاخصين إلى أعلى بينما الملاك الظاهر هو أحد الملاكين اللذين يحملان ما يرمز إلى السحابة التي فيها صعد السيد المسيح - وهو مطموس كلية - إلى السماء. والرسم هو بحسب قواعد تقليدية معروفة، وأعيد رسمه مرة أخرى في كنيسة العذراء بدير السريان، لكن بصورة تتناسب مع حدود المكان. و يعود هذا الرسم التقليدي في ملامحه الأساسية للظهور مرة أخرى في القطعة الخشبية التي يرجع تاريخها إلى القرن الثالث عشر والتي كانت في كنيسة المعلقة ومحفوظة الآن بالمتحف البريطاني، وقطعة أخرى من سن الفيل في مجموعة مورجان بمتحف المتروبوليتان. أما تاريخ الصورة التي نحن بصددتها فيرجع إلى القرن الحادي عشر.

(٢٢) ظهرت الآن الثلاث الدرجات المذكورة، ولكن مقاساتها الصغيرة لا تسمح إطلاقاً بوجود كراسي جلوس المطارنة أو الأساقفة، ولذلك فهي مجرد احتفاظ بتقليد قديم.

فتحات أخرى بالحوائط:

في الحائط الشرقي على يمين «الشرقية» توجد مقصورتان؛ وإلى اليسار توجد إثنان آخران كانتا أصلاً بعقود دائرية من أعلى؛ وجميعها الآن مسدودة (٢٣). وبالمثل كان بالحائط البحري أربع مقصورات تتوسطها فتحة تؤدي إلى الهيكل البحري لتوازن «شرقية الهيكل» وهذه أيضاً اختفت. وربما كانت هناك أربع مقصورات مماثلة بالحائط القبلي (٢٤). فإذا كان الأمر كذلك فقد تكون قد أُغلقت قبل زيارة بطريرك، ولكن لم يمكن تمييزها في الحائط سنة ١٩١١. والباب الرئيسي في الحائط القبلي يعتب مستقيم حديث العهد.

نوافذ بمصبّعات من المصيص:

وعلى ارتفاع أربعة أمتار من الأرضية الأصلية للهيكل توجد ثلاثة شبابيك مربعة في كل من الحائط الشرقي والبحري والقبلي، هي الآن مسدودة. وكان كل شبك يحيط بنافذتين تشغلها مصبّعات من المصيص المفرغ، و يعلوها صف مكون من سبعة شبابيك في كل حائط من الثلاث حوائط السابقة، شكل كل واحد منها غريب لأنه يشبه الدرع المقلوب، ولحسن الحظ مازال البعض منها يحتفظ بقايا مصبّعات المصيص رغم أنها مسدودة من الخارج. والإطار مفرغ داخله دوائر صغيرة في لوح المصيص، والمساحة الداخلية تشغلها ثلاث دوائر كبيرة متقاطعة، اثنتان في القاعدة والثالثة تعلوها. وأفضل ما تبقى من هذا الصف هو الشباك الذي في الجانب القبلي للهيكل قرب الطرف الغربي حيث مازال محتفظاً ببعض قطع الزجاج الملون (٢٥). وفي النافذة الوسطى لهذا الجانب أيضاً يوجد حجر منحوت بشكل ما (٢٦).

الأربعة والعشرون شيخاً:

في الفراغات الثمانية الباقية بين شبابيك هذا الصف في كل من الحائط الشرقي والبحري والقبلي كانت توجد صور الأربعة وعشرين شيخاً المذكورين في سفر الرؤيا (٤: ٤) ولكل صورة اسم صاحبها (٢٧). ويُرَى وهو جالس على عرش عالٍ مرصع بالجواهر ويمسك في يده جامة

(٢٣) تم فتح مقصورة واحدة على كل جانب من جانبي «الشرقية» ووجدت عليها آثار كتابة قبطية ربما ترجع إلى القرن التاسع وتحتاج إلى من يقوم بدراستها وترجمتها.

(٢٤) تم أيضاً فتح بابين في كل من الحائط البحري والقبلي للهيكل لتيسير الانتقال بين الهياكل.

(٢٥) وقد قامت هيئة الآثار المصرية مشكورة بعمل نماذج متكررة للشباك الأصلي ووضعها في أماكنها في الهيكل لتعيد له جزءاً من صورته التي كان عليها في البداية.

(٢٦) عند فتح الشبابيك المذكورة وجدنا أن الحجر المنحوت عبارة عن قطعة من الجبس المصبوب والمزخرف بطريقة رائعة تُعرف في الفن الإسلامي بزخارف سامرا.

(٢٧) لم يتبق سوى الأحرف الأخيرة لواحد منهم فقط. وللأربعة والعشرين شيخاً مكانة خاصة عند الأقباط، ولأسماؤهم قوة، ومن الواجب تمجيدهم في تسابيح الأقباط.

بشبه كأس . والشيوخ المصوّرون على الحائطين البحري والقبلي وجوههم متجهة ناحية الشرق ، أما في الحائط الشرقي فوجوههم مرسومة بحيث تشخص نحو وسط الهيكل . والأمر المدهش هو أن وجوههم ليست مرسومة على بياض الحائط بل على دوائر خشبية بارزة مثبتة على الحائط . ومعظم هذه الرسوم صار باهتاً بدرجة لم تمكننا من التعرف عليهم ، ومع هذا فقد أمكن تمييز تاج وهالة نورانية لكل منهم . وربما تكون هذه الدوائر الخشبية قد استعُض بها عن وجوه أصلية على معدن ثمين . ومن الملاحظ أن وجوههم بغير لحي وبدون أية سمة تدل على أعمارهم .

واختيار الموضوع هنا لائق ، ولنا أمثلة أخرى مماثلة في الرسوم القديمة في شرقية الهيكل القبلي بكنيسة المعلقة ، وفي كنيسة أنبا شنودة ، وفي دير أبوسيفين ، ثم الرسم الحديث المنقول عنه في كنيسة العذراء بجارة الروم . وفي كل هذه الأمثلة يظهر الشيوخ واقفين صفاً واحداً .

رسوم الحائط الغربي :

نظراً لارتفاع عقد المدخل ، اختلفت زخرفة الحائط الغربي ، فبدلاً من رسم صغير لشخص جالس على عرش ، وُجدت شخصيات واقفة بحجم كبير لم يبقَ منهم إلا اثنان أفلتا من الطلاء الحديث ، كلٌّ منها يحيط به إطار زخرفي من عمودين يحملان قوساً دائرياً ، ورسم نافذة في الفراغ الشاغر بينهما . واحد منها هو يوحنا المعمدان كما تدل عليه الكتابة القبطية التي بجواره والمكتوبة باللون الأبيض على أرضية قاتمة ، له هالة نورانية ولحية قصيرة سوداء وشعر أسود ، يرتدي قيصاً أحمر غامقاً ويتمنطق بحزام جلدي عند الوسط ، ثم عباءة مفتوحة لونها بني مصفر وطرفها السفلي أبيض ، ومغلقة عند الصدر ويشير بسبابة يده إلى « خرطوشة » Cartouche (٢٨) بوضوح في يده اليسرى تحوي رسم كبش مكتوب عليه « الحمل » . أما الشكل الثاني فلم يتبق منه إلا القليل بحيث لم نتمكن من تحديد شخصيته ، وربما يكون إيليا . كل هذه الرسوم ترجع إلى القرن التاسع (٢٩) .

(٢٨) هي شكل بوضوح يحمل شعار أو اسم فرعون عند قدماء المصريين .

(٢٩) عند إزالة بياض الحائط الغربي للهيكل عثرنا في الجهة البحرية على رسم يمثل الشهيد أنبا مينا وأنبا إقلاديوس وبجوارهما صلاة توسلية باللغة القبطية هذا نصها مع الترجمة :

→ φ + ΝΤΕ ΝΙΠΝΑ ΟΥΟΣ	— ΟΥΟΣ + ΦΙΙ ΣΤΗΛ ΧΘ	(يسأ) إله الأرواح ورب كل جسد
ΠΥΣ ΗΤΕ ΣΑΡΧ ΝΙΚΗΝ	[X] Ε ΑΜΗΝ ΕΧ ΒΟΙ ΚΑ	
ΠΧΕ ΠΙΣ Π[Ε]ΝΘΕ ΕΚ Ε	[ΤΑ] ΠΙΣΜΟΥ	يسوع المسيح ربنا ، لتعط نباحاً لنفس
+ ΕΝΤΟΝ ΗΤΥΧΗ ΗΠΕΚ	Λ	عبدك أيوب المسكين ابن أنبا مقار
ΒΟΚ ΠΙΒΛΛ ΙΩΒ Ψ	Η	
ΛΕΒΛ ΜΑΚΑΡΙ + ΕΚ Ε	Λ Η Η Π Π —	احسب في مصاف قديسك في ملكوتك .
ΟΠΧ ΕΠΧΩΡΟΣ ΗΤΕ	Η	
ΗΗ ΒΟΟΥΛΕ ΝΤΑΚ		ومن يقول آمين فلينل بحسب البركة .
ΗΘΡΗ ΘΕΝ ΤΕΚΜΕΤ —		

آمين ، آمين .

القاعدة المثلثة التي تحمل قبة الهيكل :

فوق مجموعة الشبابيك السابق وصفها يوجد حزام رابط من مدادات خشبية يحيط بجوانب الهيكل من أعلى ليدعمها حتى تتمكن من حمل القاعدة المثلثة التي للقبة . هذه القاعدة لا يزيد ارتفاعها عن متر واحد ، والجوانب الأربعة التي تقطع زوايا مربع الهيكل تحملها حمالات خشبية . وفي هذا نجد هيكل بنيامين يتماثل إنشائياً مع هيكل كنيسة العذراء بدير السريان . والقاعدة المثلثة التي تكونت بهذا الشكل خلفت مع مربع الهيكل بطنية مثلثة في كل ركن من الأركان الأربعة للهيكل ، منها ثلاثة كشفت عن أخشاب عارية تحمل القاعدة المثلثة عليها بقايا زخارف مزلعة ، أما الرابعة التي تشغل الزاوية البحرية الشرقية فيحتلها رسم رائع للشاروبيم ، رأسه رأس إنسان تحيط به هالة نورانية ، وشعر الرأس الغزير يحدده قوس صغير ، اليدين بشر يتان ممدودتان ربما في وضع عبادة رغم أن المرفقين ملتصقان بالجنيين . الجسم بوضوح يماثل شكل طائر ، خاصة مع الرجلين ، وينتهي بطرف غريب على شكل بوضوح . ومن الكتفين يخرج زوج من الأجنحة المنبسطة تشغلان الزاويتين الخارجيتين للبطنية المثلثة . سطح الجناح يبدو خفيف الريش قرب الجسم ولكن عند الأطراف يبدو مرصعاً بعيون دائرية ، وهو تصور مدهش لما يُعرف عند الأقباط بالشاروبيم أو الساروفيم (٣٠) ، ويبرز من خلف الكتف الأيسر رأس ثور والكتف الأيمن رأس أسد ، ويطل من فوق الهالة رأس نسر ، وبين الهالة والجناح الأيسر ترى رأس إنسان باهتة . والشكل مصوّر على مثال « الأربعة المخلوقات الحية » التي رآها حزقيال (٣١) . لكن الأهم من ذلك هي أنها تصور فكرة الأقباط عن الشاروبيم الذي كان ملازماً للقديس أنبا مقار طيلة حياته ، والذي ظهر حقيقة للبطريرك أنبا بنيامين الأول أثناء تكريسه هذا الهيكل . وربما كان هذا الرسم تخليداً لهذا الظهور . أكثر من هذا ، فالشاروبيم ذو الأربعة الوجوه الذي كان مرافقاً لأنبا مقار كان يُعتبر رمزاً للأربعة الأديرة بوادي النطرون (٣٢) .

ويعلمها رسم بالفرسكا للسيد المسيح يتوسط الصورة جالساً على كرسي مجده في الدينونة الأخيرة ، وعلى جانبيه ملاكان ثم الرسل والتلاميذ ، كل منهم في داخل نصف دائرة ، وقد أمكن تمييز بعض أسمائهم المكتوبة بالقبطية مثل بولس الرسول ومثي ولوقا الإنجيليين واستفانوس أول الشهداء : أما الناحية القبلية فلم نتمكن من كشط دهان الجير الذي يغطيها خوفاً من انهيار طبقة البياض الحاملة للفرسكا ، فاكتفينا بتثبيتها مؤقتاً .

(٣٠) يوجد شبيه له في الهيكل البحري .

(٣١) حز ١ : ٥ ، ٥ : ٥ ، ١٠ : ٥ . والملاحظ أن مقار يوس نفسه شرح هذا الفصل من سفر حزقيال في موقعته الأولى .

(٣٢) من إفتتاحية ذكصولوجية أنبا مقار يوس وأولاده : « الشاروبيم الذي رافقك ياسيدي الأب أنبا مقار يوس ، حتى أتى بك إلى هذه البراري ، كان له أربعة وجوه . وجه أسد ووجه ثور ووجه إنسان ووجه نسر . هذا هو مثال الشاروبيم حسب كلام الكتب المقدسة » . وعمضي النص القبطي مفسراً أن الأسد يرمز لمقار يوس ، والثور ليوحنا القصير ، والإنسان لأنبا بيشوي ، والنسر لمكسيموس ودوماديوس . أنظر كتاب إفلين هوايت عن النصوص القبطية التي نشرها من دير القديس مقار يوس .

تاريخ هذا العمل ربما يرجع إلى منتصف القرن الحادي عشر (هو بالتأكيد معاصر لرسوم الهيكل البحري).

وكان يتوسط كل جانب من جوانب القاعدة المثلثة فتحة مستطيلة منخفضة، سبعة منها مسدودة من زمن بعيد والثامنة في الجانب الغربي مسدودة من الخارج فقط، وهذا يعني أنه كان يوجد صف ثالث من الشبايك في الهيكل. وينقسم الشباك بواسطة عمود قصير من الرخام إلى فتحتين متساويتين كلٌّ منها يشغله لوح من المصيص المفرغ، الإطار فيه دوائر صغيرة مفرغة؛ وبالداخل ست دوائر كبيرة متقاطعة تحيط بأشكال هندسية أخرى من دوائر ومربعات وأقواس متداخلة ومفرغة؛ وكانت الفتحات المفرغة مغطاة بزجاج ملون مازال بعض من بقاياها موجوداً حتى الآن (٣٣). أما باقي جوانب المثلث فتشغله زخارف من نجوم سداسية الأضلاع متشابكة مع زخرفة زهور بالتبادل مع زخرفة عربية.

وزوايا القاعدة المثلثة مهيأة بمعابر من الخشب لتتناسب مع استدارة قاعدة القبة، وبطنية هذه المعابر مزخرفة بأشكال من أربع دوائر متقاطعة باللون الأبيض ربما تمثل نجوماً. وعلى وجه العوارض كتابات باللغة القبطية غير ممكن قراءتها على الإطلاق.

القبة:

أما القبة فهي مديبة، ورأسها الخارجي عبارة عن قوسين منتظمين كل منها أصغر قليلاً من ربع دائرة ويبدأ مركز دورانه على مسافة متر من محور القاعدة. وكالمعتاد في القباب القبطية توضع مداميك الطوب الأحمر أفقية وتكوّن حلقات محورية متتالية، ويُستعمل للصقها مونة الجير، أما القبة من خارج فهي مكسوّة بالجبس لضمان انزلاق مياه الأمطار.

ويقول بطر أنه وقت زيارته كان أغلب طلاء القبة الداخلي متساقطاً، ومع ذلك فالبقايا كانت كافية لتكشف عن أن السطح الداخلي كان مزيناً برسوم حائطية. ولكن الآن، وبالإضافة إلى كوة عالية واحدة على الأقل (وهي الآن مسدودة). بشكل صليب بنفس الحجم تقريباً في الناحية الشرقية للقبة. ويوجد تقليد متواتر لدى الرهبان بأن الهيكل كان يُضاء بمصباح من حجر كرم يتدلى من القبة. وهناك من يزعم بأن المسلمين أخذوه (في القرن التاسع) وأرسلوه إلى

(٣٣) قامت هيئة الآثار المصرية بعمل وتركيب شبايك بعد أن أخذت طبعة طبق الأصل من الشباك الأثري الوحيد الباقي، وبذلك استكملت قبة هيكل أنبا بنيامين زخارفها الجصية التي ضاعت مع الزمن.

مكة (٣٤).

من الوصف السابق نتحقق بالتأكيد أن الهيكل الحالي (أي عام ١٩٢٠) في طابعه الكئيبي المقبض بعيد كل البعد عن الصورة الأصلية التي كان عليها. وقتذاك كانت نسب الهيكل العالية كما هي، والثلاثة صفوف من الشبايك تجعل القبة شبيهة «بقبة الهواء»، والداخل يلمع بالأشعة الدافئة التي تتساقط من زجاج الشبايك الملون على الرسومات التي تصور سكان السماء ذاتها، فكم من الأتقياء الروحانيين يعتبرون أنهم وصلوا إلى الأحدار السماوية؟! (٣٥)

تاريخ الهيكل الحالي:

كان زمن تجديد أنبا ياكوبوس البطريرك (٥٠) هيكل بنيامين عقب غارة اللواتيين (سنة ٨١٧ م) بين سنتي ٨٢٥ و٨٣٠ م، وهذا يعتبر تاريخ الهيكل الحالي. وأساس هذه النتيجة الهامة هو الأسباب التالية: إن عملية الإنشاء موصوفة في تاريخ هذا البطريرك بحماس بالغ، وهذا يدل على عظمتة وصلابته. وليس هناك أي احتمال لإعادة البناء في الزمن الباقي من القرن التاسع. كما أن القرن العاشر كان فترة اضطرابات ونكبات لا تسمح بقيام مثل هذا العمل الضخم. وفي القرن الحادي عشر نسمع عن وجود هيكل جديد على اسم أبو مقارة (وهو أسقف منوف العلا) قائم في الجانب القبلي للكنيسة الكبرى. أما الهيكل البحري فغالباً ما يكون قد ألحق بالكنيسة في نفس هذه الفترة وواضح أن طرازه متأخر عن الهيكل الرئيسي. فلا يوجد أي احتمال أنسب من أن نورخ هذا الهيكل بأوائل القرن التاسع. واستعمال معابر خشبية في القاعدة المثلثة بدلاً من العقود المقبية squinches لحمل القبة موجود أيضاً في كنيسة العذراء بالسريان التي تحدد تاريخها بأوائل القرن التاسع. وتصميم مصبغات المصيص في شبايك قبة هيكل بنيامين له ما يماثله أيضاً في شبايك هيكل العذراء في دير السريان والهيكل القبلي الحالي كما سنعرف فيما بعد، وهو ما تبقى من الهيكلين المتأخرين لهيكل بنيامين، وشكله الطويل الضيق شبيه بما هو موجود في كنيسة العذراء بالسريان.

هذه الاعتبارات لا تجعل هناك أي شك في أن هذا الهيكل هو هيكل بنيامين الذي أعاد بناءه البطريرك ياكوبوس سنة ٨٣٠ م. فإذا سلمنا بهذا، فنحن إذن أمام أقدم صرح أثري في مصر فيه عقد مدبب (٣٦). كما أن الشبايك ذات المصبغات المصيص هنا، والمتأخرة عنها قليلاً في دير

(٣٤) بسبب ما أصاب هذه القبة من شروخ نافذة كانت تسمح بدخول أشعة الشمس منها، عملت خارجها ميدة مسلحة تحيط بقاعدتها ثم غُلِّفت بالخرسانة تغليفاً تاماً مما ضمن التصاق طوب القبة مع الغلاف الخرساني فأصبحت في حالة مأمونة.

(٣٥) يقول أنبا بنيامين البطريرك الذي كرس هذا الهيكل: «هناك يبدو وكأنني أدخل الفردوس موضع اجتماع الملائكة وفرح القديسين ومسكن راحة الأبرار».

(٣٦) كان جامع ابن طولون يُعتبر أقدم بناء من هذا النوع (٨٧٧-٨٧٩ م).

السرمان، هي أمثلة فريدة في طرازها وفي عصرها.

الهيكل القبلي أو قلاية المجلس:

في حالته الراهنة هو قلاية طويلة ضيقة، اتساعها من الشرق أكثر قليلاً من الغرب، وهنا كما في سائر أنحاء الكنيسة رُفعت الأرضية بمقدار ٩٠ سم. السقف عبارة عن مراين خشبية تحمل طبقة من البوص يكسوها الملاط من الخارج، بالطبع ليس هذا هو السقف الأصلي، فـ «جاييه» يقول أن الجزء الأكبر من القلاية كان مغطى بقبون نصف إسطواني بينما توجد قبة في شرق القلاية يُفترض أنها تغطي مذبحاً غير موجود الآن (هذا النظام مشابه تماماً لسقف الهيكل البحري في كنيسة أنبا يشوي).

يتوسط حائطها البحري باب بعقب مستقيم — كان أولاً بعقب دائري — يؤدي إلى الهيكل الرئيسي هيكل بنيامين (٣٧)، وقرب نهايته الغربية توجد مقصورة (٣٨) وأخرى نظيرها في النهاية الشرقية لنفس الحائط ولكنها نصف مسدودة، والحائط الشرقي لا يظهر فيه أي أثر لمقصورات، وإن كان هذا لا يمنع من وجودها في أزمنة سابقة، ويتوسط الحائط القبلي باب بعقب مستقيم كان يؤدي إلى هيكل أبو مقار قديماً، أما الآن فهو مسدود (٣٩). وإذا وُجدت أية مقصورات في هذا الحائط فن المستحيل الآن تمييز آثارها. ولكن فوق الباب مباشرة توجد نافذة غريبة الشكل هي الآن نصف دائرية تماماً. وملاصقاً للطرف الغربي لنفس الحائط توجد فتحة أخرى أكثر غرابة إذ أنها ربع دائرة وتحتها يبدو أنه كان يوجد باب بعقب مستقيم ولكنه الآن مسدود.

والحائط الغربي يستحق الدراسة. فالباب ذو العقب المستقيم الذي يوصل من هذا الهيكل إلى الخورس قد أُغلق سنة ١٩١١. وبالإضافة إلى هذا يوجد بروز عن الحائط عبارة عن النهاية الجانبية لقبون نصف إسطواني يبدأ من الحائط القبلي على ارتفاع ٢٥٠ متراً من أرض الهيكل (سنة ١٩٢٠م) ويتقابل مع الحائط البحري على ارتفاع ٣٧٥ متراً وسمكه ٢٥ سم. وفي نفس الحائط الغربي وملاصقاً للجانب القبلي يوجد مدخل بعقب دائري اتساعه ٨٠ سم وارتفاعه ١٤٠ سم.

(٣٧) بعد رفع كميات الرديم المائلة من الهياكل والوصول إلى الأرضية الأصلية اتضح أن هذا الحائط الذي يُعتبر الحائط القبلي هيكل أنبا بنيامين هو بدون أساس على الإطلاق، إذ ينتهي على مسافة ١٠ سم تحت الأرضية الأصلية، فتأكدنا أن هذا هو سبب الشروخات الخطيرة في زاوية الهيكل القبلي الغربية. لذلك سارعنا بعمل فرشاة مسلحة تمتد أسفل الحائط لتحمله وتكون أساساً لعمودين مسلحين في الناحيتين الشرقية والغربية من هذا الحائط ليساعدا في حمل ميدة القبة المسلحة فوق السطح.

(٣٨) ارتداد كبير عميق في الحائط بعقب دائري.

(٣٩) عند فتح هذا الباب المسدود للدخول إلى الهيكل الثالث الذي أُضيف أخيراً، وُجدت على جوانبه كتابات قبطية قديمة ترجع إلى القرن التاسع، كما اكتُشف من طريقة بناء حائطه — مدماك طوب أحمر يتلوه مداد خشبي، ثم مدماك طوب أحمر وهكذا — أن الحائط أصلي ويعود إلى القرن السابع وقت تكريس الكنيسة الكبرى سنة ٦٥٥ م. وإن كانت هذه التكوينات الزخرفية قد بدأت منذ القرن الرابع كما تقول أستاذة علم الأيقونات في معهد فلاديمير الأرثوذكسي بنيو يورك عند زيارتها للدير سنة ١٩٨٣.

ورغم أنها عُرفت في القرن الرابع عشر بأنها قلاية «المجلس» إلا أنها لم تكن أبداً مصممة لهذا الغرض. فإذا تذكرنا أن كنيسة بنيامين كانت في الأصل كنيسة واحدة متكاملة، فن الواضح أن الهيكل القبلي هو أحد الهياكل اللذين يتاخمان الهيكل الرئيسي كالمألوف. والهيكل القبلي هذا بشكله الطويل الضيق، يماثل هيكل القرن التاسع لكنيسة العذراء بالسرمان. والفتحتان النصف الدائرية والربع الدائرية اللتان في الحائط القبلي ليستا سوى بقايا سلسلة من الشبايك مشابهة تماماً للصف الثاني من الشبايك في الهيكل الرئيسي، وكانت معالمها الخارجية مازالت باقية حتى سنة ١٩١١ (لوحة ٥٥) إلى أن ضاعت في التجديد الذي تم وقتئذ.

وحيث أن المثل المشابه لهذا الهيكل في كنيسة دير السرمان عال وضيق وحيث أن قبة القبون النصف الإسطواني أقل من منسوب الشبايك؛ نستنتج أن القبون لم يكن أصيلاً بل أُضيف لأجل تقسيم المذبح أفقياً إلى حجرتين علوية وسفلية. وكان مدخل العلوية من الباب العالي الذي في الحائط الغربي الذي لا بد أنه كان له سلم ربما من الخشب في نهاية الخورس القبلي. ولا يُعرف متى كان هذا التقسيم ومتى أُبطل لأن قلاية المجلس لم تُذكر إلا في مصادر القرن الرابع عشر فقط، ويُفترض أن تكون هي العلوية. وإذا كان القسم السفلي مستعملاً كمذبح فيُحتمل أن يكون بإسم أبوليناريا (إيلاريا) الذي رآه سيكارفي أوائل القرن السابع عشر (٤٠).

الهيكل البحري:

هيكل مرقس الرسول الذي كان في القرن الحادي عشر حل محل الهيكل الضيق الطويل الذي يناظر الهيكل القبلي (٤١)، ويتكون من جزئين كاملين: الهيكل، ثم ملحق ضيق إلى الغرب من الهيكل يدعوه بطر «خورس داخلي»، وكل منهما فيه انحراف نتيجة عدم تطابق محور الهيكل الجديد مع تخطيط هيكل بنيامين الذي يحده الحائط القبلي للهيكل البحري. أما «الخورس الداخلي» فليس سوى فراغ اتساعه ٦٥٠ م × ٦٠ م متر يقع بين عقد مدخل الهيكل وبين العقد الكبير خارجه والذي هو جزء من الواجهة الغربية العامة لهيكل بنيامين. وفي سنة ١٩١١ كانت المقصورة النصف الدائرية التي في الحائط القبلي مازالت ظاهرة من الخورس الداخلي (٤٢). أما الآن فحوائطه مستوية تماماً وله سقف حديث من الخشب ربما استُعيض به عن قبون نصف

(٤٠) هذا الافتراض غير معقول إذ أن تقليد الكنيسة القبطية قديماً يمنع وجود مباني فوق السقف الذي يغطي المذبح.

(٤١) ويسمى حالياً هيكل يوحنا المعمدان حسب ما جاء في المخطوطات القديمة وبعد اكتشاف رفات يوحنا المعمدان وأبيشع النبي مدفونين في الصحن المواجه لهذا الهيكل. اقرأ قصة هذا الإكتشاف في الكتيب الذي صدر عن الدير بعنوان: «الكشف الأثري في دير القديس أنبا مقار عن رفات القديسين يوحنا المعمدان وأبيشع النبي»، ١٩٧٩ (الطبعة الأولى)، ١٩٨٣ (الطبعة الثانية).

(٤٢) واضح أنها خلفية المقصورة الغربية التي في الحائط البحري لهيكل بنيامين، مثلها مثل باقي مقصورات هذا الحائط التي كانت تخترقه بكامل سمكه.

إسطواني، وأرضيته مرتفعة كسائر أرضية الكنيسة.

حجاب من العصر الفاطمي:

وقت زيارة بطر سنة ١٨٨٤، وحتى سنة ١٩١١ كان هذا الفراغ المسمى بـ«الخورس الداخلي» مازال عليه حجابان يمتدان عبر العقدين، عقد مدخل الهيكل وعقد الواجهة الخارجية، والحجاب الذي كان على العقد الأخير أزيل في عملية تجديد الكنيسة، ويصفه بطر بأنه إطار مستطيل يحوي حشوات صغيرة مستطيلة الشكل. وبينما ضاع الإطار الخارجي للحجاب فالحشوات الصغيرة وُجدت ملقاة في غرفة البصل (٤٣)، وهي من نوعين مقاس كل منها ٤٣ × ٢١ سم ولكنها تختلف في السُمك، إحداهما ٤٧ سم والثانية ٢٠ سم، وبالتالي تختلف في تفاصيل الزخرفة من حيث التصميم وعمق الحفر. بالإضافة إلى ذلك كان هناك قطعتان أو ثلاث مقاس كل منها ١٥ × ٢١ سم وسمكها ٢ سم. كان استعمالها للفرغات الصغيرة المتخلفة فوق الباب مثلاً، حيث لم يكن يتسع لحشوة من النوع الكبير. ويلاحظ بطر أن هذه الحشوات تتميز بجمال تصميمها وعمق حفر الزخرفة الذي يبلغ ٣٠ سم في القطع السمكية. هذا الزخرف من طراز فاطمي معروف، يظهر أيضاً في دير البرموس حيث يُحتمل أن يكون أقدم ما في وادي النطرون من هذا الطراز، وفي دير أنبا بيشوي أيضاً والذي يُعتبر متأخراً عنها. ويوجد في القاهرة كثير من الأمثلة المشابهة سواء في مواضعها أو في المتحف الإسلامي، أهمها جميعاً الأبواب الكبيرة للجامع الأزهر (والمحفوظة بالمتحف الإسلامي) والتي تحمل إسم «الخليفة الحاكم» (سنة ٩٩٦-١٠٢٠م) وهي أقدم الأنواع، ثم الحشوات الموجودة في الجانب البحري لإيوان جامع الأقمر (سنة ١١٢٥م).

وأحجبة وادي النطرون ذات الطراز الفاطمي ترجع في تاريخها إلى ما بعد غارة اللواتيين سنة ١٠٩٦م على الأديرة. أما تحديد زمنها بدقة فغير ممكن. وهنا نجد أن الحشوات هي لمبنى من العصر الفاطمي أُقيم في النصف الأول من القرن الحادي عشر بعد أعمال العنف التي قام بها اللواتيون. أما الحجاب فلا بد أنه من عصر متأخر قليلاً.

ورهبان اليوم لا يعلمون شيئاً عن هذا «الخورس الداخلي» كما يسميه بطر. ولوجود حجاب غربي هذا الخورس الداخلي ونظراً لضيق مكانه لا بد أنه كان معتماً، مما يجعلنا نشك في إمكانية استعماله كخورس طقسي. ومعمارياً، يوجد لهذا «الملحق Annex» شبيه على قياس أصغر في كنيسة العذراء بدير البرموس في كل من الهيكلين المتأخرين للهيكل الرئيسي، وفي دير أنبا بيشوي الدخول إلى الهيكل القبلي إنما عن طريق ملحق مستطيل بقبو نصف إسطواني مستقل ويفصله عن

(٤٣) تم تجميع الحشوات الثمينة وهي الآن تزين حجاب هيكل أنبا بنيامين الحالي.

الهيكل عقد دائري. فهذا الملحق إذن ليس سوى حيلة معمارية للإحتفاظ بالواجهة الشرقية للخورس مستقيمة دون أن يشوهها انحراف الهيكل البحري (٤٤).

الهيكل من الداخل (٤٥):

مدخل الهيكل عبارة عن عقد متسع مدبب يفتح من الملحق الغربي إلى الهيكل. وفي التجديد الأخير أُقيمت مباني داخل هذا العقد حتى لم يبق منه سوى فتحة مربعة وُضع فيها حجاب خشبي شاذ من تقسيمات مربعة مدهونة ببوية الزيت يرجع تاريخه إلى سنة ١٨٦٦م (٤٦). أما العقد فإزال سهلأ تمييزه من الداخل، وهو مماثل لما جرى استعماله في عصر الفاطميين (مثل جامع الأزهر والأقمر ومسجد الصالح طلائع). والوجه الداخلي للعقد مزدان بزخرفة مزدوجة زجاجية.

والهيكل من داخل مربع تقريباً ترتفع حوائطه إلى ٥٠ متر، يعلوها قاعدة مثمثة لقبة حديثة بنيت سنة ١٩١٢ لتحل محل أخرى انهارت أو أُزيلت لخطورة حالتها.

والمذبح الذي أعيد بناؤه قائم على أرضية عالية قليلاً تحتل الهيكل كله عدا مترين عند المدخل بعرض الهيكل. وهو من النوع العادي وله لوحة رخامية من الطراز الذي يجمع بين المربع ونصف الدائرة. وكان بجواره قديماً شمعدانان من الحجر وقد اختفيا بعد ذلك. وخلف المذبح توجد درجة ممتدة بطول الحائط الشرقي. كل هذا مع أرضية المذبح القليلة الإرتفاع قد اختفى وغطته أرضية حديثة (٤٧).

مقصورات حائطية:

في منتصف الحائط الشرقي توجد «الشرقية» متسعة وعميقة يعلوها عتب دائري مدبب مزدان بصفين من الزخارف الزجاجية Chevron مماثلة لعقد مدخل الهيكل في الناحية الغربية.

(٤٤) وعنئنا، الأرجح هو أن هيكل مارمرقس بصره كان منفصلاً سابقاً في هندسته عن هيكل أنبا بنيامين، ولما أضيف الهيكلان معاً لكنيسة واحدة ظهر هذا الفارق فاستكلوه بخورس خاص ضيق، على أنه معروف في الطقوس القبطي المعاصر لزمن أنبا أنناسيوس الرسولي أنه كان يوجد بجوار الهيكل هيكل صغير لحفظ القربان قبل تقديمه ولأكل بقايا الذبيحة ويسمى في الطقوس «موضع الذورون» أي «موضع الصبيدة».

(٤٥) نلفت نظر القارئ إلى أن قبة هذا الهيكل وجدها مهندسو إفلين هويت سنة ١٩١٠ مهدمة تماماً فلما أخذوا صوراً للرسومات التي أسفل القبة ظهرت واضحة وكاملة، ثم لما عاد المهندسون سنة ١٩٢٠ وجدوا أن القبة بنيت بينا ضاعت أجزاء كبيرة من أطراف الصور وقد قنا بتزويد الكتاب ببعض الصور قبل وبعد بناء القبة.

(٤٦) يقصد عهد أنبا أبرام ناظر الدير السابق - وفي التجديد الذي جرى سنة ١٩٧٥ أزيلت المباني الزائدة فظهر العقد باتساعه الكامل وعُمل له حجاب جديد يجمع الحشوات الفاطمية القديمة وأقيم في العقد الخارجي للهيكل. أي أن ما يسمى بالخورس الداخلي صار الآن ضمن الهيكل البحري ليوحنا المعمدان.

(٤٧) في التجديد الأخير رُفعت كميات الردم وأعيد الهيكل إلى أصله فظهرت الدرجة الممتدة بطول الحائط الشرقي وأرضية المذبح التي ترتفع قليلاً عن باقي أرضية الهيكل.

الآثار التي رآها بطلر في هذه الشرقية لزخرفة من الشكل المصفور Interlacing Pattern قد اختفت تحت طبقة الطلاء. وكانت توجد مقصورتان على جانبي الشرقية قد تم ملؤها بالمباني، وكان يوجد أيضاً ثلاث أخرى من هذا النوع في الحائط البحري واثنان في القبلي وكلها قد ضاعت معالمها. واللذان كانتا بالحائط القبلي لابد أنها كانتا مفتوحتين بشمك الحائط ومتصلتين بما يناظرهما في الحائط البحري هيكل بنيامين. وبالإضافة إلى هذا كان يوجد باب في الطرف الغربي للحائط القبلي يؤدي إلى هيكل بنيامين، وهذا أيضاً قد أغلق بالمباني واختفى عتبه الدائري المنقوش الذي شاهده بطلر^(٤٨).

رسومات وزخارف الهيكل:

لحسن الحظ أفلت هذا الهيكل من الطلاء الحديث، وبالتالي فإن بقايا رسومات الفرسكو التي لم يستطع بطلر أن يميزها على الحائط الشرقي لم تُطمس معالمها، بينما زخرفة الأجزاء العليا في الهيكل بقيت بحالة جيدة نسبياً.

الفتية الثلاثة:

عند الطرف البحري للحائط الشرقي، بالكاد تُشاهد الأجزاء العليا لأربعة أشخاص أقل قليلاً من الحجم الطبيعي، وبسبب ما أصابهم من تشويه لا نقدر أن نصفهم بأكثر من أن اثنين، وربما الأربعة، يرتديان عباءة ثمينة مطرزة مفتوحة من أمام ومعلقة مستقيمة على الكتفين. أما شخصيتها فتحددها الكتابة القبطية الباهتة باللون الأبيض على إطار أحمر! الأول هو حنانيا والرابع ميصائل. وبالتالي تكون الشخصيتان الثانية والثالثة هما عزاريا وربما ميخائيل^(٤٩).

ويقابلها في الناحية القبلية لنفس الحائط رسم دانيال في جب الأسود كما نتوقع. لكن الرسم تلاشى تماماً وسقطت الطبقة الملونة في الجزء الشمالي منه لكن بقيت الخطوط الأولية للرسام Sketch بالمُغرة الحمراء تحدد رؤوس ستة أشخاص مرتبين في صفين، ربما يمثلان الجمهور المحتشد لمشاهدة المنظر الرئيسي. وفي الطرف الشرقي للحائط البحري والذي يتأخم رسم الثلاثة فتية توجد بقية مازالت بحالة جيدة ربما تتعلق بالرسم الضائع وتمثل سلامك Pavilion صغير، معالمه الرئيسية هي باب على جانبيه عمودان وستارتان مطويتان وراءهما. وللسلامك قبة تعلو شكلاً إسطوانياً Drum فيه سبعة نوافذ. مثل هذا البناء يجوز أن يكون جزءاً من المنظر الغائب في الرسم الضائع، وربما قصرًا ملكياً في بابل.

(٤٨) اكتفينا بفتح مقصورة واحدة في منتصف الحائط المشترك بين هيكل أنبا بنيامين وهيكل يوحنا المعمدان لتيسير الانتقال بين الهياكل المختلفة.

(٤٩) الأقباط بشخصون الرابع الشبيه بابن الآلهة الذي ظهر مع الفتية الثلاثة في أتون النار بأنه رئيس الملائكة ميخائيل.

ولحسن الحظ وُجد إمضاء الفنان مكتوباً بحروف قبطية سوداء مرصوصة تحت بعضها في صف رأسي بجانب الطرف الشمالي للمنظر، وترجمته:

«... الراهب يوحنا النقاش ابن الأنبا يشوي»

والمفروض أن الزخارف الأخرى في هذا الهيكل هي من يد نفس الفنان. وعلى جانبي الشرقية من أعلى توجد آثار لشخصيات بمقياس رسم صغير بدرجة تجعل عملية وصفهم وتشخيصهم صعبة. ومناظر الحائطين القبلي والبحري قد اختفت تماماً.

وعلى ارتفاع ٤٢٠ متراً من الأرضية الأصلية تبدأ سلسلة من فتحات مستطيلة ارتفاعها ١٠٠ متراً واتساعها ١٦٠ متراً، ثلاثة في كل من الحوائط القبلية والشرقية والبحرية، أما الغربية فبسبب ارتفاع عقد مدخل الهيكل فليس بها سوى فتحتين فقط، وجميعها الآن مسدودة. والثلاث الفتحات التي في الحائط الشرقي كانت بلا شك شبابيك كل منها ينقسم بواسطة قائم خشبي إلى قسمين متساويين كان يشغلها أصلاً لوحان من مصبغات الجبس المفرغ والمعشق بالزجاج الملون. والشباك البحري في نفس الحائط مازال يحتفظ بجزء من القائم الخشبي الأوسط، أما مصبغات الجبس فقد اختفت. والجانب البحري به الآن ارتدادات خفيفة العمق بدل الشبابيك، ذات أرضية مزينة بنماذج زخرفية عربية رائعة (لوحة ٦٨). وهنا نحن أمام نقطة جديرة بالإهتمام، لأنه كان يُظن أن السور البحري الحالي كان قائماً من قبل ليمنع الضوء عن نوافذ هذه الجهة. وعلينا إذن أن نرجع تاريخ انحصار هذه الأسوار إلى القرن الحادي عشر. ولكن قد يكون اغلاق هذه النوافذ يُقصد به أصلاً إبعاد تأثير الرياح الشمالية المحملة بالرمال^(٥٠).

أما فتحات الحائط القبلي، فالوسطى منهم ربما تكون مرحلة إلى اليمين لتتطابق مع نظيرتها في الحائط البحري هيكل بنيامين، في حين أن الفتحتين الباقيتين مسدودتان حيث ليس هناك ما يقابلها في الجهة الأخرى من هيكل بنيامين.

أما فتحات الحائط الغربي فهي كاذبة، لأنه لو فتحت حقيقة لكانت تطل على الخورس وهذا ترتيب غير محتمل بأي حال.

المنطقة الثانية من الزخارف:

المساحات المحصورة بين كل نافذة والمجاورة لها مشغولة بسلسلة من صور آباء الرهبنة المشهورين في مجموعات ثنائية. ففي أقصى الشرق من الحائط البحري يوجد شخصان: الأمين منها في حالة صلاة، ملتحي بلحية طويلة وعليه مسح من ليف النخيل وطائر يحمل إليه خبزاً (لوحة

(٥٠) وبالتالي يمكننا أن نتصور وجود كنيسة الآباء الرسل التي أقامها أنبا شتودة البطريرك في القرن التاسع بجوار هذا الهيكل.

٦٨). سمات هذا الرسم مع ما تبقى من الحروف تبين أنه صورة أنبا بولا أول السواح، وبصحبه شخص آخر هو أنطونيوس بلاشك (لوحة ٦٦) وعليه هالة نورانية وعلى رأسه قلنسوة رهبانية خفيفة، و يبدو أن يديه معقودتان على صدره. الجزء الأسفل من الصورة ضائع تماماً.

وفي المساحة التالية غرباً (لوحة ٦٨) صورة لشخصين تحيط برأس كل منهما هالة، أحدهما ملتحي ويرتدي قيصاً «تونية» أحمر قاتماً ووشاحاً أبيض، بينما الآخر بقميص أبيض ووشاح أحمر، على أنه لم يبق من هذين الشخصين سوى الرأس والأكتاف فقط، وبينهما لوح مستطيل أصفر عليه كتابة بالقبطية ترجمتها: «هذه هي قوانين ومبادئ الرهبنة».

وعلى الإطار العلوي هذه الكلمات الناقصة: «... 𐩧𐩢𐩨𐩠» وأحد هذين الشخصين هو بلاشك باخوميوس وله قوانين رهبانية معروفة والآخر ربما يكون شنودة.

وفي الطرف البحري للحائط الغربي يوجد رسم لشخصين أيضاً (لوحة ٦٥)، أحدهما عارٍ إلا من حلية طويلة تمتد إلى الركبتين وهو قطعاً أبونوفر السائح، وهذا الرسم ناقص. وفي المساحة المحصورة بين عقد مدخل الهيكل والزاوية البحرية الغربية يوجد رسم كبير لشخص في رداء أحمر وأبيض ينحني تجاه مركز العقد، وبين يديه أو يديها (الجنس غير محدد) كتاب مزخرف، وفي الجانب المقابل (لوحة ٦٩) يوجد رسم مماثل لكنه أقل وضوحاً. ربما هذان الشخصان يرمزان إلى العهدين القديم والجديد. وفي المساحة المناظرة على الحائط الشرقي (لوحة ٦٧) يوجد في الناحية البحرية منها رسم باهت لشخص ملتحي يرتدي حرملة قصيرة ربما هي المافور الرهباني، وإلى يمينه شارويم بجسمه البضاوي الذي يشبه الطيور، وفي الجهة القبلية أيضاً لنفس الحائط يوجد رسم مماثل لشخص وعن يمينه شارويم. ومن المحتمل جداً أن يكون أحد هذين الرسمين هو لبقار يوس ومعه كاروبه الحارس (٥١).

و يعلو هذا الصف من النوافذ حزام رابط من المدادات الخشبية يحيط بأعلى الحوائط، وكان في الأصل مكسواً بالمصيص وملوناً باللون الأسود، وعليه كتابات تدشين الهيكل بحروف قبطية بيضاء، وما أمكن قراءته ترجمته هكذا:

«عمل تذكاراً حسناً... هذا المذبح المقدس (بواسطة) ... الذين تعبوا معه في (البناء) ...
ليت الله) برحمته الواسعة ...»

ضياح باقي هذه الكتابة أمر يدعو للأسف الشديد لأنها حتماً كانت تحوي اسم الذي بنى الهيكل وربما تاريخ انشائه.

(٥١) عن هذا الرسم أخذت صورة القديس أنبا مقار التي تنصدر الكتاب.

القاعدة المثمنة:

يعلو الحزام الخشبي قاعدة مثمنة فيها يظهر التطور المعماري المتقدم في الأساليب الإنشائية عما هو في الهيكل الرئيسي، حيث تتركز القبة على معابر خشبية فوق أركان الحوائط. أما هنا فالإنتقال من المربع إلى المثلث هو عن طريق مقببات = squinches في الأركان. كما أن الشكل المعماري للمثلث كجزء متميز عن باقي البناء قد تأكد بالعقود المدببة في الأضلاع الأربعة الأصلية المساوية في اتساعها للمقببات الأربعة التي في أركان الحوائط. هذه العقود الثمانية التي تستند على أكتاف قليلة البروز، هي من الطراز الفاطمي المدبب والمستخدم في أماكن أخرى من هذا الهيكل. ويتميز هذا الطراز بأن العقد كامل الإستدارة عند ابتدائه فوق الكتفين ثم يمتد بخطين مستقيمين من الجانبين ليتقابلا في المنتصف بزواوية منفرجة. هذا التصميم موافق جداً لمباني الطوب الأحمر. والعقود هنا يحدها من الخارج حلية بارزة باللون الأبيض يحيط بها من داخل ومن خارج إطار رفيع غاطس باللون الأحمر. أما المقببات الأربعة التي عند زوايا الحوائط فلها عقود ثمانية لتقويتها ترتد عنها إلى الداخل مسافة ١٢ سم (لوحات ٦٨ - ٧١) وهي مجوفة من الداخل بشبه القباب الصغيرة ومبنية بالطوب الأحمر. وللعقود المساعدة واجهة مزخرفة بشكل الزجاج المألوف في شريطين باللون الأحمر على الواجهة البيضاء. أما العقود الأربعة الأخرى التي على الحوائط الرئيسية (لوحات ٦٨، ٦٤، ٧٠) فيسدها ستارة خفيفة من الطوب ترتد عن الحوائط الأصلية مسافة ١٢ سم ويتخلل كل منها ثلاث نوافذ، وكل نافذة تنتهي بعقد مدبب من الطراز الفاطمي. والنافذة التي على الحائط القبلي (لوحة ٧٢) مازالت محتفظة بجزء من مصبغات الجبس المفرغ حتى سنة ١٩١١م، أما تصميم مصبغات الجبس هذه فكان عبارة عن دائرة كبيرة يحيط بها إطار من دوائر صغيرة بالتبادل مع مستطيلات مفرغة. وكان بداخل الدائرة الكبيرة ثلاث أو أربع دوائر متقاطعة مكوّنة أشكالاً ذات ثلاث أو أربع نهايات مستديرة الطرف.

رسومات القاعدة المثمنة (المنطقة الثالثة):

وهي غنية بالرسومات، فالمساحات المتخلفة بين فتحات النوافذ الصغيرة في الأربعة الحوائط الرئيسية سمحت بوجود فراغات دائرية متوازنة تتوسطها مستطيلات، كما أن سطح تجويف المقببات الركنية كان مناسباً لبعض المناظر. وجوانب العقود الثمانية كانت موافقة تماماً لمناظر بسيطة التكوين. وفي العادة اختص كل من جانبي العقد لتصوير شخصين متواجهين. أما في الفراغ الرأسي في الجوانب الأربعة الرئيسية للمثلث حيث ينطبق هذا الفراغ مع الحائط الرئيسي، فنجد صورة صغيرة لشخص واقف. وفوق عقود النوافذ توجد دائرتان فيها رسوم نصفية لشخصيات مختلفة (اللوحتان ٦٨ و ٧٠)، وما تبقى بعد هذا من فراغ تشغله دوائر زخرفية والألوان المستعملة هي الأحمر القاني والأبيض للملابس، والأبيض أيضاً لأجزاء الجسم الظاهرة مع تحديد الملامح والمعالم

بالأسود والأزرق الفيروزي لخلفية الصورة. وأفضل الموجود حالياً في احتفاظه بالرسوم هو ما كان على الحائط الشرقي (لوحة ٧٠) حيث يظهر السيد المسيح واقفاً في الفراغ الرأسي (لوحة ٧٨)، وفي الدائرة اليسرى العذراء (لوحة ٨٣)، ويوحنا المعمدان في الدائرة اليمنى وكلاهما في منظر نصفي، وفي الجانب البحري (لوحة ٦٨) صورة لشخص واقف بلحية بيضاء لم يمكن التعرف عليه، وفي الدائرتين شخصان بلحي سوداء يعرضان كتابين مفتوحين، فهما إذن إثنان من الإنجيليين (لوحة ٨٤)، أما الإنجيليان الإثنان الباقيان فكانا مرسومين على الحائط المقابل من غير شك (لوحة ٧٢).

الميلاد (لوحة ٧٤):

أغلبية طلاء تجويف المقببات الأربعة الركنية قد سقط، ولكن ما تبقى في الزاويتين البحرية الشرقية والبحرية الغربية يكفي لمعرفة ما فيها. ففي التجويف الذي في الزاوية البحرية الشرقية في أقصى اليسار، المحوس يرشدهم الملاك أن لا يعودوا إلى هيرودس (لوحة ٧٥). وإلى اليمين يوجد اثنان من الرعاة في شكل متناهي في الصغر، يتحادثان بالقرب من سلسلة من الجبال ذات قمم هرمية الشكل. بينما يوجد راع ثالث (لوحة ٧٦) أعلى الصورة يخاطبه ملاك (لوحة ٩٠). وفي الجزء العلوي يوجد ملاكان يطيران مبتعدين كلاً منهما في اتجاه، وفوقهما سماء زرقاء مرصعة بالنجوم البيضاء، وفي قمة التجويف نجم بيت لحم. والألوان المستعملة هنا هي نفسها السابقة في رسومات الدوائر والفراغات الرأسية. ولاشك أن الجزء الساقط من وسط المنظر كان فيه الطفل يسوع. أما الزخارف التي تزين أسفل أكتاف العقود والبطنيات فهي جديرة بالإعتبار.

نياحة العذراء وصعود جسدها:

والتجويف الذي يعلو الزاوية البحرية الغربية هو أقل تحديداً. فاليسار امرأة (?) جالسة أو متكئة بوجهها نحو الوسط وأمامها إلى اليمين تقف شخصية لم يمكن التعرف عليها، وخلفها شخصيتان في وضع أفقي يبدو أنهما يحملان شخصاً كبيراً لم يبق منه سوى جزئه السفلي المغطى بثوب أحمر قاتم. والمرجح أن هذا الرسم يمثل نياحة العذراء وصعود جسدها. فالجسد الراقد هو العذراء، والذي عن اليمين هو الجسد الصاعد والملائكة تحمله إلى الأعالي.

+++++

وأخيراً نأتى إلى سلسلة من المناظر على جانبي كل عقد من العقود الثمانية للقبة، والألوان المستعملة هنا هي نفسها المستعملة في الرسومات السابقة بالإضافة إلى لون ذهبي أصفر للخلفية. وعنوان هذه الشخصيات مكتوب بالقبطية بحروف بيضاء على شريط أحمر عريض فوق كل منظر.

البشارة:

في الجانب البحري الشرقي منظر البشارة (لوحة ٦٦). إلى اليسار جبرائيل الملاك، شاب حدث بغير لحية له أجنحة وهالة نورانية مسربل بالبياض، وإلى اليمين العذراء (مكتوب فوقها «القديسة مريم») في رداء أحمر قاني وعليها هالة النور، جالسة على كرسي مرتفع رجلاه متقاطعان وظهره أسود مستدير (لوحة ٨٢)، وحركة يديها تنم عن الدهشة. وخلفها إلى اليمين بناء مكعب الشكل يعلوه قبة وفي واجهته مدخل له قوسان متقاطعان محمولان على عمودين عليها أطراف ستارة مطوية. والدائرة ذات النجمة الثمانية الأطراف هي مجرد شكل زخرفي خالص.

والمنظر الذي يعلو عقد الجانب الشرقي صعب التفسير وأسما شخصياته غير مقروءة (لوحة ٧٠). في الوسط هلال، رمز انفتاح السموات، منه تنبعث أشعة نورانية إلى أعلى وإلى أسفل. إلى اليمين شخص نصف راعع على رأسه هالة وله لحية بيضاء ويرتدي ملابس حمراء خارجية فوق قيص (تونية) داخلي أبيض (هرون؟) يقدم بيميناه علبة صغيرة Casket بقمة هرمية تجاه الوسط ويمسك بيسراه مجمرة، وخلفه بناء ذو دورين بأعمدة يظهر فيه مذبح مغطى بستر، وإلى اليمين رجل بلحية سوداء (موسى؟)، بنفس الملابس ونصف راعع أيضاً ويده مبسوطتان إما بتقدمة أو بالتضرع (المنظر في هذا الجزء ضائع) (٥٢).

بشارة زكريا:

يعلو عقد الجانب القبلي الشرقي منظر بشارة الملاك لزكريا الكاهن (لوحة ٦٤). على اليسار يظهر جبرائيل بنفس صورته التي في المنظر الأول، وإلى اليمين زكريا (لوحة ٧٩) بلحية بيضاء وقيص أحمر طويل وفوقه الملابس الكهنوتية alb بيضاء قصيرة، وغطاء الرأس مثلث الشكل يتدلى على ظهره، ويحرك يده اليمنى بالمجمره ويمسك صندوقاً صغيراً بقمة هرمية في يده اليسرى بينما يصعد سلماً من أربع أو خمس درجات يؤدي إلى الهيكل (وهو بناء بثلاثة عقود دائرية) وفيه مذبح مستطيل مغطى بستر أزرق يعلوه قبة مخططة محمولة على أربعة أعمدة (٥٣).

إشعيا والسرافيم:

على الوجه القبلي للمشمن منظران مختلفان (لوحة ٧٢). فاليسار العقد إشعيا النبي بلحية بيضاء ووشاح أحمر ويواجهه واحد من السرافيم بأجنحة وجسم يشبه الطيور، والوجه واليدان هما لإنسان، يقف على مذبح مربع عليه ستر أزرق ويلمس شفتي النبي بمجرة بين طرفي ملقاط (إش ٦: ٦).

(٥٢) ربما يصور هذا المنظر خر ١٦: ١٠ حيث هرون وموسى أمام مجد الله.

(٥٣) تمثيل قبة المذبح هنا في مثل هذا العصر المبكر أمر يستحق النظر، وكذلك المذبح المستطيل.

إبراهيم وملكيصادق:

إلى يمين العقد نفسه رسم لشخصين متواجهين، كلاهما بلحية بيضاء، الأيمن منها في وشاح أحمر يستعد بانحناء خفيفة ويدين ممدودتين لاقتبال كأس (?) من الشخص الآخر الذي على اليسار. فالموضوع إذن هو إبراهيم يقبل من ملكيصادق الخبز والخمر (تك ١٤: ١٨) كما تؤكد ذلك بعض الحروف القبطية الباقية من اسم ملكي صادق.

ورسومات العقد الغري القبلي، والغري، قد اختفت كلها تقريباً، والجزء الوحيد الباقي هو رسم على الجانب الأيسر للعقد القبلي الغري فيه يظهر شخصان (ورأس ثالث وراءهما) يسرعان إلى شيء ما في الجانب الأيسر للعقد (لوحة ٦٩). من المحتمل أن يكون المنظر إذن لبطرس ويوحنا يهرعان إلى القبر (يو ٢٠: ٣) الذي يُحتمل أنه كان يشغل الجانب الأيمن مع الملائكة الحارسين.

أما رسومات العقد البحري الغري فهي باهتة للغاية (لوحة ٤٤)، ففي وسط الجانب الأيسر للعقد شخص جالس في ملابس حمراء وبيضاء، بلحية قصيرة وحوله هالة مشغولة بصليبان. الرأس منحني إلى اليسار والذراع الأيمن يبدو كما لو كان مرفوعاً وخلفه ملاك هابط من فتحة في السماء بشكل هلال، فوق قمة العقد. ربما يكون موضوع الصورة هو يسوع في بستان الآلام جثسيماني، فالشخص الذي يتوسط الصورة هو يسوع وخلفه ملاك يعزيه (لوقا ٢٢: ٤٣). وإن كان الأمر هكذا فلاشك أن الجزء الأيسر كان يحتله رسم للتلاميذ الذين وبخهم المسيح بسبب نومهم (لو ٢٢: ٤٥ و٤٦).

حلم يعقوب:

أما الجانب الأيمن للعقد المذكور فيصور حلم يعقوب (تك ٢٨: ١١)، شاب حدث السن يرتدي قيصاً أبيض وفوقه ملابس حمراء في وضع نصف رقاد، فوق أرض صخرية، ورأسه يستند على راحة يده (للدلالة على النوم). وفي براعة فنية، يبدو السلم أمامه كما لو كان يستند على العقد نفسه صاعداً إلى فتحة في السماء هلالية الشكل، وهي مشتركة بين هذا المنظر والمنظر الذي على الجانب الآخر السابق شرحه. وعلى السلم هيئة ملاكين، وقرب نهايته شخص صغير بهالة نورانية يُفترض أنه يمثل الرب، تحيط به هالة بيضاوية (لوحة ٦٥).

ذبح إسحق:

وفوق العقد البحري يوجد رسمان لمشهد واحد (لوحة ٦٨). على الجانب الأيمن يظهر إبراهيم بلحية بيضاء وملابس حمراء وبيضاء، يده اليسرى ممسكة بشعرا بنيه اسحق الذي يظهر في شكل قزم، واليمنى مرفوعة تلوح بسكين مقوسة وقد أشاح بوجهه عن الفعل الذي يوشك أن يبده. وأمامه

مباشرة يظهر ملاك الله في هيئة نصفية داخل إطار بيضاوي يمنعه من أن يباشر العمل. وبعيداً إلى اليسار يمكن تمييز الغابة والكيش الموثق من قرنيه. وفي الجانب الأيسر للعقد يظهر إثنان من غلمان إبراهيم صغار السن حفاة الأقدام، أحدهما في قيص قصير أحمر والثاني بقميص قصير أبيض. ومن ملاحظتهما يبدو الإهتمام العميق بما يجري أمامهما على الجانب الآخر من العقد، وأمامهما حمار عليه بردعة حمراء.

أهمية زخرفة هذا الهيكل:

في هذا الهيكل نرى بالتأكيد مثلاً نادراً، إن لم يكن وحيداً، للزخرفة القبطية للحوائط الداخلية. وما تبقى منها كافٍ لتعريفنا بأسلوب وطابع تنسيقها، فالفراغات السفلية رُسمت عليها مناظر ذات مقاس كبير، وفوقاً منها شخصيات ثنائية بحجم أصغر تتوافق حركاتها مع الخطوط الرأسية المعمارية أو الإنشائية لهذا الجزء، يعلوها رسومات أكثر تنوعاً وأقل جموداً حيث المسطحات صغيرة وأقل انتظاماً. من المستحيل هنا أن ندرس الأساليب التي استعملها الفنان أو نتتبع أصولها، لكن يمكننا أن نشير إلى الخصائص الفنية العامة. فالعناصر العديدة ككل، وعلاقتها بعضها مع بعض، متناسبة تناسباً بديعاً، وقد تناوها الفنان بمهارة فائقة. كل صورة تتناسب مع الفراغ الذي تشغله بحيث أن الناظر إليها من أسفل يستطيع التعرف عليها دون ما جهد. والراهب يوحنا يبدو هنا فناناً زخرفياً حقيقياً في تكييف المناظر والموضوعات حسب المساحات المتاحة دون تكلف، مع انسجام خطوطها مع الخطوط المعمارية للمبنى. والمثل الواضح لذلك هو منظر بشارة الملاك للعذراء مريم ومنظر بشارة الملاك لذكرى الكاهن.

أما الملامح فهي وإن كانت سريعة وركيكة كما تظهر في الوجوه الملتحية والأقدام، إلا أنها في رسومات الملائكة كما في منطري البشارة وغيرها يظهر فيها الدقة إلى حد كبير على الأقل عند النظر إليهم من أسفل كما هو المفروض، وربما كانت الألوان في جدتها شديدة ساطعة^(٥٤). لكن في بلد كمصر الضوء فيها شديد باهر للعين لا تُعتبر هكذا. وفي الحقيقة أنها ملائمة بطريقة مدهشة لظروف الإضاءة في هذا المذبح. ولو أُتيح للفنان درجات مختلفة من الألوان والظلال لما كان استعمالها هنا موفّقاً، كما نستطيع أن نقرر أن مزاج الفنان التكويني لمساحات الألوان رائع.

القبة:

القبة الحالية حديثة البناء بين سنتي ١٩١١ و١٩١٢. والأثري شستر Chester يقرر أنه كان في القبة الأصلية كتابات بالخط الكوفي البديع فوق طلائها الداخلي. لكن بطريركها أكد أنها

(٥٤) هذه الشدة انطقت اليوم واستحالت إلى لون هادي رقيق. والمثال هنا هو الرسومات الدائرية والشخص الواقف في عقد الضلع الشرقي للقاعدة المثمنة.

ليست سوى شريط من الزخرفة التقليدية في دائر القبة من أسفل، وأضاف أن بقايا طلائها كانت ملونة، وقد نقل «جاويه» بعضاً من زخارفها.

تاريخ الهيكل:

هناك عنصران معماريان لتقرير تاريخ الإصلاحات الأخيرة في هذا الهيكل: شكل العقد، طبيعة المقببات التي في أركان قاعدة القبة. فعقد المدخل ومقصورة «الشرقية» والمقببات الأربعة مع ما يتصل بهم من عقود كلها من طراز كان شائعاً في عصر الخلفاء الفاطميين. والدليل على ذلك هو الجزء القديم من الجامع الأزهر ومسجدي الأقرو والصالح طلائع. أما المقببات والتجاويف التي بداخلها سواء كانت مستوية أو دائرية فلها أمثلة مناظرة مثل المباني التي تحت القباب المتهدمة في طرفي إيوان جامع الحاكم والقبة الرئيسية في الرواق القديم في إيوان الجامع الأزهر. فن الجهة المعمارية لدينا ما يبرر نسبة تاريخ الإصلاحات الأخيرة في هذا الهيكل إلى العصر الفاطمي، ولكن هناك عنصرين في هذا التاريخ وهو الزخرفة الجزاجية في عقود المقببات الأربعة حيث لا نعثر على نظير معاصر لهذا التاريخ المبكر. وعلى هذا فالحشوات الخشبية التي كانت في الحجاب هي فقط التي تعتبر أصيلة.

وبالنسبة لزخارف الهيكل فليس لدينا أساس راسخ لتحديد التاريخ نظراً لعدم معرفتنا الكافية بالأساليب الزخرفية القبطية في العصر الوسيط. ومع هذا فتوجد زخارف تقليدية نلمح منها سمات العصر الفاطمي خاصة زخرفة بطنيات المقببات التي تذكرنا بالزخرفة المتموجة التي في الجانب الأيمن لمحراب جامع ابن طولون، وأيضاً مصبغات الجبس في دير السريان، وسلسلة الزهور المتماوجة في البطنيات الصغيرة لا تتنافى أيضاً مع التاريخ المقترح رغم أنه ليس لها ما يشابهها بشكل صريح.

يتبقى ثلاثة أشياء تتعلق بالكنيسة الكبرى:

فرن القربان:

إلى الشمال من المدخل البحري للخورس يوجد بيت القربان، وهو فرن صغير غير مستعمل. ومن الناحية الأثرية ليس فيه ما يستحق الذكر (٥٥). لكن على حائطه توجد لوحتان من الحجر عليها كتابة منقوشة بالعربية، على إحديها مكتوب ما يلي:

«قال داؤود النبي الرجل الذي ينوي

(٥٥) أثناء ترميم وتوسيع الكنيسة اكتشفنا أن لها قبة صغيرة مقطوسة مما يقطع بأنها كانت لغرض طقسي هام. لذلك هيأنا فيها صندوقاً تودع فيه أجساد البطارقة المحفوظين بالدير، وفوقه وضعت رفات الثلاثة المقاربات القديسين. وبذلك تحولت هذه القبة إلى مقصورة ذات أهمية قصوى.

حياة ويحب أن يرى أياماً صالحة

ليكف لسانه عن الشر.....»

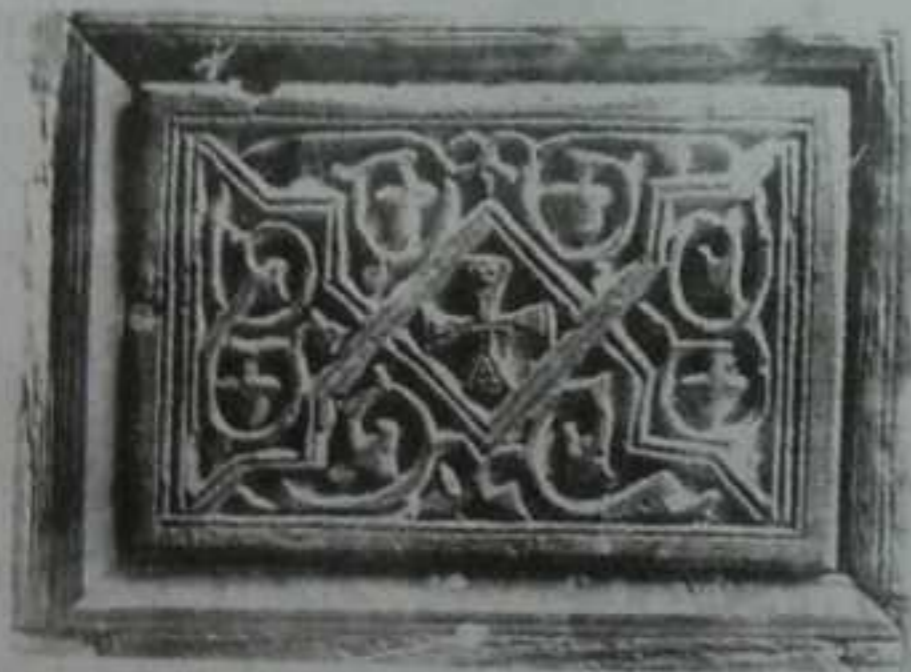
وليس سهلاً تحديد الموضع الأصلي لهاتين اللوحتين، لكن قطعاً ليس هنا.

جرس قديم:

في إحدى القبالي القديمة يحتفظون بجرس غريب قيل أنه لهذه الكنيسة، قطره من أسفل ٣٠ سم وارتفاعه ٣٨ سم بخلاف الحلقة التي تربطه مع قطعة الخشب المتحركة. وجسمه ليس مخروطياً كالعادة بل هو على شكل مخروط ناقص، نُقشت عليه أربعة صلبان بالحفر البارز على مسافات متساوية، وله قمة غريبة إذ أنها من قطعة منفصلة مصبوبة بشكل غطاء ومرغبة أعلى جسم الجرس، ولا يمكن تحديد تاريخ هذا الجرس، ولكن حسب وصف فانسليب، يرجع تاريخه إلى ما بعد القرن السابع عشر. وقطعاً ليس هو صناعة أوروبية (٥٦).

مجمرة برونزية:

شاهد «بالمرجونس» أثناء زيارته للدير سنة ١٩١٠ - ١٩١١ مجمرة من البرونز ونقل رسمها، ومن المحتمل أنها تتبع الكنيسة الكبرى. ولكن المؤرخ إقليين هوايت يذكر أن نظره لم يقع عليها أثناء زيارته سنة ١٩٢٠ - سنة ١٩٢١ وإن كان لا يستبعد أنها مازالت موجودة (٥٧).

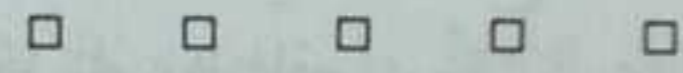


صليب في إطار من حلقة مستقيمة تتقاطع في أشكال هندسية بينما تحتل باقي المساحة سيقان نباتات مورقة. [حشوة من الخشب المحفور ترجع إلى القرن الثاني عشر في حجاب أثري لإحدى كنائس دير أبوسيفين في مصر القديمة].

(٥٦) لم يُعثر بعد على هذا الجرس. ويبدو أنه اختفى بعدما رآه المؤلف إقليين هوايت.

(٥٧) من الشكل المرسوم مع النص الإنجليزي الأصلي يتضح أنه «قنديل زيت» من النوع الذي يوضع أمام الأيقونات في شرقية الهيكل. وهذا قد اختفى أيضاً.

الفصل الرابع كنيسة الشهيد أباسخيرون



الوصف العام:

مكرسة على إسم الشهيد أباسخيرون المقتدر القلبي المنسوب إلى قلين، وهي مدينة في الدلتا تقع شرق دمنهور بمسافة ٥٣ ك، وإلى الجنوب قليلاً من مدينة سخا. وتقع الكنيسة في الجانب القبلي للفناء البحري حيث يحجزها عنه صف من القلايا الحديثة. وهي تبدو من الخارج وضيفة المظهر، مغطوسة (لوحة ٩٦). ولكن يجب ألا ننسى أنه ضاع من ارتفاعها متران إثنان بسبب رفع أرضية الدير. وهي في حالتها الراهنة كنيسة من النوع القصير المستعرض تحوى صحناً وخورساً وثلاثة هياكل. وبجوارها من الشرق بعض الغرف الصغيرة التي يمكن الوصول إليها عن طريق دهليز ضيق يتوسط الهيكلين القبلي والأوسط. والدخول إليها الآن عن طريق باب منخفض في حائطها الغربي قرب زاويتها البحرية الغربية ثم الهبوط بالسلم ست درجات (١).

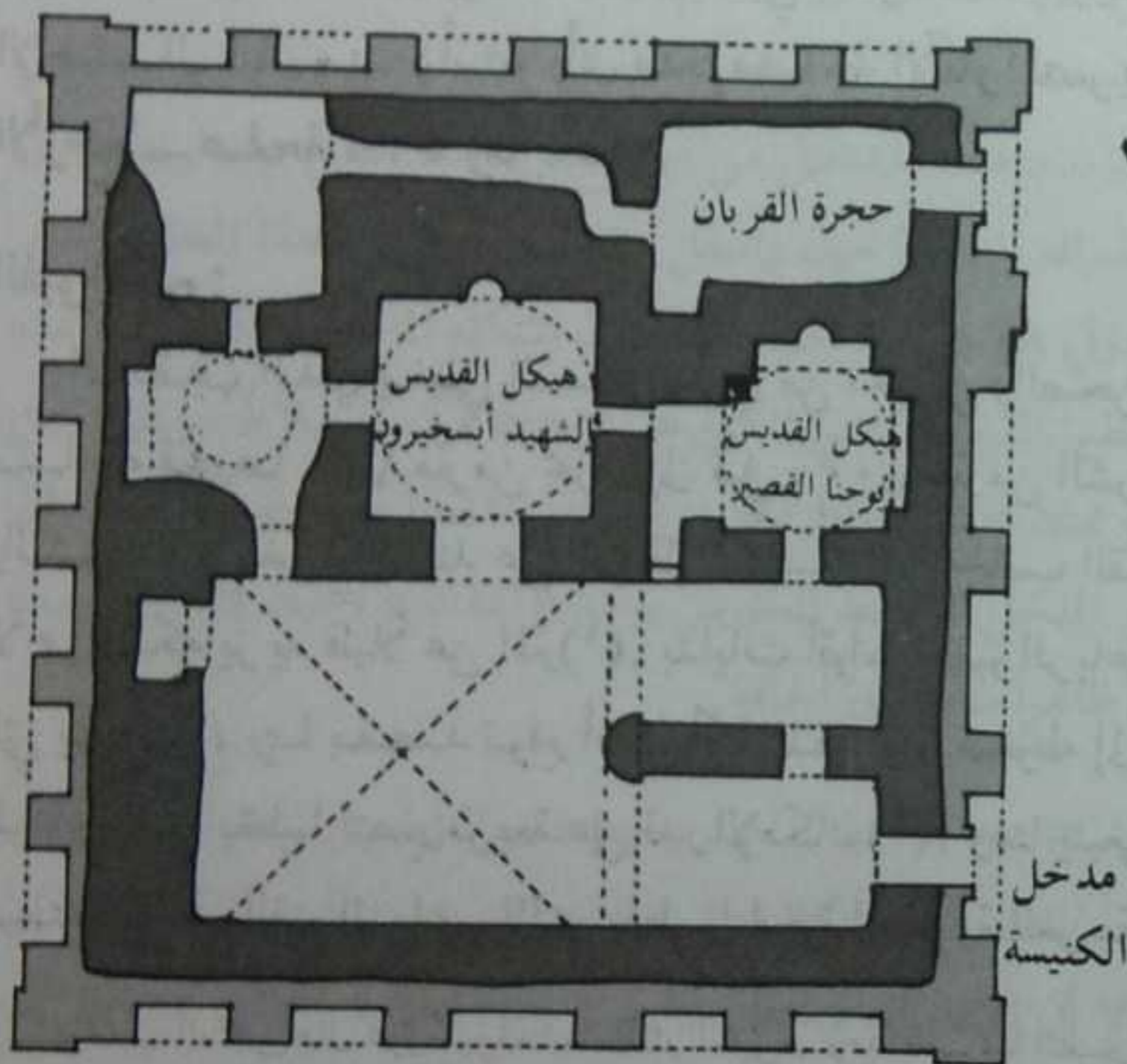
الصحن والخورس:

يفصل بين الإثنين حائط بسيط من المباني تتخلله ثلاثة مداخل. الجزء القبلي من هذا الحاجز أو الحائط يرتفع من الأرضية حتى السقف ويحمل قيوين متوازيين من النوع الإسطواني يغطيان الطرف القبلي لكل من الصحن والخورس. أما الجزء البحري (وطوله ١٠ أمتار) فيرتفع فيه الحاجز إلى مسافة ٣٧٠ متر فقط فوق الأرضية (لوحة ٨٨)، ثم يعلوه جزء من عصر متأخر ارتفاعه ٩٠ سم ومنفصل تماماً عن السقف (٢). والسقف هنا قبور رباعي ينتهي طرفه القبلي بعقد مستعرض كبير، وهو يغطي كل المساحة البحرية من الكنيسة وتشمل الخورس والصحن معاً. ومن هنا يتضح أن الإثنين، أي الصحن والخورس، كانا في الأصل وحدة معمارية واحدة بدون

(١) أزيلت القلايا المتأخرة والمباني التي يذكرها إفلين هوابت حول الكنيسة، وأقيمت لها من الخارج حوائط واقية لتدعيم قباب الكنيسة، تتخللها بواكي يعقود دائرية، كوئت مع القباب وحدة منسجمة. أما الباب الغربي فقد تم سدّه بعد فتح الباب الأصلي في الجهة القبليّة من الخورس الثاني للكنيسة.

(٢) أزيل هذا الحائط لتظهر القبة الرباعية بدقتها وقها الجميل، واستعوض عنه بجائز خفيف من الحديد المشغول.

كنيسة الشهيد أباسخيرون بعد تقويتها وتدعيمها سنة ١٩٧٥



■ = مباني قديمة

□ = مباني حديثة

لتدعيم الحوائط القديمة

مدخل
الكنيسة

هذا الحاجز. ويتأكد هذا الرأي من فحص الحاجز حيث يظهر واضحاً أنه غير متداخل، غير معشق، مع حائط الكنيسة البحري، كما أنه مقام فوق بلاط الأرضية الحجري الذي يغطي كل المساحة التي يغطيها هذا القبو. فالجزء البحري من هذا الحائط إذن مضاف في عصر متأخر عن البني الذي يقسمه. وفي نفس الوقت، هذا الحائط بكامله قطعة واحدة، وهي نقطة مهمة. ونظراً لأن الحاجز ليس أصلياً في الكنيسة، بالتالي يكون القبوان اللذان يحملها هذا الحائط في ناحيته القبليّة ليسا أصليين^(٣). هذه النتيجة تفسر المظهر البسيط الوضع لها. لذلك هناك احتمالان: إما أن القسم القبلي للخورس والصحن معاً كان في وقت ما مغطى بقبة أو قبو ثم انهار فاستعويض عنه بالقبوين الحاليين (وبفحص الوجه القبلي للعقد المستعرض الكبير لم نستدل فيه على أية آثار تؤيد هذا الاحتمال)، وإما أن القسم القبلي بأسره مضاف وليس أصيلاً وسنعود إلى مناقشة هذا الاحتمال فيما بعد. (أنظر رأي مدير مصلحة الآثار المصرية في قدم القبوين، وهو الرأي الأرجح - صفحة ٥١٨ وما بعده).

القبو الكبير:

السقف الذي يغطي القسم البحري من الخورس والصحن معاً هو قبو رباعي ضخم يغطي مساحة قدرها ٨٣٠ متر من بحري إلى قبلي، ٦٠٠ متر من الشرق إلى الغرب. وجوانبه البحرية والشرقية والغربية تستند على حوائط الكنيسة، أما الجانب القبلي فيحمله عقد رائع من الطوب الأحمر سمكه يزيد قليلاً عن المتر^(٤). بدايات أقواس القبو الرباعي ترتد قليلاً عن أركان المساحة التي يغطيها، ربما بقصد توفير أمان أكثر للقبو ضد ضغوطه إلى الخارج، وأيضاً لتقريب أبعاد المساحة التي يغطيها لتصير مربعة على قدر الإمكان^(٥). وهنا ينبغي التذكير بأن مثل هذا الترتيب مستعمل في القبو الرباعي الذي يغطي الحجرة البحرية الغربية في الطابق الأخير من الحصن.

(٣) لقد قلب الدكتور جمال محرز مدير مصلحة الآثار السابق - رحمه الله - هذا التفسير الهندسي رأساً على عقب وكان على حق ويقين.

(٤) لسبب الشروخ الكثيرة التي ظهرت في هذا العقد وأيضاً في القبة الرباعية التي يحملها فقد العقد كثيراً من روعته واضطربنا لتغطيته بهلبان من الجبس تمشي مع الطابع العام للكنيسة من الداخل.

(٥) تبين وجود شروخ خطيرة في أركان هذه القبة الرائعة كادت تطوّح بها، نتجت عن وجود حجرات مجاورة استعملت لمدد طويلة كمطبخ عام وممجن وفرن للدير، ونتج عن ذلك كثرة استعمال المياه وصرفها في طرقات الدير المحيطة بالكنيسة (ارجع إلى رسم الدير في ملزمة اللوحات). فلذلك، بعد إزالة الأبنية المتطفلة حول الكنيسة، كان أول عمل هو بناء حائط سميك من الدبش ومونة الأسمنت والرميل القوية بعرض ١٠٠ سم وبكامل ارتفاع حوائط الكنيسة لتكون سائداً منيعاً ضد «رفس» قباب وعقود الكنيسة وبالأخص القبة الرباعية المفقوسة. ثم إحاطة هذا الحائط السائد من أعلى بمزام من الخرسانة المسلحة بعرض الحائط لضمان تماسكه كوحدة واحدة في كامل محيط الكنيسة. وبعد التأكد من ثبات هذه القباب قمنا بعمل «بربقة» من الأسمنت والرميل بنسبة واحد إلى واحد لتغطية سطح هذه القبة الضخمة ولسقية شروخها، نظراً لخطورة عمل غطاء خرساني لهذا النوع من القباب المفقوسة.

والقبو مبني بطوب أحمر محروق رقيق السمك ومونة الجير مع لحامات عريضة نوعاً ما. وكما قصد المصمم، فالوجه الداخلي للقبو مكشوف بدون بياض. هذا القبو الرائع مع الباب الذي سيأتي ذكره فيما بعد، والقبو الصغير في الباكية الوسطى بالمائدة في هذا الدير وأيضاً في دير أنبا بيشوي، ثم العقود والقباب المكشوفة في حصني هذين الديرين، كلها تبين بجلاء الإمكانيات الإنشائية والمعمارية رفيعة المستوى لمباني الطوب المكحول بدون بياض.

الصحن:

بحالته الراهنة قليل الأهمية. في جانبه البحري مدخل صغير مسدود الآن تماماً. ويقابله في الناحية القبليّة مدخل آخر مسدود من الخارج فقط، وعليه من الخارج كتابة منقوشة في البياض باللغة القبطية: «يسوع المسيح ابن الله» والحروف بارزة، تبدو عليها مسحة القدم، ربما تكون معاصرة للزمن الذي فيه أضيف الحائط الحاجز الذي فصل بين الخورس والصحن^(٦). وفي الارتداد الداخلي الذي بقى بعد سد هذا المدخل من الخارج، يوجد مغطس من الرخام قطره ٣٠ سم وارتفاعه ١٠ سم، وأطرافه المهشمة حول وأسفل حافته تدل على أن هذا المغطس كان موضوعاً داخل لوح رخامي، وفي هذه الحالة يكون هو اللقان بشكله المألوف ولكن ليس لهذه الكنيسة^(٧). والمساحة التي يغطيها القبو الرباعي الكبير هي وحدها مكسوة ببلاط مستطيل من الحجر الجيري الأملس، وهو ممتد تحت الحائط الحاجز إلى الجزء المقابل في الخورس وقد تهشم أغلبه. وفي أرضية الصحن مقابل المدخل الأوسط للخورس يوجد «اللقان» ومحيط قاعه ٤٤ سم، وهو الآن مملوء بالأسمنت ولم يبقَ ظاهراً منه سوى الحافة.

وذكر العالم الأثري شستر Chester أنه شاهد رسومات حائطية رديئة لما جرجس وأبو سيفين، وإنبل خشبي. ويحتمل أن هذه الرسوم كانت في الخورس حيث مازالت آثارها باقية إلى الآن. أما الإنبل فقد اختفى إلا أن الآثار الباقية على الأرضية وعلى الحائط الحاجز تدل على أنه كان قائماً بحري المدخل الأوسط مباشرة. أما الإنبل ذاته فثلاثة من أجزائه - وهي التي كانت تكوّن جانبيه^(٨) - ربما هي التي استعملت في إقامة حجاب كنيسة العذراء بالحصن.

الخورس:

هناك شيء واحد فقط جدير بالإهتمام. ففي الحائط البحري للخورس يوجد باب بديع الشكل (لوحة ٨٩)، جوانبه من الطوب الأحمر المنتظم الصفوف واللحامات، وتتخلل المداميك (٦) بالفحص الدقيق تبين أن هذا المدخل مسدود حديثاً بمخاط غير ملتحم بمباني الكنيسة والكتابة الخارجية بالحروف القبطية حديثة أيضاً. لذلك قمنا بفتح هذا المدخل ليكون مدخلاً رسمياً للكنيسة كما كان أصلاً، بدلاً من الباب الغربي الذي أغلق نهائياً. (٧) هذا المغطس مع غيره من اللقانات وأحواض الفسيل الطقسية معروض في متحف الدير. (٨) الجانب الثالث كان يشغله حتماً السلم المؤدي إلى الإنبل. أما الجانب الرابع فهو الحائط الحاجز بين الصحن والخورس.

مدادات أصلية من الخشب، واللحامات الرأسية مخفاة بطريقة عجيبة. أما اللحامات الأفقية فظاهرة ومكحولة بإتقان. ومن بين مداميك الجانب الشرقي توجد كتابة بالأرمنية كتبت وقت أن كانت مونة الكحلة مازالت لينة. ومن الخمسة أسطر المكشوفة، أمكن حل رموز الكلمات التالية:

« في (هذا) المكان من يقرأ و يذكرنا ... »

سيذكر في حضرة المسيح في يوم (الدينونة) الرهيب... عقب هذه الحياة الفانية... إلى السابق سيذكر أيضاً.

أذكر الخاطيء خادم يسوع المسيح طيراط...

... أو ... »

ولهذا الباب عتب خفيف من الخشب، يعلوه فتحة مربعة أصغر مقاساً ولها جوانب وعقد مستقيم من الطوب الأحمر المكحول بنفس الإتقان. وعلى جانبي هذه الفتحة مستطيل رأسي من الطوب المصفوف بدقة وبدون لحامات حتى أن الناظر إليه يستحيل عليه أن يرى آثار فواصل بينها^(٩). والجزء الأكبر من هذا التصميم مشغول بزخرفة هندسية نجمية محفورة في الطوب ومكحولة بالمصيص الأبيض، يحيط بها إطار من سلسلة زخرفية. و يعلو هذا المستطيل، وأيضاً أسفله، توجد كتابة عربية محفورة بنفس الطريقة. و يوجد بالمتحف الإسلامي قطع صغيرة لتصميم زخرفي نجمي محفور ومكحول بالمصيص بطريقة مشابهة مأخوذة من بيت جمال الدين الذهبي^(١٠).

و داخل هذا الباب يوجد الآن باب آخر خشبي يؤدي إلى غرفة صغيرة يؤكد الرهبان أنها قاعدة لبرج جرس سقط. لكن مثل هذا الباب البديع قطعاً لم يكن الهدف منه هو أن يوصل إلى مكان آخر، كما أن حائط هذه الغرفة الصغيرة المقام ارتجالياً، هو مجرد ملء فراغ^(١١).

وإلى يمين مدخل الهيكل الأوسط مازالت ظاهرة هالة صغيرة باللون الأحمر فوق السطح الذي أعيد طلاؤه في الجزء الأسفل من حائط الخورس الشرقي، ربما كانت لإحدى الرسوم التي ذكرها شستر، أما الرسم الثاني فربما كان موضعه إلى يسار المدخل أسفل الإطار الزخرفي البدائي الذي مازال باقياً هناك حتى الآن^(١٢).

(٩) يعجز الإنسان أن يصف الدقة «الميكروسكوبية» لهذا العمل. ليس فقط دقة صناعة الطوب، بل إن كل قالب منه موضوع مع ما يجاوره بحيث لا يظهر بينها أي فاصل ولو بسيط.

(١٠) يعود تاريخها إلى سنة ١٦٣٧ م وهو متأخر جداً عن تاريخ الزخارف التي نحن بصدددها.

(١١) أزيلت المباني الموجودة داخل الباب الجميل ليظهر ما فيه من مهارات وفنون بناء الطوب الأحمر.

(١٢) لم نعر على شيء من هذه الرسوم أو بقاياها، و يبدو أن الطلاء الجيري كان قد غطاها.

الهيكل

الهيكل البحري:

مدخل الهيكل البحري اختزل كثيراً في عرضه، لكن الحدود الخارجية للعقد الأصلي مازالت ظاهرة مع قوالب الطوب الدائرية المدهونة باللونين الأحمر والأبيض^(١٣) والتي يحتويها إطار مستطيل تعلوه فتحة مربعة. والحائط الداخلي الغربي للهيكل قد زيد سمكه بمقدار كبير حتى يحتمل ضغط القبو الكبير في الجزء البحري الشرقي من الكنيسة أو مجرد ملء الفراغ الناتج عن عدم انطباق محور قبة الهيكل مع محور الهيكل ذاته. ولا يوجد في الهيكل مذبح، بل إنه غير مستعمل الآن^(١٤). والقبة الأصلية استعويض عنها في وقت متأخر بأخرى أصغر سيئة الصناعة إلى أقصى حد، والذين أقاموها — ربما الرهبان بأنفسهم — كانوا خائفين حتى أنهم اختزلوا المساحة المرغوب تغطيتها بواسطة مدادات خشبية موازية للحائطين البحري والقبلي، وربما ملأوا الزاويتين البحرية الغربية والقبليّة الغربية بالمباني. وليس فيها سوى شيء واحد، واحد فقط، هو الجدير بالإهتمام. في حائط الهيكل البحري يوجد ارتداد وعقد واسع لكنه مسدود من الخلف بحائط بدون بياض، مبانيه غير متداخله مع المباني الأصلية. فهو إذن مجرد حائط يسد فراغ العقد المفتوح. فلاشك إذن في أن هذا العقد كان يوصل إلى صحن الكنيسة الكبرى الضائع...

الهيكل الأوسط:

ليس فيه ما يستحق الذكر. حجاب حديث مشابه للموجود في كنيسة الشيوخ وتاريخه سنة ١٨٦٦. والقبة المنخفضة قائمة على أربعة مقببات بعقود مدببة في زوايا الهيكل... و يبدو أن البياض الحديث من عهد قريب. والمذبح مغطى بلوح رخام من طراز المربع ونصف الدائرة. وفي الزاوية البحرية الغربية يوجد حوض أو طست Piscina^(١٥).

الهيكل القبلي:

مدخل سخيف ذو عقد يؤدي إلى الهيكل الثالث، وقد اختصر اتساعه بإضافة أكتاف جانبية داخل العقد فيها عتب من الخشب عليه كتابة عربية محفورة في سطرين، أحدهما قرأه لي أحد الرهبان.

« أذكر يارب عبد الملاك... أول برمودة سنة ١١١١ ش »

فتاريخ الهيكل إذا كان العتب الخشبي من نفس العصر هو سنة ١٣٩٥ م. والقبة فقيرة البناء

(١٣) يبدو أن القصد من هذه الدهانات السقيمة هو اصطناع نوع من التماثل بينه وبين الباب البحري الذي في الخورس.

(١٤) عندي شك كبير في أن هذا الهيكل قد استعمل في أي وقت من الأوقات رغم أنه في دورة أحد الشعائين توقف أمامه الكهنة والرهبان قليلاً، مثله مثل الهيكلين الآخرين، وقدموا البخور كما لو كان له بعض التقديس (هذا التعليق للعالم إقليدس هويت).

(١٥) فُتح في الهيكل الأوسط بابان أحدهما يوصل للهيكل البحري والآخر للهيكل القبلي.

قائمة على مقببات مدبية و يبدو أنها من زمن معاصر للعتب الخشبي . ولوح المذبح من قطع رخام مكسورة وموضوعة بغير انتظام بحيث يصعب تحديد شكله ، ولاحظ بطر وجود طست من الرخام في حوض بالزاوية البحرية الشرقية للهيكل وقيل له أنه مستعمل لإعداد زيت مسحة المرضى . هذا الطست ما زال موجوداً في مكانه لكن رهبان الجيل الحاضر (أي زمن كتابة هذا الوصف ما بين عام ١٩١١-١٩١٢) لم يستطيعوا أن يفسروا علة وجوده (١٦) .

والحائط الشرقي مجوف إلى الداخل وفيه منصة من أربع درجات بانحناء موازي لها . وفي الحائط القبلي ارتداد خفيف ولكنه متسع وله عقد ، ويقابله في الحائط البحري عقد كان مفتوحاً والآن نصف مغلق بجائط . وهذا كان يفتح على دهليز ضيق يتوسط الهيكلين القبلي والأوسط ويوصل من الخورس إلى الحجرات الصغيرة الكائنة شرقي الهياكل . هذا الترتيب شاذ ولكنه صار محتملاً بسبب إضافة الهيكل القبلي إلى المبنى العام حتى يمكن الوصول إلى الحجرات الشرقية خلف الهياكل (١٧) .

الحجرات الشرقية :

ينتهي هذا الدهليز شرقاً بجائط منخفض يحمل رفاً عريضاً . وعلى ارتفاع ١٥٠ متر من الأرضية توجد فتحة لا يمكن الجزم بمدى أصلتها ، وتؤدي إلى حجرة مربعة متوسطة الحجم ليس فيها ما يلفت النظر إلا مدخل في حائطها البحري من الجهة الغربية له عقد مدبب من الطوب الأحمر ويؤدي إلى إحدى الغرفتين الضيقتين خلف الهيكل الأوسط ، الأولى منها غاصة بالأنقاض والمخلفات (١٨) بارتفاع لا بأس به ، ويرز فوقها عقد من الطوب المكشوف في الطرف الشرقي لحائطها البحري يوصل إلى غرفة ضيقة بقبو نصف إسطواني تملأها الأنقاض حتى السقف . وربما توجد حجرة أخرى تقابلها من الجهة الغربية ، وإذا وجدت فلا بد أن تكون مدفونة تماماً . والحجرة الثانية في منسوب أعلى ، إذ أنها تقع فوق الحجرة السابقة ذات القبو ، والدخول إليها عن طريق

(١٦) هو حوض من حجر شبه الرخام ، وجدنا به طبقات متصلة من زيت زيتون متجمد . وقد علمنا من الطقس أنه حوض لزيت مسحة المرضى حيث كان طقس الكنيسة يحتم وجود زيت على المذبح أثناء تقديس الذبيحة حيث يُقرأ عليه أوشية المرضى ثم يُدهن به جمع المرضى في الكنيسة الذين كانوا يقيمون في بيت خاص يلحق بالكنيسة ويجري عليهم الصلاة والمسح بالزيت بعد كل قداس (أنظر قوانين القديس أثناسيوس) .

(١٧) عند ترميمنا لهذه الكنيسة اجتهدنا لإصلاح مثل هذه الأخطاء ، فأغلق باب الدهليز الذي كان يؤدي من الصحن إلى الحجرات الخلفية لأنه مخالف للطقس ، وفتح باب في العقد البحري المذكور يوصل بين الهيكلين . وقد تم تكرير الهيكل القبلي على اسم القديس يوحنا القصير ، وهو الجيل الثاني من أولاد أنبا مقار ، والذي مازال جسده محفوظاً الآن في المقصورة الخشبية داخل الخورس الأول في الكنيسة .

(١٨) هذه المخلفات والأنقاض منقولة بلا شك بقصد تغطية مخلفات كنسية مكسورة أو غير مستعملة كعادة الأديرة . ومن الجائز جداً ، إذا أمكن تفرغ هذه الحجرة مما فيها ، أن تكشف عن مخطوطات أو أشياء أخرى أثرية يعتبرها الرهبان نفايات ، ولو أنها مقدسة .

فتحة غير منتظمة في حائطها القبلي . ورغم صغر حجمها إلا أنها فخمة بقبابها وأعمدتها . يتوسط كلاً من الحائطين البحري والقبلي عمود بارز من الحائط ، وفي كل زاوية من زوايا الحجرة نصف عمود وكلها تحمل قبوين صغيرين من النوع الإسطواني ، يمتدان من الشمال إلى الجنوب ، ويتعامد عليهما قبو ثالث من نفس النوع يمتد من الشرق إلى الغرب وجميعها من الطوب الأحمر المكسور بالبياض (١٩) . هنا أيضاً الأرضية مشغولة بالركام والسلال المكسورة المنقولة . ليس هناك شك في أن هذه الحجرة محصنة ربما بقصد الاحتفاظ بالميرور أو بالكتب أو المهمات الكنسية (٢٠) .

التاريخ المحتمل للكنيسة وملحقاتها :

ليست هناك قرينة واضحة لتحديد تاريخ هذه الكنيسة . وفي اعتقادنا ، إذا كان الإنهيار الذي قرر مصير هذا الدير حدث في منتصف القرن الرابع عشر فلا بد أن هذا البناء كان قائماً قبل هذه الكارثة . وإذا قررنا أنها هي الكنيسة الجامعة فلا بد أنها كانت قائمة قبل سنة ١٣٣٠ م عندما قيل أن أنبا بنيامين الثاني (البابا الثاني والثمانين) قد زارها . أما تاريخ ملحقاتها فعلياً أن نستقره في مبانها .

تاريخ القبو الطوي الكبير والباب الرابع :

القبو العظيم المبنى بالطوب الأحمر الذي يغطي القسم البحري من الخورس والصحن معاً لا بد أن نعتبره معاصراً بصفة مبدئية لمثيله الكائن في الباكية الوسطى في مائدة الدير (٢١) - وإن كان أصغر حجماً . هذه المائدة بلا شك من زمن بناء مائدة دير أنبا بيشوي والتي تحدد تاريخها بالقرن الثاني عشر حينما صار البناء بالطوب المكشوف بغير بياض عملية مألوقة ، كما هو في عقود القصر في هذا الدير وفي دير أنبا بيشوي . ومع هذا فيوجد سبب يجعلنا نفضل تأخير هذا البناء إلى القرن التالي وهو الباب الرابع الكائن في الجانب البحري للخورس . فالمستطيلات المحفورة على جانبي عتب المدخل وزخرفة النجمة ذات الستة الأطراف التي هي أساس التصميم الزخرفي تحوي داخلها نجمة أصغر في وسطها بواسطة أشكال سداسية متناسبة ، هي نفس الحركة الزخرفية المتكررة في مصبغات المصيص بدير البرموس ، وأيضاً في بعض الحشوات الخشبية التي أعيد استعمالها في أحجبة كنيسة العذراء بالقصر هنا . إذن كل من القبو والباب ينتسب إلى القرن الثالث عشر .

(١٩) يحتمل أن تكون هي القلاية التي حفظت بها أجساد التسعة والأربعين شهيداً وكانت ملحقة بكنيسة المغبوط أريستوماخس ، أو كمخزن طارىء للميرور .

(٢٠) أضيفت هذه الحجرات للمبنى العام كملحقات للكنيسة ، فاستخدمت إحداها لعمل القربان ، والأخرى لتجهيز المجرمة للخدمة الكنسية . وأما الحجرة العليا فقد بقيت على حالها بعد نظافتها تماماً من الركام والمخلفات .

(٢١) النظرة الفاحصة للباكية الوسطى في مائدة الدير تكشف عن الفارق العظيم في المهارات الفنية للبناء ، وأن ما نُعمل من مائدة الدير كان تقليداً متأخراً للأصل في كنيسة الشهيد أباسخيرون .

تاريخ الهياكل:

أما الهيكلان الأوسط والقبلي فلاحهما المعمارية غير محددة، مما يجعلها من عصر متأخر، القرن الرابع عشر أو أكثر. ونحن هنا نقف أمام معضلة، فالمدخل الذي يوصل من الدهليز إلى الحجرات الشرقية الواقعة خلف الهيكل الأوسط يشترك في نفس الظاهرة المعمارية التي ترجع إلى القرن الثاني عشر والثالث عشر والتي فيها يترك الطوب الأحمر المكحول بعناية دون بياض لذلك يبقى الهيكل الأوسط دون قرار محدد.

عناصر أصيلة وأخرى متأخرة:

قد رأينا أن القبوين الإسطوانيين اللذين يغطيان الجزء القبلي من الخورس والصحن، مع الحائط الفاصل الذي يحملهما، يرجعان إلى عصر متأخر عن القبول البحري الكبير، ثم علقنا على الدهليز الغربي الذي يتوسط الهيكلين القبلي والأوسط. نعود إلى الدهليز فنلاحظ أن حائطه البحري — وهو القبلي للهيكل الأوسط — هو امتداد حائط العقد الكبير الذي على نهاية القبو من الجهة القبليّة، وأن في هذا الحائط يوجد مدخل من الطوب المكحول كما سبق ذكره (من القرن الثاني أو الثالث عشر) وعلى الجانب القبلي لهذا الدهليز لدينا هيكل من القرن الرابع عشر (؟) وغرفة خلفية لا شك أنها من نفس التاريخ. بالإضافة إلى هذا فالحوائط الغربية للهيكل القبلي وللجزء الجنوبي من الصحن تتقابل مع الحائط المعقود في لحامات رأسية يعني أنها ليست معشقة فيها. والإستنتاج واضح، الهيكل القبلي والأجزاء القبليّة من الخورس والصحن هي إضافات، والمقصود من الدهليز هو الوصول إلى الحجرات الخلفية الواقعة شرقي الهيكل الأوسط. وأن المدخل السني بالطوب المكحول كان قبلاً مدخلاً للهيكل الأوسط من الجهة القبليّة ثم امتنع استعماله بعد إضافة الهيكل الجديد — القبلي — وحجرته الخلفية.

فإذا حذفنا الجزء المضاف إلى الكنيسة، أمكننا التعرف على طبيعة استعمال الجزء الشمالي للصحن والخورس. فقد كان أصلاً مدخلاً فسيحاً بباكية كبيرة مفتوحة في واجهته القبليّة (٢٢) ومستقوفاً بقبور باعي بدلاً من القبة الكروية المفقوسة (٢٣) كالعادة. هذا المدخل الفخم يمكن اعتباره مدخلاً رئيسياً واحتفالياً للكنيسة الكبرى حيث يكون الباب المزخرف بالطوب الأحمر والدقيق الصناعة لأجل الدخول إلى صحنها. والهيكل البحري، كما رأينا سابقاً، فيه مدخل مسدود في حائطه البحري، كان بلا شك يؤدي إلى الكنيسة الكبرى، وفي هذه الحالة يمكن اعتباره ملحقاً بالكنيسة و يتعلق بالخدمة الطقسية فيها.

(٢٢) مثلها هو في دير أنبا بيشوي ودير السريان في كنيسة العذراء ثم في دير البرموس.

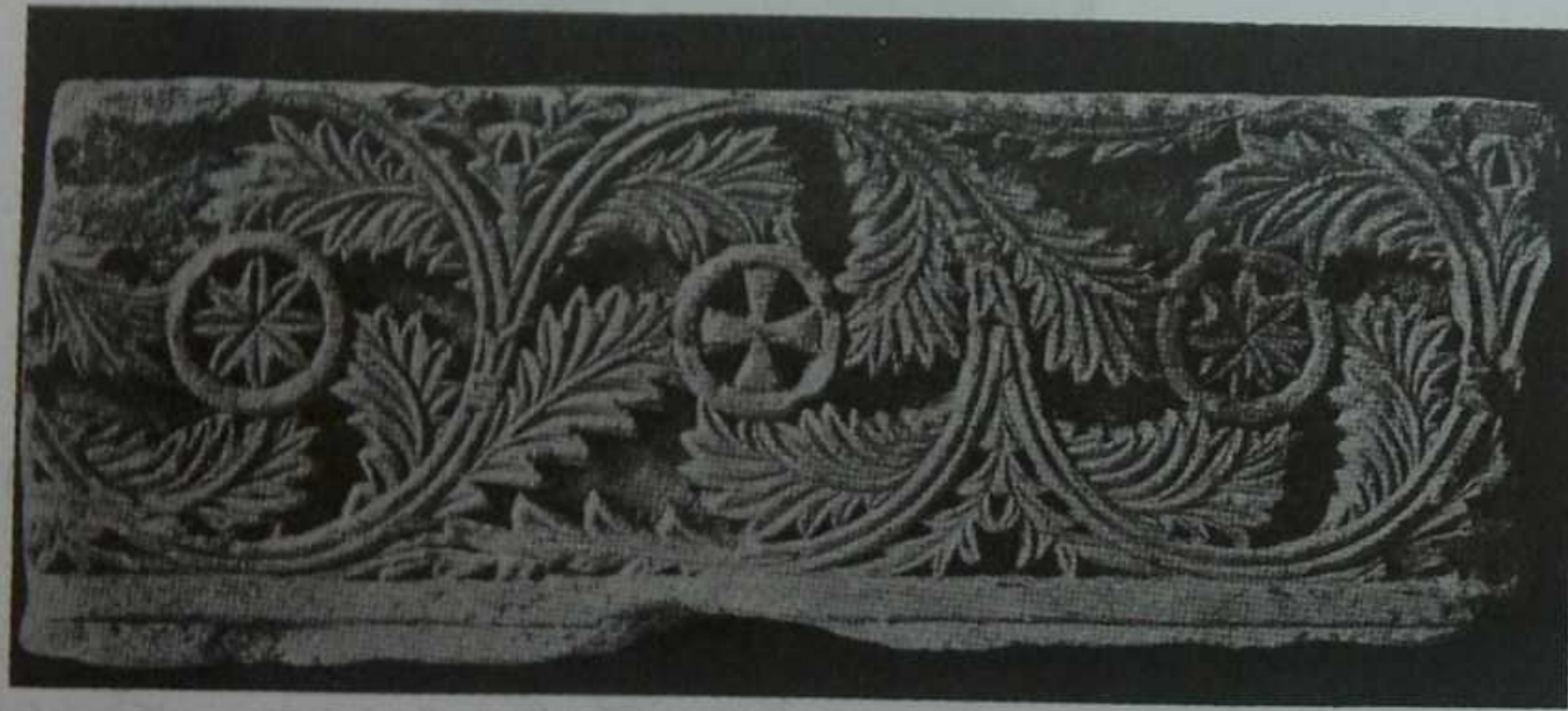
(٢٣) اتساع الرقعة المطلوب تغطيتها جعل من الأفضل استعمال القبو عن القبة.

أما الهيكل الأوسط فهناك احتمالان لإستعمالاته لا يمكن الجزم بأحدهما: أن يكون كله حجرة واحدة أو هيكلًا (في هذه الحالة يصير هو هيكل الفتية الثلاثة المذكور في القرن الرابع عشر)، وإما أن يكون حجرتين أو أكثر ثم انفتحت على بعضها.

أما الحجرات الواقعة خلف الهيكل الأوسط فلأجل عدم انتظام واجهتها الشرقية، فالأرجح أنها كانت ممتدة أكثر جهة الشرق. وهناك احتمال أنه كان في الجزء الواقع قبلي الكنيسة الكبرى صف من القلاي أو مباني المنافع ومتصلة حتى بوابة الدير (لوحة ٩٥).

هل هناك تعليل معقول لتحويل هذا المدخل إلى كنيسة؟

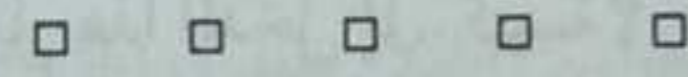
عند انهيار الحياة الديرية في القرن الرابع عشر، لجأ الرهبان الذين بقوا أحياء من القلاي الخارجية للإقامة داخل الأسوار. ورغم قلة عددهم نسبياً إلا أن الدير ضاق وقتئذ بهم بسبب المساحات الكبيرة التي كانت مشغولة بالكنيسة الكبرى بحري الدير، والمائدة والكنيسة الجامعة التي نفترض أنها كانت ملتصقة بها، قبلي الدير، ومن ثم لجأوا إلى تحويل الكنيسة السابقة — الجامعة — إلى قلاي لإقامتهم ثم فصلوا مدخل الكنيسة الكبرى وجعلوه كنيسة مستقلة لإجتماعهم عوضاً عن الأولى.



الفصل الخامس

كنيسة التسعة والأربعين شهيداً

شيوخ شهييت



الوصف العام:

كنيسة الشيوخ، أو شيوخ شهييت التسعة والأربعين، أقيمت تذكراً لإستشهاد الشيوخ الذين ذبحهم البربر مع الوزير وإبنه في غارتهم الثالثة سنة ٤٤٤ م على الإسقيط (١) وهي مبنى صغير يقع على الجانب الغربي للفناء البحري، وتشغل الزاوية البحرية الغربية للدير حيث يحيط بها مجموعة من القلاي والأبنية الأخرى (٢). وتستعمل هذه الكنيسة حالياً (زمن كتابة هذا الوصف أي سنة ١٩١١-١٩١٢)، مع الإثنتين الأخرين، أربعة شهور في السنة.

وهي من الطراز القصير، تتكون من بهو في الجهة القبلية الغربية، ثم صحن، وخورس يوازيه، وهيكل واحد فقط (اللوحة في الصفحة المقابلة). وفي زاويتها البحرية الشرقية يوجد غرفة لا سبيل للدخول إليها (٣)، فلا يمكن أن تكون هيكلًا جانبياً، كما يتصل بها من الزاوية القبلية الشرقية برج صغير للجرس، لكنه رائع والحجرة التي تقع قبل مدخل الكنيسة، وتشبه الدهليز، كانت مستعملة فرن القربان لهذه الكنيسة (٤).

الصحن:

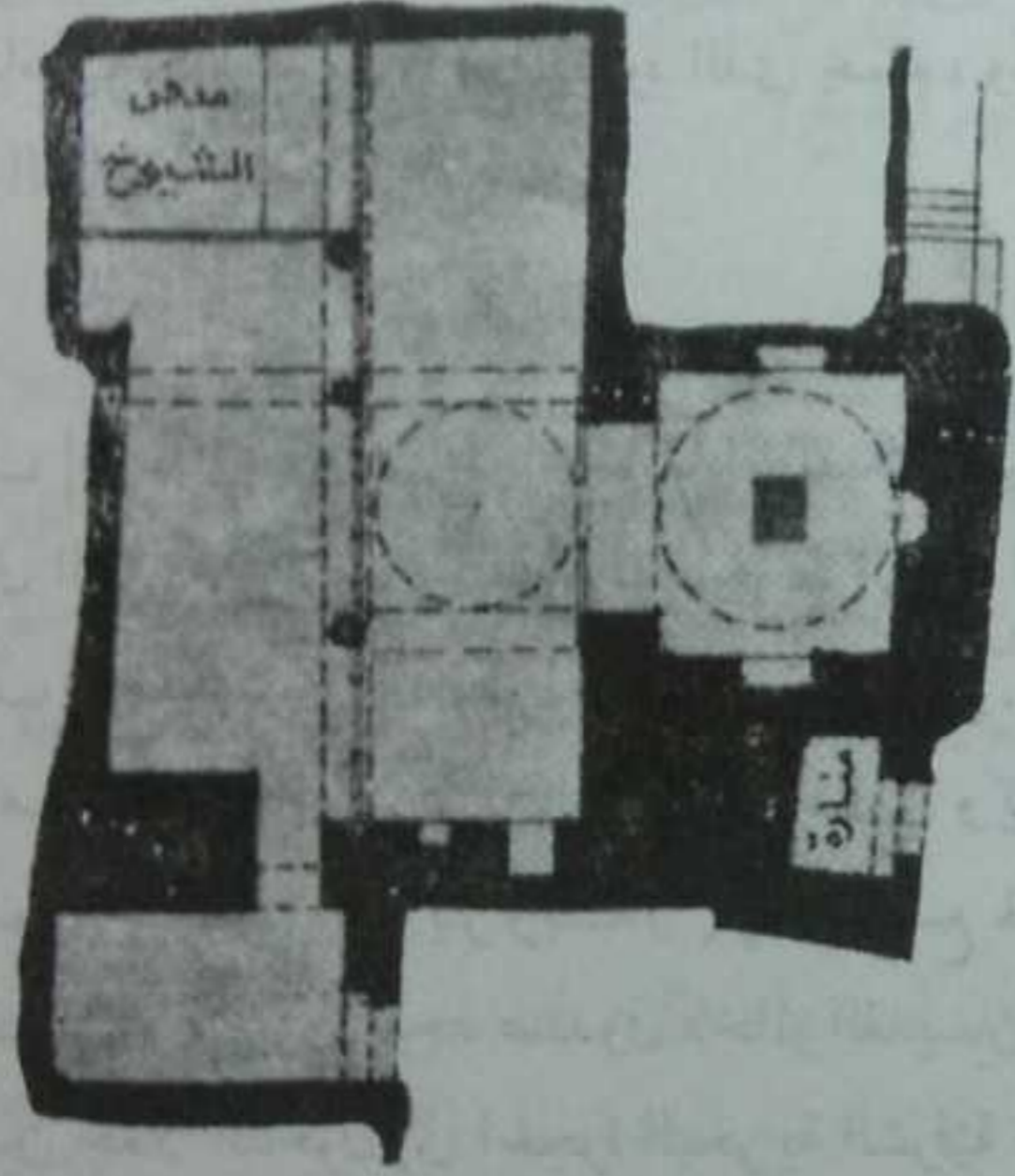
مغطى بقبون نصف إسطواني مدغم بعقد واحد مستعرض وينتهي من بحري بجاز خشبي، خلفه

(١) يقع تذكارهم في ٢٦ طوبة، والتحقيق التاريخي لهذه الواقعة مذكورة في H.N.S., I, X, S §7

(٢) أزيلت جميع المباني والقلاي المجاورة للكنيسة لما سببته من أضرار بالغة لسطحها (راجع صفحة ٥١٩)، مما اضطرنا إلى رفع جميع الأتربة والمواد المتحللة ثم صب سقف من الخرسانة المسلحة يشد قبوات الصحن ويقوي السقف الجريد ومدادات النخيل التي تغطي بهو المدخل.

(٣) بعد رفع صندوق ذخائر القديسين الذي كان في الخورس تبين وجود باب لهذه الحجرة في طرفها البحري قنا بفتحه كما فتحنا باباً ثانياً على هيكل الكنيسة وتوسيع الطاقة الصغيرة الموجودة في حائطها الشرقي للإضاءة والتهوية. وقد ظهر أن سقفها هو قبو مستطيل مبني بالحجارة ومبيض بالمحارة.

(٤) تهدمت هذه الحجرة بسبب تداعياها من كثرة الحرائق التي نشبت فيها.



دير القديس أنبا مقار

مسقط أفقي

كنيسة الـ ٤٩ شهيداً شيوخ شهييت

ترتفع الأرضية مكونة مصطبة يرقد تحتها أجساد التسعة والأربعين شهيداً شيوخ شبيبت. وأما من الشرق فيفصله عن الخورس أربع بواكي على أبعاد غير متساوية، تحمل قبواً نصف إسطواني آخر فوق إثنتين من البواكي يشغلها حاجز خشبي يفصل الصحن عن الخورس. والثلاثة الأعمدة الغليظة الرخامية التي تحمل هذه البواكي تستحق الملاحظة. فقواعدها مدفونة في الأرض، وجسمها الإسطواني ارتفاعه ١٩٣ متر و يتكون من قطعتين يتراوح محيطها بين ٨٨ سم و ٩٣ سم مع أن ميل جوانبها غير ملحوظ. وأول هذه الأعمدة عليه صليب تكريس ذو ثمانية أطراف في واجهته القبليّة (٥). ولهذا العمود والعمود الذي يليه تاجان من قواعد أعمدة مقلوبة. أما تاج العمود البحري فهو من الرخام المنقوش بورقة أكانثس زخرفية رائعة رغم تشوبه بالدهان الأحمر الحديث. وهذا التاج تتناسب مقاساته تماماً مع العمود الذي يحمله، وهو صورة طبق الأصل من تاج العمود الكبير الملقى في الفناء (٦).

الخورس:

مغطى بقبواً نصف إسطواني فيما عدا المساحة المقابلة للهيكل حيث تغطيها قبة محمولة على عقدين مستعرضين فوق العمودين الأول والثاني وعلى الحائط الشرقي للخورس. والمقببات التي أسفل القبة لها تجايف داخلية مزخرفة بخطوط طويلة من المصيص. وفي الطرف البحري من الخورس يوجد بروز غير منتظم من المباني طرفه العلوي ربع دائري وينتهي من أسفل في أرضية الخورس، ويقال أنه يحوي جسدي الوزير وإبنه (٧) إذ لم يتسع لهما مكان في مقبرة التسعة والأربعين شهيداً. ومقابل هذا البروز يوجد صندوق ذخائر القديسين الخشبي. هذا البروز مع صندوق أجساد القديسين جعل الدخول إلى الحجرة البحرية الشرقية مستحيلاً. ولاشك أنها لم تكن أبداً هيكلًا جانبيًا، فرمما كان الهدف من إقامتها أصلاً هو أن تكون مأوى لأجساد الشيوخ التسعة والأربعين، ولكن بسبب الظروف الطبيعية لهذه الأجساد صار دفنهم في الموضع الحالي

(٥) المفروض أن صليب التكريس يكون مواجهاً للغرب، وهو هنا منخفض جداً عن موضعه الطبيعي. هذه الدلائل تقطع بأن الأعمدة هنا منقولة وليست أصلية.

(٦) يتضح من هذا الوصف أن الهيكل الإنشائي للكنيسة يستند بصفة أساسية على الثلاثة الأعمدة المنقولة، وكل منها يتركب من جزئين إسطوانيين مثبتان معاً بخوابير خشبية، كما أن نَقَط ارتكاز العقود فوق تيجان الأعمدة هي قطع من الخشب المقوى بأسافين خشبية رقيقة. فإذا حدثت أي هزة في المنطقة، وهو أمر كثير الحدوث نتيجة وجود طائرات تدرىب تحترق حاجز الصوت، فقد تنهار قباب الكنيسة وقبواتها. لذلك كان يتحتم عمل تقويات بأعمدة وعقود خرسانية تحيط بجواني كل عمود وتمتد إلى أعلى لتسند عقود الطوب الأحمر الحاملة لسقف الكنيسة. وأعيد بياضها من الداخل بنفس أسلوب ولون البياض الأثري، كما أضيف لها «ذكصار»، خارجي حسب التقليد المعماري لكنائس الأديرة وبذلك احتفظت الكنيسة بملامحها القديمة.

(٧) عند ترميم الكنيسة فحصنا هذا البروز فوجدناه كتلة من الدقشوم والطين منفصلاً تماماً عن الحائط البحري الملاصق له، فتأكدنا أنه من عصر متأخر، ولا يُعقل أن يكون بداخله أية ذخائر كما يزعمون، وأثناء إزالته عثرنا بداخله على قصاصة من ورق الجرائد تحدثت عن أبناء الحرب العالمية الثانية مما يعني أنه قد أعيد بناؤه بعد رؤية المؤلف إفلين هوابت له سنة ١٩٢٠ م.

أفضل.

الهيكل:

له حجاب من الخشب مقسم بحشوات صغيرة مستوية مدهونة بألوان زيتية، وعليه تاريخ إقامته سنة ١٥٨٢ ش (١٨٦٦ م). وعقد مدخل الهيكل عليه تجليد خشبي كالموجود في هيكل أنبا بنيامين وليست عليه آثار لرسومات. قبة الهيكل كروية تغطي مساحته المربعة وتحملها أربعة مقببات كل منها ذات ثلاثة أطراف. والمنفذ الوحيد لإضاءة الهيكل هو طاقة صغيرة في شرق القبة، وهي مغلقة (٨). فالصلاة والتقديس كانا يتمان على ضوء الشموع فقط. و يوجد بجوار صندوق القديسين حامل شموع من الحديد بسيط الشكل دقيق الصناعة ارتفاعه ١٢٨ مترًا، ربما كان موضعه الأصلي إلى جوار المذبح.

برج الجرس:

وعوض الهيكل القبلي المعتاد في سائر الكنائس، نجد هنا كتلاً من المباني المصمتة تشغل موضعه. وفي الزاوية القبليّة الشرقية مُقام برج للجرس، وهو مبنى بسيط مفرغ من الداخل. والجرس الوحيد داخله من البرونز، ارتفاعه ٤٥ سم وقطر فتحة ٤١ سم، لا توجد عليه أية نقوش أو كتابات أو علامة المصنع. وبساطة صناعته وشكله توحى بأنه صناعة محلية.

تاريخ الكنيسة:

لا نستطيع تحديد مكان استشهاد هؤلاء القديسين حيث كانت أجسادهم محفوظة حتى القرن السابع. ولكننا نعلم أنه وقت تجميع السنكسار (القرن الثالث عشر؟) كانت الأجساد محفوظة في قلاية «بهميه ابسييت» خارج القسطنطينية. وفي مصادر القرن الرابع عشر، فإن البطريرك بالرغم من أنه كان يقيم داخل القسطنطينية، لكن ليس هناك أي ذكر لزيارته كنيسة الشيوخ، بينما ذكرت زيارته لمغارة الآباء، التي كانت قطعاً خارج القسطنطينية؛ وربما هي مكان نياح هؤلاء الشهداء، فقد كانت أحد الأماكن الهامة في موكب أحد الشعانين. إذن فحتى القرن الرابع عشر لم تكن الأجساد داخل الدير، ولم يكن لهم بالتالي كنيسة.

وفي القرن التالي، عند انهيار الحياة الديرية في القلاية الخارجية، يبدو أنه لم تُبن لهم كنيسة خاصة لأن الأب سيكار في أوائل القرن الثامن عشر يقول أنه لم يشاهد في الدير سوى كنيستين فقط. والرهبان يؤكدون بقوة أن الأجساد كانت محفوظة في قلاية مجاورة لقلاية البطريرك المقابلة للقصر، ثم نقلت من هناك إلى الكنيسة. هذا التقليد لا بد أن له أصلاً واقعياً ولا بد أن نقبله كحقيقة. ويؤكد رهبان دير أنبا بيشوي أن هذه الكنيسة قد بنيت منذ مائتي سنة، أي حوالي سنة

(٨) تم فتح هذه الطاقة وتركيب شبك زجاجي عليها لإنارة الهيكل.

ولكنيسة أباسخيرون، منخفضة عن الحالية مسافة متر واحد^(١).
أما قلالي الصف الغربي فبالتأكيد ليست قديمة.

الركن البحري الغربي:

يحتوي على مجموعة غير منتظمة من المباني، بعضها في مستوى الأرض والبعض الآخر في الطابق العلوي^(٢). من النوع الأول حجرة كبيرة للتخزين «مخزن البصل»، وجزؤها القبلي يمكن الدخول إليه، أما باقيها فقد أُغلق. وقد شاهد بطرنا حجرة كبيرة بقبة تستعمل لطحن الدقيق، كما يؤكد الرهبان أن البئر كان قديماً في هذه الناحية من الدير^(٣)، ولكن أبطل استعماله وصار ردمه. وكل من الطاحونة والبئر لا بد أن يكون في الطابق الأرضي بسبب طبيعة استعمال كل منها. أما البئر فيحتمل أن يكون موقعه أسفل الحجرة المقبية «غرفة الميرون» التي بالطابق العلوي.

والطابق العلوي لم يبق منه إلا قلايتان، وغرفة في الناحية الغربية. القلايتان سقط سقفها وهو من نوع القبو الإسطواني، في حين أن الغرفة ذات القبة مازالت قائمة، وهي فسيحة مربعة تقريباً. والسقف قبة عالية مدببة^(٤) من الطوب الأحمر يحملها في الزاويتين البحرية الشرقية والبحرية الغربية مقببات ثلاثية الشكل، في حين أنها محمولة على بروزات مثلثة خارجة عن الحوائط في الزاويتين الأخرين^(٥).

ولا يمكن أن تكون هذه الغرفة هكذا قائمة وحدها، ففي حائطها القبلي عقد عالي وعريض من الطوب الأحمر أُغلق في وقت متأخر فيما عدا فتحة صغيرة هي مدخلها الحالي، لكن قديماً كانت تؤدي إلى حجرة مماثلة. وفي أرضيتها توجد فتحة مستديرة ربما كان القصد منها تيسير رفع المياه من البئر القديم أسفلها.

(١) عند إزالة جزء من القلاي الشرقية، اتضح صحة الرأي الثاني للمؤلف إقلين هويت. فقد اكتشفنا في أرضيتها امتداد الدرجات الثلاث التي في الحائط الشرقي، وهي درجات الهياكل القبلي الضائعة، لذلك تأكدنا أن صف القلاي الشرقية من عصر متأخر.

(٢) تحولت هذه الحجرات في منتصف هذا القرن للأسف إلى دورات مياه أضرت بالأسوار ضرراً بليغاً.

(٣) لاشك أنه بسبب هذه البئر كان بروز الزاوية البحرية الغربية عن سائر السور البحري للدير.

(٤) رغم دقة المؤلف في وصف المباني عموماً، إلا أن هذه القبة نصف كروية وليست مدببة، كما يذكر.

(٥) نشج عن تسرب تصريف دورات المياه التي أقيمت في هذه الناحية أن أصيبت «قبة الميرون» بشرخين خطيرين، أحدهما قُسمها إلى نصفين يبتعد الواحد عن الآخر مسافة تزيد عن ١٠ سم، لذلك أقيمت لها أكتاف ودعامات ضخمة بالحرسانة تحتضن عقد المدخل، ثم تبتدء مسلحة تحمل غطاءً خرسانياً يغلّف القبة المصابة ويشد الطوب الأحمر إليه. وهذه الطريقة التأم جزءاً القبة وأمكن حفظها من الإنهيار (راجع ملزمة الصور من هذا الكتاب).

ومع أنها حالياً (زمن بعثة إقلين هويت) تستعمل لصناعة الشمع إلا أنها لم تصمم لهذا الغرض أصلاً. بل يمكننا القول أنها هي «القلاية» المذكورة في مخطوطات القرن الرابع عشر حيث كان فيها يطبخ الميرون. والسلم المؤدي إليها هو نفسه المذكور في كتاب الميرون^(٦).

قلاية البطريرك:

في نهاية صف القلاي الشرقية يوجد بناء صغير غير منتظم مقابل بوابة الدير (زمن بعثة إقلين هويت)، له قيمة تاريخية، وربما كان متصلاً بالركن القبلي الشرقي للكنيسة الكبرى. القسم البحري منه قلاية ذات سقف مقبي مماثلة لسائر قلاي هذا الصف إلا أنها أكثر اتساعاً ومن غير محبسة. ويقول عنها الرهبان أنها كانت قلاية البطريرك^(٧)، وفي الطرف الشرقي لحائطها البحري باب صغير يؤدي إلى حجرة بقبونها نصف اسطواني متعامد على القبو السابق وأرضيتها ترتفع ٦٠ سم عما حولها. والشيء الوحيد الملفت للنظر هو عقد من الطوب في نهاية القبو القبلي. وبقايا السقف تدل على أنه كان من عروق متوازية من الخشب. وبواسطة باب منخفض في النهاية البحرية للحائط الغربي يمكن الوصول إلى حجرة موازية لقلاية البطريرك منقسمة إلى طابقين منخفضين أحدهما يعلو الآخر. والحائط الخارجي لهذا الجزء حديث كما أن جانبه الغربي البارز أزيل سنة ١٩١١ لتيسير بناء بيت الضيوف. في هذه الغرفة ذات الطابقين، يقول الرهبان، أن أجساد التسعة والأربعين شيخاً كانت محفوظة فيها إلى أن بنيت كنيستهم الحالية^(٨).

مباني الدير القبلي

الناحية القبليّة الشرقية:

من مباني المنافع العامة — قلاي الرهبان، أماكن إيواء الزوار، مخازن — التي لا بد أنها كانت في الجهة القبليّة من الدير، لم يتبقّ أي أثر على الأرض، وربما يظهر شيء مدفون تحت تلال الأتربة والمخلفات المتراكمة هناك. والمبنى القديم الوحيد الباقي هنا هو بالتحديد غرفة العجين والمائدة. على يمين البوابة التي في هذا الجزء، بين البوابة والقصر الجديد، توجد بقايا حوائط قديمة غير محددة، أقيمت بينها قبينة لحرق الطوب والجبس وطاحونة الجبس. والأخيرة عبارة عن أرضية مسطحة مستديرة الشكل يتوسطها قائم خشبي يعمل كمحور، يدور حوله ذراع خشبي كبير طرفه

(٦) نظراً لكرامة هذا المكان المقدس الذي كان يتم فيه تكريس الميرون ما ينيف على تسعة قرون متوالية، أزيل ما حوله من مباني وبنى أمامه صحن صغير وأقيم للهيكل حجاب تقليدي جديد.

(٧) يستحيل أن تكون قلاية البطريرك في القرن الرابع عشر، إذ قيل أن البطريرك كان يصعد إلى قلايته وينزل منها بواسطة سلم.

(٨) عند هدم السور الشرقي القديم استبقينا بعض قلاي القبو الملاصقة له لتبقى نموذجاً لقلاي القرن الثامن عشر، وهي التي تقع قبلي كنيسة أنبا مقار الحالية.

الخارجي يمر في مركز حجر دائري ضخمة من الجرانيت. وتعمل هذه الطاحونة مثل الساقية بواسطة ثور، وحجر الرحى المستعمل من جرانيت أسوان الأحمر قطره يتراوح بين ٩٠ سم و ١١٠ متر وسمكه بين ٣٠ و ٣٥ سم. وهو - مع آخر مماثلة ملقى في هذا الفناء - جزء من أعمدة منقولة من معبد فرعوني كان بالدلتا. وهي مع الأحجار التي مازالت ملقاة خارج البوابة في كل دير ترينا أنها كانت من أجل تأمين مداخل الأديرة ضد الهجمات (٩).

الطافوس:

أسفل الحائط القبلي للحصن تتراكم كمية كبيرة من الأحجار والمخلفات، تأخذ في الإرتفاع الشديد التدرج نحو السور القبلي للدير حيث موقع تشوين الحطب الذي كان يستخدمه الرهبان في الوقود. وفي نهايته من أعلى تمتد مصطبة موازية للسور القبلي حتى مبنى المائدة القديمة، هذه المصطبة هي الطافوس الذي (كان) يستعمله الرهبان كمقبرة، والدخول إليه عن طريق باب مدفون، وربما كان في الأصل مبنى قديماً خرباً (١٠).

ويتوسط المسافة القبلية الشرقية طاحونة غلال بمظلة للثور الذي يديرها، وبجوارها اصطبل. وهذه كلها مباني حديثة فقيرة (١١). وفي الإصطبل يوجد جرن كبير من الرخام ربما كان لحفظ الميرون، ارتفاعه ٧٠ سم وله طرف سفلي بيضاوي الشكل بدون قاعدة، وعنقه قصير، وأعلى حافة عريضة، وفيه ثقب دقيق محشو بالرصاص (١٢).

المائدة:

وتقع قرب الطرف القبلي الغربي للدير، ويجاورها من شرق حجرة صغيرة بسقف مسطح هي المطبخ القديم، وهو غير مستعمل كما أنه ليس أصلياً بالتأكيد. كما يوجد في طرفها البحري الشرقي فرن القربان الذي أقيم في أوائل هذا القرن. أما المساحة المحصورة بين الحائط الغربي للمائدة والركن القبلي الغربي لأسوار الدير فيغطيها الرديم بارتفاع كبير، حتى أنه أقيم فوقه قلالي

(٩) بعد رفع تلال الأتربة والمخلفات المتراكمة لم يظهر تحتها أي شيء. أما حجارة الطواحين الضخمة فإزال محفظاً بها في الفناء قبلي الحصن.

(١٠) استعمل هذا الطافوس للدفن بعد القرن الرابع عشر، عصر الإنحصار داخل الأسوار، وهو عبارة عن حجرة متسعة ذات سقف مقبي بالحجارة. وقد أحيط حالياً بجوانب جديدة تمهيداً لوضع لوحة رخامية تذكارية تُنقش عليها أوشية (صلاة) الراقدين ويوضع أمامها قنديل مضاء، إحياءً للطقس القديم الذي كان البطارقة يمارسونه في القرون الوسطى في أسبوع الآلام برفع البخور أمام مدافن الآباء بالدير.

(١١) نلقت النظر إلى أن هذه الأوصاف هي لمباني كانت قائمة سنة ١٩٢٠ م وغير موجودة الآن.

(١٢) الحقيقة أن هذا الجرن هو من الحجر الصلب المنحوت، وموضوع حالياً في قلاية ملحقة بكنيسة أنبا مقار الحالية قبلي هيكل الثلاثة فتية لاستعماله جرن معمودية. ولا يحتل استعماله لحفظ زيت الميرون لعدم وجود أية آثار تدل على وجود زيت داخله.

حديثه (١٣).

والدخول إلى المائدة عن طريق باب في طرفها البحري الغربي. والمائدة هي عبارة عن صالة طويلة ضيقة مقسمة إلى خمس بواكي، اثنتان منها في الجهة البحرية يغطيها قبو إسطواني مكسو بالبياض، بينما الباكية الثالثة أي الوسطى عليها قبور باعي من الطوب الأحمر المكشوف والملصوق بالمونة البيضاء، أما الباكيتان الرابعة والخامسة فلها قبتان منخفضتان. وبسبب تريح العقد الذي بين الباكيتين الرابعة والخامسة فقد أقيم تحته عمود من الخشب لتدعيمه، له تاج من الرخام المنحوت وقاعدة رخامية مربعة طول ضلعها ٣٣ سم وارتفاعها ٤٧ سم. أما ترابيزة المائدة ذاتها فبنية بالحجارة ومنخفضة، وارتفاعها عن الأرض ٤٧ سم فقط، ربما بسبب رفع الأرضية، ولعل هذا أيضاً هو سبب اختفاء المقاعد. وينتهي طرفها البحري بانحناء على شكل ثلاث أرباع دائرة. ويتخلل المائدة عند الباكية الرابعة ممر للعبور من جانب إلى الآخر، وتضاء من فتحتين في قباب الباكيتين الرابعة والخامسة، ومن فتحات في حائطها الشرقي.

وفي الجانب الشرقي أيضاً ارتدادات موزعة توزعاً منتظماً، بينما لا يوجد مثلها في الجانب الغربي إلا في الباكيتين الثانية والثالثة، وربما كانت توجد ارتدادات أخرى اختفت تحت طبقة البياض الحديث. ويحتمل أن الإرتدادان اللذين في الباكيتين الثانية والثالثة أيضاً كانا مدخلين، إذ أن عمقها يصل إلى كامل سُمك الحائط. هذا يرجح الظن أن المائدة هنا كما في دير أنبا بيشوي كانت في وقت ما مزدوجة، فكان يوجد مبنى آخر موازي في جانب المائدة الغربي، ويجوز أن آثاره اختفت تحت كميات الرديم التي تغطي مساحة الركن القبلي الغربي للدير. وقطعاً فإن مائدة بهذا الحجم تبدو ضئيلة بالنسبة لدير مزدحم بالرهبان كهذا الدير؛ فإن صح هذا الإحتمال فلا بد أنها انتهت قبيل العصور الوسطى. فالرهبان يحكون حتى الآن عن تقليد متواتر وهو أن الباب الغربي للمائدة والمغلق الآن كان يوصل إلى طافوس قديم، بل يمكننا الآن أن نربط بين هذا التقليد وبين ما ذكر في القرن الرابع عشر من أن عدداً من البطارقة كان مدفوناً في الحائط الغربي للدير (١٤).

تصميم هذه المائدة والسماوات المعمارية للثلاث البواكي القبلية فيها كثير من الشبه بمائدة دير

(١٣) جميع هذه المباني والقلالي المتأخرة أزيلت في العصر الحالي.

(١٤) أثناء إزالة السور الغربي للدير تتبعنا بدقة العمل فيه لعلنا نعر على مقبرة البطارقة هذه فلم نجد شيئاً. ولا شك أن أجسادهم قد رُفعت من مقبرتهم في السور الغربي في زمن تكريس هياكل الحصن أي أوائل القرن السادس عشر (راجع ص ٦٠٥) ثم جيء بها سنة ١٩٣١ لتحتفظ في الصندوق الزجاجي بكنيسة أنبا مقار إلى أن عملت لهم مقصورة خاصة في صحن الكنيسة الحالي بعد تجديدها.

أنبا بيشوي، حتى أنه من المؤكد أنها من عصر واحد. فنظام السقف واحد في الإثنين، فيما عدا أن المائدة هنا مغطاة في قسمها البحري بقبوسطواني، ولا شك أنه قد استعوض به عن قبتين كانتا تغطيان هذا الجزء ثم سقطتا لسبب ما. فإذا كنا نرجح أن مائدة دير أنبا بيشوي ترجع إلى القرن الحادي عشر أو الثاني عشر، يكون هو أيضاً تاريخ هذه المائدة.

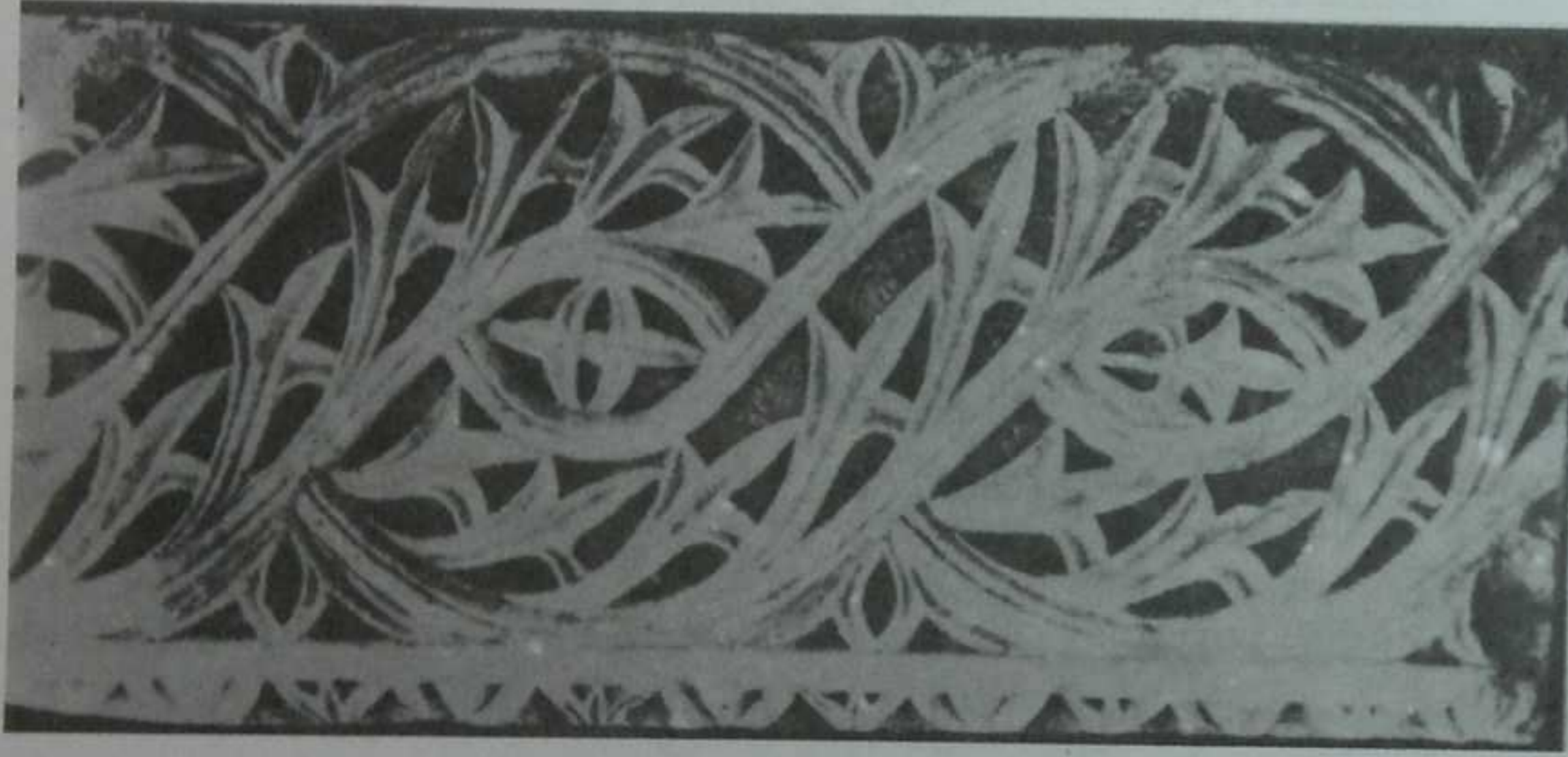
لا شك أن موضع المائدة في هذا المكان من الدير شاذ، ففي كل الأديرة نراها متصلة بالحائط الغربي للكنيسة، ومن خلال المائدة يمكن الوصول إلى الكنيسة، بينما هنا نراها قائمة وحدها. لذلك يُظن أن الكنيسة الجامعة كانت قائمة شرقي المائدة. ولسوء الحظ لا يمكن التحقق من هذا الرأي بسبب كميات الرديم الهائلة التي تغطي هذا الجزء. وحتى إذا صح هذا الظن يبقى انفصال المائدة عن الكنيسة الكبرى أمراً غير مألوف إلا إذا قلنا أنها حلت محل مائدة أخرى كانت قائمة قبلي الكنيسة الكبرى أو في طرفها القبلي الغربي. ومن الجائر أن يكون باقياً من هذه المائدة ذاك الأثر الكائن في الغرفة المستعملة حالياً في العجين والتي تقع بحري المطبخ الحالي. هذه الغرفة مغطاة بقبوسطواني تتخلله ثلاث فتحات دائرية للتهوية في قته. وقرب حائطها الغربي توجد ثلاث قدور كبيرة دائرية عميقة من الحجارة يتم فيها العجين والتخمير، ويبعد عنها شرقاً بمسافة ٥٠ سم مصطبة ارتفاعها ٣٥ سم ممتدة حتى نهاية الغرفة حيث يطرح عليها الخبز بعد تقطيعه وقبل دخوله الفرن. في هذه الغرفة يوجد من الدلائل ما يجعلنا نشك في أن المصطبة والقدور هي إضافات متأخرة. ومقاسات هذه الغرفة وطابعها الإنشائي وقرنها من الكنيسة الكبرى يجعلنا نرجح أنها كانت جزءاً من المائدة القديمة، أما الباقي فكان يمتد نحو الشرق فوق المساحة قبلي كنيسة أباسخيرون، وإما أنها كانت تشغل الفراغ الذي بين الحائط الغربي لكنيسة أباسخيرون وبين صف القلاي الغربي الحالي— وفي هذه الحالة يكون سقفها عبارة عن سلسلة عرضية من القباب الإسطوانية وهو نظام غير مألوف، ويحتمل أنه كان هناك دليل باقٍ يرجح هذا الرأي وهو حجر بارز (كابوي) ظاهر في الحائط الغربي لكنيسة أباسخيرون من الخارج قرب طرفها البحري، ربما كان ركيزة لقبوم هذا النوع^(١٥).

أما الخبز المجاور^(١٦) لحجرة العجين ومتصل بالمائدة بواسطة ممر فهو مجرد مساحة مسورة ومغطاة

(١٥) لا شك أن المائدة كانت أصلاً متصلة بمبنى كنيسة القديس أباسخيرون، وحجمها أضعاف الحجم الحالي. فلما تهدمت أعاد الرهبان بناءها في القرن الحادي عشر/ الثاني عشر بشكلها الحالي محافظة على التقليد القديم للرهبنة في دير أنبا مقار. ولأهميتها من هذه الناحية أخلبت مما حولها من مباني ثم أحيطت من الخارج ببواكي سميكة من مباني الحجر تحددت مواضعها بدقة لتتلقى كسح العقود والقباب الداخلية ثم تم تغليف سطحها العلوي بالخرسانة المسلحة بعد تنظيفه لضمان التصاق السطح القديم بالخرسانة الجديدة.

(١٦) جميع هذه المباني من مخبز ومعجن ومطبخ قد أزيلت تماماً في زمن متأخر. وقد أقيم بدلاً منها حديقة موالح سنة ١٩٥٢ م. وهذه أيضاً أزيلت بسبب الأضرار البليغة التي نشأت عن مياه الري والتي تسببت في تصدع المباني الأثرية المحيطة.

بسقف مسطح من الخشب وأعواد البردي وبداخله فرن مربع الشكل للخبز في الزاوية القبليّة الغربية. مثل هذا المبنى الصغير يستحيل أن يكون مخبزاً لدير عامر بالرهبان. لذلك فهو حديث رغم حوائطه التي يبدو عليها القدم.



كورنيس لأوراق نباتية زخرفية
(من حفريات دير باو يبط)

شهادات معاصرة من العلماء والمسؤولين في هيئة الآثار المصرية
تحكي عن انطباعاتهم لما شاهدوه من اهتمام بترميم آثار الدير...

« ... علمت من بعض كبار رجال الآثار المعدودين اليوم، وكذلك من رجال الفنون أيضاً، أن برية شبيبت قد استردت الكثير من مجدها الأمثل وأصبحت تزخر بعمائر هائلة وترميمات وإصلاحات رائعة لأهم أماكنها الأثرية الخالدة... وسنحت لي الفرصة بزيارة المنطقة المباركة المذكورة فرأيت أكثر كثيراً مما سمعت، عمائر ومنشآت وأسواراً هائلة روعيت فيها المحافظة على الطراز القبطي في تنفيذها، وترميمات هائلة للمباني الأثرية ولكل ما هو قديم، أنجزت بوسائل دقيقة تنتزع الإعجاب، ولا يمكن إنجاز مثل هذه الأعمال ومشاريعها إلا على يد مجموعة من جهابذة في فن العمار ونخبة من فطاحل رجال الآثار والفنون... »

٢٣ ديسمبر ١٩٧٤

إمضاء

رؤوف حبيب

مدير المتحف القبطي الأسبق

« ... أعجبنا أنا ومرافقين، مصريين وأجانب، أشد الإعجاب بالمجهود العظيم المبذول من السادة الرهبان وعلى رأسهم الأب متى المسكين في أعمال الترميم والإصلاح والتشييد. ونرجو للدير كل خير وللقائمين على العمل دوام التوفيق. وإن هيئة الآثار لفي أتم استعداد للمعاونة في هذا العمل الكبير. »

١٨ / ٨ / ٧٥

إمضاء

د. جمال مختار

رئيس الهيئة العامة للآثار

« ... عرجنا على دير أبو مقار لنرى الإصلاحات التي تجري. وكان أعظم ما رأيناه هو المحافظة على القديم بكل احترام، مع ابتكار الجديد الذي يتمشى مع عظمة القديم... »

١١ / ٥ / ١٩٧٦

إمضاء

عباس عباس الشناوي

مفتش الآثار الإسلامية والقبطية

« ... توقفت لفترة قصيرة لأرى العمل الجديد في دير أنبا مقار وقد انفلتت للغاية ولا بد أنني سأعود ثانية بسرعة لأتابع التقدم لأن الأهمية العلمية للإكتشافات الجديدة هنا ذات قيمة عالية. أنا متأثر للغاية للإهتمام الذي يعطيه الأب متى المسكين ورهبانه للآثار... » (١)

١١ / ٥ / ٧٦

إمضاء

د. مهندس بيتر جروسمان

معهد الآثار الألماني بالقاهرة

« ... حضرت لزيارة دير القديس أنبا مقار ومعني بعثة الآثار ودكتور بيتر جروسمان عضو المعهد الألماني للآثار. وقد وضعنا خطة العمل التي ستبدأ بإذن الله في شهر يوليو القادم وذلك لعلاج الزخارف الفريدة الموجودة في قباب كنيسة الدير (٢) وكذلك الزخارف المكتشفة بمعرفة السادة المسؤولين عن الدير (٣) وعلى رأسهم الأب الجليل متى المسكين. وأرجو أن نتعاون سوياً لإظهار الكنيسة الفريدة بما يليق مع حالة الدير الحالية الجميلة. »

١٠ / ٦ / ١٩٧٦

د. بيتر جروسمان

عباس عباس الشناوي

محمد عبد الستار عثمان

معهد الآثار الألماني

مفتش الآثار الإسلامية والقبطية

مفتش آثار

حسان عبد النبي
مراقب عام الشؤون الهندسية
عبد الرحمن عبد التواب
مراقب عام الشؤون الفنية
مدير عام الآثار الإسلامية والقبطية

« ... عدنا لدير القديس العظيم أبو مقار ولاحظنا التقدم المستمر في العمل، وتقرر استمرار إصلاح القصر القديم (الحصن) وتم التفاهم مع سلطات الدير وبين المسؤولين بالآثار على منهج العمل وأسلوبه... »

٢٨ / ٨ / ٧٥

إمضاء

عبد الرحمن عبد التواب

مدير عام الآثار الإسلامية والقبطية

ونختم هذه الشهادات بتقرير اللجنة التي شكلتها هيئة الآثار المصرية لمعاينة الكشف الأثري عن رفات القديسين أليشع النبي ويوحنا المعمدان، وكانت مؤلفة برئاسة مدير عام الآثار

(١) مترجمة عن اللغة الإنجليزية.

(٢) المقصود هي الفرسكات الموجودة في هيكل أنبا بنيامين.

(٣) وهي الموجودة على الحائط الغربي لهيكل أنبا بنيامين وأيضاً المرسومة على الثلاث الدرجات في الناحية الشرقية لهيكل الثلاث فنية الحالي بكنيسة أنبا مقار.

الإسلامية والقبطية مع خمسة مفتشين آثار من الهيئة :

« ... مما زاد سرورنا ما شاهدناه من حرص بالغ على ترميم الأماكن القديمة الأثرية مما يبرهن على عبقرية فذة في المحافظة على الآثار وتعتبر مدرسة متقدمة يجب أن يتعلم منها كل دارس لترميم الآثار. »

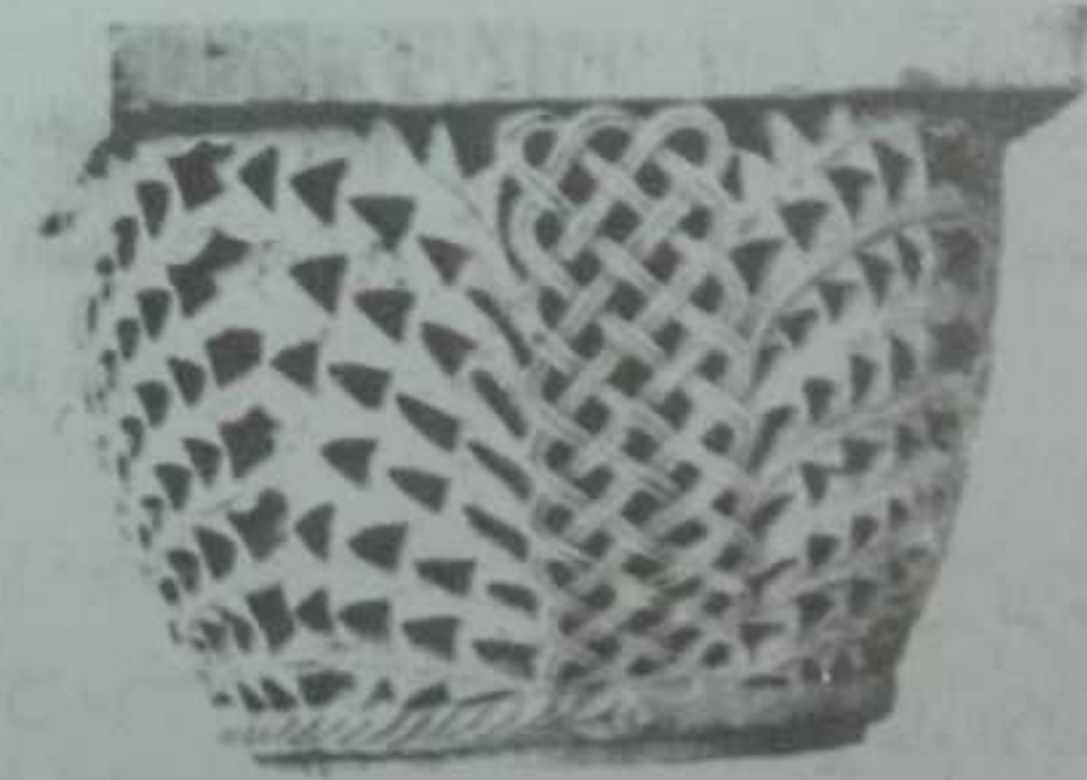
سليمان أحمد سليمان

١٩٧٨ / ١١ / ١٦

المدير العام للآثار الإسلامية والقبطية

وترجع أهمية التقرير السابق إلى أنه جاء عقب انتهاء جميع أعمال الترميمات والإصلاحات في المباني الأثرية بالدير، شاملة الحصن (القصر القديم) والمائدة الأثرية وكنيسة أنبا مقار وباقي الكنائس بعد تجديدها وتوسيعها، وكلها تشهد بالجهد الجبار والحساسية المتناهية في تقدير أبعاد كل عملية وقياس خطورة كل تصدع؛ ثم أولاً وقبل كل شيء الإلهام المستنير المبني على الدقة العلمية التي تحسب جميع الاحتمالات، وكان الله حارساً لكل خطوة ومباركاً على كل جهد لعمارة دياره المقدسة.

□□□□□



تاج لأحد الأعمدة، زخرفته الأساسية ورقة الأكانثس الهندسية الشكل ذات الحفر العميق

يرجع إلى القرن السادس / السابع

[من دير أبنا إرميا بسقارة - معروض بالمتحف القبطي]

البطاركة والأساقفة

الذين خرجوا من دير القديس أنبا مقار على ممر العصور

مع لحة تاريخية عن رؤساء دير القديس أنبا مقار والكنائس التي بنيت

على اسم أنبا مقار في أنحاء البلاد

هذا البحث (من ص ٦٧٩ إلى ص ٧٠٠) أعده الأخ الشماس نبيه كامل داود. فله منا جزيل الشكر ومن الله عظيم الأجر ولينحه المسيح الصحة والعافية بصلوات قديسنا أنبا مقار.

أنبا كيرلس الكبير (عمود الدين) أول بطريرك تخرج من دير أنبا مقار:
يروى لنا كاتب السنكسار تحت يوم ٣ أبيب ما يؤكد لنا ذلك فيقول:

[في هذا اليوم تنيح لنا الأب كيرلس (الكبير ٢٤) عمود الدين ومصباح البيعة الأرثوذكسية و بطريرك مدينة الإسكندرية (٤١٢-٤٤٤ م). هذا القديس تروى عند خاله أنبا ثاوفيلس البطريرك على الإسكندرية الذي أرسله أولاً إلى دير القديس أبو مقار، فتعلم العلوم الإلهية وحفظ في خمس سنين جميع الكتب المقدسة، وأعطاه الرب نعمة وفهم قلب حتى كان إذا قرأ كتاباً دفعة واحدة يحفظه ظاهراً. ثم أرسله للأب سيرابيون الأسقف الفاضل فازداد حكمة وتدريب بالأمور الفاضلة. فلما أكمل جيداً أرسله إلى قلاية البطريرك ففرح به أنبا ثاوفيلس كثيراً وشكر الله الذي أعطاه ولداً هكذا فجعله يقرأ في قلايته، فكان إذا قرأ لا يشتهي أحد أن يسكت فلما تنيح الأب ثاوفيلس أجلسوا هذا الأب موضعه فاستضاءت بعلومه البيعة.] (١)

كان هذا الأب أول بطريرك يخرج من دير أبو مقار ثم تلاه بعد ذلك بطاركة عديدون حتى صار عددهم ٢٨ بطريركاً وصار بذلك أكثر الأديرة التي أخرجت عدداً من الآباء البطاركة لا يضاويه في هذا العدد أي دير آخر وذلك لسببين:

أولهما: لأنه كان مجمع رهبان برية شهيبت وموضع الحكمة العالية والصلاة الدائمة.

وثانيهما: لأنه كان بالحقيقة - من تاريخه وسير رهبانه - معقل الإيمان المستقيم والأرثوذكسية الحقّة.

البطاركة الذين خرجوا من دير أبو مقار (٢)

اسم البطريرك	ترتيبه في عداد بطاركة الكرسي الإسكندري	سنوات تولّيه البطريركية
١ - البابا كيرلس الأول الكبير عمود الدين	(٢٤)	(٤١٢-٤٤٤ م)
٢ - البابا يوحنا الأول	(٢٩)	(٤٩٦-٥٠٥ م)
٣ - البابا يوحنا الثالث السمودي	(٤٠)	(٦٨٠-٦٨٩ م)
٤ - البابا اسحق	(٤١)	(٦٩٠-٦٩٢ م)
٥ - البابا قسما الأول	(٤٤)	(٧٢٩-٧٣٠ م)
٦ - البابا ميخائيل الأول	(٤٦)	(٧٤٣-٧٦٧ م)
٧ - البابا مينا الأول	(٤٧)	(٧٦٧-٧٧٦ م)

(١) السنكسار لمؤلفه رينيه باسيه ص ١١٥٩.

(٢) قائمة هؤلاء البطاركة وتاريخ توليهم ونياحتهم نقلت عن كتاب: تاريخ وجدول بطاركة الإسكندرية القبط لكامل صالح نخلة.

٨ - البابا يوحنا الرابع	(٤٨)	(٧٧٧-٧٩٩ م)
٩ - البابا مرقس الثاني	(٤٩)	(٧٩٩-٨١٩ م)
١٠ - البابا يعقوب	(٥٠)	(٨١٩-٨٣٠ م)
١١ - البابا يوساب الأول	(٥٢)	(٨٣١-٨٤٩ م)
١٢ - البابا قسما الثاني	(٥٤)	(٨٥١-٨٥٨ م)
١٣ - البابا شنودة الأول	(٥٥)	(٨٥٩-٨٨٠ م)
١٤ - البابا خائيل الثالث	(٥٦)	(٨٨٠-٩٠٧ م)
١٥ - البابا غبريال الأول	(٥٧)	(٩٠٩-٩٢٠ م)
١٦ - البابا مقاره الأول	(٥٩)	(٩٣٢-٩٥٢ م)
١٧ - البابا مينا الثاني	(٦١)	(٩٥٦-٩٧٤ م)
١٨ - البابا فيلوثاوس	(٦٣)	(٩٧٩-١٠٠٣ م)
١٩ - البابا شنودة الثاني	(٦٥)	(١٠٣٢-١٠٤٦ م)
٢٠ - البابا كيرلس الثاني	(٦٧)	(١٠٧٨-١٠٩٢ م)
٢١ - البابا ميخائيل الثاني السنجاري	(٦٨)	(١٠٩٢-١١٠٢ م)
٢٢ - البابا مقاره الثاني	(٦٩)	(١١٠٢-١١٢٨ م)
٢٣ - البابا ميخائيل الثالث ابن الدنشتيري	(٧١)	(١١٤٥-١١٤٦ م)
٢٤ - البابا أثناسيوس الثالث بن كليل	(٧٦)	(١٢٥٠-١٢٦١ م)
٢٥ - البابا بطرس الخامس	(٨٣)	(١٣٤٠-١٣٤٨ م)
٢٦ - البابا مرقس الخامس	(٩٨)	(١٦٠٣-١٦١٩ م)
٢٧ - البابا متاؤس الثالث الطوخي	(١٠٠)	(١٦٣١-١٦٤٦ م)
٢٨ - البابا ديمتر يوس الثاني	(١١١)	(١٥ يونيو ١٨٦٢ - ١٨ يناير ١٨٧٠ م)

هذه القائمة تروى لنا في صمت وتأمل قصة ازدهار دير أبو مقار ودوره التاريخي طوال العصور الوسطى. فعظم الآباء البطاركة الذين أقيموا على الكرسي المرقسي الإسكندري منذ نهاية القرن السابع الميلادي حتى منتصف القرن الثاني عشر الميلادي، أي مدة خمسة قرون، ثلثي عدد من أقيم منهم في هذه الفترة وهم ٢١ بطريركاً (من رقم ٣ إلى رقم ٢٣) كانوا من هذا الدير وحده. وبالتالي لا بد أن هؤلاء الآباء البطاركة بدورهم في ذلك الوقت رسموا العديد من رهبان ديرهم (الذي كان مجمعاً للرهبان) أساقفة ومطارنة للكراسة المرقسية، فلا عجب بعد أن نسمع عن القديس أبو مقار أنه يلقب: «أبو البطاركة والأساقفة».

أولاً: الأساقفة الذين خرجوا من دير أبو مقار في العصور الوسطى

من الصعب حصرهم، فقديماً في الحياة الرهبانية لم يكن هناك شيء ما اسمه «راهب مقاري» وآخر «سرياني»، وثالث «برموسي»، فهذه ألفاظ دخيلة على الحياة النسكية التوحيدية. كانت كلمة «شيهيت» ذات المعنى والمغزى الروحي هي التي تجمعهم جغرافياً على طول وعرض هذه البرية التي تسمى الآن بوادي التطرون. بل وحتى كلمتا «أسقيط مقاريوس» و«جبل القديس أبو مقار» اللتان تردان في سير قديسي وأساقفة هذه البرية لا تعنيان بالضرورة الوضع الحالي لدير أبو مقار بل هي ألفاظ عامة تعني منهجاً في السلوك والحياة التعبدية في هذه البرية.

وفيما يلي نذكر ما أمكننا معرفته من أساقفة خرجوا من مجمع رهبان دير أبو مقار في العصور الوسطى مع خلاصة سيرهم:

١ - يوحنا أسقف البرلس:

وكان رئيساً على كنيسة أنبا مقار في أيام أنبا دانيال قص شيهيت (٥٠٠-٥٧٠ م)؛ وكان قبلاً يملك منزلاً للمسافرين (لوكاندة). ولما صار أسقفاً ظهرت عليه نعمة الله فكان كلما صعد على المذبح ليقدم صار وجهه كالنار. وهذا الأسقف هو الذي قاوم الميليتيين وطرد الرهبان التابعين لهم من شيهيت (٢).

٢ - زكريا أسقف صا:

كان رئيساً على قلاية دنشيري (٤)، ورسم «إيغومانس» حوالي عام ٦٧٥ م بعد نياحة أنبا يوثس القمص، ثم رُسم أسقفاً من البطريرك يوحنا الثالث (٤٠) (٦٨٠-٦٨٩ م) على مدينة صا (٥) ولكنه مرض بعد قليل واضطر للرجوع إلى شيهيت ثانية حيث قام على رعايته تلميذه اسحق (الذي صار فيما بعد البطريرك الـ ٤١) وتنيح قبل عام ٦٨٤ م (٦).

(٣) أنظر السنكسار، لباسه ٤٨٧ تحت ١٩ كيهك، إفلين هوابت، الجزء الثاني، ص ٢٤٩.

(٤) المعروفة الآن بدير أنبا زكريا الحرب إلى جوار دير أبو مقار.

(٥) هي اليوم ناحية صا الحجر بمركز بسيون بمحافظة الغربية.

(٦) راجع ما ورد عنه في تاريخ البطارقة، لناشره إيفيتس، المجلد الأول ج ٣ ص ١٩.

٣ - أبا يوحنا أسقف نقيوس (٧):

المؤرخ القبطي الشهير (٨)، ورُسم أسقفاً على نقيوس (٩) ربما في عهد البابا أغاثو (٣٩) (٦٦٢-٦٨٠ م)، ولكنه كان حاضراً وفاة البابا يوحنا الثالث (٤٠) (٦٨٠-٦٨٩ م). وعاصر البابوات اسحق (٤١) (٦٩٠-٦٩٢ م)، وسيمون الأول (٤٢) (٦٩٢-٧٠٠ م). وفي عهد هذا البطريرك الأخير عُين مديراً لأديرة وادي هيبب حوالي عام ٦٩٤ م. وفي عام ٦٩٨ م عُقد عليه مجمع في وادي هيبب بسبب أمره بضرب راهب وقع في الزنا في البرية فمات، وحكموا عليه بالوقف عن مباشرة عمله الكهنوتي ثم أقاموا آخراً عوضه اسمه مينا من دير أبو مقار وانقطعت أخباره بعد ذلك (١٠).

٤ - مينا أسقف نقيوس (أبشاتي):

أقيم عوض سلفه أبا يوحنا المدير، وهو كاتب سيرة البابا اسحق البطريرك الـ ٤١ (٦٩٠-٦٩٢ م). (١١)

٥ - الأب القديس أنبا مينا أسقف تمي:

يذكره السنكسار يوم ٧ هاتور، وكان من سمهود وترك امرأته التي أُجبر على الزواج بها، وذهب إلى دير أنبا أنطونيوس هو وزميله ميخائيل الذي صار فيما بعد البابا ميخائيل (٤٦). ثم تركا ديرهما إلى دير أبو مقار وتعلمذا للقديسين أنبا أبرآم وأنبا جاورجه. وقد رُسم على مدينة تيمي (١٢) في زمن البطريرك سمعان الأول (٤٢) (٦٩٢-٧٠٠ م). وقد بكى وحزن وأصابه المرض لتركه البرية. وكانت له موهبة شفاء الأمراض وصار أباً لأربعة بطارقة هم: ألكسندروس الـ ٤٣، وقسا الأول الـ ٤٤، وتاودورس الـ ٤٥، وميخائيل الـ ٤٦ (٧٤٣-٧٦٧ م) زميله في الرهبنة (١٣).

٦ - أبا تادرس الأسقف المترانوس أسقف مصر:

كان أرشيدياكون بيعة القديس أبو مقار بوادي هيبب، ورُسم أسقفاً على مصر (أي على حصن بابلليون والفسطاط بمصر القديمة بالقاهرة) في وقت لا نعلمه. وأول ما نسمع عن أخباره

(٧) أنظر تراجم حياة المؤرخين في نهاية الكتاب.

(8) Chronique de Jean, évêque de Nikiou, Texte Ethiopienne publié et traduit par M.H. Zotenberg, Paris 1883-Clark; The Chronicle of John, Bishop of Nikiu, London 1916 (English translation only).

(٩) اندثرت وحل محلها الآن ناحية زاوية رزين بمركز منوف - محافظة المنوفية.

(١٠) راجع ما ورد عنه في تاريخ البطارقة، لناشره إيفيتس، المجلد الأول ج ٣ ص ٢٠ و ٢٢ و ٣٣.

(١١) راجع ما ورد عنه في: تاريخ البطارقة، لناشره إيفيتس، المجلد الأول ج ٣ ص ٣٤.

(١٢) هي اليوم ناحية تمي الأمديد بمركز السنبلوين بمحافظة الدقهلية.

(١٣) راجع ما ورد عنه في السنكسار العربي اليعقوبي، لناشره رينيه باسيه، طبع باريس عام ١٩٢٩ ص ٢٥٨ (١٨٢) يوم ٧ هاتور؛ وتاريخ البطارقة، لناشره إيفيتس، ج ٣ ص ١٠٦ و ١١٠ و ١١١.

كان بعد نياحة البابا تاودورس الـ ٤٥ في عام ٧٤٢م على أنه أكبر الأساقفة، واشترك مع البابا خائيل (٤٦) في تحمل الآلام والإضطهاد من الأمويين عند فتح جيوش العباسيين لمصر في عام ٧٥٠م. ولا نعرف خبر نياحته. وهو أول الثلاثة الأساقفة الذين جلسوا واحداً بعد واحد وكل منهم اسمه تادرس على كرسي مصر (١٤).

٧ - بطرس أسقف ترنوط (١٥):

هذا الأسقف أول مرة نسمع عنه كان بعد نياحة البطريرك تاودورس (٤٥) في عام ٧٤٢م فكان ضمن المشتركين في اختيار خلف له، ولما كانت المناقشات تطول في هذا الأمر كان ينفرد عن الأساقفة لضعفه وكبر سنه، كما ورد عنه أنه أقام جميع أيامه في برية أبو مقار، وهو حسن السيرة جيد الفعال. وكان أيضاً يقيم في بيعة السيدة بجبل أوسيم المقدس في دير نهيا (١٦) الذي في برّ الجزيرة غربي مصر. ومعلوم تاريخياً أن هذا الدير كان وقتئذ بمثابة محل ترحال ووصول للقوافل إلى دير أبو مقار. وبصفته أسقفاً على ترنوط لابد أن هذا الأسقف كان مسئولاً عن الإشراف على هذا الدير (البعيد عن دائرة مقر كرسيه) وعلى دير أبو مقار وبالتالي لابد أنه منه. وأخيراً اشترك في رسامة البابا خائيل الـ ٤٦ في عام ٧٤٣م وبعد ذلك لا نقف له على أي خبر (١٧).

٨ - بطرس أسقف بوصير:

هذا الأسقف استلم كرسيه في مدة فتح العباسيين لمصر وتخليصها من يد الأمويين في عام ٧٥٠م، وقد شارك أباه البطريرك خائيل الـ ٤٦ آلام الحبس والضيق من الأمويين. ويقول عنه في ذلك كاتب سير البطارقة: [وولده الروحاني أسقف بوصير (١٨) واسمه بطرس الذي أخذ الكرسي في تلك الأيام]. فعالباً كان من دير أبو مقار كأبيه البطريرك. ولم نقف له على أي أخبار أخرى غير هذه. (١٩)

٩ - الشماس جرجه الذي أخذ كرسي البسراط (٢٠):

أخبار هذا الأسقف هي بنفسها أخبار بطرس أسقف بوصير، فقد كان أيضاً: [ولد الأب

(١٤) راجع ما ورد عنه في تاريخ البطارقة، لناشره إيفيتس، ج ٣ ص ١٠٤ و ١٠٦ و ١٠٧ و ١٠٩ و ١١٣ و ١٢٠ و ١٣٥ و ١٩٤، ج ٤ ص ٥١٩.

(١٥) هي اليوم ناحية الطرانة مركز كوم حمادة بمحافظة البحيرة وتقع شمال الخطاطبة بنحو ٨ كم.

(١٦) ظل هذا الدير عامراً حتى عام ١٣٧٤م ثم خرب بعد ذلك (٩). ويذكره المقرئ يزي (ت ١٤٤١م) على أنه خراب في وقته وأثاره تقع بجبل أبو رواش إلى جوار قرية نهيا بمركز إمبابة محافظة الجزيرة.

(١٧) راجع ما ورد عنه في تاريخ البطارقة، لناشره إيفيتس، ج ٣ ص ١٠٦ و ١٠٧ و ١٠٩ و ١١٢.

(١٨) هي اليوم ناحية بوصير بنا بمركز سمند بمحافظة الغربية.

(١٩) راجع ما ورد عنه في تاريخ البطارقة، لناشره إيفيتس، ج ٣ ص ١٧٩.

(٢٠) هي اليوم ناحية البسراط بمركز المنزلة بمحافظة الدقهلية.

(ميخائيل الـ ٤٦) الروحاني]؛ ولكنه غالباً أخذ هذا الكرسي بعد انتهاء الفتح العباسي لمصر عام ٧٥٠م بعد أن شارك في آلام الحبس والضيق. وغالباً كان من دير أبو مقار كأبيه البطريرك، ولم نقف له على أخبار أخرى (٢١).

١٠ - الأب ايماخس أسقف مدينة الفرما (٢٢):

ورد ذكره أسقفاً في مدة بطريركية خائيل (٤٦) وذلك بعد الفتح العباسي لمصر الذي تم في عام ٧٥٠م وغالباً هو الإيغومانس ايماخوس من دير القديس أبو مقار ثم أقام بدير السيدة مريم قرب تنيس (٢٣) حتى استحق الأسقفية فيما بعد وورد خبره في سيرة البطريرك ثيودوسيوس (٤٥) (٢٤).

١١ - أنبا جاورجي أسقف مصر:

كان ابناً خاصاً لأنبا خائيل الـ ٤٦ (٧٤٣-٧٦٧م)، وأقيم إيغومانس على دير أبو مقار (٢٥) إلى أن رُسم أسقفاً على كرسي مصر من أنبا ميخائيل الأول الـ ٤٧ (٧٦٧-٧٧٦م)، وكان رجلاً قديساً رحوماً محباً للصدقة. وأقام زماناً عظيماً على الكرسي الأسقفي يرعى شعبه بطهر وعفاف إلى أن تنسح في عهد البابا يوحنا الرابع الـ ٤٨ (٧٧٧-٧٩٩م) بعد أن شاهد نقل جسد أنبا مقار إلى ديريه في ١٢ أغسطس سنة ٧٩٣م.

١٢ - قسماً أسقف مصر:

كان الإبن الروحي للبابا يوحنا الرابع الـ ٤٨ (٧٧٧-٧٩٩م) فرسمه أسقفاً للمصريين فأقام أياماً ومات. وغالباً كان هذا الأسقف من دير أبو مقار لأن أباه الروحي هو البطريرك الذي رسمه من دير أبو مقار (٢٥).

١٣ - أنبا سيمون أسقف بنا (٢٦):

وكان من أولاد البابا شنودة الأول البطريرك الـ ٥٥ (٨٥٩-٨٨٠م) ورسمه أسقفاً في أواخر مدة بطريركيته. ولأن هذا البطريرك كان من دير أبو مقار، فبالتالي يكون هذا الأسقف

(٢١) راجع ما ورد عنه في تاريخ البطارقة، لناشره إيفيتس، ج ٣ ص ١٧٩ و ١٨٠.

(٢٢) اندثرت وأثارها تعرف اليوم بتل الفرما على بعد ٣ كم من ساحل البحر الأبيض بسيناء، ٢٣ كم شرقي محطة الطينة الواقعة على السكة الحديدية التي بين الإسماعيلية وبور سعيد.

(٢٣) اندثرت وأثارها تقع في كوم تنيس في جزيرة تنيس ببحيرة المنزلة، وتقع هذه الجزيرة في جنوب غربي مدينة بورسعيد على بعد ٩ كم منها.

(٢٤) راجع ما ورد عنه في تاريخ البطارقة، لناشره إيفيتس، ج ٣ ص ١٠٢ و ٢٠٢-٢٠٣.

(٢٥) راجع ما ورد عنه في تاريخ البطارقة، لناشره إيفيتس، ج ٤ ص ٣٩٧.

(٢٦) هي اليوم ناحية بنا - أبو صير بمركز سمند بمحافظة الغربية.

من نفس الدير أيضاً. وقد احتل مع أبيه البطريرك العذاب والإهانة بسبب وشاية أحد الرهبان لدى حكام ذلك الوقت، ولم نقف له بعد ذلك على أخبار أخرى (٢٧).

١٤ - أنبا مقاره أسقف منوف العليا (٢٨) كاتب السنودس:

عاصر هذا الأب الأسقف كلاً من البابا فيلوثاوس البطريرك (٦٣) (٩٧٩-١٠٠٣ م) والبابا زخارياس البطريرك (٦٤) (١٠٠٤-١٠٣٢ م). وغالباً كان من دير أبو مقار، وأمامنا في ذلك دليلان:

الأول: عندما توفي أخوه الجسداني أنبا مينا أسقف طانة، أشار على البابا فيلوثاوس (٦٣) بأن يرسم في محله الراهب الشيخ يوحنا بمنشوية ذكر قفري التابعة لدير أبو مقار (٢٩).

الثاني: بناؤه اشكينا على إسم أبو مقار قبلي هيكل بنيامين بدير أبو مقار في مدة بطريركية زخارياس (٦٤) وذلك من المال الذي تركه له أخوه أنبا مينا أسقف طانة بعد نياحته. وقد روى لنا ذلك إثنان من المؤرخين الكنسيين هما:

أ - ميخائيل أسقف تنيس في تاريخ البطاركة فيقول: [لما قال هذا خرجت روحه فكفنه ودفنه ثم قرأ الرقعة فوجد في المكان عشرة آلاف دينار، وكان مقاره أخوه رجلاً جيداً فأخذ المال وبنى به اشكينا على إسم أبو مقار بوادي هبيب وهو الهيكل الحسن قبلي هيكل بنيامين فأنفق عليه ثلاثة آلاف دينار وتصدق بجملة كبيرة بيعاً كثيرة في ريف مصر.] (٣٠)

ب - أبو المكارم المؤرخ القبطي في مخطوطة على الكنائس والأديرة (المؤلفة نحو ١٢٠٩ م) يقول: [والإشكينا الذي قبلي هيكل بنيامين أنشأه أنبا مقاره أسقف منوف من المال الذي وجده للأسقف مينا في بطريركية زخارياس الرابع والسنتين في العدد. وقيل أن المال الذي وُجد أحد عشر ألف دينار.] (Fol. 65)

١٥ - الراهب الشيخ يوحنا، أسقف طانة (٣١):

ورد عنه في تاريخ البطاركة أن البابا فيلوثاوس الـ ٦٣ (٩٧٩-١٠٠٣ م) ما أن تسلم البطريركية، وتنيح وقتئذ أنبا مينا أسقف طانة، حتى عمل بمشورة أنبا مقاره أسقف منوف العليا وكاتب السنودس وأخي ذلك الأسقف المتنيح فرسم الأب الروحي لهذا البطريرك وهو الراهب

(٢٧) راجع ما ورد عنه في تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية، طبع جمعية الآثار القبطية، المجلد ٢ ج ١ ص ٦٢ و ٦٥ و ٦٦.

(٢٨) هي اليوم مدينة منوف بمحافظة المنوفية، وهي غير منوف السفلى التي تُعرف اليوم بـ «محلة منوف» بمركز طنطا بالغربية.

(٢٩) تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية، المجلد ٢ ج ٢ ص ١٠١ ما كتبه ميخائيل أسقف تنيس عام ٧٦٧ ش.

(٣٠) تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية، المجلد ٢ ج ٢ ص ١١٨ و ١١٩ ما كتبه ميخائيل أسقف تنيس عام ٧٦٧ ش.

(٣١) اندثرت ومكانها اليوم غير معروف بالضبط ولكن كان يقع شمالي دير الست دميانة (ببراري بلفاس)، وعلى مقربة من الملاحات على بحيرة البرلس.

الشيخ يوحنا بمنشوية ذكر قفري التابعة لدير أبو مقار أسقفاً لطانة (٣٢).

١٦ - القديس أنبا بفنوتيوس الأسقف:

تذكر هذا الأب يرد في السنكسار (٣٣) يوم ١١ بشنس وخلاصته أنه ترهب من صغره في أسقيط مقار يوس؛ وأجهد نفسه في فضائل عظيمة؛ وتعلم في البرية علم الكتابة وقوانين البيعة؛ وقُدِّم قسيساً فكث في البرية ٣٥ سنة. وشاع خبره، وولاه البابا فيلوثاوس الـ ٦٣ (٩٧٩-١٠٠٣ م) وقُدِّمه أسقفاً (على...؟) فكث فيها ٣٢ سنة وتنيح. ويحتمل أن يكون هذا الأب الأسقف هو نفسه الراهب الشيخ يوحنا الذي رُسم أسقفاً على طانة كما سبق ذكره. ولكن لا يوجد عندنا كلام واضح عن هذا.

١٧ - الراهب دانيال مطران الحبشة:

ورد عنه في تاريخ البطاركة أنه في أيام فيلوثاوس البطريرك الـ ٦٣ (٩٧٩-١٠٠٣ م) أرسل ملك الحبشة إلى ملك النوبة (وإسمه جرجس) كتاباً يطلب منه أن يساعده من جهة الأب البطريرك بمصر وأن يسأله أن يحال له ويحال بلاده ويقسم لهم مطراناً بعد الذي جرى مع المطران الذي كان في أيام أنبا قسما البطريرك السابق حتى جلس ٦ بطاركة لم يلتفتوا إلى بلاده وذلك خوفاً من أن ينقرض ويبطل دين النصرانية من عنده: [فلما وصلت الكتب إلى جرجس ملك النوبة ووقف عليها أنفذ من جهته كتباً ورسلاً إلى البطريرك فيلوثاوس وشرح له فيها جميع ما ذكره ملك الحبشة وسأله أن يترأف على شعبه، فأجاب سؤاله ورسم لهم راهباً من دير أبو مقار إسمه دانيال وأنفذه لهم مطراناً فقبلوه بفرح، وأزال الله عنهم الغضب.] (٣٤)

١٨ - الراهب القس يونس، أسقف كرسي الفرما:

كان قساً في اشكينا أبو مقار في أيام البابا زخارياس (٦٤) (١٠٠٤-١٠٣٢ م). ورُسم أسقفاً على الفرما في عهد البابا سانوتيوس (٦٥) (١٠٣٢-١٠٤٦ م) (٣٥)

١٩ - الراهب جرجس مطران الحبشة:

رسمه البابا ميخائيل (٦٨) مطراناً للحبشة في عام ٨١٨ ش (١١٠٢ م) وكان من رهبان دير

(٣٢) راجع ما ورد عنه في تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية، المجلد ٢ ج ٢ ص ١٠١ ما كتبه ميخائيل أسقف تنيس عام ٧٦٧ ش.

(٣٣) راجع ما ورد في السنكسار الغربي اليعقوبي، لناشره «رينيه باسيه»، طبع باريس، سنة ١٩٢٩، ص ١٠١٥.

(٣٤) راجع ما ورد عنه في تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية، المجلد ٢ ج ٢ ص ١١٤ - ما كتبه ميخائيل أسقف تنيس عام ٧٦٧ ش.

(٣٥) راجع تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية، المجلد ٢ ج ٢ ص ١٥٢-١٥٣، ١٥٦-١٥٧ ما كتبه ميخائيل أسقف تنيس عام ٧٦٧ ش.

٢٠ - أنبا يونس بن سنهاوت أسقف مصر:

رسمه البابا مقاره الثاني البطريرك (٦٩) وذلك في يوم الأحد ١٧ بابة سنة ٨٣٤ ش (١٤ أكتوبر سنة ١١١٧ م)، وهو من ناحية شبرا رحمة وترهبين بدير أبو مقار فعرف بإسم الشماس يونس بن سنهاوت وقد رُشح للأسقفية مرتين: الأولى عندما شغل الكرسي البطريركي بعد نياحة البابا ميخائيل (٦٨) في عام ٨١٩ ش (١١٠٢ م) ولكن اختير غيره، والثانية عندما شغل كرسي مصر، وفي هذه المرة وقعت عليه القرعة. وكانت نياحته في ربيع آخر عام ٥٢٨ هـ (أشير عام ٨٥٠ ش الموافق ١١٣٤ م) ودُفن في الحبش. (٣٧)

٢١ - يعقوب أسقف لقانة (٣٨) من البحيرة المعروف بالعداري.

٢٢ - أخصرستودلس أسقف فوه. (٣٩)

٢٣ - ميخائيل أسقف طننتنا. (٤٠)

هؤلاء الآباء الأساقفة الثلاثة، ورد ذكرهم في سيرة البابا ميخائيل بن دنشيري البطريرك (٧١) (١١٤٥-١١٤٦ م). فبعد نياحة البطريرك أنبا غبريال (البطريرك الـ ٧٠) قام الأساقفة المذكورين بتقديم الراهب يونس بن كدران قصباً على دير أبو مقار تمهيداً لترشيحه للبطريركية. ويرجح أنهم كانوا من نفس الدير وإلا ما كانوا يقدمون على خطوة تقديم مرشحهم للبطريركية فيجعلونه قبلها قصباً على الدير. (٤١)

٢٤ - أنبا يوحنا (المعروف بابن نفرا) أسقف طمويه (٤٢) وهو كرسي منف (٤٣):

كان هذا الأب الأسقف من قلاية دنشيري التابعة لمجمع دير أبو مقار. وأخباره كتبها إثنان من المؤرخين الكنسيين:

أولاً: البابا مرقس بن زرعة البطريرك الـ ٧٣ وكاتب سيرة البابا ميخائيل (٧١) المعروف

(٣٦) راجع تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية، المجلد ٢ ج ٣ ص ٢٤٧ ما كتبه عنه يوحنا ابن مساعد بن يحيى بن مينا المعروف بابن القلزمي الكاتب.

(٣٧) راجع ما ورد عنه في مخطوطة رقم ١٢ تاريخ، بالدار البطريركية بالأزبكية، ورقة ١٢١ ج - ١٢٧ ج، ورقة ١٣٣ ظ.

(٣٨) هي اليوم ناحية لقانة بمركز شبراخيت بمحافظة البحيرة.

(٣٩) هي اليوم مدينة فوه بمحافظة كفر الشيخ على البر الأيمن لفرع رشيد.

(٤٠) هي اليوم مدينة طنطا بالغربية.

(٤١) تاريخ البطاركة، مخطوطة رقم ١٢، بالدار البطريركية بالأزبكية ورقة ١٤٠ ظ.

(٤٢) هي ناحية طموه بالجيزة.

(٤٣) كرسي منف من أقدم الكراسي الأسقفية وظل مزدهراً حتى خربت المدينة في القرن التاسع الميلادي فانتقل إلى ناحية طموه.

بابن دنشيري (٢٩ يوليو سنة ١١٤٥ - ٢٩ مارس سنة ١١٤٦ م)؛ حيث يقول عن البطريرك (٧١): [وقدم في أيامه من الأساقفة خمسة أولهم المعروف بابن نفرا. وهذا كان من أولاد الأراخنة بمصر وترهب في دير أبو مقار وكان مقامه في قلاية هذا البطريرك (أي قلاية دنشيري). فقدم وهو صبي حديث السن جداً وصار شماساً في الاشكينا في أيام أنبا غبريال البطريرك (٧٠) واستمر مقامه به مدة. وقدمه أسقفاً قبل دخوله إلى مصر وتكريزه في دير الشمع (٤٤)... ومقدار عمره ثلاثون سنة على كرسي منف المعروف بمصر القديمة (٤٥)].

ثانياً: المؤرخ القبطي أبو المكارم في كتابه عن الكنائس والأديرة (١٢٠٩ م) يروي لنا عن خبرين في تاريخ حياة هذا الأسقف. الأول اشتراكه في يوليو سنة ١١٥٩ م في تعميد صائغ إسرائيلي يدعى أبو الفخر بن أزهر في كنيسة المرتوتى (٤٦) (وهي اليوم كنيسة العذراء بالمعادي). والثاني اشتراكه مع أنبا مرقس بن زرعة (البطريرك الـ ٧٣) في تكرر بيععة مار يعقوب بناحية البساتين التي كانت قبلاً في يد الأرمن ثم آلت إلى الأقباط في ٢١ يونيو ١١٧٦ م. ويلاحظ أن هذا المؤرخ يذكره بإسم أنبا يوحنا أسقف طمويه، فهو الذي كشف لنا عن إسمه الحقيقي في هذين الخبرين.

٢٥ - أنبا غبريال أسقف أسيوط الشهير بابن كاتب القوصية (الذي كان رئيساً لدير أبو مقار):

ورد ذكره في أيام البابا غبريال الخامس (٨٨) (١٤٠٩-١٤٢٧ م) عندما قدم من أورشليم أحد رجال الكهنوت الأنطاكي وإسمه مار باسيلوس بهنام لرسامته بطريركاً على كرسي أنطاكية للسريان الأرثوذكس، فقام البطريرك الإسكندري بعقد مجمع تقر فيه تكليف الآباء الأساقفة أنبا ميخائيل أسقف سمنود المعروف بالغمري وأنبا غبريال أسقف أسيوط هذا وأنبا كيرلس السرياني مطران القدس المعروف بإسم نيشان بالقيام بهذه الرسامة في بيعة القديس مرقوريوس أبوسيفين بحمي مصر القديمة. وقد تم هذا في عام ١١٢٨ ش (١٤١٢ م) بإسم مار أغناطيوس التاسع أو أغناطيوس بهنام الأول البطريرك (٨٢) في السريان. (٤٧)

(٤٤) اندثر وموقعه اليوم ناحية ميت شماس بالجيزة. ومنه كانت تبدأ القوافل الطالعة إلى دير أبو مقار مارة بدير جبل أوسيم (دير نيا)، وفيه كانت تحفظ أواني الميرون بعد عمله في دير أبو مقار.

(٤٥) مخطوطة رقم ١٢ تاريخ، بالدار البطريركية، ورقة ١٤٢ ظ - ١٤٣ ج.

(٤٦) راجع تاريخ أبوصالح الأرمني، لناشره إيفيتس، ورقة 44, B.

(٤٧) تاريخ بطاركة الكرسي الإسكندري الحلقة الرابعة ص ٧.

ما سبق هو ما استطعنا معرفته من أسماء أساقفة خرجوا من مجمع رهبان دير أبو مقار طوال العصور الوسطى. وهذه العصور انتهت في تاريخ مصر مع الفتح العثماني الذي تم في عام ١٥١٧م وأنهى عصر دولة سلاطين المماليك الجراكسة. أما عن الأخبار الكنسية التي تمت في هذا العام فقد وردت بكتاب فريد بدير أبو مقار يتضمن حوليات هامة تتعلق بتاريخ الدير وهو مخطوطة «تكريز وقانون هيكل بنيامين» ورد في المقدمة ورقة (١): [لما كان بتاريخ سنة ألف ومائتي وثلاثة وثلاثين للشهداء الأطهار السعداء الأبرار (١٥١٧م) رزقنا الله بركاتهم ورحمنا بطلباتهم أن طلع الأب السيد البطريرك أنبا يونس الرابع والتسعون إلى البرية المقدسة لحضور عيد الغطاس المجيد وصوم الأربعين المقدسة في دير القديس العظيم أبو مقار وصحبته أنبا باسيليوس أسقف كرسي زفتى وأنبا يونس الأدرنكي ومن كان بصحبتهم، وأقاموا في دير القديس أبو مقار مدة تقارب خمسة شهور، وقدم أنبا بطرس أسقفاً على كرسي منية صرد^(٤٨) وأنبا ميخائيل وأنبا يونس أسقفين أيضاً على كرسي المحرق (هكذا؟) ... وكان تكرر زهمهم في يوم الأحد الحادي والعشرين من شهر برمهاث سنة تاريخه (١٧ مارس ١٥١٧م).]

وفي الحقيقة لا نستطيع أن نقطع ما إذا كان هؤلاء الثلاثة الأساقفة الجدد من رهبان دير أبو مقار أو من غيره. كما أنه لم تجر العادة أن يرسم البطارقة أحداً من الأساقفة في الأديرة حتى لو كان دير أبو مقار نفسه. ولكن تفسير ذلك يرجع إلى أن هذه الفترة من الزمان التي كانت الجيوش العثمانية تقاتل فيها آخر سلاطين المماليك بمصر وهوطومانباي، وبسبب الحروب التي عمت الوجه البحري والقاهرة لجأ البطريرك وبعض الأساقفة للإقامة نحو خمسة أشهر بدير أبو مقار ورسامة بعض الأساقفة الجدد فيه ريثما تهدأ الأحوال. وقد بينت المخطوطة في ورقة ٢ هذا السبب في اقتضاب غير واضح بما يؤكد كلامنا: [وكان في تلك الأيام ضيق عظيم في العالم وفي المملكة يعني عن ذكره] انتهى.

ثانياً: الأساقفة الذين خرجوا من دير أبو مقار في العصر الحديث

مقدمة:

كان الوباء الأسود (الطاعون) الذي حل على أرض مصر في عام ١٣٤٩م كارثة عظيمة حلت على الشعب المصري وخاصة المسيحيين منهم، ودخل دير أبو مقار منذ ذلك الوقت في ظلمة

(٤٨) منية صرد هي اليوم بقسم شبرا الخيمة محافظة القليوبية.

تاريخية مما جعلنا لا نعرف من أخباره إلا القليل؛ وحتى هذا القليل لا يعطي لنا صورة مضيئة عن حال هذا الدير العريق، وإنما يعكس لنا الحالة القاتمة التي مرت بها الحياة النسكية في أديرة برية شبيهت كلها من ضعف واضمحلال. فبعد أن كان مجمع رهبان دير أبو مقار بقلاليه المتعددة المنفردة والتابعة له يضم المئات من الرهبان أصبح طوال العصر العثماني (من سنة ١٥١٧ إلى ١٨٠٥م)، بل وطوال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، لا يضم من الرهبان إلا أفراداً قلائل معدودين.

لذلك فابتداءً من الفتح العثماني لمصر عام ١٥١٧م حتى عام ١٨٨٠م تقرّباً لا نسمع أن أحداً من رهبان دير أبو مقار صار أسقفاً على أحد الكراسي الأسقفية.

البابا ديمتريوس الثاني البطريرك (١١١):

كان رئيساً على دير أبو مقار بإسم القمص ميخائيل جرجس، ولا نعرف متى استلم رئاسة هذا الدير. ولكن أقدم خبر له وهو رئيس عليه يرجع إلى ٢٣ أبريل سنة ١٨٥٣. ثم اختير بطريركاً على الكرسي المرقسي الإسكندري يوم الأحد ١٥ يونيو سنة ١٨٦٢ واستمر في هذا المنصب حتى تنيح يوم ١٨ يناير سنة ١٨٧٠م. وبعد أن اختير بطريركاً في ١٥ يونيو سنة ١٨٦٢ لم يقدم أحداً من رهبان الدير رئيساً عليه بل أخذ شقيقه القمص يوسف المحرق وجعله رئيساً على دير أبو مقار خلاف العادة المتبعة. ويبدو أنه طوال مدة بطريركيته لم يرسم أحداً من رهبان دير أبو مقار على أحد الكراسي الشاغرة.

□ □ □

أساقفة من دير أبو مقار ابتداءً من عام ١٨٨٠م

١ - أنبا ياكوبوس أسقف ومطران المنيا:

كان رئيساً على دير الست دميانة بإسم القمص مقار المقاري؛ ورسم أسقفاً على كرسي المنيا في عام ١٨٨٠م تقريباً؛ ورتي مطراناً في يوم الأحد ١٥ نوفمبر ١٨٩٦م؛ وتنيح يوم الثلاثاء ٢١ مارس ١٨٩٩م.

٢ - أنبا باسيليوس أسقف ومطران أوتيج:

وهو القمص يوحنا المقاري وكيل وقف الدير بمصر. وقد رسمه البابا كيرلس الخامس أسقفاً يوم الأحد ١٥ نوفمبر سنة ١٨٩٦؛ ورتاه مطراناً في الأحد ١٧ أكتوبر سنة ١٨٩٧؛ واستمر حتى ١٦ أغسطس سنة ١٩٢٠.

٣ - أنبا أبرآم أسقف ومطران البلينا:

وهو القمص فيلوثاوس المقاري رئيس الدير (١٨٩٦-١٩٠٢م)، ثم سكرتير البابا كيرلس

الخامس الذي رسمه أسقفاً يوم الأحد ٣ أبريل سنة ١٩٢١، ثم مطراناً يوم ٦ نوفمبر سنة ١٩٢١. وقد أنشأ مدرسة للرهبان والتلاميذ بعزبة الدير بأتريس؛ وطبع كتاب الصادق الأمين في أخبار القديسين (السنكسار) سنة ١٩١٣ ومواعظ القديس يوحنا فم الذهب وغيرها من الكتب الكنسية والطقسية؛ كما قام بإصلاحات في الدير لتعميره واستقرار الرهبان بالدير. وقد تتيح يوم ١٣ مايو سنة ١٩٤٣ م وله من العمر حوالي ٧٤ سنة قضى منها في الرهينة ٦٠ سنة تقريباً.

٤ - أنبا ميخائيل مطران أسيوط، ورئيس دير أنبا مقار حالياً:

وهو القمص متياس حنا المقاري وكيل وقف دير أبو مقار بالقاهرة. وقد ترهب سنة ١٩٣٩؛ ورسمه أنبا يوساب الثاني (البطريك الـ ١١٥) مطراناً على أسيوط في الأحد ٢٥ أغسطس سنة ١٩٤٦ م.

٥ - أنبا مينا مطران جرجا:

وهو القمص لوقا المقاري. وقد ترهب سنة ١٩٣٩؛ وصار أميناً على الدير في عام ١٩٤٣؛ وخدم كاهناً على كنيسة العذراء بإسنا (١٩٥٠-١٩٥٧ م)، ثم على كنيسة مار جرجس بمنشأة غالي بالدقهلية، ثم كنيسة مار جرجس بالعجوزة بالجيزة؛ إلى أن رُسم مطراناً على جرجا في يوم الأحد ٧ أغسطس سنة ١٩٦٠ م.

٦ - أنبا أندراوس أسقف دمياط:

وهو القمص موسى المقاري. وكان يعمل مهندساً ببلدية الإسكندرية قبل الرهينة؛ ثم انضم إلى سلك الرهينة في ١٦ أكتوبر سنة ١٩٥٤؛ وكان من الاثني عشر راهباً الذين عاشوا في برية وادي الريان من سنة ١٩٦٠ حتى سنة ١٩٦٩ حين انضموا إلى مجمع رهبان دير القديس أبو مقار. ثم اختير أسقفاً على دمياط وتمت رسامته يوم الأحد ٢١ ديسمبر سنة ١٩٦٩؛ وتتيح في ٤ أغسطس سنة ١٩٧٢.

٧ - أنبا تيموثاوس الأسقف العام:

راهب من دير القديس أنبا مقار، رُسم أسقفاً سنة ١٩٧٣.

ثالثاً: رؤساء دير أبو مقار خلال العصور الوسطى

١ - القمص يوثس بن كدران^(٤٩):

رسمه ثلاثة من الأساقفة قصاً ومدبراً لدير أبو مقار تمهيداً لترشيحه بطريركاً في الفترة بين

(٤٩) مخطوطة رقم ١٢ تاريخ، بالدار البطريركية، ورقة ١٤٠ ط.

عامي ١١٢٨-١١٣١ م عقب نياحة البابا مقاره الثاني البطريرك (٦٩).

٢ - أنبا جرجس إيغومانس دير أبو مقار^(٥٠):

وهو الذي قام بقراءة التحليل كالعادة المتبعة في الدير على البابا بطرس الخامس البطريرك (٨٣) (١٣٤٠-١٣٤٨ م) عند زيارته للدير في سنة ١٣٤٠ م، عقب رسامته لعمل الميرون المقدس.

٣ - القس يوسف رئيس دير أبو مقار^(٥١):

ورد اسمه في تاريخ عمل الميرون المقدس سنة ١٣٧٤ م في زمن البابا غبريال الرابع البطريرك (٨٦) (١٣٧٠-١٣٧٨ م).

٤ - أنبا غبريال أسقف أسيوط^(٥٢):

وكان رئيساً لدير أبو مقار قبل أسقفيته إلى ما قبل عام ١٤١٢ م.

٥ - الأب الراهب الناسك الإيغومانس المكرم يعقوب:

في مدة خدمة هذا الأب، أقام البابا يوثس الثالث عشر (البطريرك الـ ٩٤) مدة خمسة شهور في دير أبو مقار لحضور عيد الغطاس المجيد وصوم الأربعين المقدسة وذلك سنة ١٥١٧ م. وطوال هذه الفترة اجتهد في عمارة الأماكن المتهدمة بالدير وبجوسقه وتكريسها. (٥٣)

رابعاً: رؤساء دير أبو مقار خلال العصر العثماني والحديث

١ - القمص تادرس الطوخي:

كان رئيساً على الدير قبل اختياره بطريركاً بإسم البابا متاؤس الثالث البطريرك (١٠٠). (٥٤)

٢ - القمص بطرس:

كان رئيساً على الأربعة الأديرة في سنة ١٤٥٨ ش (١٧٤٢ م)؛ ثم أقيم أسقفاً على نقادة سنة ١٤٦٧ ش (١٧٥١ م)؛ ثم أصبح مطراناً لجرجا والصعيد الأعلى. (٥٥)

(٥٠) أديرة وادي النطرون، للدكتور منير شكري، ص ٢٩٧.

(٥١) مخطوطة ١٠٦ طقس، بالدار البطريركية، ورقة ١٥٠ أ.

(٥٢) سلسلة تاريخ البابوات بطاركة الكرسي الإسكندري، لكامل صالح نخلة، الحلقة الرابعة، ص ٩٧.

(٥٣) مخطوطة تكرر يس وقانون هيكل بنيامين، بمكتبة دير أنبا مقار رقم ٢٠٧ ط، ورقة ٢ ج بالمقدمة.

(٥٤) سلسلة تاريخ البابوات بطاركة الكرسي الإسكندري، الحلقة الرابعة، ص ٩٧.

(٥٥) وادي النطرون وأديرتيه، للأمير عمر طوسون، ص ١٨٨.

٣ - القس عطية:

كان رئيساً على الدير في عهد البابا يونس الثامن عشر البطريرك (١٠٧) (١٧٦٩-١٧٩٦م)، واشتهر بخطه الجميل فكان ينسخ الكتب نظير أجر ينفق منه على الدير وسد أعواز الرهبان؛ وله بمكتبة دير السريان قطمارس يخدم شهر بابة يرجع تاريخه إلى سنة ١٥٠٠ ش (١٧٨٤م). (٥٦)

٤ - القمص جرجس:

رافق هذا الأب قداسة البابا بطرس السابع الجاوي البطريرك (١٠٩) في السفر إلى الإسكندرية لتكريس بيعة مارمرقس الرسول في يوم الأحد ٧ بابة ١٥٣٥ ش (١٦ أكتوبر سنة ١٨١٨م) بعد أن كان الفرنسيون قد هدموها فأعاد عمارتها بفرمان من محمد علي باشا والي مصر وقتئذ. (٥٧)

٥ - القمص ميخائيل جرجس:

وقد كان رئيساً على الدير إلى ما قبل رسامته في ١٥ يونيو سنة ١٨٦٢ بطريركاً على الكرسي المرقسي بإسم البابا ديمتر يوس الثاني البطريرك (١١١). وأول ما نسمع عنه أنه حضر تكريس كنيسة العذراء المعروفة بالمغارة بدير السريان على يد أنبا إسكندر مطران الفيوم والبهنسا يوم أحد الشعانين ١٦ برمودة سنة ١٥٦٩ ش (٢٤ أبريل ١٨٥٣م). (٥٨)

+ ورد اسمه ضمن الموقعين على تزكية البابا كيرلس الرابع البطريرك ١١٠ بتاريخ يوم الأحد ٢٨ بشنس سنة ١٥٧٠ ش (٤ يونيو سنة ١٨٥٤م)، ومن بين الموقعين أيضاً القمص جرجس كاهن دير أبو مقار. (٥٩)

+ ورد اسمه على صورة العذراء حاملة أمام صدرها السيد المسيح وهو طفل وتحت رجلها ثعبان؛ وكانت بكنيسة الشيوخ، ومكتوب على يسار العذراء [راسم تلك الصورة الحقيق جرجس أحد رهبان دير القديس العظيم أبو مقار أب رهبان شيهات]؛ وعن يمينها: [وأبيه يسمى عبد المسيح وبلده تسمى السراقنة من كرسي صنوبجبل قزقام ورئيس يومئذ القمص ميخائيل من جلده على دير أبو مقار سنة ١٥٧٠ ش في ١٥ كيهك (٢٣ ديسمبر سنة ١٨٥٣م)]. (٦٠)

(٥٦) الأديرة المصرية العامرة، للقمص صموئيل تاووسوس السرياني، ص ١١٢.

(٥٧) كتاب نوايخ الأقباط ومشاهيرهم في القرن التاسع عشر، ج ١، طبع سنة ١٩١٠، ص ٦٩؛ مخطوطة تاريخ عمل الميرون، رقم ١٠١ طقس، بالدار البطريركية بالأزبكية ورقة 43 V-44 R

(٥٨) وادي التطرون ورهبانه وأديرته، للأمبر عمر طوسون، ص ١٨٣.

(٥٩) سلسلة تاريخ البابوات بطاركة الكرسي الإسكندري، الحلقة الخامسة، ص ٢١٠.

(٦٠) وادي التطرون، للأمبر عمر طوسون، ص ٢٠٥-٢٠٦.

+ في مدة رئاسته على الدير اشترى له أرضاً وقفاً مساحتها ٨ س ٦ ق ٢ ف وأخرى مساحتها ٦٥ فداناً. (٦١)

٦ - القمص يوسف المحرقى:

عينه على رئاسة الدير شقيقه البابا ديمتر يوس الثاني البطريرك (١١١) بعد رسامته بطريركاً في ١٥ يونيو سنة ١٨٦٢ رغم كونه من غير رهبان الدير. وقد اشترى للدير وقفاً زراعياً في مدة رئاسته للدير مساحته ١٢ س ١١ ق ١٣ ف. (٦١)

٧ - القمص إبراهيم الهوري:

(رئيساً للمرة الأولى سنة ١٨٨١-١٨٩٦) استمر حتى تمت رسامة الأب يوحنا المقاري وكيل وقف الدير أسقفياً على أبوتيج بإسم أنبا باسيلوس.

٨ - القمص فيلوثاوس:

(رئيساً للمرة الأولى من ديسمبر ١٨٩٦ - سبتمبر ١٩٠٢). وقد عينه أنبا باسيلوس أسقف أبوتيج بعد القمص إبراهيم الهوري. وقد اشترى وقفاً زراعياً للدير مساحته ٦ س ٥ ق ٢ ف.

٩ - القمص إبراهيم الهوري:

(رئيساً للمرة الثانية سبتمبر ١٩٠٢ - ما قبل ١٩١٩). أُعيد إلى رئاسة الدير مرة أخرى بعد عودته من الحبشة، وكانت رئاسته للدير تحت إشراف أنبا باسيلوس أسقف أبوتيج، وقد اشترى خلال رئاسته للدير (في المدة الأولى أو الثانية؟) وقفاً زراعياً مساحته ١٦ س ٩ ق ٢ ف.

١٠ - القمص مقار:

ربما كانت فترة رئاسته للدير تتخلل المدة السابقة (بين ١٩٠٢-١٩١٢). وقد اشترى للدير وقفاً زراعياً مساحته ١٢ ق ١ ف.

١١ - القمص مرقس:

(١٩١٩-١٩٢٨) كان رئيساً للدير تحت نظارة أنبا باسيلوس أسقف أبوتيج، وفي سنة ١٩٢٠ انفرد بإدارة شؤون الدير إلى أن تنيح في ٢ أغسطس سنة ١٩٢٨. وقد اشترى للدير وقفاً زراعياً مساحته ١٨ س ١٦ ق ٤٦ ف.

١٢ - أنبا أبرام مطران البلينا:

(وهو نفس القمص فيلوثاوس المقاري) وأقيم رئيساً للدير مرة ثانية غالباً بعد نياحة القمص

(٦١) مجلة النهضة الإكليريكية السنة ٣ عدد ٥ ص ٧٤.

مرقس في أغسطس سنة ١٩٢٨ م؛ واستمر رئيساً حتى أغسطس ١٩٢٩ م. وقد اهتم قداسه بترميم حجاب هيكل أنبا بنيامين وإعادة القطع المأخوذة منه والتي كانت محفوظة بالمتحف القبطي. وأقام منارة لأجراس الكنيسة وجدد وعمر في الكنيسة بأن أضاف إليها خورساً ثانياً وجعلها صالحة للصلاة. ثم ترك رئاسة الدير في شهر أغسطس ليتفرغ لشئون مطرانيته.

١٣ - القمص روفائيل:

المرّة الأولى (أغسطس ١٩٢٩ - أكتوبر ١٩٣٢)، والمرّة الثانية (أواخر ١٩٣٦ - ١٩٣٧). وكان رئيساً للدير مرتين. وقد تنيح طرف شقيقه أنبا باسيلوس أسقف دير أنبا بيشوي سنة ١٩٦٣.

١٤ - القمص يوحنا الباقوري:

(٨ أكتوبر ١٩٣٢ - أواخر سنة ١٩٣٦). وقد تولى رئاسة الدير بكتاب من أنبا يونس التاسع عشر البطريرك، والذي رشحه هو أنبا أبرام مطران البلينا.

١٥ - القمص مكسيموس:

(١٩٣٧ - نوفمبر ١٩٣٩). وكان وكيلاً للدير بالقاهرة؛ وعُيّن رئيساً للدير بعد استقالة القمص روفائيل. وقد تنحى عن الخدمة ولازم الدير إلى أن تنيح به.

١٦ - القمص باخوم:

(أواخر ١٩٣٩ - أواخر سنة ١٩٤٦). وكان عاقلاً متزناً وقام بخدمات جليلة للدير ثم تنيح - بعد استقالته - في شيخوخة صالحة.

١٧ - أنبا ميخائيل مطران أسيوط الحالي:

وهو القمص متياس حنا المقاري وكان وكيلاً للدير بالقاهرة؛ ثم رُسم مطراناً لأسيوط في ٢٥ أغسطس سنة ١٩٤٦ م؛ ولما استقال القمص باخوم اختير ناظراً ورئيساً على الدير في أواخر سنة ١٩٤٦.



كنائس باسم القديس أنبا مقار

□□□□

أولاً: كنائس اندثرت

عرفنا منها ثلاث كنائس فقط:

١ - الأولى ذكرها ساويرس بن المقفع في كتابه: «تاريخ البطارقة»^(١): أن البابا مرقس الثاني (البطريرك الـ ٤٩) (٧٩٩-٨١٩ م) اتخذها مقراً لكرسيه بمدينة نبروه بعد أن استولى الأندلسيون على الإسكندرية وذلك في أواخر أيامه؛ وأن هذه الكنيسة بناها والدا الأرخن مقاره بن سات النبراوي. أي أنها بُنيت في نحو أواخر القرن الثامن الميلادي.

كما ذكرها المؤرخ القبطي أبو المكارم في كتابه عن «الكنائس والأديرة» في نحو ٩٢٥ ش (١٢٠٩ م): [نبراه من الغربية: بيعة أبو مقار، بيعة تادرس، بيعة أخرى للسيدة].^(٢) ونبراه هي اليوم نبروه مركز طلخا بالدقهلية. ولعل السبب في وجود بيعة باسم القديس بهذه المنطقة في القرن ١٣ م هو وجود أوقاف زراعية للدير بهذه المنطقة. ومما يزيد اعتقادنا بهذا ما يقوله نفس المؤرخ: [وكيرلس البطريرك وهو السابع والستون في العدد (١٨ مارس ١٠٧٨ - ٦ يونيو ١٠٩٢ م) ومن رهبان هذا الدير] أوقف على دير أبو مقار كرسي دميره و بوضير بنا ودمهور بحيرة والأهناسية وكتب بذلك كتباً سلمها لقومة الدير.^(٣) ويلاحظ أن دميره تجاور نبروه. وهذه البيعة التي كانت بناحية نبروه واندثرت ربما خربت أو تحولت منذ نحو ٧٠٠ سنة على الأرجح في عهد الظاهر بيبرس (١٢٦٠-١٢٧٧ م) أو بعده بقليل.^(٤)

٢ - الثانية كانت بدير الخندق^(٥) المعروف الآن بدير أنبا رويس بالقاهرة وقد تكلم عنها مؤرخان قبطيان: أبو المكارم^(٦) (نحو عام ١٢٠٩ م) في مخطوطاته عن الكنائس والأديرة^(٧): [كنيسة ملاصقة لباب الدير (أي باب الخندق) برسم القديس أبو مقار أعطاها القبط للأرمن في عهد بطريركية كيرلس الثاني البطريرك الـ ٦٧ في عداد البطارقة (١٠٧٨-١٠٩٢ م)، في

(١) لناشره إيفيتس ج ٤ ص ٤٣٣-٤٣٤ (٥٤٧-٥٤٨).

(٢) دليل المتحف القبطي، ج ٢ ص ٢٣٦ (طبعة ١٩٣٢).

(٣) مجلة رسالة الحياة، السنة ١٠ العدد ٨، ص ١٢٨ عن مخطوطة أبو المكارم ورقة ٦٤.

(٤) «الخطط التوفيقية»، لعل باشا مبارك، طبع سنة ١٨٨٨ ج ١ ص ٣ عن ناحية نبروه ومعالمها. ويؤكد ما نقول.

(٥) وهو المدفون به أنبا رويس. ويعرف بهذا الاسم نسبة إلى قرية الخندق التي كانت تقع بجوار منطقة دير الملاك البحري حالياً.

(٦) عن «الخطط التوفيقية»، لعل باشا مبارك، ج ٦ ص ٧٨.

(٧) تاريخ بطارقة الكنيسة المصرية لساويرس بن المقفع المجلد الثاني ج ٣ ص ٢٢٦.

الخلافة المستنصرية ورُسمت بإسم الشهيد جاورجيوس . [

أما المؤرخ الثاني الذي ذكرها فهو موهوب بن منصور بن مفرج الإسكندراني الذي كتب سير بعض البطارقة في المدة بين عامي ١٠٨٨-١٠٩١ م فيقول: [... وكان في هذا الدير (دير الخندق) كنيسة على إسم أبو مقار فجعل فيها الأسقف المذكور (أبا غبريال أسقف الخندق وقتئذ) قرطاً لدابته... فبضى جماعة من الأرمن ووقفوا للأجل أمير الجيوش (بدر الجمالي الأرمني الجنس ١٠٧٤-١٠٩٤ م) برقعة وقالوا فيها ليس لنا بيعة نصلي فيها... فأمر (بدر الجمالي) الأسقف... أن يدفعها لهم ليعمروها ويصلوا فيها فأخذوها وهي الآن (قرن ١١ م) باقية بأيدي الأرمن.]^(٨)

وهذه الكنيسة قد اندثرت ربما في عهد الناصر محمد عندما خربت معظم كنائس القطر في عام

١٣٢١ م.

٣ - الثالثة كنيسة بنيت على جسد القديس ببلدة ششوير: وقد ورد ذكرها في السنكسار طبع باريس ١٩٢٩ م ص ١٢٧٦ تحت يوم ١٩ مسرى: [في مثل هذا اليوم أتوا بجسد القديس أبو مقار الكبير إلى شيهات لأن بعد نياحته أتى قوم من أهل بلدة ششوير وسرقوا جسده وبنوا عليه كنيسة في بلدهم]. وششوير هي اليوم ناحية شبشير طملاي بمركز منوف بالمنوفية. وقد ظلت هذه الكنيسة قائمة حتى خربت؛ ونُقل الجسد منها عام ٥٠٠ ش / ٧٨٤ م إلى ناحية ألما (ألماي بمركز شبين الكوم)؛ كما ورد بالمخطوطة رقم ١٨ سير بمكتبة دير أبو مقار.

٤ - الرابعة كنيسة أنبا مقاره بدهروط^(٩): ورد ذكرها عن مخطوطة بدير أبو مقار تروي خبر نقل جسد القديس أبو مقار من ألما إلى ديره بالبرية عن طريق النيل حتى ترنوط في أغسطس ٧٩٣ م. وكانت ناحية دهروط بحري وجوار ترنوط (الطرانة بمركز كوم حمادة).

٥ - الخامسة كنيسة أنبا مقار فيما بين القلاي في الطريق إلى دير أبو مقار: ورد ذكرها في المخطوطة السابق ذكرها.

ثانياً: كنائس مازالت قائمة حتى اليوم

يوجد بإسمه اليوم في القطر المصري سبع كنائس عامرة، إثنان منها أثريتان: إحداهما بديره بيرية شيهيت (وادي النظرون) والأخرى بديره عند مدينة أبو تيج. والكنائس الخمس الأخرى

(٨) نفس المرجع السابق.

(٩) مخطوطة ١٨ سير، بمكتبة دير أبو مقار (عن سيرة القديس أبو مقار).

مستجدة، إثنان منهم بنيتا في القرن الماضي والثلاثة الأخرى في القرن الحالي. كما أن ثلاثة من هذه الكنائس أنشئت في عهد أساقفة تخرجوا من دير أبو مقار وبنوا هذه الكنائس في إبارشياتهم تذكراً للقديس ديرهم.

١ - كنيسة أنبا مقار يوس بديره بيرية شيهيت:

وكانت ملاصقة للسور البحري من جهته الشرقية (قبل التجديدات ابتداءً من عام ١٩٦٩). والآن هي الكنيسة الكبرى للدير وكانت تضم هيكلين فقط، البحري بإسم هيكل يوحنا المعمدان وكان سابقاً على إسم مار مرقس الرسول وأمامه مغارة تضم رفات يوحنا المعمدان وإليشع النبي. والهيكل الثاني - الأوسط - يشتهر في تاريخ الكنيسة بإسم هيكل بنيامين.

٢ - كنيسة القديس مقار يوس بناحية أتريس بمركز إمبابة الجيزة:

وتقع بعزبة وقف دير أبو مقار بالعزبة الغربية تمييزاً لها عن العزبة الشرقية التابعة لدير السريان. والمتداول عن هذه الكنيسة لدى الرهبان أن الذي أنشأها هو البابا ديمتر يوس الثاني البطريرك (١١١) (١٨٦٢-١٨٧٠ م) الذي كان رئيس هذا الدير قبل اختياره للبطريركية. ولكن المرجح أنه بدأ إنشائها بعد توليه البطريركية وتمت سنة ١٥٨٨ ش = ١٨٧١/١٨٧٢ م.^(١٠)

٣ - كنيسة القديس مقار يوس بناحية شنشور مركز الباجور منوفية:

وهي كنيسة جديدة افتتحها في سنة ١٩٥٩ المتنيح أنبا بنيامين مطران كرسي المنوفية السابق. ومع أنه من رهبان دير البرموس إلا أنه استجاب لأقباط هذه البلدة في إنشاء كنيسة تحمل إسم هذا القديس لإعتقادهم أنه من بلدهم كما هو وارد في سنكسار رينيه باسيه ص ١٢٧٦ تحت يوم ٢٩ مسرى: [... وأتوا بجسد القديس أبو مقار الكبير إلى شيهات، فبعد نياحته سرق جسده أهل بلدة ششوير وبنوا عليه كنيسة]. ولكن ششوير هي الآن شبشير طملاي بمركز منوف وهي غير ناحية شنشور.

٤ - كنيسة القديس مقار يوس بدير السيدة العذراء بجبل الطير المقابل لمدينة سمالوط بمحافظة المنيا:

وتقع فوق كنيسة العذراء الأثرية بهذا الدير. ويعود تاريخ إنشائها إلى عام ١٦٠٥ ش^(١١) (= ١٨٨٩ م). وعلى هذا فقد أنشئت في زمان أسقفية أنبا ياكوبوس على المنيا (١٨٨١-١٨٩٩ م) والذي كان من رهبان دير أبو مقار.

(١٠) كتاب اللؤلؤة البهية في التراثيل الروحية طبعة ١٩٢٢ ص ٦٥٦.

(١١) دليل المتحف القبطي ج ٢ لسنة ١٩٣٢، ص ١٩٠ بالهامش، كتاب اللؤلؤة البهية طبعة ثانية ص ٦٦٢.

٥ - كنيسة القديس مقاريوس بناحية البياضية مركز البداري بأسيوط :
وقد دشنها نيافة أنبا ميخائيل مطران أسيوط الحالي يوم الأحد ٥ أبريل سنة ١٩٥٩ (١٢).
ونيافته هورئيس وناظر الدير حالياً.

٦ - كنيسة القديس مقاريوس بدير المدافن قبلي مدينة أبوتيج بأسيوط :
وهي كنيسة أثرية تتبع إيبارشية أبوتيج وطهطا وورد ذكرها في خطط على باشا مبارك سنة
١٨٨٨ م أثناء كلامه عن أبوتيج : [... فيها كنيسة إحداهما خارج البلد بإسم أبو مقار فوق تل
عال به مقابر النصرى والأخرى (بإسم السيدة العذراء) في داخلها] . (١٣)

٧ - كنيسة القديس مقاريوس بمقر المطرانية بالبلينا سوهاج :
وهي الكاتدرائية التي أنشأها المتنيح أنبا أبرآم مطران كرسي البلينا (١٩٢١-١٩٤٣ م) وهو
من رهبان دير أنبا مقار. وعلى ما نعرف فإن بناءها يرجع إلى ما قبل سنة ١٩٣١ بقليل .

(انتهى البحث)



قطعة من العاج المنقوش .
ربما تكون واحدة من ستة وتسعين قطعة مماثلة كانت تزين صلفتي حجاب هيكل إحدى كنائس
الدير - وهما الآن محفوظتان في الدور الأرضي بالحصن .

(١٢) جريدة الأهرام الخميس ١٩٥٩/٤/٢ .

(١٣) «الخطط التوفيقية» ، ج ٨ ص ١٩ .

ملحقات الكتاب للإيضاح والتوعية

+ + +

ملحق رقم (١)

عرض للمنابع الرهبانية الأولى

+ + +

- ١ - التاريخ اللوزياكي : المعروف بالفردوس أو «البراديسوس» .
- ٢ - الـ «هستوريا موناخورم» وهو تاريخ الرهبنة في مصر .
- ٣ - الأبوفنجماتا باترم : وهو أقوال الآباء .

١ - كتاب التاريخ اللوزياكي أو بستان الرهبان

وهو الكتاب الذي ألفه الراهب الناسك بالليديوس سنة ٤١٩ م، وقدمه إلى أحد معاوني الملك ثاؤدوسوس الثاني المسمى «لوزيوس»، ومن هنا جاء إسم الكتاب الذي اشتهر به. ولو أن إسمه الحقيقي عند الآباء الرهبان الأوائل كان «الفردوس»: Paradisus

ويعتبر كتاب التاريخ اللوزياكي لبالليديوس الوثيقة الأولى والأساسية التي قدمت للعالم تاريخ الرهبنة في مصر.

وقد تعرض هذا الكتاب في نهاية القرن التاسع عشر إلى نقد شديد كاد يسخ جماله الرهباني وعمقه التاريخي الروحي الأصيل ونسبته لبالليديوس جملة، لولا أن انبرى له العلامة الأب الراهب بطريرك عندما قام بأبحاث علمية تحقيقية للكتاب، جاءت غاية في الدقة والحصافة، وشملت ما يزيد عن سبعمائة صفحة في مجلد ضخيم، أثبت فيه أصالة التاريخ اللوزياكي وصدق نسبه لبالليديوس وحقيقة كل رواياته من الوجهة التاريخية البحتة. وقد استغرق منه هذا العمل قرابة ست سنوات كاملة، هذا بالإضافة إلى حصيلة العمر كله من المعرفة بالرهبنة وأصولها وسابغها، كما يقول هو عن نفسه في مقدمة كتابه. وقد أكمل كتابه هذا في مايو سنة ١٨٩٨ م.

١ - وقد اعتمد العلامة بطريرك في بحثه القيم الرائع على ٥٣ مخطوطة للبستان باللغة اليونانية اطلع عليها في جميع مكتبات العالم: في الفاتيكان وفينيسيا وباريس وأكسفورد ولندن ووثينا وبترسبرج وتورين، بالإضافة إلى ما حصل عليه من النسخ الموجودة في مدريد وبرلين وبالرمو وبارما وروما وموسكو وأثينا وباطمس وأثوس وأورشليم وسينا. وهذا كله بالإضافة أيضاً إلى الطبع من كتاب البستان وهي ست طبعات هامة:

- (أ) طبعة ليون سنة ١٦١٦ م.
- (ب) طبعة باريس سنة ١٦٢٤ م.
- (ج) طبعة باريس سنة ١٦٤٤ م.
- (د) طبعة باريس سنة ١٦٥٤ م.
- (هـ) طبعة فلورنسا سنة ١٧٤٦ م.

(و) طبعة ميونيخ سنة ١٨٦٠ م المسماة
Patrologia Graeca

٢ - كما قارن هذه النسخ اليونانية بالنسخ اللاتينية؛ وقد اعتمد على ثلاث نسخ في ثلاث تراجم مختلفة. وأول طبعة لاتينية ظهرت للفردوس كانت سنة ١٤٧٠-١٤٨٠ تحت إسم «حياة الآباء» وهي موجودة بالمتحف البريطاني.

٣ - وقد اعتمد كثيراً في بحثه على النسخة السريانية في أصلها المخطوط المحفوظ بمكتبة المتحف البريطاني، لكتابها حنان عيشو.

وحنان عيشو هذا كان راهباً سريانياً نسطورياً من دير بيت آبه ببلاد ما بين النهرين في القرن السابع، قام بجمع أقوال الآباء التي تحصل عليها بالسريانية في مجلدين، جعل الجزء الأول يختص بتواريخ الآباء التي جمعها بالليديوس وچيروم (وهنا يذكر چيروم باعتباره خطأ أنه كاتب المستور يا موناخورم)، أما الجزء الثاني فاخصه بأسئلة وأجوبة الشيخ التي حصل عليها بنفسه. وأسمى كتابه ب: «الفردوس».

والمعروف أن حنان عيشو جاء إلى بركة شبيبت حوالي سنة ٦٦٠ م بعد الفتح العربي مباشرة، وزار كافة الأديرة والبراري باحثاً منقباً عن أقوال الآباء من المخطوطات السريانية والقبطية.

وقد قام مؤخراً سنة ١٩٣٤ بترجمة هذا المؤلف النفيس إلى اللغة الإنجليزية وطبعه العالم السير أرنست أ. بذج أمين قسم الآثار المصرية والسريانية بالمتحف البريطاني (١٨٩٤-١٩٢٤).

٤ - أما النسخة الأرمنية فهي أقل النسخ انطباقاً على الأصول سواء اليونانية أو السريانية. وهي مطبوعة في فينيس

سنة ١٨٥٥ م في مجلدين، وبها تصرف كبير في سرد القصص وإعطائها العناوين الخاصة، وإن كانت لا تخلو من توضيحات وانطباقات مع النسخة القبطية.

٥ - النسخ القبطية: وهي النسخ التي اعتمد عليها «أميلينو» في إثبات أقدمية النصوص القبطية عن غيرها من النصوص الأخرى والتي عنها أخذت جميع اللغات سواء اليونانية أو السريانية أو اللاتينية. وإن كان العلامة بطريرك عارضه في هذا الرأي إلا أننا نحبذ نظرية أميلينو، ظانين أنه حتى وإن كانت النسخ اليونانية تبدو وكأنها أصول، إلا أنه بسبب أن الكتاب والمؤلفين كانوا أقباطاً صميمين يتقنون كلاً من اليونانية والقبطية فقد ظهرت أحياناً النسخ اليونانية وكأنها أصول.

وإن السنكسارات القبطية القديمة مع السير الخاصة بالقدسين الموجودة باللغة القبطية تثبت قطعاً أن منابع الكتابات الآبائية الأولى قبطية صميمية وليست مترجمة. ويعتقد أميلينو أن بالليديوس إنما استعان كثيراً ببدونات قبطية متوارثة عن الآباء أخذ عنها وترجم منها وبالأنحص بالنسبة للرهبان الأوائل الذين لم يرههم.

كما يبيح أميلينو نظريته هذه على أساس أن كثيراً من الإصطلاحات التي أوردها باللغة اليونانية هي أصلاً

إصطلاحات قبطية صميمية وليست يونانية.

وقد قام العلامة زويجا Zoëga بجمع بعض أقوال الآباء في البستان «البراديسوس» كما جاءت باللغة القبطية (١) مع ترجمة لها.

كما قام العلامة أميلينو أيضاً بطبع الأصول كاملة مع ترجمة لها (٢). أما زمن المخطوطات القبطية لأقوال الآباء التي عثر عليها كل من العالمين فهي بين القرن العاشر والحادي عشر.

والملاحظ أن كثيراً من هذه الأقوال يشمل مواضيع وحوادث وأموراً لم يرد ذكرها في النسخ اليونانية.

٦ - النسخ العربية: وهي نسخ قديمة وأصيلة بعضها موجود في مكتبة دير القديسة كاترين بسينا من زمن قديم جداً، وواضح من لغتها أنها مترجمة عن أصل قبطي مباشرة.

لكن بملاحظتنا الخاصة في بحثنا وقراءتنا للبستان في نسخته المتعددة باللغة العربية المخطوطة الموجودة بين أيدينا في مكتبات الأديرة، وجدنا أن بعض النسخ مأخوذة عن أصل سرياني وبعضها مأخوذة عن الأصل القبطي والآخر مأخوذة عن أصل يوناني. والحاجة ماسة لعمل أبحاث كثيرة في الموضوع حتى نخرج بحقائق ثابتة من حيث أقدمية النسخة القبطية.

٢ - كتاب تاريخ الرهبنة في مصر المسمى: هستور يا موناخورم - لروفينوس

١ - مؤلف الكتاب:

وهو عبارة عن وصف لرحلة رئيسية طويلة لبراري مصر يتفرع منها رحلات جانبية كثيرة للمناطق الرهبانية المتعددة في وادي النيل قام بها رحالة يُظن أنه روفينوس المؤرخ المشهور وبصحبته سبعة رفاق وذلك في شتاء سنة ٣٩٤-٣٩٥ م، واصفاً فيها كثيراً من النساك والمتوحدين من أقصى الصعيد حتى أقصى الشمال. أما تاريخ هذه الرحلة الهامة والشهيرة فتحددها التواريخ الآتية:

كانت الجماعة في ضيافة القديس يوحنا الأسيوطي بمجلد أسيوط بعد انتصار ثيودوسوس على أوجينوس مباشرة، وهذا كان في نهاية سبتمبر سنة ٣٩٤ م. وفي هذا الوقت بالذات بدأت رحلتهم صوب إقليم نتريا في الشمال التي بلغوها بعد نياحة القديس مقار يوس الإسكندري مباشرة، والمعروف أنه تنجح في نهاية سنة ٣٩٤ م.

(1) Zoëga: Codicum Coptorum menu scriptorum qui in Museo Borgiano adservantur, (Romae 1810).

(2) De Historia Lausiaco: His. des Monats. de la Basse-Egypte.

(3) Vitae Patrum. Prolegomenon. IV ch. 10 (Migne P.L. LXX III. 35)

(4) Cuthbert Butler: The Lausiaco. Hist. I II.

روفينوس في مواضع أخرى يقول أنه رأها ونال منها البركة. (*)

ويعتقد المؤرخ تيمون^(١) أن الراهب بترونيوس الذي صار أسقفاً على بولونيا هو الذي كان يقود رحلة المستور يا موناخوروم. وقد ترك لروفينوس مذكراته التي منها نسج روفينوس أسلوب الكتاب. ويعتمد تيمون في ظنه هذا على إشارة وردت في تاريخ جناديوس عن بترونيوس هذا أنه هو كاتب المستور يا موناخوروم. (٢) ولكن في مقدمة النسخة اليونانية يذكر الكاتب أن مؤلف الكتاب هو تيموثاوس أريثيدياكون الإسكندرية سنة ٤١٢ م الذي صار بطريركاً فيما بعد. (٣) كما يقرر هذه الحقيقة المؤرخ سوزومين في تاريخه الكنسي. (٤) ولكن المعروف أن البطريرك تيموثاوس تنيح سنة ٣٨٥ م، في حين أنه توجد حوادث مذكورة في المستور يا موناخوروم يتعدى تاريخها زمان نياحة أنبا تيموثاوس، مثل انتصار ثيودوسيوس على أوجنيوس ونياحة مكار يوس الكبير ومكار يوس الإسكندراني وتنصيب ديسقورس الطويل أسقفاً على دمنهور. وهذه كلها حدثت بعد سنة ٣٨٥ م، فهل هو تيموثاوس آخر؟ هذا ما يظنه المؤرخ لوقيوس، وهذا أيضاً ما يعتقده بطريركاً اعتباراً أن تيموثاوس رئيس الشماسة هذا كان غير الذي قُدّم بعد ذلك بطريركاً، بل كان هو المرشح فقط للكرسي البطريركي والمناوى لكيرلس الكبير؛ وقد كان من أتباع الإخوة الطوال، ولم يُرسم بطريركاً. (٥)

وهذه الحقيقة يدعمها أسلوب كاتب المستور يا موناخوروم في تحيزه للإخوة الطوال ومعاداته لسياسة ثاوفيلس ٢٣.

٢ - لغة الكتاب الأصلية:

كان المعتقد أنها اللاتينية، ولو أن العالم كوتليه ظن أنها كانت اليونانية وسجلها في الباترولوجيا على هذا الأساس^(٦)؛ غير أنه ظن أيضاً أنها جزء من «البراديسوس» أي «بستان الرهبان» لباليديوس تُرجم إلى اللغة اللاتينية. وطبعاً هذا خطأ فاضح لأن التاريخ اللوزياكي (البستان) كُتب بعد نياحة روفينوس.

- (5) Ruf., Hist. Eccl. 11. 8.
- (6) Memoires XII. 658.
- (7) Gennad: De Script. Eccles., XLI (P.L. LVIII. 1082).
- (8) Butler, Laus. Hist. p. 277. I.
- (9) Soz., Eccl. Hist. VI. 29.
- (10) Socrate, Eccl. Hist. VII. 7.
- (11) Migne Patr. G. LXV 439 ff.

وبتحقيق العلامة الراهب بطرنجر بحقيقة هامة جداً أن لغة كتاب المستور يا موناخوروم الأصلية لم تكن اللاتينية ولم يكن روفينوس صاحب الأسلوب التاريخي الأصيل، إذ يرى بطريرك أن الأسلوب الرهباني التاريخي المكتوب به المستور يا موناخوروم يفوق في روعته وعلوه أسلوب روفينوس. كما يرى بطريرك أن الإشارة إلى حياة إيشاجر يوس تعني أنه كان يعيش أثناء كتابة المستور يا موناخوروم باللاتينية مما يؤكد تماماً أن الأصل هو اليوناني وليس اللاتيني، لأن إيشاجر يوس مات في بداية سنة ٤٠٠ م في حين أن الأصل اللاتيني للمستور يا موناخوروم كتب بعد سنة ٤٠٠ م. كذلك فإنه جاء في النسخة اللاتينية ذكر لترجمة يوسابيوس للتاريخ الكنسي، والمعروف عنه أنه ترجم فعلاً إلى اللاتينية بعد سنة ٤٠٠ م!! (٧)

من هذا يستدل بطريرك أن كتاب الـ «هستور يا موناخوروم» كُتب باللغة اليونانية أصلاً، وبعد تكميل الرحلة بمدة وجيزة. كذلك يلاحظ بطريرك أن أسماء المدن والمواقع الجغرافية في النسخ اليونانية أدق وأوضح وأصح من النسخ اللاتينية، وهذا يرجح القول بأن اليونانية هي الأصل الذي أخذت عنه اللاتينية فلم تحسن الترجمة.

٣ - تاريخ كتابة الـ «هستور يا موناخوروم»:

في نهاية الفصل التاسع والعشرين من النسخة اللاتينية نجد تعليقاً على التاريخ الكنسي لروفينوس، ومعلوم أن تاريخ روفينوس لم يدوّن إلا بعد سنة ٤٠٠ م. لذلك فإن تاريخ النسخة اللاتينية يقع ما بين سنتي ٤٠٠-٤١٠ م، حيث سنة ٤١٠ م هي سنة وفاة روفينوس - هذا بحسب اعتقاد بطريرك.

والعلامة الدكتور بروسخين يعتقد أن تاريخ كتابة الـ «هستور يا موناخوروم» يقع ما بين عامي ٤٠٢ أو ٤٠٣ م. وهكذا يتضح لنا أن النسخة اللاتينية متأخرة عن زمان تدوين القصة (باليونانية) بمدة تتراوح بين ٦-٨ سنوات.

وأقدم النسخ التي استخدمها العلامة روزويد في تحقيقاته يقع زمان نساختها سنة ٣٨٩ م.

٤ - النسخ القديمة الموجودة حالياً:

(أ) النسخة اللاتينية: وهي تتفق في مواضع كثيرة مع النسخة اليونانية خصوصاً في أخبار رهبان صعيد مصر (التبانسين).

(12) Tillemont XII, 656.

إلا أنها تختلف كثيراً في سرد أخبار نساك نتر يا حيث تبدو النسخة اللاتينية مطولة. وعند ذكر أنبا مقار الكبير وسميته الإسكندري وبولا البسيط نجد أن الاختلاف يبدو كبيراً.

(ب) النسخة اليونانية: وهي المسجلة في الباترولوجيا. وهي المعتبرة أنها النسخة الأصلية التي أخذت عنها الترجمات الأخرى. ويقدم لنا العلامة الراهب بطريرك تحقيقاتاً علمياً مطولاً لإثبات نظريته لا نجد المجال هنا يتسع لعرضه. نرجو الرجوع إليه في موضعه. (١٣)

(ج) النسخة السريانية^(١٤):

وتوجد منها عدة مخطوطات بالمتحف البريطاني، منها ثلاث تعتبر كاملة. وهي كلها تحت عنوان «تاريخ الرهبان الأقباط».

ومن إحدى هذه المخطوطات المودعة بالمتحف تحت رقم ١٧١٧٦ أخذ المؤلف حنان عيشومادة كتابه الثالث الذي ألفه عن رهبان مصر المدعو: «البراديز» أي الفردوس. والملاحظ أن كل النسخ السريانية تتفق مع النسخة

اليونانية ولا تتفق مع النسخة اللاتينية.

(د) النسخة الأرمنية^(١٥):

وتحتوي أجزاءً من المستور يا موناخوروم تحت إسم «حياة الآباء». ويُعتقد أن النسخة الأرمنية مأخوذة عن النسخة السريانية.

(هـ) نسخة قبطية ناقصة^(١٦):

وقد عثر أميلينو عليها، وهي باللهجة الصعيدية، وتختص بالقديس يوحنا الأسيوطي وهي مطابقة للنسخة اليونانية.

٥ - موضوع الكتاب:

ويستعرض الكتاب أحاديث عن آباء صعيد مصر وآباء نتر يا والقبلاي وشبهت القديسين، مع وصف لأقاليم أكسير ينكوس (الهنسا) ونتر يا ومنف وابل والرهبان المقيمين بها. وجميع عدد الآباء الذين ذُكروا في المستور يا موناخوروم خمسة وعشرون أباً.

٣ - كتاب أقوال الآباء - المعروف بإسم

«أبوفثجماتا باترم»^(١٧)

النابع من خبرتهم الخاصة، لأولادهم الخاضعين لإرشادهم. وكان الشيوخ الحاصلون على موهبة الكلمة لتوجيه المبتدئين في الوحدة لا يتكلمون إلا كما يعطهم الروح لمن يسمع ويطيع، فإن لم يوجد من يطيع يجمعون عن الكلام مهما كان الإلحاح عليهم بالسؤال. (١٨) لذلك صارت كلماتهم ثمينة غالية إذ يكن فيها سر الحياة والخلاص. ومن ثم أخذت هذه الكلمات تتداول بين الرهبان كتقليد شفاهي يحمل توجيهات الروح للراهب المبتدئ بدلاً من القانون الرهباني الذي كانت تسير عليه

يرجع تاريخ «أقوال الآباء» إلى الأصول الأولى للرهبنة المسيحية، مع بداية الحياة التوحيدة في براري مصر، حيث منبع الرهبنة ومؤسوها العظام أنطونيوس ومقاريوس وباخوميوس. وقد بدأت هذه «الأقوال» تحمل طابعاً خاصاً يميزها عن بقية المؤلفات الآبائية الأولى. فهي ليست ذات هدف تاريخي أو مجرد سرد لسير القديسين أو أخبار معجزاتهم أو تسجيل لمواعظهم وتعاليمهم، وإنما بدأت في شكل كلمات للمنفعة ينطق بها شيوخ^(١٩) محترمون ملهمون بالروح لتقديم التوجيه الشخصي

(١٧) كلمة Apophthegmata هي كلمة يونانية معناها «قول مأثور» وكلمة Patrum لاتينية ويقصد بها نسبتها إلى الآباء، أي أنها «أقوال مأثورة عن الآباء».

(١٨) لم يكن يقصد بلقب «شيخ» المتقدم في الأيام، ولكن من نال موهبة الإرشاد بالكلمة والأبوة الروحية بعد خبرة كافية في حياة تمرست بالتجارب ومارست الفضائل بنجاح وإفراز، (أنظر: Cassian Commentant. Eccl., 25, 5)

(19) Apophth. Alfab., Felix No. I.

(13) Butler, Laus. Hist., Appendix I. p. 257-264 Part I.

(14) Butler, Laus. Hist., Appendix I. p. 266 Part I.

(15) Butler, Laus. Hist., Appendix I. p. 267 Part I.

(16) Ibid.

فهو تعبير دارج في الكتابات الآبائية يطلق حتى على الشاب من أجل فضيلته العالية وموهبة التوجيه التي أخذها من الروح (مثل الأب زكريا والأب يمين): Coislin 126, Fol. 261

(19) Apophth. Alfab., Felix No. I.

متفرقة من أقوال الآباء.

وأول من نشر هذه المجموعة من مخطوطها الأصلي:

(Codex Reguis 2466) باللغة اليونانية هو العلامة

الفرنسية كوتيليه سنة ١٦٧٧م في كتابه: «اكتسيا جريكا

مونومنتا». (٢١) ثم أعيد طبعها في الباتولوجيا جريكا. (٢٢)

ومن سنة ١٩٠٧ إلى سنة ١٩١٣ نشر «نو Nau» أقوالاً

غير منسوبة لأحد استقاها من المخطوط:

(Codex Coislin, 126) مع ترجمة فرنسية لها في مجلة

«ريثودي لوريون كريتيان». (٢٣)

ثم نشر الباحثة «جي: J.C. Guy» جميع هذه الأقوال

المرتبة حسب قائلها وغير المنسوبة لقائلها، باللغة الفرنسية سنة

١٩٦٦ تحت إسم: أقوال آباء الصحراء. (٢٤)

وهناك مجموعة أخرى يونانية لأقوال الآباء مرتبة حسب

الموضوعات في حوالي ٢٠ فصلاً لم يُنشر أصلها اليوناني حتى الآن

غير أنها تُرجمت إلى اللغة اللاتينية منذ القرن السادس بواسطة

البابا بيلاجيوس الأول (٥٥٦-٥٦١) والبابا يوحنا الثالث

(٥٧٤-٥٦١).

٢ - الترجمة اللاتينية (Verba Seniorum)

يوجد باللغة اللاتينية عدا الجزء الذي قام بترجمته الباباوان

بيلاجيوس ويوحنا ثلاثة أجزاء أخرى هي ترجمات:

١ - باسكاسيوس. Paschasius

٢ - مارتن أوف دوميو. Martin of Dumio

٣ - منسوبة إلى روفينوس. Pseudo Rufinus

وقد نشرت جميع هذه الأجزاء في كتاب الباتولوجيا لاتينا

تحت رقم:

P.L. 73, 855-1022; 73, 1025-1062; 74, 381-394; 73,

739-810

ونشرها أيضاً سنة ١٦١٥ العلامة روزويد

Rosweyde اليسوعي بإسم: Verba Seniorum

في كتابه Vitae Patrum III, V, VI, VII

وقد ترجمت أجزاء من كتاب Rosweyde إلى

(21) Ecclesiae Graecae Monumenta.

(22) P.G. 65, 71-440.

(23) Revue de l'orient chretien.

(24) Les Apophthegmes des Pères du désert, (Alphabeti-

anonymes Bellefontaine, 1966).

الفرنسية بواسطة Arnauld d'Andilly في كتاب سماه:

Les Vies des saints Pères des déserts, Bruscelles

1694

ونشرت مختارات منها حديثاً في كتاب:

Draguet, les Pères du déserts, Paris, 1949, p. 203-

228.

كما ترجمت أيضاً إلى الإنجليزية:

H. Waddell, The desert Fathers, London 1936

وحديثاً نشر D. Willmart إضافات إلى هذه الأقوال

اللاتينية في مجلة:

Revue Bénédictine 34 (1922), 185-198.

٣ - الترجمة السريانية:

في القرن السابع قام حنان عيشو Inan-Isho

السرياني بتجميع أقوال الآباء في برية مصر من المخطوطات

السريانية المتداولة حينذاك. وضمها في مجموعة سماها

«فردوس الآباء»، شملت سير الآباء القديسين لباليديوس

وجيروم وسيرة أنبا أنطونيوس بقلم أثناسيوس.

وقد قام W. Budge سنة ١٩٠٤ بنشر هذه النسخة

السريانية باللغتين السريانية والإنجليزية ثم أعاد طبع الترجمة

الإنجليزية وحدها سنة ١٩٠٧. وفي سنة ١٩٣٤ قام بنشر الجزء

الخاص بأقوال الآباء فقط تحت إسم:

The Wit & Widsom of the Christian fathers of

Egypt of the Apophthegmata Patrum, by Anân

Ishô of Bêth 'Abhê, Oxford, 1934.

وهذه المجموعة السريانية تطابق المجموعة اليونانية المرتبة

حسب الموضوعات التي نقلها إلى اللاتينية بيلاجيوس ويوحنا.

وهناك مجموعة أخرى أيضاً من الأقوال لا تقل قديماً عن

الأولى موجودة في عدة مخطوطات في مكتبي الفاتيكان والمتحف

البريطاني.

٤ - الترجمة القبطية:

لم يصل إلى أيدي العلماء سوى مخطوط واحد في أقوال الآباء

باللهجة الصعيدية، إلا أن أجزاءه موزعة على كثير من المكتبات

الأوروبية، وأكبر جزء منه (٤٤ ورقة) موجود في المكتبة

الأهلية بنابولي. وقد نشر هذا الجزء العلامة Zoëga سنة

١٩١٠: Catalog. Cod. Copte Rome 1910

وقد قام Châme بتجميع ما تبقى من ورقات هذا

المخطوط في كل المكتبات ونشره في كتابه:

Le manuscrit de la vesion copte en dialecte

Sahidique des apoph. pt., le Caire, 1960.

وقد حقق Châme هذه النسخة على المجموعات

الأخرى المعروفة فوجدتها مطابقة للمجموعة اليونانية المرتبة

بالموضوعات التي نقلها إلى اللاتينية بيلاجيوس ويوحنا.

٥ - الترجمة الأرمنية:

توجد نسختان باللغة الأرمنية:

— الأولى نسخة من القرن الثاني عشر نشرت في فينيسيا

سنة ١٨٥٥ بإسم «كتابات الآباء القديسين وسيرهم».

— الثانية نسخة من القرن الخامس عشر نشرت أولاً في

القسطنطينية سنة ١٧٢١ ثم ضمنت في فينيسيا سنة ١٨٥٥.

٦ - الترجمة الأثيوبية:

نشرت أقوال الآباء الموجودة في المخطوطات الأثيوبية مع

ترجمة لاتينية بواسطة V. Arras تحت إسم

Collectio Monastica سنة ١٩٦٣ وتمت إسم

Patericon في مجموعة CSCO بمدينة لوفيان.

ومن ضمن الأقوال التي وردت فيها مائتا قول جديد لم ترد

في المجموعات اليونانية التي تم نشرها حتى الآن. ويقرر العلماء

أن معظمها قديم العهد.

٧ - الترجمة العربية:

توجد بالأديرة القبطية مخطوطات باللغة العربية لكتاب

بستان الرهبان الذي يتضمن كثيراً من الأقوال الموجودة في

الترجمات السابقة بالإضافة إلى أقوال أخرى لم تُنشر بعد باللغات

الأجنبية.

وتوجد مخطوطات أخرى مثل المخطوط المعنون: «تعالم

لكثيرين» (٢٥) والمخطوط «تعالم لأنطونيوس وآخرين» (٢٦)،

تشمل أقوالاً للآباء الأوائل لم يرد ذكرها في بستان الرهبان ولا

في الترجمات الأجنبية المعروفة. غير أنه من المرجح أن لها أصولاً

قبطية، إذ قد وجدنا بعضها فيما نشره أميلينو في كتابه:

Amél. Hist. des Monas. de la Basse-Egypte

ADMG 25, Paris 1894

(٢٥) مخطوط رقم ٤١ م بمكتبة دير أنبا مقار.

(٢٦) مخطوط رقم ٢٣ م بمكتبة دير أنبا مقار.

الجماعات الرهبانية في رهبنة الشركة الخاضعة للنظام

الباخومي. ولكنها ظلت محتفظة بطابعها الخاص في التوجيه

ككلمة مناسبة في الظروف المناسب للشخص المعين لسماها

والإنتفاع بها، حتى أنها لم تُفقد قط عن المرشد الروحي، الذي

كان يهدف دائماً إلى أن يتقود تلميذه بواسطة سلسلة من

التوجيهات العملية الملهمة ليقتني موهبة الإفراز الروحي التي لا

غنى عنها لأي إنسان وبالأخص لساكن الوحدة. فلم يكن

هدفها إذن هو التعليم النظري عن درجات روحية لم يصل إليها

المتعلم، وإنما كانت في معظم الأحيان إجابة على السؤال:

«قل لي كلمة لأحيا بها». وهكذا يظهر طابعها العملي

الصرف.

هذا التقليد الشفاهي المتداول من الكلمات الملهمة بالروح

التي نطق بها الشيوخ المصريون المختبرون باللغة القبطية أولاً، بدأ

الإهتمام بتدوينه من أجل المنفعة العامة في تجميعات صغيرة

متفرقة يمكن اعتبارها أنها بداية نشأة كتابات أقوال الآباء

«الأبوتجماتا باترم».

وأغلب الظن أنه قد بدى في تجميعها في مجموعات باللغة

اليونانية في أوائل القرن الخامس. (٢٧) وكانت عبارة عن أقوال

متفرقة لشاهير آباء البرية المصريين الأوائل مع أخبار عن

فضائلهم ومعجزاتهم. ومن الواضح أنه لم يكن يجمعها خط

فكري واحد بل كانت عبارة عن مجموعة خبرات روحية

متعددة، وُضعت بدون ترتيب معين، وتبدو أحياناً كأنها

متعارضة، ولكنها مع ذلك كانت تمثل ذخيرة من الغنى الروحي

الذي لا يُضاهى. ومن هنا جاء التقدير العظيم لها عند المؤرخين

الكنسيين الذين اعتبروها أهم مصدر لأصول الروحانية

الرهبانية. فهي تمثل «المادة الأولى» لكل ما جاء بعدها من

كتابات رهبانية.

٩ - الترجمة اليونانية:

في القرن السادس غالباً، قام شخص مجهول بترتيب هذه

الأقوال المتفرقة حسب قائلها ترتيباً أبجدياً مبتدئاً بأقوال أنبا

أنطونيوس الكبير إلى أن انتهى بأقوال أنبا أور. وقد أعيد صياغة

هذه المجموعة فيما بعد وترجمت إلى كثير من اللغات القديمة.

ويعرفنا كاتب المجموعة الأبجدية في مقدمة كتابه (من

القرن السادس) أنه قد أخذ مادتها من عدة مجموعات صغيرة

(٢٧) مثل تجميعات إيفاجر يوس البنطي: Logos Practicos

ويوحنا كاسيان: Institutions Cenobitiques

ملحق رقم (٢)
 عرض لحياة أشهر المؤرخين
 الذين استعنا بهم في كتابة هذا الكتاب
 مرتبين حسب أهميتهم في التاريخ الرهباني

+ + +

٢ - مؤرخون محدثون

- ١ - بولندوس .
- ٢ - تيمون .
- ٣ - أميلينو .
- ٤ - بطريرك .
- ٥ - إفلين هوابت .

١ - مؤرخون قدامى

- ١ - بالليديوس .
- ٢ - كاسيان .
- ٣ - روفينوس .
- ٤ - جيروم .
- ٥ - إيفاجر يوس المؤرخ .
- ٦ - سوزومين .
- ٧ - جناديوس .
- ٨ - ثيودوريت .
- ٩ - سقراط .
- ١٠ - يوليوس الأفرقي .
- ١١ - هييجسيوس .

٣ - مؤرخون وطنيون وكنسيون قدامى (*)

- (أ) ساويرس بن المقفع (تاريخ البطارقة).
 (ب) مينا الكاتب (تاريخ البطارقة).
 (ج) يوحنا النقيوسي (تاريخ البطارقة وتاريخ العالم).
 (د) الشماس أبو جرجه (القرن السابع) (تاريخ البطارقة).
 (هـ) ميخائيل بن يادير - أسقف تيس (تاريخ البطارقة).
 (و) الشيخ بقره الرشيدي (تاريخ البطارقة).
 (ز) القس بن زكير - رئيس دير نيا (تاريخ البطارقة).
 (ح) الشماس تيدرا الأمين بن يوانس (تاريخ البطارقة).
 (ط) الشيخ موهوب بن منصور الإسكندراني (تاريخ البطارقة).
 (ي) إين القلزمي (تاريخ البطارقة).
- (ك) معاني أبو المكارم بن بركات (تاريخ البطارقة).
 (ل) أنبا يوساب أسقف فوه (تاريخ البطارقة).
 (م) بطرس الجميل أسقف مليج وميخائيل أسقف أثريب (السنكار).
 (ن) الشيخ المؤتمن أبو المكارم سعد الله ابن جرجس بن مسعود (توفي قبل سنة ١٢٠٨ م) - صاحب كتاب الكنائس والأديرة. راجع ص ٦٢ من كتاب أديرة وادي النظرون تأليف عمر طوسون.
 (ع) أبو البركات بن كبر (توفي قبل سنة ١٣٧٩ م) - صاحب كتاب مصباح الظلمة وتاريخ البطارقة الخمسة والثمانين الأوائل.

٤ - مؤرخون عرب مسلمون: أرخوا ضمناً للكنائس والأديرة والبراري

- (أ) أبو عبيد البكري (متوفي سنة ١٠٩٤ م) صاحب «المسالك والممالك». راجع ص ١٣ - عمر طوسون.
 (ب) إين ماتي (متوفي سنة ١٢٢٩ م) - شرف الدين أبو المكارم بن سعيد. صاحب كتاب «قوانين الدواوين».
 (ج) إين دقاق (متوفي سنة ١٣٨٨ م) - إبراهيم بن محمد المصري. صاحب «الإنتصار لواسطة عقد الأمصار».
 (د) المقرزي (متوفي سنة ١٤٤١ م) - تقي الدين أحمد بن علي صاحب «الخطط والآثار» و«السلوك وتاريخ سلاطين المالك».
 (هـ) إين الجيعان (متوفي ١٣٩٨ م) - شرف الدين يحيى علي الدين شاكر إين العز، صاحب «التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية».
 (و) القلقشندي (المتوفي سنة ١٤١٨ م)، صاحب «صبح الأعشى». راجع ص ١٣ عمر طوسون.
 (ز) إين فضل الله العمري (المتوفي ١٣٤٧ م)، صاحب «مسالك الأبصار في مسالك الأمصار». راجع ص ٦٥ عمر طوسون.
 (ح) حسين بن محمد الوثيلاني (المتوفي سنة ١٧٧٩ م)، صاحب كتاب «نزهة الأنظار». راجع ص ٧٢ - عمر طوسون.
 (ط) علي باشا مبارك، صاحب كتاب «الخطط التوفيقية الجديدة».

١ - مؤرخون قدامى

١ - بالليديوس

- بخلاف بعض الملاحظات القليلة عن حياة بالليديوس التي ذكرها معاصروه، لا يوجد سوى القليل جداً من التفاصيل التي استخرجت من كتاباته وهي:
- (1) Historia Lausiaca
 (2) Dialogus de Vita Sancti Joannis Chrysostomi
- أي حوار عن حياة القديس يوحنا ذهبي الفم.
 ولد سنة ٣٦٣ أو ٣٦٤ م في مدينة غلاطية. وإذا كان تلميذاً
- (هـ) الكنيسة في أشد الحاجة إلى من يقوم بعمل بحث شامل لهؤلاء المؤرخين الوطنيين مع أعمالهم.

لإيفاجريوس (أوغريس) البنطي المشهور فقد درس الكلاسيكيات بعمق. أما عن أسرته فلا نعرف عنها شيئاً إلا من إشارة في كتابه «التاريخ اللوزياكي» تفيدنا أن أباه كان مازال على قيد الحياة سنة ٣٩٤ م، وأن أخاه وأخته قد اعتنقا الحياة الرهبانية^(١)، ومن «الحوار» نعلم أن أخاه كان يسمى بريسون وأنه كان أسقفاً ونفي من الكنيسة وسكن في مزرعة صغيرة كان يعمل فيها بيده^(٢). ولما صار بالليديوس ابن ٢٣ سنة انضم إلى الحياة الرهبانية وصار تلميذاً للأب إينوسنت على جبل الزيتون، وبقى زماناً مع شخص يدعى إيليدوس بالقرب من أريحا. ثم في حوالي عام ٣٨٨ م مضى إلى مصر ليتعرف على حياة نساكها. وأمضى فترة توازي ثلاث سنوات في مجموعها، في الإسكندرية وفي صوامع المتوحدين التي لم تكن بعيدة عن تلك المدينة. ثم ذهب بعد ذلك إلى نتريا^(٣). ومن هناك مضى إلى القلاي حيث ظل فيها تسع سنوات. ولكن صحته تدهورت، فقلق راجعاً إلى الإسكندرية للعلاج^(٤). وإذا نصحنا الأطباء في الإسكندرية بتغيير الجو، ترك مصر طالباً جواً أكثر اعتدالاً في فلسطين. وفي السنة التالية - أي سنة ٤٠٠ م - ذهب إلى بيثينية وهناك يُظن أن القديس يوحنا ذهبي الفم هو الذي رسمه على مدينة «هليوبوليس». ثم كُلف بمأمورية لفحص التهم المقامة من يوسابوس أسقف «فالتنتينو بوليس» ضد أنطونيوس أسقف أفسس. وقد أمضى الصيف والخريف في آسيا الصغرى قبل أن يعود ليرعى إيبارشيتة في هيلينوبوليس. وفي سنة ٤٠٣ م حضر مع يوحنا ذهبي الفم مجمع البلوطة الشهير بجوار مدينة خلقيدونية الذي كان قد دعا إليه عدو يوحنا ذهبي الفم «ثاوفيلس» الإسكندري^(٥). وهناك أدين ذهبي الفم على عديد من التهم الملققة وعُزل من منصبه كبطريرك القسطنطينية. أما بالليديوس نفسه فقد استجوبوه

٢ - كاسيان Cassian, John

(٣٦٠-٤٣٥ م)

- يقول عنه المؤرخ «جناديوس» إنه «مواطن أسقطي» natione Scytha ولكن الواقع أن مكان ولادته غير معروف على وجه التأكيد. فلعل السبب إذن في نسبه إلى الأسقيط صلته القوية بأسقيط مصر - كما سنرى في سيرته.
- انضم في شبابه المبكر إلى دير في بيت لحم، ولكنه لم يلبث أن تركه سنة ٣٨٥ م ليضمي إلى مصر حيث تلمذ تلميذاً نسكية حقيقية لأبائه مصر العظام. وحينما غادر كاسيان مصر مع رفيقه جرمانوس، كان ذلك حوالي سنة ٤٠٠ م؛ وتوجهها إلى القسطنطينية حيث رسمه القديس يوحنا ذهبي الفم شماساً ورسم صديقه جرمانوس كاهناً. وفي ذلك الوقت حدثت كل
- (1) Hist. Laus. 35, 8. f.
 (2) Dialogus, 71.
 (3) Hist. Laus. 44. 18. 48. 2.
 (4) Hist. Laus. Prologue 2.
 (5) Dialogus, 48, ff.

عن اعتقاده في الأوريجانية. وبعد أيام صاخبة قضاهما أتباع ذهبي الفم في القسطنطينية، هرب بالليديوس من السلطات المدنية. وفي سنة ٤٠٥ م سافر إلى روما ليرافع في قضية ذهبي الفم أمام البابا إينوسنت الأول. ولما عاد إلى القسطنطينية أوقف مع مجموعة من رفقاته، ثم نفاه أخيراً الإمبراطور أركاديوس إلى مصر. وهناك بين عام ٤٠٦-٤٠٨ م وبينما كان في المنفى في سيناء كتب كتاب «الحوار» Dialogus وبعد سيناء أمضى أربع سنوات في مدينة أنتينوى في صعيد مصر. ولما انتهت المعارضة ضد ذهبي الفم سنة ٤١٢، عاد بالليديوس إلى غلاطية. وهناك - كما ذكر كتاب «التاريخ اللوزياكي» - تعرف على كاهن يدعى فيلوروماس، و يبدو أنه عاش معه زماناً. ويذكر عنه المؤرخ الكنسي سقراط أنه عبر بحر هيلينو بوليس إلى بحر أسبونا.

ولم يصلنا شيء عن موعد نياحته أو الظروف المحيطة بها، ولكن من الواضح أنه مات سنة ٤٣١ م، كما نعرف ذلك من حضور أسقف آخر لكوسيه في مجمع أفسس المنعقد في تلك السنة.

وإذا اعتبرنا بالليديوس أنه مؤلف الرسالة:

Epistola de Indicis gentibus et de Bragmanibus

التي ظلت زماناً تحمل إسمه، (وإن كان من المحتمل أن تكون كلها أو جزءاً منها من تأليف آخرين)؛ فيكون ذلك معناه أن بالليديوس قد قام برحلة إلى سواحل الهند بصحبة الأسقف موسى من أدول. ومن الجائز أن يكون بالليديوس قد قام بتلك الرحلة على الرغم من عدم معرفتنا متى كان ذلك على وجه التحديد، إذ أنه لم يرد ذكرها في التاريخ اللوزياكي على اتساعه، فرمما كانت في أواخر أيامه.

الأحداث المحزنة الخاصة باضطهاد ذهبي وطرده ونفيه، فاختير كاسيان مع صديقه ليحمل رسالة من إكليزوس القسطنطينية إلى بابا روما إينوسنت الأول تصف هذه الأحداث. وفي روما رُسم كاسيان كاهناً، ثم توجه إلى غاللا أي فرنسا، وطنه على وجه الترجيح. وهناك أسس بالقرب من مرسيليا الدير بين العظمين: دير القديس بقطر «سان فيكتور» ودير «الليران» المشهور، ونقل كاسيان كل التراث القبطي من تعاليم وصلوات وتسابيح إلى الغرب، ثم سلمها إلى القديس بندكتوس من بعده، الذي جعلها أساس نظام الرهبنة في ديره. وقد وضع كتابين ضمنهما كل خبرته الروحية ونتائج تلمذته النسكية لأبناء مصر وهما: «المؤسسات Institutes» و«المحادثات Conferences». ففي كتابه «المؤسسات» أشار إلى القوانين الرهبانية وناقش وسائل التغلب على ثمانية معوقات رئيسية تواجه الراهب في سعيه نحو الكمال. ويُعتبر هذا

٣ - روفينوس Rufinus, Tyrannius

الكتاب أساساً لكثير من القوانين الرهبانية في الغرب. أما كتابه «المحادثات» الذي يسرد فيه أحاديثه مع كبار آباء الرهبنة المصرية، فقد جعله القديس بندكت فيما بعد كتاب القراءة اليومية لكافة الرهبان الخاضعين لنظامه.

وقد ظل كاسيان يقود الحياة الرهبانية في فرنسا حتى آخر أيام حياته. وقد ناله في أواخر أيامه متاعب جمة إذ اعتبرت تعاليمه بخصوص مسؤولية الإنسان في جهاده، انحرافاً. وقد كتب أيضاً سنة ٤٣٠م بحثاً في سبعة مجلدات عن «التجسد الإلهي» "De Incarnatione Domini" وذلك استجابة لطلب البابا ليون، ليهب الغرب بتعاليم النساورة. وكاسيان محسوب «مطوباً» فقط في كنيسة الغرب، ولكنه محسوب «قديساً» في الشرق. وما زال أهالي مرسيليا يحتفلون بعيده في الثالث والعشرين من يوليو من كل عام.

ولد بالقرب من مدينة أكويليا بشمال إيطاليا، وسافر إلى الشرق حوالي سنة ٣٧١م. وبعد زيارته لأبناء براري مصر، مضى إلى الإسكندرية وبقي بها زمناً ثم سافر إلى أورشليم. وفي سنة ٣٩٧م عاد إلى إيطاليا حيث رُسم قساً على أكويليا. وتنحصر أهميته أساساً كمترجم لكتب اللاهوت اليوناني إلى اللغة اللاتينية في الوقت الذي كانت فيه معرفة اللغة اليونانية آخذة في الأقول عند الغرب. وإن ترجمته لكتاب أوريجانس De Principiis هي النسخة الكاملة الوحيدة التي ما زالت باقية حتى الآن من هذا الكتاب، وكان قصده منها هو تزكية أرثوذكسية أوريجانس، إلا أنه دخل بسببها في جدال عنيف مع

٤ - جيروم Jerome

(٣٤٢-٤٢٠م)

هناك اللغة العبرانية. ثم عاد إلى أنطاكية فرسمه بولينوس كاهناً، ومنها سافر إلى القسطنطينية وأمضى فيها وقتاً ذهب بعده إلى روما حيث قضى فيها من سنة ٣٨٢-٣٨٥م بصفة سكرتير للبابا داماسوس ومدرس للنسك. وبعد موت داماسوس زار أنطاكية ومصر وفلسطين، واستقر أخيراً في بيت لحم سنة ٣٨٦م، حيث أشرف على دير للرجال، وكرس بقية حياته للدراسة والبحث.

باحث إنجيلي. وُلد في ستريدو بالقرب من أكويليا بسوريا. وتلقى علومه في روما حيث تعمد هناك. ثم سافر إلى غاللا (فرنسا) قبل أن يكرس حياته للعيشة النسكية مع أصدقاء له في أكويليا. وفي سنة ٣٧٤م انطلق إلى فلسطين، ولكنه تأخر في الطريق قليلاً في أنطاكية ليستمتع إلى مواعظ أبوليناريوس أسقف لاودكية. وهناك لامه ضميره بسبب حلم رآه بأنه أصبح يفضل الشقافة على الدين. قضى وتوحد في خالكبي بصحراء سوريا مدة تتراوح ما بين أربعة إلى خمسة أعوام، حيث درس

اللاتينية أعمال أوريجانوس وديديموس. وتعتبر رسائله ذات أهمية عظيمة وعلى الأخص من الناحية التاريخية. وقد أدت به طبيعة شخصيته الحماسية أن يلقي بنفسه في مجادلات كثيرة وأن يهاجم الأريوسية والبيلاجية والأوريجانية (وهذه الأخيرة هي التي كان يعظمها صديقه روفينوس من أكويليا). وفي بعض رسائله لأصدقائه ومقاتله ضد هيلفديوس وجوفينيان، دافع عن النسك الزائد.

ومنذ القرن الثالث عشر اعتاد الفنانون أن يرسموا صورته لائساً بقبة حمراء، مفترضين أن داماسوس قد رسمه كاردينالاً. ويقدمه بعض الفنانين كناسك، فيصورونه عادة ومعه أسد عند قدميه. وتعيده له الكنيسة اللاتينية يوم ٣٠ سبتمبر.

٥ - إيفاجريوس المؤرخ Evagrius Scholasticus

(٥٣٦-٦٠٠م)

يُعتبر مكملاً لتاريخ يوسابيوس القيصري والذين خلفوه. وعلى الرغم من افتقاره إلى العمق اللاهوتي وسرعة تصديقه وجمعه للأساطير الخرافية إلا أنه شابه يوسابيوس في كونه قد استعان بكثير من أقيم المصادر، وأدخل خلاصتها في كتابه.

Sozomen

٦ - سوزومين

(أوائل القرن الخامس)

غطت تاريخ الحقبة من سنة ٣٢٣م إلى سنة ٤٢٥م. وقد أخذ كثيراً عن معاصره الشيخ المؤرخ «سقراط»، إلا أنه في قدرته التاريخية أضعف منه. ولكنه سجل موضوعات معينة مثل: انتشار المسيحية بين الأرمن والقوطيين، وأكثر تفصيلاً، كما أنه يتميز عن سقراط بأسلوبه الشيق. وعلى الرغم من كونه أرثوذكسياً في معتقده إلا أنه أظهر قدرة محدودة في استيعابه للمساجلات العقيدية التي كانت سارية في أيامه.

Gennadius of Marseilles

٧ - جناديوس من مرسيليا

٤٨٠م. وهو يحوي ١٠١ ملاحظة (منها عشرة أكملتها يد متأخرة) عن الكُتَّاب الكنسيين شرقيين وغربيين من القرن الخامس على الأخص. وبالرغم من أن تفاصيل السير قليلة إلا

وتُعتبر كتابات جيروم أنها نتيجة معرفة فائقة لم يكن لها مثيل في الكنيسة الأولى. وأعظم الأعمال التي أنجزها هو ترجمته للكتاب المقدس إلى اللغة اللاتينية من اللغات الأصلية بتكليف من البابا داماسوس. وقد مر عمله هذا خلال عدة مراحل، فأصدر ما لا يقل عن ثلاث ترجمات للمزامير: «الرومانية، والغالية (الفرنسية)، والعبرية». وكتب أيضاً عدة تفاسير كتابية ضمنها كثيراً من الإصطلاحات والمعلومات اللغوية والطوبوغرافية التي تفيد في تفسير الكتب المقدسة. وغالباً كان هو أول الآباء المسيحيين الذين فهموا العلاقة بين الأبوكريفا والأسفار القانونية العبرية. وبالإضافة إلى عمله الكتابي، ترجم وأكمل تاريخ أوسابيوس، وألف «مشاهير الرجال» وهو تاريخ حياة الكُتَّاب الكنسيين، وترجم إلى

مؤرخ كنسي، من مواطني Coele Syria كانت مهنته المحاماة.

وكتابه في التاريخ الذي يقع في ستة مجلدات يؤرخ للحقبة التي تبدأ بجمع أفسس (٤٣١م) حتى سنة ٥٩٤م، وهو بذلك

هو سالمانينوس هيرمياس سوزومين

Salmaninuis Hermias Sozomean

المؤرخ الكنسي. ولا يعرف إلا القليل عن حياته سوى أنه من مواطني بيت إيليا شمالي غزة بفلسطين، وأنه قد تأدب على أيدي الرهبان، وبعد أسفار كثيرة استقر في القسطنطينية واشتغل بالمحاماة. وهناك ساورته فكرة الإستمرار في كتابه «التاريخ الكنسي» الذي بدأه يوسابيوس القيصري والوصول به إلى الزمن الذي كان يعيش فيه. وأتم عمله هذا في تسعة مجلدات

قس ومؤرخ كنسي. عمله الخالد الرئيسي هو كتاب

«مشاهير الرجال» Deviris Illustribis كتكلمة

بكتاب جيروم الذي يحمل نفس الاسم. وقد أكمله حوالي عام

أن العمل نفسه ذو أهمية كبيرة. وفي سيرة حياة جنادبوس نفسه (رقم ١٠٠) نقرأ عن كتابات عقائدية ألّفها هذا القس، ولكن

لم يصلنا منها إلا بقايا قليلة. كان من مذهب «النصف بيلاجيين».

٨ - ثيودوريت (٣٩٣-٤٥٨) Theodoret

أسقف كيروس Cyrthus، ومن مواطني مدينة أنطاكية. تلقى علومه في مدارس أديرتها، ثم انضم إلى دير نيكيرت Nicerte سنة ٤١٦م بعد أن وزع كل أملاكه على الفقراء. وفي سنة ٤٢٣م أقيم أسقفاً رغماً عن إرادته على مدينة كيروس بسوريا، فرعى إبيارشيته بكل حكمة وسخاء، كما حارب الوثنية والبدع بلا هوادة. وما لبث أن دخل في الجدل القائم حول طبيعة السيد المسيح بين نسطور وكيرلس الإسكندري، معتقداً أنه قد اكتشف ميلاً نحو البدعة الأبولينارية في أقوال البابا كيرلس، إذ كان من أصدقاء نسطور المعجبين بشخصيته.

وقد قضى أواخر سني حياته في هدوء راعياً لشئون إبيارشيته.

ولم يصل إلينا إلا جزء صغير من كتابات ثيودوريت. ويعتبر كتابه "Graecarum Affectionum curatio" من أروع الكتابات التي تدافع عن الإيمان المسيحي، إذ يضع جنباً إلى جنب إيجابيات كل من المسيحية والوثنية على الأسئلة الخاصة بطبيعة الله وطبيعة الإنسان، والغداء، ونهاية العالم... الخ.

وفي كتابه Eranistes ضد المؤمنين بالطبيعة الواحدة

٩ - سقراط Socrates

(٣٨٠-٤٥٠م)

مؤرخ كنسي يوناني، من مواطني القسطنطينية، وكان يشغل فيها بالهاماة، ويعتبر كتابه في التاريخ الكنسي الذي وضعه في سبع مجلدات تكملة لتاريخ يوسابيوس. ويبدأ من اعتزال دقلديانوس سنة ٣٠٥ حتى ٤٣٩م. وهو قريب إلى روفينوس وجلاسيوس القيصري. وبعد نشره لهذا الكتاب، أخذ بمؤلفات القديس أناسيوس التي كانت سبباً في إطلاعه على الأخطاء التاريخية التي وقع فيها روفينوس. فما كان منه إلا أن راجع كتابه عن التاريخ الكنسي بتدقيق شديد. وهذه النسخة الثانية هي التي وصلت إلينا.

للمسيح، يؤكد على عدم تغير وعدم تألم الطبيعة الإلهية في المسيح وعلى الوجود غير المختلط أو الممتزج بين الطبيعتين الإلهية والبشرية في المسيح.

كما أن كتاباته التفسيرية لأسفار كثيرة من العهد القديم (مثل أسفار موسى الخمسة، ويشوع والقضاة وراعوث والملوك وأخبار الأيام والمزامير ونشيد الأنشاد والأنبياء الكبار والصغار) تعتبر أيضاً من أكثر كتابات المدرسة الأنطاكية تمثيلاً لأسلوبها في التفسير وتمتاز بوضوحها وفصاحتها. أما كتاباته التاريخية فتتضمن كتاباً في «التاريخ الديني» وهو «مجموعة لسير الرهبان» وكتاباً في «التاريخ الكنسي» يواصل فيه تاريخ يوسابيوس حتى سنة ٤٢٨م، ويمتاز بصفة خاصة باعتماده على المستندات الأصيلة الكثيرة التي استخدمها، وتضمنه لموجز عن الخرافات المرطوقية Compendium of Heretical Fables الذي اشتمل لأول مرة على معلومات عن البدع الأريوسية والنسطورية والأوطاخية.

وكانت آراء ثيودوريت في طبيعة المسيح موضع جدال حتى استقر رأي أغلب الباحثين أنه اعتنق الأفكار النسطورية حتى سنة ٤٣٥م تقريباً، إلا أنه تخلى عنها في النهاية بعد سنة ٤٥١م.

وقد أخذ معلوماته عن المجمع المسكونية من مجموعة مستندات أصدرها مكدونيان وسابيتوس الهرقلي سنة ٣٧٥م. وعموماً فإن تاريخ سقراط يتميز بموضوعيته ووضوحه، إلا أن معالجته للأمور لا يظهر عليها أي لون أو اتجاه معين، ويبدو أن المؤلف كان قليل الإهتمام بالنواحي اللاهوتية، ومع ذلك فقد أظهر تعاطفاً معيناً نحو النوفاتيانية، وأظهر اهتماماً خاصاً بالأحداث المتعلقة بمدينة القسطنطينية.

١٠ - يوليوس الأفريقي، سكستوس Julius Africanus (١٦٠-٢٤٠م)

«تاريخ الكنيسة» ليوسابيوس، وفي كتابات تاريخية لاحقة.

وقد رأى أن العالم سيق إلى ٦٠٠٠ عام منذ الخلق، وأن ميلاد المسيح الذي أرخه بتاريخ سابق للتاريخ الحقيقي بثلاث سنوات، قد حدث عام ٥٥٠٠ للخليقة. ويعتبر كتابه «الأحزمة المطرزة» عملاً يدخل في نطاق دوائر المعارف، وهو يقع في ٢٤ كتاباً مهداة إلى ألكسندر سيفير يوس عن التاريخ الطبيعي والطب والعلوم العسكرية والسحر والموضوعات المتفرقة. وهذا العمل لم يصلنا منه إلا في بقايا مخطوطات. وهو أيضاً مؤلف رسالتين، إحداها موجهة إلى أوريجانوس ويناقش فيها أصالة قصة سوسنة، والرسالة الأخرى إلى من يسمى «أريستيدس» حول أنساب المسيح في إنجيل متى ولوقا، وكلا الرسالتين توضحان قدرة نقدية رائعة.

Hegesippus

المبكر للكنيسة في اورشليم. وعلى ما يظهر، حسب رواية يوسابيوس في (H.E. IV, XXVII)، أنه كتب قائمة بتسلسل أساقفة كنيسة روما، ويقال أن القائمة الواردة في كتابات إبيفانيوس (Haer 27.6) مأخوذة من هذه القائمة. فإن كان الأمر كذلك، فقائمة هيجسيبوس هي أول دليل لأسماء الأساقفة الرومانيين الأوائل. وعينه في ٧ أبريل.

كاتب مسيحي. من المحتمل أن يكون قد وُلد في اورشليم (وليس في ليبيا كما يؤكد بعض الكتاب). وعاش لعدة أعوام في عمواس. ومن عمواس قام بوساطة ناجحة لدى الإمبراطور هليوجابالوس (٢١٨-٢٢٢) لتجديد العاصمة مما أدى إلى إعادة بنائها باسم نيكوبوليس. وقد كان يتمتع أيضاً بعلاقات متينة مع البيت الملكي في إديسا. وأخيراً، وفي عهد الإمبراطور ألكسندروس سيفيروس (٢٢٢-٢٣٥)، كان مساعداً في إنشاء المكتبة العامة في البانثيون بروما. وقد كانت له علاقات أيضاً في الإسكندرية مع البابا ياروكلاس وأوريجانوس. وخلافاً لما قيل في التقاليد المتأخرة (عن ديونيسيوس ابن الصليبي)، فن غير المحتمل أن يكون قد رُسم كاهناً.

عمله الأدبي الرئيسي كان «تاريخ العالم حتى عام ٢١٧ قبل الميلاد»، في خمسة كتب. وقد ورد ذكرها في كتاب

١١ - هيجسيبوس

من القرن الثاني. مؤرخ كنسي. يهودي متنصر، وفي الغالب مواطن من فلسطين. ألّف خمسة كتب على هيئة ذكريات ضد الفخوسيين. وبالرغم من بقاء هذه الكتب حتى الآن - على قدر معرفتنا - في بقايا مخطوطات قليلة (وقد ورد ذكرها كلها في تاريخ يوسابيوس)، إلا أنه يُقال أن مؤلفاته كلها في بعض المكتبات منذ القرن السادس عشر والسابع عشر.

وتتناول بقايا المخطوطات الباقية في معظم فصولها: التاريخ

٢ - مؤرخون محدثون

١ - جماعة بولاند Bollandists

حتى يرى شيئاً منه قد طبع.

ثم جاء بولاند والذين تبعموه فقاموا باستخراج مادة هذا البحث من جميع الأرشيفات والمكتبات في كافة الديار الدينية تقريباً، ومن ثم أخذوا نتاج بحثهم هذا وأسسوا به متحفاً خاصاً في أنترويب Antwerp.

ولقد تعطل عمل البولاندست وقتاً ما حينما كان اليسوعيون

هم المؤلفون اليسوعيون لكتاب Acta Sanctorum. وقد أطلق عليهم هذا الاسم نسبة إلى «جون فان بولاند John Van Bolland» (١٥٩٦-١٦٦٥) مؤسس الجماعة وأول مؤلفي هذا الكتاب.

أما الذي رسم خطة تأليف كتابه عن سير القديسين على أسس علمية دقيقة فهو «هربرت روزويد Herbert Rosweyde» (١٥٢٩-١٥٦٩) ولكنه لم يعيش

garisation, Paris Leroux 1889.

١١ - صموئيل القلموني، وظهر في:

Revue de l'Histoire des Religions 1886-7. rep. Paris Leroux 1887.

١٢ - المسيحية عند الأقباط القدماء:

Revue de l'Histoire de Religions, 1886-7.

١٣ - مركز الشيطان في الديانة القبطية القديمة:

The New World, 1893.

١٤ - تطور المبادئ الأخلاقية من الناحية التاريخية والفلسفية عند الأقباط القدامى.

Bibliothèque de l'École des hautes études-Sciences relig., Tome IV, Paris 1895.

١٥ - جغرافية مصر في العصر القبطي:

Geographie de l'Égypte à l'époque Copte, Paris Imp. Nat. 1893.

وهذا يعتبر من أهم المراجع التاريخية لجغرافية مصر المسيحية.

ويلاحظ القارئ أننا اعتمدنا كثيراً على أعمال أميلينو في حياة أنبا مقار الكبير، برجوعنا إلى المخطوطة الخاصة بحياته التي عثر عليها وحققها وترجمها.

Histoire des Monastère de la Basse-Egypte.

وبه تراجع حياة وأقوال ووثائق هامة خاصة بالقديس بولا الناسك والقديس أنطونيوس وأنبا مقار الكبير وأنبا مقار الإسكندراني وآخرين.

٥ - مجلدات المجموعة الرابعة (طومس ٤):

وهو تجميع دقيق لأقوال الآباء المسماة Apophthegmata

٦ - بحث عن التاريخ اللوزياكي والتاريخ الرهباني لروفيونوس مع مقدمات وتعليقات حول التاريخ القبطي المعاصر للتاريخ اللوزياكي وظهر في باريس سنة ١٨٨٧ م.

٧ - وصف لرحلة راهب قبطي عبر الصحراء وهو ترجمة فرنسية لحياة القديس أبانوفير أو أنوفير يوس. وظهر سنة ١٨٨٣ م ضمن أبحاث عن آثار مصرية وسريانية وطبع في فيينا.

٨ - أجزاء عن تاريخ غزو العرب لمصر وظهرت ضمن جرنال الأسبويبات نوفمبر سنة ١٨٨٨ م وطبعت في باريس ١٨٨٩ م.

٩ - دراسة تاريخية عن القديس أنبا باخوم والمجامع الرهبانية الأولى في صعيد مصر بحسب الوثائق القبطية، وظهر في: Bulletin de l'institut Égyptien, 1886, 1887 rep:

١٠ - رهبان مصر: حياة شئونة: وظهر في:

Annales du Musée Guimet, Biblioth. de Vul-

سنة ١٨٨٢ م بطبع مجلة ربع سنوية كملحق لهذا البحث تحت إسم: Analecta Bollandiana

٢ - تيمون (١٦٣٧-١٦٩٨)

Tillemont, Louis Sebastien Lenain De

استقى أغلب مادته من المصادر الآبائية مستخدماً أقل كمية ممكنة من التعليقات لربطها ببعضها البعض، كما أجاب على كثير من الأسئلة الخاصة بالتسلسل التاريخي للأحداث ومصادرها وخلاف ذلك من الموضوعات التاريخية الهامة متضمنة في التعليقات العلمية الدقيقة التي تشمل عليها والموجودة في نهاية كل مجلد.

والواقع أنه لم يتم حتى الآن بحث تاريخي يفوق بحث تيمون، بالرغم من أن افتقاره إلى الإنسجام في الأسلوب والتنسيق قد حال دون ذبوعه في الأوساط الشعبية.

وقد كتب تيمون أيضاً مؤلفاً آخر منفصلاً عن تاريخ الأباطرة والولاة الذين عاشوا في تلك الحقبة من الزمن خلال القرون الستة الأولى، يقع في ٦ مجلدات (١٦٩٠-١٧٣٨ م) وله دراسة أيضاً في حياة «القديس لويس» لم تطبع إلا ما بين سنة ١٨٤٧-١٨٥١.

M. Amélineau

٣ - أميلينو

٢ - تابع مجموعة المجلدات الأولى (طومس ١): ويشمل من ص ٤٧٩-٨٤٠. وقد ظهر سنة ١٨٩٥ وبه عن حياة القديسين أنبا باخوم وثيودور وهورسيزي وشئونة ويوحنا الأسبوطي ضمن نفس الأبحاث السابقة للمعهد الفرنسي في مصر.

٣ - مجموعة المجلدات الثانية (طومس ٢): وظهرت سنة ١٨٨٩ ضمن أبحاث: Annales du Musée Guimet. Tome 17

وهو عن حياة القديس أنبا باخوم وجماعته الديرية بالقبطية البحرية والصعيدية والعربية أيضاً.

٤ - مجموعة المجلدات الثالثة (طومس ٣): ضمن أبحاث ظهرت سنة ١٨٩٤:

Annales du Musée Guimet. Tome 25. 1894.

باسم تاريخ الأديرة البحرية

مضغوطين تحت قيود من كيت الحريات في بلجيكا سنة ١٧٧٣ ثم استعادوا نشاطهم سنة ١٨٣٧. وبين أبرز البولانديست الحاليين هو ديلهاي H. Delehaye وقد بدأت الجماعة منذ

مؤرخ كنسي فرنسي الجنسية، تلقى دراسته في دير «بورت رويال Port-Royal» للرهبان السترسيان بالقرب من باريس، على يد أستاذه «بيير نيولا» اللاهوتي الفرنسي المعاصر، ومنذ فجر حياته شغف بالتاريخ حتى أنه بدأ أبحاثه وهو بعد في سن الثامنة عشرة من عمره. وقد ترك بورت رويال سنة ١٦٥٦ والتحق بمعهد «بوفيسيه اللاهوتي Seminary Beauvais» سنة ١٦٦١، إلا أنه لم يُرسم قساً حتى سنة ١٦٧٦. ومن ثم عاد إلى بورت رويال ولكنه لم يلبث أن تركها مرة ثانية سنة ١٦٧٩ واعتزل في بيت خاص بمدينة تيمون Tillemont بالقرب من باريس حيث كان يوزع وقته بين دراساته التاريخية وأعماله التقوية. وترك شهرته كمؤرخ كنسي في مؤلفه:

“Memoires pour Servir à l'histoire ecclésiastique de six premiers siècles” (16 Vol. 1693-1712).

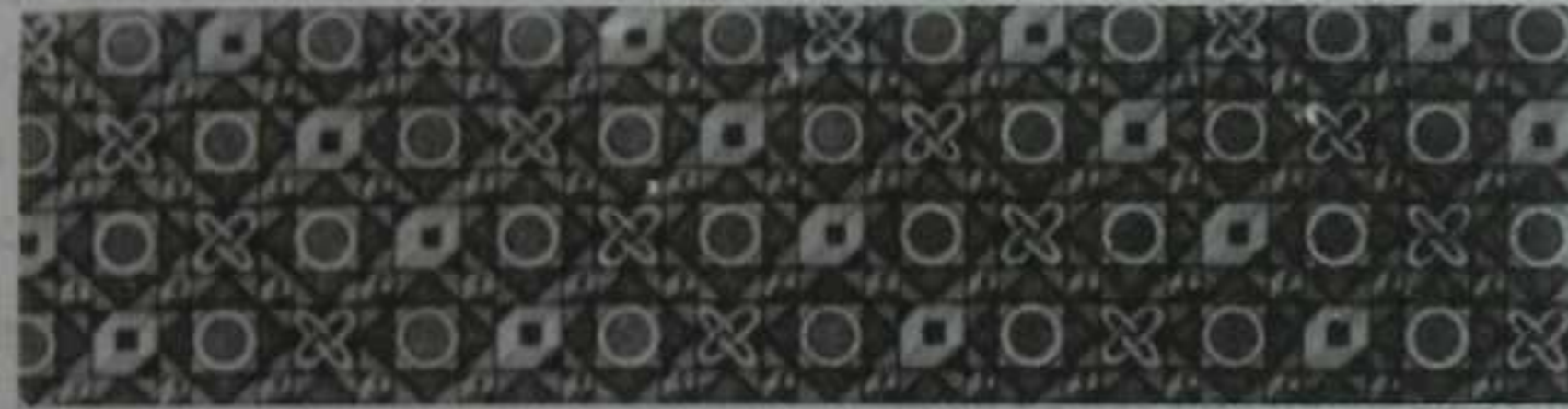
وهو عمل يدل على إمكانيات ضخمة في الإطلاع، متنبهاً تقدم الكنيسة ونموها منذ أوائل المسيحية حتى سنة ٥١٣ م. ولقد

يقول الراهب العلامة بطر المتخصص في القبطيات أن أميلينو يعتبر من أهم العلماء الذين قدموا للعالم أكبر كمية من الوثائق القبطية المفحوصة والمحققة والمترجمة فيما يختص بالحياة الرهبانية الأولى. ويعتقد أميلينو أن الأصول الأولى لكافة الوثائق الأخرى غير القبطية هي من أصل قبطي قديم.

ونلخص للقارئ عمل أميلينو راجعاً من وراء ذلك فتح باب الأبحاث والترجمات للقبطيات، لعل الله يفتح نفس الرهبان ليقوموا بأبحاثهم عن ماضي أسلافهم وميراث آباؤهم:

١ - مجموعة المجلدات الأولى (طومس ١). وهو عن حياة وأعمال قديسنا العظيم أنبا شئونة. وقد ظهر سنة ١٨٨٨ م من ص ٤٧٨-١ وذلك ضمن أبحاث ومطبوعات المعهد الفرنسي في مصر:

Memoires publiés par les membres de la mission archeologique française au Caire, Tome 4.



زخرف حائطي ملون من أشكال هندسية متداخلة في تناسق بديع - القاعة رقم ١٩ من دير باويط - محافظة أسيوط يرجع تاريخها إلى القرن السادس/السابع

ننقل هنا للقارئ كلمة متحف المتروبوليتان عن أعمال إيقلين هويت:

وقد بدأ بدراسة تاريخ الأديرة من المصادر الأدبية، التي تضمنت تقصي المستندات الأصلية المحفوظة في ٤ لغات، وقد انهمك في مهمته بلا انقطاع في كمبريدج من سنة ١٩١٧-١٩١٩ مظهراً لنا دائماً شكره على التسهيلات التي قُدمت له من قبل المسؤولين في مكتبة جامعة كمبريدج، وللمعاونة التي أبدتها باحثون بريطانيون عديدون، كل من سعى إلى معاونتهم كلٌّ في مجاله الخاص.

وهذا العمل الذي قارب على الكمال، عاد إلى مصر في شتاء عام ١٩١٩-١٩٢٠ وقام برحلة إلى الأديرة وقضى بعض الوقت هناك مع الرهبان، وجهاز دراسة متقنة عن الشواهد المعمارية والأثرية التي توضحها المباني. وفي الشتاء التالي لعام ١٩٢٠-١٩٢١ قام بزيارتين أخريين إلى وادي النطرون، رافقه في الزيارة الأولى إثنان من أعضاء هيئة البعثة الأثرية هما هوسر وبيرتون، اللذان تعاونوا معه في تكميل العملية الشاقة للمسح المعماري والتسجيل التصويري للأديرة التي عملت بها البعثة في عام ١٩١٠-١٩١١.

وفي التقريرين الشاملين اللذين قدمهما هويت للمتحف في تلك السنوات، يلخص النتائج الرئيسية لأبحاثه واستقصاءاته عن الأديرة خلال هذه الزيارات الثلاث - والتي كانت هي الزيارات الأخيرة التي قام بها لوادي النطرون - ويصف اكتشافه للوثائق الهامة التي تضمنها المجلد الأول من كتابه المشهور. ولا شيء يستطيع أن يصور بأكثر وضوح بعض السجاياء الرائعة في شخصية هويت أكثر من سجل إنجازاته التي يشهد لها هذان التقريران واهتمامه القلبي وإصراره على المتابعة والإستقصاء، واجتهاده الشديد في كل ما يوكل به إليه من مشاكل أو مهام، وتواضعه الجرم إزاء أي إنجاز يتحقق ويكون راجعاً لكفاءته التي لا تكل وأسلوبه الصائب في العمل.

لقد تم أعظم عمل لهويت عن تاريخ ومعمار هذه الأديرة قرب وقت موته حتى أن كتابه الذي نُشر في ثلاثة مجلدات ضخمة يُعتبر أعظم وأشمل مرجع تاريخي معماري عن أديرة وادي النطرون قاطبة:

المجلد الأول: يشمل الوثائق التي عثر عليها في مكتبة دير القديس أنبا مقار.

المجلد الثاني: يشمل بحث تاريخي لرهينة نتريا والقلايا

إن أبحاث إيقلين هويت الرائعة في تاريخ أديرة وادي النطرون ودراسته الدقيقة لهذه الآثار التي لعبت دوراً كبير الأهمية في تاريخ الكنيسة المسيحية المبكر في مصر، أخذت شكلها النهائي في خريف عام ١٩١٧، حينما تمكن من متابعة جوائب عمل بعثة المتحف التي كان عضواً فيها من عام ١٩٠٩ إلى عام ١٩١٥ الذي لم يُستكمل، وذلك بعد أن عجز عن مواصلة الخدمة العسكرية مع القوات البريطانية في مصر بسبب انهيار صحي عام أصابه.

لقد قضى السنوات الأولى من علاقته بالبعثة في الواحة الخارجة وفي طيبة. ومن عام ١٩٠٩ حتى عام ١٩١١ عاون وينلوك في أعمال التنقيب التي تمهد بها هذا الفرع من بعثتنا في معبد أبيس في الواحة، ونسخ المراسيم اليونانية في المعبد للنشر النهائي. وفي نفس الوقت اكتشف الحد الشمالي للواحة بنقوشه اليونانية، مكرساً نفسه بالأخص لفهرسة هذه النقوش التي في المدافن المسيحية في البجوات.

وفي عام ١٩١١-١٩١٣ اشترك معه وينلوك في أعمال المتحف للتنقيب في طيبة قرب قصر أمنحوتب الثالث، وفي الأساسيف؛ وفي عام ١٩١٣-١٩١٤ في التقصي عن دير إبيفانيوس والآثار المسيحية المبكرة المجاورة في جبانة طيبة. وبياندلاع الحرب في عام ١٩١٤ وبسبب عدم قدرته على أن يؤثن التحاقه بالجيش البريطاني في هذا الشتاء الأول للمصرع، عاد إلى طيبة؛ ومع تغير برامج البعثة تماماً بسبب الأزمة، صار من الممكن استئناف أعمالنا في التنقيب. وخلال ربيع ١٩١٥ أشرف وحده على استكشاف منطقة إضافية لما اعتبارها قرب قصر أمنحوتب.

وفي خريف عام ١٩١٥ تقلد منصباً في الجيش البريطاني، وألحق بالقوة التي كانت مكلفة حينذاك بمد خط حديدي يمتدق برزخ السويس ويمتد إلى فلسطين. وهناك انهارت صحته التي طالما كانت غير مستقرة. وفي عام ١٩١٧ أعني من الخدمة العسكرية بسبب المرض، دون أدنى أمل لدخوله مرة ثانية.

بعد ذلك وفي نفس العام، اتضح لمتحف المتروبوليتان نيو يورك إمكانية سؤاله أن يأخذ على عاتقه دراسة معمارية تاريخية لأديرة وادي النطرون (كإعداد لعمل تمهيدي سبق القيام به من سنة ١٩١٠ إلى سنة ١٩١١ بواسطة بعثة المعهد).

المجلد الثالث: ويشمل المعمار الخاص بأديرة وادي

٥ - بطر Dom Cuthbert Butler

(١٨٥٨-١٩٣٤م)

كلها في الفترة من ١٩١٤-١٩٢١، ونال الدكتوراه الفخرية. ومن حياة وأعمال هذا الراهب العالم ندرك أنه كان المعياً محباً للبحوث الرهبانية كبقية البندكتيين العلماء، وكان حاد الذكاء ضحوكاً يخفي وراء انضاعه وبساطته روحانية عميقة. أهم مؤلفاته كتاب «التصوف الغربي»، ولكن في نظرنا، فإن أهم مؤلفاته هو بحثه في كتاب «بستان الرهبان» (المدعو بالتاريخ اللوزياكي)، فقد رفع بحثه العلمي الدقيق هذا المؤلف النادر من حالة النسيان والبليلة إلى أوج الثبوت العلمي والشهرة العالمية.

بطر علامة كاثوليكي راهب من فرقة البندكت. صار مبتدئاً في الطريق الرهباني سنة ١٨٧٦م، تتف بالفسفة وعشق أفكار أوغسطين بيكر، رُسم كاهناً في مدينة دونسيد ١٨٨١، تشبع بروح رهبنة كاسيان التي استقاها بدوره من رهبان أقباط مصر الأماجد، دخل جامعة أكسفورد سنة ١٨٩٦-١٩٠٤ نال بعدها إجازاتها، وفي ثقافته المدرسية تأثر بأفكار البارون فون هيجل. رحل إلى ألمانيا سنة ١٩٠٤، ثم عاد إلى وطنه وتعين عميداً لكلية الشالوث في دونسيد ١٩٠٧-١٩٢٢. ثم تعين رئيساً لجماعة البندكت في إنجلترا

٦ - كوتيليه: Cotelien.Jean Baptiste

الرسولين» نشر سنة ١٦٧٢ وكذلك كتاب: Ecclesiae Graecae Monumenta (٣ أجزاء = ١٦٧٧-١٦٨٦م) وهو الذي اضطلع بتسجيل كتابات الآباء في الباترولوجيا جر يكا.

باحث فرنسي في الدراسات الآبائية. في سنة ١٦٦٧ اختير بواسطة ج. ب. كولبرت J.B. Colbert ليعاون في عمل الكتالوجات للمخطوطات اليونانية بمكتبة «رويال» بباريس. ومن ضمن كتاباته الشهيرة «كتاب عن الآباء

٣ - مؤرخون وطنيون وكنسيون قدامى

١ - المقريري: (١٣٥٩-١٤٢٦م)

دفعه، وكيف كانت تُسلب بيوتهم ونُسي نساؤهم وأولادهم في أزمنة الفوضى التي فيها كان يتولى حكم مصر ولاية ضعاف أو عندما كانت تقوم صراعات داخلية يذهب ضحيتها عائلات القبط.

ويعد تاريخه هذا من أصدق وأوفى المراجع التي تحدثت عن الأديرة والكنائس التي كانت قائمة في زمانه أو التي سمع هوعنها واندرست. و يوجد الآن طبعة حديثة منه في المكتبات.

هو الشيخ الإمام العلامة والمؤرخ «تقي الدين أحمد بن علي المقريري»، وُلد بالقاهرة سنة ١٣٥٩م وتوفي سنة ١٤٢٦م. كتب كتاباً تاريخياً هو: «المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار» المعروف بالخطط المقريرية. ومن ضمن فصوله يصف حال الأقباط وما حل بهم من اضطهادات وتكيات من بدء دخول العرب في القرن السابع الميلادي حتى القرن الخامس عشر، بروح متساهمة خالية من التحيز؛ بل كان أسلوبه يعيل أحياناً إلى العطف عليهم حينما يتكلم عن الحرائق والتخريب الذي كان يحل بالكنائس والذي يحا معالم المئات منها في كل

٢ - ساويرس بن المقفع أسقف الأشمونين (القرن العاشر)

من أقوى الشخصيات التي لمعت في تاريخ الكنيسة القبطية، وأبرز الكُتَّاب المسيحيين الذين كتبوا باللغة العربية، وله يرجع الفضل في معرفتنا بسير الكثير من بطاركة الكنيسة. ومع هذا فمعرفتنا بنشأته وسيرته قليلة حتى الآن، تعتمد على الاستنتاج أكثر من التواريخ المحددة. فن المعروف أنه عاش في النصف الأخير من القرن العاشر وأوائل القرن الحادي عشر الميلادي. ويحتمل أن يكون البابا مقاره الأول البطريرك التاسع والخمسون (٩٣٢-٩٥٢ م) هو الذي رسمه أسقفاً على الأشمونين، إحدى الإيبارشيات المشهورة في صعيد مصر وهي الآن إحدى القرى القريبة من الروضة مركز ملوي محافظة المنيا (حالياً). وقد عمر طويلاً حتى أنه تعدى الثمانين من عمره وعاصر البطاركة أنبا ثاوفانيوس وأنبا مينا الثاني وأنبا أبرام السرياني ثم تنجح في أوائل عهد أنبا فيلوثاوس البطريرك الثالث والستين، وتقدّر مدة أسقفية ثلاثين عاماً.

وساويرس كاتب خصيب، عُرف له حتى الآن ٣٨ كتاباً موزعة على مكتبات أوروبا والدار البطريركية والمتحف القبطي وأديرة وادي النطرون، تتناول مختلف علوم الكنيسة من لاهوت وعقائد وردود على اليهود والمسلمين والمكانيين، كما أن له ميامر ومواعظ لإثارة الشعب ورده على البدع والخرافات التي كانت شائعة وقتئذ. وكلها تم عن عمق معرفة بالكتاب المقدس والتقليد الآبائي النقي، كما أن معرفته باللغتين اليونانية والقبطية أتاحت له ترجمة سير البطاركة من عهد مارمرقس الرسول.

وجميع كتابات ابن المقفع باللغة العربية التي أجادها إجادته تامة، فكان بحق أول كاتب قبطي يكتب بالعربية. وقد ساعده على ذلك صداقته بالشيخ الواضح ابن الرجا المسلم الذي تنصر ثم تروهب وصار كاهناً باسم الأب بولس بن الرجا الذي يُعتبر صديقاً حميماً لابن المقفع. فكم من الليالي قضياها معاً في فهم أسرار كلمة الله!!

وكانت لساويرس بن المقفع مكانة عظيمة في الكنيسة في عصره، وكان موضع ثقة البطريرك أنبا أبرام بن زرع (٦٢) فكان يبعث به إلى مجالس الخليفة المعز لدين الله الفاطمي حيث كانت تجري مناقشات دينية مجهرته بين المسيحيين وبين اليهود والمسلمين، فكان يدافع عن مسيحه وكنيسته في كل مجلس، ويخرج منها وقد أعلن بقوة صدق ديانته.

وإلى جانب هذا كان مدافعاً حقيقياً عن عقائد الكنيسة ضد البطريرك الملكي سعيد بن بطريق الذي طلق بناوئها بتعصيد من حاكم مصر الجديد محمد الأخشيد بغية التفرقة.

وأهم مؤلفات ساويرس بن المقفع هو كتابه «سير البطاركة» الذي جمع مادته من أديرة القديس أنبا مقاربوادي النطرون والعدراء بنهيا غرب القاهرة وأديرة أخرى بالفيوم والصعيد. وإتقانه للغة اليونانية جعلته يستعين بالمصادر اليونانية في كتابه، وأهم هذه المصادر:

- ١ - كتاب فيلو الفيلسوف اليهودي الإسكندري في القرن الأول الميلادي.
- ٢ - يسطس، من مؤرخي القرن الثاني الميلادي.
- ٣ - يوسيفوس المؤرخ اليهودي المعروف في القرن الميلادي الأول.
- ٤ - هجسيوس من مؤرخي الكنيسة في القرن الثاني.
- ٥ - أفرىكانوس من مؤرخي الكنيسة في القرن الثالث.
- ٦ - أوسابيوس القيصري أبو التاريخ الكني، في القرن الرابع.
- ٧ - سوزومين، كاتب التاريخ الكني في القرن الرابع.

وعن هؤلاء كتب ساويرس سير البطاركة حتى عهد البابا كيرلس الكبير عمود الدين. أما بعد ذلك فقد لجأ إلى المصادر القبطية. وأهم المؤرخين الذين أخذ عنهم:

- ١ - مينا الكاتب.
 - ٢ - ثاويسطس شماس البابا ديستورس البطريرك (٢٥).
- ومن هذين المصدرين أمكن معرفة سيرة هذا البابا القديس والمعترف وما جرى عليه من اضطهادات ومعجزات في مدة نفيه بجزيرة غاغرا حيث تنجح هناك.

٣ - يوحنا النقيوسي:
أسقف أبشادي (زاوية رزين الحالية بمركز منوف) ومن رجال القرن السابع، كتب تاريخاً باليونانية أو القبطية لم يُعثر عليه حتى الآن، ولكن وُجدت له ترجمة حبشية مأخوذة عن نسخة عربية قديمة ليس لها أثر الآن.

- ٤ - الشماس إسحق:
تلميذ البابا يونس البطريرك (٤٠) وكاتب سيرته.

٥ - أنبا مينا أسقف إبشادي:

بعد يوحنا النقيوسي السابق ذكره، وهو الذي كتب سيرة البابا إسحق البطريرك (٤١).

٦ - الأرشيدياكون أبو جرجه:

من كُتَّاب القرن السابع المشهورين، نقل سيرة البطاركة من كيرلس عمود الدين البطريرك (٢٤) إلى البابا ألكسندروس البطريرك (٤٣) أثناء تواجده بدير الأمير تادرس بالفيوم ودير أنبا مقاربوادي النطرون.

٧ - الأب الروحي للبابا قسما البطريرك (٤٤):

وقد كتب سيرته.

٨ - الشماس يوحنا تلميذ أنبا مويسيس أسقف أوسيم في القرن الثامن، وقد نقل سير البطاركة حتى البابا تاودورس البطريرك (٤٥).

٩ - يوحنا كاتب البابا شنوده الأول البطريرك (٥٥):

والذي عاش في القرن الثامن وأوائل القرن التاسع، وعمّر طويلاً وكتب سير البطاركة ابتداءً من أنبا مينا الأول البطريرك (٤٧) إلى البابا شنوده الأول البطريرك (٥٥).

١٠ - البابا أنبا أبرام بن زرع:

البطريرك (٦٢). وقد وضع تاريخاً للبطاركة استعان به ابن المقفع ولكنه مفقود.

هذه هي المصادر القبطية التي استعان بها ونقل منها كتابه عن سير بطاركة الكنيسة القبطية. وقد ذكر أيضاً أن الذين عاونوه في هذه المهمة أربعة هم:

١ - ميخائيل بن بدير:

الذي صار أسقفاً على تنيس بعد ذلك باسم أنبا ميخائيل، وكان راهباً بدير أنبا مقار. وقد اختفى مع رفائيل الثلاثة الآخرين بدير أنبا يحنس كما ببرية شبيبت مدة خمسة عشر يوماً حيث نقلوا سير البطاركة التي وجدوها، وكانوا يسهرون كل ليلة حتى منتصفها في مراجعة ما نسحوه. ثم اختاره البابا فيلوثاوس البطريرك (٦٣) كاتباً خاصاً له، ورسمه البابا أنبا خرستوذلو البطريرك (٦٦) أسقفاً على تنيس ناحية بحيرة المنزلة، وتنجح في آخر أيام هذا البطريرك.

٢ - الشيخ بقيرة الرشيدي:

صاحب الصليب، ولقب هكذا لأنه ترك خدمة الديوان ومضى إلى قصر الحاكم بأمر الله المعروف بقسوة اضطهاده للنصارى وهناك وقف منادياً بأن المسيح ابن الله، فطرحه الحاكم في السجن. وقضى مدة في الحبس مشدوداً إلى وتد كبير

مضروب في الأرض، ورغم ذلك كان يقضي وقته قائماً يصلي ووجهه جهة الشرق رغم ثقل الحديد المسلسل فيه. وتنبأ بخروجه من الحبس، وفعلاً أمر الحاكم بأمر الله بإخراجه وحرر له سجلاً بالأب يعترضه أحد في أي أمر من الأمور. وبعد ما تفقد عائلته في مصر قام يطوف البلاد مطمئناً النصارى الخائفين من بطش الحاكم، كما كان يبتاع لهم ما يحتاجونه من خبز وماء و يبعث به إليهم مع غلمانته. وبعد ثلاثة أيام أمر الحاكم بإطلاق الحرية للنصارى.

وقد قضى بقية حياته في دكان افتتحه لتوزيع القمح والأطعمة على الفقراء وعلى الأغنياء الذين أخطى عليهم الدهر. كما كان يمضي إلى الحبس لافتقاد من فيه وحمل ما يحتاجونه. ثم كان يجمع من الأغنياء والرؤساء ما يساعده في سداد من كان عليه دين. وبعد كل هذا كان يقضي ما تبقى من وقت مع رفيقه ميخائيل بن بدير كاتب البطريرك في قراءة الكتب. أما الليل فكان يصرفه في العبادة والصلاة.

وقد تنجح في زمان بطريركية البابا خرستوذولو (٦٦).

٣ - القس زكير:

أحد الأربعة الذين عملوا مع ساويرس بن المقفع، ولا يُعرف عنه أكثر من أنه كان رئيس دير نهبيا حيث كانت توجد بعض المصادر التي اعتمد عليها ابن المقفع.

٤ - الشماس تيدرا (تادرس) الأمين ابن يونس:

من أهل منوف، وكان كاتب القلاية البطريركية في عهد البابا فيلوثاوس البطريرك (٦٣). وكان موجوداً في كنيسة الشهيد تادرس بصندفا حينما أقام بها القديس بولس بن الرجا صديق ابن المقفع المنتصر، وحضر نياحته وقام بدفنه ثم قص سيرته على الشماس ميخائيل بن بدير رفيقه فوضعهما هذا في سيرة البابا فيلوثاوس (٦٣).

أما لقب «الأمين» الذي نُعت به فهذا لأنه كان أمين دير أنبا مقاربوادي النطرون.

ويتضح من كتاب «سير البطاركة» أن أنبا ساويرس بن المقفع ومعاونيه الأربعة جمعوا سير البطاركة ابتداءً من مار مرقس البشير كاروز الديار المصرية إلى البابا شنوده الثاني البطريرك (٦٥). وقد تُرجم منها عن اليونانية والقبطية إلى العربية سيرة الستة والخمسين بطريركاً الأول، أما التسعة الباقون فيبدو أنها كُتبت أصلاً باللغة العربية. وسار من بعدهم على هذا النسق - أي الكتابة بالعربية - كل البطاركة حتى الآن.

٣ - مؤرخون كملوا عمل ساويرس بن المقفع

- وبعد نياحة أنبا ساويرس استأنف كتابة سير البطاركة:
١ - الشيخ موهوب بن منصور الإسكندراني:
وكتب سيرة البطريركين خرستوذولو (٦٦)، كيرلس الثاني (٦٧).
٢ - ابن القزهي الكاتب:
وكتب سيرة البابا ميخائيل (٦٨) والبابا مقاره الثاني (٦٩).
٣ - البابا مرقس الثالث البطريرك (٧٣):
وقام بإتمام سيرة من سبقوه وهم البطاركة غيريال الثاني (٧٠) إلى يوتس الخامس (٧٢).
٤ - معاني أبو المكارم بن بركات:
كاتب قبطي من القرن الثاني عشر والثالث عشر، وكتب سيرة البطريركين مرقس الثالث (٧٣) ويوتس السادس (٧٤).

٥ - أنبا يوساب أسقف فوه:

من رجال القرن الثالث عشر، كان راهباً بدير أنبا يحنس بيرية شهيت وكان روح حركة ونشاط في الإصلاح المنشود في زمان بطريركية البابا كيرلس الثالث (٧٥). وهو الذي كتب سيرة البطاركة الذين عاصروهم: كيرلس الثالث الشهير بابن لقلق (٧٥)، أثناسيوس (٧٦).
أما الذين كتبوا سير البطاركة بعد ذلك فلا يُعرف عنهم شيء، وغالباً كانوا كتبة القلاية البطريركية، وأغلبها غاية في الإقتضاب والإختصار حتى أنه لم يُذكر عن بعضهم سوى تاريخ التقدمة والنياحة. ومن كل البطاركة الذين جاءوا بعد ذلك لم نعرف سيرة تفصيلية إلا للبطريرك أنبا متاؤس الكبير، التي يُظن أن كاتبها هو أسقف الخندق (منطقة دير أنبا رويس الحالية) وحتى هذا غير معروف الاسم.

فهارس وجداول الكتاب

وثبت تاريخي عام

وأسماء الأعلام والبلاد والفضائل

أولاً: الفهارس

١ - فهارس تاريخية

(أ) فهرس (ثبت) تاريخي عام

التاريخ	الحادثة الخاصة به	الصفحات
٢٣٤ م	ميلاد أنبا بولا أول السواح	٤٥
٢٤٧-٢٦٤	زمن بطريركية أنبا ديوناسيوس البابا الـ ١٤	٥٤٠
٢٥٠	اضطهاد ديسيوس وقاليريان وخروج أنبا بولا من العالم	٤٥
٢٥١	ميلاد أنبا أنطونيوس أبي الرهبان	٤٧
٢٧١	خروج أنبا أنطونيوس من العالم	٤٧
٢٧٥	ميلاد أنبا آمون رئيس أول جماعة رهبانية في نتريا	٢٥٩، ١٧٨
٢٨٤-٣٠٥	مدة حكم دقلديانوس	٥٩
٢٨٥	عبور أنبا أنطونيوس النيل إلى الصحراء الشرقية	٤٧
٢٨٥	ميلاد أنبا كرونيس أحد آباء نتريا الأوائل	٢٠١
٢٩٠	ميلاد أنبا باخوميوس أبي الشركة	٥٩
٢٩٥-٢٩٧	الثورات المحلية التي جرت في مصر	٢٠٢
٢٩٧ أو ٢٩٧	ميلاد أنبا مقار يوس الإسكندراني	١٧٨
٢٩٧	زواج أنبا آمون الكبير واحتفاله ببتوليته مع زوجته	٦١ و ٥٩
٣٠٠	ميلاد أنبا مقار يوس الكبير	٤٣ و ٤٨ و ٤٩
٣٠٥	بداية أول جماعة رهبانية بقيادة أنبا أنطونيوس وتاريخ أول دير قبطي	٢٤١
٣٠٩	ميلاد أنبا بافنتيوس تلميذ أنبا مقار يوس الكبير	٥٤٨
٣١٠	دخول أنبا باخوميوس للرهبنة	١٧٨
٣١٣	تاريخ جمع يوسابيوس القيصري لسير الشهداء	٢٥٤
٣١٥	اعتزال أنبا آمون الكبير العالم	٤٣
٣١٥	مرافقة أنبا أورلامون الكبير في بدء حياته في نتريا	١٩٤
٣١٨	تاريخ أول دير ينشئه باخوميوس	٣٠١
٣١٨	ميلاد أنبا إيسيدوروس صاحب بيت الضيافة بالإسكندرية	٢٣٤
٣٢٠	ميلاد أنبا يوسف الكبير	٢٥٥
٣٢٠	ميلاد أنبا بيشوي	١٩٦
٣٢٠	ميلاد أنبا شيشوي	١٩٦
٣٢٥	تلمذة أنبا بيثور للقديس أنطونيوس الكبير	٦٨
٣٣٠	ارتحال أنبا بيثور إلى نتريا	
٣٣٠	بداية توحيد أنبا مقار يوس الكبير	

التاريخ	الحادثة الخاصة به	الصفحات
٣٣٢	ميلاد أنبا موسى الأسود	٢٦٥
٣٣٥	مجيء أنبا مقار يوس الإسكندري لبرية القلاي	٢٠٢
٣٣٥	زيارة أنبا مقار يوس الإسكندري لأنبا أنطونيوس الكبير	٢٠٣
٣٣٥	مجيء أنبا مقار يوس الإسكندري لنتريا وترهبه بها	٢٠٣
٣٣٦	ميلاد أنبا أمونيوس الأسقف	٢٦٦ و ٢٦٢
٣٣٧	ميلاد أنبا إشعياء الأسقفي	٢٨٤
٣٣٧-٣٤٠	نياحة أنبا آمون الكبير	١٧٨ و ٢٥٩
٣٣٨	انضمام أنبا نثنائيل إلى جماعة نتريا	١٩٥
٣٣٩	ميلاد أنبا يوحنا القصير	٢٢٩
٣٤٠	رسامة أنبا مقار يوس الكبير قساً	٦٥
٣٤٠	انطلاق أنبا مقار يوس الكبير إلى برية شيهيت بقيادة الشاروبيم	٦٧ و ٢١٣
٣٤٠	ذهاب أنبا شيشوي إلى شيهيت ومرافقته لمقار يوس الكبير	٢٥٥
٣٤٠	انضمام أنبا بيشوي لرهبان شيهيت	٢٣٤
٣٤٠	سفر أنبا أثناسيوس الرسولي إلى روما	٢٦٠
٣٤٠	تقديم أنبا باموقساً	١٩٨
٣٤٠	ولادة أنبا أمونيوس الطويل	١٩٩
٣٤٠	دخول أنبا تادرس البرامي الرهبنة	٢٨٢
٣٤٠	انضمام أنبا إيسيدوروس (القس) إلى مقار يوس الكبير	٢٣٩
٣٤١	مرافقة أنبا إيسيدوروس صاحب بيت الضيافة بالإسكندرية	
	للأنبا أثناسيوس في رحلته إلى روما	١٩٤
٣٤١	نياحة أنبا بولا أول السواح	٤٥
٣٤٢	ميلاد العلامة جيروم	١٨٦
٣٤٣	زيارة أنبا مقار يوس الأولى لأنبا أنطونيوس	٦٩
٣٤٥	اجتماع مجمع سرديقا	٢٧٢
٣٤٥	ميلاد المؤرخ روفينوس	١٨٤
٣٤٥	ميلاد إيفاجر يوس (أوغريس) البنطي	١٨٦
٣٤٦	نياحة أنبا باخوميوس أب الشركة	٢٠٤
٣٥٠	ذبيح صيت أنبا يوسف الكبير	٣٠١ و ٣٠٠
٣٥٠	بناء كنيسة القلاي	٣٢١
٣٥٠	الأسقف سيرابيون المعلم يؤلف كتاباته	٢٧٠
٣٥٣	الزيارة الثانية لأنبا مقار يوس الكبير لأنبا أنطونيوس	٦٩
٣٥٤	ميلاد أنبا أرسانيوس معلم أولاد الملوك	٣٠٤
٣٥٥	مجيء أنبا إشعياء الأسقفي إلى شيهيت	٢٨٤
٣٥٥	نياحة أنبا أمونيوس رفيق آمون الكبير	٢٥٩
٣٥٥	ذهاب أنبا أمونيوس (الأسقف) من طبانسين إلى نتريا	١٨٣ و ٢٦٢ و ٢٦٢
٣٥٥	رسامة أنبا بافنتيوس البسيط كاهناً	٢٤١ و ٢٦٢
٣٥٥	رسامة أنبا مقار يوس الإسكندري كاهناً	٢٠٣

الصفحات	الحادثة الخاصة به	التاريخ
٢٣٠	بدء توحيد أنبا يوحنا القصير	٣٧٤
٤٥	چيروم يكتب سيرة أنبا بولا	٣٧٤
١٠٧	تاتيان والياً على مصر	٣٧٤-٣٧٧
٢١٤	يُظنُّ أن لوكيوس (الهرطوقي) انحدر إلى شيهيت	٣٧٤
١٠٦	اضطهاد لوكيوس الهرطوقي للشعب المسيحي	٣٧٥
٢١٧	عودة القديسين مقار يوس المصري والإسكندري من المنفى	٣٧٥
١١٠	عودة جماعة نتر يا من المنفى	٣٧٥-٣٧٦
١٨٥	بدء قيام جماعة الرهبان الأجانب في بركة شيهيت	٣٧٥
١١٠	طرد الأسقف لوكيوس الكاذب من كرسي الإسكندرية	٣٧٧
٢٣٤	نياحة مار أفرآم	٣٧٨
٢١٤	شيهيت تستعيد قوتها وجمالها	٣٧٨
٣٤٤	زمان مجيء بورفيري الغزاوي من تسالونيكى إلى شيهيت	٣٧٨
	مكسيموس ودوماديوس يتركان فلسطين وهي سنة اعتلاء الإمبراطور	٣٧٩
٢١٩	ثيودوسيوس العرش	
٢١٤	لم تأت هذه السنة إلا وكان كل الآباء قد عادوا من المنفى	٣٨٠
٢٢٠	مكسيموس ودوماديوس يصلان إلى شيهيت	٣٨١
١٨٦	مجيء إيفاجر يوس إلى مصر هارباً من الخطية	٣٨٣
٢٢٠	نياحة مكسيموس ودوماديوس	٣٨٣-٣٨٤
٢٢٠	بناء الكنيسة الكبرى في دير البراموس	٣٨٥
٢٠٠	زمن بطريركية أنبا تيموثاوس البابا الـ ٢٢	٣٨١-٣٨٥
٢٣٠	ظهور دير أنبا يونس القصير	بين ٣٨٠ و ٣٨٥
٣٧٠	مدة حياة سقراط المؤرخ	٣٨٠-٤٥٠
٨٢	تتلمذ إيفاجر يوس البنطي على أنبا مقار يوس الإسكندري	٣٨٥
٢٦١ و ١٩٧	تولى ثاوفيلس البابا الـ ٢٣ الرياسة على الكنيسة	٣٨٥
٢٢٥ و ٢٢٠	زيارة يوحنا كاسيان الأولى لبرية شيهيت	٣٨٥
٢٢٠	نزوح أنبا مقار يوس الكبير إلى منطقة دير أنبا مقار	٣٨٥
٢٤٠	ظل إسم إيسيدوروس القس حتى هذه السنة يتردد في التاريخ	٣٨٥
١٨٧	انحدر چيروم و باولا إلى نتر يا	٣٨٥
٢٧١	زيارة چيروم و باولا للقديس سيرابيون الكبير	٣٨٦
٢٧١	زيارة ميلانية للقديس سيرابيون الكبير	٣٨٧
١٨٨	نزوح بالليديوس إلى الإسكندرية	٣٨٨
١٩٥	ثاوفيلس البابا الـ ٢٣ يرسل إيسيدوروس صاحب بيت الضيافة في مهمة إلى روما	٣٨٨
٦١	نياحة أنبا مقارة الكبير حسب تحقيق بالليديوس	٣٩٠
٦١	مجيء بالليديوس لبرية شيهيت	٣٩٠
١٨٨ و ١٩٥ و ١٩٧	وصول بالليديوس إلى نتر يا بعد تركه للقديس إيسيدوروس الطيبي	٣٩٠
٢٤٣	التحاق أنبا بيمن بشيهيت	٣٩٠
٢٠٢	رؤية بالليديوس للقديس مقار يوس الإسكندري	٣٩٠

الصفحات	الحادثة الخاصة به	التاريخ
١٩٦	(أنبا بيثور ينزل لزيارة أخته)	٣٥٥
١٩٨	أصبح أنبا بيثور من أشهر شيوخ نتر يا	٣٥٥
١٩٧ و ١٧٨	نياحة أنبا أنطونيوس الكبير أبي الرهبان	٣٥٦
٢٧١ و ٢١٤		
٢٥٥ و ٢٥٤	انتقال أنبا شيشوي من شيهيت إلى جبل أنطونيوس في بسير	٣٥٦
٢٦٩	أنبا أنثاسيوس الرسولي يرسل أساقفة وكهنة للإمبراطور قسطنطينوس بشأن بدعة آر يوس	٣٥٦
٢١٤	شيهيت بلغت اكتمالها الرهباني	٣٥٦
١٨٠	زار أنبا أنثاسيوس الرسولي نتر يا وعاش بين رهبانها أثناء نفيه الثالث	٣٥٦-٣٦٦
٢٢٩	خروج القديس يوحنا القصير من العالم ومجيئه إلى شيهيت	٣٥٧
٢٢٦	أنبا مقار يوس الكبير يعيش بمفرده على الصخرة المعروفة باسمه	٣٦٠
١٩٩	انضمام أمونيوس الطويل لرهبان نتر يا	٣٦٠
١٩٦	نياحة أنبا بيثور	٣٦٠
١٨٨	ميلاد بالليديوس في غلاطية	٣٦٣
٢١٨ و ١٠٦	زمن حكم الإمبراطور فالنتينيان	٣٦٤-٣٧٥
٢٦٥	دخول أنبا موسى الأسود الرهبنة	٣٦٥
٢٦٢	رسامة أنبا أمونيوس أسقفاً	٣٦٩
٢٤٣	ميلاد أنبا بيمن	٣٧٠
٢٦٥	احتساب أنبا موسى الأسود ضمن شيوخ شيهيت	٣٧٠
٢٦٩	نياحة أنبا سيرابيون الأسقف والمعلم	٣٧٠
٢٧٥	ترهب أنبا إسحق قس القلاي في نتر يا	٣٧٠
١٨٤ و ٥٥	ارتحال روفينوس إلى الشرق وزيارته نتر يا والقلاي وشيهيت	٣٧١-٣٧٢
٧١٢		
١٨٥	زيارة روفينوس لأنبا مقار يوس الكبير في قلايته	٣٧٣
٢٠٠ و ١٠٦	(بناير) اضطهاد فالنس للرهبان	٣٧٣
٢١٧ و ١٠٥	(مايو) نياحة البابا أنثاسيوس الرسولي	٣٧٣
٢٢٥		
١٠٩ و ١٠٥	(مايو) اعتلاء أنبا بطرس الثاني الكرسي الإسكندري	٣٧٣
١٠٩	(نوفمبر) بناء كنيسة في الجزيرة التي بُني فيها أنبا مقار يوس الكبير	٣٧٣
١٩٤	نفي أنبا إيسيدوروس صاحب بيت الضيافة بالإسكندرية	٣٧٣
٢٦٢	نفي أنبا أمونيوس الأسقف	٣٧٣
٢٤٠ و ٢٢٦	حلول أنبا بافنونتيوس عمل إيسيدوروس القس	٣٧٣
١٩٧ و ٨٩	نياحة أنبا بامو	٣٧٣
٢٦٥ و ٢٢٥ و ٢٢٠		٣٧٦ أو
٢٠٤	انحدر أنبا مقار يوس الإسكندري من نتر يا إلى القلاي	٣٧٣
٣١٥ و ١٩٣ و ١٨٠	روفينوس يؤرخ أن تعداد نتر يا والقلاي في تلك السنة ٣٠٠٠ راهباً	٣٧٣-٣٧٤
١٩٧ و ١٨٤	زيارة ميلانية للبرية	٣٧٣
٢٤٠	نفي القديس بافنونتيوس إلى ديوقيسرية	٣٧٤

الصفحات	الحادثة الخاصة به	التاريخ	
١٨٦	نياحة الأرملة القديسة باولا	٤٠٤	
٣٠٢	أنثيموس الجد مستشاراً للملك	٤٠٥	
١٨٩	نفي بالليديوس إلى أسوان	٤٠٦	
٢٣٩ و ٢٣٠ و ٢٢٩	الغارة الأولى على شبيبت واستشهاد أنبا موسى الأسود مع ٧ آخرين	٤٠٧	
٢٧٨ و ٢٦٥ و ٢٤١	غادر أنبا بيشوي شبيبت بعد الغارة الأولى	٤٠٧	
٣٠٨ و ٢٩٦ و ٢٩٦		بقاء القديس يوسف في شبيبت بعد عودته من سيناء	٤٠٧
٣٩٤		جاءت إشارة عن وجود أربع كنائس في شبيبت	٤٠٨
٢٣٠ و ٢٣٢		وفاة أركاديوس ابن ثيوذوسيوس الكبير	٤٠٨
١٨٤	نياحة أنبا يوحنا القصير (١٧ أكتوبر)	٤٠٩	
١٨٩	نياحة المؤرخ روفينوس	٤١٠	
٦٨٠ و ١٨٠	مدة بقاء بالليديوس في المنفى في أسوان	٤١٢-٤٠٦	
٢٧٨	زمن بطريركية البابا كيرلس الأول الـ ٢٤	٤١٢-٤٤٤	
٢٣٢ و ٢٣٤	لقاء ثيوذور الإسكندري مع ميلانيا الصغيرة	٤١٢	
١٨٦	نياحة أنبا بيشوي	٤١٧	
٧٠٢ و ١٨٩	نياحة العلامة جبروم	٤٢٠	
٢٥٥	وضع بالليديوس كتاب تاريخ الرهبنة (التاريخ اللوزي ياكوي)	٤٢٠-٤١٩	
٢٥٥	مازال شيشوي في جبل أنطونيوس	٤٢٦	
٢٦٢	أدخل أنبا شيشوي إلى المجمع في أيام شيخوته	٤٣٠	
٣٤٣	مجيء أمون الأسقف من الجبل إلى المجمع في أيام شيخوته ثم نياحته	٤٣٠	
٣٩٢	مجمع أفسس	٤٣١	
٥٣٢ و ٣٩٤ و ٣٠٨	زيارة أنبا شنودة رئيس المتوحدين لدير أنبا مقار يوس	٤٣١	
٣٩٥	غارة البربر الثانية على شبيبت	٤٣٤	
٥٣٢ و ٣٩٤ و ٢٤٤	بناء أول حصن لدير أنبا مقار (بيامون)	٤٣٨	
٤٠٥	الغارة الثالثة على شبيبت	٤٤٤	
٣٠٨	استشهاد الـ ٤٩ شهيداً شيوخ شبيبت	٤٤٤	
٢٨٤	عودة أرسانيوس إلى طرة	٤٤٧	
٣٠٩ و ٢٤٦	نياحة أنبا إشعيا الأسقطي	٤٤٧	
٢٣٨	نياحة أنبا أرسانيوس (١٣ بشنس)	٤٤٩	
١٨٠	نياحة أنبا إيسيدوروس العالم والناسك	٤٥٠	
٣٣١	بدأت شمس نتريا في الغروب لتشرق على القلاي	منتصف القرن الخامس	
٢٤٤	نياحة البابا ديسقوروس (٦ توت)	٤٥١	
٣٠٢	نياحة أنبا ييمن	٤٦٠	
	زمن حكم الإمبراطور أنثيميوس	٤٦٧-٤٧٢	

الصفحات	الحادثة الخاصة به	التاريخ
١٩٣ و ١٨٠	ارتفاع عدد الرهبان في نتريا والقلاي إلى ٥٠٠٠ راهبا	٣٩٠
٢٧١	تعرف بالليديوس بسيرايون الكبير في نتريا	٣٩١
٢٧٢	رؤية بالليديوس لسيرايون السباني	٣٩١
١٨٨	اتحاد بالليديوس إلى القلاي	٣٩١
٢٠٥	(بشنس) نياحة مقار يوس الإسكندري	٣٩٣ أو ٣٩٤
٢٠٦	(خريف) وصول رحلة مؤلف المستور يا موناخورم إلى نتريا	٣٩٤
٢٣٠ و ٢٢١	وصول أنبا أرسانيوس إلى شبيبت بعد هروبه من بلاط الملك	٣٩٤
٣٠٦ و ٣٠٥	ز يارة مؤلف المستور يا موناخورم للقديس يوحنا الأسيوطي	٣٩٤
٢٠٥		أنبا كرونيوس مازال حياً عند زيارة بالليديوس لنتريا
٢٠١	قيام تيموثاوس رئيس شمامسة الإسكندرية برحلة إلى نتريا	٣٩٤
١٧٦	أنبا إسحق قس القلاي يخلف كرونيوس في رئاسة نتريا	٣٩٥
٢٧٤ و ٢٠١	وفاة الإمبراطور ثيوذوسيوس الكبير	٣٩٥
٣٠٦	الحياة الرهبانية في نتريا التأمّت في ٥٠ ديراً	٣٩٥
٣١٥	زيارة كاتب المستور يا موناخورم للقلاي	٣٩٥
٣٢٢	انتقال بالليديوس من نتريا إلى شبيبت تحت تدبير إيفاجر يوس	٣٩٥-٣٩١
١٨٨	بناء بيت للضيافة بالقلاي	٣٩٥-٤٠٠
٣٢١	(برمهات) نياحة أنبا مقار يوس الكبير حسب بعض المؤرخين	٣٩٧
١٢٠ و ١١٩	مجمع قرطاجنة	٣٩٨
٥٤٧	في نهاية هذه السنة كانت هناك أربعة تجمعات في شبيبت	٣٩٩
٢١٦	دخول إيفاجر يوس للحياة في منطقة القلاي	٣٩٩
١٧٥	نياحة إيفاجر يوس بينما كان بالليديوس عنده	٣٩٩
١٨٦ و ١٨٧ و ١٨٨	خطاب ثاوفيلس الفصحى الذي تسبب في حدوث مشاكل	٣٩٩
٣٣٥	تحديد الأربعة الأديرة بمجامعها كل على حدة	٣٩٩
٣٣٥	انتهى مجمع شيوخ الرهبان إلى قبول خطاب ثاوفيلس في قضية «شكل الله»	٣٩٩
٢٤٣	مجيء فوثينوس العالم المشهور من كبادوكيا إلى شبيبت	٣٩٩
٣٤٤	زيارة كاسيان لشبيبت	٣٩٩
٢٤١	غادر كاسيان مصر مع جرمانوس	٤٠٠
٧١١	أمونيوس الطويل وبالليديوس يلتحجان إلى يوحنا ذهبي الفم	٤٠٠
٢٠٠	رسامة بالليديوس أسقفاً على هرمبوليس	٤٠٠
١٨٩	نفي إسحق قس القلاي بيد أنبا ثاوفيلس البابا الـ ٢٣	٤٠٠
٢٧٥	نياحة أنبا أمونيوس الطويل	٤٠٣
٢٥٩	ترك أنبا أمونيوس الأسقف لأسقفية وعودته إلى نتريا وشبيبت	٤٠٣
٢٦٢ و ٢٦١	نياحة إيسيدوروس صاحب بيت الضيافة بالإسكندرية	٤٠٣
١٩٥	حضور أنبا ثاوفيلس البابا الـ ٢٣ مجمع البلوطة بالقسطنطينية	٤٠٣
٢٠٠	عودة إسحق (قس القلاي) من المنفى	٤٠٣
٢٧٥	عودة إسحق (شبيبت) من المنفى ورسامته قساً	٤٠٣
٢٧٧ و ٢٠٢		

الصفحات	الحادثة الخاصة به	التاريخ
٦٠٣	رهينة أنبا جورجي	٦٤٢
٤٤٢	مجيء أنبا زكريا أسقف صا إلى شبيث	٦٤٢
٤٣٧	ميلاد أبيماخس أسقف الفرما	٦٥٠
٤٤٤	مجيء أنبا إسحق إلى شبيث	٦٥٢
٤٢٨ و ٤٢١ و ٢٢٢	تكريس البابا بنيامين الأول البابا الـ ٣٨، لكنيسة أنبا مقار	٦٥٥
٤٣٢	رسامة أنبا يوحنا أسقفاً على نيقوس	٦٦١
٦٨٣ و ٤٣١	زمن بطريركية أنبا أغاثون البابا الـ ٣٩	٦٦٢ - ٦٨٠
٤٣٧	التحاق أبيماخس ببرية شبيث	٦٦٨
٤٤٤	ميلاد أنبا مينا أسقف تمويس (تمى)	٦٧٣
٤٤٠ و ٤٣٧ و ٤٤٠	نياحة أنبا يونس قصص شبيث	٦٧٥
٦٨٢ و ٤٤٢	أنبا زكريا أسقف صا يُعيّن قصصاً على شبيث	٦٧٥
٤٤٠	مجيء أنبا أغاثو العمودي إلى شبيث	٦٧٨
٦٨٢ و ٤٣٢	زمن بطريركية أنبا يوحنا الثالث البابا الـ ٤٠	٦٨٠ - ٦٨٩
٤٤٢	نياحة أنبا زكريا أسقف صا بعد رسامته أسقفاً بقليل	٦٨٤
٤٤٤ و ٤٤٢ و ٤٣٢	زمن بطريركية أنبا إسحق البابا الـ ٤١	٦٨٩ - ٦٩٢
٦٨٣		
٥٣٣ و ٤٤٥ و ٤٣٢	زمن بطريركية أنبا سمعان الأول الـ ٤٢	٦٩٢ - ٧٠١
٦٨٤ و ٦٨٣		
٤٤٤	وصول أنبا مينا (أسقف تمويس) إلى البرية	٦٩٠
٦٨٣ و ٤٣٢	البابا سمعان الأول يعين يوحنا النيقوسي مديراً لأديرة شبيث	٦٩٤
٤٤٥	رسامة الراهب زكريا أسقفاً على سخا وبطليموس رفيقه	٦٩٥
٤٤٥	أسقفاً على منوف العلاء	
٤١٧	أنبا يوحنا أسقف صا يعمد الرهبان الغيانيين المنشقين في منطقة المونا	٧٠٤
١٩٣	زمن بطريركية البابا ألكسندروس الثاني البابا الـ ٤٣	٧٠٥ - ٧٣٠
٤٤٥	نياحة أنبا زكريا أسقف سخا	٧٢٥
٤٤١	نياحة أنبا أغاثو العمودي	٧٢٨
٤٤٥ هامش	زمن بطريركية أنبا قزمان الأول البابا الـ ٤٤	٧٣٠ - ٧٣١
٥٣٤	تاريخ تجميع سير البطارقة	٧٣٠
٦٨٤	نياحة أنبا تاودورس البابا الـ ٤٥	٧٤٢
٤٤٦ و ٤٤٤ و ٤٣٧	زمن بطريركية أنبا خائيل الأول البابا الـ ٤٦	٧٤٤ - ٧٦٨
٦٨٤		
٤٣٧	كان أبيماخس قصصاً على دير العذراء بمنطقة تنيس	٧٤٤
٤٣٧	نياحة أبيماخس أسقف الفرما	٧٥٠
٦٨٥ و ٦٨٤	فتح جيوش العباسيين لمصر	٧٥٠
٤٤٦	معاونة أنبا خائيل الأول من اضطهاد مروان الثاني	٧٥٠
٦٨٥ و ٤٤٦	زمن بطريركية أنبا مينا الأول البابا الـ ٤٧	٧٦٧ - ٧٧٦
٤٤٤	نياحة أنبا مينا أسقف تمى	٧٦٨

الصفحات	الحادثة الخاصة به	التاريخ
٥٣٣	زمن بطريركية البابا بطرس الثالث	٤٧٧ - ٤٨٩
٤٤٧	زمن بقاء جسد أنبا مقار بعيداً عن الدير في بلده	٤٨٠ - ٧٩٣
٣٩٥	دخول القديسة إيلارية الرهينة	٤٨٢
٤٠٧	محاولة الإمبراطور زينون توحيد الخلقيدونيين في مملكة واحدة مع اللاخلقيدونيين	٤٨٢
	بدأت العمارة الهندسية تأخذ وضعها التأثيري في دير أنبا مقار يوس	٤٨٢
٤٠٩	بفضل الإمبراطور زينون	
٤١٠	ميلاد أنبا دانيال قصص شبيث	٤٨٥
٤٠٩	نياحة الإمبراطور زينون	٤٩١
٤١٠	زمن بطريركية أنبا تيموثاوس الثالث البابا الـ ٣٢	٥١٨ - ٥٣٦
٤١٦ و ٤١٣	هروب أنبا ساو يرس الأنطاكي إلى مصر	٥١٨
٤١١	أنبا دانيال قصصاً على شبيث	٥٣٥
٤١٦ و ٤١٥ و ٢١٦	قيام البدعة الغيانية ووقوع الإنقسام الناتج عنها	٥٣٥
٤١٨	تكريس البابا ثيودوسيوس الأول لكنيسة أرستوماخس	٥٣٦
٤١٣	مجيء القديسة أنستاسيا لدير أنبا مقار	٥٤٨
٣٩٦	انتقال كرسي البطريركية مؤقتاً من الإسكندرية إلى دير أنبا مقار	٥٥١
٤١٥	زمن بطريركية البابا بطرس الرابع	٥٦٧ - ٥٦٩
٣٧٧	زمن بطريركية البابا داميانوس	٥٦٩ - ٦٠٥
٤١٥ و ٣٩٧	الغارة الرابعة على شبيث أيام أنبا دانيال قصص شبيث	٥٧٠
٤٣١ و ٤١٩	وانتهاء نشاط العمارة بالدير بغارة البربر	
٤١٣	نياحة القديسة أنستاسيا	٥٧٦
١٨٠	ظلت نتر يا عامرة بالرهبان حتى هذا القرن	القرن السادس
٤٣٧ و ٤٣٥	ميلاد أنبا يونس قصص شبيث	٥٨٥
٤٣٣	ميلاد أنبا صموئيل المعترف	٥٩٧
٤٣٧ و ٤٣٥	مجيء أنبا يونس قصص شبيث إلى البرية	٦٠٣
٤٤٠	ميلاد أنبا جئورجي	٦٠٨
٤٣٣	غارة الفرس واحتلالهم لمصر	٦١٦ - ٦١٧
٤٣٣	انطلاق أنبا صموئيل المعترف إلى برية شبيث	٦١٩
٤٣٣ و ٤١٩	زمن بطريركية أنبا بنيامين البابا الـ ٣٨	٦٢٢ - ٦٦١
٤٣٨	انتصار هيراكليوس على الفرس في دستاجرد	٦٢٨
٤١٩	ظلت شبيث تعاني من غارات متعددة حتى هذه السنة	٦٣١
٤١٠	زيارة البابا بنيامين الأول الأولى للدير	٦٣١
٤٣٣	اختباء البابا بنيامين في الأديرة	٦٣١
٤٣٤ و ٣٩٧	قدوم كيرش الوالي الخلقيدوني إلى شبيث لعرض طوموس لاون	٦٣١
٤٤٧	أسر أنبا يونس قصص شبيث	٦٣١
٤٤٤	ميلاد أنبا إسحق البطريرك الـ ٤١	٦٣٤
٤٣٦ و ٤٣٧	إقامة أنبا يونس قصصاً على شبيث	٦٤١
٤٢٠ و ٣٩٨	دخول العرب مصر بقيادة عمرو بن العاص	٦٤١

التاريخ	الحادثة الخاصة به	الصفحات
١٠٢١	وصف رينودوت للهدوء الذي شمل البرية بعد اضطهاد الحاكم بأمر الله	٤٦٥
١٠٢٥ و ١٠٦٧	تاريخ نساخة مخطوطات مختلفة بالمكتبة	٥٣٦
١٠٣٢-١٠٤٦	زمن بطريركية أنبا شنودة الثاني البابا الـ ٦٥	٦٨٧ و ٣٩٩
١٠٤٦-١٠٧٧	زمن بطريركية أنبا خرستوذولو البابا الـ ٦٦	٤٦٨ و ٤٧١ و ٤٧٢
١٠٥١	كتب أنبا ميخائيل أسقف تانيس تاريخ البطاركة	٤٦٨
١٠٥٧	يُظن أن رأس مارمرقس قد حملت من الدير	٤٦٨
١٠٦٥	بدأت تظهر إنذارات كثيرة في الأديرة بقرب حدوث كارثة كبيرة	٤٧٠
١٠٦٥	حدوث مجاعة كبيرة في طول البلاد وعرضها	٤٧١
١٠٦٩	هجوم اللواتيين على الأديرة	٤٧١ و ٤٠١
١٠٧٣	بداية انحسار المجاعة والمصائب الأخرى	٤٧١
١٠٨٨	ظلت مغارة أنبا موسى الأسود مشهورة وقائمة حتى هذا التاريخ	٢٦٦
١٠٨٨	زيارة موهوب بن منصور الشماس لدير أنبا مقار	٤٧٠
١٠٨٨	الكاثوليكوس غر يغور يوس الأرمني يترك مصر بعد تحقيق أمنيته في زيارة الأديرة	٤٧٢
القرن الحادي عشر	تكريس هيكل جديد لأنبا مقار بديره بناه أنبا مكار يوس أسقف متوف العلاء	٤٦٧
١٠٧٨-١٠٩٢	زمن بطريركية أنبا كيرلس الثاني البابا الـ ٦٧	٦٩٧ و ٦٩٨
١٠٩٢-١١٠٢	زمن بطريركية أنبا ميخائيل الثاني البابا الـ ٦٨	٤٧٨
١١٠٢-١١٢٨	زمن بطريركية أنبا مكار يوس الثاني البابا الـ ٦٩	٤٧٤ و ٤٧٦ و ٥٦٢
١١٢٨-١١٢٨	رشح القمص يونس بن كدران للبطريركية	٦٩٣
١١٣١-١١٤٥	زمن بطريركية أنبا غبريال الثاني بن تريك البابا الـ ٧٠	٦٩٢
١١٤٥-١١٤٥	زمن بطريركية أنبا ميخائيل بن الدنشتيري البابا الـ ٧١	٤٠٠ و ٦٨٨
١١٤٧-١١٦٧	زمن بطريركية أنبا يوحنا الخامس البابا الـ ٧٢	٤٠٠ و ٤٨٠
١١٦٧-١١٨٩	زمن بطريركية أنبا مرقس الثالث بن زرعة البابا الـ ٧٣	٤٨٠
١١٧٠	نقل جسد أنبا غبريال البابا الـ ٧٠ وأنبا يوحنا البابا الـ ٧٢ إلى دير أنبا مقار	٤٨١
١١٨٦-١٢١٦	زمن بطريركية أنبا يوحنا السادس البابا الـ ٧٤	٤٠٠
١٢١٦	كان في دير أنبا مقار حوالي ٨٠ كاهناً	٤٨٣
١٢١٦-١٢٣٤	ظل الكرسي المرقسي شاغراً	٤٨٢
١٢٢٥	فُرِضت الضرائب على رهبان الأديرة	٤٨٢
١٢٣٤	صار عدد الكهنة في الدير ٤ فقط	٤٨٣
١٢٣٥-١٢٤٣	زمن بطريركية أنبا كيرلس الثالث بن لقلق البابا الـ ٧٥	٤٨٤
١٢٣٦	سفر البطريرك أنبا كيرلس الثالث إلى دير أنبا مقار لعمل الميرون	٤٨٤
١٢٤٠	قانون تنظيم الأوقاف كما شرَّعه البابا كيرلس بن لقلق	٥٥٦
١٢٤١	تاريخ الميثاق الذي وضعه أنبا كيرلس بن لقلق على نفسه	٥٥٦
١٢٦٠-١٢٧٧	زمن حكم الظاهر بيبرس	٦٩٧

التاريخ	الحادثة الخاصة به	الصفحات
٧٧٧-٧٩٩	زمن بطريركية أنبا يوحنا الرابع البابا الـ ٤٨	٤٤٦ و ٢٣١
أو ٧٩٠-٧٩٩		٦٨٥
٧٨٤	نقل جسد أنبا مقار الكبير إلى مدينة أُلما في الطريق إلى دير	٤٤٨ و ١٦٣
٧٩٣	سنة وصول جسد أنبا مقار إلى دير	٤٤٧ و ٤٤٨ و ٦٨٥
٧٩٩-٨١٩	زمن بطريركية أنبا مرقس الثالث البابا الـ ٤٩	٤٥٤ و ٦٩٧
القرن التاسع	ما أن جاء هذا القرن حتى بدأت القلاية تفقد نضارتها	١٩٣
٨٠٠	زائر يدعى إيفانيوس يصف دير أنبا مقار بأنه قلعة يحيط بها ألف قلاية	٤٤٦ و ٤٠٠
٨١٧	هجوم البربر الأخير على الأديرة	٤٥٤ و ٤٠١
٨١٩-٨٣٠	زمن بطريركية أنبا يعقوب البابا الـ ٥٠	٥٣٢ و ٦٣٩
٨٢٥	عودة الرهبان إلى أديرتهم بعد انتهاء غارة البربر	٤٠٢
٨٢٥-٨٣٠	تجديد البابا يعقوب لهيكل أنبا بنيامين بدير أنبا مقار	٤٥٥
٨٢٩	زيارة أنبا ديونيسيوس بطريرك أنطاكية لدير أنبا مقار	٦٣٩
٨٣٠	البابا سيمون الثاني الـ ٥١ في عداد البطاركة	٤٥٩
٨٣٠	تاريخ نساخة خبر نقل جسد أنبا مقار	٤٥٥
٨٣٠-٨٤٩	زمن بطريركية أنبا يوساب الأول البابا الـ ٥٢ في عداد البطاركة	٥٣٥
٨٣٥	بناء كنيسة جديدة على الصخرة شرقي كنيسة أنبا مقار	٤٥٥ و ٢٣٤
٨٤٧	تكريس أنبا يوساب البطريرك لهيكل الآباء التلاميذ بكنيسة أنبا مقار	٤٥٧
٨٥٠-٨٥١	زمن بطريركية أنبا خائيل الثاني البابا الـ ٥٣	٤٥٦
٨٥١-٨٥٨	زمن بطريركية أنبا قزما الثاني البابا الـ ٥٤	٥٣٢ و ٤٥٧
٨٥٣	ظهور أعجوبة سيلان الدم من أيقونة المخلص	٤٥٨
٨٥٩-٨٨٠	زمن بطريركية أنبا شنودة الأول البابا الـ ٥٥	٤٥٨
٨٦٦	غارة التومايين على الأديرة	٤٥٨
٨٨٠-٩٠٧	زمن بطريركية أنبا خائيل الثالث البابا الـ ٥٦	٤٥٧ و ٤٤٧
٨٨٤	زيارة خارويه بن طولون لدير أنبا مقار	٤٦٠
٩٠٠	الرحالة اليعقوبي يصف منطقة القلاية بأنها برية مهجورة	١٩٣
٩٠٩-٩٢٠	زمن بطريركية أنبا غبريال البابا الـ ٥٧	٤٦٣ و ٣٩٩
القرن العاشر	نوار يخ نساخة سير وميامر مخطوطة بالمكتبة	٥٣٦
٩٢٠-٩٣٢	زمن بطريركية أنبا قزما الثالث البابا الـ ٥٨	٤٦٣
٩٣٢-٩٥٢	زمن بطريركية أنبا مكار يوس الأول البابا الـ ٥٩	٤٦٤ و ٤٦٣
٩٥٢-٩٥٦	زمن بطريركية أنبا ثيوفانيوس البابا الـ ٦٠	٤٦٣
٩٥٦-٩٧٤	زمن بطريركية أنبا مينا الثاني البابا الـ ٦١	٤٦٣ و ٣٩٩
٩٧٧-٩٨١	زمن بطريركية أنبا أبرام بن زرعة السرياني البابا الـ ٦٢	٤٦٤
٩٧٩-١٠٠٣	زمن بطريركية أنبا فيلوثيوس البابا الـ ٦٣	٣٩٩ و ٤٦٤ و ٦٨٦
١٠٠٤-١٠٣٢	زمن بطريركية أنبا زخار ياس البابا الـ ٦٤	٦٨٧ و ٦٨٦
١٠١٤	وصف الكاتب يوسف بن مكار يوس لحالة البرية في هذه الفترة	٤٦٦

٦٩٣ و ٦٢٠	زيارة البابا يونس الـ ٩٤ للدير	١٥١٧
٤٩٤	عمارة عابرة بدير أنبا مقار	١٥١٧
٦٠٥	تكريس كنائس بدير أنبا مقار	١٥١٧
٦٠٦	الغزو التركي لمصر	١٥١٧
٦٩١	لا نسمع عن أساقفة من دير أنبا مقار	١٨٠٠-١٥١٧
٤٩٥	زمن بطريركية أنبا غبريال السابع البابا الـ ٩٥	١٥٦٨-١٥٢٥
٢٢٢	زمن بطريركية أنبا يونس الرابع عشر البابا الـ ٩٦	١٥٨٦-١٥٧١
٥٦٣	شهادة سائح فرنسي عن دير أنبا مقار	١٦٥٦
٤٩٥	السائح الفرنسي والمؤرخ سيكار يشاهد خرائب كنيسة بجوار دير البراموس	بداية القرن الـ ١٨
٥٦٣	زيارة إلياس السمعاني لص المخطوطات لحساب مكتبة الفاتيكان	١٧٠٦
٤٩٥	سيكار يصف الدير ورهبانه	١٧١٢
٥٤٨	العالم السمعاني يسرق مخطوطات سير الآباء من مكتبة الدير	١٧١٥
٦٦٩	تاريخ بناء القلائي الشرقية بجوار كنيسة أنبا مقار	١٧١٥
٦٦٨	ربما يكون بناء كنيسة الشيوخ الشهداء الـ ٩٩ الحالية بدير أنبا مقار في هذه السنة	١٧٢٠
٥٦٤	يوسف سيمون السمعاني لص آخر للمخطوطات لحساب مكتبة الفاتيكان	١٧٥١
٦٦٨ هامش	المعلم إبراهيم الجوهري هو الذي قام بإنشاء كنيسة الشيوخ على نفقته	١٧٧٣
٤٩٧	رحلة الجنرال أندريوس لدير أنبا مقار	١٧٩٩
٥٦٤	زمن مجيء دروفتي لص المخطوطات	١٨١٨
٤٩٧	رحلة روبرت كيرزون لص المخطوطات لأديرة وادي النطرون	١٨٣٧
٤٩٧	رحلة السيدة بلاط وتاتام لأديرة وادي النطرون	١٨٣٨
٤٩٧	رحلة جاردنر ويلكنسون لأديرة وادي النطرون	١٨٤٣
٥٦٤ و ٥٤٨ و ٥٦٤	رحلة قسطنطين تيشندورف لص المخطوطات لوادي النطرون	١٨٤٤
٦٦٧ و ٦٥٩	زمن بطريركية أنبا ديمتريوس الثاني البابا الـ ١١١	١٨٦٢-١٨٧٠
٦٣٠ و ٤٩٩	تاريخ صناعة حجاب هيكل كنيسة الشيوخ والهيكل الأوسط لكنيسة أباسخيريون	١٨٦٦
٥٦٥	تاريخ صناعة الجرس الضخم لكنيسة الدير	١٨٦٦
٦٤٢ و ٦١٨ و ٦٠٢	زمن مجيء فورتيون لص المخطوطات	١٨٧٣
٤٩٩	رحلة بطريرك الدير ومعاينته لعظام البطارقة	١٨٨٤
٦٥٣ و ٣٩٠	الصلاة معطلة في كنيسة أنبا مقار	١٩٠٩-١٩٢٩
٤٩٨	الفترة التي عمل فيها بالمرجونس كباحث في دير أنبا مقار	١٩١١-١٩١١
٦٣٠	بداية حركة الترميم والإصلاح الحديثة بدير أنبا مقار	١٩٢٩-١٩١١
٦٦٩	بناء أكتاف لمدخل هيكل أنبا بنيامين في دير أنبا مقار	١٩١٢-١٩١١
٦٢٢ هامش	بناء بيت الضيافة والقلائي التي تجاوره بدير أنبا مقار	١٩١٢-١٩١١
٦٥٣ و ٣٩٠	الهيكل الضائعة هدمها ربيته مجنون بدير أنبا مقار	١٩٢٠
٥٦٥	الفترة التي عمل فيها إفلين هوايت ومساعدوه في دير أنبا مقار	١٩٢٠-١٩٢١
٦٢٢ هامش	إفلين هوايت يقدم كتابه للمطبعة عن أديرة وادي النطرون	١٩٢٤
٦٣٢ و ٦٢٧ هامش	مباني جديدة وإصلاحات يجربها أنبا أبرام مطران البليينا بالدير	١٩٢٩

٤٨٤	زيارة الملك الظاهر بيبرس لدير أنبا مقار	١٢٦٤
٧٢٢ و ٦٨١	زمن بطريركية أنبا أثناسيوس الثالث البابا الـ ٧٦	١٢٥٠-١٢٦١
٤٨٤	زمن بطريركية أنبا يونس السابع	١٢٦٢-١٢٩٣
٣٩٩	البابا غبريال الثالث يُسام بطريركاً بدير أنبا مقار	١٢٦٨-١٢٧١
٤٨٦	وجود كتبة مهرة بقلية الدماهرة التابعة لدير أنبا مقار	١٢٧٥
٤٨٦	زمن بطريركية أنبا تاودوسيوس الثاني البابا الـ ٧٩	١٢٩٤-١٣٠٠
٤٨٦	زمن بطريركية أنبا يونس الثامن البابا الـ ٨٠	١٣٠٠-١٣٢٠
٤٨٦	زيارة البابا يونس الثامن لدير أنبا مقار	١٣٠٥
٤٨٩	سقوط قبة هيكل أنبا مقار	١٣٠٥
٤٩١	زيارة الرحالة مارينو سانيوتو	١٣٢٠
٦٩٨	زمن بطريركية أنبا يونس التاسع البابا الـ ٨١	١٣٢٠-١٣٢٧
٥٥٦	خربت معظم كنائس القطر	١٣٢١
٤٨٧ و ٤٠٠ و ٢٣٣	زمن بطريركية أنبا بنيامين الثاني الـ ٨٢	١٣٢٧-١٣٣٩
٥٤٣	زيارة البابا بنيامين الثاني للدير ولصومعة أنبا بيشوي	١٣٣٠
٦٩٣ و ٤٨٩	قيام أحد الرهبان بتصنيف مؤلفه الكنسي المشهور (التشر يعات-التوموكانون)	١٣٣٢
٦٩٣ و ٤٨٩	زمن بطريركية أنبا بطرس الخامس البابا الـ ٨٣	١٣٤٠-١٣٤٨
٤٨٩	زيارة البابا بطرس للدير	١٣٤٠
٤٩٠	الزيارة الثانية للبابا بطرس للدير	١٣٤٦
٤٩١	المنشويات خارج الدير لا تزال عامرة	١٣٤٦
٤٩١	كانت الأديرة مزدهرة عموماً	١٣٤٦
٤٩١	حلت كارثتان كبيرتان بالبلاد	١٣٤٨-١٣٤٩
٦٩٣	زمن بطريركية أنبا مرقس الرابع البابا الـ ٨٤	١٣٤٨-١٣٦٣
٤٩٢	زمن بطريركية أنبا يونس العاشر البابا الـ ٨٥	١٣٦٣-١٣٦٩
٥٥٠ و ٤٩٣	زمن بطريركية أنبا غبريال الرابع البابا الـ ٨٦	١٣٧٠-١٣٧٨
٤٩٢	انتشار موجة طاعون أخرى بالبلاد	١٣٧٤
٦٩٠	زمن بطريركية البابا متى الكبير الشهير بالمسكين	١٣٧٨-١٤٠٩
٤٩٢	الخراب يعم البلاد حسب تقرير المقريري	١٣٨٨
٤٩٤	زمن بطريركية أنبا غبريال الخامس البابا الـ ٨٨	١٤٠٩-١٤٢٧
(هامش ٤٦٨)	قل عدد رهبان أديرة وادي النطرون جداً	١٤١٣
٤٩٤	يقول كترمير عن المقريري أن رأس مار مرقس سرقها أهل فينيسيا	١٤١٩
٤٩٤	زمن بطريركية أنبا يونس الحادي عشر البابا الـ ٨٩	١٤٢٧-١٤٥٢
٦١٥ هامش	دير يوحنا القصير به ٣ رهبان فقط	١٤٤١
٤٩٤	زمن بطريركية أنبا متاؤس الثاني البابا الـ ٩٠	١٤٥٢-١٤٦٥
٤٩٤	زمن بطريركية أنبا غبريال السادس البابا الـ ٩١	١٤٦٦-١٤٧٤
٤٩٤	زيارة أنبا إغناطيوس البطريرك الأنطاكي للأديرة	١٤٧٣
٤٩٤	زمن بطريركية أنبا يونس الثاني عشر البابا الـ ٩٣	١٤٨٠-١٤٨٢
٤٩٤	زمن بطريركية أنبا يونس الثالث عشر البابا الـ ٩٤	١٤٨٤-١٥٢٤

التاريخ	الحادثة الخاصة به	الصفحات
١٩٢٩	في ٢٧ برمهات أقيم أول قداس في كنيسة أنبا مقار بعد فترة الإنتقاع الطويلة	٤٩٩
١٩٣١	اشترى أنبا أبرآم ماكنية لرفع المياه بدير أنبا مقار	٥٠٠
١٩٤٦	تقبل أنبا ميخائيل مطران أسبوط الحاي موهبة الأسقفية وعُيِّن رئيساً وناظراً لدير أنبا مقار	٥٠٣
١٩٥٢	أقيمت حديقة موالح في الدير مكان المحبز	٦٧٤ هامش
١٩٥٣	أقام أنبا ميخائيل صهرنجاً للمياه بدير أنبا مقار	
١٩٦٩	في ٩ مايو الموافق أول بشنس من هذه السنة	
	التحق بالدير ١٢ راهباً من رهبان وادي الريان	٥٠١
١٩٦٩	في ١١ سبتمبر من هذه السنة بدأ حفر أساسات مشروع دير أنبا مقار الجديد	
١٩٧٠	في ٣ فبراير من هذه السنة بدء صب خرسانات الأساسات	
١٩٧٠	في ٧ أغسطس من هذه السنة بدء صب أول سقف لأول وحدة قلائي جديدة	
١٩٧١	في ٩ يوليو من هذه السنة كان الإنتهاء من صب جميع أسقف الدور الأول بالدير	
١٩٧١	(٢٢ أغسطس - عيد السيدة العذراء) وضع حجر أساس المكتبة الجديدة والمهيكل الذي بها على أسم السيدة العذراء.	
١٩٧٢	(مارس) صب أساسات المائدة الجديدة.	
١٩٧٢	(مايو) صب أساسات المكتبة الجديدة.	
١٩٧٢	(ديسمبر) صب أساسات المنارة الجديدة.	
١٩٧٣	(فبراير) عمل طريق جديد يصل بين الدير والطريق الصحراوي مصر/إسكندرية، طوله خمسة كيلومترات، مما وفر على القادم للدير بالسيارة مسافة ٢٥ كيلومتراً كان يقطعها للوصول للدير عن طريق آخر دائري وعمر.	
١٩٧٣	قدم الدير طلباً لشراء ٣٠٠ فدان في الأراضي المتاخمة للدير بعد حوادث اعتداء بعض زراع البطيخ على الأراضي المحيطة بالدير، وصدور الأوامر من الدولة باعتبار هذه الأراضي حراماً لا يُمس للدير.	
١٩٧٣	(سبتمبر) الإنتهاء من صب أسقف قلائي الدور الثاني بالدير.	
١٩٧٣	(أكتوبر) وضع أساسات مباني المزرعة في الـ ٣٠٠ فدان شمال الدير وصب أول سقف بها.	
١٩٧٣	(نوفمبر) بدأ الدير في بناء استراحة للرهبان على الأرض التي يملكها الدير على الساحل الشمالي بوضع اليد عند الكيلو ٦٩ طريق الإسكندرية/مرسى مطروح.	
١٩٧٤	الإنتهاء من ترميم كنيسة الشهيد أباسخيرون، والبدء في ترميم الحصن القديم بالإشتراك مع الهيئة العامة للآثار المصرية.	
١٩٧٤	(يونيو) الإنتهاء من صب أسقف قلائي الدور الثالث بالدير.	
١٩٧٤	البدء بزراعة أرض الـ ٣٠٠ فدان بأشجار الجازورينا كمصدات للرياح وبعض أشجار نخيل من إدكو.	
١٩٧٤	استمرار العمل في بناء الورش والحظائر ومسكن العمال الزراعيين خارج الدير في الـ ٣٠٠ فدان.	
١٩٧٤	صار عدد الرهبان ٤٠ راهباً بعد أن كانوا ستة رهبان فقط سنة ١٩٦٩.	
١٩٧٥	(أبريل) البدء في إقامة واحة الأغباني للرهبان في مائدة الدير الجديدة لأول مرة بعد انقطاع هذا التقليد الرهباني الأصيل لمئات السنين.	
١٩٧٥	البدء في ترميم كنيسة أنبا مقار بالإشتراك مع الهيئة العامة للآثار المصرية.	
١٩٧٥	(ديسمبر) حفر ترعتين بطول ٤٠٠ متراً وعرض ٨ أمتار وتسوية حوالي ١٠٠ فدان بالآلات شركة سايم الإيطالية التي كانت تعمل بالقرب من الدير وتطوعوا مشكورين بتقديم هذه الخدمة تمهيداً لزراعة ١٠٠٠ شجرة زيتون كالاماتا في الـ ٣٠٠ فدان شرقي الترعتين في الأرض التي تم تسويتها، وإحاطتها بخضوط من أشجار الجازورينا كمصدات للرياح.	
١٩٧٥	صار عدد الرهبان ٥٠ راهباً.	

١٩٧٦	اكتشاف مقبرة يوحنا المعمدان وأليشع النبي بجوار الحائط الشمالي لكنيسة أنبا مقار وأمام هيكل يوحنا المعمدان كما يذكر التقليد والمخطوطات - وذلك أثناء ترميم الكنيسة.	
١٩٧٦	(أغسطس) تم فتح المقبرة واكتشاف الرفات والتعرف على وجود ١٢ هيكلًا عظيماً بخلاف نعش خشبي به جثمان كامل بالملابس الكهنوتية لأحد رؤساء الدير الذي ظل غير معروف لدينا إلى أن تم اكتشاف شخصيته فيما بعد وتبين أنه القمص يوسف المحرق شقيق البابا ديمتر يوس الثاني الـ ١١١ (إرجع للنبذة التي أصدرها الدير عن هذا الكشف - نوفمبر ١٩٧٨).	
١٩٧٦	(أغسطس) تجدد اعتداءات زراع البطيخ على أراضي الدير، وزيارة اللواء عبد الحليم حناتة محافظ البحيرة للدير، وإشادته بالجهود المبذولة في تعمير الدير واستصلاح الأراضي الصحراوية بالجهود الذاتية.	
١٩٧٦	(ديسمبر) حفر ثلاثة آبار مياه نقية صالحة للشرب بعمق ١٠٠ متراً في الـ ٣٠٠ فدان بواسطة شركة مصر للبترو.	
١٩٧٦	صار عدد الرهبان ٦٠ راهباً.	
١٩٧٧	(٨ يناير) صدور قرار مجلس الوزراء في الوقائع الرسمية بتمليك الدير ٣٠٠ فدان في الأرض الصحراوية المحيطة بالدير بمقدد بيع مسجل على أقساط بين محافظة البحيرة والدير.	
١٩٧٧	سفر أحد رهبان الدير للمخارج لشراء بعض المعدات اللازمة للزراعة واستصلاح الأرض.	
١٩٧٧	(يونيو) طلب أنبا أرسانيوس أسقف المنيا اثنين من رهبان الدير لمعاونته في الخدمة وتلبية الدير لطلبه لمدة محددة.	
١٩٧٧	(يوليو) سفر أربع رهبان للخدمة في أفريقيا (زاثير وكينيا) بناء على طلب الكنيسة.	
١٩٧٧	(أغسطس) استكمال مباني المزرعة ونقل العمال والورش وحظائر البهايم إليها لخدمة الأرض الزراعية ومحافظة على الهدوء الشامل بالدير.	
١٩٧٧	(سبتمبر) اشتراك خمسة رهبان من الدير مع الرهبان الكاثوليك المسؤولين عن كلية سان مارك بالإسكندرية للتدريس بالكلية تمهيداً لاستلام إدارتها بناء على طلب الكنيسة والمسؤولين عن كلية سان مارك، وبموافقة وزارة التربية والتعليم، ثم انسحابهم في نهاية العام الدراسي بعد أن تبين عدم جدية المسؤولين عن المدرسة في تسليم إدارتها لهم.	
١٩٧٧	صار عدد الرهبان ٧٠ راهباً.	
١٩٧٨	(فبراير) إهداء أحد الأحياء للدير أول آلة في مشروع المطبعة، وهي آلة للجمع التصويري، وكانت من أولى الآلات من هذا النوع في مصر التي صارت النواة الأولى لإنشاء مطبعة بالدير لطبع مطبوعات الدير ومجلة مرقس الشهرية.	
١٩٧٨	(أبريل) بداية تجريرة زراعة نوع جديد من التين الذي يصلح للتجفيف؛ استوردت عُقله من كاليفورنيا بأمر يكا.	
١٩٧٨	تجريرة زراعة بنجر السكر وبنجر العلف في أرض الدير ونجاح زراعتها لأول مرة في مصر، وتقديم النتائج للسيد الرئيس الراحل محمد أنور السادات الذي أرسل السيد الوزير محمد حسب الله الكفراوي في ٢٣ أغسطس ١٩٧٨ لتشجيع الدير على مواصلة جهوده النافعة لخدمة البلاد، ولعناية التجربة على الطبيعة.	
١٩٧٨	(٢٥ أغسطس - عيد القديس أنبا مقار) وصول خطاب رسمي من السيد وزير التعمير والإسكان واستصلاح الأراضي يتضمن تقدير السيد رئيس الجمهورية لجهودات الدير في الزراعة، وصدور أوامره بإهداء الدير ١٠٠٠ فدان من الأراضي الصحراوية المحيطة بالدير لإستكمال التجارب الزراعية واستصلاحها بمعاونة وزارة التعمير التي أهدت للدير جرارين زراعيين وقامت بحفر بئر سعة ١٢ بوصة وبعمق ١٢٠ متراً لتوفير المياه اللازمة للزراعة.	
١٩٧٨	(أغسطس) البدء في طبع مطبوعات الدير في المطبعة الجديدة الكائنة بالدير بعد وصول آلة الطبع الأوفست	

١٩٨٢	(نوفبر) صدور أمر السيد رئيس الجمهورية محمد حسني مبارك بسفلة الطريق المؤدي للدير من الطريق الصحراوي (وطوله ٥ كيلومترات).
١٩٨٢	(نوفبر) سفر أحد رهبان الدير إلى تنزانيا لحضور دورة دراسية عن حسابات دور النشر والمطابع. صار عدد الرهبان ٩٠ راهباً.
١٩٨٣	(فبراير) الإنتهاء من سفلة الطريق المؤدي للدير بواسطة شركة النيل العامة لإنشاء الطرق، ونشر تلفراف الشكر المقدم من أب الدير للسيد رئيس الجمهورية في جريدة الأهرام بتاريخ ٢٢ فبراير ١٩٨٣.
١٩٨٣	(فبراير) الإستمرار في زراعة أنواع منتقاة من النخيل والزيتون.
١٩٨٣	(١٨ مايو) وصول أول دفعة من الكتاكيت الفرنسية (إيضا براون) لمحطة الدواجن الآلية (١٨ ألف كتكوت) وبدء العمل بالمحطة.
١٩٨٣	إنشاء محطة كهرباء جديدة متوسطة بين الدير والمزرعة لتغطية احتياجات المشروعات التي يقوم بها الدير.
١٩٨٣	(٢١ يوليو) زيارة السيد الوزير المهندس محمد حسب الله الكفراوي مع السيد الوزير الدكتور إبراهيم بدران للدير لتأكيد استمرار الوزارة في تعضيد الدير على مواصلة جهوده البناءة في استزراع الأرض.
١٩٨٣	(١٩ أغسطس) زيارة السيد الوزير الدكتور يوسف والي وزير الزراعة والأمن الغذائي للدير، وإشادته بجهود الدير في استصلاح الأرض والإنتاج الحيواني، ووعده بمواصلة التعاون وإعتبار الدير مزرعة للتجارب الذي تشرف عليه الوزارة.
١٩٨٣	(٣١ أغسطس) سفر ثلاثة من رهبان الدير للخارج لدراسة أحدث الطرق في الإنتاج الحيواني والتجهين وصيانة المعدات الميكانيكية.
١٩٨٣	(١٢ سبتمبر - أول توت ١٧٠٠ ش) الإنتهاء من تجميع هذا الكتاب.

١٩٧٨	الألمانية والمقص والدباسة لاستكمال خط الإنتاج في المطبعة.
١٩٧٨	الإستمرار في تربية البهائم للحصول على السماد الطبيعي خدمة للأرض المراد استصلاحها.
١٩٧٨	الإستمرار في زراعة الأعلاف لسد حاجة الإنتاج الحيواني.
١٩٧٨	استثمار أرض الـ ٣٠٠ فدان لإنتاج البطيخ وأنواع أخرى من الشامام المستورد والطماطم مساهمة في مشروعات الأمن الغذائي.
١٩٧٨	(١٠ ديسمبر) قداسة البابا أنبا شنودة الثالث قام بتدشين كنيسة أنبا مقار بعد الإنتهاء من ترميمها وضم هيكل جديد لها باسم أنبا مقار والثلاثة فتية القديسين.
١٩٧٩	إنشاء محطة خاصة لتشحيم وصيانة المعدات الميكانيكية التي تعمل بمزرعة الدير.
١٩٧٩	إقامة مزرعة لتربية نوع جديد من الدواجن البيضاء المستوردة من فرنسا ISA Brown
١٩٧٩	التوسع في زراعة النخيل ونوع جديد من الزيتون الأسباني.
١٩٧٩	(١٥ مايو) اشتراك الدير في معرض محافظة البحيرة للإنتاج الزراعي والحيواني في نكلا العنب، بدعوة من السيد الوزير حسين كامل ديبوس محافظ البحيرة، والمقابلة الأولى للأب متى المسكين أب رهبان الدير مع السيد الرئيس الراحل محمد أنور السادات الذي أشاد بجهود الدير في مجال الأمن الغذائي واستصلاح الأراضي، وأكد على إهدائه الألف فدان للدير.
١٩٧٩	الإنتهاء من ترميم كنيسة الـ ٤٩ شهيداً شيوخ شبات.
١٩٧٩	ذهاب ثلاثة رهبان للخدمة في إيباشية أسبوط لمدة محددة تلبية لطلب نياقة أنبا ميخائيل مطران أسبوط ورئيس الدير.
١٩٧٩	صار عدد الرهبان حوالي ٨٠ راهباً
١٩٨٠	الإنتهاء من ترميم الحصن القديم.
١٩٨٠	الإنتهاء من تشييد المنارة الجديدة.
١٩٨٠	إقامة مطبخ جديد بالدير مجهز بأحدث المعدات الآلية تسهيلاً لمهمة إعداد الطعام للرهبان والعمال والضيوف بطريقة صحية.
١٩٨٠	الإستمرار في زراعة الزيتون والنخيل والبطيخ وأنواع جديدة من الخضروات.
١٩٨٠	(أول يونيو) صدور قرار مجلس الوزراء في الجريدة الرسمية بتمليك الدير أرض الساحل الشمالي عند الكيلو ٦٩ ومساحتها ١٢٦٥٠٠ متراً مربعاً.
١٩٨٠	(أغسطس) سفر أحد رهبان الدير إلى كينيا لحضور دورة دراسية في الإخراج الفني لطباعة الكتب والمجلات.
١٩٨١	(يوليو) نياقة أنبا ميخائيل مطران أسبوط ورئيس الدير قام بتكريس مكتبة بولس الرسول وهيكل السيدة العذراء الملحق بالمكتبة الجديدة.
١٩٨١	(سبتمبر) وصول ماكينة التطبيق المهداة للدير لاستكمال خط الإنتاج بمطبعة الدير.
١٩٨١	سفر أحد الرهبان للخارج لشراء سلالات جديدة متميزة من الأبقار والأغنام الألمانية لتكامل القيام بتجربة التهجين مع الأبقار والأغنام المصرية لتحسين السلالات والمساهمة في حل مشاكل الأمن الغذائي.
١٩٨١	(مايو) سفر أحد رهبان الدير لحضور دورة دراسية في أوغندا لدراسة فنون الإنتاج الطباعي.
١٩٨٢	(مارس) تركيب آلة الحليب الآلي حلب ١٦ بقرة في وقت واحد بمعاونة أجهزة التحكم الإلكتروني، من شركة وستفاليا بألمانيا الغربية.
١٩٨٢	سفر أحد رهبان الدير للخارج لشراء آلات أخرى لازمة للنشاط الزراعي والإنتاج الحيواني، وسلالات أخرى من الأبقار الألمانية.
١٩٨٢	البدء في إنشاء محطة تربية دواجن بياضة آلية مفتوحة طاقتها ١٢ مليون بيضة سنوياً، للمشاركة في مشاريع الأمن الغذائي والصرف على احتياجات الدير.

(ب) ثبت تاريخي للقديس مقاريوس الكبير

السنة	الحدث
٣٠٠	ميلاده
٣٣٠	بداية توحده
٣٤٠	رسامته قساً
٣٤٠	انطلاق مقاريوس إلى برية شيهيت بقيادة الشاروبيم
٣٤٣	زيارته الأولى للقديس أنطونيوس
٣٥٣	الزيارة الثانية للقديس أنطونيوس
٣٦٠	مقاريوس بمفرده على الصخرة المعروفة باسمه
٣٧٣	نفي القديس مقاريوس إلى جزيرة بالدلتا
٣٧٥	عودته من المنفى
٣٨٥	نزوح مقاريوس إلى منطقة دير أنبا مقار
٣٩٠	نياحة مقاريوس في برمهاث من هذه السنة
٤٨٠-٧٩٣	ظل جسد مقاريوس خارج الدير

تذكارات وأعياد القديس

١٣ برمهاث	عودته من المنفى
٢٧ برمهاث	نياحة القديس مقاريوس
١٩ مسرى	إعادة جسده إلى ديره في شيهيت
٨ طوبة	تذكار تكريس كنيسته على يد البابا بنيامين البطريك الـ ٣٨
١٠ طوبة	تذكار تدشين الكنيسة التي بناها وهو في المنفى بعد تعميده أهل الجزيرة

(ج) ثبت تاريخي لحياة القديسين

تذكاره في الكنيسة	أحداث حياته			الإسم	
	أحداث أخرى	تفلاته	رهينته		
٩ طوبة	فلاتها مزار مشهور للبطريرك وتسمى «بيجيج»، تلميذ ومعمودة باسم «بيجيج» كثيرين	جاء من بلاد الرومان إلى أورطليم، ثم الإسكندرية، ثم شيهيت	٢١٤٢م تتلمذ لأنبا يوثس قس في شيهيت	١٠٨-٢١٩٣م	أبرام (وفق جورجي)
تعيد لها الكنيسة اليونانية في ٥ يناير	بنيته كنيسة على اسمها شرقي كنيسة أنبا مقار	جاءت من بلاد الرومان إلى أورطليم، ثم الإسكندرية، ثم شيهيت	٢١٦٨م تتلمذ لأنبا يوثس قس في شيهيت	٢٥٠-٢٧٥٠م	أبوليناريا (راهبة)
١٣ بنس		من روما إلى الإسكندرية ثم شيهيت سنة ٣١٤م، ومن شيهيت إلى طرة سنة ٤٣٤م، ومن طرة إلى كاتوب سنة ٤٤٤م، ثم عاد إلى طرة سنة ٤٤٧م	٢٣١٤م تتلمذ لأنبا يوثس القصير في شيهيت	٣٥٤-٤٤٤م	أرسانيوس
٩ هاتور	توجد في ولاية الدنشير، ورسم بطريركاً في الفترة من ١٧٤-١٨٧م	ذهب إلى تريبوط، ثم جبل باماهو، ثم عاد إلى شيهيت	٢١٥٢م تتلمذ لأنبا زكريا أسقف صا في شيهيت	٦٣٤-٦٨٧م	إسحق البيا الكا ٤١

تذكاره في الكنيسة	أهم أحداث حياته		ميلاده ونيافته	الإسم	
	أحداث أخرى	تفلاته			
١٩ بشنس	تخلف كرونيوس في رئاسة نتريا سنة ٣٩٥م	توفي إلى فلسطين سنة ٤٠٠م، وعاد لنتريا سنة ٤٠٣م	تعلّم لأبنا كرونيوس في نتريا	٣٥٠-٤٤٠م	إسحق قس القلاي
			٣٥٧م تعلّم لأبنا مقار الكبير	٣٥٠-٤٠٨م	إسحق قس شبيت
			٣٥٥م تعلّم لأبنا أنجيلس، من أولاد أبنا مقار	٣٣٧-٤٤٧م	إشعيا الأسقطي
١١ أيب	من رؤساء شبيت	مضى إلى نصيبين سنة ٤٠٧م مع تلاميذه	٦٧٨م تعلّم على أبرام وبجرجي	٦٣٨-٧٢٨م	أغاثون العمودي
١٤ توت		عاش في شبيت ١٠ سنوات، ثم عاش عيشة المعمودين قرب سفا خمسين سنة	٣١٥م اعتزل العالم في نتريا	٢٧٥-٣٤٠م	آمون الكبير
٢٠ بشنس	أول موحدي نتريا	انتقل من طباينين إلى نتريا سنة ٣٥٥م، ورسم أسقفا سنة ٣٦٩م على هرمو بوليس، وتوفي سنة ٣٧٣م وترك الأسقفية وعاد إلى نتريا سنة ٤٠٣م	٣٥٣م في دير باخوم وتعلّم لأبنا تادرس الذي نصحه باللاهاف لنتريا	٣٣٦-٤٣٠م	أمونيوس الأسقف

تذكاره في الكنيسة	أهم أحداث حياته		ميلاده ونيافته	الإسم	
	أحداث أخرى	تفلاته			
	من الإخوة الطورال البدين اضطهدهم ثاؤفليس البابا الـ ٢٣ الأب الروحي لأبنا يوحنا القصير وبيثوي	التحق إلى القديس يوحنا ذهبي القم في القسطنطينية سنة ٤٠٠م	٣٦٠م في نتريا	٣٤٠-٤٠٣م	أمونيوس الطوريل
	عمرت ديورا في غرب الإسكندرية	جاءت من القسطنطينية سنة ٥٢٦م هاربة مع ساو يرس الأنطاكي	تعلّم على الأب بيثوي في نتريا	القرن الرابع	أموي
٢٦ طوبه	بقيادة ٣٠٥ قامت أول جامعة رهبانية	٢٨٥م عبوره لمنطقة سبير شرق النيل ٢٨٩م توغل في الصحراء الشرقية	٥٤٨م تعلّمت لأبنا دانيال	٥٧٦-٩	إناسنسا (راهبة)
٢٢ طوبه	قس شبيت والأب الروحي لأبنا موسى الأسود	من أوائل المراقبين لأبنا مقار الكبير	٣٧١م خرج من العالم	٢٥١-٣٥٦م	أنطونيوس الكبير
١٠ المشير	ترك ٢٠٠٠ رسالة في الإرشاد الروحي	انتقل إلى نتريا ثم تمسك في البيلاز يوم (الفرما)	تربون في الصعيد	القرن الرابع	إسيدوروس القس
	توفي إلى مدينة نيقوميديه أيام قانس الأريوسي	صار أسقفا على هرمو بوليس بارقا (دمبورا)	من رهبان نتريا الأوائل	تنتج سنة ٤٥٠م	إسيدوروس المعلم (البيلاز يوسي)
				القرن الرابع	إسيدوروس المعروف

تذكارة
في الكنيسة

تذكارة في الكنيسة	أهم أحداث حياته			ميلاده وتاريخه	الإسم
	أحداث أخرى	تفلاته	رهيبته		
	جعله أنطونيوس على بيت الضيافة بالإسكندرية	رافق أنطونيوس لروما سنة ٣٤١م وفي سنة ٣٧٣م، ثم أرسله ثاوفيلس لروما	تتلمذ لآمون الكبير في نتر يا	٣١٨-٣٤٣م	إيسيدوروس صاحب بيت الضيافة
٢١ طوبية	يقطن أبنا إينة الملك زبيون	جاءت متخفية في زي رجل من القسطنطينية إلى شبيث	في النصف الثاني من ق ٥م تتلمذت على الأب بامو في شبيث	القرن الخامس	إيلاريا (راهبة)
١٤ بشنس		انتقل إلى طيبانين وأيضاً أديرة الشركة	٣١٠ تتلمذ للأب بلامون بالصعيد	٢١٠-٣٤٦م	باخوميوس الكبير
١٥ أسيوط	رُسم قساً سنة ٣٥٥م، وصار رئيساً لشبيث بعد نياحة معلمه	انتقل مع أبنا مقار إلى منطقة دير أبنا مقار	تتلمذ أولاً على أبنا أنطونيوس الكبير ثم على أبنا مقار بوس في سن مبكر تتلمذ لأبنا آمون الكبير	٣٠٩-٣١٩م أوائل ق ٤م حتى ٣٧٣م	بامو

تذكارة
في الكنيسة

تذكارة في الكنيسة	أهم أحداث حياته			ميلاده وتاريخه	الإسم
	أحداث أخرى	تفلاته	رهيبته		
٨ طوبية	زار دير أبنا مقار وودشن هيكل بنيامين	عين سكرتيراً للبابا أندرونيكوس الـ ٣٧، ثم خلفه، واختق من كرسيه عشر سنوات مستقلاً في البلاد	في دير فسرفوس بجوار الإسكندرية	٩-٢٦٢م	بنيامين البابا ٣٨
٢ أسيوط	زاره أبنا أنطونيوس الكبير سنة ٣٤١م		خرج من العالم سنة ٢٥٠م معتزلاً في الصحراء الشرقية	٢٣٤-٣٤١م	بولا أول السواح
٧ بابة	تقابل مع أبنا بيثوي الكبير في جبل أقيما		ترهبين في جبل أقيما	القرن الرابع وأوائل الخامس	بولا الطموهي
٨ أسيوط	مؤسس دير أبنا بيثوي في بربة أبنا مقار الكبير	غادر شبيث إلى جبل أقيما سنة ٤٠٧م	٣٤٠ تتلمذ لأبنا أموي في شبيث	٣٢٠-٤١٧م	بيثوي الكبير
٤ النسي	ترهبين هو وأخوته السبعة	نزل إلى الطرانة وصف والصعيد بعد العارات الثلاث الكبرى	٣٩٠ تتلمذ لأبنا مقار	٣٧٠-٤١٠م	بيمن
		ارتحل لسنتريا سنة ٣٣٠م، زار أخيه سنة ٣٥٥م دون أن يقع عليه	٣٢٥ تتلمذ لأبنا أنطونيوس الكبير	٩-٣١٠م	بيفور

تذكاره في الكنيسة	أهم أحداث حياته			ميلاده ونيافته	الإسم
	أحداث أخرى	تفلاته	رهينته		
٢ بشنس	عاش مع أبيا أور في شركة	انتقل إلى تريا	ترهين بأديرة باخوم	ق ٤	شيزودور التباسي
١٨ بشنس	قلاتيا مزار للسيطرة، وتلمذ كثيرين	انتقل إلى بربية شبيت بعد تقالبه مع أبيا أبرآم	تلمذ لآمون الكبير في تريا	ق ٤	شيزودورس
١٦ برمهات	زمن بطريركيته ٧٤٢-٧٦٥م	رُسم بطريركاً ٧٤٢م	ترهين في دير أبيا أنطونيوس ثم انتقل إلى دير مقار يوس وتلمذ لأبرآم وجورجي	ق ٩-٣٢٥-٧٦٥	خاتيل الأول الابا الـ ٤٦
٨ بشنس	أسره البربر ثلاث مرات، ووثق سنة ٥٢٥م قفصاً على شبيت	سفره لروما والتسطنطينية وأفسس وأورشليم وأنطاكية	بداية القرن السادس في شبيت	٤٨٥-٥٧٠م	دانيال قفص شبيت
١٨ بشنس	زمن بطريركيته ١٠٠٤-١٠٣٢م، أحضر رأس مارمرقس لدير أبيا مقار، وبني هيكلًا باسمه وآخر باسم أبيا مقار	أقام بدير أبيا مقار أنشاء أفضهاد الحاكم بأمر الله		ق ٩-٣٢٢-١٠٣٢م	زخار ياس الابا الـ ٦٤

تذكاره في الكنيسة	أهم أحداث حياته			ميلاده ونيافته	الإسم
	أحداث أخرى	تفلاته	رهينته		
٢١ أشتير	مؤلف كسي	سِم أسقفاً سنة ٦٩٥م	٦٨٠م ترهين في شبيت وتلمذ لأبرآم وجورجي	ق ٩-٧٧٥م	زكريا أسقف سغا
١٣ باية	عين قفصاً على شبيت سنة ٦٧٥م وقام ببناء دير أبيا زكريا للتأخيم لدير أبيا مقار	سِم أسقفاً على عهد البابا يوحنا الـ ٤٠، وهو الأب الروحي لأبنا إسحق البابا الـ ٤١	٦٤٢م ترهين في شبيت وتلمذ ليؤنس قفس شبيت	ق ٩-٦٨٤م	زكريا أسقف صا
أول برمودة	أب جماعة كبيرة من الرهبان	ترك شبيت سنة ٤٠٧م إلى سيناه ثم عاد إلى شبيت حيث أكمل جهاده فيها	تلمذ على أبيا مقار في شبيت	ق ٤	زكريا بن كبريون
٢١ مارس	ضمن الآباء الروموس اللين وضمو قانون الرهبنة وهو كاتب سيرة أبيا مقار	انتقل من بسير إلى شبيت	تلمذ لأبنا أنطونيوس الكبير ثم رافق أبيا مقار في شبيت	ق ٤	سيرايون الكبير
	كان أبنا لجماعة رهبانية في الصعيد وتأم من أجل الإيمان	رُسم قفص سنة ٣٣٩م أسقفاً على قفي الأميميد	ترهين في الصعيد	ق ٩-٣٧٠م	سيرايون الأسقف والمعلم (المعروف)

تذكاره في الكنيسة	أهم أحداث حياته			ميلاده ونيافته	الإسم
	أحداث أخرى	تفلاته	رهيبته		
	ثابت تائيس على يديه	جاء ميثرا في البلاد، وسافر إلى أثينا وروما، ثم عاد إلى أديرة أثينا باخوميوس	ترهبين في شيبث	٢-٤٤٠٠ م	سيرايمون السباتي
٧ أيب	زار دير أثينا مقمار نخوس سنة ٢٤٣١ م	سافر مع البابا كيرلس الكبير لطفور مجمع أفسس	تسلم لأثينا بيجول خاله في الدير الأحمر بسوهاج	٢-٤٥٠ م	شودة رئيس القويطين
٢٤ بومودة	بنى أول أسوار مرتفعة للدير أثينا مقار	صار بطريركاً من سنة ١٨٥٩ م إلى سنة ٢٨٠ م	ترهبين بدير أثينا مقار	٢-٨٨٠ م	شودة الأول البابا اله٥٥
	٢٤٣٠ م عاد إلى المجمع بسبب شيخوخته	٢٣٥٦ م انتقل إلى جبل أنطونينوس حتى ٤٢٦ م حيث عاد إلى شيبث	٢٤٠ ترهبين في شيبث ورافق أثينا مقارا الكبير	٢٢٠-٤٣٠ م	شيشوي
٨ كيك	تأم من أجل الإيمان ووقفت إحدى عينيه	غادر شيبث إلى القلمون وأسره البربر إلى ليبيا	٢١٩ م ترهبين بدير أثينا مقار وتعلم لأثينا أنطون	٥٩٧-٦٩٦ م	صموئيل المعروف
	كان أياً الثاني راهباً ومجيباً لأمون الكبير	هرب من دير إلى الأب أنطونينوس في بسيرة، ثم إلى الإسكندرية، ثم إلى تريا	ترهبين في أديرة الإسكندرية	٢٨٥-٣٩٥ م	كرونيوس

تذكاره في الكنيسة	أهم أحداث حياته			ميلاده ونيافته	الإسم
	أحداث أخرى	تفلاته	رهيبته		
٣ أيب	لاهوق كبير، وضع مقدمة قانون الإيمان، وحارب بدعة نسطور	صار بطريركاً سنة ٤١٢ م حتى سنة ٤٤٤ م، وحضر مجمع أفسس سنة ٤٣١ م	بدير أثينا مقار	٢-٤٤٤ م	كيرلس الكبير البابا اله٢٤
١٢ بومودة	أوقف أسواراً للدير من بعض كرسي الأساقفة	صار بطريركاً من سنة ١٠٧٨-١٠٩٢ م	ترهبين بدير أثينا مقار	٢-١٠٩٢ م	كيرلس الثاني البابا اله٢٧
أنظر القيت التاريخي الخاص به في جدول رقم (ب)					
٢٧ بابة	أحد العلامات مقارات القديسين، استشهد من أجل الإيمان	حضر مجمع خلقيدونية مع أثينا ديوقوروس البابا اله٢٥		٢٠٠-٣٩٠ م	مقار يوس الكبير
٩ ديشيس	زار أديرة أثينا يسبحون في طائنين وكان إلى القلاي في أيام أيا مقار	٢٣٧٣ م انتقل من تريا إلى القلاي وبقى مع أثينا مقار يوس إلى جزيرة بالانا، عاد إلى البرية	٥٣٣ م ترهبين في تريا	٢٩٦-٣٩٤ م	مقار يوس الإسكندراني
١٤ طوية		من بلاد الروم إلى فلسطين ثم إلى شيبث	ترهبنا في فلسطين ثم جاءها إلى شيبث وتعلما لأثينا مقار الكبير	٢-٣٨٣ م	مكسيموس ودوماديوس

تذكاره في الكنيسة	أهم أحداث حياته			ميلاده ونبأته	الإسم
	أحداث أخرى	تفلاته	رهينته		
٢٤ يونيو	استشهد في غارة البربر الأول		٢٣١٥م في شبيحت وستلمند الإسكندوروس القس تلميذ أنبا مقار	٢٣٣٢-٤١٧م	موسى الأسود
٧ هاتور	كان تلميذاً لأنبا أبرآم وجورجي، وسم أسقفياً في عهد البابا سيمان الأول		ترهب في دير أنبا أنطونيوس، ثم انتقل إلى دير أنبا مقار سنة ٢١٩٠م	٢٧٣-٢٦٨م	مينا أسقف نسي الأمديد
١٤ أمشير	مئة بطريركيته ٨١٩-٨٣٠م	توجه إلى الصعيد سنة ٨١٧م، ثم عاد إلى ديره بعد رؤيا	ترهب بدير أنبا مقار	٩-٨٣٠م	يعقوب البابا الرابع
١٦ طوبة	في عهده تم نقل جسد أنبا مقار إلى ديره سنة ٧٩٣م	صار بطريركاً ٧٧٧-٧٩٩م	ترهب بدير أنبا مقار	٩-٢٧٩م	يوحنا الرابع
٢٠ بابة	سنة ٣٧٤م بدء توحده، سنة ٢٨٠ - ٢٨٥م تأسيس ديره	قصده جبل القلزم بعد غارة البربر سنة ٤١٧م	٢٣٥٧م ترهب بدير شبيحت وتتمند لأنبا أموي	٢٣٩-٤١٩م	يوحنا القصير
٣٠ كيك	أقيم قيصاً على شبيحت سنة ٢٤١م، اضطلع ببناء كنيسة أنبا مقار التي دشنها البابا بيلامين الـ ٢٨٨	وقع في أسر السبر ثلاث مرات آخرها سنة ٢٣١م	٢١٠٣م ترهب بدير أنبا مقار	٥٨٥-٢٧٥م	يوحنا قس شبيحت

تذكاره في الكنيسة	أهم أحداث حياته			ميلاده ونبأته	الإسم
	أحداث أخرى	تفلاته	رهينته		
٢٥ كيك	صار أباً لـ ٣٠٠ راهبا	زار بعض أديرة الصعيد	ترهب في شبيحت	٩-٨٥٨م	يوحنا كما
٢٣ بابة	بنى كنيسة جديدة شرق دير أنبا مقار سنة ٨٣٥م، وكرس كنيسة الآباء التلاميذ سنة ٨٤٧م	صار بطريركاً من ٨٣١-٨٤٩م	ترهب في دير أنبا مقار	٩-٨٤٩م	يوساب البابا الـ ٥٢
١٧ يونيو	أب كبير تسبب في إعادة الحياة الرهانية الحارة للبرية	تطلب أنبا أنطونيوس ولأنبا مقار يوس، سنة ٤١٧م ترك شبيحت إلى سيناء ثم عاد إليها	جاء به أبوه إلى البرية بعد الفطام مباشرة	٢٣٠-٤١٠م	يوسف الكبير

الثبت الجغرافي

□ □ □

حرف «أ»

أسبانيا:

١٦٣ و ٢١٥ و ٣٤٤

إسبرطا (ببلاد اليونان):

٢٧٣

أسقيط مقاريوس (= سكيتيس في وادي النطرون):

٥١ و ٥٧ و ٦٥ و ٦٦ و ٦٨ و ٧٣ و ٧٤ و ٧٩ و ٨٠ و ٨١ و ٨٣

٨٩ و ٩٢ و ٩٦ و ١٠٣ و ١٣٤ و ١٤٣ و ١٥٥ و ١٥٧ و ١٧١

١٧٧ و ١٧٧ و ١٨٣ و ١٨٧ و ١٩٠ و ١٩١ و ١٩٦ و ١٩٨ و ٢٠٨

٢١٠ و ٢١٣ و ٢١٧ و ٢٢١ و ٢٢٣ و ٢٢٩ و ٢٤٤ و ٢٨٢

٢٩١ و ٣٠٨ و ٣٣٧ و ٣٩٦ و ٤٠١ و ٤٠٥ و ٤٠٧ و هامش

٤١٢ و ٤٦٥ و هامش ٦٠٢ و هامش ٦٠٧ و هامش ٦٦٤ و ٦٨٢

٧١١

الإسماعيلية:

هامش ٦٨٥

إسنا (مدينة بمحافظة قنا):

١٨٣ و ٣٢٨ و ٤١٢ و ٦٩٢

أسوان:

١٨٩ و ٢٠٥ و ٣٢٨

آسيا:

٢١٥ و ٣٤٤ و ٥٨٢

أسيوط:

٢٠٥ و ٢٣٤ و ٤٦٤ و ٥٠١ و ٥٠٣ و ٥٤٨ و ٦٨٩ و ٦٩٢

٦٩٣ و ٧٠٣ و ٧١٠ و ٧٢٠

أشمون:

٦٤

أشمونين (بمركز ملوي بمحافظة المنيا):

٥٥ و ٢٦٠ و هامش ٣٩٦ و ٤٦٤ و ٥٤٠ و ٥٤٨ و ٧٢٠

إطفيح (بمركز الصف بمحافظة الجيزة):

٤٧ و هامش ٢٥٧

إبرين (جهة الطرانة):

٢٤٤

إشادي (= نيفيوس، اندثرت، حالياً زاوية رزين بمركز

منوف بمحافظة المنوفية):

٦٠ و ٤٢٣ و ٤٣٢ و ٤٤٢ و ٤٤٤ و ٤٤٦ و ٧٢٠

أبوتيج بمحافظة أسيوط:

٤٩٩ و ٦٩١ و ٦٩٥ و ٦٩٨ و ٧٠٠

أبوصير (= بوضير بنا بمركز سمندو الغربية):

٤٧٣ و هامش ٦٨٤ و هامش ٦٨٥ و ٦٩٧

أبوقبر (= كانوب، ضاحية شرقي مدينة الإسكندرية):

٢٦٠ و ٣٠٦ و ٣٠٨

إتريس (بمركز إمبابة محافظة الجيزة):

٦٩٢ و ٦٩٩

أتوس (باليونان):

٢٧٣ و ٧٠٢

أثينا (عاصمة اليونان):

٢٧٣ و ٧٠٢

أثيوبيا:

٤٦٤ و ٥٧١

أجا:

٣٣٢ و هامش

إدقاو (اندثرت وهي الآن عزبة الأقباط بناحية العثمانية

مركز البداري بمحافظة أسيوط):

٤٤٧ و ٥٣٦

أرسوا (اندثرت وهي الآن كوم سباخ بمدينة الفيوم):

٢٧١

أرواط (خربت وهي بمركز كوم حمادة بالبحيرة):

٤٣٧

أفسس:

٣٩٢ و ٤١٠ و ٤١٢ و ٥٥٣ و ٥٧٢ و ٧١١ و ٧١٣

أكويلا (شمال إيطاليا):

١٨٤ و ١٨٧ و ٧١٢ و ٧١٣

ألمى (= ألماي بمركز شبين الكوم بالمنوفية):

٤٢٩ و ٤٤٦ و ٤٤٨ و ٤٤٩ و ٦٩٨

إمبابة (مدينة شمالي الجيزة):

٦٨٤ و ٦٩٩ و هامش

أميرية (بين دمنهور ونتر يا):

٣٣١ و هامش ٣٣١

أنابولوس (بركة النطرون):

٢١٣

أنتينوا (= أنصنا، اندثرت وهي الآن الشيخ عبادة بمركز

ملوي بمحافظة المنيا):

١٨٩ و ٢٣٠ و ٢٣٤ و ٢٧٣ و ٧١١

أنطاكية:

١٨٧ و ٤١٠ و ٤١٢ و ٤١٣ و ٤١٤ و ٤١٦ و ٥٥٢ و ٥٥٤

٧١٤ و ٧١٤

إهناسية (مدينة غرب بني سويف):

٤٧٣ و ٦٩٧

أورشليم:

١٨٧ و ١٨٨ و ٢٨٤ و ٣٠٢ و ٣٤٥ و ٣٥٤ و ٤١٢ و ٤١٣

٤١٤ و ٤٢٣ و ٤٢٦ و ٤٤٥ و ٤٤٦ و ٧٠٢ و ٧١٥

أوسيم (بمركز إمبابة بمحافظة الجيزة):

٧٢١

إيطاليا:

١٨٤ و ١٨٧ و ٣٤٤ و ٥٧٤

حرف «ب»

بابلون الدرج (بمصر القديمة):

٢٥٤ و ٦٨٣ و ٧٠٥

بانوفيس (اندثرت - شمال الدلتا):

٢٩٩

بانياس (بلبنان):

٢١٤

بتانون (بمركز شبين الكوم بالمنوفية):

٣٩٩ و ٤٠٦ و ٤٥٦

بترا (موضعان = صحرة عند دير البراموس، وصخرة

مقاريوس بدير أنبا مقار):

٨٩ و هامش ٨٩ و هامش ١٧١ و ٢١٣ و ٢٣٨ و ٢٥٣ و ٢٦٥

٢٦٦ و ٢٦٧

بجيج (قلاية بدير أنبا مقار، وإسم بلدة بناحية المنوفية):

٣٩٩ و هامش ٣٩٩ و ٤٣٦ و ٤٤٠ و ٤٨٠ و ٤٨٧

بحيرة مرم، وهي بحيرة مريوط:

٤٩ و ١٧٢ - ١٧٤ و ١٧٦ و ١٩٢ و ٢١١ و ٢٧٩ و ٤٢٢

بحيرة المنزلة:

٢٩٩ و ٤٣٧ و ٤٤٠

بحيرة النطرون:

٦٢ و ١٧٥ و ٢١٣

بحيرة نبيلا (عند البرنوج):

١٧٥

برما (= البراما = بيرما، وهي منطقة أهرامات الجيزة):

٨٥ و ٢٨٠ و ٢٨٢ و هامش

برنوج (= برنوجي بمركز دمنهور بالبحيرة):

٧٣ و ٧٥ و ١٧٣ و ١٧٤ و ١٧٥ و ١٧٦ و ٢١٠ و ٢١٢ و ٢٣٩

٣٢٣ (راجع جبل برنوج)

بركة النطرون:

٧٨ و ٢١٣

برلس (= البرج بمركز بلطيم على بحيرة البرلس بمحافظة كفر

الشيخ):

٣٧١ و ٦٨٢ و ٦٨٦ و هامش

برية جوانية (داخلية):

٨٩ و ١٩٢ و ١٩٣ و ٢١٠ و ٣٤٦ و ٤١٠ و ٤٢٢

بسبير (= ناحية دير الميمون بمركز الصف بالجيزة، شرقي

ناحية الميمون بمركز الواسطي ببني سويف):

٤٧ و ٤٩ و ٥١ و ١٨٣ و ٢٠١ و ٢٤١ و ٢٥٤ و هامش ٢٥٧

٢٥٩

بصراط (= البصراط بمركز المنزلة بالدقهلية):

٦٨٤

بلوزيوم (= الفرما، اندثرت بساحل سيناء شرقي

بورسعيد):

٢٣٧ و ٣٥١ و ٣٧٢ و ٤٣٧ و هامش

بلهيب (اندثرت، عند ناحية فزارة قرب رشيد):

٤٣٣

بلينا (بمحافظة سوهاج):

٤٦٠ و ٥٠٠ و هامش ٦٢٢ و ٦٩٢ و ٦٩٥ و ٦٩٦ و ٧٠٠

بنطس (شمال تركيا):

٣٤٤

بني سويف:

٤٧ و ١٨٣ و هامش ٢٥٧ و ٢٥٨ و ٥٧٤

بلس (= وادي النطرون):

٦٨ و ٨٥ و ٢١٠ و ٢١١ و ٢١٢ و ٢١٣ و ٤٦٠

البنسا (وهي أكسير ينكوس القديمة، بمركز بني مزار بمحافظة المنيا):

٢٢٩ و ٢٥٧ و ٣٣٧ و ٥٣٢ و ٥٥٠ و ٧٠٥

بور سعيد:

هامش ٢٣٧ و ٢٧٩ و ٣٥١ و ٣٧٢ و ٤٣٧ و ٤٤٠ و هامش

٦٨٥

بوش (محافظة بني سويف):

٥٧٤

البياضية (مركز البداري بأسوط):

٧٠٠

بيامون (صخرة حصن دير أبو مقان):

١٦٥ و هامش ١٧٦ و ٢٢٥ و ٢٣٨ و ٢٤٠ و ٢٦٥ و ٣٩٤

٣٩٥ و ٣٩٨ و ٤٠٥ و ٤٠٦ و ٤٠٧ و ٤٣٠

بيثنية:

١٨٩ و ٧١١

بيرما (= البراما = برما، وهي منطقة أهرامات الجيزة: (أنظر جبل البيرا).

بيزنطة:

١٩٣ و ٣٤٤ و ٥٧٢

بيسبديّة:

٢٣٥

بين النهرين:

٥٣٦

حرف «ت»

تامبوك (اندثرت، بمركز شبراحيت بالبحيرة):

٤١٤

تانس (صان الحجر مركز الحسينية بالشرقية):

٢٩٩

تنا (بمركز منوف):

٤٥٠

ترنوط (الطرانة بمركز كوم حمادة بالبحيرة):

٥٩ و ٦٠ و ٨٣ و ٨٥ و ٩٦ و ٢١١ و ٢٤٤ و ٢٧٩ و ٣٤٠ و ٤٤٣

٤٥٠ و ٤٥١ و ٦٨٤ و ٦٩٨

تروجة (اندثرت وهي الآن كوم تروجة بمركز أبو المطامير بالبحيرة):

١٧٤ و ١٩٢ و ١٩٣ و ٤٢٢

تسالونيكى (باليونان):

٣٤٤

تمتي الأمديد (مدينة تمويس القديمة بمركز السنبلابين بالدقهلية):

٥٠ و ٢٦٨ و هامش ٢٦٨ و ٣٠٠ و ٤٤٤ و ٥٥٨ و ٦٨٣

و هامش ٦٨٣

تنيس (اندثرت بجزيرة تنيس ببحيرة المنزلة قرب بورسعيد):

٢٩٩ و ٣٣٧ و ٤٤٠ و ٥٤١ و ٥٥٥ و ٦٨٥ و ٦٨٦ و ٧١٠

٧٢١

حرف «ج»

الجاييف (بجوار إيتاي البارود):

١٧٣

جبال العربية (بالبحر الأحمر):

٤٥ و ٤٧ و ٥١ و ٧٢ و ٢١٤

جبل أبو رواش (بالجيزة):

هامش ٦٨٤

جبل آتوس (باليونان):

٢٦٩

جبل البيرا (أوبيهرا (περήμε):

٢٧٨ و هامش ٢٧٨ و ٢٧٩ و ٢٨١

جبل الزيتون:

١٨٨ و ٧١١

جبل أسوط:

٧٠٣

جبل الطير (شرقي سمالوط بالمنيا):

٩٩

جبل انفسجة (بالأردن):

٢٨٣

جبل القلزم (= جبل عتاقة):

هامش ٢٥٧

جبل أوسيم (= جبل أبو رواش بالجيزة):

٦٨٤ و هامش ٦٨٩

جبل المقطم:

٢٥٤ و ٣٠٨

جبل النطرون (جبل نتريا):

٤٩ و ٥٠ و ٦٠ و ٦٢ و ٦٧ و ٧٩ و ١٧٢ و ١٧٤ و ١٧٥ و ١٧٦

١٨٠ و ١٩٢ و ١٩٣ و ١٩٦ و ١٩٧ و ٢٠٦ و ٢٠٩ و ٢١٠

٢١٥ و ٢٢٧ و ٣١٣ و ٣٧٧ و ٤٢٢ و ٤٢٨

جبل أنطونيوس (بالبحر الأحمر):

٦٩ و ٧٠ و ٢٢٩ و ٢٥٤ و ٢٥٥ و ٢٥٧ و هامش ٢٥٧ و ٢٧٠

جبل باماهو (ربما كان عند ناحية بها مركز العياط بالجيزة):

٤٤٣ و هامش ٤٤٣

جبل برنوج:

٦٠ و ٧٢ و ١١١ و ١٧٢ و ١٧٤ و ١٧٦ و ١٩٣ و ٢١٩ و ٤٢٢

جبل جيراوي (ربما بجوار أنوب بأسوط):

٢٣٣

جبل شبات:

٦٢

جبل قزقام (بالدير المحرق):

٦٩٤

جبل نيري المقدس (قرب دمنهور بالبحيرة):

١٧٤ و ١٩٣ و ٤٢٢

جرجا:

٦٩٢

الجزائر:

١٨٤

جزيرة غاغرا (بتركيا):

٧٢٠

جزيرة قبلة (بأسوان):

٢٠٥

الجيزة:

٥٨ و هامش ٨٥ و ٢٠٦ و ٢٧٨ و ٢٧٩ و ٣٩٧ و ٤١٩

و هامش ٤٤٣ و ٤٧١ و ٤٨١ و ٥٣٤ و ٥٤٠ و هامش ٦٨٤

و هامش ٦٨٨ و ٦٨٢ و ٦٩٩

حرف «ح»

الحبشة:

١٧٣

حرف «خ»

خشم القعود (منطقة رهبانية غرب وادي النطرون):

١٩١

حرف «د»

داكلوبة (اندثرت، قرب رشيد):

٤٣٣

الدلتجات:

هامش ٢٣٢

دمنهور (بالبحيرة):

١٧٣ و ١٧٥ و هامش ١٨٤ و ١٩٦ و ٢٠٦ و هامش ٢٠٦

و ٢١٠ و هامش ٢٣٢ و هامش ٢٣٨ و ٣٢٣ و هامش ٣٣١

و ٤٧٣ و ٦٥٤ و ٦٩٧

دمياط:

٥٥٠ و ٥٥٥ و ٦٩٢

دميرة (بمركز طلخا بالدقهلية):

هامش ٣٣١ و ٤٧٣ و ٦٩٧

دميري يا (أوديميرو): (أنظر أميرية)

هامش ٣٣٢

دندرة (محافظة قنا):

٢٧٢

دهروط (اندثرت، بحري وجوار الطرانة مركز كوم حمادة بالبحيرة):

٤٥٠ و ٦٩٨

دوناسة (= تابانسن، وهي الدابة البحرية التي تسمى اليوم الرحمانية قبلي بمركز دشنا بقنا):

هامش ٤٣ و ١٢٠ و ١٩٤

دير أبو سيفين:

٦٣٦

دير إيفانيوس:

٧١٨

دير إرميا بسقارة:

٥٧ و ٢٣٢ و ٢٣٣

الدير الأبيض بسوهاج:

هامش ٢٣١ و ٥٧٧

الدير الأحمر بسوهاج:

هامش ٢٣١

دير الأحباش:

٤٨٨ و ٤٩٤

دير الأرمن:

٤٩٤

دير سمعان بأسوان: ٣٢٧
 دير سانت كاترين: ٧٠٣
 دير شهران: ٣٠٨
 دير أنبا صموئيل: ٤١٩ و ١٧٦
 دير طمويه: ٦١٩
 دير لافرا: ٣٢١ و ٣١٦
 دير مكسيموس ودوماديوس: ٤٢٢ و ٢١٦
 دير موط (أو دير أنبا هرمانوس): ٢١٩
 دير نيا: ٤٦٩ و ٤٦٣ و ٣٩٩
 دير نيا (بالجزيرة): ٢٤٤ و ٤١٩ و ٤٧١ و ٥٣٤ و ٥٤٠ و ٦٨٤ و هامش ٦٨٩
 دير نيكيرت (بسوريا): ٧٢١ و ٧٢٠
 دير أنبا يوحنا القصير: ٢١٢ و ٢١٣ و ٢١٥ و ٢١٧ و ٢٢٧ و ٢٢٩ و ٢٣٠ و ٢٣١ و ٢٣٣ و ٢٦٦ و ٣٣٣ و ٤٢٣ و ٤٣٣ و ٤٤٥ و ٤٧٠ و ٤٨٨ و ٤٩٤ و هامش ٦١٩ و ٧٢٢
 دير أنبا يوحنا كاما: ٢٦٦ و ٤٧٠ و ٤٩٠ و ٤٩٤ و ٧٢١
 ديوقيصرية: ٢٤٠ و ٢٣٨
 ديوكلوس (في منطقة البرلس): ٢٥٩
 دير سمعان بأسوان: ٧١١ و ٧٠٢ و ٥٥٨ و ٥٥٣ و ٥٤٤ و ٤٣٣ و هامش ٤١٢
 ريشو (أوراشو أو رايشو، اندثرت وهي الآن منطقة الراهبة على مقربة من الطور بسينا): ٢٩٤ و ٢٦٠
 حرف «ز»
 زاوية رزين (مركز منوف): هامش ٦٨٣ و ٧٢٠
 زفتي (مدينة بمحافظة الغربية): ٦٩٠ و ٦٠٥
 حرف «س»
 سبطانوس: ٢١٥
 سخا (قبلي وبحوار مدينة كفر الشيخ): ٢٢٧ و هامش ٣٣١ و ٤٤١ و ٤٤٥ و ٦٥٤
 السراقنة (بجبل قزقام): ٦٩٤
 سقارة: ٥٧ و ٢٥٤
 سمالوط (بمحافظة المنيا): ٦٩٩
 سمند (بمحافظة الغربية): ٦٨٩ و ٦٨٥ و هامش ٦٨٤
 السنلاوين (بمحافظة الدقهلية): ٢٦٨ و هامش ٦٨٣
 سوريا: ١٦٣ و هامش ٢١٢ و ٢٢١ و ٢٨٣ و ٢٨٤ و ٢٩٩ و ٣٤٤
 ٣٨٤ و ٧١٢ و ٧١٤
 سوهاج: هامش ٢٣١ و ٥٧٧ و ٧٠٠
 السويس: ٢٢٩ و ٢٣٠ و ٧١٨
 سيليا: ١٩٠ و ١٩٣ و ٢٠٤ و ٢٠٥
 سينا: ٢٦٠ و ٢٩٢ و ٢٩٤ و ٢٩٦ و ٢٩٩ و ٣٠١ و ٣٤١ و ٣٥١ و هامش ٦٨٥ و ٧٠٢ و ٧٠٣ و ٧١١
 دير سمعان بأسوان: ٤١٠ و ٣٠٨ و ٣٠٦ و ٢٧٣ و ٢٦٠ و ٢١٥ و ١٩٤ و ١٨٤

دير القلمون: ٦٠٨ و ٤١٩
 دير المحرق: ٦٠٥
 دير الملاك البحري: ٦٩٧
 دير أنبا موسى الأسود: ٤٧٠ و ٢٦٦
 دير الميمون: ٤٧ و هامش ٢٥٧
 دير أنبا أنطونيوس: ٢٢٩ و ٢٤١ و ٤٤٤ و ٥٧٤ و ٦٨٣
 دير (أديرة) أنبا باخوميوس: ١٩٤ و ٢٠٤ و ٢٦٠ و ٢٧٣ و ٣٥١
 دير باهو: ٣٢١ و ٣١٦ و ٨٩
 دير باويط: ٢٣٢ و هامش ٥٨٣
 دير بسبير: ٢٧٤ و ٢٧١ و ٢٥٩
 دير أنبا بقطر: ٧١٢
 دير أنبا بولا: ٤٥
 دير بورت رويال (قرب باريس): ٧١٦
 دير أنبا بيشاي بأنصنا: ٢٣٤
 دير أنبا بيشوي: ٢١٢ و ٢١٣ و ٢١٥ و ٢١٦ و ٢١٧ و ٢٣٠ و ٢٣٥ و ٢٦٦ و ٣٣٣ و ٤٠٣ و ٤٢٣ و ٤٧٠ و ٤٨٧ و ٤٨٨ و ٤٩٤ و ٤٩٧ و ٤٩٨ و ٥٨٢ و ٥٩٤ و ٦٠١ و ٦٠٦ و هامش ٦١٤ و ٦٤٢ و ٦٥٧ و هامش ٦٦٢ و ٦٧٣ و ٦٧٤ و ٦٩٦
 دير جبل الزيتون: ١٨٨ و هامش ٢٠٥
 دير دنيا (راجع دير نيا): ٤٣٢ و هامش ٦٨٢
 دير زكريا: ٧٢١ و ٧٢٠ و ٧٢١ و ٧٢٢ و ٧٢٣ و ٧٢٤ و ٧٢٥ و ٧٢٦ و ٧٢٧ و ٧٢٨ و ٧٢٩ و ٧٣٠ و ٧٣١ و ٧٣٢ و ٧٣٣ و ٧٣٤ و ٧٣٥ و ٧٣٦ و ٧٣٧ و ٧٣٨ و ٧٣٩ و ٧٤٠ و ٧٤١ و ٧٤٢ و ٧٤٣ و ٧٤٤ و ٧٤٥ و ٧٤٦ و ٧٤٧ و ٧٤٨ و ٧٤٩ و ٧٥٠ و ٧٥١ و ٧٥٢ و ٧٥٣ و ٧٥٤ و ٧٥٥ و ٧٥٦ و ٧٥٧ و ٧٥٨ و ٧٥٩ و ٧٦٠ و ٧٦١ و ٧٦٢ و ٧٦٣ و ٧٦٤ و ٧٦٥ و ٧٦٦ و ٧٦٧ و ٧٦٨ و ٧٦٩ و ٧٧٠ و ٧٧١ و ٧٧٢ و ٧٧٣ و ٧٧٤ و ٧٧٥ و ٧٧٦ و ٧٧٧ و ٧٧٨ و ٧٧٩ و ٧٨٠ و ٧٨١ و ٧٨٢ و ٧٨٣ و ٧٨٤ و ٧٨٥ و ٧٨٦ و ٧٨٧ و ٧٨٨ و ٧٨٩ و ٧٩٠ و ٧٩١ و ٧٩٢ و ٧٩٣ و ٧٩٤ و ٧٩٥ و ٧٩٦ و ٧٩٧ و ٧٩٨ و ٧٩٩ و ٨٠٠ و ٨٠١ و ٨٠٢ و ٨٠٣ و ٨٠٤ و ٨٠٥ و ٨٠٦ و ٨٠٧ و ٨٠٨ و ٨٠٩ و ٨١٠ و ٨١١ و ٨١٢ و ٨١٣ و ٨١٤ و ٨١٥ و ٨١٦ و ٨١٧ و ٨١٨ و ٨١٩ و ٨٢٠ و ٨٢١ و ٨٢٢ و ٨٢٣ و ٨٢٤ و ٨٢٥ و ٨٢٦ و ٨٢٧ و ٨٢٨ و ٨٢٩ و ٨٣٠ و ٨٣١ و ٨٣٢ و ٨٣٣ و ٨٣٤ و ٨٣٥ و ٨٣٦ و ٨٣٧ و ٨٣٨ و ٨٣٩ و ٨٤٠ و ٨٤١ و ٨٤٢ و ٨٤٣ و ٨٤٤ و ٨٤٥ و ٨٤٦ و ٨٤٧ و ٨٤٨ و ٨٤٩ و ٨٥٠ و ٨٥١ و ٨٥٢ و ٨٥٣ و ٨٥٤ و ٨٥٥ و ٨٥٦ و ٨٥٧ و ٨٥٨ و ٨٥٩ و ٨٦٠ و ٨٦١ و ٨٦٢ و ٨٦٣ و ٨٦٤ و ٨٦٥ و ٨٦٦ و ٨٦٧ و ٨٦٨ و ٨٦٩ و ٨٧٠ و ٨٧١ و ٨٧٢ و ٨٧٣ و ٨٧٤ و ٨٧٥ و ٨٧٦ و ٨٧٧ و ٨٧٨ و ٨٧٩ و ٨٨٠ و ٨٨١ و ٨٨٢ و ٨٨٣ و ٨٨٤ و ٨٨٥ و ٨٨٦ و ٨٨٧ و ٨٨٨ و ٨٨٩ و ٨٩٠ و ٨٩١ و ٨٩٢ و ٨٩٣ و ٨٩٤ و ٨٩٥ و ٨٩٦ و ٨٩٧ و ٨٩٨ و ٨٩٩ و ٩٠٠ و ٩٠١ و ٩٠٢ و ٩٠٣ و ٩٠٤ و ٩٠٥ و ٩٠٦ و ٩٠٧ و ٩٠٨ و ٩٠٩ و ٩١٠ و ٩١١ و ٩١٢ و ٩١٣ و ٩١٤ و ٩١٥ و ٩١٦ و ٩١٧ و ٩١٨ و ٩١٩ و ٩٢٠ و ٩٢١ و ٩٢٢ و ٩٢٣ و ٩٢٤ و ٩٢٥ و ٩٢٦ و ٩٢٧ و ٩٢٨ و ٩٢٩ و ٩٣٠ و ٩٣١ و ٩٣٢ و ٩٣٣ و ٩٣٤ و ٩٣٥ و ٩٣٦ و ٩٣٧ و ٩٣٨ و ٩٣٩ و ٩٤٠ و ٩٤١ و ٩٤٢ و ٩٤٣ و ٩٤٤ و ٩٤٥ و ٩٤٦ و ٩٤٧ و ٩٤٨ و ٩٤٩ و ٩٥٠ و ٩٥١ و ٩٥٢ و ٩٥٣ و ٩٥٤ و ٩٥٥ و ٩٥٦ و ٩٥٧ و ٩٥٨ و ٩٥٩ و ٩٦٠ و ٩٦١ و ٩٦٢ و ٩٦٣ و ٩٦٤ و ٩٦٥ و ٩٦٦ و ٩٦٧ و ٩٦٨ و ٩٦٩ و ٩٧٠ و ٩٧١ و ٩٧٢ و ٩٧٣ و ٩٧٤ و ٩٧٥ و ٩٧٦ و ٩٧٧ و ٩٧٨ و ٩٧٩ و ٩٨٠ و ٩٨١ و ٩٨٢ و ٩٨٣ و ٩٨٤ و ٩٨٥ و ٩٨٦ و ٩٨٧ و ٩٨٨ و ٩٨٩ و ٩٩٠ و ٩٩١ و ٩٩٢ و ٩٩٣ و ٩٩٤ و ٩٩٥ و ٩٩٦ و ٩٩٧ و ٩٩٨ و ٩٩٩ و ١٠٠٠
 دير الأمير تادرس بالقيوم: ٧٢١
 دير البراموس: ٦٨ و هامش ٨٩ و ١٦٦ و هامش ١٧١ و ١٨٥ و ٢١٢ و هامش ٢١٢ و ٢١٣ و ٢١٦ و ٢٢٢ و ٢٥٣ و ٢٦٦ و ٢٦٧ و ٣٠٩ و ٣١٧ و ٣٣٣ و ٣٣٥ و ٤٠٣ و ٤٧٠ و ٤٨٥ و ٤٨٨ و ٤٩٧ و ٤٩٨ و ٦٠٢ و هامش ٦٢٤ و ٦٤٢ و ٦٦١ و هامش ٦٦٢
 الدير التاسع (الإتاتون بظاهر الإسكندرية): ٤٥٤ و ٤١١ و ٢٧٨
 الدير الثامن عشر: ٤١٤
 الدير الخامس: ٤١١ و ٤١٣
 دير الخندق (دير أنبا رويس): ٦٩٧ و هامش ٦٩٧ و ٦٩٨ و ٧٢٢
 دير الست دميانة: هامش ٦٨٦ و ٦٩١
 دير السريان: ٢١٧ و ٢٣٣ و ٢٣٤ و ٢٦٦ و ٣٩٩ و ٤٠٣ و ٤٧٠ و ٤٨٨ و ٤٩٤ و ٤٩٧ و ٥٣٢ و ٥٣٣ و ٥٤٥ و ٥٧٧ و ٥٧٩ و ٥٨٢ و ٥٩٤ و ٦٠٦ و ٦٢٠ و ٦٢٥ و ٦٣٤ و ٦٣٧ و ٦٣٩ و ٦٤٠ و ٦٤١ و ٦٥٢ و هامش ٦٦٢ و ٦٩٤ و ٦٩٩
 دير السيدة النبيلة (عند الميل الخامس بظاهر الإسكندرية): ٤١٣
 دير الشمع: ٢٤١ و ٢٤٤ و ٤٧٢ و ٦٨٩
 دير العلبانسين: ٢٤١ و ٢٦٠ و ٢٧١ و ٢٧٢ و ٣٠٨
 دير العذراء بجبل الطير: ٦٩٩
 دير العذراء بمنطقة تنيس: ٦٨٥ و ٤٣٧
 دير الفاحوري بأسنا: ٣٢٨
 دير القديس أبو مقار بالمنداهن بأبوتيج: ٧٠٠ و ٦٩٨

حرف «ش»

الشام:	٢١٢ و ٢١٥ و ٢٨٤
شانسا (اندرت، على النيل شمالي شربين بمحافظة الدقهلية):	٢٣٢ و هامش ٢٣٢
شبرا رجة:	٦٨٨
شبراخيت (بمحافظة البحيرة):	٤١٤
شبرامنصو:	٤٣٥
شبير (بمركز منوف):	٦١٠ و ٦١٨ و ٦٩٩
شين الكوم:	٦٩٨
شربين (بمحافظة الدقهلية):	هامش ٢٣٢
شنشور (مركز الباجور منوفية):	٦٩٩
شيشوير (بمحافظة المنوفية):	٥٩ و ٤٢٩ و ٤٤٧ و ٤٤٨ و ٦٩٨ و ٦٩٩
حرف «ص»	
صا (هي صا الحجر مركز بسون بمحافظة الغربية):	١٩٣ و ٣٩٩ و ٤٣٢ و ٤٤٢ و ٤٤٣ و ٦٨٢ و هامش ٦٨٢
صخرة أولاد الملوك:	٦٨ و ٨٠ و هامش ٢١٢ و ٢١٣
صعيد مصر:	١٨٩ و ١٩٠ و ٢٢٣ و ٢٣٤ و هامش ٢٣٧ و ٢٤٤ و ٢٤٥
صنبو (مركز ديروط بمحافظة أسيوط):	٥٥٧ و ٢٥٤ و ٢٦١ و ٣٨٣ و ٤٠٢ و ٤١٢ و ٤٥٤ و ٤٥٥ و ٤٧١
صندلة:	٦٩٤
صور (بلبنان):	٣٩٩
صيدا (بلبنان):	٥٨١

صيدا (بلبنان):

٢٧٤

حرف «ط»

طانا (اندرت، شمال دير الست دميانة على بحيرة البرلس):	٤٦٦ و ٦٨٦ و هامش ٦٨٦
طبنيس (أنظر دناسه):	١٨٣ و ٢٠٤ و ٤١٢
طراثة البرنوجي (أنظر البرنوجي):	٦٠ و ١٧٥ و ٤٤٣
طراثة كوم حمادة:	٦٠ و ١٧٥ و هامش ٦٨٤ و ٦٩٨
طرة (بخط حلوان):	٣٠٦ و ٣٠٨ و ٣٠٩
طلخا (بمحافظة الدقهلية):	٦٩٧
طملاي (بمركز منوف):	٦٩٩ و ٦٩٨
طمويه (طموه الآن بمحافظة الجيزة):	٦٨٨ و ٦٨٩
طهطا (بمحافظة سوهاج):	٧٠٠
طنطا (أو طنطنا عاصمة محافظة الغربية):	٦٨٨
طورسينا:	٢٦٠ و ٢٩٣ و ٢٩٤
حرف «ع»	
العراق:	٣٨٤
حرف «غ»	
غزة:	٢٨٤ و ٧١٣
غلاطية:	١٨٨ و ١٨٩ و ٣٤٤ و ٧١١ و ٧١٠

حرف «ف»

بلاد فارس:	٢٨٣
فالتينوبوليس:	٧١١
الفرما (اندرت، أنظر بيلوزيوم):	٨٥ و ٢٧٩ و ٤٣٧ و ٦٨٥
فسطاط (اندرت، خلف حصن بابلون بمصر القديمة):	١٩٣ و ٦٨٣
فلسطين:	١٠٨ و ١١٠ و هامش ١٨١ و ١٨٩ و ١٩٥ و ٢١٥ و ٢١٨ و ٢٢٠ و ٢٦٠ و ٢٧٥ و ٢٨٤ و ٢٩٢ و ٢٩٦ و ٣٤٤ و ٣٨٤ و ٥٨١ و ٧١١ و ٧١٢ و ٧١٨
فوة (بمحافظة كفر الشيخ):	٥٤٨ و ٦٨٨ و ٧١٠
الفيوم:	٢٧١ و ٤٠٦ و ٤١٩ و ٤٣٤ و ٤٣٥ و ٤٦٥ و ٤٦٦ و ٦٩٤ و ٧٢١
القاهرة:	٤٤٧ و ٤٧٦ و ٤٨٠ و ٤٩٢ و ٥٧٥ و ٦٩٠ و ٦٩٦ و ٦٩٧
قبرص:	٧١٩
القدس:	١٨٧
قرباطنة (بتونس):	٦٨٩
القسطنطينية:	٥٤٧ و ٥٥٢ و ٥٥٤
قصر البنات (خرابة بجوار دير أنبا مقار):	١٩٥ و ٢٠٠ و ٢١٨ و ٢٣٩ و هامش ٢٦٦ و ٣٤٤ و ٣٤٥
قصر الشمع:	٤١٠ و ٤١٢ و ٤١٧ و ٥٤٧ و ٥٥٣ و ٥٥٤ و ٧١١ و ٧١٥
قفط (بمحافظة قنا):	٣٠٣ و ٤٩٧
لاوذكية:	٥٧٣ و ٥٨٦

حرف «ق»

قلالي (منطقة القلاي):

قلالي (منطقة القلاي):	٥٠ و ٧٢ و ٧٥ و ٩٨ و ١٣٠ و ١٧١ و ١٧٤ و ١٧٥
قلين (بمحافظة كفر الشيخ):	١٧٧ و ١٨٠ و ١٨١ و ١٨٣ و ١٩٤ و ١٩٦ و ٢٠١ و ٢٠٤
قنال الرياشات (كان يدعى قنال نوقراطيس، بمحافظة البحيرة):	٢٠٦ و ٢١٠ و ٢١١ و ٢١٤ و ٢٣٩ و ٢٤٣ و ٢٦٣ و ٢٧٥
قلمون (برية يقع فيها دير أنبا صموئيل):	٢٧٧ و ٢٧٩ و ٢٨٠ و ٣١٢ و ٣١٣ و ٣١٧ و ٣١٩ و ٣٢٤
قلمون (برية يقع فيها دير أنبا صموئيل):	٣٦١ و هامش ٣٢٤ و ٣٢٥ و ٣٢٧ و ٣٢٨ و ٣٣٠ و ٣٣٢ و ٣٦١
قلمون (برية يقع فيها دير أنبا صموئيل):	٣٧٧ و ٤١٧ و ٤٣٣ و ٥٧٣ و ٧٠٥ و ٧١١
قلمون (برية يقع فيها دير أنبا صموئيل):	٢٣٠
قلمون (برية يقع فيها دير أنبا صموئيل):	٤٣٥ و ٤٣٤ و ١٧٦
قلمون (برية يقع فيها دير أنبا صموئيل):	٦٥٤
قلمون (برية يقع فيها دير أنبا صموئيل):	١٧٣ و ١٧٦ و ٢٠٦ و ٢١١
قلمون (برية يقع فيها دير أنبا صموئيل):	١١٠
حرف «ك»	
كانوب (صاحبة أبو قبر بالإسكندرية):	٢٦٠ و ٣٠٦ و ٣٠٨
كبادوكية:	٢١٥ و ٣٤٤
كليزما (السويس):	٢٢٩ و ٢٣١
كلاموس (= بترا):	٢٦٥
كويري العبد (على ترعة النوبارية):	٣٢٤
كوما (هي قن العروس مركز بوش محافظة بني سويف):	٤٧
كوم حمادة (بمحافظة البحيرة):	٦٠ و هامش ٦٨٤
كبروس (شمال سوريا):	٧١٤
حرف «ل»	
لاوذكية:	٥٣٥

لبنان:

٢١٤

لقانة (مركز شراخيت بمحافظة البحيرة):

٦٨٨

ليكو بوليس (محافظة أسبوط):

٢٠٥ و ١٨٨

ليبيا (صحراء غربي الإسكندرية):

١٧٣ و ١٧٧ و ١٨٤ و ٣١٦ و ٣٤٤

حرف «م»

المازيق:

١٧٣

المدن الخمس (منطقة برقة بليبيا):

٣٤٤

مربوط (غربي الإسكندرية):

٤٩ و ١٧١ و ١٧٤ و ٢٢٩ و ٤٣٣ و ٤٤٠

مسطرد (محافظة القليوبية):

٦٠٥ و هامش ٦٩٠

مصر القديمة:

٥٧٢ و ٥٧٣

العادي:

٦٨٩

مقدونيا:

٣٤٤

منسف (وهي منقيس، اندثرت، وهي الآن ناحية ميت رهينة ومدينة البدرشين بمحافظة الجيزة):

٥٨ و ٥٩ و ٢٠٦ و ٢٤٤ و ٢٤٥ و ٢٦٠ و ٢٧٧ و ٢٧٩ و ٣٠٨

٦٨٨ و ٦٨٩ و ٧٠٥

منديس (أنظر تمى الأمديد):

٢٦٨

المنزلة (بحيرة شمال الدلتا):

٤٣٧ و ٤٤٠ و هامش ٦٨٤ و هامش ٦٨٥ و ٧٢١

المنيا:

٦٩١ و ٦٩٩

منوف العلا (مدينة منوف بالمنوفية):

٤٤٥ و ٤٦٦ و هامش ٦٨٦ و ٧٢١

منية السقار (اندثرت، بجوار أنصنا بمركز ملوي):

٢٣٤

منية صرد (هي مسطرد بمحافظة القليوبية):

(أنظر مسطرد).

مور يتانيا:

١٧٣

مونا (هي بركة المونا = القلاي):

١٩٠-١٩٣ و ٣٣١ و ٣٣٢ و ٤١٧

ميت رهينة (غربي مدينة البدرشين بمحافظة الجيزة):

٢٠٦ و ٣٠٦

ميت شماس (بالجيزة):

هامش ٦٨٩

حرف «ن»

نبروه (مركز طلخا بمحافظة الدقهلية):

٦٩٧

نثريوتيس (وادي النظرون):

٦٠ و ٦٢ و ٤٠٧

نصيبين (بتركيا على حدود سوريا):

٢٨٣ و ٢٨٤

نقادة (مركز قوص بمحافظة قنا):

٦٩٣

النقلون (بركة بجوار الفيوم):

٤١٩

نقبوس (أونيقوسيا - أنظر إيشادي):

٦٠ و ٤٢٧ و ٤٣٢ و ٤٤٣ و ٤٤٤ و ٤٤٦ و ٦٨٣

نهر ليكوس:

١٨٢

نهر موسكاس:

٢٨٣ و ٢٨٤

النوبارية (ترعة):

٣٢٤

النوبة:

٢١٥ و ٥٧١ و ٦٨٧

نوقراطيس (هي اليوم ثلاث نواحي: النقراش وكوم

جمعيف والتميرة بمركز إيتاي البارود بالبحيرة):

١٧٣ و ١٧٦ و ٢٠٦ و ٢١١

نتريا:

٤٩ و ٥١ و ٥٧ و ٦٠ و ٧٠ و ٧٢ و ٧٥ و ٨٩ و ٩٨ و ١٠٦

١٠٨ و ١١٠ و ١١١ و ١٣٠ و ١٧١ و هامش ١٧١

١٧٣-١٩٩ و ٢٠١-٢٠٦ و ٢١٠-٢١٤ و ٢١٦ و ٢١٩

الهند:

٣٨٤ و ٧١١

حرف «و»

وادي الريان (قبلي الفيوم):

٣٥٢ و ٤١٩ و هامش ٤١٩ و ٦٩٢

وادي العربية (بالبحر الأحمر):

٥٧١

وادي النيل:

٤١٠ و ٧٠٣

وادي جرار (بسيناء):

٢٩٦

الواحات:

٢١٣ و ٢٧٩ و ٣١٦ و ٣٥٩

حرف «ي»

اليونان (بلاد الروم):

٢١٥ و ٢٢٠ و ٣٠٤ و ٣٤٤ و ٤٠٩ و ٤١٦ و ٥٨٢

ثبت بأسماء الأعلام □□□

حرف «أ»

- أباسخيرون القلبي (شهيد وله كنيسة على اسمه بالدين):
٤١٨ و ٥٧٤ و ٥٧٩ و ٦٠٢ و ٦٢١ و ٦٥٤ و ٦٥٥ و ٦٧٠
- أبا كيري اللايس الله (ربيته دير أنبا مقار في زمان إعادة جسده إلى الدين):
٤٤٧ و ٤٤٩ و ٤٥١
- أبائي (شهيد وله صورة على حائط كنيسة الملك بالحصن بدير أنبا مقان):
٦٠٥ و ٦١٣
- أبراهام (تلميذ أنبا أنطونيوس):
١٨٣
- أبراهام (أبرام — تلميذ أنبا شيشوي):
٢٤٦ و ٢٥٦ و ٢٥٨ و ٢٩٧
- أبرام بن زرعة (الابا الـ٦٢):
٤٦٤ و ٧٢٠ و ٧٢١
- أبرام مطران البلينا:
٤٩٩ و ٥٠٠ و ٥٦٩ و ٦٢٢ و ٦٢٧ و ٦٢٧ و ٦٩٢ و ٦٩٢ و ٧٠٠ و ٦٩٥
- أبرام وجورجي (متوحدان من القرن السابع):
٣٩٩ و ٤٠٣ و ٤٣٧ و ٤٤١ و ٤٤٣ و ٤٤٦ و ٤٨٨ و ٤٨٩ و ٤٨٩ و ٦٠٥ و ٦٠٧ و ٦٨٣
- أبراهم (والد أنبا مقار يوس — كاهن):
٥٩
- أبو البركات بن كبر (مؤرخ قبطي من القرن ١٣ و ١٤):
٢٠٥ و ٢١٠ و ٤٨٦ و ٧١٠
- أبو صالح الأرمي (مؤرخ قبطي من القرن الثالث عشر):
٢٤١ و ٣٠٩ و ٣٩٧ و ٤٣٤ و ٤٦٢ و ٦١٩
- أبوللو (سائح وله صورة في كنيسة السواح بالدين):
٦٠٥ و ٦٠٧
- أبولونيوس (راهب طبيب بنتريا من القرن الرابع):
٣١٧ و ٣٢٤
- أبوليناريا (وهي سينكليتيكا، أول راهبة بيرية شبيبت أيام أنبا مقان):
٣٠٢ و ٣٠٣ و ٤٠٨ و ٦٤١
- أبونوفر (سائح وله صورة في كنيسة السواح بالدير وكانت له كنيسة على اسمه):
٤٦٧ و ٦٠٥ و ٦٠٧ و ٦٤٦ و ٧١٧
- أبيب (سائح وله صورة في كنيسة السواح بالدين):
٦٠٥ و ٦٠٧
- إبيفانيوس (أسقف قبرص):
١٨٧
- إبيماخوس (أسقف مدينة الفرما، تلميذ يوحنا قس شبيبت، القرن الثامن):
٤٣٧ و ٦٨٥
- أثره (من آباء نتريا الكبار الأوائل):
٢١٩ و ٢٢٠
- أثناسيا (راهبة تتلمذت على أنبا دانيال في القرن السادس):
٣٠٢ و ٣٤٤ و ٤١٤
- أثناسيوس بابا الإسكندرية:
٤٤ و ٤٥ و ٤٧ و ١٠٤ و ١٠٧ و ١٢٥ و ١٣٦ و ١٣٨ و ١٥١ و ١٧٨ و ١٨٠ و ١٨٢ و ١٨٢ و ١٨٣ و ١٩٠ و ١٩٤ و ١٩٨ و ٢١٤ و ٢١٧ و ٢٢٥ و ٢٣٢ و ٢٦٠ و ٢٦١ و ٢٦٢ و ٢٦٨ و ٢٦٩ و ٢٧٢ و ٢٧٧ و ٢٨٢ و ٢٨٤ و ٣٣٣ و ٣٤٥ و ٣٦٠ و ٣٧١ و ٤٣٠ و ٤٤٨ و ٥٣١ و ٥٤٢ و ٥٥٥ و ٦٤٣ و ٧٠٧ و ٧١٤
- أثناسيوس الذي من أنصنا (أب لدير بأسيوط أيام أنبا بيشوي، القرن الخامس):
٢٣٤
- أثناسيوس الثالث (الابا الـ٧٦، من دير أنبا مقان):
٤٨٤ و ٦٨١ و ٧٢٢
- أثناسيوس (قس دير أنبا مقار أيام الابا خائيل الأول، القرن الثامن):
٤٤٦

أخيلاس (من آباء الرهبنة الأوائل):

١٩٢ و ٣٥٩ و ٣٦٢

أخيلس (الأب الروحي لأنبا إشعيا الأسقيطي):

٢٨٢ و ٢٨٦

أدلفيوس (أحد آباء نتريا الأوائل):

١٠٨

أربسبا (راهبة تتلمذت على أنبا مقان):

١٦٥ و ١٦٦ و ٣٠٢ و ٣٠٣

أرسانيوس (معلم أولاد الملوك):

٢٢١ و ٢٣٠ و ٢٤٥ و ٢٤٦ و ٢٦٤ و ٢٨١ و ٢٩٦ و ٣٠٤

٣٠٥ و ٣١٠ و ٣٣٦ و ٣٣٨ و ٣٤١ و ٣٤٤ و ٣٤٧ و ٣٥٠

٣٥٤ و ٣٥٦ و ٣٥٨ و ٣٦٠ و ٣٦٤ و ٣٦٧ و ٣٦٩ و ٣٨٤

٣٨٦ و ٣٨٧

أرسيزيوس (من آباء نتريا الأوائل وتلمذ له بالليديوس):

١٧٨ و ١٨٤ و ١٨٧ و ١٨٨ و ٢٠١ و ٢٧١ و ٣١٣ و ٣١٥

أريستوماخوس (والي صالح أنفق على بناء كنيسة أباسخيرون في دير أنبا مقار، القرن الثامن):

٤١٦ و ٤١٧ و ٤٣٠ و ٤٣١ و ٤٣١ و ٦٦١

إسحق البابا الـ٤١ (من دير أنبا مقان):

٤٣٢ و ٤٤٢ و ٤٤٣ و ٥٤١ و ٦٨٠ و ٦٨٢ و ٦٨٣ و ٧٢١

إسحق السرياني (أسقف نينوى، القرن السادس):

١٣٠ و ٣١٨ و ٣٥٥ و ٣٥٦ و ٣٦٧ و ٣٩٢ و ٣٩٢

إسحق قس القلاي (التبائسي الذي تتلمذ أولاً على أنبا مقار الصعيدي، من آباء نتريا الأوائل):

٧٣ و ١٧٤ و ١٩٩ و ٢٠١ و ٢٠٢ و ٢٠٦ و ٢٥١

٢٧٤ و ٢٧٧ و ٢٨١ و ٣١٤ و ٣١٥ و ٣١٩ و ٣٢١ و ٣٢٢

٣٦٤ و ٣٧٢ و ٤٢٢

إسحق قس شبيبت (تلميذ أنبا مقان):

٢٠٢ و ٢١٤ و ٢٣٢ و ٢٤٦ و ٢٦١ و ٢٧٤ و ٢٧٧

٢٨٣ و ٢٨٤ و ٣١٤ و ٣١٧ و ٣٣٨

إسكندر (تلميذ أنبا أرسانيوس):

٣٠٦ و ٣٥٨ و ٣٦٤

أسيوس (من آباء نتريا الأوائل):

٢٧١

إشعيا (تلميذ أنبا مقان):

٨٦ و ٨٨ و ٢١٤ و ٢٣٢ و ٢٦١ و ٢٨٢ و ٢٩١ و ٢٩٦ و ٣٤١

٣٥٦ و ٣٥٧ و ٣٦٢ و ٣٦٣ و ٣٧٠ و ٣٧٠ و ٥٢٢ و ٥٣١

٥٦٢

إشعيا الغزاوي:

٢٨٤

أصيون (أحد آباء نتريا الأوائل):

٢٠١ و ٣١٥

أغابوس (الأب الذي تتلمذ له مكسيموس ودوماديوس

بفلسطين قبل مجيئها لشبيبت):

٢١٩

أغاثو (رفيق آمون الكبير):

١٩٥

أغاثون (من آباء شبيبت المعاصرين لأنبا مقان):

٢٤٦ و ٢٥١ و ٢٩٧ و ٣٠٠ و ٣٧٧

أغاثون العمودي (تلميذ يونس قس شبيبت، القرن السابع):

٣٩٩ و ٤٤٠ و ٤٤١

أغاثون (تلميذ أنبا بنيامين الأول الـ٣٨ والذي صار

البطريك الـ٣٩):

٤٢١ و ٤٢٣ و ٤٢٤ و ٤٢٦ و ٤٣١ و ٤٣٢ و ٥٣٤ و ٦٨٣

أغاثون (قس دير أنبا مقار في القرن السابع والأب الروحي

لأنبا صموئيل المعترف):

٣٤٩ و ٤٢١ و ٤٣٣

إغريغوريوس الأرمي الكاثوليكيوس (زار الأديرة عام

١٠٨٨ م):

٤٧٢

أغنسطيوس البطريك الأنطاكي الـ١١ (زار الأديرة عدة

مرات عام ١٤٧٣ م):

٦١٤

أقرام السرياني (جاء إلى بيرية شبيبت لرؤية أنبا بيشوي):

٢٣٣ و ٢٣٤ و ٥٥٠

أفثيميوس (من الإخوة الطوال):

١٩٩

ألبانيوس (من الرهبان الأجانب الذين عاشوا في نتريا

والقلاي):

١٨٥ و ١٨٨ و ٢١١ و ٣٤٤

ألكسندروس الأول البابا الـ١٩:

١٠٤

ألكسندروس الثاني البابا الـ٤٣:

١٩٣ و ٣٤٦ و ٤١٧ و ٤٤٤ و ٥٣٤ و ٦٨٣ و ٧٢١

ألونيس (أسقف فيلوا بولوس بالهنسا، القرن الرابع):

٢٥٧

إليرون (من آباء نتريا الأوائل):

٢٦١ و ٢٥٩

أمانوس (أماناس، تلميذ أنبا أنطونيوس الكبير):

٤٩ و ٤٥

أمون (الرايني):

٢٦٠

أمون (الكبير):

٤٩ و ٥٠ و ٥٧ و ٧٣ و ١٧١ و ١٧٤ و ١٧٧ و ١٨٠ و ١٨٢

و ١٩٠ و ١٩٤ و ١٩٥ و ١٩٧ و ٢٠١ و ٢٠٣ و ٢٠٧ و هامش

٢٢٨ و ٢٤١ و ٢٤٤ و ٢٤٦ و ٢٥٤ و ٢٥٥ و ٢٥٩

و ٢٦٠ و ٢٦١ و ٢٧٨ و ٢٨٠ و ٣١١ و ٣١٢ و ٣١٤ و ٣٢١

و ٣٦٠ و ٣٧٤ و ٤٠٧

أمون (تلميذ أنبا يامو):

٢٥٥

أموناس (تلميذ أنبا أنطونيوس):

١٢٥ و ٢٥٩ و ٣٣٦

أموناس (بيامون، رآه كاسيان):

٢٥٩ و ٣٣٦ و ٤٠٧

أمونيوس (الأسقف، وأصله طبايسي من أديرة أنبا باخوم،

ومن آباء نتريا الأوائل):

١٧٩ و ١٨٣ و ١٩٤ و ١٩٦ و ٢٠٤ و ٢١٤ و ٢٣٢ و هامش

٢٣٨ و ٢٣٩ و ٢٦٠ و ٢٦٣ و ٢٧٧ و ٢٨٢ و ٢٨٤ و ٣١٤

أمونيوس (من الإخوة الطوال):

١٠٨ و ١٨٢ و ١٨٥ و ١٨٨ و ١٩٩ و ٢٠٠ و هامش ٢٣٨

و ٢٥٩ و ٢٦٠ و ٣٧٣

أمونيوس (رفيق أمون الكبير):

١٩٤ و ٢٥٩ و ٢٦٠ و ٢٦١

أموي (يامويه - أمويس، الأب الروحي لأنبا يوحنا

القصر وأنبا يشوي):

٧٢ و ١٩٢ و ٢١٥ و ٢١٧ و ٢٢٧ و ٢٢٨ و هامش ٢٢٨

و ٢٢٩ و ٢٣٠ و ٢٣٢ و ٢٣٦ و ٢٣٧ و ٢٣٩ و ٣٤٢ و ٣٤٨

و ٣٧٥

أنادوليس (أرخن من تقيوس حضر تكريس بيعة أنبا مقار

في دبره):

٤٢٧

أناستاسيا (راهبة تلميذة أنبا دانيال القمص، القرن

السادس):

١٦٥ و ١٦٦ و ٢١٠ و ٣٠٢ و ٣٤٤ و ٤١٢ و ٤١٣ و ٤٣١

أنثيموس (الإمبراطور والد القديسة أبوليناريا):

٣٠٢ و ٣٠٣

أندرونيكوس (تلميذ أنبا دانيال):

٤١٤

أندونيينا (شهيد كان جسده مع جسد أنبا مقار حتى مدينة

ألمى):

٤٤٧ و ٤٥٠ و ٤٥١

أنطونيوس (الكبير أب الرهبان):

٤٣-٥١ و ٥٧ و ٥٨ و ٦٩ و ٧٠ و ٧٢ و ٧٣ و ٨٥ و ١٠٤

و ١٢٥ و ١٣١ و ١٣٤-١٣٨ و ١٤٠ و ١٤١ و ١٤٤-١٤٩

و ١٥١ و ١٥٥-١٥٧ و ١٦٠ و ١٧١ و ١٧٧ و ١٨٠ و ١٨٢

و هامش ١٨٢ و ١٩٠ و ١٩٤ و ١٩٦ و ١٩٧ و ١٩٩ و ٢٠١

و ٢٠٣ و ٢٠٦ و ٢١٣ و ٢١٤ و ٢٢٠ و ٢٣٠ و ٢٤١ و ٢٥٥

و ٢٥٧ و هامش ٢٥٧ و ٢٥٩ و ٢٦٨ و ٢٧١-٢٧٤ و ٣٠٠

و ٣٠١ و ٣١١ و ٣١٢ و ٣١٤ و ٣٢١ و ٣٢٨ و ٣٣٨ و ٣٤٥

و ٣٤٧ و ٣٤٩ و ٣٥٣ و ٣٥٤ و ٣٥٨ و ٣٦٠ و ٣٦٢ و ٣٦٥

و ٤٣٠ و ٤٣٣ و ٤٣٩ و ٤٥٥ و ٤٦٠ و ٤٦٦ و ٧٠٥ و ٧٠٧

و ٧١٧

أنوب (أيوب، أخو أنبا يمين الكبير):

٢٤٤ و هامش ٢٤٤ و ٢٤٥ و ٢٤٦ و ٢٥٢ و ٢٩٦ و ٣٠٠

و ٣٤٧

أور (من أوائل تلاميذ أمون الكبير):

١٨٥ و ١٩٤ و ١٩٦ و ١٩٧ و ٢٥٤ و ٣٣٧ و ٣٧٤ و ٧٠٦

أوريجانوس (العلامة):

٤٤ و ١٨٥ و ١٨٨ و ٢٠٠ و ٢٧٣ و ٧١٢ و ٧١٣ و ٧١٥

أوريجانوس الكاهن (تلميذ أنبا يامو وأقنوم دبره):

١٨٤ و هامش ١٨٤ و ١٨٨ و ٣١٦ و ٣٢١

أوريجانوس (تلميذ أنبا أنطونيوس):

٢٠٧

أوسابيوس (ابن واسيليدس الشهيد وصورته بكنيسة الملاك

بالحصن):

٦٠٥ و ٦١٢ و ٦١٤

أوغريس (إيقاجريوس البنطي):

٥٦ و ٨١ و ٨٢ و ٨٨ و ١٣٠ و ١٤٦ و ١٥١ و ١٧٥ و ١٧٧

و ١٨١ و ١٨٥-١٨٨ و ٢٠٠ و ٢٠٤ و ٢٠٦ و ٢٠٧ و ٢١٠

و ٢٢٣ و ٢٢٤ و ٢٦٨ و ٣١٣ و ٣٢٠ و هامش ٣٢٠ و ٣٤٤

و ٣٤٧ و ٣٥٠ و ٣٦٢ و ٣٦٣ و ٣٧٤ و ٥٣٢ و ٧٠٤ و هامش

٧١١ و ٧٠٦

أولوجيوس (قاطع الأحجار، أحد البارزين في سيرة أنبا

دانيال القمص):

٤١٠-٤١٢

إيسيدوروس الفرسي العالم والناسك (ترهب في الصعيد

وعاش في نتريا ثم توحد في البلوزيوم):

٢٣٧ و هامش ٢٣٧ و ٣٤١

إيسيدوروس القس (تلميذ أنبا مقار وقس شبيبت):

٧٢ و ١٨٥ و ١٩٨ و ٢٠٣ و ٢٠٤ و ٢١٨ و ٢١٩ و ٢٢٦

و ٢٣٧-٢٤٠ و ٢٤٥ و ٢٦٤-٢٦٦ و ٣١٤ و ٣٣٨-٣٣٣

و ٣٤٢ و ٤٠٦ و ٤٢٢ و ٥٣٢

إيسيدوروس المعترف (أسقف دمنهور وأحد رهبان نتريا

الأوائل):

١٠٤ و ١٠٨ و ١٨٤ و هامش ١٨٤ و ١٨٧ و ٢٣٧ و هامش

٢٣٨

إيسيدوروس صاحب بيت الضيافة (الأوريجاني):

١٨٢ و ١٨٨ و ١٩٤ و ١٩٥ و ٢٠٠ و ٢٣٧

إيقاجريوس المؤرخ:

٧١٣

إيلاريا (أو الراهب إيلاري، بنت الملك زينون، القرن

الخامس):

١٦٥ و ١٦٦ و ٣٠٣ و ٣٤٤ و ٣٩٥ و ٤٠٧ و ٤٠٩ و ٤٣١

و ٤٩٦ و ٤٩٧ و ٥٧٤ و ٦١٥ و ٦١٨ و ٦٤١

إيليا (من آباء شبيبت الأوائل):

٢٩٧ و ٣٠٠ و ٣٠١

حرف «ب»

باخوم (أنبا باخوميوس الكبير):

٤٣ و ٤٤ و ٧٦ و ١٢٠ و ١٣٦ و ١٤٨ و ١٨٠ و ١٨٣ و ١٩٤

و ٢٠٤ و ٢٠٥ و ٢٦٠ و ٢٦٢ و ٢٧٢ و ٢٧٨ و ٣٥٩ و ٤٣٠

و ٤٧٦ و ٤٧٢ و ٥٤٢ و ٥٦٢ و ٦٠٥ و ٦٠٩ و ٦٤٦ و ٧٠٥ و ٧١٦

و ٧١٧

باسيليسوس أسقف نيقوس (أي إيشادي، حضر تدشين

هيكل أنبا مقار مع البابا بنيامين الـ ٣٨):

٤٢٣ و ٤٢٤

بافنوتيوس (الأسقف من دير أنبا مقار، القرن الـ ١١):

٤٦٤ و ٦٨٧

بافنوتيوس (بنودة، تلميذ أنبا أنطونيوس):

٢٠٥ و ٢٤٣

بافنوتيوس (بنودة، تلميذ أنبا مقار، قس شبيبت وأب

البرية بعده):

٧٩ و ١٠٨ و ١٢٠ و ١٧٤ و ١٨٤ و ٢١٤ و ٢١٩ و ٢٢٥ و ٢٢٦

و ٢٣٨ و هامش ٢٣٨ و ٢٤٠ و ٢٤١ و ٢٤٣ و هامش ٢٤٣

و ٢٤٥ و ٢٦٢ و ٢٧٢ و ٣٠٤ و ٣٠٥ و ٣١٧ و ٣٣٣-٣٣٧

و ٣٤٢ و ٣٤٦ و ٣٥٨ و ٣٦٤ و ٣٧٧ و ٣٨٠

بالليديوس (راهب ومؤرخ معاصر لعهد الرهينة الأول):

٤٩ و ٥٥ و ٥٧ و ٥٨ و ٦٠ و ٦١ و ٦٨ و ٧٣ و ٩٢ و ٩٨ و ٩٩

و ١٠٢ و ١١٠ و ١٥٣ و ١٧٣-١٧٥ و ١٧٨ و ١٨٠

و ١٨٤-١٨٨ و ١٩٤-١٩٧ و ١٩٩-٢٠٥ و ٢١١ و ٢٣٧

و ٢٦٣ و هامش ٢٦٣ و ٢٦٤ و ٢٦٥ و ٢٧١ و ٢٧٥ و ٢٧٩

و ٣١٣ و ٣١٥ و ٣١٧ و ٣١٨ و ٣٢١ و هامش ٣٢٤ و ٣٢٢

و ٣٦٤ و ٤٠٥ و ٧٠٢ و ٧٠٣ و ٧٠٧ و ٧١٠ و ٧١١

بامو (بامبو- بامبونيوس، من تلاميذ أنبا أمون الأوائل):

٧٣ و ٨٩ و ١٠٤ و ١٠٨ و ١١٠ و ١٧٨ و ١٨٠ و ١٨٢ و ١٨٤

و ١٨٥ و ١٩٤ و ١٩٦-١٩٩ و ٢٠٣ و ٢٠٤ و ٢١٩ و ٢٢٠

و ٢٢٣-٢٢٥ و هامش ٢٢٨ و ٢٣٢ و ٢٣٨ و هامش ٢٣٨

و ٢٥٥ و ٢٥٧ و ٢٥٩ و ٢٦٠ و ٢٦١ و ٢٦٥ و ٢٦٨ و ٢٧٦

و ٢٩٥ و ٢٩٧ و ٣١٤ و ٣١٦ و ٣٢١ و ٣٤٥ و ٣٧٥ و ٣٧٧

و ٤٠٨

بامو الأتينيوي (من أنصنا):

١٧٩

بامويه (أنظر أموي).

پاولا (بولا الساتحة، زارت البرية مع القديس جيروم):

١٨٦ و ١٨٧ و هامش ٢٣٨ و ٢٧١

بائيسوس (أخ أنبا إشيء الأسقيطي):

٢٣٢ و ٣٧٠

بائيسوس (أخ بولا ويشوي):

٢١٤ و ٢٣٢ و هامش ٢٣٢ و ٢٦١ و ٢٨٣

بائيسوس (أخ أنبا يمين):

٧٣ و هامش ٢٣٢ و هامش ٢٤٤ و ٢٤٦ و ٢٤٧ و ٣٠٠

بترا (من آباء شبيبت الأوائل):

٢٤٦ و ٢٩٧

بترونيوس:

٢٧١

بثوباسطس (بوثوباسطس، من آباء نتريا الأوائل):

١٨٨ و ٢٠١ و ٢٧١ و ٣١٥

بتموس (من آباء شبيبت الأوائل):

برصنوفوس (أشهر متوحدي الفرما بجوار بورسعيد):

خرطة ٣ في اللزعة الأولى ١٩٣

بستي (أسقف فقط):

٥٣٣ و ٥٣٥

بسوس (راهب قديس معاصر للبابا خرستوذولوس، القرن

الحادي عشر):

٤٧١

بطرس (أسقف بوضر، القرن الثامن):

٦٨٤

بطرس (أسقف تارنوط، من دير أنبا مقار، القرن الثامن):

٦٨٤ و ٤٤٦

بطرس (مطران جرجا والصعيد الأعلى، القرن الثامن

عشر):

٦٩٣

بطرس الثاني البابا الـ ٢١:

١٠٥ و ١٠٩

بطرس الثالث البابا الـ ٢٧:

٥٣٣ و ٥٤٧

بطرس الرابع البابا الـ ٣٤:

٤١٥

بطرس الخامس البابا الـ ٨٣ (من دير أنبا مقار):

٤٨٩ و ٤٩٠ و ٦٨١ و ٦٩٣

بطرس السابع البابا الـ ١٠٩:

٦٩٤

بطرس (تلميذ أنبا إسماعيل الأسقيطي):

٢٨٦

بطرس خاتمة الشهداء (البابا الـ ١٧):

٤٣٠ و ٥٣٦

بطرس الرهاوي الأسقف:

٢٨٣

بطلر (العلامة المؤرخ):

٥٧١ و ٥٧٢ و ٧٠٢ و ٧٠٤ و ٧١٩

بطليموس (من آباء شبيبت الأوائل):

٣٣٧

بطليموس (= أبلا نوس = بتولي، أسقف منوف، من

تلاميذ أنبا يونس قص شبيبت):

٤٤٥

بقيرة الرشيدى (المعترف، مؤرخ عاصر الحاكم بأمر الله):

٧١٠ و ٧٢١

بلامون (الأب الروحي لأنبا باخوميوس أب الشركة):

٤٤

بلو (من آباء شبيبت الأوائل):

٣٣٧

بجوا (أنظر بامو).

بندكتوس:

٧١٢

بنيامين الأول البابا الـ ٣٨:

١٧٤ و ١٩٢ و ٢١٥ و ٢١٦ و ٢٢٢ و ٣٣١ و ٣٩٧ و ٤٠٣

وهامش ٤٠٥ و ٤١٨ و ٤٣١ و ٤٣٣ و ٤٣٦ و ٤٥٥ و ٤٥٧

و ٤٦٣ و ٤٦٧ و ٤٧١ و ٤٨٤ و ٤٨٦ و ٤٨٨ و ٤٨٩ و هامش

٤٩٤ و هامش ٤٩٥ و ٤٩٨ و ٥١٨ و ٥٣٤ و ٥٤١ و ٥٦٦

و ٥٧٤ و ٦٠١ و ٦٠٥ و ٦٢٤ و ٦٢٥ و ٦٢٧ و ٦٣٠ و ٦٣٢

و ٦٣٧ و هامش ٦٣٩ و ٦٤٠ و هامش ٦٤١ و هامش ٦٤٣

و ٦٤٥ و ٦٦٧

بنيامين الثاني البابا الـ ٨٢ (زار دير أنبا مقار):

٢٣٣ و ٤٠٠ و هامش ٤٠٣ و ٤٤٠ و ٤٤٧ و ٤٨٩ و ٥٥٦

و ٥٨٩ و ٦٦١

بنيامين (أحد رؤساء نتريا الأوائل):

٣١٤ و ٣٦٣

بورفيري الغزاوي:

٢١٤ و ٣٤٤ و ٣٤٨

بول (تلميذ أبا أور):

١٩٧

بول (بولس، متوحد بشبيبت):

٢١٤ و ٢٦١ و ٢٨٣

بولا (أول السواح):

٤٤ و ٤٥ و ٤٧ و ٤٩ و ٤٣٠ و ٤٣٥ و ٦٠٥ و ٦٠٩ و ٦٤٦ و ٧١٧

بولا البسيط (تلميذ أنبا أنطونيوس):

٤٩ و ٣٥٨ و ٣٦٢ و ٣٦٥ و ٣٦٨ و ٧٠٥

بولا الطموهي:

٢٣٢ و ٢٣٤ و ٢٣٥

بولا (أخ بيشوي وبأثيسوس = بول = بولس):

٢١٤ و هامش ٢٢٨ و ٢٣٢ و ٢٦١ و ٢٨٣

بولا (أخ أنبا بيمن):

٣٠٠ و ٢٦١ و ٢٤٤

بولس قص شبيبت (القرن التاسع):

٤٥٦

بولس الكبير:

٣٥٩

بيتر (من آباء شبيبت معاصر لأنبا مقار):

٧٧

بيتو (تلميذ أنبا مقار وتلميذ عليه الأب أموي):

٧٢ و ٢٢٧ و هامش ٢٢٨

بيتيموس (بيجيمي، ناسك عاش في بداية القرن

الخامس):

٢٢١

بيجول (خال أنبا شنودة رئيس المتوحدين):

٤٤ و هامش ٢٣١

بيجيمي (السائح وله صورة في كنيسة السواح بالدير):

٥٦٦ و ٦٠٥ و ٦٠٨

بيجيمي (معاصر لأنبا مقار):

٧٩ و ٢٢١

بيسير (= بيسيروس، أحد آباء شبيبت الأوائل):

٢١٤ و ٢٣٢ و ٢٦١ و ٢٨٣

بيسيمينوس (= بيسيموس، من آباء البرية الأوائل):

١٠٨ و هامش ٢٣٨

بيشاي (معاصر لأنبا بيجول خال أنبا شنودة):

٢٣١ و هامش

بيشوي الراهب (الشماس كاتب سيرة مكسيموس

ودوماديوس):

٧٢ و ٢٠٩ و ٢١٨ و ٢٢٠ و ٢٣٩ و ٥٣٢ و ٥٣١

بيشوي الكبير (بشيه = أبو بشيه = بشوي = يسويس =

سو يوس = سو يوس):

٧٢ و ١٦٥ و ١٦٦ و ٢١٤ و ٢١٧ و ٢٢٧ و ٢٣٠ و ٢٣١

وهامش ٢٣١ و ٢٣٢ و هامش ٢٣٢ و ٢٣٣ و ٢٣٧ و ٢٦١

و ٢٦٦ و ٢٨٣ و ٢٩٦ و ٤٠٧ و ٤٤٠ و ٤٧٠ و ٤٨٨ و ٤٩٤

و ٤٩٧ و ٤٩٨ و ٤٩٩ و ٥٧٦ و ٥٨٢ و ٥٩٤ و ٦٠١ و ٦٠٦ و هامش

٦١٤ و ٦٣٤ و هامش ٦٣٧ و ٦٤٠ و ٦٦١ و هامش ٦٦٢

و ٦٦٧ و ٦٧٤

بيصار يون:

٣٠٢ و ٣٦١

بيمن (من آباء شبيبت الأوائل):

٧٤ و ١٥٠ و ١٩٩ و ٢٢٤ و هامش ٢٣٢ و ٢٤٢ و ٢٥٣

و ٢٥٥ و ٢٦٠ و ٢٦٢ و ٢٩٦ و ٣٠٠ و ٣٠١ و ٣٤٧ و ٣٥٧

٣٦٠ و ٣٦٤ و هامش ٧٠٥

بيور (= بيئور = بيهور، من أوائل آباء نتريا):

٧٣ و ١٨٥ و ١٩٦ و ١٩٨ و ٢١٩ و ٢٢٠ و ٢٥٩ و ٢٦١ و ٣١٤

و ٣١٦ و ٣٤٧

حرف «ت»

تادرس أسقف مصر في القرن الثامن:

٦٨٣

تاييس (التائبة على يد القديس سيرايون السبائي):

٢٧٢ و ٢٧٣

تكلا الحبشي (راهب رسام، القرن الخامس عشر):

٦٠٥ و ٦٠٦

تيموثاوس الأول البابا الـ ٢٢:

٢٠٠

تيموثاوس الثاني البابا الـ ٢٦:

٤٢٩

تيموثاوس الثالث البابا الـ ٣٢:

٤١٠ و ٤١٦

تيموثاوس (رئيس شمامسة الإسكندرية سنة ٤١٢ م):

١٧٦ و ٧٠٤

حرف «ث»

ثاوفيلس البابا الـ ٢٣:

١٨٠ و هامش ١٨١ و هامش ١٨١ و ١٨٣ و ١٩٥ و ١٩٨

و ٢٠٠ و ٢٠٢ و ٢١٤ و ٢١٦ و ٢٣٩ و ٢٤٢ و ٢٤٣ و ٢٦٠

و ٢٦١ و ٢٦٧ و ٢٧١ و ٢٧٢ و ٢٧٥ و ٢٧٧ و ٣٠٧ و ٣١٣

و ٣١٤ و ٣٢٢ و ٣٣٦ و ٣٤٤ و هامش ٣٤٤ و ٣٥٤ و ٣٥٤

و ٤٢٩ و ٤٧٧ و ٤٧٨ و ٤٧٩ و ٥٤٢ و ٦٨٠ و ٧٠٤ و ٧١١

ثاوكليا (شهيدة من عهد دقلديانوس لها صورة في كنيسة

الملاك بالحصن):

٦٠٥ و ٦١٣

ثيوميثس (تلميذ لأنبا مقار):

٩١ و ٩٥ و ١٥٤ و ٢٢٤ و ٣٣٤ و ٣٦١

ثيودوسيوس الأول البابا الـ ٣٣:

٤٠٦ و ٤١٦ و ٤١٨ و ٤٣٠ و ٤٣١ و ٤٤٨ و ٥٤٢

ثيودوسيوس الإمبراطور:

٢١٩ و ٢٢١ و ٢٨٣ و ٣٠٤ و ٣٠٦ و ٣٤٥ و ٤٠٦ و ٧٠٣

ثيودور الإسكندراني (راهب بدير بظاهر الإسكندرية،

القرن الخامس):

٢٧٨

ثيودور البابا الـ ٤٥ :

٤٤٤ و ٦٨٣ و ٦٨٤ و ٧٢١

ثيودور البرامي الشيبقي (معاصر لأبنا مقان) :

٨٥ و ٢٠١ و ٢٧٤ و ٢٧٥ و ٢٧٨ و ٢٨٢ و ٣٣٩ و ٣٤٧

٣٥٠ و ٣٥٢ و ٣٥٣ و ٣٥٨ و ٣٦٦ و ٣٧٥

ثيودور التبانيسي (تأدرس تلميذ أبنا باخوم) :

١٧٩ و ١٨٣ و ١٩٤ و ٢٦٠ و ٢٦٢ و ٢٧٨ و ٧١٦

ثيودور المشرقي (شهيد، حدثت معجزة من أيقونته) :

٤٦١ و ٥٣٦ و ٥٥٩

ثيودور (تلميذ ورفيق آمون الكبير) :

١٧٩ و ١٨٠ و ١٨٢ و ١٩٤ و ١٩٧ و ٢٥٤ و ٢٥٩ و ٢٦١

٢٧٨ و ٢٨٠

ثيودورا الأم :

٣٥٤

ثيودوريت المؤرخ :

٧١٤

ثيوفانيوس البابا الـ ٦٠ :

٤٦٣ و ٤٦٤ و ٧٢٠

حرف «ج»

جاورجي (أسقف مصر في أيام بطريركية يوحنا الرابع

البابا الـ ٤٨) :

٤٤٧ و ٤٤٨ و ٦٨٥

جرجس (مار جرجس) :

٥٨٥ و ٥٨٦ و ٦٠٠ و ٦٥٧

جرجس (إيغومانيوس دبر أبنا مقار أيام بطريركية البابا

بطرس الخامس الـ ٨٣) :

٤٨٩ و ٦٩٣

جرجس (قس بدير أبنا مقار صار البطريك كيرلس الثاني

البابا الـ ٦٧) :

٤٧٣

جرجة (الشماس، صار أسقفاً على البسراط) :

٦٨٤

جرجس (مطران الحبشة) :

٦٨٧

جرمانويس (رفيق كاسيان في رحلته لبراري مصر) :

٧١١

جتاديوس (مؤرخ كنسي من القرون الأولى) :

١٢٣ و ١٢٤ و ٧٠٤ و ٧١١ و ٧١٣ و ٧١٤

جيروم (مؤرخ كنسي، القرن الخامس) :

٤٥ و ١٠٦ و ١٠٨ و ١٨٠ و ١٨٦ و ١٨٧ و ١٩٥ و ١٩٨ و ٢٣٨

وهامش ٢٣٨ و ٢٣٩ و ٢٦٩ و ٢٧٠ و ٣١٥ و ٤٠٥ و ٤٠٧

٧٠٢ و ٧٠٧ و ٧١٢ و ٧١٣

حرف «ح»

حزقيال (تلميذ أبنا بولا الطموهي) :

٢٣٤

حرف «خ»

خائيل الأول البابا الـ ٤٦ : (أنظر ميخائيل).

خائيل الثاني البابا الـ ٥٣ : (أنظر ميخائيل).

خائيل الثالث البابا الـ ٥٦ : (أنظر ميخائيل).

خائيل القس (رئيس متوحدي دير أبنا مقار أيام إعادة

جسد القديس إلى ديره) :

٤٤٧ و ٤٤٩ و ٤٥١

خرستوذولو البابا الـ ٦٦ :

هامش ٣٣٢ و ٤٥٧ و ٤٦٨ و ٤٧١ و ٤٧٣ و ٥٥٠ و ٥٥٤

٥٥٥ و ٧٢١ و ٧٢٢

خرستوذولو مطران دمياط (صاحب قوانين حول التدبير

الكنسي، القرن الثالث عشر) :

٥٥٦

خرستودلس أسقف فوه :

٦٨٨

حرف «د»

داميانوس البابا الـ ٣٥ :

٢١٦ و ٣٣١ و هامش ٣٧١ و ٥٤٨

دانيال (تلميذ أبنا أرسانيوس) :

٣٠٦ و ٣٠٨ و ٣٥٠ و ٣٦٧

دانيال (تلميذ أبنا بافتوتيس) :

٢٤٣ و ٣٣٦

دانيال (قص شبيبت، القرن السادس) :

٢١٠ و ٣٠٢ و ٣٣٥ و ٣٥١ و هامش ٣٧١ و ٤١٠ و ٤١١

و ٤١٢ و هامش ٤١٢ و ٤١٣ و ٤١٥ و ٤١٨ و ٤٣١ و ٥٤٢

و ٦٨٢

دانيال مطران الحبشة (القرن الحادي عشر) :

٦٨٧

دراكونيتس (= دراكونتيوس، أسقف دمنهور) :

هامش ١٨٤ و هامش ٢٣٨

دوروثيوس (أرخن مهم بشئون الرهبان، القرن السادس) :

٤١٦ و ٤١٧

دوروثيوس (دورودي = تيروتي، معلم أبنا يونس كاما) :

٣٩٩ و ٤٠١ و ٤٤١ و ٤٦٣

دوروثيوس (راهب قديس معاصر للبابا خائيل الثالث،

القرن العاشر) :

٤٦٣

دوروثيوس الطيبي (متوحد زاره بالليديوس بمغارته بجوار

الإسكندرية) :

١٨٨

دوماديوس : (أنظر مكسيموس ودوماديوس).

دومينوس (تلميذ أوريجانوس) :

٢٧٣

ديديموس (العلامة) :

٥٥ و ١٨٧ و ٢٠٠ و ٧١٣

ديمتريوس الثاني البابا الـ ١١١ (من دير أبنا مقان) :

٦٨١ و ٦٩١ و ٦٩٤ و ٦٩٥ و ٦٩٩

ديوسقوروس البابا الـ ٢٥ :

٣٢٦ و ٣٣١ و ٣٩٦ و ٤٣٠ و ٤٤٨ و ٧٢٠

ديوسقوروس أسقف دمنهور (من الإخوة الطوال) :

١٨٤ و هامش ١٨٤ و ١٨٥ و ١٨٨ و ١٩٩ و ٢٠٠ و ٢٠٥

و هامش ٢٣٨ و ٧٠٤

ديونيسيوس الإسكندري (البابا الـ ١٤) :

٢٦٨ و ٥٤٠

ديونيسيوس البطريك الأنطاكي (سنة ٨٢٩ م) :

٤٥٩

حرف «ذ»

ذولاس (تلميذ أبنا بيساريون) :

٣٠٢

ذبيوس (أبن الوزير الذي استشهد مع الـ ٤٩ شهداء شيوخ

شبيبت) :

٤٠٦ و ٦١٨

حرف «ر»

روفينوس (مؤرخ كنسي زار البرية) :

٥٥ و ٥٧ و ٩٩ و ١٠٢ و ١٠٧ و ١٠٨ و هامش ١٠٨ و ١١٠

١٧٢ و ١٧٥ و ١٧٦ و ١٧٩ و ١٨٤ و ١٨٥ و ١٩١ و ١٩٢

١٩٣ و ١٩٧ و ١٩٨ و ٢٠١ و ٢٠٣ و هامش ٢٠٥ و ٢١١

و هامش ٢٣٨ و هامش ٢٥٧ و ٣٠٥ و ٣١٥ و ٣١٧ و ٣٨٧ و ٤٠٥

و ٧٠٣ و ٧٠٤ و ٧١٢ و ٧١٣ و ٧١٧

حرف «ز»

زخارياس (البابا الـ ٤٦) :

٤٦٥ و ٤٦٩ و ٦٨٦ و ٦٨٧

زكريا أسقف سخا (تلميذ أبنا يونس قص شبيبت) :

٢٢٧ و ٤٣٧ و ٤٤٠ و ٤٤٥

زكريا أسقف صا (الأب الروحي للبابا إسحق الـ ٤١،

وياسمه دير أبنا زكريا) :

٣٩٩ و ٤٣٢ و ٤٣٨ و ٤٤٣ و ٥٣٣ و ٦٨٢

زكريا بن كيريون أو قاريون (معاصر لأبنا مقان) :

٧٩ و ٢١٣ و ٢٤٦ و ٣٤٨ و هامش ٧٠٥

زكريا (تلميذ أبنا سلوانس، معاصر لأبنا مقان) :

٢٩٢ و ٢٩٣ و ٢٩٥ و ٢٩٦

زويلة (تلميذ أبنا أرسانيوس) :

٣٠٦

زينو (تلميذ أبنا سلوانس، معاصر لأبنا مقان) :

٢٩٢

زينون (زينو، الملك أبويلاريا الراهبة) :

٢٨٤ و ٣٠٣ و ٣٩٥ و ٤٠٧ و ٤٠٩ و هامش ٤٢٠ و ٤٦٦

و ٥٣٣ و ٦١٥ و ٦٢٠

حرف «س»

سارة (والدة أبنا مقان) :

٥٩

ساويرس (البطريك الأنطاكي، القرن السادس) :

٤١٣ و ٤١٦ و هامش ٤١٦ و ٤١٧ و ٤٤٨ و ٥٣٤ و ٥٤٢

ساويرس بن المقفع أسقف الأشمونين (مؤرخ كنسي،

القرن العاشر) :

٥٥ و ٣٩٦ و ٤٣٢ و هامش ٤٥٧ و هامش ٤٦٠ و ٤٦٤

و هامش ٤٦٥ و هامش ٤٦٦ و هامش ٤٦٧ و هامش ٤٦٨

و هامش ٤٦٩ و هامش ٤٧٣ و ٥٠٣ و هامش ٥٢٢ و ٥٤٠

و ٥٤١ و ٥٤٨ و ٧٢٠ و ٧٢١

سعيد بن بطريق (الملقب بأفتيخوس - بطريك الملكيين -

القرن العاشر) : ٤١٨

سقراط (مؤرخ كنسي من القرن الخامس):
 ٧٧ و ٨٢ و ٩٧ و ١٠٥ و ١٠٨ و هامش ١٠٨ و ١١٠ و ١٧٩
 و ١٩٧ و ٢٠٥ و ٢٦٠ و ٣٧٠ و ٧١٣ و ٧١٤
 سلوانس (من كبار آباء شبيبت الأوائل):
 ٢٥٧ و ٢٩١ و ٣٠١ و ٣١٥ و ٣٣٧ و ٣٣٨ و ٣٤١ و ٣٤٣
 و ٣٦٣ و ٣٧٥ و ٥٣٢
 سمعان الأول (البابا الـ ٤٢):
 ٤٣٢ و ٤٤٤ و ٤٤٥ و ٥٣٣ و ٥٤٠ و ٦٨٣
 سوزومين (مؤرخ كنسي من القرون الأولى):
 ٦٤ و ٩٧ و ٩٩ و ١٠٨ و ١٧٤ و ١٧٨ و ١٨٠ و ١٩١ و ١٩٤
 و ٢٠٤ و ٢٦٩ و ٢٧١ و ٢٩٦ و ٧٠٤ و ٧١٣
 سيرابيون أسقف تمي الأمديد (صديق أنبا أنطونيوس):
 ٥٠ و ٥١ و ٥٦ و هامش ٥٦ و ٥٩ و ٦٥ و ٧٠ و ١١٩ و ١٢٠
 و ٢٦٨ و ٢٧٠ و ٦٨٠ و اختصارات المراجع
 سيرابيون أسقف دندرة (الذي شجع أنبا باخوم على بناء
 ديريه):
 ٢٧٢
 سيرابيون البسيط (من آباء شبيبت الأوائل):
 ١٨٧ و ٢٠١ و ٢٧١ و ٢٧٢ و ٣١٥ و ٣٧٧
 سيرابيون السباني (= صرابامون، من آباء شبيبت الأوائل):
 ١٨٧ و ٢٧٢ و ٢٧٤
 سيرابيون الشهيد (من الإسكندرية أيام البابا
 ديونيسيوس):
 ٢٦٨
 سيرابيون الفيومي (من أشهر رهبان براري الفيوم الأوائل):
 ٢٧١ و ٣٣٧
 سيرابيون الكبير (صرابامون، تلميذ أنبا أنطونيوس):
 ٥٦ و ٥٩ و هامش ٦٥ و ٧٠ و ١١٩ و هامش ١٢٠ و ١٨٠
 و هامش ١٨٠ و ١٨٤ و ١٨٧ و ١٨٨ و ٢٠١ و ٢١٦ و ٢٢٠
 و ٢٢٢ و ٢٢٣ و ٢٢٧ و ٢٣٠ و ٢٤١ و ٢٧٠ و ٢٧١ و ٣١٥
 و ٣٤٤ و ٣٥٣ و ٣٧٥ و ٣٧٧ و ٥٣١ و اختصارات المراجع
 سيرابيون المتوحد (بشبيبت، تقابل مع كاسيان):
 ٢٧١
 سيمون الثاني البابا الـ ٥١ (من دير أنبا مقار):
 ٤٥٥
 سيمون أسقف بنا:
 ٦٨٥

حرف «ش»

شاروت (رئيس شمامسة دير أنبا مقار الذي أشار برسامة
 كيرلس الثاني البابا الـ ٦٧):
 ٤٧٣
 شنودة رئيس المتوحدين:
 ٤٤ و هامش ٢٣١ و ٣٤٣ و ٣٩٢ و ٤٥٤ و ٤٥٥ و ٤٥٧
 و ٤٨٧ و ٤٩٠ و ٤٩١ و هامش ٤٩٥ و ٤٩٩ و ٥٣٦ و ٥٤٢
 و ٥٧٨ و ٥٨٦ و ٦٢٤ و ٦٢٥ و ٦٣٦ و ٦٤٦ و ٧١٦ و ٧١٧
 شنودة الأول البابا الـ ٥٥ (ريبتة دير أنبا مقار سابقاً):
 ٤٠٢ و ٤٥٦ و ٤٦٠ و ٤٦٢ و ٤٨٩ و هامش ٥٢١ و ٥٦٧
 و ٥٨٩ و ٦٢٠ و هامش ٦٤٥ و ٦٦٨ و ٦٨١ و ٦٨٥ و ٧٢١
 شنودة الثاني البابا الـ ٦٥ (من دير أنبا مقار):
 ٣٩٩ و ٤٦٨ و ٤٦٩ و ٥٤١ و ٦٨١ و ٦٨٧ و ٧٢١
 شنوفا (الشهيد، من دير أنبا مقار، القرن الثاني عشر):
 ٤٨٠
 شيرامون (من آباء شبيبت الأوائل):
 تعليق إحدى خرائط المزمرة الأولى و ٢١١ و ٢١٢ و ٣٠٠
 و ٣٣٧
 شيشوي الذي من سقارة:
 ٢٥٤
 شيشوي الصعيدي (الذي من بابلون = البابلوني):
 ١٨٢ و ٢٥٤
 شيشوي الكبير:
 ٧٢ و ٨٥ و ١٠٠ و ١٠١ و ١٩٧ و ٢١٤ و هامش ٢٣١ و ٢٤٦
 و ٢٥١ و ٢٥٩ و ٢٦٢ و ٢٦٣ و ٢٩٥ و ٣٤٠ و ٣٦٤ و ٣٧٥
 و ٥٣١
 شيوخ برية شبيبت (الـ ٤٩ شهيداً):
 ١٦٥ و ١٦٦ و ٣٩٩ و ٤٠٥ و ٤٠٧ و ٤١٢ و ٤١٣ و ٤١٨
 و ٤٢٧ و ٤٣٠ و ٤٣١ و ٤٣٦ و ٤٤٢ و ٤٨٠ و ٤٤٢ و ٥٤٢ و ٦٠٥
 و ٦١٨ و ٦٢١ و هامش ٦٦١ و ٦٦٤ و ٦٦٦ و ٦٦٧ و ٦٧١
 حرف «ص»
 صموئيل المعترف:
 ٢١٦ و ٣٤٩ و ٣٩٩ و ٤١٩ و ٤٣٣ و هامش ٤٣٣ و ٤٣٤
 و ٤٣٥ و ٦٠٥ و ٦٠٧ و ٧١٧

حرف «غ»

غايانس (المبتدع، القرن السادس):
 ١٩٣ و ٤١٥ و ٤١٨
 غبريال البابا الـ ٥٧ (من دير أنبا مقار):
 ٣٩٩ و ٤٥٧ و ٤٦٢ و ٤٦٣ و ٦٨١
 غبريال الثاني (بن ثريك) البابا الـ ٧٠:
 ٤٦٨ و ٤٧٦ و ٤٧٩ و ٤٨١ و ٤٤٢ و ٥٥٥ و ٥٥٨ و ٦٨٨
 و ٦٨٩ و ٧٢٢
 غبريال الثالث البابا الـ ٧٧:
 ٤٨٤
 غبريال الرابع البابا الـ ٨٦:
 ٦٩٣
 غبريال الخامس البابا الـ ٨٨:
 ٦٨٩
 غبريال الثامن البابا الـ ٩٦:
 ٤٩٤
 غبريال أسقف أسيوط (القرن الخامس عشر):
 ٦٨٩ و ٦٩٣

حرف «ف»

فونينوس (عالم شهير من كبادوكيا، زار شبيبت، أواخر
 القرن الرابع):
 ٣٤٤
 فيلوثيوس البابا الـ ٦٣:
 ٣٩٩ و ٤٦٤ و ٤٦٥ و ٦٨١ و ٦٨٦ و ٦٨٧ و ٧٢٠ و ٧٢١
 فيلوكسينوس أسقف منيج:
 ٥٨ و ٨١ و ٨٥ و ٨٦ و ١٠٠ و ٢٧٣

حرف «ق»

قاريون (من آباء شبيبت الأوائل، والد أنبا زكريا):
 ٢١٢ و ٢١٣ و ٣٤٧
 قزما الأول البابا الـ ٤٤ (من دير أنبا مقار):
 هامش ٤٤٥ و ٦٨٠ و ٦٨٣ و ٧٢١
 قزما الثاني البابا الـ ٥٤ (من دير أنبا مقار):
 ٤٥٨ و ٦٨١
 قزما الثالث البابا الـ ٥٨:
 ٤٥٧ و ٤٦٣

قسطنطين أسقف أسيوط (من مؤرخي القرن السادس):
 ٥٤٨
 قسا (كاتب أنبا بنيامين الأول):
 ٤٢٢
 قسا أسقف مصر (القرن الثامن):
 ٦٨٥
 قورش (الوالي الخلقيدوني عند دخول العرب مصر):
 ٤١٩ و ٤٢٣ و ٤٣٣ و ٤٣٥

حرف «ك»

كبريانوس:
 ٤٤
 كرونوس (من آباء نتريا الكبار الأوائل):
 ٤٩ و ١٨٥ و ١٨٨ و ٢٠١ و ٢٠٦ و ٢٢٤ و ٢٦٨ و ٢٧١ و ٢٧٤
 و ٢٧٥ و ٢٧٧ و ٢٨١ و ٣١٤ و ٣١٥ و ٣٢١
 كليمنضس الإسكندري:
 ٤٤ و ١٤٠
 كيرلس الأورشليمي:
 ٥٥١ و ٧١٢
 كيرلس الكبير (عمود الدين):
 ١٨٠ و هامش ١٨٠ و ٤٣٠ و ٤٤٨ و ٥٣١ و ٥٣٤ و ٥٣٥
 و ٥٤٠ و ٥٤٦ و ٥٥٠ و ٥٥١ و ٦٨٠ و ٧٠٤ و ٧١٤ و ٧٢٠
 و ٧٢١
 كيرلس الثاني الـ ٦٧ (من دير أنبا مقار):
 ٤٥٧ و ٤٦٩ و ٤٧٠ و ٤٧٣ و ٤٧٤ و ٤٧٥ و ٦٨١ و ٦٩٧ و ٧٢٢
 كيرلس الثالث (بن تعلق) البابا الـ ٧٥:
 هامش ٣٩٩ و ٤٦٩ و ٤٧٠ و ٤٨٠ و ٥٥٥ و ٧٢٢
 كيرلس الرابع (أبو الإصلاح البابا الـ ١١٠):
 ٦٩٤

حرف «ل»

لوط (من آباء شبيبت الأوائل):
 ٢٩٧ و ٢٩٨ و ٣٠٠ و ٣٠١

حرف «م»

ماسيون (من باكورة معلمي باليدبوس، من رهبان نتريا):
 ١٨٨

مناؤس الكبير (مقي المسكين) البابا الـ ٧٨ :
٤٩٣ و ٥٥٠ و ٧٢٢

مناؤس الثالث البابا الـ ١٠٠ (من دير أنبا مقار) :
٦٨١ و ٦٩٣

مناؤس (أول من وضع شكل الزي الرهباني) :
٣٤٩

مرقس الثاني البابا الـ ٤٩ (من دير أنبا مقار) :
٦٩٧ و ٦٨١ و ٤٥٦

مرقس الثالث (بن زرعقة) البابا الـ ٧٣ :
٤٥٤ و ٤٥٧ و ٤٨٠ و ٦٨٩ و ٧٢٢

مرقس الرابع البابا الـ ٨٤ :
٤٦٩

مرقس الخامس البابا الـ ٩٨ (من دير أنبا مقار) :
٦٨١

مرقس الشحاذ (معاصر لأنبا دانيال القمص) :
٣٥١ و ٤١١

مرقس (تلميذ أنبا سلوانس) :
٢٩٢ و ٢٩٣ و ٢٩٩ و ٣٠٧ و ٣١٥ و ٣٣٧ و ٣٣٩ و ٣٤١

مقاره (أقنوم دير أنبا مقار أيام البابا خرستوذولوس) :
٣٤٣ و ٣٤٧ و ٣٥٢ و ٣٧٥ و ٥٣٢

مقاره (بواب دير أنبا مقار أيام اختيار البابا كيرلس الثاني) :
٤٧١

مقاره (بواب دير أنبا مقار أيام اختيار البابا كيرلس الثاني) :
٤٧٣

مقاريوس آبن واسيليدس (الشهيد أيام دقلديانوس، له صورة في كنيسة الملاك بالحصن) :
٦٠٥ و ٦١٣ و ٦١٤

مقاريوس أسقف سمند (أيام البابا يوحنا الـ ٧٢) :
٤٨٠

مقاريوس أسقف منوف العلا (بني اسكنا أنبا مقار قبلي هيكل أنبا بنيامين، القرن الحادي عشر) :
٤٦٦ و ٦٣٩ و ٦٨٦

مقاريوس أسقف إدكاو الشهيد (أحد الثلاثة مقارات) :
٤٤٧ و ٤٥٢ و ٥٣٦

مقاريوس (القس يديريوحنا القصير، المؤرخ وجامع القوائين، القرن الثالث عشر) :
٤٨٥ و ٥٤٣ و ٥٤٤ و ٥٥١

مقاريوس التبايسي (أو الصعيدي، تلميذ أنبا أنطونيوس،

رئيس دير بسبير) :

٤٥ و ٤٩ و ٢٠٦ و ٢٧٤

مقاريوس الإسكندراني :

٥٧ و ٥٨ و ٧٧ و ٧٨ و ٧٩ و ٨٢ و ١٠٤ و هامش ١٠٨ و ١١٠

١٧١ و ١٧٤ و ١٧٧ و ١٨٥ و ١٨٨ و ٢٠٢ و ٢٠٥ و ٢٠٧

٢١٤ و ٢١٧ و ٢٢٥ و ٢٣٦ و ٢٣٨ و ٢٤١ و ٢٤٣ و ٣٠٤

٣١٤ و ٣١٩ و ٣٢٠ و ٣٣٤ و ٣٣٧ و ٣٧٤ و ٣٨١ و ٣٨٤

٤٤٧ و ٤٥٢ و ٧٠٣ و ٧٠٤ و ٧١٧

مقاريوس الأول البابا الـ ٥٩ :

٤٥٧ و ٤٦٣ و ٤٦٤ و ٤٧٨ و ٦٨١ و ٧٢٠

مقاريوس الثاني البابا الـ ٦٩ :

٤٦٩ و ٤٧٤ و ٤٧٥ و ٤٧٦ و ٥٦٢ و ٦٨١ و ٦٩٣

٧٢٢

المقريزي (المؤرخ) :

٦٠ و ١٩٣ و ٢١٠ و ٣٥٠ و هامش ٤٢٠ و ٤٩٢ و ٧١٩

مكسيموس (الأب الروحي للبابا غبريال الـ ٥٧) :

٤٦٣

مكسيموس ودوماديوس :

٧٢ و ٨٠ و ٨١ و ١٥٥ و ١٦٢ و ١٦٥ و ١٦٦ و ٢٠٩ و ٢١٢

و هامش ٢١٢ و ٢١٧ و ٢٢٥ و ٢٣٦ و ٢٣٧ و ٢٣٩ و ٢٥٣

٣٠٩ و ٣٣٤ و ٣٤٠ و ٣٤٤ و ٣٤٨ و ٣٥٠ و ٣٥٨ و ٣٦٤

٣٧٤ و هامش ٣٩١ و ٤٠٤ و ٤٥٤ و ٥٣٢ و هامش ٦٣٧

موسى الأسود :

٥٦ و ٨٩ و ٨٩ و ١٤٣ و ١٦١ و هامش ١٦١ و ١٦٥ و ١٦٦

٢١٨ و ٢٢٢ و ٢٢٥ و ٢٣٠ و ٢٣٨ و ٢٤٥ و ٢٥٣ و ٢٦٣

و هامش ٢٦٣ و ٢٦٤ و ٢٦٨ و ٣٠٤ و ٣٣٦ و ٣٣٧

٣٤٢ و ٣٤٤ و ٣٦٢ و ٣٦٥ و ٣٨٥ و ٥٤٢

موسى (المدكور في محادثات كاسيان) :

٣٦١ و ٣٦٥

موهوب بن منصور الشماس (مؤرخ كنسي، القرن الحادي

عشر) :

٢٦٦ و ٤٧٠ و ٤٧١ و ٤٧٨ و ٤٨٣ و ٦٩٨

ميخائيل أسقف تنيس (مؤلف تاريخ البطاركة، القرن

الحادي عشر) :

٤٦٨ و ٥٤٨ و ٥٥٥ و ٦٨٦ و ٧٢١ و ٧٢٢

ميخائيل أسقف سخا (معاصر للبابا زخارياس الـ ٦٤) :

٤٦٧

ميخائيل أسقف طننتنا :

٦٨٨

ميخائيل الأول البابا الـ ٤٦ (= خائيل الأول، وهو

ميخائيل الكاهن من دير أنبا مقار) :

٤٢٩ و ٤٣٧ و ٤٤٤ و ٤٤٦ و ٤٤٨ و ٤٤٩ و ٥٤٠ و ٦٨٠

٦٨٥ و ٦٨٣

ميخائيل الثاني البابا الـ ٥٣ (= خائيل الثاني) :

٤٥٧ و ٤٧٤ و ٤٧٨ و ٥٣٢ و ٦٨١

ميخائيل الثالث البابا الـ ٥٦ (= خائيل الثالث) :

٤٤٧ و ٤٥٢ و ٤٥٤ و ٤٥٧ و ٤٦٠ و ٤٦٢ و ٥٤١ و هامش

٦٨١ و ٥٧٣

ميخائيل الخامس البابا الـ ٧١ (من دير أنبا مقار، وهو أبن

الدهشتيري) :

٣٩٩ و ٤٠٠ و ٤٤٢ و ٤٨٠ و ٦٨١ و ٦٨٨ و ٧٢٢

ميخائيل (مطران أسيوط الحالي وناظر دير القديس أنبا

مقار) :

٥٠١ و ٥٠٣ و ٦٩٢ و ٦٩٦ و ٧٠٠

ميصائيل (السائح وله صورة بكنيسة السواح بالحصن) :

٦٠٥ و ٦٠٨

ميلانيا الصغيرة (زارت البرية) :

٢٧٨

ميلانيا الكبيرة (زارت البرية مع روفينوس المؤرخ) :

١٨٤ و ١٨٦ و ١٩٧ و ٢٢٢ و هامش ٢٣٨ و ٢٧١ و ٣١٦

٣١٧ و ٣٢١ و ٣٧٥

مينا أسقف تمي (تلميذ أنبا أبرام وجورجي، القرن

الثامن) :

٤٤٤ و ٦٨٣

مينا أسقف طانا (القرن الحادي عشر) :

٤٦٦ و ٦٨٦

مينا أسقف نيقوس (إيشادي = تلميذ أنبا يونس قص

شبيبت، القرن السابع) :

٤٣٢ و ٤٤٢ و ٤٤٤ و ٤٤٦ و ٥٤١ و ٦٨٣ و ٧٢١

مينا الأول البابا الـ ٤٧ :

٤٤٦ و ٦٨٥ و ٦٨٥ و ٧٢١

مينا الثاني البابا الـ ٦١ :

٣٩٩ و ٤٦٣ و ٤٦٤ و ٦٨١ و ٧٢٠

حرف «ن» :

ناتيرا (تلميذ أنبا سلوانس) :

٢٩٤

نثنائيل (أحد آباء نتريا الأوائل) :

١٧٤ و ١٩٥

نستير (أحد آباء نتريا الأوائل) :

٢٤٧ و ٢٤٦

نستير الثاني (أحد رؤساء متوحدتي تانيس الذي قابله

كاسيان) :

٣٠٠

حرف «ه» :

هجيبيوس (مؤرخ كنسي من القرون الأولى) :

٧١٥

هيولييتس (شهيد بورتو) :

٤٤ و ٥٥٣

هيراكس الصغير (من الرهبان الأجانب الذين عاشوا في

نتريا والقلالي) :

١٨٥

هيراكس الكبير (تلميذ أنبا أنطونيوس، من الرهبان

الأجانب الذين عاشوا في نتريا والقلالي) :

١٨٥ و ٢٠٢ و ٢٧٧

هيراكليدس (تلميذ أنبا أنطونيوس) :

١٠٤ و ١٠٨ و ٢٠٣

هيراكس الإسكندراني (أحد آباء القلاي الأوائل) :

١٨٦ و ١٨٨ و ٢١١ و ٣٤٦ و ٣٥٩

حرف «و» :

واسيليدس (الشهيد وله صورة بكنيسة الملاك بالحصن) :

٦٠٥ و ٦١٣

حرف «ي» :

ياسبيوس (من الرهبان الأجانب الذين عاشوا في نتريا

والقلالي) :

١٨٥

يسطس (الشهيد وله صورة بكنيسة الملاك بالحصن) :

٦٠٥ و ٦١٣

يعقوب (أخ أنبا يمين) :

٢٤٤ و هامش ٢٤٤ و ٣٠٠

يعقوب البابا الـ ٥٠ :

٤٠٢ و ٤٥٤ و ٤٥٥ و ٤٥٧ و ٦٣٩ و ٦٨١

ثبت الفضائل والروحيات والمواهب

□ □ □

حرف «أ»

أبوة:

٤٨ و ٥٠ و ٢٣٠ و ٢٣٤ و ٣٣٧ و ٣٥٤

إبطال السحر:

٩٨ و ١٠٢

إتخاذ بالله:

١١٨ و ١٢٩ و ١٣٦ و ١٣٨ و ١٤٠ و ١٤٦ و ١٥٢ و ١٥٥

١٦٠ و ٣١٢

إتساع روحي:

٢٥٩ و ٢٩٢ و ٤٤٥

إحتمال الإهانات والآلام:

٦٦ و ٦٧ و ٨٤ و ٨٨ و ١٠٥ و ١٠٧ و ١٠٩ و ١١٠ و ١١٢

١٢٦ و ١٢٨ و ١٢٩ و ١٣٦ و ١٣٨ و ١٤١ و ١٤٢ و ١٦٠

١٦٢ و ٢٠٥ و ٢٦٧ و ٢٨٠ و ٤١١ و ٤١٤ و ٤١٩ و ٤٣٥

٧٢١

إحتمال سقطات وضعفات الآخرين:

٨٦ و ٢٤٩ و ٢٥٠

إرشاد وتدبير روحي:

٦٩ و ١٣٠ و ١٣٣ و ١٥٦ و ٢٣٠ و ٢٨٢ و ٣٣٣

إستشهاد:

١٠٧ و ١٠٨ و ١٢٩ و ١٦١ و ١٦٢ و ٢٦٧ و ٤٠٦ و ٤٧٢

٤٨٠

إستعداد القلب واستقامته:

١٢٧ و ١٣٧ و ١٤١ و ١٦٦ و ٢٥٠ و ٢٥٢ و ٢٨٩

إستنارة وإستعلان:

٨١ و ١٠١ و ١١٣ و ١٣٩ و ١٤٠ و ٣٢٣

إعتراف (بالخطايا):

١١٥ و ٢٠٥ و ٢٥١ و ٢٦٥ و ٢٨٦ و ٣٨٧

إعتراف (بالإيمان):

١٠٤ و ٢٦٨ و ٢٦٩ و ٤١٤ و ٤١٩ و ٤٣٤ و ٤٦٠ و ٤٧٢

إضافة الغرباء:

٢٠٦ و ٢٤٩ و ٢٥٧ و ٢٦٧ و ٢٩٥ و ٣٦٥ و ٣٨٤ و ٤١١

إفتقاد المرضى:

١٤٣ و ١٤٤ و ٢٣٨ و ٣١٩

إفخارستيا:

٧٠ و ٧٣ و ٨٩ و ١٠٢ و ١١٦ و ١١٨ و ١٢٠ و ١٣٣ و ١٥٤

١٥٥ و ٢٥٠ و ٢٧٠ و ٢٧٦ و ٣٢٦ و ٣٤٣ و ٣٥٥ و ٣٦٧

٣٦٩ و ٣٧١ و ٣٧٣ و ٣٩٢ و ٤١٣ و ٤٦٦

إفراز:

٥٥ و ١٣٧ و ١٥٨ و ٢٣٠ و ٢٥٩ و ٢٨٢ و ٢٨٧ و ٣٥٦ و ٤١٠

٤٣٣

إقامة الموتى:

٥٨ و ٩٨ و ١٠١

إقتداء بالقدسين والملائكة:

٤٨ و ١٠٦ و ١٠٨ و ١١١ و ١١٦ و ١٣٣ و ١٣٨ و ١٥٥ و ٤٢١

إماتة:

٨٣ و ٨٥ و ٨٦ و ١٣٣ و ١٣٧ و ١٥٧ و ١٥٩ و ٢٤٩ و ٥٢١

أمانة:

٦١ و ١٤٧ و ١٦٠ و ١٦٦ و ٢٩٩

إنسحاق القلب:

١٢٨ و ١٥٩

إنكار الذات:

٢٤٢ و ٢٤٦ و ٢٤٨ و ٢٥١ و ٢٥٢ و ٢٨٧

إيمان:

٨٣ و ٨٤ و ١٠٦ و ١٠٨ و ١١٨ و ١٣٣ و ١٥٠ و ١٥٧

حرف «ب»

بتولية:

٤٤ و ٦١ و ١٣٢ و ١٤١ و ١٤٢ و ١٩٠

بذل:

١٣٣ و ١٦١

بساطة روحانية:

٤٨ و ٢٩٢ و ٣٩٣

بكاء على الخطية:

٧٥ و ٨٨ و ١١٥ و ١١٨ و ١٢٦ و ١٤٣ و ٢٤٩ و ٢٥٣ و ٣٠٢ و ٣٥٦

حرف «ت»

تأمل:

٦٧ و ١٣٧ و ٢٥٦ و ٢٨٧ و ٢٩٢ و ٢٩٣ و ٣٠٧ و ٣٤١

تجرد وترك العالم:

٤٤ و ٤٥ و ٧٥ و ١١٢ و ١٣٢ و ١٤١ و ١٤٣ و ١٤٥ و ١٩٦

٢٤٧ و ٢٤٨ و ٢٨٠ و ٢٨٧ و ٢٨٩ و ٣١٢ و ٣٤٦ و ٣٧٩

تسامح وصفح:

٢٥٠ و ٢٥٢ و ٢٧٦ و ٢٩٨

تسبيح:

٣١٨ و ٣٦٨ و ٣٨٠ و ٣٨٥

تصوف:

١٣٦

تطبيق وصايا الإنجيل:

٤٧ و ١١٢ و ١١٥ و ١٩٨ و ٢٥٢ و ٢٨٩ و ٥٠٥ و ٥٢١

تعب الجسد:

١١٤ و ١١٦ و ١١٩ و ١٢٨ و ١٥٨

تعزية:

٥٥ و ٥٦ و ٩١ و ١١٦ و ١١٩ و ١٣٧ و ٣٥٦

تعفف وتقشف:

٤٤ و ٨٢ و ٨٥ و ١٠٢ و ١٠٥ و ١٢٣ و ٣٨٣ و ٣٨٤

تعصب (أنظر «منابرة»):

تلاوة الكتب المقدسة وحفظها:

٦٢ و ٩٥ و ١١٧ و ١٣٢ و ١٥٤ و ٢٠٠ و ٢٠٢ و ٢٣٢ و ٢٤٠

٢٥٤ و ٢٧٢ و ٢٧٥ و ٢٧٧ و ٣٣٩ و ٣٥٧ و ٣٥٩

تلمذة وتعليم وبنوة:

٦٩ و ٧٩ و ٣٠٠ و ٣٨٧

توبة:

٥٧ و ٨٩ و ١١٥ و ١١٦ و ١٢٦ و ١٣٨ و ١٣٩ و ١٥٨ و ١٧٧

٢٥٠ و ٢٥٣ و ٢٥٤ و ٢٥٦ و ٢٦٣ و ٢٧٣ و ٢٨١ و ٢٨٦

٢٨٩ و ٣٢٠ و ٣٨٤ و ٤٢٤ و ٤٢٨

تواضع:

٥٦ و ٥٨ و ٦٤ و ٦٤ و ٧٤ و ٧٩ و ٨١ و ٨٩ و ٩١ و ٩٧ و ١١١ و ١١٧

١٢٠ و ١٢٦ و ١٢٨ و ١٢٩ و ١٣٣ و ١٣٧ و ١٣٨ و ١٤٩

١٥٩ و ١٦١ و هامش ١٦١ و ١٩٩ و ٢٠٤ و ٢٠٥ و ٢٣٠

٢٤٦ و ٢٤٧ و ٢٥٠ و ٢٥٢ و ٢٥٦ و ٢٥٧ و ٢٦٣ و ٢٦٥ و ٢٦٧

٢٧٥ و ٢٨٠ و ٢٨٧ و ٢٨٩ و ٢٩٢ و ٣٠٥ و ٣٤٩ و ٣٧٩

٣٨٦ و ٤٢١ و ٤٢٢ و ٤٣٣ و ٤٣٨ و ٤٥٨ و ٤٦٣ و ٥٢١ و توحيد:

٤٤ و ٤٧ و ٥٠ و ٦٤ و ٦٨ و ٧٨ و ٨٨ و ٨٩ و ٩١

١٠٥ و ١٤٣ و ١٤٥ و ١٥٧ و ١٩٠ و ٢٥٥ و ٢٥٦ و ٢٧٧

٢٨٠ و ٣٠٦ و ٣١١ و ٣١٢ و ٣٢٤ و ٣٣٦ و ٣٨٥ و ٣٨٦

٣٩١ و ٤٤٣ و ٤٥٩ و ٥٠٢

حرف «ث»

ثبات:

١٢٦ و ١٢٨ و ١٣٧ و ٢٠١

ثقة واعتماد على الله:

٦٩ و ٨٧ و ٩١ و ٩٥ و ١٠٣ و ١٤٩ و ١٥٣ و ٢٥١ و ٢٨٧

حرف «ج»

جدية وتحفظ:

٧٩ و ١١٣ و ١١٤ و ٢٥٠ و ٢٧٦ و ٢٨٥ و ٢٨٦

جهاد في التجارب:

٧٤ و ١١٧ و ١١٩ و ١٢٧ و ١٢٨ و ١٣٦ و ١٤١ و ١٤٦ و ١٤٨

١٥٨ و ٢٥٠ و ٢٥٢ و ٢٦٦

حرف «ح»

حرارة الروح:

٤٨ و ١١٦ و ١٥٠ و ١٥١ و ٢٥٢ و ٣١٦

حكمة روحانية:

٥١ و ٥٥ و ٧٠ و ٧٣ و ٨٤ و ٩٨ و ١١٣ و ١٦٦ و ٢٣٠ و ٢٤٢

٢٤٦ و ٢٦٣ و ٢٧٩ و ٢٨٨ و ٢٩٢ و ٢٩٤ و ٢٩٥ و ٣٠٠

٣٠١ و ٣٠٤ و ٣٠٦ و ٣١٠ و ٣٥٦ و ٤١٠

حرف «خ»

خبرة روحانية:

١٣٠ و ١٤٠ و ٢٦٣

خدمة:

٧٩ و ١٠٧ و ١١٤ و ١١٧ و ١٤٣ و ٢٠٠ و ٣٤٣ و ٤٤٣ و ٥٢١

خلاص النفس:

٤٤ و ٥٠ و ٦٤ و ٧٠ و ٧٩ و هامش ٩٣ و ١١٥ و ١١٧ و ١١٩

١٦٦ و ٢٤١ و ٢٧٣ و ٢٧٤ و ٢٨٥ و ٤٤٧

خلوة (أنظر «توحيد، عزلة»):

خوف الله:

٨٣ و ٨٥ و ١١١ و ١٢٠ و ١٢٦ و ١٢٩ و ١٦٠ و ٢٢٠ و ٢٤٨

حرف «د»

دموع:

٩٣ و ٩٦ و ١١٤ و ١١٨ و ١٢٦ و ١٥٩ و ١٩٩ و ٢٤٩ و ٢٧٧

٣٠٩ و ٣٤٢

الدعاء باسم المسيح:

١٥٠ و ١٥٤ و ٣٢٦

دهش:

٨٧ و ٢٥٦ و ٢٩٥

حرف «ذ»

ذكر الموت:

٨٤ و ١١٤ و ١٢٦ و ٣٠٩

حرف «ر»

رؤى:

٨٠ و ٩٣ و ١١٩ و ١٤١ و ١٦٢ و ٢٣٣ و ٢٣٤ و ٢٥٦ و ٢٦٣

٢٨٤ و ٢٩٢ و ٤٠٢ و ٤٢٣ و ٤٢٦ و ٤٣٦ و ٤٣٨ و ٤٣٩

٤٤٩ و ٤٥٠

رحمة وتحن:

٨٥ و ١٠١ و ١١٥ و ١١٩ و ٧٢١

رجاء:

١٤٩ و ٣٨٥

روح القدس (عمله في الإنسان):

٥١ و ٥٦ و ١١٦ و ١٢٨ و ١٢٩ و ١٣٦ و ١٣٧ و ١٣٩ و ١٤١

١٤٧ و ١٥٨ و ٢٩٠ و ٢٩١

حرف «ز»

زهد في العالم:

٧٥ و ٨٤ و ١٠٦ و ١٠٧ و ١١٢ و ١٢٦ و ١٢٨ و ١٤١ و ١٤٢

زهد في التكريم:

٦٦ و ٦٧ و ١١٩ و ١٤٣ و ١٦١ و ١٩٩ و ٢٥٣ و ٢٥٨ و ٢٦١

٢٨١ و ٢٨٤ و ٣٠٧ و ٤١٢

زهد في المقتنيات والأطعمة:

٦٥ و ٨٢ و ٨٥ و ١١١ و ١١٤ و ١٢٦ و ١٤٢ و ١٥٩ و ١٩٦

٢٠٤ و ٢٤٢ و ٢٤٨ و ٢٥٤ و ٢٥٧ و ٢٧٦ و ٣٠٨ و ٣٠٩

٣٦٢

حرف «س»

ستر عيوب الآخرين:

٧٧ و ٧٨ و ١٠١

سكون:

٨٨-٩١ و ٢٤٨ و ٢٧٥ و ٣٥٦ و ٤٢٦

سلام (القلب):

١١٣ و ١٣٧ و ١٤٧ و ١٥٨ و ٢٥٠ و ٢٨٧

سلطان على الشياطين:

٥٥ و ٥٧ و ٨٠ و ٩٢-٩٤ و ٩٦ و ٩٧ و ١٠٨ و ١٠٩ و ١٣١

١٣٧ و ١٦٥ و ٢٦٤ و ٢٩٨ و ٤٣٨

سهر:

١١٤ و ١١٧ و ١١٩ و ١٢٦ و ١٢٨ و ١٣٧ و ١٣٨ و ١٤٠

١٤١ و ١٥٨ و ١٦٠ و ١٦٦ و ١٨٦ و ٢٠٤ و ٢٣٣ و ٢٥٠ و ٢٩٢

٣٨٤ و ٤٤٣

سياحة:

٤٦٣

حرف «ش»

شجاعة:

٤٤ و ١٠٤ و ٤٥٨ و ٤٧٧

شفاء المرضى:

٥٧ و ٩٢ و ٩٧ و ٩٨ و ١٠٢ و ١٠٣ و ١١٩ و ١٩٦ و ٢٠٥

٢٤٨ و ٣٠٣ و ٤٢٧ و ٤٢٨ و ٤٤٤ و ٤٤٨ و ٤٦٦

شكر:

١٠٢

شهادة (أنظر «كرازة»).

حرف «ص»

صبر:

٩٠ و ٩١ و ١٠٨ و ١١٢ و ١٦٦ و ٢٣٠ و ٢٣٨ و ٢٤٦ و ٢٦٤

٢٧٨ و ٢٨٠ و ٣٣٨ و ٣٥٧ و ٣٨٢ و ٤٢٦

صرامة وحزم ودقة وحرص:

٧٦ و ٧٩ و ٨١ و ٨٤ و ٩٠ و ١١٣ و ١١٦ و ١٤٣ و ٢٥٠

٣٠٧ و ٣٣٤

صلاة روحانية:

٨٦ و ٩٣ و ٩٧ و ١١١ و ٢٥٦ و ٢٦٣ و ٣٠٧ و ٣٧٣ و ٤١٣

٤٢٥ و ٥٢١

صمت:

٦٧ و ٦٩ و ٨٠ و ٨١ و ٨٥ و ٨٨ و ١٤٣ و ١٥٢ و ١٨٦ و ١٩٢

١٩٨ و ١٩٩ و ٢١٨ و ٢٤٦ و ٢٤٨ و ٢٥٢ و ٢٦٦ و ٢٨١

٣٠٦-٣٠٨ و ٣١٠ و ٣٢٤ و ٣٧٣ و ٣٩١ و ٤٣٣

صوم:

٨٠ و ٨٣ و ٨٤ و ٩٣ و ٩٥ و ١٠٥ و ١٠٧ و ١١٤ و ١١٧ و ١٢٦

١٣٨ و ١٤٠ و ١٤١ و ١٥٤ و ١٥٨ و ١٥٩ و ١٦٠ و ١٨٦

١٩٩ و ٢٠٤ و ٢٤٩ و ٢٦٤ و ٢٧٤ و ٢٩١ و ٢٩٤ و ٣٦١

٣٨٠ و ٣٨٣ و ٣٨٤ و ٤٣٣ و ٤٦٦

صليب (علامة الصليب - حمل الصليب):

٥٠ و ٥١ و ١١١ و ١٣٨ و ١٥٠ و ١٦٢ و ١٦٦ و ٢٤٧ و ٢٤٨

٢٨٩ و ٢٩٠ و ٣٢٧ و ٣٧٩ و ٤٥٨ و هامش ٥٠٦ و ٥٧١

حرف «ض»

ضبط الخواص:

٨٢ و ٨٨ و ١٤٥ و ١٥٠ و ٢٤٨ و ٢٥٠ و ٣٨٤

ضبط الشهوات:

٨٤ و ١١١ و ١٢٦ و ١٩٩ و ٢٠٠ و ٢٥١ و ٢٥٢ و ٢٦٤ و ٢٧٢

٢٨٩ و ٢٩٠ و ٢٩٤ و ٣٨٤

ضبط الفكر:

٨٦ و ٩٠ و ٩١ و ١٤٣ و ١٤٥ و ١٥٣ و ٢٤٩-٢٥٢ و ٢٦٠

٢٦٥ و ٢٨٠ و ٢٨٦ و ٢٩٣ و ٢٩٤ و ٣٨٤

ضبط النفس:

٧٩ و ١١٤ و ١٢٣ و ١٣٩ و ١٥٩ و ٢٥١

حرف «ط»

طاعة:

١٥٦ و ١٥٧ و ٢٥٢ و ٢٨٥ و ٢٨٩ و ٢٩٢ و ٣١٥ و ٣٣٨

٣٣٩ و ٣٧٨ و ٣٨٤ و ٣٨٦ و ٤٣٨ و ٤٧٥ و ٥٢١

طهارة:

٤٤ و ٦٢ و ٩١ و هامش ٩٣ و ١٠٥ و ١١٨ و ١٢٣ و ١٤٠

١٤١ و ١٤٧ و ١٤٨ و ١٥١ و ٢٥٩ و ٢٦٣ و ٢٧٣ و ٢٧٧

٢٩١ و ٣٠٢

طول أناة:

٢٣٨

حرف «ع»

عدم دينونة:

١١٢ و ١١٣ و ١٢٦ و ٢٤٩ و ٢٥٠ و ٢٥٢ و ٢٦٧ و ٢٨٨

عدل:

١٠٦ و ٢٠٥ و ٣٨٢

عطاء:

٢٥٨ و ٢٧٣ و ٢٧٤ و ٢٨٠

عمل اليدين:

٦٦ و ٦٨ و ٧٠ و ٨٠ و ٨٣ و ١١٤ و ١٩٩ و ٢٠٤ و ٢٥٠ و ٢٦٦

٢٩٣ و ٣٠٧ و ٣١٦ و ٣٢١ و ٣٣٩ و ٣٤٠ و ٣٨٠ و ٣٨٥

٤١٢ و ٤٥٩ و ٥٢٥

حرف «غ»

غربة:

١١٧ و ٢٥١

غيرة مقدسة:

١٩٨ و ٣١٦ و ٣٥٥

حرف «ف»

فرح:

١١٤

فقر وعوز:

٤٥ و ٤٧ و ٨٣ و ٨٥ و ٩١ و ١٣٢ و ١٤٢ و ١٩٩ و ٢٥١ و ٢٧٣

٢٧٤ و ٢٨٠ و ٣٤٧ و ٣٨٥ و ٣٩١ و ٤٠٨ و ٤٧٥

حرف «ق»

قداسة:

٦١ و ٦٣ و ١٢٨ و ١٣٦ و ١٣٧ و ١٤٠ و ١٤١ و ٢٥٧ و ٢٦١

٢٦٩ و ٢٧٣ و ٢٧٩ و ٣٠٠ و ٣٠٢ و ٣٩٣ و ٤١٢ و ٤٧٥

قناعة:

٨٢ و ٨٣ و ٩٠ و ٢٥٣ و ٢٨٢

قوة روحية:

١٢٧

حرف «ك»

كرازة:

١٠٩ و ٢٧٢ و ٢٧٤

كمال (السمي نحو الكمال):

١٣٢ و ١٣٦ و ١٣٨ و ١٤٠ و ١٤٢ و ١٤٦ و ١٥٢ و ١٥٥

١٥٨ و ٣٨١

كنيسة (حضور الكنيسة):

٧٠ و ٧٣ و ٧٤ و ٨٠ و ٨٩ و ١٠٢ و ١١٧ و ١٥٥ و ١٩٨ و ٢١٨

ثانياً: الجداول
١ - جدول الغارات على بركة شهبنت

الصفحات	مدى تأثيرها	تاريخها	الغارة
٢٣٩ و ٢٣٠ و ٢٢٩	تدمير الأربع الكنائس التي في الأديرة وترك الرهبان لأديرتهم، واستشهاد أنبا موسى الأسود، وتكوين تجمعات رهبانية جديدة في القلزم، وأنصنا وبرما (منف) ونصيين وسينا.	م ٤٠٧	الأولى للبربر
٢٧٨ و ٢٦٥ و ٢٤١ و ٢٩٩ و ٢٩٦ و ٣٩٤ و ٣٠٨	تخريب الأديرة وترك بعض الرهبان للبرية ونشأة تجمعات جديدة مثل جبل طرة.	م ٤٣٤	الثانية للبربر
٤٠٥	استشهاد التسعة والأربعين شهيداً شيوخ شهبنت ونهب الأديرة.	م ٤٤٤	الثالثة للبربر
٤١٩ و ٤١٥ و ٣٩٧ و ٤٣١	ظل البربر خمسين سنة يحيطون بالأديرة يعاودون النهب والسلب، فتوقف ازدهار الرهبنة، وتهدمت كنيسة أنبا مقار، وكنيسة أريستوماخس وفي نهايتها أسرار أنبا يونس قص شهبنت وأنبا صموئيل المعترف.	م ٥٧٠ حتى م ٦٢٠	الرابعة للبربر
٥٣٢ و ٤٥٤ و ٤٠١ و ٦٣٩	تخريب عام ونهب جميع الأديرة وإحراق الكنائس والمنشآت وهروب واستشهاد كثير من الرهبان.	م ٨١٧	الخامسة للبربر
٤٥٨	نهب وسلب الأديرة، وخروج البابا شنودة الأول إليهم وارتدادهم وتعلية أسوار دير أنبا مقار.	م ٨٦٦	السادسة للنوماتيين
٤٧١ و ٤٠١	نهب الأديرة وقتل الرهبان.	م ١٠٦٩	السابعة للواتيين

٢ - جدول تعداد الرهبان في بركة شهبنت على مدى العصور

أولاً: بالأديرة الأربعة الأولى (البراموس، أنبا مقار، أنبا يحنس القصير، أنبا بيشوي).

السنة	عدد الرهبان	الصفحة	المراجع الأخرى
+ قبل ٣٩٠ م (أيام أنبا مقار)	٢٤٠٠	٤٠٠	بستان الرهبان عربي
+ منتصف القرن السادس الميلادي	٣٥٠٠	٤٢٨	H.N.S., II., III, ch. 2,3

موهبة روحية:

٥٧ و ٩٠ و ٢٥٧ و ٤١٢ و ٤٤٥

حرف «ن»

نسك:

٤٤ و ٤٧ و ٤٨ و ٨٣-٨٦ و ٩٥ و ١٠٥ و ١١٩ و ١٣٤ و ١٣٦ و ١٣٨ و ١٤٢ و ١٤٦ و ١٥٢ و ١٥٩ و ١٦٠ و ١٦٣ و ١٩٠ و ٢٠٠ و ٢٠١ و ٢٠٤ و ٢٠٥ و ٢٢٨ و ٢٣٤ و ٢٦٤ و ٢٨٠ و ٢٨٤ و ٢٨٥ و ٢٩٢ و ٢٩٤ و ٣٠٠ و ٣٠٢ و ٣٠٨ و ٤١٥ و ٤٤٣

نبوة وكشف:

٥٥ و ٥٦ و ٨١ و ٩٠ و ٩٢ و ٩٣ و ٩٥ و ٢٧٨

نعمة:

٥٨ و ٦١ و ٦٢ و ٦٤ و ١١٦ و ١١٩ و ١٣٦ و ١٣٩ و هامش ١٨٠ و ٢٤٦ و ٢٤٨ و ٢٥٩ و ٢٨٣ و ٣٥٦ و ٤٤٥

نقاوة القلب والضمير:

٩٠ و ١١٣ و ١١٨ و ١٢٨ و ١٣٧ و ١٥٧ و ٢٧٩

حرف «ه»

هدوء:

٨٦ و ١٤٣ و ١٥٨ و ٢٦٥ و ٣٤١

هذيد:

١٣٢ و ١٣٨ و ١٥٣ و ١٥٤ و ٢٥٠ و ٢٥٢ و ٣٣٩ و ٣٤٢ و ٣٥٧

هروب من المناصب:

٢٧٧ و ٢٠٠

هروب من الناس:

١٤٣ و ١٥٣ و ٢٥٦ و ٣٠٥ و ٣١٢

حرف «و»

وجود دائم في حضرة الله:

٨٨ و ١٤٥

وحدة الرأي والإيمان:

٢٧٢ و ٤٦٠

وداعة:

٤٨ و ٧٧ و ٧٩ و ١٠٧ و ١٢٨ و ١٦٠ و ٢٠٠ و ٢٠٥ و ٢٣٠ و ٢٥٢ و ٢٨٨ و ٢٩١ و ٣٨٤

٢٥٠ و ٣٠٧ و ٣٢١ و ٣٧٣ و ٣٩٢

كهنوت:

٦٤ و ٦٦ و ٦٨ و ٧١ و ٩٢ و ٢٤١ و ٢٦٦ و ٢٧٠ و ٢٧٧ و ٣٣٤ و ٣٣٦ و ٤٣٦

كينويون (شركة):

٤٤ و ٤٨ و ٥٠ و ٧٥ و ٣١١ و ٣١٢ و ٣٤٣ و ٣٧٨

حرف «ل»

لطف:

٦٤ و ٢٠٠ و ٢٠٥ و ٢٠٦ و ٢٦٥ و ٢٧٥ و ٢٨٨

لوم النفس:

١١٤ و ٢٤٨ و ٢٥٠ و ٢٥٢ و ٢٥٣ و ٢٦٧ و ٢٨٦ و ٣٢٠

حرف «م»

محنة:

٧٣ و ٧٤ و ٧٧ و ٧٩ و ١٠٨ و ١١١ و ١١٥ و ١١٩ و ١٣٦ و ١٤٠ و ١٤٣ و ١٩٢ و ٢٠٠ و ٢٠٥ و ٢٠٦ و ٢٥٧ و ٢٦٧ و ٢٦٩ و ٢٧٥ و ٢٩٢ و ٢٩٨ و ٣١٨ و ٣١٩ و ٣٤٣ و ٣٦١ و ٣٦٦ و ٣٦٩ و ٣٧٠ و ٣٧٢ و ٣٨٧ و ٤٠٢ و ٤١١ و ٤٣٣ و ٥٢١ و ٥٣٢

منايرة وتعصب:

١١٦ و ١٢٨ و ١٣٨ و ١٣٩ و ١٤٧ و ١٥٢

مراجعة النفس:

١٣٨

مسكنة:

٩٠ و ٩١ و ٩٣ و ١١١ و ١٢٦

مشورة:

٤٩ و ٢١٣

مطابرة:

٨٠ و ٨١ و ٨٦ و ١١٤ و ١١٦

معرفة روحانية وعلم:

٥٨ و ٢٤٠ و ٢٨٦ و ٢٨٧ و ٢٩٢

معمودية وخلق جديدة:

٢٦٥ و ٢٧٠ و ٢٨٨ و ٢٩٠

موت عن العالم:

٢٤٧ و ٢٥٣ و ٢٨٩ و ٣٠٦ و ٣٤٧ و ٤٨٠

مودة أخوية:

١٩٢ و ٣٦٥

٣ - جدول للبطاركة الذين تخرجوا من دير أنبا مقار

مكان دفنه	الدولة المعاصرة	مدة بطريركيته	ترتيب خلافته	الإسم
المرقسية بالإسكندرية	الروم البيزنطيين	٤١٢-٤٤٤ م	٢٤	كيرلس الأول
المرقسية بالإسكندرية	الروم البيزنطيين	٤٩٦-٥٠٥	٢٩	يوحنا الأول
المرقسية بالإسكندرية	الأمويون	٦٨٠-٦٨٩	٤٠	يوحنا الثالث
المرقسية بالإسكندرية	الأمويون	٦٩٠-٦٩٢	٤١	إسحق
المرقسية بالإسكندرية	الأمويون	٧٢٩-٧٣٠	٤٤	قسا الأول
المرقسية بالإسكندرية	الأمويون	٧٤٣-٧٦٧	٤٦	خائيل الأول
	ثم العباسيون			
المرقسية بالإسكندرية	العباسيون	٧٦٧-٧٧٦	٤٧	مينا الأول
المرقسية بالإسكندرية	العباسيون	٧٧٧-٧٩٩	٤٨	يوحنا الرابع
المرقسية بالإسكندرية	العباسيون	٧٩٩-٨١٩	٤٩	مرقس الثاني
تيدا (كفر الشيخ)	العباسيون	٨١٩-٨٣٠	٥٠	ياكوبوس
المرقسية بالإسكندرية	العباسيون	٨٣٠-٨٣٠	٥١	سيمون الثاني
المرقسية بالإسكندرية	العباسيون	٨٣١-٨٤٩	٥٢	يوساب الأول
بيعة القديس بطليموس بدونشر مركز المحلة	العباسيون	٨٥١-٨٥٨	٥٤	قسا الثاني
المرقسية بالإسكندرية	العباسيون	٨٥٩-٨٨٠	٥٥	شودة الأول
أبومقار	الطولونيون	٨٨٠-٩٠٧	٥٦	خائيل الثالث
أبومقار	العباسيون	٩٠٩-٩٢٠	٥٧	غبريال الأول
أبومقار	الأخشيديون	٩٣٢-٩٥٢	٥٩	مكار يوس الأول
محلة دانيال (غربية)	الأخشيديون	٩٥٦-٩٧٤	٦١	مينا الثاني
	ثم الفاطميون			
سخا	الفاطميون	٩٧٩-١٠٠٣	٦٣	فيلوثاؤس
سخا	الفاطميون	١٠٣٢-١٠٤٦	٦٥	شودة الثاني
أبومقار	الفاطميون	١٠٧٨-١٠٩٢	٦٧	كيرلس الثاني
أبومقار	الفاطميون	١٠٩٢-١١٠٢	٦٨	ميخائيل الثاني
أبومقار	الفاطميون	١١٠٢-١١٢٨	٦٩	مكار يوس الثاني
أبومقار	الفاطميون	١١٤٥-١١٤٦	٧١	ميخائيل الثالث
أبوسيفين بمصر القديمة	المماليك البحرية	١٢٥٠-١٢٦١	٧٦	أثناسيوس الثالث
الحبش بمصر القديمة	المماليك البحرية	١٣٤٠-١٣٤٨	٨٣	بطرس الخامس
أبومقار	العثمانيون	١٦٠٣-١٦١٩	٩٨	مرقس الخامس
كنيسة طوخ	العثمانيون	١٦٣١-١٦٤٦	١٠٠	متاؤس الثالث
المرقسية بالقاهرة	أسرة محمد علي باشا	١٨٦٢-١٨٧٠	١١١	ديمتريوس الثاني

ثانياً: بالأديرة المعاصرة لموهوب بن منصور (١٠٨٨ م)

٤٠٠ راهباً	بدير أنبا مقار (ص ٤٨٣)	تاريخ البطاركة مجلد ثاني جزء ٢ ص ١٦٠
١٦٥ راهباً	دير أنبا يحنس القصير	مخطوط تاريخ البطاركة لأنبا يوساب أسقف فوه
٦٠ راهباً	دير السريان	مخطوط الكنائس والأديرة لأبوا المكارم Fol. 68, R
٤٠ راهباً	دير أنبا بيشوي	
٢٥ راهباً	دير أنبا يحنس كامي	
٢٠ راهباً	دير البراموس	
٢ راهبين	مغارة أنبا موسى	
٧١٢ راهباً		

ثالثاً: إحصائية أبوا المكارم سنة ١١٧٩ م لرهبان دير أنبا مقار ١٠٠٠ راهباً بالدير والمنشويات المحيطة.
رابعاً: تاريخ المقريري (توفي سنة ١٤٤١ م) يؤرخ للعصور المزدهرة للرهينة قبل منتصف القرن الرابع عشر.
١٥٠٠ راهباً بدير أنبا مقار (حسب تقديره).

أما في زمنه فلم يبق سوى عدد صغير في دير أنبا مقار (ص ٤٩٢) وثلاثة رهبان فقط في دير يحنس القصير وراهب واحد فقط في دير السريان.

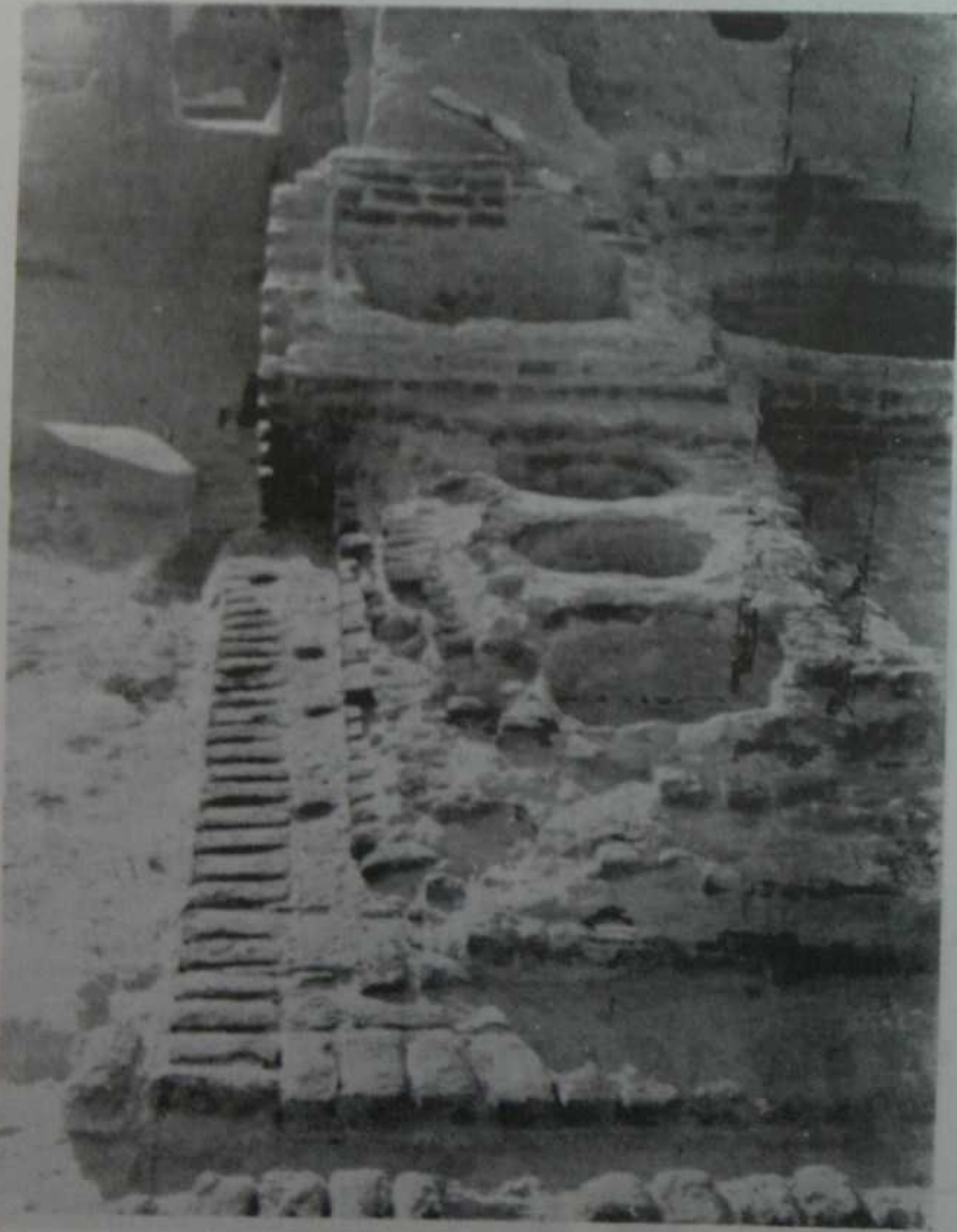
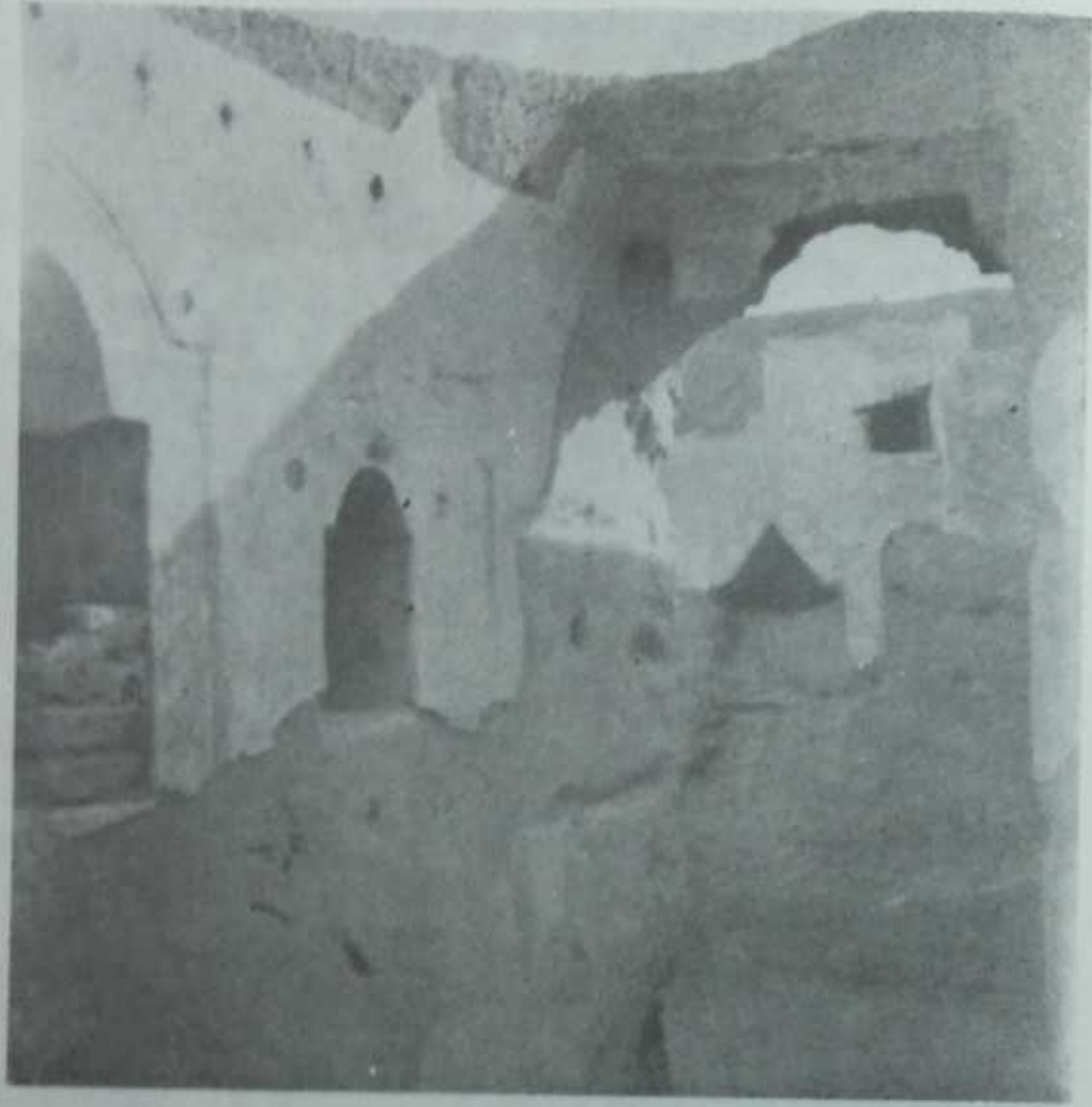
أما أديرة يوحنا كاما والأحباش والأرمن فقد تدمرت (ص ٤٩٤).

خامساً: سنة ١٥١٦ م عن مخطوط بدير السريان بأن عدد رهبان هذا الدير كان ١٨ راهباً من السريان و٢٥ راهباً قبطياً.

سادساً: تقارير الرحالة الأجانب وغيرهم عن حالة الأديرة الأربعة ابتداء من القرن السابع عشر:

السنة	اسم الرحالة	دير أنبا مقار	دير أنبا بيشوي	دير السريان	دير البراموس	المجموع الصفحة
١٦٨١	هنتجتون					٢٥
١٧١٢	سيكار	٤	٤	١٥	١٢	٣٥
١٧٩٩	أندريوس	٢٠	١٢	١٨	٩	٥٩
١٨٣٧	كيرزون	٤	٣	يقطنه الأحباش	٢ أو ٣	٤٩٧
١٨٤٣	ويلكسون	٢٢	١٣	٣٠	٧	٧٧
١٨٤٤	تشندورف	١٥	٤	—	٢٠	٣٩
١٨٩٧	عن كتاب اللؤلؤة البهية	٣٠	٢٥	٤٠	٥٥	١٥٠
١٩٠٦	عن تقرير لجنة البطريركية	٣١	١٦	١٨	٢٠	٨٥
١٩٢٤		٤٠	٣٥	٥٨	٦٨	٢٠١

١ - قلالية ظهرت فيها
دواليب الحائط



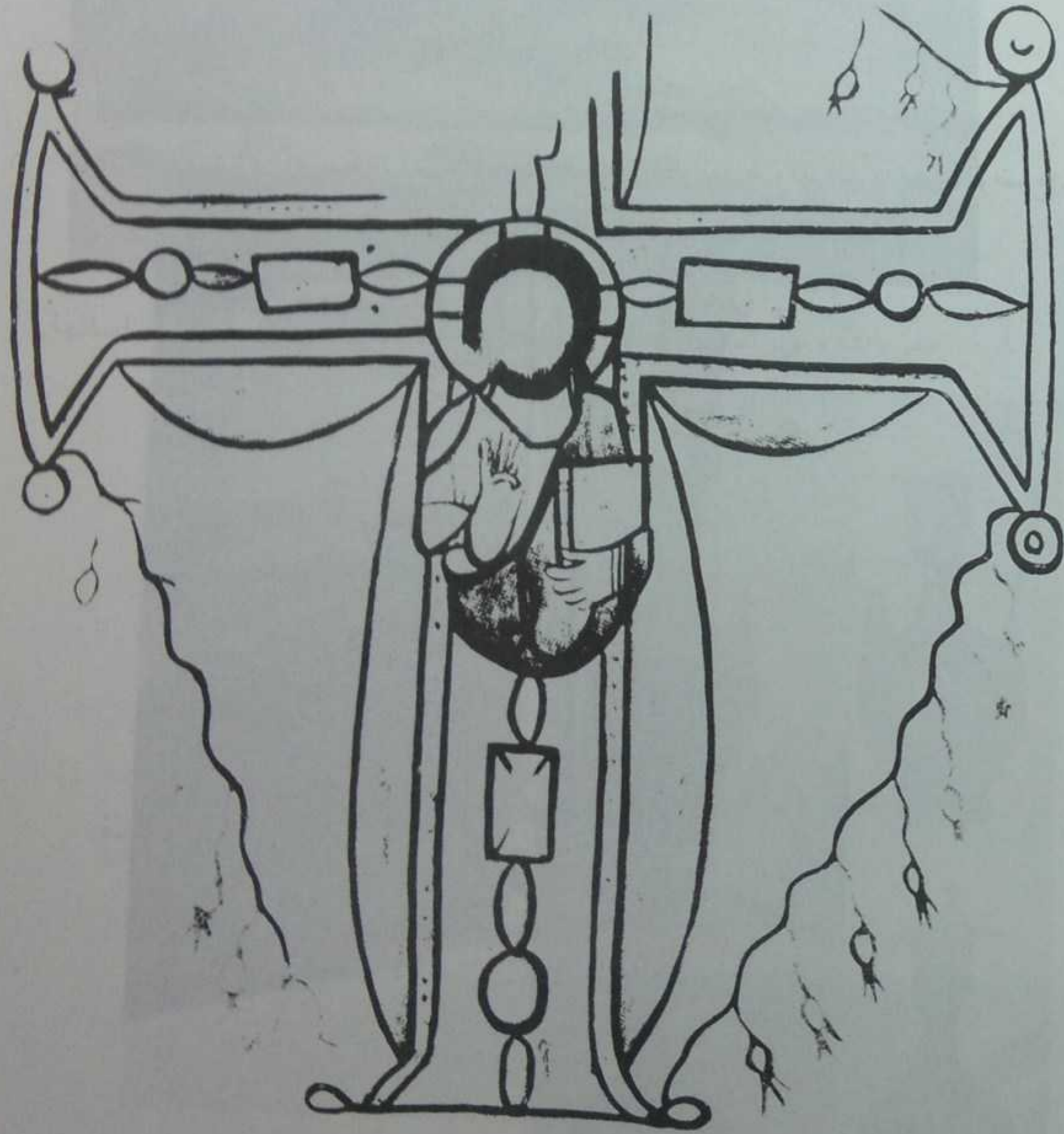
٢ - البئر الكبرى داخل
القلالية وبجوارها أحواض
تخزين المياه.

كليا (منطقة القلاية) حفريات المعهد الفرنسي

بالتعاون مع
مركز البحوث
والتقنية
بجامعة القاهرة



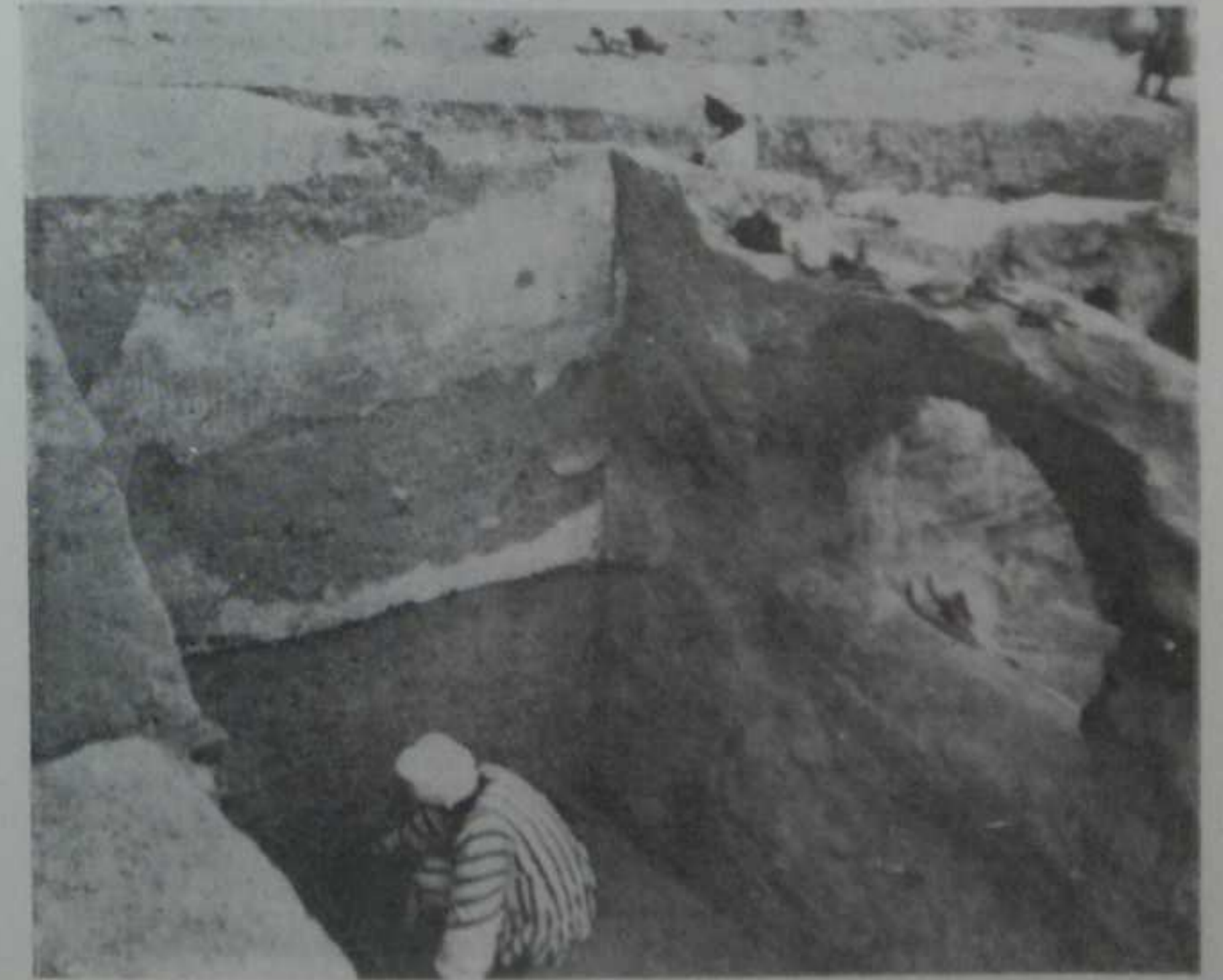
٥ - صورة أثرية بالغة القيمة عشر عليها العالم
الأثري مسيو دوما في منطقة القلاي (قبلي شرقي
مريوط). راجع صفحة ٣٢٥ (وفي الرسم الأسفل
رسم تخطيطي لمعالم الصورة بالتفصيل).



أيقونة المسيح المصلوب - بركة القلاي من القرن الخامس
مع رسم كروكي



٣ - صورة توضح طريقة
صرف مياه المراحيض
في غاية من الإتقان
والعناية.



٤ - قلاية أزيلت منها
الأترية ويُلاحظ
عمقها الكبير.



٨ - حفريات مسيو دوما - القلالية الكبرى وقد ظهرت كل معالم أساساتها.



٩ - أدوات نحاسية
وُجِدَت بحالة جيدة.



٦ - غرفة الديابونية - أي مكان الخدمات مثل الفرن والكوانين - وقد ظهرت هذه بوضوح.



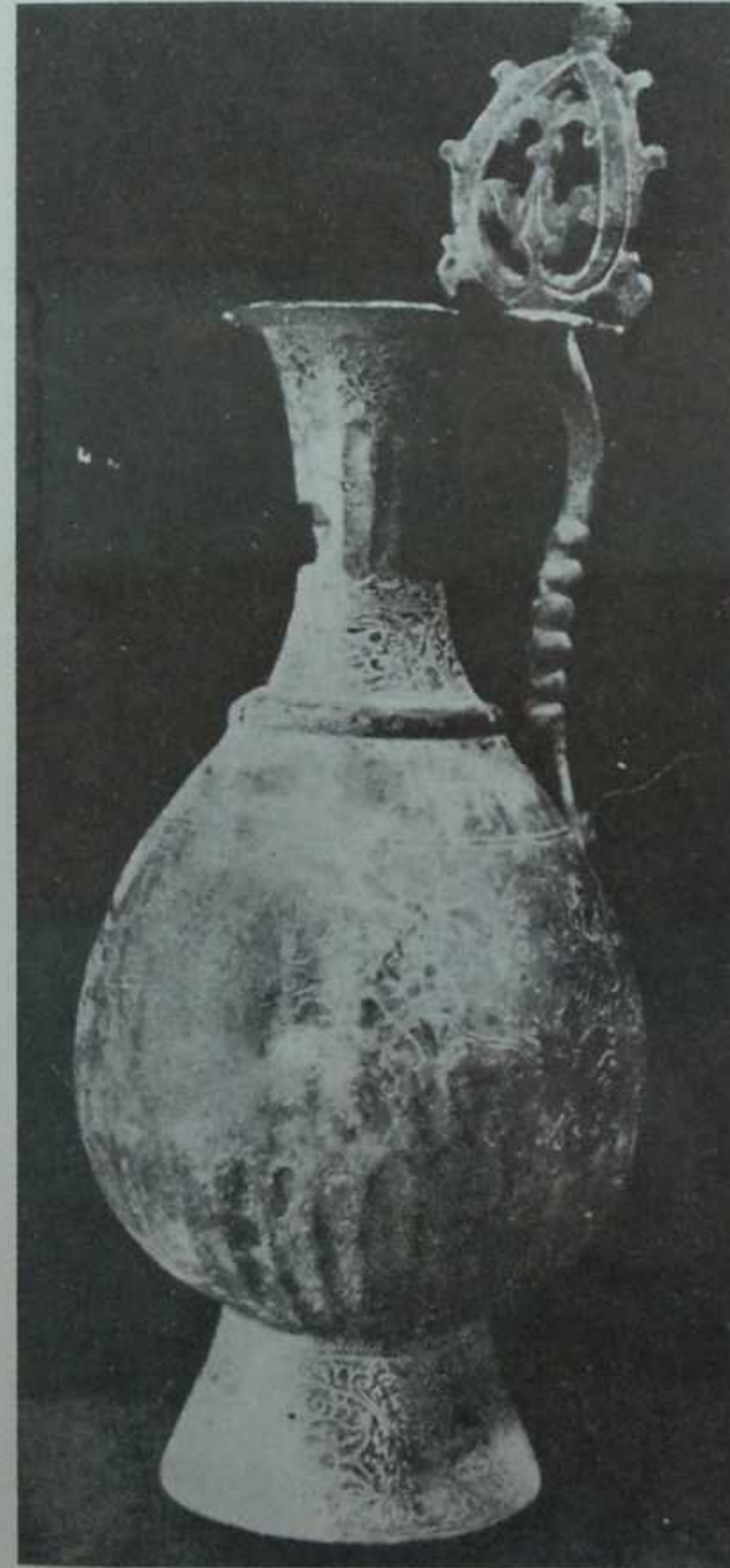
٧ - عمود رخامي في بهو القلالية الكبرى.



١٢ - صورة دقيقة متقنة للقديس مار مينا وُجدت مرسومة على حائط إحدى القلايا. وهي لرسام محترف.



١٠ - منظر أمامي لمدخل القلاية من تحت قبو.



١١ - أبريق من النحاس جيد الصنع وُجد مدفوناً في القلاية الكبرى.



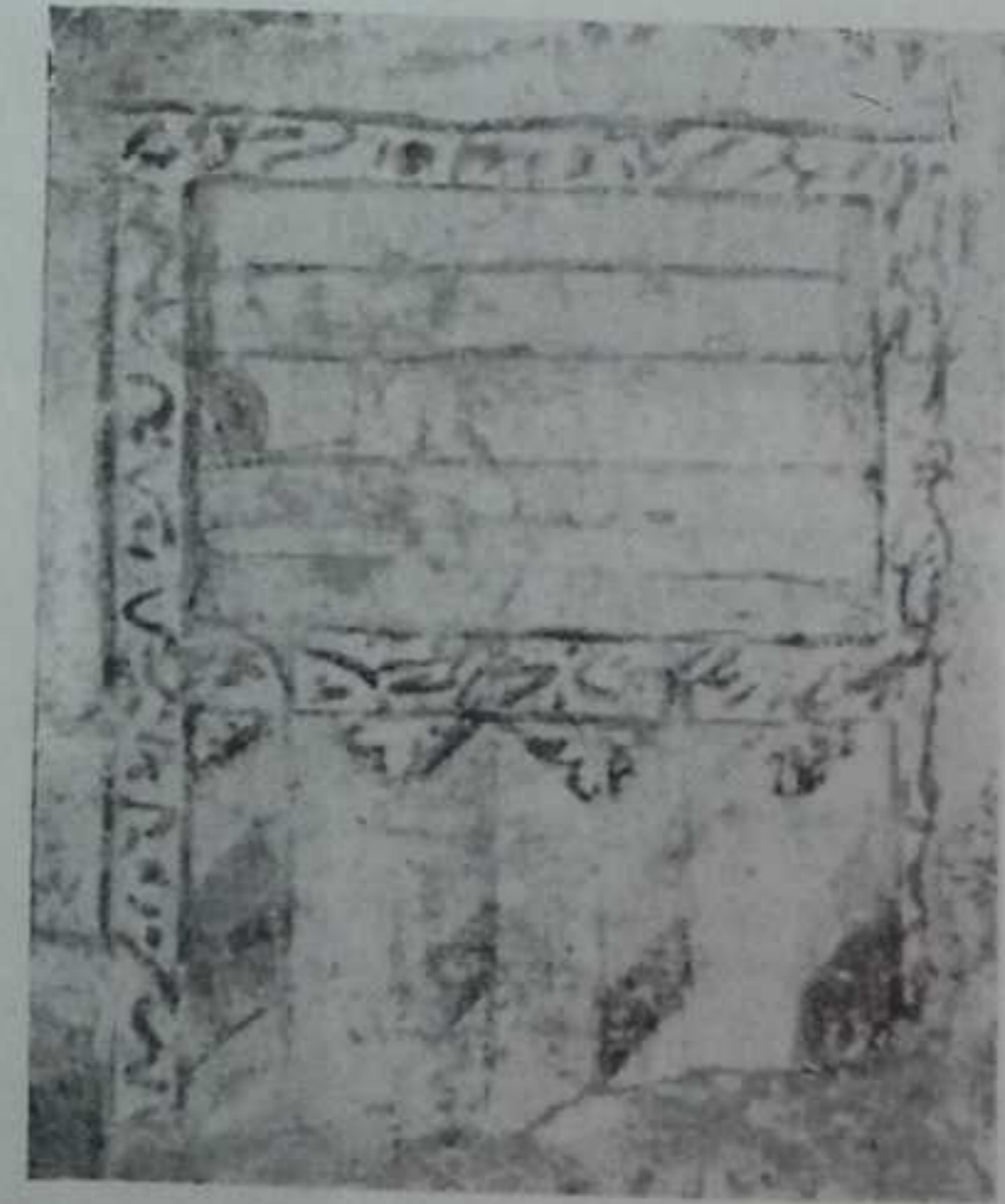
١٥ - صورة توضح على المدى البعيد منطقة القلاي
وهي ملائنة ببقايا وآثار عمران واضح.



١٦ - غرفة الدياكونية وتبدو فيها الأفران والكوانين واضحة.



١٣ - زخارف دقيقة وجميلة وُجدت منقوشة على حوائط قلاي الرهبان.



١٤ - جدول مزخرف منقوش على إحدى الحوائط
مكتوب في سطوره تذكارات قديسين.



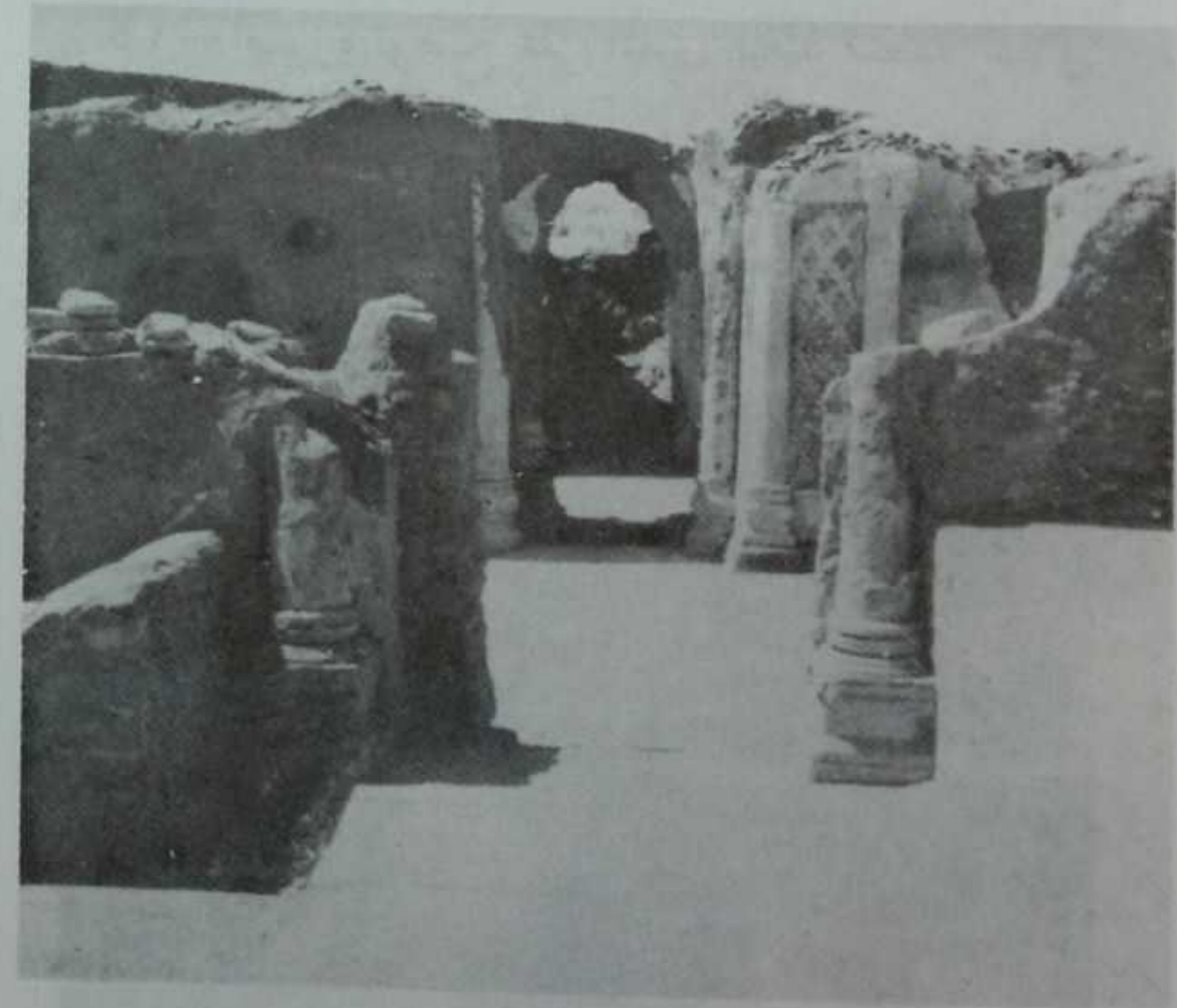
١٩ - غرف القلاية الكبرى يصل بينها ممرات داخلية.



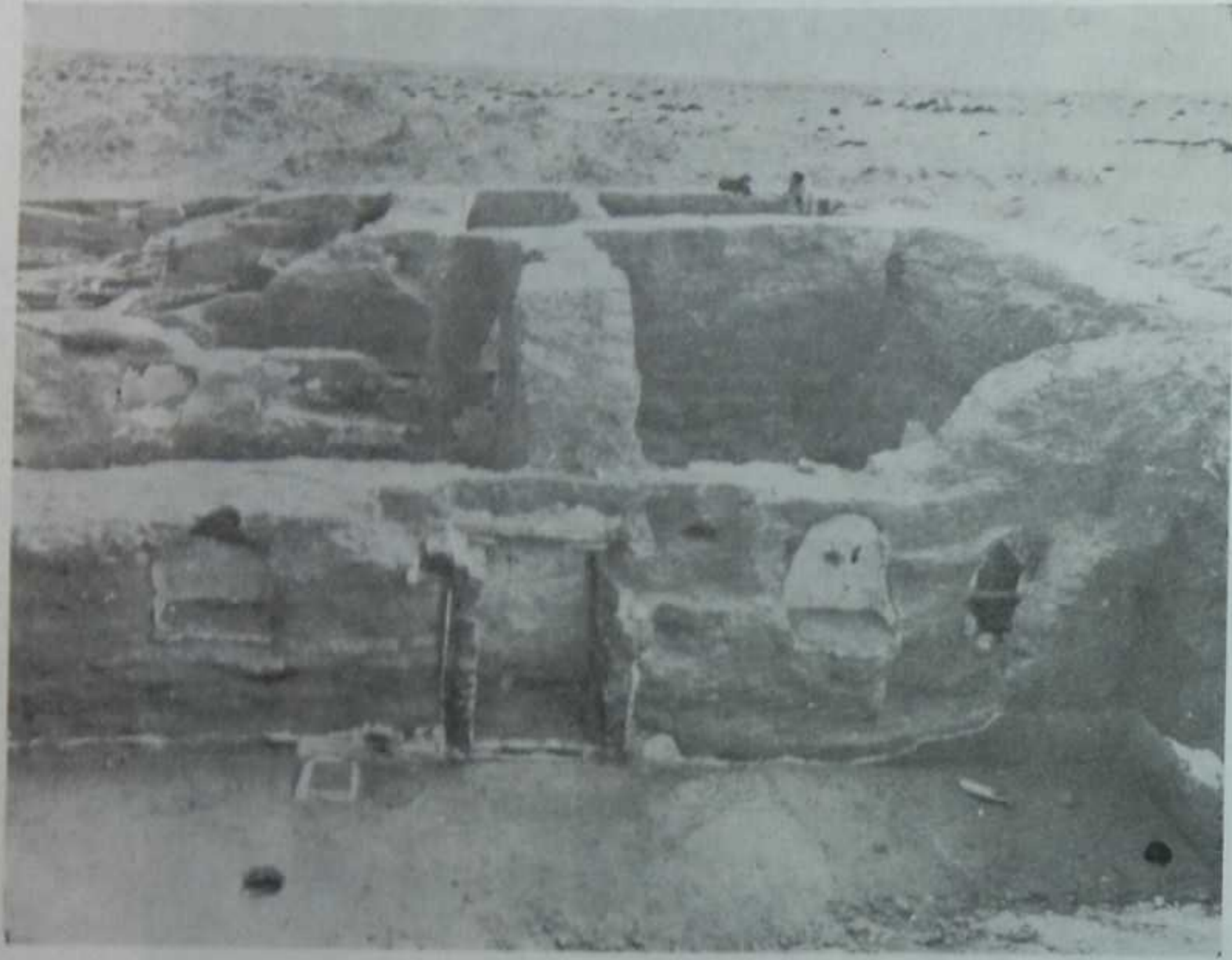
٢٠ - أعمدة رخامية متقنة الصنع وبجالة جيدة جداً وُجدت ببهو القلاية الكبرى.



١٧ - دولاب حائط و بجواره صليب تقليدي جميل من القرن الخامس.



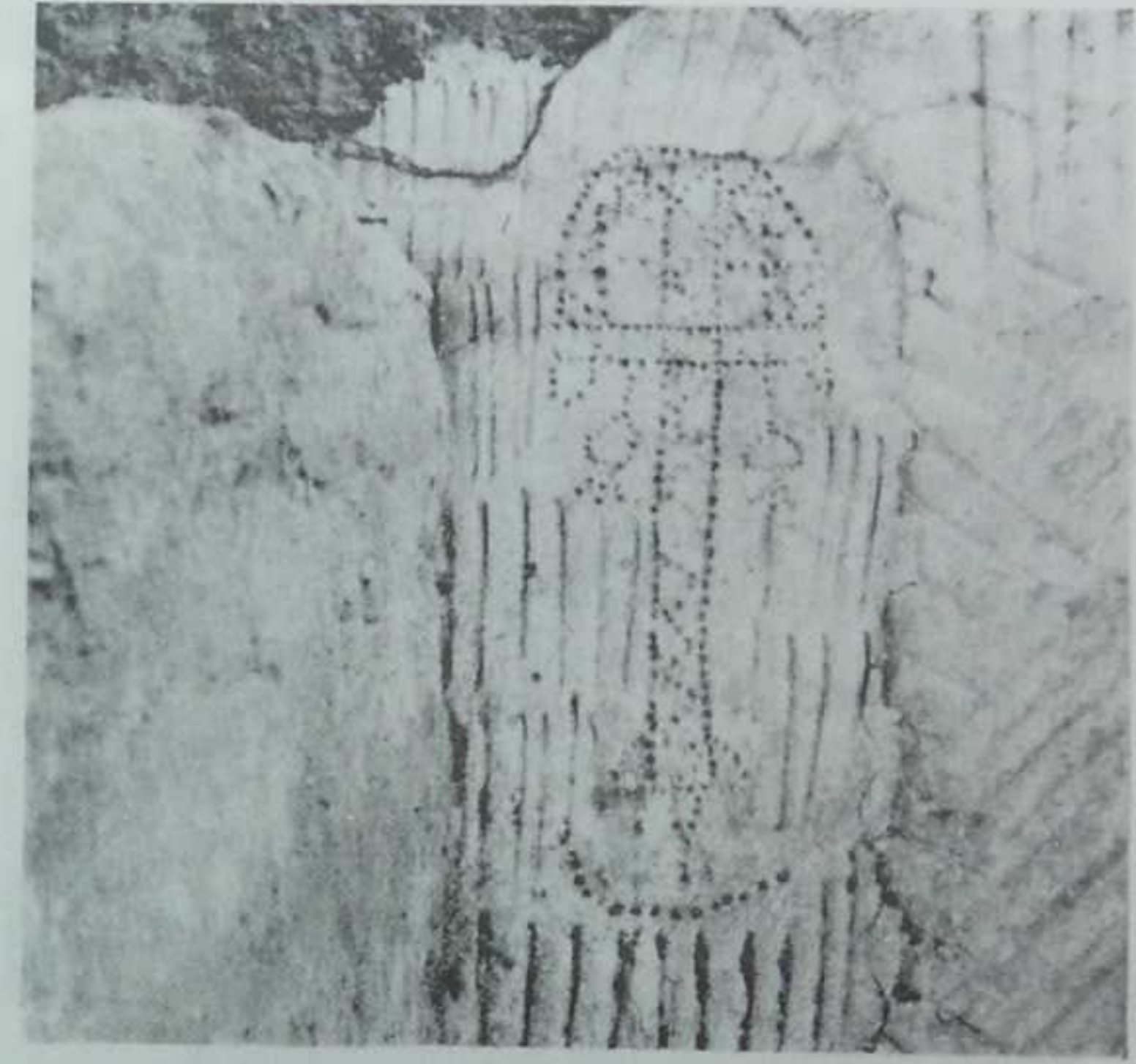
١٨ - الممر الرئيسي للقلاية الكبرى وقد ظهرت فيه بواقي أعمدة رخامية.



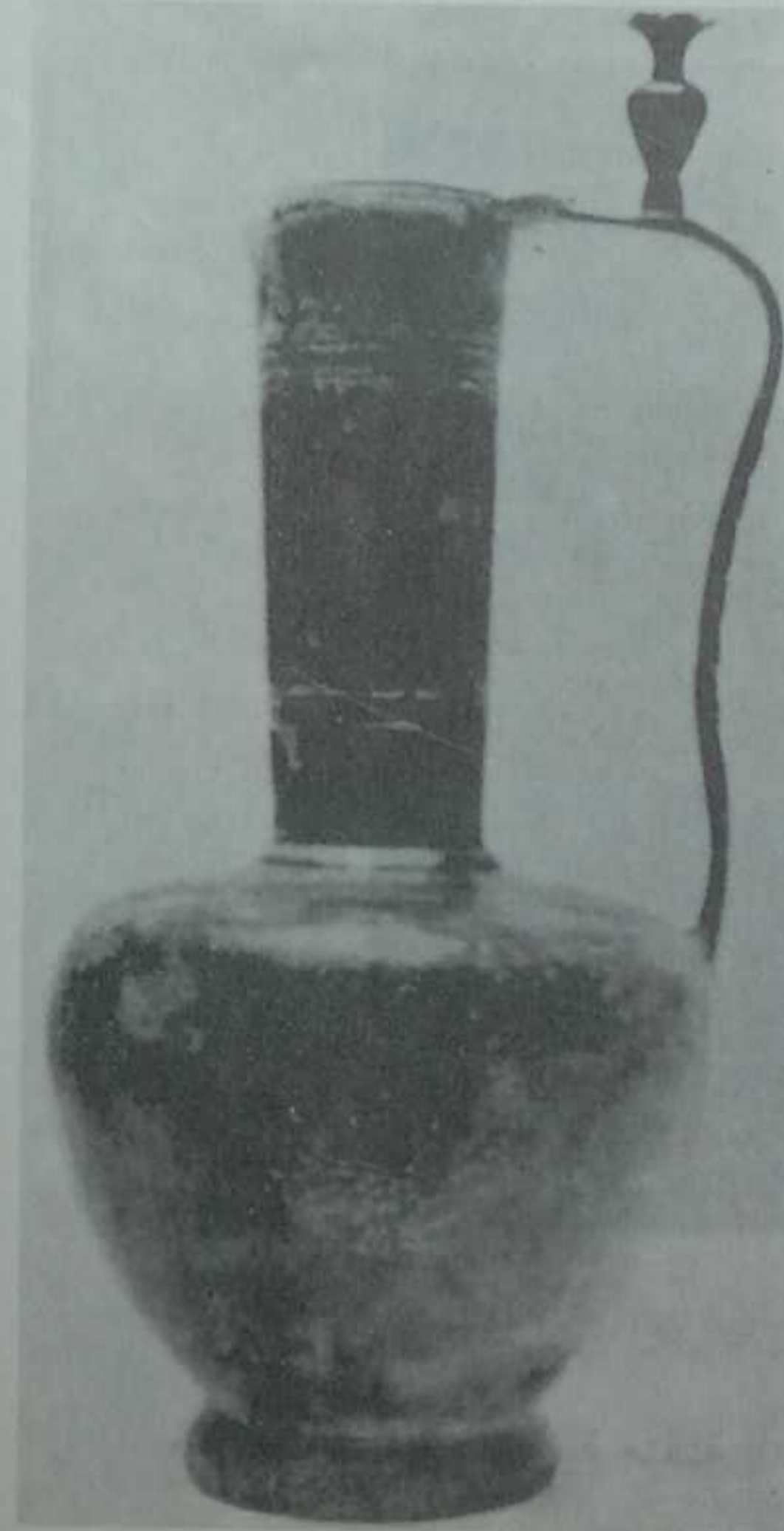
٢٣ - القلاية الكبرى بعد أن أزيلت الأتربة من حولها.



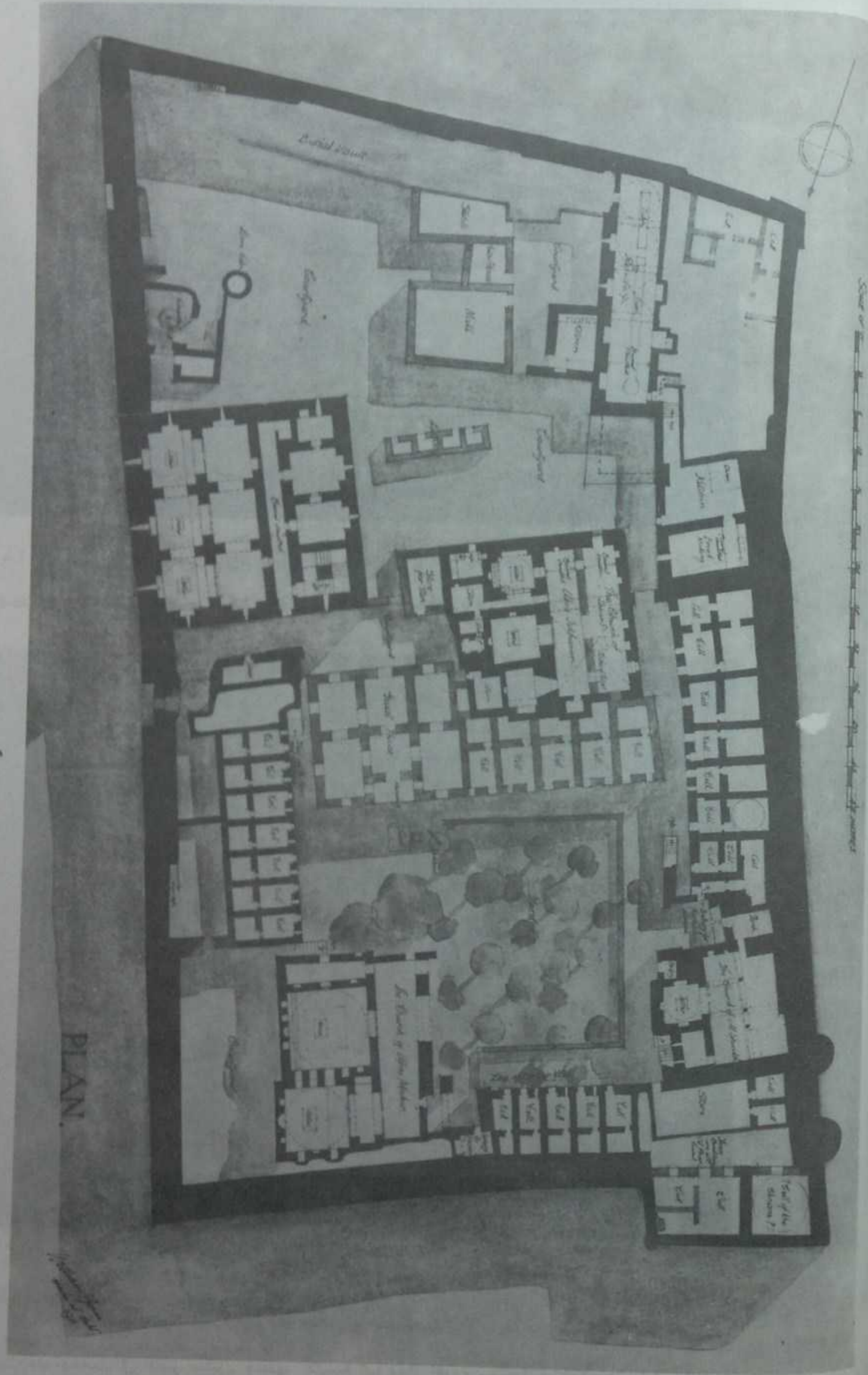
٢٤ - لوحة رخامية وُجدت مثبتة على الحائط
بها كتابة باللغة اليونانية عبارة عن تذكارات قديسين.



٢١ - صليب مرسوم على حائط إحدى القلايا الداخلية.



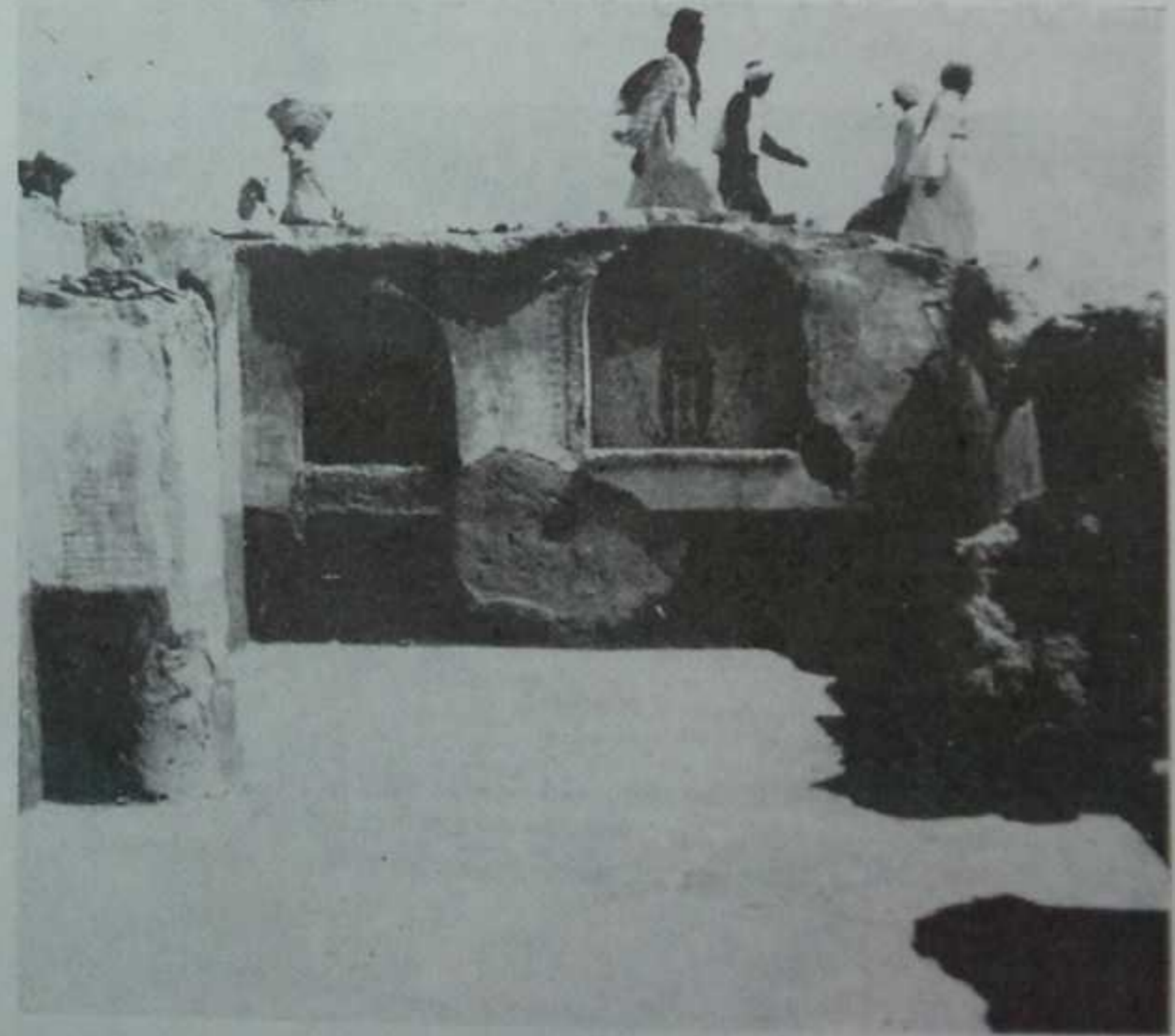
٢٢ - أبريق من النحاس وُجد
مدفوناً بالقلاية الكبرى وبجالة
جيدة، وصناعة غاية في الإتقان.



دير أنبا مقار: راجع الباب السابع ابتداءً من صفحة ٥٦٩
 مسقط ألقى للتدبير رسم المهندس بالكرجونس سنة ١٩١١ م. وبلاحظ فيه كثير من الأبنية غير موجودة الآن وبالأخص في الجزء القليل، كما
 يلاحظ أن كنيسة أنبا مقار قبل التصديلات التي أدخلت سنة ١٩١٢ م ذات جدران وأعمدة، والقارن، إذا دقق في هذا المسقط يستطيع أن يكون
 صورة متكاملة عن جميع أبنية دير أنبا مقار ومواقعها الأصلية، قبل عام ١٩١٩.

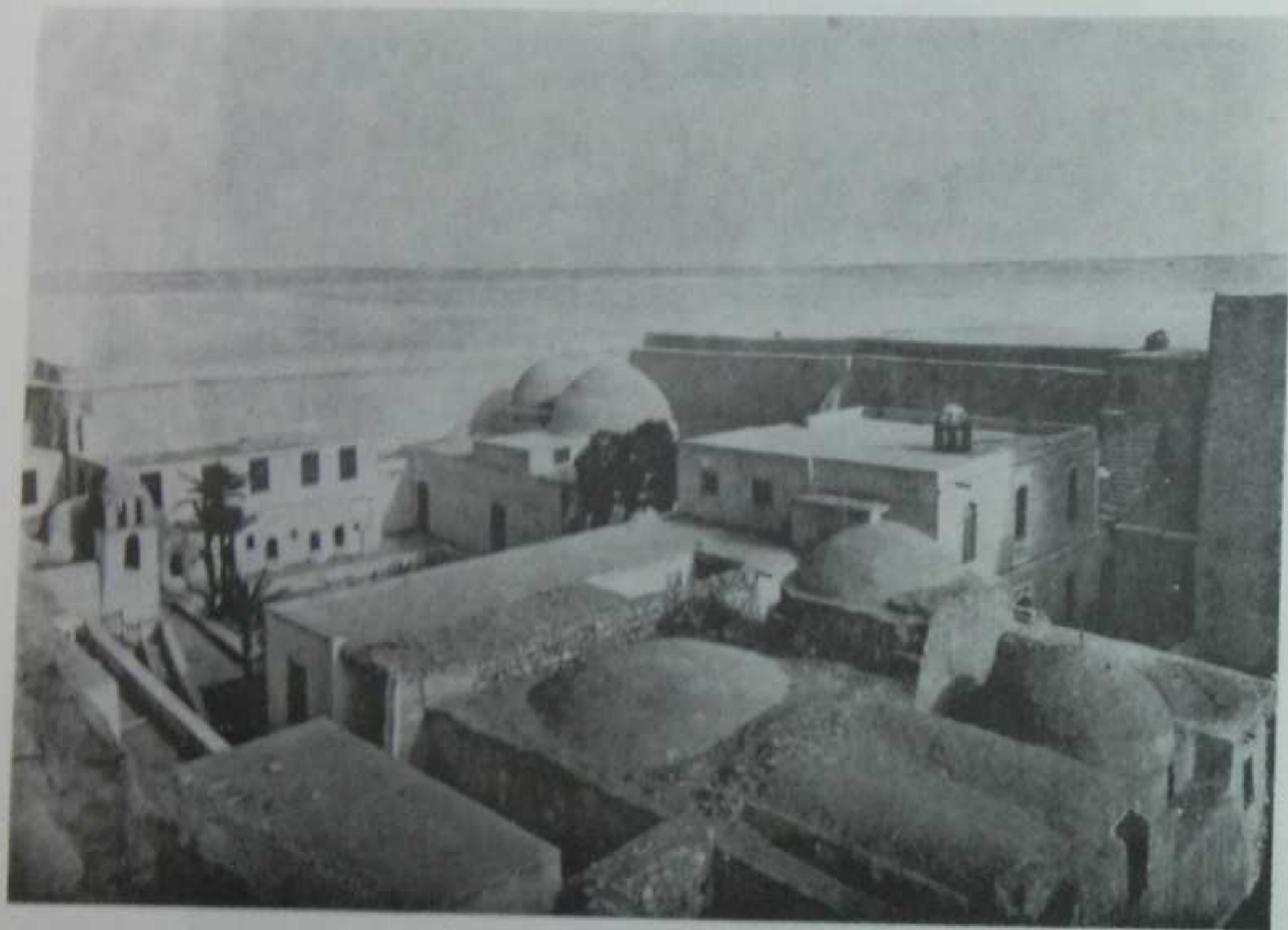


٢٥ - دولاب حائط منقوشة أكتافه وعقدته العلوي بنقوش دقيقة جميلة.
 ويُعتقد أنه دولاب كتب.



٢٦ - صورة تبين مراحل الحفر وظهور أرضية القلاي وحوائطها.
 وتبدو الدواليب في الحوائط.

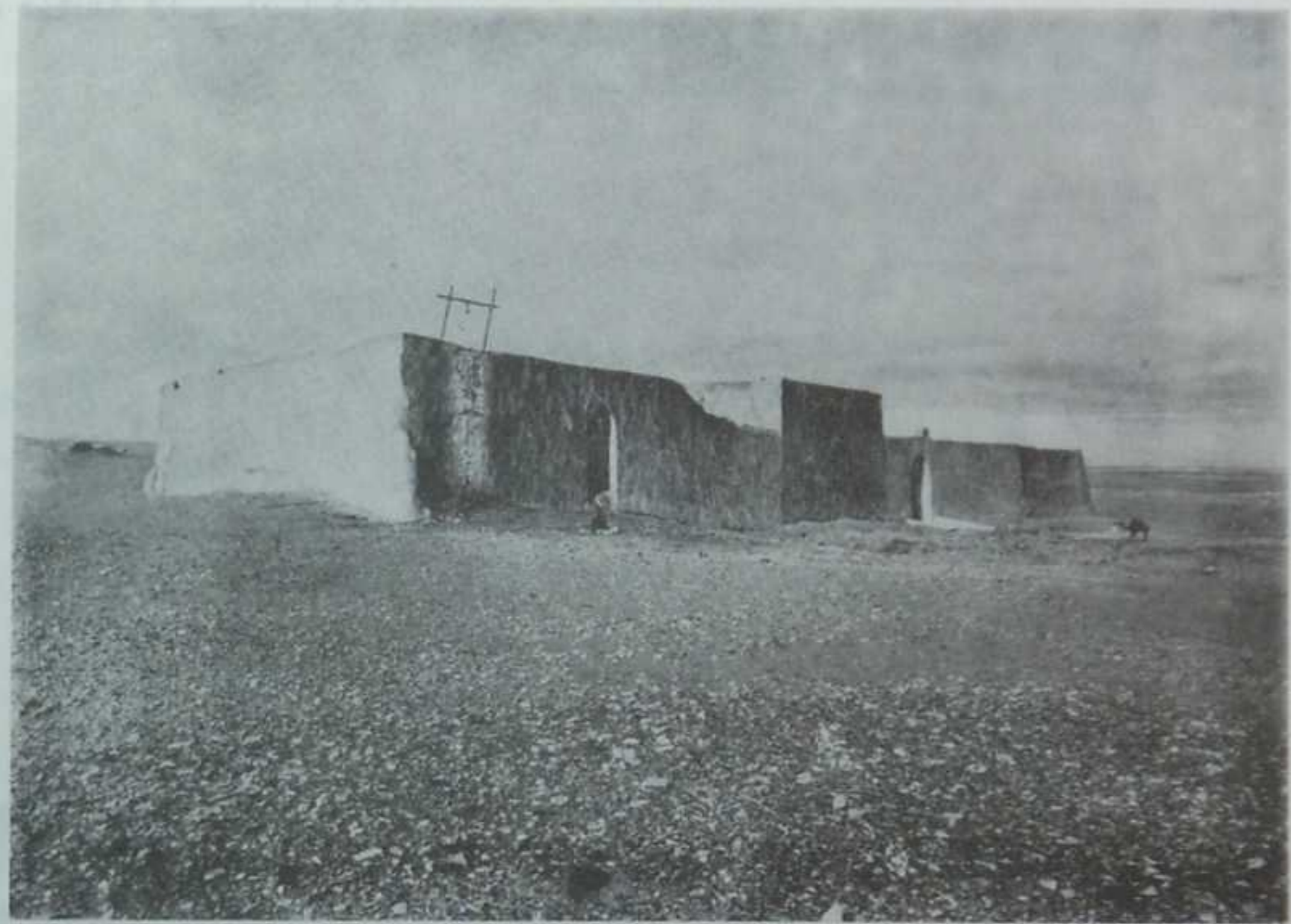
(انتهت صور منطقة القلاي)



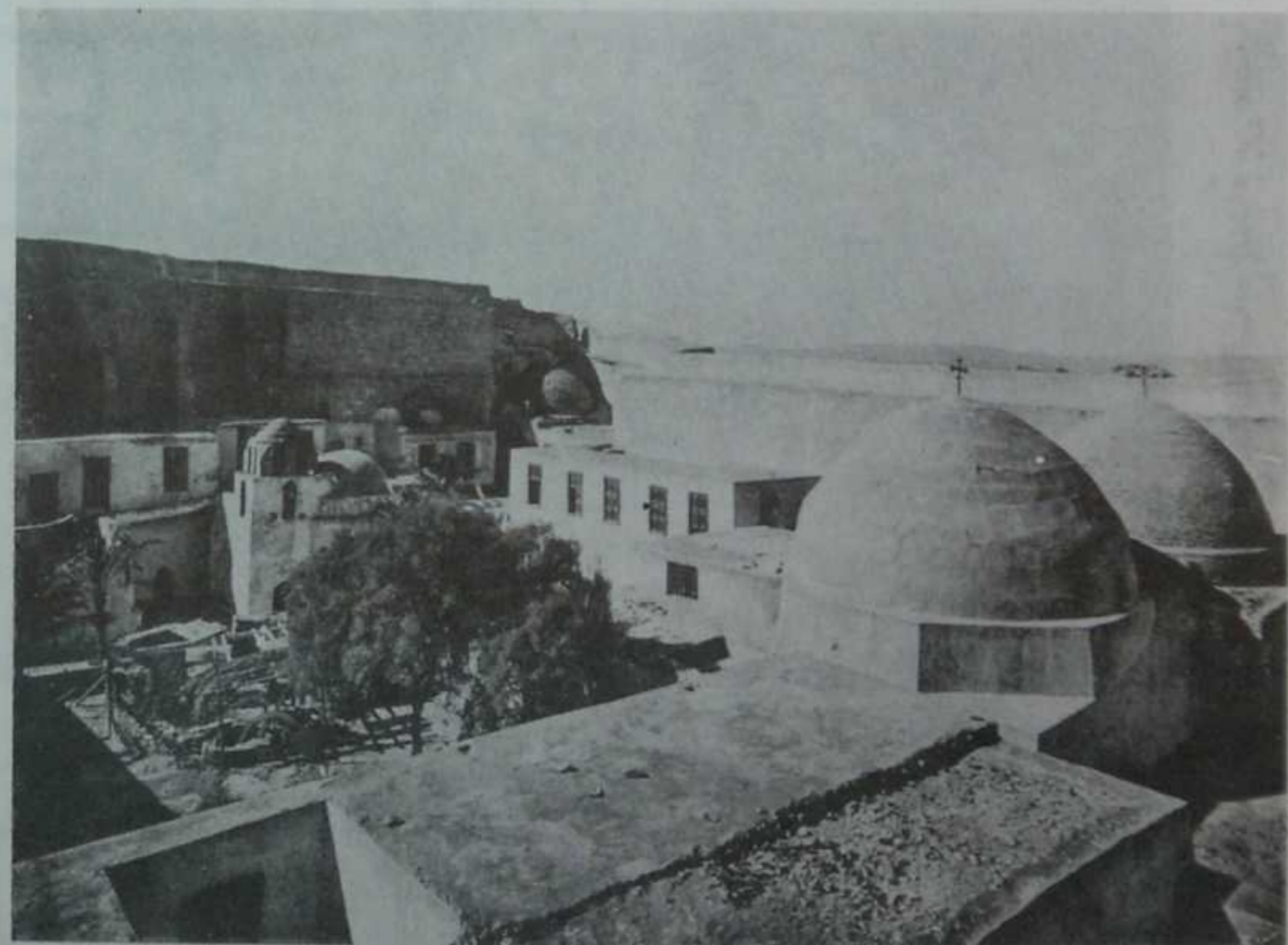
٣٠ - صورة فوتوغرافية بيد إفلين هويت سنة ١٩٢٠م،
وفيها تظهر كنيسة أنبا مقار قبل تعديل صحنها من خورس واحد. ويظهر فيها قصر الضيافة (سنة ١٩٢٠).



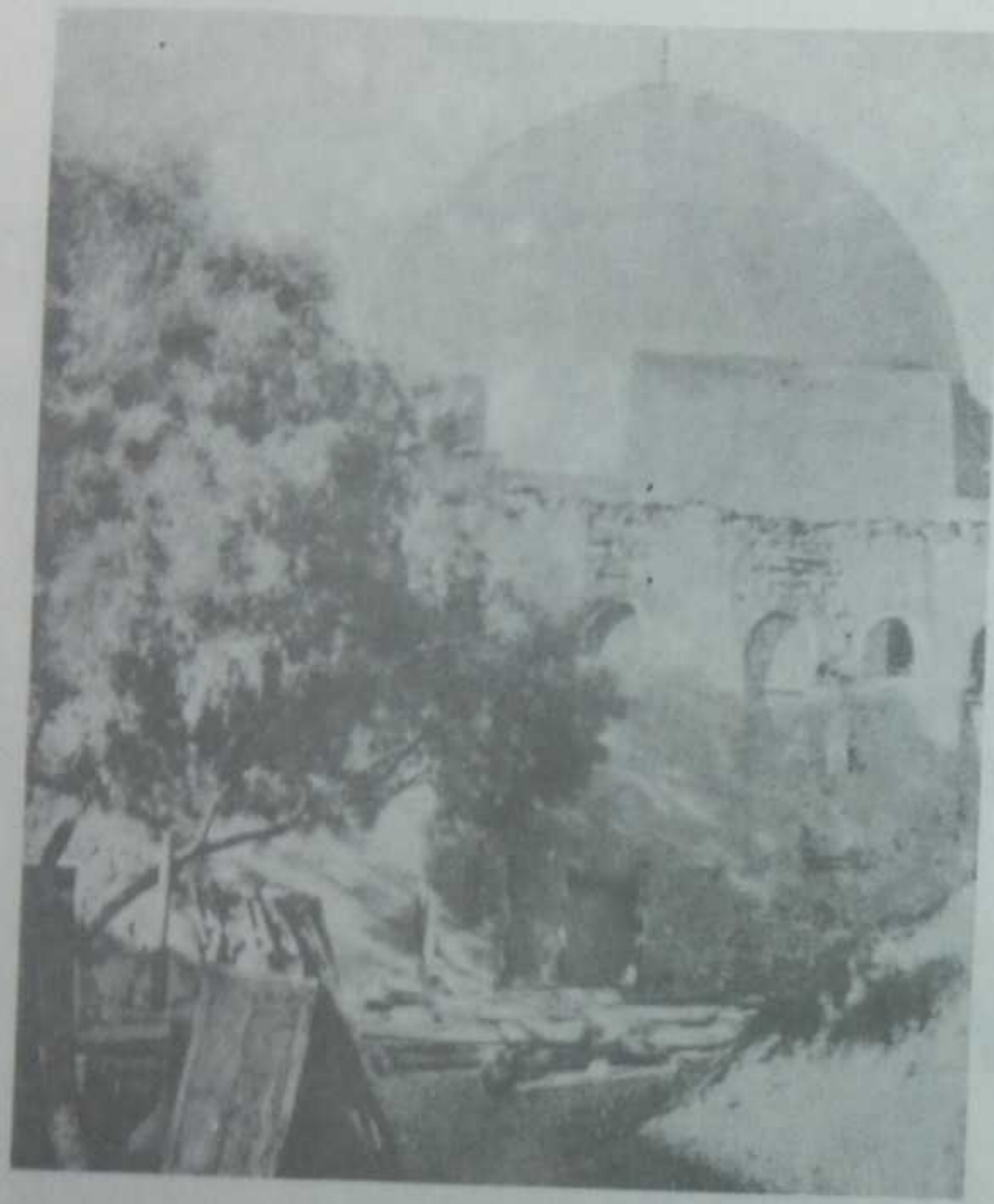
٣١ - صورة فوتوغرافية بيد إفلين هويت سنة ١٩٢٠م،
وفيها يظهر جزء الدير القبلي وبه الحطابة والجباسة القديمة والطاحون وحظيرة البهائم والمطبخ والمخيز
وهي التي أزيلت فيما بعد حوالي سنة ١٩٢٨م، وزرعت حديقة سنة ١٩٥٢م.



٢٨ - منظر خارجي من الزاوية القبليّة الشرقية، وفيه يظهر للدير بوابتان في السور الشرقي:
واحدة بحري الحصن والأخرى قبلي الحصن. والصورة مأخوذة بيد إفلين هويت سنة ١٩٢٠م.

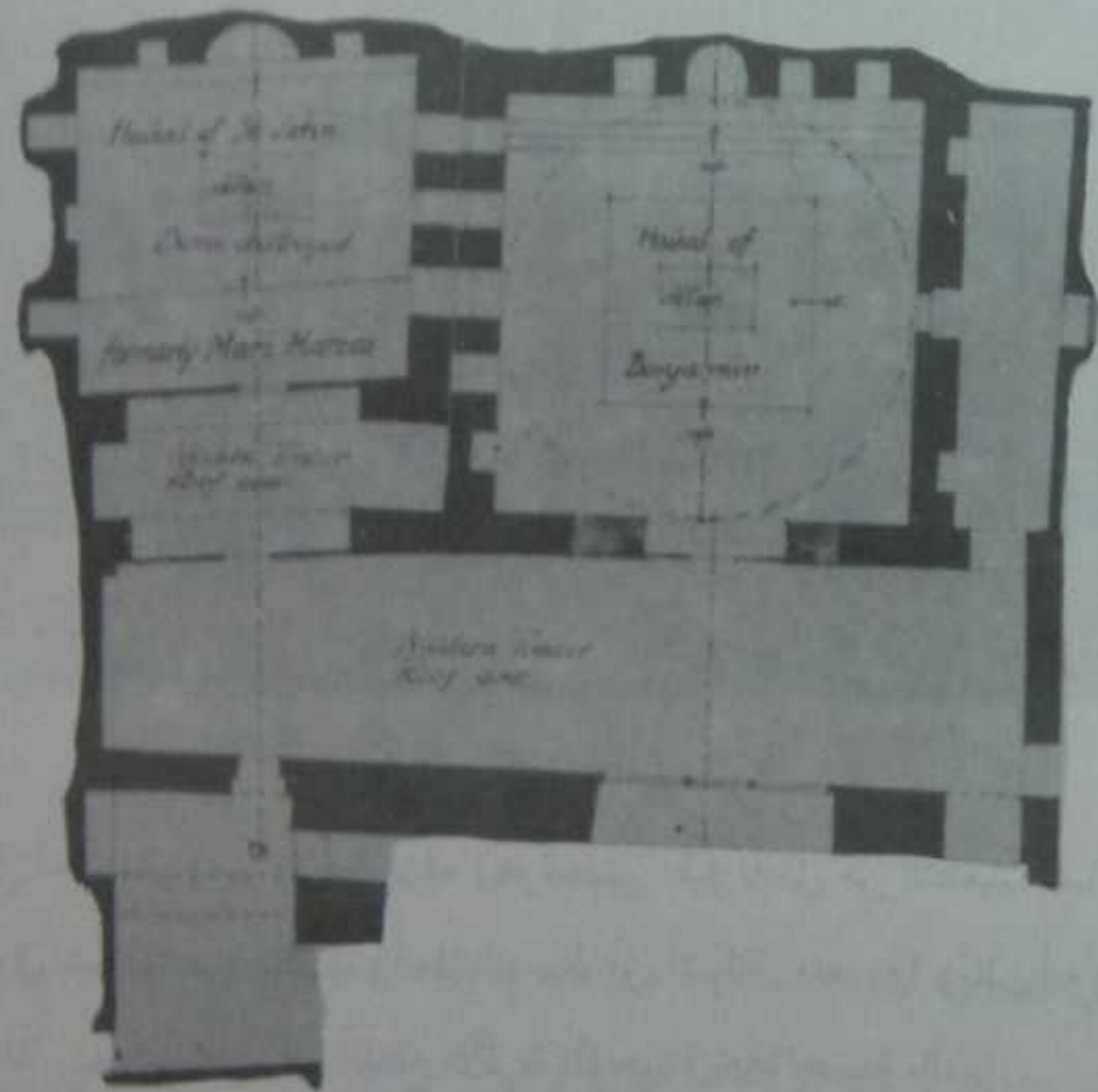


٢٩ - صورة فوتوغرافية بيد إفلين هويت سنة ١٩٢٠م،
بعد أن قام الرهبان بترميم قبة هيكل يوحنا المعمدان (سابقاً مار مرقس)
التي كانت قد تهدمت في عصر سابق. وتظهر كنيسة أنبا مقار بخورس واحد قبل الإصلاحات الأخيرة.



٣٤ - كنيسة أنبا مقار

صورة قديمة سنة ١٩١٠ م، وتظهر فيها قبة أنبا بنيامين بوضوح، وكانت شبايبكها لا تزال مفتوحة. ويلاحظ القارىء أنها كانت عالية شاهقة بمسافة كبيرة بينها وبين سطح الخورس.



٣٥ - كنيسة أنبا مقار

مسقط أفقي تظهر فيه الكنيسة في وضعها القديم عندما كانت ذات خورس واحد. ويلاحظ القارىء أبواب جدران الهيكل التي تفتح على هيكل يوحنا المعمدان من الجهة البحرية وهيكل (المجلس) من الجهة القبليّة. كما يلاحظ القارىء خارج الخورس الأول من الجهة البحرية بقايا قاعدة دعامة كانت تحمل قبواً طولياً بامتداد الغرب كان خاصاً بهيكل يوحنا المعمدان.



٣٢ - كنيسة أنبا مقار

صورة رائعة قديمة للكنيسة صوّرها بالمرجونس سنة ١٩١٠. وفيها تظهر الكنيسة بحالتها الأولى من خورس واحد وقبة واحدة، مع بروزات في الخورس من الجهة الغربية تشير إلى الإمتدادات القديمة نحو الصحن الكبير الذي كان ممتداً حتى كنيسة الشيوخ. ويلاحظ القارىء وجود الساقية بوضوح.



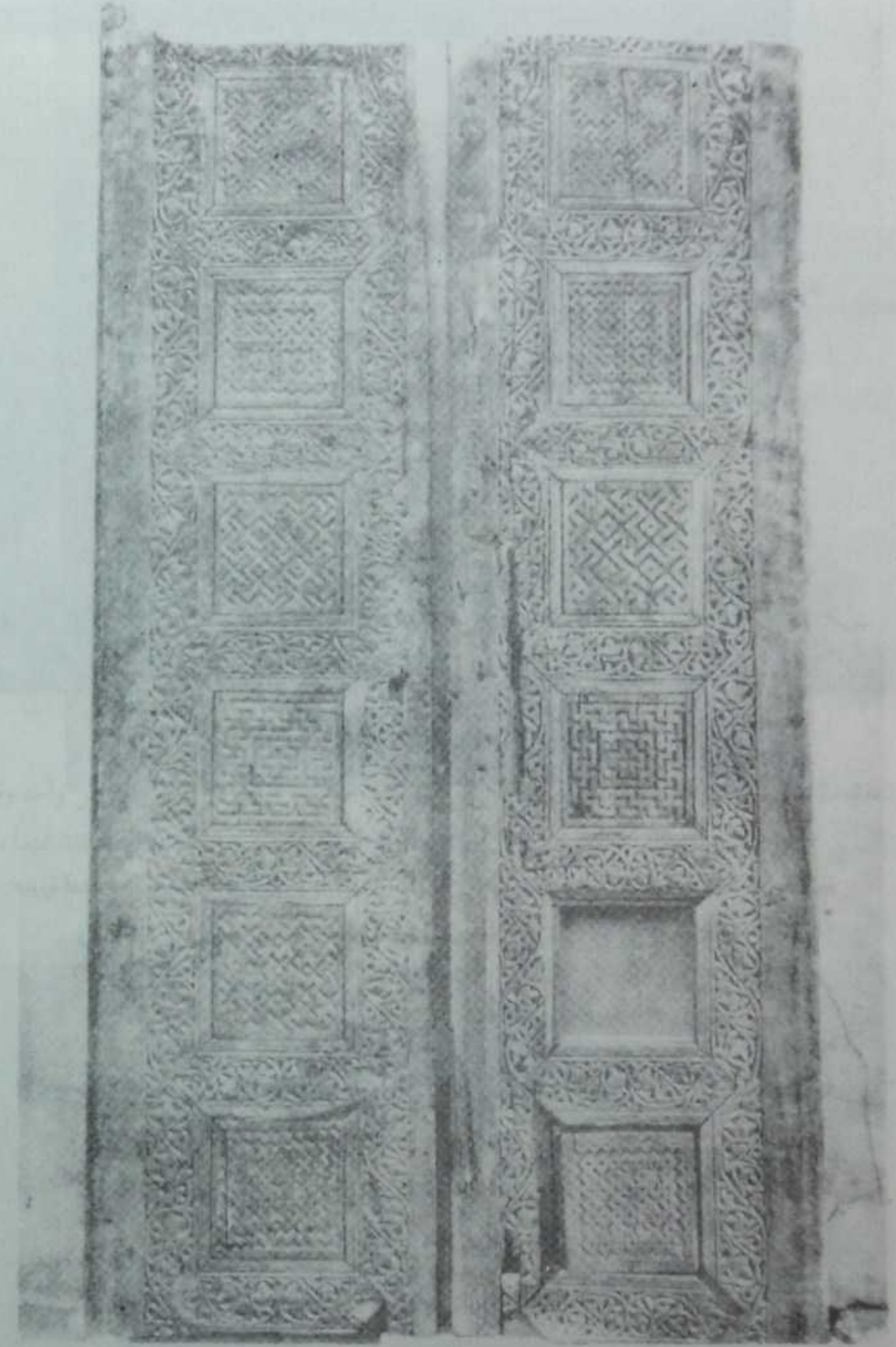
٣٣ - كنيسة أنبا مقار

صورة قديمة سنة ١٩١٠ م، ويظهر فيها قبة أنبا بنيامين فقط إذ كان وقتئذ هيكل يوحنا المعمدان بلا قبة.



٣٧ - كنيسة أنبا مقار

عقد الهيكل. والظاهر في الصورة أيقونة مستديرة من عدد الأيقونات البالغ عددها ٩ على مدى القوس الكبير، وقد ظهرت جميعها الآن بعد أن أزيلت الأكتاف التي قام الرهبان قديماً ببنائها للقبّة التي كانت في حالة تداعي. الصورة هنا تمثل القديس يوسف الرامي والقديس نيقوديموس وهما يحفظان جسد الرب بعد أن أنزلاه عن الصليب.



٣٦ - كنيسة أنبا مقار

الصورة تبين باب هيكل أنبا مقار (هيكل بنيامين)، وهو بنقش دقيق خالي من التطعيم، عبارة عن وحدات متناظرة على الضلفتين تتدرج في شكلها من صليب واحد متوسط إلى أشكال متعددة؛ ويُظن أنه من القرن الثاني عشر، ويعتبر من أثن القطع الأثرية الموجودة بحالة حسنة بالدير.



٣٩ - كنيسة أنبا مقار - هيكل أنبا بنيامين

جزء من رسم حائطي اكتشف أخيراً في أعلى الحائط الغربي أثناء ترميم وتوسيع كنيسة أنبا مقار، يمثل «الدينونة». و يرى في منتصف الرسم صورة السيد المسيح يمسك كتاباً وعن يمينه وعن يساره ملاكان، بينما يظهر جزء من صور التلاميذ الإثني عشر الذين يصطفون على يمين و يسار السيد المسيح

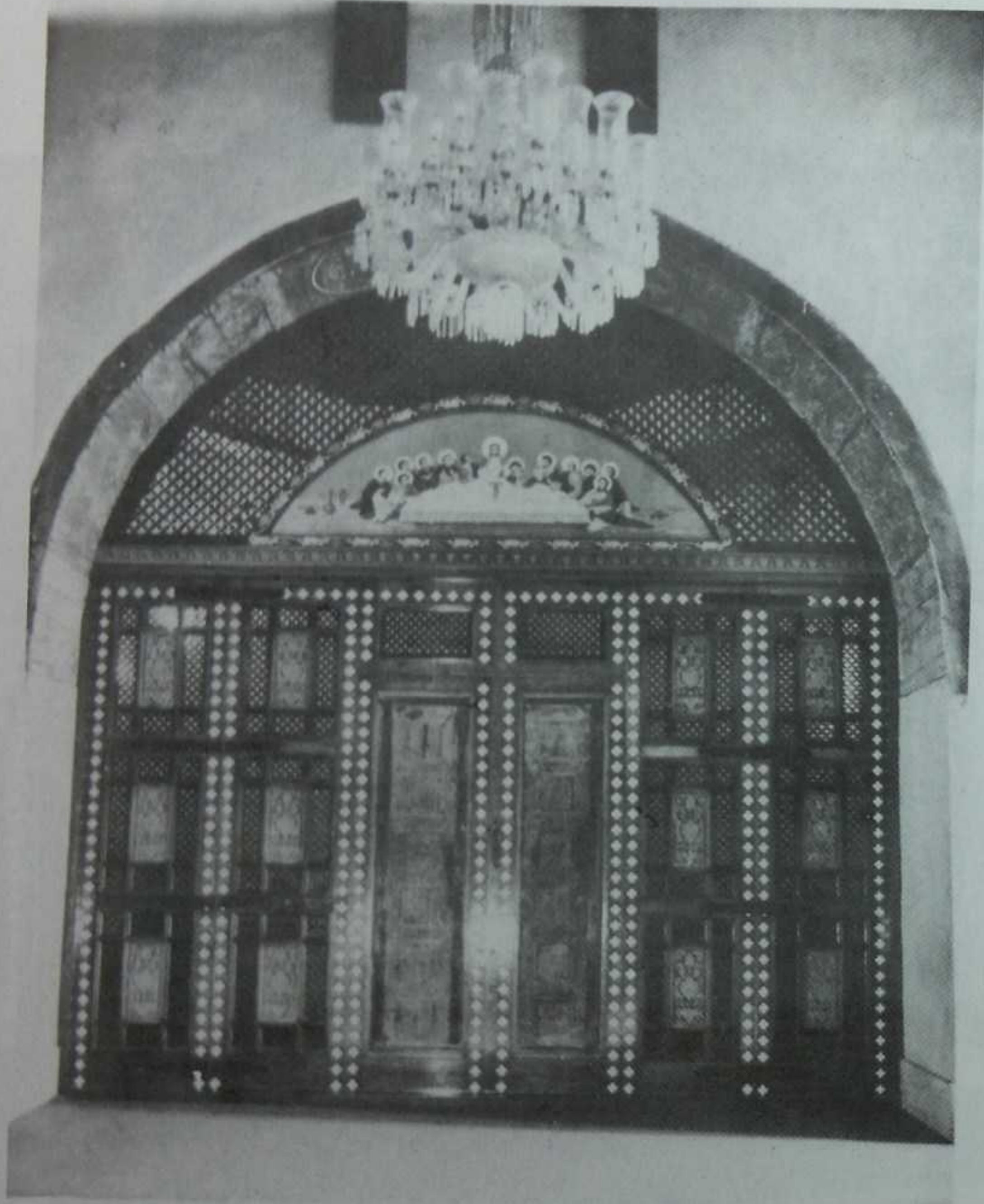


٤٠ - جزء من الرسم الحائطي لأيقونة «الدينونة» يمثل بعض الرسل الإثني عشر عن يمين المسيح.



٣٨ - كنيسة أنبا مقار

عقد الهيكل . والظاهر في الصورة أيقونة مستديرة من الأيقونات التسع . وهي تمثل القديسين يوسف الرامي ونيقوديموس وهما يحملان جسد الرب ذهاباً إلى بستان جشيماني .



٤٢ - حجاب هيكل أنبا بنيامين (الهيكل الأوسط)

وقد ظهر الآن بكامل اتساعه بعد تقوية قبة الهيكل وتدعيمها بالخرسانة المسلحة فأمكن إزالة الدعامات الحجرية التي أقيمت في القرن الماضي وكانت سبباً لاختزال اتساعه. يتكون الحجاب من ١٢ حشوة خشبية أثرية من القرن ١١/١٠ (أنظر تفاصيل واحدة منها في صورة رقم ٦٦). ويحيط بكل حشوة إطار حديث من الخشب المقرغ بشكل صلبان، يتوسطها باب قديم يرجع أيضاً إلى نفس العصر. وقد قام بتنفيذه وكذلك سائر أحجية الهياكل في ورش الدير نجار قبطي من صعيد مصر.

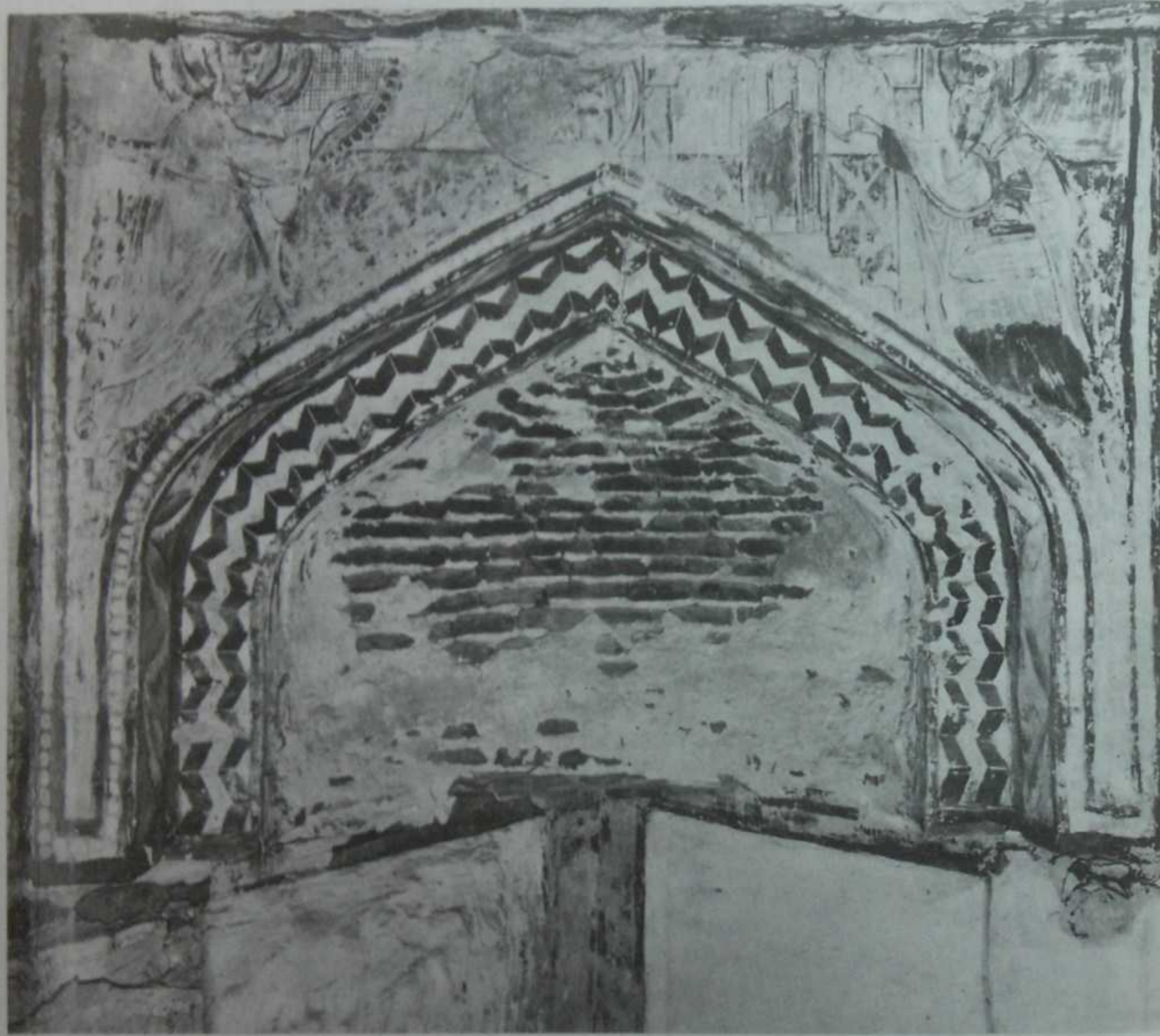
لاحظ أيضاً الصورة الزيتية للعشاء الرباني التي تعتمد عناصرها على التقليد الإنجيلي والعبري لوليمة الفصح اليهودي



٤١ - كنيسة أنبا مقار - هيكل أنبا بنيامين

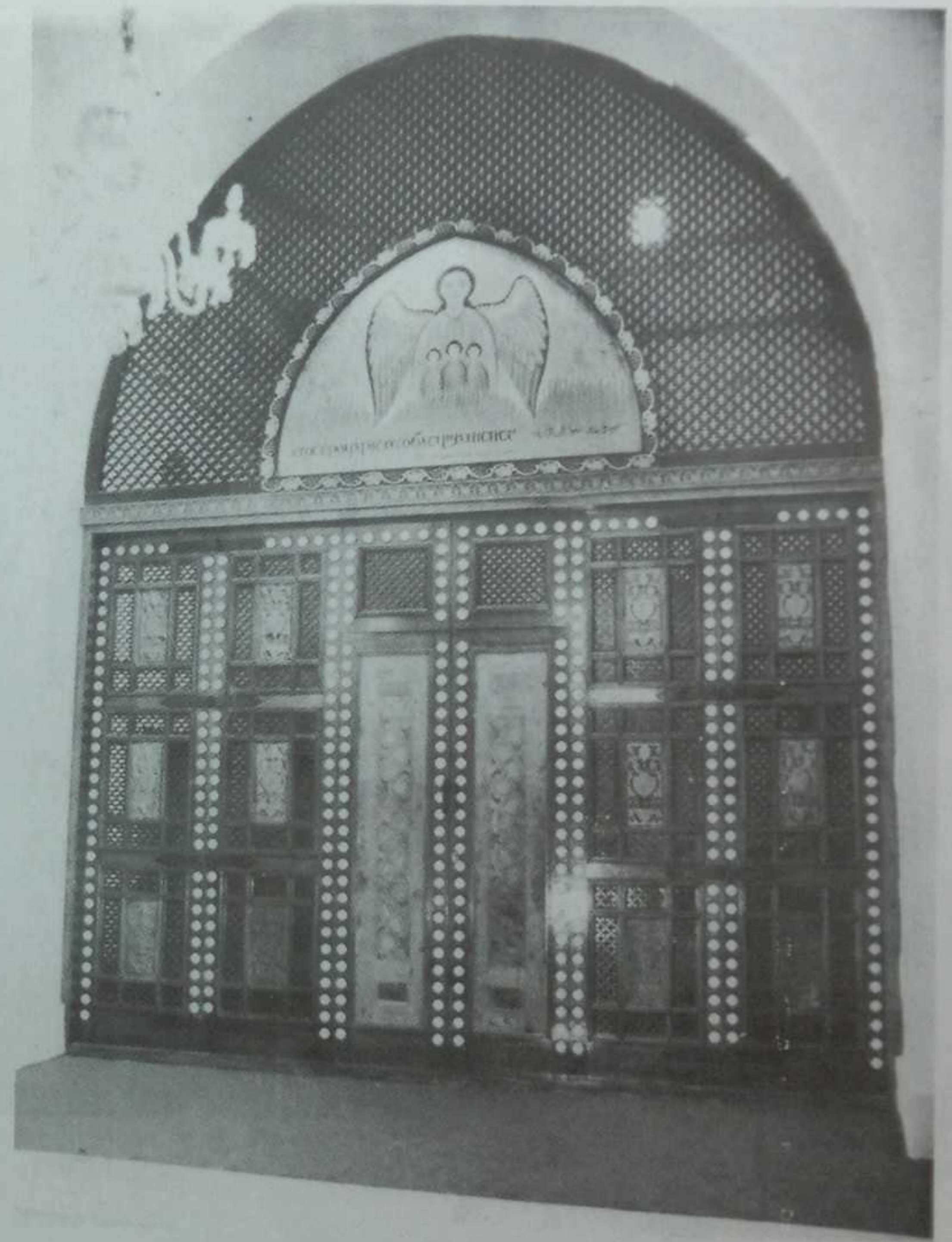
رسم حائطي اكتشف حديثاً يمثل الشهيد مار مينا والشهيد إقلادبوس وبعض الكتابات باللغة القبطية.

(أنظر هامش ٢٩ ص ٦٣٦ و٦٣٧).



٤٤ — كنيسة أنبا مقار — هيكل يوحنا المعمدان (صورة مأخوذة بعد بناء القبة)

الصورة تحددها الزاوية الشرقية القبليّة. وكل ما كان مصوراً داخل المقبب فقد بسقوط طبقة البياض؛ أما فوق المقبب فعلى الركن الأيمن، يُرى زكريا الكاهن وهو ماسك مبخرة، واقفاً على درج هو درج الهيكل طبعاً؛ أما في الركن الأيسر فيُرى ملاك بهي ووجهه مضيء جداً بجلال هو الملك جبرائيل يبشر بميلاد يوحنا المعمدان. وتُعتبر هذه الصورة أو الأيقونة الحائطية بمثابة عنوان للهيكل كله.



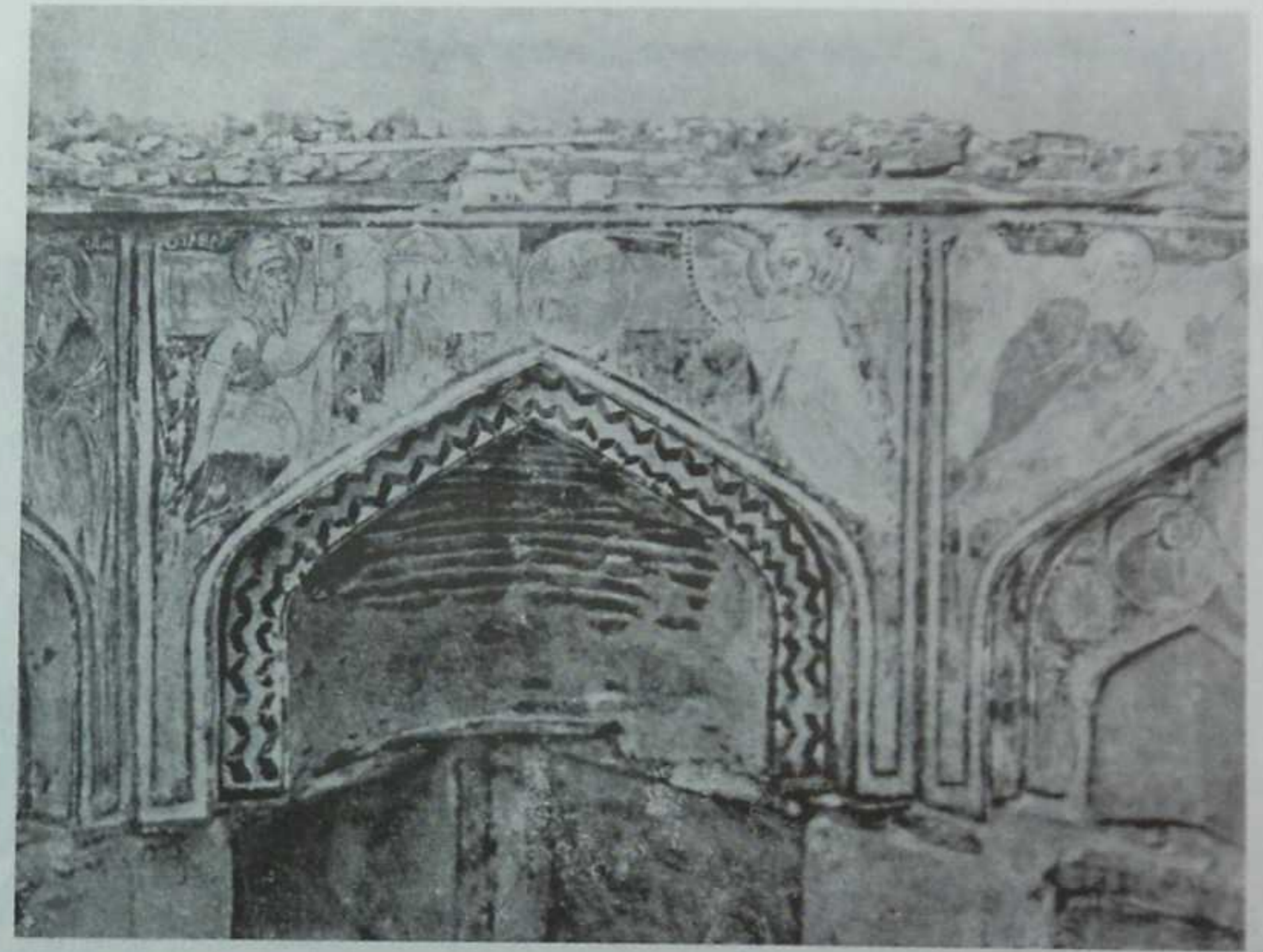
٤٣ — حجاب هيكل الثلاثة فتية (الهيكل القبلي)

مكوّن من ١٢ حشوة قديمة مماثلة للموجودة في حجاب أنبا بنيامين، يتوسطه باب من صلفتين يرجع إلى العصر التركي كان في هيكل كنيسة العذراء بمحسن الدير. وعلو الحجاب صورة زيتية للثلاثة فتية في أتون النار محتضنهم الملك، مأخوذة عن رسومات ترجع للقرن ٦/٤ في دير باو بط بصعيد مصر.



٤٧ - كنيسة أنبا مقار - هيكل يوحنا المعمدان (صورة مأخوذة بعد بناء القبة)

الصورة تحدها الزاوية البحرية الغربية، وتمثل في أسفلها النهائي من جهة اليمين القديس باخوميوس وعلى يمينه لوحه المشهور الذي يرمز إلى قوائمه الرهبانية التي استلمها من الملاك؛ ويجوار أذنه اليمنى مباشرة ثلاثة مفاتيح معا وهي تمثل مفاتيح معرفة طريق «الثالوث» المؤدي إلى الحياة الأبدية؛ وفي أسفلها من جهة اليسار صورة لإنسان يُظن أنه يمثل شخصية من شخصيات العهد القديم. وفي داخل المقبب توجد ملامح لصورة تمثل القيامة؛ وهذا هو الرأي المرجح لعالم القبطيات الأب Jules Leros؛ وفوق المقبب من اليمين صورة يعقوب وبجواره السلم تعبيراً عن حلمه المشهور الذي فيه رأى السماء مفتوحة. أما فوق المقبب من اليسار فتوجد صورة مقابلة لهذا المعنى في العهد الجديد وهي غالباً لنثنائيل وفيلبس وهو يدعو ليعلم من الرب: «من الآن ترون السماء مفتوحة وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الإنسان.» (يو ١: ٥١).



٤٥ - كنيسة أنبا مقار - هيكل يوحنا المعمدان (صورة مأخوذة قبل بناء القبة سنة ١٩١٠)

وهي لبشارة زكريا الكاهن بميلاد يوحنا المعمدان



٤٦ - صليب من الرخام بالحفر تحيط به نقوش بديعة. ويُلاحظ وجود طائرين (ربما حمامتان) على جانبي الصليب من أسفل. ويُظن أنه كان ضمن نقوش إمسا لقسان أو مذبح. وهو محفوظ الآن بالمتحف.



٤٩ - كنيسة أنبا مقار - هيكل يوحنا المعمدان (صورة مأخوذة قبل بناء القبة سنة ١٩١٠م)
وفيها جميع ملامح صورة البشارة واضحة غاية الوضوح.

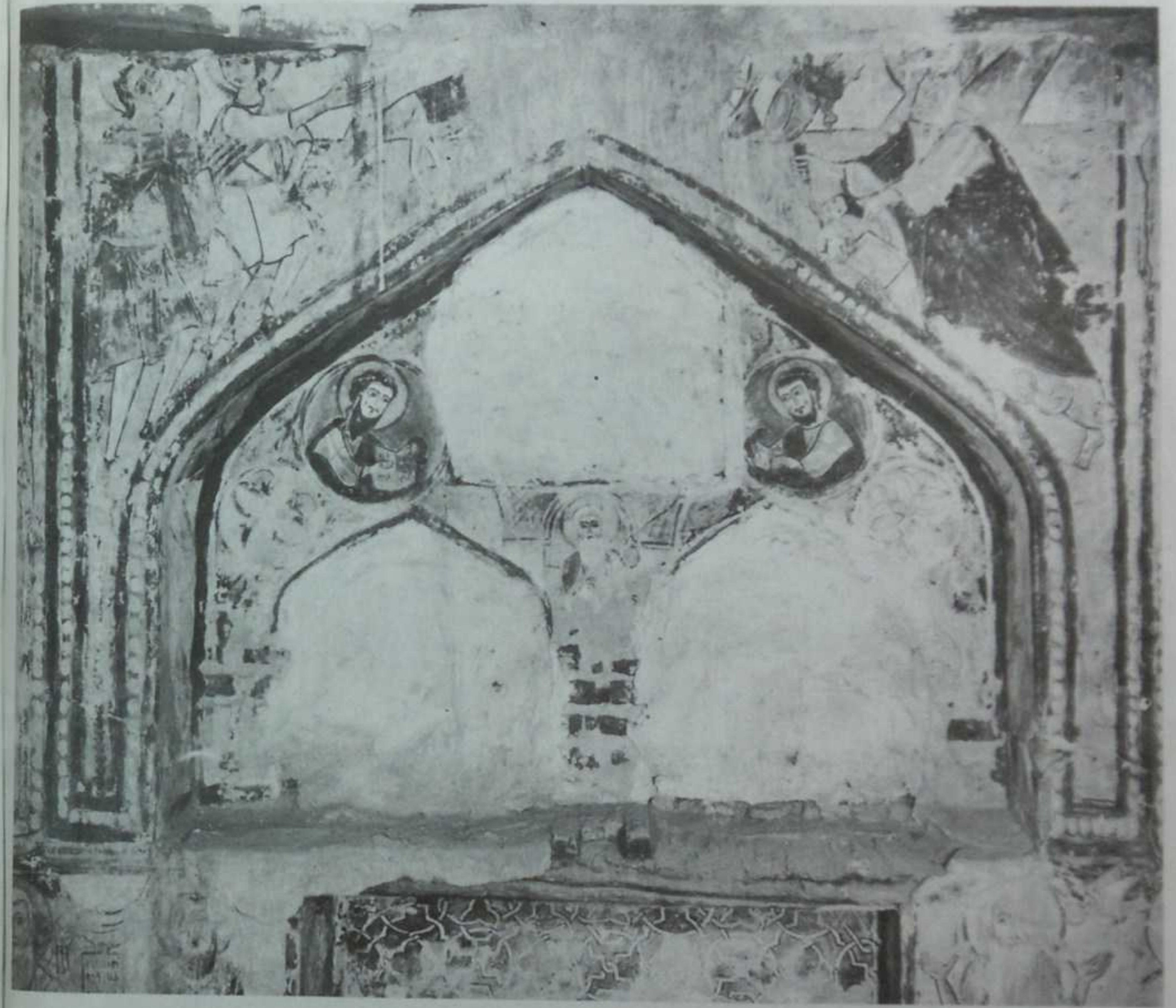


٤٨ - كنيسة أنبا مقار - هيكل يوحنا المعمدان (صورة مأخوذة بعد بناء القبة)
الصورة تحدد زاوية الزاوية الشرقية البحرية. وتمثل في أسفلها من جهة اليمين الشاروبيم ذا الستة الأجنحة؛ أما عن جهة اليسار فيظهر رأس القديس أنبا أنطونيوس؛ وداخل المقبب صورة الميلاد غير واضحة المعالم.
هنا وفوق المقبب من اليمين صورة العذراء جالسة على كرسي بوجه مشرق جميل الملامح غاية الجمال بمسحة قبطية رائعة تخلو من أي أثر للروح البيزنطية التقليدية، وفوق المقبب من اليسار يظهر ملاك البشرى بوجهه المضيء البهي وأجنحته الجميلة المزخرفة. ويلاحظ القارئ أن أجزاء من الرأس غير ظاهرة وذلك بسبب عملية بناء القبة. وإذا عاد القارئ للوحة التالية (رقم ٤٩) وهي مأخوذة قبل بناء القبة فسوف يجد جميع المعالم واضحة غاية الوضوح.



٥١ - كنيسة أنبا مقار - هيكل يوحنا المعمدان (صورة مأخوذة بعد بناء القبة)

الصورة تحددتها الزاوية القبليّة الغربيّة. وهي ضعيفة الملامح لا يظهر منها بوضوح إلا الملاكان وهما ممسكان بيد شخص مختفي، وهو بالطبع لوط (داخل الباب). والصورة في الركن الأيسر فوق المقبب.



٥٠ - كنيسة أنبا مقار - هيكل يوحنا المعمدان (صورة مأخوذة بعد بناء القبة)

والصورة تحددتها الجهة البحرية. وهي تمثل:

أولاً: في أسفل الصورة من اليمين: أنبا بولا.

ثانياً: في أسفل الصورة من اليسار: كل من أنبا باخوميوس وأنبا شتودة.

ثالثاً: داخل العقد: ثلاثة من الإنجيليين.

رابعاً: فوق العقد من اليمين: إبراهيم يذبح إسحق.

خامساً: فوق العقد من اليسار: الغلامان اللذان اصطحبها إبراهيم ومعها الدابة واضحة في اليسار.



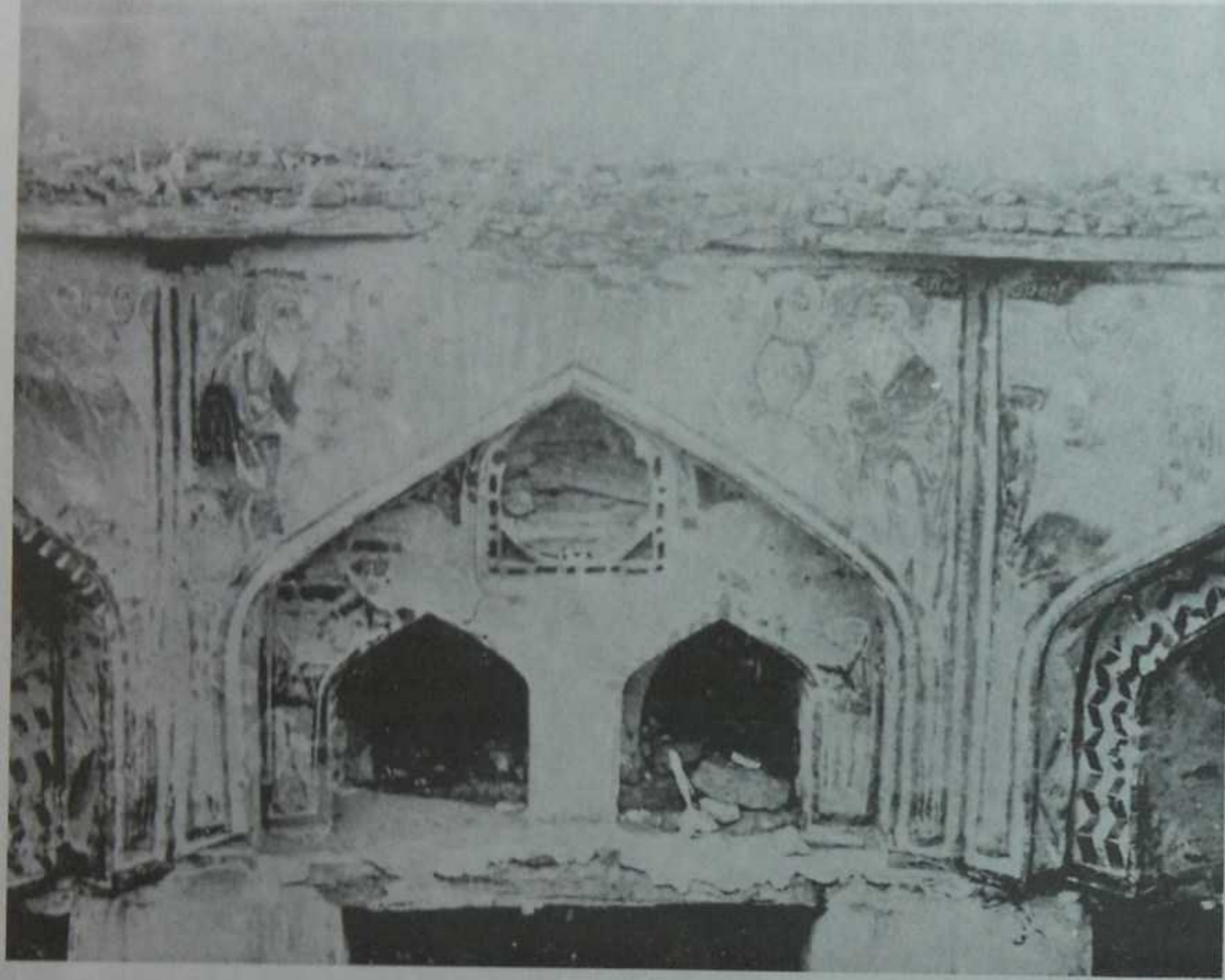
٥٣ — كنيسة أنبا مقار — هيكل يوحنا المعمدان (صورة مأخوذة قبل بناء القبة سنة ١٩١٠)
وفيهما يظهر السيد المسيح والسيدة العذراء والقديس يوحنا المعمدان ومن فوق هرون الكاهن وموسى النبي.



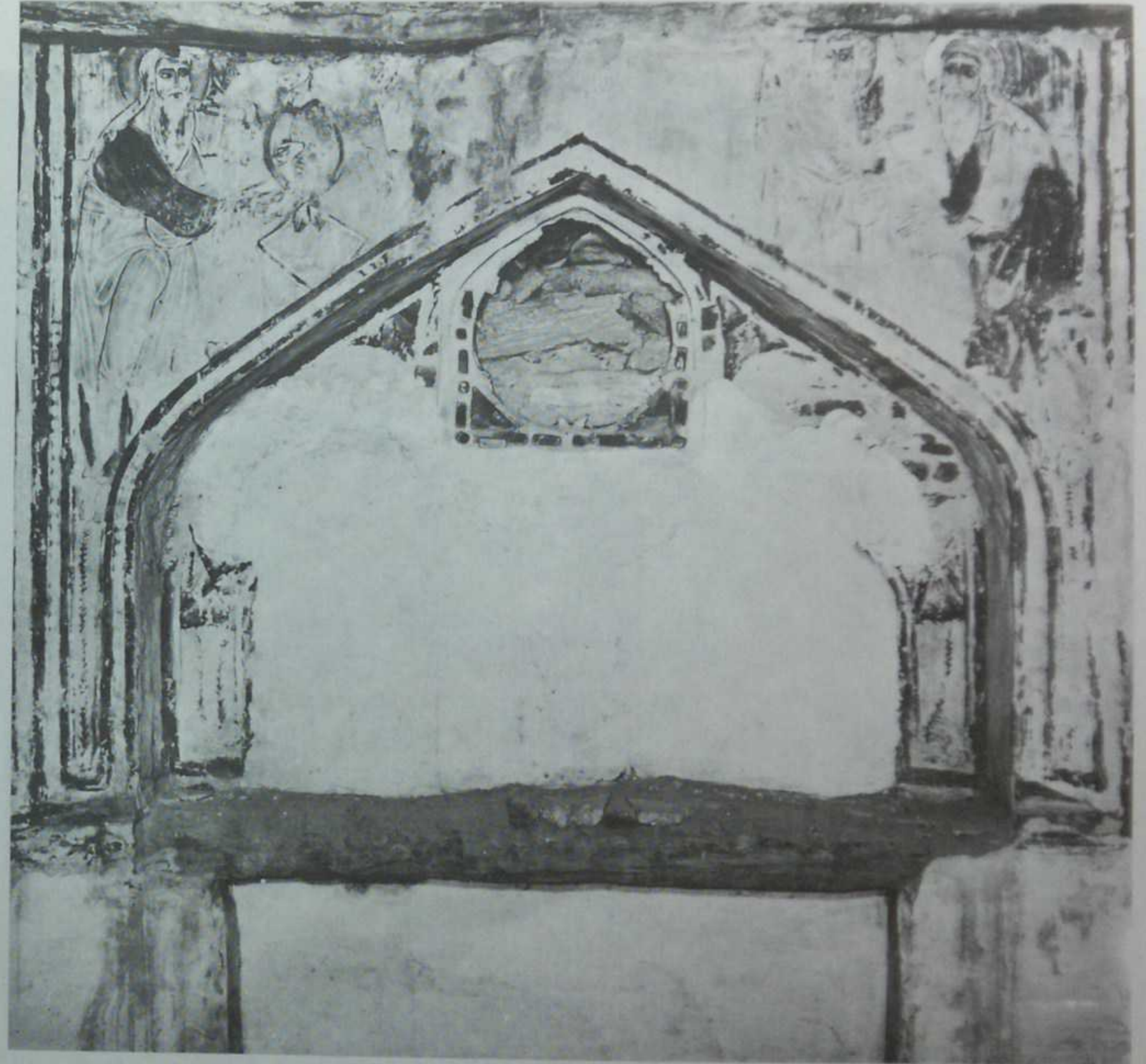
٥٢ — كنيسة أنبا مقار — هيكل يوحنا المعمدان (صورة بعد بناء القبة)

الصورة تحددتها الجهة الشرقية . و يظهر فيها :

- ١ — داخل العقد ثلاثة وجوه : للسيد المسيح ، والسيدة العذراء ، والقديس يوحنا المعمدان وهما في وضع التضرع والشفاعة .
- ٢ — فوق العقد من اليمين و يُظن أنها صورة هارون الكاهن .
- ٣ — وفوق العقد من اليسار و يُظن أنها صورة لموسى النبي وأمامه ما يشبه لوحى العهد .



٥٥ - كنيسة أنبا مقار - هيكل يوحنا المعمدان (صورة مأخوذة قبل بناء القبة سنة ١٩١٠)
وهي نفس اللوحة السابقة ولكن أكثر وضوحاً. فالساروفيم ظاهر بوجهه الإنساني وجسده الذي يشبه الطائر.



٥٤ - كنيسة أنبا مقار - هيكل يوحنا المعمدان (صورة مأخوذة بعد بناء القبة)
والصورة تحدها الجهة القبلية. وتمثل فوق العقد من جهة اليمين ملكي صادق وهو يعضد إبراهيم بخبز وكأس خمري بعد عودته من كسرة
كذرتلغومر؛ والمقابل له من الجهة اليسرى إشعياء النبي وهو يتقبل من الساروفيم (على شكل طائر واقف على قاعدة) جرة النار
المسوكة بالمقاط.



٥٦ — كنيسة أنبا مقار — هيكل يوحنا المعمدان (صورة بعد بناء القبة)
الصورة المحددها الزاوية البحرية الشرقية. وتمثل مجموعة داخل القبة: المجموعة التي وهي لرعاة يظهر واحد منهم مسكاً بزمار يبرههم الملاك
بميلاد الخلفي، والمجموعة اليسرى وهي للملاك الذي ظهر للمجوس بخبرهم من الرجوع إلى هيرودس.



٥٧ — صورة مكبرة لشخص من أشخاص المجوس الذين يخاطبهم الملاك في اللوحة رقم ٥٦.



٥٩ - كنيسة أنبا مقار - هيكل يوحنا المعمدان
صورة مكبرة للملاك الذي ظهر للمجوس كما جاء في اللوحة رقم ٥٦ .



٦٠ - كنيسة أنبا مقار - هيكل يوحنا المعمدان
صورة مكبرة للملاك الذي بشر الرعاة وتبدو ملامح وجه الملاك غاية في الهيبة والوقار. أنظر لوحة رقم ٥٦ .



٥٨ - كنيسة أنبا مقار - هيكل يوحنا المعمدان
صورة مكبرة لشخص من الرعاة الذين يبشرهم الملاك وهو يرى ماسكاً بجزء من رداءه كقطنس رعاة الأغنام كما جاء في اللوحة رقم ٥٦ .



٦٢ - كنيسة أنبا مقار - هيكل يوحنا المعمدان
صورة مكبرة لذكرى الكاهن ممسكاً بالمبخرة كما جاءت في صورة البشارة لوحة رقم ٤٥ .



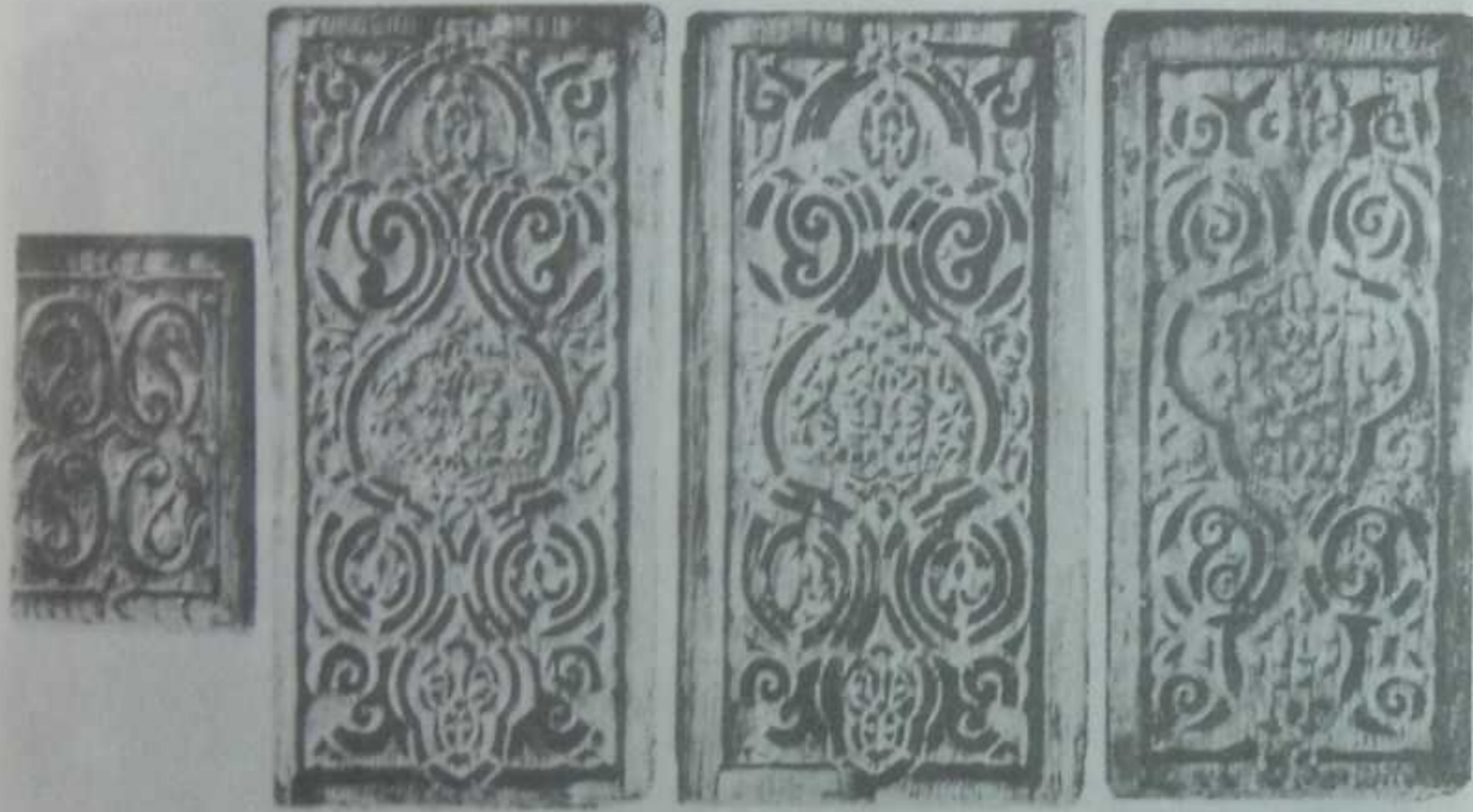
٦١ - كنيسة أنبا مقار - هيكل يوحنا المعمدان
صورة مكبرة للسيد المسيح كما جاءت في اللوحة رقم ٥٢ .



٦٤ - كنيسة أنبا مقار - هيكل يوحنا المعمدان
صورة مكبرة للسيدة العذراء كما جاءت في اللوحة رقم ٥٢.



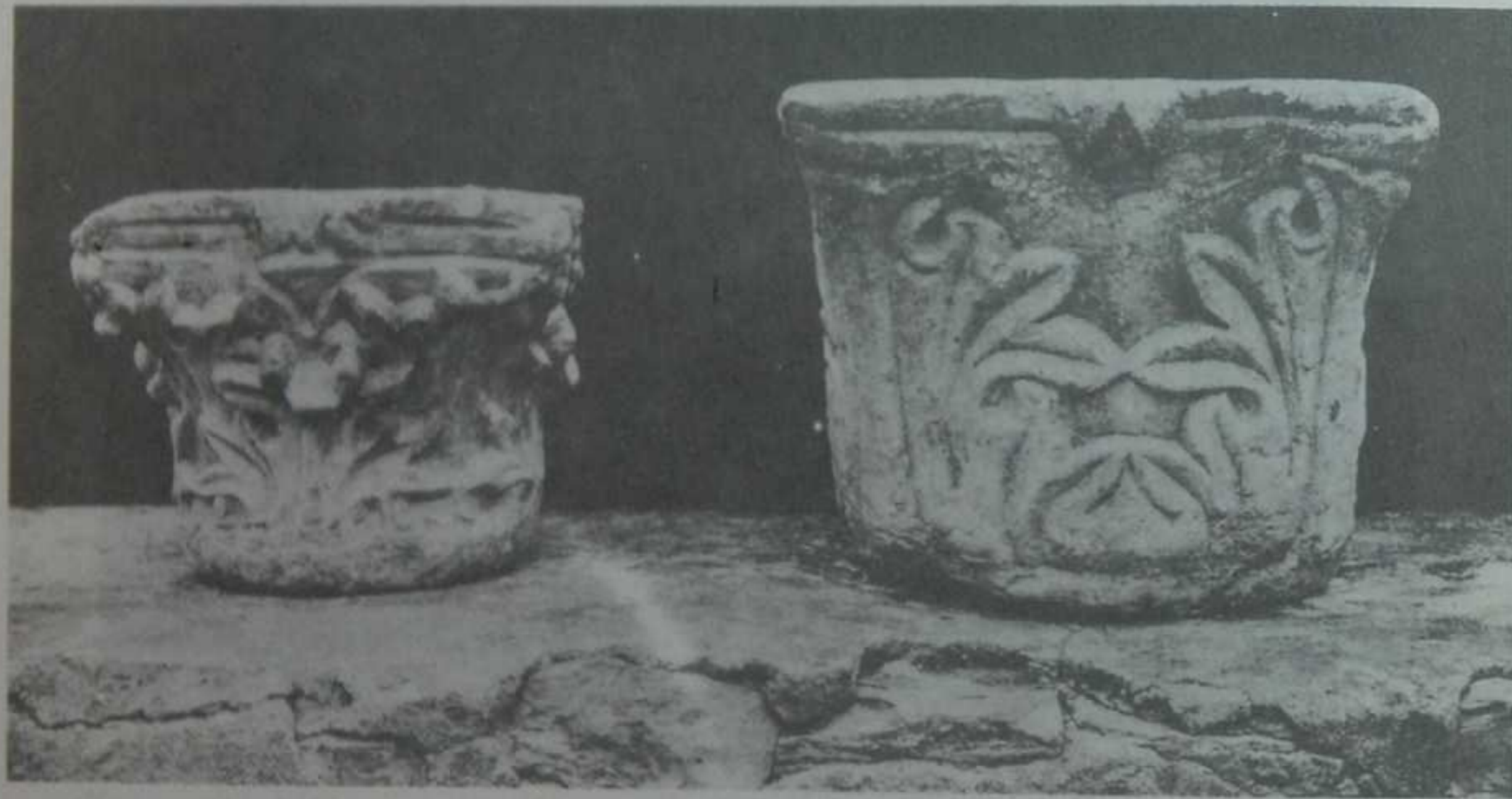
٦٣ - كنيسة أنبا مقار - هيكل يوحنا المعمدان
صورة مكبرة للسيدة العذراء وهي تتقبل البشارة من الملاك كما جاءت في اللوحة رقم ٤٨.



٦٦ - حشوات (Panels) من حجاب هيكل أنبا مقار.
من القرن الثاني عشر وهي من روائع الحفر على خشب الجميز.



٦٥ - كنيسة أنبا مقار - هيكل يوحنا المعمدان
صورة مكبرة لأحد الإنجيليين كما جاءت في اللوحة رقم ٥٠.

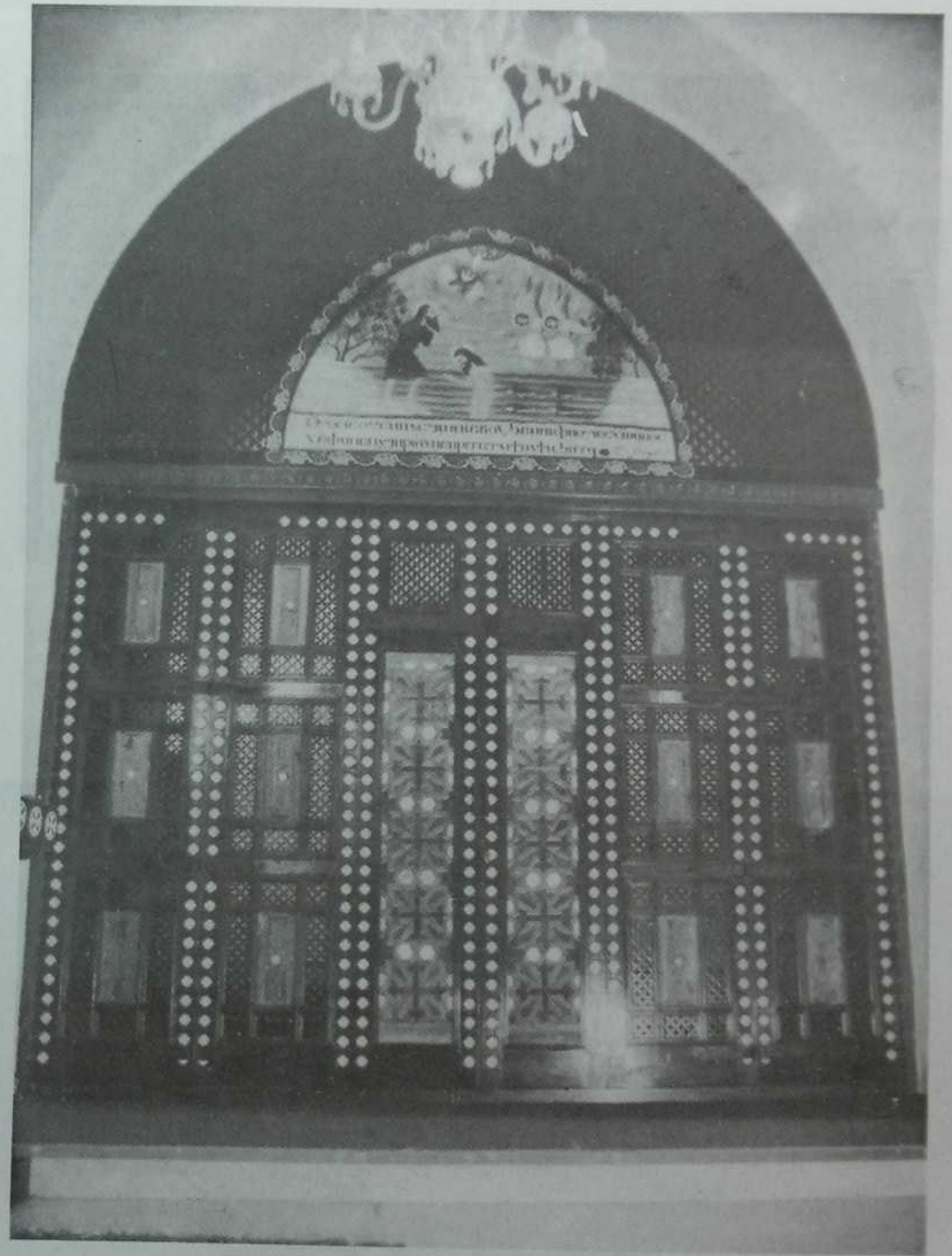


٦٧ - تيجان أعمدة من آثار صحن كنيسة أنبا مقار الكبرى



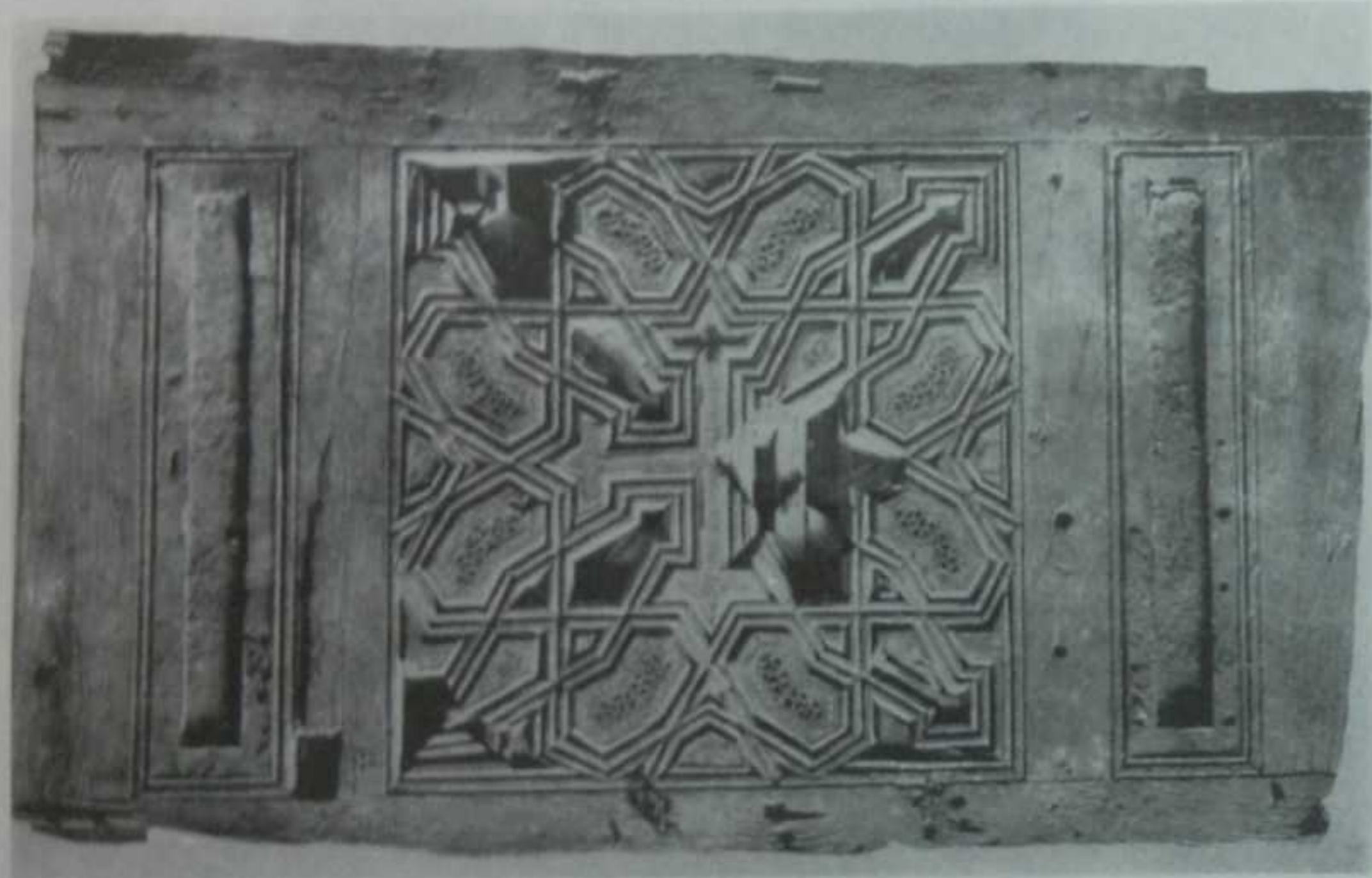
٦٩ - الحصن : بئر السلم

صورة مأخوذة بيد إفلين هويت سنة ١٩٢٠م، و يظهر فيها قبو السلم وهو نصف إسطواني من الطوب الأحمر المكشوف .
و يلاحظ القارىء فن بناء القبو بطريقة لا يحتاج فيها البناء إلى فورمة .



٦٨ - حجاب هيكل القديس يوحنا المعمدان (الهيكل البحري)

يتكون من ١٢ حشوة قديمة من خشب الأبنوس المطعم بالعاج الأبيض المنقوش نقشاً دقيقاً كانت قبلاً ضمن بقايا حجاب قديم
بكنيسة الملاك ميخائيل بالحصن . ويرجع تاريخها وكذلك الباب الذي يتوسطها إلى ق ١٣/١٤ . والشكل العام يشابه مثيله في
حجاب هيكل أنبا بنيامين ، و يعلوه صورة زيتية لعماد السيد المسيح مأخوذة عن مخطوطة قبطية لمطران دمياط في ق ١٢ ومحفوفة
بالمكتبة الأهلية بباريس .



٧١ - الحصن : كنيسة الملاك ميخائيل بالطابق الثالث
قطعة خشبية مطعمة بالعاج و يبدو أنها مأخوذة من حجاب هيكل كنيسة الملاك ميخائيل .



٧٠ - الحصن : كنيسة الملاك ميخائيل بالطابق الثالث

(قبل عمل سقف بالخرسانة المسلحة للطابق الثالث بالحصن)

صورة فوتوغرافية مأخوذة بيد إفلين هوايت سنة ١٩٢٠م، وفيها يظهر الطراز البازيليكي بوضوح: الصحن في الوسط والجناحين على جانبي الصحن طولياً على أعمدة رخامية، كما يظهر الجزء الغربي من الكنيسة وهو مقتطع من دهليز الطابق الثالث من الحصن. و يُرى في الصورة كل خورس ببابه.



٧٣ - الحصن : كنيسة الملاك ميخائيل بالطابق الثالث
و يظهر في الصورة الرسوم على الحائط القبلي وهي للقواد الحارثيين القديسين المذكورة أسماؤهم .



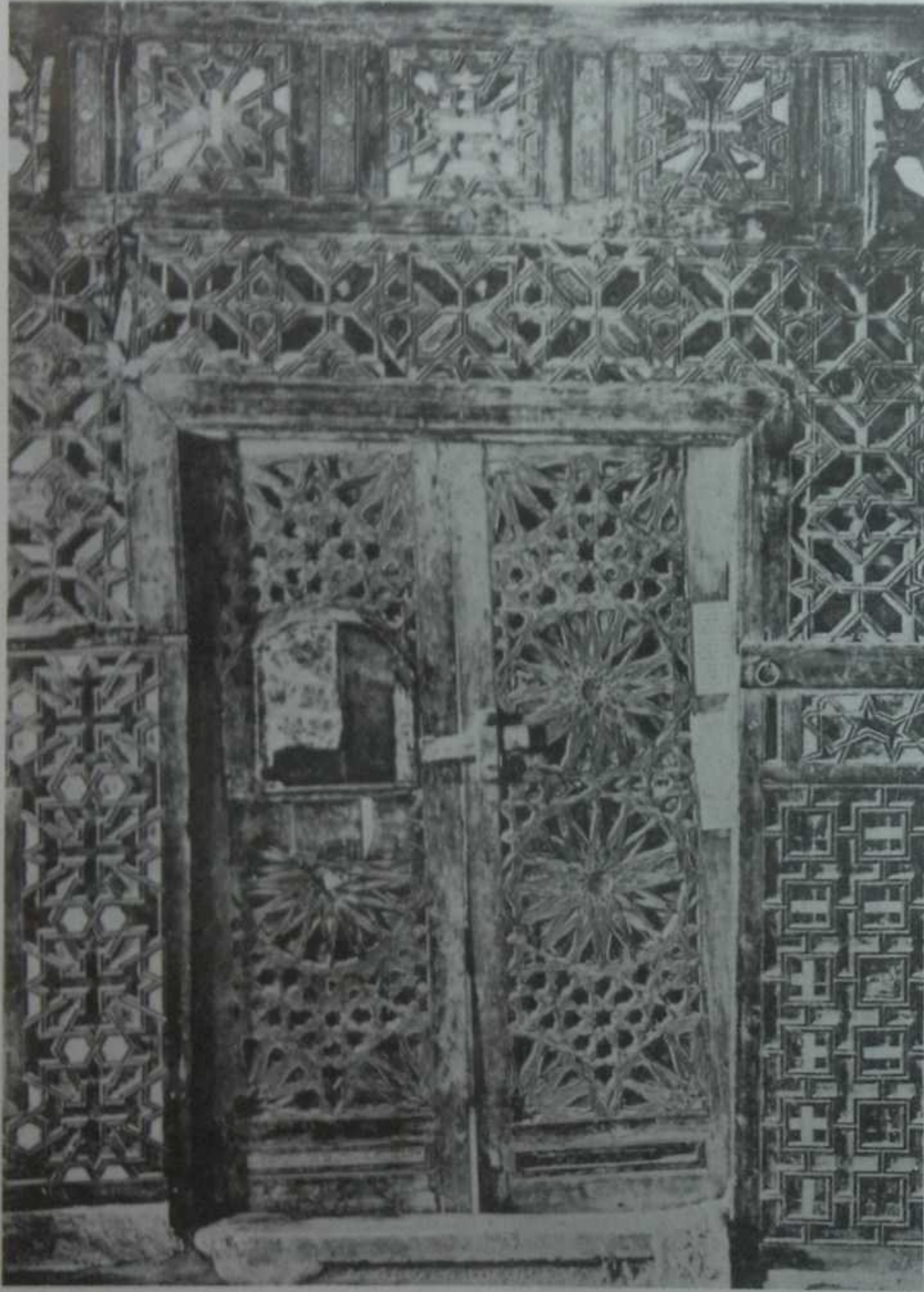
٧٢ - الحصن : كنيسة الملاك ميخائيل بالطابق الثالث
و يظهر في الصورة الملاك ميخائيل حاملاً بيده اليسرى ما يشبه القربانة، وحرسته المشهورة بيده اليمنى .



٧٥ - الحصن : كنيسة الملاك ميخائيل بالطابق الثالث : و يظهر في الصورة القائد المحارب يسطس الوزير وأبالي بن يسطس .

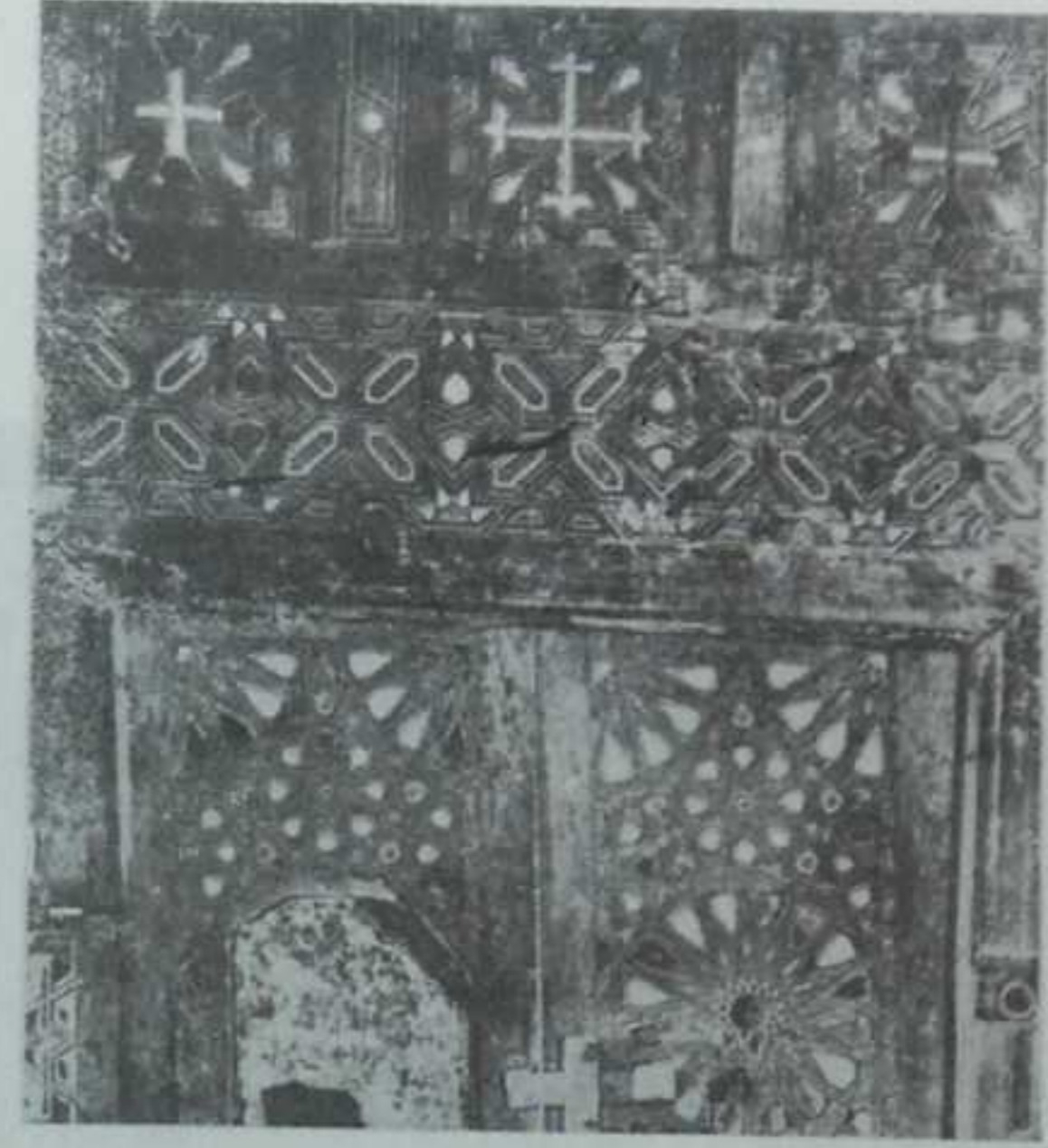


٧٤ - الحصن : كنيسة الملاك ميخائيل بالطابق الثالث
و يظهر في الصورة القائد القديس المحارب فاسيليدس وابنه مكار يوس أخويوسايوس .



٧٨ - الحصن : كنيسة الملاك ميخائيل بالطابق الثالث

صورة حديثة نوعاً ما، و يظهر فيها الحجاب وقد عيشت به الأيادي واقتلعت الصليبان المطعمة من مواضعها، فظهرت النقوش مشوهة وفقد الحجاب رونقه الأول.



٧٦ - الحصن : كنيسة الملاك ميخائيل بالطابق الثالث

صورة قديمة سنة ١٩١٠م، و يظهر فيها الحجاب بحالته الأولى قبل أن تعيشت به الأيدي الجريرة الآثمة التي استخرجت الصليبان من مواضعها واقتطعت قطعاً خشبية بأكملها مما أتلف هذا الحجاب الثمين.



٧٧ - الحصن : كنيسة الملاك ميخائيل بالطابق الثالث

صورة قديمة سنة ١٩١٠م، و يظهر فيها النجمة المميزة لهذا الحجاب على ضلفة الباب قبل أن تعيشت بها الأيدي.



٨١ - الحصن : كنيسة أنبا أنطونيوس ، بالطابق الثالث
و يظهر في الصورة شخصية القديسين أنبا أنطونيوس وأنبا بولا وأنبا باخوميوس بالترتيب من اليمين إلى اليسار.
و يظهر من أسفل في الوسط الأسمدان اللذان اضطلعا بدفن جسد القديس أنبا بولا .



٧٩ - الحصن : كنيسة الملاك ميخائيل بالطابق الثالث
صورة حديثة لجزء علوي من الحجاب و يظهر فيه وحدة لصليب مطعم يُعتبر
من أجمل وأدق الصليبان المطعمة والذي أخذناه في العمارة الحديثة كوحدة
متكررة نعتزبها في كل مكان بالدير.



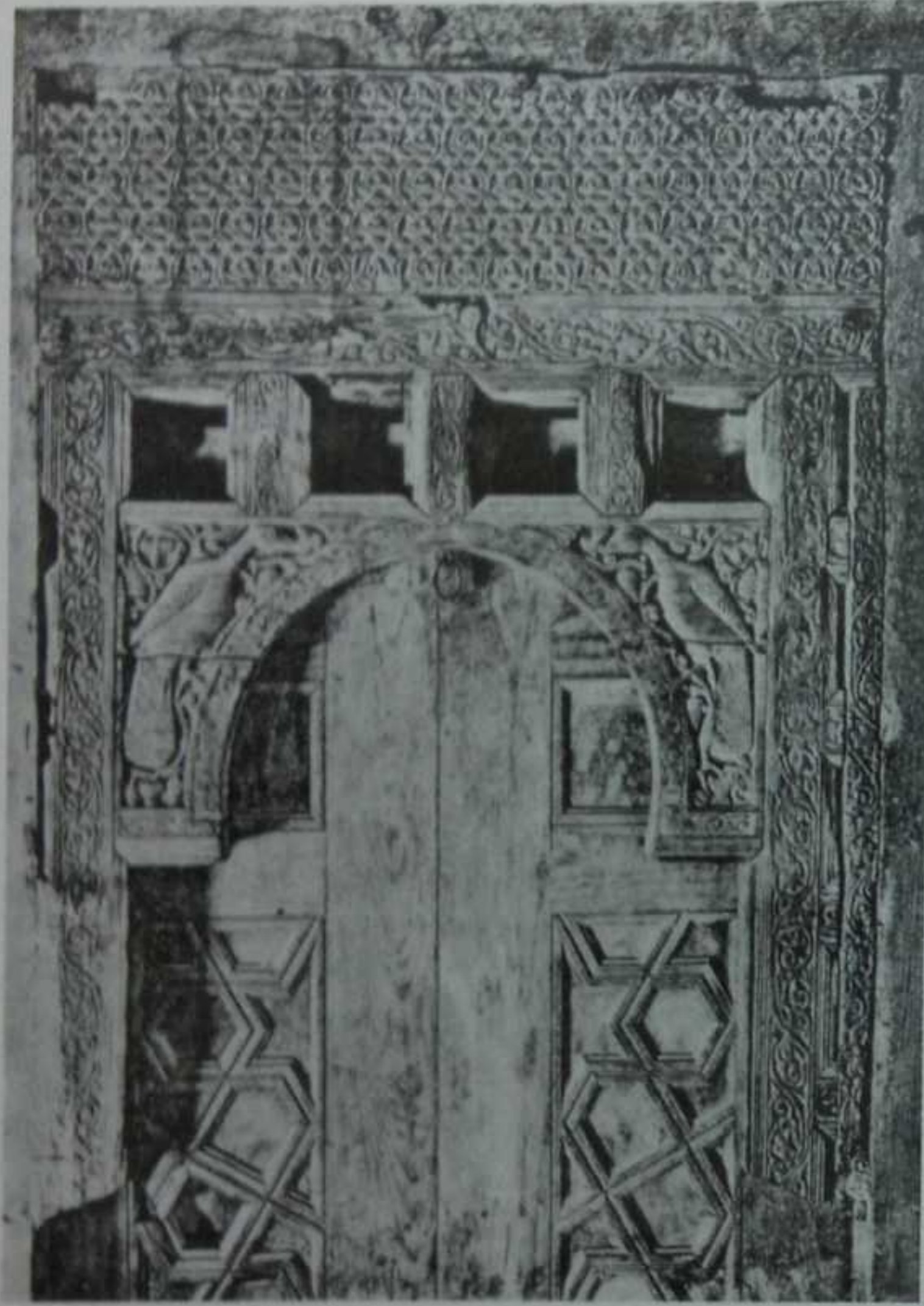
٨٠ - تاجا عمودين في كنيسة الملاك ميخائيل بالحصن
(وهما الآن محفوظان في متحف الدير)



٨٢- الحصن : كنيسة السواح ، الطابق الثالث
 والصورة هنا تمثل خمسة سواح هم من اليمين إلى اليسار: أبا جورجي ، وأبا أبوللو، وأبا أيوب ، وأبا ميمصائل ، وأبا بيجيمي .
 أما صورة أبا أبرآم رفيق جورجي فقد عنها مياه الأمطار من على كلس الحائط .

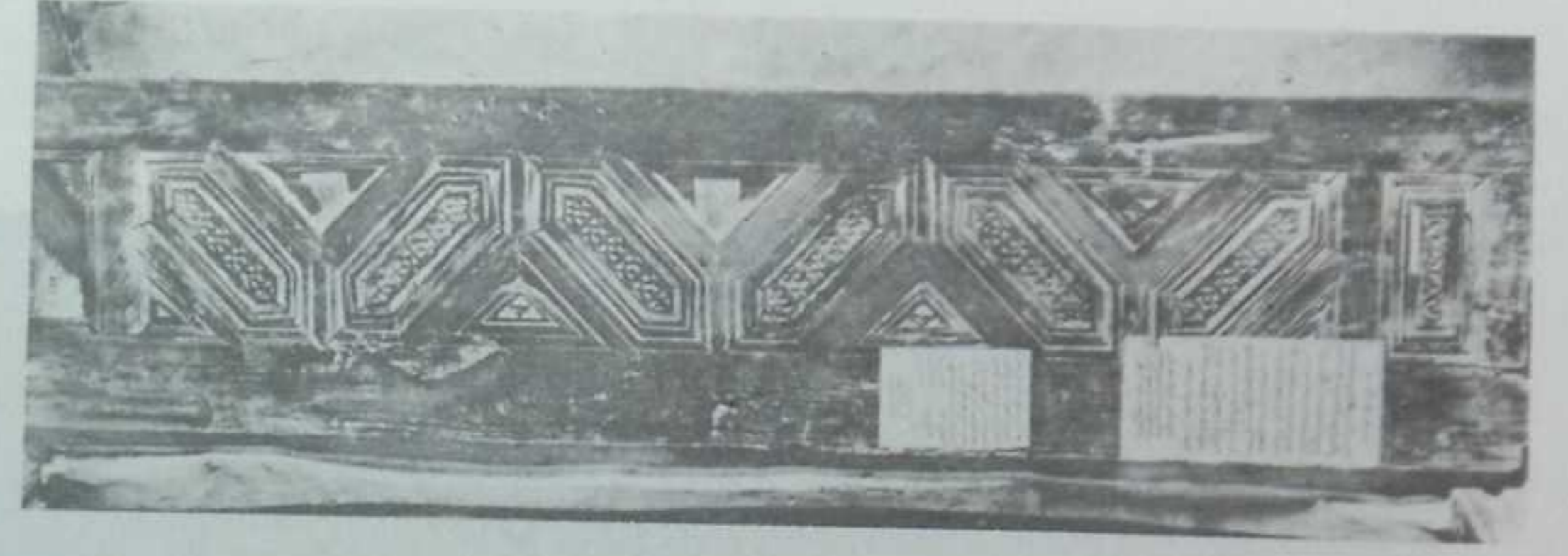


٨٣- الحصن : كنيسة السواح بالطابق الثالث
 الصورة تمثل شخصية الآباء القديسين السواح (من اليمين إلى اليسار) أبا صموئيل المبروف ، أبا يوقس قس شبيبت ، وأبا نوفور .



٨٧ - الحصن : كنيسة العذراء، بالطابق الثاني

صورة باب الحجاب الأوسط للهيكل الرئيسي، وفيه يظهر بوضوح رسم طاووسين على جانبي قائم الباب، ومعروف أن الطاووس يرمز للخلود. وإذا دقق الناظر، يجد تحت ذيل الطاووس كأساً هو كأس الحياة للدم المقدس الذي تخرج منه كرمة تمتد حتى منقار الطاووس الذي يبدو كأنه يأكل من ثمرها. وهذا كله يشير إلى أن الحياة الأبدية التي نبعث لنا من كأس دم المسيح لا يزال يشرب منها الإنسان جيلاً بعد جيل.



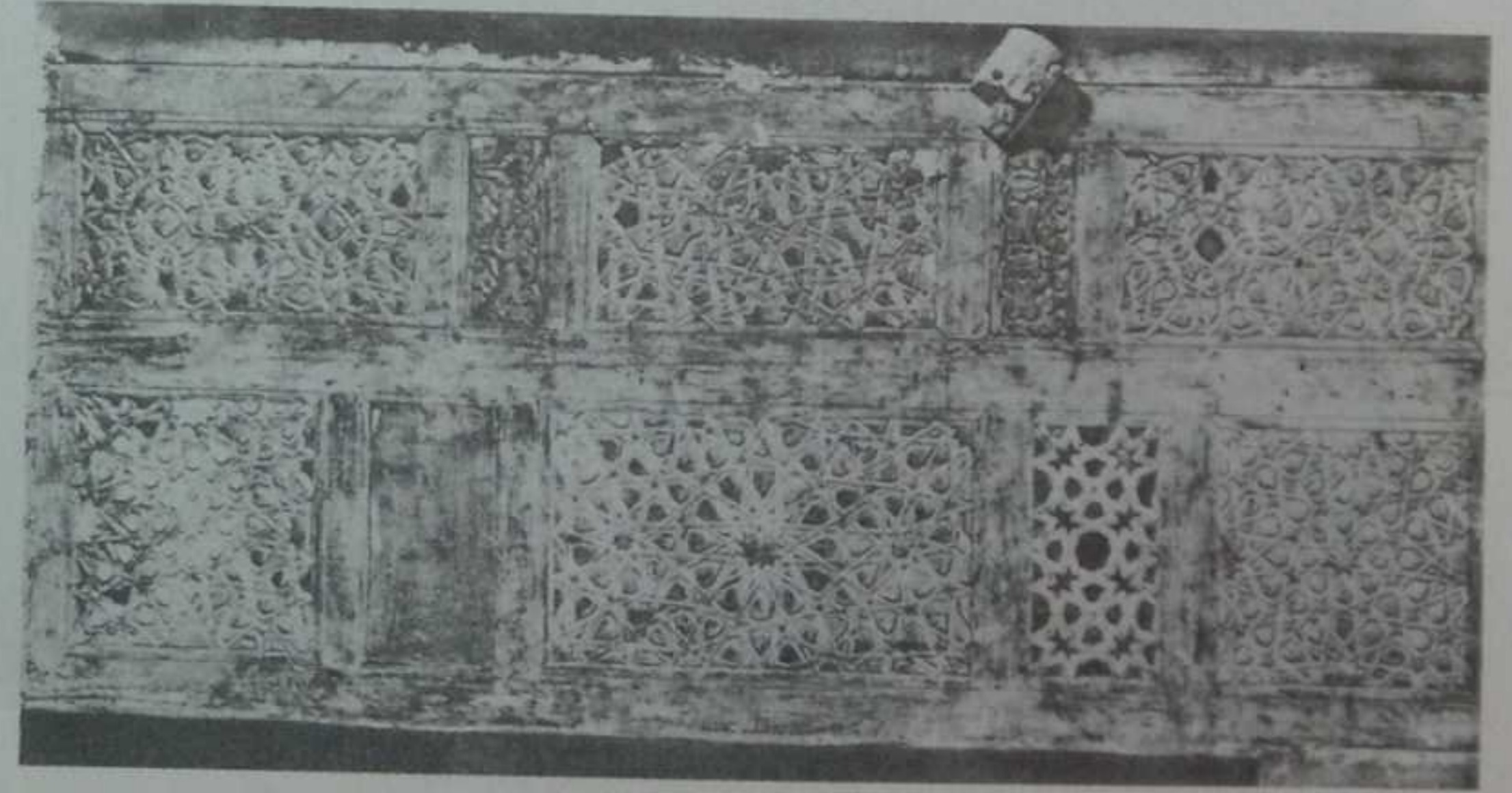
٨٤ - الحصن : متحف الأخشاب القديمة بالدور الأرضي

جزء من ضلقة باب الكنيسة من الخشب المنقوش المطعم بالعاج وعليه ملصق ورقة بخط القمص عبد المسيح صليب المسعودي يذكر فيها أسماء السواح المصورين على الحائط البحري.



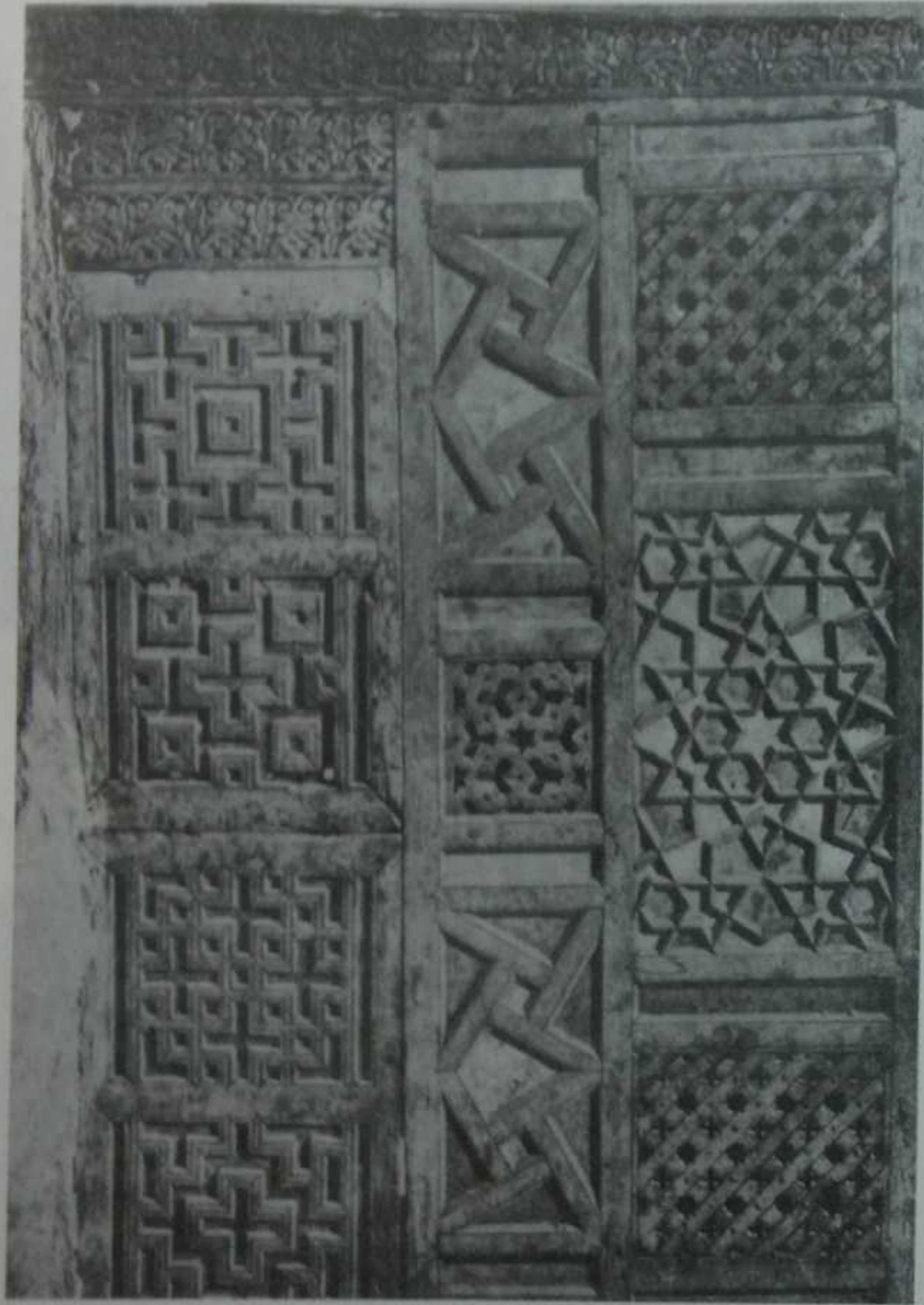
٨٥ - الحصن : كنيسة العذراء بالطابق الثاني

قطعة من الخشب المنقوش وبدون تطعيم وبها تظهر ورقة عنب خاسية التقسيم في شكل زخرفي متكرر، وهي في أحد قوائم الحاجز الذي يلي الخورس الأول. وتاريخها حوالي القرن الثاني عشر.

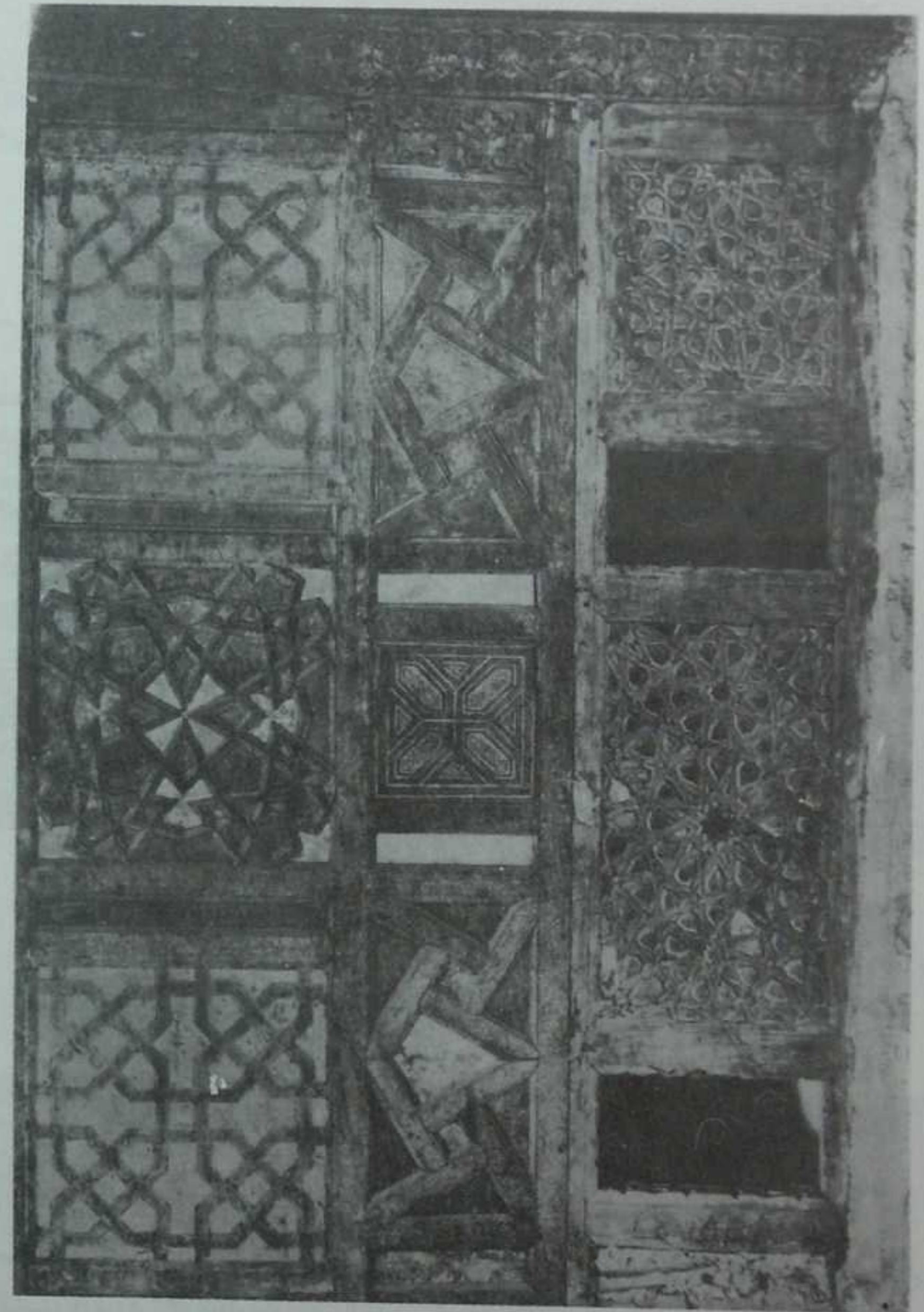


٨٦ - الحصن : كنيسة العذراء بالطابق الثاني

قطعة من الخشب المنقوش وبدون تطعيم في حجاب الهيكل البحري وتمتاز بوجود نجمة تتوسط الحشوة تخرج منها زخرفة على هيئة أشعة من نجوم صغيرة. ويظهر الحجاب هنا بدون وحدة في التصميم.



٨٩- الحصن : كنيسة العذراء بالطابق الثاني
و يظهر في الصورة جزء آخر من حجاب الهيكل القبلي
وفيه تظهر النجمة السداسية المميزة

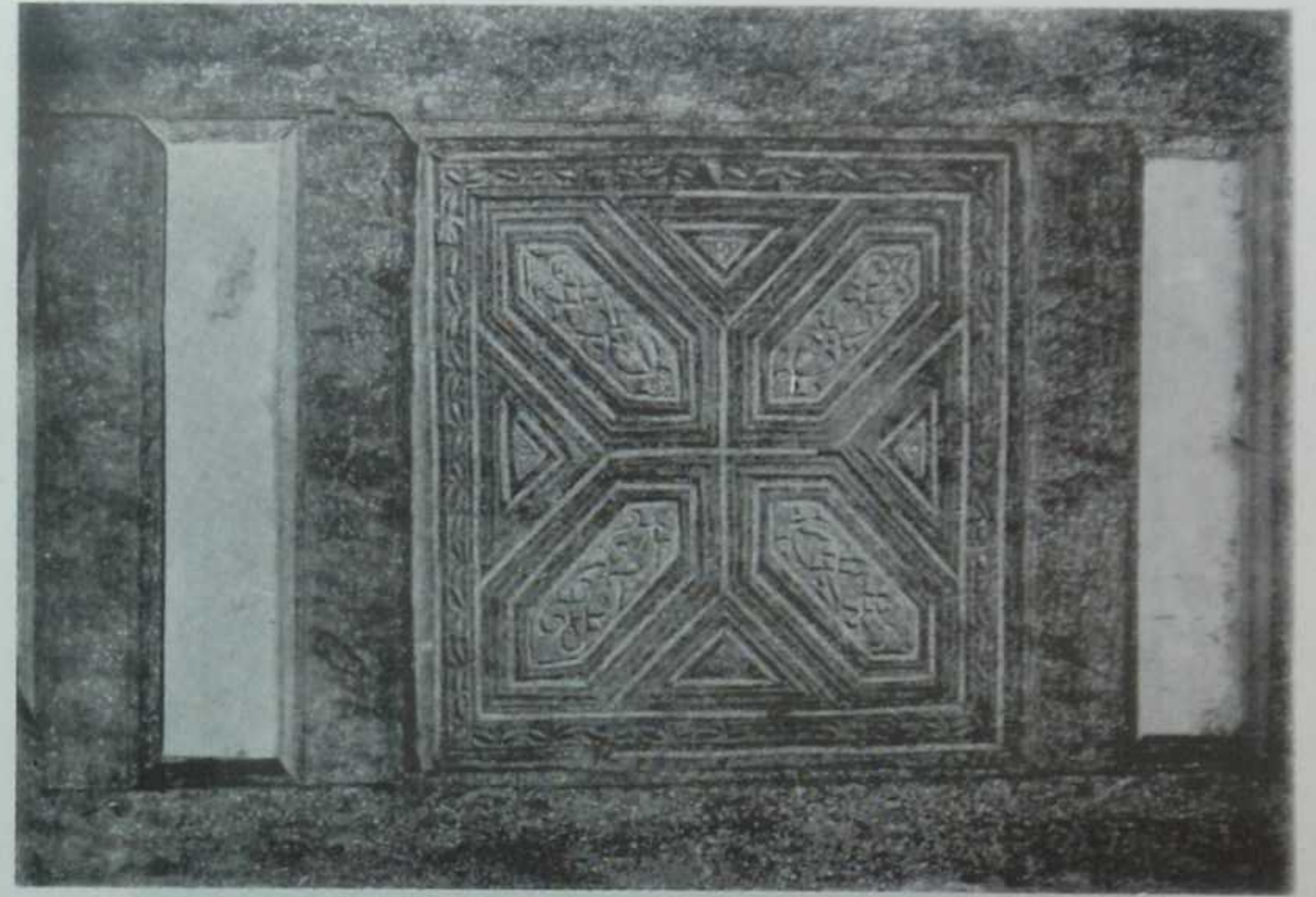


٨٨- الحصن : كنيسة العذراء بالطابق الثاني
و يظهر في الصورة جزء من حجاب الهيكل القبلي



٩٢ - كنيسة الشيوخ

صورة قديمة سنة ١٩١٠م، وتظهر فيها الكنيسة بوضعها كما هو حيث تبدو متاريتها الصغيرة غاية في الجمال والبساطة.

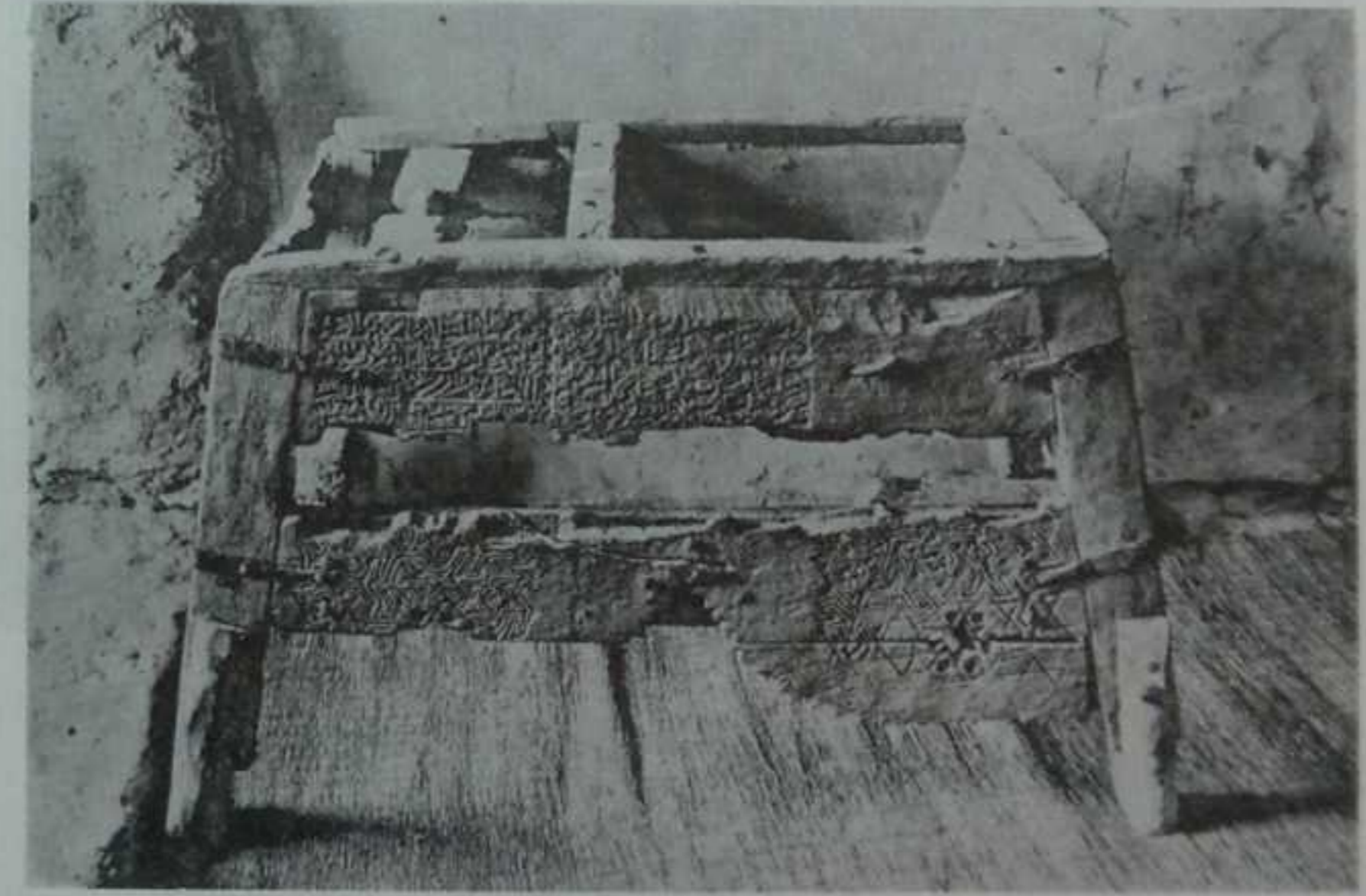


٩٠ - الحصن : كنيسة العذراء بالطابق الثاني

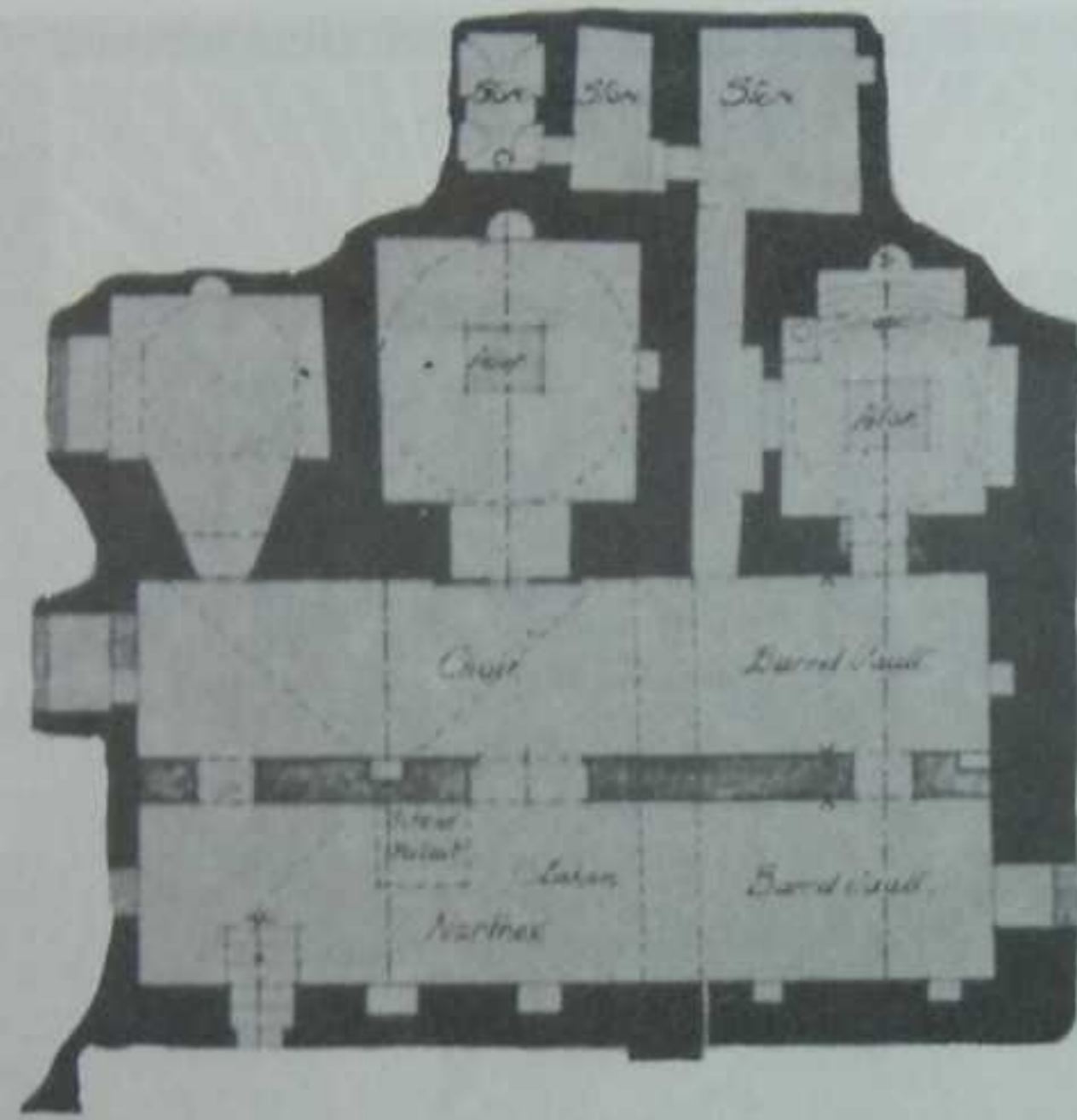
جزء من حجاب الهيكل القبلي للكنيسة يظهر فيه صليب مطعم بالعاج مع نقوش دقيقة و يلاحظ أنه ثنائي الأطراف و يرجح أنه من القرن الثالث عشر.



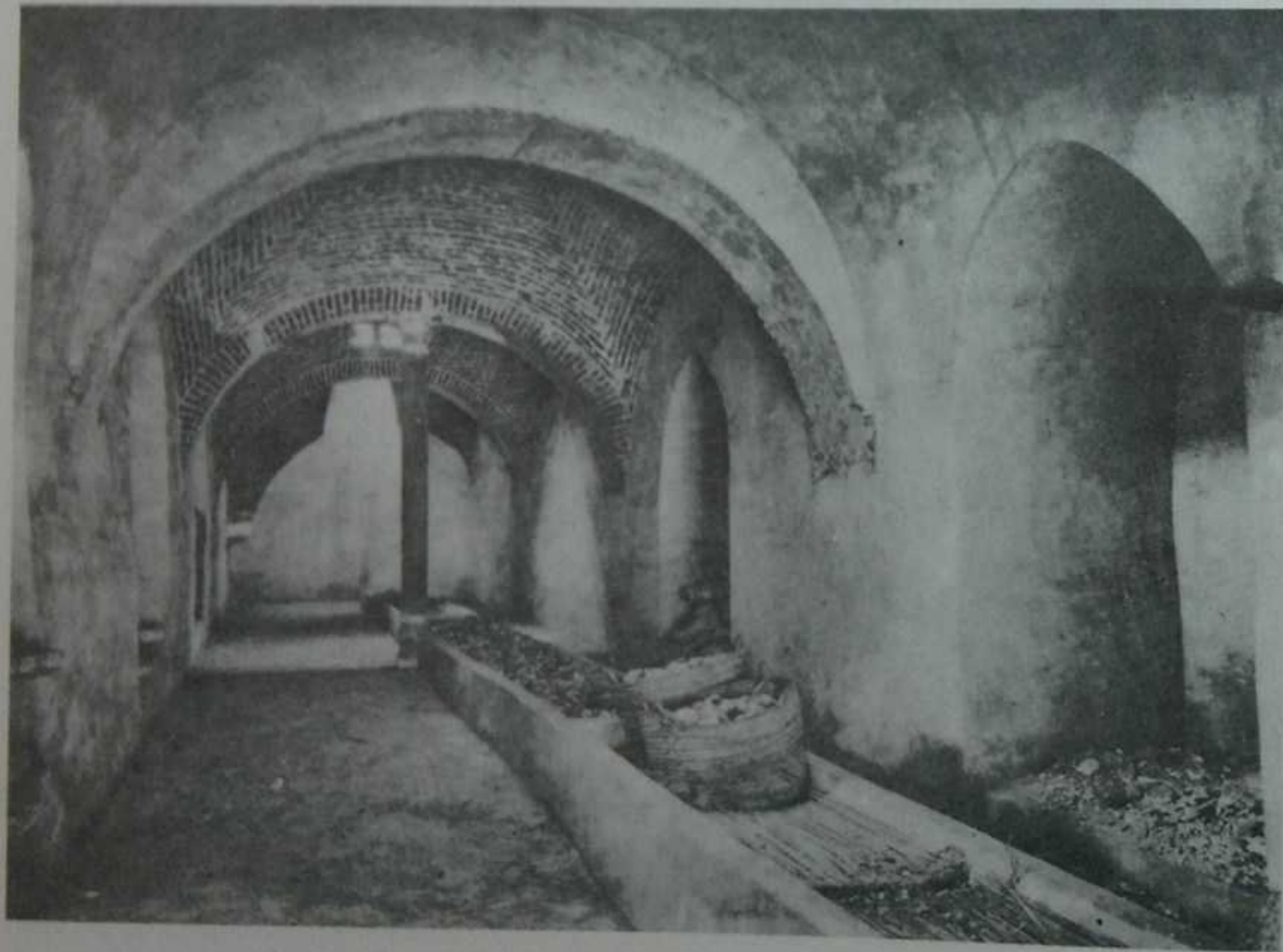
٩٣ - كنيسة الشيوخ التسعة والأربعين الشهداء من الداخل و يظهر فيها حاجز الخورس من الخشب المفرغ



٩١ - قادوس طاحون قديم . معروض حالياً في متحف الأخشاب القديمة بالدور الأرضي في الحصن . و يرى القارىء كيف كان يعتني الآباء الرهبان القدماء بزخرفة حتى أدوات العمل اليومي الذي للأكل والشرب ليأخذ طابعه الروحي . فيصح فينا قول النبي القائل : «وفي ذلك اليوم يكون على أجراس الخيل قُدس للرب ، والقُدور في بيت الرب تكون كالمناضح أمام المذبح .» (زك : ١٤ : ٢٠)



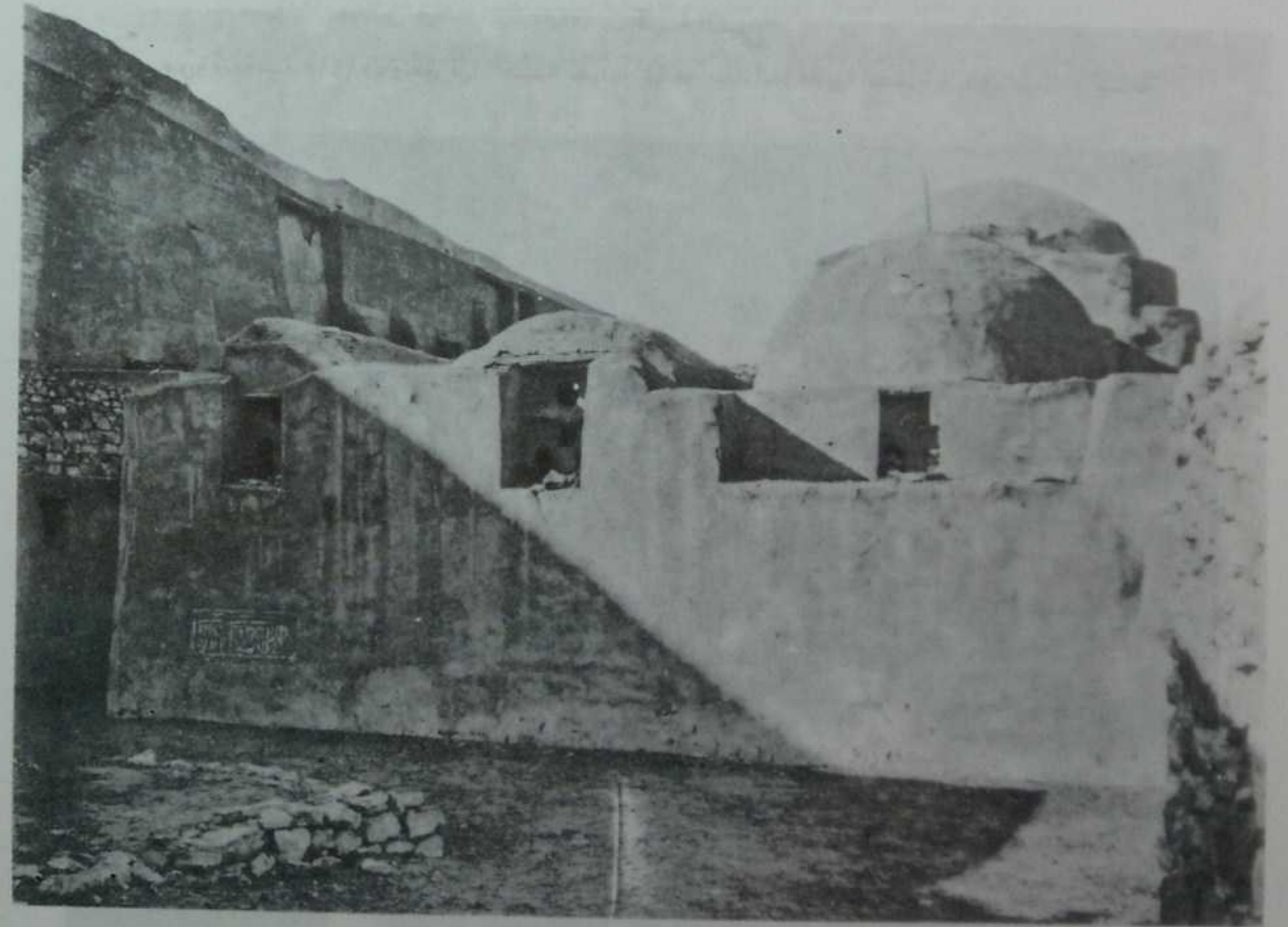
٩٦ - كنيسة الشهيد القديس أبا سخيرون (قبل الترميم الأخير)
 مسقط أفقي يوضح الهياكل الثلاثة بغيرهم الشرقية الملحقة. كذلك يوضح الرسم الخورسيتين الطولين:
 الأول (الإكليروس) والثاني (الرهبان)، حيث في الخورس الثاني يظهر مكان الإنجيل (منبر الوعظ).



٩٧ - المائدة القديمة بالدير



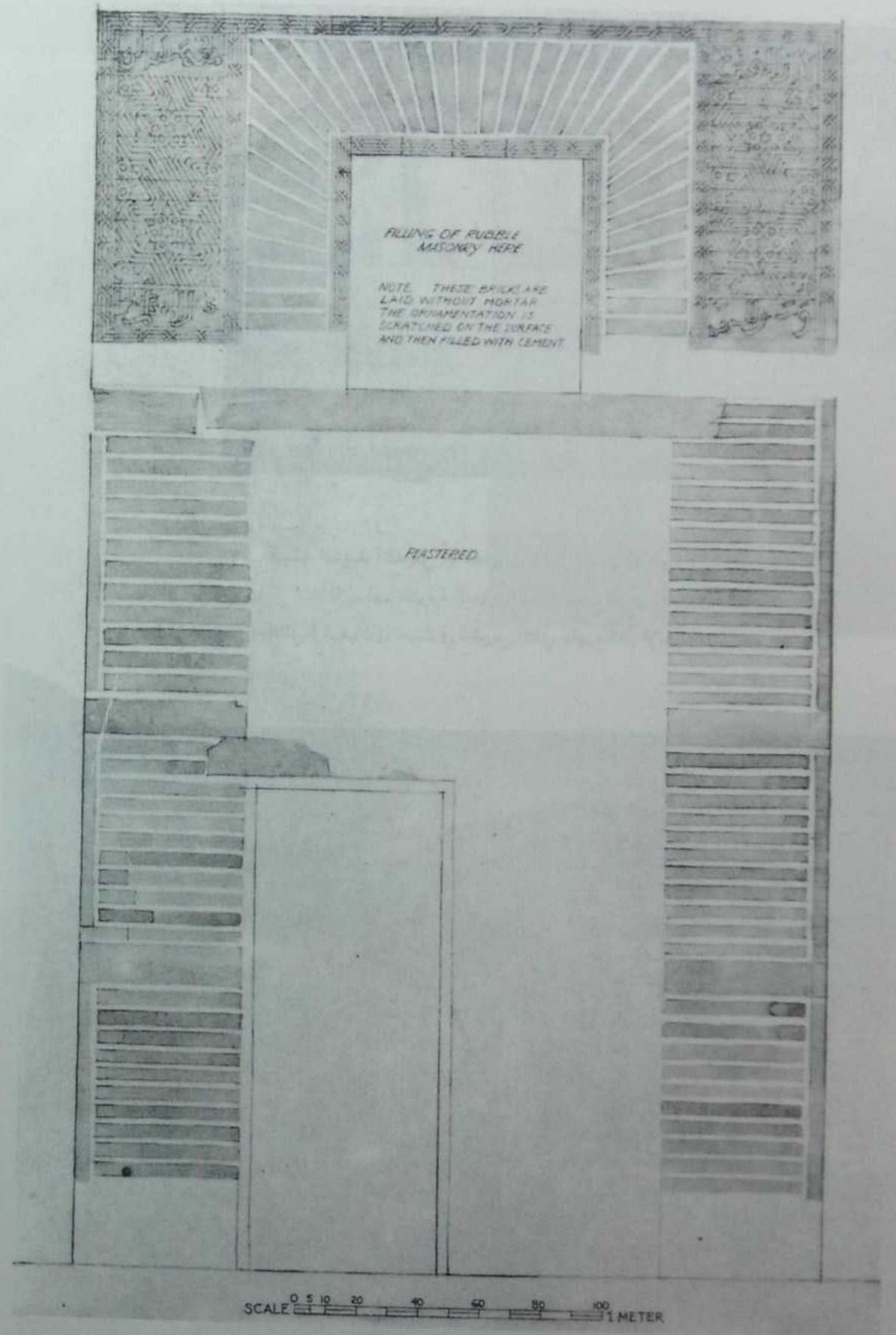
٩٤ - تاج لعمود في كنيسة الشيوخ



٩٥ - كنيسة أبا سخيرون من الخارج من الجهة القبليّة (قبل الترميم الأخير عام ١٩٧٤).
 ويظهر فيها كيف ارتفعت الأرضية خارجها (مقدار ٢ متر).

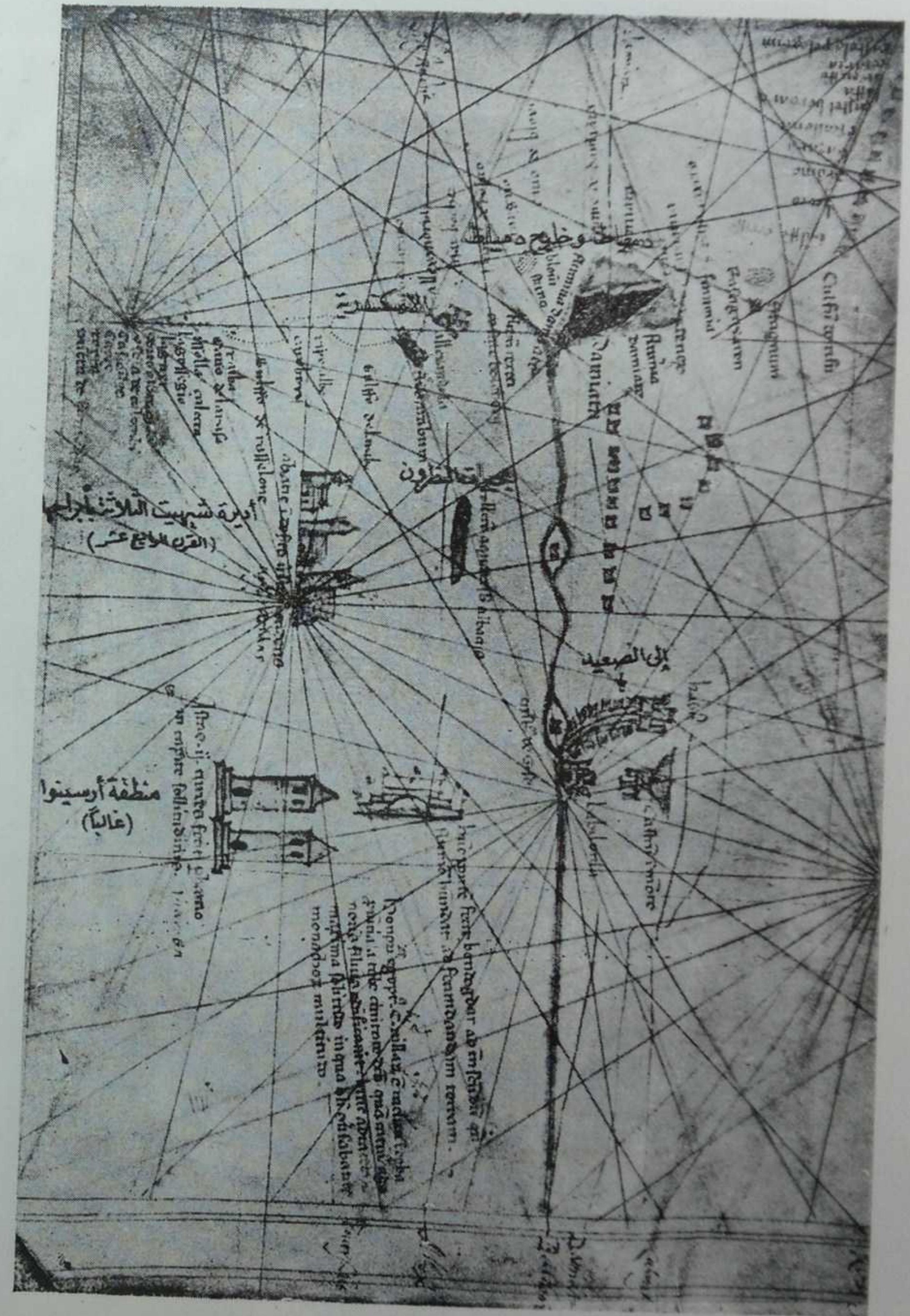


٩٩ - صورة القديس مقاريوس في دير إرميا بسقارة

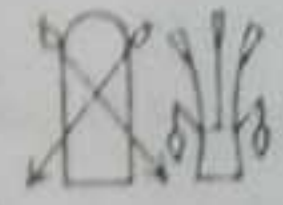


٩٨ - صورة يدوية دقيقة من تصميم الرسام هوزر المرافق لإفلين هوايت، وهي للباب البحري الموجود في الخورس الأول من كنيسة أباسخيرون.

١٠٠٠ خريطة مارينو سانيوتو (ارجع لصفحة ٤٩١).
 ١٠١ - منظر داخلي للدير قبل التعديلات الأخيرة ويظهر مدى اكتظاظ الدير بالمباني التي شوهت معالمه الأثرية، كما
 يوضح مدى انخفاض السور البحري عن مستوى السور الغربي.



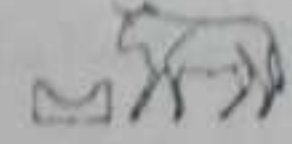
١٠٠ - خريطة مارينو سانيوتو (ارجع لصفحة ٤٩١).



Hinterer Neithgau

المقاطعة الخامسة: مؤخرة مقاطعة الإلهة نيت

+ كلا المقاطعتين في الدولة القديمة لم تنفصلا؛ وعاصمة كليهما كانت مدينة Sais
 سايس حالياً. وإن المقاطعة الرابعة في الجنوب كان يطلق عليها مؤخراً Prosopites
 بروسوبيتس وكانت تقع بين ذراعي نهر النيل.
 + في العصر المسيحي: الكنائس تأسست فيها قبل اضطهاد دقلديانوس (٢٨٤م)
 وكانت مركز كرسي أسقفية.



Bergstiergau

المقاطعة السادسة: مقاطعة الثور الجبلي

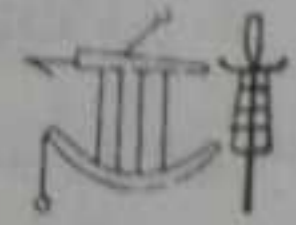
+ وعاصمتها H'sww خع سوو وبال يونانية Xoia اكسويس.
 + وحالياً مدينة سخا Sacha
 + في العصر المسيحي: الكنائس تأسست فيها قبل اضطهاد دقلديانوس (٢٨٤م)
 وكانت مركز كرسي أسقفى منذ ما قبل هذا التاريخ.



Harpunengau

المقاطعة السابعة: مقاطعة الخَطَّاف

+ وتقع على منتصف الجزء الغربي من الدلتا. وتقع في الجزء الشمالي الغربي للدلتا.
 + وفي العصر القيصري كانت تقع مقاطعة Metelites = متليس
 + وهي عبارة عن مقاطعة وأرض الخَطَّاف وهي مذكورة على لوحة (صلابة) نعرمر =
 الملك مينا مؤسس الأسرة الأولى.
 + في العصر المسيحي: وقد دخلتها المسيحية وتأسست بها الكنائس قبل عصر
 دقلديانوس، أي قبل عام ٢٨٤م. وكانت مركز لكرسي أسقفى.



المقاطعة الثامنة: تكوبر أتوم

+ مقاطعة الخَطَّاف وتقع في المنتصف الشرقي للدلتا.
 + وفي العصور الأخيرة كانت عبارة عن مستعمرة منظمة: أولاً: منذ عصر الأسرة
 الخامسة. في مقبرة بتاح حوتب Ptah-hotep Grab يوجد تمييز للمقاطعتين
 (مقاطعتي الخَطَّاف) بصفة الغرب والشرق.
 + وهي حالياً تعبر عن منطقة Wadi Tumilat وادي طميلات.
 + وهذه المدينة غير معروفة كعاصمة في عصر الدولة القديمة.
 + ولكن في عصر الرعامسة كانت منطقة Pithom بيتوم؛ وفي عصر الأشوريين
 نعي - حوت N'j-hw.t تل اليهودية Tell el Jehudija؛ ناتو Nathu
 + في العصر المسيحي: دخلتها المسيحية قبل انتهاء القرن الثالث وتأسست بها الكنائس

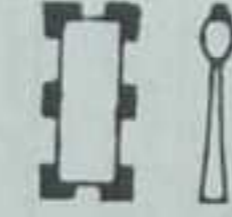
مقاطعات الوجه البحري وعددها عشرون مقاطعة

(مكتوبة بالهيروغليفية ونطقها ثم باليونانية والعربية أيضاً)

مع توقيع الآثار المسيحية

بعد دخول المسيحية وانتشارها في مصر

□□□□□



i'nr-hd = white stone

المقاطعة الأولى: ذات الجدار الأبيض

+ وهي منف أو ممفيس (القلعة البيضاء) - السور الأبيض - منف = Memphis
 (من - نفر) Mn-nfr

+ وهي حالياً تسمى البدرشين وسقارة.

+ وكانت عاصمة الدولة القديمة أي من الأسرة الثالثة إلى آخر الأسرة السادسة.

+ في العصر المسيحي: دير إرميا - سقارة. ودير مار مينا على الجانب الشرقي للنيل
 قرب مصر القديمة وديران للراهبات على اسمي القديسة بربارة والمعلقة.



Létopolis

المقاطعة الثانية: سخم

+ وهي عبارة عن رمز لقطعة من اللحم من فخذ الثور وعاصمتها
 + باليونانية لتوبوليس
 + وحالياً مدينة أوسيم Usim وتقع على الذراع الأيسر للنيل.
 + تأسست فيها الكنائس قبل اضطهاد دقلديانوس (سنة ٢٨٤م) وكان بها كرسي
 أسقفى.



المقاطعة الثالثة: بحوتي

+ وعاصمتها I'mw.t إيموت

+ كوم الحصن (حالياً) Kom el Hisn وتقع في الغرب مقاطعة غربية.

+ في العصر المسيحي: تأسست بها الكنائس قبل عام ٢٨٤م، عصر دقلديانوس،
 وكانت كرسي أسقفية منذ ذلك التاريخ.

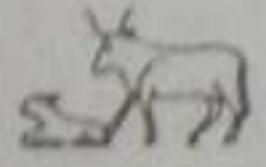
+ بها دير وكنيسة ماريوحنا المعمدان



Vorderer Neithgau

المقاطعة الرابعة: مقدمة مقاطعة الإلهة نيت

+ في العصر المسيحي: كان بها دير على اسم أنبا إرميا ذكره يوحنا أسقف نقيوس
 عندما تكلم عن الإمبراطور أنستاسيوس الذي علم له في هذا الدير أنه سيكون إمبراطور
 بيزنطة (٤٩١-٥١٨).



المقاطعة الثانية عشر: مقاطعة العجل الإلهي (الصغير) Gau des göttlichen Kälbchens

+ وعاصمتها Tb-ntr زبات-نثر (وباليونانية Sebennytos سبننتوس).

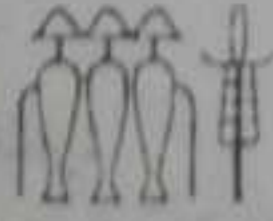
+ وحالياً مدينة سمنود Samanud

+ في العصر المسيحي: كان في هذه المقاطعة وفي مدينة النقيزة دير شاهق البناء ودير البيا (أو البيا إهميه- أي الأربعون) ولم يكن في الوجه البحري دير به رهبان أكثر من هذا الدير. ودير أبوهرمس على بعد ساعة ونصف من المحلة الكبرى.



المقاطعة الثالثة عشر: Das unversehrte Szepter

مقاطعة علامة الحاكم وعاصمتها Heliopolis هليوبوليس



المقاطعة الرابعة عشر:

+ المقاطعة الشرقية زبات مع مسنت

+ وفي العصور الأولى كانت معظم الجهة الشرقية للدلتا. وذكرت منذ عصر الملك سنفرو مؤسس الأسرة الرابعة، أي العصر الهليوبوليتاني heliopolitanische Gau. وكذلك في عصر الأسرة الخامسة حتى الثامنة.

+ أما باقي المقاطعة فكان قد قُسم إلى جزء أمامي (في الجنوب) وجزء في الخلف (في الشمال)، وكذلك كما هو مذكور في الأسرة الرابعة. وكذلك في العصور المتأخرة كانت هذه المقاطعة في الأسرة الثامنة عشر بوباستيس Bubastis كانت تنتمي إلى المقاطعة الشرقية.

+ في العصر المسيحي: في هذه المقاطعة كان هناك دير مشهور في أقصى الشمال ترهب فيه القديس الناسك العالم إيسيدوروس الفرسي البيروزومي. واندثر هذا الدير بعد سنة ١١١٨ في الحروب الصليبية.



المقاطعة الخامسة عشر:

+ مقاطعة الطائر «أبيس» Ibisgau

أبومنجل

+ وعاصمتها Hermopolis هرموبوليس (حالياً BaKlije البقلية).

+ وفي العصر القيصري Kaiserzeit كانت أعظم مقاطعة وتسمى Mendes

مندس وقد حكمت تحت عصر الملك Pianchi بعنخي.

+ في العصر المسيحي: كان بهذه المنطقة نساك كثيرون عاشوا على الجزائر التي تكونت نتيجة زلزال في الأراضي الممتدة بين دمياط وبورسعيد، التجأوا إليها طالبين لأنفسهم

قبل عصر دقلديانوس وكانت مركز كرسي أسقفي.

+ كان بها دير مارمينا أو دير الحبس - ولا يزال قائماً حتى يومنا هذا على بعد ١٥ كم بحري بلدة إبيسار مركز كفر الزيات محافظة الغربية - سمي بدير الحبس لأن حبساً سكن هناك في حبس في صومعة - وكان ذلك في العصور الوسطى.

+ ودير الملاك ميخائيل ببلدة مسير، مركز كفر الشيخ.



+ هذه العلامة تمثل الإله عنجتي Anedjti

+ وهو إله منذ العصور ما قبل التاريخ. وعاصمة هذه المقاطعة هي Pr-Osiris

بر - أوزيريس (Busiris = بوزيريس)، وباليونانية Busirites

بوزيريس.

+ حالياً Abusir أبوصير وتقع في منتصف ذراعي نهر النيل في الدلتا

+ في العصر المسيحي: دير القديس تادرس كان واقعاً ببلدة بوريح بمركز طنطا - كان البابا أنبا مقارة الثاني (البطريك الـ ٩٩ في عداد البطارقة) راهباً بهذا الدير.



المقاطعة العاشرة: Gau des schwarzen Stieres

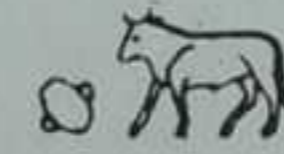
+ المقاطعة العاشرة للثور الأسود

+ وعاصمتها Athribis أتريس.

+ وحالياً هي مدينة بنها Benha.

+ في العصر المسيحي: دير أتريب المشهور بالأعجوبة التي كانت تحصل في كنيسة في ٢١ بؤونة من كل عام منذ عام ٨١٣ - ٨٣٣ أيام الخليفة المأمون.

+ دير أبوهوربسر ياقوس - كان في أوج عمرانه في القرن العاشر الميلادي وضمحل في القرن الخامس عشر وكان عامراً بكثير من الرهبان.



المقاطعة الحادية عشر: «مقاطعة الثور المذبوح» أقدم عاصمة غير معروفة. Der Geshlachtete

+ في العصر اليوناني قد جزئت إلى Leontopolis ليونتوبوليس (حالياً تل المقدام)؛

والجزء الثاني Pharbaitites فاربوتس Horbeit

+ وكانت Leontopolis (ناتو = Nathu) مركزاً أيضاً تحت عصر

الأشوريين = Assyren

+ في العصر المسيحي: كان بها مركز لرئيس أساقفة - وقد دخلتها المسيحية وتأسست بها الكنائس منذ ما قبل عصر اضطهاد دقلديانوس سنة ٢٨٤ م.

تمام الإنفراد.

Hauptstadt Mendes

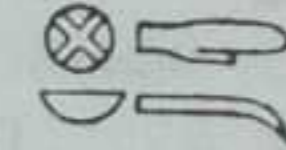
المقاطعة السادسة عشر:

+ وعاصمتها منديس

+ حالياً Tell Rob' تل الرُّبع.

+ في العصر اليوناني ظهرت المدينة الأخت Thmuis ثمويس بدلاً من موقع منديس

Mendes . وعلامة المقاطعة h3.t.mhj.t حات - محبت أي مقدمة السمكة Spitze der Fische



المقاطعة السابعة عشر:

+ وعاصمتها بحد بريوان امن ومقرها حالياً Tell el-Balamun تل البلمون

وقد قمت بحفائر ناجحة في عام ١٩٧٨ ونشرت في حوليات مصلحة الآثار رقم ٦٤ ASAE

المقاطعة الثامنة عشر:



مقاطعة مقدمة الإبن الملكي Vorderer KönigsKindgau

+ وعاصمتها Bubastis بوبسطة وبعدها سميت باليونانية Bubastites

بوباتستيس.

المقاطعة التاسعة عشر:



+ مقاطعة مؤخرة الطفل الملكي Hinterer KönigsKindgau

+ وعاصمتها I' m.t (Nebesheh) مت - (نب - س - حح).

+ وفي العصر اليوناني تسمى Tanis تانيس Tanites ومنتحدة مع

San el Hagar صان الحجر.

+ وتنطق في العصر الآشوري Sa'nu صاعنو.

+ في العصر المسيحي: كان بجوار مدينة تنيس دير على اسم السيدة العذراء حتى القرن

الثامن وكان له رئيس من دير أنبا مقار اسمه الإيغومانس إبيماخس صار أسقفاً وكان به

رهبان. ودير آخر اسمه التثليث. ودير أنبا باخوم تخرب عام ١١٦٨. ودير اسمه

تاشنيتس ورد ذكره في سيرة القديس مقاريوس الإسكندري المخطوطة باللهجة البحرية

في مخطوطة مكتبة الفاتيكان رقم ٦٤ ورقة ٨١ ج. وكذلك دير في مدينة أشمون الرمان

(أشمون طناح).



المقاطعة العشرون: مقاطعة الإله التمساح «سوبد» باليونانية Gau des Sopd

+ وبالعربية أيضاً «سبد» وعاصمتها PhaKusa فاقوسا.

+ (حالياً فاقوس Fakus).

+ وفي العصر الآشوري assyrischer Zeit ربما تكون Pisaptu ; Pr-Špdw بيت

الإله سوبدو وبيسابتو.

+ وحالياً تسمى Saft el-Henne صفت الحنة.

مقاطعات الوجه القبلي وعددها اثنان وعشرون مقاطعة

(مكتوبة بالهيروغليفية ونطقها ثم باليونانية والعربية أيضاً)

مع توقيع الآثار المسيحية
بعد دخول المسيحية وانتشارها في مصر

□□□□□

من الجنوب إلى الشمال:

المقاطعة الأولى: تاسي = T3 stj

+ أرض النوبة وكانت تسمى إلفانتين.

+ في العصر المسيحي: دير القديس سمعان — دير مار جرجس.

المقاطعة الثانية: ثست — حور Ts.t-Hr = Horusthron

عرش حورس والمدينة الرئيسية إدفو

+ في العصر المسيحي: دير أنبا باخوم (إدفو) — دير فارس (كوم أمبو).

المقاطعة الثالثة: هيراكلونبوليس نخن nhn

+ في العصر المسيحي: دير الفاخوري — دير الشهداء (إسنا) — دير الرومانية ودير أنبا

إسحق (أصفون) — دير مار جرجس (ديموقراط).

المقاطعة الرابعة: مقاطعة الصولجان Szeptergau

+ في الأصل مدينة أرمنت

+ في العصر المسيحي: دير الأمير تادرس (الأقصر) — أديرة كثيرة متهمة حالياً

(أرمنت) — دير أنبا باخوم (المدامود) — دير أنبا بشاي (طور) — الدير البحري، دير

بخيت، دير قر ياقص، دير إبيفانيوس، دير المدينة، دير الأمير تادرس، دير الرومي —

دير فيبأمون (طيبة) — دير الصليب، دير الملاك (نقادة) — دير أنبا بقطر، دير مار

جرجس، دير الملاك (القاميلات).

المقاطعة الخامسة: مقاطعة السيدين

+ وعاصمتها Koptos قفت.

+ في العصر المسيحي: دير أبوسيفين (الحجازة).

المقاطعة السادسة: مقاطعة التمساح

+ وعاصمتها Dendera دندرة.

+ في العصر المسيحي: كنائس وأديرة قديمة متهمة (دندرة) — دير أنبا باخوم (فاو) — دير أنبا بلامون (القصر).

المقاطعة السابعة: مقاطعة الأرواح المؤتثة، وعاصمتها Hw.t-shm

+ وهي منزل للصولجانات. وباليونانية تسمى Diospolis mikra

المقاطعة الثامنة:

+ أقدم مدينة تاور

+ وعاصمتها طينة Thinis

+ في العصر المسيحي: دير مار مينا (هيو) — دير بضابا (نجع حمادي).

المقاطعة التاسعة:

بانوبوليس Hauptstadt Achmim, griech Panopolis

+ حالياً: أخميم

+ في العصر المسيحي: أديرة أخميم: دير العذراء، دير أنبا باخوم، دير أنبا حديد، دير الملاك، دير الشهداء.

+ أديرة سوهاج: دير أنبا بيشوي، الدير الأبيض، الدير الأحمر (أديرة أنبا شنودة رئيس

المتوحدين)، دير أنبا بسادة (في المنشأة).

+ أديرة طبانسين: أسسها أنبا باخوم.

المقاطعة العاشرة:

مقاطعة الثعبان واجيت W3dj.t Schlangengau

+ وعاصمتها Tbw ثبو

+ وباليونانية Aphroditopolis (كوم اشقاو) أفروديتوبوليس أي مدينة أفروديت

(فيرنس) هو الاسم الإغريقي لعدة مدن تختلف أسماؤها في اللغة المصرية. وإلها

حت — حور (أفروديت عند الإغريق) والمقاطعات المذكورة هي بالترتيب: دندرة

(٦)، كوم اشقاو (١٠)، القوصية (١٤).

+ وحالياً هي مدينة قاو الكبير. Kaw el-Kebir

المقاطعة الحادية عشر: مقاطعة الإله ست Sethgau

+ عاصمتها شاس — حتب

وباليونانية Hypselis هيبسيليس

+ وحالياً مدينة Schutb شُطب.

+ في العصر المسيحي: دير البلايزة — دير ريفا — دير العذراء.

المقاطعة الثانية عشر: مقاطعة القوقع ذو القرنين

+ وشعارها قرنا الإستشعار

+ وهي تقع ما بين شطب 33s-htp شاس — حتب وأسيوط.

+ وهي مدينة من عصر البطالمة.

پر . حر . عنتي Pr-ntj

هيراكون Hierakon

+ وحالياً الأطاوله El-Atawlah

+ في العصر المسيحي: دير درنكة: منطقة أثرية، وهي إحدى المناطق التي حلت فيها

العائلة المقدسة.

المقاطعة الثالثة عشر: مقدمة مقاطعة الجميزة:

+ وعاصمتها 33w.t أسيوط Asiut، وباليونانية Lycopolis ليكوپوليس.

+ في العصر المسيحي: أسيوط: مركز مطرانية مشهور — دير العذراء (جبل أسيوط).

وهي إحدى المناطق التي زارتها العائلة المقدسة.

المقاطعة الرابعة عشر: مؤخرة مقاطعة الجميزة

+ وعاصمتها Kusae جسا (كوساي)



+ القوصية حالياً وتمتد من الأشمونين شمالاً حتى مدينة مير حالياً.

+ في العصر المسيحي: دير المحرق (القوصية)، دير القصير (القوصية) — قلالي كثيرة

للرهبان (مير).

المقاطعة الخامسة عشر: مقاطعة الأرنب ون

+ وعاصمتها Hermopolis هرمو پوليس باليونانية.

+ وهي مدينة الأشمونين حالياً.

+ في العصر المسيحي: دير أنبا بقطر — الأشمونين: مركز أسقفي شهير، خرج منها أنبا

ساو يرس (ابن المقفع) أسقف الأشمونين والمؤرخ الكنسي المشهور. هذه المنطقة مرت

بها العائلة المقدسة.

+ باو يبط: دير أنبا أبوللو (المشهور بأيقوناته القبطية الفريدة في المتحف القبطي وباقي

متاحف العالم).

+ منطقة أنتينوى (حالياً الشيخ عبادة) وهي منطقة أثرية وبها أكفان للقديسين وهي

قريبة من دير أبو حنيس شرق النيل.



المقاطعة السادسة عشر: مقاطعة الغزال

+ وعاصمتها Hbnw حبنو وتنطق بالهيروغليفية m3'-hd ماع — حدج.

+ وحالياً Kom el Ahmar كوم الأحمر.

+ في العصر المسيحي: دير أبا هور (المنيا).



المقاطعة السابعة عشر: مقاطعة ابن آوى

+ وعاصمتها فوق معبد أو كشك في الكرنك وترجع إلى مكان يسمى بالمصرية القديمة:

Hnw حنو (وغير ذلك غير معروف).

+ وفي عصر الدولة الحديثة ظهرت مدينة تسمى Hardai حارداي، وتعرف

باليونانية تحت اسم Kynonpolis كينون بوليس أو سينوبوليس.

+ وفي العصر البطلمي كانت تعرف تحت اسم s3k3 ساكا أو كاسا.

+ وهي مقابلة للبر الغربي للنيل مقابل مركز الإدارة بالمعبد.

+ في العصر المسيحي: دير العذراء (جبل الطير) — منطقة أثرية مرّت بها العائلة

المقدسة.

المقاطعة الثامنة عشر: مقاطعة الصقر



مقاطعة الصقر عنتي entj-Falcken

+ وعاصمتها Hw.t-nswt حت — نسوت

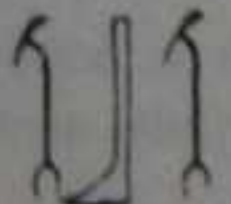
+ كوم الأحمر حالياً: ساوارييس.

+ وفي عصر الملك ابسماتيك الأول بعد الإطّلاع على نصوص المعابد ظهر اتحاد

للمقاطعتين ١٧ و ١٨ تحت مقاطعة واحدة هي Hw.t-nswt حوت — نسوت.

+ في العصر المسيحي: دير أنبا بولا، دير الميمون (بوش).

المقاطعة التاسعة عشر: وهي مقاطعة الصولجان المزدوج.



+ وكانت مقاطعتها قديماً طبقاً لبردية Wilbour مكان اسمه: spr.mrw سبر — مري وهي

ضمن مركز Hardai حارداي، وفي العصر الصاوي saitenzeit (عصر الملكة

نيتوكريس Nitokris) كانت تقع ضمن مقاطعة Pr-mdd پر — مزد

Oxyrhinchos (أو كسر ينكوس).

المراجع

أهم المصادر التاريخية باللغة العربية

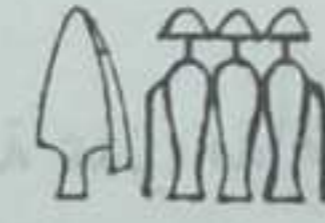
- أولاً: مخطوطات من دير القديس أنبا مقار
- ١ - سيرة القديس أبو مقار الكبير: مخطوط رقم س ١٧ و ١٨.
 - ٢ - خبر حضور جسد القديس مقار يوس إلى شيهيت: مخطوط رقم س ٤٢.
 - ٣ - تكريز هيكل أنبا بنيامين: مخطوط رقم ط ٢٠٧.
 - ٤ - سيرة التسعة والأربعين شهيداً: مخطوط رقم س ٣٧.
 - ٥ - الدفنار الجزء الثاني (الستة شهور الأخيرة): مخطوط رقم س ٦٠.
 - ٦ - تفسير البراديسوس (للقديس فيلوكسينوس): مخطوط رقم س ٩ و ٦٤.
 - ٧ - كتاب تعاليم لكثيرين من الآباء: مخطوط رقم م ٤١.
 - ٨ - أخبار الآباء البطركة (لغاية البطرك ٤٥) لساو برس بن المقفع: مخطوط رقم س ٤٩.
- ٩ - السنكسار.
- ثانياً: كتب تاريخية
- ١٠ - كتاب تاريخ وجدول بطاركة الإسكندرية القبط وجدول عام جامع بين أقوال المتقدمين، تأليف كامل صالح نخلة.
 - ١١ - دراسات في تاريخ الرهبانية والديرية المصرية، تأليف الدكتور حكيم أمين.
 - ١٢ - الأديرة المصرية العامرة، للمتنبع القمص صموئيل تاوضروس السرياني.
 - ١٣ - أديرة وادي النطرون: رسالة مارمينا السادسة، الدكتور مثير شكري.
 - ١٤ - قصة الكنيسة القبطية جزء أول وثاني: للأستاذة إيريس حبيب المصري.
 - ١٥ - المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقرزية، تأليف المقريري.

أهم المصادر التاريخية باللغات الأجنبية التي اعتمدنا عليها في دراستنا هذه

أولاً: كتب أساسية معاصرة لنشأة الرهبنة الأولى

- ١ - كتاب التاريخ اللوزياكي للمؤرخ الناسك بالليديوس: (ج) النسخة السريانية: The Historia Lausiaca (أ) النسخة الإنجليزية: Palladius, The paradise of the holy Fathers by E.A.W. Budge (Annan Isho) syriac vers.
 - ٢ - التاريخ الرهباني لمصر لمؤرخه روفينوس (على ما يظن): أنظر ص ٧٠٣. Waddel Helen, The Desert Fathers, Tr. from: «Vita Patrum. P.L. 74 249-382».
- (ب) النسخة الفرنسية: René Draguet, Les Pères du Désert, textes choisis et présentés par,
- The Historia Monachorum in Aegypto,
- Les moines d'orient IV / 1
Enquête sur les moines d'Egypte, (Historia

+ وهي مقاطعة البهنسا حالياً واسمها باليونانية كذلك.
+ في العصر المسيحي: مركز مطرانية كبير، أديرة رهبانية كثيرة (البهنسا).



- #### المقاطعة العشرون: مقاطعة مقدمة الشجرة:
- + وعاصمتها Heracleopolis هيراكليوبوليس.
- + اسمها الفرعوني القديم hw.t-nn-nsw.t حوت - نن - نيسوت.
- + وفي العصور المتأخرة مثلاً في عصر الدولة الحديثة استقلت وجُزئت الفيوم إلى جزئين:
- ١ - مر - ور Mr-wr شمال البحيرة § ش.
 - ٢ - جنوب البحيرة § ش.
- + وكان لها عمدتان أو حاكمان. وقراءة هذه المقاطعة بالهيريوغرافية n'r.t نعت.
- + وحالياً هي مدينة Ehnas إهناسيا المدينة. وكانت مدينة الفيوم ضمن هذه المقاطعة قديماً.
- + في العصر المسيحي: دير أبوليفاء، دير العزب، دير التقلون، دير مار جرجس، دير الحمام، دير الملاك ميخائيل، دير أنبا صموئيل، كهوف ومغائر وادي الريان.



- #### المقاطعة الحادية والعشرون: مقاطعة مؤخرة الشجرة
- + وعاصمتها sn'-hn شنع - خن
- + وظهرت في عصر الدولة الحديثة. وهي بالقرب من Kafr Ammar كفر عمّار حالياً جنوب الليشت Lischt



- #### المقاطعة الثانية والعشرون: وتقرأ هذه المقاطعة متنو mtnw
- + وعاصمتها Pr-nb.t-tp-fhw بر - نبت - تب - إيجو.
- + وباليونانية Aphroditopolis أفروديتوبوليس.
- + وقد عُرفت منذ العصر الثيني
- + وحالياً Atfih أطفيح.

ثانياً: كتب فرعية لمؤرخين معاصرين لنشأة الرهبنة الأولى

Hieronymi Chronicon.
Hieronymi Epistola 41.

٨ - المؤرخون الكنسيون لجناديبوس:

Gennadii De Scriptoribus Ecclesiasticis.

٩ - سير الآباء لروفيونوس:

Rufini: de Vitis Patrum

٦ - تاريخ الكنيسة لكل من يوسابيوس، وسقراط،
وسوزومين، وثيودوريت.
وكلها ضمن مجموعة:

N.&P.N.F., 2nd Series, Vols. I, II, III

٧ - يوميات جيروم ورسالته:

ثالثاً: كتب تاريخية لمؤرخين وعلماء محدثين جمعوا التراث القديم وحققوه

١٥ - كتاب كنانس مصر وأديرتها لأبي صالح الأرمني، باللغة
الإنجليزية، لكل من إيفتس وبطلر:

Abu Salih the Armenian: The Churches &
Monasteries of Egypt & some neighbouring
countries.
Tr. by B.T.A. Evetts & A.J. Butler.

١٦ - كتاب التاريخ اللوزياكي لأميلينو بالفرنسية:

De Historia Lausiaca.

١٧ - مسيرة أنبا إشعيا الأسقيطي كما وردت في الباترولوجيا
جرىكا، ترجمة فرنسية لجماعة دير
Bellefontaine

Abbé Isaie, Recueil Ascétique (Spiritualité
orientale No. 7).

١٨ - دراسة في الروحانية الرهبانية:

Bulletin de Spiritualité monastique, Extrait de
Collectanea ord. Cist., Jan. mars 1961, oct. déc.
1961.

١٠ - تراجم البولاندست
١١ - تراجم تيمون:

Mémoires pour servir à l'Histoire Ecclési.; (Paris
1693).

١٢ - تاريخ أديرة نتريا وشبهت ودراسة لمعمارها وبقايا
مخطوطات من مكتبة دير أنبا مقار، للعالم الأثري هيو ج. إفلين
هوايت - ثلاثة مجلدات.

The Monasteries of Wâdi 'n Natrûn: Coptic texts,
History, Archeology.

١٣ - تاريخ الكنائس والأديرة القبطية القديمة بمصر،
بالإنجليزية، للعالم ألفريد ج. بطلر - جزءان:

The Ancient Coptic Churches of Egypt,
by A.J. Butler, I, II vols.

١٤ - بحث تحليلي في التاريخ اللوزياكي مع عرض للأصول
اليونانية، للعلامة الأب الراهب بطلر بالإنجليزية:

The Lausiaca History of Palladius I / II
by Cuthbert Butler.

ملاحظات هامة:

وكنا لا نكتفي بالمرجع الواحد باللغة الواحدة بل كنا نعود
للتراجم الأخرى لهذا المرجع حتى نستخلص المعنى بأكثر قدر من
الوضوح. فكنا نتنقل باستمرار من الأصول القبطية إلى اليونانية
إلى اللاتينية إلى السريانية للمرجع الواحد. وكنا نستفيد من
وراء ذلك إستفادة كبيرة جداً في التعرف على الحقائق وروح
الآباء الأصيلة.

قد اعتمدنا في بحثنا هذا على الأصول التاريخية الأولى؛ ولم
نكن نأخذ بآراء المؤرخين المحدثين إلا إذا وجدناها مطابقة
لأقوال الآباء، وكنا دائماً نبدأ على اتصال مستمر بالأصول
القديمة. وفي كثير من الحوادث لم نكن نكتفي بالنص في المرجع
الواحد بل كنا نرجع لكافة المراجع التي بين أيدينا ونأخذ منها ما
يطابق روح الآباء.

وترجمتها الإنجليزية:

E.A.W. Budge, The Wit and Wisdom of the
Christian Fathers of Egypt of the Apophth. Pat.
by «Anan Isho» of Beth Abhe. (Oxford 1934).

(هـ) كتاب بالفرنسية يحتوي على النصوص اليونانية
واللاتينية والقبطية والحشية والأرمنية والسريانية سواء نشرت
أم لم تنشر قبلاً:

Les Sentences des Pères du Désert (3 vol.),
Abbaye Saint-Pierre de Solesmes.

وكتاب دراسة في النصوص اليونانية لأقوال الآباء:

J.C. Guy, Recherches sur la tradition Grecque des
Apophth. Pat. (Bruxelles 4, 1962).

٥ - كتاب سيرة القديس أنبا مقار لمؤلفه القديس سيرابيون
بالقبطية تحقيق المؤرخ أميلينو:

Amélineau, Histoire des Monastères de la Basse-
Egypte (ADMG XXV).

والنص اليوناني لها قام بنشره العالم كوتلييه ثم تسجل في
مجموعة الآباء اليونان.

P.G. LXV. 257 ff. & XXXIV, 236 f.

و يلاحظ الآتي:

(أ) أن التسجيل اليوناني في الباترولوجيا لسيرة أنبا مقار
يحتوي على ٤١ قولاً من أقوال القديس، في حين أن السيرة
القبطية تحوي ٢٨ قولاً. أما الأقوال المشتركة بين الإثنين
فعددتها ٢٢ قولاً.

(ب) كما يلاحظ في المسيرة القبطية أن كل إجابة بكلمة
«نعم» في اليونانية يقابلها في القبطية كلمة: «بنعمة الله
وبصلواتكم» قبل كلمة «نعم» كإصطلاح دائم.

(ج) ويلاحظ في السيرة القبطية تعيين أسماء المواضع
الجغرافية بأسمائها القبطية، أما في اليونانية فنجد الأسماء
يونانية. فمثلاً بيتنا نجد في اليونانية أسم جبل «نتريا» نجد ما
يقابله في القبطية جبل «برنوجي».

(د) في السيرة القبطية يهتم الكاتب بذكر دقائق المواضع
والأسماء. فمثلاً بيتنا نجد كاتب السيرة باليونانية يذكر الكاهن
الوثني الذي قابله القديس أنبا مقار بقرب مدينة نتريا بدون
تعريف، نجد كاتب السيرة القبطية يعين مدينة اختصاص هذا
الكاهن فيقول كاهن بادالاس: Padalas

Monachorum in Aegypto).
Tr. par: A.J. Festugière, O.P.

٣ - المؤسسات الرهبانية والمحدثات للمؤرخ التاسك يوحنا
كاسيان: أنظر ص ٧١٢.

The Institutes & Conferences of Cassian.
N.&P.N.F., 2nd Series, Vol. XI

٤ - كتاب أقوال الآباء عن مصادر القبطية واليونانية
والسريانية:

The Apophthegmata Patrum

(أ) المجموعة اليونانية:

Greek Collection

- J.B. Cotelier, Ecclesiae Graecae monumenta I
(1677).

- F. Nau, Histoires des Solitaires Egyptiens, ROC
12, 13, 14, 17, 18 (1907-1913).

وترجمة هذين العملين معاً بالفرنسية:

J.C. Guy,
Les Apophthegmes des Pères du Désert,
Bellefontaine (1966).

(ب) المجموعة اللاتينية:

Latin Subject Collection:

Rosweyd, Vitae Patrum III, V, VI, VII under the
name of: Verba Seniorum., (Anvers 1615).

وترجمتها الفرنسية:

Draguet, Les pères du désert, (Paris 1949).

وترجمتها الإنجليزية:

H. Waddell, The Desert Fathers, (London 1926).

(ج) المجموعة القبطية:

Coptic Subject Collection:

G. Zoëga, Catalog. Cod. Copt. (Rome, 1904).

وترجمتها الفرنسية:

Le manuscrit de la version copte en dialecte
sahidique des Apophth. patr., (Le Caire 1960).

(د) المجموعة السريانية:

Syriac Subject Collection:

E.A.W. Budge, The Book of Paradise II, (London
1904).

Cod. reg. : Codices regularum per Benedictum
Anianensem

Du Pin. : Bibliothèque des Auteurs ecclésiastiques, Par Mr. Du Pin

Bult. : Histoire des moines, par Mr. Bulteau

Bell. : Bellarminus, de Scriptoribus Ecclesiasticis

Lab. : Philippi Labbei des Scriptoribus
Ecclesiasticis

Macar. : Macarius Aegyptius, Homiliae

Ruf. V.P. : Rufini de vitis Patrum

Amb. ep. : Ambrosii epistola

Pass. asc. : Passin

مجموعة القوانين لبندكتوس الأثيناوي

مكتبة المؤلفين الكنسيين جمعها المسودو بان

تاريخ الرهبنة للمسيو بولتو

المؤلفون الكنسيون لبلارمينوس

المؤلفون الكنسيون لفيلبس لابي

عظات مقار يوس

سير الآباء لروفينوس

رسالة لأمبروسيوس

الأب اليسوعي باسان

ط ١٨ = مخطوطة عن سيرة القديس أنبا مقار منسوبة للقديس سيرابيون تلميذ القديس أنبا أنطونيوس محفوظة بدير القديس أنبا مقار تحت رقم «سير ١٨».

وقد قام العلامة أميلينو بتحقيق هذه المخطوطة فأنتهى إلى صحتها ونسبها إلى القديس سيرابيون (أو سرايامون) تلميذ أنبا أنطونيوس وقد قال في مقدمة بحثه:

Je regarde, l'attribution de cette vie à l'auteur nommé comme parfaitement certaine et nous sommes en présence d'une oeuvre réellement authentique.

(Introduction XXVII)

أما مشكلة وجود سيرابيون أسقف تمي وتلميذ أنبا أنطونيوس بعد سنة ٣٧٣ وهي سنة نياحة سيرابيون، لأن كاتب القصة يصف حضوره نياحة القديس أنبا مقار بنفسه، فذلك يرجعه العالم بطرير إلى أن سيرابيون هذا كان بالفعل تلميذاً لأنبا أنطونيوس، ولكن ليس هو الذي صار قديماً بعد أسقف تمي. ونحن نظن أنه هو الذي رحل إلى نتر يا بعد نياحة أنطونيوس وصار تلميذاً لأنبا آمون ولأنبا مقار ودعي بالكبير.

أسماء واختصارات بعض المراجع التي تبحث في تاريخ آباء الرهبنة

•••

Boll. : Acta Sanctorum, Bollandus

Laus. : Historia Lausiaca

SOZ. H.E. : Sozomenus Historia Ecclesiastica

Vit. P. : Vitæ Patrum per Rosweidum

Cotel. : Monumenta Eccl. Graecae per
Cotelarium

Apophtegmata Patrum

Casn. : Cassiani Collatio

Ruf. : Rufini Hist. Eccl., Ruf. v.p.

Socr. : Socrates, Historia Ecclesiastica

Men. : Menaea magna graecorum

Ephr. : S. Ephraem Edesseni, Diaconi
Confessio et Sui ipsius reprehensio

Eck. reg. : S. Antonii regula Sermones, Vita per
Abrahamum Eckellensem

Dor. : Dorothei Archimandritae de Vita recte et
piè instituenda liber, seu doctrina

Jo. D. fid. dorm.: Joannes Damascenus

: Damaso de iis qui in fide dormierunt

Theodo., H.E. : Theodoretus,

Historia Ecclesiastica

Bar. 372 : Baroni Annales in anno Christi 372

Oros. : Pauli Orosii historia

Idat. : Idattii Chronicon

Suid. : Suidae Lexicon

Hier. : Hieronymi Chronicon

Hier in Ruf. : Hieronymi in Rufinum

Hier ep. 41 : Hieronymi Epistola, 41

Pall. Dial : Palladii dialogus

Paul. ep. 10 : Paulini epistola 10

Genn. : Gennadii de Scriptoribus Ecclesiasticis

العالم المؤرخ الراهب بولاندوس

التاريخ اللوزياكي لباليديوس

التاريخ الكنسي لسوزومين

سيتر الآباء

الناشر لأقوال الآباء باليونانية (القرن ١٧)

المنظرات لكاسيان

تاريخ الكنيسة لروفينوس - أنظر أيضاً

تاريخ الكنيسة لسقراط

السنكار الكبير لليونانيين

الإعترافات وتبكيك النفس للقديس أفرام شماس أوديسا

عظات أنبا أنطونيوس في النظام الرهباني وردت في سيرته بقلم

إبراهيم اكلنسم

كتاب الحياة الصالحة والتدريبات التقوية للقديس

دوروثيوس. أو كتاب تعاليمه

يوحنا الدمشقي، عن «الذين رقدوا في الإيمان»

التاريخ الكنسي لثيودور يتوس

حوليات عام ٣٧٢ ميلادي، لبارونيوس

التاريخ لأوروس

يوميات إيداتوس

قاموس سيديا

يوميات جيروم

جيروم على روفينوس

الرسالة ٤١ لجيروم

أحاديث بالليديوس

كتاب المؤلفين (المؤرخين) الكنسيين، لجناديوس

كتابات الأب متى المسكين

التبرير بين الماضي والحاضر وبين الإيمان والعمل	الوحدة المسيحية
مقالات بين السياسة والدين	ملكوت الله
ملكوته الله	المرأة حقوقها وواجباتها
الكشف الأثري لرفات القديس يوحنا المعمدان وأليشع النبي	لحظة سريعة عن دير القديس أنبا مقار والرهينة في مصر
رسائل روحية	رسائل روحية
إماتة الذات بهدف الحب الإلهي واختبار الله في حياة الراهب	غاية الحياة المسيحية
مع الروح القدس في جهادنا اليومي	القديس أنطونيوس ناسك إنجيلي
صوم العذراء وعيد صعود جسدها إلى السماء	رأي في تحديد النسل
الكنيسة الخالدة	كلمة الله : خدمة وشهادة وحياة
الوحدة الحقيقية ستكون إلهاماً للعالم	لقد وجدنا يسوع - دعوة تعارف
قصة الإنسان (حول الخطية والخلاص)	تغيروا عن شكلكم
حاجتنا إلى المسيح	الكتاب المقدس رسالة شخصية لك
الروح القدس وعمله داخل النفس	
النعمة في العقيدة والحياة النسكية	
التجسد الإلهي	
الحدود المتسعة للإيمان بالله	
في تعليم المبتدئين	
في تعليم المبتدئين - خاص بالرهبان	
سيرة القديس أنبا مقار	
ميلاد المسيح وميلاد الإنسان	
قصص مسيحية للحياة (مجلد)	
ماهية المسيح - لاهوت المسيح الذي حدّد مصير الإنسان	
المسيح ابن الله	
ابن الإنسان اللقب المحبوب عند المسيح	
المسيح والمسييا	
المسيح رب	
المحجوب	
الفدية والكفارة	
الخلاص والإيمان	
عمانوثيل	
رئيس الحياة	
أنا هو نور العالم	
العريس	
أنا هو الطريق والحق والحياة	
أنا هو خبز الحياة	

الخدمة	القديس بولس الرسول
المسيحي في المجتمع	شرح رسالة العبرانيين
المسيحي في الأسرة	شرح رسالة رومية
كيف تقرأ الكتاب المقدس	شرح رسالة أفسس
التدبير الروحي	المدخل لشرح إنجيل القديس يوحنا
توجيهات في الصلاة	شرح إنجيل القديس يوحنا - ج ١
القيامة والخلقة الجديدة	شرح إنجيل القديس يوحنا - ج ٢
القيامة والرجاء الحى	القديس أنطونيوس الرسولي
رسالتان في عيدي الصعود والعنصرة	الرهينة القبطية
يوم الخمسين في التقليد الآبائي	حياة الصلاة الأرثوذكسية
صوم الرسل ومكانته الروحية	الإفخارستيا والقداس
الشهادة والشهداء	التقليد المقدس
التوبة	القديسة العذراء مريم (ثيوتوكس)
التوبة والنسك في الإنجيل	الصليب المقدس
العمل الروحي	التسبحة اليومية ومزامير السواعي
الفضائل المسيحية	أعياد الظهور الإلهي
رسائل القديس أنطونيوس	الصوم الأربعيني المقدس
الإيمان بالمسيح	مع المسيح في آلامه حتى الصليب
حبة الحنطة	القيامة والصعود
أين شوكتك يا موت	الروح القدس الرب المحيي

المجلة مرقس
القاهرة: ٥٠ "أ" شارع شبرا - شقة ٤ - ت ٧٧٠٦١٤
الإسكندرية: ١٣ شارع الشهداء - ناصية شارع الغرفة التجارية - ت ٨٠٨٦٣٧

تطلب من:
دار مجلة مرقس

القاهرة: ٥٠ "أ" شارع شبرا - شقة ٤ - ت ٧٧٠٦١٤
الإسكندرية: ١٣ شارع الشهداء - ناصية شارع الغرفة التجارية - ت ٨٠٨٦٣٧